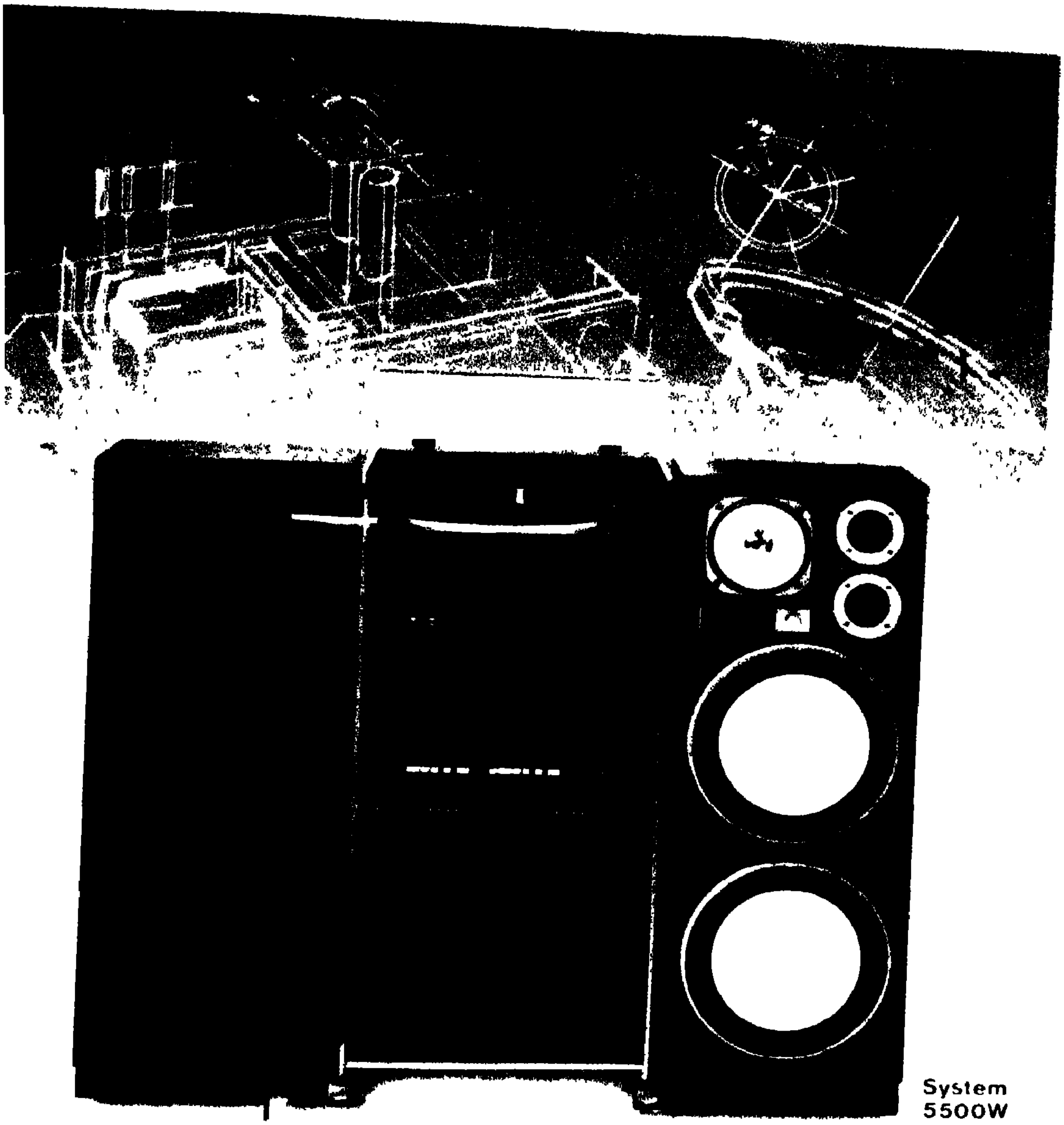
شوال ١٤٠٥ هـ - يوليو (تموز) ١٩٨٥ م

١

العربي





System
5500W

في عام ١٩٣٧ خطرت على بال رجل إسمه أفري فيشر
فكرة عظيمة. فقد إبتكر أول نظام صوت هاي فاي في
لم تكن هذه البداية وغيرها من الأفكار التي سبقها بدأت بتقليد
لأفكار عظيمة التي ما انفك يبتدع حتى اليوم في شركة فيشر التي
تحمل اسمه

فضلاً عن ذلك نظام فيشر السمعي المركب الكامل
... داخل مضخمات الصوت ذات القوة
... + ... عند ... محولاً للتيار فائق الأداء
... بالطبع حتى عند الإستماع العالي جداً
... نظام ... صوت ... مزدوج وهكذا فإن
المضخم ومكبّرات الصوت يبثّان صوتاً عيناً جداً واسع المجال
وخال تماماً من التشويش. لقد صُمّمت مكبّرات الصوت هذه
خصيصاً للإستعمال في الأنظمة المرئية - السمعية. وهي أيضاً
تحفظك من التشويش المغناطيسي الذي تسبّبه المكبّرات أحياناً
والذي قد تسمعه في أجهزة التلفزيون القريبة

إن أفكاراً عظيمة كهذه هي التي تمكّن فيشر تبوّء ٤٠
من حقل أنظمة الأجهزة السمعية المركبة في الولايات المتحدة
على الأقل وقد لمسنك فكرة عظيمة. قدّم لمسك
فيشر.

• طاقة إخراج RMS مع ٠,٠٠٩٪ THD عند 1KHz.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العـــــدد ٣٢٠ يولـــيو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 320 July, 1985 P.o. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٣٩٧٢٤-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

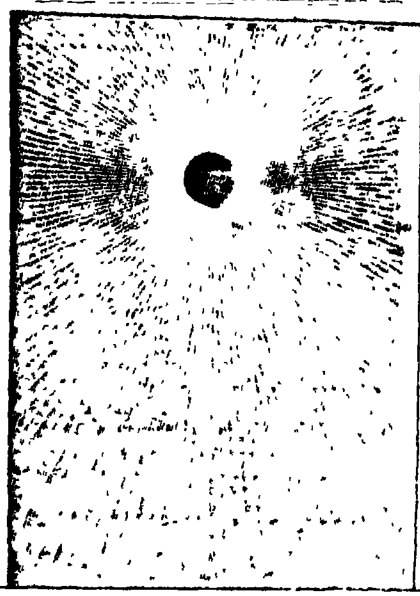
الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

كتاب العربي



آراء ودراسات في :

الفكر القومي

ساطع الحصري — د. أحمد زكي

د. محمد أحمد خلف الله — د. عبد العزيز الدوري

د. عبد الله عبد الدائم — د. عبد الرحمن البزاز

د. كلوفيس مقصود

العدد الثامن — ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارئ

رب ضارة نافعة . . والضربة التي لا تقتلك تقويك . . .
حقيقتان تؤكدهما أحداث كل يوم . . مع استمرار مسيرة الحياة . .

والذي حدث في الكويت . . ذلك اليوم في أواخر مايو الماضي . كان استمرارا لتأكيد هاتين الحقيقتين . .

ودعنا ـ عزيزي القارئ ـ نتناول بالحديث أمرا هو في الحقيقة لا يخص قطرا واحدا من أقطار وطننا العربي . بل ان كل قطر من أقطار هذا الوطن معرض ـ في ظل اختلال الموازين وتداعي القيم وتضارب العلاقات ـ لمثل هذا الذي حدث في الكويت

فالجريمة الآثمة التي تعرض لها موكب سمو الأمير صورة من صور الارهاب المنظم الذي تخطط له وتنفذه مجموعة من أصحاب العقول الباغية والأيدي الملوثة بالدم تعتقد أنها بالتخريب والمؤامرة والاغتيال تستطيع أن تفرض على الوطن العربي الذلة والاستسلام لمخططاتها وأهدافها . دون أي اعتبار لمصالح الشعوب وطموحاتها وكراماتها وحريتها في اختيار القرار .

واذا كانت الكويت ـ بكل ما تتمسك به من تصميم على أن تحدد طريقها بنفسها وبملء إرادتها ـ مرصودة ومستهدفة من أعداء الله والحرية والانسان لنسف استقرارها وزعزعة أمنها . . فقد أثبتت الجريمة الآثمة ، ومهما تبلغ دناءتها ، أنها لا تستطيع أن تثني الشرفاء من أصحاب العزم والكلمة والرأي والضمير ، عن مواصلة مسيرة الخير ، والانطلاق على طريق العروبة ، والاستمرار واحة للأمان والحرية والمواقف الوطنية الصامدة ، دون السماح لأحد بالتطاول على حرمات الوطن،وتعكير أمنه،والعبث بمصالحه

وليس هذا فحسب . بل لقد كانت الجريمة دافعا لمزيد من التصميم على المواقف الشريفة الثابتة وسببا لتماسك كل القوى الوطنية العربية والاسلامية للوقوف في وجه الشر،وضرب رءوس البغي والعدوان . . ووسيلة لتجديد البيعة القومية للرجل الذي يقود المسيرة بكل نقاء الإلتزام ، وصلابة المواقف وإعلاء راية العدل والديمقراطية . وتأكيدا للالتفاف حول أصحاب القيم الشريفة الذين لا ينحنون أمام الارهاب مهما تبلغ دناءة أساليبه وحقارة مخططاته

وقد أثبتت الكويت شعبا وأميرا وحكومة ـ وهي بعض هذا الوطن العربي الكبير ـ ان العرب يستطيعون دائما مواجهة التحديات،والارتفاع فوق المحن،والثبات على المواقف . ومواجهة كل من يستهدف بلادهم واستقلالهم وحياتهم وحريتهم . .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . .

المحرر

محتويات العدد



في ريف اليمن الحديد المرأة دائماً هناك
إقرأ (سد مأرب واليمن الحديد ص ٣٦)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

العنف والإرهاب

تجاه الآمنين هو سلاح الضعفاء

- ☐ .. وتبقى الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام
- ☐ إرهاب أسود ضد شعب آمن وقائد مؤمن بالله
- ☐ ٢٥ مايو .. يوم السلامة الوطنية .. ويوم الوحدة الوطنية

الزمان الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الموافق الثا
والعشرين من شهر مايو الماضي

المكان قاعة استقبال صغيرة ومتواضعة هي قاعة الاستقبال في بيت أ
الكويت الشيخ جابر الأحمد ، وفي بيته المتواضع الذي لا يختا
كثيرا عن بيوت الكويت القديمة ، لا بذخ يستلفت النظر
بهرج

الحضور رؤساء تحرير الصحف اليومية والأسبوعية مع رئيس وكالة الا
الكويتية يتقدمهم وزير الأعلام في الكويت .

الغرض حوار سريع مع الأمير الذي أصر - وبعد أقل من ثمان وأرب
ساعة فقط على محاولة الاعتداء على موكبه - أن يستقبل المسئو
الإعلاميين والصحافيين «لدردشة» قصيرة .. ولكنها عم
ومؤثرة



سمو أمير الكويت بعد أن عافاه الله وحفظه يوجه كلمته إلى الشعب الآمن السالم « ان ما حدث ويحدث لن يثنينا ولن يثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع »

مما ورد في قول أمير الكويت في ذلك اليوم المشهود .

« إن الانسان معرض للمخاطر ولا يعنيني في هذه اللحظة ومنذ فترة غير قصيرة إلا اقتتال الأخوة العرب والمسلمين في المخيمات في بيروت ، وهذه الدماء الزكية التي تسيل من الجانبين » وقال : « ما يهمني هو الوضع العربي المتدهور والذي وصل الى درجة تدفع أشد الناس ايمانا بالمستقبل الى اليأس والقنوط . . ولكننا في الكويت مازلنا مؤمنين ان الجهود لابد ان تبذل مهما كانت التضحيات والعقبات لوقف هذا التدهور » .

* * *

لقد كان الرجل ـ وبعد أقل من يومين من ساعة الاعتداء عليه وهو في موكبه متجها الى مكتبه ـ يفكر لا في نفسه ولا فيما عوفي منه ، فهو مؤمن بقضاء الله وقدره ، ولكنه يفكر في أمته ، ويفكر في أبناء وطنه الذين خاطبهم بعد ساعات من وقوع الحادث في ٢٥ مايو ، يوم السلامة الوطنية ويوم الوحدة الوطنية قائلا :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . . « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . صدق الله العظيم .

لقد سمعتم ما حدث صباح اليوم ، والمؤمن يسلم امره الى الله تعالى فهو الحافظ وبيده كل شيء ، وأود أن أطمئنكم جميعا بأني الآن بخير والحمد لله ، وما نتعرض له من حوادث لن يثنينا ويثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع ، وان تعمل من أجل الخير لابنائها ولأمتنا العربية والاسلامية .

اني أشكركم جميعا لما أظهرتم من مشاعر صادقة،وأسأل الله سبحانه أن يبعد عنكم كل مكروه ، كما أود أن أشكر اخواني الرؤساء الذين اتصلوا بي معربين عن مشاعرهم الأخوية التي أعتز بها .

حفظ الله الجميع من كل مكروه ورحم الله الذين راحوا ضحية هذا الحادث الأليم وكتب الله الشفاء للمصابين » .

ماذا يريد الأعداء من الكويت؟

□ لقد هبت الكويت بعد ذلك اليوم ولفترة طويلة ، وأحسب أنها ستكون فترة مميزة في تاريخ الكويت ، هب المجتمع الكويتي العربي واقفا وقفة رجل واحد،مؤيدا وداعيا للأمير وسياسته الحكيمة الداخلية والخارجية ، ولقد اتفق الجميع أن الاعتداء الآثم على حياة أمير الكويت لم يكن موجها ضدشخصه فحسب ، بل كان موجها ضد الكويت ، ضد تجربة الكويت الاجتماعية والسياسية في المقام الأول ، وضد توجهاتها السياسية العربية والاسلامية والدولية .

فتوقيت الحادث لم يكن بعيدا إلا بأشهر معدودات عن فترة الانتخابات الديمقراطية التي مارسها أبناء الكويت أمام سمع العالم وبصره . ولم يكن بعيدا عن فترة بدء أعمال مجلس الأمة المنتخب من الشعب ، التجربة التي كانت نقطة مضيئة في التنظيم السياسي في المنطقة .

ooo

ولقد فهم البعض خطأ أن الحوار الديمقراطي الذي يجري في الكويت من خلال مؤسساتها الدستورية وبشكل علني واضح للجميع ، فهموا هذا الحوار الذي يشوبه بعض الخلاف في الرأي في مجتمع حي متفاعل وديمقراطي ، على أنه يحمل بذور الخلاف ، وهو فهم خاطيء بالتأكيد .

فالحوار هو سبيل الوصول الى الأفضل تحت حكم ارتضاه الجميع وتعاقدوا عليه وحموه من خلال الدستور ، في ظل حاكم يراه الجميع والدا وقائدا وحكما بين السلطات من أجل المصلحة الوطنية العليا ، فالكويتيون على اختلاف مشاربهم واجتهاداتهم لا يرضون لنظامهم بديلا،ولا يرضون لأميرهم وقائد مسيرتهم أن يتعرض من قريب أو بعيد لمكروه أو عدوان .

من هنا بدأ التكاتف والتلاحم الشعبي على جميع المستويات غريبا لدى البعض ، ولكنه ليس غريبا على من يعرف الكويت . . . وليس غريبا على من واكب تجربتها وعرفها عن قرب ، وتكفي الاشارة الى ما جاء في بيان الحكومة الذي أعقب الحادث الأثيم والذي قالت فيه :



ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد ويرافقه وزير الداخلية الشيخ نواف الأحمد ورجال الأمن يتفقدون آثار المحاولة المجنونة

« إن الحكومة لن تخضع للابتزاز أو الارهاب أو التهديد ، وان مثل هذه الأعمال الجبانة لن تقف حائلا أمام مسيرة الكويت الخيرة .

وتؤكد الحكومة مرة أخرى بأنها مصممة على ردع كل من تسول له نفسه العبث بأمن البلاد واستقرارها ، متمثلة بقول الله سبحانه وتعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذا البيان الذي أعلنته الحكومة عقب وقوع الحادث الأثيم يواكب بيان مجلس الأمة الذي عقد جلسته في صبيحة نفس اليوم،وندد في بيانه بالحادث فقال :

« يستنكر مجلس الأمة بشدة باسم الشعب الكويتي حادث الغدر،ويدعو الشعب الكويتي للتكاتف وتفويت الفرصة على أصحاب الأغراض المشبوهة وذلك من خلال التأكيد على الوحدة الوطنية،والوعي المطلوب في هذه المرحلة الحرجة » .

وأضاف البيان : « نود أن نؤكد أن هذا الشعب بقيادة صاحب السمو الأمير الذي آمن بالديمقراطية ورعاها سوف لا يتأثر بمثل هذه الأعمال الجبانة وان المسيرة الكويتية الديمقراطية ستستمر معتمدة على وحدة أبناء الشعب الكويتي » .

اذا كان بعض من أهداف مدبري الاعتداء الآثم على موكب أمير الكويت ، تخديل الثقة بالنفس وزعزعة الأمن . فقد خاب ظنهم . . فقد واصلت الكويت دون طواريء ودون اجراءات استثنائية مسيرتها الأولى ، وبلا أي اضطراب . وعبر الكويتيون عن بكرة أبيهم عن تكاتفهم والتفافهم حول قيادتهم الأمينة ، واضطلعت الصحافة الكويتية وسائر أجهزة الاعلام بالعبء الذي تلتزم به في مجتمع ديموقراطي منظم تحكمه المؤسسات

كلما كان المجتمع عادلا كان آمنا

□ لا يستطيع أحد أن يكابر بالقول ان الكويت لا تطبق سياسات داخلية وخارجية متوازنة وعادلة ، فعلى الصعيد الداخلي يحكم الكويت دستور حديث وضع عشية الاستقلال وارتضاه شعب الكويت ، وقد تبنى هذا الدستور مؤسسات ديمقراطية حافظ عليها،ورعتها القيادة السياسية الكويتية ، وتفرع من ذلك سياسات اجتماعية متوازنة،فأصبح التعليم والرعاية الصحية والرعاية السكانية حقا مكتسبا للمواطنين ، في نفس الوقت الذي حافظت فيه الكويت على علاقات خارجية متوازنة سواء مع القوتين الأعظم - الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة - أو مع بقية دول العالم وبخاصة دول العالم الثالث التي قامت بإشراكها في ثروتها منذ ظهور الكويت المستقلة ، من خلال الصناديق المحلية والعربية مثل الصندوق الكويتي والصندوق العربي ، كما أصبح مشهودا لسياستها الخارجية بقيادة وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الذي جعل دأبه محاولة رأب الصدع بين الاخوة على الصعيدين العربي والاسلامي ، ومافتيء يقوم بذلك ، كما أن السياسات المعلنة والمطبقة تقوم على أساس أن منطقة الخليج منطقة عربية يرفض الجميع أن يتدخل في سياستها الاقليمية أحد من الخارج ، كما أن الدفاع عنها من مهمات أبنائها ، وتحولت هذه المقولة الى تطبيق عملي في سياسة الكويت الخارجية مع جيرانها .

وفي هذا الاطار فإن أي ارهاب يوجه الى ذروة النظام الكويتي هو ارهاب مرفوض من قطاعات واسعة من العرب والمسلمين أصحاب البصر والبصيرة ، ولا ينتج عنه خير أبداً ، بل إن نتائجه شر كامل . وهو ارهاب لم يستهدف في الحقيقة رمز النظام بقدر ما يستهدف اهانة الكويت وشعبها وصرب كل القيم الشريفة التي تأبى الكويت أن تتخلى عنها،وتتشبث بأن تتخذها نبراساً لها وهادياً لمسيرتها

فمن الذي يغيظه ذاك الأمن ويزعجه هذا الاستقرار ويريد أن يزج بهذه البقعة الآمنة في أتون الاضطراب الذي قد يعرضنا الى التدخل الخارجي !!؟



مسرح الجريمة في شارع الخليج العربي وكتب الله السلامة للقائد العربي المؤمن

الارهاب الأسود ضد المجتمع وضد الآمنين

□ مثل هذه التجربة مع شعب ديمقراطي مسالم يسعى قادته الى الخير ورأب الصدع عندما يوجه إليه الارهاب وعلى أعلى مستوى في قيادته ، فلابد أن تثار أسئلة منطقية . لمصلحة منْ يجري ذلك ؟

لاشك أن الارهاب قديم قدم الحضارة الانسانية ، قدم الزمان والمكان وقد ظهر في زماننا على شاشات السينما والتلفزيون وبين أغلفة الكتب والمجلات السيارة شخصيات تستخدم العنف من أجل تحقيق مصالحها ، ويعتمد حكمنا عادة على قيمة أعمالها من موقفنا السياسي والاجتماعي ، وفي جميع الحالات تقريبا يرفض الذين يمارسون الارهاب ـ وخاصة في الوقت الحاضر ـ قبول التسمية والاقرار باللجوء الى هذه الوسيلة رغم تورطهم فيها . فالارهاب ينسب دائما الى غيرهم ، حتى أصبحت عبارة (الارهاب) عبارة نموذجية ترد في الاعلام السياسي الدعائي ، ولكن مهما حاول الذين يلجأون الى الارهاب تصوير الحقيقة على غير واقعها،واخفاء المعالم الحقيقية لأعمالهم ، تبقى لأصحاب الفكر والمراقبين المحايدين قدرة على التمييز بين الارهاب الأسود الموجه للآمنين والذي لايخدم غرضا وطنياً ، وبين ذاك النوع من النضال الوطني المبرر الموجه لطرد الأجنبي ، لأنه في ميدان السياسة لاترتبط حقيقة الأفعال والظواهر بما يعتقده هذا الفريق أو ذاك ، أو بتكييف الأعمال من قبل الفاعلين ، وانما ترتبط حقيقة الأفعال

بالآثار الملموسة التي تركها تلك الأعمال،وبدورها الفعلي في الهيكل السياسي للمجتمع . وأخيرا بالنتائج الموضوعية التي تجسمها تلك الأعمال في حياة ذاك المجتمع

ومنذ الحرب العالمية الثانية تعرف جماهير القراء تسميات مثل « الجستابو » ، و « الاس إس » ، وهي من الأدوات البوليسية الخاصة بالنازية التي كانت تستخدم الارهاب وسيلة لأهدافها وكذلك تعرف الـ « سي أي إيه » ، و « الكي جي بي » في وقتنا الحاضر ، بجانب مسميات أخرى معروفة او خفية ، هذه المؤسسات تعمل كذراع آخر في الحروب أو هي امتداد للمجهودات الحربية ، كما عرفنا في تاريخنا العربي الاسلامي حركات كالحشاشين الذين زرعوا الاغتيال والعنف حتى أنهم حاولوا مرتين اغتيال القائد الاسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي كما يقول لنا التاريخ إن حركات مثل (الخناقون) في الشرق الأقصى وحركة « كلوكلوكس كلان » في القرن التاسع عشر والعشرين في الولايات المتحدة ، كلها حركات إرهاب أسود اتسمت بالعنف للتخلص من أولئك الذين حلت عليهم الأحقاد

ولعل المنظمات الارهابية الصهيونية التي انتشرت في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى مثل منظمة (شترن) ومنظمة (أرغون زفاي ليومي) التي أسسها جابوتنسكي في سنة ١٩٣٧ (وهو استاذ مناحيم بيجن في الارهاب) هذه المنظمة كانت تضم شباباً يتدربون ويُنشّأون على مبادىء عسكرية صارمة وقاسية وكانت تزرع القنابل في الأحياء العربية في فلسطين وتضع المتفجرات في سيارات النقل وفي الأسواق التجارية والساحات العامة حتى أشاعت جوا من الارهاب بين المواطنين الفلسطينيين وأجبرت بعضهم على الرحيل عن بيوتهم وأراضيهم ، ذاك هو النوع الثاني من الارهاب الذي يحرم الناس حرياتهم وأوطانهم .

الارهاب مرض دولي

☐ اذا كنا قد فرقنا بين الارهاب الأسود الذي يوجه الى الآمنين من خارج الحدود دون ذنب جنوه ، وبين النضال المسلح ذي الدوافع الوطنية المبررة فإن العالم في العشرين سنة الأخيرة يشهد موجة من الارهاب الدولي الذي زاده التقدم التقني تعقيدا ، فالخطر من مواجهة نووية بين العملاقين الغربي والشرقي قد أبعدت كليهما عن حرب تقليدية قد تستلزم أو تنتهي بمواجهة نووية . . فبرز عنصر جديد محل الصراعات وتأجيجها وهو الارهاب

والبعض اليوم ينظر الى الارهاب وكأنه امتداد للحرب أو بديل مؤقت عنها ، وستزداد هذه الصراعات وتحتدم في السنوات القادمة بزيادة بؤر الصر[illegible] ، ولعلنا في منطقتنا العربية اليوم مبتلون ببؤر صراع مستمرة منذ



السيارة التي كان يستقلها سمو أمير الكويت العناية الإلهية وحدها حفظته للكويت وشعبها

سنوات طويلة . ليس مع عدونا الصهيوني فقط فذاك مفهوم ومقبول ولكنها مع الأسف امتدت بين أبناء القومية والجنس والدين الواحد . ونتيجة لهذا الاضطراب فإن الدول الكبرى تسللت الى ثغراته تستفيد منه من خلال عمليات خاصة تهدف لتحقيق اغراضها في السياسة الخارجية ، وتنفذها على نحو لا يظهر دور الحكومات في غرضها ومباشرتها ، كما أنها لاتعترف بها ، ومن هنا جاءت تسمية « عرابو الارهاب » وهي الدول التي تيسر للمجموعات الارهابية العمل والحركة والدعم ، وقد لا يكون الدعم شرطاً لظهور هذه المجموعات ولكنه بالتأكيد شرط لاستمرارها ، كما أن التقدم التقني قد زاد من احتمالات الارهاب ووصوله الى أماكن لم يكن يصل اليها من قبل ، ولا يستطيع أي نظام سياسي في العالم اليوم الا ان يتكيف مع احتمالات العنف في جو السخط والاحباط المتزايد في مناطق كثيرة من العالم ، فهو مرض من الصعب وقفه ، وقد يصيب الأجسام السليمة كما يصيب الاجسام المعطوبة ، والفرق واضح في أن الاجسام السليمة تستطيع أن تقاوم . . أما المعطوبة فتصاب بالتدهور السريع .

الجسم الكويتي سليم

□ وبهذا التحليل الأخير فإن ما حدث في الكويت في ٢٥ مايو هو ارهاب اسود موجه ضد تجربة شعب آمن وقائد يتقي الله في مسئوليته وشعبه .

هذا الشعب وذاك القائد أثارا أحقاد الذين لا يقدرون معنى الثبات على المبدأ ، ولا يدركون قيمة الانتماء والولاء للوطن الكبير . . . وحين يكون الشعب مؤمنا بسلامة مسيرته وحقه في الاختيار ، مدركا لعدالة القضية التي يدافع عنها ويعمل من أجل نصرتها . . . وحين يكون قائد المسيرة عملاقا مدركا لمسئولياته،ثابتا على مبادئه،باذلا كل الجهد من أجل تحقيق العدالة للانسان العربي أيا كان موقعه،ومهما بلغت التحديات في مواجهته . . حينئذ يبلغ الحقد الأسود منتهاه . . وتمتلىء القلوب المسمومة بالغل الأعمى الذي يدفعها الى تقويض كل شيء . . . حتى الحياة . .

من هنا كانت المحاولة الآثمة للعدوان على هذا الشعب . . . من خلال الاعتداء على قيادته الواعية التي تقود مسيرته . . ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتحملوا مسيرة شعب حر يقوده الرجل الذي عرفه الجميع مؤمنا بانتمائه العربي . مدركا لمسئوليته تجاه قضايا العروبة والاسلام ، عاملا قدر الطاقة لرأب الصدع وإصلاح ذات البين بين المختلفين من قيادات الوطن العربي باذلا كل الجهد لتحقيق الصفاء والسلام بين أبناء العروبة والاسلام لا يخشى في الحق لومة لائم . ولايهاب تهديداً أيا كان نوع هذا التهديد . مادام موقنا بسيره على طريق الحرية والكرامة والشرف والحق كل الحق

ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتصوروا ان هذا البلد الصغير في مساحته . القوي بارادة شعبه . وقائده . . يمكن ان يكون قدوة ومثالاً للديمقراطية والعدالة والأمن . . يتوافر له حكم القانون وحكم الشعب بالشعب من خلال حرية الرأي والتعبير بالقول واحترام انسانية الانسان . وحين خابت حساباتهم وضلت خططهم تصوروا أنهم يستطيعون أن يبلغوا بالارهاب والاغتيال الى أن يحرفوا المسيرة لتتلاقى مع مخططاتهم وأحقادهم وأفكارهم السوداء وتستسلم إلى أياديهم الملطخة بالدماء .

وهكذا ضربوا ضربتهم الجبانة التي أرادوها ان تكون قاصمة لهذا الشعب الأبي وقائده الأمين .

صلابة الجبهة الداخلية

□ لقد اتضح بما لا يقبل الشك صلابة الجبهة الداخلية الكويتية . . . وظهر ذلك في كلمة سمو الأمير في اليوم الذي عاد فيه الى مكتبه فقد قال . ـ

« من أجل الحفاظ على كل ما ترمز اليه الكويت ستتابع المسيرة ، لا يوقفنا ما حدث وما قد يحدث وبعون الله ستبقى الكويت مرفوعة اللواء،وسيبقى شعبها حاملا مسئولياته مهما يلق من صعاب »

وقال : « اننا بذلنا الكثير لتصبح الكويت دار أمان واستقرار،ومنبراً للحرية والديمقراطية،ونبعاً للخير . وعلينا أن نبذل الكثير لحماية هذه المنجزات واستمرار إشعاعها . ولاحماية دون نظام . . ولا نظام دون التزام دقيق بالتنفيد ولانجاح للالتزام إلا بجعله فوق المساومة والمجاملة على حساب الكويت . فلنقبله مؤمنين بأنه حماية لكل شريف القصد واضح السبيل ، إن الشرفاء لا يخشون النور . فلنسلط النور على كل أجزاء الكويت،ولتكنْ الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام » .

وهكذا تعود الكويت من جديد مرددة مبادئها الدائمة،ومواقفها العربية والاسلامية الأصيلة يدعمها شعب محب وقيادة ذات بصيرة ثاقبة،ونظام سياسي ارتضاه الجميع كطريقة حياة ، ووسيلة للتخطيط للمستقبل .

محمد الرميحي



هجرة العرب الى أمريكا

بين الإضطرار والإختيار

بقلم : الدكتور ميخائيل سليمان*

منذ أكثر من قرن من الزمان ، تدفق بعض العرب الى العالم الجديد ، أمريكا ، نتيجة لأسباب خاصة بذلك الزمان ، الا أن دفقات الهجرة تتابعت أيضا ، حتى بعد نيل الاقطار العربية لاستقلالها

فما هي أسباب هجرة العرب الى أمريكا ، وماهي ظروف حياتهم الآن ، وماهو دورهم في المجتمع الأمريكي ، وماهي درجة تفاعلهم مع القضايا العربية ؟

هذا مايجيب عنه كاتب هذه الدراسة الذي يعيش ويعمل في احدى جامعات ولاية كنساس الأمريكية .

ان أحوال العرب في أمريكا اليوم تشبه كثيرا الاحوال والمشاكل التي واجهها قبل عشرين عاما تعريب الامريكيون السود . أو الذين انحدروا من اصل اسباني ، أو غيرهم من الاقليات العرقية والاثنية المختلفة الموجودة في أمريكا وعلى سبيل المثال ، نرى أن العرب ـ الامريكيين الذين وصلوا ضمن الهجرات الأولى ، كثيرا مايجهلون تاريخ وحضارة العرب المجيدة ، لذلك فانهم لايستطيعون أن يقدموا لزملائهم وأبناء « وطنهم الجديد » المعلومات الجيدة عن العرب وحضارتهم وماضيهم العريق ومع

* استاذ باكاديمية العلوم السياسية ـ جامعة ولاية كنساس ـ منهاتن ـ بالولايات المتحدة الامريكية له دراسة عن العرب والمسلمين في امريكا



عند شاطىء البحر في صيدا . لبنان ، قبل المغادرة الى أمريكا - أوائل القرن العشرين ميلادي

الأسف ، نجد أن الامريكيين يحملون فكرة سيئة وغير صحيحة عن العرب والمسلمين اجمالا وهذه الافكار والصور السلبية سبب الكثير من المشاكل لابناء الجالية العربية هناك

من هم العرب الامريكيون

ونسأل من هم هؤلاء العرب الذين تركوا بلدهم وأهلهم ، وقاسوا الصعاب والاهوال ليستوطنوا بلاداً غريبة وبعيدة عن وطنهم الأم ؟ وكم كانت أعدادهم ؟ لا أحد يعرف تماما تعداد الجالية العربية في أمريكا والتقديرات تختلف كثيرا ، فتتراوح بين مئات الالاف وأربعة ملايين نسمة ولكن أحسن التقديرات تضع عدد العرب في أمريكا في حدود مليونين أو ثلاثة ملايين ويجب الملاحظة أنه مع أن هؤلاء وأجدادهم جاءوا من بلاد عربية ، الا ان الامريكان اعطوهم اسماء مثل سوريين ولبنانيين وفلسطينيين ، اي بالاشارة الى الأقطار التي جاءوا منها في الوطن العربي ، أو مارونيين وكلدانيين وأقباط ومسلمين ودروز ، الخ وذلك اشارة الى دياناتهم أو طوائفهم وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان الامريكيون يستعملون كلمة اتراك أو « تيركو » للاشارة الى العثمانيين والعرب لان الاكثرية العظمى من المهاجرين العرب يومذاك ، جاءوا من المناطق التي كانت تحت الاحتلال و الحكم العثماني / التركي وهكذا نرى أن سجلات الهجرة في امريكا حتى عام ١٨٩٩ ، ومن بعدها سجلات تعداد السكان حتى عام ١٩٢٠ كانت تشير فقط الى مهاجرين من تركيا في اسيا أو الى (اسيويين اخرين) دون أي اشارة الى عرب او حتى الى (سوريين)

وقد وجد ابناء الجالية العربية ان مثل هذه التسمية . اي أتراك ، هي تسمية غريبة وغير مستحبة ، وخصوصا وان معظمهم كانوا قد تركوا تركيا وهاجروا الى أمريكا لكي يتخلصوا من الاستبداد والفساد والطغيان الذي كان منتشرا حينذاك . وعلينا أن نتذكر أنه ، بالنسبة للامريكيين ، كانت كلمة (تركي) تعني الشخص المسلم وبما ان الاميركيين لم يحبوا الاتراك كثيرا ، وجد ابناء الجالية العربية الجديدة انفسهم في موقف غريب فبدأوا يطلقون على أنفسهم اسم سوريين وذلك اشارة الى منطقة سوريا الطبيعية بما فيها المناطق التي جزئت فيما بعد وأصبحت لبنان وسوريا والاردن وفلسطين وهكذا نرى العديد من النوادي والجمعيات الخيرية والاجتماعية تنشأ تحت اسم سوري وبدأ الامريكيون واعضاء الجالية العربية أنفسهم يستعملون اسم سوري بدلا من كلمة عربي عند الحديث عن أكلهم الشرقي او عاداتهم أو حتى لغتهم

البداية والأسباب :

هناك عدة نظريات عن اكتشاف امريكا منذ مئات السنين ، قبل أن يصل اليها كريستوفر كولمبوس ، وقد ظهرت مؤخرا دراسات تقول انه يوجد اشارات عديدة تعطي بعض البراهين بأن العرب كانوا قد


كوكب أميركا

نسخة من أوائل أعداد جريدة « كوكب أميركا » وهي أول جريدة عربية صدرت في الولايات المتحدة الامريكية تأسست عام ١٨٩٢

اكتشفوا امريكا قبل كولمبوس بحوالي أربعمائة سنة أما بالنسبة للفترة التاريخية الحديثة ، أي رحلة كريستوفر كولمبوس وابتداء الاستعمار الأوروبي للامريكتين، فلم تهاجر اعداد كبيرة من البلاد العربية الى الولايات المتحدة حتى منتصف القرن الماضي ثم جاءت الهجرة العربية الى أمريكا على دفعات أو موجات متتابعة ، كانت أولاها في السبعينيات من القرن الماضي ولكن تحول تيار الهجرة الى سيل صغير وبطيء ما بين الحربين العالميتين . وذلك لاسباب عديدة أهمها أن أمريكا نفسها حسرت بعض حاديتها . بسبب الحروب والحياة الاقتصادية الصعبة وتحيز الامريكيين ضد الشعوب غير البيضاء ولكن بدأت موجة جديدة وشبه عارمة من الهجرة العربية الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية

هناك عدة اسباب لهجرة العرب من بلادهم ، ولاختيارهم الولايات المتحدة الامريكية نفسها وطنا جديدا ومن بين الاسباب التي دفعت البعض للخروج من بلاد الشام قبل حوالى قرن من الزمان ، نستطيع أن نذكر الفقر المدقع الذي كان منتشرا في جميع أنحاء البلاد تقريبا ، حيث كانت الاحوال الاقتصادية قاسية ومقلقة ، اما الحياة السياسية فكانت ترتكز على حكم استبدادي بغيض.اما في المدة الاخيرة ، اى بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد ازداد عدم الاستقرار السياسي في المنطقة ، خاصة بعد احتلال فلسطين وانشاء اسرائيل دولة يهودية ، وما سبب ذلك من حروب ومآس

وربما كانت الاسباب التي حددت العرب ورغبتهم في الهجرة الى امريكا اكثر أهمية أحيانا من الأسباب التي دفعتهم للخروج من الوطن العربي فبالنسبة للمهاجرين الاوائل وحتى الحرب العالمية الثانية ، كانت التجارة والمغامرة وحب الاستطلاع من اهم الأسباب التي أغرتهم بالسفر وتحمل أعباء الرحلة وآلام الفراق ، وكانت مهمة معظم هؤلاء في بادىء الامر لاتتعدى كسب أكبر كمية من المال في أسرع وقت ليعودوا بعدها اغنياء ، بالمقارنة مع مواطنيهم في بلاد الشام ، فيصبحون من وجهاء القوم .

من بين اوائل رجال الاعمال هؤلاء كان التجار الذين ذهبوا لبيع أشغال يدوية ومزخرفات صدفية مصنوعة في فلسطين ، وخصوصا في مدينتي القدس وبيت لحم ، اما مكان التجارة فكان بلدا معينا ولفترة معينة مثل المعارض العالمية التي نظمت في فيلادلفيا عام ١٨٧٩ وشيكاغو ١٨٩٣ وسانت لويس ١٩٠٤ كما هاجر بعض المزارعين العرب الى امريكا ـ ولكن القليل منهم ـ بعد أن أصدرت الولايات المتحدة عام ١٨٦٢ قانون تمليك الارض ، الذي منحت الحكومة الامريكية بموجبه كل شخص يتعهد بفلاحة الارض مساحة قدرها ١٦٠ اكرا ، اي حوالي ١٥٤ فدانا من الارض غير المزروعة ، لكي تكون منطقة اقامة له ، وتصبح الارض ملكه بعد خمس سنوات ولكن اصبحت الهجرة العربية الى امريكا تيارا عندما سمع أهل بلاد الشام عن عظمة امريكا وغناها الفاحش وعن سهولة جمع الاموال ،وذلك حسب قصص وروايات المهاجرين الاوائل ، وبعض



من اوائل مؤتمرات الجالية العربية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٨

الرواد من الذين رجعوا وكتبوا مقالات وكتبا تروي محاسن العالم الجديد وحياة الرفاهية والحرية

ما بعد الحرب العالمية الثانية فبدأت هجرة العرب الى امريكا تأخذ نمطا من هجرة، أي الذهاب خصيصا للعيش والبقاء في امريكا كوطن جديد، وليس سفر للدراسة والاستطلاع الذي كان كثيرا مايتحول الى اقامة دائمة. وهنا قد نستفيد من مقارنة سريعة بين موجتي الهجرة العربية لنرى نقاط التشابه والاختلاف بينهما

تكوين الجالية :

كان العمل الاول للمهاجرين الاوائل هو البيع المتجول، أي انهم كانوا يحملون بضائعهم على ظهورهم ويتجولون في جميع انحاء البلاد بحثا عن الرزق. لذلك نجد ان الجالية العربية منتشرة في جميع انحاء الولايات المتحدة في المدن الكبيرة وفي القرى الصغيرة جدا. ونعرف ان بعضهم اصبحوا اثرياء حتى بمقاييس الثراء في امريكا نفسها

كانت البلاد العربية في اواخر القرن الماضي تحت سلطة الحكم العثماني، وكان اكثر سكان المنطقة أميين، ولا يشعرون بأية روابط قومية، ومعظمهم لم يكن يعرف حتى معنى القوميه أو الوطنية، بل كانت العائلة والعشيرة والقبيلة أو الطائفة العربيه من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تربط بين السكان

الهجرة الثانية :

أما الجالية العربية التي نشأت وتكونت بعد الحرب العالمية الثانية فجاء معظم افرادها طلبا للعلم وبحثا عن الفوائد الموجوده في امريكا، بلاد العلم والتقنية والصناعات المتطورة. هؤلاء كانوا امل اوطانهم عند رجوعهم، كونهم سيصبحون الكادر المهني والاكاديمي والاداري في جميع مرافق الحياه وادارة المعامل والدوائر الحكومية. الا ان عشرات الالاف من الطلبة العرب الذين جاءوا للحصول على شهادات جامعية وتربية تقنية أو علمية لم يرجعوا الى بلادهم، بل اصبحوا مواطنين امريكيين. وازدادت اعدادهم كثيرا بوصول المهنيين الذين بدأو يهاجرون مع عائلاتهم وذويهم الى القارة الامريكية، ابتداء من ستينيات القرن العشرين. وهؤلاء وأولئك كونوا القسم الاكبر من هجرة الادمغة العربية الى الغرب، واصبحوا بمثابة مساعدة اجنبية معاكسة، أي من

الوطن العربي الى امريكا ، البلد الثري الصناعي ، المتقدم . وهكذا ، وبخلاف افراد الجالية الاولى كان افراد الجالية الجدد أبعد مايكونون عن الأمية ، بل بالعكس من اكثر وابرز المثقفين ، ليس فقط في الوطن العربي بل في امريكا نفسها . ولأول مرة حصلت الهجرة باعداد كبيرة ليس فقط من لبنان أو بلاد الشام ، بل من كل بلد عربي تقريبا ، ومن بين هؤلاء كان المسيحيون فقط قد أتوا باعداد كبيرة للعمل في المعامل ، كمصانع السيارات في ديترويت بولاية ميتشغان ، او كمزارعين ، وخصوصا في ولاية كاليفورنيا . ولم يشكل المسيحيون العرب الاغلبية العظمى من المهاجرين الجدد كما كان الحال في السابق ، بل لأول مرة نرى عربا مسلمين يأتون الى امريكا باعداد تفوق احيانا اعداد العرب المسيحيين وبدأوا يعملون على توضيح القضايا العربية الكثيرة للشعب الامريكي وممثليه في جميع الدوائر السياسية

وبمعنى اخر ، فإن الجالية العربية لم تتفاعل تفاعلا سياسيا مهما معه في المجتمع الامريكي الا بعد الحرب العالمية الثانية ، ونمى نوع جديد من العرب ليستوطنوا امريكا ، ويخلقوا مجموعة جديدة تسمي نفسها (العرب ـ الامريكيين)

بين الوحدة والتمزق :

ولكن ، ان استعرضنا عوامل التمزق والتفرقة داخل الجالية العربية ، يجب ان نذكر التيار الاخر الذي يتجه نحو تفاهم افضل وتعاون اوسع بين جماعات والجمعيات العربية في المهجر الامريكي ، وخصوصا مابين المهاجرين القدامى والمهاجرين الذين جاءوا الى امريكا بعد الحرب العالمية الثانية

ولحسن الحظ ، فقد ساعد على ازدياد الاحتكاك والاتصال والتعاون بين ابناء الجالية العربية الذين ولدوا وترعرعوا في امريكا وبين المهاجرين العرب الجدد ، ان احفاد المهاجرين الاوائل ، على عكس اجدادهم ، يحملون الشهادات العالية في المحاماة والطب والهندسة ، الخ . أي في نفس الميادين التي نجد فيها السواد الاعظم من أبناء الجالية العربية الجديدة . بالاضافة الى ذلك ، أصبح الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم ، يتنافس الشرق والغرب بالتودد اليه ومحاولة مصادقة ابنائه أو احترامهم على تقارب ما . وفي مثل هذه الاحوال وجد أبناء الجالية العربية في امريكا ان اصلهم العربي يساعدهم كثيرا في اعمالهم التجارية في المنطقة

هناك عامل آخر بدأ يؤثر تأثيرا كبيرا في توحيد الجماعات العربية في أمريكا ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، بعد ان حصلت البلدان العربية على استقلالها من الاستعمار ، فقد اصبحت اللغة العربية والتراث العربي مصدر فخر واعتزاز الحكام والشعوب المحررة الذين عبروا عن عروبتهم بمعاداة جميع انواع الاستعمار ، وبالعمل الدؤوب على بعث الامة العربية وانعاش التراث العربي . وبالطبع ، لم يكن ابناء الجالية في المهجر معزولين تماما عن هذه التيارات ، بل أصبحوا من أهم المشاركين في نشر راية القومية العربية

كما قامت وسائل الاعلام في الغرب بدورها في نشر وتمتين أواصر الصلة بين أفراد الجالية العربية في أمريكا ، ولكن من حيث لاتدري . فعندما تكلم او كتب المراسلون الغربيون عن العراق او مصر او اليمن ، كانوا يكتبون عنهم كابناء امة عربية واحدة ، وعندما كان الاعلام الغربي يكيل الاهانات للعرب جميعا ، وجد الاقباط المصريون والموارنة اللبنانيون مثلا أن الغرب لايميز بين المسيحي والمسلم ، والقبطي والماروني في اهاناته لابناء المنطقة ان كانوا في الوطن العربي أو في أمريكا

النكسة والجالية العربية :

كانت حرب ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل أهم الاحداث التي أثرت على الجالية العربية في أمريكا فكانت الخسارة الفادحة للجانب العربي صدمة عظمى للعرب جميعا . وكانت جميع وسائل الاعلام متحيزة تحيزا شديدا للجانب الاسرائيلي ، لدرجة ان وجهة النظر العربية لم تظهر حتى في اكثر وأشهر الجرائد والمجلات أو في الراديو والتلفزيون الامريكي. وكان ذلك حافزا كبيرا لمجموعات من المثقفين العرب في أمريكا لكي تقوم بتشكيل منظمات علمية وتعليمية وثقافية بالاضافة الى الجمعيات الاجتماعية ، لكي



الاستاد يوسف عربيلي وأولاده الستة وقريبته وعائلة السيد عربيلي هي اول عائلة عربية (من دمشق) هاجرت الى أمريكا ـ وكان دلك عام ١٨٧٨

تدافع عن حقوق العرب الامريكيين وحقوق العرب في البلاد العربية وبمعنى اخر ، فان حرب ١٩٦٧ زادت وعي العرب الامريكيين بقوميتهم كعرب ، وفي الحقيقه ، ان هذا الوعي بالانتماء العربي لم يحصل بين ليلة وضحاها . ولكن ١٩٦٧ قوت كثيرا هذه الميول ، وأصبحت حافزا لتنظيم نوع جديد من المنظمات العربيه في امريكا ـ اي المنظمة التي تعمل علنا في الحقل الاعلامي ، التثقيفي ، السياسي ، بقصد توعية أبناء الجالية العربية بقضاياهم وبقصد توعيه الشعب الامريكي بحقيقة مايجري في الشرق الاوسط

وهكذا تكونت جمعيه خريجي الجامعات من أصل عربي في أواخر عام ١٩٦٧ ، حين اجتمع عشرة اشخاص مكونين لجنة تأسيسة وسرعان ماتشكلت الجمعية ، وبدأت عملها التربوي والتثقيفي وذلك بالدعوة الى مؤتمر خاص بالجمعية ، عقد بالعاصمة واشنطن ، عام ١٩٦٨ حيث قدمت عدة بحوث تتعلق بالجالية العربية نفسها ، وقامت الجمعية بتأسيس دار نشر خاصة بها ، وذلك لانه كان من الصعب ان تقوم المطابع الأمريكية بنشر كتاب ينتقد اسرائيل ، او يكون متبنيا لوجهة النظر العربية وكان مناسبا ان يكون أول كتاب نشرته الجمعية « عن الجالية العربية في امريكا » ، وتبعته بعد دلك نشرات اخرى قليلة عن الجالية ، مع أن معظم النشرات بدأت تركز اهتمامها على الوطن العربي والقضية الفلسطينية

لكن هذه الجمعية كانت أول منظمة أمريكية عربية تعمل على أسس حديثة .

جمعيات أخرى :

وبعد خمس سنوات من تأسيس جمعية خريجي الجامعات من أصل عربي قامت شخصيات عربية ، وخصوصا من الجالية العربية القديمة ، بتأسيس الجمعية الوطنية للامريكيين العرب ، لتكون بمثابة « لوبي » ، أي جمعية سياسية تعمل للتأثير على صانعي

السياسه الامريكية ، وخصوصا في الكونجرس والرئاسه ، ووزارة الخارجية الامريكية وفي عام ١٩٨٠ تاسست جمعية جديدة كان أهم اهدافها تحسين صورة العرب في امريكا ، والتصدي لكل مايمكن أن يشوه سمعة العرب أو الجالية العربية ، سواء كان ذلك في وسائل الاعلام او السينما او الكتب او الاعلانات الدعائية. الخ.وفي الوقت نفسه ، بدأت جمعيه اطلقت على نفسها اسم الجمعية الامريكية العربيه المناهضه للتمييز العنصري تشجيع الجالية العربية على احياء التراث العربي لاعضائها ، وكتابة تاريخ الجالية . والافتخار بما قامت به من اعمال،وماقدمته من خدمات للوطن الجديد والانسانية جمعاء

هناك عشرات ، بل مئات المنظمات والجمعيات التي أسسها ابناء الجاليه العربية لخدمة حاجاتهم واهتماماتهم الاجتماعيه والوطنية والسياسية والدينية وبين الحين والآخر نرى جهودا ترمي الى توحيد كلمة هذه المؤسسات العديدة ، لكي تعطي نتاجا اكبر وأفضل لأفرادها وللجالية ككل ولكن غالبا ما تنوء هذه الجهود بالفشل لأسباب عديدة ومحاولات دمج كهذه اذا نجحت تكون بمثابة اتفاق على تنسيق خط سياسي معين

وفي عام ١٩٧٩ تأسس الكونجرس الفلسطيني في أمريكا الشمالية ، بعد عدة سنوات من التفكير والنقاش والمشاورات ولم يكن مولد هذه المنظمة سهلا ، اذ ان أصحاب التيارات السياسية المختلفة خاضت معارك كلامية كثيرة وعنيفة تمهيدا للتصويت والعمل بدستور الجمعية وانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية

العرب في عيون أمريكية :

تسبب صورة العرب السلبية وخلافاتهم في أقطارهم مشاكل كثيرة للعرب في الحقل السياسي في أمريكا ، فنرى مثلا ان رجال السياسة الامريكيين يقومون بنصرة القضايا الاسرائيلية ، وأحيانا كثيرة يجدون أنه من المفيد لحملات انتخاباتهم أن يتهجموا على العرب ومواقفهم وقضاياهم .

ويتوقع السياسي الامريكي ، حتى قبل أن ينزل في الانتخابات ، انه سيخسر اذا اصبح موضع جدل او خلاف يكون هو فيه الى جانب العرب حتى لو كان مثل هذا الموقف ، في رأيه ، مفيدا لامريكا والامريكيين

وبالنسبة للفلسطينيين نرى أن الصورة السلبية قد جعلت الامريكيين ينظرون اليهم كلاجئين او ارهابيين وليس كشعب،وهكذا يصبح من السهل على الامريكيين أن ينسوهم ، او ألا يكترثوا بهم ، وأن يرفضوا حتى الحديث مع ممثليهم الشرعيين ، أي منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن يمنعوا منظمة التحرير من الاشتراك في المناقشات والمفاوضات لايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية

تغيير الأسماء :

أما بالنسبة للجالية العربية في أمريكا فكل مايؤثر على علاقات أمريكا بالوطن العربي يؤثر عليهم أيضا ونتيجة لذلك نرى أن بعضهم يبتعدون عن أي ذكر لوطنهم الأصلي أو قوميتهم الأصلية وتراثهم العربي وعند ذكر أصلهم القومي ، مثلا ، يذكر البعض البلد التي قدم منه مثل لبنان أو مصر او اليمن ، بينما يذكر آخرون انتماءهم الى ديانة أو طائفة معينة مثل ماروني أو درزي ، الخ ، وقد حاول بعض أبناء الجالية ، وخصوصا من المهاجرين الأوائل ، أن يندمجوا كليا في المجتمع الأمريكي فحوروا أسماءهم أو غيروها كليا لكي تبدو أوروبية أو أمريكية ، فهناك طبعا التغيير من الأسماء العربية الى مايعادلها في الانجليزية مثل JOHN بدلا من حنا وNOAH بدلا من نوح وDAVID بدلا من داود ، وامين تحول الى أميل ورشيد الى ريتشارد وهكذا

ومثل هذه الأعمال تريد من انفكاك وتمزيق الجالية العربية الى مجموعات طائفية أو قطرية أو قروية ، او أنها تساعد على اندماج الجالية كليا في المجتمع الأمريكي . ان الجالية العربية وجدت نفسها ـ وحتى في أوائل الثمانينيات من هذا القرن ـ الجالية والوحيدة تقريبا التي تستطيع الصحافة الأمريكية ووسائل الاعلام وبعض رجال السياسة أن تهاجمها بسهولة وبدون ردود فعل قوية وفعالة □



ثلاثون عاماً على : مؤتمر باندونج

من موقف الحياد الإيجابي إلى الدعوة لإقامة نظام عالمي جديد

بقلم : الدكتور فؤاد مرسي

ثلاثون عاما مرت على عقد مؤتمر باندونج فى اندونيسيا ، وهو المؤتمر الذى أرخ لبداية مرحلة تاريخية جديدة شهدت صحوة شعوب آسيا وافريقيا وتبلور قواها الوطنية التى اندفعت فى اعادة تشكيل عالمنا المعاصر

فما هى التطورات والاحداث التى استجدت على تركيبة العالم السياسية والاقتصادية بعد ذلك الحدث المهم ؟ وما الذى حصل داخل المجموعة الجديدة ؟

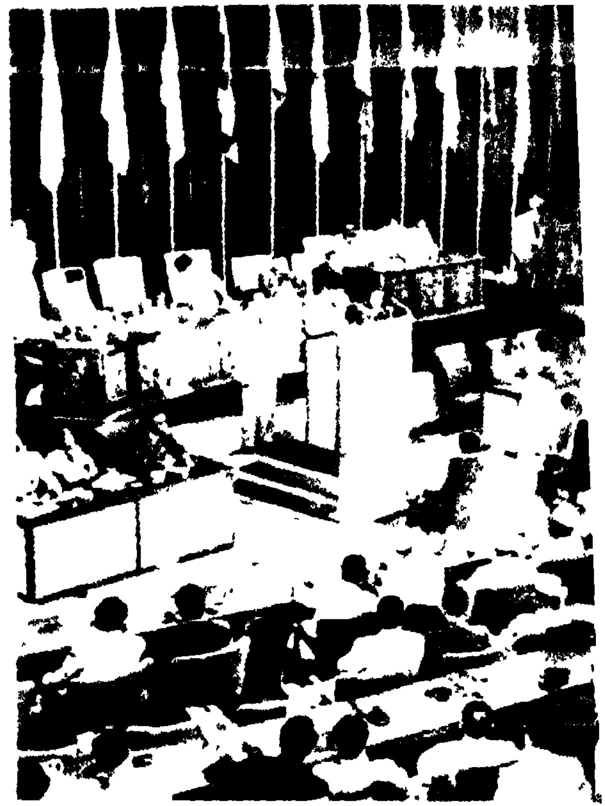
اجتمعت تسع وعشرون دولة منذ ثلاثين سنة تمثل قارتي اسيا وافريقيا بجموعهما البشرية الحاشدة وعلى تنوع أفكارها وعقائدها وأديانها واختلاف نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتعلن وقوفها على الحياد من محاولات دفع العالم الى الحرب ، ولم تكن البشرية قد لعقت بعد كافة جراحها المتخلفة عن الحرب العالمية الثانية

الأحلاف والحرب الباردة

قبل انعقاد مؤتمر باندونج بثماني سنوات بالضبط ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأقل من عامين ، أطلق تشرشل دعوة الحرب الباردة ، وقبله بشهر واحد ، أي في شهر مارس ١٩٤٧ ، كان ترومان قد أعلن مبدأه لاحتواء الشيوعية العالمية ، وبعدها بثلاثة شهور وضع مبدأ ترومان في التطبيق في برنامج مارشال في أوروبا

وفي شهر يونيو ١٩٤٨ بدأ حصار برلين واشتعلت الحرب الباردة بين معسكري الرأسمالية والاشتراكية على النطاق العالمي ، وأخذت تتشكل أحلاف عالمية عسكرية وسياسية واقتصادية ، مثل حلف الاطلنطي وحلف وارسو ، بل ظهرت الدعوة لجر بلدان آسيا وأفريقيا الى أحلاف فرعية لها ، وبدأ التمهيد داخل الوطن العربي لاقامة حلف بغداد .

وحينذاك أدى سوكارنو الرئيس الاندونيسي الراحل دورا نشطا لاجتماع أغلبية دول آسيا وأفريقيا



في باندونج كي تعلن ارادة شعوبها ـ وقد نالت استقلالها السياسي ـ في العيش في العالم بعيدا عن أخطار حرب عالمية ثالثة ، سوف تكون بغير شك حربا نووية قد تمحي البشرية وتصيب بقاياها بالتشويه . وبالفعل فلقد أصبحت هناك تسع وعشرون دولة اسيوية وأفريقية تمثل نحو نصف البشرية ، لكي تقرر خوفها من الحرب وسعيها للسلام انطلاقا من مبادىء « بانشاشيلا » التي التقت الهند وأندونيسيا

يقول بانيكار المؤرخ الهندي المعروف جيدا للعرب . إن باندونج كانت أول تأكيد واضح لرغبة الشعوب الأسيوية والافريقية في ادارة شئونها في ظل الاستقلال ، فروح باندونج هي تأكيد الاستقلال الوطني ، سياسيا ومعنويا ، للشعوب الافريقية الآسيوية ، وقد كان اعلانها التزام موقف الحياد بين المعسكرين ممارسة كبرى لاستقلالها الوطني ، ولذلك رد « دالاس » وزير خارجية أمريكا في ذلك الحين بأن موقفها ذاك موقف لا أخلاقي ، ففي رأيه أن الحياد موقف سلبي ، لكن مؤتمر باندونج أعلن أن الحياد الذي يدعو اليه هو حياد ايجابي ، يقف مع قضايا التحرر الوطني وتصفية الاستعمار القديم وحق تقرير المصير للشعوب ، كما يقف مع الجهود المشتركة لحل مشاكل الشعوب التابعة والبلدان المستعمرة ، في الوقت الذي يكتل جهود آسيا وأفريقيا من أجل السعي نحو السلام العالمي والتعاون بين الدول ، ولهذا قال جمال عبد الناصر في المؤتمر : ليست المسألة هي مجرد الحيلولة دون نشوب الحرب العالمية ، لكنها توجيه الجهود بثبات نحو خلق مجتمع دولي جديد .

باندونج .. الرمز

وتحولت باندونج الى رمز كبير في حياة شعوب آسيا وأفريقيا ، تحولت الى قوة مهمة في النضال من أجل السلام في العالم أجمع ، لكنها أصبحت أيضا قوة دافعة من أجل الاستقلال السياسي والتحرر الوطني واعادة صياغة العلاقات الدولية ، وكان أهم انجازاتها تصفية الاستعمار القديم ، فقد توالت الاحداث بعد مؤتمر باندونج بسرعة .

في خريف ١٩٥٥ عقدت مصر صفقة الاسلحة التشيكية بفضل الدور الذي قامت به الصين حينذاك ، وتصاعدت المقاومة ضد حلف بغداد ، وعندما سحبت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تمويلها لبناء السد العالي ، قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس العالمية ، فلما وقع العدوان الثلاثي على مصر هبت شعوب آسيا وأفريقيا بصورة لم تعرف من قبل وكانت هزيمة العدوان بفضل صمود مصر والموقف الذي اتخذته هذه الشعوب وقوة الرأي العام العالمي والانذار السوفيتي ، وفي العام التالي ، أعني في عام ١٩٥٧ ، تأسست المنظمة العالمية لتضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، واختتمت الخمسينيات باعلان الامم المتحدة عن عقد الستينيات بوصفه عقدا لتصفية الاستعمار القديم .

ومع النجاح الباهر الذي حققته هذه العملية التاريخية ، انعقد المؤتمر الاول للدول الحريصة على دعم استقلالها الوطني ورفض الانتماء الى المعسكرين العالميين في بلجراد عاصمة يوجوسلافيا في شهر سبتمبر ١٩٦١ ، كان العالم يواجه عندها خطرا شديدا يهدد بالحرب ، فقد اشتدت حدة الحرب الباردة وأخفقت دورة الجمعية العامة للامم المتحدة التي حضرها رئيسا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في فيينا ، واستأنف الاتحاد السوفيتي اجراء التجارب النووية بعد أن كان قد أوقفها بقرار من جانبه ، وكان

بين المتنبي والنامي !

بقلم : الدكتور احسان عباس

ان الشهرة الواسعة التي نالها المتنبي ، منذ أن ظهر في أفق الشعر حتى يومنا هذا قد تجعل الكثيرين ينكرون أو يستكثرون اقتران اسمه بالنامي فمن هو النامي هذا ، وما حكايته مع المتنبي ؟

الشاعر أبو العباس أحمد بن محمد النامي الدارمي المصيصي ، كان في عصره يرى في نفسه منافسا للمتنبي ، بل اننا اذا شئنا مزيداً من الاحتكام الى الامر الواقع قلنا ان كثيرين من معاصري الشاعرين كانوا يعدون هذه المنافسة أمراً طبيعياً إيماناً منهم بموهبة النامي وجودة شعره ، ولعل بعضهم كان يصرح بتفوق النامي على معاصره ، دون أن يحس بأن للعصبية ضد المتنبي دورها الكبير في ذلك الموقف

وتدخل تلك المنافسة أحياناً في جو « رومنطيقي » وتتوشح بالخيال الجميل ، وان كان الخيال لا يغني كثيرا عن الحقيقة فنحن نعلم من باب الحقيقة أن سيف الدولة أوقع بقبائل بني عقيل وغيرهم سنة ٣٤٤ هـ حين عاثوا في نواحيه تخريباً ، وأن المتنبي نظم في تلك الحادثة قصيدة مطلعها

طوالٌ قناً تطاعنها قصارُ
وقطرُك في ندى ووغى بحارُ

راوح فيها بين الاشادة بالانتصار ، والتمجيد لتلك القبائل التي لم تعرف الضيم والانقياد من قبل ، ولهذا كان الانقياد لسيف الدولة غريباً على طبيعتها .

وما انقادت لغيرك في زمان
فتدري ما المقادة والصَّغار

وجرى فيها على سجيته من إكبار البطولة والميل الى الحرية - دون أن يسيء الى ممدوحه ، أو يغمز من جانب تلك القبائل التي لم تكن سوى « يد لم يُدْمِها الا سوار » ايمانا بتلك الرابطة التي يجب أن تكون ملتقى التآلف والوحدة بين زعيم عربي وقبائل عربية وفي المناسبة نفسها نظم النامي قصيدة يقول فيها دون أن يخفي انحيازه للممدوح

كأن عليا والقنا في ظهورهم
سماء رمتهم بالنجوم الزواهر
فولت تناجي بالنجاء جلالها
وتحأر من أحكام شُمْر جوائر

الى هنا ينتهي التاريخ لتبدأ الاسطورة التي تقول . نشب بين ادباء حلب خلاف طويل حول اي القصيدتين أجود . فلم يجدوا لديهم من سبيل سوى الاحتكام الى نقاد محايدين ، فكان أن كتبوا القصيدتين وأرسلوهما الى علماء الشعر ببغداد ، فأعيدت قصيدة النامي اليهم وقد كتبت بماء الذهب ، وكان ذلك إشعارا بأنها تتفوق على قصيدة المتنبي

الصراع

ترى من هم هؤلاء الجهابذة من النقاد الذين كانت تحفل بهم بغداد ، وعلى أي أساس بنوا حكمهم ، ولماذا اختاروا ماء الذهب ؟ أذلك لانه كناية عن النفاسة البالغة أم لأن الذهب نفسه يذكر بأسطورة « المذهبات » و« المعلقات » المنسوبة الى الجاهلية ؟ مهما يكن من شيء فان هذه الاسطورة تشير الى وجود منافسة حقيقية بين الشاعرين أو قل بين المتعصبين لكل واحد منهما

واذا نحن تأملنا في النظر والحكم أحسسنا بعطف خاص على موقف النامي ، ربما أحس به من معاصريه من لم يكن منهم يؤمن بتفوقه على منافسه ، فقد التحق النامي ببلاط سيف الدولة قبل أن يقدم اليه المتنبي بزمن غير قصير،وكان هو يحس - كما كان الناس الذين يعرفونه يحسون - أن طول الانتماء يعني طول الولاء ، وأنه لا يجوز بعد كل هذا التعلق بركاب سيف الدولة أن ينفصل عليه شاعراحديث القدوم الى حلب ، شاعراً صغير السن اذا هو قيس بالنامي ، اذ كان النامي حينئذ قد تجاوز الخمسين ، دون ريب ، وهذا ما يصوره قول النامي متحدثا عن سيف الدولة لأحد أصدقائه « خدمته الدهر الأطول ، وما رعى واستحمل أن يقول لي قال المتنبي . وأنا الذي أقول فيه

له نظرة نحو الخمول نحومل
واحرى الى ودّان صادفه السود

الى هنا هنا عند الوداع الذي به
عهدت وما بي بالتجلد من عهد
فيا قلب أعوانٌ عليك كثيرةٌ
وما لك من صبر عليهن من بدّ
وشاةٌ وعذالٌ وبرقٌ ودمنةٌ
ألا قلَّما أجدت عليك وما يجدي

أبيات جزلة السبك ، فيها من مراعاة الجناس والتطبيق ما عرف عن النامي ، ولكن المحصل منها ضئيل ، وهي تقف شاهدا على أن الصراع بين النامي والمتنبي ليس صراعا بين جيلين - وصراع الاجيال لا يرحم - وحسب ، انما هو بين مذهبين شعريين لا مجال للقاء بينهما

بلى ، قد يكون هناك لقاء ، في بعض ما يشيعه العصر أحيانا من مناخ عام ، وما تفرضه المماحكات من تحدّيات قائمة على العلو في الشعور بالاعتداد الذاتي ، الذي يشترك فيه المحق والمبطل ، في جو تتحكم فيه « عقدة الاستعلاء » ، فاذا قال المتنبي

خليلي إني لا أرى غير شاعر
فلم منهم الدعوى ومني القصائد

أو « أي كل يوم تحت ضبني شويعر » وجدنا النامي يصف قصائده بأنها مما يدق مثله على امرىء القيس وأنها تتفوق على شعر النابغة والحطيئة وتجعل طرفة بن العبد « عبدا » عنده

من المذهبات الدارميات شُرَّدٌ
تدق معانيها على الملك الكندي
تريد على شأوي زياد وجرول
وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي

ولكن مثل هذا اللقاء شكلي عارض ، فأما المسافة الشاسعة فيمثلها البون بين شعر ينطوي ويموت مع المناسبة التي أثارته ، وشعر يتحد من المناسبة تعبيرا عن موقف انساني متجدد على مر الزمن

الحاضر يبز الماضي

ولم يكن المتنبي خصما سهلا ، لأن اعتداده بنفسه كان يتجاوز أحيانا حدود كل تواضع تعارف عليه الناس ، بل لأن ذلك الاعتداد كانت تسنده طاقة شعرية عديمة النظير لم يرزق أحد مثلها ، وهي طاقة

لقاء في صفة المفرد

لئن ذهبتِ بلا وعدٍ نُقرِّرُه
ولا لقاءٍ إذا شئنا نُكرِّرُهُ
فلست أوَّل من ولَّتْ مخلِّفةً
فؤادَها بين أضلاعي أُدثِّرُهُ
وقد مكثتِ شعوراً حين يطفحُ ب
يَظلُّ ينفضُني نفضاً وأسْتُرُهُ
هل تذهبين وفي عينيك أكثرُ منْ
عشقٍ يُحاولُ أن نَبقى نَفجِّرُهُ
هل تذهبين الى ماتكرهين كما
أبقى أعاني حضوراً لاأُبرِّرُهُ
سأرفضُ الحاضر المفروضَ سيِّدَتي
بالرغم منا وأجفوه وأُنكِرُهُ
كأنني حاملٌ أحزانَ مَن عَشِقوا
ولم ينالوا . وحُزني فيك أكْثَرُهُ
كأنَّ طيفَكِ مُذْ يأتي يُذكِّرُني
بما بعينيك من سحرٍ سَأذْكُرُهُ
لقد أتيتِ كما لو كنتِ جاهزةً
إلى اللقاءِ كنهرٍ خفتُ أعْبُرُهُ
لا موْعدُ بيننا حتى نقولَ كما
يشاءُ وغدٌ نعانيهِ ونسهرُهُ
ولستُ أعرفُ من أنتِ سوى وَلَهٍ
مشابهٍ وَلَهي عيناكِ تُظهرُهُ

للشاعر محمد الفايز



تكررين التفاتاً لا أقاومه
فأنتحى جانباً والقلب ينظره
لم أدر من أنت كانت مقلتاك هوىً
يدعو وفيك شعورٌ صرتُ أشعُرهُ
وجاء صوتك نشواناً فنبَّهنى
وجرَّنى لحديثٍ أنت مصدَرُهُ

وقد رأيتُ جمالاً قبل ذاك وما
يبدو بعينيك أحلاه وأكبرُهُ
يمتد نحوى شهيّاً فى تطلُّعِهِ
بلا اكتراثٍ ويدعونى وأحذَرهُ
ومانكرتكِ لكنّى شُدهت كما
يرتاع للبدر طفلٌ حين يبهرُهُ

وأذهلتنى شفاهٌ مثلما فُتِحتْ
حزائنٌ وَفمٌ قد لجَّ أحمرُهُ
وكنتُ مذ كنت دوماً أستجيب إلى
داعى الهوى حين يدعونى وأشكُرهُ

اذا سكتُّ ففى صمتى هواتُفُه
أو التبستُ فحالاتى تفسِّرُهُ
والعشقُ من صفة العشاق نكهتُهُ
فيهمْ وعالمُه الأقصى وجوهُرهُ

سد مأرب

واليمن الجديد





من منا لم يقرأ التاريخ . تاريخ اليمن القديم وهو يحدثنا عن حضاراته التي دفنت تحت التراب وبقيت هناك قرونا طويلة . في هذه الرحلة السريعة بين ربوع اليمن شهدت « العربي » قصة بلد نفض عن نفسه تراب النسيان ، وخرج الى النور . انها قصة اليمن الجديد الذي يلهث للحاق بركب الحضارة والتحديث .

ثمة شعور غريب انتابنا ونحن نقف في قلب هذا الوادي السحيق الذي تحتضنه الجبال الشاهقة وبين الأطلال التي عاشت تتحدى الزمن وتحكي لنا قصة أعظم وأقدم عمل هندسي في تاريخ شبه الجزيرة العربية انه شعور المرء الذي يواجه الواقع بعد رحلة الى عالم مجهول

المكان الذي وقفنا فيه نتأمل حكايته مع الزمن هو سد مأرب في اليمن الشمالي فقد كان مقصدنا ووجهتنا منذ أن بدأت الحياة تدب في هذه البقعة الأثرية القديمة من أرض اليمن ، وتعلن للعالم أن الحضارات لاتموت فهي قد ترقد وقد يدوم رقادها لفترة طالت أو قصرت ولكن الحياة لاتلبث أن تدب فيها من جديد ، لأنها حضارة

كان سد مأرب حتى عهد قريب مجرد أثر من آثار اليمن ، الذي يشد السائحين والزائرين الذين يبحثون في بطون الكتب ليقرأوا عن الحضارات التي سادت ثم بادت الى أن كان عام ١٩٨٤ في العيد الثاني والعشرين لثورة سبتمبر ، التي أخرجت هذا البلد العربي الشقيق من عزلته ، ووضعته في بداية الطريق نحو بناء مجتمع جديد لامكان فيه للتخلف الذي كان طابع الحياة في عصر الامامة ، الذي فرض عليه العزلة عن كل مايمت الى العالم الخارجي وراء حدوده، المغلقة بصله ، من قريب أو من بعيد .

لقد مضت الثورة بنو اليمن الجديد بفضل المساعدات التي قدمها ومازال يقدمها الاخوة العرب ومع حركة التحديث والبناء التي واكبت الثورة ، جاء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الى مأرب ، حاملا معه الهدية التي قدمها لشعب اليمن (٧٠ مليون دولار) وهكذا تحقق الأمل في احياء سد مأرب القديم

الحضارات لاتموت

قلت لمرافقنا بعد رحلة بالسيارة من صنعاء (العاصمة) الى سد مأرب ، قطعنا خلالها مائة وسبعين كيلومترا في ثلاث ساعات قلت « لو كان توينبي المؤرخ الكبير الذى عاش أطول رحلة في تاريخ التأريخ . لو كان توينبي حيا اليوم ، لما تردد في أن يعود الى كتابه « تجاربي » ليضيف اليه . « ان الحضارات لاتموت »

لقد كانت دراسة التاريخ عند توينبي رحلة ممتعة مليئة بالفكر والتأمل والعمق . ولقد قام هذا المؤرخ المعروف بعدة رحلات إلى أرضنا . . هنا في « الشرق الأدنى » خرج خلالها بعدة نتائج كانت في بعض جوانبها يناقض بعضها بعضا ، فهو تارة يقول ان الحضارات لاتدوم . وتارة يؤكد أنها لا تموت كتب يقول في خاتمة أحد فصول كتابه الذي يروي فيه حكاياته مع التاريخ ، ومع وقفاته أمام الأثار في شرقنا الغريب « هنا ترقد الحضارات الواحدة فوق الأخرى القلاع والمعابد والحصون . كلها في بقعة واحدة حضارات فارسية ويونانية ورومانية وبيزنطية وفينيقية واسلامية . . لماذا ذابت واندثرت إنها لم تدم ، ولكنني لا أظن أنها ستبقى طويلا تحت التراب » ، ولقد رحل توينبي مع حيرته ، وكانت أمنيته أن يرى الحياة تدب من جديد في الحضارات التي وقف أمام اطلالها ، فقد كان توينبي يقف في حزن وهو يتأمل تلك الأطلال من حوله ، تماما كما كان يجلس ويسرح بفكره عندما يخلو الى نفسه ، ويتذكر الأصدقاء الذين ضحوا بأرواحهم في الحروب من أجل حياة أفضل . . وكثيرا ماكان يخرج منديله من جيبه ليمسح دمعة حاول أن يحبسها .

أرض الجنتين

ربما طال بقاء السد القديم تحت التراب . ولكن ههي الحياة تعود اليه بعد أكثر من ألفين وخمسمائة عام لقد وقفنا فوق ماتبقى من جسم السد وبواباته القديمة والأحجار الضخمة التي شيد بها ، وقد تناثرت هنا وهناك في الوادي السحيق ، الذي كان يمتلىء بمياه الأمطار المتساقطة ، والذي كانت مياهه تروي مساحة هائلة من الأرض تمتد من مأرب الى حضرموت (في اليمن الجنوبي الان) وقفنا وتطلعنا حولنا نبحث عن أرض الجنتين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم فلم نجد لها أثرا

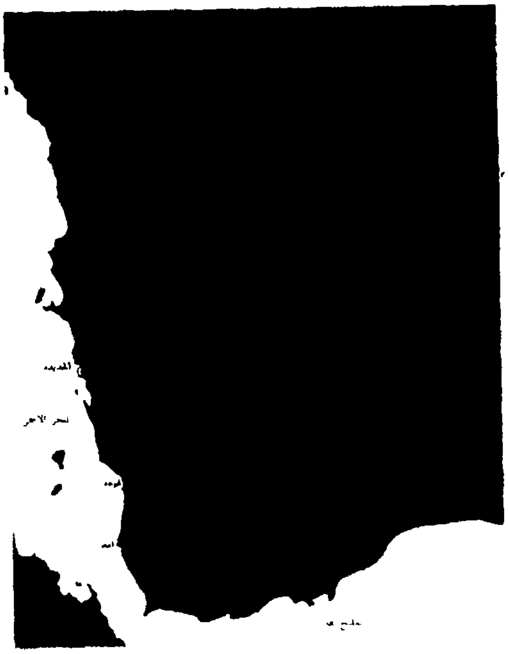
ان أحدا لايعرف على وجه التحديد من هو أول من قام بانشاء هذا السد ،حتى كتب التاريخ القديمة والحديثة في حيرة من أمر صاحبه من يكون ؟ فالبعض يعتقد أن باني السد هو « سبأ بن يشجب » والبعض الأخر يقول بل هو « سمهو على ينوف » وابنه « يثعمر » وكلاهما من ملوك القرن الثامن قبل الميلاد ، مستندين في ظنهما الى النقوش التي كشفوا عنها على جدار السد الذي أعيد ترميمه بعد ذلك في عامي ٤٧٠م ثم ٥٤٣م

ويقع السد على بعد أربعة كيلومترات من مدينة مأرب القديمة ، التي يقال أن ابناء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، ينحدرون منها ويستقر البناء القديم في وادي « دنة » وهو مضيق مخصص تتجمع فيه المياه من المرتفعات التي تحيط به ، وهناك ثلاثة وديان رئيسية تصب فيه مياهها هي ذمار وماهلة وسبأ ، الى جانب الوديان الأخرى الصغيرة . .

وفي هذه البقعة التي وقع عليها اختيار أجدادنا منذ قرون طويلة مضت ، سوف يقام السد الجديد الذي احتفل الشيخ زايد مع أخيه رئيس جمهورية اليمن العقيد علي عبد الله صالح بوضع حجر الأساس في اليوم الأول من شهر اكتوبر من العام الماضي .

سد مأرب الجديد

ومشروع بناء السد الجديد الذي تقوم بتنفيذه احدى الشركات التركية ، يستهدف تجميع مياه



دخلت الطائرة لتربط بين مدن اليمن الرئيسية . ولكن مازالت الطرق الترابية تشكل حلقة اتصال هامة بينها

السيول الناتجة عن تساقط الأمطار فوق مساحة من الأرض ، تقدر بحوالي عشرة آلاف كيلومتر مربع ، للاستفادة منها في موسم الجفاف . ويقدر متوسط تصريفها السنوي بحوالي مائتي مليون متر مكعب . داخل خزان السد الذي تصل سعته الى ضعف هذه الكمية من المياه ، حتى يمكن احتزان المزيد منها عندما تكون السماء أكثر سخاء

اما ارتفاع جسم السد فسوف يصل الى سبعة وثلاثين مترا ، وطوله سبعمائة وثلاثة وستون مترا ، وعرضه من أسفل مائة وخمسة وتسعون مترا ، ومن أعلى ستة أمتار ، ويبلغ حجم الردميات للسد ، او السد الترابي ، مايقرب من الثلاثة ملايين متر مكعب

وقد وضعت التصميمات على أساس تمرير مياه الري خلال نفق بالجانب الأيمن للسد ، يبلغ قطره حوالي مترين ونصف المتر ، وطوله مائة وخمسة وتسعون مترا . .

ولانريد أن نمضي في التفاصيل ، فهي مازالت على الورق ، وان كان العمل قد بدأ في بنائه وهو يسير



مبنى جامعة
صنعاء القديم)
لقد كانت الجامعة
هدية دولة
الكويت لليمن
الشقيق



[illegible]





وخرجت المرأة اليمنية من
وراء جدران بيتها الذى لم تكن
تبرحه لتمارس حقها المشروع في
تلقى العلم لأول مرة منذ قرون
طويلة

سريعا ، وقد انتشرت الآلات والمعدات في الموقع ، وتجمع الرجال الذين يحملون عبء البناء .

ماذا تعني اعادة بناء سد مأرب ؟ يقول الدارسون : « ان العائد الاقتصادي سوف يصل الى أربعة عشر بالمئة سنويا . وانه سوف يحقق زيادة في المساحة المزروعة في منطقة المشروع تصل الى ثلاثين الف هكتار ، أي مايوازي مائتي مليون متر مربع ، وذلك بفضل اتباع النظم الحديثة في الري ، كالري بالرش والتنقيط ، والري المحوري

وسوف يحقق السد بعد ذلك ضمان توافر المياه بصفة دائمة طوال أشهر السنة ، الى جانب حماية الأراضي الزراعية من الانجراف بفعل السيول والفيضانات . هذا العمل الهندسي الرائع الذي ظل يبعث الحياة الى الأرض في السهول والجبال الحصة على مدى قرون طويلة في اليمن القديم ، ماالذي حل به وكيف تحول الى انقاض وأكوام من الحجارة ، وقد كان شريان الحياة في هذه الأرض الطيبة ؟ ألم يكن ممكنا أن يبقى ويمضي في العطاء ، وهو الذي دخل التاريخ كأحد المعالم الحضارية الخالدة التي تؤكد عظمة وشموخ الانسان العربي ، الذي كان له دور بارز واسهام كبير في تشييد الحضارة الانسانية القديمة ؟

خواطر ألحت علي ونحن نسير فوق انقاض السد الذي كان ! واقف متأملا عند أطراف بوابة التاريخ ، وسط السهل القابع عند سفح الجبال الشاهقة ، التي زال من حولها كل أثر للحياة ، وبقيت هي؛ تتحدى الزمن وتحكي لنا صفحات من التاريخ .

الفأر هدم السد

وقلت لمرافقنا : « كيف تهدم السد ؟ »

وقال . « لن تجد مرجعا واحدا يقول لك كيف ، ولا متى انهار هذا البناء العظيم ، ولكنك سوف تجد حتما تلك الأسطورة التي تناقلتها الأجيال عبر القرون اسطورة الفأر الذي ظل يأكل في جدار السد والناس من حوله في عجب مما يحدث أمامهم ، دون أن يخطر على بال أحد منهم أن وراء هذا التخريب في جدران السد القوية فأرا صغيرا أو كبيرا ولم يستطع أحد حتى الآن أن يكتشف سر هذه القدرة الهائلة التي استقرت في أسنانه ، التي كانت أقوى من أي معول من معاول الهدم والتدمير .

ـ وهل عثروا على الفأر ؟

ـ تقول الأسطورة انهم وجدوه غارقا بعد ذلك في مياه السد عندما راحت تتدفق بقوة ، لتجرف معها كل شيء قام في طريقها . . فقد أغرق الطوفان اليمن . .

في الطريق الى تعز

في اليوم التالي ، كنا على موعد مع مدينة تعز وهي أجمل مدن اليمن على الاطلاق . المسافة بينها وبين صنعاء العاصمة حوالي أربعمائة كيلومتر ، تقطعها السيارة في ثمان ساعات ، الطريق اليها ممهد ، ولكن أي طريق ؟ انها أشبه بأفعى تتلوى في قلب الجبل . . انها سلسلة جبال سمارة التي تمتد من الشرق الى الغرب ، جبال شاهقة ترتفع عن سطح البحر بحوالي ألف وخمسمائة متر ، وأكثر من ذلك في بعض أجزائها . . وهكذا اليمن كلها . . الجبال المرتفعة تحتضن قراها ومدنها . . الجبل دائما هناك يطالعك في أي مكان وفي كل مكان تذهب اليه . . ولكنك عندما تقترب منه وتزحف بسيارتك التي تسير في الطريق الذي شق في بطنه ، لاتملك الا أن تقف حائرا مشدوها ، وقد تملكك شعور بالرهبة والخوف أحيانا ، اذا نزلت قليلا وتطلعت الى السفح . . أو اذا حاولت أن تجول بعينيك في هذا الفراغ الهائل الذي لايلبث أن يصطدم بالجبال ، قبل ان تعرف من أين بدأ . انك في هذا المكان الصغير الذي تجلس فيه داخل سيارتك لاتستطيع أن تمنع نفسك من الاحساس بتفاهة الانسان وعظمته . . فأين مكانه من هذه الطبيعة القوية القاسية ؟ انك بالكاد ترى الناس الذين يعملون ويفلحون الأرض من هذا الارتفاع الشاهق ، وكأنهم مخلوقات لاتزيد في حجمها عن دمى الأطفال . . ولكن الانسان نفسه هو الذي أتاح لك فرصة الوجود في هذا المكان الذي تطل منه ، وأنت ماض في طريقك تزحف بسيارتك . . فهو الذي تحدى الجبل ، وراح يضرب في صخوره ليشق لك الطريق الذي تقف فيه ، وتشرف منه على الطبيعة من حولك .

٢



المرأة تقوم بكل أعمال الرحل ، لأنه غائب ، فهو يهاجر الى الخارج من أجل الرزق والعيش ، ويتركها وراءه لتعنى بالبيت والحقل

وقبل الثورة كانت الرحلة بالسيارة عبر الجبال الى أي مدينة من مدن اليمن ضربا من المغامرة . فقد كانت الطرق ضيقة غير ممهدة ، قد تصلح لدابة تسير عليها في حذر ، ولكنها تضيق بالسيارة التي كثيرا ماكانت تسقط بركابها الى السفح ، حيث تنتهي رحلتهم مع الحياة هناك في القاع . أما الآن فقد اتسعت الطرق الجبلية وأصبحت ممهدة من أجل وحدة أرض اليمن ووحدة شعبه . .

الطائرة هناك . . . ولكن

لقد حملت مسيرة التحديث الطائرة الى اليمن ، وأصبحت رحلاتها الداخلية تربط بين كل أجزاء البلاد القريبة والبعيدة ، ولكن بقي بعد ذلك الطريق البري ، الذي لاغنى عنه من أجل دعم اقتصاد البلاد وربطها ، وسيلة أساسية للاتصال ، ويجد فيه السائح متعة لاتتاح له اذا ركب الجو ، وحبس نفسه داخل هذا الصندوق الضيق الذي لايتيح له أن يرى من وراء زجاج نوافذه الصغيرة أكثر من قمم الجبال العالية

ونعود الى رحلتنا التي بدأناها في الصباح . لقد كنا نتوقف عند كل شيء يمت الى مهمتنا بصلة . ولكن ماهي هذه المهمة ؟ . لماذا جئنا الى اليمن ؟ لقد كانت مهمتنا تنحصر في أن نكتب عن هذا القطر الشقيق ، من خلال النهضة التعليمية التي تشهدها البلاد ، وأثرها على التنمية الاقتصادية ، وعن سد مأرب الذي بدأت الحياة تعود اليه بعد هذا الرقاد الطويل ، وماسوف يترتب على قيام هذا السد من تطور في الزراعة والمشروعات الزراعية

وكلها عناوين جانبية تقع تحت عنوان عريض ، هو التحديث في اليمن ، أو اليمن الجديد .

ونمضي في رحلتنا في بطن الجبل . ونجول بعيوننا من حولنا . البيوت الصغيرة شيدت فوق الجبل ، المزارع الخضراء تكسو الأرض عند السفح ، وفي كثير من أنحاء الجبل نفسه . فقد كانت المدرجات الخضراء ترتفع الواحدة فوق الأخرى ، وقد اكتست كلها باللون الأخضر . . لون الحياة . فالتربة خصبة ، ومياه الأمطار في الصيف تروي الأرض التي انتثرت فيها الحبوب ، التي تساقطت من الثمار في الخريف . حبوب المحاصيل التي جنوها وأكلوها . ذرة وقمح وخضراوات ، وفواكه في البساتين

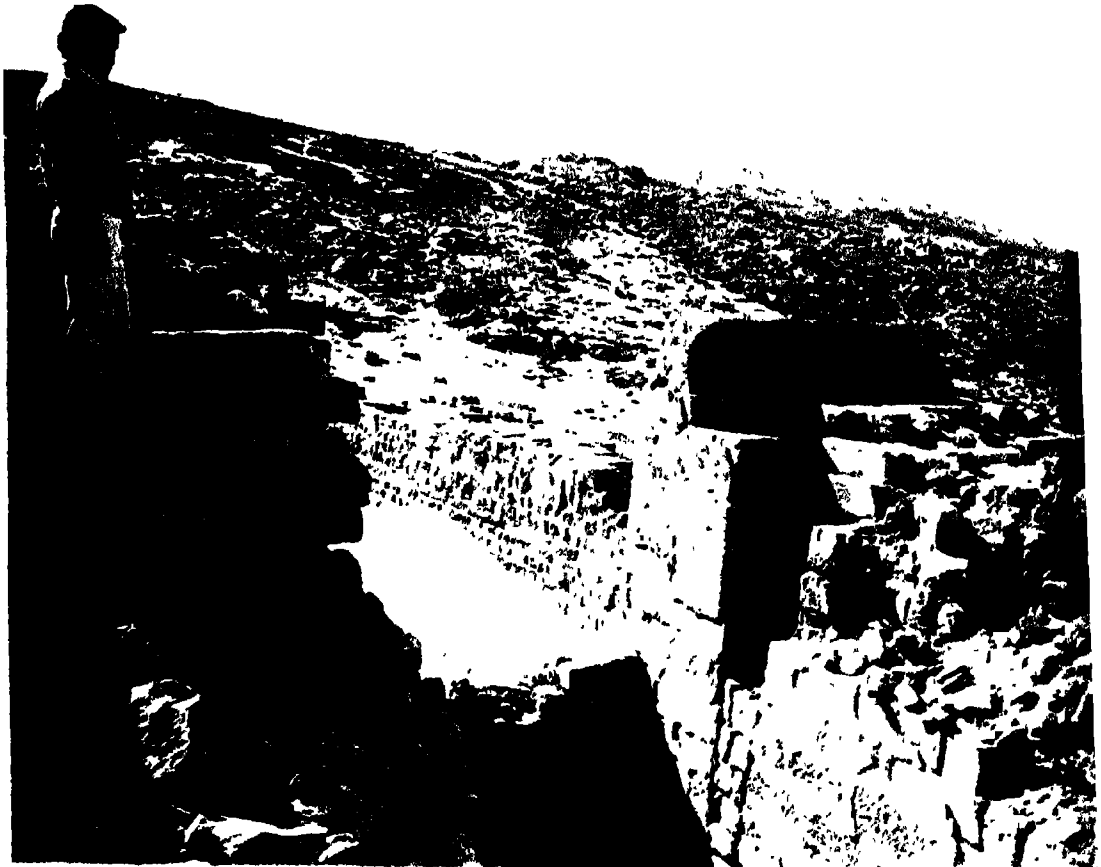
جئنا على غير موعد

قال لنا مرافقنا : أنتم لم تروا اليمن الأخضر ، كما يبدو في موسم الزراعة ، ان كل شبر من هذه الأرض الواسعة الشاسعة يكسوه الزرع . . ومع هذا فلا يخلو اليمن من الزراعة على مدار السنة ، لأن الطقس عندنا يختلف من منطقة الى أخرى ، طبقا لارتفاعها عن سطح البحر واعتدال جوها أو ارتفاع درجة الحرارة فيه . لو أن موعد زيارتكم لنا قد تقدم بعض الشيء أو تأخر لرأيتم المزيد مما جئتم تبحثون عنه .

ومن بعيد ، عندما استوى الطريق أمامنا وهبطنا

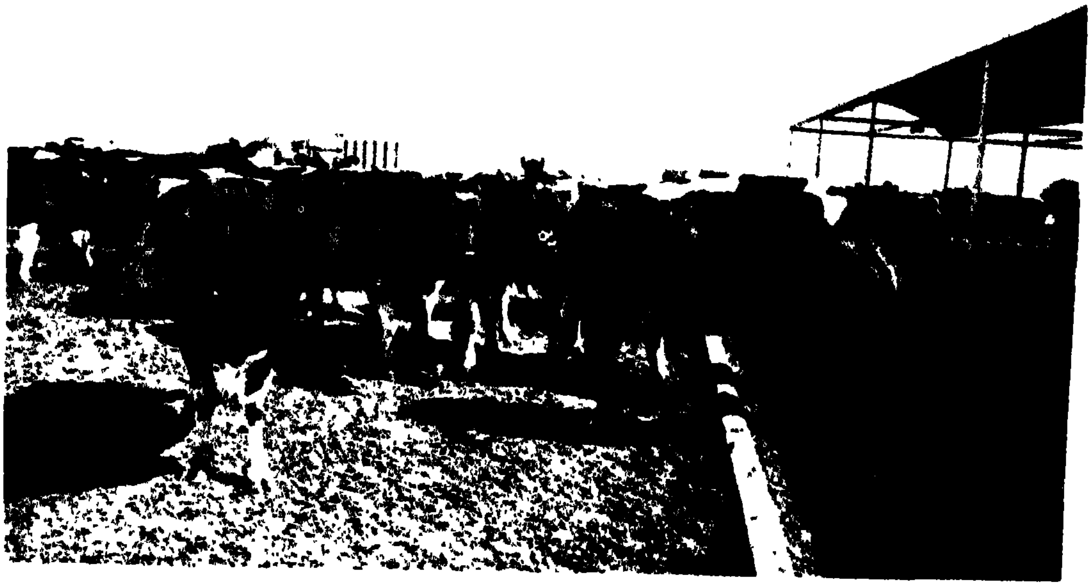


الزراعة في السهل المنبسط الذي تحتضنه جبال اليمن في جميع أنحاء البلاد حتى في قلب الجبل نفسه









الثروة الحيوانية وتنميتها تلقى عناية الدولة — مجموعة من الأبقار الفريزيان في إحدى مزارع تربية الحيوانات

من الجبل لاحت لنا صورة لم يكن ممكنا أن نمر أمامها دون أن تستوقفنا كانت مجموعة كبيرة من الأبقار ترعى في احدى المزارع النموذجية ودهشنا انها إنها مزرعة رصابة ، سميت بهذا الاسم نسبة الى قرية رصابة التي دمرها زلزال اليمن منذ بضع سنوات خلت ، وهي أكبر قرى اليمن

قامت المزرعة في عام ١٩٨٠ ، عندما استوردت اليمن مجموعة كبيرة من الأبقار الحلوب « الفريزيان » من انجلترا ، وقد كبرت المزرعة خلال السنوات الخمس الأخيرة ، وارتفع عدد الأبقار فيها ، وانتجت أعدادا كبيرة من العجول التي قاموا بتسمينها وبيعها للسوق المحلي ، ووزعت أعدادا من الأبقار على المزارعين للتهجين

ونترك مزرعة الأبقار ونمضي .. ولكننا لانلبث أن نتوقف مرة أخرى عند مجموعة من الحظائر التي انتشرت في بقعة أخرى على الطريق المنبسط أمامنا ، قبل أن نصعد الى الجبل من جديد . انها شركة سبأ للدواجن ، وهي شركة مساهمة يمنية انشئت برأسمال كويتي - مصري - يمني

قامت الشركة عام ١٩٧٩ ، وكان الهدف منها انتاج دجاج اللحم ، وانتاج الأعلاف ، وأخيرا «الكتكوت» الذي يوزع في السوق المحلي على الفلاح الذي يتولى هو مهمة تربيته وتسمينه ، تحت اشراف المهندسين الزراعيين بالشركة ..

وقد بلغ الانتاج في العام الواحد أكثر من مليونين ونصف مليون دجاجة للاستهلاك المحلي ، عندما بدأت رحلة الشركة معها ،كانت « كتاكيت » صغيرة عمرها يوم واحد ، حملتها الطائرات الخاصة المعدة لنقل « كتاكيت » من أوروبا الى اليمن .. ويتكلف استيراد«الكتكوت»الواحد مايقرب من ثلاثة ريالات يمنية ، ويباع بعد تربيته وتسمينه بحوالي أربعة عشر ريالا ، وتبدأ عملية البيع بعد مرور ستة أسابيع على وصوله بالطائرة الى حظائر تربية الدواجن .

شركة سبأ واحدة من أربع شركات كبرى تقوم بانتاج الدواجن والبيض ، ومن المتوقع أن تحقق اليمن اكتفاء ذاتيا في الدواجن خلال خمس سنوات .

ونعود الى رحلتنا مع الجبل ... الطريق الى تعز يبدو كما لو كان بلا نهاية ، ولكن الرحلة ممتعة ، رغم

أنها طويلة محفوفة بالمخاطر ، أو هكـذا خيل لنـا ، ولكن ابتسـامة سـائق السيارة التي لم تفـارق شفتيـه أبدا ، نجحت في أن تبدد مخاوفنا بعض الشيء .

ووصلنا والشمس توشك على الغـوص في الأفق البعيد ، لقد بدأ الظلام يكسو المدينة ، ومن شرفة الفندق الذي نزلنا فيه رأينا تعز بالليل . . مدينة جبلية عالية تسبح في الأضواء أفواج السائحين الذين ازدحمت بهم الفنادق كادت تهددنا بالمبيت في المقاعد التي لم نفترق عنها في السيارة طوال الـرحلة ، لولا تدخل الاخوة الذين عثروا لنا عـلى غرفـة في فندق « الأخوة » . ففي تعز مطار دولي تهبط فيه الطائرات القادمة من كل انحاء العالم .

في ريف تعز

وفي الصباح كنا على موعد مع تعز الخضراء . مع مساهمها المحروثة التي تتدفق بحساب لتـروي الأرض ومع المشاتـل التي تنتشر في جميع انحاء المدينه خارج المناطق السكنية . ومع الريف وحياة أهله التي تتسم بالبساطة والقناعة والكفاح والصبر .

وفي وسط كل هذا ومعه ومن حوله ، كانت المرأة اليمنية هناك . انها تقوم بدور اساسي لأن الرجل في أغلب الاحيـان غائب عن البيت انـه مهـاجـر وراء الحدود ، في بقية أقطار الوطن العربي ، وفي السعودية والكويت وبقية دول الخليج بصفة خـاصة ، حيث يعمل من أجل رزقه وعيشه . وهو يذهب وحده ، تاركا امرأته وأطفاله وراءه . . فتراها في الحقل تزرع الأرض ، وتجنى المحصول ، وتعني بتربية أبنائهـا ، وترعى حيواناتها . انها مسؤولة عن تسيير دفة الحياة في غيبة رجلها .

ورأينا المرأة اليمنيـة في الشارع وفي المـدرسة وفي الجامعة الجيـل القـديم منهن مـازال يختفي وراء الحجـاب الـذي جـاء بـه الأتـراك أيـام الحكم العثمـاني . . أما الجيـل الحـديث المتعلم ، فيكتفي بغطاء الرأس . .

الحقل هو المكـان الوحيـد الذي رأينـا فيه المـرأة اليمنية بلا حجاب . . فهو مملكتها في بلد يعمل ٨٥٪ من اهالي القوى العاملة فيه بالزراعة . .

من أجل هذا اهتمت ثورة اليمن بهذا القطاع ، وأعـطته الأولـوية في التنميـة ، تمشيـا مـع أهـداف الثورة . .

ومن أجل هذا أيضا أولت الدولة اهتماما خاصا بالتعليم ، ايمانا منها بأن التربية وخطة التنمية الشاملة أمران متلازمان . لايمكن لأحدهما أن يتحقق دون الآخر . .

لم يكن اليمن يقف وحده عندما ثار الشعب على التخلف وعلى حكم « الامامة » الذي عاش في ظله معزولا عن العالم الخارجي القريب والبعيد . . فقد وقفت معه الشعوب العربية تسانده وتؤيده بالرجال والمال . . وكانت التضحيات كبيرة والمال كثير ، وقام اليمن الجديد .

وعندما استقرت الأمور في اليمن وبـدأ الشعب يخرج من حالة السبات التي كان يعيشها . . بدأت رحلة بناء اليمن الجديد . .

قال لنا مسؤول عربي كبير : « لقد كانت الكويت سباقة ، كعهدنا بها دائما ، فما كادت تنقضي بضعة أشهر على قيـام ثورة اليمن ، حتى بـدأ مكتب دولة

سد مأرب في العلم الوطني

علم الجمهورية العربية اليمنية يحكي قصة اليمن ، فهـو يتكـون من ثـلاثـة الوان ، اللون الاسود ويـرمز الى عهـد الـظلام والحكم الـرجعي ، والأبـيض ويـرمز الى مبـادىء الثـورة ونقـائهـا ، يتوسطه نجم أخضر يـرمز الى اليمن الخضراء ورخائها ، ثم اللون الأحمر يرمز الى الثورة .

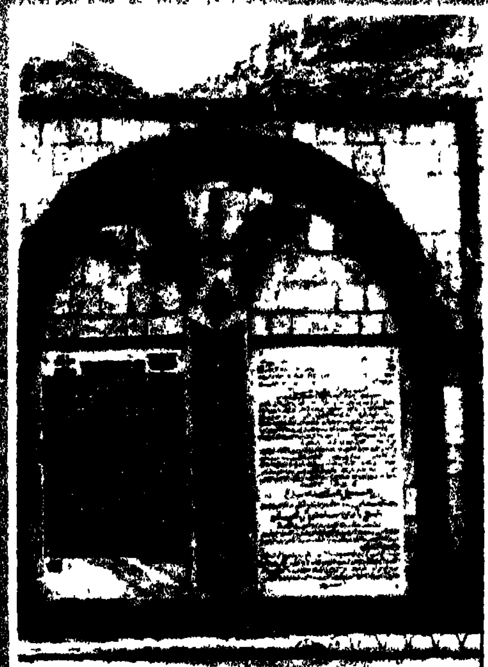
أما شعار اليمن فهو النسر الذي يرمز الى قـوة الـشعـب وانـطلاقـه الى أفق التحـرر ، باسطا جناحيه عـلى العلم الوطني ، كما نقش به رسم يمثل سد مأرب ثم شجرة البن باعتبارهما من أبرز معالم اليمن .

وجه من اليمن
القديم يحكي قصة هذا
القطر العربي الشقيق مع
الزمن









الكويت في صنعاء نشاطاته ، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٦٣.

كنت طبيبة في اليمن

كانت صورة الحياة في يمن « الامامة » قاتمة محزنة وكانت الخدمات نفسها مهددة بالزوال ، نتيجة للأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بأبناء اليمن وفي كتابها « كنت طبيبة في اليمن » كتبت المؤلفة ، وهي فرنسية انها كانت تمارس الطب في قصر الامام ، ولمست بنفسها مدى الخطر الذي يتهدد أرواح أبناء هذا البلد ، نتيجة لانعدام الرعاية الصحية في كافة أنحاء اليمن كتبت تقول « سوف ينقرض هذا الشعب بعد مائة سنة ، ان لم تتغير الوضع في اليمن »

وترجم الكتاب الدكتور محسن العيني رئيس وزراء اليمن الاسبق وسفيره الحالي في بون

لقد صدر هذا الكتاب قبل نشوب ثورة اليمن بحوالي ثلاث سنوات ، وكأن المؤلفة كانت تتنبأ بحدوث التغير الذي اخرج البلد العربي الشقيق من تخلفه وعزلته

دور الكويت

ونعود الى مكتب دولة الكويت في صنعاء ماكادت تنقضي بضعة أشهر على قيام الثورة حتى بدأ المكتب يعمل وكان حجم العمل كبيرا وكان لابد من البدء فورا وكانت البداية من حيث يجب ان تكون ، وعلى الفور بدأ العمل في بناء المدارس الابتدائية والاعدادية ، ثم بناء المستوصفات والمستشفيات في المدن الرئيسية التعليم والصحة كانا المحورين الاساسيين في تطوير حياة هذا الشعب ، والخروج به من حياة أهل الكهف التي كان يعيشها

ومضى المكتب في خطته التي استهدفت الارتفاع بمستوى التعليم ، فقام بتشييد بناء العديد من المدارس الثانوية للبنين والبنات على حد سواء فقد كانت المرأة محرومة من حقها في التعليم ، وكان الفتى بدوره محروما من التعليم الحديث أيام الامامة ، قانعا بالتعليم المحدود في الكتاتيب

وتخرجت أعداد كبيرة في المدارس الثانوية من الجنسين ولم يكن ممكنا أن يتوقف طلب العلم عند هذه المرحلة المتوسطة وبعد ذلك جاء دور الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، التي بادرت ببناء الكليات التي اصبحت فيما بعد نواة لجامعة صنعاء

جامعة صنعاء هدية الكويت

لقد كانت الجامعة في مقدمة برنامجنا وذهبنا اليها وجلنا بين أقسامها وزرنا مبانيها القديمة والحديثة كان مولدها في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٠ ، وقامت الجامعة لتشارك في حمل راية التقدم العلمي ، ولتسد حاجة اليمن في مرحلة تطوره بالمتخصصين والفنيين والخبراء في شتى المجالات . وكانت هذه الجامعة التي أصبحت اليوم بحق من الجامعات الهامة في الوطن العربي ، هي « هدية » دولة الكويت لشعب اليمن الشقيق

وفي دليل الجامعة الذي قدم له مديرها بعنوان « جامعة صنعاء في عشر سنوات » اشادة بدور الكويت في قيام هذا الصرح العلمي ، فقد قال الكتيب الذي حوى معلومات وافية عن تطور الجامعة وعدد طلبتها في كل سنة دراسية من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ ، قال الكتيب : « ولقد كان للمساهمة الفعالة لدولة الكويت أثر كبير في انشاء هذه الجامعة ،

ومازالت هذه المساهمة تلعب دورا أساسيا في نمو وتطوير جامعة صنعاء حتى اليوم » جامعة كاملة متكاملة بجميع كلياتها وأقسامها . . يشد الزائر اليها عدة اشياء ليس في حاجة لان يبحث عنها ، فهي ماثلة أمامه . . ومن بينها وفي مقدمتها النظام الذي يلمسه في مبانيها الحديثة ، وفي مكتبتها الحافلة بالكتب والمراجع ، ثم في هيئة التدريس التي تضم مجموعة من ابرز الأساتذة العرب . . وأخيرا في السكن الجامعي الذي خصص جانبا منه للطلبة وجانبا آخر للطالبات . والرعاية التي يلقاها هؤلاء وهؤلاء ابتداء من وجبات الغذاء التي تقدم لكل الطلبة باسعار رمزية ، الى الرقابة الصحية التي يخضع لها الجميع من أجل اقامة مجتمع سليم خال من الأمراض داخل الحرم الجامعي وخارجه .



المشاتل تنتشر في جميع أنحاء اليمن لاستنبات نوعيات جديدة من المزروعات

ولعل اخر مشروع تموله دولة الكويت لاستكمال كليات الجامعة ، هو مشروع بناء كلية الطب التي وقع عقد انشائها بمبلغ أحد عشر مليون دينار كويتي ، غير التجهيزات التي سيرصد لها مبلغ أضافي بعد اكتمال مباني الكلية

هكذا كان الارتباط بين التعليم وخطة التنمية في اليمن وربما نجد في عدد اساتذة الجامعة الذين يزيدون اليوم عن مائتي أستاذ ومساعد استاذ ومدرس ، وعدد المدرسين في مدارس اليمن في مختلف مراحل التعليم حتى الثانوية العامة الذين يزيدون على ستة وعشرين الف مدرس .. ربما نجد في هذه الأعداد مايغنينا عن البحث عن آخر احصائية لهؤلاء الذين يتلقون العلم اليوم الذين تخرجوا في جامعة صنعاء على مدى السنوات الخمس عشرة التي مضت على انشائها ، ويقدمون اليوم دراسات عليا أكملها الكثيرون منهم .

حجة .. معقل الثوار

ثم ماذا ؟ ..

في احدى المدارس الثانوية في صنعاء قرأنا في كتب التربية الوطنية عن مدينة اسمها « حجة » .. ومشينا سريعا مع السطور لنصل الى قصيدة كتبها شاعر عربي معروف بعد زيارته « لحجة » منذ سنوات بعيدة في اعقاب الثورة التي غيرت وجه اليمن .. واصبحت القصيدة اليوم مقررة على طلبة المدارس الثانوية .

ولكن لماذا « حجة » ؟ لانها كانت معقل الثوار ، وهي مدينة جميلة تبعد عن صنعاء بحوالي مائة وخمسين كيلومترا الى الشمال الغربي منها .. وقد كانت هذه المدينة الصغيرة معزولة تماما عن الكثير من المدن اليمنية ، لصعوبة الوصول اليها بسبب ارتفاعها الكبير فوق قمم سلسلة جبال شاهقة ، وخطورة الطريق المؤدي اليها ..









ومند سنتين أو ثلاثة شقت الدوله طريقا حديدا الى حجة ، في قلب الجبال المحيطة التي لابد من اجتيازها للوصول اليها وزارها من كان يسمع عنها وعن جمالها ، وكان بين زوارها الشاعر صاحب القصيدة التي يحفظها طلبة المدارس في صنعاء

قال الشاعر فيها .

ملئت مُهجتي سرورا وبهجة
حين أبصرت معقل « الخس » حجَّة
بلدة غير انها تسلب اللب
تسبي القلوب من غير ضجة
بيتٌ في السماء فالناس فيها
كل شخص يرعى حواليه نُزْجه
تتناهى بها الجبال ويعلو
تحتها مرع يداعب مرجه

اما الشاعر صاحب القصيدة فهو الاستاد أحمد السقاف واما نحن فقد تأخرنا وكان لابد لنا ان نختار بين زيارتنا لحجة وبين اللحاق بالطائرة . وقلنا نعود اليوم الى عملنا ونترك حجة لزيارة أخرى الم يقولوا لنا ان المواطن العربي ليس فى حاجة الى تأشيرة دخول الى اليمن ومن أراد ان يجلس فليجلس ويجلس هنا بمعنى الاقامة
من يدري فقد نذهب الى حجة ونجلس فيها □



اليمن الشمالى

مساحة الجمهورية العربية اليمنية د ١٩٥ الف كيلومتر مربع

* تعداد السكان حوالي تسعة ملايين نسمة
* المزروعات التقليدية في اليمن هي القطن والقمح والشعير والذرة والخضراوات والفواكه والبن اليمني المشهور . ويعرف ببن المخا لانه كان يصدر الى جميع انحاء العالم من ميناء المخاء على البحر الأحمر
* أكبر ثلاث مدن في اليمن هي « صنعاء » العاصمة وتعداد سكانها حوالي ٢٨٠ الف نسمة ، يليها ميناء الحديدة على البحر الأحمر (١٢٧ الف نسمة) ، ثم تعز (١٢٠ الف نسمة) ، ويربط بين المدن الثلاث خطوط جوية منتظمة الى جانب الطرق البرية الممهدة
* تنتشر تربية الحيوانات عند سفوح الجبال في جميع أنحاء اليمن
* تطورت صناعة صيد الأسماك ، وهي صناعة قديمة بعد انشاء مؤسسة خاصة تهتم باستثمار الثروة السمكية
* هناك صناعات قامت بعد الثورة ومن بينها صناعة الغزل والنسيج ، وصناعة الاسمنت والطوب الحراري ، وتعبئة المشروبات الغازية ، والصناعات المعدنية ، والزيوت والصابون ، والبلاستيك وصناعة الالومنيوم ، والبسكويت وعصير الفواكه ، والسجائر
* وفي اليمن ثروات معدنية اكتشف منها حتى الآن معدن الفضة الذي يصنعون منه حلى النساء ، وكذلك النحاس والحديد والرصاص والملح

وترية الكمان الأولى

شعر محمد حلمى حامد



كلانا وحيدٌ بلا أمنية
فلا تزرعى الحبَّ فى القلب قسْرا
فقد كنت نهرا
وكنتِ ابتسامة حلم أطلّ وعمرا
فهلْ دمت للقلب نعْمةَ هذا الصباحْ
وهل أسلمتك الطيورُ البريئة
للجرحِ . أمْ ساومتكِ الجراحْ
سلامٌ عليك من .
من الآنَ للموت
والبعثِ بعد فواتِ الأوانْ
سلامٌ عليكِ إذا مرَّ طيفُ
هوانا المدانْ . . . .
فقد غيَّبوه عن الوعي دهرا
وقد أشعلوه ولمَّا يزَلْ فى
السماوات بدرا
سلامٌ عليكِ مِن القلب للقلب
لن يرجعَ الحبُّ قسرا
فقد كانَ زهرا
ومنذُ رحلتِ العصافيرُ ماتت
وقدكنتِ للروح سرًا

الليزر

أشعة المستقبل

اعداد : رؤوف وصفي*

الليزر . أشعة عجيبة تتألق في الأفق العلمي للتكنولوجيا الحديثة . والمستقبلية إنها أشعة الموت والحياة . فلها قوة تدميرية مروعة للأهداف المعادية في الفضاء . كما أن لها القدرة على الإشفاء من السرطان .

ماهو الليزر ؟

شهد صيف عام ١٩٦٠ أول عرض لمصدر جديد للضوء ذي خصائص فريدة ، منها انه مركز جدا ، ومن ثم فطاقته مروعة ، الى حد أنه يمكن من اطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس ، ومن ناحية أخرى يمكن التحكم في قوة هذا الضوء الجديد . حتى أن الجراحين يستخدمونه في اجراء العمليات الجراحية الدقيقة في العين البشرية

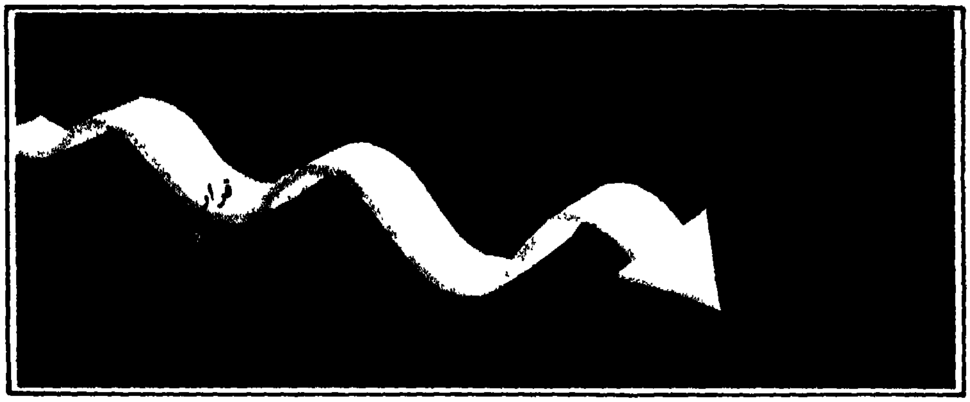
كما يمكن لأشعة هذا الضوء العجيب ان تحدث ثقوبا في أنواع الصلب السميكة ، وكذلك اشعال الكربون ، ولأنها تمر في حزم متوازية ضيقة فيمكن ارسالها من كوكب الارض الى القمر ، أي حوالي ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، فلاتضيء الا مساحة يبلغ قطرها حوالي ثلاثة كيلومتر فقط

وتتميز هذه الاشعة بأنها نقية جدا ذلك أن كل الضوء الذي بها له نفس الطول الموجي ، وهي أيضا متماسكة اي أن كل الموجات الضوئية بها متماثلة تماما وهذه الخواص لها استخدامات عديدة في الحياة العملية

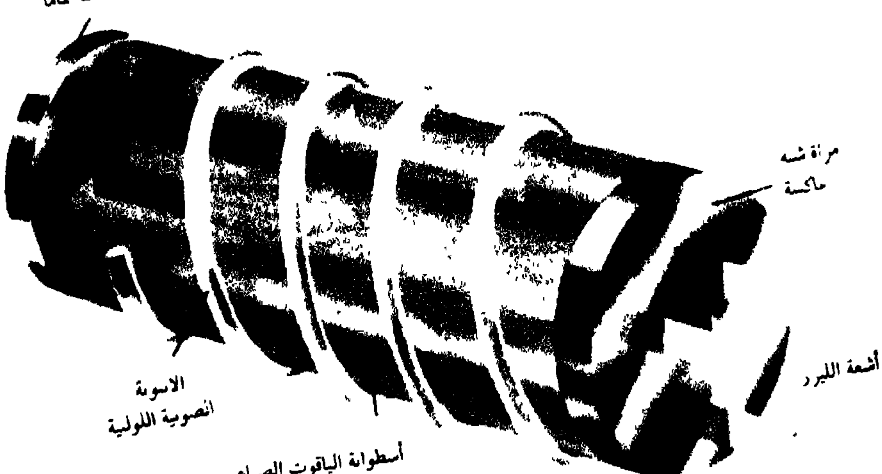
واطلق العلماء على هذه الأشعة الفريدة (الليزر Laser) وهذه الكلمة مكونة من الحروف الاولى من عبارة Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation اي تضخيم الضوء بواسطة القذف المثار للاشعاع

وتعتبر أشعة الليزر من أهم المنجزات التي تحققت

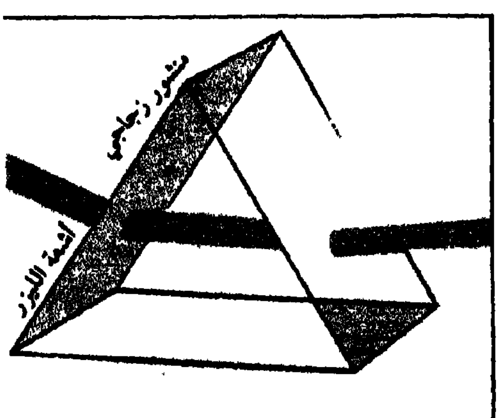
* عضو الاتحاد الدولي لكتاب الخيال العلمي والجمعية الدولية لعلوم المستقبل



موحة الصوء



حهار لبيرر الياقوت



صوء الليرر لا يتحلل



الصوء العادي يتحلل الى ألوان الطيف

في العصر الحديث ، اذ أنها أصبحت تستخدم بكفاءة عالية في مجالات مختلفة،وخصوصا في الصناعة والفضاء والطب والحرب ، والاتصالات والمعلومات وفن التصوير المجسم (الهولوجرافيا) ولتوضيح طبيعة أشعة الليزر ، يجب أن نتعرف على بعض المفاهيم الأساسية والمصطلحات المستخدمة

الذّرة :

تتكون المواد - بأشكالها الصلبة والسائلة والغازية - من مجموعة منتظمة من الذرات التي هي أصغر جزء من المادة وتتكون الذرة من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنات كهربية موجبة) ونيوترونات (ذات شحنات متعادلة) وحول نواة الذرة هناك الكترونات (ذات شحنات كهربائية سالبة) تدور في مدارات مختلفة البعد عن النواة وتأخذ المادة الشكل الصلب عندما تكون الذرات متقاربة جدا ، أما في الشكل السائل فيكون لدى الذرات بعض الحرية في الحركة ، تتباعد الذرات جدا عن بعضها في الشكل الغازي

الأشعة الكهرومغناطيسية :

تنتج الاشعة الكهرومغناطيسية من تفاعل الذرات المختلفة مع مجالات مغناطيسية وكهربية في الفضاء ، وهي تشمل موجات الراديو والاشعة تحت الحمراء ، والاشعة المرئية والاشعة فوق البنفسجية والاشعة السينية (اشعة اكس) وأشعة جاما والاشعة الكونية

إن الضوء العادي هو شكل من أشكال الطاقة وجزء من الاشعة الكهرومغناطيسية ، ويطلق على أصغر وحدات الضوء (الفوتون) وكل منها يحتوي على حصة طاقة ، وتختلف كمية الطاقة حسب طبيعة الفوتون ، ويسير الضوء بسرعة تبلغ حوالي٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

الضوء العادي . . . والليزر :

يتكون الضوء العادي من موجات ضوئية مختلفة الطول والتردد واللون ، وهي مختلطة ببعضها دون انتظام . ويمكن أن نتبين هذا اذا قمنا بامرار الضوء العادي (ضوء الشمس مثلا) خلال منشور زجاجي ، فنجد أنه يتحلل الى الوان عديدة نطلق عليها ألوان الطيف،وتتكون من الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي ، وكل لون له طول موجي معين . وطول هذه الموجة الضوئية هو الذي يحدد لونها

ويطلق على أعلى جزء من موجة الضوء (قمة الموجة) أما أدنى جزء فيطلق عليه (قرار الموجة) وطول الموجة هو المسافة بين قمتين متتاليتين أما تردد الضوء فيقصد به عدد الموجات التي تمر من نقطة معينة في الثانية الواحدة وبمقارنة الضوء العادي بأشعة الليزر يتضح لنا مايلي :-

١ - أشعة الليزر ذات اتجاه واحد ثابت ، وهي تختلف عن الضوء العادي الذي ينتشر في جميع الاتجاهات ، ومن ثم فاشعة الليزر تركز الطاقة عند نقطة محددة تماما .

٢ - أشعة الليزر متماسكة ، أي أن جميع الطاقة المنبعثة لها نفس طول الموجة وترددها ، اما الضوء العادي فهو يحتوي على العديد من الموجات المتباينة الطول والتردد .

٣ - اشعة الليزر ذات لون واحد نقي (أو على الأرجح هي حزمة ضيقة جدا من الأشعة) ، بينما يتكون الضوء العادي من العديد من الوان كثيرة مختلطة (الوان الطيف)

كيف يعمل الليزر ؟

يتكون جهاز الليزر من ثلاثة أجزاء رئيسية : مادة يطلق عليها (الوسط الفعال) التي تنتج أشعة الليزر ، ومصدر للطاقة لاثارة ذرات الوسط الفعال ، ووحدة يطلق عليها (وحدة تضخيم الضوء) وهي غالبا في شكل مرآتين احداهما عاكسة تماما والاخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

وقد يكون الوسط الفعال في أجهزة الليزر مادة صلبة (مثل الياقوت الصناعي) أو مادة سائلة (مثل مادة النيوديوم المذابة في أكسيد كلوريد الصوديوم) أو مادة غازية (مثل الهيليوم والنيون وثاني أكسيد الكربون) .

لان طراز بنائهما متشابه وان كان القصر يتسم بالمهابة والجلال ، بينما القبر يتميز بالدقة والجمال . وقد تأكدت للغريب ظنونه حين وجد على واجهة القصر لافتة مشابهة لتلك التي سبق أن قرأها على القبر مكتوبة بالخط الديواني هذه المرة : اذا اردت ان تعرف قصة هذا البناء فعليك بسؤال أكبر الأحياء .

وبدافع من حب الاستطلاع أسرع الغريب يستفسر عمن يكون أكبر الناس عمرا حتى دلوه عليه وارشدوه اليه .

قدم له القهوة العربية مع التمر العماني وهو يقص عليه قائلا : كان يا ماكان ، من قديم الزمان لهذه المدينة حاكم ، وكان عند هذا الحاكم جارية في العشرينيات من العمر على جانب من الجمال لكنها بكماء صماء لاتنطق بشر ولا بخير ، وكانت تتفانى في خدمته لانه ـ رغم ما هي عليه ـ رضى أن يؤويها في بيته . كذلك كان لديه كلب جميل قوى كله شباب وحيوية ، شديد الوله به حتى انه كان حين يأكل يأمر باحضار طعام الكلب في الغرفة نفسها . وكان القصر مكونا من سبعة طوابق يصل بينها سلّم رئيسى وسلّمان جانبيان ، وكانت غرفة الطعام تقع في الطابق الأول فوق الطابق الأرضى مباشرة .

وكان من عادة هذا الحاكم أن يعود كل يوم من النظر في قضايا رعاياه وشئون مدينته ليجد طبقا من الحساء معداً له على مائدة الطعام التى تتوسط كلبه وهو يتناول طعامه بدوره ـ وجاريته الصماء البكماء الواقفة على خدمته .

وقد حدث ذات يوم أن وقعت الجارية على درجات السلم وهى في طريقها الى غرفة الطعام فكسرت ساقها بحيث لم تستطع المشى ولا التحرك . ولما كانت غرفة الطعام أقرب غرفة اليها فقد حملوها هناك وهى تصرخ من الالم ، ووضعوها على فراش أعدوه لها . وهكذا ظلت مائدة الطعام تتوسط الكلب والجارية ، ثم اتوا لها بالمجبر الذى عمل لها جبيرة لساقها المكسورة .

وبعد ذلك بأيام كان طبق الحساء معدا على المائدة كما هى العادة ، واذا بأفعى أقبلت تزحف ثم صعدت المائدة وشربت الحساء كله ثم بختته في الطبق مرة اخرى ، وكانت الجارية شاهدا على كل ما حدث دون أن تستطيع حراكا ، وهى التى روت فيما بعد ما



رأت . أما الكب فقد دخل الغرفة في اللحظات الأخيرة حين كانت رأس الافعى في طبق الحساء ، فاشرأبت اذناه ولمعت عيناه ببريق الذكاء والتأهب ، احساسا منه برائحه الخطر ، ويبدو أنها كانت لحظات كافية لان يدرك كل شىء ، فقد اندفع نحو الأفعى يحاول سحق رأسها بمخالبه وهو ينبح نباحا مسعورا هز جدران الغرفة ، بل ربما جدران المبنى كله ، لعله يريد ازعاجها فيشيع الاضطراب في زحفها السريع ويعرقله ، ولعله يريد أن ينبه الاخرين فيعاونوا على سحقها او يلمحوها فيدركوا ما حدث . لكن يبدو ان الافعى قد احست بالخطر الوشيك المحدق بها ، لانها زحفت بسرعة البرق ـ كما كانوايقولون وقتها ـ بحيث استطاعت ان تخطئها بالكاد مخالب الكلب ، وان تفلت بأعجوبة من مصير تستحقه واختفت من حيث أتت .

وبعد قليل وصل الحاكم عائدا من عمله وجلس الى المائدة يهم بشرب حسائه كالمعتاد ، لكنه قبل أن يلمس الطبق كان الكلب ينبح نباحا لم يألفه منه الحاكم من قبل ، بينما اخذت الجارية العاجزة عن

الحركة تصدر اصواتا من فراشها وهي تشير بيديها وكل تقاطيع وجهها ليبتعد عن شيء لعله المائدة او الطبق .

ودهش الحاكم مما يحدث ولم يفهم سببا له ، وكان كلما عاود الاقتراب من الطبق تكرر الامر نفسه ، واخيرا امسك عصا واخذ يضرب الكلب حتى يصمت ، لكن الكلب كان ينكمش على نفسه كما تنكمش الجارية على نفسها كائما دور ضربها آت ، حتى اذا تركه صاحبه واتجه نحو طبق الحساء عاد الكلب الى نباحه واندفاعه نحو سيده ، وعادت الجارية الى همهمتها المفزوعة واشاراتها المنذرة المحذرة

ويبدو ان الحاكم كان قد نفذ صبره ورأى انه قد اضاع ما يكفى من وقت ـ وربما جهد واعصاب وقرر الا يعبأ بتصرفات كلبه وجاريته التى شذت تلك الليلة . ومد يده ليتناول طبق الحساء ، عندئذ بلغت ثورة كل من الكلب والجارية ذروتها ، فاندفع الكلب نحو الطبق يضربه بيده حتى وقع على أرض الغرفة وانسكب كل ما فيه ، بينما الجارية ـ وان لم تستطع التحرك كثيرا لاصابتها ـ الا أن عقدة لسانها كانت قد فكت وهى تصرخ على سيدها .

واستشاط الحاكم غضباً ، ولكن قبل أن يهم بتأديب الكلب على فعلته كانت احدى قطط القصر قد تسللت ، وأخذت تلعق الحساء المسكوب ، غير أنها ما لعقت بضع لعقات حتى كان شعرها قد ابيض كله فاصبح كالثلج ، ثم ما لبث أن تساقط ، ومن بعده تساقط جلدها كائما هناك من يشويه على نار حامية ، ولم تعد ارجلها تقوى على أن تحملها فارتمت على الارض ، وهى تموء مواء خافتا وكل ما فيها يتساقط ويذوب ويتلاشى حتى مواؤ ها ، وبعد دقائق لم يكن هناك الا هيكلها العظمى .

عندئذ أدرك حاكمنا مدى وفاء كلبه واخلاص جاريته ، أما الكلب فعندما مات بعد ذلك بسنوات قلائل اقام له هذه المقبرة الجميلة تخليدا لذكراه ، بل تخليدا للوفاء . اما الجارية فقد تزوجها ـ وقد عاد اليها سمعها ونطقها ، وبنى لها هذا القصر حيث انجبت البنين والبنات الذين ينحدر من أصلابهم حاكم مدينتنا اليوم . □

فى خطبة خديجة

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمه ابا طالب ليخطب له خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال فى خطبته : الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم ان محمد ابن عبد الله ابن اخى ، من لايوازن به فتى من قريش إلارجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا ، وان كان فى المال قلا « اى قليل المال » فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما احببتم من الصداق فعلى .

[illegible]

بقلم : فوزى عبد القادر الفيشاوى

ماذا تعرف عن عالم الفطريات ؟ وما هى علاقة الفطر بمشتقات البترول ؟ وكيف برز دور الفطريات كمصدر جديد للبروتين غمر الاسواق العالمية كواحد من أغنى الاغذية للانسان ؟

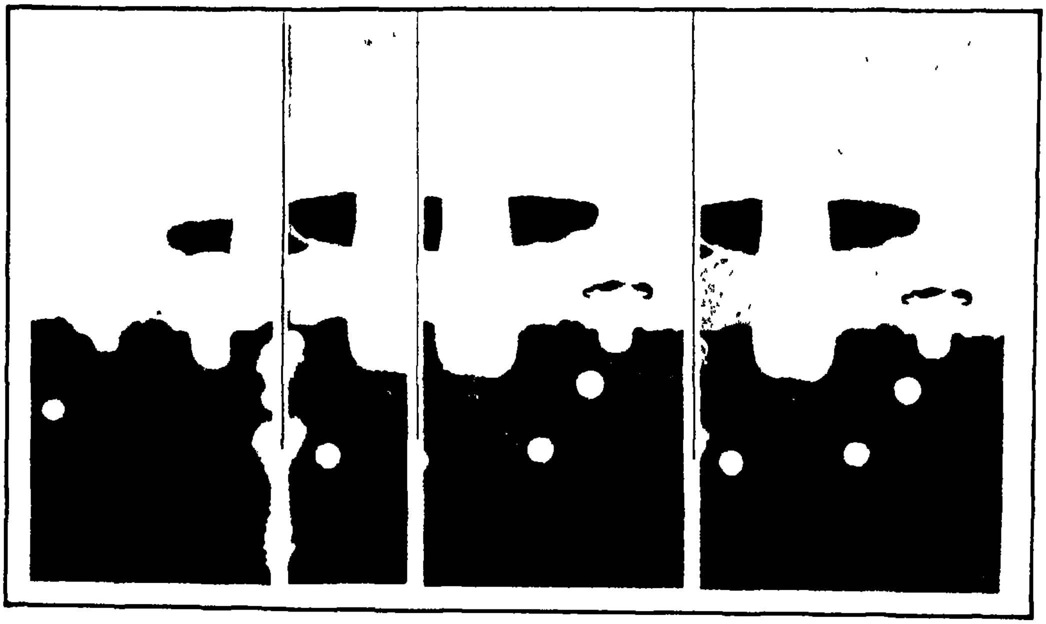
مثل كل الاكتشافات العظيمة . . تبدأ حكايتنابملاحظة ظاهرة غريبة . . فمنذ أوائل الستينيات لاحظ العاملون فى حقل الطيران أن خزانات الوقود فى الطائرات تتعرض جدرانها الداخلية لرواسب غريبة . . تنمو بغزارة فتؤدى الى سد مجارى الوقود فى الطائرات ، وتسبب بذلك الكثير من حوادث الطيران . . لم تكن تلك الظاهرة مفهومة لأحد . . غير أن تكرار حوادث الطيران ، ولنفس السبب جعل الكثيرين ينادون بضرورة تحديد المسئولية . والقبض على الجناة الذين يتسببون فى انسداد انابيب وقود الطائرات . . وفعلا تشكلت لجان تحقيق ، ضمت اليها بعض العلماء والباحثين . . وراح الجميع يتتبع خيوط المؤامرة ، ويجمع الأدلة والبراهين . . وفى اجتماع مشهود ، وقف احد علماء الميكروبيولوجى يعلن : أن الجناة مقبوض عليهم فى الانابيب . . . وأنهم ليسوا الا كائنات حية دقيقة تسمى فى لغة العلم . . الفطريات .

ـ وراح عالمنا الشهير يشرح للحاضرين كيف ينفذ الجناة خططهم المرسوم . . . فهم محبون للنفط ، مغرمون به . . فما ان تمتلىء خزانات الوقود بالنفط ، حتى تتعرض جدران الخزانات لهجوم مكثف من آلاف الفطريات الدقيقة ، التى تستمرىء هذا الطعام البترولى الشهى ، وبسرعة تنمو وتتكاثر ، لتكون فى النهاية كتلا خلوية تسد مجارى الوقود . . وتكون النهاية . . نهاية احدى الطائرات . . .

وبسرعة يتلقف العلماء الكرة . . أقصد الظاهرة . . ويوجهون بحثهم فى اتجاه آخر . . فقد تساءل العلماء . . اذا ما كانت للفطريات كل هذه الامكانيات الهائلة للنمو على مشتقات البترول ، وتكوين هذه الكتل الخلوية الضخمة ، والتى تمثل البروتينات أهم مكوناتها . . فلماذا لا ندرس إمكانيات واحتمالات زراعة هذه الكائنات على مشتقات البترول ، بحيث تمثل فتحا جديدا فى تكنولوجيا النفط . وفى نفس الوقت تحمل البُشرى لملايين الجوعى فى أنحاء العالم . . ؟

وهكذا برز دور الفطريات كمصدر بروتينى جديد . وانضم بذلك الى رفاقه من الجيل الجديد . . جيل البروتينات غير التقليدية . .

تتبع الفطريات عالم النبات . . غير انك اذا راقبتها تحت المجهر فلن تجد لها جذورا أو سيقانا أو أوراقا . . وسوف تلاحظ خلو خلاياها من مادة اليخضور (الكلوروفيل) وهى المادة المسئولة عن عملية البناء الضوئى فى النباتات الراقية . .



فطر يصلح للاكل

والفطريات لهذا السبب لا تستطيع العيش بمفردها . ولكنها تعيش عالة على غيرها من الكائنات ، أو مترممة على المخلفات النباتية والحيوانية فتنمو عليها نموا سريعا ، وتعطى فى النهاية كتلا خلوية غنية بالبروتين .

وهذا ما شجع العلماء على الاهتمام بتلك الكائنات . فقد اعتقدوا أننا نستطيع بواسطتها (ضرب عصفورين بحجر واحد) كما يقولون . .

فمشكلتنا الكبرى فى الزراعة . هى تلك الاطنان الهائلة من المخلفات الزراعية سواء النباتية أو الحيوانية ، والتى نضطر فى كثير من الاحيان للتخلص منها بحرقها . . ولكن . . ها هى ذى الفطريات على استعداد للنمو عليها ، وتستهلكها فى بناء خلاياها الغنية بالبروتين ، فنتخلص بذلك من المخلفات ، ونحصل فى نفس الوقت على أغذية بروتينية طيبة الطعم والمذاق . . !!

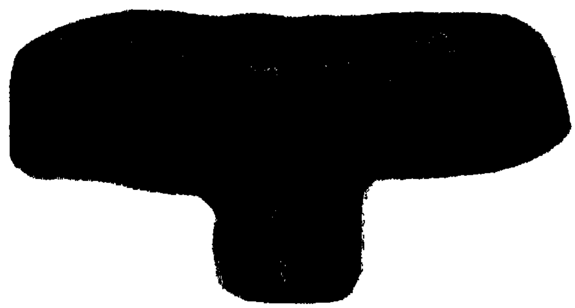
حقا . . ما أجملها من فكرة . . ولكن كيف سنحصل على بروتين الفطريات ؟

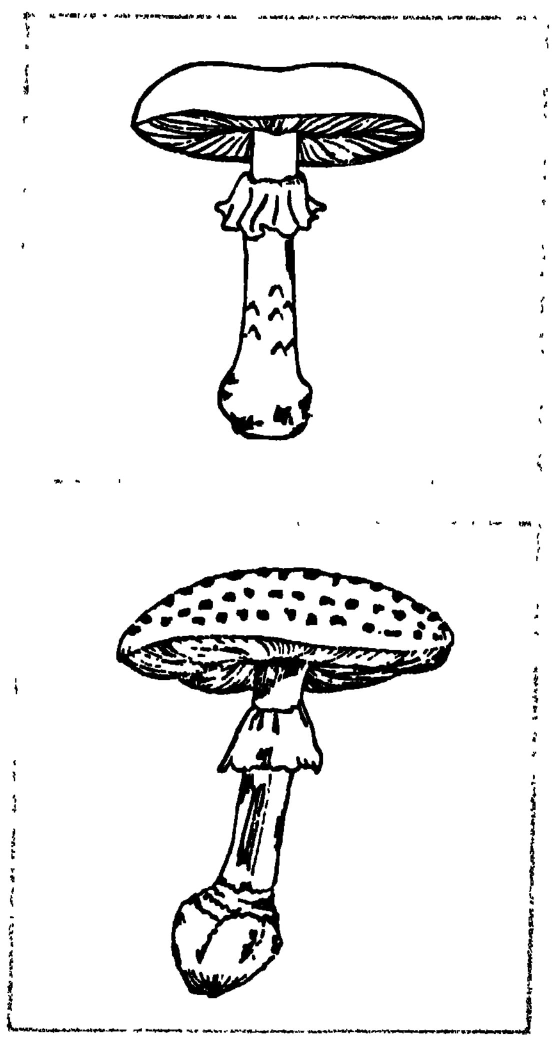
حسنا . . ما علينا حينئذ الا أن نجهز للفطريات بيئة النمو المناسبة وهى خليط من الماء ، وأى نوع من المخلفات الزراعية أو مخلفات مصانع الاغذية مثل (المولاس) المتخلف من صناعة السكر . . وعندئذ تتشرب الاكياس الجرثومية للفطريات كميات من هذا السائل ، وتنتفخ ، وبعد ساعات قليلة تنفجر الاكياس الجرثومية وتبرز الخيوط الدقيقة التى تستطيل وتتفرع . . وكل منها ينمو ويتضاعف ليعطى ملايين الجراثيم الجديدة ـ وهكذا ـ وبعد أربعة أيام تفصل المستعمرات وتجفف وتطحن على هيئة مسحوق بروتينى . . !

والنفط . . كذلك . .

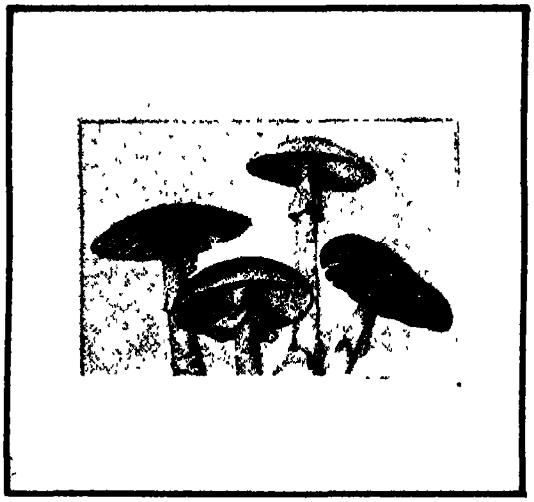
ولا تقتصر بيئة زراعة الفطريات على المخلفات الزراعية ومخلفات مصانع الاغذية ، ولكن التجارب أثبتت امكانية استغلال بعض المشتقات البترولية ، مثل الغازات الطبيعية وزيت الغاز ، كبيئة لزراعة الفطريات بهدف انتاج البروتين البترولى Petroprotein من الفطريات . .

وقد اكتشف العلماء أكثر من ألف نوع من الكائنات المجهرية لها قابلية النمو على مشتقات النفط . . وهى كلها سلالات فصلت من الطبيعة . والتى تعتبر المصدر الاساسى لكل السلالات الميكروبية ، غير أن العلماء تمكنوا من انتاج سلالات جديدة ، عن طريق احداث الطفرات الصناعية ،





نوعان من الفطر أحدهما صالح للأكل (الأعلى) والثاني سام (الأسفل)



مثـل تلك التى قام بهـا علماء مركـز ابحاث (لـورد رانك) فى انجلترا حيث انتجوا سلالة من الفطر تمتاز بارتفاع نسبة البروتين ، ويمكن تنميتها بسهولة عـلى بيئة من المخلفات البترولية . .

بروتين الفطريات . . فى الميزان

تشير نتائج معامل التحليل ، أن نسبة البروتين فى الفطريات يتـراوح بين ٣٠ ـ ٦٠٪ بـالمقارنـة بنسبة ٢٦,٥٪ فى اللبن المجفف الكامل .

ولكن الامانة العلمية تقتضى أن نشير الى أن هناك نقطة ضعف فى بروتين الفطريات ، ويتمثل ذلك فى افتقـار هـذا البـروتـين لبعض الاحمـاض الامينية الاساسية مثل التربتوفان والميثـونين (وهى أحماض لازمة لتغذية الانسان) .

غير أن البروتين الفطرى يتمتع بميزة هامة . . فهو غنى بحامض أمينى أساسى يسمى (الليسين) وهذا الحامض الاخير لا يتوافر فى البروتينات النباتية مثل الفول والعدس والبسلة والفاصوليا . . وغيرها . .

ولهذا فقد اقترح العلماء إمكانيـة اضافـة بروتـين الفـطريات (الغنى بـالليسين) مـع بروتـين النبات (الفقير بالليسين) بهدف رفع القيمة الحيوية للوجبة الغذائية .

ومن ناحية أخرى فقد أثبت بروتين الفطريات أنه يشبه بروتين السمك ، وكذا البروتين النباتى المنتج من فول الصويا . .



اربعة انواع سامه من الفطر : « المكاريا والفالويدس والاسكولنتا والمارغانى » .

ومما يزيد ايماننا بهذه البروتينات الجديدة . . تلك التجارب التى أجريت على الحيوانات كما حدث فى المعهد المركزى لبحوث الطعام والتغذية فى هولندا ، فقد اقبلت العجول والدواجن على الأعلاف التى خلطت ببروتين الفطريات ولوحظت زيادة معدلات نموها . .

وهذه التجارب ، تعيد الينا ذكرى ما فعله الألمان في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) حينما قاموا بانتاج أعلاف للماشية من الفطريات . . فكانوا يضعون أملاح النوشادر مع علف حيوانى ثم يزرعون فى العلف المندى أنواعا من الفطريات ، التى تنمو وتحول أملاح النوشادر الى بروتين سهل الهضم ورخيص الثمن . .

من فضلك . . طبق فطريات . .

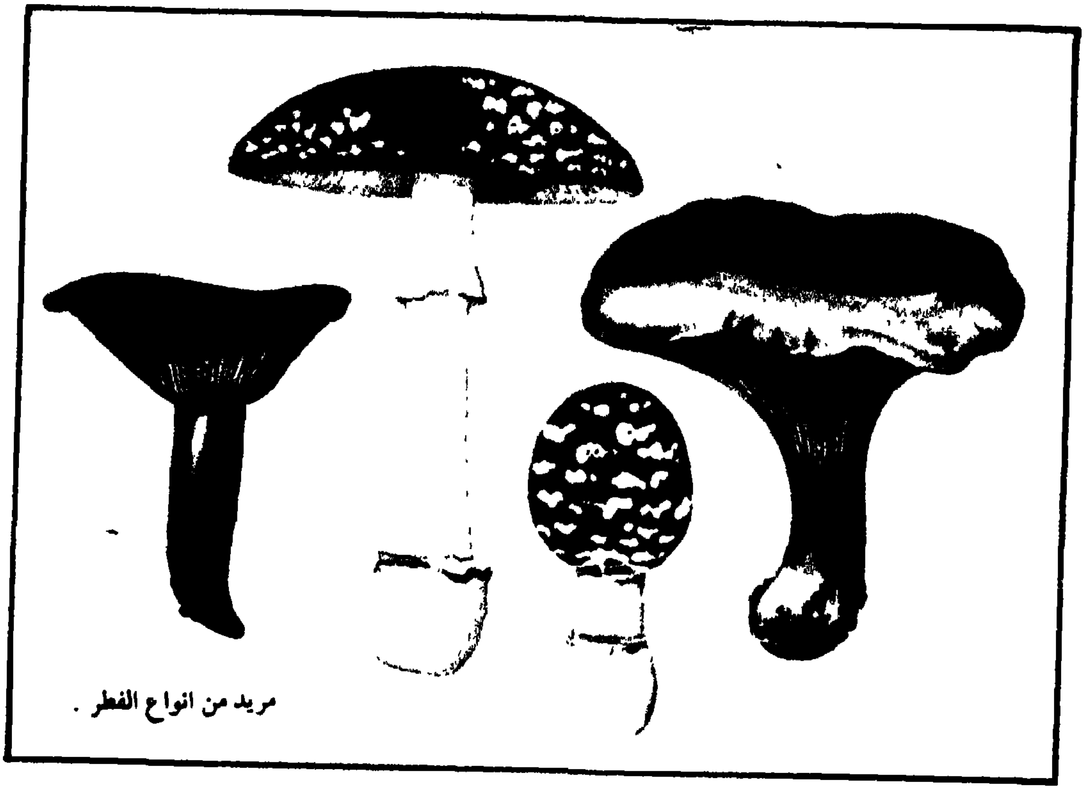
نداء ستتعود على سماعه وترديده فى المطاعم ، وربما مع تحوير بسيط فى النداء . . فمازال لفظ . . فطريات ، وعفن يثير الاشمئزاز لدى كثير منا . وتجنبا لسوء الفهم هذا ، فمن المتوقع أن تدخل بروتينات الفطريات كمرحلة أولى ضمن أغذية تقليدية مألوفة مثل اللحوم المفرومة أو السجق أو اللنشون ، بهدف خفض سعرها . . وقد تدخل ضمن تركيب المكرونة وأنواع الشعرية وغيرها من منتجات العجائن ، بهدف رفع قيمتها الغذائية مع خفض اسعارها ، نظرا لرخص ثمن بروتين الفطريات ، والذى وصل سعر الكيلوجرام منه الى حوالى دولار واحد . .

وفى الأونة الاخيرة ، فقد خطت تكنولوجيا الفطريات خطوة واسعة . عندما صرحت الحكومة البريطانية لشركة (هوفيزماكدوجال) وهى اكبر شركة للانتاج الغذائى فى أوروبا ، بالبدء فى غمر الاسواق العالمية بطعام غنى جدا بالبروتين ، مصنوع من الفطريات مع فطر عيش الغراب . .

والطعام الجديد سيباع على هيئة (أصابع سميكة) ، وكذلك على هيئة أجزاء الطيور ولحم البقر . وقد تمكنت الشركة بعد ابحاث طويلة من تقليد انسجة اللحم الحيوانى ولحوم الطيور ، وكذلك اعطت اللحم الجديد نفس رائحة ومذاق اللحم الطبيعى ، بحيث لا يمكن للمستهلك أن يفرق بينه وبين اللحم الطبيعي

ليس هذا فحسب . . بل ان المجال فسيح أمام بروتين الفطريات لاستخدامه للاغراض الصناعية كمنكهات (أى عوامل طعم ورائحة) للأغذية التقليدية فمن قبل استخدم الشرقيون بعض انواع الفطريات لتكسب نكهة خاصة لشوربة فول الصويا . وفى معهد باتل التذكارى بمدينة كولمبس بولاية أوهايو الامريكية توصل الباحثون لانتاج البروتينات الفطرية على هيئة بودرة للشوربة . كما أثبتت بعض الفطريات مثل فطر مورشيلا نجاحا ملحوظا لانتاج بروتين غذائي يتميز بروائح مرغوبة .

ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه البروتينات كعوامل استحلاب فى كثير من الصناعات الغذائية . .



مزيد من انواع الفطر .

واليوم .. تحتل منتجات البروتين الفطرى مكانة مرموقة فى السوق الدولية .. سواء فى أمريكا أو اوروبا أو دول الكتلة الشرقية .. ولكن .. أين نحن من هذا العالم الجديد .. عالم بروتين الفطريات .. ؟

مجتمعنا العربي .. يخاصم الفطريات

من المدهش حقا أن نتابع عن بعد اخبار جيل جديد من البروتينات غير التقليدية ، بدأت تأخذ مكانها على موائد العالم شرقا وغربا . فى الوقت الذى لا يسمع كثير منا عن هذه البروتينات .. ناهيك عن تناولها ..

والاغرب من هذا .. أن الدول المتقدمة التى تمثل فى تعدادها ربع سكان العالم تنتج وحدها حوالى ٤٠٪ من البروتين العالمى بالطرق التقليدية بينها الدول النامية التى تمثل ثلاثة أرباع سكان العالم تنتج حوالى ٦٠٪ من البروتين العالمى ، مما انعكس على نصيب الفرد من البروتين فى كل من المجموعتين .. اى أن عالمنا النامى كان أولى به أن يسبق الآخرين فى البحث عن مصادر جديدة للبروتين .. الا أن العكس هو الذى حدث ، فمعظم أبحاث البروتينات غير التقليدية ، ومعظم المصانع التى تنتج هذه البروتينات منتشرة فى داخل حزام الدول المتقدمة ..

واذا كنا فى عالمنا العربي .. ما زلنا حتى الآن نخاصم البروتينات غير التقليدية ، برغم أنها أمل الكثيرين لفك حصار الجوع وسوء التغذية .. فاننا لا نلقى باللائمة على شعوبنا فهى لم تهيأ بعد نفسيا لتقبل هذه الأغذية الجديدة . ولا يرجع ذلك - فى رأينا - لقصور فى العقل العربي كأن يقال انه عقل رافض لكل جديد .. لا .. بل ان العقل العربي لقادر على استيعاب المرحلة ، ولا ينقصه الا التوجيه الرشيد من أولى الامر المعنيين بمشاكل التغذية وانتاج الطعام ، ومن ورائهم رجال المال العرب الذين يضنون بأموالهم للدخول فى سباق انتاج البروتينات الجديدة .

ولعلنا ونحن نعرض للعقل العربي وللذوق العربي ، جانبا من هذا العالم المثير .. عالم البروتينات غير التقليدية .. لعلنا بهذا نقدم للعقل العربي بعضا من حقه فى أن يعرف .. وتلك - بلا شك - أولى خطوات تقرير المصير ... □



هل تخاف السفر بالطائرة ؟

بقلم الدكتور : فوزي عليان

ما زال بعض الناس يخافون ركوب الطائرة رغم التطور الهائل الذي حدث في صناعة الطائرات . . فهل أنت ممن يخافون السفر الجوي ؟ وهل تعلم أن السفر جوا أكثر وسائل الانتقال أمنا ؟ ومع ذلك فان عليك قبل أن تسافر أن تكون مدركا للأخطار الصحية للسفر الجوي .

ان مصدر الخوف من ركوب الطائرة كما يقول بعض علماء النفس هو الشعور الذي ينتاب الناس بأنهم لا يسيرون فوق أرض صلبة . . ان التحليق في الجو بين الأرض والسماء يثير الرعب في نفوس الكثيرين من الرجال والنساء على السواء ، ويضاعف من هذا الشعور ، المنظر الذي يتكرر أمام ركاب الطائرة وهي تستعد للانطلاق ، عندما تقف المضيفة أمام ركاب الطائرة ، وهي ترشدهم إلى ما يجب أن يقوموا به في حالة انخفاض الضغط داخل الطائرة وفي حالة الطواريء ، ثم وهي تحدد لهم أماكن الخروج الاضطراري على الجانبين .

والخوف من الطائرة شعور بدأ مع بداية دخول عصر الانتقال من مكان الى مكان بطريق الجو .

وهذا الوسط الفعال من خواصه أنه يقذف بضوء شديد التركيز والتماسك ، اذا وجهت اليه طاقة مثل التيار الكهربائي أو الاشعاع الضوئي ، ذلك تبعا للنظرية الكمية فان الذرة ـ عند اثارتها بمصدر طاقة ـ تصبح قادرة على امتصاص هذه الطاقة ، ويؤدي هذا الى انتقال الكتروناتها من مدارها الطبيعي الى مستوى اعلى ، ولكن سرعان ماتعود الى مستواها الطبيعي مرة أخرى ، متخلية عن الطاقة التي امتصتها من قبل ، في شكل فوتون ضوئي بنفس الطول الموجي ، ولكن بشدة أكبر بكثير ، بحيث أن كل فوتون وارد يسبب انفلات فوتون ا–

وبتطبيق مبادىء النظرية الكمية أمكن التفكير في اختراع جهاز الليزر وهنا يثار سؤال:كيف يعمل جهاز الليزر باستخدام النظرية الكمية ؟ حتى يمكن الاجابة عن هذا السؤال ، نقوم بشرح لكيفية عمل أول جهاز لليزر ، والذي كان يطلق عليه (جهاز ليزر الياقوت) كان يتكون من انبوبة ضوئية لولبية ، تلتف حول قضيب سميك من الياقوت الصناعي اسطواني الشكل (الياقوت الصناعي نوع من أوكسيد الألمنيوم ، مع كمية من الكروم مذابة فيه) وعلى طرفي اسطوانة الياقوت الصناعي مرآتين ، إحداهما عاكسة تماما والأخرى شبه عاكسة (تعكس حوالي ٩٥٪ من الضوء الساقط عليها) .

وتستخدم الأنبوبة الضوئية اللولبية في اصدار ضوء شديد الكثافة ، يقوم بامتصاصه قضيب الياقوت الصناعي في زمن قصير جدا ـ حوالي عدة أجزاء من الف من الثانية الواحدة ـ ثم يعيد اطلاقه بشدة أكبر وبشكل مواز لمحوره ، وينعكس عند اصطدامه بالمرآتين عند طرفي القضيب ، ومن ثم فهو يمر عدة مرات خلال قضيب الياقوت الصناعي ، وهذا ينتج عنه تضخيم لاشعة هذا الضوء ، ذلك أنها تكتسب طاقة أكبر من قضيب الياقوت الصناعي بمرورها عليه عدة مرات جيئة وذهابا ، وتزداد هذه الأشعة الى الحد الذي يسمح لها بالانطلاق عبر المرآة شبه العاكسة . وهكذا تصدر أشعة الليزر ، بخواصها الفريدة بأي لون من ألوان الطيف ، وقد تصدر في شكل أشعة غير مرئية (الأشعة تحت الحمراء مثلا) .

أنواع الليزر :

هناك العديد من اشعة الليزر تنتج عن أجهزة متباينة الأشكال ، والتي تستخدم في أغراض مختلفة . ويمكن ان نصنفها تبعا للوسط الفعال الذي يوضع بالجهاز (مواد صلبة ـ سائلة ـ غازية) ذلك أن الوسط الفعال هو الذي يحدد طول موجة أشعة الليزر ، لان طول الموجة ينتج عن التغير في مستويات الطاقة بهذه المواد . ومن أهم أنواع الليزر :ـ

ليزر الغاز : يتألف هذا النوع من الليزر من أنبوب زجاجي ، يحتوي على مزيج من غازي الهيليوم (٩٠٪) والنيون (١٠٪) ويتصل بقطبين كهربيين لامرار التيار الكهربائي ، وفي طرفي الأنبوب مرآتان أحدهما عاكسة تماما ، والأخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

ويعمل ليزر الغاز عندما تثار ذرات الهليوم أولا بالتيار الكهربائي ، فتنتقل طاقتها الى ذرات النيون التي تصدر أشعة الليزر من خلال المرآة نصف الشفافة . وتعتبر أشعة الليزر الصادرة من أجهزة الليزرالغازي أفضل بكثير من تلك التي تصدر عن الأجهزة التي تستخدم المواد الصلبة أو السائلة ، وذلك لشدة تماسك ضوئها ، سواء فوق الأرض أو في الفضاء ، وأيضا لمداها الكبير وطاقتها العالية .

وتستخدم أشعة الليزر الغازي في البحوث العلمية مثل التي تجري في الفضاء ، كذلك في ارسال الأحاديث والموسيقا على صور التلفزيون . ومن أجهزة ليزر الغاز أيضا تلك الاجهزة التي تعمل بواسطة غاز ثاني أكسيد الكربون ، ويصدر عنها اشعة ليزر غير مرئية (اشعة تحت الحمراء) وتعتبر ذات قوة عالية وتستخدم في الأغراض الصناعية .

ليزر السوائل : يتكون الوسط الفعال في هذا النوع من أجهزة الليزر ، من سائل خاص ، يحضر من اذابة مادة النيوديوم باكسيد كلوريد الصوديوم .

ويتميز ليزر السوائل بسهولة تحضيره في المختبرات ، كما أن المواد المستخدمة فيه اقتصادية لدرجة كبيرة ، بالمقارنة بأجهزة الليزر الأخرى ، بالاضافة الى امكانية تغيير السائل المستخدم بسهولة ، للحصول على أشعة ليزر ذات موجات ومواصفات جديدة دون تغيير جهاز الليزر .

وعندما تنبأ .هـ. ج . ولز في كتابه (مكنة الزمان) بقرب توصل الانسان الى هذا الاختراع ، قال الذين قرأوا كتابه : (وكأنه يتنبأ بنهاية الحياة على الأرض ! ترى أين يريد لنا الكاتب أن نعيش ؟)

هذا الخوف . . هل له ما يبرره ؟ لو عرف الناس أن حوادث السيارات . ، طبقا للدراسات والاحصائيات ، تبلغ أضعاف حوادث الطائرات من حيث عدد الضحايا الذين يسقطون تحت عجلاتها التي تسير على أرض صلبة ، أو الذين يقضون نحبهم وراء عجلة القيادة نتيجة لحوادث التصادم المروعة حتى أصبحت السيارة نقمة . . لو عرف الناس هذه الحقائق العلمية لأدركوا أن حوادث الطائرات أقل بكثير جدا نسبيا من حوادث السيارات . . ولقد وقفوا على الرعب الذي يصيب البعض من ركوب الطائرة التي اصبحت تنطلق اليوم بركابها بسرعة تفوق سرعة الصوت .

ولكن لنا بعد هذا وقفة . . ترى متى يكون السفر بالطائرة محفوفا ببعض المخاطر ؟ ان هناك بعض الحالات التي تتطلب حرصا وحذرا من جانب المسافر بالطائرة ، نتيجة للتغييرات التي قد تطرأ فجأة ، وهي تغييرات يحتملها المسافر السليم ، ولكن قد تسبب ضيقا لمن يشكو علة أو مرضا .

والمتاعب الصحية التي تنجم عن السفر الجوي تنتج عن عدة أسباب ، من بينها انخفاض الضغط الجوي داخل الطائرة ، أو اهتزاز الطائرة ، أو الجلوس الطويل بلا حركة ، أو الانتقال السريع الى مناطق زمنية مختلفة عن تلك التي اعتادها الانسان .

ونبدأ بانخفاض الضغط الجوي . والطائرات الحديثة مكيفة الضغط ، ومعظم النفاثات تطير على ارتفاع يتراوح ما بين ثلاثين الفا الى اربعين ألف قدم من مستوى سطح البحر . وعند هذه الارتفاعات فان الضغط داخل قمرة الركاب يكيف ليتساوى مع ضغط جوي يعادل الارتفاع على خمسة آلاف الى سبعة آلاف قدم من مستوى سطح البحر ، أي حوالى ٦٠٠ ملليمتر زئبق بدلا من ٧٦٠ ملليمتر زئبق عند سطح البحر .

وينتج عن انخفاض الضغط هذا تأثيران هامان :
أولهما : انخفاض الضغط الجزئي للاوكسجين ،
والثاني : تمدد الغازات .

وأكثر من يعاني من هذه المشكلة هم من اعتادوا السكن على ارتفاعات قريبة من مستوى سطح البحر .

انخفاض ضغط الاكسجين

تتأثر نسبة تشبع خضاب الدم (الهيموجلوبين) بالأكسجين ، ولكن هذا التأثير ليس بكثير ، وذلك نتيجة للخصائص الفسيولوجية لخضاب الدم .

ويقدر نقص الاكسجين عند ارتفاع ستة آلاف قدم بأربعة بالمئة فقط عند الشخص العادي . أما اذا كان المسافر مصابا بأحد امراض الدم أو الجهازين الدوري والتنفسي فان الأثر كبير وضار . ويزداد الأمر سوءا اذا كان المسافر من المدخنين . فمن المعروف أن دم المدخن يحتوي على ما يقرب من خمسة بالمئة من الهيموجلوبين المشبع بغاز أول أكسيد الكربون ، بدلا من الأكسجين ، واذا اضيفت هذه النسبة الى ما ينقص من أكسجين اتضح مقدار الضرر الحاصل .

وذلك فان المصابين بفقر الدم الشديد ينصحون بعدم السفر بالطائرة حتى يتم علاجهم .

وكذلك ينصح الأطباء بعدم سفر المصابين بفقر الدم المنجلي (وهو حالة وراثية) بطريق الجو حيث ان نقص الاكسجين قد يسبب تكون جلطات مختلفة في الجسم ، مثل الطحال والعظام والمخ . واذا كان لا بد من سفرهم فمن الأفضل أن يتم تزويدهم بالأكسجين خلال الرحلة .

وكذلك ينصح بعدم سفر المرضى المصابين بجلطة حديثة في القلب أو الرئة أو الدماغ .

وهناك نتيجة أخرى لانخفاض الضغط وجفاف الهواء هي ازدياد فقد الجسم لسوائله عن طريق التنفس . وعند البالغين فان هذه ليست بمشكلة كبيرة ، وكل ما يشعر به المسافر هو بعض العطش ، أما في الأطفال وخصوصا حديثي الولادة فان الأمر قد يكون خطيرا ، فهم يفقدون سوائلهم بنسبة أكبر من الكبار ، ويجب إعطاؤهم المزيد من السوائل خلال الرحلة .

وتتمدد الغازات بانخفاض الضغط ، وتقدر الزيادة في حجم الغازات على ارتفاع ستة آلاف قدم بما يقرب من الثلث .

وأغلب المسافرين يشعرون بهذا عن طريق الأذن ، وكذلك يشعرون بتمدد الغازات في أمعائهم ، وبعضهم قد يصاب بمغص ورياح ، وهي آثار جانبية لا تلبث أن تزول بعد فترة زمنية وجيزة .

ان الأذن الوسطى متصلة . . بالبلعوم عن طريق قناة استاكيوس ، والتي تقوم بوظيفة معادلة ضغط الأذن الوسطى بالضغط الجوي الخارجي . واذا كانت هذه القناة مسدودة كأن يكون المسافر مصابا بالزكام ، فان الضغط يزداد داخل الأذن الوسطى ، وقد يسبب ألماً شديدا ، وكذلك المصابون بالتهاب الجيوب الأنفية ، الذين تزداد أعراضهم سوءا مع انخفاض الضغط الجوي .

وتتمدد الغازات داخل الأمعاء ، وقد يشكل الأمر خطرا كبيرا على من أجريت له عملية جراحية خلال الأيام القليلة السابقة للسفر اذ قد تتفتق جراحه .

كما يمنع المريض المصاب باسترواح صدري (دخول هواء الى الغشاء البللوري للرئة) من السفر جوا خوفا من ازدياد الضغط على الرئة وبالتالي نقص كفاية الجهاز التنفسي .

اهتزاز الطائرة ودوار الحركة

تطير معظم النفاثات على ارتفاعات عالية فوق السحب ، حيث الاضطرابات الجوية ، ولكن مازال هناك بعض الطائرات المروحية التي تطير على ارتفاع أقل ، حيث يكون الجو أكثر اضطرابا ، الأمر الذي يعرضها للاهتزازات التي تؤثر على جهاز التيه في الأذن الداخلية .

وقد يشعر بعض المسافرين بالدوار والغثيان والقيء . ولذلك فان المسافر الذي يصيبه الدوار ينصح بتناول الأدوية المضادة للتقيؤ قبل صعود الطائرة ، كما أن الجلوس في وسط الطائرة بين الجناحين أفضل ، حيث ان الاهتزازات هناك أقل .

ومن الملاحظ أن الدوار يقل كلما اعتاد المرء ركوب الطائرة .

والجلوس الطويل بدون حركة فى أثناء الرحلات البعيدة يصيب الأقدام بالتورم والاحتقان ، وقد يتجمع الدم في الأوردة .

وأكثر المعرضين للاصابة هم أولئك الذين أصيبوا بجلطات سابقة في أرجلهم والمصابون بدوالي أوردة الساقين الذين ينصحون بارتداء جوارب مرنة ضاغطه . كما أنه من الأفضل أن يترك المسافر مقعده ليتمشى في ممر الطائرة اذا سمحت الفرصة بذلك .

كما يمكن للمسافر أن يقوم بتمارين رياضية خلال جلوسه ، وذلك بشد عضلات الساقين بدون تحريكهما .

عبور المناطق الزمنية بسرعة

ومن المعروف أن للجسم دورة فسيولوجية يومية تحدد للانسان نشاطه اليومي من نوم وأكل ونشاط . واذا انتقل المسافر الى بلد يكون فارق التوقيت بينه وبين بلده الأصلي كبيرا ، فانه يشعر لعدة أيام بالتعب والارهاق والأرق ، وقد تنخفض قدرته الذهنية . ويحتاج لعدة أيام للتكيف مع طبيعة البلد القادم اليه .

وينصح المسافر الى بلاد بعيدة بالنوم في الطائرة ، والامتناع عن القيام بأعمال تتطلب تنبها وتركيزا ذهنيا لعدة أيام . وتزداد هذه المشكلة حدة عند كبار السن .

كما أن فئة أخرى من المسافرين تتأثر من جراء السفر ، وهم مرضى البول السكري ، حيث قدتتغيرّ عليهم مواعيد تناول الدواء والطعام ، ولذلك فان عليهم المحافظة على المواعيد التي اعتادوها في بلادهم قبل السفر ، حتى يصلوا وجهتهم ويتكيفوا التكيف المناسب مع طبيعة البلاد الجديدة .

سفر الحوامل :

أن تأثير السفر قليل على الحوامل ، وينصح بعدم سفر الحامل بعد الاسبوع الخامس والثلاثين . والسبب الوحيد لذلك هو خشية الولادة خلال السفر . وفي النساء اللاتى أنجبن الكثير من الأولاد فان الطلق والولادة قد يأتيان سريعا ، ولذلك فان هذه الفئة تنصح أكثر من غيرها بعدم السفر خلال الحمل .

ان السفر بطريق الجو أصبح آمنا ومريحا ، واذا كان للمسافر أي شك باحتمال أن يشكل سفره خطرا عليه فعليه أن يراجع طبيبه . كما أن الكثير من شركات الطيران الكبرى لديها أطباء متخصصون في هذا المجال ، وهم قادرون على اعطاء النصيحة . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

- بومباي .. تحت العاصفة
  استطلاع بالألوان ... سليمان مظهر

حمى البحر الأبيض المتوسط
د. محمد بركات

الميكروبات وفساد الغذاء النباتي
د. حسين العروسي

لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع
د. محمد سيد محمد

- ملف عن الجامعة العربية يشارك فيه: د. أسامة أمين الخولي - حلمي شعراوي

واقرأ:
- دفاع عن أبي حيان التوحيدي .. د. جعفر هادي حسن
- النقد الأدبي عند لسان الدين بن الخطيب .. د. إحسان عباس
- إصابات الرأس واللحظات الذهبية .. د. سامي محمد علي
- قناة البحرين .. خطر إسرائيلي قادم! استطلاع سليمان الشيخ

- كتاب الشهر : وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى! خليل العطية
- وجهاً لوجه : الطيب صالح وصلاح حزين
- البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:
د. محمد الرميحي - د. نبيه الغبرة - د. فخري إسماعيل - قاسم حداد
وليد أبو بكر - إبراهيم نصر الله - محمود منقذ الهاشمي - جمال وردة

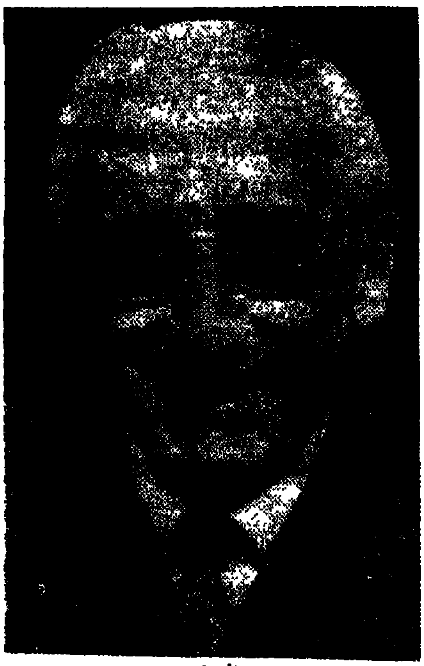
الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

(كوستو) في رحلة حول العالم

العالم الفرنسي جاك كوستو يبلغ من العمر ٧٤ عاما . . وقد تحدثنا عنه في عدد سابق بصدد اختراعه الجديد . . القارب الشراعي الآلي الذي يعتمد على الريح جزئيا)ويوفر . بذلك الكثير من البترول الذي يستهلك . . وقد دار حديثنا السابق حول الفشل الذي لقيه في رحلته التجريبية الاولى ، والذي اضطره الى العودة من حيث أتى . . مؤكدا أن التلف الذي حل بشراعه آنذاك كان سببه خلل اللحام الذي اكتشفوه عند قاعدة الشراع والذي أدى الى خلع ذلك الشراع أو كسره . . ولم يشك كوستو عندئذ بأن المسؤول عن ذلك الخلل كان احد العمال الذين أسهموا في بناء القارب . . وأن اختراعه سليم ١٠٠٪ كما ستدل على ذلك التجربة الثانية . .

وبدأ كوستو تجربته الثانية هذه في أواسط شهر مايو الماضي (١٩٨٥) وانطلق بقاربه الجديد (الكيون) من لاروشيل في فرنسا الى نيويورك . . فهو اذن ينوي قطع المحيط الاطلسي باعتباره المرحلة الاولى من رحلته . . وسيواصل الابحار بعد ذلك في اتجاه الجنوب حتى يصل الى كيب هورن في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ، ليدور حوله ويتجه بعد ذلك شمالا فغربا حتى يصل الى اليابان ومنها الى بيكيني وجزر انيوتوك المرجانية في أواسط المحيط الهادى . . حيث سيقوم بقياس الرواسب



جاك كوستو

الذرية التي يمكن أن يكون قد خلفها هنا التفجير النووي الامريكي الاول . وسيعود الى فرنسا بعد مضى سنتين ونصف السنة على مباشرته الرحلة .

وقد قال كوستو للصحفيين قبيل بدء الرحلة « ستقيم رحلتنا الدليل على أن قاربنا الجديد ـ المصمم والمصنوع في فرنسا ـ كفيل بتوفير الكثير من البترول الذي درجت السفن (غير الشراعية) على استهلاكه بمقادير كبيرة .

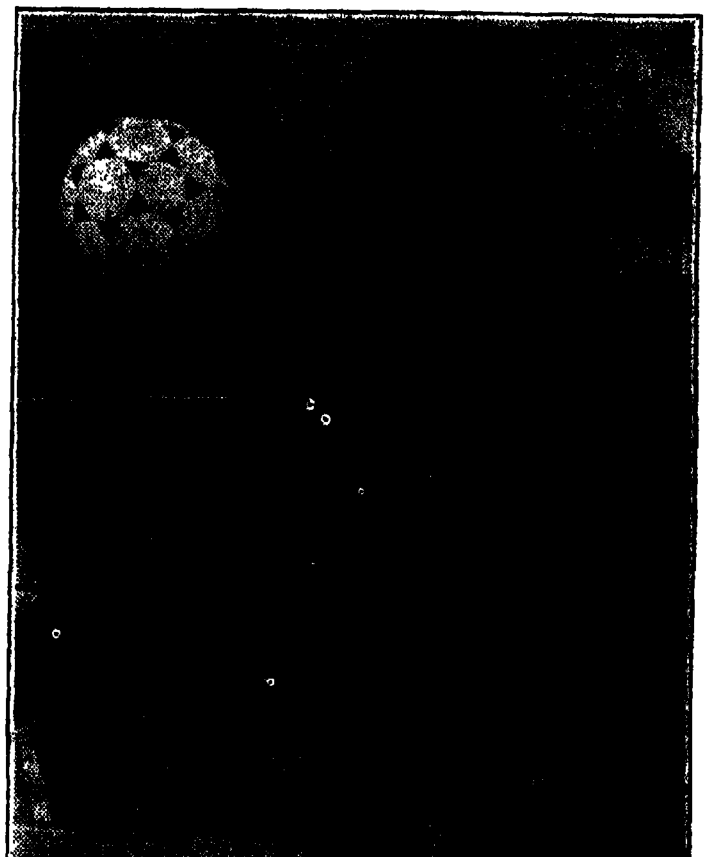
وحينما سئل عن قاربه (ألكيون) وعما اذا كان من القوة والمتانة بالقدر الذي

تتطلبه تحديات الرحلة ، أجاب « ان الكيون قارب صغير نسبيا ولايزيد على ٦٥ طنا . . ومجهز بمحركين ديزيل وتوربينات رياح جعلت على هيئة مداخن بطول ٣٠ قدما ، ولكنه جرب قبل عشرة أيام حين ابحر في يوم عاصف بلغت سرعة الريح فيه ٢٧ عقدة . . واحرز الكيون سرعة ١٠,٥ عقدة في تلك الريح القوية . . ولم يستهلك القارب سوى قطرات معدودة من الوقود وهي التي يحتاجها تسيير محركات الشراع الضرورية لبدء عملية امتصاص الهواء » .

وتجدر الاشارة الى أن الرئيس ريجان سيستقبل كوستو ويقلده وسام الحرية،أعلى الجوائز المدنية التي تمنحها الولايات المتحدة الامريكية وذلك في ٢٣ يونيه . .

قصة نجاح . . بطلها عربي مغترب

يعجب الانسان والانسان العربي بالذات ، للنجاح الفائق أو النبوغ ، الذي تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة والعاملة في شتى البلدان الاوروبية والامريكية . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا يتعذر على هذه الأدمغة مثل هذا النجاح فيها لو بقيت تعمل في المحيط العربي ، او في حالة عودتها اليه في هجرة معاكسة ؟ وقصص نجاح العرب المغتربين كثيرة ، ويكاد لايمضي شهر واحد دون أن يفاجأ المتتبع لها بقصة أخرى جديدة .



وقصة النجاح التي نود استعراضها هنا باختصار وقعت في بلاد السويد ، حيث توجد شركة استرا لصناعة الادوية ، اكبر شركات الأدوية في السويد . . وحيث توجد شركة فرمنتا المتفرعة عن شركة استرا ، والمختصة بانتاج البنسلين وشتى المستحضرات التي تتطلبها المضادات الحيوية ، فقد مرت شركة فرمنتا هذه بأزمة خانقة .

وفجأة انقلبت الأوضاع رأسا على عقب وحققت شركة فرمنتا - دون غيرها من النجاح مالم يكن في الحسبان .

ذلك أن رفعت السيد (٣٩ سنة) ، العالم المصري والخبير في شؤون ادارة الاعمال ، اقدم على شراء شركة فرمنتا سنة ١٩٨٢ . وحسبك الارقام الموجزة التالية لتقدر مدى النجاح الذي أحرزته شركة فرمنتا منذ أن اشتراها وتولى ادارتها رفعت السيد .

السنة	المبيعات	الارباح او الخسائر
١٩٨١	٧٠ مليون كراون	١٠ ملايين كراون خسائر
١٩٨٤	٤٥٠ مليون كراون	٨٠ مليون أرباح

ورافق ذلك كله ارتفاع في قيمة اسهم شركة فرمنتا ، وقد بلغت في شهر مايو الماضي (٢٤٨) كراون للسهم الواحد ، اي ثلاثة أضعاف قيمته في سنة ١٩٨٤ .

والجدير بالذكر أن رفعت السيد عالم في الميكروبيولوجيا ، وقد درس في الولايات المتحدة وفي السويد وهو ذو طموح كبير ويتوقع لمبيعات فرمنتا ان تبلغ في هذه السنة (١٩٨٥) ١,٦٠٠ مليون كراون .

وقد توسعت الشركة السويدية وأسست لها فروعا في فرنسا والولايات المتحدة ، وذلك بعد أن اشترت المصانع المناسبة في تلك البلاد . وكان آخر ما اشتراه رفعت السيد الشركة الايطالية بيريل وهي شركة تصنع المستحضرات الصيدلانية ، فضاعف بذلك مبيعات شركته وعدد عمالها ، وكانت الزيادة ٧٦٠ مليون كراون .

ولعل في هذه القصة دليلًا لا على مواهب الفرد العربي وطاقاته فحسب ، ولكن على الدور الأساسي الذي يلعبه فن ادارة الاعمال ، ايضا ، فهو الفن الذي لاغنى عنه في الاعمال التجارية وفي الجامعات وفي اعمال الوزارات وفي كل مجال آخر من مجالات الحياة . . بما في ذلك الحروب . . . □

حقيبة يد

فتاكة وخبيثة

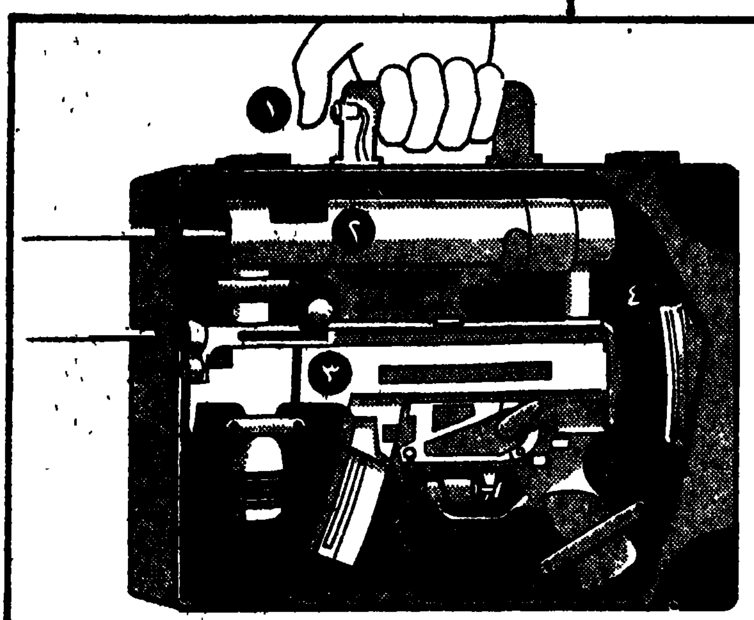
١ ـ زناد المسدس يضغط عليه بالابهام .

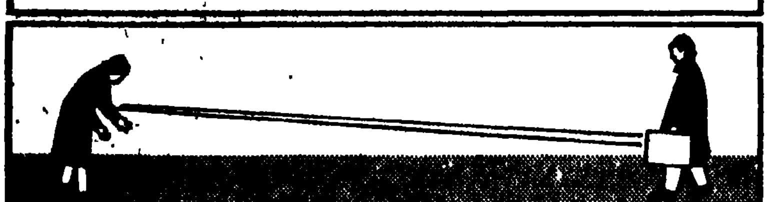
٢ ـ فيعمل جهاز التسديد بأشعة ليزر .

٣ ـ ويطلق المسدس عياراته على الهدف باحكام .

٤ ـ والحقيبه مجهزة بمخزن عيارات اضافية للمسدس ..

والجدير بالذكر ان هذه الحقيبة مستعملة على نطاق محدود ، وبخاصة في ايرلنده الشمالية .





علماء ومخترعون



السير الكسندر فلمنج ١٨٨١ ـ ١٩٥٥ مكتشف البنسلين

ظهر التداوى بالمركبات الكيماوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم اخذ يحل محل التداوى بالأعشاب فى مطلع القرن العشرين . . فقد نجح العالم الألمانى بول ارلنج سنة ١٩٠٧ فى تركيب (سلفرسان ٦٠٦) العلاج الفعال فى معالجة السفلس ، او ان شئت « الطلقة السحرية » كما سموه آنذاك ، وقفز التداوى بالكيماويات قفزة كبيرة سنة ١٩٣٥ ، حين نجح عالم المانى آخر ، هو جيرارد دوماج فى تركيب البرونتوسيل ، عماد مركبات السلفا ، وهى التى نجحت فى معالجة عدد من الأمراض القتالة حتى سميت « الادوية العجيبة » وحسبك انها قضت على امراض التهابية Infectious عجزت عن معالجتها الأعشاب . ولكن التداوى بالكيماويات دخل عصره الذهبى باكتشاف البنسلين وسائر المضادات الحيوية .

فما هي قصة البنسلين هذا ؟ وما هى قصة مكتشفه السير الكسندر فلمنج . . عالم الجراثيم الاسكتلندى المعروف ؟ .

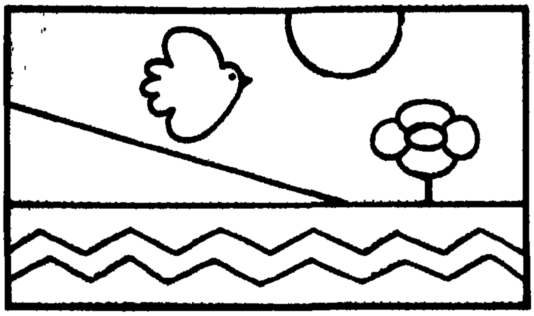
ولد الكسندر فى بلدة لوخفيلد سنة ١٨٨١ ، وتخرج من كلية الطب التابعة لمستشفى سان مارى فى لندن ، ثم التحق بجامعة لندن ، ومضى فى ابحاثه ودراساته للمواد الكفيلة بقتل البكتريا ومعالجة الأمراض الناشئة عنها ، دون الاضرار بجسم الانسان . وواصل فلمنج ابحاثه بعد التحاقه بفرقة الجيش الملكية الطبية . وما لبث ان عاد الى كلية سان مارى ، ثم شغل منصب البروفسور المحاضر فى كلية الجراحين الملكية فى لندن ، كان ذلك سنة ١٩٢٨ وهى نفس السنة التى اكتشف فيها البنسلين .

وتجدر الاشارة الى أن البنسلين لم يكن أصلا من المركبات الكيماوية ، بل كان مادة عضوية ، أو بكتريا على وجه التحديد ، فهو اذن بكتريا تقتل بكتريا أخرى وتقضى على الأمراض الناجمة عنها .

ثم جاء الكسندر فلمنج سنة ١٩٢٨ وراح يركز تجاربه على بكتريا Staphilococci فلفت نظره ذات يوم وجود تلك البكتريا فى مواضع من أطباق المختبر وعدم وجودها فى مواضع أخرى من تلك الأطباق . ولاحظ العالم ان المواضع الخالية كانت تعج باشياء اخرى غير البكتريا . . بفطريتين من سلالة واحدة بالذات هى سلالة بنيسيليوم (Penicillium) ويعنى اسمها اللاتينى هذا : « فرشاة الدهان » وقد اطلقوه على تلك السلالة لان شكلها يشبه الفرشاة .

غير ان بنسلين فلمنج هذا لم يكن دائم الفاعلية ، اى ان فاعليته كانت بحاجة الى تثبيت قبل أن يصبح العقار المعتمد الموثوق به . ونجح عالمان آخران حيث فشل فلمنج وقد تسنى لهوارد فلورى النمساوى ، وارنست تشين ، الالمانى تثبيت فاعلية البنسلين سنة ١٩٤٠ ، حتى أصبح بحق « العقار المعجزة » واستحق العالمان مشاركة السير الكسندر فلمنج فى جائزة نوبل فى الطب ، وقد ظفر بها الثلاثة سنة ١٩٤٥ .

وبدأ انتاج البنسلين على نطاق واسع فى أمريكا سنة ١٩٤١ ، اى عقب تثبيت فاعليته مباشرة وبذلك اكتسح التداوى بالكيماويات ميدان الطب اكتساحا ، وقد وجد الأطباء فى البنسلين ضالتهم المنشودة والعلاج الناجح لأمراض عديدة فتاكة ومستعصية نذكر منها التهاب السحايا والسفلس والالتهابات الرئوية والسل . □



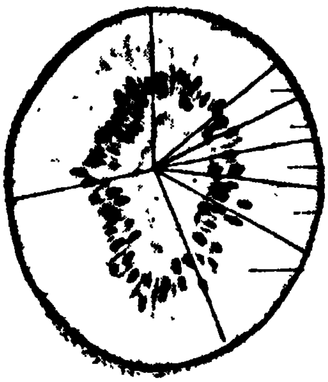
فاكهة الكيوى في نيوزيلندة

الكيـوى طير صغـير لا يطير . . يكـاد يكون مجهـولا لـدى أكـثر سكـان العـالم . . ولكنـه معروف ومألوف في نيوزيلنده . . ويحتل مكانة خاصة لـدى سكانها وحكـومتها حتى أصبـح يمثل الشعـار القومى لتلك البلاد البعيدة النائية ، التى لا يزيد عدد سكانها على ٣ر٢ مليون نسمة ولم يمض على ضمها الى بريطانيا سوى مائة عام تقريبا . .

على أن الاسم (كيوى) يطلق في نيوزيلنده على أشياء أخرى عـديدة ، نخص بـالذكـر منها فـاكهة الكيوى ، أو كما يسمونها هناك (الكيويفروت) ذلك أن هذه الفاكهة أصبحت محورا لثورة اقتصادية عارمة في تلك البلاد وقد تصبح عماد الاقتصاد الوطنى فيها قبل نهاية القرن العشرين . .

والجدير بـالذكـر أن نيوزيلنـده كانت ومـا زالت تعتمد على الماشية والأغنام في حياتها الاقتصاديـة ، فعدد أغنامها يربو على ٧٠ مليونا و ٧٠٪ من دخلها القومى انما يأتيها من تصدير اللحوم ومستخرجـات الالبـان . . ولكن هـذه الصـادرات استـوجبت في السنوات الاخيرة عون الحكومة ودعمها نظرا للمزاحمة الشديدة التى تلقاها في الأسواق العالمية . . وهكذا تراكمت الديون على حكـومة نيـوزيلنده وأصبحت صادراتها التقليدية مصدر ارهاق للاقتصاد الوطنى . . وبالتالى سببا في هبوط مستـوى المعيشة الـذى طالما اشاروا الى ارتفاعه بالبنان في وقت مضى .

واكتشفت الحكـومة فجـأة الكيـويفـروت ، بـل اكتشفت خواص الفاكهة المميزة لا الفاكهة نفسها . .



وقد كانت تزرع في احدى مناطق نيوزيلنده منذ زمن بعيد ، اكتشفت ان الكيويفروت غنى بالالياف المفيدة للجهاز الهضمى وغنى بالفتامين ، إذ تبلغ محتوياته من هـذا الفتامـين (٣) أضعاف محتـويات البـرتقال ، واكتشفـوا أيضا أن الكيـويفروت غنى بـالبوتـاسيوم والكالسيوم . . وانه بلا صوديوم وان سعراته الحرارية قليلة نسبيا . . هذا بالاضافة الى طعمه المستطاب وهو يشبه طعم الشمام . . والاهم من ذلك كله الارباح الكبيرة التى يتيحها لهم تصدير الكيويفروت . .

لا عجب اذن أن اقبلت حكومة نيوزيلنده بحماسة شديدة عـلى تشجيع زراعـة الكيويفـروت وتشجيع تصديره الى الاسواق العالمية . . وبدأت جموع الزراع تتحول عن زراعة الكثير من النباتات التى درجت على زراعتها لتركز على زراعة الكيويفروت .

وهكذا بلغت كمية ما صدرته نيوزيلنده من هذه الفاكهة ٢١ مليون طبق خلال السنة الحالية ولم تجاوز هـذه الكمية ٧ر١٣ مليـون طبق في السنة المـاضيـة

(١٩٨٤) وقَل مثل ذلك في الدخل الذي لم يزد على ٧٠ مليون دولار في السنة الماضية . . وقد بلغ ١٠٥ مليون دولار في سنتنا هذه (١٩٨٥) ، والظاهر ان الحكومة مصممة على مضاعفة كميات التصدير هذه لتصبح ٧٢ مليون طبق سنة ١٩٩٠ . والجدير بالذكر ان في نيوزيلنده وزارة أو سلطة خاصة بالكيويفروت . . يسمونها (سلطة الكيويفروت) وذلك منذ سنة ١٩٧٧

طريقة القضاء على النفايات الصناعية

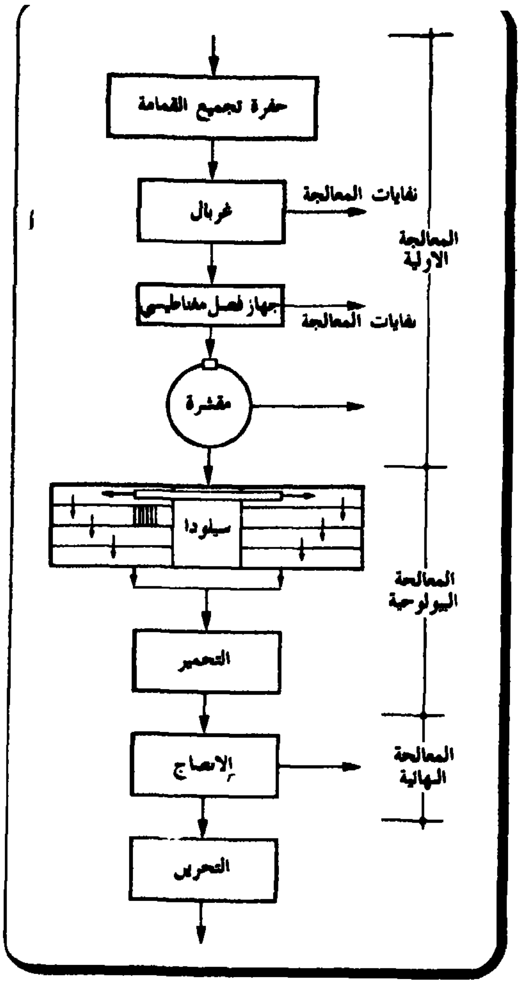
كانت النفايات الكيمياوية والصناعية مصدر قلق بالغ للعلماء الامريكيين والمختصين . . فما دامت مؤذية ، وقد تسبب الاصابة بالسرطان . . وما دامت المصانع قد امتنعت عن القائها في مياه البحار والأنهار والبحيرات منذ عام ١٩٧٠ . . فما السبيل اذن الى القضاء على تلك النفايات والتخلص من أذاها ؟

لقد درج البعض على طمر تلك النفايات ودفنها في باطن الارض . . ودرج آخرون على إحراقها على اليابسة . وظهرت مؤخرا طريقة جديدة مبتكرة . . احراق تلك النفايات في أعالي البحار ، بعيدا عن المدن والقرى المأهولة ويتم حرقها بواسطة سفن خاصة طُوِّرت لهذا الغرض بالذات وتضمن حرق النفايات بنسبة ٩٩٪ أو تزيد . . وهذه نسبة تفوق بكثير نسبة الحرق على اليابسة . . فالطريقة الجديدة اذن أكثر فاعلية فضلا عن كونها أقل كلفة . . .

على ان وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة لم تتخذ بعد قرارا نهائيا بصدد هذه الطريقة الجديدة .



● السفينة فولكانوس كما تبدو وهي ساكنة (الاطار الصغير) وكما تبدو وهي ماضية في حرق النفايات في بحر الشمال (الصورة الكبيرة) .



المراحل المختلفة التي تمر بها القمامة لتحويلها من ملوثات ضارة الى اسمدة مفيدة .
لفظ « سيلودا » ، هو الاسم الذي اختارته الشركة الفرنسية (أو تي في) (ماركة مسجلة) لاجهزتها وطريقتها الخاصة لمعالجة القمامة .



القمامة في مصانع التخمير والانضاج والتحويل الى اسمدة مفيده .

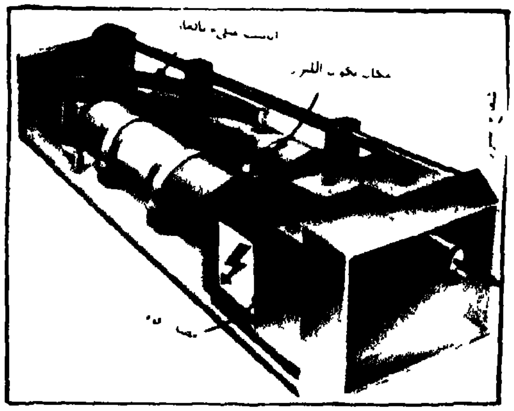
حرب شعواء على الخمر

يخوض الاتحاد السوفيتي حاليا ومنذ منتصف شهر مايو الماضى (١٩٨٥)حربا واسعة النطاق ضد المشروبات الروحية وضد المدمنين عليها . . فقد اتخذت السلطات عددا من الاجراءات المشددة وذلك في أعقاب حملة صحفية قامت بها الصحف ووكالة الانباء طوال اسبوعين .

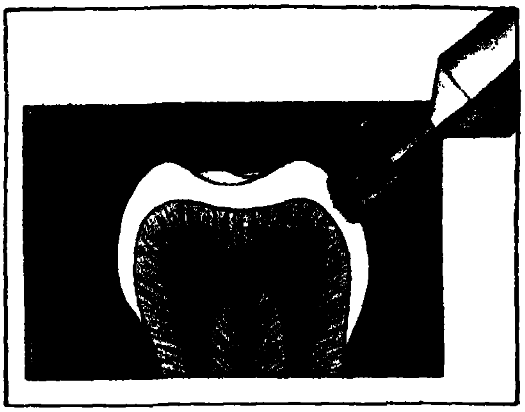
من تلك الاجراءات الحد من انتاج الفودكا . ومنها عقوبات صارمة لمن يشرب من الموظفين في اثناء الدوام . أما المخمورون من سائقى السيارات فيغرمون بمبلغ ١٠٠ روبل (= ٨٥ دولارا) وتسحب منهم رخصة القيادة لمدة قد تبلغ ٣ سنوات . أضف الى ذلك كله تحريم المشروبات الروحية تحريما مطلقا على الذين لم يبلغوا ٢١ سنة من العمر ، وكان هذا الحد في الماضى ١٨ سنة .

وتجدر الاشارة الى خطورة هذه الاجراءات ، فصناعة المشروبات الروحية صناعة حكومية في روسيا ولا يقل دخلها منها على ٤٠٫٠٠٠ مليون روبل ، أى أن ما تجنيه الحكومة منها يعادل ١٠٪ من الميزانية العامة على وجه التقريب . فالحد من هذه الصناعة يعنى ولا ريب خسارة كبيرة ومحققة للدولة .

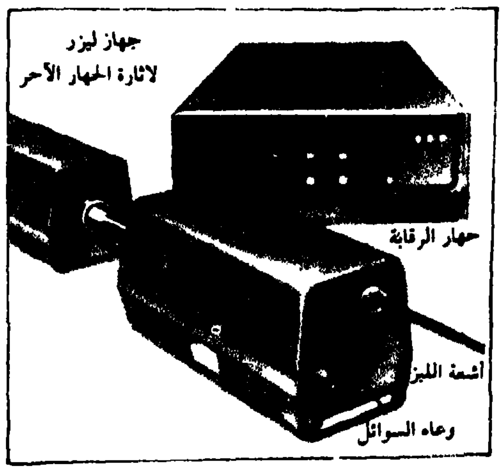
ويحتل الاتحاد السوفيتى مكان الصدارة بين الدول من حيث الادمان على الكحول ، ويعزى هذا الى نسبة الكحول العالية في المشروبات الروسية أكثر مما يعزى الى مقدار ما يستهلكه المواطن الروسى من تلك المشروبات سنويا ، وهو يبلغ ٤٫٥ جالون للفرد الواحد بالمتوسط . وحسبك ان عدد الوفيات بسبب الخمرة بلغ ٥١٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٨ ولم يزد على ١٢٥٠٠ نسمة سنويا في الستينيات . □



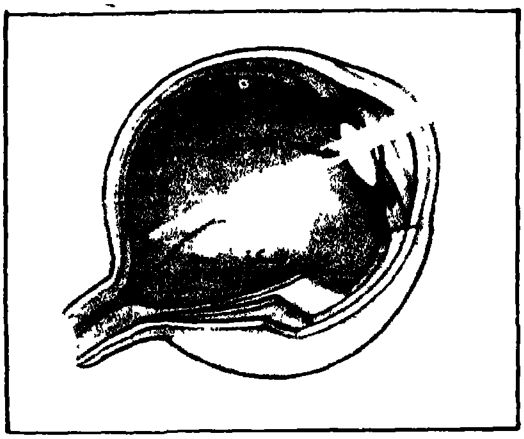
جهاز ليزر الغاز



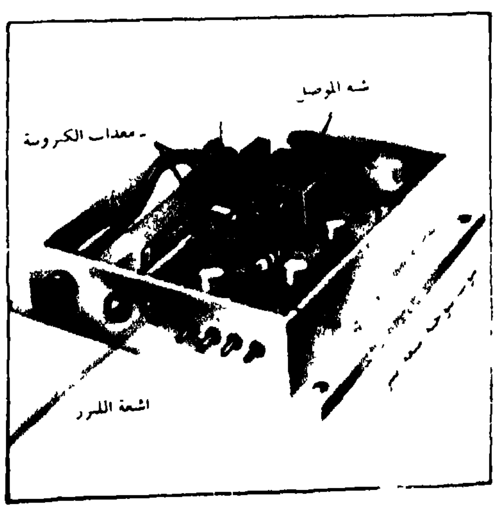
ازالة التسوس بأشعة الليزر



جهاز ليزر السوائل



لحام الشبكية بأشعة الليزر



جهاز ليزر المواد الصلبة



اجراء عملية جراحية في العين بأشعة الليزر

من فوق جسر بين

العرب وأفريقيا

استطلاع أبو محمود عبد الوهاب

تصوير : سليمان حيدر

« يعيش العالم مأزقا اقتصاديا حرجا ألقى بظلاله على الناس والحياة ، ووسط العلاقات غير المتكافئة ، فهناك من يحاول أن يعيد بعض التوازن الى العالم . . .

. . . جزء من الجوع . .

مقابل جزء من الشبع . .

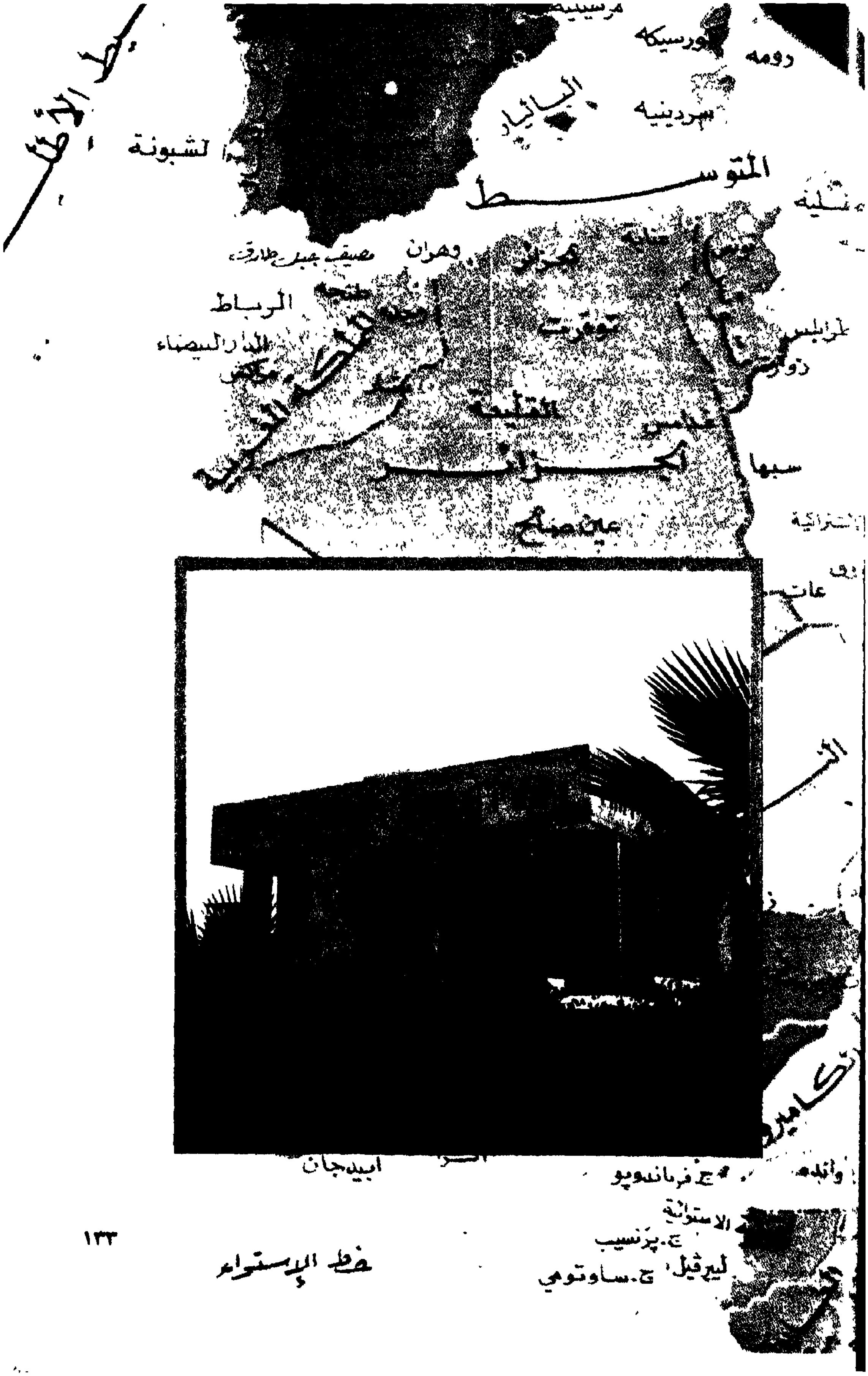
الجوع يتجول

الشبع يطير . .

الجوع ينام

الشبع يصحو

وهكذا التوازن يحمل البعض » . .



رومه
كورسيكه
سردينيه
البليار
لشبونة
المتوسط
وهران
مضيق جبل طارق
الرباط
الدار البيضاء
توقرت
طرابلس
سبها
الجزائر
عين صالح
ابيدجان
ج.فرناندوبو
الاستوائية
ج.برنسيب
ليبرفيل
ج.ساوتومي
خط الإستواء

في نصف العالم الشمالي يعيش ربع سكان العالم ، ويحظون بأربعة أخماس دخل العالم . . . وفي الجنوب يعيش ثلاثة أرباع يتقاسمون خمس دخل العالم فقط .

في الشمال متوسط العمر يقارب السبعين ، وفي الجنوب يموت طفل بين كل أربعة أطفال قبل بلوغ الخامسة ، في الجنوب ٤٠٪ من السكان لا شيء يشغلهم سوى محاولة البقاء على قيد الحياة ، والوفاء بحاجاتهم الأساسية ، في الجنوب . . . تتوقع أفضل التقديرات أنه سيكون هناك ٦٠٠ مليون كائن انساني يعيشون في حالة الفقر المطلق بعد ١٥ عاما فقط ، أي في عام ٢٠٠٠ مطلع القرن الحادي والعشرين .

ومحنة الجنوب هذه تعود جذورها الى عوامل كثيرة . . فالتخلف هو ابن شرعي للتاريخ المملتىء بفترات الاستعمار واستنزاف الموارد ، والتفاوت الاقتصادي لا يقتصر على تفوق الشمال من حيث الثراء ، أو تراكم الأرصدة ، هذا المعنى البسيط للثروة ـ ولكن التفاوت يكمن في شكل الثراء المعقد ـ القوة الاقتصادية ـ فما يزيد عن ٩٠٪ من منشآت الصناعة التحويلية في العالم مقره دول الشمال ، وأغلب حقوق الاختراع وفنون الانتاج الجديدة ملك لشركات شمالية ، والشركات المتعددة الجنسية تملك الجزء الأعظم من النشاط الاستثماري في العالم ، وتتحكم في التجارة الدولية سواء في المواد الاولية أو في المنتجات المصنعة ، وهذه القوة التي خلقت التفاوت هي التي مكنت دول الشمال الغنية من فرض سيطرتها على النظام الاقتصادي الدولي وعلى هيئاته الدولية في ميادين التجارة والنقد ، وكما يحدث في المجتمع المحلي البسيط عندما تزداد حدة التفاوت الاجتماعي والنفوذ بازدياد عناصر القوة الاقتصادية ، فقد شهد العالم تعاظما في نفوذ دول الشمال الغنية من .وازديادا في شكل السيطرة وامعانا في الدفاع عن مصالحها أيا كان الثمن . . ومهما بلغت فداحته حتى لو كانت موت ملايين من البشر . .

وكلما ارتفعت أصوات فقراء العالم مطالبة باسقاط الديون عنهم ومدهم بمعونات للبدء في مشروعات جديدة تخلق فرص عمل . . لتحسين الحياة الاجتماعية وتزويدهم بالتقنية الحديثة والتدريب عليها . . قابلتها مصالح الأغنياء . . تطالب بمزيد من المواد الأولية الرخيصة . . ومزيد من التسهيلات التجارية والجمركية ، لاغراق أسواق الفقراء بالسلع المصنعة ، والمطالبة بمزيد من تخفيض قيمة العملات الوطنية . .

وبين أصوات الفقراء ومصالح الأغنياء . . مساحة هائلة من الاختلاف لن تنتهي.وتكرس الفقر والأزمة في الجنوب . . فقر يدق العظم . . وأزمة بلغت ذروة المحنة بالفقراء الذين يموتون جوعا .

والجنوب الذي نعنيه هو دول العالم النامي التي يتفاوت الفقر فيما بينها ، وتختلف حدة الأزمة الاقتصادية فيها . إلا أنها ـ دول العالم النامي ـ تشترك في نفس المشاكل ، مستوى دخل منخفض ، قلة فرص عمل ، سوء حال الخدمات الاساسية (اسكان ـ صحة ـ تعليم ـ مواصلات) قلة استثمارات واردات تفوق قدرة التصدير ، وفي جملة القول تعاني بلدان العالم النامي مشكلة تنمية حقيقية .

الاتجاه نحو الجنوب

ميراث وتاريخ طويل . . يقف خلف مأساة الجنوب التي هزت العالم أوائل هذا العام . . بجيوش الموتى جوعا ، ولقد كانت تراكمات التاريخ منذ عصر المستعمرات ، وكل قصص الوحشية والاستعباد التي مارسها الغازي الابيض جزء أساسا في خلفية ما يحدث اليوم ، وحتى في التاريخ الحديث ، وتحديدا بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما بدأ العالم يعيد النظر في بقاء المستعمرات . . فان جلاء الجنود بأحذيتهم لم يكن الا بعد ربط المستعمرات اقتصاديا وسياسيا ، وتأمين تبعية ملائمة . . وكان أكبر ضمان لدول الغرب هو سوء الوضع الاقتصادي الذي كان استمراره ضمانا أكيدا لرواج سيطرة الغرب . . فالجنوب هو السوق الواسعة المتعطشة والكثيرة العدد، وهو منبع المواد الخام الأولية اللازمة لدوران عجلة الصناعة بل استمرار الحياة نفسها . وبدأت دول الغرب في تطبيق .سياسة افقار الجار التي كانت تمارسها بلدان اوروبا فيما بينها حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، وظهور النظريات الاقتصادية الجديدة وثبوت بطلان فعالية هذه السياسة .

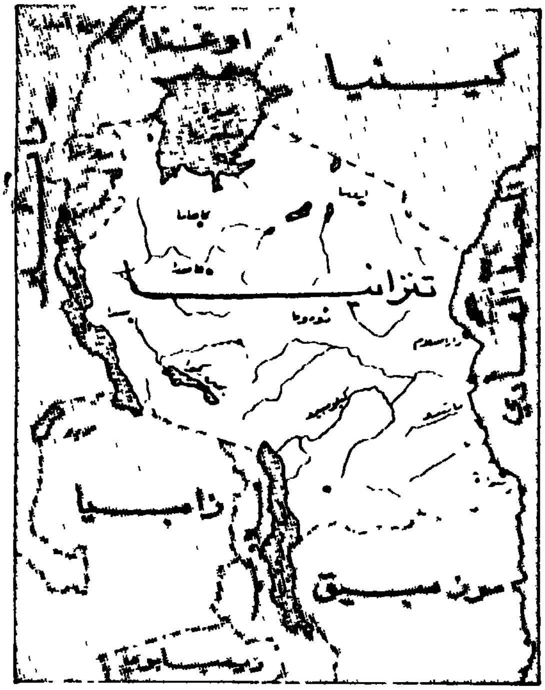
ولم تكن دول الغرب حسنة النوايا تجاه الجنوب ، وما يردده البعض من ضرورة اسهام الدول الصناعية المتقدمة في دعم ومعاونة الدول النامية للخروج من أزمتها دعوة مشكوك فيها لأن تقدم ونمو البلدان النامية ضد مصالح البلدان المتقدمة .

ولعل خير دليل على صحة هذه الرؤ يا هو ماحدث من قبل منظمات المساعدة الغربية،فعقب الحرب العالمية الثانية اجتمعت الدول الغربية في مدينة بريتون ودز بمقاطعة نيوهامبشير عام ١٩٤٤ وتم الاتفاق على انشاء البنك الدولي للانشاء والتعمير ، ومهمته أن يتولى تقديم القروض لاعادة بناء أوروبا واليابان والدول النامية . وصندوق النقد الدولي ومهمته تنظيم العملات وتحقيق الثبات في اسعار الصرف للعملة ، وتوفير غطاء من السيولة ليخدم حرية العلاقات التجارية ، وبينما قامت هاتان المؤسستان بدورهما كاملا لاعادة تعمير أوروبا فان دورهما تجاه بلدان العالم الثالث أقل ما يوصف به أنه شديد السلبية .

واصبح السيناريو « معروفا بكيفية تقديم البنك أو الصندوق » وصفة لعلاج الاقتصاد الوطني في بلد ما مقابل إعطائه القرض أو الايعاز لبيوت المال العالمية باقراضه وكثيراً ما تأتي نتائج هذه . . الوصفة بآثار وخيمة . . وكثيراً ما تتواءم نتائجها مع مصالح الاقتصاد الغربي . وهكذا وجدت دول العالم النامي نفسها أمام طريق مسدود . . الأزمة تشتد،وتراكم المشكلات يولد مشاكل جديدة ويفجر القديم . . وتتوالى التراكمات . .

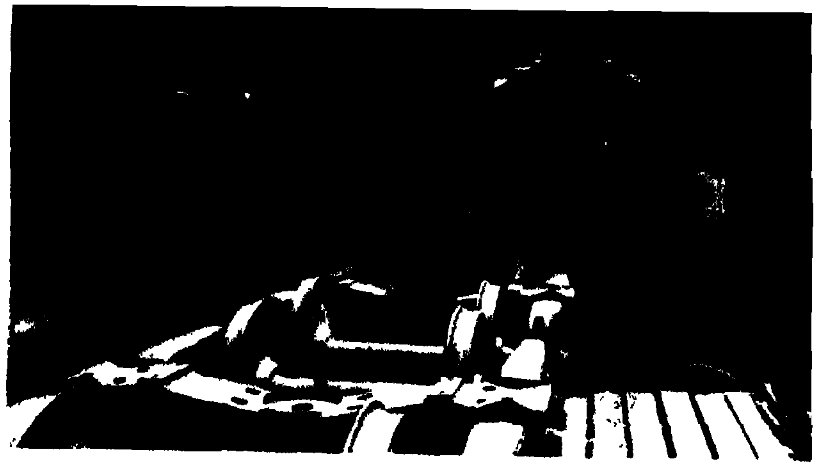
مازلنا نتجه جنوبا

يقع الوطن العربي على امتداده ضمن دائرة الجنوب . . وقد تكون آثار محنة الجنوب ليست واضحة تماما ، ولكن الجفاف والجوع اللذين اقتربا من حدوده في السودان مَاهُمَا إلاّ منبهين لكي نظل متذكرين اننا في دائرة الجنوب والمحنة ليست في الجوع ولكنها تكمن قبل ذلك في مؤشرات وأزمات كبيرة . . فأزمات الاسكان وسوء حال المرافق الأساسية وانخفاض مستوى الدخل . . وسوء الرعاية الصحية . . وقلة فرص العمل ، وتوازن الصادرات

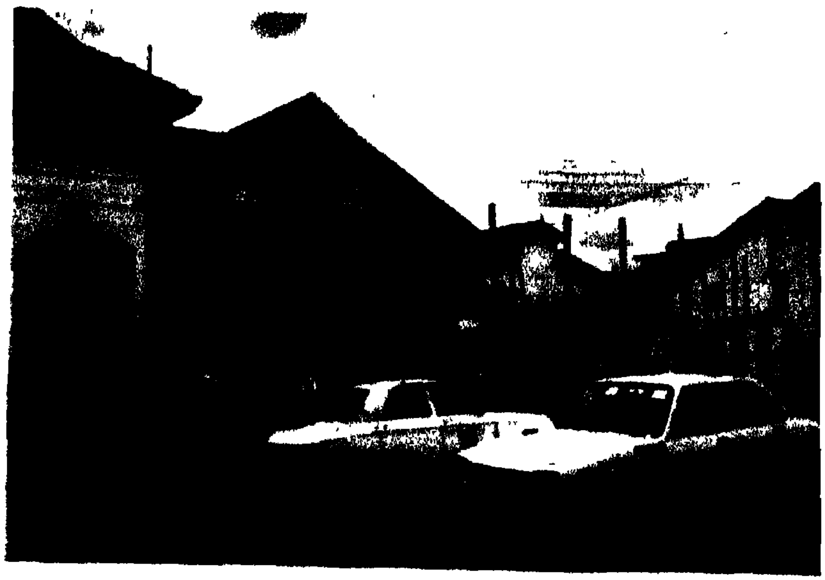


خريطة تنزانيا توضح موقعها وجيرانها وأهم المدن بها

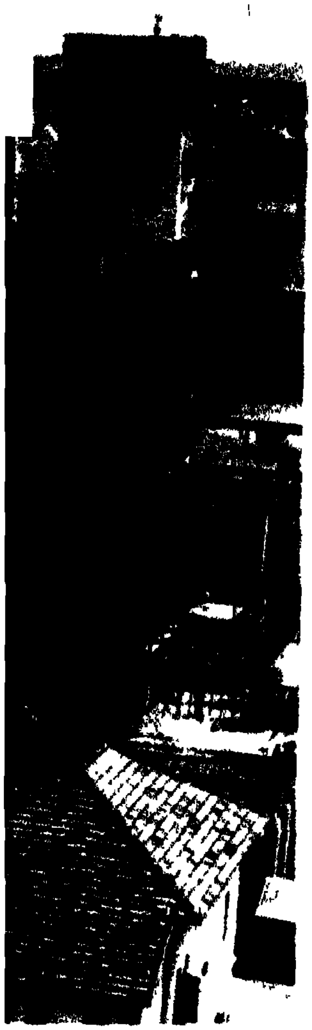
والواردات وعدم قيام نشاطات انتاجية بما يمثله هذا من فرص عمل الى آخر كل عوامل الأزمة الاقتصادية التي لا ينكر أحد أن الوطن العربي يعيشها بدرجات متفاوتة ولعل الدول العربية الاكثر حظا هي دول النفط العربية التي تجاوزت هذه الازمة الا انها ووفق المؤشرات الدولية تدخل ضمن بلدان العالم النامي رغم ارتفاع مستوى دخل مواطنيها وتمتعهم بأفضل رعاية اجتماعية ممكنة من اسكان وتعليم وصحة ومشروعات البنية الأساسية المتكاملة (طرق مواصلات،مرافق) . . . رغم هذا فان الوطن العربي يعيش أزمة العالم النامي بكل ما فيها من اختناقات وقروض وديون ، ومحاولة جذب دائمة الى فلك التبعية . فمنذ بدء استقلال هذه الدول وهي تجد نفسها دائما في معارك لا تنتهي من أجل البحث عن تمويل مشروعات التنمية . . وكثيرا ما كانت تجد نفسها أمام وصفة البنك الدولي وصندوق النقد ، وكثيرا ماكان يطلب من أقطارنا التنازلات ، فان كان



ورشة الصيانة في سكك حديد تنزانيا التي أسهم الصندوق الكويتي في تمويلها



محطة سكك حديد دار السلام . . مبنى شديد التواضع من الخارج والداخل .

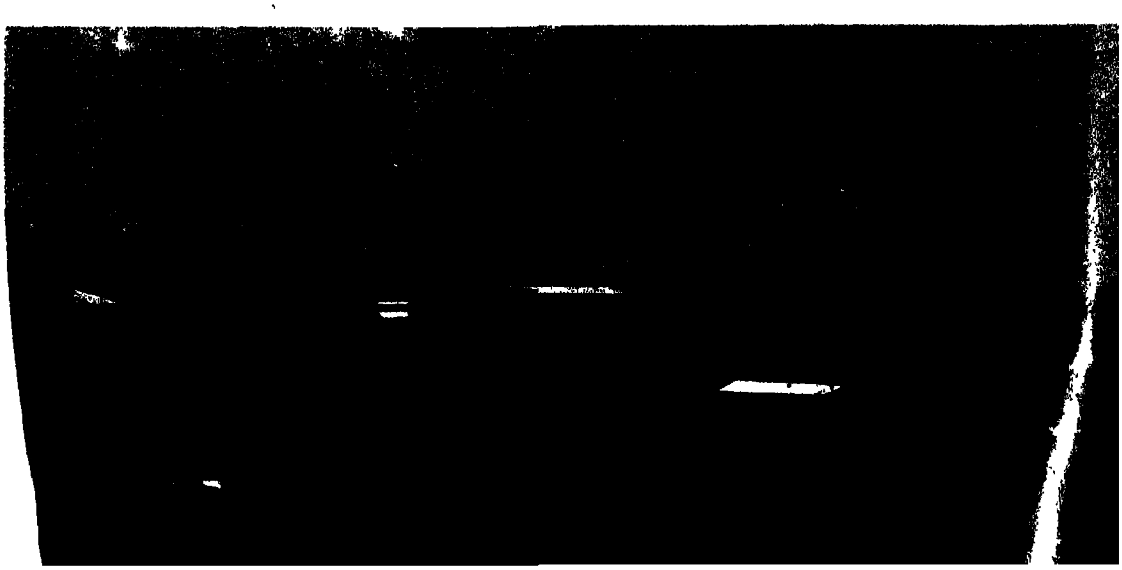


خلف هذا الجمال الخادع يختبيء الفقر والأزمة وشوارع دار السلام المهملة .



عامل تنزاني يعمل بيده على خريطة جديدة لقد عرف الآلة وتعامل معها .





الوطن العربي يعيش مأزق الجنوب الفقير فانه يعيش ايضا مأزق صاحب الموقع الأخطر وعند صراع المصالح ويل للأضعف . . واقسى الويل للاضعف اذا كان لديه امتياز ما وكان واقعا في براثن الاحتياج . ولعله جزء من التاريخ القريب حين حاول البنك الدولي ان يلوي ذراع مصر في أواخر الخمسينيات للحصول على قرض لتمويل بناء السد العالي . . وليس سرا الآن أن شكل الاعتراض الاقتصادي حول عدم جدوى المشروع . . وعدم مقدرة الاقتصاد المصري على الوفاء بالقرض . . ليس سرا ان هذه الاعتراضات كانت ردا على موقف سياسي وعدم استجابة لضغوط سياسية . . وجاء الرد على هذا الموقف ، والتفنيد بعد ربع قرن عندما أنقذ هذا المشروع مصر من زحف الجفاف !! .

بقعة ضــوء

لا أحد يدري هل كانت هذه التجربة ماثلة في ذهن صانع القرار . . بالقطع لم تكن هذه التجربة سوى جزء صغير على هامش التفكير . . ولكن الشيء اليقيني أن القرار كان جريئا وجديدا وخطيرا . كان ذلك في شهر ديسمبر عام ١٩٦١ وبعد اعلان الاستقلال بشهور قليلة صدر مرسوم أميري يعلن فيه أمير دولة الكويت انشاء « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للبلاد العربية الشقيقة في تمويل مشروعاتها ، وتحدد للصندوق ٥٠ مليون دينار كويتي كرأس مال

في هذا الوقت وبهذا التوقيت يصبح المرسوم شهادة ميلاد لأول مؤسسة من مؤسسات الدعم الثنائي في العالم الثالث ، فلم يكن العالم الثالث حتى ذلك التاريخ - ولزمن طويل بعد ذلك قد عرف مؤسسة اقتصادية مستقلة تقدم الدعم للدول من داخل العالم الثالث ، فقد كان هذا الامر حتى ذلك الحين مقصورا على دول الشمال والغرب .

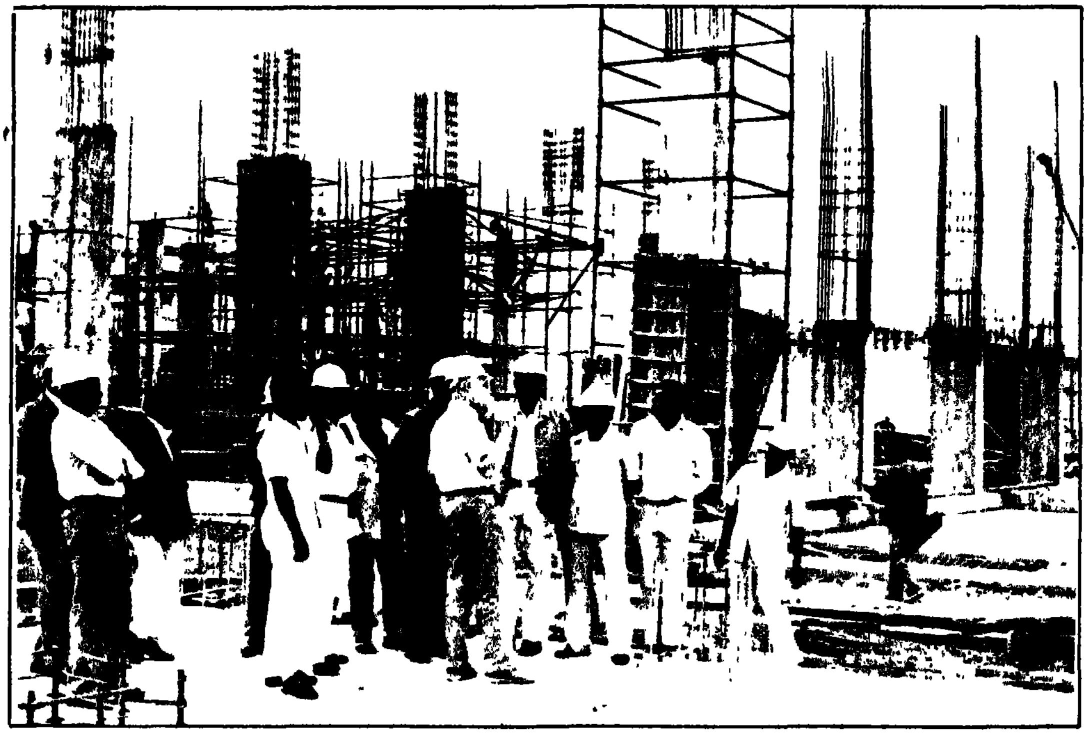
ومن هنا فقد جاء القرار جريئا وجديدا وخطيرا .

بدر الحميضي نائب رئيس مجلس ادارة الصندوق يتحدث عن نشأة الصندوق وتطوره فيقول : « عقب الاستقلال مباشرة أدركت الكويت أهمية توثيق علاقاتها العربية ، ايمانا بفكرة مازالت قائمة الى اليوم وهي أن أمن الكويت وازدهارها يكمن في ازدهار وتنشيط علاقاتها العربية،ومقولة « الكويت بلاد العرب قديمة قدم تاريخ الكويت ، وكان اتخاذ القرار عشية الاستقلال - ومازالت الدولة في طور تدعيم انشاء مؤسساتها - يتفق مع هذه النظرة العربية القومية ، ورغم ان موارد البترول في ذلك الحين كانت قليلة جدا فبرميل النفط في ذلك الحين كان يتراوح سعره من ١,٥ - ١,٧ دولار ، الا ان كل هذا لم يمثل عائقا أمام انشاء الصندوق ، وباشر الصندوق عمله . . وظل لفترة طويلة تزيد على عشر سنوات هو المؤسسة العربية الوحيدة التي تقدم الدعم والمعونة لمشروعات التنمية في البلاد العربية ، ومنذ اليوم الأول فقد وضع الصندوق سياسة عامة له تتلخص في « اننا نعمل بعيدا عن الهموم والخلافات السياسية وان غرض الصندوق هو تقديم الدعم والمساعدة غير المشروطة . . لتحقيق انحازات لها الاولوية في خطط التنمية .

وفي يوليو ١٩٧٤ صدر قرار بتوسيع نشاط الصندوق ليشمل كل دول العالم ، فأصبح يشمل نشاطه تمويل المشروعات والبرامج الانمائية في افريقيا وآسيا ومحيط الباسيفيك ، وتقرر زيادة رأس المال الى ١٠٠٠ مليون دينار ثم تضاعف بعد ذلك الى ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي في عام ١٩٨١ والتزم الصندوق ايضا بنفس السياسة والتي اصبحت منهجا وخطا اساسيا للصندوق . . ونحن نقدم الدعم والمساعدة من أجل التنمية . ولقد أثمرت هذه السياسة من حيث العلاقات الطيبة والوطيدة التي نشأت بين دول العالم والكويت ، وفتحت المجال للكويت الدولة أن تمارس دورا مميزا ومؤثرا في العلاقات الدولية ، وأعطتها مساحة تقدير كبيرة لدى دول العالم الثالث بشكل خاص .

نحن جزء من ذلك العالم

مازلنا نتابع السيد بدر الحميضي وهو يشرح لنا سياسات الاقراض وقطاعاتها فيقول : كان واضحا لدينا بأننا جزء من ذلك العالم بكل مشاكله وآلامه ، وبكل ما فيه من خير وشر ومصالح وصراع . . ومن



في أحد مواقع سد ميتز الكهربائي خبير ايطالي يشرح خطوات العمل بالتفصيل لمجموعة من الكوادر الفنية .

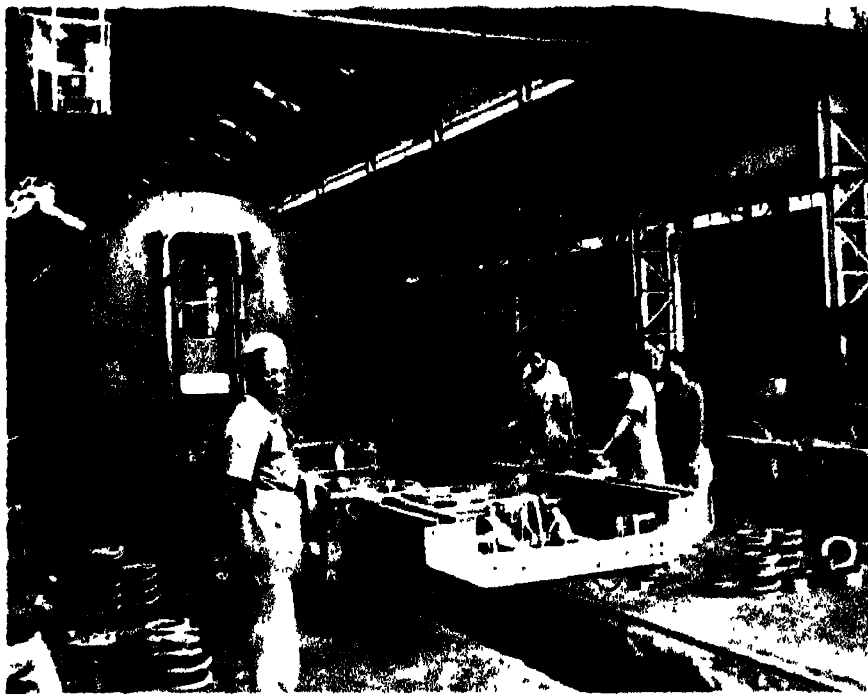
هنا كانت سياسات الاقراض التي يتبعها الصندوق تراعي وتتوخى دائما مصالح البلدان الاخرى ، وبالطبع عصرنا هذا ليس عصر ملائكة أو انبياء ، وعندما اقول اننا نتوخى مصالح الدول المقترضة فليس معنى ذلك اهمال حقوق الصندوق ولكن لأن جزءا كبيرا من مشاكل البلدان النامية يكمن في الادارة فقد حاولنا أن نقدم المشورة غير الملزمة من اعداد الدراسات الاستطلاعية للمشروعات الى اعداد دراسات الجدوى وتوفير الخدمات الفنية والاستشارية ثم بعد الاتفاق على المشروع والتمويل نقدم القرض بشروط ميسرة جدا ، فسعر الفائدة في الصندوق يتحدد حسب طبيعة المشروع ومدته وقيمة القرض ، وهو يتراوح بين ٠,٠٥ الى ٥٪ ومدة القرض بين ١٥ - ٤٠ سنة بفترة سماح من ٣ - ١٠ سنوات .

ودعني اسوق لك مثالا على اننا نتوخى مصالح البلد المقترض كي ازيدها ايضاحا ونلقي ضوءا على مفهومنا نحو العالم النامي الذي ننتمي اليه جميعا . لنفترض أن هناك مشروعا لاقامة شبكة طرق برية ، وتولي الصندوق اعداد الدراسات - التي تتم مجانا - وادارة القرض ، عندما نطرح اعمال الانشاءات فاننا نعلن بصراحة أن الأولوية لشركات المقاولات الوطنية في ذلك البلد ثم لشركات المقاولات من دول العالم الثالث ، لماذا ؟ لأنه عندما تتولى شركة وطنية التنفيذ فهناك جانب هام بخلاف العائد المادي وهو التدريب والتأصيل للاضطلاع بمشروعات كبرى . فهو تطوير لها من حيث الكفاءة والعمل ، وهذا دور هام جدا ، والمستفيد بالدرجة الاولى وعلى المدى البعيد هو البلد المقترض والا فليس أيسر من اسناد المشروع الى شركة عالمية - مهما كانت جنسيتها - ومع الاشراف والمتابعة ستقوم بتنفيذ المشروع وانتهى الامر ، وهذا يحقق مصالح البلد بتنفيذ المشروع ومصالح الصندوق ، ولكن هناك المسئولية الادبية والالتزام والا نكون قد انفصلنا عن العالم الذي نحن منه .

ويتضح المعنى اكثر من خلال القطاعات التي يتولى الصندوق التركيز على تمويلها ، فنحن في الصندوق - والحديث مازال لنائب رئيس مجلس الادارة - نركز على قطاعات وسائل الاتصال ، من طرق وموانٍ وسكك حديدية وهاتف وبرق ومطارات ، وفي افريقيا نركز



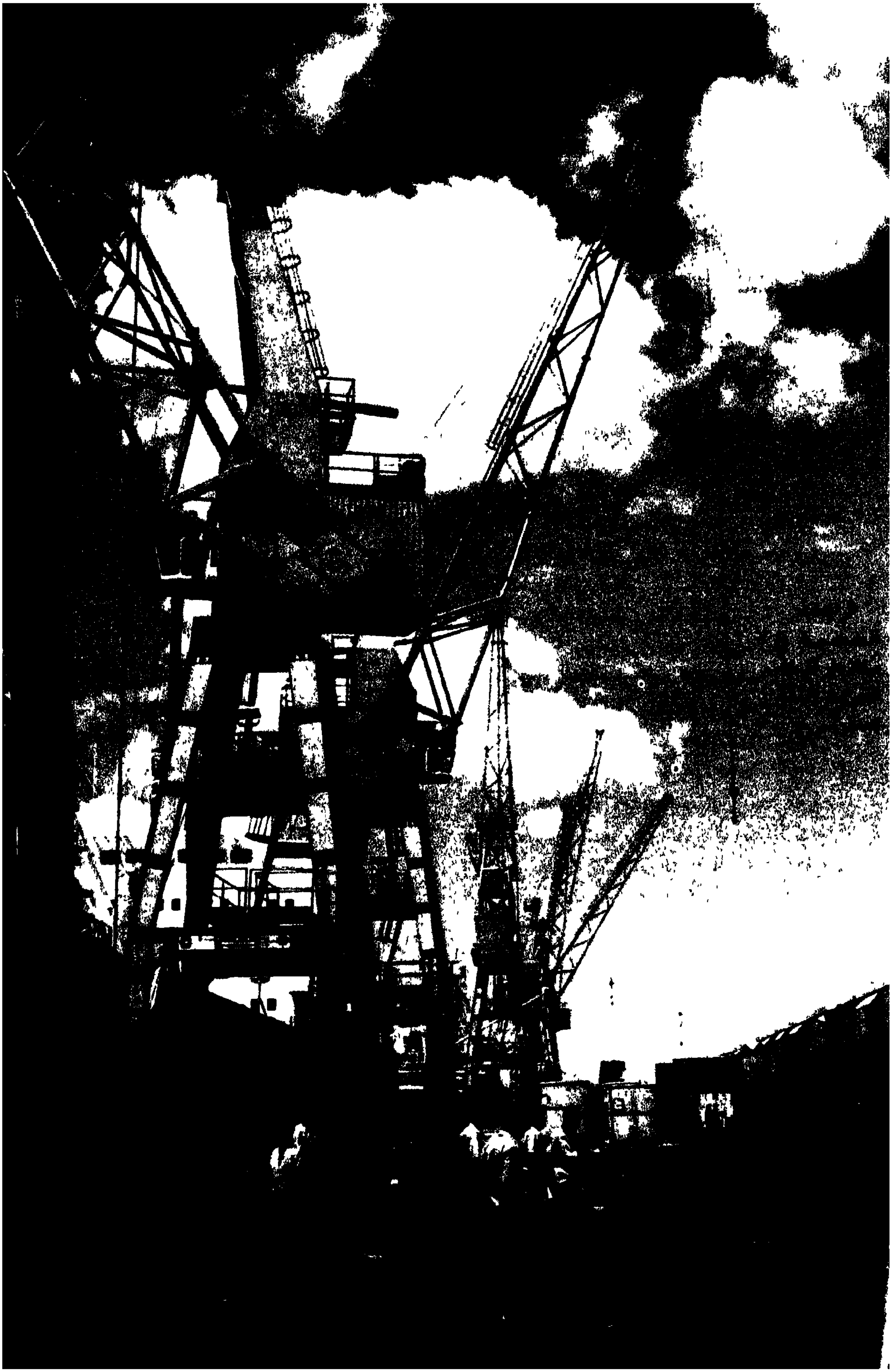
مهندس بورشة الصيانة يشرح للعمال كيف التشغيل .



عمال متخرجون من معهد التدريب المهني والذي ساهم الصندوق في تمويله .

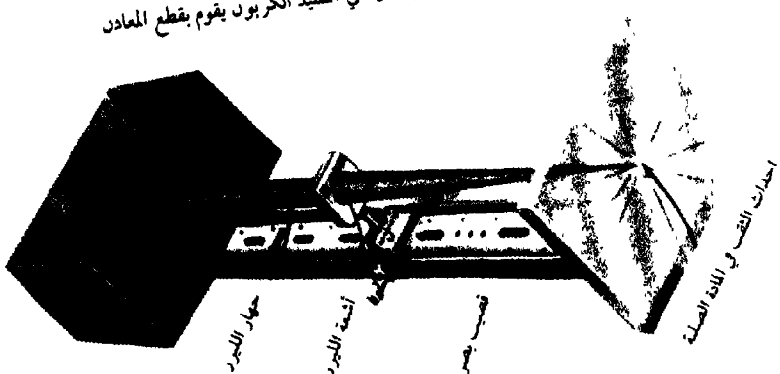


صيانة الآلات القديمة جزء من خطة للتطوير .





جهاز ليزر قوي يعمل ببخار ثاني أكسيد الكربون يقوم بقطع المعادن



جهاز ليزر
يستخدم في
ثقب المواد الصلبة



تدمير الأقمار الصناعية
المعادية بأشعة الليزر

بالاضافة الى ما سبق على مشروعات توفير المياه والمشاريع الغذائية ، وهذه هي توجهات وسياسات الصندوق في الاقراض وهي كما ترى مشروعات غير تجارية . . أي لا تدر عائدا بقدر ماهي مشروعات هامة لأي خطط للنمو والتنمية . . فأهمية مشروعات البنية الاساسية فوق انها ذات تكلفة عالية الا انه بدونها لا يمكنك القيام بمشروعات تطوير الاقتصاد والرعاية الاجتماعية .

قراءة في الوثائق

رغم أن السبعينيات قد شهدت انشاء عدد من مؤسسات الدعم العربية الا ان الصندوق الكويتي يبقى متميزا وأكثر اسهاما من كل المؤسسات الاخرى سواء بفضل الريادة والسبق أو حجم المساعدات وقيمتها أو من تنوع البلدان وانتشار مساعداته على خريطة العالم .

ولعل الأرقام وهي لغة لا تكذب هي التي تؤكد هذا دون أي شك ، فماذا تقول الأرقام من واقع وثائق الصناديق والمؤسسات العربية ؟ .

بلغ عدد قروض الصندوق الكويتي منذ انشائه وحتى عام ١٩٨٤ (٢٥٧) مشروعا ، وتقدر قيمة القروض بـ ٢٢٨ ر ١٢١٤ مليون دينار كويتي . وكان توزيع المشروعات كالاتي ١٣٣ مشروعا في البلاد العربية ، و ٦٥ مشروعا في افريقيا و ٥٤ مشروعا في آسيا وخمسة مشروعات في دول اخرى .

ولعل مقارنة أرقام قروض مؤسسات التنمية العربية مع ما قدمه الصندوق الكويتي للتنمية يوضح هذا التفوق والسبق للصندوق ، فقد بلغت قيمة القروض نهاية عام ١٩٨٢ الآتي : البنك الاسلامي ٢٤٥١,٠٤ مليون دولار ، صندوق ابوظبي ١٠٠٤,٢٣ مليون دولار،صندوق الاوبك ١٦٢٨,٨٩ مليون دولار ، الصندوق السعودي ٣٧٨٥,٨٩ دولار ، الصندوق العراقي ١٧٣٣,٠٢ مليون دولار ، الصندوق العربي ١٥٦٥,٦٢ مليون دولار ، المصرف العربي ٤٧٤,٢٨ مليون دولار وبلغت قيمة ما قدمه الصندوق الكويتي ٣٨٦٥,٥٨ مليون دولار .

وتتنوع قروض الصندوق فتشمل قطاعات مختلفة وبلدان عديدة ، فمثلا في قطاع الزراعة قدم الصندوق للبلاد العربية قروضا تقدر ١٥٦,٨٧٠ مليون دينار ، وللبلاد الافريقية ٤٩,٤٠ مليون دينار ، والبلاد الآسيوية ٤٧,٦١٠ مليون دينار ، وفي قطاع النقل والمواصلات قدم الصندوق ١٩٦,٥٧٠ مليون دينار للبلاد العربية و ١١٢,١٥٢ مليون دينار للبلاد الافريقية ، وللبلاد الآسيوية قدم (٥٢,٣٠٠) مليون دينار . وفي قطاع الكهرباء قدم (١٠٥,٧٠٦) مليون دينار للبلاد العربية ، والى البلاد الافريقية (٣٧,٢٠) مليون دينار ، وقدم (١٦,٢٧٤) مليون دينار للبلدان الاسيوية .

وفي قطاع الصناعة قدم الصندوق للبلاد العربية (١٢١,٦٨٦) مليون دينار ، وقدم (٢٣,٥٠٠) مليون دينار للبلاد الافريقية،وللبلاد الاسيوية قدم (٨٧,٩٨٩) مليون دينار .

وداخل الوثائق يلمع اسم الصين الشعبية . . واحدة من الدول والقوى في هذا العصر . . وتكشف لنا الوثائق أن الصندوق هو اول مؤسسة عربية تقدم قروضا الى الصين الشعبية لتمويل مشروعات تنموية ، فقدمت (٥٢,٦٠٠) مليون دينار لتمويل مشروعات تنموية ، « اسمنت ، سماد ، الواح » ، كما قدمت قرضا آخر قيمته ٦ ملايين دينار كويتي لتمويل مشروع انشاء مطار شايمن الدولي بالاضافة الى تمويل مشروع كهرومائي في ولاية فوجيان بتكلفة ٩ ملايين دينار كويتي .

ولم يقتصر دور الصندوق على هذه النشاطات والمشروعات ، فقد ساهم في تمويل مشروعات محاربة الجفاف ومشروعات توفير المياه في البلدان الافريقية التي تعاني من المشكلة ، فقدم للسنغال ٢١,١٠٠ مليون دينار كويتي لعدة مشروعات مائية منها : تطوير حوض نهر السنغال ومشروع آخر لتوفير مياه الآبار للقرى والأرياف ، وقدم الصندوق الى السودان ١٥,٩٩١ مليون دينار لتطوير مشروعات المياه ايضا ، وقدم للصومال ٦ ملايين دينار لاحياء المراعي الطبيعية ، و ١٥ مليون دينار الى مالي ، ٩,٢٠٠ مليون دينار لموريتانيا و ٦,٨٥٠ مليون دينار الى النيجر ، وهذه القائمة من الدول تعاني كلها من

مشكلات الجفاف وشبح الموت جوعا وعطشا . وبجوار القروض قدم الصندوق منحا لا ترد الى غينيا والصومال ومنطقة حوض نهر السنغال لتطوير مشروعات المياه ايضا وتأمين وصولها للسكان .

لماذا الاختيار ؟

كان الاختيار في البداية محيرا الى اين تذهب ؟ وأي المشروعات نزور ؟ ولم يطل التردد . . . كان القرار متوافقا مع البدايات . . نذهب الى الجنوب أي الى افريقيا أما لماذا افريقيا ؟ فلهذا رؤ ية وأسباب .

افريقيا هي بؤ رة اهتمام العالم ولفترة طويلة قادمة ، ولقد بدأ هذا الاهتمام منذ اوائل الستينيات ، كانت افريقيا وقتها تقدم للعالم كل فترة دولة جديدة مستقلة ، والآن هي صاحبة الثقل العددي في الامم المتحدة ومنظمات اخرى عالمية واقليمية ، ثم فوق هذا فهي في بؤ رة اهتمام العالم استراتيجيا،فالجغرافيا تقول ان افريقيا تحكم طرق العالم جنوبها عند الممر البحري القديم ـ رأس الرجاء الصالح ـ غربها مضيق جبل طارق ، شمال شرقها قناة السويس ، شمالها البحر الابيض الفناء الخلفي لاوروبا . . شرقها البحر الاحمر حافة منابع النفط . . وفوق هذا فهي الطوق الذي يحيط بمنطقة الشرق الاوسط ، ومن هذا الفهم هي في بؤ رة الاهتمام لنا نحن العرب في الوطن العربي حيث انها هي العمق الاستراتيجي الوحيد والمتاح للوطن العربي،وهي المساحة البكر التي يمكن فقط من خلالها فتح المسارات وطرح الخيارات وبدائل المستقبل سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا للأمة العربية .

وقد شهدت السبعينيات بداية أفكار لتوطيد الوصل العربي الافريقي من خلال الدعم والتعاون العربي الافريقي ، وكانت محاولات تستند الى خلفية تاريخية متسعة وعميقة بين العرب والافارقة الى الحد الذي يصل لدى بعض دارسي الجيولوجيا والانثربولوجيا الى القول ان افريقيا والجزيرة العربية كانتا منطقة واحدة قبل « الانفلاق العظيم » الذي نتج عنه البحر الاحمر . . ويدللون على ذلك بشدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية والشعوب الناطقة باللغات السامية (كالعربية والامهرية والتقرية) .

وكانت حركة العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام من والى افريقيا متواصلة متتالية ، وأقام العرب في افريقيا،وكانت لهم حضارة امتزجت بالحضارة الافريقية وتزاوجت . . أقول انه منذ السبعينيات وهناك بدايات لافكار تبلورت في مؤ تمرات تصعدت حتى مستوى القمة . . وظهرت مؤ سسات للتعاون والتمويل . . و . . وكانت محاولة لتثبيت دعائم الجسر الواصل بين العرب وافريقيا . . وللاسف لم تكن النتائج زاهرة . . وعلى مدى السنوات القلائل الماضية ارتفعت اصوات تنتقد وتطالب بوقفة قصيرة للنظر والتأمل لهذه الأسباب والرؤ ية ، كان الاختيار ان نقف فوق جسر بين العرب وافريقيا وتحت ما تتيحه البقعة المضيئة عليه ـ الصندوق الكويتي للتنمية ـ نرى ونرصد . . لهذا ذهبنا الى تنزانيا ثم الى تونس .

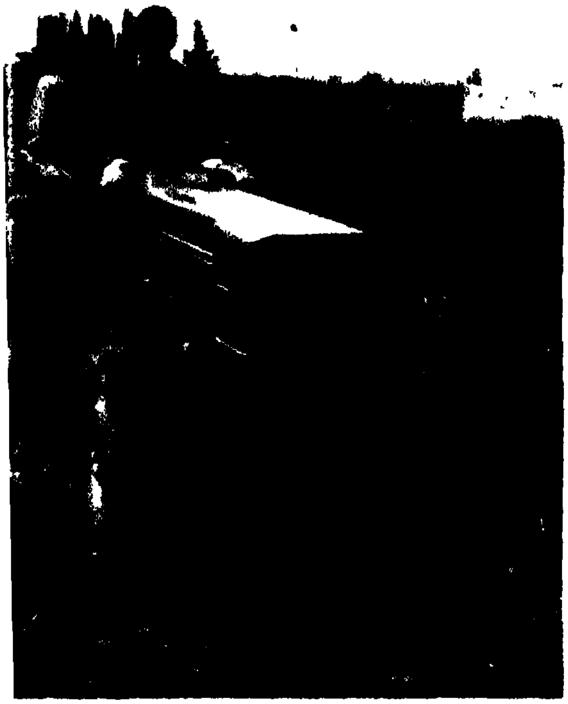
آخر الحكماء

على الساحل الشرقي لافريقيا تقع تنزانيا حيث بقايا مملكة العرب القديمة في زنجبار ، فتنزانيا هي اتحاد بين تنجانيقا وزنجبار اعلن عنه في سبتمبر ١٩٦٤،وانتخب جولوس نيريري رئيسا للدولة الذي مازال حتى الآن رئيسا ليصبح اخر رئيس من زعماء افريقيا منذ السبعينيات باق في الحكم ، ويلقبه الأفارقة بأخر حكماء القارة ، ربما لهذه الخاصية أو لكبر سنه أو لأنه بدأ حياته قسيسا في الكنيسة ومازال مواظبا حتى الأن على الذهاب صباح كل يوم الى الكنيسة لاداء الصلاة ثم التوجه الى مكتبه .

ولقد عرفت أرض تنزانيا العرب منذ بداية القرن الثامن الميلادي وكان أول مكتشف أوروبي يصل الى المنطقة هو « بدور كابرال الذي كتب فيها بعد انه فوجىء بوجود عدد من المدن العربية المزدهرة فيها وظلت اجزاء كبيرة من تنزانيا خاضعة في فترات طويلة لحكم العرب الى ان خضعت للاحتلال الالماني عام ١٨٨٤ وظل الوضع هكذا حتى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، فقسمت مستعمرات المانيا في منطقة اقليم شرقي افريقيا بين بريطانيا وبلجيكا الى أن استقلت تنجانيقا عام ١٩٦١ ثم اتحدت مع زنجبار كما



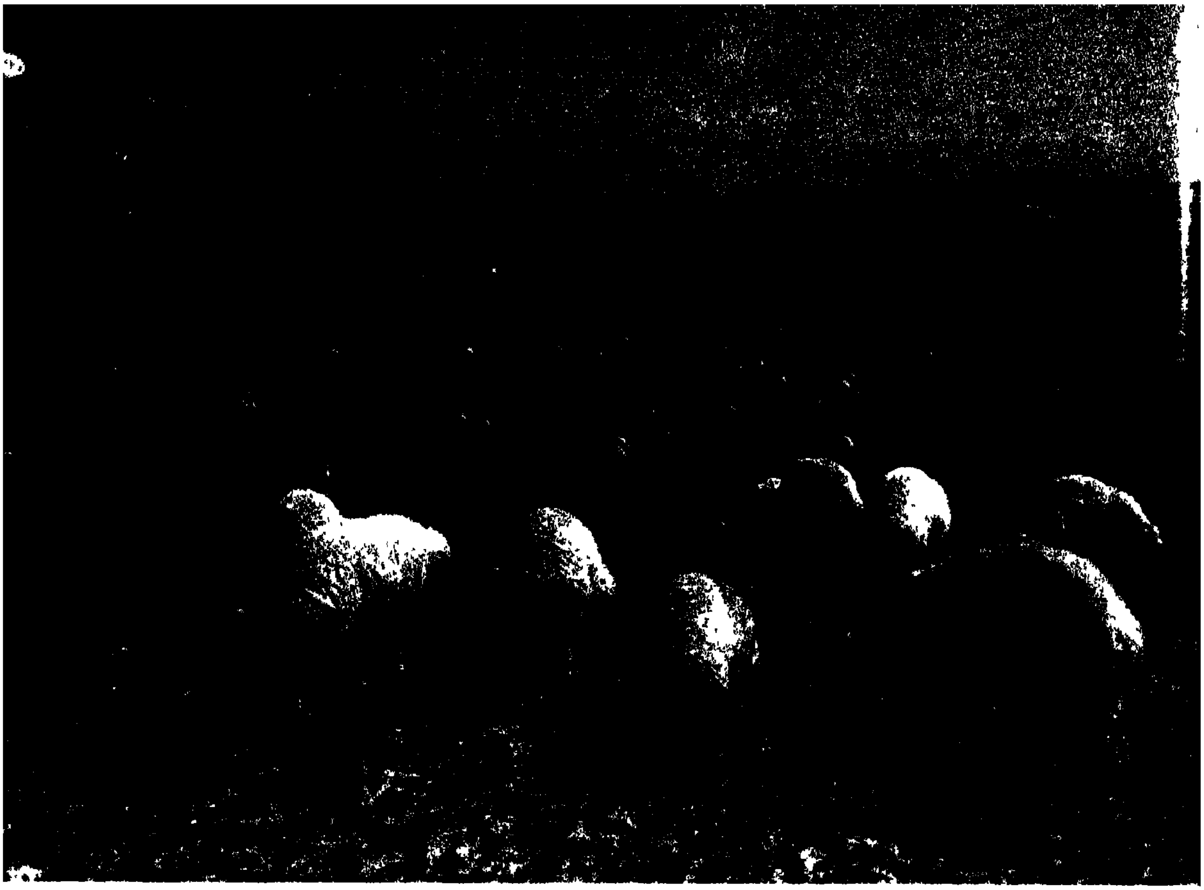
قنوات المياه لتحويل الأرض الى ري دائم .



ميكنة الزراعة في وادي مجردة .



يعمل بيده لتنقية الأرض من الحشائش .



مراعي الأغنام لتنمية الثروة الحيوانية .



سد ميترا عندما ينتهي
سيمنح الكهرباء للمدن
والقرى المظلمة .

أوضحنا . وتبلغ مساحة تنزانيا حوالي ٩٤٥ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي ١٩,٨ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٨١ منهم ٧٠٪ مسلمون ، يطل ساحلها الشرقي كله على المحيط الهندي وتجاورها موزمبيق من الجنوب وكينيا واوغندا من الشمال وزائير غربا .

تعد تنزانيا كما تشير تقارير البنك الدولي من البلدان ذات الدخل المنخفض فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي يبلغ ٢٨٠ دولارا في العام (أي اقل من دولار في اليوم الواحد) ، ويعتمد اقتصاد تنزانيا بشكل رئيسي على الزراعة ورسوم استخدام مينائها كمنفذ بحري وحيد لعدة دول مجاورة ، ونتيجة للتخلف وعدم تدريب الكوادر وتوفر الميكنة فان اجمالي الناتج القومي شديد التواضع ، الا أن أكثر ما يواجه تنزانيا من أزمات اقتصادية هي مشكلة الطاقة التي تستهلك ٦٠٪ من قيمة واردات تنزانيا ، ونتيجة العجز الدائم بين الصادرات والواردات والاحتياج الى التمويل الخارجي فان تنزانيا تعد واحدة من الدول الافريقية المدينة التي تمثل الديون فيها عبئا على قدرتها على السداد ، فاجمالي ديون تنزانيا يبلغ ١٦٥٩ مليون دولار ، أي ما يعادل ١٩,٤٪ من اجمالي الدخل القومي ، تسدد عنه فوائد تقدر بـ ٣٣ مليون دولار سنويا

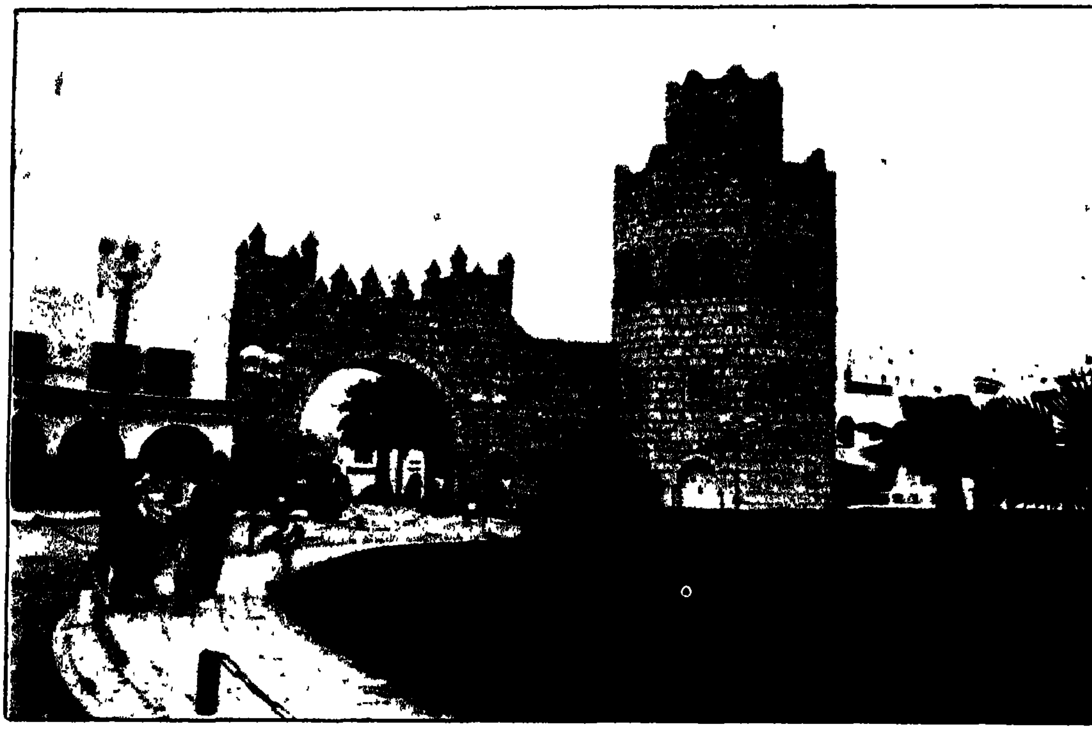
دار السلام العاصمة تمنحك احساسا بالالفة ، تشعر انك زرتها من قبل . . رأيتها . . . مشيت فيها . . الطبيعة شديدة السخاء تمنح خضرة وأشجارا تظلل شوارع متربة مهملة ، الزحام خانق . . وسط المدينة حيث المباني الحديثة بعيدة عن قلب المدينة ، تتوزع المباني على النمط القديم ، السقف الهرمي . . القرميد وخارج حدود هذه الصورة تنتشر البيوت الطينية المدعمة بألواح الخشب والصفيح . . رائحة الفقر تفوح . . ومع الفقر تنتشر كل الامراض الاجتماعية من عمولات ورشاوى . . . في المطار كان أول استقبال من موظف الحجر الصحي الذي طلب بهدوء مبلغ ١٠٠ دولار مقابل التغاضي عن عدم التطعيم ضد الحمى الصفراء . . في الفندق أنكر موظف الاستقبال وجود غرف شاغرة حتى تدفع فتظهر الغرفة،حتى التقينا مصادفة بأحد التجار العرب . . ومنه عرفنا حقيقة مذهلة ، إن الدولة تضع قيودا على تداول العملات الاجنبية وتقصر ذلك الحق على البنوك الرسمية ، ولذلك فان هناك سعرين للعملة وكي ندرك الفارق . . سألته عن سعر السوق السوداء وكان الفارق مذهلا المائة دولار تساوي رسميا في البنك ١٧٠٠ شلن تنزاني ولكنها في السوق السوداء تساوي ١٣ الف شلن ! ومهما تشددت الحكومة في العقوبة فلا يمنع هذا من أن يهمس شخص في اذنك عند باب شركة طيران أو باب الفندق (change) وبرغم انهيار مستوى الخدمات من مرافق وطرق ورعاية صحية ونظافة ورعاية اجتماعية . . رغم هذا الا ان تنزانيا واحدة من أقل البلدان النامية معاناة من الأمية ، فهناك ٨٤,٧٪ من السكان يجيدون القراءة والكتابة ، ونتيجة للظروف الاقتصادية السيئة فان تنزانيا تعتمد في تنفيذ كثير من مشروعاتها على المعونات والقروض

ويساهم الصندوق الكويتي للتنمية في تمويل ٤ مشروعات بتنزانيا هي مصنع نسيج ، مشروع مصنع ورق ، سكك حديد ، مد كهرومائي ، وتبلغ قيمة اسهامات الصندوق ٣٣,٥٠٠ مليون دينار كويتي . تاريخ اول قرض في يوليو ١٩٧٥ واخر اتفاقية في يناير ١٩٨٤ .

الاستثمار باعداد البشر

ماذا قدمت المشروعات لتنزانيا ؟

مدير مشروع سد ميترا الكهرومائي يقول : هذا المشروع هام لنا للتنمية القومية ، فالنظم الحالية في محطات الكهرباء وطاقة التحمل صعيفة ، المشروع سيوفر لنا ما يزيد عن ٢٠٠ الف كيلووات وستمكن من انشاء محطات تحكم أفضل وبالتالي ستتمكن من زيادة عدد المدن المستخدمة للتيار الكهربائي ، لانه حاليا لا يتمتع بهذه الخدمة سوى سكان ١٨ مدينة فقط . وفوق هذه الاستفادة المباشرة فهناك جانب هام وهو أن المشروع قد خلق مهنا جديدة ، وعندما يتم بناء السد سيسهم في تحويل المنطقة الواقعة حوله الى منطقة حضرية ، والعاملون في المشروع جميعهم وطنيون ويبلغ عددهم ٥٠٠ عامل من مهن مختلفة



الاستثمار في قطاع السياحة أحد مصادر الدخل القومي .

بالاضافة الى مجموعة خبراء وهم أربعون خبيرا فقط من ايطاليا .

المشروع يعد من المشروعات مشتركة التمويل ، فتساهم أكثر من جهة في التمويل ، فمثلا البنك الدولي قدم ٤٠ مليون دولار ، ووكالة التنمية النرويجية قدمت ٣٠,٥ مليون دولار والوكالة السويدية للتنمية ١٦ مليون دولار خصصت أجورا ومكافآت للخبراء ، وايطاليا ٢٣,٧ مليون دولار مقابل المعدات،أما الصندوق الكويتي فقدم ٣٠,٥ مليون دولار خصصت للخدمات الهندسية وتمويل برامج التدريب واعداد كوادر التشغيل .

في مشروع اخر« مصنع موفندي للورق »، يقول مدير المشروع:الصندوق الكويتي انقذ هذا المشروع من التوقف فقد قدم الصندوق قرضا في البداية قيمته ٥ ملايين دينار كويتي بالاضافة الى مساهمين اخرين ، وبعد سنة من العمل توقفنا لعجز في التمويل وانقذنا الصندوق الكويتي بأن قدم قرضا آخر قيمته ٧ ملايين دينار كويتي . ولكي اوضح لماذا استخدم تعبير انقذنا اتحدث عن اهمية المشروع . . هذا المشروع سيوفر للدولة ٤٠ مليون دولار سنويا وستتمكن من الاكتفاء الذاتي في استيراد الورق ، ونصدر الفائض . وأهمية الورق بالنسبة لنا في تنزانيا هي للنسبة العالية من السكان التي تقرأ وتكتب ، والورق الذي تستخدمه الصحف ، بالاضافة الى ذلك فهناك استخدامات المدارس . . فكل الاطفال يجب أن يذهبوا الى المدرسة في سن السابعة ، وهذا يعني الحاجة الى مزيد من الورق ، والمشروع نموذج متكامل حاليا ، استخدم المواد الخام (الخشب) والمواد الكيمائية . . بعد عام واحد سنحقق اكتفاء ذاتياً في المادة الخام ولن نستورد الا كيمائيات فقط ، ونسبة هذه المواد المستوردة لن تتجاوز الـ ١٥٪ وعندما اخترنا موقع المشروع اخترناه قرب النهر لاحتياجنا الى الماء واستخدامه في توليد كهرباء المصنع والمنطقة المجاورة له والتي يتم حاليا بناء مستشفى بها ومدرسة لخدمة العاملين في المصنع . العمالة في المصنع ١٦٠٠ شخص يعمل معهم ١٢٣ خبيرا أجنبيا ، وبعد عامين من التشغيل اي في منتصف عام ١٩٨٧ سنصل الى الطاقة القصوى للانتاج . وتمويل المشروع مشترك



مزرعة أبقار في تونس ضمن مشروع إحياء وداي مجردة .



الطرود
مكدسة في ميناء
دار السلام .



عربات توزيع الحليب والتي يغطي انتاج المزرعة استهلاك العاصمة .



خط السكك الحديد الجديد الذي سيزيد من طاقة خط تونس / الضواحي



هكذا يهبط الركاب من القطارات بعد انتهاء المشروع سيصبح هناك رصيف ليحميهم من الخطر .

فيسهم مع الصندوق الكويتي البنك الدولي (كومنولث) للتنمية ، والوكالة النرويجية .

مشروع تطوير السكك الحديدية : قدم الصندوق الكويتي قرضا قيمته ٨ ملايين دينار كويتي خصص منه ٦ ملايين دينار لتطوير السكك الحديدية و ٢ مليون دينار لتطوير الميناء ، وتأتي مساهمة الصندوق ضمن مساهمات اخرى تشترك فيها الدانمرك وكندا والمانيا الاتحادية ، وقدمت هذه الدول مساعدتها كمنحة باستثناء الصندوق الذي قدم المساعدة كقرض وفق شروط ميسرة . وسيرفع بعد التطوير كفاءة السكك الحديدية ، فعلى شبكة طرق سيبلغ طولها ٢,٦٦٠ الف كيلومتر سيتم نقل ٤ ملايين مسافر و ١,٣ مليون طن بضائع سنويا . وخصص قرض الصندوق لتمويل شراء قطع الغيار وانشاء ورشة صيانة بآلات اصلاح حديثة ، وتدريب العاملين واعدادهم مهنيا .

أما مشروع تطوير الميناء فهو شديد الأهمية للاقتصاد التنزاني واقتصاديات البلدان المجاورة لأن تنزانيا تقدم خدمة بحرية لجاراتها أوغندا،وروانـدا وبروندي ومالاوي وزامبيا وشرق زائير وزيمبابوي فكل هذه البلدان بلدان بلا شواطىء بحرية وتعتمد في تصدير حاصلاتها ومنتجاتها واستيراد احتياجاتها على الموانيء التنزانية ، وتنزانيا لها ثلاثة موانيء بحرية تطل على المحيط الهندي هي : تانجا ومتوارا ودار السلام . . وقد خصص القرض لتطوير ميناء دار السلام وهو الميناء الرئيسي وقد خصص القرض الكويتي لتمويل شراء قطع غيار وبعض المعدات البحرية فتم شراء سفينة (قطر) لسحب السفن الى الميناء ، وسفينة صغيرة لنقل المعدات من والى السفن التي يتم تفريغها في البحر ، وسفينتين لنقل البضائع من السفن بالاضافة الى بعض المعدات البحرية وورش الصيانة . ورغم سوء حالة طرق الميناء من الداخل والأرصفة ، الا أن هيئة الميناء تعد دراسة جديدة لطلب منح وقروض لانهاء مشروعات تطوير الميناء .

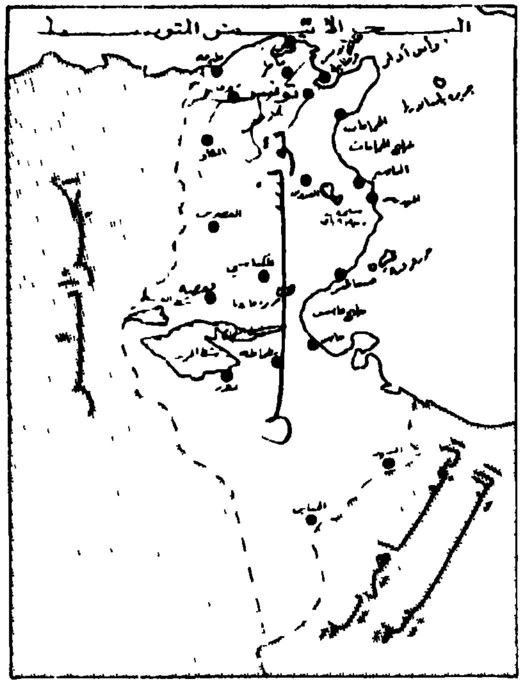
غادرنا تنزانيا وفي كل موقع من مشروع أيدٍ وطنية تعمل على آلة جديدة بالنسبة لها ، مطارق . . وماكينات وورش تعمل . . وبشر يتدرب ويعرف ويتعلم . . تتغير ثقافته ومن الاحتكاك بالآلة تنكسر دائرة الفطرة ، ويعرف الانسان ببساطة أنه يعمل ويعرق من أجل وطنه ، لأن هناك من ارادوا أن يسهموا في تغيره ، ورفضوا أن يستسهلوا تقديم الكعكة جاهزة .

الحلم حقيقة

كان اختيار تونس لخصوصية حالتها بالنسبة للصندوق ، فتونس هي أكثر البلدان التي حصلت على قروض من الصندوق ، فقد حصلت على ٢٣ قرضا لتمويل مشروعات متنوعة ومختلفة تقارب قيمتها ٩٠ مليون دينار كويتي . ولتونس تمايز خاص بين بلدان الوطن العربي ، والتمايز ليس وقفاً على منحة الله لها بجمال الطبيعة الرائع بقدر ما هو ايضا تمايز لخصوصية التجربة والاصرار على تحقيق الذات .

تعد تونس من الدول ذات الدخل المتوسط ، فيبلغ متوسط دخل الفرد السنوي فيها ١٣٩٠ دولارا ، وتلتزم الحكومة التونسية بتنفيذ تنمية الا أنه نتيجة لاعتماد الاقتصاد على عوامل متغيرة فان معدل النمو يتأرجح بين الازدهار والتراجع ، فقد حققت تونس معدل ٦,٢٪ سنة ١٩٧٣وارتفع الى ٩٪ عام ١٩٧٥ ثم تراجع الى ٧٪ عام ١٩٨٣ ، والسبب في هذا ان الاقتصاد التونسي يعتمد على سلع تتأثر بأسعار السوق العالمية ، فيعتمد على الزراعة ٤٠٪ من الصادرات و ١٦٪ من الناتج القومي ، وتعتمد على البترول والفوسفات وعائدات السياحة وهذه كلها عناصر متغيرة تخضع لتقلبات الاسعار أو لعوامل التحكم فيها خارج دائرة سيطرة الاقتصاد التونسي ، ولعل الخوف الاكبر الذي كان يهدد الاقتصاد التونسي هو انضمام اليونان واسبانيا (حزام الزيتون) الى السوق الاوروبية المشتركة بما يعنيه هذا من تأثر صادرات تونس في الزيتون والاعناب الى دول السوق .

ويقوم الصندوق الكويتي للتنمية بتمويل مشروعات في تونس لا تستطيع أن تحدد أيها اكثر اهمية ، فمثلا هناك مشروع احياء وادي مجردة وهو وادٍ زراعي وتهدف الخطة الى تحويل الوادي من ري موسمي بالمطر الى ري دائم . ومساحة الوادي تبلغ ٣٠ الف هكتار . . اقتصر تمويل الصندوق على



تونس رغم صغر المساحة الا ان الحرص على موقع أفضل تحت الشمس يجعلهم يستغلون الامكانيات المتاحة .

١١ الفا و ٢٠٠ هكتار ، سيخصص القرض لتمويل عمليات أشغال التجهيز الاساسية وحفر القنوات وتبسيط الارض واقامة مشروع صرف مغطى ، واشغال ري وبعض الانشاءات للمباني الاجتماعية ، والمشروع ـ كما يوضح المهندس عبدالقادر حمدان مدير المشروع مقسم الى عدة مشاريع ، مساحته ٤٥٠ هكتارا تزرع خضروات وفواكه حسب الدورة و ١١٢ هكتارا تزرع أشجارا مثمرة . وفي موقع اخر من الوادي يقسم الجزء الممول الى عدة مشروعات مماثلة حسب طبيعة المناخ ، والمحصول الذي تجود زراعته ، وطبيعة تربة هذا الجزء من الوادي . وحتى نفهم كيفية هذا التقسيم فان وادي مجردة هو واد زراعي طويل يشق تونس من سد سيدي سالم حتى الحدود الجزائرية ، ومشروع اخر لتطوير سكك حديد الضواحي ، وكما يقول (وجدي مساعد) مدير دائرة الاعلام في هيئة سكك حديد تونس : شبكة السكك الحديدية الحالية هرمة لأن عمرها يعود الى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومع ازدياد الكثافة السكانية وزيادة الطلب على استخدام السكك الحديدية كوسيلة انتقال كان لابد من التفكير في تطوير الشبكة ، وخصوصا اذا علمنا أن عدد المسافرين يقارب ٣٠ مليون مسافر سنويا منهم ٧٠٪ على خطوط الضواحي ، ففكرنا في انشاء خط ثالث وانشاء أرصفة للمحطات لحماية الناس وتأمينهم . . وفي تصوري فان تطوير شبكة السكك الحديدية سيسهم في خلق تجمعات سكنية جديدة مادامت هناك وسيلة مواصلات مريحة مما سيخفف الضغط عن العاصمة كما انه يتفق وسياسة توسيع نطاق النقل العام على حساب النقل الخاص توفيرا للطاقة .

ليس كافيا

ومن مشروع الى مشروع في تونس تستطيع ادراك الفرق بين حالتين ، حالة مجتمع مازال يخطو ويبنى ومجتمع تجاوز مرحلة البناء ويحاول الانطلاق .

ويقينا ليس هذا كافيا لعرض كل ما يفعله الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية من دعم ومساندة ، وبنفس اليقين فان جهود الصندوق وحدها ليست كافية لتغطية كل مناطق الاحتياج الى الدعم في العالم النامي .

ولكن ماذا لو أعدنا نحن العرب ترتيب أوراق المؤسسات التمويلية ، وأعدنا النظر ووضعنا في الاعتبار كل تجارب الصناديق العربية وخصوصا تجربة الصندوق الكويتي في تنمية المصالح والشروط ، وحاولنا ان نمد أيدينا الى عمقنا الاستراتيجي ، الى بؤرة اهتمام العالم ، الى افريقيا . . فافريقيا شديدة الاحتياج الى الدعم والمساندة ، وهي أرض بكر للاستثمار سواء على مستوى القطاع الحكومي أو القطاع الخاص . . افريقيا . . تقف في النقطة الحرجة واذا كنا نياما فغيرنا يقظ . . واذا كنا كسالى فالآخرون يعملون،الموقف اننا الآن في سباق مع الزمن كي تظل تجربة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية هي بقعة الضوء الوحيد فوق الجسر الممتد بين العرب وافريقيا فهل نتحرك . . القضية تتسع للمناقشة حول كيف ننسق ؟ وماذا نعطي ؟ وكيف نحمي ؟ فمن يستجيب ويبدأ ؟ □

ليزر المواد الصلبة: يصنع جهاز ليزر المواد الصلبة من أشباه الموصلات، مثل الترانزستور، وهي بسلاطة وحدات دقيقة تسمح بمرور التيار الكهربائي في اتجاه واحد فقط، وتمنعه من المرور في الاتجاه المعاكس.

ويمكن استخدام هذا النوع من أجهزة الليزر في الأقمار الصناعية، أو نقل المعلومات في الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر)، وحتى كمصدر ضوء يمكن توجيهه الى الأجهزة الأخرى من الليزر لتشغيلها، وتنتج أجهزة ليزر المواد الصلبة أشعة بأطوال موجات مختلفة، تتراوح من الأشعة فوق البنفسجية الى الأشعة الحمراء.

تطبيقات الليزر:

الليزر في الطب:

* شهدت السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا في مجال استخدام أشعة الليزر في الجراحة، فقد تمكن العلماء من اختراع جهاز اطلقوا عليه (المبضع الليزري) يمكن الطبيب الجراح من استخدام أشعة الليزر بخواصها الفريدة في اجراء العمليات الجراحية، بنفس الكفاءة التي يستعمل فيها مبضعه المعدني ويتكون هذا المبضع الليزري من جهاز لتوليد أشعة الليزر ذات طاقة مخفضة، حيث تتحلل دراعا معدنيا مفرغا، يتصل بسلاح دقيق يشبه المبضع العادي للجراح، وبواسطة عدسة خاصة مثبتة في بداية المبضع يمكن جمع حزمة أشعة الليزر، وتركيزها عند الطرف واجراء العمليات الجراحية بها

ويتميز المبضع الليزري بأنه مرن، ويمكن تحريكه الى أي مدى يريده الجراح، كذلك يمكن توصيله بمجهر الكتروني للعمليات الجراحية البالغة الدقة، ويرجع السبب في تفضيل اجراء العمليات بالمبضع الليزري الى أنه يتمكن من فتح الجرح في جزء من الثانية ثم يغلقه دون ألم، ومن ثم يمنع تدفق الدماء الى الخارج، وهذا شيء بالغ الأهمية أثناء إجراء العمليات الجراحية الدقيقة، ويطلق على الجراحة باستخدام المبضع الليزري اصطلاح (الجراحة دون دماء)

* أمكن مؤخرا استخدام أشعة الليزر في استئصال الأورام في المخ، خصوصا الأورام السرطانية عند المراحل الاولى لاكتشاف المرض، حيث استخدمت قوة التركيز الهائلة لأشعة الليزر في قتل الخلايا السرطانية، ومن ثم أمكن تفادي انتشار هذا المرض القاتل الى الخلايا السليمة

* في حالات انفصال الشبكية في العين (اي تمزقها) والذي قد يسبب فقدان النظر، أمكن استخدام أشعة الليزر الدقيقة. بعد تخفيف طاقتها الى حد كبير - في لحام الشبكية في نقاط صغيرة بمؤخرة العين، ومن ثم أمكن اعادة الرؤيا للاشخاص الذين كانوا يعانون من انفصال الشبكية.

وفي هذه العمليات الجراحية التي تجرى في العين، توجه أشعة الليزر الى المريض عبر عدسة العين الى داخلها، دون أن تحدث أي ضرر لأنها شفافة، وتعيد حرارة الليزر في لحام الشبكية من جديد في موضعها الأصلي

* أمكن استخدام أشعة الليزر في معالجة الأسنان المصابة بالتسوس، وذلك عن طريق توجيه شعاع الليزر على مكان التسوس لحرقه، ومن ثم منعه من الفضاء على السن تماما، ويعتمد شعاع الليزر في هذا على طاقته العالية، وسهولة توجيهه الى الأماكن الدقيقة وحيث أن هذه العملية لا تسبب أي ألم، فان الطبيب لا يستخدم أي تخدير موضعي.

* يمكن استخدام أشعة الليزر في علاج الأمراض التي تصيب المعدة، خاصة قرحة المعدة، ويتم ذلك عن طريق اطلاق أشعة الليزر من خلال أنابيب مثبتة في جهاز خاص يطلق عليه (الأندوسكوب).

ويتكون جهاز الأندوسكوب من مجموعات من الأنابيب الدقيقة، تكون في مجموعها وحدة في سماكة الأصبع البشرى، ويمكن امرار الجهاز من حلق المريض الى المعدة دون ألم، حيث يمكن لاشعة الليزر أن تعالج القرحة أو أي مرض آخر بالمعدة، ويستخدم في هذا النوع من العمليات الجراحية أجهزة ليزر غازية.

الليزر في الصناعة:

أصبح التطور التكنولوجي سمة من سمات العصر، ولابد أن يصاحب هذا التطور استخدام أجهزة ووسائل حديثة، وقد اثبتت أجهزة الليزر

وجهاً لوجه





دكتور إبراهيم عبده و دكتور أحمد حسين الصاوي

* بدأت العمل الصحفي وأنا طالب في المرحلة الثانوية .
* شرعت الصحافة العربية في الأخذ بكل مستحدث من تقنيات .
* الصحافة العربية أصبحت صناعة لها كل مقومات الصناعات الاخرى .
* تستطيع الصحافة ممارسة دور مهم في دفع عجلة التنمية الوطنية .

يلتقي في هذا الحوار اثنان من الاعلاميين الاكاديميين . أما الدكتور أحمد حسين الصاوي فهو أستاذ غير متفرغ بقسم الصحافة بكلية الاعلام بجامعة القاهرة ومستشار بالمعهد القومي للصحفيين العرب ، وخبير اعلام باليونسكو . وأما الدكتور ابراهيم عبده فاننا نترك للدكتور الصاوي مهمة تقديمه والتعريف به ، فيقول : حصل الدكتور عبده على الدكتوراة في عام ١٩٤٣ وعين مدرسا ثم أستاذا مساعدا فأستاذا للفن الصحفي ورئيسا لمعهد الصحافة في عام ١٩٥٢ ، وأسس دارا للنشر هي اليوم في صدر دور النشر في القطاع الخاص ، وللدكتور ابراهيم عبده أكثر من أربعين كتابا معظمها في فنون الصحافة وتاريخها ، ثم تاريخ مصر الحديث وبعض الكتب السياسية .

● معهد التحرير والترجمة والصحافة هو أول معهد اعلامي تعرفه الجامعات العربية . وقد ارتبط اسم هذا المعهد دائما باسم الدكتور ابراهيم عبده ، فمتى بدأت صلتكم به ؟

ـ الحقيقة أن الفضل في انشاء هذا المعهد يرجع الى اثنين هما الدكتور طه حسين والدكتور محمود عزمي ، وبعدهما بدأت صلتي بالمعهد عندما عينت مدرسا بعد حصولي على الدكتوراة . وعندما رقيت الى درجة « استاذ » مساعد لم يكن هناك استاذ بالعهد فأصبحت أرأس المعهد وأمثله في مجلس الكلية . وقد بذلت كل جهدي في تلك الفترة لارفع من شأن المعهد ، وعملت على أن تستقبله الصحافة المصرية استقبالا حسنا بعد أن كانت غير مرحبة بقيامة في البداية ، لان الجيل القديم في الصحافة لم يكن يعتقد أن الصحافة يمكن أن تعتمد على العلم والدراسة ، وأن الموهبة وحدها تكفي .

تاريخ الصحافة المصرية

● أود أن أعرف كيف اخترت لدراستك العليا بعد أن تخرجت في قسم التاريخ بكلية الآداب موضوع تاريخ الصحافة المصرية الذي كان ـ ولاشك ـ مجالا جديدا في ذلك الوقت ؟

ـ كنت وأنا طالب أعمل في جريدة « كوكب الشرق » . وبعد أن حصلت على درجة الليسانس اقترح على أستاذي شفيق غربال أن يكون موضوع دراستي لدرجة الماجستير صحيفة « الوقائع المصرية » وهي ـ كما تعلم ـ أول صحيفة مصرية ، بل أول صحيفة في الوطن العربي والعالم الاسلامي جميعا . واقتضت هذه الدراسة كذلك متابعة تاريخ دخول المطبعة الى مصر في عهد الحملة الفرنسية ، وتناول ما أصدرته الحملة من مطبوعات . أما موضوع دراستي للدكتوراة فكنت أنا الذي اقترحته على أستاذي شفيق غربال ، وكان عن « تطور الصحافة المصرية » منذ نشأتها حتى العام الذي فرغت فيه من كتابة الرسالة « الاطروحة » وهو عام ١٩٤٣ .

● نحن الذين درسنا بمعهد التحرير والترجمة والصحافة كنا خليطا من خريجي مختلف كليات الجامعة وأقسامها . فهل هذا هو الاتجاه الذي ينبغي أن يسود ، بمعنى أن يكون دارس الصحافة قد حصل من قبل على مؤهل جامعي ـ أيا كان تخصصه ـ يكسبه خلفية ثقافية معينة ؟ أم أن الاتجاه الحالي الذي يجعل دراسة الصحافة في المرحلة الجامعية الأولى هو الافضل ؟

ـ لكل من الاتجاهين مزاياه ، سواء من حيث الدراسة الاكاديمية أو الممارسة العملية . ولقد فكرت عندما كنت مسئولا عن معهد الصحافة في أن أستقل عن كلية الآداب التي كان المعهد تابعا لها ، وأن أطور الدراسة به بحيث تشمل المرحلة الجامعية الاولى ، أي للحاصلين على الثانوية العامة ، والمرحلة الجامعية المتقدمة لخريجي مختلف الكليات . بالاضافة الى اتاحة فرصة الدراسات العليا للممتازين من المرحلة

الجامعية الاولى المتخصصة في الصحافة أو غيرها من وسائل الاعلام . .

● اذن فقد فكرت في توسيع نطاق هذا النوع من الدراسة لتشمل الى جانب الصحافة وسائل الاعلام الاخرى ؟

ـ نعم هذا صحيح . ولذا فقد سعدت بانشاء كلية الاعلام لانها حققت ماكنت أتمناه ، وذلك بعد أن مررنا بتجربتي معهد التحرير والترجمة والصحافة وقسم الصحافة وكلاهما كان تابعا لكلية الآداب .

معاهد اعلامية

● لقد آمنت معظم الدول العربية ـ بعد نجاح التجربة المصرية ـ بفكرة انشاء معاهد للدراسة الاعلامية ، وتعددت هذه المعاهد في السنوات الاخيرة حتى بلغ عددها مايقرب من عشرين قسما وكلية . ألاترى ، ونحن العرب ، نتكلم لغة واحدة ، أنه من الضروري أن نعمل على التقريب بين مناهج الدراسة في هذه المعاهد ان لم يكن توحيدها ؟

وألا يساعد هذا على تحقيق مزيد من التقدم نحو فكر عربي موحد ؟

ـ بلى ، هذا صحيح ولكن تحقيق هذه الفكرة لايعني بالطبع صب جميع مناهج الدراسة الاعلامية بالبلاد العربية في قالب واحد فلكل قطر عربي ظروفه المحلية .

● أنا أقصد الخطوط العامة على الاقل ، بحيث يمكن في النهاية أن يستخدم الاعلاميون العرب من خلال مختلف وسائل الاعلام التي يعملون بها لغة مشتركة وأن يكون أداؤهم وأسلوب تعبيرهم من نمط واحد متفق عليه يقوم على أسس تقنية واحدة . وبالطبع فان هذا يرتبط أو ينبغي أن يرتبط بجهود أخرى تقوم بها بعض المنظمات العربية ، مثل توحيد تعريب المصطلحات .

ـ لاشك أن هناك من المقدمات والبوادر مايمكن أن يكون أساسا لما تدعو اليه . فكثير من العاملين بمعاهد الدراسة الاعلامية العربية مواطنون من مصر التي سبقت غيرها بتجربتها ، وكذلك الأمر في وسائل الاعلام ذاتها من صحف واذاعات وغيرها .

● نعلم انك عملت ـ منذ كنت طالبا بالجامعة ـ في صحيفة يومية هي كوكب الشرق التي أنشأها الصحفي أحمد حافظ عوض ، كما نعلم أنك بعد ذلك بسنوات رأست تحرير احدى المجلات النسائية ، فما هي قصتك مع العمل الصحفي ؟

ـ بدأت العمل الصحفي في أثناء دراستي بالمدارس الثانوية . منذ كنت طالبا بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ، وهي من أعرق المدارس الثانوية في مصر ، وكانت المدرسة ـ كغيرها من المدارس ـ تصدر مجلة سنوية يتولى تحريرها الطلاب الذين يختارون لهذا العمل بعد عقد اختبار لهم . وكان أن نجحت في هذا الاختبار بتفوق ، وتوليت تحرير المجلة ، وكان يعمل معي في المجلة عدد من الزملاء الذين أصبحوا بعد ذلك من الشخصيات المعروفة مثل مصطفى أمين والمرحوم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة والمرحوم محمود المليجي الممثل العظيم .

مراحل في حياة الصحافة

● ماهي أبرز الفوارق التي تراها بين الصحافة العربية حينئذ وصحافة هذه الأيام ؟

ـ تطورت الصحافة العربية ولاشك تطورا كبيرا واكب التطورات العامة في الوطن العربي ، ويمكن اجمال مظاهر هذا التطور في النقاط التالية :

* ان الصحافة العربية أخذت بكل مستحدث من تقنيات العمل في هذا الحقل من حيث الطباعة والتيوغرافيا ، واستقاء الانباء واستخدام الصور والرسوم والألوان وما الى ذلك .

* ان المواد الخبرية فيها غلبت على مواد الرأي .

* اتسع نطاق ماتؤديه من خدمات ، وأصبح التخصص سمة أساسية من سمات العمل الصحفي .

* تحولت الصحف من مطبوعات فردية ارتجالية الى مؤسسات تقوم على أساس سليم من « الادارة » الحديثة ، حتى لاتتعرض لهزات تطيح بها كما كان الحال قبل ذلك .

● هل تقصد أن الصحافة العربية أصبحت « صناعة » لها كل مقومات الصناعات الاخرى ؟

ـ نعم ، مع الأخذ في الاعتبار أن صناعة الكلمة قد تكون أصعب من غيرها من الصناعات في كثير من الاحيان .

● أعتقد أن من معالم هذا التطور كذلك بروز أهمية الاعلان من حيث هو قوة مؤثرة في اقتصاديات الصحيفة وفي سياستها كذلك ، بعد أن زادت ـ أو تضاعفت نفقات اصدار الصحف ، وأصبح العائد من توزيعها لايغطي الا نسبة ضئيلة من تكاليفها .

ـ أوافقك على أهمية الاعلان للصحيفة العربية الحديثة من الناحية الاقتصادية ، ولكني لاأعتقد أن له تأثيرا كبيرا على سياستها ، أي أن المعلنين في بلادنا لايمثلون « قوة ضغط » كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية الكبيرة في الغرب كالولايات المتحدة مثلا

الاعلان

● فماذا تقول اذن في كبار المعلنين الذين أصبحت اعلاناتهم تحتل أبرز الأماكن في أهم الصفحات بمساحات كبيرة لاتتناسب ومضمونها ، فضلا عن اخلال ذلك بالتناسق المطلوب للصفحة بين مواد التحرير والاعلانات ، ومخالفته لكل ذوق سليم ؟ ولكن المسئولين عن الصحف يغمضون أعينهم عن ذلك في سبيل مايحصلون عليه من أجور ضخمة لتلك الاعلانات . وبالطبع لاتستطيع هذه الصحف أن تنشر من مواد التحرير مايتعارض ومصالح أولئك المعلنين



الدكتور ابراهيم عبده في حوار مع الدكتور الصاوي .

ـ قد يكون ذلك صحيحا في بعض الصحف ، ولكن مازالت هناك صحف أخرى تضع من القواعد والمبادىء ، بل والقيود ، مايحول دون أن تتحاور الاعلانات فيها حدودها المعقولة . وعلى أية حال فالاعلانات في كثير من الصحف العربية تحتاج الى ترشيد من حيث المضمون والتصميم والاخراج .

● ان الحديث عن الاعلان يقود الى الحديث عن الصحف التي لاتستطيع أن تغطي تكاليف اصدارها لقلة مواردها الاعلانية . فمثل هذه الصحف اما أن تتوقف عن الصدور أو تضطر الى طلب الدعم (أو قبوله) من جهة ما

ـ هذا صحيح ، وفي صحافة الوطن العربي أمثلة كثيرة على مانقول . فحكومات بعض الدول العربية تدعم الصحف الاهلية الصادرة بها دعما ماليا مباشرا أو دعما غير مباشر عن طريق الاعلانات ومن خلال بعض التيسيرات . ومن الطبيعي أن تكون نتيجة هذا الدعم سيطرة من جانب من يدفعه ، وولاء من جانب من يتلقاه .

● هناك أيضا قضية التنمية فبلادنا العربية ، وهي جزء من العالم الثالث تشغلها قضايا التنمية الى حد بعيد ولاشك أن الصحافة تستطيع أن تلعب دورا كبيرا في هذا الصدد ، فتسهم بجهودها في دفع عجلة التنمية الوطنية في شتى المجالات

ـ على أن ذلك مرتبط بضرورة تحول الصحافة من الاهتمام بارضاء الحكومات الى الاهتمام باحترام حق المواطن في أن يعلم ، فلا تخفي عنه الحقائق ولاتحرف .

● ولعل من أهم التحديات التي على الصحافة العربية أن تواجهها كذلك مشكلة التدفق الاعلامي من جانب واحد . فوكالات الأنباء العالمية ، وهي مؤسسات غربية ، تبث نحو ثلاثة أرباع المادة الاخبارية التي تستقيها الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام . ومن الطبيعي أن يخضع اختيار هذه المادة ومضمونها ونقاط الاهتمام فيها وصياغتها . . الخ لسياسة تلك الوكالات وأهدافها وانتماءاتها ، مما يؤثر كثيرا على مبدأي الحياد والموضوعية من ناحية ، ويتعارض ومصالحنا واهتماماتنا من ناحية ثانية . . ويمكن أن نضيف الى وكالات الأنباء العالمية في هذا الصدد وكالات المواد المتخصصة التي تبث المقالات والتحليلات والتحقيقات ، وتعتمد عليها صحافتنا في الحصول على ماتبغيه من هذه المواد التي تنشرها بكثير من حسن النية ، دون أن تلتفت الى ماقد تحويه من سموم . وقد قامت منظمة اليونسكو منذ سنوات بجهود كبيرة لمحاولة كسر هذا الاحتكار الاعلامي وتحقيق لون من التوازن في هذا المجال بين العالم المتقدم والعالم النامي وقد تعرضت هذه المنظمة العالمية من جراء ذلك الى حملة ضاربة من بعض دول الغرب . ان وسائل اعلامنا نحن العرب ، وفي مقدمتها الصحافة ، ينبغي أن تسهم في تلك الجهود الرامية الى ايجاد نظام عالمي جديد للاعلام ، لتتخلص من تلك السيطرة الاعلامية وماتؤدي اليه من نتائج سيئة . . .

ـ ان هذا الامر ينبغي أن يكون موضع بحث جاد ودراسة واعية من أجهزة الاعلام العربية . وأعتقد أنه يمكن التوصل الى « صيغة » لاعلام عربي موحد في هذا الاطار العالمي الذي تحدثت عنه . . □

« ما أتعس من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك » — جبران خليل جبران

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع



قبل أن تحكي لطفلك عن العفاريت!

المناورات الضارة.. هل نعلمها لأولادنا؟

قبل أن تحكي لأطفالك عن العفاريت

اعداد : ريم الكيلاني

« نرأف بهم من العقاب البدني .. ونخاف عليهم من الزَجْر . فنلوّح لهم بشيء يخيفهم ، لنشتري الصمت والهدوء .. »

حدث يومي في كل البيوت .. وفي حياة كل منا هذه الوقائع . وذكريات عن أسماء لحيوانات أو مخلوقات غريبة كان الاهل يلوحون بها كي نصمت ونطيع، والغريب أن شراء الطاعة تحت ظل الخوف كان لأشياء متناقضة . فمن طاعة تناول الطعام .. الى طاعة في التزام الهدوء .. الى الحفاظ على مقتضيات السلوك الواجبة .. خليط من أشياء وأوامر .. كان ثمن عصيانها جميعا هو الترويع بالفأر أو القط أو ذي الساق المقطوعة أو . الخ

وقد طرحنا هذا السلوك اليومي المتكرر في كل البيوت أمام اثنين من المشتغلين بعلم النفس والتربية .. فماذا قالا ؟

رأي العلم

د محمد عودة استاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت يقول : ان للتراث الثقافي دورا هاما في هذه المخاوف . فهو مخبأ في أعماق الانسان،والتعلم لن يزيل بالضرورة تلك المعطيات الثقافية الخرافية التي كونها اللاشعور الجماعي،ويعتبر كثير من الامهات أن التخويف يمكن أن يكون أسلوبا تربويا لاكساب الطفل السلوكيات المرغوب بها .

ان عملية التخويف المستمرة والعقاب البدني المؤلم ، الى جانب التخويف بقوى غير منظورة وخارجية ، سينتج عنها انسان ضعيف الشخصية ، لايستطيع مواجهة المواقف ، أما التربية المعاكسة من حيث التدليل المبالغ به والثواب المستمر سينتج عنها بلا شك طفل مغامر ، لايتردد في اتخاذ القرارات وقد يكون لديه أيضا اتجاهات عدوانية ، وهذا اسلوب خاطيء أيضا ، مرفوض تربويا

الاسلوب الامثل لتكوين شخصية متزنة مقبولة احتماعيا وتربويا يعني بالضرورة وضع خطة تربوية صحيحة ، فالعقاب المستمر لا يجدي ولكن اثابة الطفل عند النجاح بعمل سلوكيات مرغوبة أمر مقبول . كما على الأهل معاقبة الابناء عقابا تربويا لايكون بالضرب أو الصراخ ، وانما بأسلوب منطقي كالاستنكار البسيط ، فعدم التعليق على الفعل أحيانا أو العبوس هما نوع من أنواع العقاب ، فالضرب لن يجدي بل سيجعل الطفل يعيد الكرة في محاولة منه لاثبات الذات ، الثواب أيضا لن يكون باغراق الطفل بالعطف والحنان ، فكلمة استحسان أو مدح ستكون كافية للطفل .



ـ تخويف الطفل للحصول على الراحة تنتج عنه شخصية مضطربة ومذعورة

ويضيف الدكتور عودة : أن تثيب باعتدال ، وتعاقب باعتدال وأن لا تخوف بمصادر لا وجود لها ، وأن تتيح الفرصة للطفل لكسب الخبرة بالممارسة ، وأن لا تعرض الطفل لمؤثرات الثواب والعقاب ، كل هذا يساعد في تكوين الشخصية المتزنة .

وعلى الاهل تناسي عمليات العقاب الصارم،الا في حالات انعدام نتائج الوسائل السابقة .

أنت لن تستطيع أيها المربي أن تمنع عملية التعلم ، أو تقف حائلا دون وقوعها من أجل تحقيق انانيتك في الراحة وعدم الجري وراء الطفل ، فهي ضرورية لاكساب الطفل سلوكيات مرغوبة ، وخصوصا وأن عمليات العقاب والتخويف قد تظهر في المستقبل على هيئة حالات مرضية .

كيف تتكون المخاوف

والدكتورة نادية شريف الاستاذة المساعدة بقسم علم النفس : تزيد الامر وضوحا أيضا فتقول : ان مخاوف الاطفال ماهي الا نوع من أنواع السلوك الانفعالي الذي ينمو ويتطور ويتغير بنمو الانسان وتطوره ، وتلعب عوامل النضج والتعلّم دورا هاما في نمو الانفعالات وتطورها ، ومن ضمنها انفعالات الخوف أو مخاوف الاطفال .

والواقع أن معظم المخاوف عند الانسان بصفة عامة ، وعند الاطفال بصفة خاصة هي أساليب انفعالية متعلمة ، نتيجة للظروف البيئية التي يعيش الطفل في وسطها .

واذا كانت هناك مخاوف توجد مع الطفل منذ ولادته ،فيمكن اجمالها في مصدرين أساسيين فقط ، وهما : الخوف من الأصوات الشديدة المفاجئة أو الخوف من السقوط من أعلى ، أما ما عدا ذلك من أمور يخاف منها الطفل فانها جميعها مكتسبة من الظروف الموجودة من حوله ، مثل خوفه من الظلام أو الثعابين أو غير ذلك من الحيوانات الاخرى . وقد أكدت الدراسات أن الطفل الصغير لا يكاد يخاف الا من الاصوات العالية المفاجئة أو السقوط أما فيما عدا ذلك فهي مخاوف تتكون من خلال التعلم والاكتساب .

وتكثر مخاوف الطفل لاسيما في مراحل العمر المبكرة، نتيجة لطبيعة وامكانيات نموه العقلي ، فطفل مرحلة الروضة تتميز فترة نموه العقلي بعدة مميزات : أولاً : طفل متميز بنمو الخيال والقدرة على التخيل



ـ ان بث الخوف في نفس الطفل بهدف تأديبه يصدم الطفل ويؤدي الى ارهابه

واضفاء صفة الاحيائية على الامور المحيطة به ، ونقصد بالاحيائية هنا أن العقل يعطي الحياة و الشعور للاشياء الجامدة والمتحركة من حوله ، فالمطر ينظر اليه ككائن حي يسقط من السماء الى الأرض ، والشمس عندما تشرق علينا تعرف انها تشرق ، والقمر يلاحقنا في كل مكان وهو يعرف ذلك . والطاولة تشعر والحجر الذي نضربه بقوة يشعر بالالم والعنف .

كذلك يتميز الطفل بصفة التمركز حول ذاته حيث يرفض تماما أن يأخذ بوجهة نظر الآخرين ، ويعتبر أن وجهة نظره هي الصحيحة وبالتالي تبقى الاشياء أمامه معلقة غامضة ، وتبقى السببية الفيزيائية بعيدة عن ادراكه لمدة طويلة ، بل ان مفاهيمه تتميز بأنها بدائية في كثير من الأحيان .

طفل هذه المرحلة لم يصل بعد الى نمو التفكير المنطقي بعملياته العقلية المختلفة .

لكل هذه الاسباب الخاصة بامكانيات النمو العقلي لطفل هذه المرحلة فاننا نجد أن تكون المخاوف بحور بداياتها في هذه المراحل المبكرة من العمر ، ويصبح من غير المستغرب أن نوجه اهتماما الى التعرف على هذه المخاوف ، وتقديم كل عون وقائي وعلاجي للتخلص من مثل المخاوف ، لاسيما أن هذه المخاوف





كفاءة عاليه فى هذا المجال

● يمكن لاشعة الليزر أن تقوم باعمال عديدة فى التكنولوجيا الحديثة ، وخصوصا فى الصناعات الدقيقة التى تستخدم ترانزستورات فى حجم رأس الدبوس ، حيث تحتاج الى وصلات ملحومة بدقة بالغة ، ويستخدم غالبا أجهزة تستخدم غاز ثانى أكسيد الكربون لأصدار اشعة ليزر قوية .

وقد أمكن ـ سعة الليزر ـ ثم ثقب مقدار سنتيمتر واحد بقاعدة ترانزستور فى مدة تبلغ واحدا على مليون من الثانية ، ومن ثم أصبحت تستخدم فى صناعة المصابيح الكهربائية والحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية .

● أمكن ـ باستخدام عدسة ضوئية ـ أن تركز كل طاقة أشعة الليزر على مساحة ضيقة جدا مهما يكن بعدها عن مصدر الليزر ، ومن ثم تتمكن من رفع درجة حرارة الهدف أكثر من مئة ألف درجة مئوية (تبلغ درجة حرارة سطح الشمس عشرين ألف درجة مئوية) . وهذا يؤدى الى قطع وقص ولحام وثقب الأجسام المعدنية المختلفة ، مهما كانت صلابتها (مثل الماس والفولاذ) أو حجمها خصوصا فى صناعة الساعات ، حيث ان لمثاقب الليزر قدرة هائلة ، بالاضافة الى امكانها تحديد الموقع المراد ثقبه بدقة بالغة .

الليزر فى المجال العسكرى :

● دأب كتاب الخيال العلمي لعشرات من السنين فى قصصهم على استخدام سلاح رهيب يصدر أشعة ذات قوة تدميرية مروعة ، أطلقوا عليها (أشعة الموت) ولعل أول من استخدمها الكاتب هـ ج ويلز فى روايته الشهيرة (حرب الكواكب) حيث استخدم الغزاة (سكان المريخ) أشعة الموت فى محاولة القضاء على سكان كوكب الأرض

وتمر السنون وتظهر القدرة التنبُّئية لكتاب الخيال العلمى، ويتمكن العلماء فعلا من اختراع هذا السلاح الإشعاعى المدمر فى عام ١٩٦٠ ، واطلقوا عليه (اشعة الليزر) وزودوا به الأقمار الصناعية القاتلة ، والمنصات الفضائية ، والمدافع والطائرات والدبابات لتستخدم طاقة الليزر الهائلة فى تدمير الأهداف المعادية بسرعة الضوء ، وخصوصا عندما تطلق من الفضاء الخارجى الى أهداف محددة فوق كوكب الأرض .

● يرى العلماء أن الحرب القادمة ستدور رحاها فى الفضاء ، ومن ثم سيكون شعاع الليزر هو الوسيلة الفعالة للدفاع ضد القذائف النووية الموجهة العابرة للقارات ، فيمكن لأشعة الليزر بطاقاتها المروعة أن تقطع المسافة من أجهزة الدفاع الى الصاروخ المعادى فى اجزاء من الثانية .

الليزر . . فى الفضاء :

● يمكن استخدام أشعة الليزر فى قياس المسافات الشاسعة بالفضاء ، وقد أمكن قياس المسافة بين كوكب الأرض والقمر بدقة بالغة ، فالقمر على بعد حوالى ٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر ، وباستخدام أشعة الليزر من كوكب الأرض واطلاقها الى القمر حيث تنعكس على عدة أسطح عاكسة ـ وضعها هناك رواد فضاء من بعثة ابللو ١١ عام ١٩٦٩ ـ ثم ترتد مرة أخرى الى كوكب الأرض ، وهذه الرحلة التى طولها ذهابا وايابا حوالى ٨٠٠,٠٠٠ كيلو متر تستغرق من أشعة الليزر حوالى ٢,٥ ثانية فقط ، ويقيس العلماء نبضات الليزر من العاكس من نقطتين مختلفتين على سطح الكرة الأرضية ، ومن ثم فهم يتمكنون ـ باستخدام سرعة الضوء ـ من معرفة المسافة الدقيقة بين كوكب الأرض والقمر الى اقرب ١٥ سنتميترا .

كما يمكن قياس سرعة تباعد القمر من الأرض ، وكيف تتأرجح الكرة الأرضية على محورها

● ثمة ظاهرة غريبة فوق كوكب الأرض يطلق عليها (تزحزح القارات) وتتمثل فى تحرك قارات الأرض ببطء شديد بمجرد عدة سنتيمترات كل عام .

ولقياس هذا التحرك يتم اطلاق شعاع الليزر من قمر صناعى فى مدار حول كوكب الأرض . ويمكن قياس التحرك البطيء جدا عن طريق انعكاس اشعة الليزر من نقطة معينة فوق قارة ما ، ثم انعكاسه من نقطة أخرى بعد مدة من الزمن ، والفرق بين النقطتين يمثل تحرك القارة .

● من النتائج المثيرة لعصر الفضاء زيادة معلوماتنا عن كوكب الأرض ، فتستخدم الأقمار الصناعية فى

التي يكونها الطفل قد تكون مصدرا من مصادر القلق والاضطرابات الانفعالية عند الصغار .

مسئولية من ؟

ان أساليب التنشئة الاسرية تلعب دورا هاما في نشأة وتكون مخاوف الاطفال . فسلوك الأم في بعض الاحيان يكون سببا في تكون مثل هذه المخاوف ولاسيما اذا علمنا أن الطفل في مراحل العمر المبكر يتعلم من خلال الملاحظة وتقليد الوان السلوك التي يلاحظها .

ولما كانت الأم هي أقرب انسان الى طفلها الذي يقضي معها معظم وقته ، كان لسلوكها وانفعالاتها الدور الاكبر في تكون مثل هذا السلوك فاذا كانت تظهر أمام طفلها خوفها من أمر من الأمور ، وتكرر سلوكها أمام الطفل كان ذلك كفيلا بتعلم الطفل الصغير أن يخاف من نفس الشيء ، علما بأن الخوف له خاصية هامة هي قابليته للانتشار والتعميم فالطفل الذي تعلم الخوف من الفأر مثلا قد يخاف بعد ذلك من القطط والكلاب وكل الحيوانات دات الفراء .

لذلك فان مخاوف الام أو الأب أمام الطفل تغدو قدوة وتوحي له بالخطر . فاذا لم يستطع الكبار درء الخطر عنهم فكيف له أن يبعد هو هذا الخطر ؟ من هنا يتكون لديه شعور بالخوف

ان استغلال وبث الخوف في نفس الطفل كوسيلة تأديبية يؤدي الى تكون مخاوف الطفل ، فتهديده بأن عفريتا سيخطفه لأنه عصى والديه مثلا سينتهي الى احساس الطفل بخطر محتمل ، فيصدق الكبار ويصبح فزعا وتتكون في نفسه من ثم مخاوف من الأمور الغيبية غير المنظورة .

ترك الاطفال مع الخدم غير المؤهلين للتربية والتنشئة الذين غالبا ما يلجأون الى سرد الخرافات أو الحكايات الخرافية التي لايستطيع الطفل فهمها والتي يكون عنها افكارا خاطئة ناتجة عن شعوره بالخوف والفزع هو من الأمور غير المستحبة ، ويترك آثاره المستقبلية في نفسية الطفل .

وقد يكون للمدرسة دور في خلق المخاوف لدى الاطفال ، ولا سيما المخاوف التي لايستطيع الفرد تقليل اسبابها مثل خوف الطفل من التحدث أمام الغرباء أو ابداء رأيه ووجهة نظره ، أو طرح اسئلة استشارية ، فكل هذه المخاوف تنشأ من عدم شعور الطفل بالثقة في نفسه ، نظرا لما قد يصادفه من المواقف سواء في المدرسة أو داخل الاسرة من عقاب على محاولاته للقيام بمثل هذه الالوان السلوكية من الاقدام أو الجرأة وطرح الرأي . وبالتالي تكون المدرسة قد أسهمت بدور كبير في خلق حالات من القلق والخوف المبهم الغامض الذي قد يشكو منه كثير من الناس ولا يعرفون له سببا .

وبناء على هذه الاساليب الفاشلة والسيئة وتبعا لامكانيات الطفل العقلية ، وقدرته على فهم الامور والتي سبقت الاشارة اليها فان كثيرا من هذه المعاني والخرافات تصبح ذات قوة كبيرة في استثارة مخاوف الطفل وتكوين تلك الشخصية المهزوزة غير الواثقة من نفسها

العلاج الخاطىء

وتستمر الدكتورة نادية في حديثها :

فكثيرا ما يلجأ الآباء الى ابعاد الشيء المخيف عن الطفل ويحولون دون رؤيته لما يخاف منه ، وهذا خطأ ، بل انه يزيد من حدة الخوف لدى الابن

كما أن كثرة تعريض الطفل للشيء المخيف : وهو عكس الحالة الأولى ، بحيث يعمد الآباء الى تقريب الشيء المخيف بالنسبة للطفل لن يظهر أثره على مايخاف منه الطفل فقط بل سينتقل اثره الى أمور أخرى فقد يربط الخوف من القطة بالاشخاص الذين يقربون القطة من الطفل وبذلك تزداد وتتعدد مخاوف الطفل .

ومن اخطر الأمور على نفسية الطفل التوبيخ والسخرية مما يجعله يفقد الثقة بنفسه وبالمحيطين به ، ويتخذ ألوانا من السلوكيات العدائية بجانب المخاوف .

ومن ثم عليك ، ايتها الأم ان تمنعي كل تلك

التشنجات النفسية من الوصول الى طفلك . عليك أن تساعدي طفلك للتغلب على مخاوفه .

فالام المثالية هي التي تدخل الطمأنينة الى ابنها عن طريق تصحيح التعلم أي محاولة تعليم الطفل كيف يتعامل مع الاشياء التي يخاف منها . ويكون ذلك عن طريق تقديم الاشياء التي تمثل مصدر المخاوف للطفل بطريقة مابحيث لا تزيد من مخاوفه مثال ذلك ، اذا كان الطفل يخاف الظلام فمن الممكن أن يذهب الى الأماكن المظلمة بصحبة والدته في أول الامر . . ويتكرر اطمئنانه بوجود والدته الى أن الظلام لايوجد به ما يسبب الخوف وشيئا فشيئا يقل اصطحاب الام لطفلها ، فقد تقف على باب الغرفة فقط ، وقد تبقى بعيدة تنادى عليه وشيئا فشيئا يتأكد من أنه لايوجد ما يؤدي في الظلام .

نفس الحال اذا كان يخاف من القطة فمثلا تقريب القطة منه في أثناء وجوده في موقف سار بصفة عامة ، كأن يكون جالسا بين والديه واخوته ، ثم يمكن بعد ذلك احضار القطة في قفص وجعلها بعيدة عنه وتكرار هذه العملية وتقريب القطة من الطفل تدريجيا ، واللعب معها في أثناء تواجد الكبار معه ، وخطوة أثر الأخرى يمكن ازالة مخاوفه

التقليد الاجتماعي

ان الطفل يتعلم بالتقليد فمن الممكن أن تسهم الملاحظة والتقليد في تعديل أنماط السلوك الخاطئة ، لذلك فرؤية الطفل لمجموعة صغار يلعبون مع القطة مثلا يساعده على الاتجاه لتقليدهم .

اذا كانت مخاوف الطفل تعود الى أمور وأشياء تتصل بما كوّنه هو نفسه وعن ذاته ، أو راجعة الى ضعف ثقته بنفسه وبقدرته ، فانه بالامكان مساعدة الطفل لاكتساب بعض المهارات الأساسية بحيث ييسر له ذلك اعادة الثقة بنفسه وبامكانياته .

واتاحة الفرصة للطفل من خلال المعلم والمدرسة والاسرة لممارسة حقه في ابداء الرأي والمبادرة والابتكار دون احساس بالخجل أو بالفشل حتى نبعد عنه المخاوف التي ترتبط بمفهومه عن ذاته الذي هو أساس تفاعله مع المجتمع المحيط به بأسره . □

●

المرأة والرجل لا بد منهما

يقول الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة : « أيجوز ان ندعو الرجل انسانا وهو لولا المرأة لماكان رجلا ؟ او أن ندعو المرأة انسانا وهي لولا الرجل لماكانت امرأة .

انما المرأة نصف انسان ، وانما الرجل نصف انسان . اما الانسان الكامل فلا يكون الا بالاثنين متحدين .

يقول أحد الحكماء : ان الله غضب على المرأة فجعل النار وجهنم والهاوية والظلمة والخطيئة الرذيلة اسماء مؤنثه وجعل النعيم والفردوس والنور والصلاح اسماء مذكرة .

أولادنا .. والمناورات الضارة

هذه المناورات الضارة .. هل نزرعها في نفوس أولادنا ؟

بقلم : راجي عنايت

هل نزرع في أبنائنا ، دون أن ندري ـ وبنية حسنة ـ جذور الأنماط الضارة في التعامل مع الآخرين ، والتي تفرض عليهم طوال حياتهم ، وتجلب لهم المتاعب في كل مكان ؟

عندما نلقن أطفالنا مبادىء الأخلاق الحميدة والسلوك الطيب ، هل نفعل ذلك بطريقة ترسخ لديهم عادات التعامل السيئة ، التي تتسلل الى تركيبهم الاجتماعي بطريقة لاشعورية ، وتظل تلاحقهم بعد بلوغهم وتفسد عليهم حياتهم الزوجية والعملية ؟ هذا سؤال أتصور انه يجب أن نحاول الاجابة عنه .

فالمعروف أنه عندما يفشل الأطفال والبالغون في التكيف مع الظروف التي يعيشونها ، فان فشلهم هذا يرجع الى نمط التعامل مع الاخرين الذين تعودوا عليه خلال السنوات السابقة ، والذي يمارسونه دون أن يدركوا طبيعته ، بشكل لاشعوري . هذا النمط الخاص أو الشخصي في التعامل مع الآخرين يعتبر ظاهرة غير صحية . لا يمكن التخلص منه الا اذا جرى أولا تحديده ، واتيح لأطرافه ، أن يعوه بشكل شعوري ، ثم لابد بعد ذلك من ايقافه ، لكي تحل محله انماط سوية في التعامل

هذا هو جوهر المدرسة الحديثة في مجال علم النفس الاجتماعي . فبينما كان سيجموند فرويد يهتم بما يجري (داخل) الفرد ، جاء سوليفان ـ رائد المدرسة الحديثة ليصب اهتمامه على ما يجري (بين) الأفراد . ويعود الفضل في تبسيط واشاعة هذا الفهم الجديد الى العالم النفسي اريك بيرن ، الذي استطاع أن يضع يده على مجموعة من هذه المناورات الضارة . والالعاب الخطرة ، التي تمارسها في حياتنا اليومية ، والتي تكون مسئولة عن معظم ما يعكر حياتنا ، ويعقد علاقاتنا مع الاخرين ، في البيت ، وفي العمل

مسئولية الوالدين

الانسان لا يستطيع أن يعيش بشكل صحي في عزلة عن الاخرين . هذه حقيقة ثابتة تتأكد لنا من حاجته الشديدة الى انشاء العلاقات مع البشر من حوله . وهذا الاحتياج يبدو أكثر وضوحا والحاحا عند الطفل . ومن الطبيعي أن يكون المجال الأول للطفل ، والذي يتم فيه تأسيس انماط علاقاته مع الآخرين هو البيت ، من خلال التعاملات التي تجري بين الطفل من ناحية وبين الوالدين والاخوة من ناحية



آخرى

وهذا يضع مسئولية كبرى على عاتق الوالدين ، تقتضي منهما ادراكا كاملا لأنواع المناورات التي تدور في البيت ، ووعيا بأساليب التعامل مع الطفل التي قد تؤدي الى تثبيت الانماط السلوكية الضارة لديه . . وقد اكتشف اصحاب المدرسة النفسية الحديثة ، أن السمات الأساسية التي تحدد شخصية الفرد تنمو تدريجيا خلال سنوات حياته العشر الاولى ، على اساس أنماط التعامل مع الآخرين .

الحوار الضار

كلما كان أطراف التعامل لا يدركون طبيعة النمط الضار الذي تجري على أساسه تعاملاتهم ، زاد احتمال ظهور أشكال التعامل غير الصحية المزمنة .

اضف الى ذلك أن انماط العلاقات البشرية غير الصحية التي نطلق عليها اذا تكرر حدوثها لمط (المناورات) تميل الى الظهور خلال فترات التوتر التي يمر بها أطراف التعامل

لكي نفهم ذلك سنبدأ بتأمل هذا الحوار الذي يدور بين أم وابنها الذي في الرابعة من عمره .

الام : هل القيت هذا المقص في مهد اختك الصغيرة ؟

الابن : لا . .

الام : بل نعم . . لقد فعلت هذا اذا لم تكن انت ، فمن الذي فعل هذا ؟ الا تعلم انك يمكن أن تؤذيها بهذا ؟

الابن : انا لم أفعل ذلك .

الام : من الذي فعلها إذن . . كان من الممكن أن تقتلها ، كيف كنت تشعر حينئذ ؟

الابن : شخص آخر هو الذي ألقى المقص في سريرها

الأم : من ؟ قل لي من ؟ انت تكذب .

الابن : على اي حال فهي سليمة لم يصبها أي اذى

الأم : اذن فأنت تعترف بأنك القيت المقص .

الابن . لا . لم أفعل هذا .

الأم : انتظر حتى يصل أبوك الى البيت . . سأخبره ، سأقول له انك فعلتها ، وكذبت بعد ذلك .

الابن . لقد ضربتني . .

الأم : كيف يمكن لطفلة رضيع أن تضربك ؟ ها أنت تكذب ثانية

الابن . لست كذابا

مؤشرات خطيرة

ماذا ترى في هذا الحوار ؟ ربما يكون قد تكرر أمامنا ما يشبهه أكثر من مرة ، دون أن نجد فيه ما يستوقف النظر ، أو يدعو الى التأمل . لكن المدرسة النفسية الجديدة ترى فيه مؤشرات خطيرة . وتنظر الى هذا التعامل نظرة مختلفة

أول حقيقة تكشف عنها مدرسة تحليل التعاملات هو أن هذا الحوار يكشف عن عدم وعي الأم أو الابن بالموضوع الأساسي الذي خلق ذلك الحوار الام تؤنب الابن وتهدده ، وهو يكذب ، ويتحول الى طفل خائف متجهم ، وهكذا تبقى المشكلة الأصلية دون حل .

قياسا على موقف الأم الذي طرحناه ، يمكنها أن تواصل الحاحها على ابنها لعدة دقائق اخرى ، أو ساعات ، أو أيام ونتيجة لذلك تتضاعف عدوانية الابن تجاه اخته الصغيرة . ومثل هذا الموقف اذا تكرر من الام والاب بالقدر الكافي ، فانه يشكل لدى الابن بالتدريج ، نمطا مختزنا وغير صحي للتعامل مع الاخرين ، وهو ما يطلقون عليه تعبير (المناورة) . وهو يمضي في استخدام هذه المناورة مع اخته خلال سنوات طفولته ، ثم بعد بلوغه ، مما يضاعف المشاعر العدوانية بينهما

ما بعد الوعي

دعنا نرى الان ما كان يجب أن يكون عليه الحوار السابق ، اذا ما كانت الأم واعية بجوهر الموضوع الذي تتصدى له

الأم : لقد وجدت مقصا في مهد اختك ولانه لا يوجد في البيت سوانا ، ولأن المقص لم يكن موجودا منذ عشر دقائق فقط ، فلابد أن تكون أنت الذي فعلت هذا

الابن . لقد ضربتني .

الأم : هذا غير صحيح ، وأنت تعلم ذلك لكننا لن نمضي في هذا الآن . المسألة الأساسية هي أنك تخاف أن يقل حبنا لك أنا ووالدك عن حبنا لاختك الرضيع فهذا انت غاضب على اختك

الابن . على أي حال ما هي حاجتنا اليها ؟

الأم . ان نحبها ، لقد أصبحت الان ضمن الكبار في اسرتنا وكما احبك ، أنا ووالدك ، ومازلنا نحبك بنفس القدر ، علينا نحن الثلاثة أن نحب الصغيرة وأيضا لأنك أصبحت الان واحدا من الكبار ، عليك أن تساعد في رعايتها

الابن ماذا يمكنني أن أفعل ؟

الأم احضر ذلك الدب اللعبة الذي جاءت به خالتك ، وضعه الى جوارها في السرير،في عمرها هذا لن تعرف ماهو الدب ، لكني واثقة أنها ستحب فروه الناعم .

الابن . سأضع الدب الى جوارها .

الأم . شكرا . .

التعامل السليم

في هذا الحوار كانت الام (واعية) بمصدر ازعاج الطفل ، لذا نراها تتكلم معه في صلب الموضوع ، وتكشف له المسألة التي تعذبه ، فتجعله (واعيا) بها ، قبل أن تجسد الأم لابنها مشاعره بالكلمات ،

وأعلن الطفل أن الابن لم يكن يعي ما يثيره مولد اخته الصغرى من غضب وفقدان للامان

لقد طمأنت الام ابنها بالنسبة لمخاوفه . اخبرته ان حبها وحب أبيه له لم يتناقص بمقدم الاخت الصغيرة . ثم رسمت له دورا جديدا في حياة الرضيعة لا يتسم بالتنافس بأن جعلته اخا اضافيا لها . هذا لم تعد الاخت الصغيرة مصدر تهديد له ، فأحتمى غضبه عليها

وأخيرا احلت الام نشاطا صحيا سليما محل النشاط غير الصحي الذي كان الابن يمارسه فطلبت منه ان يقدم لاخته الدب في مهدها ، بدلا من القاء المقص فيه

ويمكن أن نحصر الموقف في النقاط الاربع التالية

١ ـ لقد استطاعت الام ان تكتشف نمط التعامل غير الصحي الذي يمارسه ابنها ، والذي اذا ما ترك ليتكرر في مناسبات مختلفة ، يمكن أن يتحول الى مناورة ضارة ، يلتزمها الابن باقي حياته

٢ ـ لقد جعلت الابن يدرك بشكل تفصيلي ذلك النمط غير الصحي من التعامل الذي يمارسه ، وخلال هذا الجهد ، اتضحت لديها الصورة بشكل أدق

٣ ـ أوقفت النمط غير الصحي من التعامل ، عن طريق تبديد مخاوف الابن التي كانت تؤرقه

٤ ـ استبدلت بالنمط غير الصحي من التعامل ، نمطا صحيا ، عندما اعطت الابن دورا بناء ، ومحققا للذات ، في علاقته باخته الصغيرة

العناصر الخمسة

من هذا المثال نرى أهمية حرص الوالدين على الوصول الى ادراك متزايد ، وفهم عميق لطبيعة التعاملات التي تتم في اطار الاسرة ، لكي لا يساهمان من حيث لا يدريان في تثبيت أنماط التعامل الضارة لدى الابناء

الا أن مجرد الادراك المتزايد لطبيعة الأنماط الضارة ، لا يكفي وحده لترسيخ أنماط التعامل السوية بين الأبناء . فالادراك عنصر واحد من خمسة عناصر تجنب الابناء الالتجاء الى المناورات الضارة في تعاملاتهم صغارا وكبارا

من هذه العناصر الحرص عند التعامل مع الابناء على عدم ترسيخ صورة سيئة لذواتهم ، فكل شخص يحمل داخله صوره كاملة لنوع الانسان الذي يكونه ، أهو قادر أم ضعيف ، مهم أم تافه ، وسيم أم قبيح . وتعامل الاباء والامهات مع الابناء يساعد أساسا في رسم هذه الصورة الشخصية ، حتى لو تناقضت معالمها مع الأمر الواقع . اذا ظل الاب يردد للطفل في كل مناسبة (انت غبي) يمكن أن تدخل هذه الصفة ضمن الصورة التي يرسمها لنفسه طوال حياته

العنصر الثالث هو قدرة الفرد على التعبير عن مشاعره . فالطفل أو البالغ يجب أن يكون قادرا على أن يعطي تعبيرا معقولا عن مشاعرة بطريقة معتدلة من المجتمع . يجب أن يكون قادرا على صياغة الكلمات التي تعبر عن شوقه أو غضبه أو خوفه ، حتى لا يضطر الى اختزان هذه المشاعر ، مما يدخلها في نطاق لا شعوره ، لتؤثر بعد ذلك على استجاباته ، دون أن يدرك ذلك

أما العنصر الرابع فهو مساعدة الطفل على تحديد هويته ، الامر الذي يعتبر من أهم مكونات شخصيته ، التي تؤثر في تعامله مع الاخرين والطفل الذي تتحقق له علاقة صحيه مع أبويه يميل الى أن يتبنى معاييرهما الاخلاقية ، ووجهة نظرهما الاجتماعية . أما اذا تعقدت العلاقة بين الطفل والابوين ، فان هذا سيؤدي الى رفض ومعارضة الطفل لطريقة الوالدين في الحياة ، صراحة أو ضمنية

وأخيرا ، يبقى الحرص على خلق الاحساس بالاطمئنان لدى الطفل ، وتجنيبه الشعور الدائم بالقلق ، والذي يمكن أن يتولد لديه نتيجة للمآزق التي يجد نفسه فيها عند تعامله مع الوالدين أو مع الآخرين في محيطه . فان مثل هذا القلق يبقى ملازما للطفل بعد أن يكبر ، ويؤثر على تعامله مع الآخرين بطريقة لاشعورية □

هـو....

الحبُّ

● تشغل بالي كثيراً .. وتؤرقني .. أحاول أن أبحث لها عن تفسير، ولكن ذهني لا ينجح في الوصول الى سبب واضح، وأعرف أن كثيرين يرون أن ما يشغل بالي أمر تافه .. ولكن هذا الأمر التافه أصبح كبيراً معي، زوجي لا يجاملني ولا يدللني أمام الناس .. عفواً .. لا تضحكوا مني. ولكن ناقشوا الأمر مثلما أناقشه أنا.

تزوجنا عن علاقة طيبة .. متعلم مثقف .. أعرف وأثق أنه يحبني ويحرص على مشاعري، تتألق بيننا مساحات من الاحترام المتبادل والثقة .. وعندما نكون معاً في بيتنا نضحك ونمرح ونسخر من كل شيء .. مني .. منه حسبما يملي الموقف .. نعرف نحن الاثنين معنى المرح والضحك الانساني بحضور ذهن وبديهة متألقة. دون اسفاف أو افتعال .. ولكن فجأة أمام الناس في أي مجتمع .. سواء كانوا أهلي أو أهله .. أصدقائي أو أصدقاؤه يتجنبني .. يقل حديثه معي تماماً. حتى لو كانت هناك ضرورة للحديث،كل الأزواج يجلسون بجوار زوجاتهم. الا هو يبحث عن مقعد بعيد عني ويجلس .. اذا جاءت مناسبة حديث أو كلام من نوع هذه الأحاديث التي تدور بين العائلات عن طعام .. عن ثياب عن موقف لزوجة .. يتبارى الأزواج في الثناء على زوجاتهم، وتتبارى الزوجات في مديح أزواجهن، وأنا أعرف أن منهم من يمدح بلسانه فقط، ولكنهم يجاملون أمام الآخرين .. حاولت كثيراً أن ألفت نظره .. أقول له ان هذه مجاملة علنية .. شهادة إعلان عن لحظة سعادة أمام الناس .. يقدمها الزوج لزوجته أو العكس .. شيء رائع أن ننتهز الفرص كي نقدم مجاملة .. شحنة اهتمام علنية وشيء رائع أن يتم ادراك أهمية وأثر باقة الزهر العلنية من الثناء التي تنزل على مشاعر الزوجة ونفسيتها برداً وسلاماً، ومهما كانت ثقتها انه يعترف لها بفضلها ويقول لها فيما بينهما أكثر من المجاملة العابرة، الا أنها تسعد بالاعلان أمام الناس.

مهما مرت الأيام بها فهو يحمل شيئاً دافئاً داخله يرسل منه امتناناً واحتراماً. ولكنها تريد منه أن يفضي به أمام كل الناس. بهذا كما تقول الزوجة وبأشياء أخرى كثيرة أتوازن ولكنه لا يريد أن يفهم.



هي

هي....

مَا بَعْدَ الحُبّ !

● بيني وبينها ما هو أكبر من الحب . . لقد تجاوزت هذا من زمن ، بيني وبينها هذه المودة والألفة والتواصل ، هذا الطوفان من المشاعر الذي يملأ خلايا الدم والأعصاب عندما نكون معاً وحدنا . كل ما بعفوية وتلقائية ، يتفس في أن يزرع بسمة على شفاه الأحر ، يترقب حركة عينيه ليلبي له ما يطلب . في لحظات الصفاء يتألق بيننا المرح والدعابة ، نعود بعفوية الى زمن الطفولة النادر . . نتخلص من إحساسات كثيرة قيد بها الزمن والحياة أرواحنا . . بيني وبينها الأمتنان . . الذي يختزل كل المشاعر ويسمو فوقها ، الخلاف بيني وبينها « هو الاعلان عن ذلك أمام الناس » . . هي لا ترى حرجاً في إطرائها ـ أي العلاقة ـ أمام الناس والثناء عليها . . أنا أرى كل الحرج ، لأنني تجاوزت ذلك وملء روحي الامتنان . . فلم أعد أرى في



الأحرف والكلمات أداة تعبير ، لحظة الصمت أداة تعبير . تألق العين أداة تعبير ، تهلل الوجه تعبير . ويصبح هذا التعبير أكثر بلاغة وأعظم صدقاً ، ولكن يبدو لي أن الأمر ليست له أية علاقة بالبلاغة والصدق . . الأمر كله يتلخص في ارضاء الذات أمام الناس ، هي لا تريد أن تسمع الكلمة . تريد أن ترى وجوه الناس لحظة سماعها . . وأنا لا أعرف هذا . . أي أن أمر الى مشاعرها عبر آذان الآخرين ، أنا لا أعقد الأمور ولا أحاول أن أفلسف أخطائي ـ كما تقول هي أحياناً ـ ولكنني ببساطة أرى أن الانسان ليس مضطراً أن يقول شيئاً لا يريد قوله . . وبالتالي فهو ليس مضطراً لأن يتيح للناس كل الناس أن يتفرجوا عليه وهو يثني أو يمدح أو يشكر أو يجامل أو يدلل . . ويقيناً نحن لسنا محتاجين الى تقديم مشاعر ليست متواجدة ساعتها ـ حسب الموقف والواقعة وسياق الحديث ـ لا أستطيع أن أكون صادقاً واثني على طعامها وأنا جائع . . أقول انها طاهية ماهرة . . لكنني لا أتحمس حماس من يكتشف شيئاً لأول وهلة كما يفعل كل أصدقائي المنافقين ، لا أستطيع أن أقف عندما يقف عنده بعض الناس فأقول . إنها تفعل كذا بمهارة ، وترتب الشيء الفلاني بامتياز . . أنا لم أقف معها أبداً عند هذه الصفات التي تريد هي تأكيدها اليوم أمام الناس ، لقد وقفت معها طويلاً بفرح غامر نادر ، أمام روحها النقية نقاء طفلة صحوك لم تفسد روحها بعد .

هو

من الحياة

إننا نعيش مــرّةً واحدة ..

قليلون هم الذين يدركون المعنى الحقيقي للحياة . فالحياة رحلة يمضيها الانسان على الأرض ، وهو وحده الذي يستطيع أن يجعل منها رحلة ممتعة . وهو وحده أيضا الذي يمكن أن يحولها الى جحيم تستعر فيه نيران الشقاء

ولكن كيف نفسر هذا الكلام الذي قاله تولستوي كاتب روسيا الكبير ؟ انه يكمل المعنى الذي ذهب اليه عندما يقول « ان الحياة لا تكتمل الا في الزواج فالرجل وحده لا يمكن أن يصنع اسرة ، وكذلك المرأة »

واذن فالعبء على الزوجين ، ففي أيديهما وحدهما حلاوة الحياة ومرها وقد كان تولستوي تعسا في زواجه . كان قلبه الكبير يمتلىء بحب الحياة والناس ، وكانت هي ناقمة على الحياة بكل ما حملته لها من صور جميلة . . لعل أجملها اطلاقا انها كانت زوجة لهذا الكاتب والمفكر والمصلح الكبير . وعلى الرغم من هذا فقد مضى في رحلته معها حتى آخر ايام عمره

ونعود الى حديثنا ، ترى كيف ننعم برحلة حياتنا على الأرض . كيف نتمتع بكل لحظة تمر من عمرنا الذي نعيشه مرة واحدة ؟ هذه قصة زوج ، لم يكن تعسا ولم يكن سعيدا ، كان يمضي في حياته كأي زوج دون أن يتوقف مرة واحدة ، ويتأمل تلك الاسرة الصغيرة التي يعيش لها ويعمل من أجلها ربما لأنه كان مشغولا عنها بعمله ، أو ربما لأنه كان يعلم انه كل شيء في حياة زوجته وابنائه ، وان حبهم له وتعلقهم به لم يكن ابدا محل تساؤل فهو ليس زوجا سيئا ولا أبا جحودا . ولكنه فقط لم يحاول مرة واحدة أن يشعر هؤلاء الذين ارتبط مصيرهم به ، أنهم جزء منه ، وأنه يحبهم كما يحبونه تماما وربما أكثر .

***

وتمر السنون . . عشر سنوات أو أكثر أو أقل في حياة الاسرة الصغيرة التي كانت تسير في هدوء لا يعصف به شيء . الى أن كان اليوم الذي عصفت فيه السماء واكفهرت،وكان الزوج خارج البيت . لم يكن قد عاد من عمله بعد . واستبد القلق بالزوجة المسكينة وهي ترى كل شيء من حولها يتطاير ويسقط وتذروه رياح العاصفة . . ولكنه عاد . كتبت له النجاة بمعجزة

ومضى اليوم وهدأت العاصفة . . واقتربت منه والقت برأسها الصغير على كتفه وبكت . ومد يده ليحتضن أناملها الصغيرة ، ويتجهان الى الله بالشكر والدعاء . . فقد كان عدد ضحايا العاصفة يفوق كل تقدير .

وجاء صباح اليوم التالي ، وقامت من نومها مبكرة لتعيد كل شيء الى مكانه وتتخلص من آثار الدمار الذي أحدثته العاصفة بالبيت الصغير الذي يجمعهم ، ولكنها كانت تتمنى لو أنه عدل عن الذهاب الى عمله حتى ينتهي العمل من اصلاح الطرق التي تهدمت وامتلأت بالاشجار وأعمدة الكهرباء



والسيارات المحطمة .

ولكنه صحا من نومه فجأة ، وقال وهو يرتدي ملابسه « لابد ان اذهب الى عملي ياعزيزتي » .

وأسرعت الزوجة تعد لزوجها طعام الافطار ، وجلس هو الى المائدة يأكل . وانقضت بضع لحظات سادها الصمت ، لكنه ما لبث أن أحس بشعور غريب يحتويه . شعور الرجل الذي عاد من موعد مع الموت

وقرأت ما كان يدور في رأسه في تلك اللحظة . فراحت تطمئنه ، رغم انها كانت في حاجة الى من يزيل عن صدرها هي هذا الكابوس المخيف . ولكنه ذاهب ولا سبيل لمنعه من الخروج . .

وفجأة وجد نفسه يتجه اليها بعينيه ويتأمل هذا الوجه الذي رافقه طوال تلك السنين ، وبدا وكأنه يرى صاحبته لأول مرة ، وانطلق يتحدث في هدوء كانت كلماته تقطر حبا وحنانا . قال :

« لا أعرف ماذا حدث لي اليوم ، ولكني اريد أن اقول لك إنني سعيد بك ، سعيد ببيتي وأطفالنا إنني احبك ياعزيزتي ، ولو عادت عقارب الزمن الى الوراء ، الى اليوم الذي اخترتك فيه زوجة لي لما فعلت غير ما فعلت انني لا أستطيع أن اتصور أن هناك من هو أسعد مني في هذا العالم الواسع » .

***

كان غريبا أن تستمع الزوجة الى هذا الحديث الرقيق الحلو من الرجل الذي عاشت معه طوال هذه الأعوام ، دون أن يفكر مرة واحدة في أن يعبر لها عن مشاعره التي ظل يختزنها الى أن انطلقت من شفتيه تماما كما تنزل قطرات المطر فوق الأرض المتعطشة للماء والحياة . .

وانقضت بضع دقائق والزوجة تتأمل وجه الرجل



جهاز ليزر يوجه الى القمر حيث ينعكس من المرايا (الى الأعلى) التي وضعها رواد فضاء أبوللو ١١ فوق سطح القمر

اطلاق أشعة الليزر الى مناطق مختلفة من الأرض لدراسة شكلها وقياس سطحها بدقة بالغة

الليزر .. في الاتصالات :

شهدت تقنية نقل المعلومات ثورة تتمثل في استخدام اجهزة اتصال بالغة التعقيد ، وذات كفاءة عالية تعتمد على أشعة الليزر في تشغيلها .

فقد امكن استخدام أشعة الليزر في نقل البيانات والمعلومات ، اما باطلاق الاشعة بشكل مباشر ، أو بامرارها في الياف بصرية ولا يعتبر اطلاق أشعة الليزر بشكل مباشر وسيلة عملية لنقل البيانات والمعلومات ، ذلك انها تتأثر بشكل كبير بالسحب والضباب ، ومع هذا فيمكن استخدامها في الفضـ الخارجي في الاتصالات بين الاقمار الصناعية حيث لا يوجد ما يعيق مثل هذه الاتصالات .

ويمكن استخدام أشعة الليزر بكفاءة عالية في الاتصالات ونقل البيانات والمعلومات عند امرارها عبر الألياف البصرية .

الألياف البصرية :

أحدثت الألياف البصرية ثورة في الاتصالات الحديثة ، وهي عبارة عن أسلاك شفافة دقيقة جدا (يصل قطر بعضها الى ما يقرب من الشعرة الآدمية وتصنع من مادة السيليكا والزجاج الشديد النقاء

الذي أحبته وأسعدته ، وسرحت ببصرها في عينيه ، فوجدتهما تلمعان ببريق عجيب وكأنهما تحدثانها وتؤكدان لها أنه صادق في كل كلمة قالها .

ولكنها ما لبثت أن احست بالحيرة تحتويها لماذا الآن ؟

وحاولت أن تبحث عن اجابة لهذا السؤال الذي كان يلح عليها بينها وبين نفسها ، ولما لم تجد تفسيرا يريحها اقتربت منه في هدوء ووضعت يديها فوق كتفيه ولثمت شعر رأسه بقبلة رقيقة ، وقبل أن تبتعد عنه شعرت بالدموع تغرق عينيها الجميلتين

وفي غرفتها التي أغلقت بابها وراءها حتى تخفي عنه ما كان يعتمل في صدرها في تلك اللحظة ، ارتمت على فراشها وراحت تبكي ، فقد خطر لها خاطر ، حاولت جاهدة أن تطرده من ذهنها : « ترى هل هو حديث الوداع ؟ هل أحس زوجها ووالد أطفالها بأنه لن يعود اليهم ثانية ؟ »

ووقف يودع زوجته وابناءه ، كما يفعل كل صباح ، قبل الذهاب الى عمله . . فقد كان وداع اليوم أكثر حرارة . . وغادر البيت دون أن ينظر وراءه وهو ينتزع ابتسامة من بين شفتيه انتزاعا . وقال : « أعدكم بأن اعود اليكم سالما . لقد هدأت العاصفة كما ترون » .

وذهب الزوج . . ولكنه لم يعد فقد هبت العاصفة من جديد ، وكانت قوية عاتية . . وسقط الزوج والأب بين من سقطوا . .

وعاشت الزوجة مع الذكرى التي تركها لها . مع أطفاله الصغار . . وصورته في صدرها ورأسها لم تغادرهما أبدا . عاشت وفية له بعد ذهابه وهي تمضي وحدها في رحلة الحياة ، وكأنه مازال يعيش معها كل لحظة من عمرها . .

***

الذي يعنينا من قصة هذا الرجل هو هذا الاحساس المفاجيء بحلاوة الحياة عندما انتابه ذلك الشعور بأن رحلته على الأرض قد اقتربت من نهايتها .

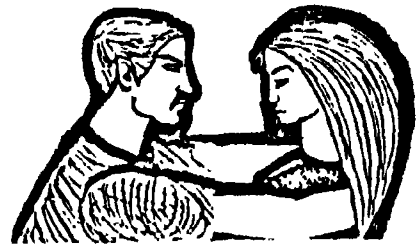
لماذا نخفي مشاعرنا عن هؤلاء الذين نحبهم ؟ ماهو المعنى الكبير للحياة ، ذلك الذي غاب عن ذهن هذا الزوج ؟ إنه عمرنا على هذه الارض ، انه الدقائق والساعات والايام والسنون التي نقضيها قبل رحيلنا عن هذه الدنيا . لماذا نعيشها في صمت ، لماذا نتركها للامواج والرياح تعبث بها ، لماذا لا نشعر أننا أحياء ، وأن ندع الذين نحبهم يحسون بدورهم بقيمة الحياة وجمالها ؟

قلة هم هؤلاء الذين يفعلون ، وأقل منهم هؤلاء الذين يعرفون المعنى الحقيقي لحياة الانسان القصيرة على الارض . . ولقد كان الزوج ـ بطل هذه القصة ـ أبا لاسرة سعيدة ، ولكنه لم يشعر بهذه السعادة ويحس بها الا عندما اقترب أجله . . لقد كان في وسعه أن يقول ما قاله لزوجته قبل لحظة وداعه لها منذ سنوات وسنوات . كان في مقدوره أن يعيد على مسامعها تلك الكلمات الحلوة التي رأت معناها في عينيه ، كلما كانت هناك مناسبة لأن يقولها لها . . ولكنه لم يفعل الا عندما لم يعد في العمر بقية . لقد كان يشعر بالسعادة التي يعيشها ، ولكنها لسبب أو لآخر ، قد لا يعرفه هو نفسه ، شاء أن يحبس مشاعره ، حتى اذا ما أحس بأجله يقترب وجدها تنطلق من سجنها دون أن يدري . .

ولعلنا نجد في قصة الرجل الذي اكتشف معنى الحياة بعد أن أوشكت الشمس على الغروب بعيدا عن حياته التي نسيها في الزحام . . . لعلنا نجد في قصته سر السعادة التي اكتشفها فجأة في وحدته وهو يقترب من الشيخوخة .

كان قد جاوز عامه الخمسين . . وكان يعيش وحده بلا صديق ، ولا رفيق . . كلهم انفضوا عنه بعد أن امتلأت جيوبه بالمال وهجرته زوجته عندما نسيها ، ونسي أبناءه الذين كانوا يملأون حياته قبل أن تهبط عليه هذه الثروة المفاجئة منذ أكثر من خمسة عشر عاما أو يزيد .

ومضت الأيام . . ومضى معها في وحدته . . في البداية كان كل شيء آخر غير المال يبدو أمامه بلا معنى . . فقد كان يعيش في ترف ، ولا يعوزه شيء . . أي شيء ، فقد كان الثمن دائما في جيبه مهما كان كبيرا . . لقد سخر ماله في اسعاد نفسه بالطريقة التي تروق له ، ولم يعد يشعر بالفراغ . .



فقد كان يملك كل شيء . البيت الجميل والسيارة الفاخرة والخدم الذين يسهرون على راحته . . كل شيء كان محروما منه في شبابه وأيام كفاحه مع المرأة التي شاركته حياته في فقره وحرمانه ، أصبح اليوم بين يديه ورهن اشارته .

***

وفجأة ، صحا من غفلته ، على الحقيقة التي يعيشها . . ما معنى هذه الحياة ؟ ما قيمتها وهو ينعم بهذا كله وحده بعيدا عن هؤلاء الذين أحبهم وأحبوه في يوم كانت الشمس لا تغيب فيه عن حياته لحظة واحدة ، في دلك الربيع القصير الذي وضع هو نهايته بيده

وخرج الى الشارع يضرب فيه كما لو كان يبحث عن شيء افتقده . . كان يحدث نفسه كما لو كان قد اصيب بمس من جنون : « أولادي اين هم الآن . . زوجتي التي أهملتها ونسيتها وانا منهمك في رصد حساباتي في البنوك . ترى ماذا صنع الزمان بها . . هل يمكن أن استمر في الحياة في هذه الوحدة الموحشة بعد ان اضعت أثمن وأجمل ما كنت امتلك ؟ »

ولم تطل رحلته في الشارع . . لقد كانت اول مرة يخرج فيها ماشيا على قدميه ، تاركا سيارته الفارهة في مكانها امام البيت الذي قضى فيه كل هذه الأعوام يبحث داخل نفسه عن الهدف الذي يعيش من أجله .

ففي منتصف الطريق التقى بأحد اصدقائه القدامى ، وكان واحدا من هؤلاء الذين عرفوه ايام كان زوجا وأبا مازال يبحث عن الطريق الذي سوف يسير فيه لكي يحقق الثروة والجاه . . هدفه الأول من الحياة منذ أن بدأ بريق الذهب يخطف بصره ويعمي بصيرته .

وسارع يسأل صديقه في لهفة . هل تعرف عنوانهم . هل تعرف أين يعيشون؟ وماذا صنعت الأيام بهم ؟

ـ نعم اعرف . . وأنا أزورهم . . لقد كبر ابناؤك وتخرجوا في الجامعة . . كم هي فخورة بهم هذه الام المسكينة التي كافحت من أجل تنشئتهم وتربيتهم . . ولكن ماذا تريد منهم اليوم ؟

ـ اريد أن اراهم . . اريد ان أضمهم الى صدري واركع عند أقدامهم طالبا الصفح والغفران . اليوم فقط اكتشفت أن مال الدنيا كلها لا يساوي لحظة واحدة أقف فيها أمام ابني ارقبه وهو يكبر وينمو ويدرك معنى الحياة . .

***

وذهب . . وطرق باب البيت الذي ضم تلك الاسرة الصغيرة طوال هذه الاعوام . وفتحت الزوجة والأم الباب ورأته يقف امامها في توسل . . وعرفته على الفور . . وكانت أول مرة يزورها فيها ذليلا مطأطأ الرأس ، لا يقوى على النطر اليها . . لقد وقف يتحدث في خشوع وكأنه يخاطب نفسه : « اولادي . . هل أستطيع أن ارى ابنائي . . ارجوك . . . انا لا أطلب شيئا ، فقط اريد ان املأ عيني بوجوههم الحلوة . . اريد أن اقترب منهم ولو مرة واحدة بعد كل هذه السنين الطويلة التي انقضت على فراقي لهم . اتوسل اليك » .

ونادتهم ووقف الابناء الثلاثة يتطلعون الى صاحب هذا الوجه الغريب . . ولما رأت الأم الحيرة التي ارتسمت على وجوههم ، قالت وهي تستعد للدخول :

« انه والدكم . . نعم انه الاب الذي ترككم وذهب منذ خمسة عشر عاما » . .

وألقى بجسده البدين المترهل نحوهم باسطا ذراعيه . . ولكن احدا منهم لم يكن هناك ليمسك بيده . . لقد اغلقوا الباب ، وعادوا يلتفون حول الأم التي كانت تجلس في تلك اللحظة أمام صورة صغيرة مع ابنائها الثلاثة منذ خمسة عشر عاما عندما غاب الاب عن اسرته . كانت رحلتها معهم ، رحلة كفاح طويل . . ولكنها كانت أجمل وأمتع رحلة في الحياة . . □

طبيب الأسرة

داءُ الكَلَب بينَ الإنسانِ والحيوان

بقلم : الدكتور فؤاد فاضل الشيخلي

يصيبنا الذعر عندما يقترب أطفالنا من الكلاب وفي ذاكرتنا عديد من الوقائع عن أطفال تعرضوا لمضاعفات خطيرة . لأن الأمهات والآباء أساءوا فهم عضة الكلب

فما هو هذا الداء ، وما هي مضاعفاته ؟

داء الكلب RABIES واحد من الأمراض الفايروسية المعدية ، والمشتركة بين الانسان والحيوان . وقد عرف المرض منذ الأزمنة القديمة ، ولكن لم تتم معرفة المسبب الحقيقي له ، ولا مدى تأثيره على الجهاز العصبي المركزي إلا ما بين عامي ١٨٥٢ - ١٨٩١ من قبل العالم السوفيتي ن . ب فاسيليف (N.P Vasilyev) وبالتحديد عام ١٨٧٦ حين وصف المرض من خلال آثره الباتولوجي على أنسجة الجهاز العصبي المركزي . أما في فرنسا فقد أوضح العالم الفرنسي لويس باستور عام ١٨٨١ - ١٨٨٨ ، ومن خلال دراسة تجاربه القيمة ، أن الفايروس (الراشح) المسبب للمرض يتمركز في أنسجة الجهاز العصبي .

ومع التقدم العلمي التكنولوجي الحديث تمكن العلماء والباحثون في مجال علم (الخمات) الفيروسات من دراسة مسبب هذا المرض بصورة دقيقة ومتناهية من خلال استخدامهم للمجهر الالكتروني ، فوجدوا أن الفايروس المسبب (الراشح) ينتسب الى مجموعة الفايروسات المخططة القابلة للترشيح والتي تدعى بالاسم العلمي (Neuro ryctes Vabiei) بطول من (١٠٠ - ١٥٠) ملي مايكرون . ويتشكل بشبه رصاصة البندقية ، ومؤلف من حامض رايبو نووي تحمل معه المعلومات الموروثة ويقع في وسطه . ومحاط بغلاف بروتيني سكري (كلوكوز) لاحق بالسية النحتية بشكل ضيق مع شوكات على السطح . ومن صفات هذا الفايروس القدرة على التغلغل ضمن خلايا الجهاز العصبي المركزي وطرحه من خلال الغدد اللعابية .

وبائيـــة المرض :

الطريق المعتاد لنقل العدوى في هذا المرض هو (العض) من قبل حيوان (كَلِب) يطرح معه





فيروسات المرض في لعابه ، ويزرعه في النسيج في لحظة العض ويمكن لعدوى الانسان أن تحدث عبر الخدوش أو بالتماس دون عض وباللمس لجلد فيه جروح سطحية جلدية أو بالتماس مع الزبد السائل في اشداق الحيوانات الكلبة وتظل العدوى عن طريق الهواء شاذة عند الانسان رغم أنها أكيدةٌ تجريبياً ، وقد انتشرت حالات هذا الداء بعد الاقامة في مغارات فيها خفافيش كَلِبَةٌ

يبدأ طرح الراشح (الفيروس) في لعاب الحيوان بعد بضعة أيام وقبل ظهور العلامات الأولى للداء ، ويستمر طوال مدة المرض ، وقد أشارت الاحصائيات الى أن في ٨٠٪ من الحالات تبدأ الأعراض من بضع ساعات الى ثلاثة أيام ، و ٤ ـ ٥ أيام بنسبة ١٥٪ من الحالات ، وقد تصل الى ثمانية أيام بنسبة ٥٪ من الحالات ، وهكذا فان الحيوان الذي يعض شخصاً ما دون أن تظهر عنده في تلك اللحظة أي علامة للداء يمكن بكل بساطة أن ينقل وطرح فيروس الكلب ومن أجل هذا فقد أدرج في قانون الصحة العامة والبيئة ضرورة وضع الحيوانات العاضة تحت المراقبة البيطرية ولمدة تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) يوماً وبعد العدوى يدخل الفيروس في الخلايا العضلية الواقعة قرب الجرح مما يزيد عددها بشكل هائل مما يشكل جرعة انتانية .

وصف المرض والتشخيص :

تظهر الأعراض بعد مرحلة خرساء لدور الحضانة وذات اختلاف زمني يتراوح من اسبوع الى عدة أشهر ، وقد يتعدى الى عام أو أكثر،ولكن المعدل العام يمكننا الاشارة اليه بفترة بين شهر وشهرين حيث ظهور المرحلة (البادية) والتي تدوم من ٢ ـ ٧ ايام متصفة بظهور علامات غير نوعية مع حمى ووهن وصداع وتغيرات في السلوك تبدو بشكل ازدياد عاطفي غير معتاد ، وعكسه وهو اللامبالاة مع أعراض حزن وهجمات بكاء مع الألم وتشويش في الحس ملفت للنظر (هنا مستوى مكان عبور الراشح وتمتد الى كل المناطق) بعدها تبدأ المرحلة الحادة التشنجية والمتصفة بتشنجات فجائية متواترة مؤلمة وتنطلق لتصيب مجمل الجهاز العضلي ولكنها تفضل التمركز في منطقة الحنجرة والبلعوم إضافة لهذه الأعراض توجد رجفات خاصة في الوجه مع فرط سيلان اللعاب ، واضطراب في الجهاز التنفسي وفوضى حرارية .

بعد هذه المرحلة الحادة تأتي المرحلة الهياجية في أشكالها الخانقة ، وقد تحدث الوفاة بعد مرور ٣ ـ ٤ أيام خلال مرحلة التشنج الحنجري أو الحصار

التنفسي أو توقف القلب . هنالك أمراض شبيهة بأعراض داء الكلب تشكل نسبة ٢١٪ من الحالات ، والتشخيص هنا صعب لتشابهه مع شلل الأطفال أو التهاب النخاع المستعرض أو مرض متلازمة غيلين ـ بار . وللتشخيص المبكر لهذه الحالات يجب إجراء الفحوصات الطبية المختبرية للسائل الشوكي (C.S.F) مع احراء تخطيط للدماغ (E.E.G) مع الكشف الأولي لراشح داء الكلب من خلال اللعاب أو الجلد ، وتعتمد النسبة على ظهور الأعراض . في الختام نقول إن الشخص المشتبه باصابته يحتاج لتعقيم منطقة العض بالمطهرات وإعطائه مصل باستور للوقاية منه .

☆☆

بريد طبيب الأسرة

الحرقوص

● هل هناك مرض أسمه الحرقوص ؟ أرجو افادتكم عن ماهية هذا المرض وأعراضه وعلاجه ولكم الشكر . .

ي. ف. أ

عمان

ـ هو مرض الديدان الخيطية أو الاكزوريوس ، كما قد تعرف باسم الديدان الدبوسية ، نسبة الى شكلها المغزلي الرفيع القصير ، وكأنه الدبوس ، هذا بالنسبة الى اسمها العامي ، وهي ديدان المقعدة نسبة الى انه يشاهدها العامة في منطقة المقعدة ، حول فتحة الشرج وعلى الفخذين .

ان الحرقوص أو الاكزوريوس تعتبر أوسع الطفيليات المعوية انتشارا ، ولكنها أقلها ضررا ، وهي تستوطن المصران الأعور وما جاوره من أمعاء ، كالقولون والزائدة الدودية والأمعاء الدقيقة ، منها الذكر ومنها الأنثى التي تبلغ حوالي ١٠ ـ ١٢ مليمترا طولا ، والخيط الرفيع سمكا ، ذات لون أبيض تحمل في جوفها ما يقارب العشرة آلاف بويضة صغيرة ، والذكر الذي قلما يشاهد يبلغ طوله نصف طول الانثى وهو قابع داخل الأمعاء .

ومن عادة أنثى الحرقوص أن تتحرك وتتحول حتى تصل الى فتحة الشرج ، حيث تضع بويضاتها الناضجة المغلفة بمادة لزجة حمضية تساعدها على الالتصاق بمقعدة المصاب ، وهذا عادة ما يكون أثناء نومه وسكونه ليلا ، مما يسبب له شعور الحكة والأكلان ، فيهرش مقعدته باصابعه حيث تلتصق البويضات بها ، فاذا ما مص أصابعه أو أكل بها عادت اليه العدوى مضاعفة

وكثيرا ما تتطاير البويضات في الهواء ، ويستنشقها من حوله ، أو تتبعثر على أغطية السرير ، أو ألبسه المصاب الداخلية ، ومن هنا جاءت سهولة العدوى ، واكتمال دورتها في حلقة مفرغة ، من المريض لمن حوله من أفراد الأسرة ، أو على الأغلب من المريض لنفسه داتيا ، وعليه يعتبر المرض عائليا لا فرديا ، ويتوجب العلاج والوقاية لجميع أفراد الأسرة .

ولما كانت الديدان لا تعيش طويلا بأكثر من شهور معدودة ، فكسر حلقة العدوى باعتماد النظافة هو الأفضل ، من حيث قص الأظافر دوما ، وغسل الأيدي عقب الغائط وقبل الطعام ، بالاضافة الى غسل الملبوسات والمفروشات وعليها يوميا .

كما أن هناك عقاقير فعالة يصفها الطبيب قد تؤخذ دفعة واحدة ، أو أنواع أخرى تؤخذ على مدى أسبوع ، غير أن النظافة المطلقة لكافة أفراد الأسرة وبيئتها هي الحل المعتمد . .

مساحة وُدّ

السقـــــوط

كنا صحبة نعمل في مؤسسة صحفية واحدة ، كان هو أكثرنا حركة وأوسعنا علاقات ، وكانت صفحته التي يشرف عليها تمتلىء بالأخبار الشخصية وزوايا الرأي التي يتطوع بكتابتها ويضع اسماء بعض المسئولين عليها

وعندما كنا نجلس معه ونناقشه وننتقد ما يفعل ، كان يسوق مبررات واعذارا كثيرة ، لكن على الرغم من ذلك فاننا كنا نحس أن في نفسه طيبة وشهامة ، ولكن ازمته كانت في المال . عندما كنا نجلس في لحظة صفاء ونثرثر عن أحلامنا كانت احلامه أحلام من يملك الملايين - بيت في اوربا واملاك هنا وهناك ، وسيارة بمواصفات كيت وكيت الخ وكثيرا ما كنا نضحك لتعليقاته على أحلامنا كان يقول إننا فقراء حتى في الحلم

وفوجئنا به يوما يستقيل من العمل دون مقدمات ، ودون استشارة احد ، وعندما اتصلنا به نسأله لماذا فعل ؟ وماذا سيفعل ؟ أعطانا موعدا مسائيا لكنه لم يحضر بعد اسبوعين على اختفائه ، فوجئنا بتعيينه مديرا لتحرير احدى الصحف وبدأ الانهيار الحقيقي بعدها ، ذهبنا لتهنئته ، فطلبت منا مديره مكتبه الانتظار طويلا ثم بدانا نسمع كيف يعامل زملاءه المحررين كسعاة . وكيف عين أقاربه وكيف يسافر ويجيء . ويمسك في يديه كل أعمال الادارة بالاضافة الى التحرير من فترة قريبة سمعت باقي التفاصيل . التي انقطعت عني زمنا . بدأ مسؤول الجريدة يعيد ترتيب اوراقه ، فوجد أنه طرف في معارك مع أطراف كثيرة والسبب صاحبنا ، أما في المجال المالي للجريدة فانه فوجىء بفضائح كثيرة ارتكبها صاحبنا ومدير الحسابات الذي يمت له بصلة قرابة . فأبعد مدير الحسابات عن العمل

أما صاحبنا فقد سافر واختفى وعندما اتصل به أحد الاصدقاء القدامى ليسأل عنه وان كان يريد أية مساعدة ، أجاب بضحكة طويلة وقال إنه سيسافر بعد ساعات ليقضي اجازة قصيرة في بيته في اوروبا ثم يعود مستعدا للمعارك ، عندها تذكرنا حلمه الذي كان ، والثمن الفادح الذي دفعه لتحقيقه . .

ساحة العربي

العرب ... والمطبخ

طعام المناسبات

□□ من يقرأ كتاب ابن سيده يدرك أن العرب كانت تشتهر بأكلات غير الثريد الذي تتحدث عنه كل قصص وحكايات العرب القديمة . ويقدم في كتابه المخصص قائمة بأسماء بعض الأطعمة التي تؤكل في مناسبة بعينها سواء كانت مناسبة فرح أو حزن . وستلاحظ عزيزي القارىء أن وقع اسم الطعام وجرسه لا يتناسب بالضرورة مع المناسبة التي يقدم فيها ، فعند الزواج مثلا يقدمون طعام (النقيعة) و (الشندخي) ، وفي ليلة الدخول بالزوجة يقدمون (العرس) ، وعند الولادة يقدمون (الخرس) . أما عند ختان الطفل فيقدمون طعام (الاعذار) الذي يسمى كذلك العذار والعذير والعذيرة . ويقدم طعام (الأعذار) أيضا عندما يربح الرجل شيئا ما . .

وعندما يقوم الرجل ببناء بيت جديد فانه يقدم طعام (الوكره) أو (الوكيره) ، أما في المآتم فيقدم طعام (النقع) و (الوضيمة) ، وعند قدومه من سفر فانهم يقدمون له طعام (النقيقة) .

****

كلمات

وراء كل عظيم امرأة .. مندهشة ..

حكمة

الدليل على أن كل النساء متشابهات هو أن كلا منهن تعتقد أنها مختلفة .

قول على قول

قديما قال فولتير : قد اختلف معك ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمي مقابل حقك في الدفاع عن نفسك .

وحديثا ، قال ديكتاتور : قد تختلف معي ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمك مقابل حقك في هذا الاختلاف .

□□

عالم ما بعد

الحياة الدنيا

يقول الشاعر الانجليزى ت . س اليوت : ان دانتى لم يكن أول من تناول في كتابه « الكوميديا الآلهية » عالم ما بعد الحياة الدنيا ، فالمصريون القدماء عرفوا فى تراثهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيها من نعيم وسعادة ، فعندهم اوزوريس راعى ميزان العدالة فى الدار الخالدة .

وفى ديانة بابل تهبط عشتروت الى الجحيم لتبعث تاموز الى الحياة ، وعند اليهودية أرض الظلام والعذاب تحت الأرض . وفى ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس ، وفي الالياذة اليونانية عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم ، وفى المسيحية رؤى القديسين عن العالم الآخر . وفى الاسلام مشاهد محتشدة تصور العذاب والنعيم وشجرة الزقوم وأرائك النعيم وجنات عدن .

□□

يكره يوم الجمعة

قيل أن عبد ربه اليشكرى كان عاملا لعلي ابن موسى على المدائن فصعد المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ارتج عليه فسكت ثم قال : والله انى لأكون فى بيتى فتجىء على لسانى ألف كلمة ، فاذا قمت على أعواد منابركم هذه جاء الشيطان فمحاها كلها من صدرى ، ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب الى من يوم الجمعة ، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض الى من يوم الجمعة ، وما ذاك الا لخطبتكم هذه .

طرفة يهودية

* يقال ان الزعيم النازي ادولف ايخمان الذي كان يحرق السجناء في افران الغاز في المعتقلات النازية لم يعدم في اسرائيل كما يشاع . لكنه مات بالصدمة عندما وصلته فاتورة استهلاك الغاز .

□□

طرفة عربية

* كان أحد الاشخاص يسير في أحد أزقة مدينة بلفاست في ايرلندا الشمالية حيث الصراع المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت . فجأة خرج عليه أحدهم يشهر بوجهه مسدسا ، وسأله :

- اجب بسرعة ، هل انت كاثوليكي أم بروتستانتي .
- لا هذا ولا ذاك ، انني يهودي ياسيدي .
- لا شك ، اذن انني عربي محظوظ .

□□

تعريفات

مختزلة

الزوجة : هي المرأة التي تقف الى جانبك خلال جميع الظروف الصعبة التي لم تكن لتمر بها لو لم تتزوج .

الزواج : هو انتصار الأمل على الخبرة . .

النفقة : نظام يدفع بموجبه شخص واحد ثمن خطأ ارتكبه اثنان .

المعتدل : هو ذلك الشخص الذي يصنع الاعداء يمينا ويسارا . .

حسن الاستماع

قال الامام الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابنه : يا بني اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حديثا وان طال حتى يمسك .

بيننا..



بيننا فنجان قهوة
بيننا تفاحة الجرحِ .. وهذي الكبرياءْ
بيننا البستان اذ يَطرقُ ..
اذ يأتي الى العينين والقلب .. مساءً من تعب
بيننا الاغماء . ليل الصيف .
سوقُ الخوف أن يغدو كلانا
رجفةً من ذهبٍ رخصٍ ..
وأمطاراً ضريرةْ
غربة اخرى . على نافذة في الغرب
أو في الشرق وجهاً للمساء
قلت ما عندك .. مرَّت بيننا شمس صغيرةْ
أبحرت في كوب ماء ..
فالتقى الوجهان قبل الظلمة الأولى . الأخيرة
جاءنا النادل .. ماذا تطلبينْ
قبل أن نفترق الليلة بالسيفِ .
.. فلا ندري متى يسقط هذا البرقُ . أينا
قبلَ ان نفترق - الليلة - بالسيف .
فتمضي بين كفيك يدي ..
أو في يَدينا
بعضِ شيء .. كان شيئا ..
نصفُ شيء .. كان شيئا
نصف هذا الكأس . يبقى في يدي ..
من قبلِ أن ينهار نصف الماءِ
في منتصف اللحظة ..
من عمر انسلالِ السيفِ .
من عمر السَّراب .. الشعرةِ البرقِ ..
الشفاهِ الباكرة
اطلبي شيئا ليمضي النادل الواقف .. عنّا
اطلبي فنجانَ قهوه

* شاعر فلسطيني مقيم في الجمهورية العربية السورية .
صدرت له الدواوين التالية : في شمسي دُوار ، أعناق الجياد النافرة ، من فوق - انحل من اثنين .

فنجان قهوة

شعر :
فواز عيد*

مرة . . لو تذكرين
قبلةً منك مضت . . قد كان فيها ،
طعم شيء . . كان محموسا على النار .
مريرا كانَ . . حلوا . .
كان عُمراً كاملاً . . قد مر في تهويمِ غفوه . .
فاطلبي فنجان قهوة
حسنا . . نحن اختلفنا

***

بيننا تفاحة الحب . . اقسميها
بيننا الاطراقةُ المرتبكهْ
بيننا الأسفار . . دفء الليل
خوفي أن تفيقي
كلما أوغل في الليل القطار
بيننا تلك المساحات . . التي ترتدُ عنّا
مذ دخلنا البابَ عصراً . . لنصفي التركه
بيننا النوم . . . وأحلامُ الظُّهيره
اقسمي العتمة نصفين . .
اقسمي ضوء النهار

***

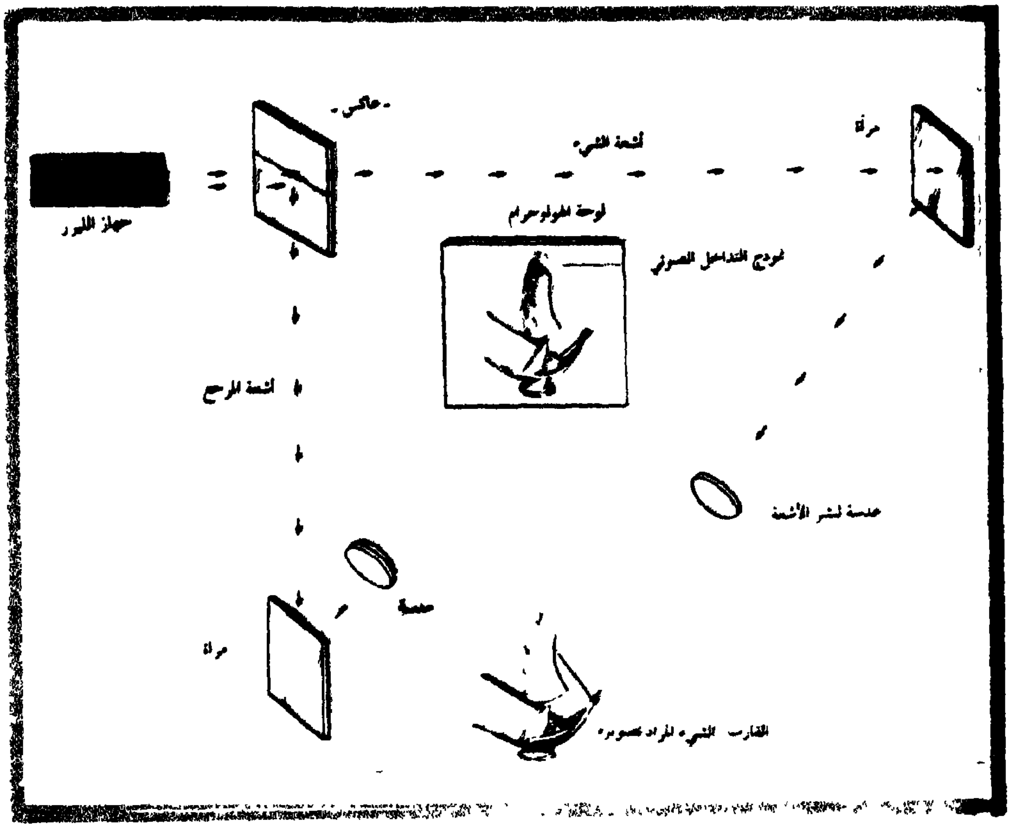
حسنا . . نحن اختلفنا
منذ أن غادرتِ هذا الجسمَ . . هذا الفيءَ . .
هذا الاتكاء
منذ أن غادرت هذا الليل . .
حتى عشبك المسجىَ بباب الصيفِ . .
باب القلبِ . . .
اذ تمضي به ريحٌ ونارْ
منذ أن غادرت هذا الجسدَ الرغبةَ . .

صرنا أُهْهُناكْ . .
جانحيْ طيرٍ يسمى كلَّ ميلادٍ جديدْ
جانحيْ طيرٍ يحومْ . .
فوق ماكنّا بنيناه معاً . .
فوق . . أحلامِ . . حكاياتٍ . . ودارْ . .
نحن ماعدنا سوىَ اثنينِ عطوفينِ . .
باسرارٍ مشاعْ . .
تعرفين الداءَ في قلبي . . فترفين قميصي
وتردّين الى العينين . والقلب نهاري
وأنا أعرفُ عينيكِ . . وداري
انما . . نحن اختلفنا . .

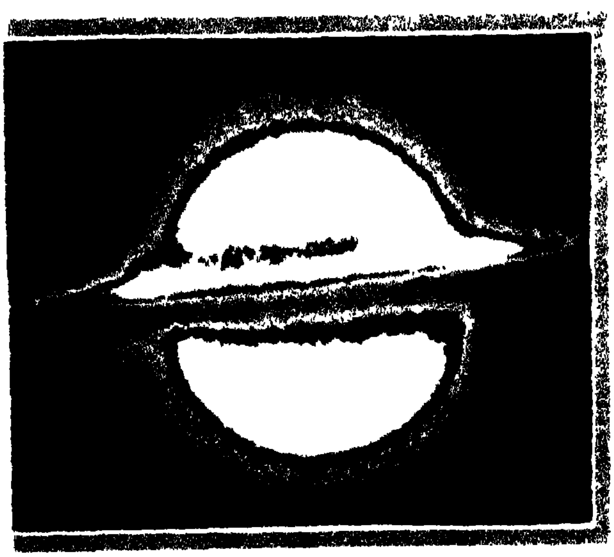
***

انت . . يا آخرَ ما يبقى عصيّا . . من ثمارِ الشوكِ
ما يبقى من الوردةِ . .
من زيتٍ يفوحْ . .
انتِ يا آخرَ من يجلو عن القلبِ . .
الى كفٍ ضنينهْ . .
حاصرتها آخر الحربِ . . . وأدمتها الجروحْ . .
انتِ . . يا منْ كان قلبي . .
حين يشتاقُ الى النوم . .
تمدين له كفَّيكِ بالسِّر فيغفو
موصداً يغفو . .
فان آذنتهِ بالبوح . . عن أسراريَ الصغرى . .
يبوح . .

(فنفيقُ - الفجرَ - في عينيكِ خوفٌ . .
في قميصي . . من نجوم الليل . . رفٌ
بيننا فنجانُ قهوة)



حهار الليرر لتكوين الهولوحرام

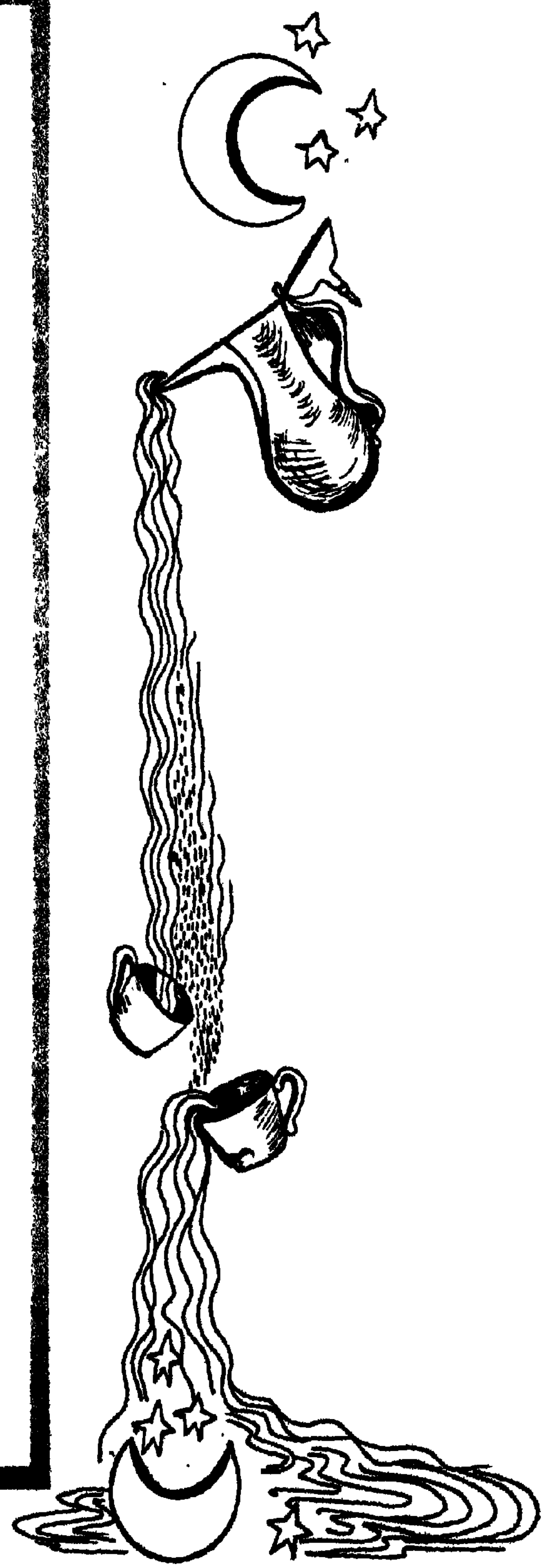


تظهر الصورة فقاعة دقيقة (٢ مليمتر) من مادة حاصة ، تم تسخينها بواسطة حهار ليرري قوي ، فارتفعت درجة حرارتها بشكل هائل فاصدرت طاقة كافية للذرات لتندمج



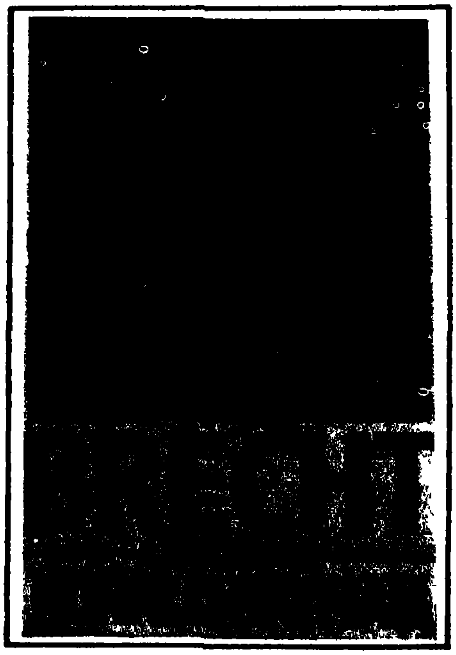
القارب الأصلي وصورته المجسمة

فجأة أدرك . . أنّ السرّ شائعْ . .
في ارتباك اليد . . تذرو السكرَّ الشلالَ
في الفنجان . . .
نُحصي كلَّ ذرّهْ
في اختيارات الرُّدودِ المقفلهْ
في انعطافِ الريفِ . . من عينين تصطافانِ . .
في بريّةِ اليومِ المطيرْ
بيننا الشارعُ خالٍ . . والطقوسُ الصامتهْ
بيننا البرد . . وأمطار كفيفهْ
بيننا اليوم الذي قد كانَ . .
يمضي وحده الآن الى الموعدِ . .
في أولِ مرة . .
يذعن الآن . . فينقادُ الى اليوم الأخير . .
نحن - يا سيدةَ الحزن الذي في القهوة المرّة . .
قد نختلف الآن . .
وقد نفترق الآن . بحد السيفِ
لكنَّ الذي كنا صنعناه معا . . ما عادَ منّا
هذه الشمسُ التي كانت لنا . . صارت هناكْ
تِلْكمُ الآمالُ . . والوقفةُ بالبابِ . .
وأحلام الظهيره
لم تعد منّا . . وإن نحنُ اختلفنا
ما الذي يبقى اذن . . ؟
كي ننهض الآن غريبينِ . .
ليروي الناسُ عنّا
- اننا - والسيف يهوي بيننا - آخرَ مرّه
اقتسمنا كلَّ شيءْ . .
ما عدا الآمال . . والوقفة بالبابِ . .
وأحلام الظهيره
وانحناءات المساة . .
ماعدا . . الأطفال . .
اذ يمضونَ للحربِ معاً .
ما عدا . . انّا معاً . .
دون أرض أو وطـــنْ . . .



مجلة العربي

كتاب الشهر



بريخت

سيرة حياة

تأليف : رونالد هيمان

عرض وتحليل : حسن محمود عباس

لم يستطع الا نفر قليل من كتاب المسرح العالمي المعاصر أن يثيروا من الاهتمام والجدل حولهم كما استطاع الكاتب والمنظر المسرحي والشاعر الألماني بيرتولت بريخت . وعلى الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على وفاته ، الا أن دور النشر ما زالت تتلقى وتنشر عنه الكثير . . .

كتاب الشهر

هذه الدراسة التي نحن بصددها هي واحدة من الدراسات الحديثة ، أو ربما كانت أحدث دراسة صدرت عن بريخت ، وفيها يكرس المؤلف كتابه لتتبع سيرة بريخت دون التعرض لأعماله المسرحية بالنقد والتحليل الا حيثما دعت الضرورة . لكن الكتاب يظل - على الرغم من هذا النقص - مرجعاً مهماً يزود الدارس بمادة وافرة من المعلومات التي قد تعينه في فهم ما يمكن أن نسميه لغز « بريخت » .

وقد ظهرت كتب تجمع بين السيرة الذاتية والنقد الأدبي لأعمال بريخت ، منها كتاب مارتن أسلن ، الذي ما زال يحظى ببعض اهتمام ، على الرغم من أنه لا يخلو من افتراء . وهو - أي أسلن - يدعى بأنه يحاول أن يرى بريخت مؤلفاً مسرحياً عظيماً وشاعراً عظيماً مثل كل العظماء في هذا العصر ، فيرد عليه رونالد جراي قائلاً : بأن أسلن لا يعطينا في أي جزء من كتابه توضيحاً كافياً لهذه العظمة ، ثم نراه يخصص ثلث الكتاب للبحث في أعماله الأدبية ، أما فيما تبقى من الكتاب فنراه مشغولاً بالمسائل المتعلقة بحياة بريخت وبعقيدته السياسية . وهذه الموضوعات ممتعة بحد ذاتها ، لكنها غير مرتبطة بالفكرة الأساسية للكتاب . وبامكان الانسان أن يقرأ الكتاب كله ، دون أن يخرج برأي يساعده على الوصول الى قرار ، فيما اذا كانت أعمال بريخت تستحق حقيقة ما قوبلت به من تقدير .

على هذا النحو يمضي رونالد جراي في نقده لكتاب أسلن ، أنه معنى عناية خاصة بموضوع العقل والغريزة في أعمال بريخت ، وهو يرى أن هذه الأعمال تخفق في بلوغ الغاية المرجوة منها ، لكن اخفاقها هذا مصدر من مصادر عظمتها . أما كتاب جراي ذاته فهو لا يتطرق الى الجانب الشخصي أو الذاتي من حياة بريخت ، الا بقدر ما يتصل الأمر باحدى المسرحيات . والكتاب يقدم تحليلا نقديا وتقويماً لأعمال بريخت ونظرياته في المسرح .

ولعل الناقد ايريك بنتلي من أكثر الدارسين حماساً لاثارة الاهتمام ببريخت خارج المانيا وفي الولايات المتحدة بصورة خاصة ، فقد قام بترجمة سبع مسرحيات لبريخت الى اللغة الانجليزية ، وقدم لها بمقدمة إضافية ، ولم يفتر حماسه له في أي من الكتب التي أصدرها عن المسرح الحديث ، بل كان يخصه بفصل واحد أو أكثر في كل منها ، وهي كتاب « الكاتب المسرحي مفكراً » الصادر في عام ١٩٤٦ وكتاب « في البحث عن مسرح » الصادر في عام ١٩٥٣ وكتاب « حياة الدراما » الصادر في عام ١٩٦٤ وغيرها . لقد كان بنتلي معنياً بعروض مسرحيات بريخت على مستويين : مستوى عروض الهواة ، ومستوى عروض المحترفين .

السيرة الذاتية

ومن الكتب المهمة التي تناولت سيرة بريخت الذاتية كتاب كلاوس فولكر : « بريخت - سيرة ذاتية » وهو كتاب يزخر بالمعلومات التي كان قد جمعها مؤلفه ودونها في ترابط منطقي متين ، لقد عاصر بريخت وكان على صلة به ، وعلى دراية بالكثير من المواقف والظروف المحيطة ، لكن كتاب فولكر كان منصباً في معظمه على سيرة حياة بريخت ، دون التطرق لأعماله الأدبية ، أو لنظريته في المسرح ، علماً بأن مؤلفه كان مؤهلاً للخوض في كل هذه المسائل ، نظراً لمكانته الفكرية وقربه من بريخت . ان الكتاب لا يكاد يلتفت الا الى واحدة أو اثنتين من مسرحيات بريخت ، ويصرف همه في كل ما تبقى منه الى جوانب من سيرة حياته . والكتاب - على الرغم مما تقدم - غني بالحقائق والمعلومات ، التي يوردها مؤلفه مما يجعل منه أي من

الكتاب وثيقة تاريخية مهمة يسعي لكل من تعنيه دراسة بريخت الرجوع اليها ، والانتفاع بما تورد من معلومات . ولقد وصفت بأنها وثيقة تاريخية ، وكنت اعمد الى هذا الوصف عمداً ، لأن الكتاب يكاد يخلو من أي موقف نقدي ، فهو يتحرى الحقائق ويوردها ويترك النقد لخيال القاريء وفكره .

ولعل كتاب فريدريك اوين : « برتولت بريخت . . حياته وفنه وزمانه » هو خير ما ظهر عن بريخت . الانسان والكاتب المسرحي والمنظر والشاعر . فقد اهتم المؤلف بالبحث عن مادة لم تنشر من قبل عن حياة بريخت ، فاستقاها من أرشيف بريخت الخاص في برلين ، ومن التحدث الى أصدقائه الأحياء ، أو ممن كانت تربطه بهم صلات عمل . وتابع التدريبات التي يقوم بها مسرح « برلنر انسامبل » وهو مسرح بريخت الخاص ، الذي أهدي اليه بعد عودته من الولايات المتحدة الى برلين واستقراره فيها . وتابع العروض لكثير من مسرحيات بريخت على خشبة ذلك المسرح ، وهو واحد من أكثر مسارح العالم رقيا . وقد عكف اوين على كل ما توفر لديه ، ففحص ودقق ودرس وتأمل ، وخرج على الناس بكتابه القيم الذي حاول به الا يترك ثغرة . فقد غطى جانب السيرة الذاتية فيه حياة بريخت من المهد الى اللحد ، بكثرة في التفصيل . ودقة في التأمل ، ثم عمد الى أعماله المسرحية فلم يترك واحدة منها الا وتعرض لها ناقداً محللاً مبيناً صلتها بأحداث الحقبة التاريخية التي كتبت فيها ، وأثرها في تطور بريخت الفني . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا الكتاب قد ترجم أخيراً الى اللغة العربية ، ترجمة بائسة مكدودة لا تتناسب وقيمة الكتاب ذاته من جهة ، ولا تليق بمكانة بريخت عند المسرحيين من جهة أخرى .

علاقاتــــه العاطفيــــة

والحديث عن الكتب على هذا النحو قد يطول ، وينأى بنا بعض الشيء ـ عما نحن بصدده ، أو لعله يوصلنا الى سؤال مهم هو . أين هذا الكتاب الذي نعرضه من تلك الكتب التي تقدم ذكرها ؟ انه أقرب الى طبيعة كتاب كلاوس فولكر من أي كتاب آخر ، فهو سيرة ذاتية محضة . واذا كان فولكر قد وقف عند بعض المسرحيات ناقداً ، فان هيمان لم يفعل ذلك ، وانما كان يقف عند الظروف المحيطة ببعض الأعمال المسرحية ، كالتعديلات التي كانت تطرأ على المسرحيات والتدريبات والعروض وبعض ردود الفعل أحياناً ، ولم يكن يعنيه أن يحلل نصاً مسرحياً ـ أو شعرياً وانما كان يكتفي بوصف ما قد أحاط بذلك النص ، وقد كان اهتمامه منصباً على سيرة بريخت الذاتية ، على صلاته بأسرته وبالطبقة الاجتماعية التي تحدر منها ، وعلى صلاته بالأصدقاء وبالصديقات وما أكثرهن ! لقد أولى المؤلف صلات بريخت مع الجنس الاخر عناية خاصة ، فأتى على ذكر كثير من التفاصيل ، وهي وان لم تكن مهمة بحد ذاتها الا أنها تلقي ضوءاً على نموذج السلوك الذي كان بريخت يتبعه في صلاته بالاخرين ، وهو سلوك فيه شيء من مراوغة يصرّ بعض الدارسين على وصمه بها ، والصاقها بتصرفاته على أنها سمة مميزة . لقد كان بريخت يرتبط بعدد من النساء في آن واحد ، وكانت اذا صدته احداهن أو أعرضت عنه شكا همه الى أعز الأصدقاء وأقربهم الى قلبه : كاسبر نيهر ، ذلك الفتى النحيل الرقيق العود ، زميل الدراسة في مراحلها الأولى واللاحقة ، ورفيق النجاح في كل الأعمال المسرحية التي اتمها بريخت ، وقدمت على مسارح ميونيخ وبرلين حتى عام ١٩٣٣ ، وهو عام الهجرة من ألمانيا بعد وصول هتلر وحزبه الى السلطة . انه يشكو اليه رور ماريا أمان ، صديقته التي هجرته وعلقت بغيره ، هذا في الوقت الذي كان فيه على علاقة حميمة مع مغنية الأوبرا ماريان زوف ، التي جاءت الى اوجسبورج ـ وهي البلدة التي ولد فيها بريخت ونشأ ـ لتعمل في مسرح المدينة ، تلك العلاقة التي انتهت ـ على الرغم منه ـ بالزواج ! وفي نفس هذا الوقت كان على علاقة حب مع فتاة اسمها بولا بانهولزر ، وكانت تحمل منه طفلاً ، وتلح في أن يولد هذا الطفل ولادة شرعية ، أي أن يكون له أب شرعي ، ولكن ماريان زوف كانت هي الأخرى قد حملت منه ! وكان بريخت كلفا بالفتاتين معاً ، ولا يرغب في اختيار احداهما دون الأخرى ، فأتفقتا عليه بغير علمه وقررتا دعوته الى مكان ما ، لا يعلم أنه سيلقاهما فيه معاً . وهناك أضطر بريخت الى اختيار ماريان زوف لتكون زوجته ،

كتاب الشهر

لا لأنه يحبها أكثر مما يحب بولا ، ولكن ليكسب ابن ماريان صفة المولود الشرعي ثم يطلقها ويعود الى بولا ، حبه الصادق العميق !

الشباب ... والضيـــاع

حدث هذا كله فيما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، أي في الفترة التي كان يكثر فيها من التردد على مدينة ميونيخ ، حيث كان يمنى النفس بالنجاح ، بعد أن تخلى عن تعلم الطب نهائياً ، واتجه بكل قوة الى المسرح ، وبعد أن يئس من امكانية التقدم وبلوغ الشهرة في بلدة صغيرة مثل أوجسبورج . وقد حاول كثير من دارسي أدب بريخت ـ ومنهم رونالد هيمان ـ التأكيد على أن عدداً من مسرحياته يعكس جانباً من سيرته الذاتية . فان صح مثل هذا التوجه ، فان مسرحية بريخت الأولى المسماة « بعل » هي سيرة ذاتية تعكس اهتماماته في تلك المرحلة من مراحل العمر . أما بعل فهو يبدو شاعراً عنائياً ومهرجاً محترفا وسفاحاً ومنحرفاً جنسياً ، وعاشقاً عنيفاً . .

كما أنه ساخر ، يساعد العجائز من النساء ، وعربيد يستمتع بشتى الملذات الحسية . . . وهو بلا ضمير ولا ادراك ذاتي ، انه كتلة مكتظة بالصفات المتناقضة ، يعيش حياته على أعنف مستويات المتعة ، فهل كان « بعل » صورة شوهاء لبريخت اقتضت رسمها على هذا النحو البشع ضرورات فنية ، ومؤثرات من الحركة التعبيرية التي كانت تلقى ظلها على الأدب الألماني كله في فترة ما بعد الحرب الأولى ؟ وانسجاماً مع ما كان يعانيه بريخت من فقدان للهوية ، ومن ضياع في مرحلة الشباب تلك ، فقد جعل كراجلر بطل مسرحيته الثانية « طبول في الليل » انتهازياً ، يرى ثورة العمال فيدير لها ظهره ، ويؤثر الزواج من حبيبته التي حملت في غيابه عندما كان مقاتلا في الحرب ، على الانضمام الى صفوف الثوار ، لقد اسقط بريخت شيئاً من أزمته الشخصية على بطل مسرحيته ، فكلاهما قد دخل الحرب وعاد منها ضجراً برماً ناقماً على كل شيء . أما الثورة التي تشكل خلفية المسرحية ، فقد كانت ثورة حقيقية قامت في المانيا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وكان يقودها كل من روزا لوكسمبورج وكارل ليبكنخت . وقد فشلت الثورة بعد أن قمعها الجيش ، وقضى عليها ، وأما ما كان قد تعلمه كراجلر بطل المسرحية من الحرب فهو أن يعرف كيف يظل حياً .

والكتاب يحفل بعلاقات بريخت الانسانية والنسائية منها بوجه خاص . ولا ينال هذا من قيمة الكتاب شيئاً ، فهو سيرة ذاتية ، قصر مؤلفه همه وجهده على تتبع علاقات بريخت مع الآخرين في حله وترحاله ، وهوكثير .

جائزة كلايست للأدب

لم يكن لبريخت علاقات أسرية حميمة . فبعد أن انهى تعليمه في أوجسبورغ ، وقبل في إحدى كليات الطب في ميونيخ أدار ظهره للأسرة ، ولم يعد يعبأ بها ، فانقطعت بينهما الصلة ما عدا زيارات قصيرة كان يقوم بها الى بلدته ليرى والدته وبعضاً من صديقاته ! أما والده فقد كانت علاقته به محدودة جداً ولم يكن يذكره الا متذمراً ، وتعدّ مثل هذه العلاقة طبيعية الى حد ما ، نظراً للثورة العارمة التي أعلنتها التعبيرية على كل سلطة ومنها سلطة الأب . ولا يفوتنا أن عدداً من مسرحيات تلك الفترة كانت تتبجح بالثورة على الآباء ، وأن بعضها كان يحمل عنوان « قتل الأب » .

وبعد مجموعة المسرحيات التي كانت قد قدمت لبريخت ، وبعد أن كثر الحديث عنه ، وصار له انصار بين النقاد وبين مرتادي المسرح بوجه عام ، رشحه الناقد اهرنج لنيل جائزة كلايست للأدب وفاز بها .

وأخذت شهرته تتوطد بعد مسرحيته المرموقة « رحل برجل » فقد أخرجت هذه المسرحية ، وعرضت في دار مشتات في عام ١٩٢٦ ، وفي برلين في عام ١٩٢٨ . وتعد بحق البداية الناجحة للمسرح الملحمي ، ولكن النجاح المدوي الذي حققه بريخت كان في مسرحية « اوبرا القروش الثلاثة » التي اقتبسها عن مسرحية تحمل نفس العوان ، للكاتب المسرحي الانجليزي جون جاي وهو من كتاب القرن الثامن عشر . وكانت مساعدته اليرابيث هاوبتمان قد لفتت انتباهه الى النجاح الذي قوبلت به هذه المسرحية ، عندما أعيد إخراجها وعرضها في لندن في عام ١٩٢٠ ولما كانت المسرحية مثقلة بالهجاء والسخرية من رئيس الوزراء البريطاني آنذاك روبرت والبول ، ومن كثير من الأوضاع السائدة ، فقد رأى فيها بريخت عملاً ملائماً يستطيع الانتفاع به على النحو الذي يتطلع اليه فأعاد كتابتها بالتعاون مع مساعدته ، وعهد الى كورت فيل أحد الموسيقيين الكبار بوضع الألحان المناسبة لأغانيها . وقد قدر لهذه المسرحية نجاحاً يعز مناله ، وكان لها الفضل في ذيوع شهرة بريخت في القارة الأوروبية كلها .

لقد أغرى النجاح الذي حققته أوبرا القروش الثلاثة كلا من بريخت وكورت فيل بعمل آخر مشترك فكتب بريخت مسرحية أوبرا ، ازدهار وسقوط مدينة ما هاجوني ، ووضع فيل ألحانها وعرضت في ٩ مارس ١٩٣٠ . وقد كان الناقد الفريد بولنجار حاضرا عند افتتاح العرض ، فكتب يصف استقبال الناس للمسرحية ولأسلوب بريخت الملحمي بشكل عام : « أصيبت المرأة التي كانت تجلس الى يساري بأزمة قلبية ، وأبدت رغبة في الخروج ، ولم يثنها الا التحذير الذي يقول : ان هذه اللحظة التي نمر بها ربما تكون لحظة تاريخية . . . وكان يجلس وراء مقعدي رجل يتميز غيظاً ويتمتم قائلاً : سأنتظر ظهور بريخت . . . ثم ارتفعت أصوات تندد بالعمل ، واعقبتها أصوات أخرى تشيد وتهلل ! ومرت أحداث بالغة التأثير . ففي أحد المقاعد كان يجلس رجل يتسم بالوقار ، وقد أخرج من جيبه علاّقة مفاتيح واستعان بها على خوض معركة ضد المسرح الملحمي . . فوضع العلاّقة فوق شفته السفلى ونفخ فيها ، فأحدثت صوتاً شديد القوة حتى يخيل للمرء بأنه ينفذ الى أحشائه . . . أما زوجته فقد وضعت اصبعيها في فمها وأغلقت عينيها ، ونفخت خديها لتطلق صفيراً أشد من صفير المفتاح . . » .

المسرحية التعليمية

لقد عكف بريخت على دراسة النظرية الاشتراكية ، وتفرغ لذلك مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، وبعدها خرج بريخت العقائدي الملتزم ، واختفت صورة الفوضوي العدمي ، التي كان عليها منذ مطلع شبابه وحتى أواسط العشرينيات . وفي هذه الفترة كان بريخت قد جاوز الثلاثين من عمره ، وبدأت مرحلة المسرحية التعليمية ، وهي نوع من أنواع المسرحية يدل عليها اسمها . ولم تخل من جفاف وتزمت ، على الرغم من كل وسائل المسرح الملحمي والتغريب ، التي اتبعها بريخت من أجل التخفيف من حدة لهجتها التعليمية ، وجعلها مقبولة سائغة . ومن تلك المسرحيات مسرحية « الاستثناء والقاعدة « الام » المقتبسة عن مكسيم جوركي ، ومسرحية « قائل نعم وقائل لا » ثم مسرحية « جان قديسة المذابح » وهي ليست من أفضل هذه المسرحيات فحسب ، بل هي من خير ما كتب بريخت .

وقد انتهت هذه المرحلة ـ مرحلة كتابة المسرحية التعليمية ـ بحلول عام ١٩٣٣ وهو العام الذي تسلم فيه هتلر السلطة ، وكان على كل الأحرار أن يبحثوا عن مأوى يهاجرون اليه . أما بريخت فقد أحرقت كتبه كما أحرقت كتب عشرات الأدباء والمفكرين ، ممن لم يكن النازيون يطمئنون الى ولائهم .

خرج بريخت الى المنفى وقد اصطحب معه أسرته ، وكانت تتكون من زوجته هيلينا فيجل (التي كان قد تزوجها في عام ١٩٢٩ بعد أن طلق الأولى ماريان زوف) وابنه ستيفان ، ولم تتبعه صديقته ومساعدته اليزابيث هاوبتمان ، التي كان قد خيب ظنها بزواجه من هيلينا فيجل . وابتعد لأول مرة عن صديق العمر كاسبر نيهر ، الذي لم يكن يستطيع فراقه وهو داخل ألمانيا ، فكيف به وقد فارقه لخمسة عشر عاماً تلت !

لقد حلت الكارثة بعدد كبير من الكتاب والأدباء الألمان ممن بقوا في ألمانيا ، فمنهم من سجن ومنهم من عذب حتى الموت . أما أولئك الذين هاجروا فقد

كتاب الشهر

كانت وطأة الهجرة ثقيلة على بعضهم فلم يحتملها ، فمات عدد منهم انتحاراً مثل الناقد فالتر بنجامان ، وفالتر هاسكليفر وستيفان زفايغ وارنست تولر وغيرهم ، أما الذين ظلوا على قيد الحياة فقد كانوا يفرون من بلد الى بلد يطاردهم الخوف وشبح القتل وقد وصف بريخت هذا الحال في قصيدة له بعنوان : « الى الذين يأتون بعدنا » قال فيها : « . كنا نخوض حرب الطبقات ، ونهيم بين البلدان ، نغير بلداً ببلد ، أكثر مما نغير حذاء بحذاء » !

زمن الاغتـــــــراب

وقد ظن بريخت ـ كما يظن كل المهاجرين عن الأوطان ـ أن البعد لن يطول خارج ألمانيا ، وقد طلب الى أحد أصدقائه ألا يبتعد كثيراً ، فان زمن الاغتراب لن يطول . وانتقل ـ في المنفى الى براغ ثم الى فيينا فزيوريخ وقد وجد فيها عدداً من الكتاب منهم آنا سايجرز وهونريش مان وفالتر بنجامان ، وفيها قضى بعض الوقت الهادىء الذي ظل يذكره حتى مماته وبعدها توجه الى باريس حيث قدم مسرحية « الخطايا السبع المميتة » . ثم عرضت عليه كاتبة من الدانمرك أن تعثر له على مسكن في بلدها ، فقبل العرض حيث قدر أنه هناك سوف يكون على مقربة من أرض الوطن ، فيلتقي بموجات المهاجرين الجدد الذين يفدون بكثرة الى الدانمرك .

لقد ساهم بريخت في الكتابة الى بعض الصحف المعادية للنازية ، واشترك في العديد من المؤتمرات التي كانت تعقد في انحاء القارة ، وتندد بالنازية . ولم يتحلَّ عن الكتابة للمسرح ، فكتب مسرحية « الرؤوس المدببة والرؤوس المستديرة » وقد استلهم فيها مسرحية شكسبير « العين بالعين » وعرضت في كوبنهاجن ، ثم أعقبها بآخر مسرحية تعليمية هي « الأخوة هوراس والأخوة كورياس » . وكان يرى أن من واجبه في هذه الفترة أن يتحدث كثيراً الى المنفيين لاقامة جبهات شعبية معادية للنازية .

ذهب في عام ١٩٣٥ الى موسكو ، حيث التقى هناك بأصدقاء من أمثال أروين بسكاتور المخرج الألماني المعروف ، وكارولا نيهر وسيرجي تريتياكوف وغيرهم وكانت الولايات المتحدة هي آخر بلد لجأ اليه قبل أن يعود الى برلين بعد تقسيمها في أعقاب الحرب العالمية الثانية

ان سنوات النفي الطويلة هذه هي أخصب السنوات في حياة بريخت ، ففيها كتب أكثر المسرحيات خلوداً حياة غاليليو (١٩٣٨) ، والأم شجاعة (١٩٣٩) ، والسيد بنتلا وتابعه ماتي (١٩٤٠) ، والانسان الطيب من ستسوان (١٩٤١) ، ودائرة الطباشير القوقازية (١٩٤٥) .

وبعد العودة الى الوطن أسس فرقة برلين (برلنر انسامبل) هو وزوجته هيلينا فيجل ، وأهدته الدولة مسرح رصيف بناة السفن ، لتتخذه هذه الفرقة مقراً لها ، حيث افتتحته بتقديم مسرحية الأم شجاعة في عام ١٩٤٩ ، وما زالت تعمل فيه حتى يومنا هذا . وظل بريخت يقوم باخراج مسرحياته ، الى أن توفي أثر نوبة قلبية في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ .

ان المنهج التاريخي هو الذي يطغى على كتاب رونالد هيمان ، فهو يقدم بأسلوب وصفي مشرق كثيراً من المعلومات النافعة ، ويعرض لعدد من القضايا المهمة التي تتصل بعلاقات بريخت مع عدد من الشخصيات البارزة ، من بينها فالتر اولبريشت رئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية لفترة ما بعد الحرب ، وتوماس مان ، أعظم الروائيين الألمان ، واروين بسكاتور أحد كبار مخرجي ألمانيا في هذا القرن ، وجورج لوكاتش الفيلسوف والناقد المجري البارز . والمؤلف يقف وقفة مطولة يحاول فيها استقصاء أسباب الخلاف بين بيرتولت بريخت وبين كل من هؤلاء المفكرين . □

عُرف ابراهيم سكجها بكونه صحفياً لامعاً ينتمي لجيل رواد الصحافة في فلسطين . وعندما أصدر أخيراً مجموعته القصصية الأولى كان يؤكد حقيقة مهمة حول ارتباط الأدب والصحافة في فلسطين منذ بداية هذا القرن .

في ضوء هذه الحقيقة المهمة يستعرض أحمد المصلح مجموعة ابراهيم سكجها القصصية (صور مبتداها في يافا) .

تأليف : ابراهيم سكجها
عرض وتحليل : أحمد المصلح



يقول ابراهيم سكجها في تقديمه لمجموعته القصصية الوحيدة (صور مبتداها في يافا) الصادرة عن دائرة الثقافة والفنون بعمان عام ١٩٨٢ (كنا في أوائل الخمسينيات نجد مع فسحة الأمل فسحة من الوقت للتأمل والتذكر والتسجيل ، فكانت هذه الصور بعضا من ذلك ، وقد نشرت بين أعوام ١٩٥٣ - ١٩٥٥ في جريدة فلسطين ، وحتى الآن لم يخطر في البال أنها وأخوات لها من مثلها أو يختلفن عنها خطوطاً وألواناً يمكن أن تجمع للنشر في كتاب) .

ونقول نحن بدورنا ، أن إصرار المؤلف على اعتبار ما يحتويه كتابه صوراً وردت على الخاطر وليست قصصاً ، ليس مهماً في منظور النقد ، بل نضيف أن هذه الصور قصص بكل ما تحمله الكلمة من مدلول .

تضمن كتابه (صور مبتداها في يافا) أربع قصص أخذت العناوين التالية : تأبى الا أن تنتظر ، و لقد انهار حصن الحنازير،و كانت وفيّة،ومأساة . لدى قراءة هذه القصص نلاحظ أنها تأخذ مادتها الخام من واقع المأساة الفلسطينية مادياً وبشرياً . وهو واقع خصب بالتأكيد ، سواءً على مستوى الحدث ، أو على مستوى الرؤية ، وخصوصاً بالنسبة للغالبية العظمى من المثقفين والأدباء الفلسطينيين في تلك الفترة .

يقيم القاص معماره الفني في هذه القصص على مبدأ التقابل اذ يحرك شخوصه في زمنين متتاليين هما ما قبل نكبة ١٩٤٨ او ما بعدها ، وفي حالتين متقابلتين حالة السعادة والحياة المستقرة مادياً وعاطفياً ، وحالة الشقاء ، وحية التشرد والقلق مادياً وعاطفياً كذلك ، ثم أيضاً في مكانين متقابلين أولهما في يافا وثانيهما في عمان معتمداً أسلوب السرد الواقعي

من المكتبة العربية

البسيط في جميع القصص ، ومستندا على ضمير الغائب في أغلب الأحيان .

ففي قصة (تأبى الا أن تنتظر) نرى « عديلة » ، الشخصية في القصة ، في وضعين متقابلين : الوضع الأول عديلة الفتاة اللعوب الجميلة ، التي تلبس من الثياب أحدثها ، وتسكن مع أسرتها في حي من أحياء يافا الراقية . وفي الوضع الثاني بعد نكبة ١٩٤٨ ، نرى عديلة ترتدي ملابس فلاحة ساذجة ، تحمل على رأسها طبقاً تبيع ما عليه من تفاح وبرقوق ومشمش ، وقد ذبل جسمها وعلته صفرة قاتلة ، وتسكن في إحدى القرى القريبة من عمّان .

وبين الحالتين يرسم لنا القاص تطور الحدث المأساوي ، من خلال هجرة الأسرة من يافا الى بيروت ، ثم الى نابلس بعد وفاة معيل الأسرة ، ثم أخيراً الى عمّان ، ولم ينس القاص أن يضفي على « عديلة » هالة من القداسة في نهاية القصة ، حيث نراها تنتظر عودة خطيبها « سعيد » الذي لا تعرف عنه شيئاً منذ غادرت يافا .

وفي قصة « لقد انهار حصن الخنازير » يرسم لنا القاص صورة حية للمقاومة الفلسطينية في ذلك الحين ، أي قبل نكبة ١٩٤٨ ، وذلك من خلال عملية هدم حصن الخنازير ، وهو مصنع للمرطبات في مستعمرة « بات يام » بالقرب من يافا ، يتخذ منه الصهاينة مركزاً لعملياتهم الارهابية ضد السكان في حي الجبالية في مدينة يافا .

ومن خلال هذه الصورة الحية ، يحرك القاص بطل القصة (نواف) المرشح في الجيش العربي في ذلك الحين ، ليلعب دوراً رئيسياً في صنع الأحداث من جهة ، ويستند عليه في تقنية (التقابل) التي اعتمدها المؤلف في البناء العام للقصة من جهة أخرى .

فنواف في الحالة الأولى قبل عام ١٩٤٨ ، كان في إجازة ، ولكنه يستغل إجازته للمشاركة في الحدث البطولي للقصة (المقاومة) أما نواف هذا الذي التقاه الراوي في عمّان بعد عام ١٩٤٨ فهو ما يزال ضابطاً في الجيش العربي ، ولكنه ليس في إجازة كما تقول الكلمات الأخيرة في القصة .

وفي قصة (كانت وفيّة) يتناول المؤلف حياة اسرتين فلسطينيتين بائستين ، فقدتا معيليهما ، وذلك من خلال شخصية « سلمى » و « سليم » اللتين آلت اليهما تبعة المسؤولية فيما بعد . وقد ربط المؤلف بين الأسرتين برباط القرابة . ثم تحدث نكبة عام ١٩٤٨ ، فيستقر سليم في عمّان كاتباً في دائرة المعارف ، وتستقر سلمى في نابلس معلمة في إحدى المدارس التابعة لدائرة المعارف بعمّان أيضاً .

ويستمر القاص في رسم تطور الحدث المأساوي ، فيفضح نمط العلاقات الأسرية السائدة من خلال عم سلمى ، « السكير » الذي أرادها بقرة حلوباً تجلب اليه المال ، فيرفض زواجها من قريبها سليم . لينتهي بها الأمر في المستشفى جسداً ذابلاً أنهكه المرض .

وكما انهى القاص حياة « عديلة » بحالة من القداسة ينهي كذلك هذه القصة بحالة من القداسة أيضا ، اذ سرعان ما يذهب سليم الى حبيبته سلمى ، وهي على فراش المرض يمدها بالقوة ، لكي ينتهي بها المطاف في عش هاديء في عمان يداعبان طفلة صغيرة جميلة سمياها وفاء .

وفي قصة « مأساة » يعود المؤلف الى المقاومة الفلسطينية في تلك الفترة ، فيصف استبسال مدينة يافا مع أخواتها عرائس فلسطين ، في دفع الأذى وصد هجمات الأعداء التي كانت تأتيها من خلف كل ركن من أركانها ، ومن خلال هذه الصورة تطل علينا شخصية « سعاد » في وضعين متقابلين ، الأول في يافا : حيث تفشل في الزواج من موظف الشؤون الاجتماعية الذي تعرفت عليه حين جاء الى منزلها يقدم لها المساعدة ، والذي ارتبطت معه بقصة حب



ابراهيم سكجها

شريفة ، أفسدها سفره الى بريطانيا في بعث زواجها سنتين ، وإصرار والدتها على وزاجها من ابن عمها خلال هذه المدة .

أما الوضع الآخر : فهو بعد نكبة ١٩٤٨ ، حيث تقبع سعاد الآن في ركن بيت متواضع جداً في عمان ، تروي قصتها لكل من يستطيع أن يسمعها منها كما تقول نهاية القصة .

●●●

واضح من استعراضنا السريع لمضامين قصص (صور مبتداها في يافا) أنها تنتمي الى ما اصطلح على تسميته بالقصة الفلسطينية الكلاسيكية ، وهي كغيرها من القصص الفلسطينية التي كتبت في تلك الفترة تأخذ منحى تعليمياً أخلاقياً وتعتمد أسلوب السرد الواقعي البسيط كما أسلفنا ، كما يمكن أن نلاحظ في هذه القصص مزجاً بين تقنية أسلوب المقال وتقنية أسلوب القصة .

ففي الجانب الأول نرى سيطرة هاجس الاقناع على الكاتب سواء بحشد الحجج لتبرير موقف الشخصية أو بتدخل المؤلف لتوضيح ما يراه ضرورياً . ويتجلى هذا بشكل جذري في قصة (كانت وفيّة) حيث يقول الكاتب في نهايتها (هل أنهي قصة سليم وسلمى بذبول هذه الزهرة اليافعة .. وسليم هل أجعله يدفن أحزانه في الخمرة ..) .

أما تقنية أسلوب القصة فيتجلى في الابتعاد عن اللغة التقريرية المباشرة ، والاعتماد على صفاء اللغة وورومانسيتها بمعنى استغلال عناصر البيان والبديع والبلاغة جهراً ، ولهذا لا نستغرب عبارات كثيرة وردت في القصص مثل (وتهالكت على الأريكة ، يطلبون الحياة من جفن الردى ، أقدح زناد فكري ، يسترسل بظلام الليل ، هش في وجهه وبش .. الخ) .

غير أن ما تمتاز به قصص ابراهيم سكجها حقيقة عن قصص تلك الفترة هو ما يمكن أن يطلق عليه (الاقتصاد اللغوي) فلغة القصص تمزج بذكاء واضح بين خاصتي الاقناع والايحاء ، الى جانب ابتعادها عن التكرار سواءً على مستوى اللفظة أو على مستوى العبارة ، كما نلاحظ أيضاً خلو القصص من الاقتباسات والتضمينات ، ومواقف الوعظ والخطابة التي كانت سائدة في قصص تلك الفترة .

كما نسجل للقصص ميزة أخرى ، وهي لجوؤها الى رسم بعض الأجواء على نحو كاريكاتوري ، وذلك بهدف سبرغور الحدث أو الشخصية ، أو بهدف تعزيز عنصر (التشويق) في القصة ، ويتضح ذلك في قصة (لقد انهار حصن الخنازير) وفي قصة (مأساة) .

كما نسجل ميزة بنائية أخرى لهذه القصص تكاد تنفرد بها ، وتتعلق بافتتاحية القصة ، فالملاحظ أن افتتاحيات جميع القصص تلخص الحدث ، أو تشير الى ذروته منذ البداية ، وهذه تقنية أخذت بها القصص الحديثة فيما بعد كما نعلم .

بقيت نقطة أخرى أود أن أشير اليها وهي أنني الاحظ أن هذه القصص تشي بقدرة روائية كامنة في المؤلف . فالزمن واحد في كل هذه القصص ، والمكان واحد تقريباً ، والشخصيات متقاربة من حيث حركتها وخصائصها ، والمضمون واحد الى حد بعيد ، وأخيراً فان الراوي يكاد يكون واحداً في جميع القصص . □

وتتكون الألياف البصرية من منطقة مركزية يطلق عليها (التجويف الداخلي) وهي عاكسة للضوء ، ومنطقة أخرى تمثل الجدران الداخلية لهذه الأسلاك يطلق عليها (الغلاف) . وتتميز الألياف البصرية عن الأسلاك النحاسية العادية بأن كل منها قادر على نقل حوالى ٢٠٠٠ مكالمة هاتفية ، بينما السلك النحاسي الواحد ينقل حوالى ٣٠ مكالمة فقط . وتعتبر الألياف البصرية أيضا أخف وزنا ، اذ يبلغ وزن ٥٠٠ متر منها حوالى ٢٥ كيلو جراما بينما يبلغ وزن نفس الطول من أسلاك النحاس العادية حوالى طنين (٢٠٠٠ كيلو جرام) . وتمر أشعة الليزر داخل الألياف البصرية على شكل نبضات ، حيث تتعرض لانعكاسات عديدة بين طبقتين مختلفتين في الكثافة (التجويف الداخلي والغلاف) ثم تصل في النهاية الى هدفها حاملة معها البيانات والمعلومات على شكل نبضات كهربية ، وقد توضع عدسات دقيقة جدا داخل الألياف الزجاجية كل مسافة محددة ، دلك لتجميع أشعة الليزر كلما تفرقت .

كيف تحمل أشعة الليزر . . المعلومات :

. حتى يمكن تخزين أو بث المعلومات بأشكالها المختلفة (مثل الأصوات والصور ومخرجات الكمبيوتر . .) فانه يجب تحويلها الى نبضات كهربية . وهكذا تتحول المعلومات الى نبضات كهربية تعبر عنها تماما .

وعلى سبيل المثال فان صوت المتحدث في الهاتف يتحول الى نبضات كهربية تعبر عنه تماما ، ثم تمر عبر الاسلاك الى هاتف المستمع وتتحول مرة اخرى الى صوت مميز .

ويتم بث المعلومات عن طريق أشعة الليزر كما يلي :-

تتحول المعلومات المراد بثها الى نبضات كهربية ، تعبر عنها تماما ، ثم يتم توجيهها الى جهاز الليزر ، فيصدر أشعة تتحول تماما مثل النبضات الكهربية وتساويها ايضا في الشدة ـ اى أن المعلومات قد تحولت الى أشعة ليزر معدلة ـ وعند الهدف هناك أجهزة استقبال خاصة تحول اشعة الليزر الى معلومات مرة اخرى . وهكذا يمكن لاشعة الليزر أن تستخدم لحمل المعلومات من مكان لآخر ، أو تخزينها على أقراص خاصة يطلق عليها الأقراص البصرية ، و ي تستخدم أيضا في تسجيل الموسيقا وأفلام الفيديو

الأقراص البصرية :

يتكون القرص البصرى من سطح معدنى فضى مثل المرآة ، يعكس الضوء في شكل ألوان الطيف ، ويغطى بطبقة رقيقة من البلاستيك النقى ، وهو في حجم اسطوانة الموسيقا العادية ، وعلى السطح هناك العديد من الثقوب الصغيرة الدقيقة جدا يطلق عليها (الحفر) أما المناطق المستوية التى بينها فيطلق عليها (المسطحات) ولكي نتعرف على دور أشعة الليزر في عرض المعلومات ، نأخذ حالة عرض أفلام الفيديو

يتم عرض المعلومات (فيلم الفيديو) عن طريق توجيه أشعة الليزر من جهاز الفيديو بشكل عمودى على سطح القرص البصرى المسجلة عليه المعلومات ، وذلك أثناء دورانه ، على أن يكون مدى الأشعة من مركز القرص الى حافته ، ويعكس السطح اللامع للقرص أشعة الليزر الى جهاز الفيديو مرة اخرى ، حيث يتم التقاطها بواسطة وحدة الكترونية ، تقوم باصدار نبضات كهربية مختلفة بمجرد وصول أشعة الليزر اليها . وحيث أن الحفر والمسطحات فوق سطح القرص البصرى تعكس أشعة الليزر بشكل مختلف ، وعند وصولها الى الوحدة الألكترونية بجهاز الفيديو ، تقوم هى أيضا باصدار نبضات كهربية مختلفة مثل أشعة الليزر التى انعكست اليها ، ثم يحول جهاز الفيديو هذه النبضات الكهربية الى صور وصوت (فيلم الفيديو) .

الهولوجرافيا (فن التصوير المجسم) :

من اهم تطبيقات أشعة الليزر ما يطلق عليه (الهولوجرافيا) أى فن التصوير المجسم الذى يظهر الابعاد الثلاثة للاجسام . ويعتمد هذا الفن على (الهولوجرام) الذى يعنى الصورة الكاملة .

ويبدو الهولوجرام كالصورة العادية ، ولكنه في الواقع يختلف عنها اختلافا جوهريا .

تخيل أن آلة تصوير عادية التقطت صورة لرجل يقف أمام سيارة ، فاذا نظرت الى هذه الصورة

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

من شعرائنا من اشتهر كل منهم بيسا بقصيدة واحدة لجودتها ، سواء عرفنا له شعرا غيرها او لم نعرف ، ومن هؤلاء مالك بن الريب المازنى التميمى الذى اشتهر بشهرة قصيدته اليائية التى يرثى بها نفسه . (العربي العدد ٣١٥ يناير ١٩٨٥)

ومنهم ابن زريق البغدادى صاحب القصيدة العينية التى نقدمها هنا ، ولا نعرف له غيرها ، ومعلوماتنا عن حياة الشاعر وعصره والمناسبة التي كتب فيها قصيدته نزرة ، واهم ماروى فى كل ذلك انه كان يعيش فى بغداد (ومن هنا نسبته البغدادى) وقد عشق ابنة عمه ، ووفى لها ، ولكن ضاقت به احوال المعيشة ، فعزم ان يرحل الى المغرب ولعله كان يقصد الاندلس ، حيث يلتمس سعة من المال ، وحاولت ابنة عمه ملحة ان ترده عن عزمه دون جدوى ، فرحل ، وفي اضطرابه بين البلاد شريدا احس وحشة الغربة وخيبة الأمل ، وعاودته ذكريات حبه الضائع في موطنه ، فنظم هذه القصيدة منفسا عن مواجعه وآلامه ، نادما على رحيله ، مؤنبا نفسه على ماكان من فراق ابنة عمه ، ورفضه رجاءها له بالبقاء الى جانبها

ويقال انه احس المرض اخيرا فلجأ الى خان فسكنه ، وفيه ادركه اجله ، وحين اريد دفنه وجدت هذه القصيدة مكتوبة فى ورقة تحت وسادته ، وقد روى هذه القصيدة كثير من رجال المغرب

لاتعذليه ، فانَّ العذْلَ يُولعه قد قلت حقا ، ولكنْ ليس يسمعهُ (١)
جاوزتِ في لومه حدًّا أضرّ به من حيثُ قدرتِ أن اللَّوْمَ ينفعُه
فاستعملى الرفق في تأنيبه بدلا من عُنْفهِ ، فهْو مُضْنَى القلبِ مُوجَعهُ
قد كان مُضْطَلِعا بالخطْب يحمله فضُلِّعتْ بخطوب البين أضلُعُه (٢)
يكفيه من لوعةِ التفنيد أنَّ له من النوى كلَّ يوم ما يروِّعُه (٣)
ما آبَ من سفرٍ الا وأزعجَه رأيٌ الى سفرٍ بالرَّغْم يتبعه
كأنَّما هو في حلٍّ ومرتَحَلٍ موكَّلٌ بفضاء الارض يذرعه

اذا الزماع أراهُ في الرّحيل غِنى ... ولو الى السَّد أضحى وهو يُزْمعهُ(٤)
تأبى المطامعِ الا أن تجشّمه ... للرزق كدًّا ، وكم مُّن يودعهُ
وما مجاهدةُ الانسان واصلةً ... رزقًا ، ولا دعةُ الانسان تقْطَعُه
قد قسّم الله بين الناسِ رزقَهم ... لم يخلقِ الله مخلوقا يضيّعُه
لكنهم مُلئوا حِرْصًا ، فلست ترى ... مسترزقا ، وسوى الغايات تُقْنِعُه
والدهرُ يُعطي الفتى ما ليس يطلبُه ... حقا ، ويُطْعِمُه من حيث يمنعه
أستودِعُ الله في بغدادَ لي قمرًا ... بالكرخ ، من فلك الأزرار مطلعُه (٥)
ودعّته ، وبِوُدّي لو يودعُني ... طيبُ الحياة ، وأنّي لا أودعُه
وكمْ تشفّعَ بِي أن لا أفارقَه ... وللضرورات حالٌ لا تشفّعُه
وكمْ تشبّث بِي يوم الرحيلِ ضُحًى ... وأدمُعي مُستهلاتٌ وأدمُعُه
اعطيت مُلْكًا فلم تُحسن سياسته ... وكلّ منْ لا يسوسُ الملْكَ يُخْلَعُه
ومن غدا لابسًا ثوبَ النعيم بِلا ... شكر عليه ، فان الله ينزِعُه
كم قائلٍ لي-: « دنبُ البين » قلتُ له : ... الدنبُ والله دنبي ، لست أدفَعُه
إني لأقطع أيامي ، وأُنفِدُها ... بحسرةٍ منه في قلبي تُقطعه
بمنْ اذا هجعَ النُّوَّامُ بت لهُ ... بلوْعةٍ منه ليلي لستُ أهجعُه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعُني ... به ، ولا طنَّ بي الايامَ تفجعُه
حتى جرى البين فيما بيننا بِيَدٍ ... عسراءَ تمنعُني حظّي وتمنعُه
بالله ، يا منزل الأُنس الذى درسَت ... آثارُه ، وعفتْ ، مذ بنْتُ ، أربُعُه (٦)
هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتنا ... أم اللّيالي التي أمضته تُرجعُه
في ذمة الله من أصبحتَ منْزلَه ... وجادَ غيثٌ على مغناك مرْبعُه (٧)
من عِندَهُ لِيَ عهدٌ لا يضيع ، كما ... عِندِي له عهدُ ودٍّ لا أضيعُه
ومن يُصدِّعُ قلبي ذكْرُه ، واذا ... جرى على قلبه ذِكْرِي يصدِّعُه
لأصبرَنَّ لدهرٍ لا يمتّعُني ... به ، ولا بِيَ في حالٍ يمتِّعُه
علماً بأن اصطباري مُعقِبٌ فرَجًا ... فأضيق الأَمر ان فكّرتَ أَوْسعُه
عسى الليالي التي أضْنَت بفرقتنا ... جِسْمي ، ستجمعني يوما وتجمعه
وإن تُغلْ أحدا منا مَنيَّتُه ... فما الذى بقضاءِ الله يَصنَعُه

١ ـ لا تعذليه : لا تلوميه ، والعذل اللوم ـ يولعه يغريه بالاصرار على موقفه
٢ ـ الخطب · المصيبة ، والجمع خطوب وضلعت . انتفخت واثقلت
٣ ـ التفنيد : المعارضة والتكذيب
٤ ـ الزماع . العزم ، والسد · سد يأجوج ومأجوج ، والمقصود هو المكان البعيد
٥ - يقسم نهر دجلة مدينة بغداد قسمين الغربي منها هو الكرخ ، والشرقي هو الرصافة
٦ - عفت اربعه . زالت معالمه
٧ ـ جاد : نزل . غيث : مطر مغناك : دارك

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - فلورانس نايتنجيل ، رائدة مهنة التمريض بمفهومها الحديث ،ارتبط اسمها بإحدى الحروب في القرن التاسع عشر . . فأي حرب تلك . . . ؟

٢ - أيهما أكبر حجماً . . البكتريا أم الفيروس ؟

٣ - كيف تصلنا الاذاعات الأوروبية والأمريكية فور ارسالها بالرغم من أن الصوت بطيء ، وينتقل بسرعة بطيئة جداً لا يتجاوز ٣/١ كيلومتر في الثانية ؟

٤ - كتاب مفاتيح العلوم . . الذي يعتبر أقدم دائرة معارف أو موسوعة عربية . من هو مؤلفه ؟

٥ - الأجمة والأكمة . . أيهما تحتوي من الشجر أكثر من الأخرى ؟

٦ - ثعبان الكوبرا - الباثيون - الأناكوندا - الراند أسماء متجانسة كلها ما عدا واحدا . . فأيها الناشز ؟ ولماذا ؟

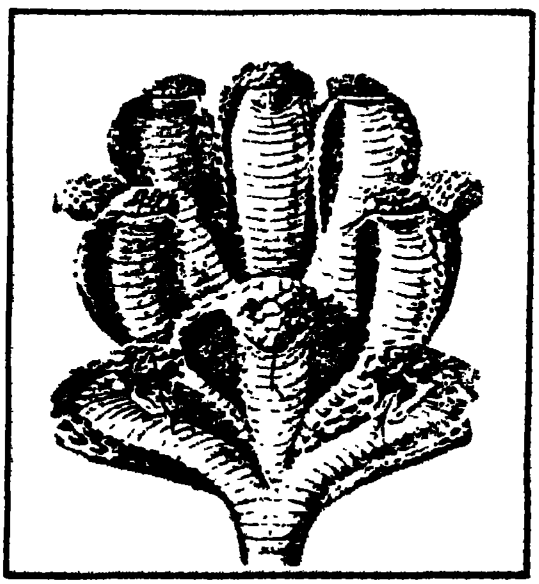
٧ - القطب الشمالي والقطب المغناطيسي . . هل هما صنوان ويقعان في نفس المكان . . أم هما مختلفان ويقعان في مكانين مختلفين ؟

٨ - أيهما أكبر مساحة . . تايلاند أم سيلان ؟

٩ - ثمرة شجرة النخيل تسمى بالأسماء التالية تبعاً لمراحل نموها المختلفة . . التمر - البلح - البسر - الرطب . .

المطلوب ترتيب هذه الأسماء وفق الترتيب الذي تتعاقب فيه مراحل نمو ثمرة النخيل .

١٠ - ثمة نوعان شائعان من ورق التغليف . . أحدهما أبيض ويعرف باسم ورق السلفايت والآخر



الثقافية

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ترسل الإجابات على العنوان التالي : -
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٢ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول نوفمبر ١٩٨٥ .

بني فاتح مصفر ويعرف باسم ورق الكرافت . . فما هو سبب اختلافهما في اللون ؟

* السبب هو لون الخشب الذي يصنع منه كل منهما . . فهو خشب أحمر في حالة ورق الكرافت . . وأبيض في حالة ورق السلفايت .

* السبب هو الصبغ . . فمصانع الورق تصبغ ورق الكرافت ولا تصبغ ورق السلفايت .

* السبب الشمس فالمصانع تعرض عجينة ورق الكرافت لأشعة الشمس ولا تعرض عجينة ورق السلفايت لها .

١١ - صناعة الصابون وصناعة الفولاذ تحتاج إحداهما الى ٢٧٠ طناً من الماء ولا تحتاج الأخرى الا لطنين من الماء فقط . . وذلك لانتاج طن واحد من السلعة التي تصنعها . . صابوناً كانت أو فولاذاً . . فأي الصناعتين هذه ؟ وأيهما تلك . . ؟

١٢ - هنرى دونانت مؤسس هيئة الصليب الأحمر الدولية . . ارتبط اسمه باسم إحدى الدول العربية . . فأي دولة تلك ؟

سبتمبر ١٩٨٥ م

العدد ٣٢٢

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

٥ -

٦ -

٧ -

٨ -

٩ -

١٠ -

١١ -

١٢ -

الاسم

العنوان

مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي

١ ـ لغة الصفير (السيلو) لغة يستعملها سكان جزر الكناري .

٢ ـ اسكندنافيا لا تضم بالمفهوم الجغرافي سوى السويد والنرويج . . اذ انها شبه الجزيرة الاسكندنافية المكونة من الدولتين المذكورتين فحسب . أما بالمفهوم الحضاري والتاريخي فاسكندنافيا تشمل الدانمرك وايسلنده وجزر الفيروز بالاضافة الى السويد والنرويج . . . وهي تشمل أيضاً فنلنده في نظر البعض .

٣ ـ المملكة المتحدة هي الكبرى فهي تشمل بريطانيا العظمى وشمال ايرلنده . أما بريطانيا العظمى فلا تعدو كونها الجزيرة الكبرى بين الجزر البريطانية وهي تشمل انكلترا وويلز واسكتلنده وجزيرة آيل أوف مان وجزر القنال وتبلغ مساحة المملكة المتحدة ٩٤,٥٠٠ ميل مربع ، ولا تزيد مساحة بريطانيا العظمى على ٨٩,٠٣٨ ميلاً مربعاً

٤ ـ تقع لهاسا ، عاصمة التبت على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم . ومعنى هذا أن الأوكسجين قليل نسبياً في هوائها الجوي . من هنا كانت قلة الحرائق التي تشهدها لهاسا .

٥ ـ الرجل صِفْرُ اليدين هي الأكثر شيوعاً في كلام العرب . ويقولون أيضاً صَفِرَ الأناء من اللبن فهو صَفِرٌ . . والصُفر والصِّفَر والصِّفر تعني كلها الشيء الخالي . . ويستوي فيها الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث .

٦ ـ عصارة الميموزا تستعمل في دباغة الجلود . . ونبات الميموزا أكثره أعشاب والقليل منه أشجار . . وهو من النباتات الاستوائية ، ويزرع في أواسط أفريقيا وأمريكا الوسطى . . وتتميز الميموزا بحساسية أوراقها للضوء .

٧ ـ لا فرق بين الشاي الأخضر والشاي الأسود ، الا في الطريقة التي تصنع بها أوراق الشاي

الخضراء . . فاذا عولجت هذه بالتخمير ولمدة ٣٦ ساعة كان الناتج هو الشاي الأسود ، أما اذا عولجت بالتبخير ، بقيت خضراء وكان الناتج هو الشاي الأخضر

٨ - شركة (بك) شركة فرنسية وهي التي اشترت حقوق صنع القلم الناشف الذي سمته باسمها والذي اخترعه لادسلاوبيرو في المجر سنة ١٩٣٨ .

٩ - جزر العذارى الأمريكية ، اشترتها الولايات المتحدة سنة ١٩١٦/١٩١٧ من الدنمارك ، وذلك لقاء ٢٥ مليون دولار ، وقد أقدمت على شرائها تحاشياً لاقدام المانيا على شرائها

١٠ - ليبيريا هي الدولة الأفريقية المستقلة التي ترفع علماً يشبه علم الولايات المتحدة،والجدير بالذكر أن ليبيريا هذه ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٢٢ وذلك تبعاً للجهود التي بذلتها جمعية الاستيطان الأمريكية وقد أسست هذه الجمعية من أجل الزنوج الأمريكيين المحررين الى ساحل أفريقيا الغربي ونجحت في تهجيرهم وتوطينهم في المنطقة التي اقيمت فيها العاصمة منروفيا بعد ذلك . .

١١ - الزولو هم النشاز . . فهم قبيلة أفريقية بينما الأسكيمو واللابيون من سكان المناطق القطبية الشمالية .

١٢ - انه المضيق الذي يقع في خليج سان فرنسيسكو . . فهو بمثابة مدخل المدينة .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٩

يونيو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : اكرم طه عبد السلام سليمان - المنوفية / الباجور / جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثانية : محمود داود الهباب - الشعبية / الكويت .
الجائزة الثالثة : غربال عبد الحق - المغرب / ص ب رقم (١١) تارويدت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - وليد فوزي الشوبكي - اربد / الاردن .
٢ - حاتم السيد حسين - الزقازيق / منشية الفتح ١٢ شارع عطا / مصر .
٣ - صلاح محمد تيبازا - درارية / دائرة الشراقة / ولاية تيبازا / الجزائر .
٤ - عبدالقادر علي النعيم - الخرطوم / السودان .
٥ - عبدالرحمن محمد المغودي - المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية .
٦ - ابراهيم مصطفى عبد الرحمن - المنامة / البحرين .
٧ - لبنى يوسف عبدالرحيم مصطفى حمد الله - دولة الكويت .
٨ - فاروق كرادشة - مادبا / المملكة الاردنية الهاشمية .

معركة بلا سلاح

أصغر أستاذ كبير في العالم

كان اللاعب البريطاني الشاب « نايجل شورت » يحتفل بعيد ميلاده التاسع عشر عندما فاز ببطولة بريطانيا للشطرنج في مباراة برايتون المنعقدة في مثل هذا الشهر من العام المنصرم . وبالاضافة الى فوزه ببطولة بلاده حصل هذا الفتى الصغير من الاتحاد الدولي بجدارة على لقب أستاذ كبير في الشطرنج بمعدل يبلغ ٢٥٣٥ نقطة وبذلك أصبح أصغر أستاذ كبير في الشطرنج في العالم .

حقق هذا اللاعب الفذ أول انتصاراته في الشطرنج بفوزه على البطل الروسي الأصل والسويسري الجنسية كورشنوي في مباراة من عدة أدوار في آن واحد . ومن أحدث انتصاراته هزيمته الساحقة للبطل الامريكي ل . البرت في المباراة المنعقدة في بلدة فوكسبورو في ولاية ماساسوستش الامريكية التي جرت في مطلع العام الحالي على بطولة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة .

وقد خيبت هذه المباراة توقعات المراقبين ومن أبرزهم ممول المباراة الذي خرج قبيل المباراة بالتصريح التالي :

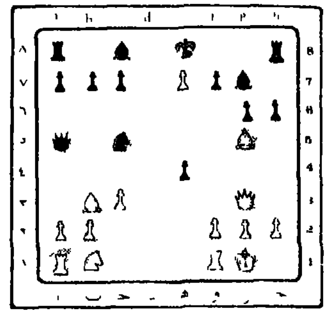
« سيكون شورت محظوظا لو حصل على نصف نقطة فقط » أمام البطل الامريكي فقد كان ينظر الى الفتى الصغير شزرا ولسان حاله يقول : « ألم يجدوا في طول بريطانيا وعرضها لملاقاتي سوى هذا الصبي » ! وكم كانت النتيجة مخيبة لأمالهم جميعا عندما حقق الصبي الصغير انتصاره المذهل بنتيجة لا تقل عن ٧ - ١ واليكم أحد الادوار التي جرت بين البطلين .



نايجل شورت

شورت (أبيض)	البرت (أسود)
١ - هـ ٤	ح - و ٦
٢ - هـ ٥	ح - د ٥
٣ - د ٤	د ٦
٤ - ح - و ٣	ر ٦
٥ - ف - جـ ٤	ح - ب ٦
٦ - ف - ب ٣	ف - ز ٧
٧ - ح - ز ٥	هـ ٦
٨ - و - و ٣	و - هـ ٧
٩ - ح - هـ ٤	د × هـ ٥
١٠ - ف - ر ٥	و - ب ٤ +
١١ - جـ ٣	و - أ ٥
١٢ - ح - و ٦ +	م - و ٨
١٣ - د ٥	هـ ٤
لو ١٤ - و × هـ ٤	ح ـ ١٦
١٥ - د × هـ ٦	ف × هـ ٦
١٦ - ف × هـ ٦	و × ز ٥ ويفوز الأسود

١٤ - و - ر ٣ !	ح ٦ - د ٧
١٥ - ح × د ٧ +	ح × د ٧
١٦ - د × هـ ٦	ح - جـ ٥
١٧ - هـ ٧ +	م - هـ ٨
١٨ - ت !	حـ ٦



الوضع بعد النقلة ١٨

لو ١٨ . . .
ح × ب ٣
١٩ أ × ب ٣
و × أ ١
للعب الابيض
٢٠ - و × حـ ٧   و ٦
٢١ - ر - دا

١٩ - ف - و ٤ ؟	(ف - هـ ٣ كانت أفضل)
١٩ - ..	ح × ب ٣
٢٠ - ف × جـ ٧	و - ر ٥ !
٢١ - أ × ب ٣	و × ز ٣
٢٢ - حـ × ر ٣	م × هـ ٧

وبذلك يكون هجوم الابيض قد باء بالفشل وليس أمامه الأن سوى استثمار وضعه الافضل

٢٣ - ح - د ٢	و ٥
٢٤ - ف - ب ٦	أ ٦
٢٥ - ح - جـ ٤	ف - هـ ٦
٢٦ - ف - جـ ٥ +	م - و ٧
٢٧ - ح - د ٦ +	م - ز ٨ ،
٢٨ - ب ٤	ر - ب ٨
٢٩ - ف - أ ٧	ر - أ ٨
٣٠ - ف - ب ٦	ف - هـ ٥
٣١ - ر (ف) - دا	ر - حـ ٧ !
٣٢ - ر - أ ٥	ف - و ٦
٣٣ - ف - د ٤	ف × د ٤ ؟ (رديئة ف - ب ٣ أفضل)
٣٤ - ر × د ٤	ر - ب ٨ ؟!
٣٥ - ر - هـ ٥	ر - هـ ٧
٣٦ - ر ٤ !	(يفوز بيدق)
٣٦ -	م - و ٨
٣٧ - ز × و ٥	ف × و ٥
٣٨ - ر × هـ ٧	م × هـ ٧
٣٩ - ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
٤٠ - ر × هـ ٤ +	ومن ثم يفوز بالدور

حل المسألة (٣١)

١ - ز ٤	ف × هـ ٢
٢ - ر × حـ ٥ +	ز × حـ ٥
٣ - ز ٥ +	ر × ز ٥
٤ - (حـ) (و) × ز ٥	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٠)
يونيو ١٩٨٥

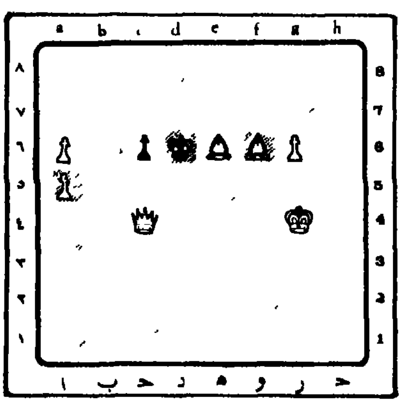
الفائزون باشتراك سنه كاملة :

١ - خضير مسير - المثنى / العراق .
٢ - محمود مسلّمي - الزقازيق / ج م ع .
٣ - فتحي العكروت - طرابلس / ليبيا .
٤ - حمد محمد - مدني / السودان .
٥ - الهامي عبد الرحمن - زم / المغرب .

الفائزون باشتراك ستة اشهر

١ - مأمون علي - الفحاحيل / الكويت .
٢ - رجاء العفو - السنابس / البحرين .
٣ - محمد صلاح - دبي / الامارات .
٤ - ابراهيم مهدي - روي / عُمان
٥ - مها الرمحي - الدوحة / قطر .

مسابقة العدد
مسألة رقم (٣٣)



الابيض يلعب ويميت الشاه في نقلتين

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

الصيف العربي

فصل الصيف هو فصل الحرارة في معظم أقطار الوطن العربي . والحرارة في كثير من الاحيان عامل طرد وهجرة بشرية عربية تزحف الى اصقاع عديدة من عالم الغرب تبحث عن جمال الطبيعة وبرودة الطقس .. ومع هذا الزحف تزحف الاموال مع المسافرين وهي أموال تشكل عبئا كبيرا على حساب الوضع المالي في أقطار العروبة .

ولو ان الذين يملكون ناصية السياحة في وطننا العربي ، وفروا اماكن السياحة واستثمروها وسهلوا عبور ابناء العروبة بين اوطان العروبة ، لو كان هذا حدث لكانت السياحة العربية في حال افضل مما هي عليه،ولكانت اموال العروبة تنفق فوق أرض العروبة .

المحرر

لبنان ـ يا لبنان

● اصرخ بكل صوت على ما يجري في بلادي لبنان ، لقد كانت محجا للسياح كل صيف ، وكانت ارضا خضراء وماء عذبا وطبيعة لا تضاهيها معظم دول السياحة الاوروبية ، تعبر ذاك العصر الذي كنا نشعر فيه بالراحة ورغد العيش ونعم بالهواء النقي الطلق .. ما الذي يجري في لبنان الان ، هل هي مؤامرة علينا ؟ ! ما هي قصة هذا الذي نعانيه في بلادنا من حروب ودمار وقتل يهدد الشيخ الوقور والمرأة العجوز والطفل الرضيع والشاب والفتاة ؟ الكل يلاحقه الموت والكل يسعى له .. وكأن الانسان قد نزع الضمير والرحمة من قلبه ..

لبنان في حاجة الى اعادة ابتسامته الخضراء التي سلبت منه ، وهو في حاجة الى اعادة الامان والتآلف فيما بين ابناء شعبه حتى يعود كما كان شمعة مضيئة تضيء في سماء العروبة والاسلام .

محمد الحاج ـ بعلبك ـ لبنان

الذي يتعرض له لبنان الشقيق يقطع نياط قلب كل عربي مخلص . ولبنان الذي نعرفه هو ارض الثقافة والابداع والسياحة والزراعة بكل انواعها . ولم نعرف لبنان في هذا الحال الذي عليه ، الله وحده نسأله ان يزيل المحن عن هذا البلد الشقيق فهو جزء من العروبة وما يتعرض له يؤلم بقية أقطار العروبة ... وهي كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ..

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

شكرا للكويت

● كنا نعاني منذ مدة من تأخر وصول مجلتنا العربي ، وكنا نواجه الكثير من المتاعب من اجل الحصول عليها بين مكتبة واخرى .

ومع بداية هذا العام بدأت المجلة تصلنا اسرع مما كانت عليه وصار أمر الحصول عليها أسهل بعد ان اجتازت « العربي » عنصر التأخير واختصار الوقت في الشحن والطريق - فشكرا للكويت التي اعطتنا هذه المجلة الثقافية الرائدة وشكرا للقائمين عليها من اسرة التحرير . .

نايف بشير - فنزويلا

● ما يهمنا هو ان تكون هذه المجلة في متناول ابناء العروبة والناطقين بلغة القرآن في كل مكان . ومادمنا قد نجحنا في اجتياز مرحلة تأخير وصول المجلة فاننا نكون قد قطعنا شوطا آخر من اهداف المجلة . هذه ناحية أما الأخرى فان صدور المجلة من الكويت ينبع من ايمان هذه الارض برسالتها تجاه ابناء العروبة والاسلام .

الفلاسفة الاسلاميون

قرأت في العدد (٣١٨) عرضا لاطروحة « نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين » وتبين ان هناك بعض النقاط تحتاج الى تصحيح ، إذ انني لم اقتصر في رسالتي على الفلاسفة الأربعة : الكندي والفارابي وابن سيناء وابن رشد « لعدم نضج آراء غيرهم من الفلاسفة المسلمين كما ورد في المراسلة » بل لان آراءهم لا تمس سوى عناصر جزئية في نظرية الفلاسفة للشعر . ومن هنا لم أولها اهتماما علما بأن اغلب آراء الفلاسفة احتوتها شروحهم لفن الشعر - وان شكل نتاجهم الفلسفي عامة إطار لهذه النظرية ولم نعرف لغيرهم شروحا لفن الشعر هذا ، عدا ما نسب لابن الهيثم ولم يصلنا

وورد ايضا في العرض المنشور حديث عن قلة الدراسات الحديثة التي بحثت الموضوع وذكر المقال فيها ذكر كتابا للدكتور شكرى محمد عياد (نظرية ارسطو في الشعر) ولعل الكاتب يقصد كتابه « كتاب ارسطوطاليس في الشعر » والحق ان الكتاب لا يحتوى على اشارات الى نظرية الفلاسفة في الشعر وحسب بل احتوى على اغلب عناصر نظرية الفلاسفة في الشعر ، وشكل بذلك اساسا لعمل الأطروحة التي قدمتها . . .

الاخضر جمعي

لامية العرب . . ولامية العجم

● في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ م وفي باب جمال العربية « صفحة شعر » بصدد لامية العجم وردت العبارة التالية . . . التي اشتهرت باسم لامية العجم لان صاحبها اعجمي . . .

وحيث ان هذه العبارة غير صحيحة ، وان كاتب المقال لم يناقش مدى صحتها فاني اورد هنا ما ذكره الاديب عبد المعين الملوحي في كتابه « اللاومسيتان » الذي نشرته وزارة الثقافة والارشاد السورية عام

وحركت رأسك من جهة لأخرى سيظهر الرجل دائما وهو يحجب نفس الجزء من السيارة هذا النوع من الصور يطلق عليه (ذو البعدين) أما اذا اخذت صورة هولوجرام لنفس المنظر (الرجل والسيارة) لاختلف الأمر ، فاذا حركت رأسك من جهة لأخرى ، لاتضح لك ان الرجل يتحرك بالنسبة للسيارة . وبمعنى آخر فان الهولوجرام تقدم صورا ذات أبعاد ثلاثة ، ومن ثم تبدو الصور كالمناظر التى نشاهدها فعلا فى الطبيعة ، فمن كل زاوية يبدو للمشاهد ان المنظر مختلف . فاذا نظرت لصورة الهولوجرام للرجل والسيارة وحركت رأسك نحو اليمين لظهر لك الرجل يتحرك الى اليسار بالنسبة للسيارة ، وتنتج صور الهولوجرام من اضاءة شىء ما بأشعة الليزر التى تصدر بضوء ذي لون محدد (أى بطول موجة ضوء معينة) ، ويتم تخزينها فى الهولوجرام ، ولا يمكن رؤيتها الا باطلاق أشعة الليزر بنفس طول الموجة مرة اخرى خلال الهولوجرام ، كما يمكن تخزين الهولوجرامات فوق فيلم أو على زجاج خاص

كيف يتم تسجيل الهولوجرام ؟

يوضح الرسم كيف يتم تسجيل الهولوجرام . ـ تمر أشعة الليزر خلال عاكس ، حيث تنقسم الى قسمين القسم الأول يطلق عليه (أشعة المرجع) تسقط على مرآة فتنعكس خلال عدسة تقوم بنشر هذه الأشعة التى تسقط على لوحة الهولوجرام ، وهى اما فيلم فوتوغرافى ، أو من زجاج خاص مغطى بمادة حساسة للضوء

اما القسم الثانى من أشعة الليزر والتى يطلق عليها (أشعة الشيء) فانه يتم توجيهه بواسطة مرآة وعدسة الى الشيء المراد تصويره (فى مثالنا : القارب) وتسلط هذه الاشعة على القارب ثم تنعكس فى كل الاتجاهات ، وعندما تتقابل هذه الاشعة المنعكسة مع أشعة المرجع تكون نموذجا خاصا للقارب يطلق عليه (نموذج التداخل الضوئى) أى تداخل أشعة الشيء مع أشعة المرجع . وهذا النموذج هو الذى يقوم بتخزين كافة المعلومات عن تفاصيل القارب ويسجله فوق لوحة الهولوجرام .

وتبدو صورة القارب ذات أبعاد ثلاثة ومطابقة للأصل تماما ، ولكنها بلون واحد فقط ، تبعا لنوع الليزر المستخدم ، ويكون هذا اللون واضحا تماما ومتألقا لانه ناتج عن ضوء نقى ذي طول موجى واحد .

الليزر . . وافاق المستقبل :

اخذ الليزر يشق طريقه بكفاءة عالية عبر الأفق العلمى فى العصر الحديث ، ومن التجارب التى تجرى فى الوقت الحاضر ليتم تطبيقها فى المستقبل :

مصادر جديدة للطاقة : يبحث العلماء دائما عن مصادر جديدة للطاقة ، فمن غير المتوقع ان تبقى المصادر الحالية (الفحم والنفط والغاز) الى الأبد ، ومن ثم يسعى العلماء جاهدين الى ايجاد مصادر أخرى يستمدون منها الطاقة .

وثمة مصدر محتمل للطاقة هو (الاندماج النووى) الذى يحدث عند درجات حرارة مروعة تبلغ ملايين الدرجات ، فالشمس مثلا تطلق الطاقة بفعل الاندماج النووى الذى يحدث عندما تتحد ذرات معينة فتطلق الطاقة عند اندماجها ويمكن لأشعة الليزر أن تحدث تسخيناً للمواد يؤدي إلى الإندماج النووي وإصدار الطاقة .

التلفزيون المجسم :

يجرى العلماء المزيد من التجارب على الهولوجرام بهدف جعله يظهر بألوان متعددة مثل الأصل تماما ،

وهناك ايضا محاولات لجعل الهولوجرام يتحرك ومن ثم يمكن أن نشاهد فى المستقبل القريب تلفزيونا مجسما ذا أبعاد ثلاثة . كما يمكن استخدام شاشات تلفزيون كبيرة بحجم الجدار حيث يمكن الاستفادة من خصائص أشعة الليزر (صفاء اللون والكثافة الشديدة) . ويكفى أن تسلط أشعة الليزر على الهولوجرام بنفس الزوايا التى استخدمت فى تصوير المناظر المختلفة المسجلة ، حتى نرى نفس هذه المناظر كما هى فى الطبيعة ، ويكفى أن تمر نسبة معينة من هذه الصور فى الثانية حتى نراها تتحرك . ويتوقع العلماء أن يكشف لنا المستقبل القريب عن المزيد من التطبيقات المذهلة لتقنية الليزر الذى اطلق عليه بحق . . أشعة المستقبل . □

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

١٩٦٦ م ، تحت عنوان « لماذا سميت القصيدة لامية العجم » يقول الكاتب :

« عرفنا ان الطغرائي كان عربيا (الحسين بن علي ابن عبد الصمد المشهور بالطغرائي ويكنى ابا اسماعيل ويلقب بمؤيد الدين وينعت بالاستاذ) ولد عام ٤٥٣ هـ ، من اسرة عربية تنسب الى ابي الاسود الدؤلي « فلماذا سميت قصيدته هذه بلامية العجم ؟ » ذلك موضوع يتناول بحثه الدكتور علي جواد الطاهر في مقالة يقول فيها :

اول ما يفهم من قصيدة تسمى لامية العجم ان صاحبها عجمي أو انها تجسد العجم وتسجل مفاخرها ، فماذا في اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء ، إذ ان الطغرائي شاعر عربي ، هذا أمر اصبح مفروغا منه ، وقد نسبته مصادر مهمة لابي الاسود الدؤلي ، اما ان يلقب احيانا بالاصبهاني وانه من مواليد هذه المدينة فليس لذلك دلالة كبيرة . ثم انه حين قراءة اللامية لا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم بل انها اصلح ان تكون مصدرا عن اخلاق العرب ومعاشهم .

واول من سمى هذه القصيدة بلامية العجم هو « ياقوت الحموى » المتوفى عام ٦٢٦ ، أي بعد تأليف اللامية بمائة وعشرين سنة ، ثم ياتي ابن خلكان فيقول شيئا يشبه ما قاله الحموى حتى اذا جاء الصفدى خصها بشرح مفصل .

أما قصيدة لامية العجم ، فانها سميت كذلك تشبها بلامية العرب لانها تضاهيها بحكمها وامثالها ، ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى واولها . . اقيموا بني أمي صدور مطيكم . .

وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها . .

رياض حارس ـ دمشق

لم تتعرض مقالتنا فى ترجمة الطغرائى لنسبه ، وإن قلنا أنه عجمى ، وهو أعجمي المولد على كل حال ، لأن مولده فى أصفهان وهو ينسب إليها ولا شك ، ان قصيدته تسمى لامية العجم ،ولا تتعارض عروبة نسبة مع أعجمية موطنه .

ابن فضلان ـ لم يقابل « الفايكنغ »

● في الاستطلاع الذي نشر في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ بعنوان « فنلندا والانعام » استوقفتني بعض الاخطاء الموضوعية التي ينبغي ردّها الى حقيقتها . فقد وقع كاتب الاستطلاع في مطب حين تناول موضوع رسالة احمد بن فضلان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة ، هكذا ورد عنوان الرسالة في المخطوطة الاصلية الوحيدة التي عثر عليها وقام بتحقيقها ونشرها للمرة الاولى المستشرق الروسي « كوفالفسكي » وكذلك المتخصص التركي زكي وليدي طوغان ، كما نشرت الرسالة ذاتها في منطقتنا العربية عام ١٩٥٩ م في دمشق بتحقيق الدكتور سامي الدهان .

وطبقا للرسالة والابحاث العلمية التي تمت عليها فان ابن فضلان لم يصل الى ابعد من مدينة « بلغار » على نهر الفولجا قريبا من مدينة « كازان » الحالية في الاتحاد السوفيتي الآن . . اما ما ورد في استطلاعكم عن رحلة ابن فضلان فقد كان هناك خلط بين رحلته الحقيقية والقصة الخيالية التي صدرت للروائي الامريكي « ما يكل كريكتون » والتي استوحى بعض احداثها من قصة ابن فضلان وبشكل بعيد عن الواقع تماما ، واريد ان اؤكد ان ابن فضلان قد شاهد الروس فعلا الا انه لم يقابل الفايكنغ ، وهذا هو الخلاف بين المدرستين النورماندية واللانورماندية .

احمد نظمي احمد ـ جامعة وارسو ـ بولندا

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٥

١٩٢

أوبو عبدًا

تأليف : ألفريد جاري - ؟

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٥م

لغة الكيمياء

عند الكائنات الحية

تأليف: د. أحمد مدحت إسلام

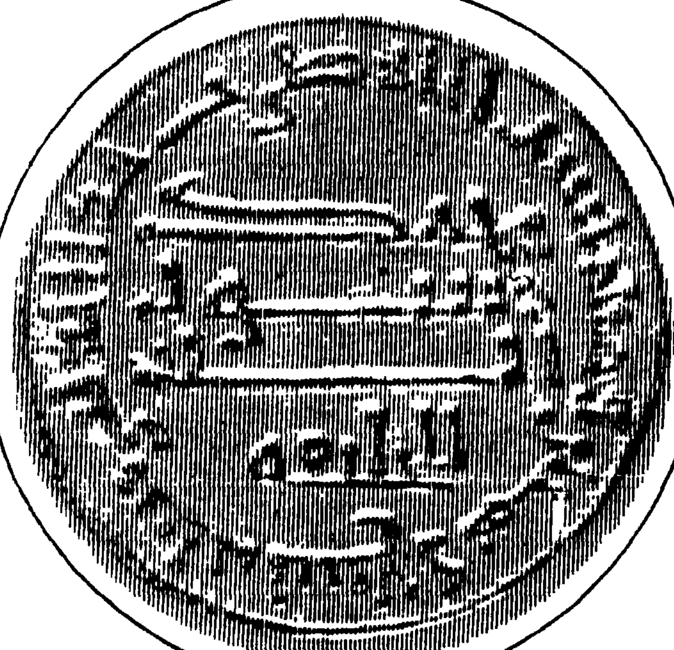
الكتاب الثالث والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون
الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب



ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية معبه تحقيق أهدافها المشتركة

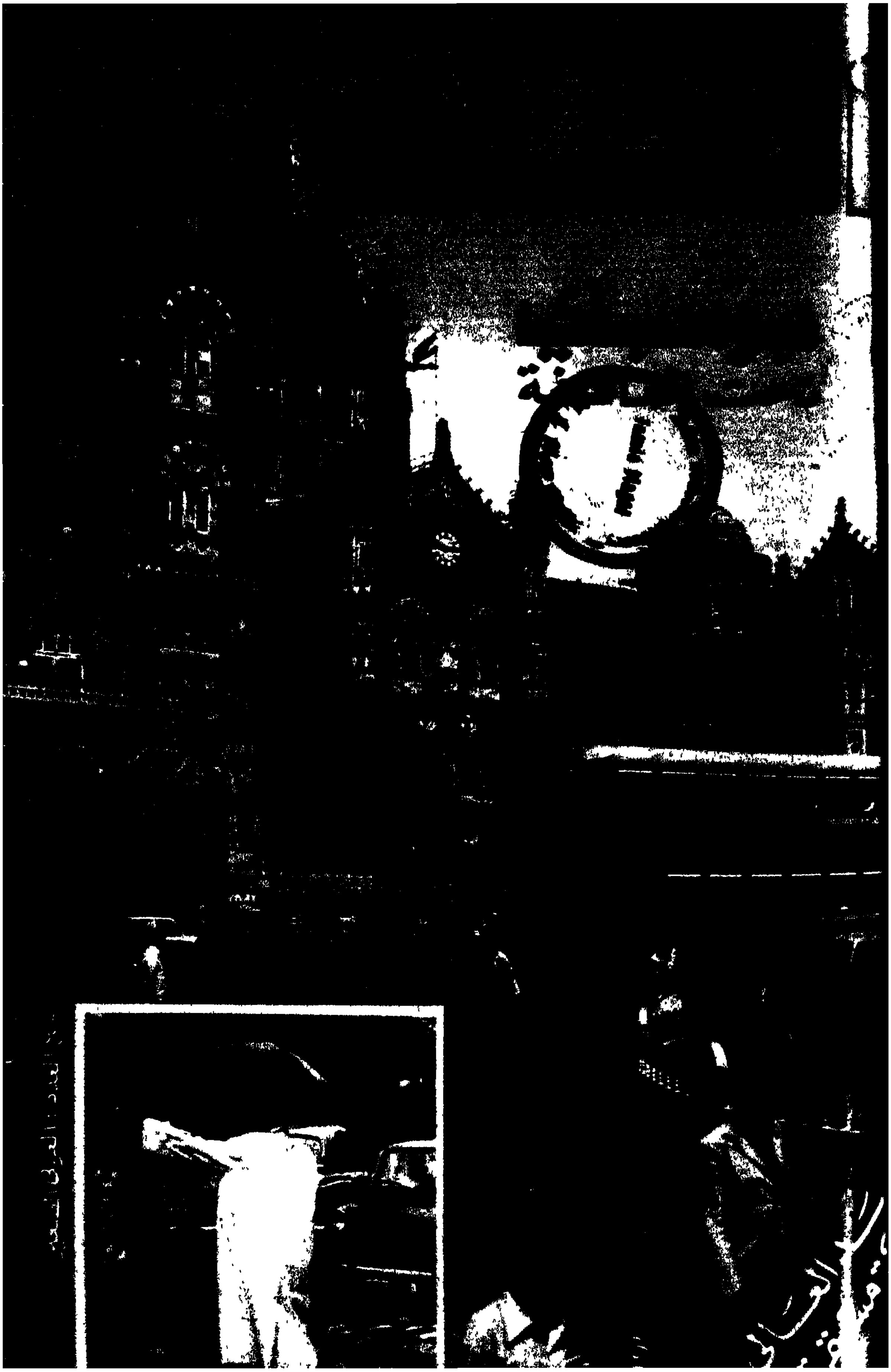
وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة

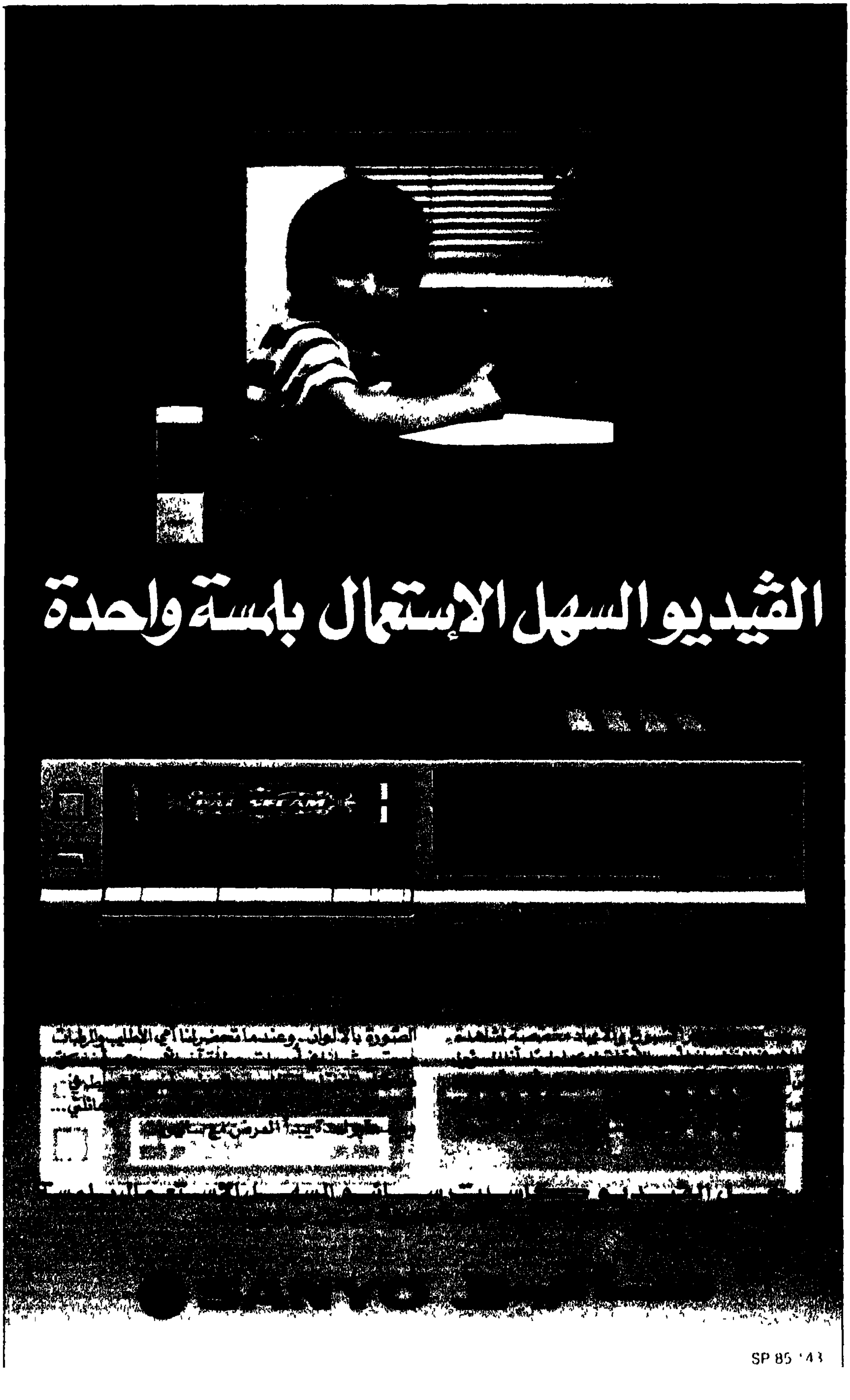
وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية

اليوباف
ALUBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوباف (هونغ كونغ) ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد - شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورغ	يوباف البنك العربي الألماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي - نيويورك وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في ... سيول ... هونغ كونغ، طوكيو
روما	يوباف البنك العربي الإيطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل





SP 85 '43

العـــــدد ٣٢٣ أكتوبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No: 323 Oct. 1985 P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR.44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

من بين عشرات الالاف من الرسائل التي تصلنا منك شهريا نعتز كثيرا بتلك الرسائل التي توجهنا وتقدم لنا الاقتراحات البناءة لتطوير مجلتك « العربي » كي تواكب الزمن وتسير مع الأحداث .

مايكتبه لنا قراؤنا عن الخطوات الايجابية التي تحققت حتى الان في اطار التحرير نعتز به . . ولكننا في نفس الوقت نعتبره واجبا ، فقد كتبنا عن قضية التاميل في سيرلانكا وهي لازالت قضية حية متحركة . . وزرنا لاول مرة اليابان فنشرنا أول تحقيق صحفي عربي حي عن مدينة هيروشيما بعد أربعين عاما من القاء القنبلة الذرية المدمرة عليها ، وهذا الاستطلاع ليس هو الاخير عن اليابان ، فما زال في خطة المجلة موضوعات أخرى عن هذا البلد . . وفي هذا العدد نزور بومباي وهي تحت العاصفة ، ليست السياسية ولا الاقتصادية ولكنها العاصفة الطبيعية . كل ذلك بجانب المقالات العلمية والثقافية والأدبية .

نقول لك شكرا على تشجيعك ومتابعتك ونقول أيضا ان اهتمامات القراء تفرض علينا المتابعة ومازال في خطتنا الكثير من المبادرات كي تبقى « العربي » مجلة العربي الثقافية الاولى .

عندما أردنا أن نختار بعض الموضوعات في هذا العدد لنشير اليها في هذه العجالة انتابتنا الحيرة ، فهناك لمن يهتم بالعلوم أكثر من موضوع . . ولمن يهتم بالثقافة كذلك ، ولمن يهتم بالفكر الكثير مما يريد . .

واذا كان علينا أن نختار فاننا نلفت النظر الى الاقلام الشابة الجديدة التي بدأت تساهم في « العربي » . فتلك سياسة نحرص عليها وهي أن يكون لاجيالنا الصاعدة التي وصلت مرحلة النضج مكان بجانب كتاب العربي من جيل الآباء . وفي هذا العدد يلتقي الجيلان على صفحات العربي . كما لايفوتنا أن نلفت نظرك عزيزي القارىء الى أن نتيجة مسابقة القصة التي وعدنا باعلانها هذا الشهر قد تم تأجيلها الى بداية عام ١٩٨٦ نظرا لكثرة المشتركين فيها . .

والى عدد قادم .

المحرر

البيان
في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا » النساء ٩٤ .

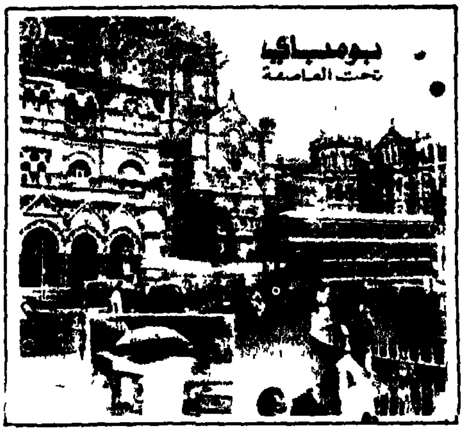
ذكروا في سبب نزول هذه الآية عدة قصص متشابهة تحمل معنى واحدا ، فقد قيل إن رسول الله (ﷺ) بعث جماعة من المسلمين الى المشركين فقاتلوهم حتى لاذ المشركون بالفرار وتبع رجل من المسلمين كافرا حتى أدركه ، فلما أراد أن يقتله برمحه صاح الرجل « أشهد أن لا اله الا الله ، اني مسلم » غير أنه طعنه فقتله فلما عاد الى رسول الله وروى له ما حدث ، قال له النبي « فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه ؟ » فقال : « يارسول الله ، لو شققت بطنه أكنت أعلم ما في قلبه ؟ » قال : « لا ، فلا أنت قبلت ما تكلم به ، ولا أنت تعلم ما في قلبه »

وقيل ان القاتل هو أسامة بن زيد بن حارثة والمقتول مرداس الغطفاني من أهل فدك فلما قدم أسامة على النبي وأخبره ، عظّم النبي الامر عليه وقال « قتلت رجلا يقول لا اله الا الله ؟ !! » قال أسامة « يارسول الله ، انما تعوذ من القتل » (أي قالها خوفا من السلاح) فعاد النبي يقول « فقتلته بعدما قال لا اله الا الله ؟ هلا شققت عن قلبه لتنظر أصادق هو أم كاذب ؟ » . قال أسامة : « فما زال رسول الله يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم »

والحكمة التي نستقيها من الآية الكريمة التي نزلت بهذه المناسبة أو مناسبة مماثلة ، وكذا من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله** » ، هي أن الأحكام انما تناط بالمظان والظواهر ، لا على القطع واطلاع السرائر ذلك أنه لما كان من المستحيل ، حتى لو شققنا عن بطن امرىء ، أن نعلم ما في قلبه ، لم يكن ثمة مفر من قبول ما يبين عنه لسانه ، والحكم باسلامه متى نطق بالشهادة . وهو المعنى الذي قصده تعالى بقوله : « **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا** »

يقول القرطبي في تفسيره : ان الله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر ، ولايعني هذا أن الايمان هو الاقرار فقط ، فقد كان المنافقون يقولون هذا القول وليسوا بمؤمنين . غير أنه ليس للعبد طريق الى الحكم على ايمان امرىء الا ما سمع منه ، مع ان حقيقة الايمان هي التصديق بالقلب . وعن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية : حرم الله على المؤمنين أ .

محتويات العدد



عاصفة الامطار الموسمية « المونسون » تحمل مع هبوبها الشر .. والخير .. فكيف يجتمعان في بومباي ؟ . أقرأ ص ٦٨ .

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● من مكتبة العربي :

● جمال العربية :

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

مستقبل «الأوبك»

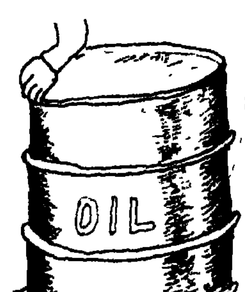
- هل تنهار الأوبك ... أو تقاوم ؟
- التدابير المضادة للأوبك تدابير منظمة ومدروسة.
- مسيرة ناجحة لمؤسسة من الجنوب استطاعت المحافظة على مصالحها ضد استغلال الشمال .

خلال الصيف السابق وهذا الخريف ، واجهت وتواجه منظمة الأقطار المصدرة للنفط « أوبك » أقسى امتحان لتماسكها منذ أن ظهرت الى الوجود قبل خمسة وعشرين عاما .

فقبل ربع قرن تقريبا ظهرت هذه المنظمة الجديدة في أعقاب اجتماع سبقته محاولات حثيثة في بغداد عام ١٩٦٠ ، وحضر ذلك الاجتماع خمس دول من العالم الثالث ـ كلها منتجة للنفط ـ ثلاث منها أقطار عربية هي الكويت والسعودية والعراق ، وواحدة شرق أوسطية هي ايران ، والأخيرة من دول أمريكا اللاتينية هي فنزويلا .

وكان لهذا الاجتماع ، ومن ثم ظهور المنظمة الى الوجود ، هدف جد متواضع .. هو : الحيلولة دون التدهور في أسعار النفط والذي كان يشكل لكل هذه الدول المداخيل الكبرى في انتاجها القومي .

قبل سنوات قليلة من ذلك التاريخ (سبتمبر ١٩٦٠) كانت شركات





النفط العالمية الكبرى ـ وهي ثماني شركات معظمها أمريكية ـ قد بدأت ـ نتيجة تحكمها في أسعار النفط من خلال نفوذ شبكاتها في الانتاج والنقل والتسويق ـ بدأت تفرض أسعارا للنفط الخام المستخرج من تلك البلدان حسب ما تقضي به مصالحها ، ضاربة عرض الحائط بمصالح البلدان المنتجة ، الى درجة لا تحافظ على ثبات السعر وعدم زيادته ، وبالتالي ثبات مداخيل تلك الدول المستقل معظمها حديثا ، بل تؤدي الى التراجع في الاسعار على تواضعها . مما أفقد بعض المنتجين صبرهم فتداعوا الى تشكيل تلك المنظمة ، على أمل تحقيق مصالح أفضل . . .

وقد كانت الشركات تقف بالمرصاد للدولة أو الدول المنتجة التي تعارض الكل أو الجزء من سياسات تلك الشركات في الانتاج أو التسعير ، وكانت تعاقبها عن طريق التقليل الحاد من الانتاج النفطي من أراضيها ، وبالتالي تُعرضها الى متاعب اقتصادية وسياسية . وكانت تلك التدابير واسعة التطبيق ، كما أن حكومات البلدان المنتجة للنفط وعت ذاك الموقف بوضوح ، ولعل أكثر التدابير التي اتخذت من قبل شركات النفط ضد الحكومات وضوحا وقسوة ـ من بين تجارب عديدة ـ تجربة تأميم النفط الايراني بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ، والتي انتهت بعد صراع مرير بفشل ذريع للتأميم ، لم تنفرد في إفشاله شركات النفط الكبرى واحتكاراتها ، ولكن شاركتها حكوماتها أيضا .

مولد المنظمة ومواجهة التشكيك

□ من هنا جاءت ولادة منظمة الاقطار المصدرة للنفط « الاوبك » في تلك الفترة مخاضاً متعسرا ، وقد اختلفت وجهات النظر حول فاعليتها . وشك كثيرون ـ في ظل أوضاع دولية متوترة ـ في فعالية مثل هذه المنظمة ، ونظر اليها البعض كاتحاد شكلي يضم بعض بلدان العالم الثالث ، والذي يشكل حلقة هشة في التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل ، وبالتالي فان هذه المنظمة لا يحتمل أن تلعب دورا فعالا في مواجهة الاحتكارات المنظمة العريقة الخبرة المتمثلة في الشركات النفطية ، وفي ظلال هذه النظرة كان الاعتقاد أن المنظمة الوليدة سوف تبقى منظمة شكلية تتضاءل في فاعليتها أمام الشركات النفطية ولن تكون بحال نداً لها !

أما وجهة النظر الاخرى المضادة ـ وكانت وقتها محدودة ـ فقد رأت أن هذه المنظمة ، رغم تشكلها من بلدان حديثة الاستقلال ، الا أنها بلدان طموحة لتحقيق السيطرة على ثروتها الطبيعية ، وتسخير هذه الثروة لبناء قاعدة اقتصادية حديثة ومندمجة في الاقتصاد الوطني استكمالا للاستقلال السياسي ، فهي ترى أن النفط هو المصدر الاول ـ وربما الوحيد ـ لتطوير اقتصادها المتخلف ، وأن أية مواجهة مع الشركات النفطية لكونها « احتكارا » عالميا لا تتوافر له فرص النجاح الا اذا تحقق حد أدنى من التنسيق بين المنتجين ، لذا فان انشاء مثل تلك المنظمة « الاوبك » في اطار تنامي حركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، هو الاطار الوحيد الممكن في حالة المواجهة ، وان احتمالات نجاحها كافية وقابلة للتحقيق .

وما لبثت المنظمة الجديدة أن استقطبت أقطاراً أخرى منتجة للنفط ، وهي على التوالي حسب تاريخ الانضمام الى المنظمة : قطر ١٩٦١ ، ليبيا وأندونيسيا ١٩٦٢ ، أبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) ١٩٦٧ ، الجزائر ١٩٦٩ ، نيجيريا ١٩٧١ ، الاكوادور ١٩٧٣ ثم الجابون ١٩٧٤ .

ولكن المنظمة احتاجت لاكثر من عشر سنوات كي تظهر فعاليتها في الدفاع عن مصالح أعضائها ، بعد أن ازدادت الدول المكونة لها خبرة ونضوجا في العمل السياسي الدولي .

ولعل المتتبع لتطور مسيرة الصراع النفطي يلحظ فترتين زمنيتين هامتين هما : فترة الستينيات ثم بعدها فترة السبعينيات .

الصراع مع الشركات في الستينيات

☐ لا يستطيع أي مراقب منصف أن ينظر الى صراع البلدان المنتجة للنفط مع الشركات الاحتكارية خلال الستينيات من هذا القرن ، ويتجاهل في نفس الوقت دور الاوبك في خلفيات هذا الصراع . صحيح أن دورها ظهر أكثر وضوحا وفعالية إبان السبعينيات ، الا أن العلاقة التي نشأت بين البلدان المصدرة للنفط من خلال الاوبك ساعدت جزئيا على شد أزر البلدان التي انفردت بالمواجهة مع الاحتكارات النفطية ، وقصص المواجهة ساخنة وظاهرة للعيان ، أو باردة خلف (الكواليس) بين الحكومات المضيفة وشركات النفط ، وهي كثيرة بعضها حقق النجاح وبعضها أصابه الفشل المؤقت .

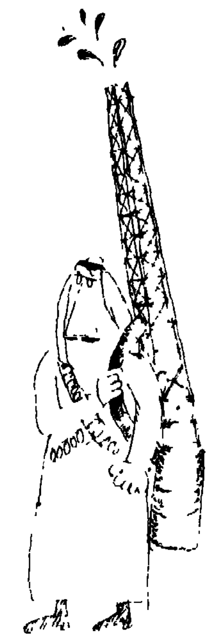
هذه القصص كتبت مرارا في الأدبيات الاقتصادية والنفطية ، وهي اليوم جزء من تاريخ كفاح هذه الشعوب وتلك البلدان ، الا أنها بكل المقاييس لم تكن مواجهات سهلة ، فلقد اختلطت فيها السياسة بالاقتصاد بالانقلابات والانقلابات المضادة ، وبمحاولات التقسيم والتشرذم ، حتى في داخل حدود البلد الواحد (مثل محاولة فصل بيافرا الاقليم النفطي الغني في نيجيريا في أوائل السبعينيات) . *

محصلة تلك الصراعات كانت في النهاية إيجابية لصالح شعوب الاقطار المنتجة للنفط ، وانتصرت وجهة نظر تلك الاقطار التي استنزفت ثرواتها لمدة طويلة ـ دون مقابل حقيقي يعوض هذا الاستنزاف ـ انتصرت وجهة نظر تلك البلدان القائلة ، بأنه من الصعب بل من المستحيل أن يتم تخطيط للتنمية الكلية للاقتصاد الوطني في أي بلد منتج للنفط طالما ظل قطاع النفط المهيمن فعليا على الاقتصاد ، جزيرة معزولة .

وانقضت معظم فترة الستينيات في الهجوم والهجوم المضاد ـ ان صح هذا التعبير ـ بين الشركات النفطية الكبرى العاملة في الاقطار المنتجة للنفط ومن ورائها حكوماتها وبين حكومات البلدان المنتجة وشعوبها .

ولقد كانت الاقطار العربية في معظم تلك الفترة هي مركز الثقل النسبي في ذاك الصراع ، حيث ان سبعة أعضاء من الاعضاء الثلاثة عشر في الاوبك

* لقد حدثت على سبيل المثال ستة انقلابات عسكرية في نيجيريا حتى الآن



هم أقطار عربية . ثم أصبح العرب المنتجين النفطيين الوحيدين الذين تركز عليهم اللوم والهجمات المضادة بعد ذلك في الصحافة والاوساط السياسية والاقتصادية الغربية ، مما يفسر زخم النزعات المضادة من العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية التي اندمجت وتفاعلت كي يستقر في النهاية في عقل المواطن في الغرب أن « أوبك » تعني العرب ، وتعني أيضا من وجهة نظرهم السياسات غير العقلانية في رفع الاسعار !

ولكن عندما نعاود الكرة لننظر مرة أخرى الى مسلسل الكفاح الذي خاضته الاقطار العربية لتصحيح العلاقات مع الشركات ، نتبين بوضوح الجهد المضني والمحاولات الكثيرة التي بذلت لتصحيح هذه العلاقات القانونية والاقتصادية بطريقة معقولة وتدريجية ، والتي تعرضت للرفض في معظم الاوقات من تلك الشركات .

لقد حصلت معظم تلك الشركات على امتيازات حصرية للتنقيب عن النفط وتسويقه وتسعيره تحت ظروف كانت معظم تلك البلدان الاعضاء في المنظمة خاضعة فيها لسيطرة أجنبية مباشرة أو غير مباشرة ، كما أن تلك البلدان من جهة أخرى ، افتقدت لفترة طويلة التأهيل التقني والفني لخوض غمار صناعة معقدة مثل صناعة النفط ، الا أن الجهود التي بذلت لاحقا لتصحيح تلك العلاقة لم تفلح في اقناع الشركات العالمية باجراء التعديلات والمراجعات .

في حقيقة الأمر كانت مطالب أوبك محدودة ومتواضعة ، فقد طلبت في بداية الستينيات من شركات النفط العالمية أن تربط أسعار النفط بمؤشر أسعار السلع المصنعة ، بعد أن لاحظت السعر المصطنع الذي تبيع به الشركات النفط الخام . ولم يلتفت الى هذا المطلب العادل ضمن مطالبات عادلة أخرى .

وعندما قارب الحوار على الانقطاع بين الشركات النفطية وبعض الحكومات المضيفة ـ وفي ظروف دولية مواتية ـ قامت بعض الاقطار العربية باتخاذ اجراءات قانونية من طرف واحد لحماية مصالحها .

وهناك أمثلة بارزة يمكن أن نذكر القراء بمثلين بارزين منها ، هما تجربتا العراق والجزائر .

فالحكومة العراقية في اوائل الستينيات ، ومن خلال القانون الشهير رقم ٨٠ سنة ١٩٦١ سحبت بموجبه ٩٩,٥٪ من مساحة الامتياز الممنوح لشركة نفط العراق ـ بعد أن فشلت كل المفاوضات السابقة في تحقيق اتفاق عادل ـ وأبقت الحكومة العراقية بموجب ذاك القانون للشركة فقط المساحة قيد الاستغلال ، وقد كان هذا الاجراء بداية سلسلة طويلة من الاجراءات اللاحقة ، انتهت بالتأميم الجزئي في بداية السبعينيات .

أما في الجزائر فقد أصبحت السيطرة على النفط والغاز الجزائري أهم هموم الجزائر المستقلة ، وما أن انقضت سنوات قليلة على استقلال الجزائر ، حتى كانت من أوائل الاقطار العربية التي حققت هيمنتها على جزء كبير من الشركات العالمية في أراضيها .

وغير هذين المثلين فاننا نستطيع ذكر أمثلة عديدة مشابهة في الكويت وليبيا وأقطار عربية أخرى ، وكانت الاقطار العربية المصدرة للنفط في كل هذه الاجراءات تناضل من أجل استعادة حقوقها ، وما أن شارفت الستينيات على الانتهاء حتى أصبح كثير من الاقطار العربية على وشك اتخاذ تشريعات ـ من جانب واحد ان استدعى الأمر ـ لارغام الشركات على التنازل بعد أن أصبحت طرق التعاون شبه مسدودة خلال فترة طويلة من الزمن .

وقد كانت الاوبك في هذا العقد ـ رغم ضعفها ـ الأداة التي تتوحد فيها مصالح الاقطار المنتجة .

تصحيح الأوضاع في السبعينيات

□ ليس هناك عامل وحيد يمكن الاشارة اليه على أنه السبب المباشر في تصحيح أوضاع علاقة الحكومات العربية المنتجة للنفط بالشركات العالمية ، بحيث تعود بعد ذلك الى التصحيح الشامل في هيكل الاسعار ، وكذلك ملكية الشركات من بعد .

ولقد تضافرت أسباب عديدة أثرت مجتمعة في تغيير هيكل القوة بين الفريقين ، فلقد تراكمت الخطوات المحدودة والمتناثرة التي اتخذتها البلدان المصدرة للنفط على امتداد فترة العقد السادس كي تشكل في نهاية الأمر فارقا نوعيا جديدا .

ويمكن الاشارة الى بعض العناصر : فعلى الصعيد السياسي نجد أن بلدان العالم الثالث كافة قد وجدت لها مكانها تحت شمس السياسة الدولية في اطار التوازن بين القوتين العظميين ، مع تزايد حركات الاستقلال وخروج الدول تباعا من السيطرة الاستعمارية الى رحابة الاستقلال .

وتزامن ذلك مع عناصر عديدة على المستوى الاقتصادي ، حيث تشابكت أيضا مجموعة من العوامل كالتآكل التدريجي في السيطرة الحصرية للشركات السبع أو الثماني الكبرى الدولية (الاحتكارية) ، بعد ظهور شركات نفط مستقلة قدمت شروطا أفضل للتنقيب عن النفط ، وأيضا مع ظهور شركات وطنية ـ لدى البلدان المنتجة ـ فوضتها حكوماتها للعمل في هذا الميدان .

كما تزامن ذلك ايضا مع فترة طلب شديد على النفط في سوق اتسمت بالندرة النسبية ، زادها حدة ما سببه الموقف العربي في حظر النفط عن بعض البلدان الغربية ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كل تلك الاسباب مجتمعة جعلت خطوات تصحيح الاسعار أمرا حتميا ، ولعلنا نشير الى الدورة الثانية والعشرين لمنظمة « الاوبك » في طهران في فبراير سنة ١٩٧١ ـ تلك الدورة التي يشير اليها المتابعون على أنها نقلة مهمة في علاقة شركات النفط بالدول المنتجة ـ فقد تم لأول مرة نقل المبادرة في تحديد الاسعار النفطية من يد الشركات النفطية الى يد البلدان المصدرة ، حيث فرضت ست دول ـ معظمها عربية هي السعودية والكويت والعراق وقطر والامارات العربية المتحدة وايران ـ فرضت زيادة في الضرائب على أرباح الشركات حتى بلغت ٥٥٪ ورفعت سعر نفطها بمقدار ٣٥ سنتا للبرميل الواحد . ولم تمر تلك





الاجراءات دون مقاومة عنيفة من جانب الشركات ، الا أن وقوف أعضاء أوبك جميعا مع تلك الاجراءات أنجح القرار وحسم القضية لصالح الدول الست ، وكانت بداية تاريخية لفرض قبضة « الاوبك » على زمام المبادرة .

وما يهمنا هو التأكيد هنا على أن تصحيح الاسعار اللاحق والذي حدث في ديسمبر ١٩٧٣ ـ والذي تسميه الأدبيات الغربية (بصدمة النفط الاولى) ! ـ هو في حقيقة الامر لم ينفجر بشكل درامي مثير بل كان ضمن سلسلة من الخطوات العملية التي قادت الى هذا التصحيح الأول في الاسعار ، بجانب ذلك هناك حقيقة أخرى تأكدت عمليا مفادها أنه لايمكن لأي بلد منتج للنفط وحده أو حتى لمجموعة صغيرة من المنتجين ، أن يواجهوا الشركات النفطية أو يخوضوا معركة انجاح قضية التسعير وتصحيح السياسات النفطية دون اتفاق كامل بينهم .

لقد ثبت أن قصور العلاج الذي طرح في بداية الستينيات من قبل مجموعة قليلة من البلدان المنتجة للنفط ـ والذي يتمثل في أن التجمع ضروري من أجل بناء قوة تفاوضية معقولة توازن قوة شركات النفط المترابطة والمتماسكة ـ هذا العلاج ثبت أنه الأنجع المحقق للغاية .

ومن تلك الحقيقة نستطيع أن نفسر الهجوم المتتابع والمضاد الذي قادته المصالح الغربية ضد الاوبك خلال العقد الماضي كله وحتى يومنا هذا تقريبا ، وأصبح الهدف الاساسي الذي تسعى اليه تلك المصالح هو فرط عقد الاوبك .

تقول : « الايكونوميست » Economist

« ان الحمقى وضعفاء النفوس وحدهم سيقلقون لمشاكل الاوبك » !! .

«الأوبك» هل هي احتكار ؟

□ كثيرا ما نسمع أن الاوبك هي مجرد احتكار للمنتجين ، ولكن عند المقارنة بين ما تمارسه الاوبك وبين ما كانت تمارسه شركات النفط العالمية (الاحتكارية) تظهر لنا علامتان فارقتان : من حيث الاهداف والسياسات ، ومن حيث تحديد الاسعار : العلامة الفارقة الاولى من حيث الاهداف والسياسات : نجد أن شركات النفط شكلت روابط وثيقة التماسك فيما بينها من جهة ، وبينها وبين حكوماتها من جهة أخرى ، وكان من الصعب اختراقها لفترة طويلة ، ولقد تعقبت فوهات المدافع وقطع الاساطيل مصالح هذه الشركات الى أماكن كثيرة من العالم ، ومن كان يجرؤ على المساس بمصالح هذه الشركات كان يلقى العقاب الصارم في التو والساعة ، كما كانت هذه الشركات تطبق سياسات الانتاج والتسعير والتسويق بتجانس وتضامن ، وقد فرضت أسعارا متدنية للنفط الخام لفترة طويلة ، وأما أهداف الاوبك وسياساتها فلم تخرج عن تنسيق مواقف دولها تجاه أسعار النفط وطريقة حساب تكاليف الانتاج في بداية الأمر ، ثم انتقلت بعد ذلك الى فكرة اطار المشاركة في الملكية . وهي في ذلك لجأت الى الممكن والمستطاع لأنها لا تملك أساطيل أو طرق تهديد غير استخدام الطرق المشروعة والسلمية .

أما العلامة الثانية فهي أن تحديد الاسعار من قبل شركات النفط العالمية لم يكن في يوم من الايام خاضعا لطرفي معادلة (العرض والطلب) بل كانت هذه



الاسعار تحدد في اطار (احتكار) لصالح الشركات المنتجة ومصالح بلدانها .

ويذهب اليوم بعض المحللين المنصفين الى القول بأن أسعار النفط ازدادت تعرضا لعمل قوى السوق (العرض والطلب) منذ سنة ١٩٧٣ وما بعدها ، عما كانت عليه تحت نظام احتكار الشركات ذات الامتيازات السابقة .

وهناك أمثلة عديدة تضرب للتدليل على بعد الاوبك عن الاحتكار ، منها اختلاف أعضاء الاوبك في مؤتمر الدوحة عام ١٩٧٦ عندما كانت هناك وجهتا نظر للتسعير : واحدة تدعو الى رفع السعر بمقدار ١٥٪ والاخرى تدعو الى تجميد الاسعار ، وانتهى المؤتمر باقرار سعرين لنفط الاوبك لفترة محدودة .

بل ويعتقد بعض المحللين أن مصدري النفط العربي كانوا أكثر من حذرين مع الاعتبارات الدولية والبعد عن صفة الاحتكار عندما اختار بعضهم زيادة انتاجه من النفط في وقت يفيض فيه دخله على حاجته المالية ، اسهاما في خلق فرص أفضل لاستقرار الاقتصاد العالمي ، وكان ذلك في معظم فترة السبعينيات عندما كان سوق النفط « رائجا للبائعين » .

ومن هذه الامثلة وغيرها نجد أن الحديث عن « احتكار » يلصق بالاوبك لايعدو أن يكون محض افتراء .

الغريب أن أصواتا جديدة تعود اليوم في حلقات ما يسمى بخبراء النفط العالميين القول باطلاق « قوى السوق » لتحديد أسعار النفط ، وأن على الاقطار المنتجة أن تبيع النفط بعد أن تأخذ نسبة معقولة فوق تكاليف الانتاج !

هذا القول على سذاجته يكتب ويقال في الندوات العالمية في وقت يتدنى فيه الطلب على نفط الاوبك بالذات .

ويعتمد هؤلاء في حقيقة الامر على المغالطة المنطقية بأن سعر النفط مثله مثل سعر أي سلعة أخرى يتحدد في المدى الطويل والقصير بتفاعل « العرض والطلب » ، ولكنهم يتناسون أن هناك عوامل وتأثيرات كثيرة تختفي وراء فكرة « العرض والطلب » الاكاديميتين .

من هذه العوامل أن النفط ليس سلعة موحدة المواصفات . فهناك أكثر من مائة نوع من الخامات النفطية على أقل تقدير تصدرها البلدان المنتجة للنفط ، كما أن تحديد سعر عادل للنفط لابد أن يأخذ في الحسبان بجانب نوعية النفط وتكاليف انتاجه عوامل أخرى ، منها قرب المصدر المنتج من السوق أو بعده ، وتكلفة انتاج الطاقة البديلة ، والتعويض عن التضخم المالي ، وتأمين احتياجات التنمية التي تحتاجها الدولة المصدرة . . . الى غير ذلك من العوامل المعقدة

الهجوم على الأوبك

☐ نستطيع أن نعدد الكثير من الاقوال والاحاديث التي فجرتها الآلة الاعلامية الغربية ضد منتجي النفط وخصوصا العرب في السنوات العشر أو الخمس عشرة الاخيرة ، ولكن الاهم من ذلك هو رصد الخطوات العملية التي اتخذتها ومازالت تتخذها تلك المصالح الغربية ضد الاوبك .

لقد ذكر « جيمي كارتر » رئيس الولايات المتحدة السابق . . وعلى شاشات التلفزيون الامريكي في منتصف عام ١٩٧٧ ، وهو يقدم برنامجه لتقليص



استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ، هذه الكلمات :

(تهددنا كارثة قومية في المستقبل القريب ، ان ازمة الطاقة لم تقهرنا بعد ولكنها ستقهرنا حتما ، اذا لم نتخذ التدابير على الفور) .

وكان قبل ذلك بسنوات قليلة جدا قد أعلن في الغرب عن انشاء الوكالة الدولية للطاقة ، والتي كان من بعض مهماتها تنسيق الاستهلاك للطاقة النفطية وتحديد سقفها في الدول الصناعية ، والهدف هو الحد من الاعتماد على نفط « الاوبك » .

والخطوات المضادة التي حدد لها عشر سنوات من الزمن يأتي بعضها أو كلها قبل ذلك الموعد نتيجة لهجوم علمي منظم ، كان من ضمن الخطوات المضادة استخدام الطاقة البديلة للنفط ، أو ما سمي لاحقاً ببرامج الاحلال (الفحم والطاقة النووية بدلا من النفط) ، وانهال التحريض على انتاج النفط خارج الاوبك حتى لو كان بتكلفة نسبية عالية مثل نفط بحر الشمال .

وبدأت أنشطة التراكم الاقتصادي تُحوِّل وتتجه نحو قطاعات يقل فيها استخدام الطاقة بشكل ملحوظ مثل الخدمات وصناعة التقنيات المتقدمة وتقليص نصيب الصناعة الثقيلة في الناتج القومي الاجمالي في الدول المتقدمة ، وبدأ المشترون للنفط يفضلون المنتج منه خارج الأوبك ، فبجانب افتقاد ميزة السعر النسبي تكمن عوامل ذات طبيعة سياسية .

وبعد عشر سنوات من تصحيح الاسعار نجد أن البرنامج المضاد قد أثر تأثيرا كبيرا في موقف الاوبك . فقد كان نصيب الاوبك في سنة ١٩٧٤ من عرض النفط العالمي قد بلغ ٦٦٪ انخفض في عام ١٩٨٤ الى ٤٤٪ فقط ، وكانت الضحية الاساسية هي النفط العربي ، فبينما تنتج الدول خارج الاوبك كمية تعادل طاقتها الكاملة ، وأعضاء الاوبك من غير العرب ينتجون نحو (ثلثي) طاقتهم ينتج العرب نحو (ثلث) طاقتهم فقط .

ولقد اضطرت منظمة الاوبك لاول مرة في سنة ١٩٨٣ لخفض الاسعار الى جانب تخفيض مبرمج في الانتاج . فبين ١٩٧٩ الى ١٩٨٥ انخفض انتاج الاوبك من النفط بحوالي النصف . (كان ٣١ مليون برميل يوميا تقريبا فأصبح حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) .

بالاضافة الى ذلك فقد اضطرت الاوبك الى اتباع برمجة الانتاج عن طريق وضع حد أعلى للانتاج الاجمالي ثم توزيعه في صورة حصص على الدول الاعضاء ، وهنا أيضا عانت الدول العربية المنتجة للنفط بشكل أكبر وتدهورت عائداتها المالية الى حوالي النصف ، من ٢٠٤ بليون دولار في سنة ١٩٨١ الى ١٠٢ بليون دولار في سنة ١٩٨٤ .

ويعني ذلك ـ اذا ترجم من أرقام الى واقع ـ أن الاقطار العربية المنتجة للنفط ستواجه سنوات عجافا ، تؤثر على خططها التنموية قطريا ومساهماتها القومية والدولية ، وتهون الصعوبات المالية في ضوء تهديد أكثر خطورة هو خلاف أعضاء الاوبك على توزيع حصص الانتاج والذي يمكن أن يؤدي ـ لو

يقولوا لمن شهد أن لا اله الا الله « لست مؤمنا » فهو آمن على ماله ودمه ، ولا تردوا عليه قوله

ومن المؤسف حقا ، رغم وضوح معنى الآية والحديث ، أن المسلمين لم يكفوا قط ، منذ وفاة النبي الى يومنا هذا ، عن عادة تكفير من يخالفهم في رأي ديني عثمان كفروه ، وعلي بن أبي طالب كفروه ، ومعاوية كفروه ، وقد سبق لهم أن كفروا الامام الغزالي ثم أسموه بعد موته حجة الاسلام ومحجة الدين ، وكفروا الباقلاني ثم قالوا انه صاحب أجل الكتب في اعجاز القرآن ، وكفروا ابن تيمية الذي باتت تعاليمه أساس المذهب الوهابي السائد الآن في المملكة العربية السعودية وفي قطر ، وكفروا الطبري صاحب أعظم تفسير للقرآن ، وكفروا الشيخ محمد عبده حين دعا الى استخدام ماء الصنبور في الوضوء بدلا من الميضأة التي كانت تعج بالجراثيم ، وكفروا جمال الدين الافغاني وهو ماهو

قال الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » « زعمت طائفة أن في بعض كتبي ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين ، وأن العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر ، كفر فهون أيها الاخ المشفق على نفسك واصبر على ما يقولون فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين وقد قالوا انه مجنون من المجانين ؟ وأي تتجلى أسرار الملكوت لقوم معبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دنانيرهم ، وارادتهم جاههم ؟ فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ؟ (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) خاطب صاحبك وطالبه بحد الكفر ، فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري ، أو مذهب الحنبلي ، أو مذهب المعتزلي ، أو غيرهم . فاسأله من أين يثبت له كون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني ، ولم صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني ؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الأشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان قَدَّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ؟ ! فان رخص للباقلاني في مخالفة الاشعري ، فلم حجر على غير الباقلاني ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم ؟ . . . ان من جعل الحق وقفا على واحد بعينه هو الى الكفر أقرب . ومع ذلك فان كل فرقة تكفر مخالفها : فالحنبلي يكفر الاشعري ، والاشعري يكفر الحنبلي ، والمعتزلي يكفر الاشعري ولا ينجيك من هذه الورطة الا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما ، فينكشف لك غلو الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا فهم ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده ، وقد قال رسول الله (ﷺ) « اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » .

كذا قال الغزالي رحمه الله وبوسعنا نحن قولنا ان أظلم الناس لنفسه ولغيره من قضى بحرمان الآخرين من استخدام نعمة التفكير التي أنعم الله عز وجل بها علينا وقصرها على نفسه ، ومن جعل من جماعته كنيسة بوسعها أن تقضي بالحرمان ، وتوزع صكوك الغفران □

كان الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حذرا في الحروب ، شديد الروغان من قرنه . لا يكاد أحد يتمكن منه ، وكانت درعه صدرا لاظهر لها ، فقيل له : ألا تخاف أن تؤتى من قِبَل ظهرك ؟ فقال إذا أمْكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ

تأزم ـ الى أن تشهد الاوبك آخر أيامها مما يجعل سوق النفط فوضى تعود بالدمار على معظم المنتجين .

ويرى الخبراء النفطيون أن الاوبك من واجبها الصمود والمقاومة لفترة السنوات الخمس القادمة على الاقل حيث يتوقع بعدها ارتفاع الطلب العالمي على النفط . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو : من الذين يجب عليهم أن يضحوا أكثر في هذه السنوات القادمة . . هل هم العرب أيضا !

بين الحقيقة والوهم

□ يقودنا مجمل التحليل السابق الى مجموعة من الحقائق أهمها : أن السياسات المضادة للأوبك قد نجحت في وضعها في موقف الدفاع ، وهنا يبرز عنصر التعاون والتنظيم الحديث الذي وصل الى كل فرد من أفراد الشعوب المستخدمة للنفط في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، كما أن الحقيقة الاخرى تقودنا الى مراقبة نجاح التعاون بين حكومات الاوبك ، وهو تعاون يحتاج الى تضحيات من الجميع ، وليس من الاقطار العربية فقط .

ان الهدف السياسي لتحطيم الاوبك واضح للعيان ، فقد كان ظهورها وقدرتها اللاحقة على انتزاع حقوق أعضائها يمثل حدثا تاريخيا وعلامة بارزة في خبرة مصدري النفط من العالم الثالث وتجربتهم ، وقد مثلت حتى الآن موقعا فريدا بين كافة روابط العالم الثالث العاملة بانتاج المواد الخام وبيعها ، لذلك فان خريف هذا العام سيشهد اما انتصار الاوبك ، وبالتالي قدرة ورغبة بعض أقطار العالم الثالث على التعاون ، وإما ـ لا سمح الله ـ انهيارها .

ولعل الحلول المطروحة للخروج من الأزمة تبشر ببعض الأمل ، فالفكرة القائلة بانشاء هيئة مراقبة لالزام الاعضاء جميعا بالحصص المقررة والسعر المتفق عليه ، تبدو مستعصية على التطبيق لاول وهلة ، إلا أن كثيرا من الافكار التي تبدو مثالية في بداية الامر يمكن تطبيقها ، كما أن هناك خطوات أخرى تقوم بها الاوبك لتوحيد جهودها منها استقطاب بعض منتجي النفط خارج الأوبك لأن تدهور الاسعار سوف يعرض مداخيلهم هم أيضا الى التدهور .

هذه الخطوات على أهميتها ستبقى نتائجها محدودة ، ولن تستطيع الاوبك وحدها ومن طرف واحد ، الوصول الى علاقة عقلانية بين المنتجين والمستهلكين ، واذا أردنا أن نحقق حالة من الاتحاد المتبادل والصحي فان ذلك يتطلب المشاركة والاهتمام من أطراف ثلاثة :

أعضاء الاوبك ، والمنتجين خارج الاوبك ، والمستوردين للنفط ، على حد سواء .

والمستقبل القريب سيتمخض عن كثير من الاجابات بخصوص الأسئلة السابقة . . .

محمد الرميحي

التحدي
العلمي الاسرائيلي
[illegible]

بقلم : د . عبد المنعم عبيد

يدرك المهتمون بمستقبل الوطن العربي أنه بما يمتلك من موقع مهم وثروات كامنة وتراث تليد ، سيدفع الى الوجود كتلة سياسية حضارية منتجة غنية ، تساهم في بنيان الحضارة الانسانية ، ولايسهل العدوان عليها ولايجوز تجاهلها ، فماهي آفاق استثمار هذه الثروات وماهي التحديات التي تواجهنا في هذا السبيل ؟

تشكل الارض العربية المترامية الأطراف مايشبه قارة قائمة بذاتها ، وتحتضن في جوفها أخصب الاراضي الزراعية،وأثمن الثروات وأكثر مصادر الطاقة تنوعا ، الى جانب تراث حضاري متميز وعريق . ومع ذلك فالامكانات مبددة والجهود مشتتة،ويكاد لهيب النزاع أن يضطرم بين أفراد القبيلة الواحدة ، التي تضرب بخيامها فوق أرجاء هذه القارة الواعدة ، مما يهدد امكانية أخذ العرب لموقعهم الحضاري المتميز في عالمنا المعاصر ، فما هي الاسباب لهذه الفرقة وهذا النزاع ؟

أسالينا وأساليبهم

ان الأسباب ليست كامنة فينا ، وفي قياداتنا فحسب بل تكمن أحيانا في عزوفنا عن استعمال العقل ومايتوصل اليه من تداعيات منطقية ، وبث الصلة بينها وبين الحياة العملية ، كما تكمن احيانا أخرى في طرائقنا وأسالينا في التفكير وفيما تمثله هذه الاساليب من مسلمات فكرية فرضت قيودا صارمة على حركة الفكر ذاته ، وبالتالي على قدرتنا على التصور البعيد والاعداد المسبق لحركة المستقبل

واختيار الأولويات ورسم الخطط المحددة والواقعية والاضطلاع بتنفيذها على مراحل متوالية تتميز بالثبات والثقة .

ولكي نتفهم انفسنا جيدا ، علينا ان نقوم بدراسة مقارنة لأساليبنا في بناء دولنا العربية وكذلك لاسلوب « اسرائيل » في بناء دولتها على اساس من العلم ، وكيف اعدت لنا منذ بداية هذا القرن « ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل » . وسيجد الباحث ان الكثير من المعلومات والارقام منشور في كتب الاحصاءات الحكومية السنوية التي تصدرها الحكومة الاسرائيلية ، وفي غيرها من الكتابات بأقلام المؤلفين الغربيين والاسرائيليين ، والتي تنشر على أوسع نطاق في الكتب والدوريات العالمية وفي التحليلات النفاذة والكتابات العميقة التي تصدر عن رواد النهضة العربية المعاصرة ، والباحثين في قضايا التخلف العلمي ومشاكل التجزئة والتبعية التي يواجهها الوطن العربي ، والمهتمين بوضع التصورات المستقبلية العربية.[1] ومع الاهمية الفائقة لمتابعة الاحصاءات والكتابات الاسرائيلية الا ان علينا الانغفل الميل المتعمد فيها الى التضخيم أو الكذب ، والى ماتفرضه مقتضيات السرية العسكرية والمدنية ، كما علينا ان ندرك ان هناك افتقارا الى المزيد من المعلومات التي يجب ان تكثف مصادر المعلومات العربية جهدها من أجل الحصول عليها اولا بأول من مصادرها الاسرائيلية والعالمية .

العقول في خدمة العلوم

صدر أول اقتراح بانشاء جامعة يهودية في فلسطين عن هيرمان شابيرا استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرج الالمانية في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، واعطي هذا المشروع الأفضلية على مشاريع الاستيطان الأخرى ، لأن اليهود في أوروبا الغربية والمانيا بنوع خاص كانوا يدركون أهمية الجامعات والبحث العلمي وانشاء معهد ينبثق منه الحافز الروحي والمادي .

وتبنت المنظمة الصهيونية فكرة وايزمان التي تهدف الى انشاء معهد عال هدفه الأول اجراء البحوث العلمية ، ضمن اطار مدرسة لتخريج الطلاب بدلا من انشاء جامعة هدفها الأساسي هو التعليم وأخذ انشاء الجامعات ومعاهد البحوث وتطويرها يحظى بالأفضلية الكبرى لأهميتها في الاستيطان وفي الربط بين يهود العالم ويهود فلسطين .

وقد راحت الحركة الصهيونية منذ البداية تعمل على تطوير العلوم البحتة والتطبيقية معا ، عن وعي تام للدور الرئيسي الذي يمثله هذان اللونان من العلم في السلم والحرب ، وفي ٢٤ يوليو ١٩١٨ أرسى الصهاينة ١٢ حجرا اساسيا للجامعة العبرية بالقدس (تيمنا بأسباط اسرائيل الاثنى عشر) .

وتزعم الباحث الكيميائي حاييم وايزمان الحركة الصهيونية طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حتى اذا اصبح أول رئيس لدولة « اسرائيل » ، انطلق في تطبيق العلوم على جميع المستويات ووضع الاعتبارات العلمية موضع التنفيذ ، مما ادى الى نمو سريع للمستويات الزراعية وانشاء الصناعات الاساسية وتنمية القدرة العسكرية الصهيونية ، وجعل الجيش قادرا على الافادة من المعدات العسكرية وعلى تطويرها كما سنرى فيما بعد

استعملت « اسرائيل » عقلها المفكر اولا في خلق القيادة الفكرية اللازمة لتطورها العلمي المستقبلي حيث انشأت في رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٤٩ مجلس الابحاث العلمية والذي اشرف بدوره على انشاء معظم المختبرات الصناعية . ثم اقدم بن جوريون عام ١٩٥٩ على انشاء « المجلس القومي للبحوث والانماء » . وتم خلق علاقة وطيدة بين المؤسسة الاكاديمية والمؤسسة العسكرية ، كما تم توسيع المعامل العسكرية الصناعية والاكاديمية ، وبعد ان رتبت « اسرائيل » عقلها وفكرها هي في مجال القيادة العلمية استعانت منذ فترة مبكرة بالعقول

---

(١) وهناك في هذا الصدد الكتابات العديدة للاساتذة الأجلاء:انطوان زحلان واسامة الخولي وعلي نصار وسعد الدين ابراهيم ومحمود عبد الفضيل ونادر فرجاني وقسطنطين زريق وابراهيم سعد الدين واسماعيل صبري عبد الله . وقد رجعت الى كتابات العديدين منهم والى الدراسات الرائدة للاستاذ زحلان في اكثر من موضع في هذا المقال .

الالكترونية ، فاهتم معهد وايزمان في « رحابوت » بممارسة النشاط في حقل العقول الالكترونية لحاجة القوات المسلحة الى طرق جديدة للشفرة العسكرية . وتم انشاء العقل الالكتروني (وايزاك) في منتصف الخمسينيات ، واستبدل به العقل الأرقى وفي نهاية عام ١٩٦٧ كان في « اسرائيل ٨١ عقلا الكترونيا خمسة منها صنعت محليا ، وتم استئجار الباقي من شركات أمريكية وفي عام ١٩٦٨ تم تركيب عقل كبير cdc 6400في الجامعة العبرية .

التكيف وفقا للقدرات

أدركت « اسرائيل » منذ البداية الفوارق بينها وبين دول القارة العربية في الطاقات الكامنة والتي تتلخص في الفروق السكانية والمساحات الواسعة التي تمنح الجانب العربي العمق الاستراتيجي ، والموارد الطبيعية الهامة مما يجعل الطاقات الاسرائيلية الكامنة تعسة والموارد الطبيعية محدودة .

فقامت بتطوير النظام الاجتماعي ، والمؤسسات اللازمة ووضعت السياسات المناسبة لحشد هذه الموارد الضئيلة ، والحصول على مردود كبير منها ، واكتسبت المؤسسات العلمية والصناعية والعسكرية فيها قدرة على صيانة المعدات المعقدة لتوفر مقادير كبيرة من العملات الاجنبية كما حرصت القيادة الفكرية للمؤسسات العلمية الاسرائيلية المتمثلة في المجلس القومي الاسرائيلي للبحوث والانماء على ايجاد النظام الملائم من مؤسسات الأبحاث التي يتعاون فيها كل من العالم ، أو المهندس الباحث مع الاستراتيجي مع التقني جنبا الى جنب لتطوير العمليات المستحدثة (مثل تصميم القنابل التي دمرت مدارج الاسمنت في المطارات المصرية في ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة للأبحاث في مجالات الاندفاع الصاروخي والديناميكيات الجوية) . ومنذ الستينيات شرع في تنفيذ ثلاثة برامج متوازية اولها الاستثمار المشترك بين الحكومة والصناعة في مشاريع محددة ضمن خطط تقترحها الشركات المعنية .

وثانيها تعلق ببذل جهود موحدة لانشاء مجموعة من الأبحاث التكنولوجية أو الأساسية ، والتي لها اهميتها بالنسبة الى قطاعات معينة في الاقتصاد . وثالث هذه البرامج كان انشاء مراكز بادارة المجلس القومي للبحوث والانماء لتنمية أبحاث صناعية طويلة المدى ، وذلك بالعمل في نطاق أوسع وأكثر فعالية مما تتيحه المخططات والصناعات الفردية أو تؤمنه جمعيات الأبحاث .

وقد اعاد المجلس القومي الاسرائيلي توجيه نشاطات البحوث والتطوير في الفترة مابين اعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٨ ووضع نصب عينيه الهدفين المتكاملين التاليين في مجال العلوم : -

أولا : تكريس الانجازات في العلوم الاساسية وتوجيه النشاط في مجالي البحث والتطوير صوب القطاعات الانتاجية ، وزاد بذلك مجموع الانفاق على البحث والتطوير حتى وصل الى ٢,٣٪ من الناتج القومي والاجمالي ، وارتفع عدد الباحثين من ٩٤٠٠ باحث عام ١٩٧٩ الى ١٢٦٠٠ باحث عام ١٩٨٠ .

ثانيا : تشجيع المعاهد الأكاديمية - من خلال الانفاق الحكومي ومساهمات الهيئات وغيرها - على زيادة مساهمتها في البحوث التطبيقية والابداع التكنولوجي ، بالاضافة الى زيادة البحث والتطوير في القطاع الانتاجي نفسه ، وفي المؤسسات الحكومية للبحث والتطوير .

وتشير المقابلة المنشورة في جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١١/٦/١٩٨٥ مع الدكتور انطوان زحلان الى انخفاض نسبة العطاء العلمي بين «اسرائيل» والوطن العربي من حوالي ٢,٥ في أواخر الستينيات الى ١,٩ في اوائل الثمانينيات ، وبقاء نسبة العطاء العلمي الفردي دون تغيير رغم الزيادة السكانية في الدول العربية ،وزاد الفرق في عدد البحوث العلمية بين « اسرائيل » والوطن العربي من ٦٦٠ بحثا عام ١٩٦٧ الى ٢٠٤٥ بحثا عام ١٩٨٣ ، اي ان الفارق الفعلي تضاعف ثلاث مرات خلال ١٧ عاما ، ويعادل العطاء العربي عموما العطاء الاسرائيلي قبل عشر سنوات وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا علمية في القارة العربية كلها ٤٦٥ عالما بينما بلغ عددهم في « اسرائيل » ١٢٥ عالما ، وفي عام ١٩٧٣ ارتفع عدد العلماء العرب الى حوالي ٨٥٠ وعددهم في « اسرائيل » الى ٢٤٠٠ ، وبعد عشر سنوات (عام ١٩٨٣) أصبح عدد العلماء العرب

جميعا ٢٦٠٠ وعدد الاسرائيليين ٤٦٠٠ . اما عدد المؤسسات العلمية التي ينشر علماؤها بحوثا علمية فيتراوح عددها بين ٢٧٥ الى ٧٠٩ أبحاث في العام فقد أصبح في « اسرائيل » خمس مؤسسات وليس هناك مؤسسة واحدة مثيلة في أي بلد عربي .

العلم في خدمة العدوان

انشأت « اسرائيل » المجلس الوطني للقوى العاملة عام ١٩٦١ وهيئة تخطيط القوى العاملة عام ١٩٦٢ لتنسيق الأبحاث الضرورية في تقدير حجم القوى العاملة والتخطيط لها . وقد وجد رئيس المجلس القومي الدكتور اليعازر تال أن معظم أهداف المجلس قد تحققت عام ١٩٨٠ ـ اذ سهلت الادارة الجديدة السابق ذكرها التطابق بين البحث والتطوير وبين النشاطات الجارية وحسنت التكامل بين قدرات المعاهد الأكاديمية والبحوث التطبيقية ، وطور المجلس السياسة الوطنية وساهم في اعتمادها وتنفيذها .

راعى وايزمان منذ البداية ان يصبح الجيش الاسرائيلي قادرا على استخدام المعدات المشتراة بكفاءة عالية وذلك بالافادة التامة من مؤسسات الأبحاث لكي تقوم بتصميم معدات مماثلة لتلك المستوردة وتصنيعها وادخال التحسينات على تقنية الحرب بجهود العلماء والفنيين في معاهد الأبحاث العسكرية التي تتلقى الدعم من الجامعات ومن مؤسسات الأبحاث المدنية بهدف احداث تعديلات جديدة بارزة في المفاهيم والعقائد والمعدات العسكرية المستوردة لكي يتسنى للجيش استخدام عنصر المباغتة في عملياته التكتيكية . وعهد الى المختبرات العسكرية مهمة تحويل المكتشفات في العلوم البحتة الى معدات حربية صالحة للعمل،واستيراد التطورات العلمية الجديدة البحتة وتطبيقها على الجهاز الحربي ، كما شجعت وزارة الدفاع تنمية البحوث في طول « اسرائيل » وعرضها ، فأنشأت الوكالة الاسرائيلية للطاقة الذرية مراكز للابحاث النووية في كل من « سوريك ناحال » « وديمونا » .

وامتلكت وزارة الدفاع واعانت على التطوير بضع عشرة صناعة في حقل الالكترونيات وصناعة الطائرات النفاثة ووضعت ثقلها السياسي والمادي في تأمين الدعم الاقتصادي الضروري للصناعات الالكترونية وصناعة الطيران بوجه خاص .

كما ادخلت اساليب التخطيط الاداري النظامي في القوات المسلحة على الهيئات المدنية والاقتصاد المدني على اساس النمط المعتمد في التخطيط العسكري الاداري High Pressure Planning وكذلك في التصميم والانتاج والتوزيع ورقابة النوعية مع اشراك الباحثين المدنيين في حل مشاكل الصناعات العسكرية .

ولقد اقترنت الهيئات العلمية الاسرائيلية اقترانا وثيقا بالابحاث الجارية في الغرب وأصبحت تنفرد بين دول العالم الثالث بهذه العلاقات مع الأسرة العلمية الدولية ، بفضل ماسبق ذكره من انشاء المؤسسات الداخلية والمهارات التنظيمية القادرة على الافادة من الموارد المحدودة في مجالات البحوث،والدور البارز للتعليم العالي في الحفاظ على الدولة الحديثة ، وكان للعطف الشديد للغرب على « اسرائيل » وللعلاقات العضوية الحميمة مع الولايات المتحدة وللتطابق في الغايات الاستراتيجية وللوشائج الحميمة مع الحركة العلمية اليهودية في العالم عموما وفي الولايات المتحدة خصوصا دور بارز في تدعيم علاقات العلماء الاسرائيليين بالدوائر العلمية الغربية ، الا ان العلماء الاسرائيليين العاكفين على الانتاج والابداع في مؤسساتهم العلمية ، غير مشتتي الذهن بالانشطة الأخرى في العمل والحياة،وسعوا اتصالاتهم الدولية على جميع المستويات من مجرد الاشتراك في المجلات العلمية ، الى حضور المؤتمرات العالمية واستضافتها ورعايتها في « اسرائيل » .

وقد هدفت « اسرائيل » من هذه العلاقات الدولية الى تحسين صورتها في الخارج ، والتقدم بأبحاث في عديد من المؤتمرات الدولية تزيد اضعافا عما يقدمه الباحثون العربهوقد حدث في الستينيات في مؤتمر في ايطاليا لفرع من فروع الطب مثل التخدير مثلا أن كان الوفد الاسرائيلي ثلاثة اطباء تقدموا بخمسة بحوث ، وبلغ حجم وفد احدى الدول العربية أربعين فردا لم يقدموا بحثا واحدا ، بل اكتفوا بالتقاط بعض المعلومات من بعض الجلسات

وانصرفوا معظم ايام المؤتمر الى النشاط الاجتماعي والشخصي .

اسرائيل والنشاط النووي

اشارت دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٦٩ الى معهد وايزمان والى ماتضمنته نشاطاته العديدة من عقد المؤتمرات التي تناقش مشاكل تعليم العلوم في القارات الثلاث (اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية) مع ممثلين منها والاهتمام بجذب منظمات الشبيبة والشبان والرواد في الميادين العلمية تحت شعار « طريقة جديدة للتعاون » وتقديم المساعدات الهندسية والعلمية والطبية الى هذه البلدان منذ الخمسينيات ، فاصدرت الهيئات الدولية الموالية للصهيونية في الستينيات التوصيات بأنه (في وسع « اسرائيل » ان تلعب دورا رئيسا في مساعدة البلدان النامية على الازدهار بايجاد الوسائل لتوسيع مواردها الغذائية وتأمين العمل عن طريق صناعات اساسها العلم) . ولم يكن قصد المؤتمر السنوي العاشر للعلوم التكنولوجية في « اسرائيل » والشرق الأوسط المنعقد في نيويورك من هذه التوصية الا تمهيد الطريق لتغلغل « اسرائيل » في القارات الثلاث .

لقد سبق ان تناولت مجلة العربي « التعاون الاسرائيلي الوثيق في مجال الطاقة النووية مع الولايات المتحدة منذ وقت مبكر [٢] (مفاعل ناحال سوريك) ومع فرنسا بعد فشل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (مفاعل ديمونا) ثم ماتواتر عن تجدد العلاقات الذرية بين فرنسا ذات الوجهين « واسرائيل » في الماضي ، ثم تأييد الولايات المتحدة في عهد جونسون « لاسرائيل » في مجال انتاج الاسلحة النووية وبلغت أهمية الترابط الذري حدا كبيرا يتضح مما كشف عنه مؤخرا عن اتجاه « اسرائيل » الى تحريك اسلحتها النووية في اثناء حرب ١٩٧٣ لمواجهة الانهيار المحتمل للجبهة العسكرية الاسرائيلية امام مصر ، ومانتج عنه تحريك الاتحاد السوفيتي لبعض سفنه الذرية واعلان الولايات المتحدة للتعبئة الشاملة لأسلحتها النووية واصبح واضحا الآن التعاون المشترك والتجارب النووية المشتركة « لاسرائيل » مع جنوب افريقيا .

وكما اصبح الآن معلوماً بوضوح ـ مدى التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة « واسرائيل » بحسبانها القاعدة الاساسية للتدخل السريع في الشرق الأوسط ، ولجمع المعلومات الواسعة عن دوله في خزائن العقول الالكترونية وللتعاون المفترض في الخدمات الصحية للقوات البحرية الاميركية في البحر المتوسط ، وللتعاون في ميادين الفيزياء الحديثة ، مثل استخدام اشعة الليزر والجسيمات الدقيقة في التصويب على الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة ، وقد اشرت في كتابات سابقة منذ الستينيات الى تبادل التدريس بين الاساتذة الاسرائيليين والامريكيين في معهد وايزمان ، والجامعات الأمريكية ،الى البحوث المشتركة بين الفريقين في مجال العلوم الفيزيائية والكيماوية المرتبطة بوسائل الاستشعار والمراقبة العسكرية . واخذ علماء « اسرائيل » ينتجون الأجهزة الدقيقة التي يتوصلون الى قوانينها العلمية في معهد وايزمان في عدة مصانع محمية من الغارات الجوية في الفناء الخلفي لهذا المعهد ، مثلما انتشرت المستوطنات العلمية اليهودية في وادي السليكون في كاليفورنيا منذ الخمسينيات وقد اخبرني وزير البحث العلمي المصري الاسبق د . صلاح هدايت بأنه حين اطلع على بعض جوانب هذه النشاطات الامريكية الصهيونية لجامعة كاليفورنيا في زيارة رسمية اشترطت عليه سلطات الجامعة في اوائل الستينيات لكي يتم اي تعاون علمي مشترك مع الجامعات المصرية . ايام عبد الناصر ـ الا تحصل الجامعات المصرية على اي بحوث اساسية وانما على بعض النواتج التطبيقية فقط ، وان يكون الوكيل المعتمد والمكلف بالاتصال بمصر هو دولة « اسرائيل » في ذلك الوقت .

وبالمقابل فلا يخفي على العلماء العرب الصعوبات الكبيرة في معاهد البحوث العربية في هذا الصدد بما سنناقشه بالتفصيل مستقبلا ، ولقد اشير الى ان اول محاولة لوضع نموذج رياضي لتصور مستقبل الوطن العربي ، سواء من ناحية الامكانات العسكرية

(٢) اسرائيل والسلاح النووي ـ د . عبد الرحيم حسين ـ مجلة العربي فبراير ١٩٨٥ ص ٢٢

والاحتمالات التنموية ، كانت محاولة اسرائيلية . ويبعث الحاح « اسرائيل » على تطبيع العلاقات مع كل دولة عربية على حدة ، على التفكير في أهداف ومدى سهولة الحصول على المعلومات المدنية والعسكرية في كل بلد عربي يسمح لنفسه مستقبلا بتجوال جامعي المعلومات الاسرائيليين من العلماء والجواسيس في ربوعه ، وبعضهم يتقن اللغة العربية بلهجاتها المحلية وينطق اهل الأحياء الشعبية .

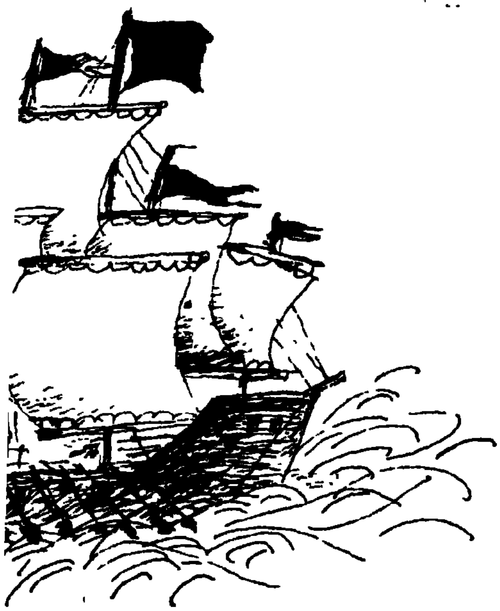
ماذا يعني كل ذلك

وخلاصة الأمر ان الازدهار العلمي في « اسرائيل » قام منذ بداية نشأة الدولة على فهم واضح سبقه بسنوات طويلة ، وعلى ادراك للعلاقة الوثيقة بين العلم وحياة المجتمع اليومية ومتطلبات المواجهات العسكرية المرسومة وتثبيت المستوطنات وحياتها ، وحل مشاكلها المعاشية والتدبير للهجمات العسكرية الدورية على البلدان العربية ، كما قام هذا الازدهار على اعتبار العلم من صميم الكيان الاجتماعي ومقوماته الاساسية ، وعلى فهم الطبيعة الدولية للعلم وعلى توفير المستويات الدولية للعلماء الاسرائيليين كما هو متوفر في علماء البلدان المتقدمة ، وعلى نيل العلماء والمؤسسات العلمية الدعم الكافي لتمكينهم من انجاز ابحاث لها قيمتها الدولية ، وعلى زيادة الاطلاع على الأبحاث الجارية في البلاد الأخرى ، وعلى استجلاب المعلومات العلمية باتساع وانتظام ، وعلى اعادة النظر وتقييم الاداء العلمي على المستوى الاساسي وعلى مستوى ارتباطاته بالمشاكل الزراعية وتطوير المؤسسات الصناعية .

لقد اسهبت في بداية المقال في الاشارة الى الامكانات التي حبت بها الطبيعة قارتنا العربية ، والامكانات التي توفرها لنهضة عربية مستقبلية ممكنة وضرورية . وما اريد ان أؤكده في نهاية هذا المقال ليس هو التميز الاسرائيلي على الوطن العربي في مجال العلوم والبحث العلمي بما لايمكن تجاوزه ، ذلك ابعد مايكون عن الظن والقصد . وانما اردت ان اقول ان ماتفعله اسرائيل « ان هو الا اتباع للاصول المعاصرة لدور الدولة الحديثة على النمط الغربي ، مع جهد « اسرائيل » في الاستفادة من الامكانات المحدودة ، وفي استغلال كنوز العلم وهي الكنوز الرئيسية المتاحة لكل من قرر الاغتراف منها ويعد نفسه لذلك ويبذل من الجهد المجدى والمستمر ماهو لازم لذلك ، حتى لمن لم يملك الكنوز الطبيعية اذا ما امتلك النية على اعلاء شأن العلوم الطبيعية والانسانية ، وبوأ العلم والفكر اعلى مكان . وقد ادركت « اسرائيل » هذا الدور الهام لكي تعد نفسها بعد مرحلة الحروب التي دقت بها على الحديد العربي الساخن ـ للمرحلة الراهنة للسلام المراوغ ، ولما يليها من ارهاق عربي كامل في دوائر تتسع بالتدريج وبصبر ودأب على أمل الحصول على سلام مسيطر على كل دولة عربية على حده وقد سبق ان عبر حاييم وايزمان عن احلامه حين قال « ان اسرائيل » قد تواجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لها،اي انها تفتقد الكثافة النفسية التي تمكنها من استيعاب اي حالة تقابلها وهي الى ذلك منطقة مستهلكة ويستخدم البدوي اسنانه جيدا ولكن قلما يستخدم يده بصورة جيدة فاذا وجد الاسرائيليون في هذه المنطقة استطاعوا تصنيع الهواء ثم تسويقه عربيا »

ولكن خاب فألهم الذي اعدوا له بناءهم العلمي منذ قرن من الزمان ، فهل قد آن الأوان لكي يضع العرب ما يجب عليهم أن يضعوه من سياسات علمية متبصرة ويقيموا في الخمسين عاما القادمة ، ومنذ اللحظة ، ما يجب عليهم ان يقيموه من مؤسسات تعليمية والبحوث العلمية الاساسية والتطبيقية ليتمكنوا من استثمار الثروات الراهنة وحل مشاكل البناء الحضارى حتى لايكون عبء ذلك السلام المراوغ اثقل عليهم من ويلات الحرب ؟ ! □

■ أما بعد ، فاسلم تسلم . . والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة (خالد بن الوليد)



تاريخ الماء

شعر : قاسم حداد

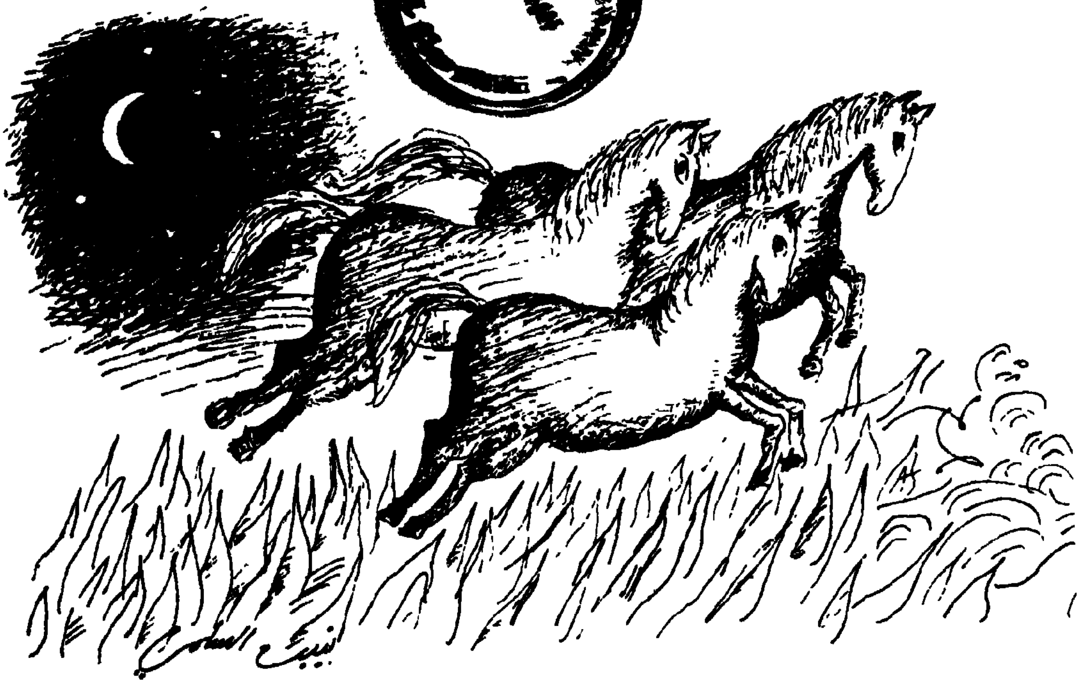
- ١ -

● جاء مأخوذاً
تقمصه الرماد ، وغادرت عيناه في هلع
سيسأل :
لماذا مرت العربات في بطء على رئتيه ؟
جاء مطلها بالملح
كان البحر يعرفه ، وكان النخل يعرفه
لماذا عندما تاهت سفائنهم
نسوه معفرا في الرمل ؟
أينسى الرمل في وجع
هل سينسى البحرُ مقبرةَ الصواري والقراصنة
النهاريين ؟
لماذا عندما اختلجت جوارحهم نسوه ؟
كان الماء جنته
وكان الماء ناراً للذي ينسى
لماذا عندما اكتنزت قوافلهم
نسوا تاريخ هذا الماء ؟
والجياد مدججات بالقبائل
كنت لا أبكي على أحدٍ سواي
وكنت أنسى عندما أمشي
وانسى عندما ابكي
وأنسى عندما أنسى
ولكن المدى ، شباك أحزاني . يجيء نورسا
يبكي على كتفي
سيذكرني . . وينساني
فتفتح لي جياد الفاتح الرملي تاريخا تزينه القبائل
تفتح الآفاق حيث النورس المذبوح لايبكي على
أحد سواي
وشمس أيامي تغادر خيمتي
فأظل مشدوهاً ، أمد الى المدى يأسي . . وأنسى

- ٢ -

● جياد الفاتح الرملي في رئتي وأنسى
ربما أنسى ليذكر كاهلي المكسورُ
قوس الماء

* من قصيدة طويلة بعنوان (سلالة النيار)



لي أرض وكوكبة تسافر
والمدى يأتي الى بابي ويرمي في حقائبه نخيل الدار
يرمي زنبقات
والمدى شباك شطآني
يناديني . . وينسى .
كنت مأخوذا بترديد القواقع والطحالب
عندما جاءت جياد الفاتح الرملي
مأسورا بوقع الموج عند حديقتي . .
أمشي وأنسى

-٣-

□ . . فاستسلمت شرفات روحي عند مفترق الوضوح
كانت الأشجار ذاهلة الغصون ورفقتي تهذي
على طرف الحوار بلا طموح
كل غامضة من التذكار محتمل
وكل مدجج بالرمز مفتوح ويحلم بالفتوح

ساحرا انسى
وتأخذني التآويل الجديدة
كنت مزدانا باعراسي ومنتشيا
وكان الكأس يدّخِرُ النبيذ على جراحي
مستسلما في خلق أشكالي
لي الانتخاب
لكن ليس لي درع يصد الفتح
لي صدر يتنازل
لست أسأل عن حدود القتل أو شكل السلاح
فلكل أصل سره
من يحتفي بنهاية الأسرار
من يعطي لهاوية الحوار خديعة
ويدس في أمل الصباح
قلت : في حل أنا من شهوة التوضيح
نسر جامح صوتي
لي الشهق الشموخ
وللضفادع شهوة الموت البطيء على السفوح

رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة

بقلم الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور

عبر رحلاته الثلاث وخلالها عاش ابن بطوطة رحلة رابعة في عالم رحب ومثير ، وهو عالم المرأة التي كانت حاضرة أبدا لديه والمقال التالي محاولة لرسم صورة المرأة كما قدمها لنا الرحالة الشهير .

ينبغي أن نوضح من البداية أننا لم نقصد بهذا العنوان الادعاء بأننا اكتشفنا لابن بطوطة رحلة رابعة جديدة فهذا الرحالة المغربي الشهير الذي عاش في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر للميلاد - لم يقم الا برحلات ثلاث ، هي التي أملى أخبارها على محمد بن جزي الكلبي كاتب السلطان أبي عنان المريني ، وصارت هذه الرحلات في مجموعها تعرف برحلة ابن بطوطة

بين المؤرخ والرحالة :

والواقع أننا في دراستنا للتاريخ - وخصوصا في جانبه الاجتماعي - نجد في كتب الرحلات نوعا من المادة العلمية لانجد نظيرها في مدونات التاريخ المألوفة ، من حوليات وطبقات وتراجم وغيرها . ذلك أن كتاب هذه المدونات يهتمون بالحكام ومشاهير الأفراد ، والأحداث السياسية والحروب ونحوها ، ولايعبأون بالاشارة الى الأوضاع الاجتماعية والأحوال المعيشية للشعوب الا قليلا .

أما الرحالة فيعني بكل مايصادفه من طبائع البشر وغرائب البلدان ، ويدخل في نطاق رصده الأحوال المعيشية للافراد والجماعات ، مما يسفر عن رؤية اجتماعية صادقة .

وقد أدت وحدة العالم الاسلامي حينذاك الى حرية التنقل والترحال ، فارتحل المشارقة الى المغرب والمغاربة الى المشرق . وقد غلب تيار المغاربة المرتحلين لابتغائهم التجارة والعلم ، وحرصهم على أداء فريضة الحج بالحجاز قلب المشرق العربي ، وكثيرا ماعرج هؤلاء المغاربة في تشريقهم على البلدان الاسلامية العريقة التي اجتذبتهم ، بما لها من ارتباط بالتاريخ الاسلامي وأحداثه وتطوره ، مثل مصر والشام والعراق ، وربما اليمن ، وقد كانت التشكيلات الجماعية لهذه الرحلات مهونة لمشقاتها ،

العربي - العدد ٣٢٣ - اكتوبر ١٩٨٥

بقلم : محمود المراغي

المتهم البرىء فى أفريقيا

المطر .. متهم برىء فى افريقيا ، فعندما قل هطوله وحلّ الجفاف لم يكن ذلك وحده هو سبب الازمة الغذائية فى القارة السوداء، فقبلها .. كانت الازمة

وبعدها .. سوف تكون او سوف تستمر طبقا لتوقعات الخبراء .

اما الدليل فهو رقم يقول ان نصيب الفرد من الغذاء فى السبعينيات كان يتناقص سنويا بنسبه (١و١) بالمائة طبقا لارقام منظمة الاغذية والزراعة .. وان الازمة كانت سابقة على ذلك حين عجزت افريقيا-جنوب الصحراء-ان تقدم غذاء أكثر للفرد فى الستينيات الا بمقدار (١و٠) بالمائة سنويا .. وهو لايكفى لاشباع الحاجات او تلافى امراض سوء التغذية أو الموت المبكر للاطفال .

الازمة اذن قديمة .. والازمة ايضا ممتدة .. حتى انه من بين ٤٣ دولة افريقية جنوب الصحراء تعانى (٣٠) دولة من نقص الطعام فى الوقت الراهن ، وطبقا لتقديرات نفس المنظمة (الاغذية والزراعة) فإنها سوف تصبح ٩ دول عام (٢٠٠٠) .. و .. ذلك مع افتراض استخدام تكنولوجيا ومدخلات للزراعة بمستوى متوسط .

وبالطبع فان الغذاء ليس الا حلقة ضمن حلقات متصلة بدايتها الزراعة والسكان ، ففى افريقيا يوجد اعلى معدل لخصوبة المرأة فى العالم .. وبينما يهبط معدل الخصوبة الى طفلين لكل امرأة فى العالم المتقدم يزيد المعدل فى افريقيا الى (٤و٦) طفلا لكل امرأة .. مما يجعل النمو السكانى يفوق (٣) بالمائة سنويا .. بينما قل الانتاج الزراعى عن هذا المعدّل فى النمو منذ اول الثمانينيات .

وداخل مجموعة الزراعة : قلّ الغذاء بنسبة اكبر .. وداخل مجموعة الغذاء كان للحبوب - وهى نصف غذاء العالم الفقير - نصيب الاسد فى التراجع !

و .. من هنا كانت المأساة : (٤٧٠) مليون نسمة يعانون من مجاعة دائمة ويهبط نصيبهم من السعرات الحرارية الى (٨٥) بالمائة مما يحتاجون ، ومن البروتين الى (٤٠) بالمائة فى بعض الاحيان ..

و .. يموت (٤٠) بالمائة من الاطفال قبل سن الخامسة .. ويتراجع متوسط العمر اكثر من اى قارة اخرى .. ويقف سوء التغذية على رأس الاسباب .

الغريب ان افريقيا ليست الاكثر كثافة من ناحية السكان .... فالبنك الدولى يعتبرها قارة غير مأهولة بالكامل .. مساحات شاسعة .. وعدد قليل نسبيا من السكان حتى ان آسيا تسجل كثافة تبلغ خمسة اضعاف كثافة السكان فى افريقيا .. ولكن ، وكما يقول البنك الدولى ايضا .. فانه بالنظر لطرق الزراعة البدائية فان كثيرا من بلدان افريقيا وبالقياس على ما هو متوافر لديها من غذاء - تصبح مكتظة بالسكان .. !

.. والسؤال : لماذا ؟

الزراعة اذن هى محور الازمة ، وهو محور خطير لانه يمثل ثلاثة ارباع صادرات افريقيا ويستوعب (٧٠) بالمائة من العمالة فيها .. و .. مع ذلك فان

القدرة على تحقيق اكتفاء ذاتى من الغذاء تتراجع من (٨٣) بالمائة فى اول السبعينيات الى (٧٣) بالمائة فى عام ١٩٨٢ . . الى (٥٦) بالمائة وفق توقعات عام (٢٠٠٠) .

وعند الحديث عن اسباب التدهور تأتى قائمة طويلة تمتد من عوامل الطبيعة الى فن ادارة الموارد وضعف الامكانات وتركة الاستعمار

يتحدثون عن انسحاب اللون الاخضر وتقلصه فى ظاهرة اطلقوا عليها اسم « التصحر » اى التحول الى الصحراء . . وخلط البعض بين الجفاف ـ الذى يأتى بسبب نقص الامطار ـ وبين ظاهرة التصحر ، وهى الاخطر والابعد تأثيرا بالنظر لمشكلة اكبر هى مشكلة الارض المتاحة للزراعة .

ويقول العلماء ان الجفاف مهما كان شديدا فسوف يزول بنزول المطر . . . . اما التصحر فالامطار لاتزيله ، والارض تحت المطر لاتستعيد عافيتها بعد ان اصابها الجفاف بسبب عوامل عدة استأصلت اللون الاخضر ، وحرمت التربة من غذائها العضوى عبر اجراءات كثيرة كالافراط فى الرعى والافراط فى استخدام اخشاب الغابات مما يعرض الارض للتعرية والشمس والرياح ، والجفاف الحقيقى يزحف الان على مائة بلد فى العالم ، جزء كبير منها فى افريقيا جنوب الصحراء . . وبمساحة سنوية تزيد عن مساحة بلد كالسنغال .

مع ذلك فان التصحر وتدهور البيئة واحد من الاسباب . . .

وربما يأتى نمط التنمية وتخلف اساليب الزراعة كسببين اكثر انتشارا ، فالكثير من الدول النامية ـ بعد الاستقلال ـ دفعها الطموح لخوض تجربة التصنيع . . . وكان ذلك رغم ضرورته على حساب الاهتمام بالزراعة والغذاء . . وعندما اتجهت هذه الدول للتصنيع لم تعط الاولوية لما يلزم الزراعة من أسمدة ومبيدات حشرية وجرارات تدفع بالزراعة الى مستوى افضل . . وهكذا بقيت المشكلة الزراعية فى افريقيا كما هى : زراعة متخلفة يسيطر عليها فى معظم البلدان المحصول الواحد . . فالكاكاو محصول غانا الرئيسى ، والبن محصول اثيوبيا وبوروندى ، والقطن محصول السودان و . . هكذا ، مما كرس تخلف القطاع الزراعى .

وقد ساعد على ذلك وجود نسبة عالية من الاراضى المشاع ، كما ساعد عليه سيطرة الوسائل البدائية فى الانتاج حتى ان (٨٠) بالمائة من فلاحى افريقيا يعتمدون على سواعدهم فى فلاحة الارض ، (١٥) بالمائة يملكون حيوانات جر . . و (٥) بالمائة فقط يستخدمون الجرارات . .

وبمقارنة سريعة نجد انهم فى اوروبا الغربية يستخدمون ٦٠ جرارا ليخدموا ألف هكتار ، وفى أمريكا اللاتينية سبعة وفى آسيا خمسة . . اما افريقيا فيهبط نصيبها الى جرارين فقط ، وفى مجال السماد اللازم لتخصيب الارض يبلغ المعدل فى الولايات المتحدة ثمانية اضعاف افريقيا وفى اليابان (٢٥) ضعفا .

ثم . . تأتى مشكلة مياه الرى وسوء ادارة المياه وهو ـ وفقا لرأى الخبراء ـ اهم سبب من اسباب المشكلة الزراعية . . والمشكلة هنا ليست نقصا فى الامطار فهذه مشكلة طارئة على الارجح . . لكن المشكلة فى وضع نظم دائمة للرى وتخزين المياه ، وزراعة اكثر من محصول فى العام وهو ما يحتاج لاستثمارات تفوق اى قارة اخرى ، وبما يجعل الهكتار الواحد يحتاج الى مبلغ يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف دولار وبما يفوق آسيا ـ على سبيل المثال ـ عدة مرات .

. . الثورة الخضراء

المطلوب إذن : ثورة خضراء تواجه عوامل الطبيعة ، وتوقف تخريب الانسان للبيئة باستئصاله للغابات التى تحمى الارض .

المطلوب : طرق متقدمة فى الزراعة تنهى عصر الانسان الذى يعمل عوضا عن الحيوان ، والحيوان الذى يعمل عوضا عن الجرار والآلة الزراعية .

والمطلوب : علاقات دولية اكثر عدلا واكثر انصافا لما تنتجه افريقيا من خامات تتبادلها فى النهاية بغذاء وتكنولوجيا ومستلزمات انتاج . .

لذا فلا مفر من التكتل والتحرك الجماعى على مستوى افريقيا والعالم الثالث كله . . وربما كان مؤتمر القمة الافريقى الاخير البداية . . . بشرط ان تتسع نظرتنا لتشمل الازمة الاكبر

وليست الازمة الاقل . . إنها أزمة الغذاء واللون الاخضر ، وليست ازمة الأمطار الطارئة . □

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاماً

حصاد الأمل

أربعون عاما مرت على انشاء جامعة الدول العربية ، ومنذ ذلك اليوم الذى وقعت فيه سبع دول معلنة اعلان التأسيس وحتى اليوم ، حدثت على الخريطة العربية تغيرات كثيرة ، وجرت دماء كثيرة في الانهار والاراضى العربية ، وملأت الدنيا خلافات العرب . . وشهدت أيامنا القتال العربى / العربى ، وعاصرنا تبادل الاتهامات بالخيانة والعمالة . . واتهامات أخرى بالكفر والمروق والعصيان . .

أربعون عاما هبت فيها رياح التغير على هذا الجزء من العالم ، فلم يعد قط كما كان عشية اعلان الجامعة . . ولم تنته الرياح من تشكيل ملامح المنطقة بعد ، فمازالت التفاعلات والاحداث تتوالى وتتابع .

كانت هذه الرؤية كلها أمامنا ونحن نفكر كيف نقف أمام الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة الدول العربية ، ندرك ـ كما يدرك كل العرب ـ الأزمة التى يعيشها الوطن العربى . . ولكننا نختلف قليلا فى أننا نملك أملا لغد أفضل ، نختلف لأننا لا نؤمن بأن المنطقة مقبلة على الانهيار ، ونختلف لأننا نرى أنه ليس صحيحا أن هناك انتحارا جماعيا يمارسه العرب ، فكل ما فى الأمر هو تفاعل ديناميكى لمجموعة من العوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، لم تنته بعد وتفرز نتائجها ، فلم تزل القوى الاجتماعية العربية تتفاعل داخل مجتمعاتها ، لتعيد تشكيل البنيان الاجتماعى بنظمه وقوانينه وعلاقاته ، وفق متغيرات الاقتصاد وعلاقات السياسة .

ولذلك . . فعندما فكرنا في خيارات الموضوعات لهذا الملف ، كان واضحا لنا أننا لا نقيم مأتم ولا نحتفى بمعنى الفرح والبهجة ، ولكننا نحاول أن نضيف اضاءة للطريق ونطرح أفكارا للمناقشة والحوار ، قلنا فلندع خلافات السياسة ، ولنترك قضاياها ، ولنفكر في محاور استراتيجية نؤمن من خلالها ان جامعة الدول العربية لو منحتها كثيراً من الوقت وكثيراً من الجهد لأثمرت وأعطت نتائج تسهم في صياغة غدنا العربى الأفضل .

وكانت المحاور الثلاثة هى :

أ ـ أزمة الغذاء العربى

ب ـ التعاون العلمى العربى

ج ـ التعاون العربى الافريقى .

وكان تصورنا أن هذه المحاور هى أهم ما يشغل بال كل مهتم بالهمّ العربى ، فالوطن العربى يعيش أزمة غذاء ، وهى أزمة لم تعد مشكلة اقتصادية خالصة ، بل أصبحت مشكلة سياسية بالدرجة الأولى . فلقد شهد الوطن العربى في العقدين الأخيرين تدهورا كبيرا في الوضع الغذائى ، وعجزت برامج التنمية الزراعية العربية عن سد الفجوة الغذائية ، واتجه الوطن العربى الى الاستيراد ، الذى اتسع نطاقه ليشمل بالاضافة الى القمح السكر واللحوم ومنتجات الألبان والزيوت النباتية والدهون ، وفي سلعة واحدة حيوية كالقمح ، فإن معدل نمو الانتاج العربى منها لا يتجاوز ١,٧٪ وهو معدل لا يجاوز نصف معدل نمو السكان ، وتبلغ واردات الوطن العربى منه أكثر قليلا من نصف حجم الاستهلاك ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الاقتصادية كما اشرنا ، اذا أدركنا أن سوق القمح العالمية ـ السلعة الاكثر حيوية ـ موضع احتكار رئيسى لثلاثة بلدان هى الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الآنية لترتبط بكل عمليات النمو والتنمية ، فحجم الحاصلات الزراعية العربية ومساحة ما يخصص من الأراضى الزراعية لزراعة حاصلات صناعية . . لا يكفى لتأمين تشغيل طاقة صناعية ذات فائدة وجدوى ، فضلا عن أن التشغيل يكون عادة موسميا ، ولفترات محدودة ، لا تصل الى مستوى التشغيل الكامل . ويرتبط بأزمة الغذاء تخلف اقتصاديات الانتاج الحيوانى ، وتخلف اساليب الانتاج الزراعى ، واعتماد الزراعة العربية فى جزء كبير منها على الأمطار ، اذ أن ٧٨ بالمائة من جملة الأراضى المزروعة تروى بالمطر . . .

المحور الثانى هو التطور العلمي العربى وامكاناته ومستقبله ، وهو محور يشمل عدة جزئيات من حيث أهمية التربية والتعليم في اللحاق بالعصر وتطوير تدريس العلوم الاساسية ، وتطوير مؤسسات البحث العلمى ومراكز الأبحاث، والتعاون والتنسيق فيما بين هذه المؤسسات والمراكز العربية ، فمما لا شك فيه أن العالم يعيش ثورة علمية كبرى تعادل الثورة الصناعية أهمية ان لم تكن تفوقها .

المحور الثالث هو التعاون العربى الافريقى ، وهى قضية بالغة الأهمية والحيوية للمستقبل العربى ، فأفريقيا هى العمق الاستراتيجى للوطن العربى ، وهى الامتداد الجغرافى له ، وهى سلة خبز العالم القادمة ، وسوقه الكبيرة المقبلة ، ففى دولة كالجابون أراض زراعية صالحة لانتاج ما يكفى سكانها مائة مرة ، وفى الكونغو أراض يكفى انتاجها سكانها ٧٥ مرة ، فضلا عما تحويه افريقيا من مصادر للمواد الأولية التى تكفل قيام صناعات كبرى وتوفر احتياجاتها .

كانت هذه تصوراتنا من المحاور الثلاثة عند التفكير في ملف عن الجامعة العربية ، ورأينا أن نكتفى بالتعاون العلمى العربى والتعاون العربى الافريقى من منظور نقد وتقييم ما هو قائم . . آملين ان تكون هذه بداية للتأمل والتفكير لتطوير الواقع، واثرائه ، انها دعوة للتأمل فى أى مسار نسير ، وأى الدروب نختار ، وأى الخيارات نقبل ، وكيف نواجه تحدى المستقبل والحضارة والبقاء !! . . .

« العربــى »

الجامعة العربية بعد ٤٠ عامًا

العمل العلمى العربى المشترك
ذكريات وآمال

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

إن النظر في تجربة العمل العربي المشترك ، في المجال العلمي ـ التكنولوجي ، يقودنا إلى مناقشة الأسس التي قام عليها ، وإلى التعرف على مدى اتساق الممارسات الفعلية فيه مع هذه الأسس ، وإلى متابعة التطورات التاريخية التي مرّ بها الادراك الحكومي والشعبي لهذه الأسس ، والتي لا بد وأنها قد انعكست بشكل أو بآخر على الممارسات في العمل العربي المشترك .

قد يكون من المفيد ـ في محاولة لاستعراض مسيرة العمل العلمي العربي المشترك ـ أن نشير إلى بعض الشروط الأخرى التي لا بد من توفرها حتى يكون لأي عمل جماعي بين عدد من الأقطار في مجال من المجالات ، من الفاعلية والجدوى ما يبرر قيامه وإنفاق الجهد والمال فيه . ومثل هذه الشروط مهنيّ أو تقني ضروري للعمل الجماعي حتى بين أقطار لا تربط بينها أواصر خاصة بالهوية الحضارية . وفي هذا يستوى العمل الجماعي الذي تشترك فيه أقطار عربية مع أقطار أخرى غير عربية ، مع العمل الجماعي العربي المحض . إن تأكيد هذا الفارق النوعي ضروري لفهم الدوافع الحقيقية للأعمال العربية العلمية المشتركة التي تمت حتى الآن ، وللتمييز بوضوح بين المنطلقات المهنية ـ التقنية المحضة لتبرير قيام عمل جماعي ، وبين المنطلقات القومية لهذا العمل في المجالات المتخصصة . ففي الحالة الأخيرة يرتبط النشاط المشترك بمفهوم سياسي معلن ومسيطر في الوعي الجماعي ، يكسب النشاط المشترك صفات خاصة وتوجهات مميزة . ولكنه يجعله ـ في نفس الوقت ـ مستهدفا لاعتبارات سياسية ومع ما يأتي به هذا من عزم مضاعف وإصرار على تجاوز العقبات من جانب ، ومع ما قد يحمله هذا في الجانب المقابل ، من مخاطر في لحظات الأزمة أو اختلاف وجهات النظر بين الأقطار المشاركة .

أما وقد نبّهنا منذ البداية للبعد السياسي للعمل المشترك ، فلنذكّر أيضا بأن المتطلبات المهنية التقنية هي الشرط اللازم في جميع حالات العمل الاقليمي أو الدولي المشترك ، بينما المتطلبات السياسية هي إضافات تكسبه صفات نوعية جديدة ، ولكنها وحدها لا تصلح ، في أى ظرف من الظروف ، أساسا لعمل مشترك في مجال متخصص مهما كان قدر العزم والارادة والاصرار .

والمتطلبات التقنية التي لا بد من توفرها في أى عمل مشترك في مجال ما هي في جوهرها قسمان . الأول هو وجود حد أدنى أو كتلة حرجة من النشاط القطرى في الأقطار المشاركة في العمل الجماعي . فبدون هذه القاعدة ذات الفاعلية الدنيا على المستوى القطرى يكون العمل المشترك كيانا فوقيا لا يستند إلى قواعد راسخة في الأقطار المشاركة ، ونبتا يفتقر إلى الجذور الضاربة في أرض هذه الأقطار والتي تغذيه دوما بحصيلة الخبرة القطرية التي تبرّر قيامه من أجل التنسيق بين جهود قطرية ، أو من أجل تبادل الخبرات . وسيبقى فاقدا القدرة على الحد الأدنى من التأثير المحمود على كمّ أو نوع العمل القطرى . أما الأمر الثاني ، فهو مشاركة أكبر عدد ممكن من أقطار المنطقة أو الاقليم بحيث يمكن أن يطلق عليه بجدارة اسم العمل الجماعي ، متميزا بهذا عن العلاقات الثنائية أو الثلاثية والتي لا ترقى - مع التسليم بأهميتها وجدواها - إلى مستوى العمل الجماعي في منطقة أو اقليم .

وعلينا أيضا في استعراضنا لخبرات الماضي القريب أن نميز بوضوح بين مستويي العمل العربي العلمي المشترك ، ألا وهما مستوى العمل الشعبي للأفراد العلميين أو التنظيمات المهنية للعشائر العلمية العربية ، ومستوى العمل الحكومي الرسمي للمنظمات والهيئات الاقليمية التي تشارك فيها الأقطار العربية كدول أعضاء تلتزم بسياسات قطرية معينة ، تعكس توجهاتها وترتب أولوياتها . وربما يبدو لأول وهلة أن العمل العلمي على المستوى الشعبي يكون أكثر حساسية للمنطلقات القومية ، وأقل تأثرا بالمواقف الرسمية . وسنرى فيما بعد أن هذا صحيح في جملته ، وأن التنظيمات الشعبية للعشائر العلمية العربية كانت أكثر تحررا في مواقفها من التنظيمات الحكومية ، وأنها قد صمدت وتماسكت في ظروف الخلافات والانقسامات ، بمثل ما لم تقدر عليه هذه الأخيرة . وفي الجانب المقابل ، لا بد أن نشير هنا أيضا إلى أن التنظيمات الحكومية بدورها ، قد سُمعت فيها - إبان أزمات الخلاف والشقاق بين الدول الأعضاء - أصوات كثيرة تؤكد دورها المتخصص ، وذلك في محاولات محمودة الدوافع لتجاوز هذه الأزمات ، ولاستمرارها في أداء رسالتها . وفي تاريخ هذه المنظمات الحكومية أمثلة كثيرة لجهود مكثفة بذلت في تجاوز محن الخلافات بين الدول الأعضاء ، كانت تركز الاهتمام على أنها ليست أساسا منابر لاعلان المواقف السياسية اللحظية ، بل إنها كانت تستلهم المنطلق الوحدوى القومي لتأكيد دورها التخصصي ، مؤكدة على أن من مصلحة الجميع أن تنأى المنظمات بنفسها عن حلبة هذه الصراعات وأن تستمر في أداء رسالاتها التخصصية خدمة لكل الأطراف المشاركة فيها .

البدايات التاريخية

جذور العمل العربي المشترك ، على مستوييه الشعبي والحكومي ، لا تضرب إلى ماض بعيد ، ولا تتجاوز بداياتها الأولى نصف قرن أو أقل . فحتى نشوب الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك عشائر علمية أو تكنولوجية تذكر إلا في قطرين أو ثلاثة في المشرق العربي . وحتى على الصعيد السياسي كانت الأقطار العربية كلها تقريبا تعاني وطأة الاستعمار بصورة أو بأخرى ، ولا شك أن إعلان قيام جامعة الدول العربية ، وتصاعد حركات التحرير ، وحصول الأقطار العربية تباعا على نوع ما من الاستقلال السياسي ، كل هذه العوامل قد أكدت مفهوم الوحدة العربية ووطدت دعائمه في وعي شعوب المنطقة ، في الوقت الذى نمت فيه العشائر العلمية - التكنولوجية واكتسبت قياداتها مكانة معترفا بها في كثير من الأقطار العربية من خلال مشاركتها المرموقة في حركات التحرير ، ثم في إدارة شئون البلاد .

والمشاهد أن العشائر العلمية ـ التقنية العربية كانت سباقة للتواصل والتعاون . ولقد شهد الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات نشأة العديد من الاتحادات العلمية ـ التقنية العربية واتساع دائرة نشاطها ، وإن اقتصر هذا النشاط لعدة سنوات على المشرق العربي وحده ، فلقد كان المغرب العربي ما زال يخوض في تلك الأونة معاركه الضارية مع الاستعمار الفرنسي ، والتي كان آخرها انتصار حركة التحرير الجزائرية التاريخي . وسوف يذكر التاريخ لحفنة من الرواد الأول من العلماء والتكنولوجيين العرب عزمهم ودأبهم في هذا المجال ، وسيزداد التقدير لانجازاتهم إذا ما تذكرنا أنها قد تحققت دون أية معونة تذكر من الحكومات العربية ، بل إنها قد تعرضت للمقاومة الصريحة والخفية في عدة مناسبات .

ولقد جمعت منطلقات هذه الجهود الرائدة بين الوعي القومي والايمان بالوحدة العربية ، وبين نزعات مهنية كان أبرزها تأكيد شخصية العشيرة العلمية أو التقنية داخل مجتمعها القطرى ، والدفاع عن مصالحها في إطار شبه نقابي ، إلي جانب اهتمامها بالمشاركة في تطوير مجتمعاتها ، وتقديم خدمات محدودة في مجالات تخصصها فيما نسميه جهود التنمية .

ومع أن هذا كان الرافد الرئيسي في نهر العمل الشعبي العلمي المشترك ، إلا أننا نستطيع أن نميز رافدين آخرين كان لهما شأنهما ولا شك ، وإن وقعا وسطا بين العمل الشعبي والنشاط الحكومي . فلقد شهدت فترة ما بعد الحرب حركة الاستعانة بالأفراد العلميين من الأقطار التي هيأت لها ظروفها التاريخية قاعدة سكانية عريضة ونظاما تعليميا أكثر تطورا في مجال بناء قدراتها الذاتية في مجالات العمل العلمي التقني ، وذلك في الأقطار الأخرى الأخذة بسبيل تنمية مجتمعاتها وكوادرها المتخصصة ، وبالذات في مجالات التعليم العالي وتطوير المرافق العامة والبنى الأساسية والخدمات الاجتماعية (كالتعليم والصحة) ، ثم في الصناعة والزراعة . ولم يكن الحافز المادى سببا رئيسيا في بداية هذه الحركة . ولعلنا لا نكون مخطئين إذا ما رأينا فيه مظاهر نزعة مستمرة بين العشائر العلمية ـ التقنية العربية للتواصل والتعاون وتبادل الخبرات . ولقد تعاظم دفق هذا الرافد مع تسارع جهود التنمية في شبه الجزيرة العربية والخليج بالذات في السنوات الأخيرة . وغدا واضحا أن توفر ظروف أفضل للعمل ، وحوافز مادية غير متاحة في دول المنبع ، والمضايقات السياسية التي تعرضت لها بعض الفئات في أوطانها قد غدت اليوم العوامل المسيطرة على هذه الحركة التي تشغل الآن بال دول المنبع والمصب على حد سواء ، وإن اختلفت أسباب هذا الاهتمام ودوافعه .

الرافد الثاني الذي كان له في تقديرنا دوره المحسوس ـ وإن نضب معينه الآن ـ هو دور الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية في عقد تسعة مؤتمرات علمية عربية ، عالج كل واحد منها موضوعا شغل أذهان العشائر العلمية ـ العربية وقتئذ . فسرعان ما أصبحت هذه المؤتمرات حدثا هاما تتطلع إليه هذه العشائر وتحرص على الاسهام في إعداده وعلى المشاركة المؤثرة فيه ، إذ وجدت فيه منبرا يعبر من فوقه قادة هذه العشائر عن تصوراتهم بشأن مشاكل العمل القطرى والقومي . ولا شك أن الاعداد الجيد لهذه المؤتمرات ، والذى كانت الادارة الثقافية تحرص على أن يشترك فيه أفراد من كل الأقطار العربية ، وجو الحرية في النقاش والمداولات ، كانت أسبابا رئيسية في نجاح هذه المؤتمرات . وكانت البحوث التي تقدم لهذه المؤتمرات ، والتوصيات التي تخرج عنها تصدر فيما بعد في مجلدات ، تظل التنظيمات العلمية ـ التقنية تتداولها وترجع إليها وتجد فيها زادا قيما في ترشيد عملها . واكتسبت توصيات هذه المؤتمرات أهمية معينة اعتبرت بموجبها سبيلا لاثارة اهتمام الحكومات العربية بقضايا العلم والتقنية . ولقد عقد المؤتمر التاسع والأخير عام ١٩٦٩ في القاهرة . وكان السبب في هذا التوقف هو قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع السبعينيات ، واندماج الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فيها . ولقد ارتأت المنظمة بحكم كونها منظمة حكومية أن تبدأ سلسلة من المؤتمرات لوزراء العلم ورؤساء أجهزة البحث العلمي العربية . وتم عقد المؤتمر

الأول في بغداد عام ١٩٧٤ . ومن الأمور التي لا مفر من التذكير بها هنا ، هو أن سلسلة مؤتمرات وزراء العلم العرب هي الوحيدة من بين المؤتمرات الوزارية العربية المتخصصة التي توقفت بعد عقد المؤتمر الأول وحتى الآن . ومن إحقاق الحق أيضا أن ننوه بتنظيم مكتب العلوم والتكنولوجيا بالأمانة العامة للجامعة لعدد من اللقاءات المتخصصة الرائدة ، لعل من أهمها الندوة العلمية العربية في موضوع التلوث البيئي عام ١٩٧٢ (وهو عام انعقاد مؤتمر ستوكهولم عن البيئة) ومتابعته لتوصيات المؤتمر العربي الأول للثروة المائية وعلوم البحار الذى نظمته الجامعة عام ١٩٦٨ .

ويقودنا هذا مباشرة إلى النظر في البدايات التاريخية للعمل المشترك على المستوى الحكومي . وطبيعي أن يكون لجامعة الدول العربية دور رائد في هذا المستوى . وكانت قد نشأت في الأمانة العامة للجامعة ، بعد أن تجاوزت الأعوام الأولى من حياتها ، إدارات متخصصة قامت إلى جانب الجهاز السياسي فيها . ويعنينا منها هنا الادارة الثقافية التي كانت أقرب ما تكون إلى مجال العلوم والتقنية ، وإدارة البترول التي كان قيامها داخل الأمانة العامة انعكاسا طبيعيا لأهمية النفط في اقتصاديات عدد غير قليل من الدول العربية . وقد شغلت ببعض القضايا العلمية - التقنية في مجال تخصصها . وقرب نهاية الستينيات أنشىء مكتب للعلوم والتقنية ألحق بمكتب الأمين العام ، وانتقل إليه القدر الأكبر من اهتمامات الادارة الثقافية في هذا المجال ، وإن ظلت العلاقة بينهما داخل الأمانة العامة غير واضحة المعالم .

وحوالي هذا الوقت أيضا بدأت حركة إنشاء المنظمات العربية المتخصصة على نسق مماثل لما كان يجرى في الأمم المتحدة . ففي عام ١٩٦٩ أنشأ مركز التنمية الصناعية للدول العربية (إيدكاس) كجهاز متخصص في هذا المجال داخل الأمانة العامة . وجاء هذا بعد عامين تقريبا من تحويل مكتب التنمية الصناعية في أمانة الأمم المتحدة إلى منظمة متخصصة . ويلاحظ أن المركز العربي ، وان تشابه تنظيمه الداخلي مع التنظيم الداخلي للمنظمة الدولية ، قد اختلف تنظيم مجلسه الرئاسي عن التنظيم الدولي ، إذ اكتفى بمجلس إدارة يضم عضوا ممثلا عن كل دولة مشاركة . وسمّت كل دولة مندوبا من مواطنيها العاملين في هذا المجال ليكون نقطة الاتصال بين المركز وبين دولته . واستطاع مركز التنمية الصناعية بفضل القيادة المحنكة والجسورة لمديره العام الأول ، والذي قضى نحبه بعد أقل من عامين من نشأة المركز وهو منكب على عمله فيه ، أن يفرض نفسه كجهاز فعال ومفيد في التنمية الصناعية . ولقد اضطلع المركز خلال أشهر معدودات من نشأته المتواضعة في غرفتين في مبنى الأمانة العامة ، بمشروعات طموحة للمسح الصناعي والتدريب المتخصص ورفع الانتاجية والكفاءة الادارية في عدد غير قليل من الدول الأعضاء في المشرق والمغرب على سواء .

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) والتي أعدت الادارة الثقافية مشروع تنظيمها وميثاقها فقد ظلت لعدة سنوات حلما ينتظر التحقيق عند توقيع عدد كاف من الدول الأعضاء على ميثاقها ، الأمر الذى لم يتحقق إلا في بداية السبعينيات . وجاء نظامها صورة طبق الأصل لمنظمة اليونسكو الدولية ، إذ كان لها مؤتمر عام ينعقد كل سنتين ومجلس تنفيذى يجتمع كل ستة أشهر ، ومع أن الظروف الموضوعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والمناخ الفكرى السائد آنئذ واللذين نتج عنهما الجمع بين أشتات الثقافة والتربية والعلوم في إطار واحد لم تعد قائمة ، لا دوليا ولا عربيا ، في مطلع السبعينيات عندما نشأت المنظمة العربية . والواقع أن المنظمة بوضعها الحالي تكاد أن تكون ثلاث منظمات منفصلة لكل منها توجهاته واهتماماته ، ولا يجمع بينها موضوعيا في أعمال كل جناح من أجنحتها الثلاثة قاسم مشترك تخصصي واضح . إلا أن الاهتمام بشأن هذه المنظمة الجديدة نما بسرعة ملفتة وتضاعف نشاطها وحجم موازنتها وعدد العاملين فيها بسرعة خلال سنوات معدودات . وأخذت المنظمة الجديدة على عاتقها مسئولية عقد أول مؤتمر عربي لوزراء العلم والمسئولين عن البحث العلمي في بغداد عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه جمع غفير من العلميين والمسئولين الحكوميين وخرجت عنه توصيات شاملة تطرقت إلى العديد من

قضايا العلم والتقنية ودورهما في تنمية المجتمعات العربية . ثم تصادف موعد عقد المؤتمر الثاني مع موعد انعقاد المؤتمر العربي في سلسلة مؤتمرات نظمتها اليونسكو في مناطق العالم للوزراء المسئولين عن العلم والتقنية وتطبيقهما في التنمية . واتفقت المنظمتان على الاشتراك سويا ومع اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا في عقد مؤتمر « كاستعرب » الأول في الرباط عام ١٩٧٦ . وسيطرت المنظمة الدولية بأسلوب ديكتاتورى ، وبفضل إمكاناتها الكبرى ، على مراحل الاعداد وعلى سير أعمال المؤتمر واستطاعت بتدخل سافر ومباشر أن تنتزع من الوزراء العرب قرارا بأن يتحول هذا المؤتمر إلى مؤتمر دورى تدعو إليه وتنظمه اليوسكو بالتعاون مع المنظمة العربية . وكانت هذه نقطة تحول خطيرة في مسيرة العمل العلمي العربي المشترك وفي تطور العلاقات بين المنظمات والهيئات العربية وتلك الدولية .

وفي عام ١٩٧٤ ظهرت الدعوة لانشاء اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، ولقيت اهتماما وتدعيما من حكومة الجمهورية العراقية بالذات التي قدمت للاتحاد الوليد تسهيلات هامة ساعدت وسارعت بقيامه عام ١٩٧٦ . واستطاع الاتحاد بعد بداية لم تخل من التعثر أن يصوغ عددا من البرامج وأن يباشر تنفيذها . وأنشأ علاقات عمل ، شابها التوتر والتداخل أحيانا مع المنظمات القائمة ، واتسع نطاقها مع مرور الزمن ، كما استطاع أن ينشىء علاقات عمل مع هيئات علمية في بعض الدول الصناعية والنامية ومع المنظمات الدولية . ويتكون الاتحاد من مجالس أو هيئات البحث العلمي في الدول الأعضاء . وللمجلس أو الهيئة العضو صفة مزدوجة ، إذ أنه يعتبر أيضا ممثلا للدولة التي يعمل فيها . وجاء تنظيم الاتحاد ، على عكس الكثير من المنظمات الحكومية المتخصصة التي تحاكي نظيراتها الدولية ، متميزا بسمات خاصة به ، ولا يحاكي دون مبرر تنظيما دوليا آخر ، ولو أن الصيغة التنظيمية التي تميز بها ونشأته خارج أسرة منظمات الجامعة العربية قد نتجت عنها بعض المشاكل في تنسيق علاقته معها ، خصوصا في السنوات الأولى لنشأته . ولقد لقي الاتحاد في بداية عمله صعوبة في إيجاد مكان له بين المنظمات العربية القائمة من قبل . وزاد من حدة الموقف أن الأمانة العامة في أول اجتماع لمجلس الاتحاد ، دعت بعض هذه المنظمات إلى التخلي عن برامج معينة لصالح الاتحاد . ولكن الاتحاد انصرف بعد هذا إلى نشاطات أخرى مكملة لنشاطات المنظمات العربية الأخرى وأكثر التصاقا باهتمامات أجهزة البحث العلمي العربية . ويبدو الاتحاد اليوم ، وبعد أن استكمل المقومات الأساسية لكيانه ، وكأنه مقبل على مرحلة الاتقان والتجويد . وهو يبدو الآن حريصا على الوصول إلى تحديد دقيق للمهام التي يجب أن يتصدى لها تحقيقا لأهدافه .

العمل العربي المشترك والعلاقات الدولية

قضية أثر العلاقات الدولية في العمل العلمي العربي عموما قضية لم تلق ما تستحقه من الاهتمام حتى الآن . ولعلنا لا نبالغ إن زعمنا أنها في جوهرها وجه آخر لقضية التبعية والعلاقات غير المتكافئة . ونستطيع أن نميز هنا بين مجموعتين رئيسيتين من العلاقات ، الأولى العلاقات مع المنظمات الدولية ، والثانية مع المنظمات الاقليمية والدول . ونجد في كل من هاتين المجموعتين طيفا من العلاقات يتفاوت من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر . ولكننا نستطيع مع ذلك أن نميز بعض الملامح .

لقد لاحظنا قبلا النزعة التي تميزت بها المنطقة العربية وحدها في محاكاة الأشكال التنظيمية لهيئات الأمم المتحدة عندما شرعت في إنشاء المنظمات العربية وعدم الالتفات إلى تجارب مناطق أخرى مثل أمريكا اللاتينية التي اهتمت بقيام منظماتها الاقليمية في نفس الوقت تقريبا . ولسنا بحاجة أن نشير إلى أن الاطار التنظيمي لعدد يزيد على مائة دولة ، متنوعة الحضارات والثقافات واللغات والنظم السياسية ، ليس بالضرورة أفضل نظام لحوالي عشرين دولة نرى أنها تجمعها وحدة الثقافة واللغة والهدف . وتعنينا هنا دلالة هذا الأمر على موقف الاستسلام بأن لدى هذه المنظمات الدولية معينا من الحكمة يجعلها نموذجا يحتذى ويدفع المنظمات العربية لمحاولة تقليدها .

ولقد غذت هذا الموقف نزعة غير صحيحة تقتضينا الأمانة أن نشير إليها بشجاعة من منطلق الاحساس بالمسئولية . فلقد عمدت هذه المنظمات إلى أسلوب احتواء العناصر القيادية بإغراءات المزايا المادية والمعنوية التي تملك توزيعها ، وباضفاء هالة زائفة على إمكانات هذه المنظمات وحجم إنجازاتها وأهمية أعمالها . ولسنا نزعم أن الكل قد انقاد لهذا الاغراء أو أن العرب الذين التحقوا بالعمل بهذه المنظمات أو تعاونوا كانوا كلهم أدوات سهلة التوجيه . ولكننا لا نملك ، في الوقت نفسه ، إلا أن نواجه وجود شيء من هذا وأن ننظر في أسبابه وسبل تصحيحه

ولم تكن كل المنظمات الدولية على علاقات عمل صحيه مع المنظمات العربية تقدر الأولوية التي توليها لمشاكلنا ومواقفنا القومية فلقد رأت بعض هذه المنظمات الدولية في الهيئات العربية منافسا لها يغتصب قدرا من المكانة التي تريد أن تنفرد بها على الساحة العربية ، فنشأت بينها صراعات حادة ومدمرة أحيانا . ولقد وقفت الحكومات العربية مواقف غير حاسمة في هذه الصراعات ولم تكن راغبة - على الأقل حتى الان - في تأكيد شخصية منظماتنا العربية ، وتدعيم مكانتها وقد يكون لها بعض العذر في هذا ، فمنظماتنا لم تثبت كلها كفاءة الأداء والفاعلية التي تؤهلها للدور الذى نريده لها . والملاحظ أن المنظمات العربية التي حققت هذه المكانة استطاعت أن تتعامل من موقف قريب من موقف التكافؤ والنِّدِّيَّة مع نظيراتها الدولية .

أما علاقات العمل العربي المشترك مع التنظيمات الاقليمية ، فأهمها في نظرنا هو ما دار بعد حرب أكتوبر في إطار الحوار العربي الأوروبي . ونقصر النظر هنا على اللجان المرتبطة بالعلم والتقنية ، فنلاحظ أن الموقف العربي اتسم بالعفوية في هذه اللجان وبعدم الاعداد الجيد له وبتغير الشخصيات العربية المشاركة فيه إلى الحد الذى لم يحقق موقفا عربيا متناسقا أو مطردا . وحتى وقت قريب جدا لم يهتم العرب عموما بالعلاقات بالعالم الثالث أو النامي ، ولم ينشطوا بشكل ملحوظ مثلا في النشاطات التخصصية لمجموعة دول عدم الانحياز ، ولم يحاولوا إقامة علاقات مع دول أمريكا اللاتينية أو جنوبي شرق آسيا في مجالات العلم والتقنية . وقد نستثنى من هذا شيئا من الاهتمام ، الذى كان في غالبه فرديا ، بإقامة جسور مع الدول الأفريقية ومنظماتها المتخصصة .

وقد لا يكون من التعسف أن نقرر بشكل عام أن الهدف من إقامة علاقات دولية ما زال غامضا غير مبرمج ، وأن السمة الغالبة عليه حتى الآن هي إبراز دور عربي ما على الأصعدة الدولية من خلال هذه العلاقات الشكلية ، والحضور الدائم في المناسبات والاجتماعات وإنشاء قنوات للتعرف على التطورات العالمية ومتابعتها .

ثم ماذا عن المستقبل ؟

القضية في الواقع العربي ليست بهذه البساطة . فالأقطار العربية تتفاوت كثيرا في أوضاعها الراهنة وفي ثرواتها الطبيعية ، وقدراتها البشرية ، ومراحل تطورها ، وواقع مسيرة التنمية فيها وما يصلح لقطر عامر بالسكان تهيأ له نظام تعليمي عريق وعريض لا يصلح لقطر آخر وهبه الله من الثروات الطبيعية الخير الكثير وإن قل عدد سكانه ، أو لثالث يعاني من نقص فادح في الموارد ، وقصور في الهياكل الأساسية . وهذا أحد المبررات الأساسية للعمل المشترك في إطار مخطط قومي شامل ، وإنما من خلال برامج تجمع بين عدد من الأقطار التي يحقق اشتراكها معا جدوى ملموسة وتقف وراءه إرادة سياسية قوية . وما زالت مسألة الربط بين مستويات العمل القطرية والجهويَّة والقومية غير واضحة المعالم وغير مدروسة بتمعن وموضوعية .

- وإذا ما كان العمل المشترك لا يقوم إلا على دعائم راسخة من العمل القطرى ، فإن المسار الثاني الذى لم نسلكه بإصرار وعزم حتى الآن هو رسوخ القناعة على كل المستويات بأن للعلم دورا في تحقيق نهضة الأمة العربية وإقالتها من كبوتها . ونحن لا نتحدث هنا عن شعارات يطلقها الساسة والقادة في المناسبات معلنين إيمانهم بأهمية العلم ، وإنما نعني أفعالا تعكس قناعة حقيقية بهذا المنطلق . ولا مجال هنا لترديد ما نعرفه جميعا من قصور في الانفاق على العمل العلمي وتعجل لعطائه وضيق بمتطلباته . □



باعثة على الاطمئنان فيها ، كما كانوا يصادفون على امتداد طريقهم المتجارة والحج أماكن الايواء والراحة داخل المدن وخارجها ، كما استضافتهم المؤسسات الدينية ، كالمساجد والروايا والربط والخانقاوات وخصوصا رجال الدين منهم

ومن الحجاج والرحالة المغاربة الذين حرصوا على تدوين مشاهداتهم في البلاد التي زاروها ، نذكر على سبيل المثال ثلاثة هم : ابن جبير ، وابن بطوطة ، والبلوي المغربي

ابن بطوطة ورحلاته الثلاث :

اس بطوطة ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي،ولد في طنجة سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) ، أي في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر للميلاد . وقد قام بثلاث رحلات جاب فيها عديدا من بلاد العالم القديم بقاراته الثلاث ، افريقية وآسيا وأوروبا . ولاشك أن أهم هذه الرحلات كانت رحلته الاولى التي بدأها سنة

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاما

مؤسسات التعاون العربي الأفريقي

ملاحظات أساسية

بقلم : حلمي شعراوي

اذا لم يسلم القارىء ببعض الأوليات حول حتمية وجود حد أدنى « للتعاون العربي ـ العربي » أو «بالضرورة التاريخية» لقيام « المؤسسات العربية المشتركة على الأرض العربية » أولا ، فان تردده أمام هذه « المسلمات » سوف يوقعه في حالة من الاحباط ويمنعه من الاستمرار في مطالعة هذا المقال ، وخصوصا وأن تأمل الموقف على الجانب الافريقي بدوره لايقل اغراء بالاحباط .

لو أن ما يقوم من مشكلات يرجع الى صعوبات التفاهم بين ٦٤ دولة عربية وافريقية هي مجموع دول القارة والوطن العربي ـ أو أن هؤلاء جميعا لم تجمعهم أية مواثيق مشتركة أو ساحات وهموم وثقافات موحدة بطبعها ، لتركت القارىء لانفعالاته ضد منطق التوقع لما لا ينتظر ، أو احباطه لنتائج الفوضى المتوقعة في العلاقات لكن القارىء الذكي لن يطلق مشاعره لمثل هذه التوجهات في التفكير ، وهو يرى أمامه هذه المؤسسات الجامعة على المستوى العربي والافريقي ـ معا وعلى حدة ـ بل يرى المجموعتين في حراك دائم ، وسط تجمع آخر لعدم الانحياز وثالث للدول النامية ، ورابع لمنتجي البترول والمواد الخام ، وخامس في الجامعة الدولية للامم المتحدة . . . .

ومعنى ذلك أنه يتوفر للمجموعة العربية والافريقية من الساحات لتحقيق أوزانها ما لايتوفر لأية مجموعة اخرى غير الاوروبية ـ نقيضنا التاريخي حاليا ـ وان تنسيق التعاون بين العرب والافارقة خصوصا فيما

نسمية « بمأسسة » العلاقات بينهما على النحو الـذي تم - نسبيا - يعتبر كسبا خاصا وسط هذه التجمعات الـدولية ، وهـذا ما يضـاعف من عبء التأمـل فيه والمحاسبة على نتائجه . .

البدايات

لم تكن الاحداث بين عامي ١٩٧٧/٧٣ اذن في حياة العلاقات العربية الافريقية مجرد أحداث عارضة أو غير ذات دلالات مستقبلية فقد توجت بـاجتماع رؤساء الدول العربية والافريقية بالقاهرة في مارس ١٩٧٧ ليضعوا مواثيق التعـاون الاربعة الشهيـرة ، ويعلنوا الالتزام « الجماعي » بمخططات وبرامج متفق عليها ، ويؤكدوا أدوار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في تنسيق هذا العمل ، تسندهما لجنة دائمة للتعاون العربي الافريقي من ٢٤ دولة (١٢ عن كل طرف) ويقسمون مجالات العمل على ٥ لجـان فرعية ، ويحـددون جدولا زمنيـا لاجتماع كـل هده الهيئات من قمة الرؤساء (كل ٣ سنوات) الى قاعدة اللجان (كل ستة شهور) . . .

واستبشر الجميع خيرا . . .

فها هي أموال البترول وقد استقرت مجاريها في يد العرب وعدد من الدول الافريقية أيضا . . وها هي بعض الدول العربية والافريقية ذات طاقات تنفيذية لايستهان بها

وها هي مجالات العمل بين ٦٤ دولة تزخر بالايدي العـاملة ، والمـواد الخـام ، والمسـاحـات الـزراعيـة الشاسعة ، ثم تأتي أخيرا مـرحلة « المأسسـة » لكل ذلك ، باقامة هياكل ومؤسسـات تضمن ضبط كل هذه الأطر وفق مواثيق ١٩٧٧

فكيف مضت الامور ؟ وأين نجد أنفسنا من كل ذلك بعد ثماني سنوات خلت ؟

وماهي حدود مسئولية « المؤسسة الرئيسية » . . . جامعة الدول العربية ؟

لن أمضي هنا كثيرا في تفاصيل عالجتها كثرة من الكتابات والدراسات حول « الأموال » كيف صرفت أو الاجهـزة كيف صُرِّفت ؟ ولكن ونحن بصـدد الجانب « المؤسسي » للموضوع ، فاننا سنركـز على بعض هذه المؤسسات التي كنا نتوقع أن تجعل التعاون بين « كتلتي » العرب والافـارقة - بمـا توفـر لهما من ظروف - مثلا يحتـذى فيما يسمى بحوار الجنوب / الجنوب ، او الحوار الثنائي الخاص وسط محـاولات « العالم الثالث» المقهور للتحرر من السيطرة المركزية المعروضة عليه . . .

وهنا تقفز أسماء هيئات أساسية في التعـاون مثل « الامانة العامة لجامعة الدول العربية » ومقابلها في منظمة الوحدة الافريقية ،« والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا »«وصندوق المعونة الفنية للدول العربية والافـريقية »« وجهاز التعاون الـدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية » بالمنظمة العربية للتربيـة والثقـافة والعلوم ، الى جـانب المنظمـات العـربيـة المتخصصة الاخرى . . . وهي التي تعتبر المؤسسـات الفـاعلة للجان الـدائمة والفنيـة والاجهـزة المنفـذة للتوصيات والقرارات . . . « الجماعية » . . .

النقد من الداخل

أمانة جامعة الـدول العربيـة : لابد أن يـلاحظ القـارىء أنها حـامعـة « الـدول » العـربيـة وليست « الحامعة العربية » ويقـدر أثر « النـزوع القطري » المبكر في أسس قيام هذه المؤسسة

ومعنى ذلك أنها ليست ذات سلطة او امكانيـات « فوقية » تمكنها من عمل جمـاعي يتجاوز « افـراد » الجامعة ، فهي لاتدعو لجنة لايوافق عليها « جميع » الاعضـاء ، ولا تنفـذ مشـروعـا لايلقي تـأييـدهم « جميعا » !

ولم يمض وقت طـويل عـلى تطلع هـذه المؤسسة للقيام بدورها بعد القرارات « الجماعية » في مارس ١٩٧٧ حتى تفجرت مسألة كامب ديفيـد فاستحـال عقد لجنة التنسيق واللجنة الدائمـة للتعاون العـربي الافريقي فيما بين ١٩٧٩ و ١٩٨٢ ، وسـاعـد تفجر مسائل « الصحراء الغربية » « تشاد » - اي النزاعات العـربية / العـربية عـلى استمرار الجمـود ثم كانت « أفـرقة » هـذه النزاعـات جميعا بمـا جعل الافـارقة يصرخون في كل مكان أن العرب يصدرون مشاكلهم للقارة التي لاتنقصها المشاكل !

ويحضرني هنا تحـذير بعض علماء التـربية من أن « المقهور » يظل يتمثل سلوك قاهره حتى يتبناه تماما ،

تابعا ومحررا ورغم اننا لانتمى حدوث ذلك بالطبع فاننا نـدهش أننا لانتمثـل من السلوك الاوروبي الا الرغبة في الرفاهية واستهلاك « معـداته » دون تمثـل « أدواته » في السيطرة على بيئاته وادارة مصالحه .

وتـظل « ادارة السوق الاوربيـة المشتركـة » مثلا ناصعا لنا جميعا رغمَ الاختـلافات بـين أعضائهـا . ورغم غرامنا باستيراد المعدات والحديث الدعائي عن « استيراد » الافكار فاننا لم « نستورد » ما ينفـع من ادارة المصـالح المشتـركة في مجـال هام مثـل التعاون العربي الافريقي .

ولم نـدرس مثال « شيسـون » حين اختلف معـه الرئيس ميتران كوزير لخارجيته فاعاده لادارة التعاون الاوروبي مـع العـالم الثـالث . . تخصصـه المفضـل والناجح !

الظروف الضبابية

في هذه الظروف من الضبابية العربية بدلت أمانة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية أقصى جهدهما لانقاذ ما يمكن انقاذه من آثار التشرذم العربي والافـريقي . وحين كنت اراقب اجتمـاعـات لجنـة التنسيق بالخرطوم في مارس ١٩٨١ ، وهي لاتضم الا رئيسى الجانب العربي والافريقي في اللجنة الدائمة مـع الامينين العـامين للمـنـظمتـين وبعض رؤسـاء المنظمات المتخصصة ، كنت اشفق تماما على أمانتى المنظمتين وتوقعاتهما في جو لايستطيعان فيه جمع اللجنة الدائمة بسبب عضـوية مصـر فيها ، ثم مـا أصاب منـظمة الـوحـدة نفسهـا بسبب مشكلتي الاعتـراف بالجمهوريـة الصحـراويـة وتشاد لكن هـاهي الايام تمضي فتؤسس الامانتان علاقاتها الثنائية باتفاقيات التعـاون ، وصياغـة اتفاقيـات مقـاطعـة الـنـظامـين العنصـريين في فلسـطين وجنوب افـريقيا ، وتنسيق اتفاقيات المنظمات العـربية المتخصصـة مع منـظمة الوحدة الافـريقية ، مثـل المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافة والعلوم ومنظمة العمل . . . الخ

وتنجح الامانتان في عقد اللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي لثلاث مرات بعد عام ١٩٨٢ كـما تمضي العلاقات المباشرة بين الامانتين بشكل مطرد . لكن ايـة اتفاقـات لاتستطيـع الا أن تبقى في الحيز المعنـوي للعـلاقـات والتعبـير عن الـطمـوحـات « الجماعية » وهيكلة مؤسسـات التعاون واعـدادها للمستقبل واما الواقع فيمضي بعيدا عن ذلك ، فلا الامانتان هما مجموع الـدول الاعضاء ، ولا القـرار السياسي في المجموعتين أصبح جماعيا في حدوده الدنيا وكامب ديفيد العربية تكاد تستقر في الواقع العـربي مثيرة المزيد من الانقسامات ، يقابلها كامب ديفيـد افريقية في الجنوب الافريقي . ولعـل كل ذلـك هو الذي أدى مؤخرا لشكل جديد يصيب عمل الامانتين اللتين ترقبان دفعة جديدة باجتماع المجلس الوزاري المشتـرك للمنظمـة الافريقيـة والجامعـة العـربيـة في طرابلس ابريل ١٩٨٥ واذ بالاجتماع يؤجل الى أجل غـير مسمى بسبب ضـرورة حضـور الجمهـوريـة الصحراوية مع الجانب الافريقي على الاقـل ، وهو حضور مرفوض من قبل عدد من الدول العربية . . من هنا وبدون اجتماع مجالس التصديق النهائي على هذا النحو فانه يتوقع شلل كبير في عمل الامانتين . فما هو دور المؤسسـات الاخرى ، على المستوى الجماعي والذي يتوقع أن تمضي بها الامور متجاوزة العقبات « الفردية » بين الدول الاعضاء ؟

المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيـا : يبدو من اسمه انه ليس مشروعا عربيا افريقيا مشتركا وانما هو « مصـرف عربي » للتنميـة » الاقتصاديـة » موجه لافريقيا ، وترجع اسباب ذلك الى نزوع بعض الدول العربيـة الغنية لضمـان تصريف أموالها من جهـة ، ونـزوع بعض الـدول الافـريقيـة الغنيـة (نيجيريا ـ الجابون مثلا) الى عدم الرغبة في المشاركة بأموالها خلال موجة تحميل البترول العربي وحده كل مسئولية الازمة الاقتصادية في العالم الثالث على نحو ما أرادت ذلك الحملة الدعائية في السبعينيات . بل وقد كانت بعض الدول العربية تدفع فكرة « الصب » في « بنك التنميـة الافريقي » بـابيدجـان وحده ، لترضية الافارقة وليس صياغة لعمـل عربي افـريقي تنموي مشترك .

والمصرف العربي الذي يعتبر عملا « اقتصـاديـا » ناجحا وبحق ، والذي يبلغ رأسماله حوالي ٨٠٠ مليون دولار ، وأصبـح يسهم في أكـثر من ٨٠ مشـروعـا اقتصاديا افريقيا ، لايستطيع وحده أن يكون نقـطة

انطلاق رئيسية في تقييم التعاون الاقتصادي العربي لافريقي . .

ان القارة الافريقية التي تعاني من خطة رأسمالية عالية لخفض أسعار المواد الخام بينما التزايد فلكيا في أسعار المواد المصنعة . . قد وصلت فيها عملية التنمية الى طريق شبه مسدود . فالديون على الدول النامية أصبحت تزيد على ٤٥٠ مليار دولار وسداد الديون نفسه يحتاج الى أكثر من مائة مليار في العام . . .

ويكفي لتصور « الظلم العالمي » أن تعرف أن العجز في ميران مدفوعات الدول الغربية مجتمعة حين وصل الى ٥٠ مليارا عام ١٩٨٠ اتخذت من الاجراءات الحمائية ضد وارداتها من العالم الثالث ما جعل العجز ينخفض مباشرة في العام التالي الى ٣١ مليارا بينما يرتفع العجز في دول العالم الثالث من ٥٣ مليارا ١٩٧٠ الى ٤٦١ مليارا عام ١٩٨٠ ، ومع ذلك تلهث دول العالم الثالث « لتنطيم » علاقتها بالدول الغربية في ذلك الاتفاق المجحف المسمى باتفاقية « لومي » فقط لتنظيم الاجحاف . . . !

من هنا فانه بدون نظرة تنموية حقيقية في العالم العربي وافريقيا ، فانه لايجدي اقامة مصرف لاغراض اقتصادية بحتة ، حتى لو كان هو بيت الخبرة العربية المطمة على نحو ما يبدو فعلا .

سيولة عربية لافريقيا

ان « المصرف » يملك أية أداة تنسيقية لسيولة حوالي ٨ مليارات دولار عربية اتجهت لافريقيا في السنوات الثماني الماضية عبر قنوات معظمها « دولية » وقليلها محلي ، والمصرف لا يملك نفوذا يستثمر به خبرته المتراكمة كاحدى مؤسسات التعاون العربي الافريقي ليورع الاموال العربية توزيعا عادلا ، فلا تتمركز في مراكز النفوذ الامريكية والفرنسية على نحو ما حصلت عليه زائير والسنغال وغينيا بعد توجهها الجديد فى عهد توري ومالي،حيث حصلت كل منها على حوالي نصف مليار دولار من القروض والمساعدات ، وهي لاتتحكم في وسائل استثمارها والمصرف نفسه ـ وهو القائم على أساس اقتصادي ـ لاتنموي ـ (الربحية وتمويل التجارة) لايملك نظرة استقلالية تحمي المال العربي من الاستيعاب في الشركات «العالمية » ومتعددة الجنسية ، مقابل تنمية دور شركات وطنية قادرة أو تتدرب على القدرة ، مهما تحملت من خسائر ، فالمقصود « بمأسسة » التعاون العربي الافريقي ليس فقط زيادة استثمار الاموال ، وانما نمط وطني في دفع عملية التنمية ، ومع ذلك ، فالمصرف يقود حملة جذب رأس المال العربي لافريقيا وسط مخاوف غير مبررة كثيرا لدى هذا الراسمال الى حد أن مؤتمر المستثمرين العرب والافارقة لم يستطع الانعقاد حتى الان لاذابة مابين الطرفين من « جليد الخوف » ، كما وان تضاعف الازمة الاقتصادية والفساد السياسي في افريقيا لايساعد على خلق الثقة من جهة بل لا يساعد على توفير البنية المناسبة لاستثمار واسع على نحو مايتطلع اليه المال العربي من جهة اخرى . ولذا نقول ان بناء الثقة يحتاج لعمل سياسي معمق ـ شعبي وثقافي ـ وبناء البنية التحتية يحتاج لتوجه تنموي للتعاون اكثر من التوجه الاقتصادي السائد .

ولذا نكرر أن المسئولية مزدوجة على الجانب العربي والافريقي ، وانه آن أوان قيام المشروع المشترك الكبير الذي يبقى تاريخيا في ذهن الشعوب وعلى خريطة التنمية الحقيقية ، وليست أمثلة السد العالي وسد الفولتا ببعيدة .

ـ صندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية : هو أحد اجهزة الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهو ايضا من القصص الدرامية في واقع التعاون العربي الافريقي . . . فقد انشىء الصندوق بناء على قرار من القمة العربية بالرباط ١٩٧٤ ، وبرأسمال مقدر بحوالي ٢٥ مليون دولار على أن تعد ميزانيته ونفقاته السنوية بعد ذلك في حدود ٥ ملايين دولار سنويا ، وكان مقدرا أن يكتسب المشروع قوته من مصدر القرار وهو القمة العربية ، كما أنه قد قام على مبدأ « تقديم الخدمات الفنية والعلمية البشرية للدول الافريقية وسوف يكوّن مجال اتصال واسع على المستوى الانساني والاجتماعي بين العرب والافارقة » ، ومجالا لتوجيه العون دون طمع في الربحية او الظرفية . . .

المعونة الفنية والتعريب . . . والقومية

ولكن منذ البداية تجاهل الجانب العربي تأكيد هذه الروح ، فلم يتم تصور أي تكوين مشترك (عربي / افريقي) للصندوق ، وانما يديره الجانب العربي كادارة في الجامعة العربية من ممثلي « الممولين » كمجلس ادارة باكثر من ممثلي الكفاءات العربية وهيئات المعونة الفنية العربية المعروفة . ومنذ البداية شعر المسئولون العرب كأن مبلغ ٢٥ مليون دولار اكبر من ان يقتصر على افريقيا ، فأدرجوا فيه المساعدة الفنية للدول العربية التي تقوم بعملية التعريب كعون « فني » عربي في المجال وليس كقضية قومية تحتاج الى تمويل خاص اكثر من نصيبها مع ٤٠ دولة افريقية اخرى في مبلغ متواضع مثل راس مال الصندوق !

ومع ذلك لم يمض تمويل الصندوق وتشجيعه على الاستمرار بسهولة كأداة عربية في دفع الجانب الفني والاجتماعي للتعاون العربي الافريقي فسرعان ما تراكمت العقبات ولم تستطع مؤسسة الجامعة أن تدفع « المؤسسات » الاقتصادية الى مشاركتها هذا الهم . ومع أن مجلس الجامعة العربية هو الذي قرر في دورته ٦٧ لعام ١٩٧٧ بالقاهرة « بان تؤول فوائد صندوق الاقراض والبالغة ١٣,٣ مليون دولار الى صندوق المعونة الفنية ، وأن تعتبر كأنصبة اضافية دون ان تحتسب ضمن مساهمات الاعضاء في رأس المال الاصلي » الا أن هذا التقليد لم يتح تطبيقه من مؤسسة الجامعة بعد ذلك لاعلى أرباح المصرف العربي للتنمية في افريقيا ، ولا باقناع الدول العربية المانحة للقروض في افريقيا بتخصيص جز من ارباحها لمثل هذا الهدف الفني والاجتماعي .

أقول ذلك وتحت يدي التقرير الأخير للصندوق عن نشاطه حتى عام ١٩٨٤ ، والمفروض أن يقدم للقمة العربية المنتظرة حاليا مستصرخا المسئولين العرب بانقاذ هذا الكيان الذي يكاد يتوقف تماما كما سنرى بما سيشكل عيبا مشينا في وجه العرب جميعا على الساحة الافريقية . . فما الذي تصرخ به حقائق هذا التقرير :

* ان راس المال الاساسي (٢٥ مليون دولار) لم يدفع منه حتى عام ٨٤ الا مبلغ ١٤,٩ مليون دولار

* ان المساهمات الدورية التي قررت منذ انعقاد مجلس الجامعة في مقديشو ١٩٧٩ بمبلغ ٥ ملايين سنويا على مجموع الدول العربية لم يجمع منها حتى ١٩٨٤ وهي المقدرة بمبلغ ٣٠ مليون دولار ـ الا مبلغ ٤,٧ مليون دولار !

* لم ينقذ الصندوق الا حملة تبرعات في مؤتمر القمة بعمان سنة ١٩٨٠ جمعت مبلغ ٢٠ مليون دولار .

* ان مجموع ماكان يجب أن يكون في الصندوق كالتزامات باشكالها المختلفة على الدول العربية خلال السنوات الثماني هو ٩١ مليون دولار لم يسدد منها اجمالا الا ٥٢ مليون دولار جمد منها في القاهرة بعد نقل الجامعة الى تونس حوالي ١٧ مليون دولار ولم يصرف فعليا على المساعدات الفنية الا مبلغ ٣٦,٨ مليون دولار

ولن ازعج القارىء كثيرا بتفاصيل اخرى تقول ان أكثر من ٥٠٪ من هذه المبالغ وجهت لالتزامات ذات طابع عربي قومي أساسا ، وهي التعريب في الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجنوب السودان ، ان الباقي المحدود الموزع على اكثر من ٤٠ دولة افريقية خلال ثماني سنوات جعل حضور الفنيين العرب الموفدين من مؤسسات التعاون العربي الافريقي هزيلا الى درجة لم يزد فيها عدد الفنيين العرب في مجموع الدول الافريقية غير العربية في اية سنة عما يتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ خبيرا او مدرسا الى جانب بعض المنح التدريبية أما الارقام الاخرى فتخص معلمي العربية في الصومال وموريتانيا وجيبوتي او الأراضي الفلسطينية المحتلة .

أقول هذا وأمامي أيضا تقارير اخرى تتحدث عن الخبراء الاسرائيليين في افريقيا فترة انقطاع العلاقات المزعومة معها في السبعينيات حيث بلغوا حوالي أربعة الاف خبير منهم ٢٠٠٠ في نيجيريا و ٤٠٠ في زائير وحدهما . . . . !

اننا ـ وعلى الأقل مثل اسرائيل ـ ندرك الاهمية الحضارية لوجود الخبراء الوطنيين في البلاد الصديقة ، ووجود المتدرب الافريقي في بلادنا ، وندرك ان المشاريع الاقتصادية حتى بالمنطق الراسمالي وفي بلاد الراسمالية التي « نعتز » بالعلاقات معها ، حيث تمول المؤسسات الاقتصادية عمليات العون الفني والثقافي ، وتقدم المنح الدراسية وتمول الدراسات

والبحوث بما يعرفه اي مثقف وفني في بلادنا . والمشكلة الان أن صندوق المعونة الفنية يكاد يتوقف تماما منذ عام ١٩٨٤ بعد أن سحب العديد من الفنيين العرب في الدول الأفريقية ، واصبحت ميزانيته بالسالب أي أنه لايستطيع تمويل الا مرتبات جهازه الاداري . . وفي انتظار رحمة القمة العربية المنتظرة .

فهل يمكن أن نتوقع دعم عمل قومي مؤسسي بهذا المنطق ؟

نشر الثقافة العربية الاسلامية

ـ جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية والاسلامية . هو جهاز ملحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، احدى منظمات الجامعة العربية ، قام على أثر تصاعد الرغبة في دعم العلاقات الثقافية العربية الخارجية عامة ليس فقط مع افريقيا ولكن نغمة العمل في افريقيا تكاد تكون هي السائدة فيه استجابة لروح التعاون العربي الافريقي النامية . وكان المؤتمر الكبير الذي اقامته المنظمة في نوفمبر ١٩٨١ وجمع كبار المتخصصين والمفكرين العرب المتحمسين لفكرة « نشر الثقافة العربية بالخارج » هو نقطة الانطلاق في هذا العمل ، حيث توجه الجميع الى الدول العربية والاسلامية بالنداء لتمويل المشروع ودعمه وكان الاغراء لنجاح هذا المشروع هو حجم العلاقات الحضارية والدينية والثقافية الفعلي القائم مع العديد من شعوب افريقيا ، ومع الجاليات العربية بأفريقيا وامريكا اللاتينية واوربا ومع الشعوب الاسلامية في آسيا

ويزخر الواقع الافريقي بوجه خاص بعناصر الاغراء للتحرك في هذا المجال ، فثمة تراث ديني وحضاري ولغوي مشترك يبرر تنشيط هذه العلاقة ، وثمة غزو ثقافي استعماري يعمل على التأثير فيها بالسلب ضد العرب ، وثمة مؤسسات ثقافية ومجموعات من المثقفين القياديين راغبين في احياء هذه العلاقات ، سواء منهم من يتصرف وفق المنطق الديني البحت او من يتصرف وفق منطق علماني لمفهوم الثقافة العصرية كعنصر التقاء دينامي في حد ذاته من أجل التحرر الانساني المشترك . . .

وعلى الجانب العربي نجد نفس الاعتبارات والاتجاهات تقريبا تدعمها ظاهرة حيوية مثل التعاون العربي الافريقي ، وحاجة ملحة في الثقافة العربية تدفعها للحوار مع الثقافات الاخرى والانفكاك معا من ميراث التبعية الثقافية الثقيل للثقافات « العالمية » المهيمنة .

لكن كل هذه الاعتبارات لم تقنع الأجهزة العربية المسئولة بالمسارعة بتمويل المشروع فبدأ بعون من صلب ميزانية المنظمة العربية لجهازه الاداري والفني ، ثم وقعت اتفاقية بين المنظمة وليبيا ضمنت له بعض الحراك في السنوات الثلاث التالية في حدود مبلغ ٢,٥ مليون دولار . . فقط .

ان قصر العلاقات والحوارات الثقافية والحضارية والاقتصادية في اتجاه مؤسسات السيطرة الاوروبية القديمة على نحو مايتم لن يتيح للعرب فرصة بناء مستقبلهم في الحوار مع شعوب العالم الثالث،وتشير الازمة الاقتصادية والثقافية الحالية الى توقع موجة من الخضوع الكامل نعود معها جميعا الى « تمثل قيم القاهرين » على نطاق أوسع ـ وهو مالا نتمناه ،أو موجة من التحرر الوطني ، اقتصادية وثقافية نحتاج الى « تأسيسها » جيدا من الان عبر أجهزة عربية قائمة بالفعل ولاشك في أنها تعرف طريقها ، ولكننا نأسى لاوضاعها المالية الحالية التي لا تسمح لها باي دور □

حقيقة المال

يقول ابسن : المال يمنحنا مظاهر الاشياء دون جوهرها : انه يمنحنا الطعام لا الشهية ، والدواء لا الصحة ، والمعارف لا الاصدقاء ، والخدم لا المخلصين ، والمرح لا السعادة .

دفاع أبي حيان التوحيدي عن إحراقه لكتبه

لم ينصف الوزراء أبا حيان التوحيدى فكتب فى نقدهم ولم يجد فى الناس من يستحق قراءة كتبه فجمعها وأحرقها فى لحظة يأس واحباط شديدين ، فضاعت آثاره . لكن التاريخ حفظ لنا رسالة لابى حيان تتضمن دفاعه عن هذا الانتحار المعنوى .

بقلم : الدكتور جعفر هادى حسن

أبو حيان على بن محمد بن العباس مؤلف مشهور ، وكاتب معروف ، له باع طويل فى الادب والفلسفة والتصوف ، قال عنه ياقوت فى معجمه : « وكان متفننا فى جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام .. فهو شيخ فى الصوفية وفيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين ، وامام البلغاء . فرد الدنيا الذى لانظير له ، ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم . فى كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية »

بين الثقافة والوزارة

ولد أبو حيان فى الربع الاول من القرن الرابع الهجرى ، قدم الى بغداد وأقام بها مدة ، وسافر الى مكة والى الرى وشيراز . ثم وشى به الى الوزير المهلبى ، فطلبه فاستتر عنه ، ومات عن نيف وثمانين عاما ، سنة ٤٠٤هـ .

ألف أبوحيان مجموعة من الكتب ، منها المقابسات والبصائر والذخائر ، والمحاضرات والمناظرات ، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، والاشارات الالهية وقد وصلت الينا هذه المؤلفات ، ومن يقرؤها لايسعه الا أن يعجب بموهبة أبي حيان وأسلوبه البليغ ، الذى لايقل روعة وجمالا عن أسلوب الجاحظ .

لقد كان أبو حيان معجبا بالجاحظ ، وكتب رسالة فى مدحه عنوانها : « رسالة فى تقريظ الجاحظ » . عاش أبو حيان عمره المديد فقيرا محارفا مع علو كعبه فى العلوم والادب والفلسفة . وقد حاول أن يحيا حياة هانئة يتوسل إليها بثقافته ، إلا أن الحظ لم يحالفه والتوفيق لم يساعده . وكان من جملة من جرب حظه معهم الوزير ابن العميد والوزير ابن عباد ، ولكن



نتيجة هذه التجربة كانت على عكس ما يرجو ويأمل الى الحد الذى جعله يكتب كتابا فى نقدهما والنيل منهما أسماه كتاب « مثالب الوزيرين أو أخلاق الوزيرين » ولاتخلو كتب أبي حيان من الاشارة الى حاله هذه ملمحا تارة ومصرحا أخرى .

ومما ذكره أبو حيان صراحة عن فقره أن القومس الفيلسوف قال له يوما : (ماظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من انسان مابلغ منى)؛ان قصدت دجلة لأغتسل فيها نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلدا أملس) . فقال أبو حيان : (ما أعرف لك شريكا فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواى ، ولقد استولى عليّ الحُرف (أى الحرمان) وتمكن منى نكد الزمان الى الحد الذى لاأسترزق مع صحة نقلى ، وتقييد حظى ، وتزويق نسخى وسلامته من التصحيف والتحريف ، بمثل مايسترزق البليد الذى ينسخ النسخ ويمسخ الاصل والفرع)،وقد وصل به سوء الطالع الى أن ياقوتا الحموى لم يعثر على مؤلف ترجم له كما ذكر ذلك فى معجمه . بل حتى ابن خلكان لم يذكره فى وفياته الا عرضا . ومما ذكره عنه أن كتابه (مثالب الوزيرين) من الكتب المحدودة ، ماملكه أحد الا تعكست أحواله . وقال : لقد جربت ذلك وجربه غيرى على ماأخبرنى من أثق به .

وقد ذكر السيوطى فى « بغية الوعاة » : (ان الايام قد انقلبت بابى حيان وان كتبه لم تنفعه ، وضن بها على من لايعرف قدرها ، فجمعها وأحرقها فلم يسلم منها غير مانقل قبل الاحراق) ، ومن حسن الحظ أن وصلتنا الرسالة التى كتبها أبوحيان ردا على رسالة صديقه أبى سهل على بن محمد ، الذى لامه فيها على إحراق كتبه . وقد ذكر ياقوت الرسالة كاملة فى ترجمته لابى حيان : أقول من حسن الحظ لأن الرسالة بجانب كونها قطعة نثر فنية فإنها أيضا تكشف الأسباب التى أرغمت هذا العالم الأديب على الاقدام على مثل هذا العمل ، حيث لانضطر للتخمين أوالظن والتكهن .

ولقد كتب أبوحيان رسالته هذه فى رمضان عام ٤٠٠ هـ فى العشر التاسع من عمره كما ذكر هو ذلك

. ان الرسالة طويلة نوعا ما ، ولذلك فإنى سوف أقتصر على ذكر أسباب دفاعه عن احراق كتبه :

رسالة التوحيدى

يبدأ التوحيدى رسالته بقوله : حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظنى بمودتك وطول جفائك ، وأعاذنى من مكافأتك على ذلك وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد ، إن دعيناه كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله . وأدام الله نعمته عندك وجعلنى على الحالات كلها فداك . وأفادنى كتابك غير محتسب ولامتوقع على ظمأ برح بى إليه . وشكرت الله على النعمة به علىّ . وسألته المزيد من أمثاله ، الذى وصفت فيه ذكر الشوق الىّ والصبابة نحوى مانال قلبك والتهب فى صدرك من الخبر الذى نمى اليك فيما كان منى من إحراق كتبى النفيسة بالنار وغسلها بالماء . فعجبت من انزواء وجه العذر عنك فى ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز : (كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون) . وكأنك لم تأبه بقوله تعالى (كل من عليها فان) . وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشىء من الدنيا وان كان شريف الجوهر كريم العمصر مادام مقلبا بيد الليل والنهار ، معروضا على أحداث الدهر وتعاود الايام) .

ويذكر أبوحيان بأن ماقام به لم يكن هينا عليه ، وإنما هو عمل كان مكرها عليه مضطرا اليه فهو يقول : (ثم انى أقول ان كان - ايدك الله - قد نقب خفك ما سمعت به،فقد أدمى أظلى ما فعلت) .

وهو يقول انه لم يكن ، ليقدم على ما أقدم عليه الا بعد أن فكر فى الامر كثيرا . وقد أخذ منه ذلك ليالى وأياما يقلب الأمر على وجوهه ، وهو لم يصل الى تلك النتيجة إلابعد أن استخار الله عز وجل فى ذلك فهو يقول لصديقه : (فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له واجترأت عليه حتى استخرت الله عزوجل فيه أياما وليالى ، وحتى أوحى إلى فيه فى المنام بما بعث راقد العزم ، وأجدّ فاتر النية ، وأحيا ميت الرأى ، وحث على تنفيذ ماوقع فى الروع وتربع فى الخاطر) .

ومن الاسباب التى يذكرها أبوحيان اعتقاده بأنه لم يقرن علمه بعمله ، وأن عمله كان قاصرا عن علمه ، وبما أن الحال كذلك فالأولى بذلك العلم أن



يحرق فهو يقول : (العلم أحاطك الله يراد للعمل ، كما أن العمل يراد للنجاة . فاذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلاً على العالم . وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا وصار فى رقبة صاحبه غلاً) .

وأحد الاسباب التى يذكرها أبوحيان هو أنه لم يكن يرغب أن يترك كتبه لاناس لا يستحقون ذلك ولايحرصون عليه بل غير راغبين فيه .

ومما قاله بهذا الصدد (ان هذه الكتب قد حوت من أصناف العلم سره وعلانيته . فأما ماكان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا . وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا) .

ثم ان أباحيان يذكر سببا آخر يحجم كثير من الناس عن ذكره فى حال شبيهة بحال أبى حيان ، ويحاولون أن يخفوه وراء ظلال من الاسباب والتعليلات غير الصحيحة . ولكن أبا حيان كان صريحا مجاهرا لم ير مانعا من ذكره أو التنويه به والافصاح عنه . فهو يعترف بأنه كان يطمح بأن يتبوأ مكانة مرموقة بين الناس ، وجاها عريضا يبز به أقرانه ويفوق به أصحابه ، ولكنه لم يحصل على شىء مما أتعب نفسه فيه على هذا أوذاك . وهو يقول عن ذلك:(على أنى جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله) .

والسبب الآخر يذكره أبوحيان هو أنه لم يكن له ولد يورثها له ، أو صديق عزيز يستفيد منها ، ولم يهن عليه أن يتركها لقوم لايعتمد عليهم ولا يأمن جانبهم . فهو يقول : (ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ، فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى اذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوى وغلطى اذا تصفحوها ، ويتراءون نقصى وعيبى من أجلها) .

آلام أبي حيان

ثم يسترسل التوحيدى فى نقد المجتمع الذى عاش فيه نقدا لاذعا يتسم بالمرارة والألم ، ويكشف فى الوقت نفسه عما كان يعانيه أبو حيان ويحز فى نفسه حيث يقول . (فان قلت ولم تسمهم بسوء الظن وتقرع جماعتهم بهذا العيب ، فجوابى لك ان عيانى منهم فى الحياة هو الذى يحقق ظنى بهم بعد الممات . وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة ، فما صح لى من أحدهم وداد ، ولاظهر لى من أناس منهم حفاظ ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء ، والى التكفف الواضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء بالسمعة والنفاق ، وما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح فى قلب صاحبه الالم) ويقول فى مكان آخر من الرسالة : (وماذا أقول وسامعى يصدق أن زمانا أحوج مثلى الى مابلغك ، لزمان تدمع له العين حزنا وأسى ، ويتقطع عليه القلب غيظا وجوى وضنى وشجى) .

ثم يذكر أبوحيان بأنه لم يكن فردا فى عمله هذا ، وإنما قد سبقه الى عمل ذلك أو ما يشابهه علماء معروفون مشهورون ، فهو يرى أن ماقام به لم يكن شاذا أو استثناء . فيقول عن ذلك : (وبعد فلى فى احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ويؤخذ بهديهم ويعشى الى نارهم منهم أبو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه فى بطن الارض فلم يوجد لها أثر وهذا داود الطائى وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة ويقال له تاج الامة ، طرح كتبه فى البحر وقال يناجيها :« نعم الدليل كنت،والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول »، وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار فى جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : « دلنا العلم فى الاول ثم كاد يضلنا فى الثانى فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من أجل ما أردناه »،وهذا أبو سليمان الدارانى جمع كتبه فى تنور وسجرها بالنار ثم قال « والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك » وهذا سفيان الثورى مزق ألف جزء وطيرها فى الريح ، وقال « ليت قطعت من هنا بل من ههنا ولم أكتب حرفا »

يضاف الى ذلك أن أبا حيان كان قد زهد فى آخر أيامه ، واعتقد بأن الكتب جزء من حطام الدنيا وبهرجها وان جامعها كجامع الذهب والفضة يقول فى ذلك : (وهل أدرك السلف الصالح فى الدين الدرجات العلا إلا بالعمل الصالح ، واخلاص المعتقد والزهد الغالب فى كل ماراق من الدنيا وخدع بالزبرجد،وهوى بصاحبه الى الهبوط ؟ وهل وصل الحكماء القدماء الى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد فى السعى ، والا بالرضا الميسور ، والا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم ؟ فأين يذهب بنا وعلى أى باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب الا كجامع الفضة والذهب ؟ وهل المنهوم بها الا كالحريص الجشع عليهما ؟ وهل المغرم بحبها الا كمكاثرهما ؟ هيهات الرحيل ، والله قريب ، والثواء قليل ، والمصحع مقض ، والمقام ممض ، والطريق مخوف ، والمعين ضعيف ، والاغترار غالب ، والله من وراء هذا كله طالب) .

ثم يختم أبوحيان رسالته بما يلى : (على أنى لو علمت فى أى حال غلب عليّ مافعلته وعند أى مرض وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفت من عذرى أضعاف ما أبديته ، واحتجبت لى بأكثر مما نشرته وطويته ، واذا أنعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز فى خلقه أحكاما لايعاز عليها ولايغالب فيها ، لأنه لايبلغ كنهها ولاينال غيبها ولايعرف قابها ولايقره بابها ، وهوتعالى أملك لنواصينا ، وأطلع على أدانينا وأقاصينا ، له الخلق والأمر ، وبيده الكسر والجبر ، وعلينا الصمت والصبر ، الى أن يوارينا اللحد والقبر) . □

٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) وقضى فيها أكثر من أربع وعشرين سنة ، حج خلالها أربع مرات وبين كل حجة وأخرى طاف بعديد من البلاد

ففي طريقه للحج أول مرة ، سلك طريق مراكش وتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام ، وبين الحجتين الأولى والثانية طاف بالعراق وبلاد العجم وبعد الحجة الثانية زار اليمن وشرق افريقيه وعماد والخليج والبحرين وفيما بين الحجتين الثالثة والرابعة عاد مرة أخرى الى مصر ، ثم سافر الى بلاد الترك ، فطاف بمدن اسيا الصغرى ، ومنها انتقل الى القرم وبلاد القفجاق شمالي البحر الاسود ، والى أرض البلغار ، وزار القسطنطينية ثم اتجه الى الهند ، مارا بخوارزم وخراسان ، وتركستان ، وأفغانستان والسند وقد حظي ابن بطوطة عند السلطان محمد شاه في دلهي . فأرسله في سفارة الى ملك الصين وأثناء عودته مر بكثير من جزائر الصين والهند ، حتى وصل الى الهند عن طريق سومطرة ، ثم اتجه الى أرض عماد ، وزار العراق والشام ، قبل أن يقصد مكة لاداء فريضة الحج للمرة الرابعة وبعدئذ غلب عليه الحنين الى وطنه ، فقفل راجعا الى المغرب ، ووصل فاس سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) بعد غيبة طويلة استمرت قرابة ربع قرن

وكانت هذه الرحلة أطول رحلات ابن بطوطة وأكثرها متعة ، استنفدت أخبارها قرابة ٩٨/ من مجموع مذكراته التي أملاها على ابن جزي

أما رحلته الثانية فكانت قصيرة ، الى الاندلس وغرناطة وبعض بلاد المغرب ولكنه ما كاد يفرغ من هذه الرحلة الثانية ، حتى اتجه الى فاس حيث ودع السلطان ، وشرع في السفر فورا الى بلاد السودان الغربي - في غرب افريقيه - وهذه هي رحلته الثالثة التي استغرقت نحو عامين (٧٥٣ - ٧٥٤ هـ ، ١٣٥٢ - ١٣٥٤م)

وبعد عودة ابن بطوطة من هذه الرحلة الاخيرة ، عكف على املاء أخبار رحلاته على كاتب السلطان ابن جزي ، وكان الفراغ من تدوينها سنة ٧٥٦ هـ وقضى ابن بطوطة السنوات الأخيرة من حياته في كنف السلطان أبي عنان المريني ، الى أن توفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧م)

وسرعان ما شدت مذكرات ابن بطوطة - بعد أن تم تدوينها - انتباه الباحثين والمفكرين ، ومن معاصريه الدين أشاروا اليه والى كتاباته العالم ابن خلدون ويبدو أن المعلومات التي ذكرها ابن بطوطة في أخبار رحلاته جاء بعضها على درجة من الجدة والغرابة بالنسبة لمعاصريه ، جعلت بعضهم « يتجاحى تكذيبه » ولكن الواقع أثبت أنه كان أمينا فيما روى ، دقيقا فيما وصف ، حتى أن المستشرق الشهير دوزي نعته بالرحالة الصادق الأمين

واذا اتسمت بعض أجزاء رواياته بشيء من المبالغة فان علينا أن نتذكر أن ابن بطوطة لم يكن يدون ملاحظاته ومشاهداته أولا بأول ، ولا يوما بيوم ، وانما اخترنها كلها في داكرته وفكره ، حتى أملاها بعد سنوات طويلة على ابن جزي ليدونها له ونحب الاشارة الى ضرورة تقدير الظروف التي أحاطت بابن بطوطة والتي ربما جانبت - في بعض الأخبار - دون التحقق من أشياء شاهدها عن كثب .

نفقات الحل والترحال :

واذا كان الباحثون قد اهتموا بما جاء في رحلات ابن بطوطة من معلومات عن احوال البلاد التي ساح فيها ، والشعوب والناس الذين التقى بهم في رحلاته ، فان ذلك جاء على حساب العناية بدراسة شخصية ابن بطوطة نفسه ، ومحاولة تفهم سلوكه ، والقاء اضواء على حياته الخاصة وأحواله ، طوال تلك السنين التي قضاها مغتربا يتنقل من بلد الى آخر كيف كان يعيش ؟ من أين حصل على نفقات متطلبات حياته في حله وترحاله ؟ وأهم من هذا وذاك ، ماذا كانت نظرته الى المرأة طوال اسفاره ؟ وكيف كانت علاقاته بها ؟ هل قضى تلك السنوات الطويلة أعزب زاهدا ، أو أنه لم ينس نصيبه من الدنيا ؟

أما عن موارده المالية التي عاش عليها ، والتي مكنته من مواصلة اسفاره البعيدة ، فيبدو أنها كانت وفيرة ، فلم يشك أبدا من ضيق ذات اليد في أية مرحلة من مراحل سياحته والمعروف عن ابن بطوطة أنه نشأ - في مسقط رأسه - في سعة من العيش ، بحيث يبدو أنه شرع في القيام برحلته الكبرى ، ومعه ذخيرة غير قليلة من المال



وفساد الغذاء النباتي

بقلم : الدكتور حسين العروسي

« الاغذية ، نباتية كانت أو حيوانية . . بحالتها الطبيعية كانت أو بعد معاملتها معاملات خاصة للتصنيع ، معرضة للفساد بفعل الكثير من الميكروبات التي تعجز أعيننا عن رؤيتها . فأين تكون هذه الأحياء الدقيقة وما هو أثرها وكيف تحول غذاءنا الصحي الى طعام غير مقبول » ؟.

ان الكثير من المنتجات النباتية والحيوانية التي نستعملها غذاء أو شرابا هي في نفس الوقت غذاء ممتع لكثير من الأحياء الدقيقة التي تكون عادة بهذه الأغذية ولا تراها عيوننا المجردة ، بل نرى لها آثارا ، قد تكون على الطعم ، وقد تكون على الرائحة ، وقد تكون على القوام .

فما كان لنا غذاء شهي أصبح بعد نمو وتكاثر تلك الكائنات فيه طعاما غير مقبول . . . غير مستسيغين لطعمه . . كارهين لرائحته . . . غير تواقين لمظهره . وقد يصبح الطعام في وجود تلك الميكروبات داء ممرضا أو سما قاتلا ، فنلقي بقوتنا في سلال القمامة ، مستسلمين لتلك الميكروبات . . تاركين لها غذاءنا لتستكمل توغلها حتى تنتهي من استغلاله ، ثم تنتقل منه بوسيلة أو بأخرى حتى تجد غذاء آخر تستسيغه ، فتفعل به ما فعلت بسابقه .

لايقتصر هجوم الميكروبات على النباتات في أثناء نموها ، بل يستمر في ذلك بعد جمعها أو حصادها . . . بعد أن تصير ثمرا نافعا وغذاء شهيا ، فتهاجم المحصول بعد جمعه بضراوة أشد من هجومها عليه وهو في أوج حيويته عندما كان محمولا على نباتاته ، . . . متلفة ما جمعناه وسوقناه قبل أن يصل الى أفواهنا .



شكل (١) : فطر اسبرجيللس

النشاط في ظروف قاسية

أحيانا ، تجرى على تلك الأغذية بعض المعاملات لتصبح صالحة للتسويق أو لاطالة أمد حياتها والاقلال من أضرار الميكروبات عليها ، ومع ذلك فإن من الميكروبات ما يتمكن من تلك النباتات (المعاملة) رغم أن ظروف معيشة تلك الميكروبات قاسية وغير ملائمة لنشاط معظمها .

وقد يحدث فساد طبيعي فسيولوجي للمنتجات النباتية بعد فصلها عن النبات الأم وذلك نتيجة للنشاط الحيوي للانسجة الحية ، الا أنه في كثير من الأحوال تتدخل بعض الميكروبات فتعجل من حدوث الفساد ، وتغير من صور ذلك الفساد . وقد يساعد على ذلك وجود الجروح ، التي قد تكون ناتجة عن منطقة الانفصال عن النبات الأم أو نتيجة للمعاملات المختلفة التي يتعرض لها الجزء النباتي في أثناء الجمع والتسويق والتخزين ، أو بفعل بعض الحشرات أو الحيوانات أو الطيور . والميكروبات التي تحدث تكون مصادرها عادة التربة أو الهواء أو الماء ،

وتكون موجودة قبل الفساد عادة ، على الأسطح الخارجية للأجزاء النباتية في أثناء الجمع وبعده . فمحاصيل ثمار الفاكهة والخضراوات التي تتكون طبيعيا فوق سطح الارض تكون ملوثة عادة بميكروبات الهواء ، زيادة على تلوثها في أثناء العمليات المختلفة ببعض ميكروبات التربة . ومحاصيل مثل البطاطس والطماطا والفجل والجزر والبنجر تنمو تحت سطح التربة ويعلق بها كميات من الطين عند جمعها تكون عادة ملوثة بميكروبات التربة . كذلك فان ماء الرى في الاراضي الزراعية يكون مصدر تلوث للمحاصيل الارضية والنامية قريبا من سطح التربة . أيضا ، فان عمليات غسل المنتجات النباتية التي تتبع عادة بالنسبة لبعض المحاصيل تساعد كثيرا على تلوث تلك المحاصيل بميكروبات الماء ، وخصوصا اذا كان الغسيل بماء الترعة والقنوات . وعموما فالماء اذا كان نقيا فانه يقلل اعداد الميكروبات كثيرا ، الا انه في نفس الوقت يساعد على تنشيط وتوزيع ميكروبات الهواء والتربة الملوثة للمنتجات النباتية ، فتتكاثر نشاط وترتفع

معدلاتها ثانية بسرعة . وقد درست متوسطات أعداد البكتيريا الموجودة على البازلاء الخضراء المعدة للتجميد في عدد من المصانع فوجد أن معدلاتها لكل جرام من المحصول كانت حوالى أحد عشر مليونا عند دخولها المصانع ، ثم انخفضت عقب الغسيل الى حوالي مليون فقط ، ثم انخفضت ثانية عند غسيلها بالماء الساخن أو البخار الى حوالى عشرة آلاف فقط ، الاأنها ارتفعت ثانية خلال العمليات التالية فوصلت لحوالي سبعمائة ألف عند بدء تجميدهـا ، ثم انخفضت ثانية مع التجميد فصارت حوالي نصف مليون من البكتيريا لكل جرام من البسلة .

فساد الأنسجة

لايعني تلوث المنتجات النباتية بالميكروبات ضرورة حدوث الفساد ، اذ أنه لابد من وجود الميكروبات الخاصة باحداث التلف لذلك المحصول ، كما أنه لابد من توفر استعدادات خاصة لدى المحصول النباتي لحدوث العدوى ونجاحها .

يتلاءم نشاط كثير من الميكروبات مع ارتفاع نسبة الماء في الانسجة النباتية ، وارتفاع درجة حرارة ورطوبة الجو . لهذا نجد أن المنتجات النباتية الغضة أسرع تلفا من المنتجات ذات المحتوى المائي المنخفض فحبوب القمح والشعير أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من درنات البطاطس وثمار الموز ، والاخيرة أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من البصل وثمار التفاح ، والبصل والتفاح أكثر مقاومة من الكرنب والسبانخ .

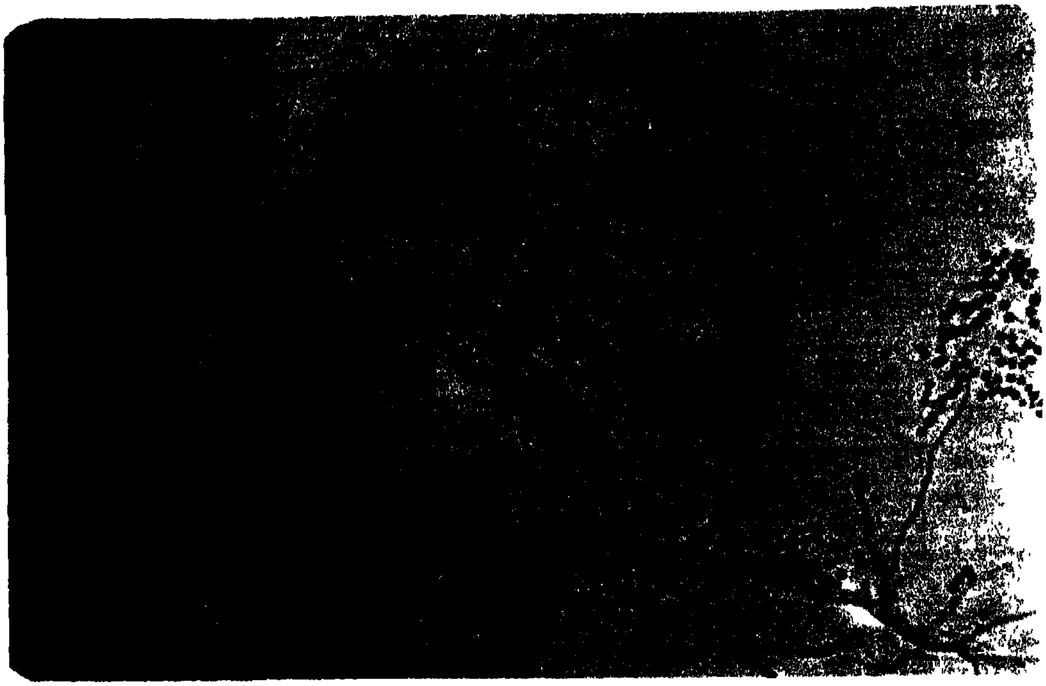
ولهذا نجد أن فترات التخزين تتناسب عكسيا مع معدلات الماء في المحصول ، فحبوب القمح والشعير تتحمل التخزين أكثر من البطاطس وثمار الموز ، والبصل وثمار التفاح أقل تحملا ، أما الكرنب والسبانخ فتسوق سريعا لسرعة تلفها . ولهذا السبب ولتقليل معدلات الماء . . اتبعت طريقة التجفيف لاطالة أمد تخزين بعض المحاصيل كما يتبع في البصل .

أما درجات الحرارة والرطوبة فخفضها يؤدي الى تقليل تعرض الميكروبات للتلف ، ولهذا يطال أمد تخزين كثير من المحاصيل مثل البطاطس والتفاح والكمثرى بحفظها في ثلاجات ، ويراعى في خفض درجات الحرارة والرطوبة حدود معينة لاتتعداها ، لأن الخفض الزائد يؤثر على الصفات الطبيعية للمحصول المراد المحافظة عليها .

وهناك ميكروبات أخرى تعيش داخل أجسام بعض الحشرات أو على سطحها ، وتقوم تلك الحشرات بنقل ما تحمله من ميكروبات من مكان الى آخر ، وكثيرا ما تضع الحشرة حمولتها الميكروبية على الجزء النباتي الملائم لنشاطها . وقد تهيىء الحشرة لتلك الميكروبات فرص حدوث العدوى ، وذلك بأن تثقب خلايا النسيج النباتي . . . واضعة الميكروبات في وسط النسيج القابل للاصابة . . . وقد تضع الحشرة بيضها حيث وضعت الميكروبات ، فيفقس البيض وسط النسيج النباتي الملوث بالميكروبات ، وتخرج اليرقات وتتغذى على الانسجة النباتية ، متحركة بينها موزعة الميكروبات داخلها . وكثيرا ما تنتج عن اليرقات حشرات جديدة حاملة ميكروب المرض . ومن الامثلة الشهيرة على ذلك حالات العفن الطري الذي نشاهده على كثير من منتجاتنا الزراعية مثل البصل والبطاطس والخس والجزر والذي ينتج عنه تلف سريع للمحصول يظهر في صورة عفن طري ذي رائحة كريهة مميزة وتلون داكن للانسجة المصابة ، والذي يتسبب عن ميكروب بكتيري وحيد الخلية يعرف باسم أروينيا والذي تنقله بعض الحشرات ومنها حشرة الذباب المنزلي .

أكثر من الإتلاف

بعض تلك الميكروبات المهاجمة للغذاء تتعدى في آثارها الضارة علينا حد إتلاف الغذاء ، فقد تحدث زيادة عن تلك الخسائر المادية ضررا خطيرا بآكليها ، فتمرضهم وقد تقتلهم . اذ أن البعض من الفقراء أو ممن يجهلون تلك الميكروبات وأضرارهـا ، قد يتحملون على أنفسهم ، ويأكلون ما اشتروه أو صنعوه من غذاء ، رغم ما يلاحظون عليه من تغير في الطعم أو اللون أو الرائحة أو القوام ، مفضلين التضحية بالصحة عن التضحية بالمال . كثيرا ما تمر الأمور دون ما ضرر ملحوظ ، مما يشجعهم باستمرار السير على



شكل (٢) : فطر بنيسيليوم

هـذا المنوال الخـاطىء ، الا أنه قـد يحدث الضـرر فجأة ، اذا وجد في الغـذاء نوع أو أنـواع معينة من الميكـروبات الضـارة بصحة الانسـان أو المميتة لـه مباشرة أو عن طريق سمومها .

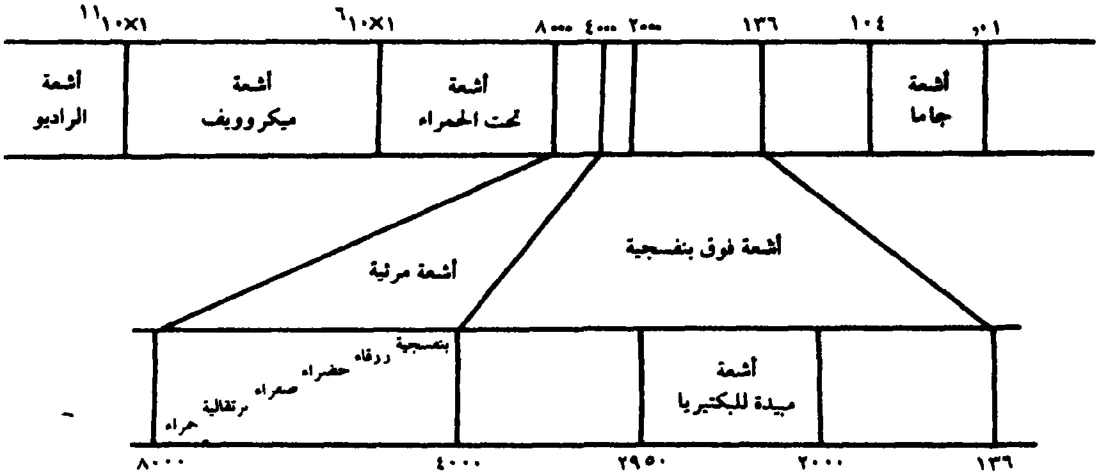
تصاب ثمار الفاكهة ومحاصيل الخضراوات، عادة بأنواع من الفطريات والبكتيريا بعـد أيام قليلة من وجودها على درجة حرارة الغرفة ، وأحيانا تصاب في الثلاجات وخصـوصـا اذا ارتفعت درجـة الحـرارة قليلا . كذلك فان عصـير الفاكهـة معرض للفسـاد الميكروبي ، وقد يحدث له تخمر مصحوب بتصـاعد غازات نتيجة للاصابة بفطريات الخميرة .

بعض الفطريات التي تنمو على النباتات ومنتجاتها تنتج مواد ضارة أو سامة للانسـان وبعض الأحياء الأخرى . فمن عصور قديمة عرف تسمم الارجوت الذي ينتج عن التغذية بحبوب نجيلية مصابة بفطر يسمى كلافيسبس ، وقد سجلت عنه أربعون الف حـالـة تـسـمـم أدت الى وفـاة ، سـنـة ٩٤٣م بفرنسا . وفي سنة ١٩٦٠م مات أكثر من مائة الف من الدواجن الرومية بمزارع انجلترا نتيجة تغـذيتها على دقيق فول سوداني مستورد من أفريقيا وأمـريكا الجنوبية ، وبدراسة على مادة العلف تلك ، اتضح أنها مصابة بفـطر اسبرجيللس فـلافس الذي أمكن عقب ذلك فصل مادة سامة منه سميت افلاتوكسين . وقد ثبت أنها من المواد المحدثة للسرطان في كبد الانسان . وقد أثبت العلم أن الفطريات المنتجة لهذا السم تنمو في محاصيل أخرى منها الارز والقمح والذرة وفول الصويا والبازلاء والفاصوليا .

ومن السموم الفطريـة الأخرى التي تتكـون على منتجات نباتية(مادة الباتيولين) ويكونّها فطر من نوع بنيسيليوم يسبب عفنا في ثمار التفاح . ولهـذا السم تأثيره كمضاد حيوي يوقف نمو كـائنات حيـة دقيقة أخرى ، الا أن له تأثيرات سرطانية .

درهم وقاية

لم يقف العلم هكـذا مكتوف اليـدين أمام هـذا الهجوم الكاسح من الميكروبات ، بل قد توصل الى طرق عديـدة لمنعها والحد من أضرارهـا . وتختلف



شكل (٣) : موقع بعض الأشعة ، وخصوصا المستخدمة في تعقيم الغذاء ، من الخريطة الطيفية مقيسة بالانجستروم

الطرق المتبعة للوقاية حسب نوع الغذاء المراد حمايته ، وحسب الغرض من استعماله ، وحسب درجة تلوث الغذاء بالميكروبات ونوع ذلك التلوث . وكثيرا ما تتبع أكثر من وسيلة لحفظ الغذاء بعيدا عن متناول الميكروبات كلها أو بعضها ، ولايقاف نشاط ما تمكن منها من غذائنا .

وتعتمد طرق حماية الغذاء على عاملين أساسيين . أول هذين العاملين يعتمد على قتل الميكروبات الملوثة للغذاء ، أو الاقلال منها أو منع وصول ميكروبات جديدة اليه ، ومن ذلك تعقيم المواد الغذائية بالتعريض لدرجات حرارية مرتفعة تقتل الميكروبات ولا تضر بالغذاء ، أو ترشيح المشروبات خلال مرشحات تفصل الميكروبات ، أو اضافة بعض الكيماويات الى الاغذية بغرض قتل ما بها من ميكروبات ، أو ايقاف تلك الميكروبات ومنع نمو أية ميكروبات جديدة تصل اليها .

ويعتمد ثاني هذين العاملين على حفظ الأغذية بطريقة لاتتلاءم مع النشاط الميكروبي كما في حالات الحفظ تحت درجات حرارية منخفضة ، أو بتقليل كمية الماء في الغذاء ، أي بالتجفيف كتجفيف الاسماك وبعض ثمار الفاكهة ، أو بزيادة تركيز السكر كما في عمل المربيات ، أو بزيادة تركيز الاملاح كما في صناعة المخللات وتمليح الاسماك .

ومع دخولنا عصر الذرة ، اتجه كثير من الابحاث الى الانتفاع بالاكتشافات الذرية الجديدة في نواحي الحياة المختلفة ، ومن ذلك استخدام الاشعة في تعقيم المواد الغذائية مما بها من ميكروبات .

التعقيم البارد

تختلف الاشعة وفقا لطول موجاتها ، وتقدر أطوال الموجات بوحدات الانجستروم . والانجستروم يعادل جزءا من عشر مليون جزء من المليمتر الطولي . وجزء بسيط من أشعة الشمس هو الذي يمكن رؤيته ، وهو يتراوح ما بين ٤٠٠٠ الى ٨٠٠٠ انجستروم ، وما عدا ذلك من الاشعة لاترى بالعين .

والاشعة التي تستخدم في التعقيم تقع ضمن الاشعة غير المرئية ؛ نذكر من ذلك أشعة الميكروويف وهي أشعة طويلة الموجات تقع بين الاشعة فوق الحمراء وأشعة الراديو ، وتستخدم في تعقيم مواد غذائية مختلفة منها الخبز والمشروبات الكحولية ، أما

تأثير أشعة الميكروويف فهو تأثير حراري .

معظم عمليات التعقيم بالاشعة تستخدم فيها الاشعة القصيرة ، وتشمل الاشعة فوق البنفسجية . وأهم أنواع الاشعة القصيرة استخداما في التعقيم الغذائي هي ما تعرف بالاشعاعات ، وهي ذات الموجات التي تقل عن ٢٠٠٠ انجستروم وتشمل اشعة الفا وبيتا وجاما .

وحيث أن هذه الاشعاعات تحدث تعقيما دون احداث حرارة في المادة (المعاملة) لهذا سميت العملية بالتعقيم بالبارد .

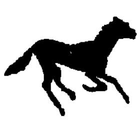
وقد اتجهت الانظار الى بعض الاشعاعات ذات القدرة العالية على التغلغل في المنتجات الغذائية ، ومن ذلك أشعة جاما التي تنتج في الانفجارات الذرية عن النشاط الاشعاعي لعنصر اليورانيوم . وحاليا يستخدم الكوبلت المشع الذي يعرف بكوبلت ٦٠ وكذلك سيزيوم ١٣٧ كمصدر لتلك الاشعاعات وتؤثر هذه الاشعاعات في معظم الاغذية حتى عمق ١٤ سنتيمترا ، الا أن تأثيرها يضعف كلما ازداد العمق .

ومن عيوب التعقيم بالاشعاعات وخصوصا باستخدام أشعة جاما ، تأثيرها السيء على القائمين بالتعقيم ، مما يتحتم معه اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية للحيلولة دون تعرض القائمين بالعمل لتلك الاشعاعات . ويفضل البعض استخدام أشعة الكاثود رغم ضعف تخللها في تعقيم الاغذية لكونها أقل خطورة على القائمين بالعمل

وحتى الآن لم تظهر أية آثار ضارة على المستهلكين لتناول الاغذية المعاملة بالاشعاعات ، الا أن الكثير من تلك الاغذية يتأثر من المعاملات الاشعاعية حيث تحدث تغييرات غير مرغوبة في الطعم أو اللون أو الرائحة أو خواص الغذاء الطبيعية . وقد نجحت المعاملة بالاشعاعات مع بعض الاغذية ، ولم تنجح مع البعض الآخر . ومن الاغذية التي ثبت نجاح تعقيمها بالاشعاعات البطاطس والقمح ومنتجاته والموالح والفراولة والخوخ والفاصوليا والزبيب والقراصيا □

عجائب أسماء

أولاد الحيوانات









يقال لولد الفرس : مهر . . ولولد الحمار : جحش . . ولولد البقرة : عجل . . . ولولد الناقة : حوار . . ولولد الماعز : جدي . . والانثى : عناق . . ولولد الضائية : حمل . . والانثى : رخل . . ولولد الشاة : سخلة . . ولولد الظبي : خشف . . ولولد الارنبة : الخزنق . . ولولد الثعلبة : التتفل . . ولولد الخنزير : الخنوص . . ولولد القرد : القشة . . ولولد الضبع : الفرغل . . ولولد الاسد : الشبل . . ولولد الفأرة : الدرص . . ولولد الضب : الحسل . . ولولد الذئب : السمع . . ولولد النعام : رأل . . ولولد الحباري : النهار . .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

«أ»

إمبريالية

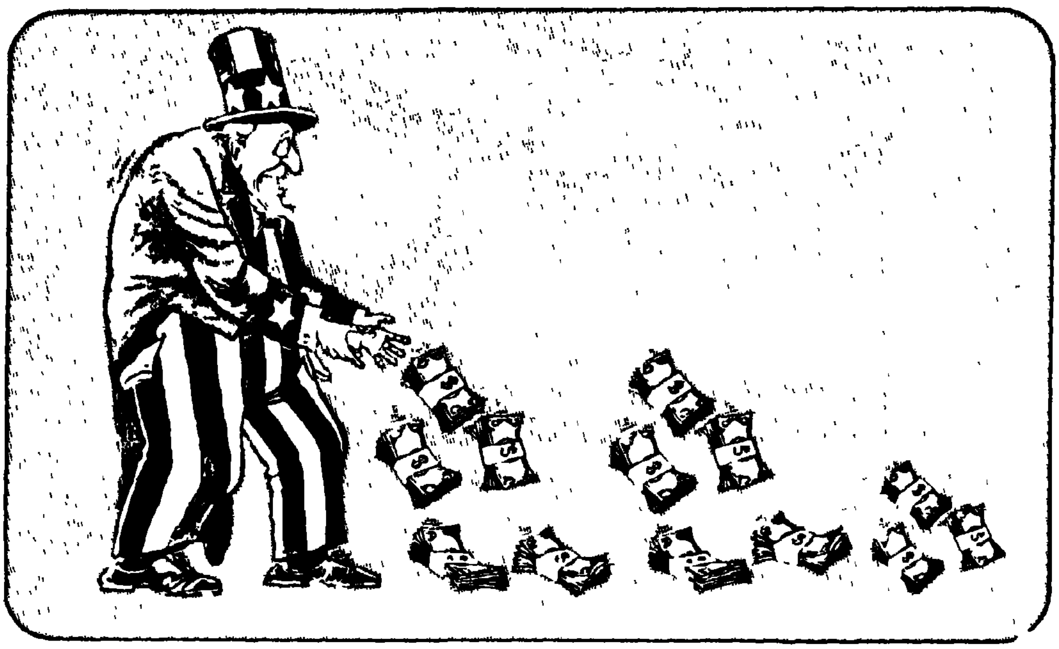
مجموع سياسات (اقتصادية ـ عسكرية ـ سياسية ـ ثقافية) تمارسها الدول الكبرى تهدف الى التوسع وفرض سيطرتها على شعوب واراضي الغير لاستغلالها ونهب ثرواتها واستغلال امكانياتها الجغرافية والطبيعية والبشرية .

وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العلمية في بدايات القرن الثامن عشر تقريبا ، فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج ، والحاجة الى مواد خام ووقود ، وفي نفس الوقت الحاجة الى ايجاد أسواق للمواد المصنعة وذلك لتصدير فائض الانتاج ، وتصدير رأس المال المتراكم ، واعادة تشغيله مما يعني مزيدا من الارباح ، واستتبع ذلك السماح لمواطني الدول الاستعمارية بالهجرة وحرية الاستيطان ليتمكنوا من السيطرة على الموارد في المستعمرات ، وتنظيم التجارة وحمايتها . ولم تظل الظاهرة في هذا الاطار بل تجاوزته الى العمل العسكري لتحقيق الأهداف الاقتصادية ، وقد كان التنافس الشديد بين المحتكرين ، والرغبة الحادة في الاحتكار وطرد المنافسين وفرض الهيمنة هو الذي حدد طريق القوة العسكرية لحماية المصالح .

وقد مرت الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بعدة مراحل : المرحلة الاولى هي التعاظم الشديد والانطلاق : وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية ، وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المستعمرات ، وتمتد هذه الفترة من القرن الثامن عشر حتى الحرب العظمى الاولى ، وكان عالم ما بعد الحرب حتى نهاية الحرب العظمى الثانية مرحلة مخاض حقيقية . . فقد عانى فيها النظام الرأسمالي العالمي من ويلات الحرب ونتائجها ، ثم الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ بالاضافة الى نشوب الثورة الاشتراكية في روسيا القيصرية ، وظهور الوعي القومي والنضال الوطني في المستعمرات ، فظهر ما عرف بمؤتمر الامم المضطهدة والفقيرة الذي عقد في باريس سنة ١٩٢٠م .

المرحلة الثانية وهي مرحلة انتهاء الامبريالية التقليدية ، وقد بدأت عقب الحرب العظمى الثانية التي خرج منها الحلفاء منتصرين ، فتم الاستيلاء على مستعمرات المانيا وايطاليا ، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الامريكية أن ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



المرحلة الثالثة : ظهور الامبريالية الجديدة وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة دون جدال ، وتميزت هذه المرحلة بسمات ومظاهر متعددة ، فقد حاولت الامبريالية ان تستفيد من دروس الماضي ، وحاولت التكيف مع الواقع الجديد للعالم . فنحت جانبا فكرة الاستعمار من خلال التواجد العسكري ، واستبدلته من خلال توسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة ، فامتدت أصابع بيوت المال العالمية داخل المصارف الوطنية ، وتغلغلت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية كموزع وحيد للسلع وكمشتر وحيد للمنتجات الخام ، واقترن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي ، وتفننت في ابتداع السبل لابقاء الدول النامية في مكانها كدول صغيرة ، ومحكوم عليها أن تظل صغيرة وتابعة . . واتبعت الامبريالية سياسات الاغراق بالديون وتشغيل الفائض . . وأبقت دول العالم النامية في دائرة تبعية مفرغة . وعلى الرغم من هذا التجديد في العلاقة فان الامبريالية الجديدة لا تتردد ولا تتوانى في استخدام القوة العسكرية اذا ما تهددت مصالحها أو تعرضت للخطر .

وعلى نفس المستوى مارست المؤسسات الامبريالية غزوا ثقافيا لدول العالم النامي ، تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية تبشر بقيم وانماط سلوك ، وتشجع عليها وتدعمها مما يسهم في إحداث تغير قيمي في المجتمعات النامية ، وهو تغير ليس في صالحها على الاطلاق ، ويتوازى مع هذا الغزو تشجيع المؤسسات الامبريالية لهجرة العقول من العالم الثالث الى العالم الغربي ، ولعل انتشار العديد من الأسماء اللامعة في الغرب التي تعود بأصولها الى دول نامية ، دليل على حرص الامبريالية على أن تبقى الدول النامية صغيرة تابعة .

وعلى الرغم من كل الاتجاهات التقدمية التي تشن نضالا وطنيا ضد التغلغل الامبريالي ، فان الامبريالية مازالت هي ظاهرة العصر الذي نعيش فيه بعدما استبدلت أدواتها ، فاستبدلت بالجندي السلعة ، وبالبندقية الاعلان الجذاب □

ماذا تعرف عن

حمّى البحر المتوسط

بقلم : الدكتور محمد بركات*

نشرت وسائل الاعلام في الفترة الأخيرة معلومات تتعلق بزيادة انتشار مرض أطلقت عليه اسم « التهاب الأغشية المصلية » أو « حمّى البحر المتوسط » .

فما هذا المرض ؟ ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

تحيط بالأعضاء الداخلية في تجاويف الجسم أغشية رقيقة شبه شفافة تعرف باسم الأغشية المصلية . ومن خصائصها البيولوجية أنها تسمح بمرور السوائل المصلية بمحتوياتها المذابة عبرها ، إضافة الى كونها تشكل عازلا طبيعيا يمنع تسرب الجراثيم الى داخل التجاويف الجسدية . وأكبر هذه الأغشية هو الغشاء البريتوني الموجود في التجويف البطني ، يليه من حيث الأهمية والحجم الغشاء البلوري (غشاء الجنب) الذي يحيط بالرئتين داخل التجويف الصدري ، والغشاء السحائي الذي يغلف

* استاذ الامراض الباطنية ورئيس قسم الجهاز الهضمي بكليه الطب جامعة الكويت .

الدماغ والحبل العصبي داخل العمود الفقري : ويوجد كذلك غشاء مصلي يبطن تجويف كل مفصل من مفاصل الجسم الكثيرة . وهذه الأغشية مثلها مثل أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة تصاب بشتى أنواع الالتهابات والأمراض سواء كان ذلك بسبب اصابة الأعضاء المجاورة كما يحدث حينما يصاب الغشاء البلوري في أثناء النزلة الرئوية أو كما يحدث للغشاء البريتوني اذا انفجرت الزائدة الدودية في التجويف البطني ، أو أن تكون الاصابة محصورة في واحد أو أكثر من هذه الأغشية المصلية : ولعل مرض « حمى البحر المتوسط » هو أحد الأمراض القليلة التي تصاب فيها تلك الأغشية دون أعضاء الجسم الأخرى بالتهاب حاد مؤلم .

هل هو مرض عِرقي ؟

وقبل الخوض في بحث هذا المرض لا بد من التوقف قليلا أمام هذا الاسم « الرومانسي » ، ان التسمية توحي بان ثمة علاقة سببية بين هذه « الحمى » وبين البحر الأبيض المتوسط . والعلاقة هذه ـ إن وجدت ـ هي علاقة ظرفية فقط ، كان أول من أشار اليها جملة من الأطباء الفرنسيين العاملين في بلدان الشمال الأفريقي على الشاطيء الجنوبي للبحر المتوسط في أوائل الخمسينيات من هذا القرن . وقبل ذلك التاريخ عرف هذا المرض بأسماء أخرى وصفية . ولما كانت الغالبية العظمى من المرضى حتى أواخر الخمسينيات قد صودفت في بلاد المغرب العربي وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا ، وكلها تقع على شواطيء المتوسط بدا اسم « حمى البحر المتوسط » جذابا لبعض الباحثين رغم الاعتراضات على مثل هذه التسمية . لكن بغض النظر عن الأسماء فان من الحقائق المؤكدة الآن أن هذا المرض يكاد يكون حصرا على جنسيات عرقية محدودة تشمل الساميين بما فيهم من عرب ويهود خصوصا الشرقيين منهم والأرمن والأتراك وهي شعوب لها إمتداد جغرافي يبتعد احيانا آلاف الكيلومترات عن شواطيء المتوسط كما هي الحال في أرمينيا السوفيتية والتركية وهضبة الاناضول وأقاصي الصعيد وشرقي العراق ، وكلها أماكن يتواجد فيها هذا المرض . هذا اضافة الى ان أبناء وأحفاد الجاليات المهاجرة من هذه الشعوب الأربعة الى كلتا الأمريكتين وأوروبا يصابون بهذه الحمى دون سواهم في أماكن معيشتهم الجديدة . هاتان الحقيقتان تشيران الى ان هذا المرض هو مرض عرقي ووراثي ينتقل بواسطة الجينات من جيل الى جيل مع الصفات الوراثية الأخرى . وتحت ظروف معينة تظهر الأعراض المرضية . وتجدر الاشارة هنا الى ان درجة انتشار هذا المرض وتوارثه بين العرب غير متساو في الأقطار العربية المختلفة فبينما هو شائع الانتشار بين عرب مصر وفلسطين ولبنان وسوريا نراه أقل بكثير بين عرب شمال أفريقيا والعراق ونادراً بين عرب الجزيرة ، وغير موجود عند عرب السودان . ومثل هذا الاختلاف في درجات الانتشار لا يبرره الاختلاف المناخي أو الجغرافي لأن درجة انتشاره بين الجاليات العربية الوافدة الى الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي توازي درجة انتشاره في مواطنها الأصلية .

نظريتان في الأسباب :

ان أسباب هذا المرض مازالت غير واضحة وان كانت النتائج الأولية للأبحاث العلمية الجارية تشير الى وجود خلل خلقي في بعض خمائر الجسم الضرورية لتمثيل مركبات الأدرينالين والنورأدرينالين أو نقص في بعض عناصر المناعة في الكريات الدموية البيضاء ، وهاتان النظريتان ليستا متعارضتين علميا بالصورة التي يمكن أن يوحي بها هذا العرض للقاريء ، فهما مساران علميان قد يؤديان في النهاية الى تحديد مكان الخلل ونوعه وكمه .

لقد أشرت في البداية الى كون هذا المرض نوعا من الالتهاب يصيب واحدا أو أكثر من الأغشية المصلية المذكورة تحت ظروف معينة ، تنتج عنه بالتالي الأعراض المختلفة التي يمكن ان يحس بها المريض ويلاحظها الطبيب . ويحدث هذا الالتهاب فجأة وعلى شكل نوبات حادة متكررة قد تتعاقب أسبوعيا أو شهريا أو مرة كل بضعة شهور وربما مرة كل سنة او سنتين . وتستمر كل نوبة في العادة فترة تتراوح بين

ولكن الرحلة جاءت طويلة ، واستغرقت قرابة ربع قرن من الزمان . وتطلبت نفقات انتقال وطعام وشراب ومبيت ولذا نرجح أن المبلغ الذي خرج به ابن بطوطة من بلده لم يكف الا لسد نفقات المرحلة الأولى من تلك الرحلة الطويلة ، وهي المرحلة التي انتهت بوصوله الى الحجاز وتأدية فريضة الحج لأول مرة

ومن الواضح أن ابن بطوطة اعتمد بعد ذلك على المنح والانعامات التي تلقاها من كثير من حكام البلاد الاسلامية التي طاف بها ، وخاصة حكام البلاد غير العربية الذين أذكى احساسهم بالبعد عن قلب العالم الاسلامي جغرافيا وحضاريا ولغويا ، الى تلهفهم على استقبال فقيه مثل ابن بطوطة وفد عليهم من أرض عربية ، ملم بأحكام الاسلام ، حاصل على عدد من الاجازات العلمية من بعض شيوخ المغرب والمشرق جميعا

هذا الى أن ابن بطوطة قام ببعض الأعمال ، وتولى بعض الوظائف في عدد من البلاد التي دخلها ، وأقام بها بعض الوقت من ذلك ولايته القضاء في بعض البلاد الاسلامية ، كولايته القضاء في الهند نحو من ثماني ، وفي الصين نحو من عام ونصف يروى أنه عندما تولى القضاء في دهلي جعل له منحها مرتب قدره ... آلاف دينار في السنة . وخصص له عشر (أي خصصت سنة من الطعام وغيره) تمثل ذلك ... ثم أمر له باثني عشر ألف دينار أخذها ... من ... ذلك . وأعطاه ... ... خدمة



ابن بطوطة والمرأة :

على أن الجانب الذي لم ينتبه اليه كاتب أو يتعرض له باحث حتى اليوم هو موقف ابن بطوطة من المرأة خلال أسفاره الطويلة . نظرته اليها ، وملاحظاته عليها ، وموقفه منها ، وعلاقاته بها

لقد غادر ابن بطوطة بلاده في المغرب مستهلا أولى رحلاته وهو في شرخ شبابه في الثانية والعشرين من عمره وعاد من رحلته هذه الى مسقط رأسه ، وهو على أبواب الشيخوخة وقد قارب الخمسين من عمره . ومعنى ذلك أنه قضى زهرة شبابه بعيدا عن بيته وبلده فهل أمضى هذه السنوات عزبا ، متحديا غرائزه البشرية ، بل مخالفا روح الاسلام وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

ومن ناحية أخرى ، فان ابن بطوطة جاب في رحلاته الثلاث بلادا مترامية الأطراف متباينة الخصائص ، وزار شعوبا متعددة متفاوتة العادات والتقاليد ، للمرأة في كل منها وضع خاص يتفاوت بين التكريم والامتهان فهل عني ابن بطوطة في سجل أخبار رحلاته باعطاء المرأة حقها من العناية ، أم أن وضعه الديني حال بينه وبين التعرض بالاشارة الى وضعها الاجتماعي وزينتها وسلوكها ، أسوة بكثير من معاصريه من الكتاب ورجال الدين ؟؟

من المسلم به أن ابن بطوطة لم يشر - من قريب أو بعيد - الى وضعه الاجتماعي عندما غادر طنجة - مسقط رأسه - لأول مرة عام ٧٢٥هـ هل كان متزوجا عندئذ وترك وراءه في بلاده زوجة أو أكثر ، وربما بعض الأبناء والبنات ؟ كل ما ذكره في مستهل رحلته الأولى أنه خرج امرءا على هجر الأحباب من الاناث والذكور ، فهل اشتملت دائرة أحبابه عندئذ على زوجة - على الاقل - أو أنه لم يقصد بالتعبير سوى الوالدين - اللذين تركهما على قيد الحياة - ومن في حكمهما من الاقارب وأولي الأرحام والأصدقاء والأحباب ؟ ربما جاء تقديمه الاناث على الذكور تكريما لأمه ، لما للأم من مكانة أسمى في ظل آداب الاسلام وتعاليمه . هذا الى أنه في ختام رحلته ، عاد الى بلاده بعد غيبة طويلة ، فلم يشر الى بيت يحن له ، ولا الى زوجة أو أبناء طال غيابه عنهم ، وانما عاد الى طنجة بعد غيبة ربع قرن ليبحث عن قبر والدته

يوم وأربعة أيام ، وتعتمد نوعية الأعراض خلال النوبة على المكان الملتهب وعمر المريض وأحيانا على نوع الجنس ذكراً أو أنثى . والمرض هذا يصاب به الذكور والاناث وفي أعمار مختلفة تمتد من الأشهر الأولى من سن الرضاع الى ما بعد سن الأربعين . ورغبة في التسهيل يمكن تقسيم أعراض هذا المرض الى ثلاثة أقسام :

الأعراض :

أولا : الأعراض البطنية : وهي أكثر الأعراض شيوعا اذ يندر أن ينجو منها مريض خلال النوبات التي يتعرض لها عبر سنوات المرض الطويلة . وتبدأ النوبة في مثل هذه الحال بألم حاد في أي مكان من البطن ما يلبث أن ينتشر الى أماكن أخرى قد تشمل البطن بأكمله . ويزداد الألم شدة ليصل خلال ساعات قليلة الى درجة يصعب فيها احتماله . ويصحب الألم عادة ارتفاع في درجة حرارة الجسم قد تبلغ الأربعين درجة مئوية . وقد تسبق هذه الحمى قشعريرة . وأغلب الاحيان يشكو المريض إضافة الى ذلك من إنتفاخ وغثيان مصحوباً بالتقيؤ . ويبدو المريض عادة في حالة صحية سيئة تجعله يستغيث إذا كان قادراً على الاستغاثة بحكم سنه . وينتهي المطاف بزيارة الطبيب الذي لا يستطيع والحال هذه إلا النصح بادخال المريض الى المستشفى . فإذا كانت هذه النوبة تحدث لأول مرة لا يسع أي طبيب يقوم بمعاينة المريض إلا الاعتقاد بأنها حالة جراحية مستعجلة كالتهاب الزائدة الدودية أو التهاب المرارة الحاد أو التهاب البنكرياس أو انفجار قرحة معوية أو ما شابه ذلك . ولهذا فان نسبة عالية جدا من المصابين بهذا المرض يتعرضون لعمليات جراحية استكشافية بسبب مثل هذه النوبات .

وعادة يصاب الجراح بخيبة أمل وإحباط حين لا يجد في بطن المريض غير إحتقان حاد في الغشاء البريتوني ، ولكن خيبة أمل المريض وذويه تكون أعظم بكثير حينما تعاوده النوبة بعد فترة زمنية محددة تتكرر آلامها المبرحة دون تشخيص واضح أو علاج مانع لها .

ثانيا : الأعراض الروماتزمية (المفصلية) : وهذه تصيب الأطفال واليافعين عادة ويندر أن يصاب بها أحد بعد سن الخامسة والعشرين . وفي مثل هذه الحال يشكو المصاب من ألم وتورم في واحد أو أكثر من المفاصل الكبرى في الأطراف كمفصل الركبة أو العقب أو كوع الذراع . وتكون مثل هذه النوبة عادة مصحوبة بحمى خفيفة أو عالية الأمر الذي يوحي للطبيب أنه بصدد حالة من حالات الحمى الروماتزمية ولكون مثل هذه النوبات تحدث في سن مبكرة فقد ينصح الطبيب باعطاء المريض حقن البنسلين شهرياً ، وقد ينصح باستئصال اللوزتين نظراً لتكرر النوبات إلى أن تختفي تلقائياً بعد عدة سنوات ليعقبها بعد ذلك بفترة (قد تمتد عدة سنوات أخرى) الأعراض البطنية .

ثالثا : الأعراض الصدرية : تحدث هذه نتيجة لالتهاب الغشاء البلوري المحيط بالرئتين حيث يشكو المريض من آلام وَخْزِيَة في أي مكان في الصدر أو الظهر أو الكتفين ، تزداد شدة في أثناء التنفس أو السعال أو حتى الحركة . والفحص السريري وأشعة الصدر لا يظهران في أغلب الأحيان أي دليل مرضي باستثناء إرتفاع في درجة الحرارة مما يجعل الطبيب يميل الى تشخيص الحالة على أنها التهاب فيروسي .

وجدير بالذكر أن الأنواع الثلاثة من الأعراض قد تظهر معاً عند بعض المرضى في أثناء كل نوبة أو قد يظهر منها نوعان دون الثالث ، أو قد تبدأ الأعراض بصورة معينة تختلف مع الزمن من نوبة إلى أخرى ومن صورة إلى أخرى .

تشابه الأعراض وخطأ التشخيص :

ان الأعراض التي سبق وصفها تشبه أعراض عدة أمراض أخرى أشير الى بعضها ، ولهذا لا يسهل التأكد من حقيقة نوع المرض عند حدوث النوبة الأولى . وبما أن الأمراض التي يشتبه بها هي في العادة من النوع الجراحي المستعجل كالتهاب الزائدة الدودية أو المرارة أو انفجار في المعدة أو الأمعاء فإن حالة المريض تستدعي تصرفاً مستعجلاً قد ينتهي بالمريض إلى غرفة العمليات قبل وضوح التشخيص . أما إذا خلت النوبة من الأعراض الجراحية فإن

الأمراض المشابهة تدور عادة ما بين الحمى الروماتزمية أو الروماتزم المفصلي أو الالتهابات الرئوية بأنواعها . ومع أن نتائج الفحوص السريرية والمخبرية عادة تكون سلبية إلا أن الكثير من المرضى يعالج كما لو كان يعاني من أحد هذه الأمراض . وصعوبة التشخيص هذه ناتجة عن الافتقار إلى فحص مخبري خاص « لحمى البحر المتوسط » كما هي الحال في كثير من الأمراض المعروفة . ولقصر فترة النوبة فإن المريض والطبيب يشعران بعدم الحاجة الى مواصلة البحث عن السبب مادام قد تحسن وأصبح معافى . وبحدوث النوبة التالية تعاد الكرة دواليك إلى أن يشعر المريض وذووه باليأس والطبيب بالإحباط . وخلال سنوات المرض ونوباته المتعاقبة تجري للمريض عشرات (وأحياناً مئات) الفحوصات المخبرية والشعاعية تكون نتائجها دائماً مخيبة للتوقعات ، وتوصف له أنواع عديدة من العقاقير والأنظمة الغذائية والوصفات الطبية الشعبية وجميعها تكون بلا فائدة . وتنتهي دوامة اليأس والأمل هذه عادة بالصدفة إذا التقى مريض بمريض آخر سبق أن عرف مرضه أو بطبيب له خبرة بهذا المرض .

لقد أشرت قبل قليل الى صعوبة تشخيص المرض نظراً لعدم توفر فحص مخبري خاص به ، ولكن فريقاً من الباحثين العرب توصل الى استنباط وسيلة للتأكد من التشخيص تعتمد على استفزاز عناصر المرض عند المريض وإحداث نوبة مرضية خفيفة لا تدوم أكثر من ساعات قليلة ، لقد أثبتت أبحاث هذا الفريق وباحثين آخرين في أماكن مختلفة امكانية الاعتماد على هذا الفحص في أكثر من ٩٥٪ من الحالات وهي نتيجة ممتازة في عالم الطب . وإنطلاقا من نتائج هذه الأبحاث أصبح لدينا الآن أمل كبير أن نتوصل الى إيجاد الفحص المخبري المنشود في وقت قريب وكذلك الى معرفة أسباب هذا المرض إذا توفرت لأبحاثنا الإمكانيات المادية المناسبة .

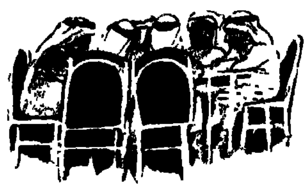
العلاج بعقار قديم :

أشرت في سياق الحديث عن أسباب « حمى البحر المتوسط » إلى كونها مرضاً وراثياً بوساطة الجينات من أحد الأبوين إلى الأبناء فالأحفاد . لكن هذا لا يعني أن أعراض المرض لا بد أن تظهر في كل جيل من الأجيال أو في كل الأبناء إذا وجد في أحد الأبوين . ولذا فإن المرض يتواجد عند أكثر من شخص واحد في العائلة الواحدة في حوالي ٥٠٪ من الحالات . أما بقية المرضى فلا يوجد ما يدل على أن أحداً آخر من أفراد عائلاتهم أصيب أو مصاب بالمرض . وتزداد احتمالات الاصابة بالطبع إذا وجد في العائلة شخص آخر مصاب به وذلك نتيجة منطقية لوجود الجينات الوراثية الخاصة بالمرض في الأسلاف ولذا يصبح التزاوج بين أفراد مثل هذه العائلة أمراً غير مرغوب من الناحية الطبية .

أما في حالة ظهور الأعراض المرضية فإن العلاج الآن ينحصر في اتجاهين : الأول منهما معالجة الأعراض المؤلمة الحادة والثاني لمنع تكرار النوبات . لقد ظل الأطباء طوال الثلاثين عاماً ، يعالجون هذا المرض بشتى أنواع العقاقير المتوفرة لهم بدءاً بالأسبرين ومشتقاته والمضادات الحيوية بأنواعها ومضادات الحساسية وإنتهاء بمركبات الكورتزون دون أي دليل على فعالية كل هذه الأدوية . وبمحض الصدفة وجد أحد الأطباء الأمريكيين أن عقاراً قديماً يستعمل في علاج مرض النقرس يمنع تكرار نوبات حمى البحر المتوسط . كان ذلك سنة ١٩٧٢ ، ومنذ ذلك التاريخ أثبتت عشرات التجارب ومعالجة آلاف المرضى ان هذا العقار المعروف باسم كولشينسين (Colchin-cine) يحمي من حدوث النوبات المؤلمة وتكرارها في أكثر من ٩٠٪ من الحالات ، واتضح من خبرة السنوات الثلاث عشرة الماضية أن استعمال هذا الدواء بصفة دائمة في الأطفال والبالغين لا يقترن بأية مضاعفات أو آثار جانبية سيئة مادام المريض مواظباً على مراجعة الطبيب المعالج بصورة منتظمة . لقد ثارت بعض المخاوف في البداية حول ما اذا كان استعمال عقار كولشينسين يقلل من خصوبة الرجال أو نمو الاطفال لكن لم يظهر الى الآن أي دليل علمي يثبت ذلك ، وتبددت هذه المخاوف بعد سنين من متابعة درجة خصوبة الرجال ومعدل نمو الأطفال المعالجين مقارنة بغيرهم من الأصحاء . على أن ثمة تحفظا مازال قائما حول إمكانية استعمال هذا الدواء في اثناء فترة الحمل فقط . □

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي



قضيّة

لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع

بقلم : الدكتور محمد سيد محمد

في فجر التاريخ الانساني كان الإعلام قائماً على المشافهة ، الى جانب الاشارات والحركات التعبيرية . من ذلك نستنتج مباشرة أن لغة الاعلام كانت أقرب ما تكون الى لغة التخاطب اليومي العابرة . نقول أقرب إحتراساً ، فربما كان المنادي أو الخطيب يحاول انتقاء تعبير الاستغاثة أو التحذير أو انتهاز فرصة الصيد . ولولا هذا الاحتراس لقلنا ان تطابقاً كان بين لغة التخاطب اليومية وبين لغة الاعلام في فجر التاريخ الانساني .

فاللغة ـ وهي أداة الفكر ومساعدته ـ هي التي مكنت الانسان من الشعور بذاته ، ومن الاتصال بأمثاله ، وجعلت من الميسور تكوين الجماعات . ومن العسير أن نتصور حالة أولية للانسان كان فيها محروماً من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل . فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود لغة منظمة ، وما كان في وسع الانسان أن يسير في طريق التطور دون اللغة . ويقسم « شوشار » التعبير عند الانسان الى خارجي يتيح لنا الاتصال والابلاغ ، والى داخلي يفصح عن عقولنا وعن مدى ادراكنا .

وتدور معظم أدوار اللغة بين محورين رئيسيين : هما : الفكر من جانب ، والمجتمع من جانب آخر . وترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً مباشراً وثيقاً ، وتفسير هذه العلاقة موضع اختلاف فلسفي و « ايدولوجي » يعكس الخلاف بين الفلسفة المادية والفلسفة المثالية من جانب ، واختلاف الفلاسفة من جانب آخر ، ولكنه يؤكد العلاقة بين اللغة والفكر . فاللغة كما

يصفها « كارل ماركس » هي حقيقة الفكر المباشرة ، و « ستالين » يوضح هذا المفهوم الماركسي في قوله : « يقولون ان الأفكار تتكون في عقل الانسان قبل أن تصبح ألفاظاً وأساليب تعبير ، وانها توجد عارية تماماً ، دونما أي حاجة الى أجهزة اللغة . ولا شك أن ذلك القول ينطلق من خطأ بين ، فمهما كانت الأفكار التي تتجمع في عقل الانسان فهي لا تستطيع أن تولد وتحيا الا من مصدر الفاظ وعبارات اللغة،فلا وجود للافكارالعارية ، المتحررة من أجهزة التعبير . . وان حقيقة الفكر تظهر في التعبير . ولا وجود أيضاً لأفكار بدون التلفظ بها » .

ويرى انصار المذهب المادي أن المخ يفرز الأفكار كما تفرز الكبد الصفراء .

ولقد أظهر « دي لاكروا » العلاقة بين اللغة والفكر قائلاً بأن الفكرة تُكوِّن اللغة بعد أن تكون قد تكونت بواسطة النطق

وينسب الى « سقراط » قوله : حينما يفكر العقل يتكلم الى نفسه . ولقد صاح سقراط في رجل صامت . يا هذا تكلم حتى أراك . « وجيته » يقول نحن أحياء فقط عندما نتكلم . وقال « هوبز » ان المعرفة ما كانت لتأتي الى حيز الوجود بدون اللغة . ووافقه « لوك » الذي قال ان الحاجة الى الاتصال هي منبع اللغة ، وان اللغة تولّد الفكر بدورها ، وان الناس ليطلبون في بيان أفكارهم عون اللغة أكثر مما يستعينون بالطبيعة الحقيقية المحددة للأشياء كما هي وقال « كونديلاك » ان المرء لا يفكر دون عون اللغة . ويرى « وارد » انه في الوقت الذي أصبح من المؤكد فيه أن الفكر لا يتم الا باللغة كما يبدأ الفن بالأدوات ، تساعدنا اللغة مع هذا على أن نتقدم بعملية التفكير تقدماً عظيماً الى الأمام ، وجاء « ستاوت » بعد ذلك ليسأل : ما الوظيفة الخاصة للغة في تفكيرنا ؟ ويجيب أن للغة وظيفة تعبيرية ، فالكلمة أداة للتفكير في المعنى الذي تعبر عنه . ويرى « برجسون » أن اللغة وسيلة رئيسية يستطيع الذكاء بها أن يتحرر من روابط الغريزة . ويقول « كروتشي » إنه يبدو واضحاً أنه اذا لم يتكلم الانسان فلن يفكر . وذهب « واطسون » الى القول بأن ما نسميه تفكيراً ليس الا كلاماً صامتاً . و « برتراند راسل » يقول : يكاد كل النشاط الذكائي الأعلى أن يكون مسألة كلمات . وقال « فرويد » ان النشاط العقلي يصير نشاطاً عقلياً شعورياً الى حد انه يظهر في شكل صور نطقية . ولقد شرح « بنكام » هذه الفكرة بقوله . إن الافكار أحلام ما دامت لم تَكْسُها الكلمات وما دامت عارية منها ، وهي تطفو في العقل حيناً ، وتختفي منه حيناً آخر ، كما يفعل السحاب في السماء . وكان « اوسكار وايلد » يقول ان الأفكار تولد دائماً مكسوّة لا عارية .

و « ميرلو - بونتي » يقول ان الفكر لا يوجد خارج العالم أو بمعزل عن الكلمات . وما نقع فيه من وهم يجعلنا نعتقد بوجود فكر لذاته قبل التعبير . انما الأفكار التي انتظمت من قبل وعبر عنها من قبل هي التي نستطيع أن نستدعيها الينا في صمت ، وبها نوهم أنفسنا أن لنا حياة داخلية بغير لغة . والحقيقة ان هذا الصمت الظاهر يعج بالكلام . وقال بونتي انه ليس بين الفكر والكلام علاقات خارجية زمانية أو مكانية ، ليس الفكر قبل الكلام ولا خارج الكلام ، انما الفكر في الكلام ، وقد انطوى كل منهما في الآخر . وشبههما باتحاد النفس والبدن .

واهتمام الفلسفة باللغة يبلغ مداه في دلالة الألفاظ . « ان الموضوع الحقيقي للفلسفة هو دراسة المعنى . والفيلسوف لا يدرس هذا المعنى بصفته واقعة حسية أو عقلية ، بل يدرس وحسب الجانب المنطقي منه ولا يوجد المعنى المنطقي خارج بناء اللغة ، ولذا فان عمل الفيلسوف هو دراسة المعنى اللغوي ، بتحليل العبارة المختلفة ، سواء كانت تقريبية ، أو خلقية معيارية ، أو قانونية الخ . ليعرف كيف يتحقق المعنى في كل استخدام . وهو لا يهدف من وراء هذا الجهد الى اضافة معلومات جديدة الى العلم الطبيعي أو الأخلاق ، أو سواهما ، بل يرمي الى توضيح وايضاح غايات اللغة ، أو الطرق التي تتمكن بها من تحقيق هذه الغايات ، وهكذا - كما يقول لودفيج فنجنشتين - فان الدلالة اللغوية هي الموضوع الأول للفلسفة .

واذا كان الفكر هو المحور الذي دارت حوله معظم أدوار اللغة فان المحور الذي يناظره هو المجتمع . وفي معرض تحليل العلاقة بين اللغة والمجتمع يبرز علماء اللغة الرباط الوثيق الذي يشدهما وهو رباط

الاتصال . فيرون أن الطرق الخاصة للتفكير انما تشيع في المجتمع بواسطة الاتصال . هذا الاتصال الذي يشمل الى جانب اللغة ، الرموز التصويرية ، والطقوس ، ولكن تظل اللغة هي الوسيلة الرئيسية لهذا الاتصال ، ومن ثم تظل الوسيلة الرئيسية للتأثير في الادراك . وهي رباط تذكر الماضي عند الفرد والجماعة ، ورباط الوعي بالحاضر والتنبوء بالمستقبل فالفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نشأ فيه .

وتمثل الثقافة مرحلة جديدة في تطور الانسان وهي مرحلة القدرة على الحصول على المعلومات وخزنها وتبادلها ومن ثم نقلها للجيل التالي ، بحيث أن الفرد في الجيل التالي لا يحتاج الى أن يعيد اكتشاف تلك المعلومات وتعلمها من جديد . وتطور الثقافة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرموز وخصوصا المتعلقة بلغة الكلام والكتابة الى جانب الرسم والموسيقا وغير دلك . ولكن اللغة هي أهم الرموز وهي التي تجعل النشاطات الأخرى ممكنة

ويقول سابير (١٩٢٩) العالم اللغوي أن بني الانسان لا يعيشون في العالم المحسوس الخارجي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي - كما يفهم عادة - وحده ، بل يكونون - الى درجة كبيرة - تحت رحمة اللغة الخاصة بهم ، والتي أصبحت وسيلة الاتصال في مجتمعهم .

وأغلب ظننا أن « ماكلوهان » عندما قال ان الطباعة هي التي انشأت القوميات كان متأثراً بقول بنيامين عالم اللغة : ان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل انها هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار . فنحن نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية . ان المرء يفكر بلغته . ولغة المرء انعكاس لثقافته . ولقد ضرب لنا سارتر مثلاً في محاضرة له(عن دور المثقف في المجتمع) عن طالبين صديقين كانا يدرسان الطب في باريس أحدهما فرنسي والآخر زنجي . وكان الفرنسي يعتقد أن ميوله بعيدة عن التمييز العنصري ولكنه تكلم مع صديقه مرة حين أرسل نفسه على سجيتها . فشرع يقول العبارة الفرنسية الجارية على الألسنة « لنشتغل الآن كما يشتغل الزنجي » ، ولكنه بدأها قائلاً : « لنشتغل الآن كما يشتغل . . » وتوقف عن النطق بكلمة « الزنجي » فكان توقفه عن النطق مشيراً الى أنه فطن الى ما تحمله الكلمة من زراية وامتهان لصديقه ، وهو ان الزنوج هم وحدهم الذين عليهم أن يقوموا بأشق الأعمال التي يترفع عنها الأوربيون . وفهم الصديق الزنجي أموراً كثيرة تواردت على خواطره : خلفية الفرنسي البرجوازي ، وتمييزه بين الأبيض والأسود . استثارت الكلمة المحبوسة هذا الجو كله ، ودلت على أن المتحدث انما يعبر عن أفكار فرنسية وعقلية برجوازية،وكانت القطيعة بين الصديقين بسبب هذه الكلمة التي لم ينطق بها . وكان لسان حال الزنجي يقول للفرنسي انك لم تتحرر ياصديقي من أفكارك المسبقة التي تشير اليها لغتك الفرنسية فحرر لغتك حتى تستطيع أن تحرر فكرك . والفيلسوف الألماني بيتشة يقول أن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى أعماق كيانه . وتبلغ أخفى رغباته وحطراته انها تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعاً لقوانين ، انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

ولقد ربط بعض المفكرين والفلاسفة بين قصية اللغة أو ما أسموه ثورة في اللغة ، فمن اللغة تبدأ ثورة التجديد ، لأن اللغة عندهم هي الفكر ، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك فقد تسود العصر روح دينية صوفية تبحث عن الخفاء وراء الظهور ، وعن المطلق وراء الجزئي ، وعن البقاء وراء الفناء ، فعندئذ يعكس هذا كله على طريقة استخدام الناس للغة في مدارج الثقافة العليا لا في تصاريف الحياة اليومية فيجعلون اللغة للايحاء لا للدلالة . وقد تسود العصر روح علمانية واقعية . يشتغل الناس فيها بالعلوم الطبيعية والرياضية أكثر مما يشتغلون بالوجد الصوفي فعندئذ ينعكس ذلك على اللغة فنرى أصحابها يتخذون منها اداة ترمز الى الواقع المحسوس .

والدكتور زكي نجيب محمود يحترس من التعميم القاطع فيقول : ذلك على وجه التعميم الذى لا ينفي أن يتأثر في الحالة الاولى أفراد أشبه بالعلماء في استخدامهم للغة كما لا ينفي ان يكون في الحالة الثانية أفراد أشبه بالشعراء في صياغة القول .

ان اللفظ في اللغة تكمن فيه الثقافة التاريخية .

ومن بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية ومنها ما ينطق بمواصفات اجتماعية خاصة بكل شعب ، كما أن منها ما يحمل شحنة عاطفية لا تدري عادة لماذا اختصت هذه الكلمة أو تلك بحملها .

واللغة كما يصورها بعض علمائها مركب معقد تمس فروعاً من المعرفة مختلفة ، وتعنى بها طوائف متفرقة من العلماء . فهي فعل فسيولوجي من حيث انها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الانساني الى العمل ، وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان،ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مراء فيها نعثر عليها في صور متباينة وفي عصور بعيدة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة . ومن ثم كان لنا أن نتصور دراسة للغة يقوم بها عالم من علماء وظائف الأعضاء ، فيصنف الطرائق التي تؤدي بها أعضاء الكلام وظيفتها . أو عالم من علماء النفس فيحلل حركة التفكير مهتدياً بنتائج علم النفس ، أو عالم من علماء الاجتماع فيظهر لنا أثر التنظيم الاجتماعي في تطور اللغات ، او مؤرخ فيصنف اللغات في اسر ويحدد توزيعها الجغرافي . كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكتب كتاباً يدخل في علم اللغة ولو أن نقطة البدء التي صدر عنها توجد خارج هذا العلم ، والنتائج التي يصل اليها تمتد حتى تخرج من حدوده .

وهكذا تبدو اللغة بحراً مترامي الأطراف ، فما هي علاقتها بالاعلام ؟ وأين تتجه ؟ ان الهدف الأساسي لهذه العلاقة هو اجلاء نقطة التماس بين دائرة الاعلام ودائرة اللغة ، وكيف يمكن شحذ هذه النقطة لتولد مجالاً ايجابياً بين الدائرتين ؟ . ومن ثم تصبح نقطة التماس بين دائرتي اللغة والاعلام ، قنطرة لإثراء وتطوير وترقية المجالين ، مجال اللغة ومجال الاعلام . □

منتدى العربي
تعقيبات



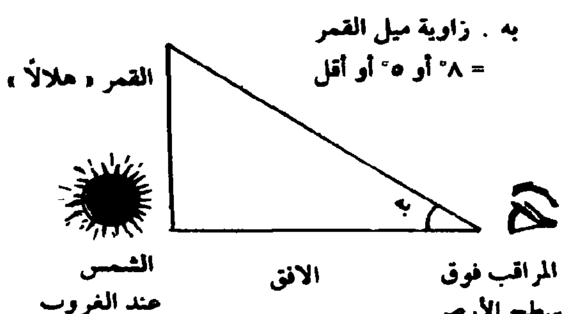
« الحساب الفلكي في بداية الشهور القمرية »

نشر الدكتور عبدالمنعم النمر مقالا في مجلة العربي ، العدد ٣١٩ حمل عنوان (الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية) وقد ورد في فقرة بدء الشهور العربية العبارة التالية : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » . ويبين الرسول اسماء هذه الأشهر الحرم ، وهي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة . . انتهت العبارة .

تأكدت من أسماء الأشهر الحرم الأربعة وذلك بالنظر في تفسير الجلالين ، فتأكدت أن الأشهر الحرم هي (رجب ، ذوالقعدة ، ذوالحجة ، المحرم) أي ان شوال ليس شهرا حراما ، وبهذا تتوافق حرمتها وسلامة الحجاج في الأشهر الثلاثة المتصلة « عدا رجب » ، وهي أشهر الحج بحيث يتسنى للحاج حسب المواصلات القديمة « الجمال والخيول »-من الذهاب الى الكعبة والعودة سالما . ونتابع المقال حتى

الصفحة (٣٢) ، وبالتدقيق في الرسم المرفق الذي بينه الدكتور نلاحظ أنه لا ينطبق على الشرح في البحث ولا على المراد منه ، فالرسم يبين أن الزاوية بين القمر والشمس عند الغروب تساوي ٩٠ درجة ، فكان يجب أن ترسم الشمس في الطرف الآخر للافق فيتفق ذلك مع الشرح حيث يبدو للمراقب على سطح الارض ان الزاوية بين القمر والشمس أو ميل القمر = ٨ درجات أو (٥) درجات حسب أدنى مسافة بين القمر والشمس . ويمكنه أن يرى القمر بالعين المجردة « وربما أقل من خمس درجات » .

في الرسم الموضح : نسقط القمر والشمس على مستوى عمودي على المستوى الافقي .



أما عن أهمية أخذ المسلمين بالحساب الفلكي ، والاستعانة بالوسائل العلمية الحديثة ، فمع الكاتب كل الحق وذلك من أجل معرفة بداية الشهر القمري ونهايته بكل دقة ، لأن العين المجردة تقف عاجزة في أغلب الأحيان عن رؤية الهلال فيما لو كان بُعد القمر عن الشمس « الزاوي » أقل من درجات كما أوضح الدكتور وذلك لأسباب بعضها :

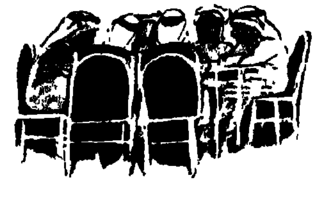
أولا : يستمد القمر ضوءه من الشمس ، الجزء المضاء من القمر والذي يرى من سطح الا (عندما يقترب القمر من وضع المحاق) ، ويتناسب صغره طردا مع اقتراب القمر في نهاية القمري .

ثانيا : في اثناء غياب الشمس واحتجابها الافق « والقمر قريب منها أقل من خمس درجات ننسى الضوء غير المباشر الناتج عن تشتيت الا الضوئية الصادرة عن الشمس - وخصوصا الق منها - بواسطة جزيئات الهواء التي تؤلف الغ الجوي الأرضي ذا السماكة الكبيرة ونظرا المساحة المضاءة من القمر والتي يجب أن ترى الأرض (ذات استطاعة ضوئية صغيرة) ول عاكسية القمر الضوئية منخفضة بسبب ان الغلاف الجوي القمري (لأن أشعة الشمس تسقط على القمر ترفع درجة حرارته فلا يعكس قسما بسيطا منها ثم يبث هذه الحرارة على شكل أ كهرطيسية تحت حمراء « غير مرئية ») ، ونتيجة يمكن أن تطغى الاشعة المتشتتة عن جزيئات اله (في الغلاف الجوي الارضي) على الضوء المنعك عن الجزء المضاد من القمر .

للاسباب السابقة تتعذر رؤية ... بالعين المجردة ، والاعتماد على الحساب الفلكي والوس العلمية الحديثة يجعلنا نتحقق من بداية ونهاية الـ القمري ، ولا نكون في موضع شك من هذا

عبدو الاح

قال ابن عطاء : ان للدعاء أركانا ، واجنحة واسبابا واوقاتا ، فان وافق أركانه قوى ، وانوافق مواقيته فاز ، وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب ، واجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .



منتدى العربي
تعقيبات

حول موضوع :
تلوث البيئة والتسمم الغذائي وسوء استعمال الدواء ..

بقلم : د . نبيه الغبرة

كان حديث الشهر للدكتور الرميحي في العدد ٣١٦ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥ ـ آذار١٩٨٥ ـ بعنوان : « التلوث . الدواء الفاسد . الغذاء المسموم » . ولاشك أن الموضوع مهم بالغ الخطورة له آثار سلبية كبيرة ، وخصوصا في المجتمعات المتخلفة ، ولكن من الممكن معالجته او التخفيف من آثاره إن أحسن تدبيره .

ولقد أحببت أن اشارك في هذا الموضوع بصفتي المهنية ـ لانه في الاصل موضوع صحي طبي ، وان كانت له جوانب أخرى كثيرة ، لانني وجدت في المقالة كثيرا من النقاط التي تحتاج الى شيء من التحديد والايضاح . فقد وجدت الدكتور يلوم المؤسسات الغربية بصورة خاصة وكأنها المصدر الوحيد لمصائب التلوث والغذاء الفاسد والدواء المسموم مع أن البلاد المتخلفة هي التي تتحمل الوزر الأعظم وعليها أن تحمل مسؤولياتها .

فمن الناحية الفنية كنت أفضل الفصل بين المواضيع الثلاثة التي جعلت عنوانا للمقال . وأن تبحث مشكلات كل موضوع على انفراد . وان كان هناك أحيانا شيء من التداخل فيما بينها ، وخصوصا مابين قضايا التلوث والتسمم الغذائي .

فالتلوث ، يعني تلوث بيئة الانسان (الهواء والماء والتراب) بأية مادة ضارة بصحة الانسان أو الحيوان أو النبات ومنها فضلات المصانع ونفاياتها وتسرباتها ، والمبيدات الحشرية التي ركز عليها الدكتور في مقالته بصورة خاصة ، كما أن منها النفايات الشعاعية وتسرباتها ، ومنها وهو الأهم في البلاد المتخلفة تلوث بيئة الانسان بالاقذار والنفايات البشرية التي تجعل البيئة مرتعا للحشرات والقوارض والجراثيم والطفيليات وتجعل الأمراض المستوطنة في هذه البلاد مشكلة المشاكل والعقبة الكبرى التي يجب التخلص منها ، فترى النهر مثلا يصدر من منبعه عذبا فراتا فلا يسير بين المجمعات السكنية بضعة كيلومترات حتى يصبح مليئا بالأقذار وبالجراثيم والطفيليات المسببة للمرض .

بهذا التعريف للتلوث تخرج مواضيع التدخين ـ وان كان هو القاتل الاول في العالم كما تسميه منظمة الصحة الدولية ـ وانتهاك البيئة واستنزافها . إن معالجة التلوث تكون بجعل البيئة صحية ، وبمنع تلوثها او بتخفيفه على قدر الامكان . ومثل هذا



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين احمد امين

قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل) البقرة ١٠٨

قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى أمية ورهط من قريش ، قالوا . يامحمد اجعل لنا الصفا ذهبا ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها نؤمن بك . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال غيره : ان اليهود وبعض المشركين طالبوا الرسول بأن يبرهن على صدقه بأن يأتيهم بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل ان عبد الله بن أبي أمية قال له إئتنا بكتاب من السماء فيه : من رب العالمين الى ابن ابى امية ، اعلم انى قد ارسلت محمدا الى الناس ، وقيل بل إن بعضهم قال له . لن نؤمن لك او تأتى بالله والملائكة قبيلا ، فانزل الله هذه الآية .

على أى حال ، فان المفهوم الواضح من الآية وتفسيراتها أن بعض قوم النبى عليه الصلاة والسلام اشترطوا عليه حتى يؤمنوا بدعوته أن يأتى ببعض الخوارق ، مما يخالف قوانين الطبيعة ، فأبى الله أن يجيبهم الى سؤالهم ، وهو الذى خلق لهم من العقول ما يمكنهم باستخدامها التمييز بين صحيح العقائد وفاسدها ، وصادق الرسالات وكاذبها دون حاجة الى الاستعانة على هذا التمييز بضروب من الخوارق والسحر .

والواقع أنه ليس ثمة كتاب مقدس هو أحفل من القرآن الكريم بالآيات التى تحض الناس على النظر والتفكير وتحكيم العقل ، والا أحوى منه على عبارات مثل : أو لم ينظروا . . فلينظر الانسان . أفلا يتدبرون . . افلا يعقلون . . لعلهم يتفكرون . . لو كانوا يفقهون . . أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف . . فهنا ثقة مطلقة بأن تقليب النظر واعمال الفكر والرأى والنقاش القائم على مقارعة الحجة بالحجة ، أمور كفيلة وحدها بالاقناع بالرسالة ، والهداية الى الدين الحق . (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ) .

ان قدرة الخالق انما تتجلى فى انتظام عمل قوانين الطبيعة لافي تعطيلها . وقد وضع الله هذه القوانين من أجل تحقيق مقاصد وغايات ، ولا يُقبل - عقلا - أن يعطل بعض الناس عمل هذه القوانين بسبب رغبات لهم خاصة ، أو غايات عارضة ، أو أن يصرفوا الله - سبحانه وتعالى عما يصفون ويعتقدون - عن قصده ، ويغيروا له ارادته .

وقد كان عبد الله بن أبي أمية فى طلبه من النبى عليه الصلاة والسلام أن يجعل من الصفا ذهبا ، أو يفجر الأنهار فى مكة ، وفى تعليقه الايمان بالدين الجديد على شرط تحقق مطالبه ، انمايعبر تعبيرا صادقا عن نظرة الجاهليين الى الدين والى الآلهة . فعبادة الأرباب لديهم انما كان الدافع الرئيسى وراءها تحقيق مآرب شخصية أو قبلية ، يستعان عليه بالتوسل وتقديم القرابين والنذور . وقد ذكر ابن سعد والجاحظ وابن ابى الحديد مثلا لذلك أنهم كانوا فى الجاهلية اذااشتد الجدب وامتنع المطر اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها فروع الشجر ، ثم صعدوا بها فى جبل وعر ، واشعلوا فيها النيران . واذ يصرخ البقر من الألم يضج الناس معها بالصراخ والدعاء والتضرع ، فيرتفع صراخ الكافة الى الآلهة ، فتدخل قلوبها الشفقة وترسل المطر .

وقد شاء الله تعالى بهذه الآية الكريمة التى نتحدث عنها أن ينبه الناس الى أنه ليس ثمة علاقة ، ولا ينبغى أن تكون هناك علاقة بين الايمان بالحقيقة الدينية وبين الاستجابة أو عدم الاستجابة لمطلب مثل الانتصار على عدو ، أو سقوط مطر ، أو زيادة كسب ، أو الابلال من مرض . فالرضا بقضاء الله وقدره على أية صورةيتخذها هذا القضاء ، وحتى ان جاء على خلاف ما يهوى الفرد ، هو أصدق دلالة على الايمان الصادق . وقد دعا السيد المسيح ربه وهو فى محنته ان يجنبه شرب ذلك الكأس ، غير أنه سرعان ما تراجع عن دعائه هذا الذى كان يهدف به الى التأثير فى الارادة الالهية ، فهتف قائلا : - ارادتك يارب ، لا ارادتى .

كذلك استنكر النبى عليه الصلاة والسلام هذا المنحى غير العقلانى من الجاهليين ، وحاول التصدى للطقوس الجاهلية بالتهذيب وباستئصال مظاهرها الهمجية المحضة ، وهو موقفه صلى الله عليه وسلم من كثير من عادات قومه التى كان من العسير القضاء عليها دفعة واحدة . فقد كان الرسول أروع مثال للتأنى والصبر ، وأعلم الخلق بطابع الخلق ، وأوفقهم أخذا بايديهم ، اذ ينتقل بهم من طور الى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوما بالهدف الأسمى الذى يتوخاه . وكان يدرك أن غرس المفاهيم الجديدة لا بد له من درجة فائقة من الترفق واللين ، فلم يصدم بالحقيقة كاملة مشاعر الجاهليين . وكان يؤمن بأنه فى هذا العالم المجبول على الجهل والخرافة والنقص لا بد من التدرج والمداراة فى سبيل الهداية . ولا شك عندى فى أنه - وهو الذى جاء يبلغ احرص الرسالات على إعمال الفكر والمنطق والاحتكام الى العقل - كان يأمل فى أن يؤدى الرقى التدريجى للامة الى استئصال كل الاتجاهات والمواقف التى لا تعنى فى الواقع غير خرق قوانين الطبيعة التى هى من صنع الله ، وتعطيلها ، وتعنى امكان تأثير البشر عن طريق اعمال السحر فى الارادة الالهية . □

---

* قال « البروفسور شيريل » عميد كلية الحقوق في جامعة فيينا : إن البشرية لتفخر بانتساب محمد إليها ، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام .

ويتجه الى زيارته فورا
على أنه اذا كان ابن بطوطة قد غادر بلاده ـ على ما نرجح ـ عزبا فانه لم يستطع مواصلة حياة العزوبة طويلا وما كادت تمر بضعة أشهر على مفارقته طنجة حتى عقد بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس ، وبنى بها بطرابلس الغرب ويتحدث ابن بطوطة عن نفسه ، فيقول انه غادر طرابلس الغرب في شهر المحرم سنة ٧٢٦هـ « ومعي أهلي » ، ويقصد بأهله زوجته . وهذه أول اشارة ترد في رحلته الى زوجة له

ومهما يكن من أمر ، فان الرابطة الزوجية لم تستمر طويلا بين ابن بطوطة وزوجته التونسية ، اذ وقعت مشاجرة بينه وبين صهره ، « أوجبت فراق بنته » ومع ذلك ، فان هذه التجربة ، في الحياة الزوجية ـ على قصر مداها ـ جعلته يستسيغ هذا اللون من حياة البشر الطبيعية ، ويحس بعد قليل الى وجود شريكة الى جانبه ، يأنس بصحبتها ، وتخفف عنه متاعب الطريق ويغلب على الظن أن ابن بطوطة حرص منذ ذلك الوقت ، في معظم مراحل رحلته ، على أن يحتفظ في صحبته بامرأة أو أكثر يعاشرها في صورة يقرها الشرع الشريف ، والتي لاتتعارض وأحكام الدين . على أنّ الملحوظة التي تسترعي الانتباه والتسجيل هي أن واحدة من هؤلاء الصاحبات لم تكن لها صفة الاستمرار في صحبته ذلك أنه دأب على مفارقتهن بالمعروف ـ واحدة بعد أخرى ـ اما لخلاف بين الطرفين ، واما لان بعضهن كن لا يستطعن مغادرة بلادهن ومواصلة الرحلة معه الى بلاد أخرى ، بمعنى أن تنقلاته وسفراته لم تساعده على الاستقرار طويلا في صحبة امرأة من زوجاته أو جواريه وهكذا يبدو أن ابن بطوطة عاد في نهاية رحلته الى بلاده ومسقط رأسه وحيدا ، مثلما غادرها وحيدا وهو في هذا السلوك لم يخرج كثيرا عن دائرة الاسلوب الشائع الذي اتبعه غيره من التجار ورجال العلم وغيرهم من رواد الرحلة في تلك العصور

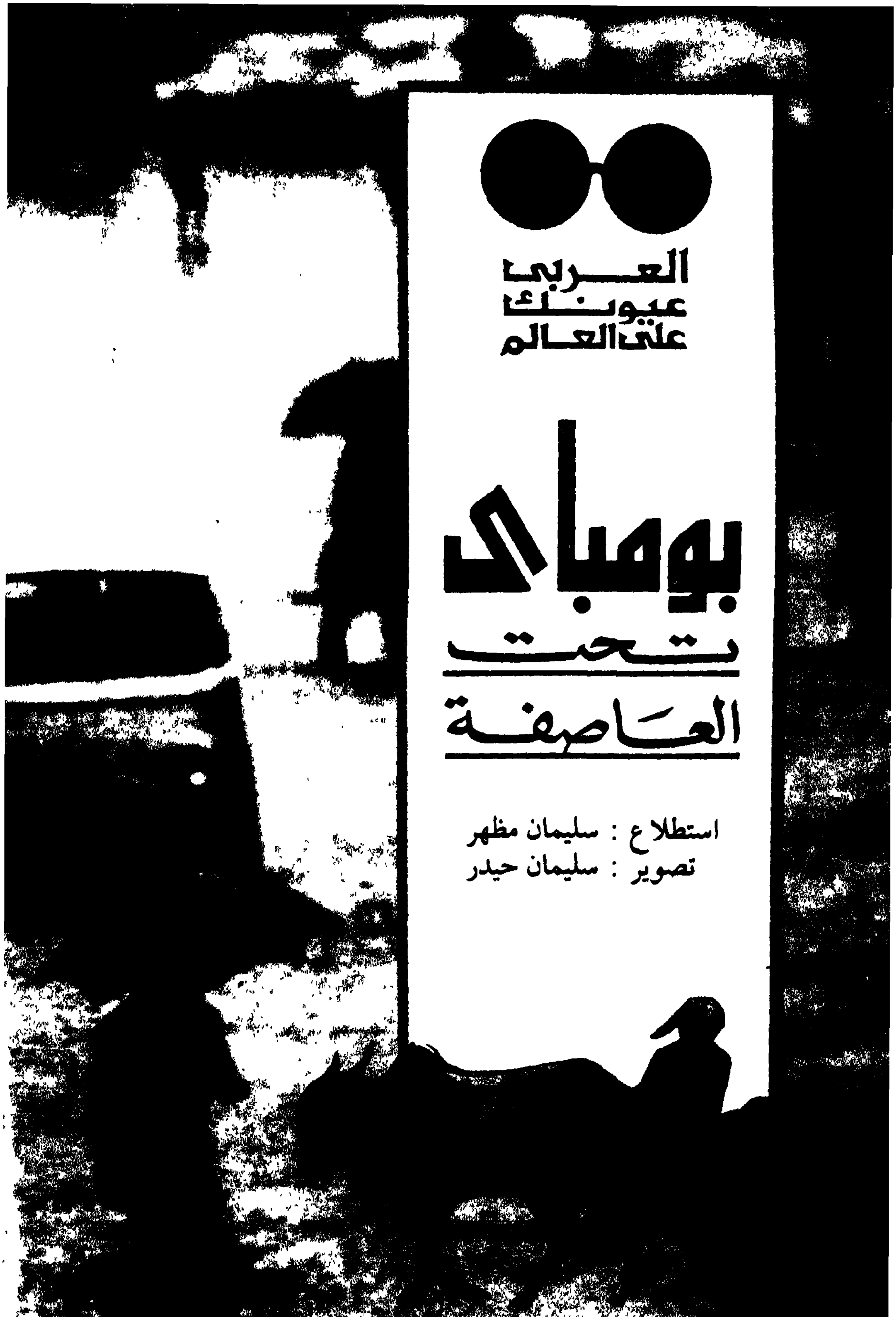
وما كاد ابن بطوطة يفارق زوجته الأولى أثناء الطريق من طرابلس الغرب الى الاسكندرية ، حتى تزوج « بنتا لبعض طلبة فاس » ، من المرافقين له في الرحلة واحتفل ابن بطوطة بزواجه الثاني هذا احتفالا مرموقا ، فبنى بزوجه المغربية الجديدة عند مكان يعرف باسم قصر الزعافية ـ على الطريق الى الاسكندرية ـ وأقام وليمة كبيرة للركب المرافق له ، ومن أجل ذلك توقفت مسيرة الركب يوما كاملا

والغريب أن ابن بطوطة توقف عن الاشارة الى هذه الزوجة تماما في مذكراته بعد ذلك ، هذا الى ما نلاحظه من أنه تجنب الاشارة الى حياته الخاصة ، لاسيما ما يتعلق بأمور الزواج وعلاقته بالمرأة أو نظرته اليها ـ طوال السنوات التالية ، التي طاف فيها بلاد مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وشرق افريقية وعمان والبحرين ، وغيرها من البلاد العربية . وظل ملتزما الصمت في ذلك حتى دخل بلاد الترك سنة ٧٣٢هـ .

والمعروف أن الترك اشتهروا في تلك العصور بالحسن والجمال ، حتى ان أجمل الجواريّ والمماليك المجلوبين الى كثير من بلاد الاسلام وبلاط الملوك والحكام كانوا من الترك ، ومن في حكمهم من العناصر القريبة منهم كالجركس والتركمان وغيرهم ، وبانتقال ابن بطوطة الى بلاد الترك دخلت المرأة حياته الخاصة مرة أخرى من باب جديد ، هو باب الجواري ، ولم يكن في هذا مايتعارض وأحكام الدين والشريعة ، تمشيا مع قوله تعالى : « ما ملكت يمينك » و « ماملكت أيمانكم » .

ولتوضيح ذلك نقول ان ابن بطوطة كان موضع تكريم المسلمين وحكامهم في تلك البلاد فأنعموا عليه بكثير من الانعامات ـ كما أسلفنا القول ـ ومن جملتها بعض الجواري ، من ذلك مايرويه من أنه عندما أراد مغادرة بلاد السلطان محمد أوزبك خان ـ حاكم





العربي
عيونك
على العالم

بومباي تحت العاصفة

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



حين تتوهج الشمس . . وتبلغ الحرارة اللافحة أقصى درجاتها . . تأتي الرياح الموسمية مزمجرة من بحر العرب ، لتهب على السواحل القريبة لشبه القارة الهندية ، مستأنفة سيرها بعد ذلك من الجنوب الى الشمال الى ماوراء سفوح الهيمالايا . . وحين تنفض الحقول عن نفسها المياه الرطبة وندى الفجر ، يكون الفلاحون في سباق مع الزمن . . يحرثون الارض ويبذرون البذور ويغرسون شتلات الارز ، « فالمونسون » تلك الرياح الموسمية المتوحشة التى تسوق أمامها الغيوم الداكنة المليئة بالماء . . تقترب فى بطء لتهمر أمطارها دون أن تحدد لخطوها أى زمان أو مكان . . ففى كل عام تتجاوز بعض المناطق حتى لتعز عليها قطرة الماء وتموت من قسوة الجفاف . بينما تغرق أراض أخرى غرقا تاما يبلغ حد الكارثة . أما فيما بقى من الارض فهى تغدق عليها الخصب والنماء والحياة . . فتبدو حسب عقائد الهندوس وكأنها « شيفا » اله الخصب والنماء . . الخالق الحافظ المدمر ، الذى يحيى الأرض أو يميتها بريح أنفاسه المنطلقة من بين شفتيه . .

وكما يحدث كل ذلك في شبه القارة الهندية وماحولها ، فانك تستطيع أن تشهد صورة مصغرة من ذلك الحدث الكبير . . إذا انطلقت مع الصيف ونفحة الحر الى بومباى . .

اذا اردت أن تعرف بومباى على حقيقتها . . فتأمل بيضة مليئةوجدتها أمامك وأنت جائع . . ستجد قشرتها الخارجية ناعمة ملساء ناصعة البياض . . وستجد أنها تغريك بجمالها وتستثير لهفتك الى مافى داخلها من مح وزلال حى . . يجد متنفسه من خلال مسام القشرة مابقيت سليمة لم تدقها بأصابعك فتكسرها . . ولم ينقرها فرخها من داخلها ليخرج الى الحياة . .

ولكنك لن تدرك أن هذه القشرة خادعة . . فالبيضة قد ظلت مهملة لمدة طويلة ملقاة تحت هجير الحر بلا عناية ولاتبريد . . فاذا ما بداخلها قد فسد بحيث لـم يعد يتحرك فيه سوى سائل سقيم فقد لزوجته وساح فيه المح على الزلال . . وماتت في خلاياه الحياة . . واصبح يكتم ريحا كريهة . . تتقلب لها الأمعاء ، وتفسد بها كل الأجواء . .

تلك البيضة . . هى صورة مصغرة من . . بومباى . . !

هذه الرياح الممطرة

وحين انطلقنا الى بومباى - بوابة الهند الغربية ومينائها البحرى الرئيسى وعاصمة ماهاراشترا المطلة على بحر العرب - لم يكن هدفنا ان نتحسس نعومة القشرة الملساء التى يزدهى بها مشهدها الخارجى ولا كان في نيتنا أن نخوض في سراديب الشوارع الخلفية ، ونغوص في خضم ذلك الحشد الرهيب من البشر بكل ما يحيط بهم من فقر وجوع ومعاناة . .

ولكننا حين اتجهنا الى بومباى . . كان لنا هدف آخر . . فقد كنا في الحقيقة نريد أن نلاحق بدايات « المونسون » .

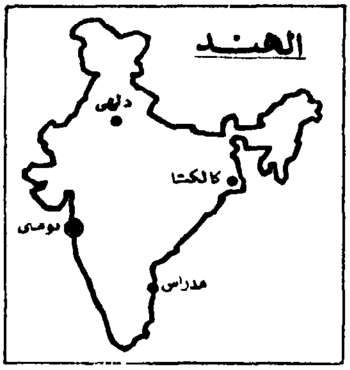
والمونسون - كما يطلق عليه الجغرافيون وكما

يسمونه في جنوب شرق آسيا وحتى جبال الهيمالايا والصين في الشمال ـ هو اللفظ المأخوذ من كلمة « موسم » العربية ويعني به موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الممطرة .. التي تنطلق مزمجرة مع بدايات يونيو كل عام لتستمر الى اكتوبر .. مرسلة سيول أمطارها ومطلقة رعودها وبروقها لتتحول في كثير من الاحيان الى عواصف واعاصير .. ويستقبلها الناس بترحاب برغم كل ما ينتج عنها من فيضانات مدمرة وإغراق للحقول واكتساح للبيوت وضياع للنفوس ، حتى ليتجاوز عدد ضحاياها في أحيان كثيرة بضع مئات من الغرقى ومئات الالاف من المشردين . برغم كل ذلك فالناس يستقبلون « المونسون » مهللين شاكرين باعتبارها هبة الخير من السماء ، وكما قال الشاعر الهندي « كاليدسا » قبل الف وخمسمائة عام :

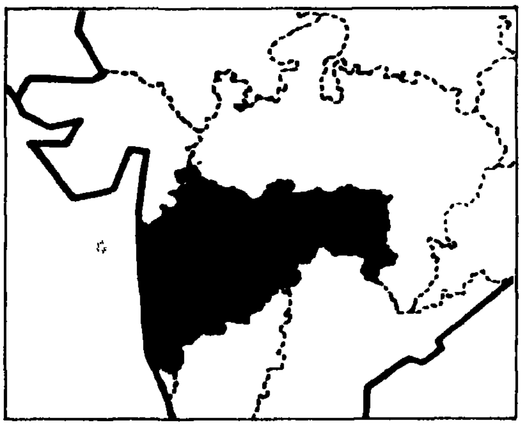
« هذه الرياح تتقدم بغيومها الثقيلة كالفيلة المنطلقة الى الامام .. عظيمة هائلة محملة بالأمطار الخيرة تتقدم وكأنها ملوك على رؤوس جيوشهم .. البروق أعلامهم ... والرعود طبولهم » .

ويحدثنا الجغرافي العربي الدكتور حسن ابو العينين عن المونسون فيقول :

هذا الفصل المطير الذي يسيطر على بومباى وعلى شبه الجزيرة الهندية كلها في الغالب يمتد من يونيو الى اكتوبر ... ويبدأ هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الاسبوع الاول من يونيو .. وتبلغ سرعتها نحو ٤٠ كيلو مترا في الساعة على طول الساحل الغربي .. ولكن هذه السرعة تتجاوز الضعف واكثر عندما تتحول الى عواصف رهيبة تكتسح أمامها كل شيء .. وإن كانت تقل كلما اتجهنا نحو الشرق . ويختلف طول الفصل المطير من مكان الى آخر تبعا لأثر الموقع الجغرافي والظروف المحلية .. فتسقط الامطار فوق اقليم بومباى خلال الاسبوع الاول من يونيو وتنتهي مع نهاية الاسبوع الثانى من اكتوبر .. بينما يمتد الفصل الممطر فوق اقليم البنغال وبنجلاديش من منتصف يونيو وحتى نهاية اكتوبر .. وفوق اقليم البنجاب من اول يوليو الى أواخر سبتمبر .



خريطة الهند وتبدو بومباى على الساحل الغربي والى أسفل ولاية مهارشترا «المظللة»



سر « المونسون »

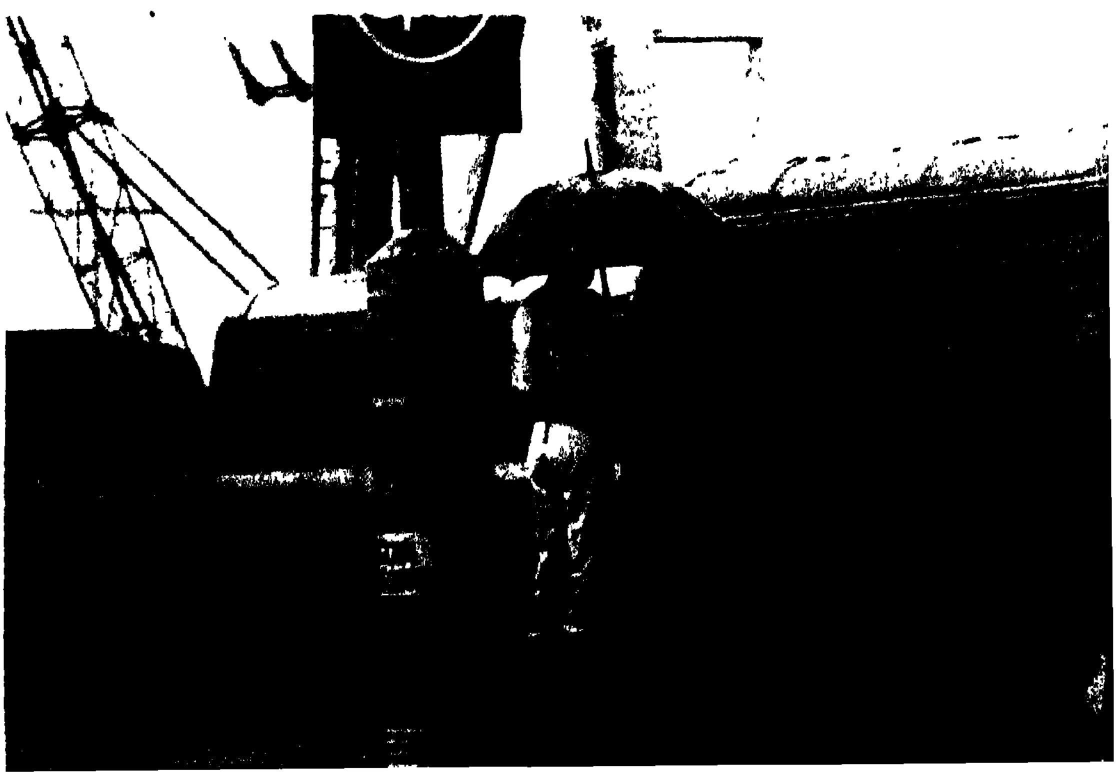
ولكن ماهى الاسباب والبدايات ؟

فى فصل الصيف الشمالى .. تتعامد الشمس على مدار السرطان وتتكون مع ارتفاع درجة الحرارة فوق القسم الشمالى الغربى من شبه القارة الهندية منطقة عظمى من الضغط المنخفض .. ومن ثم تنجذب اليها الرياح الآتية من فوق المسطحات المائية والمحملة بالرطوبة . فتنساب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية من مناطق الضغط المرتفع المدارية نحو الشمال .. ثم سرعان ما تنحرف على يمين اتجاهها بعد أن تعبر الدائرة الاستوائية وتصبح جنوبية غربية ، وتسمى هنا باسم الرياح الموسمية الصيفية . وتسقط هذه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أمطارا غزيرة فوق الساحل الغربى . وتقل كمية الأمطار فوق مناطق ظل المطر ثم تنطلق نحو المناطق الشرقية . وعندما تمر هذه الرياح فوق مياه خليج البنغال وتعظم بها نسبة الرطوبة من





الخوض في الماء   أصبح عادة عند سكان المدينة لايمنعهم من الوصول الى أعمالهم   وليس مهما أن يصلوا الى العمل والماء يقطر من ملابسهم   فالجميع سواء   حتى ولو بدون حذاء والمظلة فيها الكفاية ولو كان لرجل المرور



جديد ، تتجه بدورها نحو الشمال الغربي جنوب مناطق الضغط المنخفض العظمى . . ومن ثم تسقط أمطارا غزيرة فوق الحوض الادنى لنهر الجانجز والسفوح الجنوبية لمرتفعات الهيمالايا في نيبال وماوراءها جنوبي الصين .

وحين نسأل رجال الأرصاد يقولون ان المشكلة تكمن في صعوبة التنبؤ ببداية سقوط الأمطار الموسمية . . وكمية ما تسقط من المياه في مختلف الاقاليم والدول التي تهب عليها الرياح الصيفية . ويرغم الاستعانة بمختلف اجهزة الرصد والكمبيوتر والاقمار الصناعية فما تزال هناك مشكلة عدم إمكانية التنبؤ بدقة الا لعدد قليل من الايام . . حتى ان رجال الارصاد يقولون انه كلما ازدادت المقارنات بين توقعاتهم وبين البدايات الواقعية للمونسون يجدون أن الامر اصبح اكثر تعقيدا . . ويبدو لهم وكأنهم يتعاملون مع مشكلة لاحل لها .

هذا الاضطراب في تحديد مواعيد هبوب الرياح المحملة بالامطار الموسمية ، وتوقع كمياتها ومدى تحولها الى عواصف وماقد ينتج في نفس الوقت من اعاصير ، هو مايثير الأمل المختلط بالقلق بين السياسيين والاقتصاديين والزراعيين والفلاحين في جميع انحاء آسيا حيث تعتمد الزراعة ـ وبالتالي حياة نصف سكان الارض البالغ عددهم في هذه المناطق ما لايقل عن ٢٥٠٠ مليون نسمة ـ على المونسون . وتتخذ قرارات سياسية واقتصادية مصيرية ، وينجح سياسيون ويسقط آخرون ، بسبب قلة أو زيادة كميات الامطار التي تسقطها هذه الرياح الموسمية . .

بومباي تستبقلنا بالأمطار :

كل ذلك كان في تقديرنا ونحن ننطلق الى بومباي لمتابعة بدايات المونسون .

كان الوقت في الصباح الباكر من السابع من يونيو . . نفس الفترة التي يتوقعون فيها بداية هطول الامطار مع هبوب الرياح الموسمية .

واستبشرنا خيرا . . فمع لحظة وصولنا ادركنا اننا قد بدأنا رحلتنا مع المونسون . . وعلى طول الطريق الذي يمتد ٣٠ كيلومترا من المطار الدولي في ساهار الى وسط مدينة بومباي كان كل شيء يغرق تحت وابل من الأمطار .

وقال لنا سائق السيارة : انه اول يوم تهطل فيه الامطار بهذه الغزارة فلأيام طويلة سابقة لم تسقط على بومباي قطرة ماء واحدة . . وكان كل شيء يتنسم ريح المونسون . . وها قد جاء الخير اخيرا مع قدومكم . .

هكذا كانت الصورة في صباح ذلك اليوم الباكر من يونيو وسائق السيارة يقطع بنا الطريق من المطار الى الفندق . . الامطار تسقط بغزارة لم نشهد مثلها من قبل . . الماء يتدفق ويرتطم بزجاج السيارة وكأنه سيول من قطع الثلج تنهال من السماء . . .

السائق يتراقص بسيارته غير عابيء بالدفق المائي الذي يهطل بشدة . . الفرحة تكاد تطير بالرجل وهو يتغنى بأغنية لم نفهم معناها ولكنها بلاشك تحية للسماء أن أرسلت هذا الفيض المنهمر الذي ينتظره ويتمناه الجميع . .

لانكاد نقطع عشرة كيلومترات حتى نجد انفسنا ونحن نخوض نفس الطريق على طول مجرى « قناة ماهيم » ولكن الماء قد ارتفع حتى وكأننا داخل غواصة تسير على سطح مجرى مائي عريض . . . جميع انواع المركبات تتزاحم وهي تسير مسرعة بينها الحافلات والباصات والسيارات ولوريات النقل وعربات التونجا التي تجرها الثيران وعربات الراكشو ذات الثلاث عجلات والدراجات البخارية والهوائية ، كلها في سباق مجنون لا يوقفه الا تاكسي او سيارة تعطلت هنا او هناك بسبب وصول المياه الى محركاتها وتكون فرصة لنسترد انفاسنا قبل أن يستأنف السائق طيرانه ويواصل أغانيه . .

هنا على الجانبين تقوم اكواخ واكشاك بعضها من الصفيح وبعضها من الخشب ، وكلها مغطى اما ببقايا اسبست او بأغصان اشجار او بقطع من الخشب واعواد الذرة ولفائف اعواد الارز . . وهي كلها لا تستطيع ان تحول دون تسرب الماء الى داخل الاكواخ ، فكأنها والطريق الموحل الغارق في الماء سواء . . . لا فرق بين من يقيمون بداخلها وبين من ينطلقون في الطريق واغلبهم بلا مظلات ، ومن يجرون العربات باجسادهم النحيلة التي لا تغطيها

الملابس الداخلية الممزقة التي تلتصق بأجسامهم او من يحملون اطفال المدارس ليعبروا بهم الطريق بين هذا الزخم الغريب من الحركة التي لا تنقطع . .

وتنطلق الكاميرا في يد زميلي المصور وقد غطى رأسه بالغطاء الواقي من المطر ، وأدخل آلة التصوير في كيس من النايلون فتح للعدسة فيه منفذا وراح يسجل اللقطات الأولى لأمطار المونسون .

ووصلنا الى الفندق . وابى السائق بشدة ـ الا بعد الحاح شديد ـ ان يأخذ منا اجر انتقالنا من المطار الى الفندق . . فالبشرى قد جاءت معنا . . . وما دمنا قد جئنا مع البداية الغامرة بالامطار . . . فذلك هو الأجر الذي كان يتمنى ان يحصل عليه ولا مزيد . .

ولو درى السائق المسكين ما كانت تحمله الايام القليلة التالية ، لأخذ منا الأجر عشرة اضعاف . . فقد كان ذلك اليوم هو اليوم الوحيد الذي هطلت فيه الامطار على بومباي طوال اسبوع . . وكانت الشمس طوال الايام التالية مشرقة محرقة . . والسماء صحوا صافية ليس فيها اثر لاي سحابة ولو بيضاء . . . تحمل على الأقل قطرة ماء . .

وفي ذلك الاسبوع بالذات . . كانت الانباء تتوالى عن الفيضانات والسيول والأعاصير التي اكتسحت خليج البنغال وبنجلاديش . . وادت الى كوارث رهيبة في الارواح والممتلكات . . والى اغراق الحقول واكتساح البيوت والحيوانات في السفوح والسهول وحول مجاري الانهار على حد سواء .

ولم نكن قد نسينا بعد . . انه في نفس الوقت من العام الماضي ـ وكنا في جزر المالديف ـ كانت رياح المونسون تغرق الارض والجزر بامطار لا تنقطع ليل نهار . . وكان الناس يستقبلونها استقبالهم لفيض من الخير يهبط عليهم من السماء .

بوابة الهند :

قالت لنا مرافقتنا وقد مضى اليوم التالي لوصولنا والسماء صحو والشمس مشرقة ولا اثر لغيوم المونسون :

ـ لماذا لا تنتهزون الفرصة فتقوموا بجولة لمشاهدة معالم بومباي وما تزخر به من الوان الفتنة والجمال ؟ ولعل اولها ذلك الفندق الذي تقيمون فيه ؟

وكأنما لم نكن قد تنبهنا ـ ونحن نحلم بالمونسون ـ الى ما يتميز به فندق تاج محل الذي يعرفه كل زائر لبومباي ، كواحد من ابرز معالم المدينة . فقد اقامه رجل اعمال ثرى اسمه « جي تاتا » عام ١٩٠٣ ليضاف اليه مبنى اضافي عام ١٩٧٢ يمثل اخر صيحة من الهندسة المعمارية الحديثة ، عبارة عن مبنى شاهق الارتفاع تتجاوز طبقاته ٢٥ طابقا ، ويجعلك حين تطل الى المبنيين القديم والحديث تشعر انهما يلخصان لك تاريخ بومباي .

ونتحرك ليكون اول لقاء لنا مع بوابة الهند ، اشهر معالم المدينة ورمزها المميز ، البوابة تشبه « الماربل آرش » او قوس المرمر في لندن ، وقد بنيت تخليدا لذكرى الزيارة الملكية الأولى لبومباي عام ١٩١١ التي قام بها الملك جورج الخامس والملكة ماري . البوابة مشيدة على الطراز الهندي من البازلت الاصفر المحلي مع ملامح خليطة من الفن الهندي والفن الإسلامي .

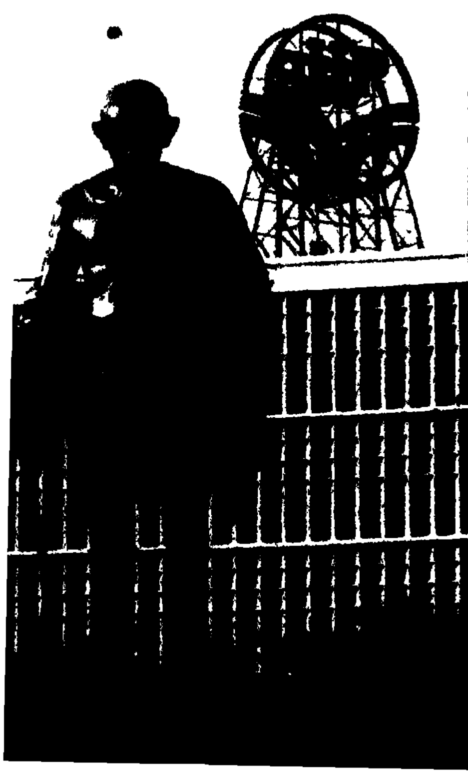
نعبر الطريق لنقترب اكثر ، الساحة المواجهة لبوابة الهند تؤكد لنا اننا الان في اعمق اعماق الهند . لوحة كاملة لكل ما نعرفه عن هذا البلد الذي يعيش على ارضه اكثر من سبعمائة مليون نسمة ، اغلبهم من الفقراء الذين يمارسون جميع مظاهر الفقر برغم ما تنعم به بلادهم من سحر وجمال وتاريخ . . ومئات العقائد والعبادات .

زحام الساحة يشكل لوحة سكانية من مختلف الاجناس والاشكال والالوان . . هنود من مختلف الولايات الهندية جاءوا الى المدينة للعمل والاقامة . . البعض سود البشرة والبعض اكثر بياضا . . وقوس قزح من الالوان الزاهية التي يرتديها قادمون وقادمات من الكوجارات الصحراوية القاحلة ليعملوا في التجارة او الصناعة وهم غالبا من اتباع العقيدة الجانتية . . وكثيرون آخرون من « الماهاراسا » من نسل المحاربين الأشداء الذين جعلوا الحياة في غاية الصعوبة سواء للمغول او الانجليز . . اضافة الى وجوه متباينة من الهندوس والمسلمين والسيخ . . ثم البارسيين اتباع ديانة زرادشت مع سياح من جميع الجنسيات .

ولاتكتفي الساحة بهؤلاء وحدهم ، بل هناك ايضا عمال وفلاحون وافاقون ومتسولون من جميع الاعمار ، وصبية وفتيان يطلقهم تجار السوق السوداء



طريق « عقد الملكة » . أو القشرة الخارجية لبيضة بومباي على
طول الطريق الساحلي الـذي يحيط بالمـدينة ويتوسطه بوابة الهند





فندق تاج محل . حيث يقوم المبنى الحديث الى جوار القديم أمام بوابة الهند وتمثال للمهاتما غاندي رمز الهند وصاحب سياسة اللاعنف والى أقصى اليسار صورة من الرقص الشعبي الذي يعتبر نوعا من العبادة في الهند



القفجاق شمالي البحر الأسود ـ جهزت لركوبه عربة « مغشاة باللبد ، ومعي بها جارية لي » . ويرجح أن هذه لم تكن الجارية الوحيدة لابن بطوطة في تلك المرحلة ، وإنما تجمعت لـه حصيلة من الجواري في رحلته ببلاد الروم والقفجاق ، ومـا يلي هـذه البلاد شرقا

يؤيد ذلك ما يرويه ابن بطوطة بعد قليل من أنه عندما غادر بخارى كـانت عنده جـارية قـد قاربت الولادة ، وكان يريد حملها الى سمرقند لتلد بها ، ولكنها ولدت بالطريق ، وأخبره بعض أصحابه أن المولودة بنت . ويستمر ابن بطوطة في روايته فيقول انه أرادأن يتحقق الخبر « فاستحضرت الجواري فسألتهن فأخبرني بذلك » ولعل في هذا مايوضح أنه كانت في صحبته أكثر من جارية ولايفوتنا أن نشير الى أن ابن بطوطة فرح بهذه المولودة ، وتفاءل بمقدمها ، إذ « كانت هذه البنت مولودة في طالع سعيـد ، فرأيت كل مايسرني ويرضيني منذ ولدت » . وكـان أسفه شديدا على وفاتها بعد وصوله الى الهند بشهرين ، كما يشير الى وجود « الجاريه أم البنت » معه عند وفاتها ، مما يدل على أنه عاش حوا أسريا بين جواريه وابنته في تلك المرحلة .

ومضى ابن بطوطة في حيـاتـه الخـاصـة محـاطـا بالجواري أثناء اقامته بالهند وهي الاقامة التي طالت نحوا من عامين من ذلك أن وزير سلطان دهلي أهداه عشر جوار من سبي الكفار ، « فأعطيت الذي جاء بهن واحدة منهن ، فما رضي بذلـك وأخذ أصحابي ثلاثا صغارا منهن ، وباقيهن لا أعرف مـا اتفق لهن »

أربع زوجات في ذيبة المهل :

على أن ابن بطوطة لم يلبث أن تزوج في جزائر ذيبة المهل ـ في جنوب اسيـا ـ أثناء طريقه من الهنـد الى الصين وقد ذكر ابن بطوطة عن أهل تلك الجزائر انهم كلهم مسلمون ، وأن الزواج عـندهم سهل » ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج ، فـاذا حان سفره طلق المرأة ، لأنهن لايخرجن من بلادهن . ومن لايتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر ، وترضى منه في مقابل ذلك بأيسر شيء من الاحسان . . . والتزوج في هـذه الجزائـر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء وأكثر النساء لايُسمي صداقا ، وانما تقع الشهادة وتعـطى صـداق مثلها . واذا قـدمت المراكب تـزوج أهلهـا النساء ، فاذا أرادوا السفر طلقوهن . . »

وبالاضافة الى ذلك فيبدو أن هناك عاملين شجعا ابن بطوطة على الزواج في تلك الجزر ، أولهما أنه أقام فيها فترة ليست بقصيـرة ، تولى خـلالها القضـاء ، والآخر ما اتصفت به نساء تلك الجزر من جمال فائق ، وعناية بالزينة ، فضلا عن حسن المعاشرة ، وصف ابن بطوطة هؤلاء النساء بأنهن لايغطين رؤوسهن ، وأنهن يمشـطن شعـورهن ، وقمـصـانهن قصـار الأكمام ، وحليهن كثيرة تملأ مابين الكوع والمرفق ، عـدا الخـلاخيـل وقـلائـد الـذهب المـدلاة على الصدور . . . ثم اختتم ابن بطوطة تلك الأوصاف بقوله : « ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى ما سواها ، بل تأتيه بالطعام ، وترفعه من بين يديه ، وتغسل يده ، وتأتيه بالماء للوضوء . . . »

ولعل هذه الصفات هي التي أغرت ابن بـطوطة بالزواج من أربع نساء في تلك الجزر ، بعضهن من علية القوم وينتمين بصلات القربى الى الحكام .

ثم كان أن اعتزم ابن بـطوطة الـرحيل عن تلك الجـزر ، فأرسـل اليه الـوزير رسـالة نصهـا « أعط صـداقات النسـاء ، وديون النـاس ، وانصرف اذا شئت » . فـطلق ابن بـطوطـة اثنتين من زوجـاتـه الأربع ، وكانت الثالثة حاملا منه ، فجعل لها أجلا تسعة أشهر ان عاد فيها ، والا فأمرها بيدهـا . أما الزوجة الرابعة فقد أصرت على صحبته والسفر معه ، رغم التقاليد السائدة من عدم خروج المرأة من البلاد في صحبة زوجها الـوافد . ولم يستـطع ابن بطوطـة منعها ، فاصطحبها معه . ولكنها لم تلبث أن مرضت في الـطريق ، وأحبت الرجـوع فطلقهـا وتـركهـا . وكانت الأشهر التسعة قد مرت فطلق غيابيا الزوجة التي كـان قد تـركها حـاملا وضـرب لهـا الأجـل ، ولايـدري سوى الله مصيـر الجنيـن الـذي كـان في أحشائها ، فقد تكون لابن بطوطة ذرية تعيش اليوم في جنوب القارة الآسيوية .

وراء السياح ليستبدلوا منهم الدولارات والجنيهات والماركات بالروبية الهندية بأرخص الاسعار . يختلط بكل هؤلاء باعة الزهور والفاكهة ، مع سحرة ينفخون في مزاميرهم لتخرج الكوبرا الراقصة رؤوسها من السلال مقابل حفنة من الروبيات ، بينما رجال مرفهون او سائقون يتزلون من السيارات حاملين اكياسا مليئة بالغلال ينثرونها امام المئات من الحمام الذي يطير ويحط وسط الساحة في امن وسلام .

ونلقي نظرة الى بعيد على طول الشاطىء الممتد لنواجه المشهد العام للقشرة الخارجية « لبيضة بومباي » .

طريق ممتد ينحني مع طول الساحل ، تطل عليه بنايات حديثة شاهقة يبدو جمالها ورونقها اكثر جاذبية عندما يأتي الليل وتتلألأ الاضواء مشكلة ما يشبه العقد حتى اطلقوا عليه طريق « عقد الملكة » .

من هنا ونحن نطل الى بعيد ، نستطيع ان نتصور تفاصيل القصة الحقيقية لتاريخ بومباي . .

أصل الحكاية :

كانت بومباي هي الجزيرة الرئيسية بين جزر سبع منفصلة بخلجان صغيرة واسعة .

والجزيرة نفسها عبارة عن سهل منبسط منخفض يقع حوالي ربعه تحت مستوى سطح البحر . ويحد السهل سلسلتان متوازيتان من التلال المنخفضة ، حيث تقترب الصخور في الجنوب من سطح الماء . . . وبسبب خطورتها على الملاحة كان لابد ان تقام فوقها منارة . . ويبلغ طول الجزيرة احد عشر ميلا ونصف ، ويتراوح عرضها ما بين ثلاثة وأربعة اميال ، وتغطي مساحة قدرها ٢٥ ميلا مربعا . .

بدأت المدينة تاريخيا ربعا مهملا ينغمر دون حماية بمياه المد الآتي من بحر العرب . وكان صائدو الاسماك هم السكان الوحيدون في مجموعة الجزر السبع المعلقة بشبه القارة الهندية . وبسبب المناخ الحار والرطوبة العالية وتعرضها المستمر للعواصف البحرية الآتية من بحر العرب ، لم يهتم بها البرتغاليون ـ الذين كانوا قد استولوا على جوا ـ حين تنازل لهم عنها السلطان بهادور شاه كوجارات عام ١٥٣٤ . وقد اعطوها بسهولة لشارل الثاني ملك انجلترا كجزء من مهر عروسه كاترين برجانزا اخت ملك البرتغال . وفي الثاني من ابريل ١٦٦٢ تقدمت حملة على رأسها السير ابرهام شيمان مبحرة الى بومباي لتسلمها . . ولكن فايسروي انطونيو البرتغالي رفض ان يسلمها ولم يسمح للانجليز بالرسو . . وظل على رفضه لمدة سنتين واربعة شهور حتى احتلها همفري كوك باسم الملك . وفي عام ١٦٦٨ ضمت بومباي رسميا الى شركة الهند الشرقية البريطانية بايجار سنوي يثير السخرية . . عشرة جنيهات فقط بشرط ان تدفع ذهبا . . !!

اما الاسم « بومباي » فيقال انه مأخوذ عن اللغة البرتغالية « بومباهيا » وتعني المرسى الواسع ، ولكن الصيادين يصرون على أنه تحريف لاسم الهة الصيد « ممباي » .

معالم حديثة

اتخذت الجزيرة مقرا رسميا لشركة الهند على الساحل الغربي عام ١٧٠٨ . وكان لهذا اثر عظيم في ان تطير شهرة بومباي لتصبح ميناء مهما ومركزا تجاريا كبيرا . وشهدت المدينة فترة جديدة من الازدهار والاهمية تحت قيادة اول حاكم لها ، الملازم الفينسون ، وانتظم الطريق البحري الشهري بين بومباي وانجلترا عن طريق قناة السويس والاسكندرية ، وكانت الرحلة تستغرق ٤٥ يوما تم اختصارها الى ثلاثين يوما بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . . وفي تلك الاثناء بدأ مد خطوط السكك الحديدية ليتم نقل القطن الخام الى المدينة لتزويد الصناعة الرئيسية في البلاد . وبعد عامين تمت إقامة محطة فكتوريا للسكك الحديدية على أرض مستصلحة .

وبعد عدة أعوام ازداد الازدهار التجاري عندما احتكرت بومباي تجارة القطن العالمية بعد قيام الحرب الأهلية الأمريكية . وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تحولت المدينة تحولا كبيرا . فقد اقيمت على طول طريق مهاتما غاندي مجموعات رائعة من البنايات ، بينها مقر ضخم لسكرتارية الحكومة ومقر للمحكمة العليا ومكتبة الجامعة والمجلس الاعلى

للجامعة وبرج الساعة ومكاتب الاشغال العامة والبريد ومبنى سوق كروفورد .

كل هذه المعالم الأخيرة البارزة كانت بعض ما شاهدناه ونحن نواصل جولتنا في المدينة التي تزخر بتراث غني من المعمار القوطي الجديد الذي ورثته عن الحكم البريطاني ، والذي يتمثل في محطة السكة الحديدية التي تعتبر احدى ابهى محطات السكك الحديدية في العالم حيث خرج منها اول قطار عام ١٨٥٣ .

اما برج الساعة المعلقة باعلاها فيزيد طول قطر دائرتها عن ثلاثة امتار . كما يتمثل الفن القوطي في مبنى المحكمة العليا وتمثالها الذي يرمز للعدالة والرحمة .

على بعد خطوات يقوم متحف امير ويلز الذي يمتاز بمظهر خارجي ذي طابع هندي اسلامي في غاية الروعة والفتنة . اما في داخله فذخيرة حية تعبر عن الفن الهندي والمغولي مع لوحات مغولية نادرة . وتوجد قطع بارزة من احجار الزبرجد والزمرد الكريمة الساحرة ونماذج مثيرة من التاريخ الطبيعي . وقرب المتحف يقوم برج راجاباي الذي يرتفع ٨٥ مترا ويطل على الملعب البيضاوي الواسع المفتوح .

وعلى بعد خطوات قليلة تقع ينابيع فلورا او « هوتا تما جوك » التي تعتبر مركز بومباي النابض بالحياة .

سوق كراوفورد

اما سوق كراوفود الذي شيد عام ١٨٦٧ ففي اعلى صالته المركزية تقوم ساعة اخرى معلقة لعلها تسترعي انتباه هؤلاء الذين يبدو انهم لا يهتمون كثيرا بالوقت . والسوق يزخر بالحركة والنشاط . . . وهو يعج بالبائعين والمشترين والطباخين والمتسولين طوال ساعات الليل والنهار .

وفي سوق الفاكهة نجد اشخاصا حفاة يحملون على رؤوسهم السلال الثقيلة من الموز والاناناس والبطيخ والمانجو وما عداها من فواكه المناطق الحارة . . وفي سوق السمك نجد البومفريت المفضل لدى السكان و« بطة بومباي » وهذه لا علاقة لها بالبط وانما هي سمكة صغيرة الحجم تباع مملحة .

اما سوق الحيوان فهو الذي يجتذب العدد الأكبر من الزوار . وهو يضم انواعا من القردة والنسانيس والببغاوات . . ويحرم هنا بيع الثعابين ، وان كان ساحر الكوبرا هنا يواصل النفخ بمزماره لترقص الكوبرا على أنغامه . .

ومثل الباعة الجائلين وبائعي مراوح ريش الطاووس ، فان لطبيب او حكيم السوق ركنا خاصا به . ومن بين العقاقير التي يصرفها هذا الطبيب لمرضاه مسحوق رأس السلحفاة وجوز الهند ودهن الوذق المخلوط بقطرات الندى ، ومن ورق المانجو والذي يوصي به لمرضى الروماتيزم . وعلى سوق كراوفورد يطل مسجد الجمعة في بومباي حيث يزدحم فيه المصلون المسلمون . . وهو ازدحام يفتقر لمثله مسجد الحاج على الذي وافته المنية وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ، فأقيم له ضريح داخل المسجد الذي تصعب زيارته الا في اوقات الجزر لأنه مبنى عند اقدام البحر .

عند شاطيء تشاوباتي وعلى تل ملبار يمكن الوقوف لالقاء نظرة شاملة على المدينة من عل . وتقوم على هذا التل مبان جميلة كالقصر الحكومي . . كما يوجد ملعب الاطفال المعروف باسم « كمالا نهرو بارك » نسبة الى زوجة جواهر لال نهرو . . وتوفر الحدائق المعلقة في هذا المكان فرصة طيبة للتنزه وسط النباتات التي تشذب على شكل حيوانات مختلفة . كما ان بينها كوخا طوليا على شكل حذاء برقبة هو مجال رائع لتسلية الاطفال . . والى جوار المكان توجد حديقة الاسماك على شاطيء تشاوباتي . .

البارسيون وأبراج الصمت

في الجهة المقابلة وداخل الحديقة القائمة على تل ملبار تقوم « ابراج الصمت » الخاصة بفئة البارسيين ، من اتباع الديانة الزرادشتية ، الذين جاء اجدادهم من فارس هاربين من وجه المد الاسلامي ، واستقروا في جنوب غربي الهند وخصوصا في بومباي التي يعيش فيها ٧٠ ألفا من البارسيين البالغ عددهم في جميع انحاء الهند حوالي ١٠٠ ألف .

وابراج الصمت ليست ابراجا حقيقية ولكنها عبارة عن جدران دائرية توضع على قمتها جثث الموتى لتنهشها جوارح الطير ، حتى لا تدنس العناصر





بوابة الهند   تقف شامخة رمزا لمدينة بومباي (الى اليمين) ومشهد من سوق الملابس (اعلى)



في سوق كراوفورد   كل شيء
يباع لافرق بين الفاكهة
والخضراوات   والاحذية ولا
شيء يهم



المقدسة بدفنها في الارض او حرقها في الهواء . . . وهذه العناصر اربعة هي الماء والهواء والأرض والنار .

ولا يسمح لأي انسان من غير البارسيين بدخول ابراج الصمت . . تماما كما لايسمحون لاحد بدخول معبدهم حيث شعلة النار تظل مشتعلة ابدا . وهم يقولون انهم يقدسون النار ولكنهم لا يعبدونها لانها مقدسة كرمز . من اجل ذلك فقد تحملوا التبعة التي القاها زرادشت على اكتافهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطرمة بالمعنى الرمزي والمعنوي ، فراحوا يوقدونها أبدا ويجعلونها تتأجج في صدورهم كما في معابدهم .

واذا كان البارسيون يشكلون مجتمعا صغيرا بالنسبة لسكان بومباي البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة اغلبهم من الهندوس ، الا انهم يملكون ناصية المال والتجارة والصناعة في المدينة . ومع ذلك وبرغم انهم يعتقدون ان عقيدتهم هي افضل عقيدة في العالم ، الا انهم لم يعلموها للهندوس او يجذبوهم اليها . وليس هذا فحسب ، بل انهم يحرمون على اي انسان لم يولد بارسيا ان يعتنق هذا الدين .

في المعبد الجانتي :

غير بعيد عن الحدائق المعلقة ندخل معبد الجانتيين . والمعبد الجانتي نسبة الى العقيدة الجانتية التي وضع أسسها فتى ثري ، خلع في شبابه عن جسده كل ثيابه وثرائه ، وطرح العالم كله واساليب العيش فيه ، وراح يجوب ارجاء الاقليم زاهدا متقشفا ينشد تطهير نفسه من ادرانها ، قاصدا ان يزداد لسر الوجود فهما وعلما . وبعد ان قضى في انكار ذاته على هذا النحو ثلاثة عشر عاما ، أعلنت جماعة من اتباعه انه « جنا » اي معلم من عظماء المعلمين وسموه « ما هافيرا » أي البطل العظيم ، واتخذوا لانفسهم اسما اشتقوه من اسم عقيدتهم فأطلقوا على انفسهم اسم « الجانتيين » ، وقامت عقيدتهم على اساس افتراض عالم لم تسبقه اسباب ولم يخلقه خالق ، وان الكون موجود منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لا نهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة اكثر من ان تعزي الى صناعة اله . ولما افرغ الجانتيون السماء من إلهها لم يلبثوا ان عمروها من جديد بطائفة من القديسين المؤلهين ، وراحوا يعبدونهم مخلصين لهم العبادة ، يقيمون لهم الشعائر . لكنهم اعتبروا هؤلاء المؤلهين انفسهم خاضعين للتناسخ ولم يعدوهم خالقين للعالم ، او سادة عليه .

سألنا فتاة كان من الواضح انها ذات ثقافة عالية وكانت قد ادت عبادتها داخل المعبد فقالت : اننا نحن الجانتيين نرى ان الطريق المؤدية الى الخلاص هي توبة تقشفية مع الامتناع عن ايذاء أي كائن حي . ولزام على كل متقشف جانتي ان يأخذ على نفسه عهودا خمسة . . الا يقتل كائنا حيا ، والا يكذب ، والا يأخذ مالم يعطه ، وأن يصون عفته ، وأن ينبذ الاستمتاع بالأشياء الخارجية كلها . ولهذا فالزراعة حرام على الجانتي لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان . والجانتي الصالح يرفض اكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية ان يقتل ماعساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ، ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء احياء عالقة فيقتلها ، ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار .

كل هذه الجولة حول معالم بومباي وماتزال امطار المونسون لا يظهر لها بشير بعد . . واذن فثمة مكان لابد من مشاهدته ، وان كان يبعد عن شاطيء بومباي عند بوابة الهند بمسافة حوالي عشرة كيلومترات . . انه جزيرة الفانتا . . حيث المعابد الشهيرة المحفورة في الصخور الكهفية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع .

كهوف الفانتا :

قالت لنا مرافقتنا وهي تدعونا الى الا ندع هذه الفرصة تفوتنا :

ـ حين تتأخر امطار المونسون ، فان الناس هنا من الهندوس يتجهون الى معابد الفانتا ليؤدوا صلاة استسقاء للاله شيفا استدرارا لرحمته حتى يأمر الامطار بالسقوط . . ستشهدونهم اذا ذهبتم الى هناك ، وسيفعل مثلكم كثيرون من الاجانب والاهالي .

من أمام بوابة الهند . . تحرك القارب البخاري يحملنا الى جزيرة الفانتا . . هناك تبدأ عملية صعود طويلة على درجات ترتفع حوالي ٧٠ مترا على سفح

الجبل ، لنجد انفسنا امام كهف محفور كله داخل صخور الجبل . . . الكهف عبارة عن معبد كان مكرسا للاله شيفا « الخالق الحافظ المدمر » في عقيدة الهندوس . . ولكن العبادة لا تجري فيه الان لانهم يعتبرون ان قدسيته قد تدنست عندما دخله البرتغاليون وحطموا اغلب تماثيل الاله وارتكبوا فيه الموبقات .

اهم الكهوف الموجودة التي يزورها الناس هو الكهف رقم ١ . . . هنا حفرت تماثيل شيفا في صخور الجبل . . تماثيل متعددة تستعرض حياته ورؤ وسه الثلاثة التي تجمع بين الثالوث « شيفا وبراهما وفشنو » وحين ننظر الى الوجه نحس انه يحمل نظرات بعضها غاضب وبعضها مبتسم ، بينما تمثال زوجته برافاتي يبدو الى جواره اقل حجما . . كما حفرت تماثيل اخرى تمثل شيفا نصفه الأيمن في جسد رجل ونصفه الايسر في جسد امرأة . ويتوسط الكهف ما يسمونه قدس الاقداس حيث وقف بعض الهندوس يواجهون تماثيل شيفا وهم يقدمون له الابتهالات في صلاة استسقاء من أجل أن يطلق العنان لريح المونسون . . !

ولكن الايام تمضي . . وما تزال الشمس ساطعة والسماء صافية ولا اثر لسحابة ولو من بعيد . . وكان علينا ان نواصل متابعتنا لنشاط الرياح الموسمية الممطرة . . ان لم يكن الآن في بومباي . . فلنأخذ طريقنا الى الشمال ، ولتكن بعد ذلك عودة الى بومباي . .

المونسون في الشمال :

وبدأنا جولة جديدة . . كان واضحا خلال جولتنا في الهند وحتى كشمير ونيبال على سفوح الهيمالايا انهم هناك يتوقعون رياح المونسون دائما ،ولكن لايمكن التنبؤ بشدتها أو اتجاهها . انهم يدركون أنها ستأتي حتما ، ولكنها قد تكون هادئة أو عاصفة تضج بالرعود والأمطار ، وقد تستمر الأمطار أياما وأسابيع ، وحين يبدأ هطول الأمطار مرة أخرى فانها تسقط بغزارة وعنف تنسي المرءكيف يمكن أن تبدو الأرض جافة متشققة من العطش في يوم من الأيام . .

وفي العاصمة نيودلهي التي تستلقي على حافة الصحراء بعيدا في الشمال . . يتابع الانسان من خلال تقارير الارصاد أنباء الرياح الموسمية على الشواطىء الغربية والشرقية ،حيث تهب فجأة وتتقدم على مدى واسع من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . . وحين كنا هناك وجدنا الأمطار وقد انقضت في غزارة لعدة أيام لم تكد تنقطع ، ونحن نتنقل بين دلهي وأجرا وفاتحبورسكري ، ثم ونحن على طول الطريق الى سريناجار عاصمة كشمير . .

كانت أمطار المونسون تنقض على الأرض اقليما وراء اقليم . . ولم يكن انقضاضها يمنع الفلاحين وخصوصا على سفوح الجبال من مواصلة العمل بعد أن يضعوا على رؤ وسهم أغطية من السعف أو أوراق البوص المجدولة بطريقة تحمي رؤوسهم وظهورهم المحنية على الأرض من المياه الغزيرة . . ثم فجأة تفيض الأنهار لتكتسح أمامها كل شيء . . حتى البيوت والدواب والانسان نفسه . ولكن أحيانا لايهتم بحجم الكارثة الا من تصيبه في حياته وماله وبيته . . بينما الآخرون يهللون ويصخبون ويضجون استقبالا وترحيبا بالمونسون . .

وفجأة تنقلب الغيوم الداكنة السوداء فتغير اتجاهها مع الريح بقوة دراماتيكية ، لتتوقف الأمطار ويتحول الهواء رطبا جافا ، حتى لايكاد الانسان يستطيع التنفس الا بصعوبة شديدة ، بينما يغرق في عرقه الذي يجف مع السخونة تاركا خيوطا من الأملاح على جلده . وتلك الحالة المتغيرة تستمر طوال الموسم الذي يمتد لاربعة شهور وتزيد . . ويرغم أن الأمطار لاتهطل كل يوم فان الجو يظل مشبعا بالرطوبة العالية ، ولكن تتحول الأراضي والسفوح لتخضر وتزهر وتظل الأنهار متخمة بالماء . طوال ذلك الموسم تحتضن رياح المونسون الهند كلها مثل حبيب مشتاق .

المونسون والتاريخ

والحقيقة ان الرياح الموسمية التي تترك آثارها على الحياة وعلى الانسان . . كان لها أيضا آثارها على تاريخ الهند .

فحين لم يكن الانسان في الهند يعرف شيئا عن الحرث أو فلاحة الأرض ، كان يتجنب السهول التي كانت كثيرة التعرض للرياح الموسمية . وعندما



زحام في أحد الطرقات الرئيسية في بومباي حيث مختلف الأجناس والالوان





سكان الأرصفة لايمنعهم شيء عن النوم على جانب الطريق وعند نقل البضائع من مكان لآخر فكل شيء مباح

اخترع الادوات التي عرف عن طريقها كيف يتغلب على مخاوفه ويستغل الأرض الخصبة ، تقدم بسرعة الى هذه المناطق مقيما ممالك وامبراطوريات ، حيث كانت زراعة الوديان الهندية هي التي قادت الى قيامها .

كانت الامطار في هذه الفترة تسقط على شمال الهند ، وكانت الارض الغنية بالخصوبة في دلتا الانهار الخمسة العظمى سهلة الاستغلال . ولكن سهول نهر الجانجز كانت في ذلك الحين مليئة بالغابات الكثيفة حيث لم يجرؤ الغزاة المستعمرون على الاقتراب منها واختراقها . ولكن عندما حلت فترة جديدة من القحط والجفاف بسبب تجاوز الامطار الموسمية لهذه المناطق ، أدى ذلك الى انهيار الحضارة وازالة الغابات التي كانت تقف حاجزا أمام الشماليين المهاجرين الدين جاءوا من المنطقة القزوينية التي كانت تسمى « ايرانافيجو » ومعناها الوطن الآري . فكانوا يسمون أنفسهم الآريين . وأصبحوا قادرين على اتخاذ طريقهم نحو الشرق ليجدوا ممالك صغيرة في سهول الجانجز الخصبة . في البداية كان هؤلاء المهاجرون القساة الجدد يزحفون وهم يسوقون أمامهم ماشيتهم . . وفضلوا البقاء في أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) التي تسقيها منابعها العظمى . وقد أدت بهم خصالهم الوحشية ويسر الحياة الزراعية الخصبة في الأرض التي غزوها الى السيادة عليها ، ولم يمحوا ابداهدفهم من أنهم ارادوا أرضا ومرعى لماشيتهم ومزيدا من الأبقار والماشية . ومع استقرارهم وتحولهم



الى الزراعة تماما في القرن السابع قبل الميلاد بدأوا يكونون دويلات وامارات اعتمادا على قيام جماعات قروية مستقلة بعضها عن بعض استقلالا نسبيا ، وراحوا يزرعون الأراضي الخصبة بقدر ما يستطيعون بين نهري الجانجز والجومنا في شمال الهند . وظلت الأرض الشرقية أيضا على مدى هجماتهم ، وتلك هي أحسن الأراضي المزروعة حاليا حيث يزرع الأرز بشكل واسع ، وهي أيضا أكثر المناطق ازدحاما بالسكان . . فحيثما انتعشت زراعة الأرز انتعشت معها حياة الانسان . .

الزراعة والحضارة

ومنذ ذلك الوقت ومع استخدام الهنود الآريين للآلات الزراعية التي توصلوا الى صنعها ، اتسع نطاق زراعة الأرز في كل المناطق حيثما نزلت الأمطار . . ولم يشمل ذلك المناطق الشرقية فحسب ، بل شمل المناطق الغربية أيضا . وظلت حياة الانسان الرئيسية من حيث الاقتصاد والسياسة على صورة واحدة لاتتغير ، فكانوا يربون الماشية ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس ، ويأكلون اللحم أينما استطاعوا اليه سبيلا . أما الحقول والأراضي الزراعية التي اعتمدت على المونسون وفيضانات الانهار ، فكانت الجماعة القروية تقسمها بين عائلاتها على أن يقوم الكل بريها . وكانت الكثرة الغالبة من الناس فلاحين يملكون أرضهم التي يفلحونها لأن الآريين كانوا يعدونه عارا أن يعملوا لقاء أجر يتقاضونه .

في كل من هذه المناطق قامت ممالك وامارات حيث الاعتماد الأساسي على الزراعة التي لاتزدهر الا من خلال الامطار الموسمية وفيضانات الانهار وخصوصا على ضفاف الجانجز . . ثم كان بعد ذلك قيام الامبراطورية العظمى للامبراطور أشوكا في القرن الثالث قبل الميلاد حيث امتدت أملاكه من البنغال الى الهندكوش وجنوب الهند .

حكم أشوكا مدة خمس وثلاثين سنة . وبعد أن خاض غمار الحروب وانتصر في غزوات كثيرة جريا على السياسة التقليدية في الهند . . أثر في نفسه ما تخلفه الحروب من بؤس وشقاء وخصوصا للفلاحين

الـذين عجزوا كثيـرا عن استغلال أراضيهم بسبب استمرار الحروب وتخريب الحقول . وقد أدى هذا الى أن عاف أشوكا الحروب والغزوات وانصرف عنها ، ثم التحق بالبوذية ولبس مسوح الرهبان حينـا من الزمن ، وأبطل الصيد وأكل اللحم وعمل على نشر الديانة البوذية في ربوع الهند . وبدأ أشوكا يعني بوجه خاص بتـأكيـد الاعـراض عن استعمـال العنف ويدعوالى الرأفة بجميع الأحياء . . وبدأ الاهتمام يتجه من جديد الى الارض الزراعية وزراعة الأرز مع سيطرة النـزعـة الى السلم والبعد عن العنف . . وكانت هذه النزعة أيضا هي التي ترسمتها الممالك والامارات في خطى الامبـراطور أشـوكا . واستمـرأ السكان حياة الدعة والسلم واتجهوا بكل امكاناتهم نحـو الانتـاج الـزراعي والسـلام الاجتمـاعي والاستغراق العقائدي وأصبح الهندي يعني بواجباته الادبية والطريق الذي يسلكه في الحياة ، أكثر مما يعني بتنوع الحكم وأسلوبه . لم يعد بعد يشغل باله كثيرا بالدفاع عن الحكومة القائمة مما يفسر بعد ذلك سهولة سقـوط الامبراطـوريـات المتـوالية نسبيـا في الهنـد والانتصارات التي كان يحرزها الغزاة القادمون سواء من الشمـال الغربي بـرا . . أو من الجنوب الغـربي بحـرا . . هؤلاء الذين جاءوا الى الهند عـلى طريق الرياح الموسمية القـادمة عبـر بحر العـرب والمحيط الهندي .

على أن هذا الاعتماد على الحياة الزراعية المرتبطة بالرياح الموسمية المطيرة ، والنشاط التجـاري المرتبط بالاستعانة بالرياح الموسمية في دفـع اشرعـة السفن التجـارية بـين موانىء الهنـد ومراكـز التجارة غـربـا وشرقا ، قد جعل حكام الهند ومقاطعاتها يستكينون الى هذه الدعة التي استسلمت لها شعوبهم . . فلم يلقـوا بالا الى ضـرورة العمل لـمواجهة أي عـدوان بحـري ، ولم يهتموا بـانشاء اسطول بحـري قـوى يستطيع حماية شواطئهم الواسعة ، وما عملوا على أن تكون لهم قوة بحرية للدفاع عن مصالحهم التجارية في بحر العرب والمحيط الهندي . . فلما جاءت القوى الاستعمارية الأوروبية على اختـلاف انواعهـا لغزو الهند ، لم تجد أدنى مقاومة . . بل ان بعضها لم يهتم بـالغـزو العسكـري اذ وجـد في الغـزو عن طـريق الشـركات التجـارية طـريقـا سهـلا للسيـطرة عـلى اقتصاديات البلاد . . مع وضع الموانىء التجارية تحت السيطرة الكاملة .

بومباي والشوارع الخلفية

كان لابد لجولتنا أن تنتهي وأن نعود مرة أخرى الى بومباي لمتابعة المونسون . الآن كل شيء غارق تحت الأمطار الموسميـة التي انقضت بكل قـوتها لتصبـح صاحبة السيطرة على كل مقدرات المـدينة . . شـدة هطول أمطار المونسون لم تعد تلك التي شاهـدناهـا عندما جئنا في أوائل المـوسم ، فقد تحـولت الريـاح والامطار المرافقة لها لتصبح عواصف مستمرة تغرق المدينة كلها بفيضانات وسيول لاتكاد تنقطع . . وفي مثل هذا الوقت تصبح الصورة أقدر عـلى التعبير في الشوارع الخلفية لبومباي . . .

هنا . . في الشوارع الخلفية . . وبين سكان المدينة البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة ، يعيش أكثر من مليوني انسان تحت مستوى الفقر ، بـالاضافـة الى بضعة ملايين يندرجون تحت خانـة الفقر المـدقع .

كانت بداية هذا المجتمع السكاني في بومباي مع بدء تطور المدينة عندما استقرت فيها رئاسة شركة الهند الشرقية . كان عدد السكان في ذلك الوقت لايتجاوز ٦٠ الف نسمـة . ومع الازدهـار التجـاري الـذي صحب بروزها كمركز تجاري وميناء رئيسي ، وبعد مد خطوط السكك الحديدية الى المنـاطق الداخليـة واحتكار بومباي لتجارة القطن العالمية . . وأصبحت المدينة منـطقة جـذب لمئات الألاف من المهـاجرين والهاربين من المناطق الصحراوية القاحلة والباحثين عن عمل . . وبلغ عدد السكان في عام ١٩٠١ حوالي ٨٤٠ الف نسمـة كـان أغلبهم يعيشـون في عشش وأكواخ من الصفيح أو البـامبو أو في ظـل الـواح من الخشب يجمعونها من بقايا المصانع ونفاياتها . . وبرغم الخطط الكثيرة لاقامة التحسينات اللازمـة لمواجهـة السيل الجارف من القادمين الجدد وما يصحب ذلك الازدحام الشديد عادة من القذارة ونقص الخدمات اللازمة لحياة الانسان . . كان لابد من توسيع قاعدة المدينة واستصلاح المزيـد من أراضي البحر لاقـامة مساكن لعشرات الالاف من العاملين في المصانع ، بينـما لم يكن من الممكن ايجاد مسـاكن تؤوي مئات

الالاف من الزاحفين العاطلين عن العمل .

كانت جاذبية المدينة كمركز تجاري وصناعي وميناء رئيسي تستدعي كل هؤلاء ، وكانت قطارات السكك الحديدية الممتدة الى جميع أنحاء الهند تقذف كل يوم بعشرات الآلاف من القادمين الجدد على رصيف محطة فكتوريا ، بالاضافة الى اللوريات والحافلات المحملة بكل أنواع البشر . واذا كانت بنايات القشرة الخارجية « لبيضة بومباي » قد استوعبت كبار الموظفين والقادرين وقيادات العمل في الميناء ومصانع القطن والنسيج والجلود والكيماويات والنفط ومختلف أنواع التجارة المرتبطة بالتصدير والاستيراد بجميع نوعياتها . . . فقد كان لابد للآلاف المؤلفة من العاملين والبنائين وصغار الموظفين والحمالين والسائقين وعمال التنظيف والنقل وكل النوعيات التي ترتبط بأعمال مدينة تجارية صناعية ضخمة كبومباي ، أن يجدوا مكانا للسكن والمأوى . واذا كانت المستعمرات والمجمعات العمالية التي أقامتها المصانع لاستيعاب بعض عمالها قد استوعبت الكثيرين رغم أنها لاتكاد تفي بامكانيات الايواء والمعيشة ، اذ هي من عشش الصفيح كل عشة صغيرة يقيم فيها عشرات من البشر . . الا أن الباقين من أصحاب الاعمال الدنيا ومن العاطلين والباحثين عن الرزق اليومي مع أسرهم لم يكن لهم سوى الشوارع الخلفية . . والنوم على الارصفة وامام واجهات المصانع والمحال ومحطات الحافلات وأي فجوة في أي طريق أو مبنى يمكن أن يستوعب بضعة اجساد يتلاصق بعضها مع بعض .

سكان الأرصفة . .

ان ٧٥٪ من سكان بومباي يسكنون فيما يسمى « بالشاولات » . . وهي مجمعات سكنية ترتفع حوالي خمس طبقات مقسمة الى غرف لكل عائلة غرفة . . وحوالي ١٥٪ يسكنون مع أسرهم في أكواخ من الصفيح والخشب والبوص كتلك التي كانت تطل على « مجرى ماهيم » حيث كل كوخ تقيم به أسرة كاملة وهو لايزيد عن ثلاثة امتار مربعة . وهي كلها تفتقر الى مرافق الصحة والصرف واداء احتياجات الانسان . . كما أنها مرتع خصيب لجميع احجام الفئران والحشرات . الى جانب كل ذلك فهناك ٢٪ على الأقل ليست لهم أماكن لايوائهم مما يجعلهم ينامون على الارصفة وتحت أسقف مواقف السيارات ومحطات السكك الحديدية واركان الشوارع ، أما الباقون وهم ٨٪ فقط فهم الطبقات القادرة التي تسكن البنايات . . أما الذين يعيشون من هؤلاء في مستوى الفقر فهم القادرون نسبيا على الحصول على أجر شهري من خلال العمل في المصانع يصل الى ٥٠٠ روبية (حوالي ٦٠ دولارا) أما الذين يعيشون تحت مستوى الفقر وهم كما تؤكد الارقام لايقلون عن ٢٠٪ ممن يمكنهم الحصول على أجر ضئيل - اذا اتيحت لهم الفرصة ليوم عمل - يتراوح بين ١٠ روبيات و١٥ روبية (١,٢٥ الى ٢دولار) ومثل هؤلاء جميعا لايمكن تصور أن يكونوا قادرين على الحصول على ملابس تستر اجسادهم عدا مايستقر على هذه الاجساد طوال شهور من ملابس رثة ممزقة أو مايعثرون عليه في نفايات وبقايا المزابل أمام مباني أصحاب القمة .

ولكن ماذا عن سكان الارصفة وجوانب الطرقات وفجوات البنايات ؟ الواقع أن مشكلاتهم مع افتراش الارض والتحاف السماء هي أبسط ما يعانون ، لأن الجو بالنسبة لهم محتمل في أغلب شهور السنة ، حيث لايحتاجون الى غطاء ثقيل يقيهم البرد . . ولكن الشقاوة الحقيقية هي في موسم الرياح الموسمية المطيرة خصوصا عندما تستمر الامطار لأيام متواليات دون أن ينقطع هطولها ، ودون أن تترك مكانا جافا يتيح لهم الحصول على أرصفة مريحة - هكذا شاهدنا معاناتهم والأمطار تهطل بعنفها الشديد - وان كان ذلك يتيح لهم فرصا جديدة ، اذ يتقدمون لحمل من يريد العبور من رصيف الى رصيف أو من منزل لآخر أو بين المحلات مقابل روبية أو أقل .

أما الذين لايجدون عملا . . فيتسولون . . الآلاف من المتسولين يفاجئونك وأنت تسير في الطريق أو عند تقاطع الطرقات . . أو عند مواقف اشارات المرور لاستجداء ركاب التاكسي وسائقي السيارات . . ولعل من الأسباب الأخرى التي تشجع

وهكذا تحرر ابن بطوطة من زوجاته الأربع بنفس السرعة التي بنى بها عليهن، وكان أن عاد ابن بطوطة مرة أخرى الى حياة الجواري « وأرسلت الى جارية كنت أحبها ، وسرت في تلك الجزائر من اقليم الى اقليم . » ويلاحظ أن ابن بطوطة استخدم مصطلح « الحب » في ذلك الدور ـ وهو في الأربعين من عمره ـ وفي تلك المرحلة من رحلته في جزائر جنوب آسيا ذات الخضرة والماء والجمال . وكانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها ابن بطوطة هذا المصطلح في تلك المرحلة وتلك الجزر ، ذلك أنه ذكر قبل ذلك بأسطر ـ خلال حديثه عن زوجاته الأربع ـ أن احداهن « كانت أحبهن الي » ومجيء هذا المصطلح في مذكرات ابن بطوطة التي أملاها بعد ذلك بنحو عشر سنوات وقد جاوز الخمسين من عمره ، دليل على أن عقله الباطن كان يختزن قدراً من الذكريات ، وأن قلبه كاد يحتوي قدرا من العواطف والأحاسيس نحو النساء اللائي أحبهن .

الزواج . . . والحب :

ولابد لنا من وقفة قصيرة هنا لتدبر العوامل الكامنة وراء تلك الاشارات العاطفية التي صدرت عن ابن بطوطة في تلك المرحلة من مذكراته . هل نرجعها الى اكتمال عواطف الرحل وقد بلغ الأربعين من عمره ، أم نرجعها الى طبيعة المرأة وجمالها الفائق في تلك المنطقة من العالم ، حسبما أشار ابن بطوطة نفسه في مذكراته هذا مع ملاحظة أنه سبق لابن بطوطة الزواج مرتين في مستهل رحلته ، مرة من تونسية والاخرى من مغربية . ولكنه لم يستخدم مصطلح الحب مطلقا عندما أشار الى علاقته بكل من هاتين الزوجتين ، كذلك دأب على اصطحاب بعض الجواري معه منذ أن دخل بلاد الترك ، كما سبق أن أشرنا ، وأنجب بنتا من احداهن ولكنه لم يشر صراحة الى أن علاقته بواحدة منهن قامت على اساس حب واقعي . ان ابن بطوطة لم يعرف هذا النوع من الحب الا في جزر جنوب آسيا .

ومهما يكن من أمر ، فان ابن بطوطة عند انصرافه من جزائر ذيبة المهل ـ في طريقه الى بلاد المعبر (جزر الهند الشرقية) ـ لم تكن في صحبته فقط تلك الجارية التي أحبها ، وانما صحبته جارية أخرى . وكان أن اشتدت الريح بهم وهم قبالة البر ، وأوشكت السفينة على الغرق ، فأراد ابن بطوطة أن ينزل الى المعدية (قارب النجاة) ، « وكانت لي جاريتان وصاحبان من أصحابي ، فقالا : أتنزل وتتركنا ؟ فآثرتهما على نفسي ، وقلت : انزلا أنتما والجارية ، فنزل رفيقاي ، وأحدهما محمد بن فرحان التوزري والآخر رجل مصري ، وجارية معهما ، والاخرى تسبح » ومن الواضح أن المعدية ، ـ أو قارب النجاة ـ كانت لاتتسع لاكثر من ثلاثة ، وأن الجارية التي آثرها ابن بطوطة في القارب هي المقربة من قلبه ، التي أشار اليها سابقا بأنه يحبها ، أما الاخرى فقد تركها تسبح الى الشاطىء .

وعند عودة ابن بطوطة من الصين الى الهند ، مر بجزيرة سومطرة ، فوجد سلطانها الملك الظاهر قد عاد من غزوة وبصحبته سبي كثير ، فبعث لابن بطوطة بجاريتين . ومنذ ذلك الوقت صمت ابن بطوطة صمتا تاما عن ذكر جواريه ، فلم يشر اليهن في مذكراته حتى عودته الى مسقط رأسه . والغالب أنه تخلص منهن بطريقة أو بأخرى ـ كالبيع أو الاهداء ـ قبل الشروع في العودة الى وطنه عن طريق مكة ، حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة . ونرجح أنه تحاشى اصطحاب الجواري معه عند مروره بأرض عربية ، حفاظا على كرامته ومكانته . كذلك يبدو أن ابن بطوطة لم يحاول الزواج ولم يقتن جارية بعد ذلك ، وخصوصا في رحلته الثالثة الى غرب افريقية وصحرائها . كل ما في الأمر أنه اشترى « خادم معلمة » من بلدة تكدا في طريق عودته عبر الصحراء العربية من السودان الى بلاده .

المرأة والمجتمع الاسلامي :

هذا عن مغامرات ابن بطوطة الشخصية في دنيا المرأة . ومنها يتضح ـ حسبما ذكره ـ أنه تزوج خلال رحلته الاولى ست مرات ، عدا سنوات طويلة قضاها في صحبة الجواري ، في حدود ما أحله الله .

على أن هذا لم يكن ما جاء في مذكرات ابن بطوطة عن المرأة ، اذ حرص هذا الرحالة على أن يسجل كل طريف عن أحوال الشعوب التي ساح في بلادها ،



على التسول أن من عادات الهندوس الاحسان للمتسولين ومنحهم العطايا كقربان للآلهة . ولهذا أصبح المجتمع الهندوسي في بومباي لايرفض وجود المتسولين . ولكن أغلب هؤلاء المتسولين المتخصصين في المدينة وخصوصا الاطفال منهم اتخذوا هذا العمل مهنة يتم التدريب عليها وامتهانها تحت قيادات هي نوع من عصابات المافيا . وهذه العصابات تقوم عادة باختطاف الأطفال دون أن يهتم أهلوهم بالبحث عنهم لكثرة ما لديهم من أبناء يعجزون عن الانفاق عليهم عن فقر أو املاق . ويتلقى هؤلاء الصغار دروسا فيها يشبه مدارس التسول والنشل لتعليمهم الطرق المثلى للقيام بمهمتهم الجديدة وكيفية اختيار زبائنهم وأماكن تواجدهم .

كل ذلك لايمنع من وجود متسولين حقيقيين وبأعداد تتجاوزالآلاف . فبعض عائلات الفلاحين في المناطق القاحلة في ماهارشترا يضيقون ذرعا بكبار السن من آبائهم ولا يتحملون الانفاق عليهم . فيذهبون بهم الى بومباي ويتركونهم لمصائرهم في شوارع المدينة . ولايكون أمام هؤلاء مع عجزهم عن العمل وضعفهم الا أن يتسولوا ليبقوا على بعض رمق الحياة . وهناك أيضا زوجات فقدن أزواجهن هربا أو موتا في المدينة فلم يعد أمامهن ـ وبين أيديهن أطفال صغار ـ الا أن يتسولن للحصول على ما يقيم أودهن وأود صغارهن .

ويقودنا ذلك الى أبشع ماتشهده الشوارع الخلفية في بومباي . . فئة النساء المنحرفات في حي كاماتيبورا واللواتي تزداد تجارتهن خلال موسم المونسون .

قالت لنا مرافقتنا من مكتب سياحة حكومة الهند في بومباي ، وهي تشيح بوجهها قليلا ، ونحن نغوص بسيارتنا في الطين تحت وابل الامطار خلال شارع فورش الخلفي الضيق ، الذي تطل عليه من الجانبين بيوت خشبية من طابقين ، وتقف عند أبوابها نساء في ملابس صارخة الالوان ، بينما النوافذ ذات القضبان كأقفاص الحيوانات تمتلىء بوجوه فتيات تملؤها الاصباغ ، وكلهن غير عابئات بالمطر المنهمر .

في مدينة كبومباي تزداد فيها نسبة الرجال عن النساء حتى ليقابل كل ألف رجل ستمائة وخمسون من النساء . . وفي مجتمع يأتي اليه المهاجرون والباحثون عن العمل من أفقر أنحاء الهند . . رجال يخلفون وراءهم زوجاتهم حتى يجدوا العمل المناسب . . وشباب يحلمون بالعودة الى قراهم للبحث عن عروس مناسبة بعد أن يتمكنوا من ادخال ما يكفي لبناء اسرة جديدة . . تكون هذه الصورة طبيعية ، خصوصا مع لجوء بعض العائلات الفقيرة للتخلص من بناتهن ، أو مع انتشار مافيا خطف البنات من القرى والمناطق المجاورة وبيعهن الى أصحاب هذه البيوت ، الذين كانوا يحبسون الفتيات وراء هذه القضبان ليمنعوهن من الهرب حتى يتعودن على الاقامة فيها ، حيث لامورد آخر ولا عائلة ولا غذاء ولاكساء . . وليس لهن لو هربن الا أن يصبحن بعضا من الآلاف من سكان الارصفة ، حيث تتعرض النساء عادة خلال الليل للاعتداء من بعض معدومي الضمير . . بلا ثمن .

ومع هذا فهي هوليود الشرق

الحقيقية ان السلطات في بومباى لاتقف مكتوفة الايدي أمام كل هذا الذي يجري في الشوارع الخلفية، سواء في موسم الرياح الموسمية ، أو فيما بقي من شهور السنة الأخرى . . واذا كانت هذه السلطات لاتملك شيئا لمواجهة الاندفاع المستمر لعشرات الآلاف من القادمين الجدد كل يوم . . وما يخلفه ذلك من أعباء بسبب الازدحام الشديد الذي يتكاثر باستمرار ، وما يتبعه من عجز في قدرة الخدمات والمرافق العامة على مواجهة هذا الدفق الذي لاينقطع من البشر . . بحثا عن فرص عمل قد لا يكون أغلبها متاحا اليوم . . الا أن الحكومة المحلية تبذل كل ما في جعبتها لامكان تحسين صورة المدينة ، مع التوسع في الميادين الصناعية والتجارية والثقافية ، وانشاء المزيد من المجمعات السكنية .

وبرغم كل ذلك فان جهود الحكومة المحلية ـ وهي ممثلة في دائرة البلدية التي تعتبر واحدة من أقدم السلطات في الهند وأقواها أثرا وينتخب أعضاؤها من جميع أنحاء المدينة ـ تصنع ما يشبه المعجزات ، لتظل بومباي مركزا تجاريا مرموقا نابضا بالحياة والحركة والحيوية . . ولتكون جديرة بالتسمية التي يطلقونها عليها . . هوليود الشرق . □



في يوبيله الفضي

السد العالي يتحرك...!

استطلاع : نجاح عمر

عدسة : محمد يوسف

لم يكن السد العالي معركة عند البناء فقط ، ولكن معاركه مستمرة حتى اليوم مع كل مايمثله لمرحلة وعهد وفكر وانتماء .. وكان السد هدفا لتصفية الحسابات ... كل الحسابات .. حتى جاء الرد حاسما عندما أنقذ السد - البنيان والرمز - مصر من زحف الجفاف وشبح الجوع ، ولم يمض على السد بعد .. الا ربع قرن .

نحن الآن على ضفاف أحدث بحيرة عربية . .
نحن الآن على ضفاف ثاني أكبر بحيرة صناعية في العالم ، بحيرة ناصر التي تخترق بلدين عربيين . . مصر . . والسودان ولمسافة خمسمائة كيلو متر .

سطح المياه هادىء . . الامواج وديعة . . النهر الهادر ـ في شهور الصيف ـ يذوب في البحيرة . . يحبسه السد ، ينعطف الى الجبل في مجرى جديد غير الذي عرفه منذ آلاف السنين .

قال لي مرافقي ونحن نقف فوق جسم السد العالي . . « لكن هدوء المياه يخفي الكثير . . مدينة كاملة هي النوبة ، ومعارك طاحنة هي معارك السد طوال ثلاثين عاما بدأت مع الثورة المصرية ، واستمرت حتى المجاعة الافريقية هذا العام »

وقال المرافق . . .

لكن آخر المعارك هي معركة السد مع الاحتمالات المقبلة . . الزلازل . . والجفاف وسكت الأسواني العجوز ، ورحت أبحث عن السد . . . المعركة » .

لم يسبق لمشروع عربي أن أثار هذا القدر من الجدل . .

ولم يسبق لمشروع عربي أن تحول لسلسلة من المعارك السياسية . . والعسكرية . . والاقتصادية كما حدث للسد العالي ، وذلك فضلا عن معاركه الدائمة مع الطبيعة . ففي هذا الموقع انتقل الجبل الى النهر . . وانتقل النهر الى الجبل . ورغم هذا لم يكن ذلك اصعب المعارك !

من أجل السد نشبت الحرب وهدمت جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل ثلاث مدن مصرية (بورسعيد ـ الاسماعيلية ـ السويس)وهاجرت آلاف الاسر . . وسقط مئات الشهداء و تحول خزان الماء . . والكهرباء . . الى معركة عربية من المحيط الى الخليج .

من أجل السد . . حدث التحول الشديد في « مجرى الثورة المصرية داخليا وخارجيا » ذلك المجري الذي أرادوا تعكيره بعد أن رحل الزعيم فخرج من يقول . . . :



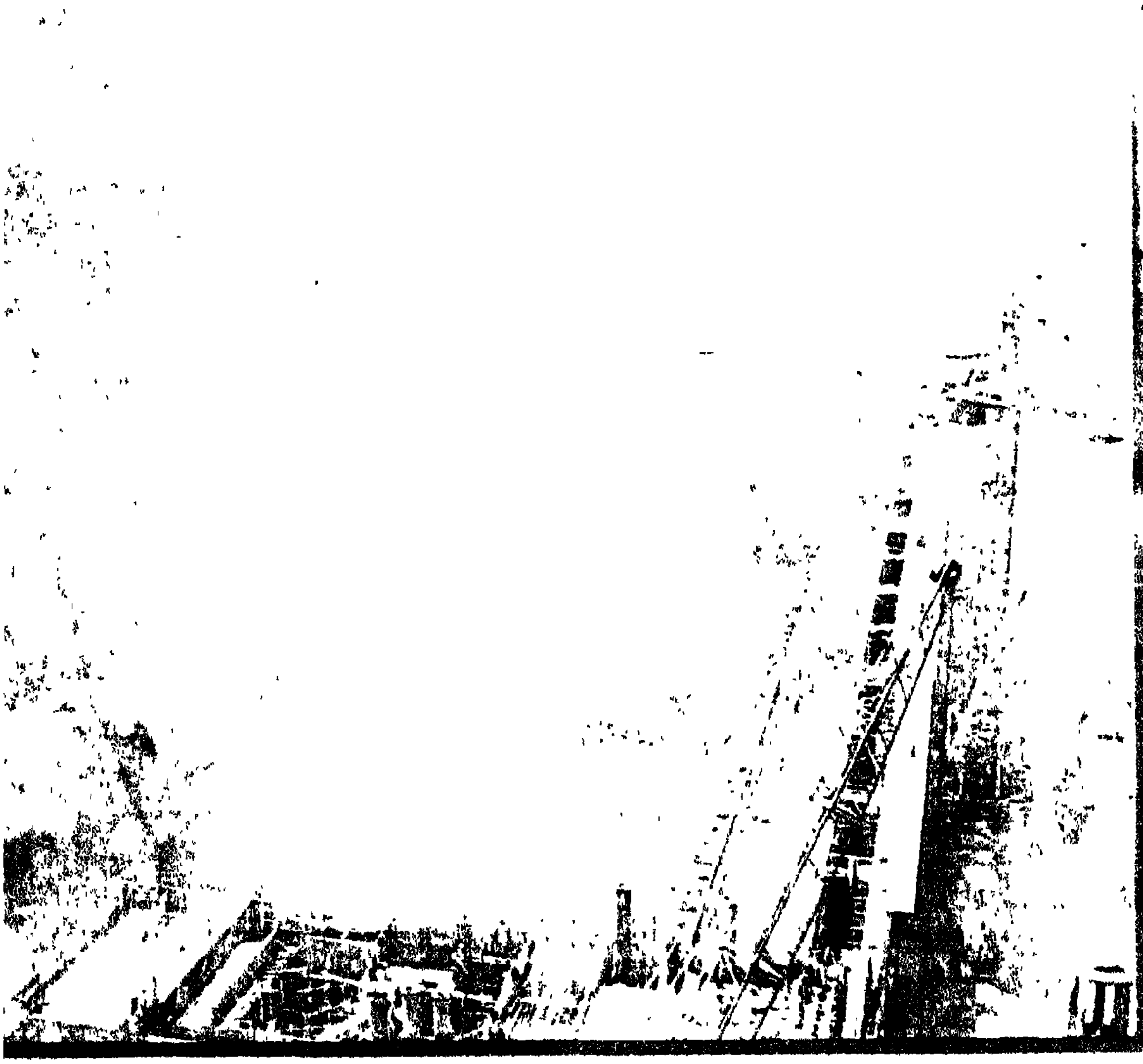
ـ عبد الناصر ـ خروشوف ـ عارف ـ السلال ـ تحويل مجرى النهر



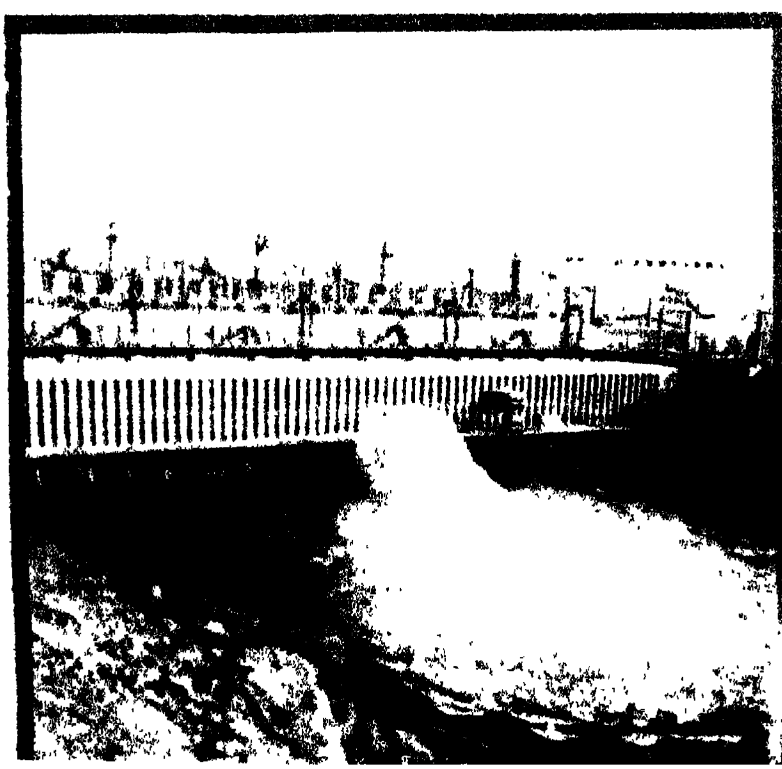
ـ منظر عام للسد العالي .



ـ منظر عام أخذ بالطائرة للسد العالي ومن أمامه بحيرة ناصر ومن خلفه مجرى النيل .



ـ محطة الكهرباء عند بدء العمل .



ـ محطة الكهرباء كما تبدو الان .

« اهْدموا السد .. وحاكموا الذين بنوه » .

ولم يكن ذلك غريباً .. فالسد العالي هو أحد رموز ثورة يوليو ذات التوجهات العربية .. وعدم الانحياز .. ودعم حركات التحرر الوطني .. والاعتماد على الذات .. لذا .. وجب « هدمه » !! ولنفس الاسباب .. كان ـ ومازال ـ السد العالي معركة مستمرة .. !

هذا فضلا عن كونه معركة مع النهر .. والصخر .. والجبل .

هو معركة منذ أن كان جسرا ..

السد والتاريخ

التاريخ: قبل الميلاد عندما حاول الفراعنة أن يضعوا مشروعا كان في عداد عجائب الدنيا ، في عهد أمنحتب الثالث ، استعمل الفراعنة بحيرة موريس لخزن مياه الفيضان وانقاذ البلاد من أخطارها .

ويقول هيرودوت ...

« انهم أحاطوا البحيرة بجسر طوله سبعون ميلا ووصلوا بين البحيرة والنيل بترعتين .. أنشأوا على كل قنطرة تستخدم احداها لاختزان المياه ، والاخرى لصرفها ، ومن أجل هذا حاول الفراعنة دراسة النهر والالمام به وبأطواره ، ورصد مناسيبه وتسجيلها على مقاييس خاصة أقاموها لهذا الغرض في عام ٦٤١ قبل الميلاد .

وهو معركة منذ أن كان فكرة تشتعل أحيانا ، وتهدأ أحيانا .. ولكنها في كلتا الحالتين معركة تستمد ضراوتها من صعوبة العمل ذاته ، فليس سهلا ترويض نهر عمره يقرب من خمسين ألف عام ، ويزيد طوله عن ٤١٦٠ ميلا ، وتبلغ مساحة حوضه عُشر (١/١٠) القارة الافريقية كلها ، ويمر بسبعة بلدان هي كينيا .. والكونغو واوغنده والحبشة .. وتنجانيقا .. والسودان ومصر .

ومن هنا كان السد العالي حلما صعبا ، فشلت أحزاب ماقبل الثورة في تحقيقه واكتفت منه بمناورات حزبية في المناسبات فقط ، وخزان صغير هو خزان أسوان الذي حجز جزءا من مياه النهر .

ثم ..

أصبح السد معركة كبرى بعد أن تحولت الفكرة بعد الثورة الى مشروع يبحث عن « ممول » .

روى لي المهندس زكي قناوي وزير الري السابق وأحد بناة السد هذه الواقعة ... « وقف عبد الناصر وأعلن تأميم قناة السويس وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبي في خزان أسوان ، فوجدت الخبراء الفرنسيين يجمعون حقائبهم ويستعدون للرحيل .. فسألت : .. الى أين ؟

قال أحدهم .. سنرحل .. ولكننا سنعود بعد فترة قصيرة .. ونحن نرتدي ملابس الحرب ! » .

وبالفعل لم تمض شهور على تأميم قناة السويس حتى عاد الفرنسيون ضمن حملة العدوان الثلاثي : « فرنسا .. انجلترا .. واسرائيل .. »

كان العدوان ردا على تأميم قناة السويس .. وكان التأميم نتيجة انسحاب أمريكا من تمويل السد بعد رفض عبد الناصر شروط البنك الدولي .. والتي كان الصلح مع اسرائيل واحدا منها !!

رفض عبد الناصر الخضوع .. اتجه الى الاعتماد على الذات فأمم القناة ليأخذ من دخلها مايبني به السد العالي كجزء من بناء الاقتصاد المصري المستقل . وكانت الترجمة الرقمية حينذاك تعني ...

* زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ١٨ مليون جنيه ، بعد تنفيذ المرحلة الاولى من السد .
* أراضي مستصلحة مساحتها مليون فدان .
* زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ٢٣ مليون جنيه .. وزيادة في الدخل القومي تصل الى ٣٥٥ مليونا وذلك عند استكمال محطة توليد الكهرباء .
* التوسع في الزراعة بمساحة مليونيْ فدان .
* ضمان الزراعة في فترات المياه الشحيحة .
* الوقاية من خطر الفيضان .
* القفز بنصيب الفرد من الكهرباء الى ٤٠٠ كيلو وات ساعة بدلا من ستين كيلووات قبل السد .

كذلك اتجه عبد الناصر شرقا ليطلب من الاتحاد السوفيتي الاسهام في تمويل السد العالي . وهنا نترك السطور لهذه الشهادات :

شهادة رقم (١) :

يرويها أيضا المهندس زكي قناوي :

عندما زار نيكسون عبد الناصر ذهب الى أسوان

ورأى السد العالي على الطبيعة ، واستمع على مدى ثلاث ساعات لشرح رئيس هيئة السد العالي . . يومها قال رئيس الولايات المتحدة الامريكية . .
« نحن آسفون لاننا لم نأخذ هذه العملية » .

شهادة رقم (٢) :

من الاوراق القديمة الخاصة بالمرحوم المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري السابق وأحد الذين عاصروا مراحل بناء السد العالي والذي كان يعمل مديرا لمكتب وزير السد العالي خلال فترة المفاوضات التي جرت قبل البدء في تنفيذ المشروع . . ثم سكرتيرا للجنة بناء السد العالي ثم وكيلا لوزارة السد في أثناء عملية التنفيذ .

أوراق هذا الرجل ـ ومضابط مجلس الشعب عام ١٩٧٨ التي سجلت رده على أحد الاعضاء المطالبين بهدم السد العالي ومحاكمة المسئولين عن تنفيذه ـ تشهد على قدرة المصريين المفاوضين . . وعلى رأسهم القيادة السياسية التي تركت الفرصة واسعة أمام الفنيين دون أي محاولة للتدخل في سير المفاوضات ، حتى عندما تعثرت المفاوضات عام ١٩٦٠ ، وذهب المهندس عبد العظيم أبو العطا الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأطلعه على نقاط توقف المفاوضات . . ورأي المفاوضين المصريين . . . فلم يكن من جمال عبد الناصر الا أن أمر بالسير في المباحثات على ضوء مايراه الفنيون . .

وتشير التقارير المرسلة من موسكو في تلك الفترة أنه خلال الخلاف بين عبد الناصر وخروشوف ، كانت برامج العمل في السد العالي لتوريد المهمات والالات وفتح الاعتمادات وابقاء الخبراء ، واجراء الدراسات والأبحاث كلها في واد والمعركة السياسية في واد آخر .

ورغم الخلاف . . وبمساعدة الدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو في تلك الفترة . . حصلت مصر على قرار برفع قيمة القرض بما يسمح بتوريد مائة وعشرين الف طن اضافية من المهمات الخاصة بكهرباء السد العالي ولولا ذلك لأظلمت مصر خلال حرب الاستنزاف .

الذين يبحثون عن أضرار السد

السد العالي ليس مشروعا ركاميا من صخر أصم . . انه جبل وضع أقدامه في منطقة لن يطأها انسان بعده .

وكنت واحدة من هذا الجيل . .

وقفت في قاع النهر . رأيت آلاف العمال ينقلون الجبل . وآلافا أخرى وهي تصنع للنيل مجراه الجديد ، زرت مدينة هي الآن في قاع بحيرة ناصر كانت تسمى يوما « بالنوبة القديمة » ، ومشيت في طريق شقه الرجال في صدر الجبل هو الآن قاع نهر النيل بعد تحويله من مجراه الاصلي . . حيث يهدر مسقط مائي يفيض ضوؤه على العيون . . والقلوب .

كنت وصحفيا أمريكيا وهدفا غير مشترك . .

أنا . . أبحث عن المستقبل بين الصخور المتفجرة وحبات العرق . . وآلاف العمال الذين كانوا يبدون من أسفل كنقط سوداء متحركة تحيط بأعالي الجبل .

وهو . . ليبحث عن أضرار السد . . كان يريد أن يثبت أنه لافائدة من السد العالي . . فالطمي سوف يرتفع في قاع البحيرة وغياب الطمي سوف يفسد الارض الزراعية على طول الوادي وعرضه .

يومها . . كانت الابحاث والدراسات العلمية تقول . . نعم سوف يصبح الطمي مشكلة أمام السد . . ولكن بعد خمسمائة عام . . نعم ستخلو المياه من طمي النيل ولكن مصانع كيما سوف تفي بالغرض وتؤدي مهمة الطمي بالنسبة للارض الزراعية .

والغريب . . أنه رغم مضي واحد وعشرين عاما على هذا الحوار الا أن الموقف الامريكي كما هو . . لم يتغير . . « البحث عن أضرار السد » .

عندما وقع زلزال أسوان . . كان الامريكان أول من أسرع بالحضور الى القاهرة ، لاخوفا على السد . . ولكن بحثا عن « آثاره الجانبية » . . الى أسوان توجهت بعثة أمريكية مولتها بعض المكاتب الامريكية العلمية !! للبحث عن العلاقة بين الزلزال والسد . ثم أعلنت هيئة المعونة الامريكية عن منحة مقدارها ستة ملايين دولار لتمويل الدراسات الزلزالية للسد العالي .



ـ منــظر من الجــو للســد بعد الانتهــاء منه .



بالجهد الشاق والأيدي العملاقة قام السد على اكتاف ابناء مصر .

البعثة مازالت موجودة حتى الآن ، وسوف تستمر حتى ديسمبر القادم . . و . . الى أن تنتهي الدراسات حتى نستطيع أن نقرأ معا تقاريرها المبدئية التي كانت تقدمها مرة كل ثلاثة شهور .

شهادة رقم (٣) :

الشهادة للمهندس زكي قناوي . . لا بصفته واحدا ممن ارتبطت أسماؤهم ببناء السد العالي في مراحله المختلفة . . ولكن كعضو اللجنة الفنية المشتركة التى تتولى هذه الدراسات . يقول شيخ السد . .

« يسرني أن أقول ان النتيجة النهائية التي ستقدم في ديسمبر القادم ، سوف تشير الى كفاية السد العالي وقدرته على تحمل الزلازل . . حتى الزلزال البالغ قوته سبع درجات بجهاز ريختر . . لن يستطيع أن يهز صخرة واحدة من جسم السد .

وقد اجتمعت البعثة الامريكية أربع مرات . . وكان بودها أن تقول ان السد هو السبب فيما حدث من زلازل لكنها لم تستطع ، فعلى مدى عام كانت اللجنة المشتركة والتي شكلت لهذه الدراسة بالتحديد . . تكتب تقاريرها كل ثلاثة أشهر وبعد الكشف الجيولوجي تبين أنه يتحمل هزات أرضية حتى سبع درجات .

قلت : ماسبب الزلزال . . هل كان السد وراء ذلك ؟

قال الخبير ذو الثمانين عاما . . ؟

لماذا يكون السد هو السبب واذا كان الامر كذلك فمن كان وراء زلزال عام ١٩٢٧ و ١٩٥٥ . . ؟ لقد حدثت زلازل عدة قبل أن يبني السد ، كان أحدهما من العنف بما جعل الناس يقذفون أنفسهم في النيل . . ولم يكن السد قد أقيم بعد .

قلت : . . يقولون ان السد يتحرك . . فهل هذا صحيح ؟

قال زكي قناوي مبتسما : لقد سمعت ذلك على ما أذكر منذ أيام . . دعيني أقل . . : نعم انه يتحرك ، وكل مبنى يتحرك ، الحركة بالنسبة للسد العالي لاتهمنا فقد صممناه بطريقة تزيده الحركة صلابة ، لقد بني على شكل نصف دائرة وبالتالي لاتهمنا الحركة حتى سنتميترين كل عام لان ذلك يزيده صلابة .

ـ ويقولون أيضا . . ان جوانب النهر تتحرك . .

أقول : لماذا الان بالذات تثار مثل هذه الشائعات ولماذا هذا الخوف . . ان البحر الاحمر يتحرك سنتميترين كل عام ولم يتكلم أحد !

ثم . .

يعود بذاكرته الى الوراء . . الى خمسة وعشرين عاما مضت . .

« الحكومة لم تبدأ في عمل السد من فراغ ، لقد عملت في عهد عبد الناصر كل مايمكن من أبحاث لاستكمال جميع المواصفات اللازمة للسد ومعرفتها بما فيها « التخزين القرنى » أرسلنا المبعوثين صغارا وكبارا الى اغلب بلاد العالم بصرف النظر عن مبدئها السياسي .

أنا زرت عشرين بلدا في أوروبا . . وتقدم من الابحاث مايزيد عن ١٢٠ بديلا للمشروع الحالي من جهات ولجان متعددة . . منها لجنة كبرى مكونة من خبراء أمريكان وفرنسيين وألمان وسوفييت .

رأيت أشياء كثيرة في أمريكا . . ولم أر احتياطات مثل تلك التي عملت للسد العالي ، حقنا تحت السد بطبقات رملية بعمق ١٨٠ مترا ، وكنا نحقن كل خمسة أمتار ، ثم وجدنا أن هذا لايكفي فكان الحقن كل مترين وتلك عملية فنية تمنع تسرب المياه من جسم السد » .

وسألته : ماذا تعني « بالتخزين القرني » ؟

قال : أعني تخزين المياه لعدة سنوات تصل الى سبعة أعوام .

وقلت : اذن هل يعني ذلك أن مصر في منطقة الآمان بالنسبة للجفاف ؟

قال على الفور : لا . . مازال الخطر قائما . . نحن لانستطيع الآن أن نؤكد الامان ، وللعلم هذا الخطر منذ خمسة أعوام ، ولكن لم يشعر به أحد بفضل السد العالي ، لقد سحبنا من « بنك المياه » (يقصد بحيرة ناصر) ماقيمته اثنان وعشرون مليار متر مياه مكعب في العام الماضي .

في السنوات الخمس الماضية . . وصل جملة ماسحب من هذا البنك الى سبعين مليار متر وكان الرصيد تسعين مليار متر ويبقي من التخزين الحي



واصفا عاداتها وتقاليدها   ولا بد أنه تعرض لاحوال المرأة بالوصف في كثير من تلك البلاد

ويبدو أن وضع ابن بطوطة كفقيه ، زاول القضاء في بعض البلاد الاسلامية التي طاف بأنحائها ، لم يحل بينه وبين النظر الى المرأة في تلك البلاد نظره الفاحص المدقق المستقصي ، للوقوف على صورتها الحقيقية كاملة ووضعها الاجتماعي بدقة   بل ان عمله قاضيا في بعض البلاد أتاح له فرصة طيبة ، لتردد كثيرات عليه ، للشكوى أو الاحتكام اليه

أما عن أوضاع المرأة الاجتماعية في بعض البلاد الاسلاميه ، فقد ذكر ابن بطوطة عن قبائل البجه ـ أو البجاة ـ في صحراء مصر الشرقية حول عيذاب على شاطىء البحر الأحمر ، أنهم لايورثون البنات   هذا في حين ذكر عن أهل الشام أن من عاداتهم أن البنت يجهزها أبوها ، مما يدل على أن الزوج كان هو الذي يقوم بهذه المهمه في المغرب   وبالنسبة لبلاد اليمن يحكي ابن بطوطة عن نساء زبيد أن « للغريب عندهن مزية ، ولايمتنعن عن تزوجه ـ كما تفعله نساء بلادنا (المغرب) ـ ، فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته ، وان كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له ، الى أن يرجع أبوه   ولاتطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولاكسوة سواها   واذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لايخرجن عن بلدهن أبدا   . »

وكان الوضع السائد في الجناح العربي من العالم الاسلامي أن البنت ليس لها رأي في اختيار زوجها ، وانما كانت الكلمة لابيها

ويختلف الوضع بالنسبة للمسلمين في بعض البلاد غير العربية وخصوصا في جنوب آسيا حيث كانت المرأة « مالكة أمر نفسها » في الزواج ، بمعنى أنه من حقها اختيار شريك حياتها ، ولايستطيع أبوها اجبارها على الزواج من رجل لاترغبه   وقد حكى ابن بطوطة أنه بعد أن اتفق مع الوزير سليمان ـ في جزائر ذيبة المهل قرب الهند ـ على الزواج من ابنته ، وتحدد موعد العقد وحضر الناس   . ابطأ الوزير في الحضور ، ثم اعتذر أمام الناس بمرض البنت ، وهمس في أذن ابن بطوطة سرا أن ابنته امتنعت « وهي مالكة أمر نفسها »

ونستخلص من رحلة ابن بطوطة أن المرأة في كثير من البلاد الاسلاميه كان لها دور كبير في شتى ألوان النشاط السياسي والاجتماعي والديني والعلمي

وقد ذكر أنه في الفتنة التي وقعت في مكة بين أمير مكة والأمير أيدمر قائد جند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ـ سلطان المماليك في مصر ـ قتلت امرأة كانت هي التي « تحرض اهل مكة على القتال »

وربما شاركت المرأة في حياة العلم والنسك والزهد والتصوف ، مثل السيده زاهدة التي صادفها ابن بطوطة خارج الموصل في طريقها الى بغداد   كذلك أشاد ابن بطوطة بالخاتون جيجا أغا ـ امرأة قاضي خوارزم ـ التي شيدت زاوية « فيها الطعام للوارد والصادر .   وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن .   » وبلغ من زهدها أنها لا ترتدي الا الحقير من الثياب .

وعند الاتراك والتتر ، كانت للنساء مكانة كبيرة وكلمة مسموعة   ولقبت سيدات المجتمع المحترمات ـ كالأميرات وزوجات الحكام ونحوهن ـ بلقب الخاتون . « وكل خاتون لها من البلاد والولايات والمجابي العظيمة »   ويروي ابن بطوطة أن سلطان مغول العراق وفارس ـ أبا سعيد ـ صار تحت سيطرة أمير الأمراء ـ الجوبان ـ الذي حجر على تصرفات السلطان ، وضيق عليه النفقة ، ولم يترك له من الملك الا الاسم فدخلت عليه زوجة أبيه ـ دنيا خاتون ـ وقالت له   « لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ماهما عليه !   » ومازالت تحرضه حتى انتهى الأمر بقتل الجوبان .

كذلك كان الحال عند مغول القفجاق ـ شمالي البحر الاسود ـ وهم مسلمون ، اذ يقول ابن



ـ مياه السد تكاد تغطي النخيل وتزحف نحو القرية .

عشرون مليار متر . .

سألته : هل يوجد تخزين حي . . وآخر ميت ؟

قال : نعم . . ان سعة البحيرة ١٦٠ مليار متر منها ثلاثون مليار متر ميت . . أي طمى . . وحجر . . .

ثم يكمل :

كان عام ١٩٦٤ أول عام نحجز فيه مياها . . في ذلك العام وقعت قصة غريبة . . كان ارتفاع السد يومها ١٢١ مترا ، وكنا في شهر يوليو والجميع في اجازة ولا يوجد غيري وعدد قليل من العاملين ، كنت أتوقع فيضانا غير معتاد ، وانتابني خوف من أن تفيض المياه فوق السد وتهدم كل ما بنيناه ، فأمرت بتعلية السد مترين . . وأمرت بتحويل كل الجرارات والشاحنات الكبيرة الى هذا العمل . . ولحسن الحظ انتهينا من ذلك قبل أن يكتمل تخزين السد وبالفعل وصل منسوب ذلك العام الى ١٢٢ مترا . . أي بزيادة متر واحد عن الارتفاع الاصلي ، لكن هذا المتر الواحد كان يمكن أن يهدم كل مابنيناه ، هذا المتر يعني ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه لمدة أشهر !! »

ومن الفيضان . . الى الجفاف . .

من الماضي الى الحاضر يقفز زكي قناوي بشهادته فيقول . .

« لولا السد لما زرعنا أرزا . . ولاذرة . .

ويكفي السد فضلا أننا نزرع الارز في أيام الجفاف على مدى خمس سنوات متتالية ، والفيضان لايأتي بما نحتاجه ، نحن تستهلك ٥٥ مليار متر مكعب مياه . . بينما وارداتنا لاتزيد عن ٣٣ مليارا فقط . . فأين لنا بهذا الفرق لو لم يكن السد العالي ؟

في عام ١٩٨٣ كان المنصرف ٣٦ مليار متر مكعب ماء . . وفي عام ١٩٨٤ كان ٣٣ مليارا فقط . .

قلت : وهذا العام ؟

قال : مازال الخطر قائما . . ومازلنا معرضين للجفاف ، أقول اننا لانزال في محنة وأن علينا الترقب

والعناية والانتظار . . هذا فضلا عن الاحتياطات اللازمة . .

قلت : هل تعني ترشيد استهلاك المياه ؟

أجاب : لا . . أرجو الغاء كلمة ترشيد ، فالحالة خطرة ، نفرض أن الفيضان جاء بستين مليار متر من الماء . . في هذه الحالة لابد ألا يزيد المنصرف عن خمسين مليارا وحتى يتم ذلك لابد من . .

* التقليل من زراعة الارز .
* التقليل من مياه الري .
* استعمال مياه الصرف في الري .
* منع زراعة قصب السكر فيما يسميه الزراعيون « العروة الجديدة » .
* التحكم في مياه الري والشرب .
* تبطين بعض الترع الكبرى .
* منع المفقود من الاسماعيلية والذي يصل الى مليار متر سنويا .
* تجفيف البحيرات الداخلية .

ثم . .

● تقليل التوسع الافقي في الزراعة والاكثار من التوسع الرأسي ، ذلك أن الاول يحتاج الى مياه . . بينما الثاني لايحتاج الى كميات كبيرة من المياه في الوقت الذي ينتج فيه محصول أكبر .

قلت : والصيادون الى أين يتجهون . . ؟

قال : اذا كان لدينا آلاف الصيادين . . فعندنا أيضا مشاريع البحر الاحمر . . وبحيرة ناصر حيث تتوافر أكبر ثروة سمكية كان يمكن أن تزيد لولا الجفاف الذي أدى الى انخفاض منسوب البحيرة والذي أثر بدوره على ما فيها من أسماك لذلك لابد من الاتجاه الى عمل مزارع سمكية في أحواض خاصة بالبحيرة بمجرد ارتفاع منسوب المياه مرة أخرى .

شهادة رقم (٤) :

مازال السد العالي معركة . . معركة سياسية تصدى لها المهندس عصام راضي وزير الري المصري في مجلس الشعب هذه الايام . . .

ومعركة علمية يخوضها العلماء والباحثون . . . والخبراء . . .

عقل اليكتروني

لرصد الزلازل

أشرفت اللجنة الفنية للدراسات الزلزالية للسد العالي على الانتهاء من دراساتها الفنية وكتابة التقرير النهائي بنتائج هذه الدراسات .

سوف تتقدم اللجنة الى الجهات المصرية بتقريرها هذا في ديسمبر القادم .

وكانت اللجنة قد شكلت من خبراء دوليين . . من كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية . . واليابان . .

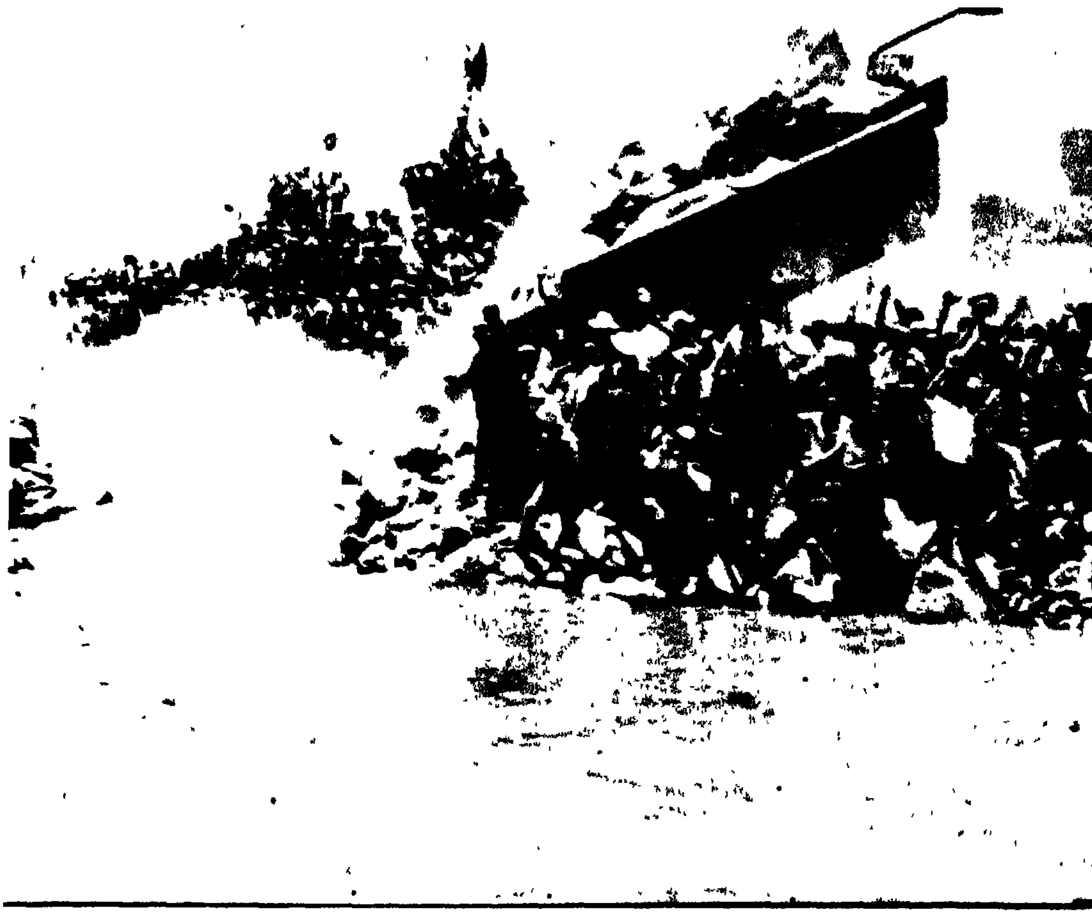
ومن المعروف أن هيئة المعونة الامريكية قد أسهمت في تطوير هذه الدراسات بمنحة قيمتها ستة ملايين دولار في صورة أجهزة ، بينما رصدت الحكومة المصرية ثمانية ملايين جنيه لانشاء أول شبكة رصد زلازل تضم اثنتى عشرة محطة تم توزيعها حول السد وداخله تعمل بالعقل الاليكتروني بالمركز الاقليمي للزلازل في أسوان .

آخر هذه المعارك أو أحدثها . . دراسة لتطوير مجرى النيل بلغت تكاليفها ٤ ملايين دولار قدمتها الحكومة الكندية كمنحة لمشروع ضخم قدرت تكاليف جزء منه ـ محطة كهرباء وقنطرة بحوالي ٢٠٠ مليون دولار . .

وعن معارك السد مع الطبيعة يشهد الدكتور محمود أبو زيد رئيس مركز بحوث المياه .

« ان السد العالي يعد الصمام الذي ضمن لمصر حجما سنويا ثابتا من المياه ومكننا من التحكم في مياه النيل ، ولذلك سيظل لسنوات عديدة هو مفتاح التنمية الزراعية لمصر .

ولقد مكن السد مصر حتى الآن من تحويل أراضي الحياض في مساحة مليون فدان الى ري دائم ، بالاضافة الى استصلاع نحو مليون فدان جديدة ، وبالاضافة الى مشروعات السد من محطة كهرباء تمد



ـ لحظة الالتحام : آخر دفعة صخور يتم القاؤها فى النهر ليلتحم .

مصر بـ ٦٠٪ من احتياجها السنوي بالكهرباء . . بدأت وزارة الري في وضع تفاصيل خطة لتطوير مجرى النيل مائيا . . وكهربيا . . وسياحيا . ولقد أعدت الخطوط الرئيسية لهذا المشروع بمساعدة فنيين كنديين ، ويشمل استغلال أقصى طاقة كهربية في جميع الاعمال الصناعية ، بالاضافة الى انشاء مجرى ملاحي من الدرجة الاولى يسمح بمرور البواخر الكبيرة بغاطس مائي طوله متران ونصف .

وقد أعلن التصميم النهائي في عطاء عالمي .

قلت : والجفاف كظاهرة عالمية . . أين السد العالي منه ؟

قال : ظهر الجفاف كظاهرة في أماكن كثيرة من العالم ، وهو ظاهرة طبيعية شأنها مثل الفيضانات ، ومازال من الصعب تحليلها والتنبؤ بها ، وقد تختلف النظرة العلمية الى هذه الظاهرة من منطقة لأخرى ، أو من قارة لاخرى . . ولكن من المؤكد أن حدوث فيضانات في منطقة مايقابلها جفاف في مكان آخر بالكرة الارضية ، فحجم المياه على سطح الارض ثابت رغم التغيرات الكثيرة التي تتدخل في الصور المختلفة لهذا الماء .

فاذا ما تناولنا ما حدث في أفريقيا في الاعوام القليلة الماضية وبالذات في حوض النيل نجد أن معطيات النيل ومعظمها من أمطار المضبة الاستوائية ، كانت دون المتوسط خلال ست السنوات الماضية ، ومن المعروف أيضا من خلال أرصاد النيل في مدة مائة العام الماضية ان اختلاف هذه المعطيات يتبع دورة غير متماثلة تتوالى في مجموعات من السنوات العالمية أو المنخفضة وفيضانات مختلفة ، وقد يكون طول كل دورة أربع سنوات أو خمسا ، الا أن توالي الانخفاض بالدرجة التي حدثت خلال ست السنوات الاخيرة لم تحدث من قبل الا مرتين .

وبالطبع كان لوجود السد العالي الاثر الاساسي في حماية مصر من خطر الجفاف نظرا لوجود بحيرة ناصر التي أمدتنا بالفرق من حصتنا المقررة طوال هذه .

عربية للخبرات الفنية في مجال السدود .

قلت : بصفتكم رئيس مركز أبحاث علمية .. هل تمت دراسة الآثار الجانبية للسد العالي أو التنبؤ بها ؟

قال : مركز البحوث المائية يضم أحد عشر معهدا بحثيا من بينها معهد خاص لدراسة الآثار الجانبية قبل السد وبعده وتناولت هذه الدراسات أمورًا كثيرة منها .. أثر الطمي وترسبه في البحيرة ، تآكل جوانب النهر خلف السد ، نوعية مياه النيل وتأثرها داخل البحيرة وعلى طول المجرى الثروة السمكية ، وقد نوقشت هذه الدراسات في مؤتمرات دولية ، ومازال بعضها تحت البحث في معهد دراسة الآثار الجانبية للسد العالي والجامعات .. وأكاديمية البحث العلمي .

شهادة رقم (٥) :

مر الوزير فرأي أحدهم يرتدي جلبابا أبيض وعباءة ويجلس دون عمل فسأله :

أنت صاحب هذه الارض ؟

قال : نعم ... منذ الخزان الاول !!

سأله الوزير : ولماذا لم تزرعها حتى الان ؟

أجاب الرجل : على الحكومة أن تزرعها .

و ... دار حوار بين النوبي والوزير كان الاول يعبر خلاله عن مجتمع كسول .. يستورد العمالة من « أسوان » لتزرع الارض .. ويهاجر رجاله الى القاهرة بينما تظل النساء لترعى الاسرة .

ولم تكن النوبة فريدة في هذا الكسل .. كانت أسوان مجتمعا طاردا تحول بعد السد الى شيء آخر . فقد ازداد عدد السكان .. وتغيرت نوعيتهم .. تحولت المنطقة الى مجتمع صناعي به معهد لتدريب الفنيين في السدود والتفجيرات .. به مصنع .. بل مصانع ونقابات ..

تعاملت النوبة مع الآلة والثلاجات .. والبواخر الكبيرة .. ووسائل النقل الحديثة .. انتقلت النوبة من مجتمع الكسل الى مجتمع نشط لايربطه بالقديم الا تلك الرسوم التي تشير من فوق الجدران الجديدة الى الاصل القديم .. لكنها فقط .. على سبيل الذكرى . □



قلت : ماذا عن السودان .. والسد العالي ؟

ـ من المعروف أن متوسط تصرف نهر النيل السنوي خلال مائة العام الماضية يبلغ ٨٤ مليار متر مكعب مقدرا عن أسوان ، وهي الاساس الذي صُمِّمَت عليه سعة خزان السد ، وأي فيضان أقل من هذا القدر يعد دون المتوسط .. هذه الكمية « ٨٤ مليار متر مكعب » تقسم بين مصر والسودان طبقا لاتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٥ ، فاذا كان الفيضان دون المتوسط فان مصر تستكمل حصتها من المخزون في البحيرة ، وهذا ما حدث خلال خمسة الاعوام الماضية ، حتى أصبح حجم المخزون الآن في البحيرة عشرين مليار متر مكعب .

قلت : ماموقف السد عربيا في رأيك ؟

قال : لاشك أن الخبرة التي اكتسبها المصريون في أثناء اقامة السد تعتبر ذخيرة لكل من يعمل في هذا المجال ، ومنهم من يسهم في أعمال مشابهة في البلاد العربية وكثير من دول العالم .. أي أن السد مدرسة

لسان الدين ابن الخطيب والنقد

بقلم : الدكتور احسان عباس

للسان الدين ابن الخطيب مكانة لا تخفى في تاريخ الفكر الأندلسي ، فقد كان ذا مواهب متعددة وقدرات متنوعة ، واستطاع رغم ما اضطلع به من مسؤوليات سياسية كبيرة أن يترك تراثاً ضخماً في التاريخ والتصوف والطب والشعر والترسل والفكر السياسي وغير ذلك من الفنون . فهل كان للنقد في تراثه نصيب ؟

لم يمنح النقد الأدبي قسطاً وافراً من جهده ، شأنه في ذلك شأن معاصره وصديقه ابن خلدون ، ولكن من السهل أن نعدّ هذين الرجلين ممثلين لطبيعة الذوق الأدبي ـ في عصرهما ـ في الأندلس والمغرب ، ذلك الذوق الذي لخصه ابن خلدون حين حدثنا أن شيوخه كانوا يرون « أنّ نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب » . وهو حكم عجيب ، غير أنه لا ينبيء عن ضيق صدر بالفلسفة في ذاتها ، فقد كان كثير من أولئك الشيوخ ـ كما كان لسان الدين وابن خلدون ـ من طلاب الثقافة الفلسفية ، وانما هو تعبير عن عدم الارتياح إلى وضع الفكر المفلسف في نطاق الشعر (كما فعل كل من المتنبي والمعري) ، وذلك شيء لم تنفرد به الأندلس والمغرب ، بل كان أنصاره في المشرق هم اصحاب الغلبة في تاريخ النقد الأدبي .

القريحة الشعرية :

فاذا كان للسان الدين وابن خلدون من آراء في النقد فذلك متصل ـ في الدرجة الأولى ـ بثقافتهما الأدبية ، وبكون كلّ منهما مارس نظم الشعر ، وفي هذه الناحية الثانية يتفوق ابن الخطيب على صديقه ابن خلدون الذي تعسّر عليه قول الشعر بعد فترة من الزمن ، وعلّل ذلك بان محفوظه من المتون الفقهية والنحوية وغيرها قد عاق قريحته عن الفيضان ، وخدش وجه الملكة الشعرية لديه . فأما ابن الخطيب

فقد استمرّ يحاول التوفيق بين شقّي ملكاته ، ومنها الشعر ، حتى آخر ايام حياته ، ولم يواجه تصعباً أو تعسراً في نظمه ، رغم أنه كان يحفظ متوناً أكثر مما يحفظ ابن خلدون ، مثلما أنه عانى نظم متون في الطب والتاريخ . فالمتون ليست وحدها سبباً في إجبال القريحة ، ولا بد من ان تجتمع اليها اسباب اخرى نفسية واجتماعية واقتصادية .

ولعلّ مما اسرع في تقصير فترة الانتاج الشعري لدى ابن خلدون غلبة الميل الفكري لديه على كل ميل آخر ، وهذا استدعى منه أن ينتحي في كتابته منحى عقلانياً خالصاً . وفي دور مبكر كان يؤمن بالفصل التام بين الأسلوب النثري والأسلوب الشعري « إذ الأساليب الشعرية تناسبها اللوذعية ، وخلط الجدّ بالهزل ، والاطناب في الأوصاف ، وضرب الامثال ، وكثرة التشبيهات والاستعارات ، حيث لا تدعو الى ذلك ضرورة في الخطاب » فأخذت الملكة التصويرية لديه بالضمور . أما لسان الدين فظلّ يمنح العنصر الجمالي التصويري في نثره اهتماماً خاصاً غير عابىء بموقف صديقه من الفصل العامد بين الشعر والنثر ، فبقي على مستوى الانشاء النثري شاعراً مصوّراً ، وبقيت ملكة التصوير لديه تتمتع بقوتها على مرّ الزمن ، وكان مما يرفد هذا الجو الشعري من حوله عوامل أخرى لم تتوفر لابن خلدون منها شمولية اطلاعه على التيار الشعري في عصره ، واهتمام بتدوين تراجم معاصريه وأشعارهم ، هذا بالاضافة إلى اطلاع على الشعر العربي في كل عصوره . وكان بحكم منصبه السياسي ممدّحاً يستقطب كثيراً من قصائد معاصريه ، كما كان يرى أنه مسؤول عن تربية الذوق الفني أو على الأقل يميل إلى إشباع رغبة ذاتية لديه في انتخاب الاشعار والموشحات ووضعها في مجموعات خاصة (مثل كتابه جيش التوشيح) ، فكل هذه العوامل شحذت لديه الجانب النقدي ، فظل اتجاهه « شعرياً » ـ إن صحّ القول ـ حين أصبح اتجاه صاحبه « فكرياً » .

الشعر ظاهرة انسانية :

ويلتقي ابن الخطيب مع نقاد سابقين ـ وخصوصا فريق النقاد المتفلسفين ـ في قوله إن الشعر بالمعنى المطلق ظاهرة انسانية لا يمكن ان تحصر ضمن شكل محدد ، فالشعر بهذا المعنى لا يوضع في إسار وزن معين أو قافية مرسومة ، لأنه أوسع حدوداً من ذلك ، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان يكون وقفاً على أمة دون أمة أو على صنف من البشر دون غيره . وهو إذن يشمل « الصور الممثّلة ، واللُّعب المخيَّلة ، وما تأسس على المحاكاة والتخييل مبناه ، ككتاب كليلة ودمنة وما في معناه » . فما هذا الذي يعنيه لسان الدين بالصور الممثلة واللعب المخيلة ؟ إن كانت الصور لديه تعني الرسم ، واللعب تعني التماثيل والدمى ، فالشعر في نظره هو جماع الفنون ، وان كانت تلك الصور واللعب تعني ضروب « النشاط المسرحي » في عصره ، وكان أقوى ما يمثلها « خيال الظل » أو « لعبة اليهودي » حسب تعبير الأندلسيين ، فالشعر يتناول كل تصوير تعبيري قائم على المحاكاة والتخييل

ولكن هناك مفهوماً للشعر أقلّ شمولاً ، لأنه يقتصر على ما عناه العرب انفسهم حين استعملوا لفظة « شعر » وعنوا بها « كلّ كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الرويّ بجناحه مقام الخافية » ، فكيف تكون أحكامنا على هذا اللون المحدد من الشعر ؟ هب أن متذوقا اراد ان يختار لابنه أو لبعض الناس عدداً من القصائد ، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار ؟ هنا يطالعنا لسان الدين بفهم دقيق لطبيعة الشعر الذي يحكمه الوزن والقافية ، فهناك شعر مغرق في الشعرية « وهو ما جنح الى التخييل والتشبيه ، وأحلّ الاستعارة بالمحلّ النبيه » وهناك شعر مستحسن مرضيّ قعد عن التشبث بالاستعارة والتخييل ، وإنما عدّته العرب شعراً لخصائص أخرى فيه تميزه ، ولا يجوز ان ننزع عنه اسم الشعر وان وقع في المنزلة الثانية . وتمييزاً لهذين النوعين أحدهما عن الآخر يسمّي لسان الدين النوع الأول باسم « السحر » ويسمى النوع الثاني باسم « الشعر » (وليته اختار لفظة أخرى ليبقى لفظة « شعر » شاملة للنوعين معاً) .

إن اختيار لفظة « السحر » عودة الى أصول بدائية في تصوير أثر الكلمة التي تستطيع أن تحدث تأثيراً بالغاً (أو تغييراً للواقع) ، ثم ارتبط ذلك مع الزمن بالتعبير عن الاعجاب الغامر الذي لا يجد له المتلقي

تعليلاً إزاء نصّ من النصوص ، وعن الحيرة التي تتملك ذلك المتلقي وهو يحسّ بنشوة طاغية أثارها ذلك الاعجاب ، وفي مرحلة فنية متأخرة تقترن لفظة « السحر » بالكشف عن « الرائع » أو « الرفيع » أو « المعجز » في الآداب والفنون ولعل الكثيرين يذكرون موقف الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن الكريم لأول مرة ، فقد رفض أولا ان يطلق على ما سمعه اسم « السحر » فلما لم يجد لفظة أخرى تؤدي ما يحسّ به قال : والله إن لقوله لحلاوة وان أصله لعذق (ويروى لعدق) وان فرعه لجناة وان أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو « سحر » .

وفي استعمال كلمة « السحر » كان لسان الدين يستلهم ايضا الموروث النقدي الأندلسي ، حسبما بلغ إليه من تطور في القرن السابع ، وخصوصا لدى ابن سعيد المغربي الذي رأى ان ما يستحق اسم الشعر أحد نوعين : وهما المرقص والمطرب والأول يتمتع بالحدة والغرابة ، فلا يعتمد على محض التشبيه بل على « غريب التشبيه » أو غريب الصور ، ويبلغ من تأثيره في المتلقي ان يعبر عن اعجابه بالرقص . والثاني أقل تأثيراً من الأول ، فهو يبعث في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب ، ولذلك فهو « مطرب » لكنه لا يخرج المتلقي الى حال الرقص ، والتفاوت بين النوعين هو التفاوت في درجة الغوص على التشبيه والتمثيل ، فأما ما يجيء بعد هذين النوعين فقد يكون في رأي ابن سعيد من المقبول أو المسموع او المتروك .

ولا يتركنا لسان الدين نتأوّل السبب الذي من أجله اختار مصطلح « السحر » للدلالة على تميز احد نوعي الشعر لديه بل هو يبسط ذلك شارحاً فالسحر حين يسلط على شيء ما ينقل هيئته من حال إلى حال ، وكذلك الشعر ، فتحت تأثيره تتم تحوّلات ما كانت لتتحقق بدونه : فهو الذي يشجع ويدعو الى الاقدام ، ويسهّر وينوّم ، ويحبب السخاء الى النفس ، ويضحك حتى يلهي ، « وهذه قوى سحرية ومعان بالاضافة الى السحر حَرية ، فمن الواجب أن يسمّى الصنف من الشعر الذي يخلب النفوس ويستنفرها ، ويثني الأعطاف ويهزها باسم السحر » ، ويرى لسان الدين ان قوة الشعر في التأثير وفي إحداث التحولات تزداد اذا اقترن بالألحان ، وهذا ليس نابعاً وحسب من شيوع التغني بالموشحات الأندلسية التي لم تكن تصلح إلا للغناء ، بل هو صادر عن تجربة أثر الغناء بعامة في تعميق تأثير الشعر في النفوس .

أذواق مختلفة :

هل هذا المعيار الذي وضعه لسان الدين قابل للتطبيق على المستوى النظري ؟ كل شيء قد يبدو سهلاً ، ولكن كيف يمكن للناقد أن يفرز ما هو سحر مما هو شعر ؟ لقد أحسَّ لسان الدين بصعوبة ذلك وعبَّر عما أحسَّه بنوع من الاعتذار حين ذكر أن الفرق بين هذين النمطين « كثير الدقة واللطافة » ، وأحال الأمر على قاعدة النسبية ، وأن ما يراه أحدٌ سحراً لا يجده الآخر كذلك ، وأضاف يقول : « ان أشخاص المحبوبات تقع بينها وبين النفوس التي تكلف بها وتتعلق بسببها علاقاتٌ لا تُدْرَكُ ، ومناساتٌ يعجز وعي المدارك عنها فتترك ، وكثيراً ما عُشِق الغُفْلُ من الجمال لهذا السبب ، وأخلاقُ نفوس البشر مثار العجب » .

ولا يلبث لسان الدين ـ بعد هذا الاعتذار ـ من أن يأخذ نفسه بتطبيق المعيار الذي وضعه ، فهو يميز السحر من الشعر في ستة من الفنون وهي المدح (والفخر لاحق به) والرثاء والنسيب والوصف (على تشعّب مذاهبه) والملح والحكم والجد . وسرعان ما أخذت الصعوبات تواجهه متلاحقة ، فقد شاء أن يفتتح باب المدح بمختارات في مدح الرسول ، وفتش وأطال التفتيش فلم يجد قصيدةً واحدة أو قطعة من قصيدة يمكن أن تُدْرَجَ تحت عنوان السحر ، فلما أعياه الأمر اضطر إلى البحث عن العلة ، فاهتدى إلى أنّ امتناع وجود « قسم السحر » في مدح الرسول إنما يعود إلى أن الشعر يعتمد المحاكاة والتخييل ، ووقار جناب الرسول ﷺ يبهر النفس ويمنع من استرسالها في ذلك ، ولذلك كان أقصى ما يستطيعه الشاعر في ذلك المجال أن يعتمد على نصاعة اللفظ وقصد الحق وقرب المعنى وايثار الجدّ . ولما انتقل الى باب الفخر لم يجرؤ على أن يقسمه في صنفين : سحر وشعر ، وترك تمييز ذلك للقارىء ، لأنه احس ـ بزعمه ـ أن السحر والشعر يتنازعان هذا الباب بحيث لا يأمن من يميز بينهما من خلطِ أحدهما بالآخر . □

شعر الإضحاك عند العرب

بقلم : د. توفيق الفيل*

قالوا عن الشعر إنه ديوان العرب ، سجل حياتهم . فهل عبر الشعراء عن جوانب انسانية غير ما عرفناه من الوقائع والحروب والغزل ونحوه ؟ وهل كان لهم نوع من الكوميديا التي تثير الضحك ، وتعبر عن الجوانب الاخرى في الانسان ؟ ذلك ما يتحدث عنه هذا المقال . .

اتخذ العرب من الشعر قالبا فنيا يعبرون من خلاله عن أفكارهم ومشاعرهم ، ويبثون في صوره وبحوره ما يريدون أن ينقلوه للناس . وقد شاع بين الناس أن الشعر ديوان العرب . وعلى الرغم مما نجده في الشعر العربي من تسجيل لوقائع أجدادنا وأيامهم ، وما نقرؤه من حديث عن معاركهم وانتصاراتهم ، تبقى لدينا قناعة بأن الشعراء لم يكونوا ينقلون الواقع على نحو ماهو موجود . . لأن الشاعر اذا كان النصر حليف قومه بالغ فيما فعلوا ، ونسب اليهم مالم يقوموا به من أمور . واذا لحقت بهم الهزيمة عمل على التماس الأسباب التي يرجع اليها ذلك ، وجهد في دفع ما قد يظن بأن ذلك حدث عن تراخ من قومه ، أو عن وهن في نفوسهم وأيا كان الرأي الذي نراه او يراه غيرنا من الباحثين ، فقد خلف اسلافنا تراثا غنيا عبروا فيه عن كل نواحي الحياة . . ما كان موجودا منها ، وما تاقت نفوسهم لوجوده . وكان من بين هذا التراث ما عبروا به عن الانسان في قوته وضعفه ، في صفوه وكدره . في ايمانه وشكه . .

(*) استاذ البلاغة والنقد الادبي المساعد ـ كلية الاداب ـ الكويت ـ دكتوراة عن القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي ـ له عدة بحوث منشورة في الادب والنقد .

في حده وهزله . . ولعل الجانب الأخير هو ما يعنينا في هذه الدراسة . ذلك لأن مظاهر الحياة والنفس حظيت بكثير من الدراسات ، والقى عليها الباحثون العديد من الأضواء . لكن الجانب الهزلي من حياة العربي لم يأخذ ما يستحق من الدراسة ، على الرغم من كثرة النتاج الادبي الذي خلفه القدماء في هذا الجانب .

وعلى الرغم من أن ما خلفه العرب يجعلنا نقف على الشخصية السوية عندهم فليس صحيحا أن العربي القديم عاش حياته كلها بين طعن القنا وخفق البنود . واذا كان العرب لم يعرفوا « الملهاة » كما كانت عند شعراء اليونان من أمثال اسخيلوس وغيره ممن وضعوا اصول هذا الفن ليعالجوا من خلاله القضايا عن طريق الاضحاك . فان العرب قد عرفوا لونا من ألوان الشعر يهدهدون به النفوس ، ويثيرون به الضحك ولعل أول ما نصادف في هذا المجال ذلك الهجاء الذي لا ينحو فيه الشاعر منحى هجاء الحطيئة في الجاهلية وصدر الاسلام ، أو منحى شعراء النقائض الذين كانوا يجعلون شعرهم الى السباب والقذف اقرب منه الى الفن بما يرمي اليه من تهذيب النفوس ، وتأديبها وتنقيتها من العيوب التي علقت بها

واذا كان الجاحظ قد اثار سخريتنا ، وضحكنا من أنماط البخلاء التي قدمها في كتابه البخيل ، والتي كشف عن طريقها كثيرا من المرض النفسي لدى بعض الناس ممن سيطر المال عليهم ، وحولهم الى عبيد له ، اذا كان الجاحظ قد فعل شيئا من ذلك . فقد أدلى الشعراء بدلوهم في هذا المجال : فهذا شاعر يصف بخل صديق له نزل عليه ـ على الرغم منه ـ فأخذ يسأله عن السبب الذي رمى به اليه . وحاول الشاعر أن يلتمس فضيلة للسفر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . لكن المضيف تمم له الحديث بما يفيد أنه لن يقدم له شيئا من الطعام يقول عبدالمحسن الصوري .

واخ مسه نزولي بقرح
مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي انه جواد
والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهر
وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من السك
رة والهم طافح ليس يصحو . .
لم تغربت ؟ قلت : قال رسول
الله والقول منه نصح ونجح
« سافروا تغنموا » فقال وقد قا
ل تمام الحديث « صوموا تصحوا »

ولعل ما يعنينا فيها نحن بصدده ، ذلك التلطف في التعبير عن الشح الذي وقر في نفس هذا الرجل ، والحرص الشديد الذي دفعه الى عدم تقديم شيء يسد به هذا الصديق رمقه . كما تجدر الاشارة الى هذا النوع من التضمين الذي يلجأ اليه الضيف ، في اظهار جوعه ورغبته في القرى ، والايحاء الى الصديق بذلك ويلجأ اليه المضيف في ادخال اليأس في قلب الرجل ، والاشارة الى انه لن يقدم اليه شيئا

أما ابو نصر « كشاجم » فيقدم لنا نموذجا آخر من نماذج البخل ، وهو ذلك الصديق الذي دعاه فكان منه أنه لبى هذه الدعوة وذهب اليه وقدم الرجل الطعام لكنه كان في هذا يجاهد نفسه ، ويحملها على غير ما تهيأت له ، واستقر في أعماقها من الشح الى الحد الذي جعله يرى في كل لقمة يتناولها الضيف قطعة من جسمه يأكلها ، ولهذا يمتلىء بالغيظ ، ويسب عبده

لقد كان أبو نصر جائعا ، وهو مضطر الى أن يأكل ـ ولم يعد أمامه غير أن يختلس الطعام اختلاسا ويغافل مضيفه منتبها لذلك ، وكان يحس الرقابة ، فينظر الى الشاعر بغيظ ، ولا يجد صاحبنا حيلة سوى أن يعبث بالبقل ، ويصطنع اللعب ولا شك أننا لا نريد أن نفسد على القارىء متعته من جمال التصوير ، وحسن التعبير والتلطف فيه ، وخصوصا حين يصور الشاعر هواجس النفس ورغباتها ، ولذا نحيله على هذه المقطوعة التي انشأها ابو نصر كشاجم والتي يقول فيها .

صديق لنا من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه ، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي لمثله مثلي

فلما جلسنا للطعام رأيته
يرى انه من بعض اعضائه أكلي
ويغتاظ أحيانا ، ويشتم عبده
واعلم ان الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الطعام مخافة
والحاظ عينيه رقيب على فعلي
أمد يدي سرا لأسرق لقمة
فيلحظني شذرا فاعبث بالبقل
الى أن جنت كفي لحيني جناية
وذلك ان الجوع اعدمي عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت - كما جرت يدي - رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوة
فلم استطع فيها أمر ولا احلي
وقمت لو اني كنت بيت نية
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

ويلفت النظر ما يقوم به كل من الرجلين من حركات تثير الضحك ، فالضيف يغافل ليسرق والمضيف ينظر شذرا ، ويحكم الرقابة ، ويرتد الضيف عما كان عزم عليه من سرقة اللقمة لكن الجوع يدفعه لحينه ، ويجر رجل الدجاجة ، واذا بالمضيف يجر رجله ، ويحول بينه وبين ما يريد ، ويصنع الضيف والمضيف مواقف وحركات كوميدية تثير الضحك ، وتصور خلجات النفس ولون آخر من الوان الاضحاك يلجأ اليه ابو دلامة ، ويتوجه به الى الخليفة لينال عطاءه ، أو بالاحرى ليخدع به الخليفة ، وهو يتخذ السخرية من نفسه وزوجه وعياله ليثير ضحك الخليفة يقول :

إن الخليط أجد البين فانتجعوا
وزودوك جنا لا بئس ماصنعوا
والله يعلم ان كانت لبينهم
يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوما وامهم
ام الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة
هبت تلوم عيالي بعدما هجعوا
ونحن مشتبهو الالوان أوجهنا
سود قباح وفي اسمائنا شنع
اذا تشكت الى الجوع قلت لها
ما هاج جوعك الا الري والشبع
لا والذي ياأمير المؤمنين قضى
لك الخلافة في أسبابها الرفع
مازلت اخلصها كسبي فتأكله
دوني ودون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأة في بطنها تجل
وفي المفاصل من أوصالها قدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا
ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة
أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة
كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنها بمسألة
إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولنقف قليلا نعم النظر في هذه المرأة القبيحة التي صورها روجها عظيمة البطن مسرتخية ، معوجة العظام والمفاصل ، مشوهة الخلقة ممرة ، تأكل ما يأتي به زوجها من الطعام ولا تترك له ولا لعياله شيئا منه ، ثم تضطجع بعد أن تفرغ منه . وهي لا تكتفي بذلك بل تغضب حين يراجعها الزوج فيما ندر منها من تصرفات وترفع أنفها في استكبار ، وتتوجه اليه بالحديث محقرة له ، متهمة اياه بما لا تتهم به الكريمة روجها

واذا كان لنا أن نقف عند تعبير أبي دلامة ، وما يسهم به من رسم هذه الصورة العجيبة لأسرته ، تلك الاسرة التي تتشابه في قبح الوجوه ، وبشاعة الأسماء ، ثم تنفرد فيها الام بما سلفت الاشارة اليه من الاوصاف ، وينفرد الاب بالمهانة والهوان على امرأته بل نفسه ، وجدنا تلك الحركة المضحكة التي تصطنعها (ام الدلامة) حين الرد على زوجها (واحرنظمت ثم قالت وهي مغضبة) ولا شك أن هذه الحركة قد زادت من قبح أم الدلامة ، وانتزع الشاعر بذلك الضحكات من القلوب . ثم نجد من الالفاظ « شوهاء مشنأة » وغيرها من الألفاظ التي جلبها الشاعر من أجل تجسيد صورة القبح عند روجه .

بطوطة « ورأيت بهذه البلاد من تعظيم النساء عندهم ، وهن أعلى شأنا من الرجال » . وقد أفاض ابن بطوطة في وصف أحوال حواتين محمد أوربك خان - سلطان مغول القفحان ، وهن أربع لكل منزلتها ومكانتها . ولم يقتصر الامر في تلك البلاد على تكريم نساء الحكام والامراء ، وانما شمل الاحترام « نساء الباعة والسوقة ، فرأيتهن واحداهن تكون في العربة والخيل تجرها ، وبين يديها الثلاث والاربع من الجواري يرفعن أذيالها ، وعلى رأسها البغطاق مرصع بالجواهر ، وفي أعلاه ريش الطواوس وربما كان مع المرأة مهن زوجها فيظنه من يراه خادمها ، ولايكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم ، وعلى رأسه قلنسوة تناسب ذلك »

المرأة في الحكم :

أما في جنوب آسيا فقد حققت المرأة في بعض الجزر والبلاد مكانة أوصلتها الى مرتبة الحكم فبعض الجزر « وكلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح » كانت تحكمهم امرأة ، هي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر ومع ذلك فقد كان للرجل مكانته وقوامته في الأسرة والمجتمع . ذكر ابن بطوطة من عاداتهم « أنهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته ، وتزيل الشحوب عن وجهه . ومن عاداتهم أنه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها الى باب البيت ، وجُعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت ، وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره ، فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه . . »

وارتبطت مكانة المرأة في المجتمعات الاسلامية التي حكى عنها ابن بطوطة بالعناية بتثقيفها ثقافة دينية راقية ، وقد وصف هذا الرحالة نساء دولة أباد بالهند ، بأنهن جميعا يحفظن القرآن الكريم ، وذكر أنه رأى في مدينة هنور ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات ، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد .

ومع ذلك ، فان تقيد المرأة بآداب الاسلام لم يكن بدرجة واحدة في جميع البلاد التي طاف بها ابن بطوطة ففي البلاد العربية عموما ، لم يتعرض هذا الرحالة لشيء من النقد لاوضاع المرأة ، نظرا لأن الاسلام بروحه وقيمة كان أكثر رسوخا في تلك البلاد ، أما البلاد الاسلامية غير العربية ، فقد تمتعت المرأة فيها بقدر من الحرية تراوحت نسبته بين الاباحية والسفور ، من ذلك أنه وصف بعض بلاد الروم - آسيا الصغرى - بأن فيها سبعة مساجد لاقامة الجمعة ، ومع ذلك فهم « لايغيرون المنكر . . وهم يشترون الجواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد ، وكل واحدة عليها وظيف لمالكها تؤديه اليه . وسمعت هنالك أن الجواري يدخلن الحمام مع الرجال ، فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منكر عليه . وذكر لي أن القاضي بها له جوار على هذه الصورة . » أما جزائر ذيبة المهل - قرب الهند « ففي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة . . ونساؤهم لايغطين رؤوسهن ، ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة . ولايلبس أكثرهن الافوطة واحدة ، تسترهن من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها » وقد ولي ابن بطوطة القضاء في تلك البلاد ، وذكر أنه بذل جهده « لأقطع تلك العادة وآمرهن باللباس ، فلم استطع ذلك . فكانت لاتدخل اليّ منهن امرأة في خصومة الا مستترة الجسد ، وماعدا ذلك لم تكن لي عليها قدرة . »

ومن عادات السوء التي تأصلت في تلك البلاد ، والتي عمل ابن بطوطة على استئصالها عندما ولي القضاء فيها ، بقاء المطلقات في ديار المطلقين



ويقال إن أبا دلامه حمل احدى ساته فبالت عليه ، فقال :

بـالـت عـلي - لا حـيـيـت - ثـوبي
فـبـال عـلـيـك شـيـطان رجـيـم
فـما ولـدتـك مـريـم ام عـيـسـى
ولا ربـاك لـقـمـان الحـكـيـم

ثم قال لأحد جلسائه أجز فقال

صـدقـت ابـا دلامـة لم تـلدهـا
مـطهـرة ولا فـحـل كـريـم
ولـكـن قـد حـوتهـا ام سـوء
الى لـبـاتهـا وأب لـئـيـم

ولا يسلم ابو دلامه من نفسه ، بل يسحر منها ليثير الضحك ، ويتخلص من مأزق وجد نفسه فيه . وذلك انه دخل على المهدي - فيما يروي أبو الفرج الاصفهاني - وعنده اسماعيل بن محمد ، وعيسى بن موسى ، والعباس بن محمد ، ومحمد بن ابراهيم الامام وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي ، ... اعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لاقطعن لسانك - او قال لاضربن عنقك - فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، فلم ير مفرا من هجاء نفسه ، فقال

الا أبـلـغ الـيـك ابـا دلامـة
فـليـس مـن الـكـرام ولا كـرامـة
اذا لـبس الـعـمـامـة كـان قـردا
وخـنـزيـرا اذا نـزع الـعـمـامـة
جـمـعـت دمـامـة ، وجـمـعـت لـؤمـا
كـذاك الـلؤم تـتـبـعـه الـدمـامـة
فـان تـك قـد اصبـت نـعـيم دنـيـا
فـلا تـفـرح فقـد دنـت الـقـيـامـة

يقول أبو الفرج « لقد ضحك القوم عند سماع هذه الابيات ، ولم يبق منهم احد إلا أجاز ابا دلامة » .

لقد كان ابو دلامة يمتاز بخفة الروح ، وحسن المنادمة ، وكان بتطلعه يتزرع الضحكات ، وهو ينتهز اي فرصة تواتيه ليوظفها في هذا السبيل فمما يروى عنه أن المهدي خرج يوما للصيد ومعه علي بن سليمان ، فسنح لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب ، واجريت الخيل ، ورمى الخليفه المهدي ظبيا فصرعه ، ورمى سليمان بن علي فأصاب أحد الكلاب فقتله ، فقال ابو دلامة :

قـد رمى المهـدي ظـبـيـا
شـك بـالـسـهـم فـؤاده
وعـلي بـن سـلـيـمـان
رمـى كـلـبـا فـصـاده
فـهـنـيـئـا لهـما كـل
امـرىء يـأكـل زاده

ولم يكن أبو دلامة علما مفردا على الاضحاك في شعرنا العربي القديم ، فنحن نجد من الشعراء من يقف أغلب شعره على الهزل والسخرية ، ويبتعد به عن أي مظهر من مظاهر الجد ، ويرى انه بذلك يجبر نقصا في الحياة ، ويصور جانبا من جوانبها ، فالحياة ليست جدا خالصا ، بل هي مزيج من الجد والهزل ويصور ذلك قول الشاعر

ولـلجـد مـني سـاعـة لا أضيـعـهـا
ولـلهـزل مـني والخـلاعـة جـانـب

ولا يقلل مثل هذا الشعر من قيمة هذه الأمة ، بل على العكس من ذلك يكشف عن سلامتها النفسية ، ويظهر وجهها الحضاري والانساني ، ويبين المدى الذي وصلت اليه من التفتح والسماحة .

ولعلنا نجد في مثل الحسين بن الحجاج نموذجا للشاعر الذي يتخذ من الهزل والسخرية شعارا له ويرى أن شعره في السخف والهزل ضرورة تكتمل بها الحياة الفنية . يقول :

وشـعـري سـخـفـه لابـد مـنـه
فـقـد طـبـنـا وزال الاحـتـشـام
وهـل دار تـكـون بـلا كـنـيـف
فـيـمكن عـاقـلا فـيـهـا الـقـمام

ويقول

تـراني سـاكـنـا حـانـوت عـطر
فـان انـشـدت ثـار لـك الـكـنـيـف

وعلى الرغم من سقوط ألفاظ ابن الحجاج ، وسخفه في شعره نجد من النقاد من يضعه في مرتبته بين الشعراء . بل يمتدحه على نحو ما نجد عند الثعالبي الذي يقول عن ابن الحجاج ، ومناظره في خروجه « ابن سكرة الهاشمي » : ان زمانا جاد بابن سكرة ، وابن الحجاج لسخي جدا ، وما اشبههما الا بجرير والفرزدق

واذا كان ابن الحجاج قد سخر من تقاليد الفن الشعري، ولم يعن بسمو الغرض أو جزالة الالفاظ، او شرف المعنى، وحوّل الشعر الى مادة للاضحاك والسخرية، اذا كان هذا اسلوب ابن الحجاج فان ابن سكرة الهاشمي قد وجه جانبا من شعره للسخرية من قينة سوداء يقال لها «خمرة» وقد جعل منها ابن سكرة هدفا لملحه وطرائفه، وعبث بها وضحك عليها في مثل قوله.

غشت خميرة يوم العرس حاجبها
بريقها وأتتني وهي مختضبة
فقلت للزوج لا تعررك حمرتها
فانها القفل موضوع على خربة

كما يقول فيها

حسبي سواك وبئي من وصالك لي
شغلت عنك بمن اهواه فاشتغلي
لا تعذليني على ماكان من ملل
من ذا يراك فلا يصبو الى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معا
وصرت مفرعة الالحاظ والمقل
ان كنت أبصرت أشنا منك في بصري
فلا بلغت الذي أهواه من أملي

فهو يجسد ما كانت عليه هذه القينة من القبح، أو بعبارة اخرى هو يرسم لها صورة قبيحة تنفر منها النفس. ففي ليلة عرسها لا ينسى أن يكشف عن الدمامة التي حاولت ان تخفيها بالخضاب، والتي نصح الروح بعدم النظر اليها لانها لا تنم عن حقيقة هذه القينة التي تشبه «الخربة». كما نجده يعود اليها فيبين كم هي مملة، ولا يجدها انسان او ينظر اليها دون ان تمتلىء نفسه بالملل. فقد اصبحت هرمة، لا تعرف من اللحون شيئا، وغارت عيناها ولم يعد شيء اشنأ منها. ويلفت النظر تعبيره عن دماماتها، وكما سخر ابن سكرة من خمرة، واتخذ منها مادة لبث طرائفه فعل بغيرها. فهو يضحكنا من احد الشعراء فيجهد في رسم صورة قبيحة له، ومضحكة في نفس الوقت، فلهذا الشاعر قرنان وذنب، ورائحته كريهة تجعل من يستمع الى حديثه يلجأ الى ثيابه فيسد أنفه بها، وأخادعه تعط كما تعط ارنب عكفت عليها العقبان. يقول:

كل العجائب قد سمعت، ولا أرى
أني سمعت لشاعر قرنان
قرن يحك به السماء، ومثله
ذنب يزور الحوت في الأزمان
واذا تحدث أحدثت لهواته
فترى الانوف تلوذ بالأردان
وترى أخادعه تعط كأرنب
عكفت عليه مناسر العقبان

ولون آخر من ألوان السخرية والاضحاك نجده عند «أبي الشمقمق» فهذا الشاعر يتخذ من الفقر موضوعا يثير الضحك. انه يحول مأساته الى كوميديا، وذلك من خلال المبالغة وخفة الروح اللتين يصور بهما هذه المأساة

حقيقة تشف عبارة ابي الشمقمق عن الالم، وتنم عن الحزن، لكنها تمتلىء بالسخرية المرة. يقول مصورا الفضاء الذي يعيش فيه

برزت من المنازل والقباب
فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء، وسقف بيتي
سماء الله أو قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي
علي مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب
يكون من السحاب الى التراب

ومن الواضح أن بيت أبي الشمقمق كان ذلك الفضاء، أي أنه لا بيت له يؤويه، على الرغم من شاعريته، وعلى الرغم مما يراه من سيادة من لا يستحق السيادة. والذي يقول عن مثله:

وراكب فوق طِرْفٍ
كأنه فوق طرْفي
له قذال عريض
يجل عن كل وصف
يدوب شوقا اليه
نعلي، وخُفي وكفي

وسيادة من لا يستحق السيادة، وخمول أهل النباهة والعقل كانت من أبواب الفن التي وجد فيها الشعراء فرصة للتصوير والاضحاك. فهذا الذي يركب طرفا وهو لا يستحق الركوب لم يسلم من

سخرية ابي الشمقمق ، وانتهى به الأمر الى أنه غبي ، هكذا تنىء الكناية في قول الشاعر « له قذال عريض » وهو يستحق الصفع بالنعل والخف والكف . على أية حال كان الشعراء يرفضون أن يسود أمثال هذا الغبي الجاهل ، أو أن يظهر مثله في ثياب أهل الفضل والسيادة . وهم قد تصدوا لكل من كان هذا شأنه ، ومزقوا الاستار عن زيفه وجهله . وابو اسحاق الصابي يتحدث لنا عن واحد من هذه الفئة يلبس عمامة مروية ، على الرغم من أنه يحمل رأسا فارغا . يقول .

يامن تعمم فوق رأس فارغ
بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقُبِّح كل شيء تحتها
فكأنها نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبي
من شر شيء في أجل اناء
لو انني مُكّنت مما اشتهي
وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها
في رأس حر من ذوي العلياء

أما الشاعر : « عدان الاصفهاني » فيجد ابن احد الحلاجين قد سما به دهره ، وارتفع به زمانه ، واصبحت تعد له المطايا ، ولم يعد القطن المندوف يعلق بوجهه وعينيه ، كما لم يعد صوت المحلاج هو ما يقطع عليه صمته ، فيتعجب من تلك الحال ، ويجسد القضية في قوله : إن ارتفاع مثل هذا الوضيع انما هو دليل على اتضاع آخر عالي الهمة ، نابه العقل ، يقول :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا
على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت « محلاج » ولا السرج لوحة
ولا حبُّ قطن كالشعير بفيه
مقال الوليد البحتري فانه
قد انبأنا عن مثله وذويه
(متى أرت الدنيا نباهة خامل
فلا ترتقب الا خمول نبيه)

واذا كان هذا الشاعر يعتمد مقالة الوليد البحتري ، ويجعل ارتفاع من لا يستحق الرفعة يقتضي ان ينحط الرفيع عن درجته ، فاننا نجد شاعرا آخر يرى في مثل هذه الحالة انتكاسا للزمان . حتى ليصبح وكأنه يمشي على رأسه ، ويرفع رجليه الى الأعلى .

لقد أصبح السفل في الأعلى وأصبح الأعلون في السفل يقول الشاعر :

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله
ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه ، والرأس تحته
فكبُّ الأعالي بارتفاع الاسافل

ولقد كان الشعراء على صواب في بعض ما ذهبوا اليه من سخرية ، وما نحسه من المرارة في أفواههم ، فقد وجدوا في زمان وصل فيه الى سدة الحكم من قعدت به همته ، ولم تؤهله قدراته لغير التافه من الامور . لقد اشغلوا بالصغائر ، فجعلوا من أنفسهم هدفا لسخرية الشعراء على نحو ما نجد في قول ابي الطيب الطاهري ، في أحد الحكام الذي شغل عن مصالح الناس بصيد البط :

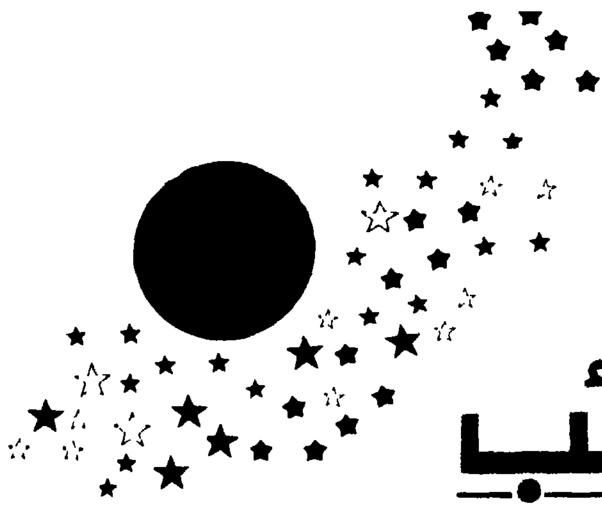
طال غزو الامير للبط حتى
ماله من عاداته اقفال
فهنيئا له .. هنيئا مريئا
كل قرن لقرنه قتال

ويدل هذا الشعر بما يشتمل عليه من التضمين على اتساع ثقافة هؤلاء الشعراء واستحضارهم لشعر سابقيهم ، واسقاط هذا الشعر في الموضع الذي يلائمه ، والذي يتفق مع الغاية منه .

وأخيرا يدل هذا الشعر على عمق في الخيال ، وحسن التلطف في ايراد المعنى . □

●

عرف المسلمون مهنة التمريض وان فيها الكثير من الثواب والتقرب الى الله ، وقد سموا الممرضات بالأواسي والآسيات ، وذهبوا فى ذلك كثيرا حتى أن الامام احمد بن حنبل قال : بانه يجوز للمرأة أن تخدم الرجل المريض وأن ترى منه عورته .



عجائب الكون الثلاث

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

إن الكون المترامي الأطراف الذي نعيش في جزء صغير جدا منه ملىء بالنجوم والكواكب المنتشرة في هذا الفراغ الهائل ، فمجرتنا « طريق التبانة » وحدها تحتوي على ما يقرب من (٢٥٠) الف مليون نجم ، واتساعها يقدر بحوالي مائة الف سنة ضوئية فكيف ينتظم هذا الكون وما هو السر في ذلك ؟

هنالك عدد كبير جدا من المجرات المنتشرة في هذا الفضاء الهائل ، والتي قد يصل عددها الى (عشرة آلاف مليون مجرة) وبالتالي فانه يتعذر معرفة عدد النجوم والكواكب الموحودة في هذا الكون .

يمر كل واحد من هذه النجوم في مراحل مختلفة من التطور ، فيبدأ النجم بالتكون من سحب من الغبار تتكون أساسا من غازي الهيدروجين والهيليوم ، وهما أبسط الغازات المعروفة ، ويكون النجم في مرحلة التكون هذه باردا نسبيا وكثافته صغيرة جدا ، وتبدأ طاقة النجم الحرارية بالزيادة بتعاقب ومرور ملايين السنين ، وتبدأ أيضا داخل النجم تفاعلات نووية تزيد من درجة حرارته ، ويتحول الى نجم متوسط الكثافة والحرارة والسطوع ، وتعتبر هذه المرحلة في حياة النجم مرحلة متوسطة أو مرحلة الشباب والنضوج ان صح التعبير ، وتمر شمسنا في الوقت الحاضر في هذه المرحلة من التطور ، التي تستمر لعشرات الملايين من السنين ، وتستمر خلال هذه الفترة التفاعلات النووية ، التي تؤدي لانتاج ضغط حراري هائل داخل النجم ، وتؤدي كذلك لنقصان في كتلة النجم ، وتتحول الكتلة المفقودة لطاقة تنتشر في الكون . ان الطاقة الحرارية التي تصلنا من الشمس وتبعث الدفء في أرضنا تنتج من جراء ما تفقد الشمس من كتلتها ، اذ أنها تفقد ما يقرب من أربعة ملايين طن من كتلتها في كل ثانية ، وتتحول

هذه الكتلة المفقودة الى طاقة تنتشر في الكون ، ولا يصل الى كوكبنا الاجزء صغير جدا منها .

تفاحة نيوتن والجاذبية

ان قوة الجذب بين الأجسام المختلفة معروفة منذ القدم ، ولقد اسقطت هذه القوة تفاحة نيوتن الشهيرة ، وتعتبر هذه القوة أصغر وأضعف القوى الأربع المعروفة في الطبيعة ، ولا يكون تأثيرها محسوسا الا اذا كانت كتل الاجسام ضخمة كما هو الحال في النجوم والكواكب ، ولكن لا تؤثر هذه القوة على النجم عندما يكون في مرحلة الشباب ، لان الضغط الحراري الهائل والناتج عن احتراق وقوده النووي يعادل قوة السحب نحو الداخل ، ويبقى النجم في حالة اتزان خلال هذه المرحلة

ومع مرور السنين يستنفد النجم وقوده النووي ، وتخمد بالتالي حدة التفاعلات النووية بداخله ، ولا يستطيع توليد الضغط الحراري الهائل واللازم لتوازن قوة الجذب او السحب نحو الداخل ، ويخضع النجم في هذه المرحلة التي تعرف بمرحلة النهاية والفناء الى قوة سحب نحو المركز ، تؤدي لانهيار وانكماش النجم على نفسه ، فيصغر حجمه وتزداد كثافته وتزداد أيضا سرعة التحرر ، أو سرعة الانفلات من مجاله الجذبي ، وتعرف هذه السرعة بأنها أقل سرعة لازمة لانطلاق جسم من على سطح النجم ، لكي يغادر المجال الجذبي للنجم نهائيا ولا يعود اليه .

ويعتمد المدى الذي ينكمش اليه النجم في مرحلة النهاية على كتلته ، وهنالك ثلاث حالات مختلفة :

الحالة الاولى اذا كانت كتلة النجم تساوي كتلة الشمس أو تزيد عنها قليلا (يجب أن لا تزيد كتلة النجم عن سبعة أخماس كتلة الشمس) فان انكماش النجم على نفسه يؤدي لزيادة الكثافة بشكل كبير ، وانتاج ضغط داخلي في النجم ، وهذا الضغط ليس له علاقة بدرجة الحرارة ، ولكنه ينتج بفعل وجود الالكترونات الذرية ، يتعادل هذا الضغط اللاحراري عند مرحلة معينة من الانكماش مع قوة الجذب الداخلي ، ويصل النجم لحالة من الاستقرار بعد أن يكون قد صغر حجمه كثيرا جدا ، يسمى هذا النوع من النجوم بقزم أبيض وتكون كثافته كبيرة جدا ، وقد تصل الى مليون مرة أكبر من كثافة الماء ، ان هذا يعني أن ما يملأ علبة ثقاب عادية من مادة هذا النجم قد تصل كتلته لأكثر من ٢٥ طناً ، ويتوقع علماء الفلك وجود مئات الآلاف من هذه النجوم ، ولقد اكتشف منها بضع مئات حتى الآن .

الحالة الثانية : اذا كانت كتلة النجم أكبر من الحالة السابقة أي حوالى ضعف أو ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، ولكنها لا تزيد عن ذلك ، فان قوة الجذب التي تسبب الانكماش تكون اكبر كثيرا من الحالة السابقة ،ولا يستطيع الضغط الاليكتروني معادلتها أو ايقافها ، بل تحطم هذه القوة التركيب الاليكتروني للذرات ، ويتصور بعض العلماء أن هذه القوة تدمج الألكترونات الذرية مع البروتونات النووية ، وتحولهما معا الى نيوترونات ، وتصبح مادة النجم عبارة عن نيوترونات متراصة بعضها بجانب البعض ، ويترد النجم بعد أن تصبح كثافته عالية جدا ، وتساوي كثافة نواة الذرة ، ان كثافة مثل هذه النجوم اكبر بمائة مليون (مليون مليون) مرة من كثافة الماء ، والمذهل أن كتلة ما يملأ صندوقاً أو علبة الثقاب العادي من مادة النجم النيوتروني قد تصل الى (الفين وخمسمائة مليون طن) ، ولقد اكتشف حتى الآن ما يزيد عن ٣٠٠ نجم نيوتروني ، وتبين أن هذه النجوم ترسل نبضات قصيرة السعة ، وتختلف من نجم لآخر ، ولكنها غاية في الدقة ، وتصل دقتها الى واحد من مليون من الثانية ، ولذلك تعتبر كساعات كونية ، والسبب الحقيقي لهذه النبضات غير معروف ، ولكن يعتقد أنها تنتج بسبب الكثافة العالية والدوران السريع لهذه النجوم . ولقد اكتشف أول نجم نيوتروني عام ١٩٦٧ .

الثقوب السوداء

الحالة الثالثة : اذا كانت كتلة النجم تزيد عن ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، فان قوة الجذب نحو الداخل (عندما يفقد النجم وقوده النووي) هائلة ، ولا يمكن ايقافها ، وينكمش النجم الى حجم صغير جدا بالنسبة لحجمه الأصلي ، ولدرجة أن سرعة الانفلات أو التحرر من مجاله الجذبي (والتي تزيد مع نقصان نصف القطر) تصبح أكبر من سرعة الضوء ،

والتي تساوي ٣٠٠ الف كيلو متر / ثانية وبعتبر الحد الاقصى للسرعات ، ان هذا يعني أن الضوء لا يستطيع أن ينطلق أو يتحرر من هذا النجم بل يُحجز بداخله ، وهو نتيجة لذلك لا يمكن أن يُرى ، لأننا نرى الأجسام من خلال الأشعة التي تُصدرها ، او تَنعكس أو تتشتت عنها ، فهو لذلك أسود ، ولا يمكن أن يُرى ، ويطلق على هذا النوع من النجوم اسم ثقب أو حفرة سوداء black hole، وسبب التسمية واضح ، اذ ان هذا النجم لم يعد جزءا من الكون ، بل اختفى أو انتهى ، وترك مكانه حفرة أو محوة ، وهو اسود لأن الضوء لا يمكن أن يغادره وهو بالتالي لا يرى .

اذا تحول نجم كتلته عَشْرة أضعاف كتلة الشمس الى حفرة سوداء فان هذا النجم يصبح عبارة عن كرة ذات كثافة عالية جدا وغير مرئية ، ويقل نصف قطرها قليلاً عن ثلاثين كيلومترا ، علما بأن نصف قطر الشمس يقرب من حوالي ٧٠٠ الف كيلومتر ، وهذا قد يوضح لنا المدى الذي تنضغط اليه المادة في الحفرة السوداء ، وللتوضيح أكثر نأخذ الكرة الأرضية كمثال علما بأنها لا يمكن أن تتحول ـ من ناحية نظرية على الأقل ـ الى حفرة سوداء ، وذلك لأن كتلتها أصغر من كتلة الشمس ، ولكن اذا تخيلنا أنها تحولت الى حفرة سوداء (مثلا بفعل ضغط خارجي كبير جدا يؤثر على سطحها الخارجي) فان هذا الكوكب الضخم بما عليه من جبال وبحار ومدن وغير ذلك يتحول الى كرة صغيرة وأصغر من كرة تنس الطاولة (كرة البنج بونج) ، قد يبدو هذا الكلام ضرباً من الخيال ، وليس من العلم في شيء ، لأن العقل لا يستطيع أن يتصوره ، وهذا ما عناه البعض عندما قالوا إن الحفر السوداء تحول العلم الى خيال .

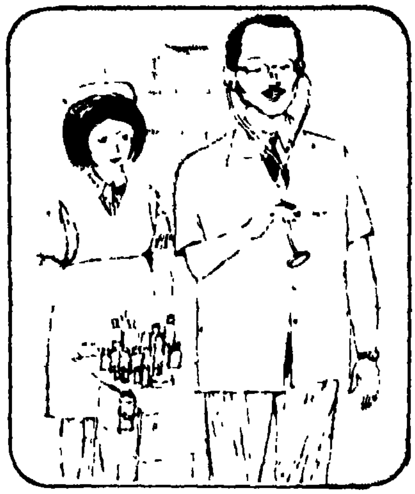
لا أحد يعرف شيئا عن تركيب المادة داخل الحفرة والمحوة السوداء ، لأن ما يدخلها مفقود ولا يمكن أن يعود اطلاقا ، ولكن نتيجة لانضغاط المادة بصورة كبيرة جدا ، وارتفاع الكثافة بصورة غير مألوفة ، فان تركيب المادة في هذا النجم الغريب يختلف بالتأكيد عن تركيب المادة المعروفة ، ويُعْتقد أن الأشياء تفقد ماهيتها وأصلها في داخل الحفرة السوداء ، ولا يمكن التمييز والتفريق بينها ، وتصبح جميعا بعد دخولها سطح الأفق وكأنها شيء واحد لا فرق بين شجرة وكرسي وحيوان و . . . .

هل هي موجودة حقاً ؟

والسؤال الذي لا شك أنه يتبادر الى الذهن الآن هو : هل هذه النجوم الغريبة موجودة فعلا ؟ وكيف يمكن الكشف عنها والتعرف عليها اذا كانت لا ترى ولا يمكن أن يغادرها شيء ؟ إن الكشف عن الحفر السوداء ـ من الناحية النظرية ـ سهل وذلك من خلال مجالها الجذبي الكبير الذي يؤثر على جميع الأجسام المحيطة بها ، ولكن ذلك صعب من الناحية العلمية ، وخصوصا اذا كانت المحوة السوداء عبارة عن نجم منفرد ، ويعود ذلك لبعدها الشاسع عن مجموعتنا الشمسية ، حيث يتوقع علماء الفلك أن تكون المحوات السوداء ـ ان كانت حقيقة ـ على بعد ملايين السنين الضوئية من مجموعتنا الشمسية . أما اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج Dou-ple star ، وهذا ما يتوقعه علماء الفلك ، فان الكشف عنها يصبح ممكنا ، وذلك بدراسة طيف النجم المرئي في أوقات مختلفة ، وباجراء بعض القياسات الفيزيائية التي يمكن من خلالها استنتاج كثير من صفات النجم ، مثل درجة الحرارة والتركيب والكتلة ونصف القطر وغير ذلك ، ويمكن معرفة ما اذا كان هنالك جرم غير مرئي تابع للنجم ، أي حفرة سوداء أم لا .

والاحتمال الآخر ـ اذا كانت الحفرة السوداء جزءا من نجم مزدوج ـ أن يؤثر المجال الجذبي الكبير للحفرة السوداء بقوة هائلة على الغاز الذي يتكون منه الجزء الثاني من النجم ، ويجذبه نحو الحفرة السوداء ، وعند وصوله اليها ترتفع درجة حرارته بشكل كبير ، وتصدر منه أشعة سينيه X—Ray ، ومن أشهر النجوم التي يُعْتقد انها حفرة سوداء مجموعة نجوم تُدعى كوكبة الدجاجة ١ ـ Cygnus حيث قرر الباحثون أن احتمال كونها حُفرة سوداء هو ٩٠٪ ، ولكن الدليل غير قاطع على أنها كذلك

وتبقى الحفر السوداء أغرب ما انتجته النظريات العلمية على الاطلاق ، ويتسابق علماء الفلك في مختلف أنحاء العالم لاثبات وجودها بصورة علمية وقاطعة ، ولكن بدون نتيجة حتى الآن □



ولادة

قصة : انابيس نن

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

تعريف بالكاتبة :

ولدت انابيس نن في باريس سنة ١٩٠٣ ، وهي من أصل اسباني وقد أمضت طفولتها في أقطار اوروبية متعددة ، وفي الحادية عشرة من عمرها غادرت باريس لتعيش في الولايات المتحدة ، وبدأت تكتب بالانكليزية وهي في السادسة عشرة ، نشر كتابها الاول في الثلاثينيات وتحظي كتبها الان بشعبية كبيرة سواء بين الطليعة أو الجمهور العريض وقد ترجمت أعمالها الى ٢٦ لغة ، والكتاب الذي ترجم لها الى العربية هو « رواية المستقبل » الذى صدر عن ورارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٨٣ ومن أشهر أعمالها « اليوميات » وعدد من الروايات منها « القلب ذو الحجرات الاربع »و « اولاد القطرس » و « عين في منزل الحب » و « الملصقات »

وخلال سنواتها الاحيرة حاضرت في فترات متقطعة في جامعات الولايات المتحدة ، وفي ١٩٧٣ نالت الدكتوراة الفخرية من كلية فيلادلفيا للفن ، وفي ١٩٧٤ انتخبت عضوا في الجمعية الوطنية للفنون والآداب . وتوفيت سنة ١٩٧٧ . □□

قال الدكتور « الطفل ميت »

انا ممدّدة على مصدة ليس لدى مكان اريح عليه ساقيّ ، على أن اقيهما مرفوعتين،انحنت فوقي ممرضتان - وأمامي جلس الدكتور الذي له وحه امرأة وعينان نانتتان بالغضب والخوف . ظللت ساعتين أبدل حهودا عنيفة . وكان للطفل في داخلي ستة أشهر من العمر ، ورغم ذلك فهو كبير جدا بالنسبة الى . كنت منهكة ، وعروقي تنتفح في توتر ، جاهدت بكل كياني ، جاهدت كأنني اردت ان يخرج هدا الطفل من جسدي وينطلق في عالم آخر .

« اضغطي ، اضغطي بكل قوتك » .

أكنت اضغط بكل قوتي ؟ كل قوتي ؟

لا ، فجانب مني لم يشأ أن يضغط على الطفل ليخرج ، وعرف الدكتور ذلك ، وهذا هو سبب



عصبه العامص . « كان يعرف » جانب مي متمدد سلبية ، لايود أن يقذف أي شيء ولاحتى هدا الجرء الميت مني ، ليحرح الى البرد ، ليحرج مني كل ما أختار أن يحتفظ ، ويهدهد ، ويعانق ، ويحب ، كل ماحل فيّ ، وثار ، وحمى ، كل ماأسر في العالم كله بحنانه المتقد ، هدا الحانب مني لايريد أن يدفع الطفل الى الخارح ، ولو مات في داخلي . ولو هدد حياتي لما استطعت أن أقطعه ، أنزعه ، أنفصل عنه ، أتنازل عنه ، أنفتح وأتوسع وأتخلى عن هذا الجزء من الحياة الذي هو جزء من الماضي ، وهدا الجانب مني تمرد على طرح الطفل ، أو أي شيء ، لئلا يخرج الى البرد ، فتلتقطه أيد غريبة ، ويدفن في أمكنة غريبة ، ويضيع ، ويصيع ، ويصيع وعرف الدكتور دلك كان قبل نصع ساعات يهتم بي ويخدمني ، وهو الآن عاصب ، وأنا غاصة وعضبي الأسود هو على هدا ا الجانب مي الدي رفض أن يضغط ، أن يفصل ، أن يفقد

« اضغطي ، اضغطي ، اضغطي بكل قوتك »

ضغطت بغضب ، بيأس ، باهتياج ، أشعر أني سأموت من الضغط ، كمن يلفظ آخر أنفاسه ، ذلك أنني وددت أن أخرج كل مافيّ داخلي ، وأن تختنق روحي في الدماء المحيطة بي ، واعصابي وقلبي في

داخلها ، وأن يمتح جسدي ويرتفع الدخان ، وأشعر بالحدة القصوى للموت .

مالت الممرضات عليّ وتحدث مع بعضهن حين احدث استراحة ، ثم صعطت حتى سمعت عظامي تطقطق ، حتى انتفخت عروقي اغمضت عيني فرأيت بصعوبة ومص الأحمر والأرجواني وأمواجه . وكان في ادني اصطراب قرع متكرر كأن الطبلة ستتمزق . اعلقت شفتي باحكام شديد فصار الدم يقطر ، كانت ساقاي تشعران بثقل شديد ، كأنهما عمودان من الرخام وكعمودين هائلين من الرخام تعصران جسدي فأحدت التمس أن تمسكهما احداهن ووصعت الممرضة ركبتها على بطني وصاحت « اصعطي ، اصعطي ، اصعطي » وتصب عرقها على

وراح الدكتور يذهب ويجيء بعصب ، سماد صبر « سمضي الليله كلها هنا ، مضت الان ثلاث ساعات »

كان الرأس ظاهرا ولكنني كنت معميّ على ، وكان كل شيء أزرق ، ثم أسود ، والالات تومض امام عيني والسكاكين مشحودة في ادني الخلد والصمت ثم سمعت اصواتا تتحدث الىّ او لا بسرعة بالغة لأفهم ، وانشقت الستاره ومازالت الاصوات تتعثر بعضها وتسقط سريعا كالشلال ، دي البروق ، وتحترق ادني وكانت المصدة تدور بلطف وتدور . والنسوة يتمددن في الهواء ، والرؤوس الرؤوس معلقة حيث علقت المصابيح الكهربائية البيضاء . وظل الدكتور يسير ، وتحركت المصابيح ، واقتربت الرؤوس ، اقتربت كثيرا ، واقبلت الكلمات شديدة البطء

كي يضحكن وكانت احدى الممرضات تقول : « حين وضعت أول طفل لي تمزقت اربا اربا ، فحاطوني من جديد ثم وضعت طفلا آخر ، فحاطوني ، ثم وصعت طفلا آخر . »

وقالت ممرضة اخرى : « ولادتي مرت كمرور المغلف في صندوق البريد ولكن بعد ذلك لم يشأ الكيس أن يخرج . لم يشأ الكيس ان يخرج . يخرج يخرج »

لماذا يكررن انفسهن ، والمصابيح تدور ، وخطوات الدكتور سريعة جدا ، سريعة جدا

« لاتستطيع أن تجهد نفسها أكثر ، الطبيعة لاتساعدها في ستة أشهر ، يجب أن تحقن مرة أخرى »

احسست بالابرة تنغرز ، كانت المصابيح ساكنة ، والجليد والزرقة اللذان كانا يحيطان بي احترقا عروقي ، وقلبي حمق بشدة وكانت الممرضات يتكلمن : « الان طفل السيدة ل الذي كان سوف يظن أنها صغيرة جدا في الاسبوع الماضي سيراها امرأة ضخمة على هذا الشكل ، امرأة ضخمة على هذا الشكل وظلت الكلمات تدور ، كأنها في اسطوانة كن يتكلمن ، كن يتكلمن ، كن يتكلمن .

أرجوكم امسكوا ساقي ، ارجوكم امسكوا ساقي ، ارجوكم امسكوا ساقي ، ارجوكم امسكوا ساقي . انا مستعدة من حديد وبالتفاتة رأسي الى الوراء استطيع أن أرى الساعة جاهدت أربع ساعات ، أفضل أن أموت لماذا اعيش واجاهد بيأس ؟ لم استطع أن اتذكر لماذا على أن اعيش لم استطع أن اتذكر أي شيء كان الدم والالم هما كل شيء على أن اضغط ، على أن اضغط ، تلك هي النقطة السوداء الثابتة في الابدية . عند نهاية نفق طويل مظلم وصوت يقول . « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي » وركبة على بطني ومرمر ساقي يعصرني والرأس كبير وانا على أن اضغط

أنا اضغط أم أموت ؟ الضوء في الاعلى ، والكرة الضخمة التي تتوهج بالضوء الابيض تشربني تشربني بتمهل وتشربني في المكان ولو لم اغمض عيني لشربتني كلي اتسرب الى الاعلى ، في خيوط جليدية ، شديدة الحمة ، ومع ذلك فالنار في الداخل ، والاعصاب تدور ، وليس من بقية لهذا النفق الطويل الذي يجري ، ام انني اضغط نفسي لاخرجها من النفق ، ام ان الطفل يخرج مني ، ام ان الضوء يشربني ؟ انا اموت ؟ الجليد في العروق ، طقطقة العظام ، الضغط في الظلام ، نملة صغيرة في عيني كحد السكين ، الاحساس بسكين يقطع الجسد ، الجسد في مكان مايتمزق كأنما يحترق باللهب ، في مكان مايتمزق جسدي والدم ينفسخ .

وأنا اضغط في الظلام ، في الظلام المطبق اضغط حتى تنتفخ عيناي وارى الدكتور يمسك بأداة طويلة يغرزها فيّ بسرعة فيجعلني من الالم اصرخ صيحة حيوان طويلة ويقول للممرضة · هذه ستجعلها تضغط ، ولكنها لاتجعلني كذلك انها تشلني بالالم . ويود أن يعيد الكرة فانهض حالسة واصيح فيه بعصب شديد لاتحاول ذلك مرة اخرى ، لاتحاول وتدفئني حرارة عضبي ، ويذوب كل الجليد والوجع في العصب . وبالعريزة شعرت أن مايفعله ليس ضروريا ، وانه ماقام بذلك الا لانه معتاظ ولان عقارب الساعة ماتزال تدور ، والفجر آت ، والطفل لم يأت ، وانا افقد قوتي والحقنة لاتحدث النوبة

انظر الى الدكتور يسرع في السير ذهابا وايابا ، أو ينحني لينظر الى الرأس الذي يظهر حاسرا ويبدو مرتبكا ، كأنه امام لغز وحشي ، ويربكه هذا الصراع ويود أن يتصارب مع ادواته ، على حين اني اصارع مع الطبيعة ، ومع نفسي ، ومع طفلي والمعنى الذي وضعته فيه ، مع رغبتي في أن اعطي وان احتفظ ، في ان أبقي وأن افقد ، وان احيا وأن اموت . لأداة تعيني عياه عاصتان يود أن يأخذ سكينا ، وعليه أن يراقب وينتظر

وطوال الوقت اريد أن اتذكر لماذا يجب أن اعيش ، كلي اوجاع ومامن ذكرى ، وكف المصباح عن شربي ، وارهقني أن اتحرك ولو نحو الضوء ، أو أن استدير لانظر الى الساعة ، وفي داخل جسدي ، نيران ، احتراقات ، والجسد يتوجع . والطفل ليس طفلا ، انه شيطان يخنقني ، والشيطان يضطجع جامدا عند باب رحمي ، يسد الحياة ، ولا استطيع التخلص منه

وبدأت الممرضات يتحدثن من جديد قلت · دعوني وحدي ، وبسرعة بالغة وضعت كلتا يدي على بطني ، وبأناملي قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت على بطني بشكل دائري هنا هناك بسرعة بعينين مفتوحتين في صفاء كبير . الدكتور يقترب وعلى وجهه اشداه الممرضات صامتات . . قرع . قرع . قرع . قرع . قرع . قرع . قرع . قرع . انا مستعدة ، الممرضة تضغط ركبتها على بطني والدم في عيني ، نفق ، اضغط ، في هذا النفق ، واعض شفتي واضغط هناك نار وجسد يتمزق ومامن هواء ، الخروج من النفق ، كل دمائي تراق اضغط ، اضغط ، اضغط ، انه آت انه آت ، انه آت احس بالانزلاق ، ذهب الثقل أسمع اصواتا ، أفتح عيني ، اسمعهم يقولون · « انها طفلة صغيرة ، الافضل ألاتريها اياها » تعود كل قوتي ، أنهض في جلستي ، فيصيح الدكتور « لاتنهضي »

« أريني طفلتي »

تقول الممرضة « لاتريها اياها فستتكدر » تحاول الممرضة أن تعيدني الى الاستلقاء قلبي يخفق بشكل مرتفع فأكاد لااسمع نفسي وأنا أكرر « أريني الطفلة » فيمسك بها الدكتور ويظهرها لي ، انها تبدو قاتمة وصغيرة ، كرجل مصغر جدا ولكنها طفلة انثى ، لها اهداب طويلة على عينيها المغمضتين ، وقد خلقت خلقا سويا وتتلألأ كاملها بمياه الرحم □

●


طاغور

قال طاغور .

ان الله حين اراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظام رجليه حتى لايدوسها ،ولا من عظام رأسه حتى لا تسوده ،وانما خلقها من أحد اضلاعه لتكون مساوية له قريبة الى قلبه .

فكانت المرأة تظل مقيمة في دار مطلقها حتى تتزوج غيره وقد قاوم القاضي ابن بطوطة هذه العادة بحزم « وأتى اليّ بنحو خمسة وعشرين رجلا ممن فعلوا ذلك ، فضربتهم وشهرتهم بالأسواق ، وأخرجت النساء عنهم . . . »

أما بلاد السودان الغربي التي زارها ابن بطوطة في رحلته الثالثة ، فقد ذكر عن بعض المدن الاسلامية فيها ـ مثل مدينة أيوالاتن ـ أن نساءها « أعظم شأنا من الرجال » وعلى الرغم من أنه استحسن من أفعال أهالي تلك البلاد، مواظبتهم على الصلوات، وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . . وعنايتهم بحفظ القرآن العظيم . . » الا أنه أخذ عليهم « أن الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عريا ، ولقد كنت أرى في رمضان، كثيرا منهن على تلك الصورة . »

كذلك عاب ابن بطوطة على الرجال في تلك البلاد ألا ينسب أحدهم لابيه بل ينتسب لخاله ، ولايرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه ، مما يشير الى أن مكانة المرأة والأم فاقت مكانة الرجل والأب ويشبه هذا ماذكره ابن بطوطة عن بعض المجتمعات الاسلامية في جنوب شرق القارة الاسيوية (بلاد المليبار) من أن « سلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم » .

المرأة والمجتمعات الأخرى :

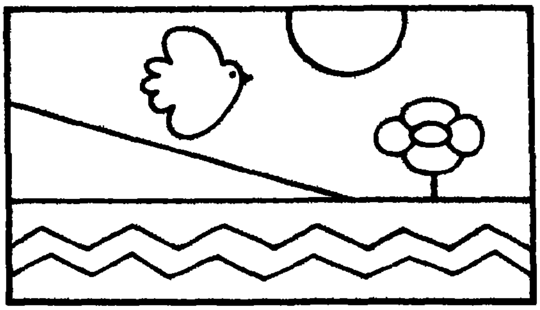
أما عن المرأة في المجتمات غير الاسلامية التي زارها ابن بطوطة ، فلعل أهم ما جاء عنها في مذكراته يتعلق بالعادة التي فشت بين نساء كفار الهنود من أن المرأة تحرق نفسها مع زوجها اذا توفي . حتى أولئك الذين كانوا يعيشون في كنف سلطان المسلمين ، كانت الواحدة تستأذن السلطان ليسمح لها باحراق نفسها مع زوجها المتوفى ، فاذا أذن لها خرجت « متزينة راكبة ، والناس يتبعونها ـ من مسلم وكافر ـ والأطبال والأبواق بين يديها ، ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود فيحرقونها . واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب . لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء . ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ، لكنها لاتكره على احراق نفسها . . . »

وفيما عدا ذلك فان المرأة في البلاد غير الاسلامية التي مر بها ابن بطوطة ، حققت لنفسها مكانة كبيرة في المجتمع . من ذلك ماذكره من أنه بعد أن ترك جاوة في طريقه الى بلاد الصين ، وصل الى بلاد طوالسي « وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين ، وأهلها عبدة أوثان . . » فوجد امرأة تحكمهم « لها في عسكرها نسوة وخوادم وجوار يقاتلن كالرجال . وتخرج (الملكة) في العساكر من رجال ونساء ، فتغير على عدوها ، وتشاهد القتال ، وتبارز الابطال . . وكان أبناء الملوك يخطبونها ، فتقول : لاأتزوج الا من يبارز فيغلبني . فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم . . »

وأخير ، فان ابن بطوطة ـ وهو الرجل الذي اتصف من واقع مذكراته بسلامة الحس وحسن الذوق ورقة المشاعر كانت له نظرته الفاحصة في المرأة ، وهي نظرة كثيرا ماتتصف بقرب الرؤ يا وصدق الحاسة وصفاء العاطفة من ذلك أنه أشاد بجمال النساء في كثير من البلاد التي تردد بين جوانبها ، بل لقد حدد مواضع الجمال والفتنة فيهن فأشار الى الوجه وزينته والجسد وقوامه ، وربما وصف بعض أعضاء الجسد وصف الخبير المعجب ، من ذلك أشار الى نساء مدينة زبيد باليمن بأن لهن « الحسن الفائق الفائت » . ووصف نساء دولة آباد بالهند « بالحسن وخصوصا في الأنوف والحواجب » . وقال عن نساء هنور ـ بالهند أيضا ـ « ولهن جمال وعفاف ، وتجعل احداهن خرص الذهب في أنفها » . وتعرض بالوصف لنساء بعض قبائل المغرب ، فقال انهن « أتم النساء جمالا ، وأبدعهن صورا ، مع البياض الناصع . ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن . . . »

وهكذا نستطيع أن نخرج من بين ثنايا مذكرات ابن بطوطة بمعلومات طريفة مهمة عن المرأة في عصره في البلاد التي طاف بها ، ولعلنا غير مبالغين اذا قلنا أن هذه المعلومات تشكل في مجموعها رحلة رابعة لابن بطوطة في عالم رحب مثير ، أكبر بكثير من العالم الجغرافي الذي ساح ذلك الرحالة بين جنباته ، هو عالم المرأة . . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة



الفـزع من « القـات » في العـاصمـة البريطانية

مـا كنا لنتعـرض للحديث عن القـات - وهو موضوع حساس للغاية - لولا قصة تسربه الى العـاصمـة البـريـطانيـة في مطلع هـذه السنـة (١٩٨٥) . والقصة معروفة للجميع ولا ريب ولسنا بحاجة الى أكثر من الاشـارة الى أن التاجـر المستـورد لورق القـات انما هـو عربي يمني يعيش في لندن ، وأن أكثر عملائه إنما هم من الجاليات العربية والجـاليـة اليمنيـة بصفـة خـاصـة . وان الشحنـة الاسبوعية التي يستـوردها بـالطائـرة ضمن صناديق كرتون . . يبلغ وزنها الاجمالي ٥٠ كيلو . لا تلبث أن تنفد كلها قبل وصول الشحنة التالية بأيام . . هذا بالرغم من أن الرزمة الواحدة (٢٠٠ غرام) أو ما يكفي لتخزينة واحدة ، كما يقولون ، تباع في لندن بخمسة جنيهات استرلينية

الا أن ما يلفت النظر في هـذه القصة هـو القلق والفزع الذي عم الاوساط الصحفية والحكـومية في لندن . . فقد انطلقت الصحف الصنداي تايمز خـاصة . . . فنشـرت من المعلومات الاضافيـة عن القات ما قد لا يجده المرء في أكبر المراجع .

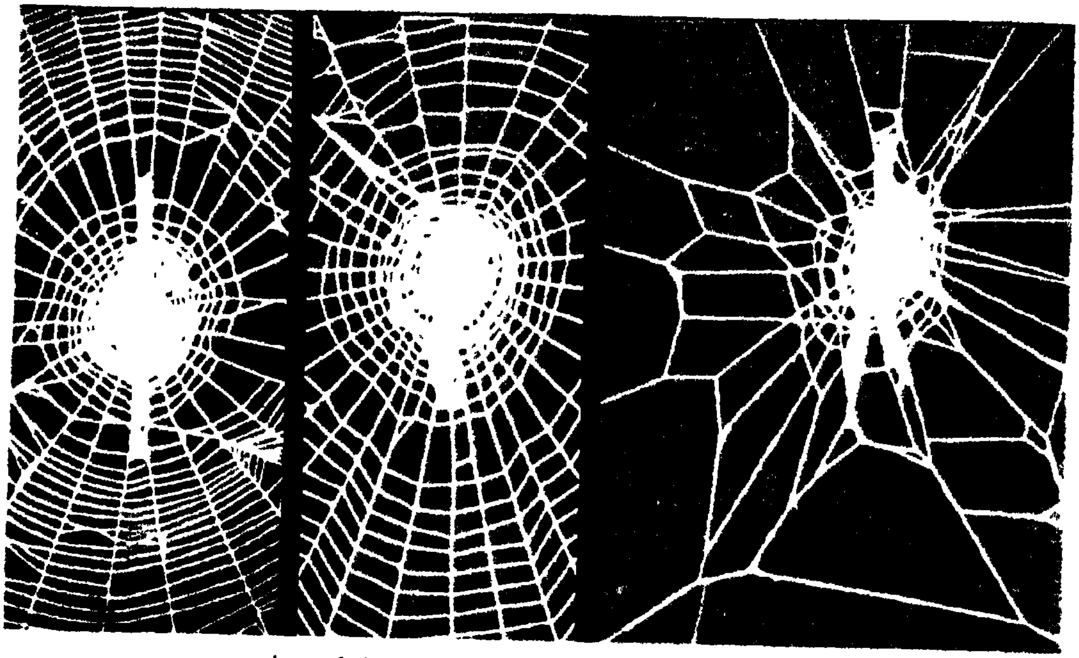
ونددت بأضراره ومخاطره . . وحذرت الحكـومة البـريـطانيـة من مغبـة السكـوت عـلى استيـراده وانتشاره . هذا على الرغم من أن الصحيفة تؤكد أن شراء القات ما زال وقفا على الجاليات العربية حتى الآن . . وكان للضجة أثرها فقد علق ناطق رسمي بلسان وزارة الداخلية على هذا الموضوع بقوله : « لم نر شيئا من القات حتى الآن . . ولكننا لن نتردد في اتخاذ الاجراءات الجادة الماسة في الوقت المناسب »

وانبـرى الاطبـاء والمختصـون يتحـدثـون عن القات . والأذى الذي يلحقه بالمدمنين عليه فذكر أحدهم أن القات منه وأن أثره يشبه كثيرا أثر الامفيتامين وهـو منه اصـطناعي قـد يؤدي الى الموت . . اذا تناوله المرء بكميات كبيرة . ويشير هذا الطبيب الى اليمني الذي صرعه القات والـذي عالجه في مستشفى ليفربول

وتحدث طبيب آخر عن المضاعفات النفسانية التي يحدثها الادمان على القات . والتي تشمل فيما تشمل روح العدوان والريبة والحرج . وأكد هذا الطبيب أن القات ادمان بالمفهوم السيكولوجي ، ان لم يكن بالمفهوم الفسيولوجي أيضا . وانه قد يسبب الذهان - والذهان آفة عقلية كالجنون - للمـدمنين عليـه . . هـذا الى جـانب الاوهـام والاضـاليـل التي تجعلهم يشعرون وكأنهم مضطهدون . .

وأشار طبيب ثالث الى ما يسببه الادمان على القات من أمـراض الاسنـان وتشمـع الكبـد والـعقـم الجنسي . . ناهيك بـارتفاع ضغط الـدم والصداع النصفي ونزيف المخ ، أما الآفات التي يسببها القات للجهاز الهضمي فلعلها أكثر شيوعا من كل ما ذكرنا وهي في منأى عن كل شك ويُذكّر هذا الطبيب بأن هذه الاضرار كلها قد ورد ذكرها في تقرير لهيئة الأمم صدر سنة ١٩٨٠ . . .

والجدير بالذكر أن القات محظور في أكثر البلدان



* تفتك المخدرات بالجهاز العصبي المركزي   انظر كيف اخفق العنكبوت في نسج بيته فحلت الفوضى محل الانسجام وذلك بسبب المخدر الخفيف الذي أعطوه اياه بمقادير ضئيلة

فقد حظرته المملكة السعودية منذ نحو ثلاثين عاما . وفرضت عقوبة السجن لمدة ٢ ـ ١٥ سنة ، على المخالفين ، وقد حظرته اليمن الشعبية الجنوبية في أواخر السبعينيات ولكن هذا الحظر غير شامل . . والقات مباح هناك في أيام الخميس والجمعة . وحظرته الصومال أيضا سنة ١٩٨٣ . .

أخبار هامة للمدخنين :

يحسب البعض أن الحديث عن أضرار التدخين حديث عشوائي لا يستند الى حقائق علمية ثابتة ولا يعدو كونه دعاية يقصد منها تنفير الناس من عادة التدخين ولعل في الآلة المدخنة التي تراها في الصورة دليلا على خطأ اولئك البعض . . . فهذه أجهزة وآلات صممها وابتكرها العلماء ، لاجراء التجارب العلمية الدقيقة ، و قد كان لها النصيب الأوفر في الكشف عن أضرار التدخين ، وما يحتويه من قطران ونيكوتين وغير ذلك .



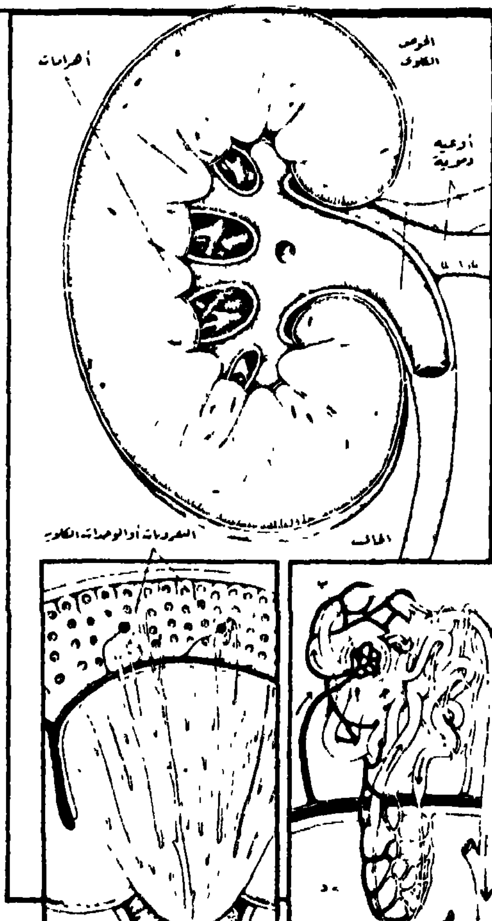
الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الكلى وكيف تعمل ؟

■ هل تعلم أن الكليتين تحتويان على انابيب صغيرة يبلغ طولها ٦٠ كيلومترا ؟ . وهل تعلم أنهما تستطعان وترشحان مايبلغ حجمه ١٨٠٠ لتر من الدم ـ دم الانسان ـ يوميا ، ولاتزيد حصيلة هذا التنظيف والترشيح مجموعها على ١,٥ لتر فقط . ؟

فهما ادق مصفاة للبدن . وان كانت الكلى تقوم بأعمال اخرى غير التصفية . . هذا والكليتان لايزيد طولهما على ٤ بوصات ، ووزنهما ٥ اونصات ، وهما تقومان بتصفية الدم عدة مرات بالضبط (٣٦ مره) كل ٢٤ ساعة . وتقومان بهذه التصفية لتعزلا النفايات وخصوصا



النفرونات في الكلى . او الوحدات الكلوية هي التي تقوم بتنظيف الدم وتوجد هذه النفرونات فيما يسمى بأهرامات الكلى وهي تقوم بوظيفتها كما يلي
تنقل الاوعية (أ) الدم من والى الكبيبات (ب) ، حيث يجري سحب الماء وجزئيات اخرى من الدم الى كبسولة بومان (جـ) ثم يمر عبر انابيب دقيقة متصلة بعقدة هنلي (د) وتعود اكثر المادة السائلة الى مجرى الدم ثانية ويذهب المتبقى الى قناة التجميع (هـ) ثم يجري افرازه

البول عن الدم . . وتبقيا على مايحتويه الدم من المواد الغدائية والماء الضروري .

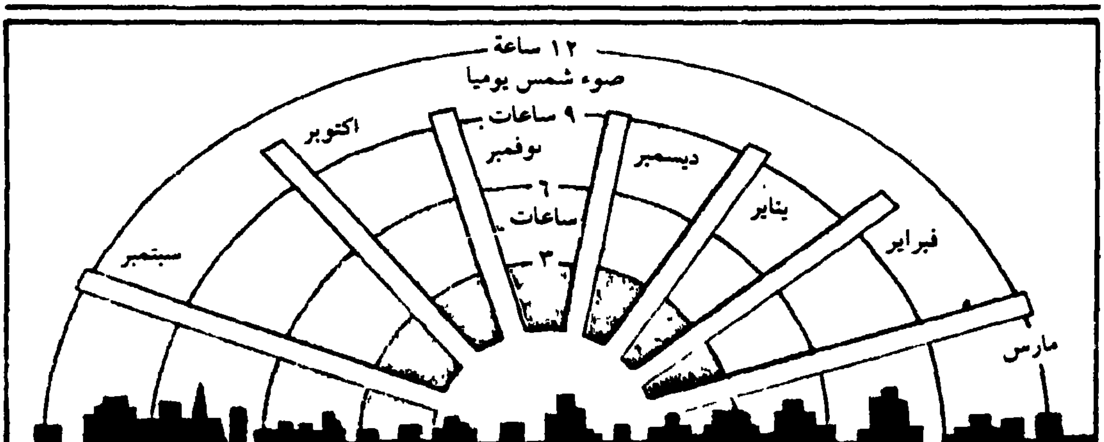
وسر الكليتين إنما هو في النفرونات ـ او الوحدات الكلوية ، او الاجزاء الصغيرة الدقيقة التي تتكون منها الكليتان وهي تعد بالملايين ، وقد رصت بعضها على بعض رصا لتكون أداة تصفية كالمسامات التي توجد في المرشحات . . او الأنابيب التي لابد منها في المصافي

ويدخل الدم أول مايدخل الكبيبات وهى ررم من الأوعية أو الشرايين الدقيقة ، وهده الكبيبات (Glameruli) عديدة وهي بداية النفرون ولايكاد يدخلها الدم حتى يرتفع الضغط فيها ، فتدفع الماء والأملاح ومحتويات الدم الأخرى الصغيرة الى محطة تعرف بمحفظة بومان ثم تنتقل حصيلة الترشيح الأول من هده المحفظة الى شبكات الأنابيب الدقيقة المتشعبة والملتوية حيت ينتهي الترشيح التالي الى استخراج الجلوكوز والأحماض الأمينية والأيونات والأملاح ، تستخرجها تلك الأنابيب الدقيقة ثم تعيدها الى مجرى لدم

وتتجمع المواد بعد دلك في أنابيب تنقلها الى داخل الحوض الكلوي Renal Pelvis والحالب Ureter لتأخد سبيلها الى المثانة . .

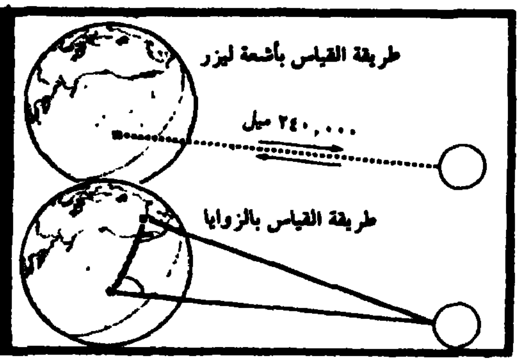
غير أن الكلى تقوم بوظائف أخرى غير تصفية الدم من شوائبه . فهي تعمل على تنظيم بيئة الجسم الداخلية ، فتضبط حجم السوائل وتركيب الدم وضغطه وتصنع الكلى أيضا خمائر (رنين) التي تتحكم بضغط الدم ، بحيث تقوم النفرونات بأعمال التصفية على نحو منتظم وثابت بصرف النظر عن مقدار الماء الداخل اليها أو الخارج منها وهدا من شأنه أن يحافظ على حجم الدم . ويبقى على ملوحته وحموضته ضمن الحدود المناسبة

بقى أن ىذكر أن نفرونات الكلى كثيرة جدا ويستطيع الجسم أن يكتفي بثلثها ان لم نقل بعشرها للابقاء على الحياة من هنا كان في الامكان استئصال احدى الكليتين ، ادا تلفت ، وترك الجسم بكلية واحدة ، تستطيع القيام بوظيفتها ووظيفة الكلية المستأصلة على أكمل وجه ممكن



يبين الرسم كيف يتغير مزاج الانسان تبعا لمدى تعرضه لضوء الشمس ، اذ يغلب عليه الاكتئاب حين لا يتعرض لضوء الشمس أكثر من ٣ ساعات من ضوء الشمس يوميا . ويخف اكتئابه حين يحظى بست ساعات من ضوء الشمس في اليوم . ثم بتسع ساعات واخيرا باثنتي عشرة ساعة من ضوء الشمس يوميا ودلك حسبما يتضح من نصف الدوائر





مرصد جبل هليكالا في هواي

قياس الأبعاد الفلكية .. أدق وأخطر من قياس أبعاد الغرفة

توصل العلماء الى استخراج أشعة حديدة من أشعة ليزر تمكنهم من قياس المسافة بين الارض والقمر، بابعادها المتغيرة دوما وهم يؤكدون أن القياس الجديد للمسافة المذكورة يتفوق على القياس القديم من حيث الضبط والدقة بعشرة أضعاف، ويضمن تجنب الخطأ مما يزيد على ٣ بوصات على المسافة الشاسعة كلها. وقد كانت نتيجة القياس الذي اجرى مؤخرا هي ٢٣٠,٠٠٠ ميل.

ومما يذكر أن التلسكوب الارضي الذي ساهم في اجراء ذلك القياس هو تلسكوب مرصد جبل هيكالا في هاواي .. وهو تلسكوب ضخم قوامه ٨٠ عدسة وفي استطاعته تلقى أشعة ليزر المرتدة من مرايا القمر، وهي ذات نبضات قصيرة وقوية للغاية. أضف الى ذلك مراصد أخرى متخصصة في تكساس وفي فرنسا كانت هي الاخرى تدلي بدلوها في هذا الصدد.

أما المرايا القمرية التي تنعكس عليها أشعة ليزر المنطلقة من هذه المراصد فهي التي وضعها على سطح القمر الرواد الامريكيون (سنة ١٩٦٩) ورواد آخرون سوفييت وفرنسيون.

والجدير بالذكر أن أشعة ليزر الجديدة لاتحتاج لقطع بوصتين اثنتين فقط الى أكثر من ٢٠٠ جزء من ترليون جزء من الثانية .. تطلق من مرصد هاواي بضوء أخضر، وهو الضوء الذي يمكنها من اجتياز الهواء دون عقبات. وتبلغ نبضات هذه الاشعة من القوة ما يزيد على بليون شمعة (Watt) بحيث تترك اثرا في الجو .. في المسار الذي تنطلق فيه. ثم انها من القوة بحيث تشكل خطرا على بصر الانسان، وقواد الطائرات بصفة خاصة لذلك حرصت السلطات المعنية على عدم اطلاقها الا حين يرتفع القمر فوق الأفق بمعدل (٢٠) درجة. لكن القراءات المترتبة على انعكاس هذه الاشعة لاتتم على الفور.

بقي أن نذكر أن الفائدة من استعمال هذه الاشعة لاتقف عند قياس المسافة بين الارض والقمر، فهي تساعد على جمع معلومات جديدة عن دورة الارض حول نفسها،

وعلى معرفة المزيد من القلقلة البسيطة التي تتعرض لها الارض في دورتها حول نفسها. وتساعد أيضا على فهم أعمق لما يجري في باطن الأرض من زلازل وما يشهده سطحها من ظواهر غريبة كظاهرة ثورة تيار التينو الاخيرة.

مكتشفون ومخترعون



اسحق نيوتن
١٦٤٢ - ١٧٢٧

يحتل نيوتن قمة شامخة بين علماء القرن السابع عشر ، إن لم نقل علماء التاريخ جميعا ، ودون استثناء ويعجب المرء كيف جمع نيوتن بين مواهب عدة مختلفة ندر أن اجتمعت لعالم واحد في آن معا . . فقد تمتع بموهبة عالم الفيزياء النظري ، تلك الموهبة التي تجلت في دراسته جاذبية الأرض ، واهتدائه الى قوانينها . وتمتع أيضا بموهبة عالم الرياضيات المجردة وقد برزت في اكتشافه علما كاملا من علوم الرياضيات ، وهو علم (الكالكولاس) calculus أو حساب التفاضل والتكامل كما يسميه الكثيرون في العربية وجمع نيوتن الى ذلك كله موهبة المخترع والصانع العملي الماهر ، وقد ابتكر وصنع بيده تلسكوب المرآة العاكسة . وذلك الى جانب مواهبه الاخرى التي مكنته من دراسة الحركة ووضع قوانينها ، ودراسة الضوء واكتشاف الكثير من خصائصه كالانحراف الذي يتمثل في أشعته المنكسرة واجتماع الوان الطيف في ضوء الشمس الذي يبدو لنا أبيض .

ومن طريف ما يذكر أن نيوتن العالم الفذ المواهب ، المتعدد الكفايات . . لم يكن من المتفوقين في المدرسة . ويرى البعض في المعركة التي وقعت بينه وبين أحد زملائه الطلاب ، والتي خرج منها نيوتن منتصرا ، يرون في هذه المعركة بداية ظهور مواهبه الدفينة ويجمع الكثيرون على أن ظهور مواهبه تأخر حتى اصبح من طلاب الجامعة ، وجامعة كمبردج بالتحديد . فقد تحسس أحد اساتذته ملامح النبوغ والعبقرية فيه ، وقد حجبها عن الآخرين مزاجه الانفعالي المتمرد المتغطرس ، فتولى أموره ، وأصبح مدرسه الخاص ، وأتاح له بذلك التقدم السريع ، ومفاجأة علماء تلك الايام بعبقرية متألقة نادرة المثال . وتخرج نيوتن في الجامعة سنة ١٦٦٥ . . واتفق أن شهدت تلك السنة بالذات انتشار وباء الطاعون في لندن وكمبردج وغيرهما فحال ذلك دون مباشرة نيوتن حياته العملية ، واضطر للجوء الى الريف ، الى مزرعة العائلة حيث قضى سنتي (١٦٦٥ و ١٦٦٦) في عزلة تامة تفرغ فيها للتأمل والتفكير العلمي . وتعتبر تلك الاجازة القسرية فترة ذهبية في حياة نيوتن العلمية . وقد اكتشف في اثنائها ، فيما اكتشف ، قوانين الجاذبية وصاغها ، ثم باشر في وضع كتابه الشهير (البرنسيبيا) الرياضية . . ذلك الكتاب تردد كثيرا في نشره لا بدافع الخوف من الكنيسة ، وانما بدافع الخوف من أن يكون كتابا تافها بلا قيمة .

وعاد نيوتن الى جامعة كمبردج بعد اختفاء الطاعون ، وشغل منصب استاذ زميل فيها طوال ٢٨ عاما ، واشتهر اسحق نيوتن وذاع صيته في تلك الفترة حتى توافد كثير من علماء العصر على كمبردج لزيارة العالم العظيم .

وانقطع نيوتن عن عمله في الجامعة مرتين : الاولى بسبب انتخابه عضوا في البرلمان ، وقد استغرقت سنة كاملة ، والثانية بسبب مرض خطير ألم به . وقد استغرقت سنتين . غير أن نيوتن تخلى عن منصبه في جامعة كمبردج سنة ١٦٩٥ وذلك بسبب تعيينه في دار سك النقود الحكومية ، وواصل عمله الاداري الجديد بهمة ونشاط حتى عين رئيسا للدار المذكورة . واستمر نيوتن في رئاسته هذه نحوا من ٣٢ سنة ، ولم ينقطع عنها الا سنة ١٧٢٧ حين وافته المنية عن عمر يناهز ٨٥ عاما .



كتابات غير معروفة لسميرة عزام

بقلم : وليد أبو بكر

اذا كان الشعر الفلسطيني قد كتب تاريخ فلسطين قبل النكبة ، على لسان شعرائه الذين عاشوا الصراع كله (ابراهيم طوقان ، ابو سلمى ، مطلق عبدالخالق ، عبدالرحيم محمود) فان هذا الشعر قد تخلى عن مهمته بعد النكبة مباشرة ، ليتحول ـ في غالبيته ـ الى بكاء غير مجد ، وترك مكانه للقصة كي تؤرخ ، لا للاحداث وإنما لمحصلة هذه الأحداث ، وما أوقعته من تغيير في سلوك الانسان ، ومواقفه تجاه كل ما يحيط به من آلام .

لاشك أن سميرة عزام هي رائدة القصة الفلسطينية الحديثة ، في هذا المجال على وجه الخصوص ، كما انها واحدة من اهم الأصوات القصصية العربية ، في الفترة التي نشطت فيها ، خصوصا اذا ما قيس انتاجها بما قدمته المرأة العربية في ميدان القصة حتى الآن .

ومع ذلك ، فان حظ أدب سميرة عزام من الاهتمام لم يكن كبيرا ، ليس على مستوى دراسته وحسب ، وانما على مستوى جمعه أيضا . واذا كانت الكاتبة قد أصدرت في حياتها أربع مجموعات قصصية ، كما صدرت لها مجموعة واحدة بعد رحيلها ، فان ذلك لا يمثل كل انتاجها ، فهناك ما كتبته للاذاعة ، وهناك بعض خواطرها ، وما كتبته قبل النكبة في جريدة فلسطين المقدسية بتوقيع (ابنة الساحل) وهناك مقالاتها النقدية الكثيرة ، الموزعة في الصحف ، والتي ساهمت في اضاءة الطريق أمام عدد من كتاب القصة وكاتباتها ، وكلها أمور تستحق العناية .

الكتابة والمعنى :

أما على مستوى الانتاج القصصي ، فمن الصعب القول أنه قد عرف بالكامل ، ولعل ما يمكن أن يشير الى ذلك ، وجود واحدة من أهم قصصها ، وقد تكون آخر قصصها ، لم تدخل في واحدة من المجموعات الخمس ، هذا بالاضافة الى مقطع من روايتها (سيناء بلا حدود) الذي لم يلتفت اليه أحدٌ ممن كتبوا عن أدبها ، على قلتهم ، رغم سهولة الوصول الى هذين الأثرين ، ورغم ما يمكن أن يقدماه من اضافات ، تفيد في فهم أدب سميرة عزام ، وتطور فكرها وأسلوبها القصصي . بل لعل ما حدث للرواية ، يمكن أن يكون مؤشرا مفيدا الى الحالة النفسية التي كانت الكاتبة تنطلق منها في التعبير ، فسميرة عزام تمنت أن يمهلها الموت حتى تنشر هذه الرواية ، لأنها بذلت فيها جهداً حتى رضيت عنها ـ بما يشير الى أنها قد أتمت كتابتها ـ ومع ذلك ، وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، مزقت الرواية في انفعال شديد وهي تقول : ان كل ما كتبته قد فقد معناه .

ويشير الجزء الصغير المنشور من الرواية الى ظاهرة الرفض الشعبي العربي للخنوع ، والى مشاركة الشارع العربي لما يحدث في وطنه من أحداث ، في الوقت الذي يبدو فيه بطل الرواية مراقبا فحسب ، وهو يتطلع الى مظاهرة تقطع وسط المنطقة التجارية في بيروت ، معبرة عن مطالب نضالية . لكن المظاهرة تجرفه معها فلا تترك له مجالا لعدم الاهتمام .

ولأن فن الرواية يُعطي الانسان الحق في أن يتنبأ .

فانه يمكن القول أن الرواية كانت تتجه الى جعل الانسان العربي ، العادي ، واللامبالي ، يحس بما يدور حوله ، ويشارك في صنعه ، مما يوحي بخطوات ايجابية نحو المستقبل ، تصل حدود سيناء بحدود فلسطين المحتلة ، بفعل النهوض الشعبي العربي ، الذي كان واضحا في الستينيات ، وكان يزرع الأمل في تحول حقيقي .

القلب والنكسة

ولأن أدب الكاتب الجاد يعبر عن مواقفه الحقيقية ، فان القول أن سميرة عزام قد أرادت أن تزرع الأمل في قلب الانسان العربي ـ من خلال روايتها ـ لايكون غريبا ، فقد كان الأمل العربي منتعشاً ، لكن النكسة جاءت مثل صفعة قاسية في جبينه ، فانهارت أشياء كثيرة ، وانهار ما هو أكبر في قلب سميرة عزام ، القلب الذي كانت تقول عنه في أواخر أيامها : (انه أضعف من أن يحتملني ، فأنا لا أترفق به ، دائما أحمله أكثر من مستطاعه) .

وكانت سميرة عزام صادقة في حدسها ، فقلبها لم يحتمل نكسة يونيو ، وفي سعيها لفهم ما حدث ، أو استيعابه ، توقف القلب في الطريق .

وكانت تجربة سميرة عزام مركبة : فعلى المستوى الشخصي ، طوحت بها الآفاق في بلدان كثيرة : من بيروت ، الى بغداد ، الى بيروت فقبرص فبغداد ثانية . . وبيروت أخيرا ، حتى فاجأها الموت في الطريق الى عمان .

لقد كان الوضع الناجم عن التشرد هو المادة الخصبة التي استقت منها سميرة عزام مادة قصصها ، كان هذا الوضع مذلا للانسان الفلسطيني الذي انقطعت صلته بمصدر رزقه في وطنه ، فصار يمد يده الى وكالة غوث اللاجئين ، دون أن ينسى تجربة الاعتماد على النفس ، في مجالات عمل لم يمارسها ، وفي الحيز الذي كانت تسمح به الدول (المضيفة) كما أن الانفصال بالهجرة قد هز المجتمع الفلسطيني حتى جذوره ، فتغيرت قيم كثيرة فيه ، وولدت من هذا التغير المفاجيء مآسٍ كثيرة

أية هوية أخرى ؟

لقد خافت سميرة عزام أن يفقد الفلسطيني هويته وسط هذه الظروف القاسية ، وكانت الهوية بالنسبة لها تشكل قضية هامة ، حتى في المنفى ، لأنها وحدها القادرة على أن تبقي قضيته حية . وحين عبرت عن هذا الموقف ـ قصصيا ـ جاءت قصتها (الفلسطيني) مليئة بالسخرية المرة من كل من حاول التخفي في هوية جديدة ، هربا من هذه الظروف . لقد صرخت في وجهه : أية هوية أخرى ليست سوى تزييف ، والفلسطيني يبقى فلسطينيا حتى لو تنكر ،

وقد ظل هم الهوية بارزا في أدب سميرة عزام ، حتى في قصصها التي لا تتحدث عن الفلسطيني ،

فأصبح هذا الهم تعبيرا عن الانسان ذاته ، وسط ظروف تحاول أن تقهر هذه الذات .

الرجل والأرض :

تعتبر قصة (الحاج محمد باع حجته) تلخيصا للتجربة الفلسطينية المرة ، على مستوى الفرد ، وعلى مستوى المجموع ، وعلى مستوى القضية ، حين تصور (الانفصال) الذي حدث بين الانسان وتاريخه ، وما خلفه هذا الانفصال من مرارة وبؤس ، كاد يجعل الانسان معرضا للخروج عن قيمه .

تتحدث القصة عن الحاج محمد ، وجيه القرية ، الذي عاش حياته كما يعيش الفلاح الفلسطيني الشريف والمكافح : ينعم بما تقدمه له أرض يجهد فيها ، ولا يبخل مما تجود به على الآخرين ، ويشكر ربه على النعمة صلاة وصياما وحجا . وهو شخصية شديدة التكامل في الحياة العامة وفي العمل ، ويبقى هكذا حين تتغير الظروف ، ويجد واجبا جديدا في مساندة الشباب وهم يدافعون عن القرية ، حتى يسقط ابنه الوحيد فيها (بين ثلاث بنات) ، وتتدخل الهدنة ، وترسم شريطا يقسم القرية عدما كان غائبا عنها في الديار المقدسة ، ولأنه يرفض الابتعاد عن أرضه ، ويرفض التخلي عن وعده باقامه شاهد على قبر ولده ، فانه يعود ، ويقابل الشريط الحدودي بالصمت ، ويسمح بضياع موسم العنب ، ثم يستجيب لرجاء أهل قريته ، ويعد بجني المحصول القادم مما تبقى له من أرض ، لكن الناس يفاجأون بانه كلف الأطفال بجمع الزجاجات الفارغة ، فتكثر حوله الهمسات التي تقول أنه تخلى عن صناعة (الدبس) الذي اشتهر به ، ليقطر الخمر ، وتزداد هذه الهمسات حين يغلق باب بيته عليه ، بعد أن يهمل مصنع الدبس ، ويكاد الشك أن يصبح يقينا ، لولا أن زجاجات الحاج محمد وصلت الى الناس ، هدايا مملوءة بالخل .

وهذه القصة ، تعتبر ـ فنيا ـ قمة ما وصل اليه أدب سميرة عزام القصصي ، فبالاضافة الى قوة السبك التي تتميز بها ، استطاعت الكاتبة أن تتميز (بالتكنيك القصصي ، الذي يتعدى محاولة السرد والوصف ، ليستقطب اهتمام القارىء وعواطفه ، عبر ذبذبات المشاعر التي تتراوح بين العطف والكراهية . إن الأحداث هي التي تتكلم هنا ، وتشرح وتصف ، وهي أبطال القصة الحقيقيون) .

وقد لجأت الكاتبة الى الرواية عن طريق السرد ، والاسترجاع ، في تداخل شديد الاحكام ، يكاد لا يشعر القارىء بالنقلة التي تتم عن طريق صورة تؤدي الى صورة ، بشكل طبيعي لا افتعال فيه .

والقصة اضافة الى ذلك ، تحمل أهم السمات التي يتميز بها أدب الكاتبة القصصي ، والتي يمكن تلمسها في قصصها الأخرى ، وان كانت قد تجمعت هنا بشكل يثير الاعجاب . فهي تطرح فكرة الارتباط بالمكان ارتباطا وجودياً ، كما تصور الظروف الشديدة القسوة التي تعمل على تشويه الانسان ـ وخصوصا قيمه ـ رغم مقاومته .

كما تتحدث عن الصراع بين القديم والجديد بشكل أكثر وعيا مما فعلت في قصصها السابقة ، لأن الاتجاه هنا يسير في صالح الجديد ، بينما كان الجديد يعامل بلون من الادانة في قصص أخرى ، وخصوصا اذا كان هذا الجديد متمثلا في الآلة التي تنافس الانسان ، ففي قصة (الغريمة) تصبح آلة الغسيل الكهربائية مدانة ، لأنها تنافس امرأة تتعيش من غسيل الثياب بيديها . كما تطرح القصة قيمة جديدة للعمل من ناحية أثره في بناء شخصية الانسان ، ومساهمته في ربطه بالمكان الذي يعمل فيه ، وهي قيمة لم تظهر بوضوح في قصص أخرى كثيرة ، مثل قصة (حكايتها) التي لم يكن للعمل أثر في بطلتها .

وتقدم الكاتبة كل ملامح مضامينها وسط جو من الاحباط الشديد الذي يحيط بالحاج محمد ، وهو احباط يخلقه نقص الامكانيات في مواجهة القوى المعادية ، وهو شبيه بالاحباط الذي تخلل معظم قصص الكاتبة .

ان هذه القصة تلخيص ناجح لفن سميرة عزام القصصي بشكله ومضمونه ، وحتى بموضوعاته الأساسية ، خصوصا وأنها تصور الواقع الجديد الذي يعيش فيه الفلسطيني بعد النكبة ، بعيدا عن أرضه ، وهو قريب منها ، وما يسببه له هذا الواقع من احباط يصل حد اليأس ، وما قد يزرعه فيه من أمل ، يصل الى حد الفعل في بعض الأوقات . □



نظرة منظارية على الجانب الآخر

قناة البحرين خطر إسرائيلي قادم

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري

أصدر وزير الطاقة الاسرائيلي موشي شاحل قرارا بايقاف العمل بمشروع قناة البحرين الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٥م .

وأفادت بعض المصادر الأردنية بأن العمل بالمشروع توقف عمليا منذ شهر شباط ـ فبراير من عام ١٩٨٥ . .

فما هي تفصيلات هذا المشروع ، وما هي خطورته على الحياة العربية وخصوصا في الاردن ؟ ولماذا اصدر الوزير الاسرائيلي قرارا بوقف العمل فيه ؟ وما هي آفاق المستقبل بالنسبة لهذا المشروع ؟



رحلة امرأة تبحث عن الملايين

● كان جون رادسيك عامل البناء بمدينة شيكاجو الأمريكية يعلم ما ينتظره في نهاية كل اسبوع عندما يعود الى البيت ويسلم زوجته نانسي المظروف المغلق الذي يحوي أجره عن أيام العمل المرهق ، فقد كان يجد في انتظاره دائما سيلا من الشكاوى التي لا تنتهي « هل هذا هو كل ما استطعت أن تكسبه انه لا يكفي نفقات شخص واحد ، فما بالك باثنين »

ولم تكن الزوجة ترزق بأطفال ، وكان في وسعها ان تلتحق بوظيفة تستطيع أن تكسب من ورائها مبلغا أي مبلغ تساعد به زوجها على مواجهة أعباء الحياة ، ولكنها كانت ترفض باستمرار ، القيام بأي عمل خارج البيت ، وحتى واجباتها في البيت كزوجة ، كانت تعزف عن القيام بها ، لأنها تريد أن تعيش حياة ناعمة مثل جاراتها الثريات

وانتوت نانسي امرا لا بد أن تفعل شيئا ولا بد ان تغير حياتها ، وطلبت الطلاق من زوجها وطلقها ، وقال لها وهو يجمع ملابسه ويترك البيت مودعا « لن أنسى م التي قضيتها معك انها لم تخل من الذكريات الحلوة رغم كل شيء »

اما هي فقد نسيت كل شيء ، وأسرعت تتزوج رجلا ميسور الحال يكسب أضعاف ما كان يكسبه جون زوجها الأول ومرت الأيام ، ثم كانت المفاجأة . كانت نانسي تقرأ صحف الصباح عندما وقعت عيناها على خبر يقول . ان (جون رادسيك) قد فاز بالجائزة الأولى وقيمتها مليون دولار أمريكي في أوراق اليانصيب التي تعود أن يشتريها بين الحين والحين

وجنت نانسي (هل يمكن أن يصبح زوجها الفقير مليونيرا . هكذا بين يوم وليلة ! ؟)

واسرعت ترفع دعوة مستعجلة تطالب فيها بنصف هذه الثروة ، وقالت في دعواها . « ان زوجي السابق قد دفع ثمن هذه الورقة الرابحة من الأموال التي كنت ادخرها من نفقات البيت ! »

ولكن القاضي هوارد جونز بدا غير مقتنع بما تدعيه نانسي ، وصدر الحكم في النهاية ، وكان من بين حيثياته « لقد ذكرت يا سيدتي في دعواك لطلب الطلاق ان مرتب زوجك لم يكف ضرورات الحياة فكيف كنت تقتصدين ؟ واذا كنت قد اقتصدت شيئا فلماذا تركته له عندما تم الطلاق ؟ »

« ان المليون دولار التي ربحها جون رادسيك هي من حقه وحده ، ولا يجوز لك أن تشاركيه في دولار واحد ، لا تنسي انك رفضت العيش معه في فقره »

نانسي طلبت الطلاق من زوجها الثاني وهي تبحث الآن عن الزوج رقم (٣) بشرط أن تطمئن على رصيده في البنوك !!

تنفيذ مشروع قناة البحرين .

- ويوم الخميس ١٩٨١/٥/٢٨ ازاح مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها الستار عن نصب تذكاري بمناسبة بدء العمل بمشروع شق القناة بين البحرين ، وقد اقيم احتفال بهذه المناسبة بالقرب من قلعة مسعدة او مسادا .

- ذكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢٢م الخبر التالي : « انه الى الشمال من مصب « زوهر » على شاطيء البحر بدأت بتاريخ ١٩٨٤/٣/٢١ اعمال حفر نفق الابحاث التابع لمشروع قناة البحرين الذي يصل طوله - اي النفق - الى ١٤٠٠ متر وهيكله مربع ، حيث تم حفر الامتار الأولى في النفق ، وقالت الصحيفة انه قد تم خلال الشهرين الماضيين شق وتسوية طريق الى المكان الذي بدأت فيه اعمال حفر النفق لتمكين المعدات الثقيلة التي ستقوم باعمال الحفر من الوصول الى الشمال من مصب « زوهر » والبدء بعملها وفي هذا المكان سيكون المدخل الشرقي للنفق الأرضي ، في حين انه وعند مدخله الغربي ستقام محطة توليد ارضية ، كما قامت شركة تطوير المحاجر بأعمال الحفر المعقدة بهذا النفق في نفس اليوم » .

- وبتاريخ ١٩٨٥/٦/١٢ اصدر موشي شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي أوامره لايقاف العمل في نفق التجارب لقناة البحرين بشكل نهائي وفوري حسب تصريحه الذي نقلته عنه الصحافة في اليوم التالي بسبب اعذار شتى منها عدم وجود تمويل كاف للمضي قدما في المشروع .

لمحة من تاريخ :

فكرة اقامة قناة لتوليد طاقة كهربائية من مساقط المياه المتأتية من فرق انخفاض البحر الميت عن مستوى سطح البحر المتوسط فكرة قديمة ، بل إن فكرة ربط البحرين المتوسط والميت بخليج العقبة والبحر الاحمر ثم المحيط الهندي راودت اذهان الانجليز في القرن التاسع عشر وذلك لربط منطقتنا . . بدرة تاج الامبراطورية الانكليزية : الهند ، لأجل اختصار الطريق البحري . . قبل انشاء قناة السويس ، وبعد ان تم انشاء قناة السويس فان الانكليز صرفوا النظر عن المشروع السابق .

الا ان ثيودور هرتزل القائد والمنظر الصهيوني المعروف التقط جزءا من الفكرة فسجلها في كتابه « التنويلاند » الصادر سنة ١٩٠٢ حيث ذكر ضرورة انشاء قناة بين البحرين الابيض المتوسط والبحر الميت ، يصل عرضها الى عشرة امتار لزيادة كمية الكهرباء واقامة مصانع عديدة .

وصف فني للمشروع :

طُرحت عدة مشروعات لوصل مياه البحر المتوسط بمياه البحر الميت منها : الشمالي الذي يصل بين حيفا على البحر المتوسط وبيسان القريبة من مجري نهر الاردن ، او الأوسط بين رحوبوت على البحر المتوسط وتل قمران على الجزء الشمالي الغربي من البحر الميت ، ويمر بين القدس وبيت لحم .

أما التفصيلات المتعلقة بالمشروع الجنوبي الذي تم اعتماده فان الكثير من المصادر تجمع على ان مواصفات المشروع تتكون من :

- بداية المشروع تمتد من تل القطيفة على شاطيء البحر المتوسط بين منطقتي دير البلح وخان يونس في قطاع غزة المحتل . وينتهي في منطقة مسادا بالقرب من البحر الميت مارا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع .

يبدأ الخط بسحب مياه البحر الابيض المتوسط بواسطة جهاز « ادخال للمياه » يركب اسفل الجرف المتعرج في تل القطيفة ، ويتوغل هذا الجهاز ٦٠٠ متر داخل البحر بواسطة عائم بحري حاجب للامواج حيث تركب مضخات كبيرة تضخ ٥٠ مترا مكعبا من المياه في الثانية عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كلم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع مائة متر فوق سطح البحر بالقرب من مستعمرة ينريم التي تبعد عن خطوط الهدنة بالقرب من حدود قطاع غزة حوالي ٣ كلم . وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران من الاسمنت ويبلغ طولها ١١ كلم وعرضها ما بين ١٠ الى ٢٠ مترا ، وفي منطقة الخلصة في النقب يبلغ عرض القناة ٢٠ مترا وستتكون



عبد الجواد صالح

بحيرة كبيرة يمكن استخدام مياهها لاغراض التبريد في المحطة النووية وكمواقع سياحية جديدة ثم ستتدفق المياه بعد ذلك عبر نفق يقع على عمق ٤٠٠ متر ويبلغ طوله ٨٦ كلم وقطره خمسة امتار . ويقطع النقب الشمالي جنوبي بئر السبع ، وتسير المياه هنا في قناة مغلقة عبر الكتلة الصخرية في جبال عراد حتى تصل الى بركتي تجميع للمياه شمالي غربي مسادا على المرتفعات التي تطل على البحر الميت . وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت . ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر على حافة الجرف في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة . وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت الذي ينخفض منسوبه بمقدار ٤٠٠ متر تحت سطح البحر تقريبا .

ويتضمن المشروع ايضا كما ذكر سمير جبور ويولا البطل ورندة حيدر في كتاب « قناة البحرين المتوسط والميت » وكما ذكر د . محمد سلامة النحال في كتابه الذي يحمل نفس الاسم السابق « قناة البحرين المتوسط والميت » .

« اقامة سبع بحيرات على مرتفعات مستعمرة يثير فوق شواطيء البحر الميت وعلى مستوى سطح البحر المتوسط ، وسوف تتدفق المياه منها وتسقط في البحر الميت من ارتفاع ٤٠٠ متر ، وسوف يقام حول هذه البحيرات الفنادق ونوادي الاصطياف ودور السكن الحديثة ، وبواسطة مياه هذه البحيرات يتم توليد الطاقة الكهربائية عن طريق محطة تقام تحت الأرض .

ويستغرق انجاز العمل حوالي عشر سنوات اذا ما تم المضي قدما في انجاز المشروع ، ويبلغ الطول الاجمالي للقناة حوالي ١١٤ كيلومترا ويتراوح عمقها في بعض المناطق ما بين ٤٠ الى ٥٠ مترا ، وسيتم رفع مستوى البحر الميت في السنوات الأولى من انجاز المشروع الى حوالي ٣٩٠ مترا بعد ان وصل انخفاضه الان الى حوالي ٤١٠ أمتار .

ويتضمن المشروع انشاء محطات لاستغلال الطاقة الشمسية ، وطبقا للمصادر الاسرائيلية فان الطاقة الكهربائية التي سينتجها المشروع تتألف من ٦٠٠ ميغاواط من المحطة الهيدروكهربائية ، و١٨٠٠ ميغاواط من محطتين للقوى النووية و١٥٠٠ ميغاواط من محطات الطاقة الشمسية (هذا اذا امكن تنفيذ تلك المحطات الأخيرة فنيا) .

فوائد ومضار :

هذا ويمكن اضافة عدة فوائد اخرى للكيان الصهيوني من جراء تنفيذ القناة . . منها :

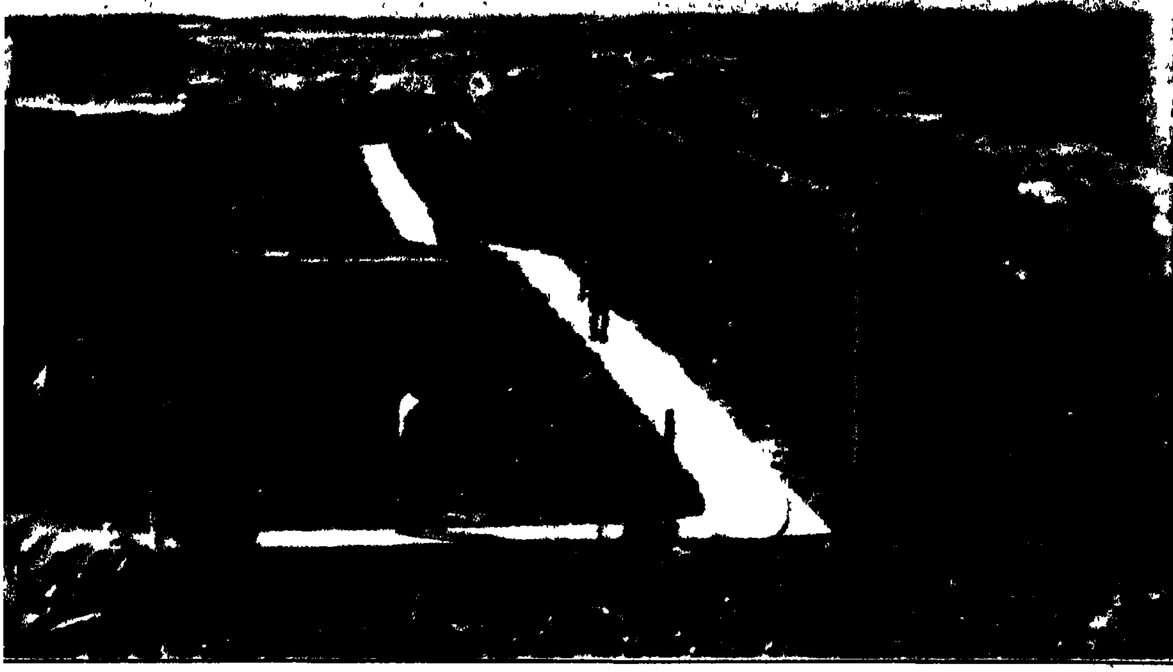
- استغلال الصخور الزيتية القائمة في البحر الميت لانتاج ما يقرب من ٢٠ الف برميل من الزيت الخام يوميا .
- تحلية مياه البحر لاغراض الشرب والزراعة والصناعة .
- اقامة مستوطنات زراعية (حوالي ١٠٠ مستوطنة) على امتداد النقب الشمالي وزيادة عدد السكان في المنطقة مما يهدد القطرين المصري والاردني ويثبت الاحتلال خصوصا في الاراضي التي تم احتلالها بعد عام ١٩٦٧م . كما جاء في مجلة صامد الاقتصادي العدد ٥٢ نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٨٤م . اما أضرار المشروع على الجانب الاسرائيلي فيمكن ايجازها بالتالي : -
- لن يغطي المشروع تكاليفه التي ستصل الى حوالي مليار وخمسمائة الف من الدولارات الا بعد مضي



الشيخ محمد علي الحلاق .. زرعوا فأكلنا ، ونزرع ليأكلوا

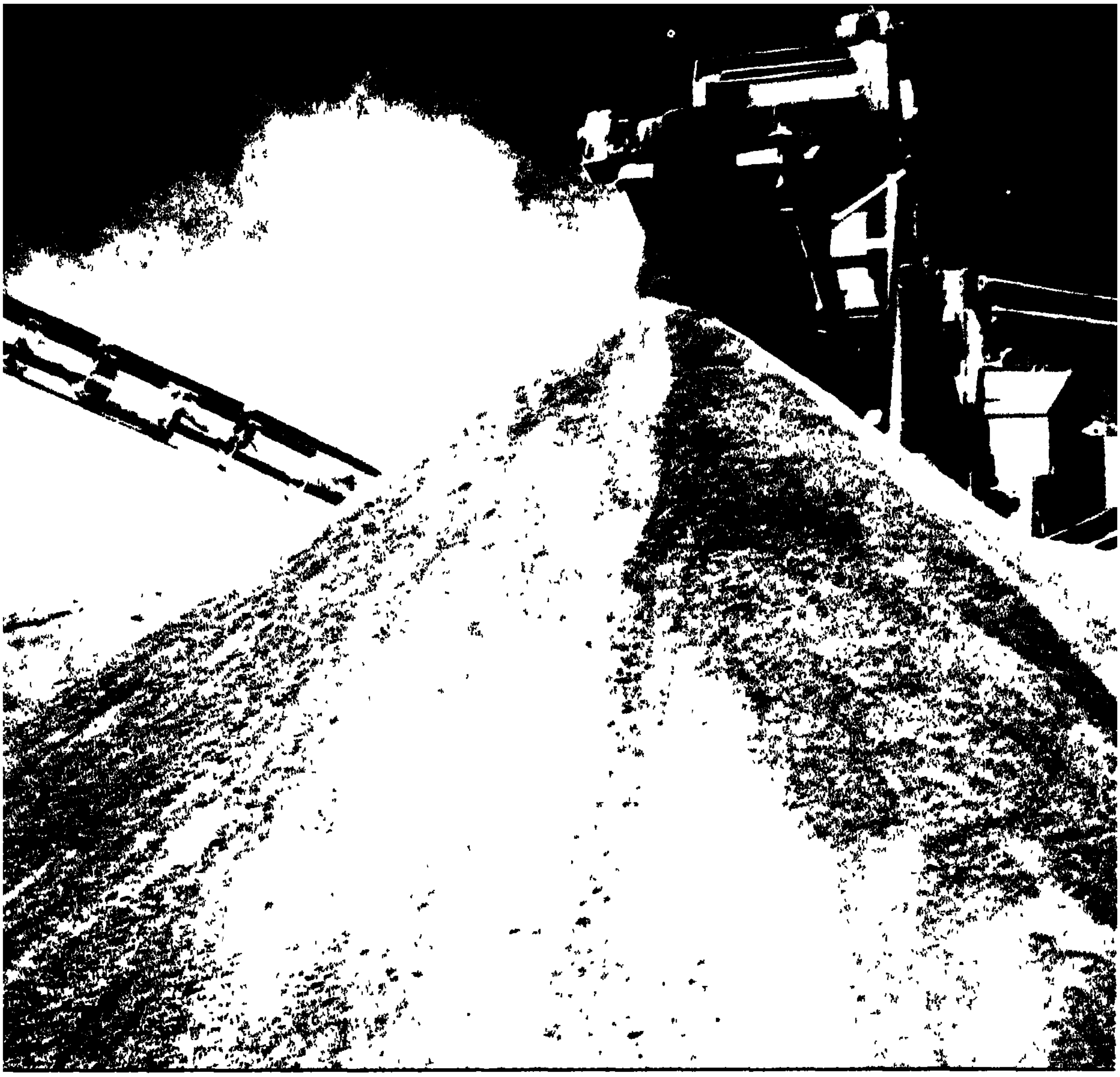


هل تغرق هذه المزرعة يوما ما ؟

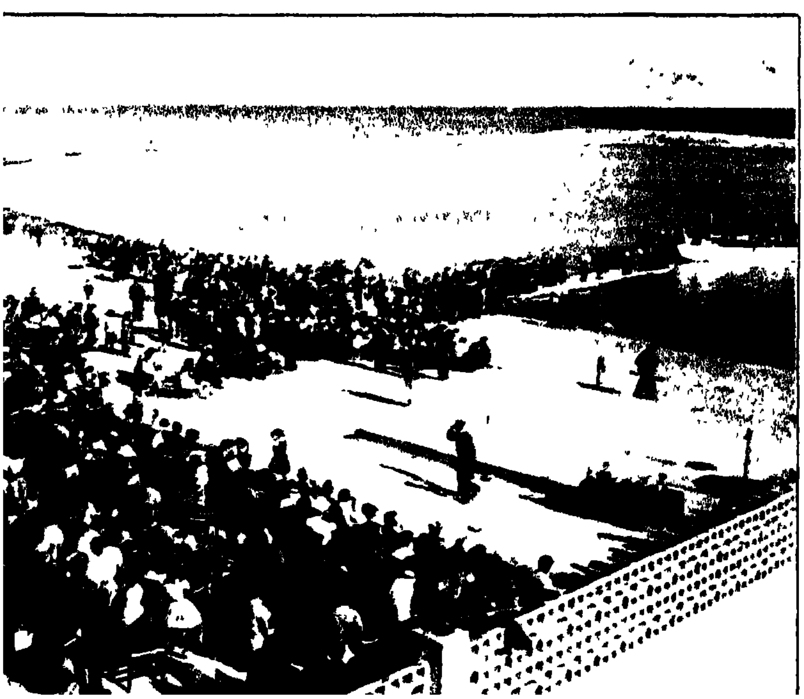


ل القطار اللى باك !





مصنع للفوسفات .. يمكن ان يغرق بعد انجاز مشروع قناة البحرين



احتفالات على البحر الميت . عندما كان الخطر بعيدا

وجها لوجه



الطيب صالح و صلاح حزين

* نحن نقرأ الادب الاجنبى لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه .
* ماركيز نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة .
* أنا لاأحب تعقيد العمل دون سبب ، كما أننى لاأتعمد البساطة .
* الرواية العربية تمكنت من طرح الأسئلة الكبيرة واستكشاف آفاق الحياة العربية .
* البلدة الوهمية التى أكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته .
* احدى مُتعي هي التعبير عن أفكار معقدة من خلال شخصيات بسيطة

في منتصف الستينيات ، عندما كان عدد الروائيين العرب يعد على الأصابع برز اسم الطيب صالح كروائي متميز . يومها كانت روايته « موسم الهجرة الى الشمال » موضع اهتمام الأوساط الأدبية في جميع أنحاء الوطن العربي ، فقد كان هناك الكثير مما يدهش في هذا العمل الأدبي الفذ القادم من قلب افريقيا العربية .

ورغم أن « موسم الهجرة الى الشمال » لم تكن العمل الأدبي الاول للطيب صالح الا أنها كانت السبب في لفت الانظار اليه ، وانتظار أعماله التالية . فقد كانت الرواية تطويرا نوعيا لفكرة لقاء الشرق بالغرب التي تناولها من قبله روائيون آخرون ، لكنها جاءت هنا لتطرح أبعادا جديدة لهذا اللقاء الرهيب . ومن ناحية اخرى فقد اثارت بين الأوساط الادبية قضايا تتعلق بموضوع الرواية وفنيتها وتقنيتها ومحتواها والمستوى الذي وصلت اليه الرواية العربية . وأخيرا فقد تنبه النقاد العرب الى حقيقة أن هذا العمل قادم الينا من قلب افريقيا وليس من مراكز الابداع الأدبي التقليدية في مصر والشام والعراق .

المداحون وشكسبير



*** في رواياتك يختلط السحر والأعمال الخارقة برتابة الحياة الريفية التي تركت أثرا واضحا عليك فهل لك أن تحدثنا عن أوشاب البداية والتكوين الأولى ؟**

ـ منذ البداية استمدت كثيرا من الشعر العربي ومن مؤثرات خاصة في البيئة السودانية نفسها . فقد قرأت القرآن الكريم في الكُتاب الذي يسمى عندنا « الخلوة » وهذه مسألة مهمة جدا ، فمثل هذه الدراسة تعطي المتلقي حساسية فائقة للغة والجرس وانا أحب كثيرا من السور في القرآن لان لها جرسا خاصا مثل سورة الرحمن ومريم والانسان . كما استفدت كثيرا من خصوصيات المنطقة التي نشأت فيها في شمال السودان ، وهي منطقة اجتمعت فيها مؤثرات الحضارة الفرعونية القديمة بالمؤثرات العربية وخصوصا تأثير أناس يقال لهم المداحون الذين كانوا يشدون بأصواتهم الجميلة على أنغام الطار شعرا في مدح الرسول ﷺ بلغة فصحى رغم عدم تمكنهم من اللغة ثم ان منطقتنا هي امتداد لقبائل الكبابيش وهم من عرب جهينة الذين يعتبرون أكبر تجمع بدوي في العالم العربي وهم يتحدثون لغة قريبة من لغة أهل الجزيرة العربية يأتي بعد ذلك الاهتمام بالشعر العربي القديم ثم الادب الحديث واعلامه ، وانتقلت بعد ذلك للآداب العالمية . وقد تأثرت كثيرا بأعمال اثنين من عمالقة الأدب الانكليزي هما شكسبير وجوزيف كونراد الذي اعتبره الاستاذ الاكبر لفن الرواية في هذا القرن . وقد أثر في كثير من الكتاب الانجليز أنفسهم ، ومنهم غراهام غرين الذي لايزال النقاد يراقبون أثر كونراد في أعماله . لكن من الصعب الوقوع على أثر مباشر لهؤلاء الكتاب في أعمالي .

الرحلة والرحلة المعاكسة

*** لكن من يقرأ روايتك «موسم الهجرة الى الشمال» ورواية «قلب الظلام» لجوزيف كونراد يقع على أكثر من وجه للشبه مثل فكرة الرحلة من أوروبا الى افريقيا ، وهي معكوسة في روايته ، ثم الصراع الذي يأخذ شكلا عرقيا ، والموت في النهر في النهاية ، بل وقضايا فنية مثل الراوية بدوره الثانوي يحكي قصة شخصية فذة . . الخ**

بالطبع رواية « قلب الظلام » من أعظم الروايات في هذا القرن ، وربما يكون هناك وجه للتشابه

وخصوصا من حيث رحلة مصطفى سعيد من افريقيا الى اوروبا التي ربما تكون رحلة معاكسة لرحلة « كورتز » في قلب الظلام ، لكن هناك اختلافا بين كل من الشخصيتين . فكورتز أوروبي فاورستي وهو نتاج واقع ثقافي محدد يختلف عن حال مصطفى سعيد . وحين كتبت موسم الهجرة « كنت تحت تأثير فرويد ، وكنت قرأت كتابا لاحد تلامذته اسمه ماننغر بعنوان «الانسان ضد نفسه» فأثر بي جدا . لذا فان في هذه الرواية بعض مؤشرات علم النفس لكن الكاتب عندما يجلس ليكتب فانه يكون هو نفسه في نهاية الامر .

وبالمناسبة فان فكرة الرحلة في الادب العربي فكرة أساسية ومنذ القصيدة الجاهلية ظلت الرحلة كفكرة مسيطرة على مجمل الأعمال الادبية العربية . فالشاعر الجاهلي يبدأ بوصف الناقة التى يرتحل عليها ، ثم تبدأ عملية الرجوع او مايسمى فلاش باك . ويحضرني الان كلام قلته سابقا واعتقد أنه صحيح . فنحن نقرأ الأدب الاجنبي او الفكر الاجنبي لالنستفيد من شيء غير موجود لدينا بل لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه . والنقد العربي في احدى مراحله أبخس من القصيدة الجاهلية بحجة أنها غير عصرية مع أنها في تقديري متقدمة مرحليا عن كل الشعر الانجليزي مثلا،والثغرات الموجودة بين بيت الشعر والاخر مليئة بالمعاني وليست خالية كما يقال. وفي نهاية الامر فان الكاتب العربي يغرف من أدب عظيم . ومايسمى بتأثير الكتاب العرب هو تلاقح بين أدب خصب هو الأدب العربي وبين ايضاحات لديه لم يكن منتبها لها أصلا .

العنصرية المضادة



• ثمة من يقول بأن مصطفى سعيد في « موسم الهجرة» يمثل مايمكن تسميته « بالعنصرية المضادة » فقد كان يتعامل مع البيض بقسوة تعكس قرونا من الاضطهاد اتخذ احيانا شكلا انتقاميا عنيفا ؟

ـ بعض النقاد العرب يبحثون عادة عن عمل اجنبي ويضعون مقابله عملا عربيا يشبهه . وأنا يشرفني أن اكون متأثرا بكونراد ، لكنني لا أعتقد أن من المفيد أن نحضر رواية « قلب الظلام » لنبدأ عملية البحث عن مواقع التأثير هنا وهناك .

واحيانا أقرا اشياء عجيبة مثل تأثرى بكولن ويلسون أو د . هـ . لورنس أو كامو . لكن التراث الانساني واحد فيما اعتقد . وأرى أن كاتبا مثل جابرييل ماركيز قد نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة التي احدثت أثرا كبيرا في الشكل في أوروبا عند ترجمتها الى الانكليزية . تماما مثلما حدث عندما تسرب الشعر العربي من الأندلس الى أوروبا عن طريق شعراء التروبادور . ليس هنالك ما هو « قح » هذه الايام . المهم هو سمات العمل الخاصة . ولابد لكل عمل أن يبرر نفسه من خلال نفسه

اما عن فكرة العنصرية المضادة ففي رأيي أن سلوك الشخصية لاتمليه قواعد اجتماعية أو سياسية وأنا في هذا قريب جدا من فرانز فانون في (معذبو الارض) الذي يقول ان الاستعمار هو نوع من الاغتصاب حتى بمعناه الجنسي . وحتى التعبيرات التي تستخدمها أمة تستعمر أمة اخرى تحمل معنى الاخصاء لذا فان اثبات الفحولة عند مصطفى سعيد هو اثبات للشخصية وليس اذلالا للاخرين عمدا والانتقام منهم .

الحوار مع النفس

• تتكرر الشخصيات في جميع رواياتك وتتحرك في مكان مفترض ومجتمع مفترض في الشمال الأوسط للسودان فهل تلك محاولة لترسيخ صورة مكان ما باشخاصه وناسه وحركته أم هو تكنيك خاص أخترته لرواياتك ؟

ـ من حيث التكتيك الروائي فان الكاتب يجد نفسه باستمرار في حوار مع نفسه ومع فنه . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في شعر المتنبي مثلا الذي اعتقد انه كان مشغولا بالقصيدة ، وكل رحلاته الى القاهرة وحلب والكوفة . الخ .

وربما كان هذا ايضا ماقصده شكسبير بقوله « المسرحية هي المسألة » وهذه كلها اشكال مختلفة

لحوار الكاتب مع فنه . واحدى متعي هي التعبير عن افكار معقدة ، من خلال شخصيات بسيطة . ويمكن القول أن البلدة الوهمية التي اكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته ، تتحرك فوقه الشخصيات . وفي رواياتي الاخيرة ،«بندر شاه» ضو البيت،«مريود » تكررت الشخصيات لافي المكان فحسب بل في الزمان ايضا ، فقد تكررت عبر قرون نفس الشخصيات ولكن بأسماء اخرى ، وحتى الان فانني لاأشعر بالرغبة في خلق مسرح آخر فأنا احس بأنه لاتزال هناك مادة لم استنفدها بعد ، بل ان كل مافعلته هو انني نشت السطح ولم أغص في أغوار تلك الشخصيات .

*** ألا تعتقد أن هذا يؤدي الى بروز قضية فنية أساسها التطور الافقي للشخصيات بدل تطورها في العمق ؟ اذ تبقى الشخصيات بنفس سماتها واسمائها ووظائفها ومواقعها ؟**

اني لاأقصد خلق أحداث تدهش القارىء بقدر تقديم احداث تؤدي الى نوع من التنامي الوحداني للشخصيات ، فان في ذهني أفكاراً اتابعها من خلال هذه الشخصيات . فشخصية مريم في « مريود » هي بشكل ما امتداد لنعمة في « عرس الزين » وحسنة في « موسم الهجرة الى الشمال » ولكن من خلال أوضاع مختلفة تماما . واعتقد بأن القارىء لو سار معي ببعض الاهتمام فسيجد أن هذه الشخصيات تشبه بعضها ظاهريا لكنها تختلف في الوقت نفسه،أما أن تنمو الشخصية بمعنى أن تتقلب بها الاحوال وتتعرض لمقادير مختلفة فقد جربت هذا ايضا في « موسم الهجرة الى الشمال » وذلك لضرورات موضوعية وفنية . وعموما فان لنمو الشخصية عندي منطقا آخر . واني كثيرا ما أتساءل الى أي حد نحن ننمو ؟ فالعمر يتقدم بنا وننتقل من مكان الى آخر لكن لحظات النمو نادرة . فهي ليست مايبدو على وجوهنا من غضون . ان هذه اللحظات بمعناها العميق نادرة جدا . لذا ، فان الكشف الحقيقي في العمل الفني ربما يأخذ شكلا عاديا جدا ويحدث بطريقة عفوية جدا . ولااعتقد أن الكاتب بحاجة الى رسم دراما كبيرة لخلق هذا التأثير .

العربي والافريقي

*** من حيث الصنعة الفنية ، لو استعرنا تعبير الناقد الانكليزي بيرسي لابوك ، فان رواياتك تنتمي الى تقليد الرواية الاوروبية من حيث قوة المعمار الفني وتماسك احداثها والاقتصاد في لغتها ، ومن حيث الاجواء فانها شديدة المحلية مما يجعل أعمالك تنتمي الى الرواية الافريقية التي تحمل هذه السمات وليس الرواية العربية فما رأيك ؟**

ـ ربما كان وجه الشبه بيني وبين كاتب افريقي مثل « تشينوا أتشيبي » هو انني مثله درست اللغة الانكليزية وامتلكتها تماما . وهذه اللغة كما هو معروف ليست لغة خطابة واستطراد ، وقد يكون تأثير هذه اللغة على كاتب عربي مختلفا عن تأثير اللغة الفرنسية مثلا . وربما تؤدي الى احساس مختلف عما يحدثه كاتب ليست لديه معرفة بلغة اخرى . وأنا اتوقع مزيدا من التنوع عندما يبدأ بالكتابة أولئك الذين امتلكوا ناصية اللغة الروسية او الصينية مثلا . وكل هذه الامور تثري اللغة العربية بلا شك . ورغم كل ذلك فانني اعتقد ان هناك حيوية مافي الادب العربي ، ويشرفني أن أكون جزءا من انتاج ادبي اعتقد انه حي وغزير . وعلى أي حال فأنا اعتقد أن بعض الكتاب الأفارقة مثل اتشيبي وسوينكا ونغوغي كتبوا بدوافع وطنية بالدرجة الاولى ، كما أن « نغوغي » مثلا بدأ يكتب اخيرا بلغة محلية مما يؤكد ماذهبت اليه .



*** تتميز رواياتك عموما بالبساطة الشديدة التي تجعلها اقرب الى الحكاية ربما باستثناء «موسم الهجرة الى الشمال» ففيها قدر كبير من الصنعة الفنية . لكنك ذكرت اكثر من مرة كم هي مضنية لحظة الكتابة بالنسبة لك فكيف تفسر الجمع بين المعاناة الكبيرة قبل وأثناء الكتابة ، والبساطة الشديدة في الانتاج الفني ؟**

ـ لاأدري كيف اجيب عن هذا السؤال لكن

يحضرني قول الناقد الانكليزي هازلت الذي يقول بأن « البساطة هي نتاج عملية معقدة » أنا لا اعتقد أن هناك شيئا اسمه البساطة . وفي موسم الهجرة الى الشمال أقول « ان الشجرة تنمو ببساطة لكن كم هو معقد أن تكون الشجرة شجرة » . وأنا لا احب أن اعقد العمل دون سبب رغم بعض الاتهامات لي بتعقد أعمال مثل مريود وضو البيت . كما أنني لا اتعمد البساطة ، ايضا فما يسمى بالشكل والمضمون هما في واقع الامر شيء واحد .

الأسئلة الكبيرة

* هناك مايشبه الاجماع بأن الرواية العربية منذ السبعينيات قطعت شوطا كبيرا وحققت انجازات مهمة . ماهو تقييمك الخاص لهذه الانجازات ؟

ـ دون الدخول في تفاصيل لاداعي لها ، اعتقد أن الرواية العربية اصبحت اضافة كبيرة للادب العربي . وقد تحقق ذلك بمجهودات اناس كثيرين لايحصون عدا عن نجيب محفوظ الذي قام بدور ريادي في مجال الكتابة الروائية الى مانتجه كتاب جدد آخرون في تونس والمغرب والعراق وغيرها . ولاشك أن الرواية العربية قد تمكنت من طرح الاسئلة الكبيرة وقامت بمحاولات نبيلة لاستجلاء واستكشاف آفاق الحياة العربية والوجدان العربي ، وربما اكثر من أي فرع من فروع الكتابة ربما كانت هناك بعض المحاولات الفاشلة ولكن لو قارنا بين الجانب الابداعي عموما ومنه الروائي وبين الاضافات في مجال الفكر مثلا فاننا نجد أن الرواية قد اضافت اكثر .

* في السنوات الاخيرة بدأ الأدب في امريكا اللاتينية يتحول الى ظاهرة عالمية في الوقت الذي بهت فيه الابداع الروائي الاوروبي . فهل أنت مع القول بنمو شجرة الادب في امريكا اللاتينية بينما تحولت الرواية الاوروبية الى شجرة ميتة ؟

ـ في اعتقادي أن الادب في انكلترا وفرنسا تحول الى عملية يحكمها قانون العرض والطلب وآلية عملية الطباعة والنشر والاعلان . بالطبع هناك بعض الالتماعات التي لاتزال على قيد الحياة مثل غراهام غرين في انكلترا ، لكني اعتقد أن الادب في أمريكا اللاتينية له سمات الادب العربي ، ورغم انني لم أقرا عن ماركيز انه تأثر بالادب العربي الا أنني متأكد من أنه متأثر به . واعتقد أن رواية مثل « مائة عام من العزلة » كان يمكن أن يكتبها روائي عربي . فما فعله ماركيز هو انه حطم قواعد الكتابة العقلانية بالمنطق الاوروبي الغربي فسلوك شخصياته لايخضع لتلك القواعد بل يأخذ شكلا لامعقولا . وفي اعتقادي أن هذا بالضبط مافعلته « الف ليلة وليلة » حيث الجن والعفاريت والأعمال الخارقة وما الى ذلك .

لقد فعلت هذا عندما كتبت « عرس الزين » قبل ظهور مائة عام من العزلة . وحينها قال بعض النقاد العرب ان هذا العمل ملىء بالخرافات وخصوصا شخصيتي الزين والحنين ، ولم يدرك هؤلاء ان للعمل الفني منطقا آخر وايقاعا مختلفا . ولكن عندما قرأ هؤلاء اعمال ماركيز ومن قبله جورج أمادو احترموا تلك الاعمال التي كانوا قد اعترضوا عليها سابقا . لكنني اعتقد أن مثل هذه التناقضات بدأت تقل اخيرا بين نقادنا .

وفي اعتقادي أن على النقاد الاوروبيين الغربيين احترام اختلافنا وغربتنا عنهم مثلما احترموا اختلاف الادب الامريكي اللاتيني الذي لاشك انه ادب عظيم ، واخص بالذكر جورج امادو الذي اعتقد أنه اعظم من ماركيز وقد سبقه كثيرا في ادخال مؤثرات كثيرة ، وخصوصا المؤثرات الافريقية .

* وماذا عن بورخيس الارجنتيني الذي يكتب باسلوب أوروبي وذهنية أوربية وبتقنية اوروبية عالية ؟

ـ في اعتقادي أن الاحتفاء الكبير به في أوروبا يرجع الى أنه يمثل العنصر الابيض في امريكا اللاتينية ، وأنا استخدم هذا التعبير بحذر لكن هذا رأيي .

* بعد مريود التي نشرت عام ١٩٧٦ لم نقرأ لك شيئا فهل من أعمال جديدة ؟

ـ هذا صحيح . ولكنني الآن بصدد عمل كبير أعمل فيه ببطء ، واتوقع أن يأخذ مني وقتا طويلا . اذا مد الله في عمري . □



عبد الناصر   تيتو   نهرو

حركة عدم الانحياز

في عيد ميلادها الثلاثين

منذ ثلاثين عاما ، وفي أعقاب الحرب الثانية العالمية ، عندما كان عصر الثورات والتحرير من الاستعمار ما زال في بدايته ، استضافت « باندونج » تلك المدينة الجبلية الصغيرة الواقعة في جزيرة جاوا ، احدى جزر الجمهورية الاندونيسية ، مؤتمرا نجح في انتزاع اهتمام العالم كله

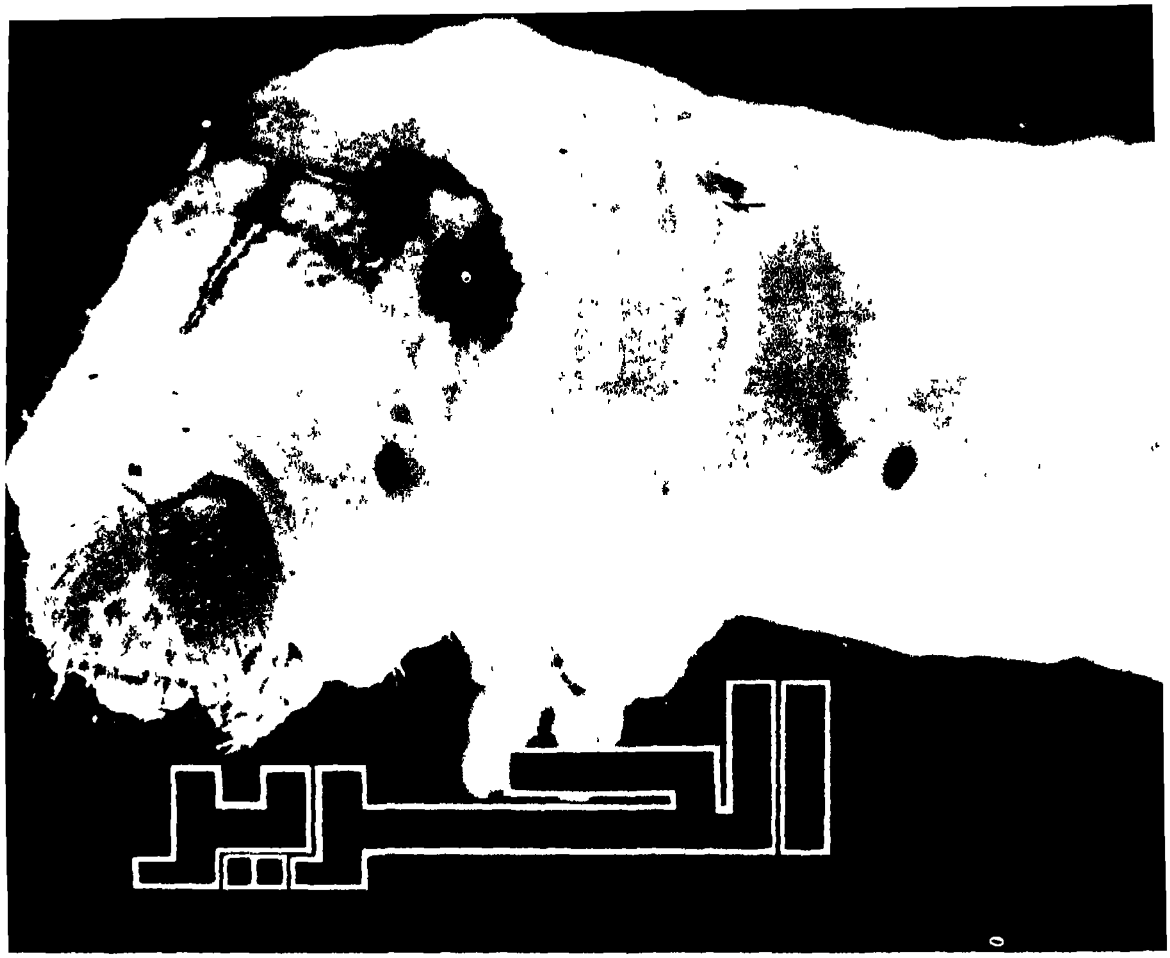
فقد اجتمع في هذه المدينة زعماء ٢٩ دولة آسيوية وافريقية وكان الهدف من لقائهم في هذه المدينة التي كان لها تاريخ في كفاح أندونيسيا من أجل الاستقلال ، هو وضع فلسفة وخطة عمل للدول النامية التي تسعى الى تجنب الانحياز في الحرب الباردة بين واشنطون وموسكو

وفي الرابع والعشرين من شهر ابريل من عام ١٩٥٥ ، صدر البيان الرسمي الختامي الذي أصبح فيما بعد أساسا لحركة عدم الانحياز وفي نفس اليوم من شهر ابريل الماضي ، كانت باندونج تحتفل بمرور ثلاثين عاما على مولد حركة عدم الانحياز ، وجاءت الوفود من ثمانين دولة آسيوية وافريقية لتشارك في هذا الاحتفال

لقد اتسع مفهوم الفلسفة الجديدة لعدم الانحياز ، وأصبحت اليوم تضم العديد من الدول المحبة للسلام كانوا في المؤتمر الأول ـ منذ ثلاثين عاما ـ زعماء يمثلون ٢٩ دولة يضمون سوكارنو (اندونيسيا) وجمال عبد الناصر (مصر) وجواهر لال نهرو (الهند) وشو اين لاي (الصين) وأونو (بورما) وقد غاب هؤلاء جميعا عندما اجتمع المندوبون الثمانون ليحتفلوا بذكرى المؤتمر ، وذكرى حركة عدم الانحياز التي شهد العالم مولدها بعد مرور ست سنوات على لقاء باندونج ، وكان آخر الرجال الذين رحلوا بعد ناصر ونهرو وسوكارنو هو جوزيف بروز تيتو، الذي أصبح بعد سنوات قليلة من مولد حركة الانحياز أحد روادها والداعين لها والمدافعين عنها ، عندما انعقد المؤتمر الثاني في بلغراد

وبالرغم من غياب أبطال حركة عدم الانحياز في عيد ميلادها الثلاثين ، الا أن مندوبي الدول الثمانين المجتمعين كانوا يتحدثون من خلال المبادىء التي وضعها « أبناء الحركة » التي أنهت عصر الأسمزة ISM،S ، وهي الأحرف الثلاثة الأخيرة في كلمتي الاستعمار » والامبريالية
COLONIALISM&IMPERIALISM

وعندما افتتح سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا المؤتمر محذرا الغرب من الكوارث التي تهدد الدول الصناعية ، نتيجة لاستمرار حالة التخلف التي تعاني منها دول العالم الثالث ، مطالبا بسد الفجوة الواسعة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية عن طريق وضع نظام اقتصادي دولي جديد . وعندما استمع المندوبون لهذا التحذير ، تضاعف تصميمهم على حتمية العمل من أجل التضامن والوقوف صفا



ملكة الأنسجة

اعداد : ريم الكيلاني

عرفت البشرية منذ نشأتها عديدا من أنواع الألبسة والأغطية والفراش ، وجهدت في صنع الحديث منها ، غير أن هناك نسيجا فذا يأتينا عن طريق ديدان وشرانق ، يكتب له التألق والتميز على سائر الأنسجة ، هو الحرير .

هذا الموصوع يأحدنا إلى تاريخ هذا السيح وانتاحه ، وأساليب تنميته ، والامم التي اشتهرت به .

وهي حطوات لن نعدم فيها روعة الطبيعة ، ومهارة الصنعه

نسيج رائع الجمال ، ناعم الملمس ، تصنعه ديدان وشرانق ضئيلة الحجم

نسيج متألق براق . بقي سر صناعته كامنا وراء سور الصين العظيم لمئات السنين

ناعم كنسمة هواء رطبة متألق كالثريا . .

شال من الحرير تمت حياكته وتطريزه بتصميم رائع ، وضعه الفنان الصيني « رنك وينشونك » ، فيه لمسات عربية ، تنطق بالحديد

منذ أكثر من ٤٠٠ عام كان هذا لثوب البالغ الحساسية والنعومة لا يلبس الا في أعمال السحر والشعوذة لكن سره بقي محفوظا عند الامبراطور الصيني كل تلك السنين

نسيج الرفاهية

بمرور الزمن أصبحت فراشة القز ملكة الأنسجة بلا منازع ، حيث تبدع حريرا آية في الجمال والروعة

ويعود تاريخ منتجات الحرير من أقمشة وسجاد وملابس لأكثر من ٤٠٠٠ عام ، حيث كان اللحاف الحريري في الصين الصداق المؤخر للسيدة الصينيه

كما تبدو المرأة أكثر جمالا وجاذبية حين ترتدي الكيمونو الحريري (عباءة يابانية للسيدات) فهو يحمل في طياته عبير الملوك ، ودائما يشارك الحرير في العروض التي تتم في اثناء اللقاءات القبلية بين رؤساء العشائر

ولكن ، ما الذي يجعل صناعة الحرير أمرا يستحق الاهتمام ؟

ان طبقة البروتين التي تعطي الحرير تعطيه لمعانا لؤلؤيا يجعل منه مادة غاية في النضارة

وفراشة القز ، التي تقوم بانتاج الحرير ، هي في الواقع شرنقة ، وتنتمي الشرانق الى طائفتين هما : الدود التجاري والرحليات أو الدود البري ، والاثنان يتبعان فصيلة الحشرات القشريه الاجنحه

دودة القز الكاملة النمو والتي تتغذى على نباتات الطماطم تنتج حريرا لا يضاهي روعة الحرير الذي تنتجه الشرانق التي تعيش في المنازل وتتغذى على أشجار التوت

فكثير من يرقات الفراش وبعض ديدان الحشرات الأخرى تغزل مساكن لها من الحرير ، قبل أن تتحول الى عذارى . ومن أهم هذه الأنواع دودة لها أجنحة بيضاء يطلق عليها العلماء اسم « بومبكس » أو دودة الحرير ، وهما أقرب الى الفراشة في طور اليرقة منها الى الدودة ، هذه الفراشات لا تأكل شيئا خلال أيام حياتها القصيرة ، بل تبيض من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيضة ، تخرج منها بعد الفقس اليرقات التي تسمى خطأ دودة الحرير

ولقد كان الحرير سرا من أسرار الصين زمنا طويلا ، ولكن أخيرا أدخلت دودة القز الى أقطار البحر المتوسط ، وزرعت هناك أشجار التوت لتتغذى عليها ، كذلك تمت صناعة الحرير في انجلترا ، حيث تغزل اليرقات الحرير لملابس الملوك ، أما الهند فتحتكر فراشة الموجا التي تنتج الحرير الذهبي المتألق في وادي آسام الرطب

وليس الحرير الا لعاب الفراشة الذي يتجمد عند ملامسة الهواء له ، ويخرج من فم اليرقة بمعدل ست بوصات في الدقيقة ، وقد ينتج منه خيط واحد طوله ألف قدم ، وتلفه الفراشه المرة بعد المرة حول جسمها لتصنع منه مخبأ لها يسمى الشرنقه التي بداخلها ، تهدأ اليرقة المتعبة كي تتحول الى عذراء ، وحينئذ ، تجمع الشرانق وتغمس في الماء الساخن لتموت الحشرات داخلها ، ثم تفك الخيوط الطويلة باليد ، وقد يحتاج الأمر الى ٢٥ ألف شرنقة للحصول على رطل واحد من الحرير ، وتترك بعض الشرانق جانبا بدون قتل ما بداخلها ، ومن هذه الشرانق تخرج الفراشات لتضع بيضا آخر يفقس ويعطي يرقات أكثر تنتج شرانق أخرى وهكذا

ومن الحشرات المفيده العاملة أيضا نوع من « المن أو بق النباتات » ويوجد في الهند ويسمى « صانعة الصمغ » وهي تنتج الصمغ المعروف « باللاك » الذي يدخل في تركيب مواد التلميع ، وتأكل هذه الحشرة أوراق أشجار كثيرة ، ولكنها تفضل نوعا خاصا من أشجار التين ، تثقب قشر الشجر اللين وتلصق نفسها بالعصارة اللزجة التي تفرزها الشجره ، وتصبح بمثابة الغطاء الواقي للحشرة ، يحميها من الشمس والمطر ، الى أن تضع بيضها تحته ، ثم تموت وتبقى أجسام هذه الحشرات الجافة ممتزجة بالاصماغ التي تباع تحت اسم « اللاك »

وحين تدعى الأنثى للتزاوج ، فان من ٣٠٠ الى ٥٠٠ بيضه تلقى بعد ساعات قليلة من اللقاء ، لتموت بعدها خلال يومين أو ثلاثة ، بينما ينمو البيض نموا مبطئا في جو بارد ، ويفقس في مدة تتراوح بين ستة أسابيع الى اثني عشر شهرا .



نماذج من خيوط الحرير تحبك مع بعضها البعض في محاولة لترتيب شبكة الحبال وجمعها معا حيث تقوم المرأة الصينية في مدينة « يوغور » بجمع الخيوط لتحبكها معا في تشكيل رائع ثم تعدها للصباغة لانتاج نماذج ذات الوان متآلفة .



خيوط حريرية ذات ألوان زاهية تطرز صديرى من الساتان الحريرى
تحمل في طياتها همسات التألق والنعومة الرومانتيكية .

ـك لا تدرك أنه لعمل رباط عنق واحد قد يستهلك ١١٠ من الشرانق ، بينما تقوم ٣٦٠ شرنقة بانتاج ما يصنع قميصا من الحرير ، أما العباءة الحريرية فهي انتاج ثلاثة آلاف شرنقة تستهلك ١٣٥ ألف باوند من أوراق أشجار التوت

قدسية فراش الحرير

ان معظم الحرير المصنع الذى يستعمل اليوم ويجلب من فرنسا وايطاليا ، كانت نشأته أيضا في الصين التي تسهم بأكثر من نصف انتاج العالم من الحرير ، أي ما يعادل ٤٨٠,٠٠٠ شرنقة ، واليابان أكبر مستهلك للحرير ، وبعد أن كانت الرائدة في انتاجه تراجعت الى الخلف ، واحتلت الصين المرتبة الأولى في انتاج الحرير .

ان جودة فراشة القز يحدد بالنوع والكمية التي تنتجها من الحرير ، وعلى الرغم من أن عمليات التهجين قد تطورت مع تقدم الزمن ، فان عملية التلقيح التي تتم بين الأجناس اليابانية والصينية تتم في جو من التدليل والرفاهية ، باعتبارها مخلوقات قصيرة العمر ، وتستعين الصين في تربية فراشة القز بالاساليب الاتية

١ ـ نباح الكلب ، وصياح الديك ، وأحيانا رائحة العصر ، فهذه المحسوسات ينشط عليها تكاثر الفراش ، ومن ثم يزيد انتاجه من الحرير

٢ ـ ترقد الشرنقة على فراش ناعم جاف ، وتعمل بانسجام تام حينما تتاح لها أنغام الموسيقا الهادئة

٣ ـ حين تتخطى الشرنقة مرحلتها ، أي تتحول الى فراشة متكاملة النمو ، فانهم يجعلونها طعاما للسمك ، وذلك لمنع تغير نوع الحرير وجودته

٤ ـ يجب أن تتوافر للفراشة الأم نظافتها ، فلا تشم رائحة كريهة ، كما يجب أن تمنع عن أكل الفقول أو حتى لمسها

٥ ـ تتلدد الشرانق بمداعبة زغب الدجاج لتطوير عملية الغزل

وهذه التقاليد والأساليب بالنسبة للصين نادرا ما تحول أو تعدل ، بل انها لا تزال باقية حتى اليوم ، ولفراش الحرير قدسية يلتزمها النساء والرجال ، والنساء اللاتي يربين فراش القز لا يدخن أو يضعن المساحيق على وجو... ... يائس ... ـتوم ، بل يجب أن يتعلق في أ... ـنيفة

ويسعين لتقديـ... ـت لالهة الحرير مرة كل عام ، وتلك الخصـ... ـة الحذر لا تقتصر على الصينيين فحسب ، بل تجد الرجال في جنوب غرب بحيريا (يوروبا) لا يدنون أو يعاشرون نساءهم اللاتي يبقين أو ينسجن الحرير ، أما الرجال الذين يبقون في المزارع فهم لا يقصون شعورهم أو يحلقون لحاهم ، كما يتبعون نظاما غذائيا خاصا ، وتحضر زوجات هؤلاء المزارعين طعام العشاء الا أنهن يفترقن عنهم بقية الليل .

وفي مدينة روزاوا وطوكيو لا بد لمن يرور مزارع فراش القز أن يرتدي طقما أبيض مشى باليابان ، مع قبعة وقناع شبكي شفاف للوجه ، والا واجهته رائحة عار الفورمالدهيد المطهر الذى يعمي العين ، كما سيضطر الزائر الى تركيب أظافر صناعية

كذلك تقاس درجة الحرارة ونسبة الرطوبة خمس مرات يوميا ، وبينما يتم كل ذلك يدويا في الصين ، الا أن اليابان تفضل استعمال الالة حتى في هذا المجال

وللنساء دور

وفي الصين يكون انتاج الحرير في مرحلته الأولى معتمدا اعتمادا كليا على النساء ، ففي مصنع دانج دونج في الصين ، تجلس النساء أمام آلة الغزل ليغزلن الشرانق ، ويخلصن خيوط الحرير من المادة الصمغية العالقة بها ، بوساطة الماء الساخن العكر ، فترى أصابعهن تتحرك بخفة وسرعة لتجمع الخيوط والألياف من ست شرانق ، وتمدها بالقوت مع كل دورة للالة وعدد الشرانق المستعملة يعتمد على مدى سمك وكثافة الخيوط المنتجة ، ولكنه عادة ما يتراوح بين ٥ الى ثمانية خيوط تكفي الحاجة

وقد تجد في الهند في منطقة بواباتنا ، فتاة لا تتعدى العاشرة من عمرها ، بصحبة عشرين فتاة أخرى يقبعن بجانب خيوط الحرير ، ويقمن بغزلها ولفها حول سيقانهن في غرفة شديدة الظلمة ، ذات أرضية موحلة ، وتسحب الفتيات الخيوط من خمس شرانق بوساطة ساقها اليسرى ، تجمعها معا أو تبرمها أو

تجدلها معا لتصنع منها خيوطاً متينة ، وتفصل الفتيات العمل في هذا المجال لأن سيقانهن أقل شعرا من سيقان الرجال

كما تشترك في الهند الأسرة بكاملها في صناعة الحرير ، فقد تجد فتى صغيرا يقبع أمام نول ينسج سجادة ، ووالده بجانبه يهمس بترنيمة عذبة ، وهو يرسم نموذجا فعليا لتصميم ما ، كما قد تجد الزوجة تنقي الحرير والجدة تحوكه ، وطفلا يجدل الخيوط ، وآخر يعاون والده في العمل على النول ، لينتجوا معا « ساريا » فاخر الصنع

وقد ترى حكاية الحرير في بعض القصص والأساطير التاريخية ، مثل نقل « ماركو بولو » للحرير من الصين الى فينيسيا بايطاليا والصين ، موطن الحرير ، البلد الفنان في صناعته ، الرائد في حياكته . ان روعة خيوط الحرير الصينية جعلت منها مقياسا للتميز وتحديد الثمن

وقد افتتحت المحكمة الملكية في الصين مصانع نسيج الحرير لأغراض تجارية ، ولتقديم الهدايا للدول الأجنبية ، وبذلك فهي تضمن توسع نفوذها خارج حدود بلادها .

وتحتفظ الصين بسر تربية فراشة الحرير منذ مئات السنين ، ويقتل تعذيبا من يبوح بهذا السر ، وهذا القرار أصدرته لائحة القانون الملكي حينذاك . .

ومع انهيار الامبراطورية الصينية ، اتسعت دائرة مربي وحافظي وصانعي الحرير ، وبات سر لمعان النسيج الحريري وتألقه ونعومته معروفا لدى الجميع .

ومع بداية القرن الرابع عشر ، كان يصنع الحرير الايطالي في فلورنسا وفينيسيا وجنوا ، كما شجعت العائلات النبيلة تلك الصناعة ، وتعتبر منطقة « كومو » مرتعا خصبا لصناعة الحرير ، فهي تنتج سنويا ١٥ مليون ربطة عنق ، و ٦٠ مليون متر من أجمل أنواع الأقمشة الحريرية نعومة وتألقا .

باريس والحرير

وقد حققت مدينة « ليون » في القرن السادس عشر ، وبمعاونة فرانسيس الأول انتعاشا في صناعة الحرير ، وخصوصا بعد أن حددت عملية استيراد الحرير في محاولة من الملك لانتاجه داخليا ، وقد تقدم فرانسيس الأول بمغريات عديدة للعمال ، ومنحهم حرية كاملة في مجال عملهم

ولقد كانت صناعة الحرير تستدعي حرفيين متخصصين ، حاولت ايطاليا ايجادهم بكل السبل ، وقد وضع وزير المالية لحكومة لويس الرابع عشر معدلا ثابتا للانتاج ، ويمكن بوساطته ـ الى جانب الاكتفاء الذاتي ـ التصدير للدول المجاورة ، كما تم وضع نموذج للرسم وللحياكة يتغير بنهاية كل عام .

وبانتهاء القرن الثامن عشر ، كان هناك ما يساوي ١٨,٠٠٠ نول ينسج الحرير وباندلاع الثورة الفرنسية ، ووقوع فرنسا في أزمة كبيرة باعدت بينها وبين الترف ، حل القطن مكان الحرير ، وتوقفت الأنوال عن العمل وانهارت صناعة الحرير .

وفي عام ١٨٠٤ قدم « جوزيف ماري » آلة نسج وتخريم تسمح للحرفي بالتحكم في النول ، وتعمل على انتاج نماذج معقدة بسرعة ودقة أكبر ، وفي عام ١٨٣٠ احتلت آلة الندف مكانا مرموقا في مجال صناعة الحرير

ولما تسلم نابليون الحكم ، كان من حبه للحرير أن أمر الأعيان والنبلاء بارتداء الحرير الذي تنتجه ليون ، كما ضم قصره مفروشات حريرية فاخرة .

وقد استغرقت لديه صناعة لحاف من الحرير سبعة عشر عاما ، وأنت حين تراه تذهلك مقدرة كل من « تاسيناري وشاتيل » على عمل الخرائط وتحديد اتجاهات الرسومات بمثل هذه الدقة والروعة

الحرير المدمر

وعبر الاطلنطي . طمرت تربية دودة الحرير بعناية أولية ، في المستعمرات الأمريكية ، حيث شجع جيمس الأول في عام ١٦٠٩ قيام صناعة الحرير ، وذلك باجتثاث نبات الدخان واحلال شجر التوت مكانه لتتربى على أوراقه صانعة الحرير . بعد ذلك بعشرة أعوام بدأت تجربة أكثر نجاحا في حقل تربية دودة القز ، ولكنها كانت شاقة مملة تحتاج لجهد كبير ، ولا تدر ربحا كالقطن ونبتة الدخان ، وبذلك فان الجهود التي تبذلها تلك المستعمرات كانت بالفعل عقيمة ، فأمريكا تفتقر للعامل الصبور المحتمل



مصنع للحرير في الصين : تلف الخيوط المغزولة على بكرات ، ثم تصنف ، تطلى بطلاء مؤقت ، تجدل ثم تغزل وتحول الى لفات وتعد للشحن .

لعملية انتاج الحرير .

وان الهدوء الطبيعي لمياه نهر « الباسيك » كانت المكان الأفضل لازدهار صناعة الحرير في شمال شرق الولايات المتحدة في باترسون التي تعتبر اليوم مركزا حيويا في مجال صناعة الحرير

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية قوطع سوق الحرير الياباني ، وتحول الباقي منه للاستعمالات الحربية فقد كانت المظلات الهابطة المصنوعة من الحرير قوية مرنة ، أما مسحوق الحرير المستعمل في الحروب فيوضع في فوهة السلاح ليحرق كل شيء ، ولا يترك خلفه الا الدمار والخراب،أما في الصين . فالحرير الصناعي لم يكن متوافرا مع بداية عام ١٩٥٠ .

الا أن سحر الحرير الصناعي وبهجته بدآ يتصاءلان في الأونة الأخيرة ، وبات للحرير الطبيعي مزاياه المتفوقة في جميع المجالات (الملابس والأثاث) . ويحاول الصينيون اليوم أن تظل الصين الأولى في انتاج وتصدير الحرير الطبيعي للعالم ، ولكنهم جوبهوا بفشل ذريع في تسويق منتجاتهم ، لأن أمريكا تنتج حريرا جيدا وبكميات كبيرة وألوان عديدة ، وذلك لأن فراش القز يتغذى في أمريكا الاستوائية على عصارة أشجار معينة ، وتظهر على أجسامها الجافة أصباغ ذات ألوان بهيجة ، ولافتقاد الصين للآلات الحديثة التي تملكها أمريكا ، فقد بادرت الولايات المتحدة في منتصف عام ١٩٧٣ بمنح الصين ٢٠٠,٠٠٠ دولار لتتمكن من شراء أنوال أوتوماتيكية .

واليوم ، يدخل الكمبيوتر الى الأنوال ليضاعف كمية الحرير المنتجة ، كما يمكن للمصمم بوساطة الكمبيوتر ، عمل أكثر من ٢٠٠ تصميم كل منها مختلف عن الآخر في وقت واحد .

وباستثناء سِنيّ الحرب حيث تقل الحاجة للتزود بالحرير ، فان انتاجه موازٍ لكمية استهلاكه

وللنساء نظرية في نسيج الترف والرخاء ، فيقول بعضهن : يسحر الحرير جسد المرأة ، كما تسحر الحلي يدها وعنقها

هذا هو الحرير .. فمن الشرنقة الصغيرة كان ملك الانسجة .. وكانت الخيوط اللامعة □



عملية التحول من خيط الى لفة ، تنقع الشرنقة في الماء الساخن لتليين المادة الحريرية ولجعل نهاية الخيوط متماسكة .

ساعة كبيرة صنعت بخيوط حريرية ناعمة في فرنسا .



إصابات الرأس واللحظات الذهبية



بقلم : الدكتور سامي محمود علي

. وليس عجيبا مثل المخ . . هذه المادة الهلامية التي لايزيد وزنها عن ٢٪ من وزن الجسم . . الا أنها تحمل في طياتها أسرار الوجود الانساني كله . . ماذا تعرف عن هذا المخ وكيف يمكن مواجهة اصابات الرأس في الوقت المناسب حين تكون هناك لحظات فاصلة بين الحياة والموت . هذا هو ما يعرضه هذا المقال .

المخ هو بعض اعجاز الخلق كما أراد له سبحانه أن يتجلى في أروع صور الاعجاز والابداع .

ان ما يقرب من اثنتي عشرة خلية عصبية تؤدي من الاعمال ما يفوق كل خيال ويطيح بكل وصف ، ولو أتيح لنا أن نزيل حجاب الجلد والعظم ونطالع المخ من الداخل ، لوجدنا أن هناك شبكة معقدة من الأوعية الدموية تمد المخ بما يقرب من ٢٠٪ من أوكسجين الجسم كله ، كما أننا نلاحظ أن ما يقرب من ٨٠٪ من حجم المخ كله يمثل القشرة المخية ، وهي أرقى نقطة حيوية نصادفها في كل الكائنات الحية ، وتتولى هذه القشرة مسئولية الفكر وتسجيل الذكريات والاحلام وتبادل اللغة والكثير من الوظائف التي يعزى لها السبب فيما نراه حولنا من مدنية وتقدم ورقي

ان المخ البشري قد أودعه الله علبة عظيمة متينة البنيان ، وحفظه سبحانه بسوائل يغوص فيها فصلا عن أغشية ثلاثة : الواحد يلي الآخر ، فكأنه بمأمن من الاخطار ، يعمل في هدوء لبقاء الكائن البشري

واستمراريته . . الا أنه وعلى الرغم من هذه الاحتياطات الأمنية فان المخ قد تصيبه حادثة أو يتعرض لأصابة ، ومن المؤسف أن حلايا المخ سريعة العطب فهي تموت في دقائق معدودة ، كما أن خلايا المخ ليست لها القدرة على التكاثر كبقية حلايا الحسم ، ومن هنا فان اصابة الرأس وما تتركه من آثار على المخ تكون وخيمة في عواقبها اذا لم تعالج بسرعة . ولا عجب اذن في ان اللحظات التي تلي اصابة الرأس هي بحق لحظات ذهبية في حياة المريض . فخلالها يكون المريض بين الحياة والموت .

الاسعافات الأولية

ان المصاب في الرأس يكون عادة في حالة غيبوبة ، يصحبها احتناق أو ضيق في التنفس ، لذلك فان الاسعافات التي يجب أن تجري في مكان الاصابة نفسه « بالغة الاهمية » في المحافظة على حياة المصاب ، ومن الممكن تحديد هذه الاسعافات في الخطوات الآتية :

١ ـ التأكد من كون مجرى التنفس نظيفا وأن الهواء لايعوقه شيء في دخوله الى الرئتين ، وهنا يجب ملاحظة الا يكون اللسان واقعا الى أسفل الحلق ، أو يكون هناك أسنان مكسورة أو دم متجلط في تجويف الفم أو الحلق ، وحتى يتمكن المصاب من التنفس بصورة سليمة فيجب أن يكون راقدا على جانبه ووجهه الى أسفل .

٢ ـ وعند تحريك المصاب فان هذه الحركة يجب أن يقوم بها عدة أشخاص لا شخص واحد ، وذلك حتى يكون جسم المصاب في وضع مستقيم فلا يحدث أي ضغط على النخاع الشوكي في منطقة الرقبة التي قد تكون مصابة مما قد يؤدي بالمصاب الى التعرض لخطر الاصابة بالشلل الرباعي أو شلل الاطراف الأربعة

٣ ـ ان أفضل دم للمصاب هو دمه نفسه ، لذلك يجب وقف أي مصدر للنزيف الخارجي وذلك بالضغط بشدة على مكان النزيف .

٤ ـ يجب الا تترك الأجزاء المصابة بكسور كما هي حتى وصول المصاب الى المستشفى ، بل يجب وضع جبيرة لكل الاطراف المكسورة .

اللحظات الذهبية

ان اللحظات التي تلي وصول المصاب الى المستشفى مباشرة هي ـ بحق ـ لحظات ذهبية وفاصلة في ذات الوقت ، انها ميلاد جديد للمصاب .

ولعل أول ما يعاني منه المصاب نقص أوكسجين المخ والصدمة ، ان اصابة الرأس قد تؤدي الى حدوث « أوديما » مخية واضطراب في الدورة الدموية بالمخ مما يجعل حجم الدم الواصل الى الدماغ قليلا ، وبالتالي فان امداد المخ بالاوكسجين يكون منخفضا ان هذه الحالة ذات خطر عظيم على حياة المصاب ، لذلك فان الحكمة تقتضي تنظيف حلق المريض وفمه ، كما يصل الامر في بعض الأحيان الى عمل فتحة صناعية في مقدمة عنق المصاب تفتح على القصبة الهوائية للمحافظة على تنفس المصاب

في الوقت نفسه فان المصاب قد يكون في حالة صدمة اثر اصابته ، وهنا لابد من الحفاظ على مستوى ضغط الدم وعدد كرات الدم في حالة طبيعية كما يمكن اعطاء المصاب كميات مناسبة من المحاليل والجلوكوز عن طريق الحقن بالوريد ، أو عمل نقل دم له اذا اقتضى الأمر وفي الغالب فان استمرار حالة الصدمة لدى المصاب بعد القيام بهذه الاجراءات قد يعزى الى عدم كفاية عضلة القلب مما يجعله بحاجة الى العلاج بمواد التنشيط العضلية .

ومن المعروف أن حالة الصدمة لا تحدث الا اذا كان المفقود من دم المصاب يقل عن ٣٠٪ من مجموع حجم الدم الذي يزن حوالي ٧٪ من كل وزن الجسم . ويلجأ الطبيب الى حساب كمية السوائل التي يخرجها المصاب في البول ومثل هذه المعالجة لابد وأن تحسن الى حد كبير من حالة الصدمة ، أما استمرارها لأكثر من ساعتين بعد ذلك ، فان الامر هنا لايعني اصابة الدماغ فحسب ، بل قد يكون هناك خلل ما في التجويف الصدري أو أعلى البطن .

بجانب معاناة المصاب من نقص أوكسجين المخ والصدمة فانه قد يعاني أيضا من اصابات أخرى تشمل مناطق شتى من الجسم ، فقد يكون مصابا بجرح في الصدر أو كسر في الضلوع أو ارتشاح سوائل داخل التجويف الصدري ، وكل هذه المضاعفات يجب أن تعالج على الفور ، فان كسر الضلوع يعالج

واحدا لوضع حد لاغلال الفقر ، وعدم الاستقرار السياسي التي تعاني منها الشعوب في تلك الدول ، وتستغلها القوى الخارجية لمصلحتها . .

الصيحة الأن في دول العالم الثالث بعد هذه الأعوام الثلاثين ، هي « الاتحاد من أجل مستقبل أفضل »

أقوى من الموت !

● أقسمت « الساكو » الفتاة الايطالية الجميلة أنها لن تتزوج قبل أن تتلقى من خطيبها الرسالة التي وعدها بها . ومضى على هذا القسم أكثر من أربعين عاما . ففي شهر نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، اعتقلت قوات النازي الشاب الايطالي الصغير « دومنيكو » الذي لم يكن قد تجاوز وقتها العام الحادي والعشرين من عمره ، وعندما وصلت السيارة المعلقة التي كانت تقله هو ومجموعة من المقاتلين الى نهاية رحلتها الطويلة ، وجد نفسه يعيش في أحد معسكرات الاعتقال النازية .

وبقيت الفتاة التي أحبها فأعطته قلبها ، تعيش على الذكريات لقد عرفت بما حدث لخطيبها ، ولكنها رفضت أن تصدق أنه لن يعود اليها لقد قضت كل سني طفولتها بجانبه كانا يخرجان معا ويلعبان معا ، فلم يكن الرصاص والقتل جزءا من العالم الصغير الذي يحيط بهما ، ثم استيقظا يوما فوجدا نيران الحرب تقترب منهما وتدمر كل شيء جميل كانا يحلمان به

وكانت يومها في ربيع العمر ، لم تكن قد أكملت بعد عامها التاسع عشر . . ومضت السنون « والساكو » تنتظر لقد كانت آخر كلماته لها وهو يودعها · « سوف أعود اليك ، واذا لم أعد فسوف أبعث اليك برسالة تحمل لك حبي الذي لن يموت أبدا » .

وفي شهر مارس من هذا العام وصلت الرسالة أخيرا التي ظلت الفتاة تنتظرها منذ أكثر من واحد وأربعين عاما . لقد كتبها دومينكو قبل أن يلقي حتفه برصاص النازي بعد اعتقاله بشهور قليلة ، مات خطيبها وحبيبها . . ولكن قلبها ظل يخفق بحبه وهي تحتفل بعيد ميلادها الستين

لماذا تأخر وصول الرسالة التي قضت عمرها كله تنتظر وصولها ، لماذا لم تصلها مباشرة بعد أن جلس يكتب كلماتها بدمه ودموعه ؟ لقد تاهت رسالة دومنيكو بين مدن ايطاليا ودروبها . . الى أن عثروا على صاحبتها أخيرا فسلموها اليها . . . وفضت « الساكو » العجوز الرسالة في لهفة وهي لاتصدق عينيها وراحت تقرأ . « حبيبتي السا . انتظريني يا أعز انسانة الى قلبي سأعود اليك ، لانني أعلم أن حبنا أقوى من كل شيء »

قالت والدموع تغرق عينيها : (كنت أعرف أنه يحبني ، لأنني لم أعرف الحب الا معه ، ان السنين الطويلة التي قضيتها في انتظار عودته لم تذهب هباء . . يكفي أنني تلقيت بعدها هذه الرسالة التي سأحملها دائما في قلبي الى آخر لحظة في رحلة الحياة » .

عام ١٩٨٤ شهد محنة الصحافة !

● شهد العام الذى انقضى زيادة محسوسة فى عدد الصحفيين الذين فصلوا من مناصبهم ومنعوا من ممارسة مهنتهم وحكم عليهم بالسجن او تم اغتيالهم ، ليس هذا فحسب بل لقد اثبتت الاحصائيات ان هناك زيادة ايضا فى عدد الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة التى ارغمت على اغلاق ابوابها .

تصدرت هذه الكلمات مكانا بارزا من مجلة (وورلد بريس فريدوم ريفيو) التى تصدر سنويا عن المعهد الدولى للصحافة ، ومقره فى لندن ، وهو يمثل أكثر من ألفى صحفى ينتمون لسبع وستين دولة .

وقد وصل المعهد الى هذه النتيجة بعد تحقيقات

الاسعافات الأولية في علاج اصابات الرأس

وضع المصاب
على جانبه بمساعدة
أكثر من شخص





وقف أي مصدر
للنزيف في الرأس
أو أي جرح آخر قد
يكون موجودا

تنظيم ممر الهواء ورفع الفكين لأعلى وللامام





بتعديل وضع الضلع المكسور ولصقه جيدا بعد تثبيته ، كما يجب سحب السوائل المرتشحة داخل تجويف الصدر .

واذا كانت الاصابة في البطن فانها تتضمن تمزقا في الكبد أو الطحال الذي ينتج عنه نزيف داخلي مما يتطلب تدخلا جراحيا سريعا ، وقد يكون التمزق في المثانة وهنا يحقن الطبيب المصاب بصبغة ملونة بعد عمل قسطرة للمثانة ، ثم يأخذ صورة أشعة فتبدو الصبغة منتشرة في جدران البطن .

الجراحة ضرورية . . ؟

هناك عة مؤشرات تحتم ضرورة التدخل الجراحي لانقاذ حياة المصاب . . وهذه المؤشرات تضم في ثناياها ما يمكن تسميته بالدورات الحيوية داخل الجسم كالنبض والتنفس ودرجة الحرارة ، فمعدل نبض المصاب اذا كان عاديا أو سريعا عند دخول المصاب للمستشفى ثم أخذ في النقصان أو التباطؤ فان ذلك يعني أن هناك ضغطا ما يعاني منه الدماغ . كذلك اذا كان معدل التنفس بطيئا وعميقا في ذات الوقت وكان مصحوبا بمعدل نبض منخفض فان ذلك يكون مؤشرا لوجود نزيف داخل الدماغ ، ويكون ارتفاع درجة الحرارة دليلا على وجود اصابة في الجذع المخي الذي يحتوي على مركز التحكم في درجة حرارة الجسم .

لا تخلو هذه المؤشرات بالطبع من بعض الاستثناءات ، فالأشخاص كبار السن مثلا أو المدمنون على شرب الكحوليات والخمور فانهم يعانون بشكل أو بآخر من ضمور في حجم المخ وهذا الضمور يكون من شأنه ترك مسافات بين المخ وعظام الجمجمة فلا تظهر علامات وجود النزيف المخي التي ذكرناها أما الاطفال وصغار السن من الشباب فيكون اي تجمع دموي ولو كان صغيرا جدا داخل ادمغتهم واضحا في علاماته بأن هناك ضغطا قد ازداد داخل الدماغ .

وقد يحدث النزيف داخل الدماغ في أماكن مختلفة أو تحت غشاء الأم الجافية ، وقد يحدث النزيف داخل نسيج المخ . وفي كل الحالات فان هناك عدة اختبارات وفحوص يجب أن تجرى لبيان مدى اصابة



المصاب وكتفاه مرفوعتان ثم يحقن بمخدر موضعي في مكان الفتح



عمل قطع في مقدم العنق ثم ابعاد العضلات لشق القصبة الهوائية

عمل فتحة صناعية في مقدمة الرقبة لدخول الهواء الى الرئتين .

الدماغ ووسيلة المعالجة . وهذه الفحوص تشمل القيام بعمل ثقوب تربنة في عظام الجمجمة ، وقد يكون ضروريا بعد ذلك القيام بعملية تربنة في الجزء الخلفي أو الامامي من الجمجمة . كما تتضمن الفحوص عمل رسم للمخ بالموجات فوق الصوتية ، وهنا يكون أي انحراف في مسار الأشعة دليلا على وجود نزيف أو تجمع دموي أو يدل على وجود ورم .

• وهناك علامات تؤدي الى الاسراع بالعملية الجراحية في وقت مبكر وأخرى تحتم اجراء مثل هذه العملية فورا ودون أي تأخير ، ومن العلامات التي تدل على القيام بالعملية في وقت مبكر كلما أمكن ذلك نجد :

١ـ وجود كسر في عظام الجمجمة يزيد عن نصف سمك عظم الجمجمة

٢ـ ظهور نتوء أو ما يسمى « كرة بنج بونج » في رأس الطفل .

٣ـ نزول سوائل من الانف أو الاذن .

أما العلامات التي تحتاج الى جراحة فورية فهي :

١ـ انخفاض مستوى الشعور أو الوعي عند دخول المصاب المستشفى .

٢ـ عدم التناسق في اتساع بؤبؤ العين في كلتا العينين .

٣ـ الاصابة بالشلل النصفي أو فقدان الاحساس بالالم (التنميل) .

٤ـ الاضطراب الكبير في بعض العمليات الحيوية بالجسم مثل تباطؤ النبض مع ارتفاع الضغط .

اللحظات الحرجة . . ؟

ان الرعاية المكثفة هي كل ما يحتاجه المصاب في الرأس ، فهذا المصاب بحاجة مستمرة لقياس نبضه وسرعة تنفسه ومعدل ضغط دمه كل ١٥ دقيقة خلال الأربع ساعات الأولى من دخوله المستشفى ، ثم تقاس هذه المعدلات بعد ذلك كل نصف ساعة ، كما أن درجة الحرارة تقاس كل ساعتين ، وعند اعطاء سوائل يجب أن تعطى في الاطراف العلوية (الذراعين) أفضل من الاطراف السفلية (الساقين) لأن مصاب الرأس يكون غير قادر على الحركة ومن ثم فان فرصة انسداد الأوردة في الاطراف السفلية تزيد ٢٠ مره عن الاطراف العلوية .

واذا كان المصاب يعاني من صدمة فيجب أن يعط السوائل على الفور ، وعادة يتم حقنه بما يعادل لت ونصفا من السوائل ، هذا بالاضافة الى كمية متساو لكمية البول التي يخرجها ، يكون ذلك خلال الاي الاربعة الأولى ثم تزيد هذه الكمية الى لترين ونصف بعد ذلك . . وقد يحتاج المصاب الى التغذية ع طريق انبوب المعدة ويكون ذلك فور عودة أداء الأمع لوظيفتها الطبيعية ، وعادة ما يكون ذلك بعد ٨ ساعة وتكون التغذية من الانبوب عبارة عن خليط م الديكترون ١٠٪ والماء (٥٠ سم كل ساعة) ث يضاف اليهما اللبن والمواد البروتينية الخفيفة بعد ذلك .

ويمكن اعطاء المصاب بعض الادوية المناسبة ! حالة معاناته .

ان زيادة الضغط داخل الدماغ ـ يعمل على زيا الارتشاح داخل المخ أو ما يسمى « بالأوديما » وهذ الأوديما تزيد من حجم الضغط الواقع على المـ والمحصور بالفعل بين عظام صلبة هي الجمجمة .

وقد وجد أن حقن اليوريا يؤدي الى انكماش ا انسجة المخ كما يعرض المصاب لفقدان كمية كبيرة م الماء تصل الى ٤ لترات لذا يجب تعويض المصاب ع هذا الفقدان للماء والا تعرض لحالة جفاف حادة .

ان هذه الرعاية المكثفة يجب أن تنبهنا في الوقـ نفسه الى بعض المضاعفات التي يمكن أن تحدث ا أثناء المعالجة ، ومن هذه المضاعفات حدوث السـ الدهنية في المخ التي يمكن أن تحدث خلال ثلاثة الأي الأولى من الاصابة واذا ما حدثت هذه السدة فـ المصاب يعاني من شعور بعدم الراحة والتهيج وهناك أيضا الالتهاب الرئوي الذي يعتبر سببا رئيـ للوفاة في مصاب الرأس ، وهذه الحالة تنتج اذا استـ المصاب مستلقيا على ظهره لفترة طويلة دون تغيـ وضعه ، وهنا لا بد أن ينام المصاب على جنبيه بالتوا ثم بالعودة مرة أخرى للنوم على ظهره ، ذلك بحيـ لايتجاوز ما يمضيه نائما على ظهره ثلث الوقت فقط

اننا عندما نتعامل مع اصابة في الدماغ فاننا نكو مدركين أننا نتعامل مع مايسترو الحياة في الانسان ان تعاملنا ـ ولاشك ـ يجب أن يتسم بالحرص والحذر معا . . □

أقوال



شولوخوف



هيمنجواي

□ اذا رغب الناس قراءة كتاب أكثر من مرة فذلك يعني أن الكاتب جيد .

شولوخوف

□ « في طفولتي ، عندما كنت أتفتح على المعرفة ، بفضل لغتي الأم ، بدا لي أن اقحام اللغة الفرنسية شبيه بحضور دركي » .

جيرار شونيه /كاتب من هايتي

□ لايكفي أن تتوفر لديك عناصر نجاح اللعبة ، ولكن يتعين عليك أيضا أن تعرف كيف تلعبها .

هيرمان التيس / السفير الاميركي الأسبق في مصر

□ ان أمن الشام يبدأ من جبال طوروس ، وأمن جبال طوروس يبدأ من ممرات سيناء ، وأمن القاهرة يبدأ من هذه الممرات ، ان القاهرة مفتاح الشام ، والشام مفتاح المنطقة .

العقيد . شريف باشا الفرنساوي

□ « تستطيعون أن تدخلوا حديقتي في أي وقت ، وأن تأخذوا ماشئتم من ثمار المانجو ، ولكن لاتقذفوا الأشجار بالحجارة . »

هيمنجواي / كاتب أميركي

□ اذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك .

رسول حمزاتوف / شاعر داغستاني

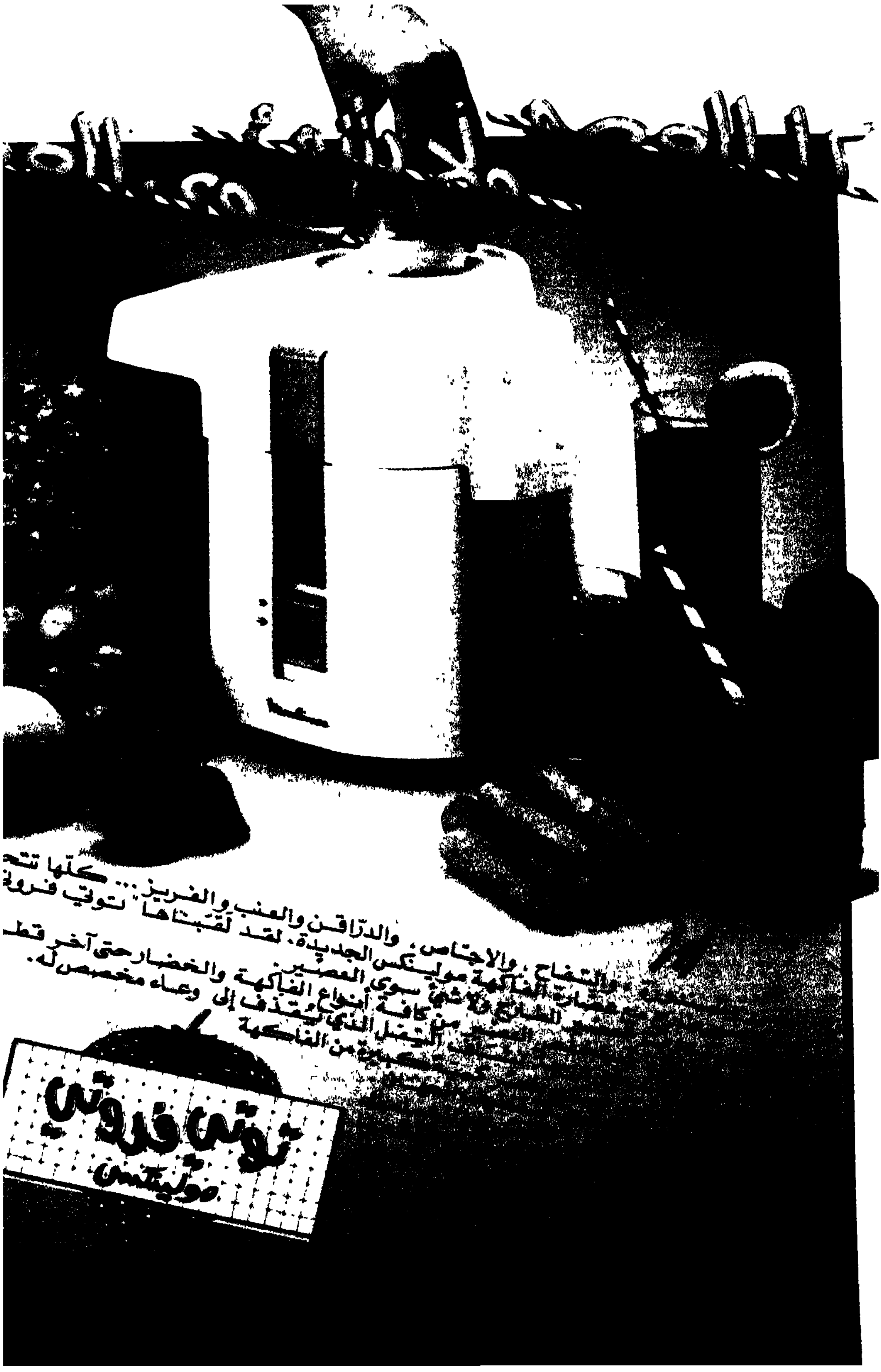
□ البلاد كالاشخاص بعضها يروقك من الزيارة الاولى وتنقطع حبال المودة مع البعض الآخر ربما من النظرة الاولى

حسين فهمي

نقيب الصحفيين المصريين الاسبق

□ الملك حسين يريد استعادة كل ما خسره فى حرب الايام الستة مقابل السلام . فأذا كان هذا هو الموقف العربى فلن يكون هناك سلام

حاييم بارليف



التفاح، والاجاص، والدراقن والعنب والفريز... كلها
الفاكهة موليتكس الجديدة. لقد لقبناها "توتي فروتي"
سوى العصير.
أنواع الفاكهة والخضار حتى آخر
يقذف إلى وعاء مخصص له.
من الفاكهة
توتي فروتي
موليتكس

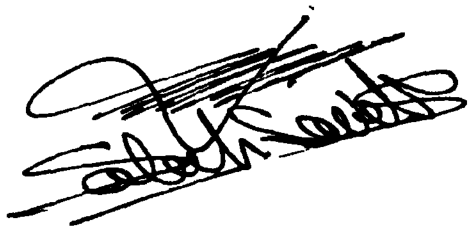
البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع



منذ سنوات عندما طرح علماء النفس تفسيرهم للرسوم والخطوط العشوائية التي يخططها المديرو والزعماء والرؤساء في اجتماعاتهم وأثناء اصغائهم لمتحد أو تفكيرهم في شيء .. صار الجميع شديدي الحرص على تمزيق هذه الورقات ، والآ ماذا سيفعل الناس بعدما يطرح علماء النفس هذه المرة عن تفسيرهم للامضاء والتوقيع ؟!



توقيعك ماذا يقول؟

استرعى انتباهي قبل أيام مضت دقة وأناقة توقيعين ذيل بهما شيك تسلمته مؤخرا من احدى شركات الصرافة . رب سائل ، ولم هذا الاهتمام في تواقيع الشيكات ؟ والجواب ، وأظنه لا يخفى على القارىء الذكي ، ربما يكمن في سر تلك الخصوصية التي يتميز بها امضاء كل أمين صندوق « ومحاسب وكأنه يصرخ فينا » أنا اس حلا . . . وحذار من التقليد !

والأمر لا يقتصر على تواقيع موظفي المصارف وأصحاب الأموال ، بل يتعداه أحيانا ليشملك في كتاب يبحث في علم الدلالة ، صدر حديثا عن جامعة اكستر ، حاول المؤلف الدكتور فريس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة التمييز بين نوعين من المعنى ، دعا الاول بـ (المعنى القاموسي) والمقصود به المعنى المدرج ضمن المعاجم والموسوعات العلمية ، وأطلق على الثاني تسمية (نظير المعنى) Parameaning على غرار مصطلح (شبه عسكري) Paramilitary ويريد به الشيء الذي لا يمكن الاشارة اليه صراحة بعبارة (معنى) رغم كونه شديد الشبه به .

ويبدو أن ما أسماه بـ (Parameaning) أو بالأحرى « المضمون الدقيق » اذا حاز التعبير ، على الرغم من احجام علماء الدلالة الأوروبيين عن استخدام كلمة « مضمون » بهذا المفهوم ، هو عين الشيء الذي يبحث عنه الخبير العدلي في النسخة المنقولة عن المضمون الدقيق المنزوي خلف ذلك الرمز المدون ونقصد به التوقيع .

ومن الطريف جدا أن هناك سيدة انكليزية تدعى المسز هالفس تدير وزوجها في لندن مكتبا للتحليل الخطي ، يتلقى باضطراد طلبات من شركات انجليزية تنظر الى كتابة اليد كدليل يعول عليه في اختيار المرشحين الذين يمكن الوثوق بهم

لأن يعينوا في الوظائف المالية الشاغرة . تقول السيدة هالفس في معرض دفاعها عن هذه الطريقة « ثمة احتمال لتدخل العواطف في تعيير شكل ومسار الخطوط أثناء الكتابة » . بيد أنها تؤكد أن « الملامح الأساسية لشخصية كاتبها تبقى رغم ذلك ثابتة على الدوام » . ويبين جيمس حريس وديفد لويس مؤلفا كتاب « اللغة الكامنة في خط يدك » ان توقيع المرء يكشف عن نظرته الى العالم من حوله ، وعن الصورة التي يرغب أن يراه فيها الناس الآخرون ، كما يحمل من ناحية أخرى في طياته العديد من الدلائل التي تشير الى مواطن ضعفه وقوته على السواء رغم هذا نرى العديد من الناس وبخاصة أولئك الذين يشغلون المناصب المالية يسعون جاهدين أن يخرج توقيعهم بحلة مهيبة تتحدى التزوير ، معبرة عن أهمية المركز الاجتماعي لأصحابها وعلى الرغم من أن التوقيع عملية مقصودة ، الا أن هذه العملية تكشف أحيانا وبصورة عفوية عن سمات تشير بشكل خفي الى هوية كاتبها على سبيل المثال وجد الأستاذ (توم ديفر) وهو أستاذ محاضر في قسم اللغة الانكليزية في جامعة برمنجهام ، أن من السهولة التعرف على خط يد الأشخاص الايرلنديين الشماليين بسبب ميل هؤلاء الى كتابة حرف الـ (r) الصغير كحرف الـ (R) الكبير .

من هنا نرى أن الامضاء ليس مجرد عينة خطية ، بسبب حقيقة أن التواقيع هذه تمثل رموزا مادية لصنف متميز في علم النحو والصرف ! فلو سألنا على سبيل المثال الشخص العادي من أنت ؟ لأجابنا دون تردد بذكر اسمه ويبدو لنا هذا الموقف المتواتر ، طبيعيا الى حد يكون التوقف عنده أمرا استثنائيا ، بيد أننا لو أمعنا النظر في المضامين المنزوية في ثنايا مثل هذه الاجابة الآلية ، لاكتشفنا أن أسماءنا ليست محض (ماركات) أو رقع مميزة،القصد منها فرد المتكلم . انها في الواقع ، نحن دما ولحما

من ناحية ثانية ، هنالك من يرى أنها ليست سوى عون لنا في أية عملية لانتقاء شخص واحد من مجموعة ما ولكن ان كان الأمر بهذا اليسر ينبغي اذن ألا يغيب عن بالنا أن من الممكن جدا ـ والحالة هذه ـ الاستعاضة عن أسمائنا بأرقام حسابية هي أكثر كفاءة وفعالية في أداء مهمة التمييز تلك ، أضف الى ذلك أن الاسماء تمتاز عن الارقام بكونها أكثر انسانية وتجسيدا لفكرة « الانسان » وبخاصة لو أخذنا بعين الاعتبار مدى ما يحصل من لبس لو أن مجموعة من الاشخاص اشتركت بأحد الأرقام ومن الجدير بالذكر ان اعطاء السجناء والجنود أحيانا أرقاما بدل أسمائهم بهدف فرض الطاعة العمياء عليهم ، ما هو في الواقع الا فعل متعمد ، القصد من ورائه الغاء شعور هؤلاء الناس بفرديتهم ، وطمس تلك الملامح الانسانية التي تسود عادة بين الأشخاص أنفسهم لو كانوا في مواقف مختلفة . وعلى الرغم من ميل العديد منا ـ نحن العرب ـ مقارنة بالأوروبيين ، الى طمس بعض معالم أسمائهم أثناء توقيعها ، الا أن ما يحدث غالبا هو أننا نبقي فقط على ما نحب فيها وعلى الجزء الذي نحب أن يراه فينا الآخرون وقد نكون محقين في قولنا ان ما نكشف وما نحجب في امضائنا هو رد فعل لحافز مماثل لما يدفع بعض الممثلين والممثلات وآخرين الى التخلي عن أسمائهم « غير الملائمة » والتي حملوها منذ ولادتهم ، بعدما أدركوا في فترة لاحقة من حياتهم أهمية « الاسم المناسب » الذي يمكن أن يعكس للجمهور صورة طالما تمنوها لأنفسهم .

وفي ضوء المحاولات الجادة لباحثي علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي لتفسير معظم الظواهر اللغوية المتعلقة بمغزى العديد من الرموز والتعابير المكتوبة ، تبرز أهمية تناول التوقيع كوسيلة من وسائل الانسان المتمدن ، لتأكيد حاجته الى ترجمة جزء من ذلك الجانب المنزوي بعناد خلف اسمه الشخصي وكموضوع يستحق التأمل والتحليل

ضياء القاروني

هذه الرحلة الطويلة المضنية وتأقلمهما السريع فاتقا : فبعد مرور يوم واحد فقط غاص هذان (الضفدعان الشريان) الى أعماق بحر اليابان ، فتفتحت أمامهما مملكة نبتون السحرية المدهشة ، التي كانا يسمعان بها في الحكايات : على الصخور المغطاة بالأعشاب المائية ، والملفوف البحري ، تستكين قنافد البحر وتزحف نحومه بمختلف ألوانها الزاهية ، وأمامهما تمرق أسراب من الأسماك الفضية الصغيرة ، وفي الرمل ترقد متوارية أسماك موسى المفلطحة ، وهناك التقى الصغيران كولا وناديا بطل فيلم الكارتون الذي يعرفانه : الاخطبوط ، الذي تحول لونه البني - الرمادي الى ارجواني ، حالما همّ كولا بلمسه .

هذا ما قصه الصغيران على ذويهما ، وعلى مخرج الفيلم عندما عادا الى السطح ، بعد أن بادرهم كولا بنبرة حزينة : للأسف فقد نفد هواء البالون .

قضت عائلة جولوس على ساحل بحر اليابان شهرا كاملا ، وبعد انتهاء تصوير الفيلم (الذي استغرق عشرة أيام) رفض الصغيران العودة قبل أن يصادقا الدلافين . فما كان من الأب الا أن يصنع لصغيره « زعنفة قدم » شبيهة بذنب الدلفين ، ولم يجد كولا صعوبة في تعلم السباحة تحت الماء ، على غرار صديقه الحديد الدلفين غراي وفي وقت لاحق أطلق على هذا الاسلوب في السباحة اسم « سباحة الدلفين »

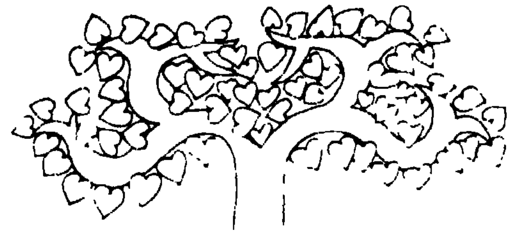
أما الدلافين فقد استقبلتهما بترحاب واضح أخذت هذه الحيوانات البحرية التي يكثر الحديث اليوم عن مؤهلاتها الذهنية ، تدور حول الصغيرين باغتباط ، وتدعوهما الى اللعب بأصوات تشبه النقر تارة والتغريد تارة أخرى .

وعندما سئل كولا : ماذا يعجبه في الدلفين ؟ قال : انه ناعم لم يكن الصغير يقصد ملمس جلد الدلفين فحسب ، انما يقصد أيضا أنه مسالم ومؤدب ورقيق الطبع يهوى الأبوان جولوس السباحة وركوب الخيل ، ويندر أن يمرضا ، لذا فهما يؤكدان أن السباحة تربي لدى الصغار الاعتماد على النفس ، مثلما تنمي لديهما ملكة التفكير ، بيد أن المهم باعتقاد الأبوين جولوس ، هو أن السباحة تطور طاقات الجسم ومرونته واتساق حركاته ، كما تعتبر خير وسيلة لتفادي الاصابات البدنية لدى الاطفال .

يبقى أن نقول ان الصغيرين كولا وناديا يهويان أيضا الحمام الفنلندي (الساونا) فبعد المكوث عشر دقائق في الحمام الجاف الذي تصل الحرارة فيه الى ١٥٠ درجة مئوية ينطلقان الى العراء الشتوي الزمهريري ليدلكا جسميهما بالثلج □

السؤدد

روى أنه لما احتضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه اسيدا فقال : يابني ان اباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وانا موصيك بما إنْ حفظته بلغت في قومك ما بلغته : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعز جارك ، واعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك واسرع النهضة في الصريخ ، فان لك اجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا فبذلك يتم سؤددك



هل يدوم الحب بين الزوجين؟

بقلم : راجي عنايت

« يموت الحب بعد الزواج ولا تبقى الا المودة والاولاد . . بمجرد الزواج ينتهي الحب وتستمر الحياة بقوة الدفع . . وبكلمات قصيرة مفادها ببساطة أن الناس لا تعرف كيف تحتفظ بحرارة مشاعرها قبل وبعد الزواج » .

ما الذي يجب علينا أن نفعله حتى يبقى الحب ويتواصل ؟ . . ما الذي يجعل علاقة الحب بين الزوجين قائمة ومستمرة ؟ . . هل هناك وصفة خاصة تحقق لنا هذا اذا ما التزمنا بها ؟ كيف يمكننا أن نقيم التوازن المطلوب بين الاحساس بالأمان والابقاء على احساس الاثارة والجدة ؟ . .

كيف نطرد السأم من العلاقة الزوجية ؟

يقول الكاتب النفسي الاجتماعي المعروف أريك فروم ، حول صعوبة استمرار علاقة الحب بين الزوجين « من الصعب أن تجد نشاطاً أو مشروعاً ، يبدأ بطوفان من الآمال الكبيرة والتوقعات المبشرة ، ثم ينتهي آخر الأمر بخيبة الأمل مثلما تجد دائماً في

واسعة فى مجموعة من الاجراءات المخيفة التى اتخذت ضد الصحف والصحفيين شارحا الصورة التى تؤكد التدخل المتزايد من جانب الحكومات فى حرية الصحافة ، وقد جاء فى البحث الذى قدمه المعهد فى كل بلد على حدة ان الصحافة فى محنة وان هذه المحنة تزداد سوءا فى أكثر من ثلاث واربعين دولة . كما دلت البحوث أيضا على ان الصورة غير واضحة فى ثمان دول ، ولكنها تحسنت فى عشر دول منذ عام ١٩٨٣ .

وقال تقرير المعهد:ان العمل كصحفى فى الدول التى تعانى صحفها من القمع يمكن ان يتعرض فيها أصحاب الاقلام الى خطر شديد ومستمر ، ثم اشار التقرير الى أحد الصحفيين الكبار الذين يعملون بمدينة لاحوس عاصمة نيجريا ، وكيف أنه ما زال سجينا وراء القضبان منذ ٣١ ديسمبر من عام ١٩٨٣ دون محاكمة ، ودون أية تهمة محددة ، رغم أن لجنة خاصة شكلتها الحكومة للتحقيق معه قد اثبتت براءته من أية جريمة يعاقب عليها القانون .

ثم ينتقل التقرير الى ايران فيشير الى ان أكثر من مائة صحفى وكاتب ما زالوا مسجونين رغم أن أحدا منهم لم يقدم الى المحاكمة ولم توجه اليه تهمة محددة .

وفى المكسيك اغتيل صحفيان عام ١٩٨٤، وفى تانزانيا تعرضت مجموعة من الصحفيين والمصورين للضرب من جانب رجال الشرطة اثناء قيامهم بواجبهم فى تغطية الاحداث . وفى اوروجواى قامت الحكومة بمصادرة ثمانٍ وعشرين صحيفة ومجلة .

ويقول رئيس مجلس ادارة المعهد ان النتائج التى توصل اليها التقرير مخيبة للآمال ، وأن الموقف لا يتحسن وانما يزداد سوءا .

وقد ذكر التقرير الدول التى تحسنت فيها ظروف حرية الصحافة وهى : الأرجنتين والبرازيل والصين ومصر واليونان والهند والكويت وكوريا الجنوبية ونيوزيلنده وهونج كونج .

دعوة الى عرس !

● امضت ديانا مالديسى الفتاة الايطالية الحسناء ذات الأربعة والعشرين ربيعا جانبا كبيرا من النهار ، تتزين وتتجمل وتتطلع الى مرآتها الصغيرة ، استعدادا للحفل الذى دعيت اليه فى مساء ذلك اليوم

كانت تبدو جميلة فى فستانها الجديد وحذائها الجديد وتسريحة شعرها التى دفعت فيها نصف مرتبها لأحد صالونات التجميل فى مدينة ميلانو . . ولكنها عندما نزلت الى الشارع تبحث عن سيارة تاكسى تقلها الى الحفل اصيبت بخيبة أمل ، فقد طالت وقفتها وهى تنتظر مرور سيارة شاغرة ، حتى بدا لها أن كل سيارات الأجرة قد شغلت بنقل المدعوين الى الحفل الكبير .

ثم حدثت المفاجأة عندما شاهدت سيارة خاصة تتوقف امامها وينزل منها رجل فى الثلاثين من عمره ، وكان يمسك بخنجر فى يده ، قال وهو يشهر سلاحه فى وجهها : (اصعدى الى السيارة بسرعة والا اغمدت خنجرى فى صدرك) .

وصعدت ديانا الى السيارة وقد استبد بها الهلع ، ثم ما لبث أن انطلق الرجل الغريب بأقصى سرعة الى مكان مخصص لوقوف السيارات . وهناك عاد الرجل يزمجر : « اخلعى ملابسك كلها ، وانزلى الى الشارع » .

وامتثلت لأوامره عندما رأت نصل الخنجر يقترب من عنقها ، لقد اقتربت الساعة وادركت انها هالكة لا محالة . ولكن ما حدث بعد ذلك ظل حديث الصحف لاسابيع طويلة وسط الحملة المحمومة التى قام بها رجال الشرطة بحثا عن الرجل صاحب السيارة التى فات ديانا أن تلتقط رقمها من فرط الذعر الذى أصابها . .

فقد انتهت مأساة الفتاة عند خروجها من السيارة مع الكلمات الغريبة التى ما زالت تدوى فى أذنيها : « لن أمسك بسوء . . تستطيعين الآن أن تعودى الى بيتك . . كل ما فى الأمر انى دعوت خطيبتى الى الذهاب معى الى حفل زواج صديقتها الليلة فى المدينة ، وليس عندها فستان جميل تضع فيه جسمها الذى يطابق تماما مقاييس قوامك الرشيق » .

الحب بين شخصين » .

المشكلة دائمة ، الحب يدعو الطرفين الى التقارب ، والتقارب إما أن يكشف التناقض أو يقود الى السأم . . ويورد الكاتب فاسيليكوس في ثلاثيته النبات والبشر والملوك » هذه الصورة الخيالية اللطيفة حول هذه المشكلة .

ذات يوم ، كانت هناك سمكة صغيرة . . لكنها كانت سمكة غريبة ، من أسفلها حتى وسطها سمكة ، ومن وسطها حتى رأسها طائر . . وقد وقعت في غرام طائر صغير ، كان هو أيضاً من وسطه حتى رأسه على صورة السمكة . كانت السمكة الطائر تقول للطائر السمكة » لماذا خلقنا هكذا ، بحيث يستحيل علينا العيش معاً ؟ ! . . أنت فوق الريح ، وأنا وسط الأمواج . . أي حظ تعس ؟ ! أجاب الطائر السمكة » بل هذا هو حظنا السعيد . . . فبهذه الطريقة سيظل الحب بيننا قائماً لأننا سنبقى دائماً على انفصال ! »

الزواج كالأرجوحة

لقد قام الباحث النفسي الاجتماعي مارتن روزنغان بتقديم نصائح سبع للمتزوجين تساعدهم على الاحتفاظ بالحب في علاقتهم الزوجية ، حيا متوقداً . . وقبل أن نقدم هذه النصائح الذهبية دعنا نستعرض بعض الحالات التي خضعت للدراسة والتي يمكن أن نتفهم من خلالها بعض أسرار الحياة الزوجية السعيدة .

مضى على زواجنا ستة أعوام ، وكان زواجاً سعيداً ، لا أنكر أننا صادفنا بعض المشاكل والحساسيات من وقت لآخر ، الا أنه عندما كنا نتعاون على حلها كانت تتناقص ويتباعد حدوثها . ونحن اليوم نحمل لبعضنا قدراً عظيماً من الحب والاحترام ، كما أننا توصلنا الى قدر من الفهم والادراك ، يسمح لنا بمناقشة الأمور وتبادل المساعدة . فالقدرة على التفاهم والاتصال هي بلا شك مفتاح السعادة .

« لقد كانت حياتنا الزوجية أشبه بركوب الارجوحة ، لها قمتها العليا وحضيضها الأسفل . . بل إن أحدنا كان يسقط في بعض الأحيان من فوق الارجوحة ويتألم من أثر السقطة . . لكننا كنا نجد متعة في الصعود مرة ثانية الى الارجوحة . . . » .

فضيلة الاستماع الى الزوجة

وتقول زوجة أخرى :

« أشعر بأنني أعيش حياة زوجية سعيدة ، فقد حظيت برجل يشاركني النجاح والفشل . . رجل أكون معه على سجيتي ، حتى وأنا في أسوأ حالاتي . إني أعتبره في واقع الأمر أفضل أصدقائي . وخلافاتنا الزوجية ، وقد مررت بالكثير منها خلال سنوات زواجنا العشر أحدني بعد كل خلاف منها أكثر حباً له . . » .

ومن ناحية أخرى يقول أحد الأزواج :

« أنا زوج سعيد ، مضت على زواجي عشر سنوات ، وكنت أحرص خلال هذه السنوات على القيام بشيء لا يقوم به الكثير من الرجال . . أعني بذلك الاستماع الى زوجتي . ولا أقصد بذلك الاستماع الى دردشتها ، بل الانتباه الى أقوالها التي تتيح لي أن أفهم مشاعرها ، وأعرف ما الذي يخلق لديها هذه المشاعر . . والا كيف لي أن أحبها حباً حقيقياً دون أن أعرفها ؟ .

الزواج . . شركة

وتسرد إحدى الزوجات فلسفة حياتها الزوجية كما يلي .

« لعل أهم ما نجحنا في تحقيقه أنا وزوجي ، هو إحساسنا بالالتزام والارتباط والمسئولية تجاه بعضنا البعض ، وتجاه اسرتنا الصغيرة . زواجنا ينجح ، لأننا نعمل على نجاحه . نحن نرى من حولنا زيجات فاشلة تتهاوى . أما السر في نجاحنا أنا وزوجي ، فيتلخص في أمرين : الأول هو فهمنا أن الزواج شركة



وزمالة ، وأي شركة تحتاج الى جهد لكي تستمر الزواج شركة لها رئيسان عليهما أن يكونا على استعداد للتضحية والتنازل الى الحد الذي يتيح للشركة أن تستمر وتنجح . لا يمكن لأحد الطرفين أو الشريكين أن يحصل على ما يريد كاملاً وطوال الوقت ، ولذا فعلى الطرفين أن يعرفا مسبقاً أنهما سيفقدان جانباً من حريتهما الشخصية أما الأمر الثاني فهو حرصنا على أن نتحدث الى بعضنا حول كل شيء ... شيئاً قرأته ، أو شيئاً رآه ، فكرة جديدة ، ذكرى قديمة . لا يهم موضوع الحديث ، الذي يهمنا هو أن يستمر التلامس الفكري والعقلي بيننا . . »

احتياجات الطرف الآخر

وأخيراً يتحدث زوج قديم عن تجربته فيقول :

« في العام القادم سنحتفل بعيد زواجنا الخامس

والعشرين . وعلى مدى هذه السنوات الطويلة ، لم يخطر على فكر أحدٍ ما مسألة الانفصال والحب الذي بينا جعل كلاً منا يفكر في احتياجات الآخر أولا ، بعكس ما يفعله معظم الناس عندما ينحصر تفكيرهم فيما يجعل كل واحدٍ منهم سعيداً

« فما هي مصادر سعادتنا وأسرار قوة ارتباطنا ؟ الأذن المنصتة عندما تسوء الأحوال في العمل مثلا . روح المشاعة اللطيفة ، عندما تظهر الحاجة الى الدعابة المشاركة في تهيئة الظروف لتنشئة الأطفال مشاركتنا لمن يحيطون بنا في حياتهم وفلسفاتهم . والارتباط بين الزوجين لا يعني أبدا أن يلتصق الواحد بالآخر حتى يكتم أنفاسه ، بل هو نوع من الالتزام نحو الطرف الآخر ونحن أدرى الناس بنواقصنا ، لكننا نعمل معا على تغليب العناصر الايجابية في كل منا ونبذل الجهد لانجاح هذه العلاقة التي تسمى ، الزواج » .

الحب والــــزواج

في مقابل ما يلصقه البعض من نواقص بنظام الزواج عامة يطرح الكاتب روزنمان ظاهرة ، تشيع في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وهي ظاهرة المعاشرة والمعايشة الدائمة بدون زواج وهو يقول إنه من واقع دراسته لهذه الظاهرة ، قد اكتشف صعوبة إقامة علاقة حب دائمة بدون زواج

وهو يقول إن العدد المتزايد من الفتيات والفتيان الذين يرتبطون بحياة مشتركة كالزواج ودون زواج تكون علاقاتهم عارضة ولا تدوم

وفي بحث للعالمة اليانور ماكلين حول « المعاشرة بدون زواج في الولايات المتحدة الأمريكية » تقول إن ظروف حياة الذين يتعاشرون ويعيشون في بيت واحد بدون زواج ، تشبه في كثير من الوجوه ظروف حياة نظرائهم الذين لا يعيشون في نفس المكان وان نسبة صغيرة جداً من اولئك الذين يعيشون في بيت واحد ، يفضلون أن تستمر حياتهم بلا زواج . وهي تعلل ذلك بأن المزايا الاجتماعية والاقتصادية والشرعية للزواج ما زالت قوية ومقنعة . ورغم شيوع موجه الهجوم على الزواج . الا أن الباحثة اليانور ماكلين تؤكد أنه اذا لم تكن البشرية قد عرفت بعد فكرة الزواج ثم اقترحها الان ولأول مره أحد علماء الاجتماع مثلا ، فان إقتراحه هذا سيحظى بالتقدير ويوصف بالذكاء ذلك لأن فكرة الزواج تكون حافلة باحتمالات العطاء الهائلة ، باعتباره وسيلة خلاقة للمشاركه في الحياة رغم ما ينشأ من مشاكل على مدى الحياة الزوجيه

الأمــــان والاثـــــارة

ومن بين المشاكل التي تقف في طريق استمرار الحب ، عدم القدرة على حفظ التوازن بين الأمان من ناحية والاثارة من ناحية اخرى فالانسان يبحث عن شريك حياته الذي يفهمه ويعتمد عليه ويسهل توقع ردود فعله ، لكنه في نفس الوقت يريد الاثارة ويسعى الى الجدة والشائع في الزواج حاليا هو حرص الشريك في العلاقه الزوجية على تحقيق الكثير من الأمان على حساب الأثارة وذلك السأم الذي يعاني منه عدد من المتزوجين ، ترمز اليه صورة ساخرة لزوجين من الطبقة المتوسطة ، يجلسان في أحد المطاعم ، يتناولان طعامهما في صمت مطبق ، لا يتبادلان كلمة واحدة .

لكن ذلك السأم لا يقتصر على المتزوجين ، فقد أجريت دراسة على ١٠٣ حالة انفصل فيها المتحابان قبل الزواج وظهر من الدراسة أن أحد الأسباب الرئيسية لانهاء العلاقة هو الاحساس المشترك بالسأم من العلاقة ، سواءً من جانب الرجل أو المرأة . التنويع هو أمضى أسلحة القضاء على السأم والمشكلة هي أن الحب غالباً ما يؤخذ كقضية مسلّم بها ، أو كحقيقة قامت وما تزال قائمة لا تحتاج الى جهد من الطرفين ، وواقع الأمر أن الحب قابل للنمو بصفة دائمة ، اذا ما أولاه الطرفان قدراً من الوقت والجهد والعناية ، على الأقل نفس الجهد الذي يبذله الطرفان في رعاية النباتات المنزلية الخاصة بهما . كما أن

الابتكار والتلقائية والخيال والمرونة يمكنها أن توفر فرصاً جديدة يكتشف فيها كل طرف آفاقاً جديدة في الطرف الآخر .

والخطأ الذي يرتكبه كل من طرفي العلاقة الزوجية هو تصورهما أنهما قد اكتشفا كل ما هو موجود في الطرف الآخر . وأساس الخطأ هو تصور أن الطرف الآخر يبقى على حاله على مدى السنوات لا تتغير فيه شيء .

العناصـــر السبعـــة

ومن واقع الدراسات التي قام بها علماء النفس والاجتماع ، يمكننا القول بأن هناك سبعة عناصر تساعد على بقاء الحب بين الزوجين لكن من المهم أن نؤكد بداية أن علاقة الحب قد تبقى في غيبة عنصر أو عنصرين من هذه العناصر السبعة ، وبشكل عام كلما تحقق قدر أكبر من العناصر التالية ، كانت فرصة الوصول الى علاقة أفضل أكثر احتمالاً . أما العناصر السبعة فهي .

١ ـ احترام وقبول الانسان لذاته

يقول أحد الأزواج « لم يكن الزواج بالنسبة لكلينا نتيجة إحساس أي منا بالسأم أو الخوف أو الوحدة في حياته السابقة على الزواج لقد كان كل واحد منا يستمتع بحياته قبل الزواج ، لكننا قررنا أن نبني معاً حياة أكثر ثراء . فالكثير من العلاقات الزوجية تصاب بالفشل ، لأن أحد الطرفين لا يحب نفسه ولا يحترمها أو يرضى عنها ، ومن ثم يصبح غير قادر على حب الآخرين

كلما زاد قبولك لنفسك ، ورضاك عنها ، تضاعفت قدرتك على فهم وقبول الطرف الآخر والرضا عن الذات لدى كل من الطرفين يساعد على تطور العلاقة بينهما

(٢) التفاهم والاتصال الجيد

التفاهم الجيد والقدرة على تبادل الأفكار والاتصال الجيد ، هذه الأشياء مفتاح هام لانجاح العلاقة بين الزوجين ، ولاستمرارها طويلاً

(٣) القـدرة على مـواجهـة الخـلافـات بشكل فعال

الذين يسعون الى علاقات متآلفة دائمة ، عليهم أن يتصدوا لما يعترض علاقاتهم من أزمات ومشاكل وخلافات ، لا أن يهربوا منها أو يغمضوا عيونهم عنها ، عليهم أن يقتحموا المشاكل بصدق وإخلاص ، لا أن يدوروا حولها

(٤) الآمـــال الواقعيـــة

المجتمع الذي يعيش فيه الانسان ووسائل الاعلام والأعمال الفنية ، تلح علينا بالآمال الرومانتيكية الحالمة ، وتنشر بأسطورة الحب الكبير الذي يكتسح أمامه كافة العقبات ، ويحل جميع المشاكل وحقيقة الأمر أن أفضل علاقات التآلف والحب يعجز فيها الطرفان عن تحقيق الكثير من آمالهما والوصول الى توقعاتهما بشكل كامل

(٥) الالتـــــزام

المحبان المتآلفان اللذان يلتزمان بالعمل معاً للحفاظ على علاقاتهما بكل ما يطرأ عليها من تغير ، وكل ما تحققه من تطور ، تكون لديهما أفضل الفرص للاحتفاظ بحبهما طويلاً ، ولتحقيق النمو المطرد للذات بالنسبة لكل منهما ففي كل علاقة حب وتآلف تمر الأوقات الصعبة . وعندما ينجح الطرفان في مواجهة الأزمات فانهما في نفس الوقت يدعمان إحساسهما بالالتزام والمشاركة والأمان .



(٦) الأماني والاهتمامات المشتركة

عندما تتوفر الاهتمامات المشتركة بين الطرفين تتزايد فرص إجراء الحوار والاستمتاع المتبادل . عندما يصل الطرفان الى مستوى الاشتراك في أحلام واحدة ويعملان معاً على تحقيقها ، فان المشاكل اليومية والأزمات الكبيرة لا يمكن أن تقف في وجه حبهما .

(٧) تقدير الطرف الآخر

تقول إحدى الزوجات « اذا ما اعارتك صديقة طبقاً من الصيني الثمين فانك تهتمين به خير اهتمام تغسلينه بيديك وترفعين عنه التراب كل قليل بحيث يبدو لامعاً زاهي النقوش على الدوام . وعندما تستعملينه يتم ذلك بحرص شديد . . ولكن بمجرد أن تقول لك الصديقة : أرى اعجابك بهذا الطبق واهتمامك به . . ولهذا فقد قررت أن أهبه لك كهدية . بمجرد أن يصبح الطبق ضمن ممتلكاتك ، يظهر على الفور اهمالك له . عند غسله تضعينه في آلة غسل الأطباق واذا ما أصابه شرخ لا يظهر عليك الانزعاج . نفس الشيء يحدث بالنسبة للمحبين ، بمجرد أن تدرك الواحدة أنها قد حصلت على رجلها بشكل كلي ، تعمد الى اهماله . »

ورغم أن التقدير المتبادل بين الطرفين ، قد يبدو من الأمور البسيطة السهلة ، لكن واقع الأمر يقول . إن من مصادر الشكوى المتكررة بين الزوجين ، هو أخذ أحد الطرفين للطرف الآخر كقضية مسلم بها ، واعتبار وجوده واستمرار العلاقة أمراً مضموناً . في العلاقات الجيدة ، يبذل الطرفان المتآلفان جهداً لتقييم وتقدير بعضهما البعض ، وهما يتبادلان التعبير عن هذه المشاعر بشكل بسيط . □

●



كان برناردشو معجبا طوال حياته بشخصية النبى محمد عليه الصلاة والسلام فكان يرى فى حياته ورسالته تجسيدا للبطولة كما يفهمها ، وقد اراد شو أن يكتب مسرحية تتناول حياة الرسول الا ان السلطات البريطانية منعته لان ذلك سيثير رعاياها المسلمين،لأن الدين الاسلامى يحرم تمثيل شخصية الرسول على المسرح ومع ذلك فقد نطق شو فى مسرحياته بكثير من التعليقات التى تشير الى حياة النبى الكريم فالشيخ فى مسرحية (العودة الى متوشالح) يقول عن النبى (إنه عميق الحكمة . . .) كما ان فى مسرحية (القديسة جان دارك) الكثير من الاشارات الى النبى محمد وفى قول مأثور له يقول عن النبى محمد : اما انا فأرى واجبا ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » واعتقد أن رجلا مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته وأحل فيه السعادة والسلام



طبيب الأسرة

عزيزتي الام . . تذوقي دواء ابنك :

السكر وتسوس أسنان الأطفال

« لم نعد نحن المسئولين فقط ، فلم تعد قطع الحلوى التي نكافىء بها أعفالنا هي السبب في تسوس أسنانهم بل صار ـ وياللعجب ـ من بعض الدواء الداء ! »

الدكتور عدنان الطاهر ينبهك عريزتي الأم الى سبب جديد من أسباب تسوس الاسنان. يدخل السكر تقريبا في تركيب ادوية الأطفال السائلة ، حيث يكون الفم السبيل الطبيعي لتناولها ، سواء أكانت مشروبا للقضاء على سعال الطفل ، أم مضادا حيويا قويا . والسبب مفهوم ومعروف يقوم على اغراء الطفل متقبل الدواء ، وهو غالبا مايكون غير سائغ . ولقد وجد أنه رغم أن معاجين الاسنان الحاوية على الفلور ووسائل التحلية الصناعية قد اخترلت فعلا من وتائر الاصابة بمرض تسوس الاسنان لدى الاطفال،الا ان الادوية المحلاة لم تزل تسبب بعض حالات التسوس ولاسيما بين الاطفال دائمي الاعتلال ، اما أطباء الاسنان المختصون المعنيون بهذا الامر فان غالبيتهم الان ترى ضرورة منع انتاج مثل هذه الادوية بشكل قطعي ، والتوقف عن تعريض اسنان الاطفال للدمار ، وخصوصا أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والرابعة . يقول رئيس الاطباء في مستشفى مدينة تورنتو الكندية : إن الادوية التي تعطى للكبار عادة بشكل كبسولات هي نفسها التي تعطى للصغار مذابة في سوائل حلوة ـ عير أن هذا الطبيب يسارع للقول انه ليس أمام الطبيب من خيار آحر مادامت معظم الادوية المتوفرة اليوم لاتخلو من السكر ، وعليه فان اصلاح السن المعطوبة يتطلب في اغلب الاحوال عملا مرتفع الثمن حتى بالنسبة لاطفال هم في سن الثانية فقط

يضع أطباء الاسنان اللوم على أدوية الاطفال التي



تدخل في تركيبها نسبة عالية من السكر ، ويعتقد خبراء طب الاسنان الوقائي أن محلولا من السكر ضعيف التركيز لايؤثر على الاسنان بشكل كامل وعليه فان مثل هذا المحلول ليس بالضرورة قادرا على تكوين المناخ اللازم لعملية التسوس ، ثم ان استعمال مواد التحلية الصناعية البديلة للسكر يمكن أن يكون الحل الافضل ، رغم ان شركات الادوية مازالت تتجنب استخدام مثل هذه المواد بسبب علاء ثمنها بالمقارنة مع السكر

هناك مادتان معروفتان اليوم للتحلية الصناعية . اسبرتام وزايليتول

ويمكن استعمال أي منهما لجعل الدواء مقبول الطعم مع المحافظة على الاسنان دونما أي تسوس فلقد بينت تجارب اجريت في كل من فنلندا والولايات المتحدة الامريكية أن الرايليتول قد قضى على البكتريا المسببة للحموضة . ولكن رغم ذلك فان الرايليتول لم يستعمل الا في كندا كمادة محلية تدخل في تركيب اللبان بدل السكر

فمادامت الادوية المتداولة اليوم هي سكرية الطعم فان أطباء الاسنان ينصحون أن يغسل الطفل أسنانه بالفرشاة ومعجون الاسنان قبل وبعد تناوله مثل هذه الادوية . □

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

الحاسة السادسة

● **أسمع عن الحاسة السادسة ولا أتبين حقيقتها ، فأرجو افادتي عنها ، ولكم وافر الشكر**

ج . ع . ق

طرابلس الغرب

- يعزى تحديد الحواس عند الانسان بخمس حواس الى الفيلسوف اليوناني القديم أرسطو ، الذي وزع أحاسيس الانسان على الشم والذوق والبصر والسمع واللمس .

ومنذ عهد أرسطو سار الناس على نفس النهج ، دون جدال أو مناقشة ، واعتبروا الأمر مسلما به ، غير أن بعض المجتهدين الذين أرادوا أن يجدوا تفسيرا لشعور الانسان المبهم ، وتوقعه لحدوث أمر ما ربما يصدق معه الحدس والتخمين ، فاطلقوا اسم الحاسة السادسة على اعتبار أن الشعور بالغيبيات ، وتوقع أمر ربما يحدث هو شكل من أشكال الأحاسيس ، وما هو الا توقع مبهم ، يعتمد على أمور عدة ، منها الشك ، ومنها التجربة السابقة والتخمين ، ورصد الاحتمالات المتوقعة التي لا علاقة لها بموقع محدد من الجهاز العصبي ، كما هو شأن الحواس الخمس الأخرى

غير أن أمر الحاسة السادسة ، الذي وجد هوى عند المؤمنين بالغيبيات ، لا يجد قبولا عند جمهور الأطباء ، الذين رفضوا أيضا مبدأ تحديد الحواس بخمس فقط ، فقد اكتشفوا أن حواس الانسان أكثر من أن تحصر .

ولو كان لنا أن نعد ما عرف من حواس لدى الانسان فاننا قد نتجاوز الثلاثين عدا ، اذ سنعتبر العطش احساسا ، والجوع أيضا احساسا كما أن الألم احساس

هذا الى أن قصر احساسات الجلد على اللمس

يعتبر رأيا خاطئا ، بعدما وجد العلماء نهايات أعصاب متعددة مختلفة ، منها ما هو خاص باحساس الحرارة ، ومنها احساس البرودة ، أو احساس الضغط ، بالاضافة الى احساس الألم واحساس اللمس

ومن هنا نجد أن الحاسة السادسة لا مكان لها في العرف الطبي الذي لا يرقم الأحاسيس .

الدهون المشبعة

● **نصحني الطبيب بتفادي الدهون الحيوانية واستعمال الزيوت النباتية ، خوفا من تصلب الشرايين ، لأن الدهن الحيواني دهن مشبع بالكوليسترول فهل هذا صحيح ، و أي الدهون تكون خالية من الكوليسترول ؟ .**

سالم . أ و

الكويت

ـ من المعروف أن الدهون بصفة عامة هي تركيب معقد أساسه شقان .

الشق الأول جزيء الجلسرين

الشق الثاني الأحماض الدهنية

والأحماض الدهنية متعددة ، وكل منها له تركيب معقد متميز عن الآخر ، فاذا اجتمع بعض منها ـ وعادة ما يكون ثلاثة أحماض مع جزيء الجلسرين ـ نتج نوع من الدهون التي منها الزبد مثلا ، أو زيت الزيتون ، أو زيت الذرة . والأحماض الدهنية المعقدة التركيب يدخل فيها عنصر الهيدروجين بدرجة أو بأخرى ، فاذا ما كانت ذرات الهيدروجين مرتبطة بمواضعها بنسبة كبيرة ، قد تصل الى مستوى التشبع ، أطلق عليها العلماء لقب المشبعة وصار الدهن الذي دخلت في تركيبه هذه الأحماض مشبعا

أما العكس فيحدث عندما تقل نسبة ذرات الهيدروجين في تركيب الأحماض الدهنية المكونه للدهن

وقد لوحظ أن الدهون ذات المصدر الحيواني تكون من النوع المشبع ، وعلى نقيضها تكون الدهون النباتية .

وقد اتحدت الدهون المشبعة ونقيضها الدهون غير المشبعة صفات ملحوظة متفقا عليها ، منها : أن الدهون المشبعة ذات المصدر الحيواني تكون جامدة القوام ، في درجة حرارة الغرفة العادية ، كما أنها غنية بمحتواها من مادة الكوليسترول المتهمة في قضية تصلب الشرايين ، حيث تترسب عندما تزيد بين طبقات جدران الشرايين ، وتؤدي بمرور الأيام الى تصلبها ، وتنتهي الى نوبات القلب وارتفاع ضغط الدم ، أو مضاعفات اصابات المخ وما اليه

أما الدهن النباتي غير المشبع عادة فانه يكون سائلا في درجة حرارة الغرفة العاديه ، و أقل احتواء لمادة الكوليسترول ، لهذا فهو مرغوب به صحيا ، للوقايه والعلاج من المشاكل المشار اليها غير أن الدهن حيواني المصدر أطيب نكهة لدى الناس وأشهى مذاق في الطعام ، ومن هنا لجأ العلماء الى حيلة توفق بين هذا وذاك ، عن طريق اضافة الهيدروجين الى الزيوت النباتية ، لتكتسب صفة الدهون الحيوانية ، مع ضمان نسبة من الكوليسترول أقل من نسبته في الدهن الحيواني الطبيعي

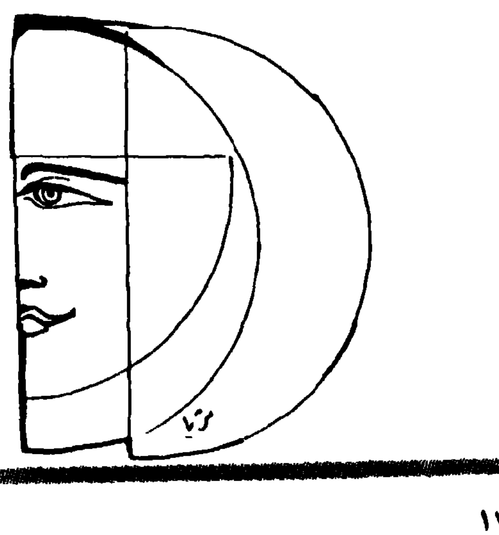
ومن هنا أصبح الدهن الصناعي دهنا مشبعا ، ولكن من مصدر نباتي



هو.... الفندق

بعد عام واحد فقط من الزواج ، بدأ يفر من البيت ، ولم يكن هذا الفرارمفاجئا ولامباشرا ، ولكنه بدأ بالتدريج .. حتى اصبح البيت بالنسبة له اشبه بفندق ، يعود من العمل ، يتناول الغداء .. ينام ، يستيقظ ، يغادر البيت ، يعود ليلا فينام .. ليبدأ دورة يوم جديد ..

حاولت كثيرا أن اوقف حالة الهروب في بدايتها لكن كنت كمن يحاول أن يحتفظ بالماء بين أصابعه ، بدأت حالته بعد ستة شهور من الزواج ، ذات يوم وجدته قد ارتدى ملابسه واخبرني انه ذاهب لموعد مع بعض اصدقائه .. ظننت يومها انها نزوة لن تتكرر ، بعد اسبوع عاد وخرج .. بعد اربعة ايام ، بعد يومين .. ثم كل يوم .. خلال هذه الفترة حاولت كثيرا بالنقاش ان أصل الى تحديد المكان الذي يذهب اليه ، ومن يقابل .. ، و .. و .. وتحول النقاش في كل مرة الى شجار ، قلت له انني اقلق عليه لتأخره في



الخارج ، سمعت كلاما عن انه ليس طفلا .. ووعد بأنه قبل أن يغادر البيت سيقول لي متى يعود .. اقترحت عليه أن يلتقي مع أصدقائه في البيت عندنا ، نظر الى بريبة وشك وصمت .. في نهاية الاسبوع فوجئت بستة رجال يحتلون مقاعد الصالون ويحتسون عددا لااذكره من أكواب الشاي والقهوة .. ويلتهمون كمية كبيرة من طعام العشاء .. واصواتهم تصل الى غرفة النوم فيملأونها بالضجيج والضحكات والصخب والكلام الجاد والنكات،والالفاظ التي تخدش الحياء تصل كالهمس .. مهما حاولوا ان يخفضوا من نبرات اصواتهم ، صباح اليوم التالي وانا واقفة اغسل الاطباق والاكواب لعنت الفكرة والمحاولة .. ونحن نتناول الافطار قلت له بهدوء . ارجو الايتكرر ماحدث في ليلة أمس .. وقابلهم في اي مكان تشاء .. وانتهت مناقشاتنا ومات اى تفكير لي بأن احاول ايقاف هروبه .. واعترف أن مشاعره تجاهي كما هي .. ورعايته لي لاتنقص، ولم أطلب شئيا وتقاعس عن تحقيقه ، ولم أسأله يوما ان نخرج وحدنا لنزهة او زيارة وتردد ، وصارت الاوقات التي يقضيها في البيت ـ على قلتها ـ يحاول ان يكون فيها رقيقا ودودا .. متساهلا .. ولكنه يهرب ، يفر من البيت .. اشكو الوحدة ساعات طويلة ، ابحث عن نقاشاتنا ومشاجراتنا وصفائنا .. افتقد الانسان ، التواجد ، الحوار .. المشاركة في الدقائق والساعات .. في الزمان والمكان ، ولكنني لأجده .

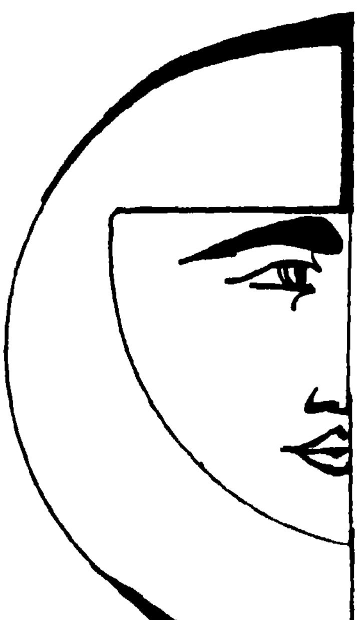
هدى

هي....

خوفُ الملل

لا اذكر تماما من الذي قال إن كل الأشياء تحمل في داخلهابذور موتها وفنائها . . وكم هي صحيحة هده المقولة . . على الاقل بالنسبة لي تتهمني دائما بانني لاافهم الحياة الزوجية ، وانني أحلت البيت الى فندق للطعام والنوم . . وانه مطلوب مني أن أتواجد في البيت . . اتكلم معها اناقش . . حتى أتشاجر ، تصوروا تشتاق للمشاجرة .

لم أستطع أن أشرح لها وجهة نظري كاملة خشية أن اجرح مشاعرها . . ولكنني أتصور انى على صواب ، فماذا يفعل بنا الالتصاق الشديد



بمن نحب ؟ والى ماذا يؤدي ؟ اننا لانرى العالم الا من خلال عيوننا ، واننا لانحتك بالحياة الا في اطار خبراتنا ، ببساطة شديدة ستظل احاديثنا ورؤانا واحساسنا بالاشياء يدور في مستوى مغلق لايتجاوزه . . تصبح ردود الفعل محفوظة . . والأراء متوقعة والاحاسيس متكررة . . وتنتقل عدوى رتابة الحياة وأزماتها لتلتصق باحساسنا الداخلي فتعطله ، ويعشش الملل والتكرار فوق الحياة وأنا الحريص على تجددها وتألقها . . فماذا فعلت ؟ انسحبت من دائرة الالتصاق . . الى دائرة الاصدقاء . . حيث الأراء متنوعة . .

والاختلافات قائمة والرؤية مختلفة . . ووقائع الحياة متباينة فتزداد الخبرة تنوعا . . والأراء نضجا ، واعود اليها محملا برؤية مستمرة ومتجددة للحياة والناس . . تمتلىء بتفاصيل ووقائع تثرى المعرفة الانسانية .

ولم اقصر في علاقة عائلية تربطنا او مناسبة تستدعي وجودنا معا . . وبرغم هروبي كما تسميه هي . . لم تخفت مشاعري تجاهها . . واعود الى البيت وفوق وجهي ابتسامة . . والقاها متهللا . . ولكنها تريدني ضمن اثاث البيت قطعة ثابتة لاتتحرك . . واذا لم تجدها فهذه سرقة . . حاولت كثيرا أن افهمها انني ادافع عن حياتنا ضد شبح الملل والرتابة ولكنها لاتؤمن ولاتصدق ولاترى أى حوف من الالتصاق .

هو

تلوث المياه .. واكتشافات جديدة !



بقلم : محمد عزو صفر *

منذ مطلع السبعينيات والعالم المتقدم يعيش ثورة بيئية جارفة . تستهدف أولا الاحاطة بظاهرة التلوث ، وحصر عناصرها وفهم أسبابها ومسح نطاقها . وتهدف الثورة البيئية الى ما هو أهم من ذلك . الى مكافحة التلوث والقضاء عليه . . فما هو السبيل الى هذه المكافحة ؟

تبين للعلماء والمختصين أن للتلوث صروبا رئيسية ثلاثة تلوث الهواء ، وتلوث اليابسة ، وتلوث الماء وتبين لهم أيضا أن هذا التلوث الاخير يشمل تلوث البحار والمحيطات من جهة ، وتلوث الماء العذب والانهار والبحيرات من جهة ثانية ولما كان الماء العذب لاغنى عن شربه للانسان كان تلوثه أشد خطرا وأبعد أثرا من تلوث البحار والمحيطات ، وكانت الحاجة الى القضاء على تلوثه أكثر الحاحا . .

هذا ما أجمع عليه العلماء والمختصون طوال السنوات الماضية . . ولكن ثمة اكتشافات جديدة ضاعفت اهتمامهم بتلوث الماء العذب ومكافحته . فقد اكتشف العلماء الامريكيون أن المياه الجوفية ليست في مأمن من التلوث كما اعتقدوا حتى الامس

---

* رئيس التدقيق والاحصاءات المناخية بادارة الارصاد الجوية الكويتية وله عدة ابحاث ومؤلفات في حقل الارصاد البيئية

قراءة في البدن

بقلم : الدكتور محمد حكمت عبد الدائم

هل تعلم أن بدنك أعضاء وأجهزة شتى قد تمايزت وتآلفت أشد التمايز والتآلف ؟ طبعا تعلم . لكن هل تساءلت يوما أي هذه الأعضاء هو الأجل والأهم ؟

أهو دماغك ، الحاكم غير المتحكم ، الذى يدبر معاشك في النوم واليقظة ، وبه تعلم وتتعلم ، وتسعد وتعصب ، وتحرم وتتردد ؟ أما حلاياه فملايين مؤلفة في صفوف مرتبة بانتظام لا تيه فيه ، وقد توزعت المهام فيها بينها ، فمنها المحرك ، ومنها صاحب الحس ، ومنها المدرك ، ومنها المُنطق ، ومنها السامع ، ومنها المفعل ، ومنها الكثيرات لانعلم بعد ماذا تفعل ؟

أم هي عينك التي تصغر قبضه يدك ، والتي بها تحدق في الصغير والكبير والداني والقاصي ، المتحرك والساكن ، الجميل وغير الجميل ، ترى ما تقرأ ، وتقرأ ما ترى بسرعة هي لمح البصر ؟ أدام الله لها جفنيها يقيانها من سهاد وغبار وطول نظر .

أم أذنك التي لا ترى منها سوى صيوانها جامع الأصوات ، وما خفى منها أعظم شأنا وأدق تركيبا ، ومهمتها التقاط الموجات الصوتية الأثيرية على اختلافها ، ثم تركيزها ، ثم تحويلها الى اشارات كهربائيه عصبيه يفهمها دماغك ؟ وفى حوف أدنك ثلاث عظيمات دقيقة التصميم ، هى أصغر العظام التى فىك تهتز المطرقة أولا ، فتطرق السندان ، وهى الوسطى التى تهز بدورها الركابة وهى الصغرى وباهتزارها تحوّل العظيمات الاصوات الواردة من تموحات هوائيه في حارح أدنك الى تموحات حلطية فى باطنها ، فتهتز لذلك شعيرات الخلايا العصبية السابحة في باطن الخلط من باطن الأذن ؟

أما انفك فما خبره ؟ أيكفى انك عبره تستنشق الهواء وترفره ألف مرة كل ساعة ساعة بعد ساعة ، فيدفئه ويرطبه وينظفه ؟ لا ، فهو ايضا الذى يستنشم لك ما حولك ، فيميز الطيب من الخبيث من نبات وطعام وريح ؟

أم الفم ؟ مدخل الشراب والغذاء وملفظ الصوت وحسبه هاتان ذكرا ، واسأل عن أهميته رجال الطوارق الذين ستروه حرصا عليه

أما العنق فهو الذى يصلك (وقد اعتبرناك موحدا



في رأسك) سائر أعضاء بدنك ، عبره تمر كل رسالة ذاهبة أو واردة من دماغك المدبر الى جسمك المسيّر ، وما اكثرها ، وعبره يمر الهواء من رئتيك واليهما ، ويمر المبلوع الى معدتك ، والدم فيه صاعد ونازل ؟

والرئتان ، الا تحس بهما تنتفخان عشرين مرة في الدقيقة من أجل مص الهواء اليهما واستخلاص أوكسجين الحياة منه ، ثم زفر ثاني أوكسيد الكربون فيه ؟ زد على ذلك أن الرئتين مصفاتان للدم الساري عبرهما بغير استقرار ، تبرئانه مما فيه من جراثيم وشوائب شتى ثم زد على ذلك أيضا أن للرئتين دورا في استقلاب بعض هرموناتك وأضف في النهاية أن في رئتيك خلايا بيضاء مجندة لمواجهة كل جرثومة متسللة مع الهواء . وما أكثرها ؟

أما القلب فاسمه يكفي دلالة على أهميته يخفق أربعين مليون خفقة كل سنة ، وملياري خفقة ونصف المليار في سبعين سنة ليلا ونهارا دون راحة ، هذا اذا لم يسرع ، وهو يسرع ان أنت أسرعت ، ويبطىء ان أنت ابطأت،لو سكن خمس ثوان وقعت مغشيا عليك ، واذا سكن خمس دقائق فقدناك وما فقدك الله يدفع بعشرة ألتار من الدم في كل دقيقة ، نصفها الى الرئتين ونصفها الى سائر أنحائك

أما أمعاؤك فتهضم كل ما ترمي فيها من طعام مقطع أو شراب مركز أو دواء مركب ، دافعة به الى الأسفل لا الى الأعلى ، ولو دفعت به الى الأعلى لتقيأت ، تمتص منه ما يلزم لحياة سائر أعضائك ، ثم بعد ذلك تقذف بما فضل خارجا

تلتحق بها الكبد الكبيرة القابعة في كشحك الأيمن ،وزنها ألف وخمسمائة غرام ، وشأنها عظيم ، تختزن السكر والدسم وربما البروتين ، وكذلك الفيتامينات ، بل وتختزن الدم ذاته ، ثم هي المصنع الكيماوي الأول في البدن ، تركب فيها تركب بروتينات وعوامل التخثر التي تمنع استنزاف دمك كما أن الكبد تمرر صفراء هاضمة ، طارحة فيها من السموم التي لم يتم تقويضها في خلاياها ، وكذلك في الختام هي مركز الاستقلاب الأول في بدنك ، وكفاها هذا عملا جللا

أم الكليتان ؟ وفي كل واحدة منها ألف مصفاة ربع الكليتين يكفي لاداء عمل الاثنتين ولولا عملهما لفسد خلطك وافتقر دمك،وارتفع ضغطك ، ورقت عظامك ، واختلت اعضاؤك ، وتخبل دماغك ، ثم نفرت روحك من جسمك .

أم العظام ؟ وقد أنشئت صغيرة وكبيرة عريضة وطويلة ، تقويما لك تحسبها جامدة وهي في تخلق لا يتوقف اذا كسرتها التحمت ، واذا حركتها تفاصلت ظاهرها صلد ترتكز عليه ، وباطنها رخو يصنع الدم الذي تخشى إراقته

هذا بعض عن البعض من جسدك ، وقد تمايزت أعضاؤه أبلغ التمايز ، ولكنها تآلفت وتراحمت أشد التآلف والتراحم ، حتى اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد « بالحمى والسهر » . ولذلك علة فهذه الأعضاء كلها ما نشأت الا من خلية واحدة ، وان شئت من نصفين خلويين من أب ومن أم ، اجتمعا وتوحدا ليشكلا وحدة خلوية واحدة تحمل رسالة وراثية مسطورة على شريطين وراثيين صغيين قابعين في النواة تكاثرت وتناسلت لتعطي كل ما فيك فأنت من أولك الى اخرك من تلك الخلية ، وأنت من اولك الى آخرك تلك الرسالة المستنسخة الواحدة المقروءة في كل خلية من خلاياك وكل عضو من أعضائك ، شئت أم أبيت . فاذا أدركت هذه الحقيقة ما ادركتها الا بها ، فأنت قارئها ومقروؤها ، وأنت العبرة والمعتبر ، وهي فيك أصلك وعلة وجودك فأعلم . فان علمت علمت بما فيك وما زدت ، وان جهلت جهلت ما فيك وما نقصت ☐



الخضراوات غذاء ودواء وعلاج

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الخضراوات اذا أحسن إنتاجها واعدادها لا تعد عظيمة القيمة لغذاء الانسان فحسب،بل يمكن الاستفادة منها في علاج الحالات المرضية . . . . وفي هذا المقال عرض للفوائد التي تعود على الانسان اذا أحسن اختيار نوع الخضراوات غذاء ودواء وعلاجا .

تحتوي الخَضراوات على عدة قلويات وأملاح تبطل الضرر الناشىء عن الأحماض الضارة المترتبة عن الهضم ، وعن تحلل المركبات الغذائية ، لذا فهي تعطى للأطفال لتعويض النقص الناتج عن قصر التغذية على الحليب والألبان الجافة الصناعية التي تعطى لهم ، لأن الحليب لا يحتوي على ما يكفي من حديد .

واذا تحدثنا عن الأملاح المعدنية والفيتامينات وجدنا أن السلطة الخضراء غنية جداً بما يحويه الجرجير من يود وجير زائدين،وبما في البقدونس والخس من حديد وفير .

وثراء البقدونس والجزر بفيتامين « أ » الذي يحافظ على كيان الأغشية المخاطية ويزيد من مقاومة العدوى ، كما يساعد على النمو .

وقد عرف اليونان والرومان البازلاء قديما، ووصفوها غذاء للناقهين والمسنين والمصابين بضعف المعدة . وهذا ما أيدته تجارب الهضم ، فقد ثبت ان البازلاء الطازجة أسهل خضراوات الشتاء هضما واسرعها .

وهذا مما يجعلها من أنسب الخَضراوات التي تعطى حتى للاطفال الذين مازالوا في طور الرضاعة ، فلا يوجد من بين الخضراوات من يجمع في آن واحد سهولة الهضم ووفرة البروتين والحديد ، فضلا عما بها من كميات غير قليلة من الفيتامينات .

الخَضراوات « والكولسترول » :

« الكولسترول » مادة موجودة في دم كل انسان ،

نها تتكون الحصيات التي نجدها في حويصلة
ـرارة ، ويتخلص منها المريض بعملية جراحية .
كـول = المـرارة ، واستيـرول = اسم الفصيـلة
كيماوية . وهي ملحقة بالزيوت والدهون التي
صدرها الحيوان) . وهي المادة التي تكثر في الدم
تصيب الشرايين بالتصلب،وتلحق بالجهاز الدموى
ومن ورائه القلب بأضرار كثيرة .

والطريقة التي ينصح بها الأطباء في المعالجة هي أن يكف المريض عن الاكثار من أكل الأطعمة التي تزيد نسبة « الكوليسترول » في الدم كالزبد ، ودهن اللحوم والكلى والمخ والبيض . وهنا يظهر دور الخضراوات في غذاء الانسان ، فهي تحتوى على مادة غذائية خالية من « الكوليسترول » .

الامساك والخضراوات :

وتحتوي الخضراوات على كثير من الألياف التي تقاوم العصارات الهاضمة ، فتبقى دون تغيير حتى تبلغ الامعاء الغليظة ، وفيها تبدأ اهمية الألياف وفائدتها ، اذ تدخل بقايا الأطعمة في الجزء الأول من الأمعاء الغليظة . وهي في حالة سائلة ، فيمتص هذا الجزء أغلب ما في بقايا الطعام من ماء ، فتصبح لاهي بالسائل الذي يخرج اسهالا ، ولا هي بالجامد الذي يخرج امساكا . وما بقي في بقايا الطعام من ماء فانه كاف لجعل الألياف منفوشة .

وبذلك تملأ الأمعاء الغليظة ، وتحك جدارها ، فتنشط تبعا لذلك حركتها الدودية ، فيتحرك ما بداخلها ويندفع الى الامام ليطرد الى الخارج .

وتذكرنا علاقة الخضراوات بالامساك بقصة الفلاح الانجليزي الفقير توماس بار ، الذي ظل يزاول عمله الشاق حتى المائة والثلاثين ، ولم يمت الا في سن الثانية والخمسين بعد المائة . وقد اهتم الدكتور هارفي مكتشف قوانين الدورة الدموية بتشريح جثته بنفسه ، فأدهشه أن يجد أعضاءه الحيوية على أحسن حال ، فالقلب طبيعي من كل وجه ، والأوعية الدموية خالية من أي أثر للتليف أو التصلب ، وكان أهم ما ثبت من الاستقصاء الدقيق ، ان توماس بار لم يصب طول حياته بمتاعب هضمية تعوق التبرز ، فلم يعرف الامساك طول حياته ، وثبت أيضا أنه كان قليل الأكل ، وان غذاءه كان في الغالب الجبن الفريش واللبن الرائب ، ، وكميات كبيرة من الخضر والخبز الأسمر .

الخضراوات والبول السكري :

يوجد السكر دائما في الدم بمقدار معلوم تقريبا ، ولا يظهر في البول عند الفرد السليم الجسم . أما في حالة المرض فان قدرة الجسم على الاستفادة من المركبات النشوية والسكرية والكربوهيدراتية عموما ، تتأثر بدرجة تزيد أو تنقص حسب مقدار النقص في عصارة غدة البنكرياس المسماة « انسولين » وهذه العصارة هي الافراز الداخلي لتلك الغدة ، وهو غير افرازها الخارجي الذي يصب في الامعاء .

والأنسولين مهم وضروري لحرق وأكسدة السكر الذي يأتي عن طريق الدم . فاذا قلت كمية الأنسولين ، فان السكر لا يتأكسد ولا يستهلك كله أو بعضه حسب درجة المرض ، فتزيد كميته في الدم عن معدلها الطبيعي ، بحيث يرتفع منسوب ما تحجزه الكلى ، فيتصرف المقدار الزائد منه مع البول .

ومن سبل علاج هذه الحالة اتباع نظام غذائي خاص ، يراعى فيه تحديد كمية المركبات « الكربوهيدراتية » ، بالقدر الذي يجعل المريض قادرا على استهلاكها من غير ظهور سكر في البول ، وتكوين الدهون في الجسم ، كما يجعل مقدار المواد الدهنية في الحدود التي يمكن للجسم أن يحرقها .

وعلى العموم فان من الضروري الاكثار من الخضراوات الطازجة ، لتمد الجسم بكثير من حاجاته ، وذلك دون زيادة في معدل المركبات «الكربوهيدراتية» والدهنية ، فالخضراوات الطازجة لا تحتوي من المركبات النشوية والسكرية والدهنية الا على قدر قليل يتناسب مع ظروف هذا المرض ، ولا نستثني من ذلك غير البطاطا والبقوليات خصوصا الجاف منها . □

بائعو الوهم

لماذا نكتب ؟ يقيناً ليس لمجرد أن نرى أسماءنا مطبوعة ، ولا رغبة منا في أن نكتسب نفوذاً أو تقرباً من السلطة ، ورغم أن بعض الذين يكتبون لا هم لهم سوى هذه الأهداف القصيرة المدى . الصغيرة الحجم . الا أننا نتصور أن الكتابة عمل انساني يهدف بالدرجة الأولى الى تنوير القراء والى وضع كثير من النقاط فوق كثير من الأحرف كي تصبح قراءة الواقع ممكنة وفهم الحياة مستطاعاً . . والتعامل مع المتغيرات أيسر الكتابة ما لم تكن تعبيراً عن حق ملايين القراء في حياة أفضل بكل معانيها فهي لا تساوي وزنها ورقاً ، حق الانسان في الحرية والتعبير والاعتقاد ، وحق التعليم والعمل ، وحتى حقه في الاختلاف وهذه الحقوق لا تنفصل ابداً عن المجتمع الذي يحيا فيه البشر . . وعن طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تفرز من داخلها شكل السلطة السياسية

وفي زمان الأزمة والتردي فإن البعض للأسف قد احترف كتابة ما يسمونه بالسطور المتماثلة الوردية ، واحترف تجميل وجه قبيح لا تجدي فيه جراحات التجميل ، وامتهن تقديم الحلول الجاهزة والأحلام الزائفة عن الفقراء الذين سعدوا فجأة وعن الأحياء الذين انتصروا على كل التقاليد والأزمات وعن البسطاء الذين أثروا لأن الحظ أراد أن يكافئهم على طول صبرهم ورضاهم ، وأدمن القراء معهم الأحلام البسيطة المريضة . وأصبح حل مشكلات الحياة ـ على كثرتها ـ يترقب الحظ والقدر وعديداً من الأسباب ليس من ضمنها ارادة الانسان من حيث هو انسان فرد ، وارادة المجتمع من حيث هو تنظيم وقوة ضغط كبيرة لإحداث التغير ، لكن الحياة ليست بالجمال الذي يزيفونه ولا بالبساطة التي يروجونها ، وأزمات الفقراء ليست دراما اسطورية تحل على طريقة الشاطر حسن أو الأميرة سندريلا . الحياة إرادة إنسانية واعية ، تدرك عمق الأزمة التي يحياها انسان العصر . . ورؤية عميقة لمشكلته ، وانها ليست حالة شخصية بقدر ما هي جزء من مشكلة المجتمع ككل،وان حل المشكلة الفردية لا يمكن أن يكون حلاً صحياً الا في إطار تطور المجتمع والتغلب على مشاكله . . أما ان يردد البعض القصص والحكايات عن نماذج انسانية انتصرت فجأة على كل هموم الحياة . . ويظل يرددها كأنها هي القانون والقاعدة ، فهؤلاء هم الذين يحترفون بيع الوهم . . . يقدمون للقراء جرعة من المخدرات كي تنسى همومها وعذاباتها وتنتظر هذا الأمل العبثي الذي يحيل كل البسطاء الفقراء الى أثرياء أصحاء سعداء .

وتظل كتابات البعض رغم كل هذه الأحلام الزائفة . . محاولات حقيقية لأن يرى بسطاء هذا الوطن حقيقة الحياة وعمق الواقع . . وان أي غد جميل لا يصنعه الا كل الناس المؤمنين بالخير والحق والجمال . . للجموع . . كل الجموع . ■

محمود عبد الوهاب



الفصول

شعر : ابراهيم نصر الله

فليذكر الخريف
حين تسقط الأوراق
والألوان
بأنني ريح على الأغصان
تنمو
وتعلو
ثم تغدو غيمة
وشارعا يخضر بالطوفان

ـ ٢ ـ

فليذكر الشتاء
حين تسقط الأمطار
ويدخل الغناء في المساء « ميجنا »
ويوقد الأسرار
بأنني زيتونة من نار
تمتد بين الموت والحياة
وتوقظ الينبوع من سباته
وتوقظ الأنهار

ـ ٣ ـ

فليذكر الربيع
بأنني تلك الشوراع التي تمضي بها أزهاره
وتورق الرمال
وليبتكر ماشاء من حدائق
وليبتكر ماشاء من ظلال

فإنني التلال والحقول
وانني الغابات في الجبال .

ـ ٤ ـ

فليذكر الصيف
بأن هذي الأرض لي
وهذه الآفاق لي سفينة
ووردتي السيف
فليذكر الصيف
اني اذا ماجاءني الرصاص
من شباكي المفتوح
في ليلة تمضي لكي تغفو
فليذكر الصيف
بأنني قتيل هذا الضوء في شرفته
وانني لنخله
ونجمه سقف
فليذكر الصيف .

استراحة العربي

طرفة :

جلس الرجل في قاعة انتظار المحلل النفسي فسأله المريض الوحيد الذي كان في القاعة .
- تبدو مضطربا . ما الأمر ؟
أعتقد أنني أعاني من ازدواج في الشخصية
- هاقد أصبحنا أربعة اذن

تعريفات :

الطبيب النفسي : هو الرجل الذي لايقلق طالما قلق الآخرون .
النجاح : هو الحصول على مال لدفع ضرائب ماكنت لتدفعها لو لم تنجح .
الانتحار : هو أقسى أنواع نقد الذات .

النسبة والتناسب :

الرجل الذي يعتقد أن الزواج خسارة بنسبة ٥٠٪ هو رجل لايعرف النساء . . ولا النسب المئوية .

قول على قول :

قال حكيم . لاتؤجل عمل اليوم الى الغد
وأضاف حكيم آخر
● . . نعم فلو أنك استمتعت بما فعلته اليوم فإنك ستكرره غدا .

****

بعد الأوان

زحف الشعرات البيض يقتضي منا دائما أن نسكب الماء البارد على جدوة حبنا وحماسنا . ونقيم حولنا على الرغم منا قضبانا حديدية ثقيلة من الحشمة والوقار والحرص على المظاهر . . مع برود رتيب كدقات الساعة . . . يثير الأعصاب . . !

□□

حكمــة :

النساء هن سبب معظم أكاذيب الرجال ، وذلك لاصرارهن على توجيه الأسئلة لهم .

□□

هذه هي السعادة

يقول قاسم أمين :

اللذة الحقيقية التي تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ، ولا شيئا من الأشياء التي يجري وراءها الناس عادة ، وإنما هي أن يكون الانسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم

خواطر يهودي ساخط

« خواطر يهودي ساخط » عنوان كتاب ألفه كاتب يهودي فرنسي معاد للصهيونية يدعى شلومو رايخ . في كتابه المذكور الذي نشر في باريس منذ عامين لا نلمس روح الدعابة التي يقال ان اليهود يتميزون بها فحسب ، بل نشعر بالسخرية المريرة من هذا الخليط الرهيب من الأساطير القديمة والمقولات المرعبة والأحلام الشرسة . وعلى غرار هذا الخليط يبني رايخ عالما من المقولات الساخرة صاغها على شكل خواطر ومقولات اليك بعضا منها :

* اسرائيل تتحرق شوقا للسلام مع الفلسطينيين ، شرط أن يكون الحرق صناعيا .
* اذا قلت لاسرائيلي « كفّ عن الحماقة » فسيعتقد انك تطلب منه التوقيع على معاهدة سلام .
* من نصر الى نصر تركض اسرائيل نحو هزيمتها .
* امريكا تواجه مشكلة حيال اسرائيل هي تأمين خدمات مابعد البيع .
* الناس يتحدثون كثيرا عن اسرائيل واليهود لانهم يحبون الحديث عن كل شيء ولا شيء .
* الاسرائيلي يمر بأشياء كثيرة لايراها ، وخصوصا جيرانه .
* اذا كانت اسرائيل راعي البقر في الشرق الاوسط فان أبقارها موجودة في المهجر .
* الفرنسي : لا يموت الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة طويلة .
* الاسرائيلي : لا يبعث الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة قصيرة .
* اينشتاين كان يهوديا بشكل مطلق وملحدا بشكل نسبي .
* اليهودي الحقيقي يعرف كيف يجدل الشعرة الواحدة أربع مرات
* الفرق بين العالم واسرائيل هو : أن العالم يكون أبكم عندما تكون اسرائيل صماء واسرائيل تسمع جيدا عندما يكون العالم أبكم .

جحا في رأي محمد فريد أبو حديد

ان من بين شخصيات الأساطير العربية شخصية فذة تكاد تكون وحيد في مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية ، وهي شخصية (جحا) الفيلسوف الضاحك الساخر ، الذي يقوم بتمثيل فلسفته في قوالب تشبه المسرحيات ، ذات المغزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائما ، عاطف دائما ، يبدو وكأنه مهرج ، ويتصرف أحيانا تصرفا شاذا عن المألوف ، حتى كأنه ذو لثةمن الجنون ، ولكنه يلمس نواحي الضعف الانساني في رحمة ، ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب ما يكون الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد ، واستطيع أن أقول انني لم أطلع في آداب الشعوب الأخرى على شخصية مماثلة لهذه الشخصية ، ذات الفلسفة الانسانية التي تختفي تحت المظهر الفكه الساخر .

وقد حاول بعض الاجانب أن يرسموا صورة لجحا في لغتهم ، فلم يستطيعوا الا أن يرسموا صورة مهرج به لوثة ، ذلك لانهم لم يتمكنوا من ادراك فلسفته ولا مرامي فكاهاته .

مكتبة العربي

كتاب الشهر



وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى

عرض وتقديم : جليل العطية

« مجنون ليلى » إحدى القصص التى عرفها العرب منذ قديم الزمان ، وتعاملوا معها على أنها حقيقة واقعة اكدها الكثير من المسلسلات التلفزيونية والافلام السيمائية وغيرها من وسائل الاعلام .

هذه القصة . كيف نظر اليها ويفسرها الغرب الاوروبى ، او على الاصح بعض القطاعات فى الغرب الاوروبي ؟

مجنون ليلى ؛ الحب المجنون . . عنوان كتاب جديد للمستعربين أندريه ميكيل وبيرس كامب صدر حديثا عن دار سندباد الفرنسية .

بهذا الكتاب يواصل ميكيل دراسته واهتمامه بظاهرة الحب العذري في الشعر العربي

فلقد أصدر مجموعة مختارة من قصائد مجنون ليلى ، تولى ميكيل ترجمتها الى الفرنسية وقدم لها بلمحة عن أسطورة قيس وحبه لليلى وما رافق ذلك من ملابسات وأحداث اجتماعية وتاريخية . .

وقبل هذا أصدر رواية من تأليفه ـ طبعا ـ عنوانها : ليلى ، هي عقلي أو ليلى عقلي ! Layla, Ma Raison ـ مستوحاة من أسطورة مجنون ليلى العربية .

وهكذا ينصرف ميكيل بكل جد لدراسة الحب العذري في الشعر العربي ، محاولا تحليل ظاهرة مجنون ـ ليلى تحليلا فلسفيا ، سيسيولوجيا ، وبحثها وفق نظرة تاريخية اجتماعية باستخدام أحدث المناهج المعاصرة في الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي

يغوص ميكيل في دراسته لشعر قيس بن الملوح وفق منهج النقد البنيوي الذي وضع أسسه الناقد الراحل رولان بارت

يفضل ميكيل تسمية عاشقه بـ « مجنون » مسقطا منه أداة التعريف ، وكأن المجنون قد تحول الى اسم لقيس وليس صفة له !

الأسطورة . . لماذا ؟

ومنذ البداية يصارح القراء بأن حكاية مجنون ليلى ليست سوى أسطورة لامجال لها في الصحة ، وان شخصية مجنون ما هي الا شخصية مختلقة ، ومن افرازات المخيلة الجماعية (ص ١١)

ان المخيلة العربية بحاجة ماسة لهذه الشخصية الاسطورية ، وتكاد تجمع المصادر العربية ، وخصوصا الموثوق بها ـ على أن هذه الشخصية لا وجود لها !

والواقع أن كبار المؤرخين العرب نفوا وجود هذه الشخصية : فكان الاصمعي ينكر وجود المجنون ، ويراه اسما بلا مسمى .

والجاحظ يقول : ما ترك الناس شعرا ، مجهول القائل ، فيه ذكر ليلى الا نسبوه الى المجنون .

ويقول ابن الكلبي : حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له . .

على أن نفي وجود المجنون لا يعني الاعراض عن دراسة هذه الاسطورة العاصفة التي خلقها في الادب العربي ، بل يسعى دراستها لخصوصيتها الحضارية في التاريخ العربي . لذلك قام أندريه ميكيل بدراسة ظاهرة الحب العذري عند العرب ، وخصوصية شعره ، قبل الدخول الى حكاية قيس وليلى . . فيناقش طبيعة الحب العذري الذي ينسب الى قبيلة بني عذرة التي خرج منها شعراء كثيرون . . وكذلك المجنون الذي ينتمي الى قبيلة عامر بن صعصعة .

ولا بأس أن نقدم بايجاز حكاية المجنون !

قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، من المتيمين ، شاعر غزل ، من أهل نجد ، ولم يكن مجنونا وانما لقب بذلك لهيامه بحب « ليلى بنت سعد » .

قيل في قصته . نشأ معها الى أن كبرت وحجبها أبوها ، فهام على وجهه ينشد الاشعار ويأنس بالوحوش ، فيرى حينا في الشام ، وحينا في نجد ، وحينا في الحجاز ، الى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل الى أهله .

ويذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٨ م وزعم راوية غير معروف ، يدعى نوفل بن ساحق قال

أنا رأيت مجنون بني عامر ، كان جميل الوجه أبيض اللون ، وقد علاه شحوب . . وقد طبع بعض شعره في ديوان ، وصنف بعض المؤلفين كتبا في أخباره ، ووصل الينا منها : بسط مسامع السامر في أخبار مجنون بني عامر ، ويذكر بعض المؤرخين أن أبا ليلى اشتكى قيسا للخليفة مروان بن الحكم

بعد أن يذكر أندريه ميكيل موجزا للروايات المختلفة حول قصة المجنون يبدأ في السرد التفصيلي المقترن بتحليل تاريخي وسيسيو ـ فلسفي عميق لهذه الاسطورة التي شغلت الادب العربي منذ العصر الاموي وحتى الوقت الحاضر !

القريب هم وزملاء لهم في شتى أرجاء العالم . . واكتشفوا انها مرتع لمستعمرات ميكروبية كبيرة قد تلتهم بعض الملوثات ولكنها تعجز عن التهام بعضها الآخر .

اما الاكتشاف الثاني الخطير فهو أن انابيب الرصاص المستعملة في التمديدات الصحية في المنازل هي مصدر تلوث لماء الشرب العذب الذي يمر فيها ، ودلت التجارب والفحوص على أن هذا الماء الملوث يعود بالاضرار الكبيرة على الناس جميعا . . وعلى الصغار منهم والاطفال بصفة خاصة

ويبقى مصدر التلويث الرئيسي للمياه في عالمنا العربي كله فضلات الانسان واقذار السوائل . . فالكثيرون مازالوا يلقون بها في مياه الانهار والبحيرات فضلا عن البحار ولعلهم يشعرون باليقين أن تصرفهم هذا هو الاجراء المثالي الذي تتطلبه حماية البيئة

الغلاف المائي :

تغطي المياه حوالي ٧١٪ من مساحة الكرة الارضية ، ويقدر الحجم الاجمالي لهذه المياه بحوالي ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب ، وبالطبع فان هذه الكميات الهائلة ليست في متناول بني البشر لأن معظمها (٩٧,٢٪) مياه مالحة موجودة في المحيطات والبحار ، أما الباقي فهو عبارة عن مياه حلوة : (٢,١٤٪) أي ٢٩ مليون كيلومتر مكعب على شكل كتل جليدية ، وهذه يتعذر الاستفادة منها ، لذا لا يتبقى في متناول أيدينا من المياه سوى (٠,٦٦٪) أي ٩ ملايين كيلومتر مكعب من المياه الحلوة (أي ما يعادل ٢×١٠^٢١ جالون أمريكي) ، وهذه عبارة عن مياه الأبار والبحيرات والأنهار .

وتتبخر المياه بفعل الطاقة الشمسية من المسطحات المائية ، كالبحار والمحيطات والبحيرات ، كما تتبخر من التربة والنباتات حيث تتكاثف وتعود ثانية الى الكرة الارضية على شكل أمطار وثلوج ، يسقط بعضها فوق المحيطات والبحار (حوالي ٧٥٪) والباقي وهو الذي يعادل حوالي ١٠٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب فانه يسقط فوق اليابسة ، ومع أن هذه الامطار لا يستفاد منها كلها ، اذ أن جزءا كبيرا منها يضيع في الجريان السطحي ويعود ثانية الى البحار والمحيطات ، كما يضيع منها في التبخر ، الا أن ما يتبقى منها يعد المصدر الرئيسي للموارد المائية على سطح هذا الكوكب

أسباب ومصادر التلوث المائي :

تحتوي المياه الموجودة في الطبيعة على عدد من المواد الكيماوية (عضوية ومعدنية) مذابة أو معلقة ، وبعض هذه المواد يضاف الى المياه بفعل العمليات الطبيعية والبعض الآخر بفعل الأنشطة البشرية

إن بعض المواد الكيماوية الموجودة في المياه مفيدة للانسان ، اذا لم تكن درجة تركيزها عالية . وكما هو الحال في التلوث الجوي فان ملوثات الماء تعني تلك المواد التي تؤدي الى الاخلال باتزان البيئة ، وبالتالي تضر بالانسان وبالكائنات البحرية ، ونستطيع القول بأن معظم الملوثات الموجودة في الانهار والبحيرات والبحار تأتي من الأنشطة البشرية .

ولربما يكون أقدم أشكال تلوث المياه هي مياه المجاري التي كان يقذف بها الانسان الى الانهار والبحيرات والبحار منذ أن بدأ هذا الانسان يعيش في المدن . ومع نمو الصناعة ، أخذ يرمي بالفضلات الكيماوية بنفس الطريقة . وعندما أخذ الانسان في استخدام المبيدات الحشرية والاسمدة الكيماوية وجدت هذه المركبات طريقها نحو المسطحات المائية وحتى الملوثات الهوائية كأكاسيد الكبريت والنيتروجين تترسب بفعل الامطار ، وهذا ما يعرف بالمطر الحمضي ، وهذه أيضا قد تأخذ طريقها نحو البحار .

وهكذا أصبح الكثير من البحار والانهار والبحيرات في العالم مستودعا لاستقبال مياه المجاري ، بالاضافة الى ما تستقبله من المخلفات الصناعية التي تلقي بها آلاف المصانع ، اذ تستهلك المنشآت الصناعية في الولايات المتحدة الاميركية - على سبيل المثال - حوالي نصف كمية المياه التي تستهلك في البلاد

ولقد كان من نتائج التوسع في استعمال النفط تلويث البيئة البحرية ، حيث أخذت البحار والمحيطات تتعرض للتلوث بالمنتجات البترولية ،

لقد تناول قصة المجنون مؤرخون وأدباء عمالقة بينهم أبو الفرج الاصفهاني صاحب « الاغاني » وأبو علي القالي صاحب « الامالي » وأخيرا فقد تناولها الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي في مسرحيته الشعرية الشهيرة .

يقوم ميكيل بعد ذلك بتقديم تفاصيل كثيرة عن أبطال هذه الاسطورة وأحداثها فيبدأ بسرد حياة قيس ابن الملوح ويقدم تفاصيل عن عائلته وقبيلته كما وردت في المصادر العربية ويؤكد أن والده كان « سيدا » ويشرح معنى هذا اجتماعيا وطبقيا ، ويقارن بين هذا اللقب وبين كلمة 'Seigneur' باللغة الفرنسية . .

ويصف ميكيل المجنون بأنه « أجمل فتيان قبيلته . . طويل القامة ، ذو بشرة سمراء صافية وذو شعر مجعد يميل الى اللون الكستنائي الغامق !

يقر بأن المجنون في هذه المواصفات ـ يحظى بالمؤهلات الهامة ـ الاصل والنسب والثروة والوسامة التي تسمح له للتقدم بخطبة ابنة عمه ليلى ، مقابل مهر طائل مقداره : خمسون جملا جميلا ! غير أن عمه يرفض الزيجة ، لان قيسا فضح حبه لها ، وهذا أمر مرفوض لدى المجتمع العربي حينئذ !

يرصد ميكيل الروايات التي أرخت لحب قيس لليلى ويحاول الربط بينها وتحليلها تحليلا مقارنا ليخرج باستنتاج حديث حول الميزة المتفردة لهذا الحب في الناحية السيكولوجية والمحتوى الفلسفي لمثل هذا النمط من العاطفة .

فمع اقرار ميكيل بأن قصة مجنون ليلى هي أسطورة من نسج الخيال الا أنه يتعامل مع المحتوى الموجود لهذه الاسطورة كما ورد في الروايات ، ويتتبع التطور التاريخي لهذه الاسطورة التي اتخذت لها مكانة كبيرة في المدن الكبيرة الحديثة التأسيس كالكوفة والبصرة التي قامت فيها مجتمعات بدوية في مضمونها وذهنيتها . .

كانت المجتمعات البدوية الجديدة ـ هذه ـ تردد حكاية مجنون ليلى ـ كحكاية بدوية جاءت في ميدان اجتماعي غير حضري ، ولكنه يشكل الاصالة الذهنية والعاطفية لمجتمع المدن الحديثة البناء .

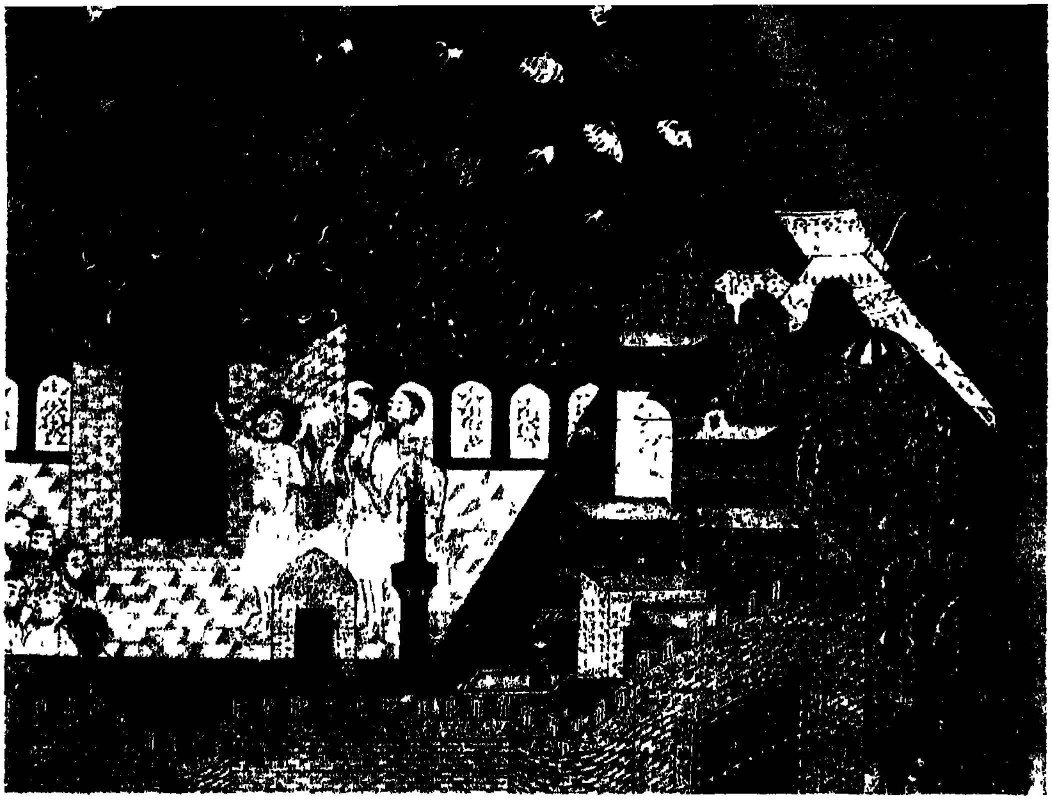
ظاهرة جديدة :

ان ظاهرة جنون قيس تسترعي اهتماما فكريا ونظريا كبيرا من قبل اندريه ميكيل ، فان حب المجنون لليلى دفعه للانفصال عن طبيعة تقاليد مجتمعه المحافظ . . دفعه لينفي نفسه عن مجتمعه مفضلا العيش في الصحراء بعيدا عن الوحدة الاجتماعية الممثلة بالقبيلة ، وهنا يسلط المؤلف نظرة سيسولوجية تفسر هذاالنفي الذي اختاره المجنون لنفسه ، وتقبله المجتمع على الرغم من أن وجوده ـ وجود المجنون ـ كان يهدد النظام الرمزي العام للمجتمع وللقبيلة . ثم ان قيسا كان يستعيد على الدوام قصة حبه لليلى ويرددها بشكل علني ، ولم يكن هذا الامر مقبولا في العرف الاجتماعي آنذاك ، ولذلك فان قيسا كان خارج النظام الجماعي الذي هرب منه والذي كان يشكل بعض الخطورة على كيانه (ص ٣٧) .

ميسالين والمجنون :

يقارن ميكيل بين حب قيس وجنونه وتناقضه مع المجتمع وبين قصص حب شبيهة حصلت في حضارات أخرى وضمن قيم اجتماعية مغايرة لطبيعة الحضارة العربية ـ الاسلامية كالحضارة الرومانية.

ويرى المؤلف أن المجنون قد لا يكون مجنونا غير أنه ببساطة يمثل نموذجا أصيلا وفريدا من نوعه ، ولذلك فانه دفع الثمن غاليا لقاء هذه الاصالة وهذا التفرد ، وذلك بأنه تحول الى منبوذ ومنفي من قبل المجتمع الذي ينتمي اليه (ص ٣٧) ، وهو بهذا يشبه ميسالين الايطالي الذي عشق مومسان لحد الموت ، الامر الذي لم تتقبله روما ولا المجتمع الايطالي في ذلك الوقت .



عقلانية قيس :

ويحاول أندريه ميكيل أن يكتشف المنطق الذي أقام قيس عليه حبه ثم جنونه بعد ذلك ، « والعقل » الذي اتبعه في مناقشة الآخرين ليدافع عن طبيعة حبه وتعلقه بليلى فيرى بأن منطق المجنون كان عقلانيا وصافيا ونقيا . .

ان منطقه هو البساطة والنقاء في التعامل مع ظواهر الاشياء ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين أبي ليلى والمجنون ، والذي يورده ميكيل للدلالة على « عقلانية » قيس المتمثلة في الصفاء والنقاء الذهنيين (ص ٣٩) .

ان دراسة ميكيل تقوم على عدم تقبله لظاهرة حب قيس وجنونه بشكل عفوي بل يقوم بتحليلها بالاعتماد على دراسات أدبية فلسفية للحب ، كالدراسة التي قام بها رولان بارت في كتابه « مقاطع في خطاب غرامي » وأندريه سريتون في بعض دراساته ، هذه الميزة يتفرد بها ميكيل في دراسة قصة قيس وليلى ، انه يصدمنا بعمق الدراسة لموضوع يقر منذ البداية بأنه أسطوري خرافي .

والواقع أننا لم نفكر في يوم ما باخضاعها للتحليل والدراسة الجادة للوصول الى أقصى ما تحمله من مضامين وأبعاد حضارية ونفسية واجتماعية !

ان حقيقة هذه الاسطورة ورسوخها في أذهاننا جعل منها أسطورة بلا عمق فكري بينما نجدها ـ بعد تحليل ميكيل ـ وكأنها « حقيقة » راسخة ، بل أكثر واقعية من وجودها السابق .

تعدو قصة قيس وليلى السادجة عبر تحولاتها التاريخية داخل المنظور الفلسفي ، ذات كيان حي يعبر عن احتياج نفسي جماعي لمجتمع متعطش لصياغة عواطفه المحرمة داخل رموز يبينها غيره . . ويكون هو ، ضحية هذا الرمز !

ليلى والليل :

يجعل ميكيل من اسم ليلى حبيبة قيس موضوعا للتحليل أيضا ، فليلى بالنسبة له تحول موسيقي شعري لاسم الليل بالفرنسية «Nuit» ولكنها ليست ليلة كبقية الليالي ذات الزمن المنتهي ، بل هي ليل دائم يغرق فيه المجنون ، وتغدو عبارة : مجنون ليلى هي مجنون الليل ، وهكذا يمكن استلهام الليل والمرأة داخل وجود متحد يتشكل عبر امرأة يكون اسمها هو الليل (ص ٤٩) .

كتاب الشهر

يتوسع المؤلف في التحليل الجمالي لاسم ليلى ليناسب بشكل متكامل داخل هذه الاسطورة الرومانسية الجميلة .

يبين ميكيل في دراسته بأن حب قيس لليلى وهو حب وجودي ، عميق ، رائع ميتافيريقي أكثر من العادة ، انه البحث عن شيء ما كالمطلق .

كان المجنون يعتبر بأن اللذة لا تدوم عنده ، وعندما يجد نفسه في الصحراء الخالية كان وجود ليلى يطارده ، وكان مرور أي شيء أمامه كالغزال - مثلا - يذكره بليلى ويملأ عليه هذه الصحراء الجرداء .

قيس وروميو :

ويقارن ميكيل المجنون بنماذج مشابهة من الحضارات الاوروبية الاخرى ، فيقارن بين طبيعة موته وموت روميو - مثلا - غير أنه يمنح المجنون خصوصية متفردة عن سواه هي بالضرورة خصوصية مجتمعة . .

فمن بين كل الشعراء والعاشقين المشهورين كان المجنون هو الوحيد الذي رفض من قبل مجتمعه ، رفضا تاما ، بل وضع خارج هذا المجتمع وعاش مرحلة من التوحش في الصحراء مع الحيوانات ، وبالشكل الذي تعيشه هذه الحيوانات (ص ٧٢) .

هذا التوحش والانصراف الى حب ليلى هو حالة (طوباوية) فريدة من نوعها ترتبط بحالات نادرة من الحب المثالي المتعالي واللاواقعي ، ويستند الى آراء فلسفية في الحب لرولان بارت ويستشهد بمختارات رائعة ، منتقاة بدقة من أشعار المجنون تجسد لا واقعية حبه ، ويقول بأن قلب العاشق يكون هكذا . الموضع الموحد والكلي لكل الشموليات التي تميزه وتباركه (ص ٨٩) .

ومن هنا يقارن أشعار المجنون باشعار حب لويس أراغون الشاعر الفرنسي الشهير - ويرى بأنها مستوحاة من أشعار المجنون العربي !

يورد بعد ذلك كل الروايات التي نقلت عن المجنون في كتب الادب العربي بدءا من أبي الفرج الاصفهاني ، صاحب الاغاني ، وحتى أحمد شوقي حيث يتناول مسرحية « مجنون ليلى » فيقدم ترجمة لمقاطع هامة منها (ص ١٣١) .

يرى ميكيل أيضا أن هذه الاسطورة ألهمت الكثير من الشعراء غير العرب ، كما أنها وظفت بشكل ثوري لانها خارجة عن التقاليد الاجتماعية المعروفة ، فشخصية قيس ذات طابع صوفي وثوري (ص ١٤٩) .

كان المجنون يستطيع العمل بنصيحة عائلته بالتزوج من امرأة غير ليلى ، ولكنه لم يعمل ذلك وفضل الجنون والتشرد ، هنا يصل ميكيل الى سؤال جوهري وعميق هو . ما الذي كان ينتظره المجنون من الحب الذي يعيشه في كل لحظة ؟ (ص ١٥٨) .

وهل كان المجنون يحب ليلى حبا حقيقيا ، وفي سبيلها عانى كل هذا الانهيار النفسي والفكري والصحي ؟ . . . ومن اجلها (ص ١٥٨) أم أن الحب يتخذ في مثل هذه الحالة شكل نزوع رمزي نحو المطلق ؟

الملاحظ في أسطورة قيس وليلى أن ليلى غائبة كوجود فيزيائي وسلوكي يتصرف ويتخذ المواقف داخل هذه الاسطورة ، ونرى بأن حضورها يتم من خلال المجنون وسلوكيته وذاكرته وتخيله .

دراسة مقارنة :

هذا يدفع أندريه ميكيل الى اضاءة هذا الجانب - اللغز من حب المجنون لليلى ، فيعتمد على بعض تحليلات رولان بارت ويستشهد بمقاطع هامة من كتابه الشهير مقاطع من حطاب غرامي ، الذي يفلسف بارت فيه الحب كعلاقة وجودية وفلسفية معقدة وعميقة ، ويرى ميكيل بأن المجنون لم يكن ينتظر شيئا من حبه لليلى ، وانما كان يعيشه من أجل الحصول على امتيازات خاصة في مجالات الحرية الخارجة عن

التقاليد الاجتماعية القبلية الضيقة ، فالقبيلة لا تسمح لاحد بأن يمارس السلوكية التي سلكها قيس الا اذا كان مجنونا ، وأن حب المحنون لليلى وتشبيبه وسلوكيته داخل اطار هذا الحب قد رفض من قبل القبيلة ، الا أن هذه القبيلة نفسها جعلت من قيس شخصية رمزية وأسطورية ثم شخصية جماهيرية ذات شعبية كبيرة .

ان الحب ، وشعر الحب بشكل خاص ، يمنع المجنون من الاقتران بليلى الا أنه يجعل قيسا ممسكا بوسيلة من وسائل الانتصار هي :

ـ الشعر !

أي معنى آخر . . الكلام . . فبواسطة الكلام ، وبالكلام بحد ذاته وعبر استخدامه استخداما رائعا وخلاقا واستراتيجيا يمنح المجنون سلطة قوية خاصة ، ومتميزة هي هذا الكلام نفسه ـ كغايةووسيلة في الوقت نفسه ـ ثم كهدف منتصر وفعال في النهاية .

ألم ينتصر المجنون في النهاية على الرغم من جنونه ، بسبب الحب ؟

نعم . . . لقد انتصر ، وان لم ينتصر هو فان قبيلته انتصرت ، لانها تدين الى المجنون بشهرة اسمها « بني عامر » . . وبأن المجنون كان أفضل شعرائها . . واسطورة أدبية من أشهر أساطير العرب (ص ١٧٤) .

وفي ضوء كل ما سبق من منهج تحليلي قام به ميكيل لاسطورة هذا العشق ، يقود بشخصية قيس المجنون الى معالجة نفسانية ـ سسيولوجية داخل واقع التاريخ العربي مستعينا بالنتائج الفعالة التي توصل اليها كل من الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز والعالم النفسي فيلكس كوتاري في ميدان علم النفس الاجتماعي في كتابهما الهام « ضد أوديب » ووضعهما لمقولة « ماكنة الحرب » والمعطيات المنبثقة عنها (ص١٨٨ ـ ١٨٩) .

ان مقولات فرويد وانجازاته في مجال التحليل النفسي تنفع كثيرا في اضاءة أسطورة قيس وليلى بالاتجاه الذي يرسخ مكانتها التاريخية الاجتماعية في الحدود الخاصة لطبيعة التاريخ العربي

دراسة فلسفية :

دراسة ميكيل دراسة فلسفية بالدرجة الاولى تتخذ من موضوع المجنون وحبه مشروعا منجزا لبحث علمي جديد من نوعه ، يمهد لقراءة قصة حب مجنون ليلى وفق طريقة عقلانية ، تحليلية ، ومغايرة لبنية القراءات السابقة .

والرواية التي ثبتها ميكيل في نهاية كتابه حسب ورودها في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني ، تجعل القارىء ـ بعد أن استوعب تحليله للاسطورة ـ يتعامل مع التفاصيل الواردة في نص الاصفهاني ، بشكل أكثر عمقا وتواصلا مع المضامين التي اختفت تحت وطأة السرد المباشر للقصة خلال مراحلها التاريخية والتي حولتها الى بديهة سطحية مجردةمن التحليل الضروري ، المساعد على اعادة كشف رموزها وترابطها مع الذهنية الخالقة لها ، ضمن مواصفاتها الحضارية . □

لذة الدنيا

سئل ابو عثمان بن خريم المرى عن لذة الدنيا فقال : الأمن ، فانه لاعيش لخائف،ثم العافيه ، فانه لاعيش لسقيم ، ثم الغنى ، فانه لاعيش لفقير .

وقيل له ما بلغت من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديدا فى صيف،ولاحلقا فى شتاء .

من المكتبة العربية

ثلاثية الرفض والهزيمة

دراسة نقديّة لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم

بقلم : جمال وردة

يعد هذا الكتاب الذي صدر حديثا عن دار المستقبل العربي في مصر اسهاما جادا للاستاذ محمود امين العالم في نظرية للنقد الادبي يستند بها الى المنهج الجدلي ويسعى لابراز معالمه خلال التطبيق النقدي على ثلاث روايات لواحد من أبرز الروائيين العرب الشبان .

في اواخر ديسمبر ٧٩ شارك الاستاذ العالم في ندوة عقدت في فاس بالمغرب حول الرواية العربية الجديدة . واختار موضوع التاريخ والفن والدلالة في ثلاث روايات مصرية معاصرة هي : « نجمة أغسطس » لصنع الله ابراهيم ، « وقائع حارة الزعفراني » لجمال الغيطاني و « يحدث في مصر الآن » ليوسف القعيد . وقد حاول من خلال هذه الدراسة ابراز طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والمتخيل . بين التاريخ والفن ، وخصوصا ان هذه الروايات الثلاث تعبر عن واقع واحد تقريبا أو مرحلة تاريخية واحدة رغم اختلاف المناهج الفنية وقيمها الدلالية .

وقد صدمته بعض التعقيبات في الندوة المذكورة التي اخذت تحاسبه بمعايير بعض المدارس النقدية الفرنسية المعاصرة وعندها وجد نفسه من جديد في قلب معركة النقد الادبي بعد ان كان قد شغل عنها بالدراسات التراثية والتدريس الاكاديمي فترة طويلة ، ولهذا كان هذا الكتاب استكمالا للحوار الذي لم يتم في ندوة فاس حول منهج دراسة الرواية العربية .

وكالفارس القديم الجديد يحمل الاستاذ امين العالم سيفه مدافعا عن مرحلة الخمسينيات النقدية في نفس الوقت الذي يدعو فيه بعض الدارسين الى اعادة النظر في تلك المرحلة وتقويمها في غير تعال أو تجن أو استخفاف مذكرا ان ذلك التيار في النقد الادبي في ذلك الوقت كان ثورة على التفسيرات والتحليلات الاكاديمية والوصفية والانطباعية والتذوقية والنفسية

لتي كانت تسيطر بمستوى أو بآخر على النقد الادبي نذاك . وفضلا عن هذا فقد كانت تلك المرحلة متواقتة ومتواكبة مع مرحلة النهوض الوطني والقومي والاجتماعي التي احتدم فيها الصدام بين القوى الوطنية والديمقراطية العربية من ناحية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية من ناحية اخرى ، ومع ذلك ، فان هذا التيار النقدي لم يهمل الجانب الفني أو الجمالي لحساب المضمون الادبي ، بل كان يرى ان الشكل الفني هو عملية فنية يتشكل فيها الموضوع مضمونا وكان يحرص على التحليل « الفني » ـ الدلالى للعمل الادبي كما وضح ذلك في كتابيه « في الثقافة المصرية » بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد العظيم انيس و « تأملات في عالم نجيب محفوظ » ، علاوة على مقالات اخرى في كتاب له بعنوان « الثقافة والثورة » .

رواية ثلاثية لا ثلاث روايات

يتناول الاستاذ محمود امين العالم تطبيقاً لمنهجه الجدلي ، الروايات الثلاث لصنع الله ابراهيم محللا البنيات الاساسية داخل هذه الروايات كشفاً لدلالتها في اطار سياقها الاجتماعي والتاريخي ذاكراً انها ليست ثلاث روايات مستقلة بل رواية ثلاثية واحدة سواء من الناحية الفنية أو الدلالية . فبطل القصص الثلاث هو نفس الرواي « الانا السارد » ، وهو بلا اسم وبلا ملامح . على اننا نستطيع ان نتبين بعض المعلومات عنه ، فهو كاتب وصحفي ذو اتجاه يساري يخرج من السجن في وسط الستينيات حين يُفرج عن بعض السجناء السياسيين . والرواية تعبر عن خيبة الامل التي اسفر عنها اللقاء بين هذا السجين المفرج عنه وبين هذا الواقع (القديم ـ الجديد) فرواية«تلك الرائحة»تعكس هذا التناقض الرهيب بين مجتمع يرفع شعارات وسياسات اشتراكية ولكنه يحجز ويراقب الاشتراكيين في الوقت الذي تستشري فيه روح الاستهلاك والفساد والتطلع الرأسمالي . وفي واقع الصدمة هذا يقف الانا السارد مغتربا داخل نفسه محاصرا من السلطة باحثا دون جدوى عن حب ، عن علاقة انسانية ، عن عمل . وفي ظرف آخر يقف المجتمع غارقا في تطلعاته الاستهلاكية ، ففي اللحظة التي يخرج منها هذا السارد للرواية من السجن فإنه يعود اليه ـ لعله لا يعود الى نفس السجن الذي خرج منه ولكنه يعود الى سجن ما ـ الى حجز ما ـ الى تقييد ما لحريته وحركته . وحتى في حالة خروجه من هذا الحجز فسيظل مقيداً في مكان ، في مسكن ، حيث تذهب الشرطة اليه كل ليلة لكي«تتمتم عليه» كما يقول في لغة الشرطة .

تكاد بنية حركة الرواية كلها ان تكون هذه الحركة الدائرية : الخروج من السجن والعودة المتصلة اليه ، حركة داخل سجن ـ حرية داخل قيد .

ان الحرية التي خرج اليها لا تثير في نفسه انفعالا ، بل انه يعاني منذ البداية شعورا بأنه يسير في عالم غير مكترث به سواء كان سجينا او حرا . اخوه لا يترك له شقته وكذلك صديقه،والعسكري الذي يرافقه يسعى لاستغلاله . إنها صدمة البوابة التي تكاد تشكل طبيعة العلاقات بين الانا السارد والآخرين وبين الانا وعناصر واقع الرواية كلها بأبعادها الزمانية والمكانية واللغوية فالسارد يتحرك طول الرواية من غرفته في مصر الجديدة الى القاهرة ، فإلى غرفته ثانية قبل الغروب ، اننا في حالة متصلة من الخروج والعودة ـ حركة متصلة ولكنها متكررة ومجدبة لا تفضي الى شيء جديد . حركة بلا جدوى وبلا طائل . على اننا نجد في مواجهة هذا المكان ـ القيد ـ ذلك المكان الحرية ، وهو مكان أو فضاء متخيل يتحرر فيه السارد من قيده ليتحرك بحرية في ذكرياته واحلامه مستخدما لغة اخرى غير اللغة المكانية التقريرية هي اللغة الغنائية الحلمية . وهكذا يزدوج المكان في الرواية بين مكان أفقي محتجز ومكان متعامد على المكان الافقي .

تلك الرائحة وهذه النجمة :

كما اننا نتبين تناقضا من نوع آخر . تناقضا مع الزمان الذي يشكل إطاراً للقصة ، وتناقضا مع الزمان الذي يعيشه السارد . وقد برز هذا التناقض في زمان اجتماعي سائد معاش عبر الرواية كلها ، ولنأخذ بعض النصوص .

وقال خطيب اختي : « هل يعرف احدكم شخصا مسافرا ليأتي اليّ بريكوردر ؟

« وتوقف السائق في الطريق ليضع قطعة حشيش

في فمه ، وشرب الشاي » .

وقالت نهاد : « امريكا رائعة»

وقال الاب : « ان الرأسمالية افضل».

« واعلن صوت الراديو عن احدى حلقات«الشبح الأسود» .

بهذه الامثلة وبعشرات غيرها نشعر بزمان اجتماعي قوامه الفساد والاشتغال بثقافة التسطح والمغامرة . وهو زمن اجتماعي متناقض دلاليا مع الزمن ـ الاطار حيث الشعارات والاجراءات التقدمية . كما يتناقض مع الزمن المحاصر الذي يعيشه السارد دلاليا . ولكننا نلاحظ ان الازدواج والتناقض يعبران عن عالم ذي طبيعة ثنائية يغلب عليها التحاور لا التصارع . فالتناقضات بين المعلن والمحقق ـ بين الشعار والتطبيق ، بين الحرية والقمع ـ بين الرائحة النظيفة والرائحة التي لا تطاق ، هي ثنائيات متناقضة ولكنها غير متصارعة وكأن الرواية تريد ان تعبر في الحقيقة عن سيادة احدى طرفي هذه الثنائية وغلبته على الطرف الآخر . ولهذا تسود تلك الرائحة الكريهة من داخل واقع الرواية . على ان هذه الرواية ليست الا الجزء الاول . فجزؤها الثاني هي رواية « نجمة اغسطس » وهي الرواية التي استلهمها من رحلته الى السد العالي وتكاد هذه الرحلة الى السد العالي ان تكون امتداداً لرحلة ايامه الاولى في القاهرة عند خروجه من السجن .

ان نجمة اغسطس « هي رواية رحلة ، والرحلة دائما هي البحث والاكتشاف ـ هي رحلة نحو الآخرين ونحو الذات .

ثلاث رحلات وثلاثة قطارات

ونستطيع ان نتبين من خلال الرواية ان هناك ثلاث رحلات لا رحلة واحدة ـ الرحلة الاولى وهي رحلة مكانية من القاهرة الى ابي سمبل مرورا بمنطقة السد في اسوان .

ـ الرحلة الثانية وهي رحلة زمانية بين الحاضر والمستقبل الى الماضي .

ـ الرحلة الثالثة هي رحلة عميقة عبر الذكريات والمذكرات والتضمينات من مذكرات مايكل انجلو وذكريات السجن وقراءات في التاريخ القديم .

ولقد استخدمت الرحلتان الاولى والثانية عدة وسائل للاتصال،كان القطار الوسيلة الاولى فيها،على اننا سنجد في الرواية اكثر من قطار . هناك القطار الذي نقلنا من القاهرة الى اسوان وهو حديث ومكيف يمتلىء بالاجانب أساسا ، ويعبر هذا القطار عن اتجاه من الحاضر الى المستقبل المنشود ، على اننا داخل هذا القطار الحديث المتجه الى الحداثة المستقبلية نستشعر مغربة الانا عن من حوله ، وامتلائه بالتوجسات العميقة . اما القطار الثاني فهو قطار متواضع قديم بطيء تتكدس فوق ارضه اجساد العمال المرهقين العائدين من عملهم في السد .

ويكاد هذا القطار ان يكون نقيضا طبقياً وحضاريا للقطار الاول رغم انه يتحرك داخل منطقة المستقبل . ولعل هؤلاء العمال يذكروننا بالعمال الذين التقينا بهم في « تلك الرائحة » وهم يتزاحمون لركوب المترو وقد بدا على وجوه بعضهم الارهاق الشديد .

وهناك قطار ثالث وهو القطار ـ الذكرى . انه قطار عربات الحيوانات الذي حمل السجناء السياسيين ومن بينهم الانا السارد بسلسلة حديدية الى سجنهم في صحراء اقاصي جنوب مصر

أما وسيلة الاتصال الاخرى فهي المركب ، وكانت في الحقيقة وسيلة للتواصل مع الماضي . ان اغلب العلاقات بين الانا والآخرين هي علاقات عابرة برجماتية ـ علاقات برانية خالصة باعتبار الآخرين مجرد ادوات من اجل خدمة او متعة أو معلومات ، ولهذا فهي تفتقد الاستمرارية والعمق ـ حتى علاقة « الانا » بسعيد ـ صديقه الصحفي أو بتانيا حبيبته أو بذهن المناضل الهارب المطارد ، فإنها رغم عمقها النسبي ـ سرعان ما تختفي سواء من المجال الشعوري أو مجال الذكريات .

ان السارد يرى الآخرين ينظرون اليه نظرة الشك والاتهام والحذر أو الاستخفاف والاحتقار ، وهم بالمقابل موضع شك وسخرية من جانب الانا نفسه ـ انه احساس غريب بالدونية والاستعلاء في وقت واحد مما يعمق المسافة المزاجية والفكرية بين الانا والآخرين طوال الرواية،ويعطي لواقعه وحدته الفنية والدلالية

ويرفض الاستاذ العالم الرؤ يا البنيوية للرواية باعتبار انها تعبير عن ازمة مجتمع ما بعد الآلة ، وان الجنس في الرواية هو المهرب والخلاص . ان الآلة في

بقية هذه الرواية ليست اداة قمع وانما هى اداة تعمير وتطوير وابداع سواء في فعل الفن (ازميل ومطرقة مايكل انجلو والات الفنانين المصريين القدماء) أو في الآلات الحديثة المستخدمة في بناء السد .

موعد مع اللجنة

الانا السارد يعود بعد انحسار واختفاء نجمة اغسطس الى القاهرة ، ولكن اية قاهرة ؟ لقد اصبحت قاهرة اخرى - قاهرة هؤلاء الذين التقى ببعضهم في منطقة السد ، وتنبأ بأنهم سوف يكونون حكام المستقبل - لقد اصبحت قاهرة المقاولين - وفي هذه القاهرة وذات صباح كان الانا السارد على موعد مع اللجنة في بداية رحلته أو محنته الجديدة . لقد استبدل الآن بحقيبة السفر حقيبة رجال الاعمال . انه في زيارة بحث عن عمل ذي طبيعة خاصة . انه نفس الانا السارد الذي بدأ حياته باحلام عريضة ثم سقط في محنة ازمته الفكرية مما جعله يضيق ذرعا بكل شيء،ومن اجل ارضاء اللجنة وتملقها نراه يتقبل كل ما تطلبه منه من اعمال مشينة .

ورغم اشاعة جو الغموض والغرابة الكافكاوية حول اللجنة فمن الواضح انها لجنة اجنبية لها نفوذ غامض في مصر تطالبه اخيرا باعداد دراسة عن المع شخصية عربية معاصرة .

وفي رحلة البحث عن هذه الشخصية تبدأ عملية الفرز والتحليل النقدي للواقع الاجتماعي واذا بالجميع ينزلقون الى منحدر واحد . كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين علماء واطباء فالحاضر هو حاضر الانفتاح - حاضر السماسرة والمقاولين وعملاء الشركات الاجنبية والفئات الطفيلية . فألمع شخصية هي الاكثر فاعلية وتأثيرا . وهكذا يصبح الدكتور بماله من علاقات وارتباطات دولية ولعمالته للشركات الاجنبية هو رمزها اللامع .

ان هذا البحث قد اتاح للكاتب ان يجد معنى للحياة وهو ليس مستعداً لأن يقعده كي لا يعود الى ذلك الخواء . انه اول بحث عن خلاص وعن نجاة - اذن لا بد من الرفض لطلب اللجنة بايقاف البحث حين اكتشفت انه سيكون فاضحا لها ولدورها - لا بد من الرفض ولو كان دمويا وبسكين المطبخ يتخلص من سجانه - من سلطان اللجنة عليه وبهذا الرفض المسلح ينتفي الازدواج والالتباس ولكن الرواية تعود بنا الى اطارها الكافكاوي الذي بدأت به حيث يحاكم « الانا » امام اللجنة نفسها ويقوم بتنفيذ الحكم على نفسه .

الا اننا نرى ان الانا السارد لم يأكل نفسه - كما حكم عليه - رغم المظهر الروائي ولكنه تخلى عن مواصلة المواجهة وارتضى العزلة والاعتزال وبدأ بذلك يجتر احاسيس العجز والخذلان ربما تعبيرا عن مشاعر الندم والتقصير أو مرحلة اعتكاف يجرى خلالها مراجعة حاسمة ونقداً ذاتياً مريراً .

ان هذا البحث الدؤوب الطويل عن الحقيقة وعن الخلاص بدءا بتلك الرائحة ومرورا بنجمة اغسطس وحتى أبواب اللجنة هو في الحقيقة رحلة الهروب من الرائحة الفاسدة في مطلع الستينيات الى النجمة المتألقة في سماء الجنوب ، نجمة الامل - هذه النجمة التي كانت تبرز متوجهة وكبيرة في القسم الاول من الرحلة - الرواية ولكنها لا تلبث ان تصبح واهنة وصغيرة . وان هذه النجمة تضعف وتتضاءل رمزاً لخيبة الامل والشعور بالاحباط والتناقض مرة اخرى - فالقمع والفروق الطبقية والانتهازية والفساد تمارس جميعها في ظلال هذا المشروع التعميري الانساني الضخم .

واذا كنا قد لاحظنا في تلك الرائحة كثرة التعابير الدالة على النظافة (الماء - الصابون - دعك الجسد الخ) اي فعل التطهير الجسدي فإننا في رواية نجمة اغسطس نتبين كثرة الافعال المتعلقة بالرؤية والتأمل رمزا للتطهير النفسي .

ان الشعور بالخوف والاحساس بالمطاردة تلازمان الكاتب في قصصه الثلاث وكذلك التداعيات والذكريات - واذا كان الانا السارد في تلك الرائحة يعبر عن احتجاجه على فساد مستشر فإنه في نجمة اغسطس يعبر عن رفضه للنظام كله وللسلطة كلها وربما الاوضاع السائدة في مصر ابتداء من منتصف السبعينيات . □

مختارات

اسم الكتاب : هكذا تكلم عرسان . . هكذا تكلم عن الغزالة .
اسم المؤلف : مازن شديد
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع - عمان - الاردن .
عدد الصفحات . ٨٢ من القطع المتوسط .

هذا هو الكتاب الشعرى الأول للشاعر مازن شديد جمع فيه عددا من قصائده التى كتبها فى السنوات الأخيرة .

وفى هذه القصائد التى تتحرك خلالها شخصية عرسان فى مختلف مناطق الشتات والعذاب الفلسطينى يبنى مازن شديد عالما يختلط فيه الرمز بالواقع والرؤ يا بالحقيقة على ارضية من الرموز الفلسطينية من حنين وحبر ورصاص وحلم .

والديوان فى مجموعه يشكل اضافة الى فن قصيدة النثر التى تعددت فيها الآراء لكنها اصبحت احدى الحقائق فى حياتنا الادبية المعاصرة .

اسم الكتاب : فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط
اسم المؤلف : د . جعفر آل ياسين .
الناشر : مكتبة الفكر العربى للنشر والتوزيع - بغداد
عدد الصفحات : ١٦٥ من القطع الكبير .

هذه الطبعة « المزيدة والمنقحة » هى الثالثة لهذا الكتاب المهم والممتع فى آن واحد . ورغم ان الكاتب يتناول فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى قرنا ونصفا من تاريخ الفلسفة اليونانية الا انها فترة ثرية خصبة ظهرت خلالها سمات الفكر الفلسفى اليونانى الذى تطور بعد ذلك على أيدى افلاطون وارسطو وآخرين الى آفاق بعيدة ولا يزال أثر انجازاتهم باديا حتى الآن .

لا يكتفى المؤلف بعرض الفكر الفلسفى اليونانى عرضا وصفيا فحسب ، بل يدخل فى مقارنات وسجالات مع الفلسفات الحديثة والمعاصرة مما يعطيه سمات الكتاب الممتع والمفيد

اسم الكتاب : الاستيطان اليهودى فى الأدب الصهيونى .
اسم المؤلف : عبد الوهاب وهب الله .
الناشر : دار الكلمة - بيروت .
عدد الصفحات : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير .

يقسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة ابواب يشمل كل منها عددا من الفصول . ومن خلال هذه الابواب الثلاثة يقدم الكاتب عرضا وافيا لبدايات التواجد الصهيونى فى فلسطين الذى اخذ شكلا منظما منذ عام ١٨٨٢ حتى اليوم عبر هجرات سبع معروفة .

وفى البابين الثانى والثالث ينتقل الكاتب بنا خطوة واسعة نحو ادب شموئيل عجنون الروائى الصهيونى الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ الذى كان احد ابرز شخصيات الهجرة الثانية مع تركيز على روايته « امس الاول » .

ورغم التشتت الظاهرى فى موضوع الكتاب الا ان

فصوله برتبط بعضها ببعض من خلال موضوع الهجرة والاستيطان .

اسم الكتاب : التحليل النفسى للامثال العربية
اسم المؤلف : سمير عبده
الناشر : منشورات دار النصر - دمشق .
عدد الصفحات : ١٦٩ من القطع الكبير

يقول مؤلف الكتاب فى تقديمه « ان الامثال عدت اكثر من مجرد كلمات مشكلة فى معانى الالفاظ » ومن خلال هذا المهم للامثال يمضى الى تحليل نحو خمسين منها تحليلا نفسيا مع محاولة البحث عن أمثال مشابهة لها عند الامم الاخرى ، والاستفادة من طرق التحليل النفسى الذي « لايمكن أن تقوم له قائمة اذا لم يكن متضمنا للتحليل الاجتماعى والثقافى للمثل » كما يرى المؤلف . والكتاب رغم عنوانه الذي يوحي ببعض الخصوصية دراسة مبسطة يتوجه الكاتب بها للقراء العاديين الذين تشكل الأمثال جزءاً أساسياً من حياتهم .

اسم الكتاب : لعنة الارض
اسم المؤلف : نور الدين عامر
الناشر : مطبعة فجر السعادة - الدار البيضاء - المغرب
عدد الصفحات : ١٢١ من القطع الصغير

رواية مغربية جديدة تدور أحداثها فى قرية مغربية نائية « لم تكن في حاجة الى شخص اجنبي عنها لايجاد حل لكل مشكلة او عارض يطرأ . . او تعرف سلطة ترتدى بزة تثير الرعب فى النفوس وتخشاها الكلاب » وان كان المغرب قدم لنا فى الأونة الاخيرة عددا من المفكرين اللامعين والشعراء والمسرحيين الذين أثروا الادب والفكر العربيين فان هذه الرواية تفتح نافذة جديدة نطل منها على الرواية المغربية والريف المغربى الذي لا يزال مجهولا لدى القارىء العربى .

اسم الكتاب : رواية المستقبل
اسم المؤلف : اناييس نن
ترجمة : محمود منقذ الهاشمى
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق
عدد الصفحات : ٢٧٦ من القطع الكبير

بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية يتيسر للقارىء العربى الاطلاع على واحد من اهم النصوص الاوربية حول الرواية ومستقبلها باعتبارها اوسع الفنون الادبية انتشارا .

ومن خلال عرض ذكى يشى باطلاع واسع على هذا الفن تلاحظ الروائية الفرنسية انابيس نن اننا « الآن فى عهد وسيط . وثمة هوة بين الشعر والنثر الذى فقدت فيه الكتابة قوتها السحرية ، هوة بين الفن والعلم . وهوة بين الشعور واللاشعور . وهذه الامور سوف تندمج ذات يوم » . ومن خلال هذه الملاحظة الشاقة تحاول نن رسم صورة رواية المستقبل .

اسم الكتاب : الثورة والادب والتكنولوجيا
اسم المؤلف : فالنتينا ايفاشيفا
ترجمة : فخرى لبيب
الناشر : دار الثقافة الجديدة - القاهرة
عدد الصفحات : ٢٧٨ من القطع الكبير

يتضمن هذا الكتاب مناقشة لواحد من اهم الموضوعات التى تشغل العالم المتقدم بشقيه : الاشتراكى والرأسمالى ، هو موضوع الثورة التقنية واثرها على الابداع الادبى فى عالم يقف على مشارف القرن الحادى والعشرين .

ولا تكتفى الكاتبة السوفيتية بدراسة أثر التقنية على المجتمع الاشتراكى الذى تعيش فيه بل تبرز بعض آثارها على المجتمع الرأسمالى ايضا من خلال اطلاع جيد على الآداب التى افرزها كل من المجتمعين . □

التي تلقى في هذه المسطحات المائية ، مع مياه موازنة ناقلات النفط . ولا يقتصر الأمر على تلوث البحار والمحيطات بمياه توازن هذه الناقلات وما تحتوى عليه من نفط ، بل كثيرا ما تتعرض هذه المسطحات المائية الى التلوث بالمواد البترولية ، بسبب حوادث تصادم ناقلات النفط أو انفجار آبار النفط . ولا يزال ماثلا في الأذهان ما تعرض له الخليج العربي خلال عام ١٩٨٣ من تلوث نفطى خطير بسبب انفجار حقل نوروز الايراني *

والخليج العربي - كما هو معروف - أشبه ما يكون ببحيرة مغلقة مساحته حوالى ٧٥٠٠٠ ميل مربع ، فعرضه عند مدخله - مضيق هرمز - حوالى ٢٠ ميلا وطوله حوالى ٥٠٠ ميل . لذا فان أى تسرب للنفط من الآبار أو انسكابه لدى تحطم احدى الناقلات ، قد يؤدى الى تدهور خطير في بيئة الخليج البحرية ، وبالتالى يهدد الثروة الحيوانية والنباتية ، بالاضافة الى الاضرار التي تلحق بالانسان . كما تكمن خطورة التلوث النفطى لمياه الخليج في أن معظم دول الخليج باستثناء العراق وايران تعتمد على تحلية مياه الخليج كمصدر رئيسى لمواردها المائية ، كما أن المصانع المقامة على سواحل الخليج العربي تعتمد في تبريدها على مياه هذا الخليج ، لذا فان أى تلويث لهذه المياه بالنفط سيؤثر بلا شك على كفاءة محطات التقطير وكفاءة تشغيل المصانع .

تلوث البحار :

وكان الخليج العربي قد تعرض في أوائل أكتوبر من عام ١٩٨٠ الى تلوث نفطى كبير عندما انفجر أحد الحقول النفطية البحرية الذى يبعد حوالى ١٠٠ كيلو متر عن السواحل السعودية . وقد قدرت كميات النفط التي تدفقت وقتها بحوالى ٨٠ ألف برميل ، وانتشر هذا النفط على شكل بقعة من الزيت طولها حوالى ٩٥ كيلومترا ، وقد تم اغلاق الآبار المعطوبة بعد أسبوع .

وفى أواخر يناير ١٩٨٣ بدأ انتشار النفط في شمال الخليج العربي ، عندما هبت عاصفة أدت الى تحطم منصة أحد آبار حقل نوروز الايراني ، وكان احدى ناقلات النفط قد أصطدمت منذ عام بالرصيف البحرى لحقل نوروز ، وقد تسبب هذا الحادث بتسرب حوالى ٢٠٠٠ برميل يوميا .

وفى الأول من مارس ١٩٨٣ تعرض هذا الحقل لعمليات عسكرية بسبب الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وقد نتج عنه تدمير بئرين آخرين ، مما أدى الى تسرب ٥٠٠٠ برميل يوميا ، أي أن مجموع النفط المتدفق من آبار حقل نوروز أصبح في حدود ٧٠٠٠ برميل يوميا ، وقد بلغت كمية النفط المتدفق حوالى نصف مليون برميل حتى نهاية شهر مايو .

ولقد سارعت على الفور المنظمة الاقليمية لحماية البيئة البحرية الى اجتماع طارىء عقد في الكويت في الاسبوع الاول من ابريل ١٩٨٣ ، كما تمت متابعة هذا الحدث بجميع الوسائل المتاحة لدى الدول الاعضاء في المنظمة حيث وضعت جميع الاجهزة العلمية والفنية في حالة طوارىء ، كما أخذت الدوريات البحرية والجوية تقوم بمراقبة وتتبع حركة بقعة الزيت ، كما تم وضع حواجز عائمة لحماية محطات التقطير ، وفى الوقت نفسه كانت هناك سفن على أهبة الاستعداد مزودة بالاجهزة لشفط النفط السائل في حالة اقترابه من الشاطىء .

ولقد أمكن اغلاق البئر الرئيسية في سبتمبر ١٩٨٣ من قبل ايران ، بينما ظلت الآبار الاخرى المحترقة تسرب كميات قليلة .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الكرات القطرانية قد وصلت شواطىء بعض دول الخليج ، غير أنه لم يكن بالامكان التعرف على مصدر هذه الكرات القطرانية ، وعما اذا كان مصدرها بئر نوروز ، أو أنها كانت من بقايا ما تلقيه ناقلات النفط مع مياه الموازنة .

وفى الكويت كما هو الحال في بقية دول الخليج تعتبر المواد البترولية المصدر الرئيسى للمخلفات الصناعية التي تلقى في مياه الخليج العربي . وهذه ترتبط بشكل رئيسى بعمليات تصدير النفط بالاضافة الى ما تطرحه

* يقع حقل نوروز في الجزء الشمالي من الخليج العربي ، على بعد ٧٥ ميلا بحريا تقريبا عن السواحل الايرانية وعلى خط ٢٥ ٤٩° شرقا ، وخط عرض ٣٣ ٢٩° شمالا .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

النسبُ إلى فَعِيلة وفُعَيلة

باب النسب في لغتنا من أوسع أبواب الصرف وأكثرها تفصيلا ، وهكذا شأنه في بعض اللغات الراقية الأخرى ، ولكن بعض علماء الصرف عندنا زادوا فيه بعض التعقيدات لعدم توسعهم في استقراء الشواهد التي تستمد منها القواعد .

والقاعدة العامة في النسب أن نزيد على الكلمة التي يراد النسب إليها ياء مشددة في آخرها دون تغيير في بنية الكلمة ، فيقال مثلا : إسلام وإسلامي ، وقرآن وقرآني ، لكن العرب غيّروا أحيانا كثيرة في بنية الكلمة أيضا ، كقولهم : مَلِك ، ومَلَكي ، وهم يحذفون تاء التأنيث فيقولون مثلا : مكة ومكّي ، وفاطمة وفاطمي .

ولهذه التغييرات صور مختلفة ، يعنينا منها هنا الصيغتان الآتيتان :

١ ـ فَعِيلة (بفتح فكسر) : إذ تعسف الصرفيون في تقسيم الكلمات التي تأتي على هذه الصيغة أقساما فقالوا :

أ ـ إذا كانت عين الكلمة صحيحة غير مضعفة ولامها صحيحة ، حذفت الياء وفتح الحرف الذي كان قبلها مكسورا ، ففي النسب إلى مَدِينة ، وحَنِيفة وبَجِيلة وصَحِيفة ، يقال كما قالت العرب : مدَنيّ ، وحَنَفِيّ ، وبَجَليّ ، وصَحَفيّ .

ب ـ وإذا كانت عين الكلمة معتلة لم تحذف الياء مثل : طَوِلَة فالنسب إليها طَوِيلَه .

جـ ـ وإذا كانت عين الكلمة مضعّفة لم تحذف الياء أيضا مثل جَلِيلَة ، فالنسب إليها جَلِيليّ . ولو أنصف الصرفيون لأبقوا على الياء عند النسب إلى ما جاء على فَعِيلَة ، ولم يوجبوا حذفها مادامت لام الكلمة صحيحة ، كما في القسمين الثاني والثالث ، وكما أبقاها العرب في بعض أمثلة القسم الأول ، إذ نسبوا إلى عَمِيرة وسَلِيمة وسَلِيقَة فقالوا : عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ ، وَسَلِيقِيّ ومنه قول الشاعر :

ولستُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسانَه
ولكن سَلِيقِيٌّ أقولُ فَأُعْرِبُ

ولكن الصرفيين اعتبروا إبقاء الياء في هذه الكلمات : عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ وَسَلِيقِيّ شذوذا في قياسهم ، مع أن الشائع في الأقسام الثلاثة هو إبقاء الياء كما تقدم .

وإذا كانت العرب قد حذفت الياء في بعض الكلمات ، مثل : مَدِينَة وحَنِيفَة وبَجِيلَة وصَحِيفة ،

عند النسب إليها ، فقالت طلبا للخفة : مَدَنِيّ ، وحَنَفِيّ ، وبَجَلِيّ وَصَحَفِيّ ـ فإن ذلك لا يوجب حذف الياء في أشباه هذه الكلمات ، كما يريد الصرفيون ، بل علينا أن نقبل هذه الكلمات مادامت قد سُمعت عن العرب ، ولانلتزم حذف الياء فيها أو في أمثالها ، بل نبقيها كما أبقتها العرب في عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ وَسَلِيقِيّ .

وأذكر أن بعض شيوخنا كانوا إذا رأوا في كراساتنا كلمة « بديهي » نسبة إلى بَدِيهَة ، « وطَبِيعِيّ » نسبة إلى طبِيعَة ـ اعتبروا ذلك خطأ وأوجبوا أن يقال . « بَدَهِيّ » و « طَبعِيّ » ، مع أن الوجهين جائزان ، وقد يكون من الأولى إبقاء الياء لإظهار المنسوب إليه ، كما في النسبة إلى : جَرِيرَة ، وطَلِيعَة ، وخَلِيفَة ، فقولنا : جَرِيرِيّ ، وَطَلِيعِيّ وَخَلِيفِيّ أفضل من قولنا : جَزَرِيّ ، وَطَلَعِيّ ، وَخَلَفِيّ .

وهكذا يقال فيما هو على صيغة « فعيل » مثل : ثَقِيف ، فقد نسب إليها العرب فقالوا : ثَقَفِيّ ، ومن الواجب قَبول هذا النسب ، الذي حذفت فيه الياء ، دون التزام بحذفها في كل ما ورد على هذه الصيغة ، مثل : أمير ، ورَئِيس ، وعَزِيز ، وبَرِيد ، وربيع ، بل نبقى الياء فنقول : أَمِيرِيّ ، وَرَئِيسِيّ ، وَعَزِيزِيّ ، وَبَرِيدِيّ ، وَرَبِيعِيّ .

وقد نسبت العرب إلى « رَبِيع » فقالوا : « رِبْعِيّ » وسَمّوا به بعض أولادهم أحيانا ، ومن ذلك أن سليمان ابن عبدالملك احد ملوك بني أمية اراد أن يبايع لأحد أولاده بعده ، ولما عرضهم في احسن هيئاتهم وجدهم جميعا صِغَارا ، فقال متوجعا : ـ

إنّ بَنِيّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّون
أفلح من كان له رِبْعِيُّون

واختار بعده ابن عمه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

٢ ـ فُعَيْلَة (مُصَغّرة) : سمع عن العرب حذف الياء في النسب إلى بعض ما جاء على وزنها صحيح اللام مثل : جُهَيْنَة وقُرَيْظَة ، فقالوا : طَلَبا للخفة : جُهَنِيّ ، وقُرَظِيّ ، وعلينا قبول ذلك لوروده عن الفصحاء ، دون التزام حذف الياء فيها ولا في أمثالها ، فيجوز أن يقال : جُهَيْنِيّ ، وقريظى ، قياسا على ما ورد من أمثالها . فقد قالوا : ردينة ورديني ، ومنه قول مالك ابن الريب المازني في رثاء نفسه وقد شعر بدنو أجله :

تذكرت من يبكي عَلَيّ ، فلم أجد
سِوَى السيفِ والرمحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا

وقالوا : سُكَيْنَة وسُكَيْنِيّة ، وهكذا فُعَيْل (مصغرا) فقد نسبت العرب إلى قُرَيْش ، وسُلَيْم (صحيح اللام) فقالوا : قُرَشِيّ وسُلَمِيّ ، بحذف الياء وعلينا أن نقبل ذلك لوروده عن الفصحاء ، ولكنه لا يمنعنا ان نقول : قُرَيْشِيّ وسُلَيْمِيّ قياسا على أمثاله كما قالوا في النسبة إلى فُقَيْم : فُقَيْمِيّ ، وطُفَيْل وطُفَيْلِيّ

ولابن قتيبة رأى يعول عليه في النسبة إلى هاتين الصيغتين ، وهو قوله في كتاب « أدب الكاتب ص ٢٠٩ . إذا نسب الى اسم مصغر كانت فيه الهاء (هاء التأنيث) أو لم تكن وكان مشهورا أَلْقَيْت (حذفت) الياء منه ، بقول في جُهَيْنَة ومُزَيْنَة : جُهَنِيّ ومُزَنِيّ ، وفي قُرَيش قُرَشِيّ ، وفي سُلَيْم سُلَمِيّ . وهذا هو القياس إلا ما أشذوا (اعتبروه شاذا) وكذلك إذا نسبت إلى فَعِيل أو فَعِيلة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهورا ـ القيت منه الياء : مثل : رَبِيعة وبَجِيلة ، تقول : رَبَعِي وَبَجَلي ، وحنيفة وحَنَفِيّ ، وثقيف وثَقَفِي ، وعَتِيك وعَتَكي ، وإن لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء الأول ولا الثاني » .

فشهرة الكلمة عنده لها أثرها في حذف يائها حين ينسب اليها وإلا بقيت الياء عند النسب ، وهذه الشهرة تختلف مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فشهرة الكلمة في زمان أو مكان لا تستلزم وجود شهرتها أو بقاءها في زمان أو مكان آخرين ، فالأحوط إبقاء الياء عند النسب .

ثم إن الأصل هو إبقاء الكلمة على أصلها ما أمكن عند النسب إليها ، وكان ذلك سائغا . ولكن لابد من قبول كل ماورد عن العرب مخالفا لهذه القاعدة ، طلبا للخفة دون التزام به أو التزام بقياس أمثاله عليه .

ومهما يكن فلا بد من مراعاة أمن اللبس في كل كلمة وكل جملة .

ومن هنا يبدو أن الصرفيين تسرعوا حين أوجبوا ما لا يجب وهو حذف الياء من صيغتي فَعِيلة وفُعَيْلَة ، واعتبروا اثبات الياء فيها شذوذا مثل سَلِيقِيّ ورُدَيْنِيّ مع أن هذا هو الأصل ، فهم قد جعلوا المطرد أو الغالب شاذا ، وجعلوا الشاذ مطرداً . □

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

تنسب هذه القصيدة الى الامام علي كرّم الله وجهه ، ونرى انها ليست له وان وجدت في بعض طبعات ديوانه ، اذ لم تُؤثر عنه القصائد الطوال ، وكل ما أثر له من الشعر مقطوعاتٌ في الحماسة او الزهد او الحكمة أو الحث على الفضيلة ، وكانت بلاغتُه العليا تتجلى في خطبه ورسائله وجوامع كلمِهِ ، فتكفيه في التعبير عن حواطره ، وتغنيه عن الشعر .

ونرجح أن هذه القصيدة - كما يظهر من اسلوبها واشاراتها التاريخية - قد نُظِمت في عصر العباسيين بعد أن فقدت خلافتهم هيبتَها وسلطانَها ، وصارت امورها إلى قوادهم يتلعَّبون بمن يُسَمّون الخلفاء ، فيُولُّونهم ويعزِلونهم كما شاءوا ، وقد يتبعون العزل بالقتل أو الحبس مع الإذلال ، وقد ظهر ذلك في أواخر عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) الذي اشترك ابنه في قتله ليخلفه في الحكم .

باتُوا على قُلَلِ الأجْبالِ تحرسُهمْ ... غُلْبُ الرجالِ ، فلم تنفعْهمُ القُلَلُ[١]

واستُنْزِلُوا بعد عزٍّ عن معاقِلِهمْ ... فأُودِعوا حُفَراً ، يابِئْسَ ما نَزَلُوا[٢]

ناداهُمُ صارخٌ من بعد ما دُفِنوا ... أين الأَسِرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ ؟

أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل ؟[٣]

فأفصح القبرُ عنهمْ حين ساءلَهمْ : ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتَتِلُ

قد طالما أكَلُوا دهرا وما شَرِبُوا ... فأصبحوا ، بعد طولِ الأكلِ ، قد أُكِلُوا

وطـالمـا كـثّـروا الأمـوال وادّخـروا … فـخـلّفـوهـا عـلى الأعـداءِ ، وارتحـلُوا
وطـالمـا شـيّـدوا دُوراً لـتـحـصِـنَـهـمْ … فـفـارقـوا الـدُّورَ والأهـليـنَ وانـتـقـلُوا
اضْـحـت مـسـاكـنُـهـمْ وحشـاً مُـعـطَّلةً … وسـاكِـنُـوهـا الى الأجـداثِ قـد رَحَلُوا (٤)
سَـلِ الخـلـيـفـةَ اذ وافـت مـنـيـتُـهُ … أيـن الجـنـود وأيـن الخـيـل والخَـوَلُ ؟(٥)

أيـن الـكـنـوزُ الـتي كـانـت مـفـاتِحُـهـا … تـنـوءُ بـالـعـصـبـة المُـقْـوِين لـو حَمَلُوا ؟(٦)
أيـن الـعـبـيـدُ الألى أرصَـدْتَهُـم عـددا ؟ … أيـن الـعـديـدُ وأيـن الـبـيضُ والأسَـلُ ؟(٧)

أين الفـوارسُ والغِلْـمـان ، مـاصـنعـوا ؟ … أيـن الـصـوارمُ والخَـطّـيَّـة الـذُّبُـلُ ؟
أيـن الـكـفـاةُ الم يـكـفـوا خـلـيـفـتَـهـم … لمـا رأوه صـريـعـا وهـو يـبـتـهـل ؟(٨)

أين الكـمـاةُ ؟ أمـا حَـامَـوْا ، أمـا غضِبـوا ؟ … أيـن الحُـمـاةُ الـتي تُحْـمَـى بهـا الـدُّولُ ؟(٩)
أيـن الـرُّمـاةُ ؟ ألم تُمْـنَـعْ بـأسـهُـمِـهـمْ … لَمَـا أتـتـكَ سِـهـامُ المـوت تـنـتـضِـلُ

هيـهـات ، مـامَـنَـعـوا ضَـيْـمـا ، ولاَدَفَـعُـوا … عـنـك المـنـيـةَ اذْ وافى بهـا الأجـل !
ولا الـرُّشى دفـعـتْـهـا ، صـاح ، لـو بَـذلُـوا … ولا الـرُّقَـى نـفـعـت شـيـئـا ولا الحِـيَـلُ
مـاسـاعـدوك ، ولا واسـاك اقـربُـهـم … بـل اسـلـمُـوك لهـا ، يـا بِئْسَ مـا فَـعَـلوا
مـا بـالُ قـبـرِك لايَـنْـشَـى بـه أحَـدٌ … ولا يَـطُـورُ بـه مـن بـيـنـهـم رجـل(١٠)
مـابـالُ قـصـرِك وحـشـاً لا انـيسَ بـه … يـغـشـاك مـن كـنَـفَـيْـهِ الـرَّوعُ والـوَهَـلُ

مـا بـالُ ذِكـرك مـنـسـيـا ومـطَّـرَحـا … وكـلُّهُـمْ بـاقـتـسـام المـالِ قـد شُـغِـلوا
لاتـنـكـرُن ، فـما دامـت عـلى مـلِكٍ … الا أنـاخ عـلـيـه المـوتُ والـوَجَـلُ
وكـيـف يَـرجـو دوامَ الـعـيـش مـتـصـلاً … وروحُـه بـحـبـالِ المـوت مـتّـصِـلُ
وجـسـمـه لِـلُـبـانـاتِ الـرَّدَى غـرضٌ … ومُـلْـكُـه زائـلٌ عـنـه ومُـنـتـقِـلُ(١١)

---

١ ـ قلل الأجبال : قمم الجبال ، غلب الرجال : اقوياؤهم .
٢ ـ معاقلهم : حصونهم ، حفرا : قبورا
٣ ـ الكلل : الستائر
٤ ـ وحشا معطلة : خالية من السكان عارية عن الزينة .
٥ ـ المنية : الموت ، الخول : الخدم
٦ ـ لا تستطيع حمل مفاتيحها الا جماعة قوية
٧ ـ البيض والأسل : السيوف والرماح
٨ ـ الكفاة : الصالحون لحمل المسئوليات ، يبتهل : يتضرع .
٩ ـ الكماة : الابطال ، الضيم : الذل
١٠ ـ لاينتشي : لايعلم ، لا يطور : لا يطوف ،
١١ ـ لبانات الردى : مطالب الموت .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ من هي مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . . ؟

٢ ـ جزر ملفنيا . . كم تبعد عن جزر فوكلاند ؟

٣ ـ هانيبال قائد قرطاجة العظيم . . اشتهر بغزو روما برا عن طريق اسبانيا ، فجبال الألب سنة ٢١٩ ق م ، واشتهر كذلك بالفيلة التي اعتمد عليها في حملته تلك . . ترى هل احتل هانيبال روما . . ؟

* نعم احتل روما وحكمها حكم المستعمر .

* لم يحتل روما بالذات ولكنه احتل اجزاء واسعة من ايطاليا ، وبسط نفوذه عليها طوال عشر سنوات أو تزيد . .

* لم يحتل هانيبال شيئا اذ لم يكد يصل الى أسوار روما حتى استدعته قرطاجة . . فعاد اليها مسرعا . .

٤ ـ النهى معناه العقل . . وسمي به لأن العقل ينهي عن القبيح . . ترى ما هو مفرده إن كان جمعا ، وما هو جمعه إن كان مفردا . ؟

٥ ـ الفتاة الأمريكية (سوزان انتوني) هي زعيمة حركة المرأة في الولايات المتحدة ، تلك الحركة التي تكللت بحصول النساء في أمريكا على حقوقهن . . حق التصويت بالتحديد . . فمن هي زعيمة حركة المرأة في بريطانيا . . الحركة التي تكللت بحصول المرأة الانكليزية على حقوقها . . ؟

٦ ـ يعتبر صوف المارينو في طليعة أصواف العالم جودة وانتشارا . . وتعتبر استراليا الدولة الأولى في تربية خراف المارينو وتصدير أصوافها في الوقت الحاضر ، ترى ما هو الموطن الأصلي لهذه الخراف ؟

* افريقيا .
* أسبانيا
* مارينو .

٧ ـ ساهمت اليونسكو في انقاذ معابد أبي سنبل من خطر الغرق في مياه النيل عند إنشاء السد العالي . . ترى ما اسم الجزيرة التي كانت تلك المعابد قائمة عليها قبل نقلها ؟

* جزيرة الفيلة .
* جزيرة فيلية
* جزيرة الفيل

٨ ـ الاسمنت ، عماد البناء والعمران منذ اكتشافه عام ١٨٢٤ ، يقترن اسمه باسم بورتلاند . . لماذا ؟

* نسبة الى مدينة بورتلاند الأمريكية التي اكتشف فيها .

* نسبة الى حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا . . فالشبه كبير بين هذه الحجارة وبين الاسمنت بعد جفافه من حيث اللون .

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٣ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ديسمبر ١٩٨٥

٩ - قامت الحروف الابجدية مقام الأرقام قبل ظهور الأرقام الهندية / العربية وانتشارها . فحرف (أ) رمز الى رقم (١) وحرف (ي) رمز الى رقم (١٠) فما هي الأرقام التي رمزت إليها الحروف التالية .
(هـ) (ق) (غ)

١٠ - صناعة السكر وصناعة السماد سماد النترات الأزوتي بالذات تحتاج احداهما الى ٦٠٠ طن ماء ولا تحتاج الأخرى الا الى ٩ أطنان ماء فأي الصناعتين هي هذه ؟ وأيهما هي تلك . ؟

١١ - قطط وأرانب الانجورا ، وماعز الانجورا . لم سميت انجورا . . ؟
* نسبة الى انجولا . وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انجلترا وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انقرة عاصمة تركيا . .

١٢ - الصلصال والفخار . . أيها أقوى ؟
* متساويا القوة .
* الفخار هو الأقوى . . فهو طين مشوي بالنار والصلصال طين غير مشوي بالنار .
* الصلصال هو الأقوى .

العدد ٣٢٣ اكتوبر ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقهامعه

الإجابة على الأسئلة :

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

٥ -

٦ -

٧ -

٨ -

٩ -

١٠ -

١١ -

١٢ -

الاسم

العنوان



١ ـ شريط النايلون هو الأقوى . ذلك أن قوة الشد Tensil في النايلون تفوق نظيرتها في الألمنيوم .

٢ ـ يوجد حجر رشيد حاليا في لندن وفي المتحف البريطاني بالذات . وتجدر الاشارة الى أن احد ضباط نابليون هو الذي عثر على ذلك الحجر ، في بلدة رشيد سنة ١٧٩٩ واستولى عليه الانجليز سنة ١٨٠١ ، ثم وضع في المتحف البريطاني سنة ١٨٠٢ .

٣ ـ المسألة الحسابية البسيطة .
في الارقام الهندية / العربية ٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠
في الارقام اللاتينية الرومانية L + Xl + X = C

٤ ـ امارة موناكو في أوروبا وفي جنوب فرنسا بالتحديد . وجمهورية اندونيسيا في جنوب شرق آسيا .

٥ ـ نهر الخابور الأصغر هو أحد روافد دجلة ، ينبع من أرمينيا ، ويتصل بدجلة بين معارة وجزره
نهر الخابور الأعظم من أعظم روافد الفرات يصب في الفرات عند الميادين .

٦ ـ الثلاثة الاولى متجانسة ، فهي كلها مستحضرات طبية ومن المضادات الحيوية بالتحديد ، والرابع هو الناشز . . فهو هرمون تفرزه غدة البنكرياس ، ومن شأنه أن يحرق فائض السكر في الدم .

٧ ـ عدد الفقرات في كلتا الرقبتين هو سبع . .

٨ ـ كتاب الجاحظ هو كتاب الحيوان ، ويقع في (٧) أجزاء ، وكتاب الدميري هو حياة الحيوان الكبرى . وتجدر الاشارة الى أن الجاحظ (أبو عثمان) عاش في

مسابقة العدد [illegible]

البصرة فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين وأن محمد كمال الدين الدميري عاش في القاهرة ١٣٤٩ ـ ١٤٠٥ .

٩ ـ يذكر فهرس الاعلام الملحق بالمجد أن طائفة الموارنة ظهرت أول ماظهرت ، في وادي العاصي سنة ٤٠٠ م . وقد نزحوا الى لبنان سنة ٧٤٥ / ٧٤٦ وذلك في عهد مروان بن الحكم .

١٠ ـ اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) هو العالم الذي اعتقد بوجود حجر الفلاسفة ، وانفق من الجهد والوقت ماانفق في البحث عنه .

١١ ـ نيكراجوا هي الدولة الامريكية اللاتينية التي تطلق اسم قرطبة على وحدة عملتها

١٢ ـ يلتقي الميزانان ويتعادلان عند درجة (٤٠) تحت الصفر

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : علي عبدالله آل ثويمر / الظهران / السعودية .

الجائزة الثانية : زكريا عادل محمود موسى الحاج / عمان / الاردن .

الجائزة الثالثة : حمادات حسن / مريرت / المغرب .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمود داود الهباب / الشعبية / الكويت .
٢ ـ حاتم محمد السيد حسين / الزقازيق / مصر .
٣ ـ فاضل عباس يعقوب يوسف / سنابس / البحرين .
٤ ـ عيسي الزبير / بريكه / الجزائر .
٥ ـ محمد أحمد محمد / كفر الزيات / مصر .
٦ ـ بلال حبايل / بيروت / لبنان .
٧ ـ عبدالله محمد سليمان / الظهران السعودية .
٨ ـ حامد المصمودي / صفاقس / تونس .

معركة بلا سلاح

الطفلة المعجزة

الطفلة الهنغارية سوزان بولجار التي تبلغ من العمر حاليا خمسة عشر عاماً هي إحدى معجزات الشطرنج ، فقد فازت في بلدها بلقب استاذة وهي لا تزال في العاشرة ، ومنحها الاتحاد الدولي للشطرنج لقب أستاذة دولية كبيرة في الثالثة عشرة ، وما ان احتفل بعيد ميلادها الرابع عشر حتى منحها الاتحاد الدولي لقب استاذ دولي (رجال) في المؤتمر العام للاتحاد المنعقد في سالونيكا بتقدير يبلغ (٢٤٠٥) نقطة . وفي التصنيف الأخير للاتحاد الدولي فان هذه الطفلة المعجزة تتصدر قائمة البطولة للسيدات بتقدير يبلغ (٢٤٣٠) نقطة في حين لم يتجاوز تقدير بطلة العالم الحالية للسيدات « مايا » « شيبوردادنز » (٢٤٠٠) نقطة (انظر عدد ابريل ٨٥) .

وفي مقابلة حديثة مع والدها « لازلو بولجار » ذكر ان اهتمام ابنته بالشطرنج بدأ في سن الرابعة وانها تتقن الحديث بخمس لغات غير انه شكا من قلة ما تلقاه ابنته من الرعاية والدعم في المحافل الشطرنجية بالمقارنة بما يلقاه أمثالها من الأبطال الذكور . . . ويذكر على سبيل المثال الامتيازات التي كانت تمنح لكاربوف وفيشر عندما كانا في مثل سنها .

وقد اخترنا لهذا العدد المباراة الحديثة التالية (٨٤) بينها وبين البطل اليوغسلافي « ب . نيكولك » (٢٥٧٥) نقطة والحائز على لقب أستاذ كبير . ويعتبر « ب . نيكولك » واحداً من الأبطال العشرين الأوائل في الشطرنج في العالم .

ب . نيكولك (أبيض)	ز . بولجار (أسود)
١ ـ ز٣	هـ ٥
٢ ـ حـ ٤	ح - حـ٦
٣ ـ ح - حـ٣	ز٦
٤ ـ ف - ز٢	ف - ر٧
٥ ـ د ٣	د٦
٦ ـ ح - و٣	و٥
٧ ـ ح - د٥ ؟!	ح جـ ـ هـ٧
٨ ـ ف - ز٥ ؟!	حـ٦
٩ ـ ف×هـ٧	ح×هـ٧
١٠ ـ ح×هـ٧	و×هـ٧
١١ ـ ح - حـ ٤	و - و٦
١٢ ـ هـ ٤	ت
	(ت كان أفضل)
١٣ ـ هـ×و٥	ز×و٥
١٣ ـ	و٤
١٤ ـ ت	(و - حـ ٥ أفضل)
١٥ ـ ر - ب١ ؟!	جـ٦
١٥ ـ	أ٦ !
١٦ ـ ب ٤	و-ز٥
١٧ ـ و- حـ ٥	(و- هـ ٢ أفضل)
١٨ ـ و-ز٦	و×ز٦
١٨ ـ	ر - و٧
١٩ ـ ح×ز٦	(ف - هـ ٤ أفضل)
٢٠ ـ ز×و٤ ؟!	هـ×و٤٠
٢٠ ـ	ف-و٦ !
٢١ ـ ح - حـ ٤	

٢٢ - ح - و٣ — ف - و٥

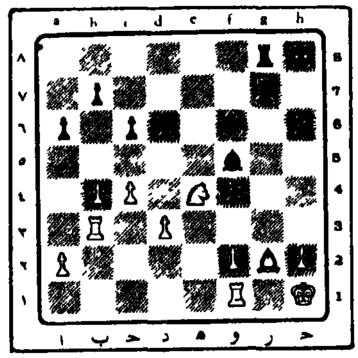
٢٣ - ر - ب٣ ؟ — (رب - د١ أفضل)

٢٣ - . . . — ر-ز٧

٢٤ - م - حـ١ — م - حـ٨

٢٥ - ح - د٢ — رأ-ز٨

٢٦ - ح - هـ٤ — (انظر التشكل)



٢٦ - . — ف د٤

٢٧ - ح×د٦ — و٣ !

٢٨ - ف × و٣ — ف - حـ٣

٢٩ - ر - د١ — ف × و٢

٣٠ - رب - ب١ — ر - و٨

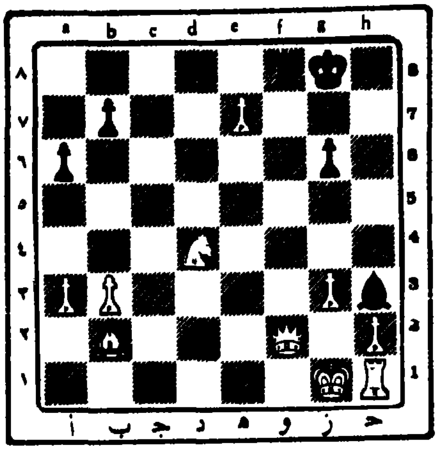
٣١ - ف - هـ٤ — ر - و٤

٣٢ - يستسلم (لأن الاسود يهدد بالأخذ في هـ٤ فلو لعب :)

٣٢ - ر - د٢ — ف - د٤

٣٣ - ح × ب٧ — رو - ر٤ !

٣٤ - رد - د١ — ر×هـ٤ !



مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٤)

الأسود يلعب ويميت

الشاه في ثلاث نقلات

حل المسألة (٣٢)

١ - ف - د٥ — و٢أوحـ٢

٢ - ب ٨=ح — كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣١) العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥	الفائزون باشتراك سنة كاملة	الفائزون باشتراك ستة أشهر
	١ - خالد ابو دعاس / الاردن ٢ - شريف عبد الماجد محمد ماضي/ المنيا / مصر ٣ - محمد عبد الوهاب محمد/ ليبيا ٤ - د . محمد عادل جيجه/سوريا ٥ - خالد مبارك سليم المزيودي / طرابلس / ليبيا	١ - غسان بني المرجة / الكويت ٢ - بابا عمر جلمام اسماعيل / غارداية / الجزائر ٣ - منير بن يعقوب / قابس / تونس ٤ - عبد اللطيف منير / الجزائر ٥ - عبد المجيد العليلي / زنقة الاطلس/ خريبغة/ المغرب

محطات خدمة السيارات ، وتغيير الزيوت . ويقدر المجموع الكلي لهذه المواد في السنة (١٢٢٤٧٢ طنا) ، تليها المواد العضوية (٩٠٤٥ طنا) والتي هي من أهم مصادرها المسلخ المركزي وتجهيز الدواجن ، ومركبات النيتروجين (٧٩٩٩ طنا) وأهم مصادر التلوث بهذه المركبات هي وحدة انتاج اليوريا التابعة لمصنع الاسمدة الكيماوية . وتشير الارقام السابقة الى حجم هذه الملوثات خلال عام ١٩٧٧ .

أخطار التلوث المائي :

تعرض الانسان عبر التاريخ الى الاصابة بالاوبئة بسبب تناوله للمياه الملوثة بقاذورات المجاري . ولقد كان مرض التيموئيد الذي أجتاح لندن في أواسط القرن التاسع عشر مؤشرا الى الاخطار التي تنجم عن مثل هذه الملوثات ، والذي أدى بدوره الى اتخاذ الاجراءات اللازمة نحو حماية المياه من هذا النوع من الملوثات . وحتى يومنا هذا فان تلويث المياه هو السبب في انتشار مرض الكوليرا وغيره من الامراض .

وهناك أنواع عديدة أخرى من التلوث المائي يمكن أن تسبب ضررا لصحة الانسان ، فبعض الملوثات الصناعية شديدة السمّيّة ، فعلى سبيل المثال وجد في مياه بعض البحيرات الكبرى في الولايات المتحدة الاميركية وكندا معدن الزئبق ، وهذا المعدن يلقى في مياه هذه البحيرات مع بعض الفضلات الصناعية فيرسب هناك . وتشير الدراسات والتحاليل التي أجريت على الاسماك في هذه البحيرات الى ان كميات كبيرة من الزئبق وجدت في لحوم هذه الاسماك ، الأمر الذي جعلها غير صالحة للاستهلاك الآدمي . ففي الولايات المتحدة الاميركية تلقي الصناعة حوالي ٥٠٠ طن سنويا من الزئبق في المسطحات المائية ، كما تلقي الصناعة الفرنسية ٥٠ طنا ، ويلقى سنويا في البحار والمحيطات حوالي ٢٥٠ ألف طن من الرصاص والذي لا تقل سميته عن الزئبق ، كما يقذف في البحار والمحيطات سنويا حوالي ١٠٠٠ طن من الكادميوم ، والذي يؤثر على مخ العظام ويسبب فقر الدم .

منظمات اقليمية للحماية :

يتبين لنا مما تقدم الآثار السيئة التي يمكن أن يسببها تلوث المسطحات المائية على الكائنات الحية من أسماك ونباتات وطيور ، بل على البيئة الانسانية عموما ، وخليجنا العربي بالذات ـ وهو بحيرة شبه مغلقة ـ أصبح معرضا لخطر التلوث بعد أن أصبحت الدول التي تحيط به من الدول الرئيسية في العالم في انتاج النفط وتصديره ، والامر لا يقتصر على التلوث بالنفط فحسب ، وانما يشمل التلوث بمخلفات المصانع المقامة على سواحل هذا الخليج ، والتي تلقي نفاياتها العضوية وغير العضوية بالاضافة الى التلوث الحراري ، وما يسببه من الاختلال في توازن البيئة البحرية .

ومن هنا كان من الضروري تضافر الجهود على المستويين المحلي والاقليمي لحماية الخليج من التلوث وذلك بمراقبة ومكافحة هذه الملوثات في جميع المناطق المحيطة بالخليج على طول سواحله الشرقية والغربية ، ولهذا الغرض فقد قامت الدول التي تحيط بهذا الخليج بانشاء « المنظمة الاقليمية لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية » عام ١٩٧٧ حيث تم اختيار الكويت مقرا لهذه المنظمة . وقد عقد فيها بعد مؤتمر الكويت الاقليمي للمفوضين لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية في الفترة من ١٥ الى ٢٣ ابريل ١٩٧٨ ، وتم التوقيع في هذا المؤتمر على اتفاقية الكويت الاقليمية للتعاون في حماية البيئة البحرية من التلوث ، والتوقيع أيضا على البروتوكول الخاص بالتعاون الاقليمي في مكافحة التلوث بالزيت والمواد الضارة الاخرى في الحالات الطارئة ، واقرار خطة العمل لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية لدول المنطقة المشاركة بالمؤتمر وهي : الكويت ، البحرين ، العراق ، عُمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، دولة الامارات العربية المتحدة ، ايران .

بالاضافة الى ما ذكرنا ، فان الواجب ، بل ان استمرارية الحياة على هذا الكوكب تدعونا جميعا ، أفرادا وحكومات وهيئات الى ضرورة الحرص على توفير المياه نظيفة وخالية من الشوائب والملوثات وذلك بنشر الوعي البيئي وتكثيف الجهود للحفاظ على التوازن البيئي في الطبيعة . □

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

عزيزي القارىء

على هذه الصفحات يتجدد لقاؤنا معك ، نستمع الى ملاحظاتك حول ما ينشر في مجلتك العربي ، الى تساؤلاتك التي تفتح لنا آفاقا جديدة الى معلوماتك التي تثري وتغني ، ومن خلال هذا الحوار بين كتاب العربي وقرائها يكتسب الانجاز الذي تقدمه العربي نبض المشاركة ، ودفء العلاقة الانسانية الى جوار العلاقة الفكرية .

اننا نتطلع الى أن يكون هذا الباب فرصة لنمو العلاقة بين كتاب العربي وقرائها ، وهي فرصة لتبادل الأدوار بين الكاتب والقارىء تضع العلاقة بينهما في اطارها وهو اطار التفاعل وتبادل الاهتمام وتنمية الفكر من خلال الحوار والمناقشة .

ان أي كاتب جيد يعتز دائما بصفته الاولى والاساسية وهي انه قارىء جيد ، والقارىء الجيد اليوم ربما هو كاتب المستقبل وما اجمل ان تكون هذه الصفحات فرصة اللقاء والتفاعل بين الماضي والحاضر والمستقبل .

المحرر

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

حوار القراء

« الجراكسة » .. من هم وكيف قدموا الى الوطن العربي ؟

قرأت في العدد رقم ٣١٩ من العربي مقالا بعنوان . « الجبرتي يصوم رمضان » ورد فيه اسم « الشراكسة » ، ص ١٣١ كما سبق ان قرأت في العدد رقم (٣٠٧) مقالا بعنوان « المماليك يصومون رمضان » وورد فيه اسم « الجراكسة » ص ١٩٤ ، والمقالان المذكوران بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، وأرغب في معرفة أصل هؤلاء الشراكسة أو الجراكسة وكيفية قدومهم الى الوطن العربي ، لذلك فأرجو ان تنشروا في مجلتكم الغراء تحقيقا موسعا حول هذا الموضوع أو بالاحرى حول موضوع الاقليات الاجنبية المقيمة في الوطن العربي من شركس وكرد وارمن وغيرهم ...

هيثم حاج حسن
سوريا ـ دمشق

نشكر للقارىء كريم متابعته ...

والى أن تتحقق للقارىء السيد هيثم حاج حسن رغبته في نشر دراسة أو دراسات موسعة عن الجركس أو عن الاقليات في الوطن العربي يسر العربي ان تقدم له لمحة موجزة عن الجركس .

« ففي دائرة المعارف الاسلامية ، تحت عنوان

(جدك) « جركس » كلمة فارسية الاصل بمعنى « الرجال الأربعة ، سميت بها قبائل الجركس الاربعة المتحدة النسب » .

ثم تشير دائرة المعارف الاسلامية الى ان الجركس : « جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاز ، وهي سلسلة جبال بين البحر الابيض وبحر الخزر ، وينقسمون الى قبائل عديدة ثم تتحدث عن بعض صفاتهم فتقول : « انهم من أكمل البشر خلقة وأحسنهم وجوها واشجعهم قلبا ، واشدهم مقاومة للشدائد ، وان صالحهم صالح لا نظير له ، وطالحهم طالح لا مثيل له » .

وعن قدومهم الى الوطن العربي تذكر ان الملك الصالح ايوب هو اول من استقدمهم ليكونوا عساكر في جيشه .

والامير عز الدين ايبك الذي تزوج من شجرة الدر وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية ، ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس ، وقد احيا الظاهر بيبرس الازهر ، فدام الى اليوم معقلا للسنة.وعلى اثر ضعف الدولة الايوبية قويت مملكة الجراكسة المشهورة بدولة المماليك ، ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع بالاضافة لهذين المرجعين الى كتاب « الشركس اصلهم ، تاريخهم ، عاداتهم ، تقاليدهم » بقلم الاستاذ محمدخير حفندوقة .

« استطلاع العربي بين » المشهور والمغمور

اني ألاحظ ان مجلة العربي عندما تقدم استطلاعا عن قطر ما سواء أكان عربيا أم أجنبيا فانها تسلط الضوء على ما هو معروف ومشهور في هذا القطر ، وقد لا تتوقف طويلا امام ما هو غير معروف رغم اهميته أحيانا،وحتى تكون الصورة واضحة لكم ، فإني أشير الى المثال التالي : حين انتقلت العربي الى سوريا اتجهت الى العاصمة دمشق وما فيها من آثار وأماكن هامة كالجامع الأموي مثلا ولم تتجول في باقي المدن السورية ومن هذه المدن مدينة دير الزور ـ التي يمر بها الفرات ـ بما تضم من آثار قديمة مثل « مملكة ماري » و « والصالحية » و « قلعة الرحبة » وكذلك « الجسر المعلق » الذي بناه الفرنسيون على نهر الفرات الخ .

لذلك فاني اقترح على مجلة العربي عندما تذهب الى قطر ما أن تعنى الى جوار العاصمة بزيارة البلاد التي لها أهمية خاصة تاريخية أو جغرافية أو حضارية أو اقتصادية ، وبما ان صفحات الاستطلاع لا تستوعب كل ذلك في عدد واحد فلا مانع من أن تقدم العربي مثل هذا الاستطلاع في أكثر من عدد ، وعلى حلقات ليتاح للقارىء أن يتعرف على أشياء جديدة غير مشهورة لكنها مهمة الى جوار ما هو معروف ومشهور .

هشام محيسن الحق
سوريا ـ دير الزور

لعل القارىء الكريم يلاحظ بمراجعة أعداد العربي في المرحلة الاخيرة ، ان استطلاعاتها عن أي قطر من الأقطار تشمل أكثر من زيارة لأكثر من بلد في القطر الواحد بهدف تغطية الجوانب المهمة في هذا البلد أو ذاك ، وأن مثل هذه الاستطلاعات تنشر بالفعل كما يقترح في أكثر من عدد ، ولعل القارىء الكريم يأخذ في اعتباره ان العربي وهي تخاطب مختلف الأجيال العربية في مساحة واسعة من الوطن العربي والاسلامي تلاحظ ان ماهو معروف ومشهور لجيل أو في مكان قد لا يكون كذلك لجيل أو مكان آخرين .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

« بلاد واق الواق »

بين الواقع والاسطورة

يعتقد الكثيرون ان بلاد « واق الواق » بلاد اسطورية ، وانه لا يمكن الوصول اليها الا على « بساط الريح » أو بواسطة « خاتم سليمان » أو « الرخ » كما ورد في قصص الف ليلة وليلة،ولا شك أن لمثل هذه القصص أكبر الاثر في انتشار ذلك الاعتقاد ، وطمس حقيقة واق الواق ، الحقيقة هي ان « واق الواق » اسم اطلقه العرب على بلدٍ من البلاد التي طالما زارها التجار والبحارة العرب على الساحل الشرقي من آسيا في شمال الصين ، وهذا هو رأي المستشرق الفرنسي « فران » والمستشرق السوفيتي « كراتشكوفسكي » وهناك بعض المستشرقين يؤكدون ان البلد الاسيوي الذي سماه العرب « واق الواق » هو جزر اليابان ويقول بذلك الرأي المستشرق البريطاني كرامرز .

كما يشير أيضا الى ان العرب قد اطلقوا اسم « واق الواق » على جزيرة مدغشقر « في القارة الافريقية ، ولعل في خريطة الادريسي ما يدعم هذا الرأي ولعل الطابع الخرافي الذي ارتبط باسم « واق الواق » هو الذي دفع بعض الجغرافيين العرب الذين سلموا بوجود تلك البلاد الى وصفها وصفا خرافيا ومن هؤلاء محمد بن ابي بكر الزهدي الذي تحدث عنه « كراتشكوفسكي » فقال : « ويبدو من كتاباته في الجغرافية الفلكية ميل واضح الى جميع انواع العجائب وهو في هذا العدد يحدثنا عن اسطورة الشجرة المسحورة الموجودة بجزائر » واق الواق « التي تثمر كل عام نساء بدلا من الفاكهة .

نجيب عبدالعزيز الاصبحي
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
محافظة عدن ـ ثانوية عبود

ردود خاصة :

الاخ الكريم معتز نديم الاسعد ـ سوريا ـ ادلب ـ قرية النيرب .

نعتز بصداقتك للمجلة ، وباهتمامك بما ينشر فيها ، انت واصدقائك ، وفي انتظار ملاحظاتك وحوارك معنا . .

***

الاخ العزيز احمد حمزة خضر ـ كفر الدوار ـ محافظة البحيرة.ملاحظاتك عن النقد جيدة ، ونتمنى ان تجد فيما تقدمه العربي من فصول النقد الادبي ما يحقق ما تتطلع اليه من نقد موضوعي هادف وبناء .

***

الى الاخ جهاد وشاح ـ حمص ـ سوريا

مشاكلك الثلاث هي اعراض متعددة لمشكلة واحدة هي عدم الثقة بالنفس ورحلتك للوصول الى هذه الثقة يجب ان تبدأها بنفسك . ان تبدأ بمحاولة صادقة لاجادة شيء ما من هذه الاشياء التي تحبها ، قد يكون الشعر الذي تحب كتابته ، قد يكون الدروس التي تدرسها ، قد يكون هواية او مجرد عمل يدوي ، ان مثل هذا النجاح المبدئي هو افضل ما يقدمك للآخرين متغلبا على خجلك وأوهامك ، حائزا لثقتهم وتقديرهم ، فلغة العمل الناجح يفهمها ويقدرها جميع الناس ، وتقدير الآخرين سوف يدعم ثقتك بنفسك ، فتزداد قدرة على الانجاز الجيد ، وهكذا تستمر دورة النجاح.المهم ان تثابر والا تضخم ما تسميه عقبات ، وان تتجنب العزلة التي هي اخطر ما يتهددك في هذه المرحلة من عمرك .

□□

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول أكتوبر ١٩٨٥

١٩٣

[illegible]
أوبو زوجاً مخدوعاً

تأليف : الفريد جاري - ٣

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٥م

النظام الإعلامي الجديد

تأليف: د. مصطفى المصمودي

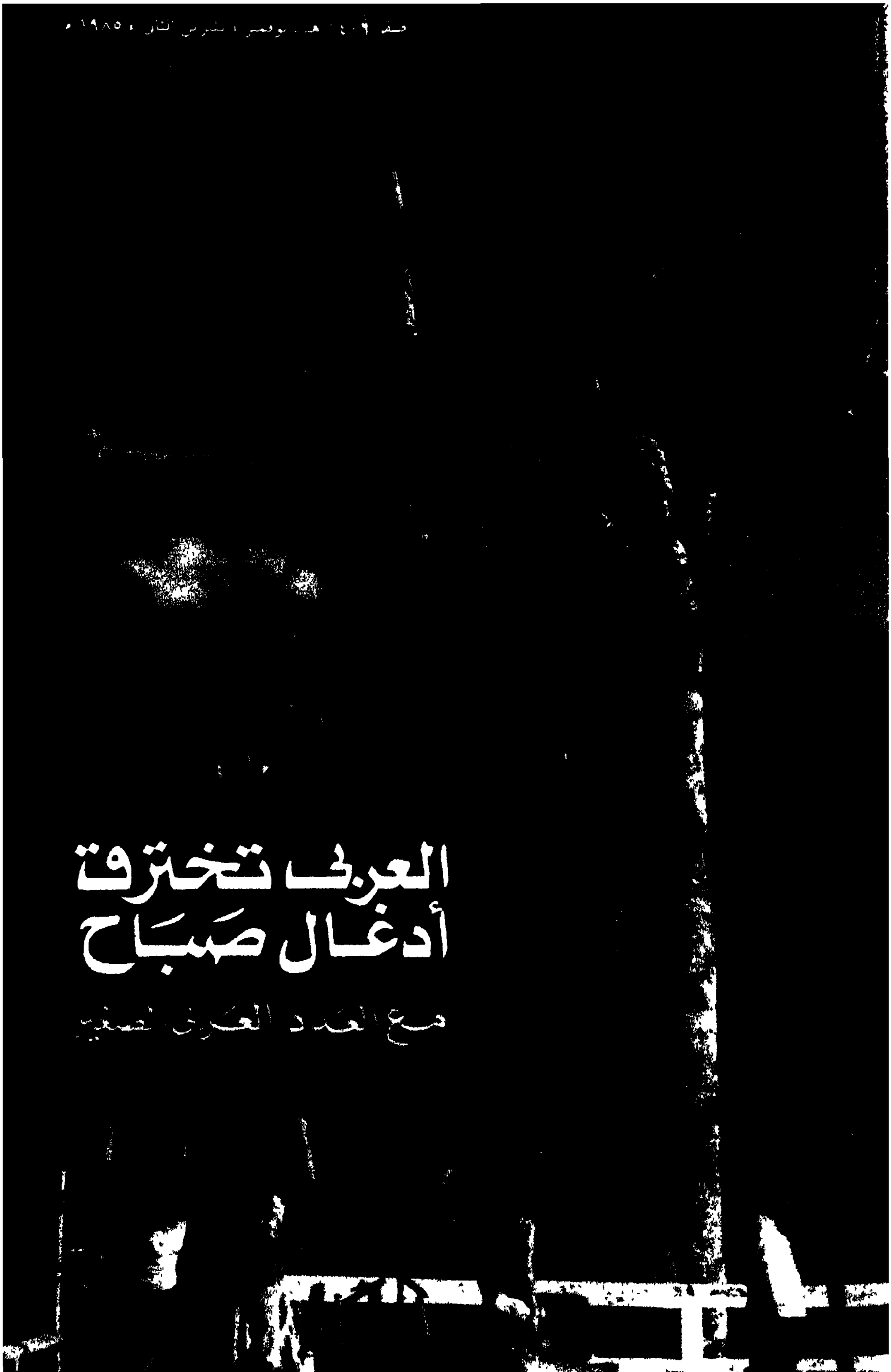
٥٠٠ فلس

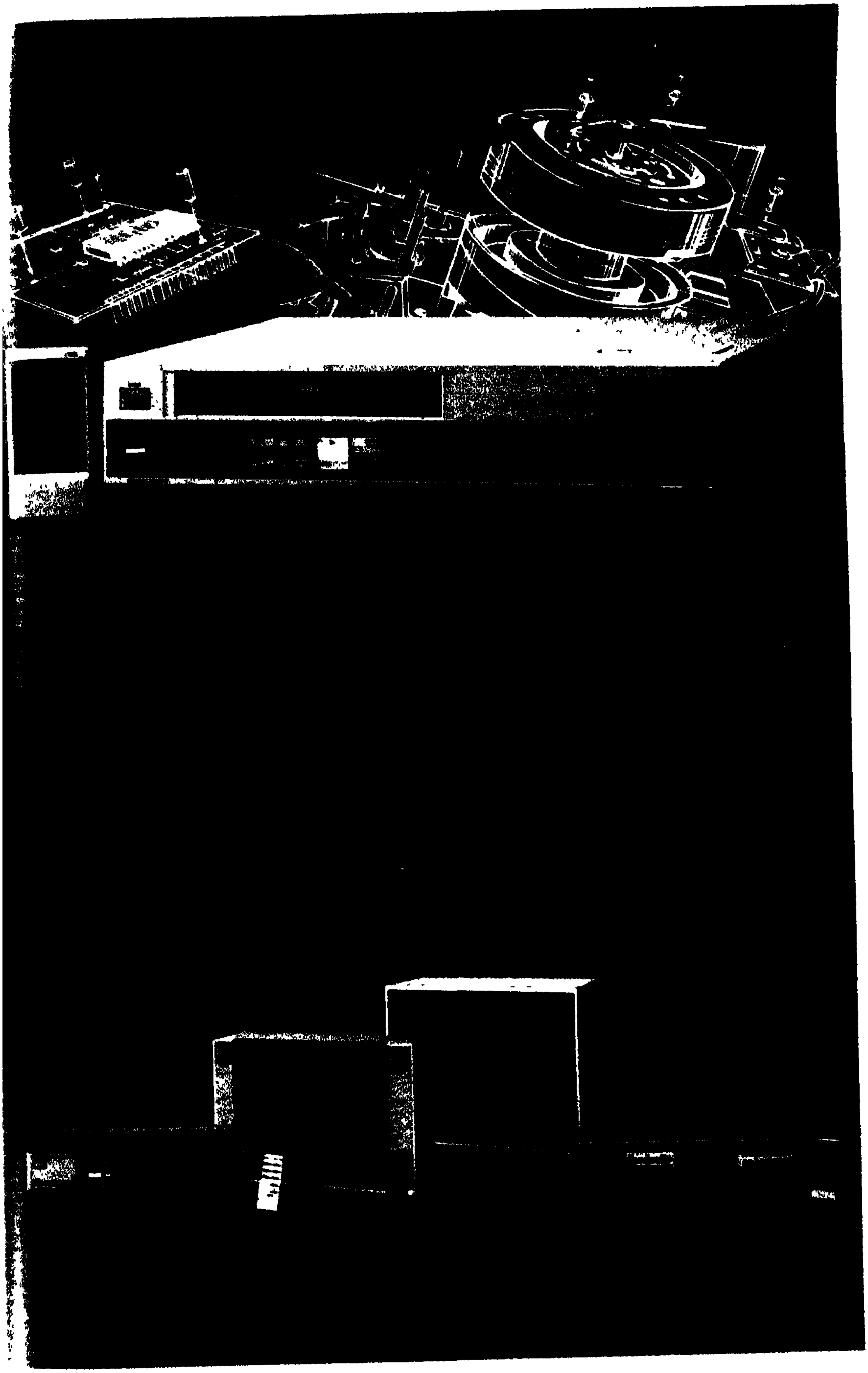
الكتاب الرابع والتسعون

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت


صفر ١٤٠٦ هـ - نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ م
العربي تخترق
أدغال صَبَاح
مع العدد العربي الصغير



العدد ٣٢٤ السنة الثامنة والعشرون نوفمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No: 324 Nov. 1985 P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٣٩٧٢٩ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت / تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د. ك - باقي دول العالم ٦ د. ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

قصة قصيرة

الغريب

بقلم : رجب سعد السيد

لم يكن راضيا هاهى الساعة تقترب من الثامنة ويكاد اليوم ينتهى ، ولم يتجمع فى علبة الإيراد ما يجلب الرضا . مرت عدة أيام على نفس الحال . فى الصباح ، وهو فى طريقه الى العمل ، يفشل فى التقاط أى راكب . ليس بسبب ندرة الركاب ، ولكن لأن رغباتهم تتعارض مع خط سيره من بيته فى (الورديان) إلى (الحقانية) فى ميدان المنشية ، حيث يعمل فى وظيفة كتابية تحتم عليه التوقيع فى قائمة الحضور قبل الثامنة والنصف وذلك يجعله يتهرب من كل راكب يطلب نقله إلى مكان بعيد ، ليتوفر له الوقت للبحث عن مكان يوقف فيه السيارة ، بعيداً عن احتمال أن تقع عليها عين زميل من زملاء المكتب ، فتفشل محاولات الكتمان ، وينتشر الأمر فى المحكمة كلها يأتى خوفه من المساءلة القانونية فى المرتبة الثانية بعد تطيره من نظرات الحسد والحقد وألسنة السوء وبالطمع ، فإنهم لن يروا إلا السيارة (البيجو) الجديدة لم يروا مكابدة السنوات الطوال منذ خرج من الجيش بعد الحرب يحمل فى يده رخصة القيادة (درجة أولى) ، ويعمل عند أصحاب السيارات الذين يشتركون - جميعهم - فى اتهامهم الدائم للسائقين بعدم الأمانة فى توريد (الغلة) ولن يصدقوا أنه اشتراها بالتقسيط ، ولا يمكن أن يتصوروا القلق المميت الذى يقلب كيانه وأيام الشهر تزحف إلى نهايتها ، دون أن تقترب الجنيهات المقتصدة من الرقم (٢٠٠) ، قيمة القسط الشهرى

يعلم ويؤمن بأن الله يقسم الأرزاق . وهنا ، يجب أن يوجه التأنيب إلى نفسه ، فهو فى حالات كثيرة كان يركب رأسه ويصر على أن يحدد خط سيره فى شريط الكورنيش فقط ، رافضاً العديد من طلبات التوصيل إلى الأحياء الواقعة فى عمق المدينة أو الضواحى . . السير فى شوارع شتاء تلك الأحياء مخاطرة .

فى الصباح ، وعلى مكتبه فى (سراى الحقانية) راجع حساباته ، ووجد أنه سيضطر إلى تحويل كل راتبه الحكومى ليصب فى صندوق القسط الشهرى قرر أن يتوقف لأى إشارة ، ويستجيب لأى طلب وهاهى الساعة تقترب من الثامنة ، وهو راجع من (أبى قير) يتهادى وقد خلت الطريق من أى مترجل أعطته السيدة التى أوصلها إلى أبى قير أجرا معقولا ، ولكنه لايغطى خسارة الرجوع خاليا .

عند الاستدارة الحادة فى الطريق ، بعد الفندق الكبير أمام سور حدائق قصر المنتزه تهيأ له أن رجلا يطلبه ملوحا بيده كان قد تخطاه قليلا . توقف وتراجع إليه . فتح الرجل الباب ومرق إلى داخل السيارة لم يسأله عن وجهته ، ولم ينطق الرجل

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

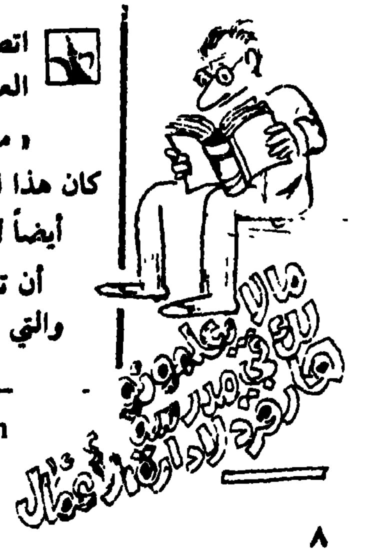
تعلّم كيف "تقرأ" الناس!

□ هذا هو ما لا يعلّمونه لك في معاهد إدارة الأعمال.

□ إدارة الشركات لا تعني التقيد بالأنظمة.. ولكن تعني الخروج المستمر عليها.

□ العين هي أفضل ساحة لاستقراء ما يخفيه الآخرون.

□ الفراسة تعني أن تستمع أكثر.. وتتكلم أقل.



اتصور أن أي قارىء سيجد نفسه مشدوداً لقراءة كتاب يحمل هذا العنوان المثير :

« ما لا يعلمونه لك في مدرسة هارفرد لادارة الأعمال »* خصوصا اذا كان هذا الكتاب قد أصبح أكثر الكتب مبيعاً على مدار حول كامل ، خصوصا أيضاً لأن الدراسة في أي مدرسة أو كلية عادية لادارة الأعمال ، لا تستطيع أن تصل الى مستوى ما تحققه الدراسة في كلية هارفرد لادارة الأعمال . والتي عرف عنها انها من أفضل الكليات العالمية لهذا النوع من الدراسات .

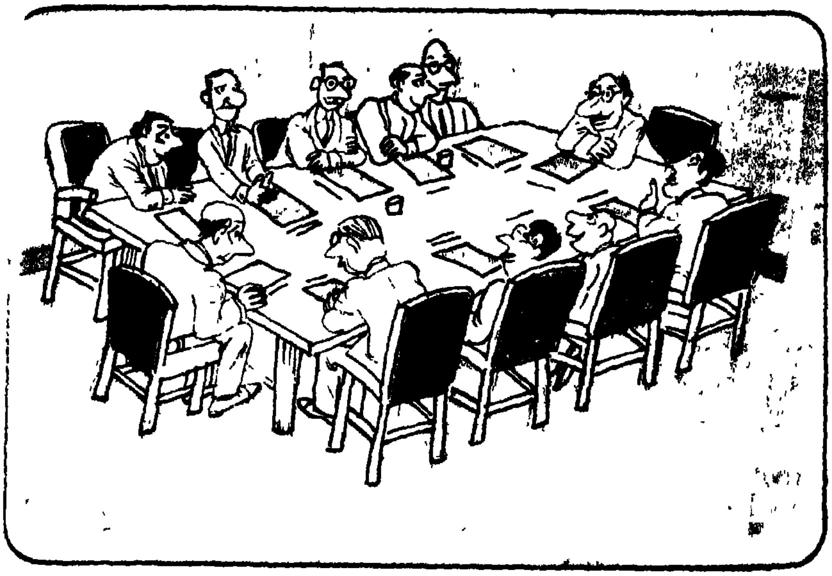
---

* MARK H. Mc CORMACK : What they Don't Teach you at Harvard Business School.

الا أن الكتاب لا تكمن إثارته وانتشاره السريع في عنوانه الغريب فحسب . . ولكنها تكمن فوق ذلك في فلسفته ومادته الجديدة
واذا كانت مادة الكتاب يمكن مناقشتها سواءً لقبولها أو التحفظ على بعض وقائعها أو لرفض بعضها الآخر ، الا أن فلسفتها قائمة وواضحة المعالم . . وهي فلسفة ـ برغم غموضها في الكتاب نفسه يمكن البحث عنها بين السطور ـ تقود في رأيي الى فكرة يرددها المهتمون بالتعليم وتطويره في أركان العالم الأربعة . . وجوهرها في التساؤل الحاسم : هل يحصل أبناؤنا في الكليات والجامعات والمدارس المتخصصة على علم يفيدهم في حياتهم العملية ، أو أن هناك فصلاً بين ما يتعلمه الطلاب والطالبات على مقاعد الدراسة ـ في معظم الدراسات ـ وبين ما يتعلمونه في الواقع العملي الحقيقي ؟ !
إن ذلك ـ في نظري ـ ما يجعل كتاباً كهذا الكتاب الذي بين أيدينا مثار جدل في فلسفته ان لم يكن في تفصيلات محتواه .
كاتب الكتاب هو « مارك آش ماكورماك » أكاديمي متخصص في القانون ، درس في كلية هارفرد لادارة الأعمال ثم انقلب الى الأعمال الحرة فوفق فيها الى درجة كبيرة . . لذلك فانه يصف كتابه هذا بأنه نتيجة لعلاقات طويلة مع مجموعة من شركات الأعمال في العالم ، ولدت أفكاره في مجالس الادارات واجتماعات المديرين في فنادق الدرجة الأولى ، ومن خلال الاحتكاك المباشر بجميع مستويات الادارة ومختلف مشارب أصحابها الثقافية .

ذكاء رجل الشارع

☐ ان استخدام « ذكاء رجل الشارع » ان صح هذا التعبير ، أي استخدام الحدس والتوقعات والتصورات بشكل منظم للوصول الى الغايات التي يستهدفها المشروع التجاري أو الصناعي الذي يتناوله المدير ، هو أحدى القواعد الرئيسية التي يوصي بها الكتاب .
« ذكاء رجل الشارع » يمكن استخدامه بنجاح في أعمال البيع والشراء والتفاوض ومداولات التعامل مع الناس وفهمهم ، أي كيف تقرأ الناس قراءة صحيحة ، وكيف تستخدم نتائج تلك القراءة للوصول الى النتائج المبتغاة ، انها العلاقة بين الأعمال والانسان .
هذا بالتحديد ما يعلمه الكتاب : كيف تقرأ الناس ؟ وكيف تؤثر على قراءتهم لك ؛ وكيف تستخدم تفاعل الجانبين معاً لتحقيق عمل ايجابي . .
إن الخروج عن المألوف وكسر الأنظمة والتفكير في مبادرات جديدة : كل ذلك لا يتأتى في مدارس التجارة والأعمال لأن هذه المدارس مضطرة أن تَدْرُس وتُدَرِّس الماضي . . وذلك ليس تفكيراً تقليدياً فقط ، ولكنه أيضاً حائل دون الابتكار .
ملء الفراغ بين العلم الأكاديمي في المدرسة أو الكلية ، وبين المعلومات التي تأتي من الخبرة اليومية ، يحتاج الى جسر ، والى نوع جديد من التدريب ، حتى لا يكتشف الخريجون من الكليات الجامعية أنهم ضحايا تدريبهم



لغة العيون.. ليست فقط في الحب

الأكاديمي ، ويبدون أمام غيرهم اما بسطاء ، وإما على استعداد عقلي للتردي في الفهم الخاطيء . وكلا الحالين مدمر لأعمالهم ، ولحياتهم الشخصية على حد سواء

لقد ثبت - كما يقول الكاتب - أن الحكم على رجل الأعمال بأنه سيكون ناجحاً في المستقبل - مديراً أو صاحب عمل خاص - بمجرد حصوله على شهادة في ادارة الأعمال مع توافر مستوى جيد من الذكاء - ثبت أن هذا الحكم ، حكم خاطيء وباهظ في حطئه ، ليس لأن الثقافة والدرجة العلمية شيء سيء . ولكن لأنها ليست بديلاً عن الفهم الحقيقي للناس ، ولأن الناس ومشكلاتهم لا يمكن أن يُصَبُّوا في قوالب جامدة . من هنا تأتي أهمية الابتكار والمبادرة من واقع الفهم المتفتح على ظروف الناس وشخصياتهم .

فهم الناس

□ الدعوة الى النظرة الواعية للناس ودراستهم دراسة معمقة في إطار التعامل ، تفضي بنا الى ادراك حقيقة مهمة هي أن الناس مختلفون في ارتباطهم مع الرئيس . وفي تصرفاتهم مع المرؤوس .. وهم في حالة البيع يختلفون عنهم في حالة الشراء ، لذا فان أول ما يجب أن يعرفه رجل الأعمال هو كيف يعمق ملاحظته للناس : النظر في عيونهم ، الطريقة التي يتصرفون بها عندما يسمعون سؤالا معيناً خاصاً بموضوع المفاوضة أو المساومة مع الآخرين ، فهناك بعض التصرفات التي لا تبدو بسيطة ولا عفوية ، وعند ملاحظتها ملاحظة دقيقة يمكن أن نخرج بالكثير مما ينفع ويعجل باتمام الصفقة التجارية .

الا أن كثيراً من مديري الأعمال يفقدون الاحساس تماماً بما يدور حولهم ، إما لأنهم مشغولون بالأصغاء الى أنفسهم أكثر من استماعهم لأي شيء

آخر . . أو مشغولون بانجاز الصفقة التي توجه جل تركيزهم الى انهائها دون ملاحظة ما يبدر من الشخص الآخر .

فقدان الفراسة في الناس يعطل العمل ، والفراسة تعني أن تسمع أكثر وتتكلم أقل ، حتى تخلص الى فهم محدثك الفهم الصحيح ، فالناس لا تتكشف شخصياتهم الحقيقية من الوهلة الأولى في اجتماع واحد أو اجتماعين .

صحيح أن السمات الأساسية للشخصية لا تتغير ، ولكنها تتوارى ولا تظهر على حقيقتها الا بعد الاطمئنان الى نوع من الثقة بين الجانبين .

خطوات عملية

☐ في إطار فهم الناس يقدم الكاتب مجموعة من النصائح العملية ، بعضها قد يكون جديداً ، والبعض الآخر لا يعدو أن يكون قراءة عملية من وجهة نظر رجل أعمال لحقائق علم النفس الاجتماعي المتداولة بين المختصين ، من هذه النصائح .

● استمع بجديـــة :

إن القدرة على الاستماع ليست موجودة لدى معظم الناس وهي قدرة تعطي نتائج ايجابية وتذلل الطريق للفراسة وفهم الناس

فالناس غالباً يستهويهم الحديث عن أنفسهم وعن أعمالهم ونجاحاتهم .

وتستطيع أن تذكر كم مرة قاطعك صديق أو زميل عمل أو رئيس عندما كنت تتحدث معه في شيء . قاطعك ليبدأ هو الحديث عن شيء يهمه - في معظم الأوقات - ذاتيا ، لذلك فان الاستماع بجدية يعطيك فرصة أفضل للبيع أو الشراء ، وليس بالضرورة أن الاستماع في كل الأوقات أفضل من الحديث ، فالحقيقة أن كل موقف من مواقف الأعمال تعوزه المرونة المفضية الى التصرف المستقل المبتكر ، ولكن الفرق أن هناك اختلافاً جوهرياً بين شخص يستمع الى الآخرين ، وآخر لا يسعه الا أن يستمع الى نفسه فقط ! فلا بد من مراقبة البون الشاسع بين سماعك وكلامك .

● لاحظ بجديـــة :



مقابلة الناس وجهاً لوجه أفضل من الحديث « بالتلفون » ، خصوصا اذا كنت بصدد انهاء معاملة مهمة ، فالمقابلة تستطيع أن تعطيك فهماً أفضل لمن تقابلهم ، ليس فقط لاستيعاب ما يقولون عن أنفسهم ، ولكن لفهم لمحات أخرى مثل الاشارات التي تصدر منهم عن وعى أو من غير وعى ، والايماءات التى يريدونك أن تحصل منها على نتيجة معينه ، واكثر من ذلك لفهم لغة الجسم نفسها : كيف يجلس وكيف يقوم . ولكن عليك وأنت تقوم بالملاحظة الجدية الأ تتعجل الوصول الى نتائج سريعة وحاسمة ، فمن الصعب أن تفهم الناس في فترة قصيرة ، وعليك أن تحذر قراءة أشياء موهومة في الشخص الذي تتحدث



معه ، وأفضل ساحة لاستقراء الملاحظة هي العين ، فالعين سوف تظهر لك ـ أكثر من أي شيء آخر ـ حقيقة تفكير الشخص حتى لو كانت كل المؤشرات توحي باتجاه آخر ، فالعين هي المرآة ، وتذكر أن الناس تتواصل بالعين ليس في المجال العاطفي فقط ولكن أيضاً في المجال العملي والتجاري ، وعندما تكون مع أكثر من شخص في شركة ، وفي اطار مفاوضات أو عقد صفقة ، فلا تنظر الى انفعالهم وتسمع ما يقولونه فقط ، ولكن انظر الى عيونهم أيضاًفسوف تقرأ فيها القليل أو الكثير مما لم يصرحوا به ، وفوق ذلك فسوف تعرف أيهم أكثر سلطة . كما ستعرف موقعك في نفوسهم ، وهل كنت تزعجهم الى حد الملل !

● تحقق من الذات :

في المؤسسة ـ أية مؤسسة ـ لا يوجد ذات واحدة أو مجموعة من الأشخاص التي تستطيع أن تحدد مسار المؤسسة . فالذات الانسانية تموج بالعواطف والرغبات . والمؤسسة التي بها ألف موظف وعامل ، بها في الحقيقة ألف ذات ، كل واحد من هؤلاء يحمل تفسيراً خاصاً للحقيقة كما يراها من وجهة نظره ، هذه التعددية الانسانية هي التي تفسر في نطاق المؤسسة أن هناك أشياء يجب أن توجد ولكن لا يكتب لها الوجود ، وأن هناك أشياء ما كان ينبغي أن تحدث ولكنها تحدث !

تلك هي الطبيعة البشرية والحقيقة المنطقية فهناك علاقة بين الرؤساء والمرؤوسين في المؤسسة ، هذه العلاقة لا يلزم بالضرورة أن تكون إيجابية ومتوائمة مع أهداف المؤسسة ، فهناك طموح وطموح مضاد ، وهناك اجتهاد صحيح واجتهاد خاطيء ، كما أن البشر يختلفون كأفراد في تصور الأمور وادراكها .

وهكذا فان النجاح الذي يتحقق للمؤسسة هو في تكوين ذات موحدة للعاملين ، وهذه عملية طويلة صعبة لها شروط متعددة .

● اهتم بالأشياء الصغيرة :

هناك مقولة قد تكون صحيحة تقول : « اذا ارتدت المرأة رداء سيئاً فان نظرات الناس ستتجه الى الرداء نفسه ، في حين أن نظرات الناس ستنصب على المرأة نفسها اذا كان رداؤها جيداً » .

لذلك فان خلق تصور وانطباع ايجابي عنك له جدواه في تيسير عملك وتطويره ، والملابس هي في حقيقة الأمر ثقافة لها علاقة بالمجتمع ، فالمجتمعات الصناعية تتوقع منك نوعاً معيناً من الملابس يتوافق مع تكوينها ، والمجتمعات الاخرى الشرقية مثلاً تتطلب شكلاً آخر . . وهناك مثل آخر مشابه . . فان كان لديك سكرتير يتبرع بالمعلومات دون أن يطلب منه ذلك سيؤخذ عنك نفس

الانطباع . . وعندما يتحدث بالسوء عن أشخاص معينين فغالباً ما سيتصور الناس انك على نفس الرأي . فالناس تحكم على الآخرين بما يلمسونه في معاونيهم الملتصقين بهم من صفات .

وعليك ألا تستخدم الصفات والاشارات في تقديمك لنفسك ، لأنه ليس من الضروري مهما كنت مشهوراً ومعروفاً أن يحفظ كل الناس اسمك . فلا بد من أن تعتاد على تقديم نفسك لأي جماعة جديدة ذاكرا اسمك مجرداً من الألقاب .

ومن الأشياء الصغيرة الجديرة باهتمامك أن تتولى بنفسك متابعة مكاتباتك أو مراسلاتك ، فما أكثر النتائج السلبية التي تنشأ حين يضع مدير مكتبك أو سكرتيرك رسالة موجهة الى شخص ما في مظروف موجه الى شخص آخر . . وقد تكون الرسالة شخصية ولكنها تكتب وكأنها منشور دعائي لمن يهمه الأمر ، وأهم من ذلك ألا تتصرف تحت وهم أن المرؤوسين مفطورون على طبائع رؤسائهم ، فان كان رئيسك مجاملاً مهذباً ناجحاً في علاقاته التي تعود على العمل بشكل ايجابي كان ذلك جيداً . ولكن كثيرين يقلدون رؤساءهم حتى في سلبياتهم . . وتلك قضية خطيرة لا ينتبه لها الرئيس ولا المرءوس ولكنها عادة تؤدي الى تعطيل الأعمال وفشلها في وقت لاحق .

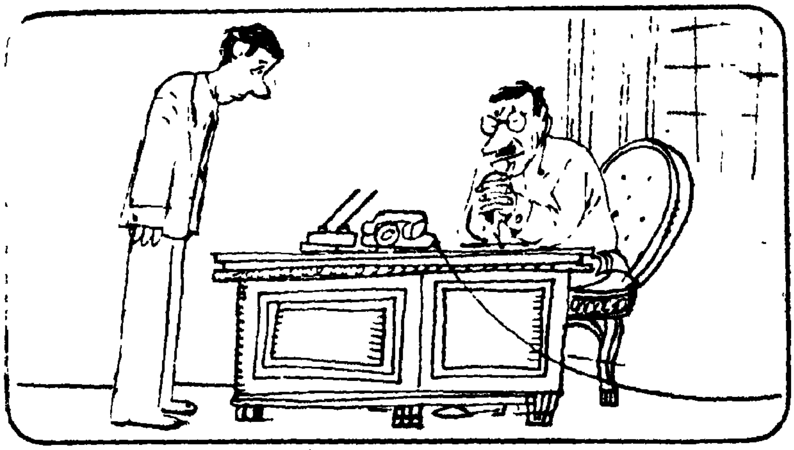
من الأشياء الصغيرة المهمة أن تعني ما تقوله ، فالاسراف في الوعود دون تحقيقها ـ حتى لو كانت هذه الوعود باجراء مكالمة هاتفية مع شخص معين ـ يعطي انطباعاً سلبياً عنك ، استخدم كلمة « لا » ان كنت قادراً عليها ولا تعد بشيء تعرف انك غير قادر على تحقيقه ، فالناس تحب الوضوح وتصفح في حالة عدم المقدرة أو عدم الرغبة ، ولكنها لا تصفح عن التسويف والاغفال واخلاف الوعد .

في نفس الوقت لا تكره الآخرين على أن ينجزوا لك شيئاً وعدوا به أو تحدثوا عنه في وقت حرج وتحت ظروف صعبة عليهم ، فعندما تشعر الناس بفهمك لمواقفهم وتقديرك لظروفهم تنمو ثقتهم ورغبتهم في التعامل معك ، وكن سمحاً مع الآخرين قاسياً على نفسك ، تكسب الاثنين .

ومن الأشياء الصغيرة التي يجب أن تنتبه اليها كرجل أعمال تربطه علاقات بأنماط مختلفة من البشر ، ألا تخلط المديح المستحق بالتملق الكاذب تجاه شخص ما تشعر انت بقيمته ، فمدح الناس بما ليس فيهم هو في حقيقة الأمر ذم ، ورغم ضعف البشر واغتباطهم لسماع المديح الا أنهم يكشفون التملق ، واذا أرضاهم في الظاهر فانهم يسخطون عليه في قرارة نفوسهم .

الملاحظة الأخيرة لها علاقة بخطوة مهمة في عالم الأعمال وهي حفظ الأسرار . . ربما يسر البعض بانك تفشي اسرار الآخرين لهم ، ولكن ذلك في نفس الوقت يقلل من ثقتهم بك .





التعبيرات الصعبة

☐ في الأعمال التجارية - كما في الحياة - هناك تعبيرات صعبة ، وكثير من الناس يتفوهون بتعبيرات خاطئة ظناً منهم أنهم يتركون انطباعاً صحيحاً في نفوس محدثيهم ، كما أنهم يتجنبون بعض التعبيرات ظناً منهم انها تترك الانطباع الخاطيء ، ويشير الكاتب الى ثلاثة تعبيرات صعبة -

« أنا لا أعرف »

مما يدعو الى العجب أن الناس يتجنبون التعبير بالقول : « أنا لا أعرف » ، ويظنون أن استخدامهم هذا التعبير سيظهرهم للآخرين بأنهم غير أكفياء ، والحقيقة أن استخدام تعبير « لا أعرف » يدل على ثقتك بنفسك ، وليس مطلوباً من أحد أن يعرف كل شيء عن كل شيء ، كما أن تعبير « لا أعرف » تعطيك دافعاً للتعلم ، وهو يمنحك ثقة أكبر في تصرفك ، فان قلت لا أعرف في موضوع ما ثم جاء موضوع آخر وأدليت بدلوك فيه ، فانت - أمام محدثيك - لا شك تعرف خير المعرفة والا لقلت فيه أيضاً ما سبق أن قلته في الموضوع الأول .

ان عدم مقدرة بعض الناس في التعبير بلفظ « لا أعرف » - حتى في الظروف الاجتماعية العامة - يعطيك انطباعا لا يخطيء عن شخصيتهم في أعمالهم فهم يحيطون بالموضوع مجال الحديث من أطرافه ويحاولون تغييره في أقرب وقت حتى يتجنبوا فقط قولهم « أنا لا أعرف » .

« أحتاج الى مساعدة »

من التعبيرات الأخرى التي يتجنبها الكثيرون تعبير « أحتاج الى مساعدة » ، فهم يخافون من طلب المساعدة أو قبولها عندما تعرض ، على أساس أن ذلك سوف يعني بشكل مباشر أو غير مباشر عدم قدرتهم على أداء أعمالهم ، ولو فكروا قليلاً لوجدوا أن أي نظام عمل لم يوضع الا من أجل إعطاء المساعدات والحصول عليها ، فغاية الشركات والمؤسسات هي وضع أهداف

وتحقيقها ، وفي كثير من الأوقات فان هذه الأهداف تتحقق من خلال المجموع بشكل أفضل مما يتحقق من خلال الفرد ، طلب المساعدة هو طريق آخر لزيادة التعلم والمعرفة وذلك يضيف الى خبرة المؤسسة خبرات جديدة ، كما أنه يشير الى رغبة في العمل مع الآخرين .

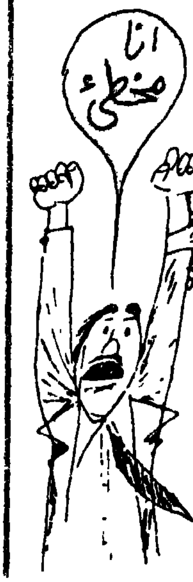
ان قبولك للمساعدة واعطاءك إياها ، سوف ينظر اليها من قبل الادارة بشكل ايجابي ، في هذا الاطار لا يجب أن ننسى الظاهرة الطبيعية النفسية وهي الذاتية والأنانية لدى الأفراد . . وليس في ذلك عيب ، ولكن عندما تتعارض هذه الأنانية الفردية في اتمام الأعمال مع مصالح المؤسسة ككل ، هنا يبرز العيب الرئيسي في عدم طلب المساعدة أو تقديمها للآخرين .

« أنا مخطـىء »

اذا لم ترتكب أخطاء فأنت لا تبذل جهدك الكامل ، فالأخطاء هي نتيجة محاولتك الوصول الى الأفضل ، وتجريب طرق جديدة في أعمالك ، وهذا يعني أنك كثيراً ما سوف تقع في الخطأ ، وهنا أهمية أن تكـون مستعداً للاعتراف بخطئك ولا تبحث عن مشجب تعلق عليه تلك الأخطاء ، فالاداريون الجيدون قد يخطئون في كثير من الأوقات ، ولكن لديهم الاستعداد للاعتراف بخطئهم عندما يظهر ذلك ولا يجدون غضاضة في تحمل مسئوليته .

الناس غير الواثقين من قدراتهم هم أقل الناس اعترافاً بأخطائهم ، وهم يفشلون في التفريق بين الوقوع في الخطأ والاعتراف به ، وهاتان ـ في الحقيقة ـ قضيتـان منفصلتان ، فـاذا كان حصـول الخطأ فيـه شيء من السلبيـة الا أن الاعتراف بهذا الخطأ كله ايجابي الاعتراف بالخطأ واصلاحه أو تجاوزه خير الف مرة من اضاعة وقت الآخرين في محاولة تبريره ، أو تغطيته أو اسقاط لومه على الآخرين .

●●●



على الرغم من أن نصائح الكتاب وتجارب الكاتب كثيرة ومتعددة ، فهو يدعو في نهاية مؤلفه الى تطويع هذه الأفكار لتلائم الجو العام الذي يجري فيه العمل وينمو سواء أكان تجارياً أم صناعياً أم حدمياً ، وقيمة الكتاب ـ في نظري رغم طرافته وتعدد مداخلاته ـ هي العودة الى وضع العلاقات الانسانية والقيم العليا من جديد موضع الصدارة ، صحيح أن الكتاب يعتـرف بأن الأعمـال والادارة هي منافسة لا بد منها . ولكنها يجب أن تكون منافسة منضبطة اذا أريد لها ان تنجح وتستمر ، وفي رأيي أن هذا الكتاب يقرأ للعلم بما نتصور أن تكون عليه أصول المعاملة في دنيا العمل والادارة . وضـوابط العـلاقـة بين الأعمال . . والانسان □

سوق السلاح

تجارة .. أم سياسة؟

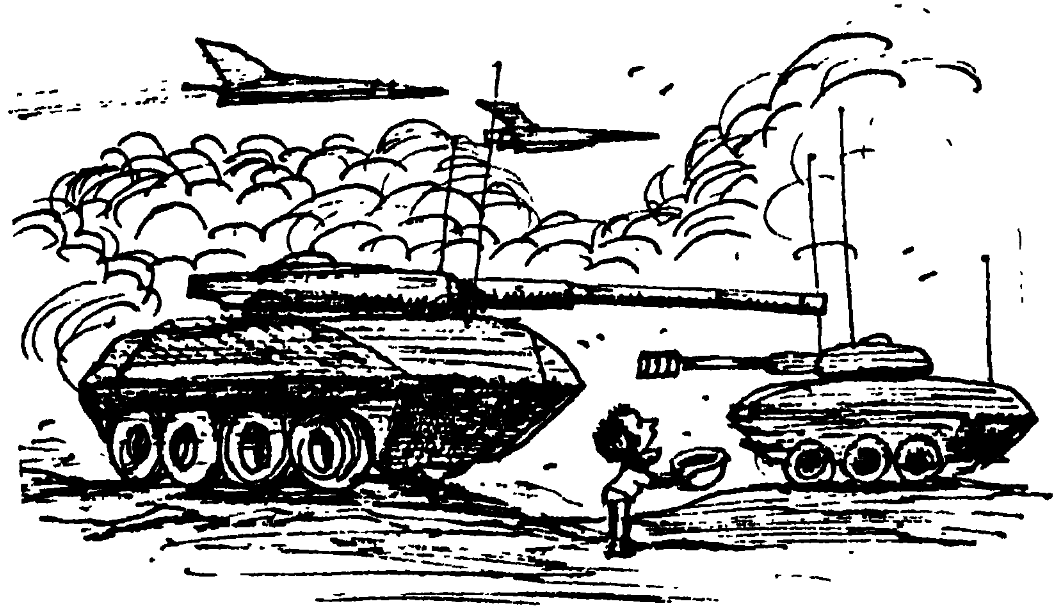
بقلم : أمين هويدى *

بدأت سوق السلاح ببداية اختراع البارود فى القرن الرابع عشر ، وازدهرت سلع هذه السوق على مر الايام حتى اصبحت فى عصرنا الحالى ركنا هاما من اركان التجارة الدولية ، فعن طريقها تقوم حكومات على انقاض نظم أسقطت باستخدام القوة ، وعن طريقها يمكن تشكيل السياسات الخارجية للدول وتوجهها وجهة معينة فليس هناك عامل مؤثر على طبيعة العلاقات بين الدول كالسلاح مهما قيل عن اهمية الوسائل الأخرى . . وذلك هو ما يتناوله هذا المقال . .

لم تعد تجارة الاسلحة مجرد تجارة تنشر الحروب والدمار ، ولكنها تجارة تفرض سياسات معينة ، وتشكلها فان كان الاستقطاب هو غرض رئيسى فى الاستراتيجية العالمية فان تجارة السلاح أو على الاصح نقل السلاح هو أداته الحاسمة Arms Transfer .

ولكى نبين الحجم الحقيقى للسلع المتداولة فى هذه السوق الغريبة التى ينفق فيها اكثر من ٥٠٠ مليار

* مفكر وكاتب مهتم بالقضايا الاستراتيجية وقضايا الامن القومي ، شغل منصبي وزير الحربية والمسئول عن المخابرات العامة في مصر عقب نكسة ١٩٦٧ مباشرة . عضو في عدد من اللجان الدولية المهتمة بالدراسات العسكرية .



دولار فى العام اى بمعدل مليون دولار فى الدقيقة ، فانا سوف نستند الى دراسة قام بها « بول رانك » رئيس الوفد الامريكى لتحديد الاسلحة والتى يقول فيها :ـ

● من بين كل ٦ دولارات تحصلها الضرائب ، ينفق دولار على التسليح .

● الضرائب التى تدفعها العائلات على التسليح تفوق ما تدفعه لتعليم اولادها .

● لدى الدول النامية جندى من كل ٢٥٠ من السكان ، وطبيب واحد لكل ٣٧٠٠ من الافراد

● تجعل التكنولوجيا الحديثة من الممكن نقل قذيفة حول العالم فى دقائق معدودة ، والنساء فى بلاد آسيا وافريقيا يسرن يوما كاملا للحصول على الماء .

● تدفع الدول الناميةفى التسليح ٥ امثال ما تدفعه فى الانتاج الزراعى من حصيلة العملة الصعبة وفى نفس الوقت الذى تتصاعد فيه النقود المتداولة فى هذا السوق ، نجد أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للدول فى أزمة حقيقية . ففى تقرير للامم المتحدة فى ١٩٨٢/١/٢٥ نجد فيه الحقائق الاتية :ـ

ـ ازداد عدد الافراد الذين يعانون من سوء التغذية الى ٥٧٠ مليون ، وعدد الأميين الى ٨٠٠ مليون ، ومن تنقصهم الرعاية الصحية الى ١٥٠٠ مليون . . وكان هذا قبل حالة الجفاف والجوع التى تمر بها دول وسط افريقيا الآن

ـ انخفض معدل نمو الاقتصاد العالمى من ٥٪ الى ٣,٤٪ وفى الوقت نفسه ارتفعت صناعة الاسلحة لتبلغ ٥٠٠ مليار دولار سنويا كما سبق القول

ـ بالرغم من أن متوسط دخل الفرد من العالم الثالث لا يزيد عن $\frac{١}{١٢}$ من متوسط دخل الفرد فى الدول الصناعية ، فإن العالم الثالث اشترى ٧٥٪ من كل صادرات الدول الصناعية من الاسلحة خلال السبعينيات بمتوسط إنفاق ١٩,٥ بليون دولار سنويا

نتائج ايجابية

من جانب اخر فان تأثير صناعة السلاح ونقله وتصديره له نتائج إيجابية على الدول المنتجة : إذ يعمل في هذه الصناعة ٥٠ مليون عامل ، و ٢٠٪ من مجموع المهندسين والعلماء ، ويقدر البعض عدد



كان يتنفس بعمق وبصوت مسموع ، وكان معطف المطر يصدر أصواتا وهو يحك كميه ببعضهما . نظر إليه فى المرآة العاكسة رأى قبعة سوداء على رأسه فكر فى أن يكون سائحا أجنبيا فى نفس اللحظة ، سمعه يتكلم فى لغة عربية واضحة .

ـ (معذرة . نسيت أن أقول مساء الخير)

عندها ، خاب رجاؤه فى ختام طيب ليوم من الأيام غير المواتية قال الرجل وهو يزيل دائرة من غلالة البخار المكثف فوق زجاج النافذة

ـ (الاسكندرية تغتسل . لا يكفيها البحر . تستهويها الأمطار) .

كان يحادث نفسه ، واستمر يرقب الأمواج والأمطار صامتا

قطعت السيارة مسافة طويلة ، وكان لابد أن يعرف السائق وجهة الراكب

ـ (لم تقل ، سيادتك ، الى أين) .

ـ (إلى كل مكان . . أى مكان بالاسكندرية هو وجهتى .)

وصمت قليلا ، ثم عاد يتساءل فى تودد :

ـ (لعلك لا تكون مللت من وجودى فى سيارتك . !)

سارع السائق متحرجا ينفى أى شبهة فى سؤاله .

ـ (آسف يا سيدى لم أكن أقصد تحت أمرك وفى خدمتك .) .

ـ (لاعليك يارجل . . إنما قصدت مداعبتك لأجعلك تبادلنى الحديث أحتاج الليلة إلى رفيق سكندرى أتكلم معه . لاشك أنك سكندرى) .

ـ (أنا عن جد .) .

ـ (هذا حسن . . حسن جدا . . من فضلك توقف للحظة . .) .

العلماء والباحثين الذين يعملون في هذا المجال بنصف مليون باحث ، كما يخصص ٣٥ مليار دولار للابحاث الحربية .

وبذلك أصبحت الصناعات الحربية صناعة رئيسية يعتمد عليها النظام الاقتصادى العالمى ، إذ أنها تحتاج الى المواد الخام من الدول النامية ، مثل الالميوم والنحاس والنيكل والبلوتونيوم واليورانيوم . وفى نفس الوقت فهى تسعى لايجاد أسواق للتوزيع لتغطية نفقات الانتاج ولموازنة ميزان المدفوعات ، وبذلك زادت معدلات الانتاج من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ كالاتى :ـ

الولايات المتحدة ٤٥٠٪

الاتحاد السوفيتى ٢٥١٪

بريطانيا ٦٥٠٪

المانيا العربية ٦٧٨٪

ايطاليا ١٠٢٣٪

وبالتالى يمكن تحديد نسبة تصدير المصدرين الكبار فى الأسلحة التقليدية عام ٦٥ كالآتى .

الولايات المتحدة ٣٩٪ والاتحاد السوفيتى ٣٤٪ والمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا كل منها ٣٪ اما فى عام ١٩٧٤ فنسبة الولايات المتحدة ٤٥٪ والاتحاد السوفيتى ٣١٪ وفرنسا ٦٪ وبريطانيا ٥٪ والصين ٣٪ .

وكان التوزيع الاقليمى لاستيراد الاسلحة التقليدية عام ١٩٦٥ كالآتى .ـ

شرق آسيا ٥٥٪ والشرق الاوسط ١٣٪ وجنوب آسيا ١١٪ وامريكا الاتينية ٤٪ وافريقيا ٩٪ .

اما فى عام ١٩٧٤ فكان التوزيع الاقليمى كالاتى ـ الشرق الاوسط ٤٥٪ وشرق أسيا ٣٠٪ وجنوب أسيا ٤٪ وامريكا اللاتينية ٦٪ وافريقيا ٦٪

وحتى نتصور الحجم الهائل من الاسلحة الذى يصب فى منطقتنا ، علينا ان نتذكر أنه كان لدى البلاد العربية فى حرب ١٩٧٣ حوالى ٤٦٠٠ دبابه وهى ٢/٣ مالدى دول الناتو إذ لديها ٧٠٠٠ دبابه ـ وكان لدى العرب ١٢٢٥ طائرة قتال اى ٢/٣ مالدى الناتو إذ لديها ٢٠٥٠ طائرة . وقد قفزت هذه الارقام فنجد أن عدد الدبابات التى لدى البلدان العربية عام ١٩٨٠ هو ١١,٠٠٩ فى مقابل ٣٠٥٠ لاسرائيل . وعدد المصفحات الاخرى وصل إلى ٨٨٢٢ فى مقابل ٤٧٠٠ لاسرائيل ، والطائرات ١٩٤٣ للعرب فى مقابل ٦٧٩ لاسرائيل عام ١٩٨٠

ولعلنا لاحظنا ان سوق السلاح يعتمد على حركة السلعة من المنبع وهى الدول المصنعة ، الى المصب وهى الدول المستخدمة والمنبع يطلق عليه « الدول المركزية أو القوى المركزية Central Powers) والمصب تمثل ما يعرف بالدول الهامشية (Perepherial) وكثير من كتابنا يغضب من لفظ « الهامشية » ولكنه لفظ علمى متعارف عليه لا يعنى التقليل من الشأن بقدر ما يعنى تعبيرا عن واقعها .

والحركة فى ظاهرها كما نرى أمر طبيعى فى السلع الاخرى كما يتم فى السلع المتعلقة بشئون الدفاع ولكن الواقع غير ذلك تماما فالتحرك فى مجال السياسة العالمية أصبح محكوما بعدة عوامل اهمها مصلحة الدولتين الاعظم وسعيها لتحقيق التفوق فى توازن القوى الذى وصل الى حد التعادل بين القوتين بحكم الرعب النووى ، ولذلك انطلقت القوتان الاعظم الى « الهامش » لكسب معركة التوازان هناك وعلى الدول النامية ـ ونحن منها ـ ان تتحرك فى ظل هذه الحقيقة . والحركة فى المجال العسكرى تحتاج الى طاقة والطاقة الذاتية تجعل الحركة ممكنة الى مسافة محدودة . ذلك لأن الطاقة المتاحة هى التى تحدد المدى الذى يمكن للحركة ان تصل اليه وإذا كان المرغوب فيه ان يتجاوز المدى الطاقة المتيسرة اصبح لزاما تعويض هذا النقص من المصادر الخارجية ومن اهمها القوتين الاعظم .

ولكن الحصول على الطاقة فى سوق السلاح ليس مطلقا سهلا كما يتخيل البعض ، أى إضافة شحنات من غير حساب ، وفتح المخازن على مصراعيها لاعطاء السلاح ايا كان نوعه او كيفه أو حجمه ، طالما توفرت قيمة شرائه هذه العملية التجارية فى ظاهرها لها قوانين تتدخل وتتحكم فيها .

القوانين المتحكمة فى سوق السلاح

أولى هذه القوانين هى مصلحة الدول المتجة فى العطاء وهذه المصلحة هى التى تحدد طبيعة القرار

.افقة أو الرفض .

والقانون الثانى هو الحجم المحقق لمصلحة الدول حجة من وراء ذلك فى إطار سياستها العالمية وهذا صح ويحدد حجم الشحنة المعطاة ونوعها ، ولو صح الحجم المحقق لمصلحة الدولة المنتجة وحجم شحنة المباعة أو الممنوحة فى كفتى ميزان ما رجحت حداهما الاخرى فالولايات المتحدة مثلا ترى ان سرائيل تحقق لها مصلحتها « كعصا غليظة » تشق بها خطوات السير فى المنطقة «اذن فلتكن اسرائيل دولة اقليمية عظمى . . . . . باعطائها نوعا وحجما من السلع الحربية يمكنها من ذلك

القانون الثالث هو عدم تجاوز الشحنة المعطاة لدولة من الدول الحد الذى يسمح لها بتجاوز الخط الحرج وهو الخط الذى يهدد بتصادم القوتين الاعظم لصعوبة التحكم فى مدى التحرك حينئذ مما يتفق والاطار المرسوم

وهذه العوامل مجتمعه تحدد : نوع السلاح وحجمه ومداه

والقانون الرابع فى التعامل هو ان يتم التنفيذ بحيث يضمن الابقاء على العلاقة المستمرة بين الدولة التى تعطى والدولة التى تأخذ ، وذلك بتحديد حجم الذخيرة المنقولة وحجم قطع الغيار ، وكمية أعمال الاصلاح التى يسمح بعملها خارج الدولة المنتج وكذلك فترات التوريد .

والقانون الخامس الذى ينظم هذا النوع العجيب من التعامل هو ضمان عدم كشف ما فى الترسانات من وسائل الدمار وعلى ذلك فان الدولة المنتج التى تعطى حريصة كل الحرص الا تعطى أو تبيع إلا من الاصناف التى تجاوزتها ابتكارات تقنية اخرى اصبحت فى خطوط الانتاج . لانه من يدرى ؟ فقد يقع السلاح المعطى بطريقة أو اخرى فى يد الجانب الاخر بطريق مباشر أو غير مباشر فيكشف شيئا كان من الضرورى أن يبقى فى طى الكتمان فيخسر جولة فى الحرب التكنولوجية الدائرة

من الأفراد الى الحكومات

فى ظل هذه القوانين يتم التعامل بعمليات حسابية دقيقة تجرى فيها موازنات شاملة ، بين مايجب وبين ما يسعى ان يكون ويخطىء من يظن أنه قادر على إلغاء هذه القوانين ، فمن يريد ان يأخذ اكثر عليه ان يدفع اكثر ، والدفع ليس بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك وسائل اخرى كثيرة ومتعددة يتم بها تغطية الحساب ، كالقواعد والتسهيلات والاستقطاب والوفاق الاستراتيجى .

والتعامل مع الشركات يخضع لنفس القوانين ، وكذلك مع الافراد علما بأن تطورا خطيرا حدث فى ايامنا هذه فقد بدأت تجارة السلاح أول ما بدأت بواسطة الافراد ، وكان الامر سهلا اذ كان على طريقة ادفع واستلم « ومبروك عليك . . » وتعقدت الامور اكثر حينما اصبح الامر فى يد « الشركات الضخمة » واقتصر دور الافراد على القيام بأعمال السمسرة . اما الآن فهو من صميم اعمال الحكومات فهى التى تبيع أو تسمح بالبيع .

والمسألة فى غاية التعقيد ولكى نتصور مدى ذلك نضرب مثلا واحدا من الولايات المتحدة . هناك شركات عملاقة لانتاج الاسلحة ولبيعها مثل شركة ، روكويل العالمية ، ولوكهيد ، ماكدونالد دوجلاس، وصناعات ليتون ، وهوجز للطائرات ، وبومشيل ، وكلها شركات يسيطر عليها بنك امريكا The Bank of America . وبهذا الوضع يصبح هذا البنك قوة ضاغطة حتى على القرار فى البيت الابيض اكثر من بنوك روكفلر وميلون ودى بونت ، ولكنه وفى نفس الوقت لا يمكنه التصرف لا هو ولا أحد من شركاته دون قرار من هناك وأصبحت الأمور متشابكة بين جهات التمويل واصحاب القرار وبذلك فان البنوك وليس الشركات هى التاجر الرئيسى فى سوق السلاح

ويزداد الأمر تعقيدا حينما نبحث الموضوع فى ضوء تضخم نمو الشركات ، لتصبح متعددة الجنسية ، مكونة علاقاتها مع شركات وراء البحار . فشركة لوكهيد الامريكية لها علاقة مع شركة مسر شميدت الالمانية Messer Shmidt وهذه الشركة بدورها لها علاقة مع شركة الفضاء البريطانية British Aerospace وكذلك شركة الطيران الايطالية Aeritalia وهما الشركتان اللتان تشتركان مع شركة داسو Da ssault الفرنسية فى إنتاج الطائرة التورنادو .

وبهذا التعقيد أصبحت الدبلوماسية هي فن الامداد بالاسلحة .

التمويل والعملة

وجانب معقد اخر يمكن ان نقف عنده لنتحدث عنه في عجالة وهو الجانب المتعلق بالتمويل . اذ ان العامل الحاسم في اي سوق هو « العملة » وهي التي يتحقق عن طريقها البيع والشراء . والعملة في سوق السلاح لاتكون بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك انواعا اخرى من العملات تسدد بها فواتير الحساب . ولكن سيقتصر حديثنا في هذه الفقرة على « العملة النقدية » مركزين على « المنبع الامريكي » وهو المصدر الاساسي لاغلب البلدان العربية .

فمن يطلع على الخطوط العامة لبرنامج المساعدات الأمنية الامريكية لعام ١٩٨٥ والذى قدمته الادارة الامريكية للكونجرس لمناقشته والتصديق عليه ، فاننا نرى ان المساعدة تتوزع على النحو الاتى :

١ - برامج تمويل المبيعات العسكرية الاجنبية
٢ - صندوق العون الاقتصادى
٣ - برنامج المساعدات العسكرية
٤ - عملية حفظ السلام

ومن يقرأ هذه الخطة يجد أن أرقامها تترجم حرفيا السياسة الخارجية الامريكية وليس السياسة الاسرائيلية أو العربية . فالولايات المتحدة الامريكية لا تنفذ الا سياستها ، ودافع الضرائب الامريكى لا يدفع ضرائبه لتنفيذ أى سياسة اخرى غير سياسة بلاده التى اقترع عليها اثناء عملية الانتخابات . وبناء على ذلك نجد ان اى بند من بنود الخطة تم اختياره بدقة كى لا يخرج عن اطار تحقيق الهدف الذى وضع وهو تمكين الادارة الامريكية من تنفيذ سياستها فى الشرق الاوسط مرتكزة على اسرائيل كأداة اساسية .

سياسة « العصا والجزرة »

ويلاحظ ان الولايات الامريكية تتبع فى تعاملها فى هذا البرنامج سياسة « العصا والجزرة » ففى الوقت الذى تعطي تسهيلات حقيقية ، تقوم بوضع القيود التى لا يستطيع العميل ايا كان الفكاك منها . ولنأخذ اسرائيل مثلا على ما نقول :-

يتسم التعامل بين الولايات المتحدةواسرائيل بالمرونه الكاملة :

١ - فتتمتع اسرائيل بما يسمى بالتدفق النقدى (Cash- Flow Method) وفى هذه الطريقة يحدد الشارى عند التعاقد تواريخ التوريد وجداول الدفع التى يوزع فيها المبلغ المطلوب الحصول عليه من البرنامج على اكبر عدد ممكن من السنين . وبموجب هذاالاستثناء تجنب اسرائيل القسط الاول فقط المطلوب بموجب العقد ، وتستخدم باقى المبلغ المخصص فى تعاقدات جديدة . فاذا كان القرض على سبيل المثال بمبلغ ١٠٠ مليون دولار ، واتفق فى التعاقد على ان يكون الدفع على اساس ٥ اقساط سنوية كل منها ٢٠ مليون دولار ، فاسرائيل تجنب ٢٠ مليون دولار فقط قيمة القسط الاول ، وتتعاقد تعاقدات جديدة بالباقى وقدره ٨٠ مليون دولار ، علما بأن القانون الامريكى يحتم تجنيب كل مبلغ القرض حتى ضمان السداد .

وفى حالة مصر مثلا كانت المعونة توجه الى مشروعات محددة منذ بداية المعونة عام ١٩٧٥ وقد ادى ذلك الى تراكم قسم كبير من هذه المعونة فى الفترة من ٧٥ - ١٩٨٣ دون ان تستخدمه مصر بسبب اختلاف وجهات النظر بين الحكومة المصرية وبين وكالة التنمية الدولية التابعة للحكومة الامريكية حول اهمية وجدوى واولويات المشروعات التى تريد الوكالةتوجيه المعونه اليها . وقد بلغت هذه المعونات غير المستخدمة ما يقرب من ٢,٧ بليون دولار كان يفترض حسب القانون الامريكى ان تعود الى الخزانه الامريكية ، ولكن اتفق الطرفان على ان تبقى معلقة اى ما يطلق عليه « اموال فى الانبوب » حتى يتم الاتفاق على استخدامها . وقد حل هذا الموقف مصر ان تطالب بتغيير هذا النظام من توجيه المعونة الى مشروعات محددة ليكون توجيه المعونة الى « قطاعات محددة » وفعلا منذ عام ١٩٨٤ بدأت المعونة تسير على اساس مزج الطريقتين ، وتطالب مصر الان بمعاملتها بالمثل على طريقة « التدفق النقدى » كاسرائيل أو على الاقل مزيجا بين طريقة التوجيه الى قطاعات وطريقةالتدفق النقدى .

تقوم الولايات المتحدة بكثير من التنازلات عن ..ط القروض . ففي ميزانية عام ١٩٨٣ تنازلت ٧٥٠ مليون دولار من اقساط القروض من ..عات الحربية الاجنبية .

.. تلتزم الشركات الامريكية عند شراء اسرائيل ..بيعات الحربية الامريكية بشراء حصة من السلع أو ..خدمات الاسرائيلية ، الامر الذى يعتبر شيئا طبيعيا .. حالة المبيعات التجارية العادية ، ولكنه امر ممنوع .. حالة برنامج المبيعات الحربية الاجنبية ، اذ يحرمها ..قانون الامريكى

٤ ـ القروض طويلة الاجل وبفترة سماح طويلة وبفوائد بسيطة مع اجراءات استثنائية تقفز من فوق قيود القانون .

٥ ـ التغاضي عن المخالفات التى ترتكبها اسرائيل فى ظل القانون الامريكى الذى ينص على استخدام الاسلحة للدفاع عن النفس ، أو الحفاظ على الامن الداخلى ، وتفسير الدفاع عن النفس مطاط لاحدود له

زيادة التحكم

هذا من ناحية « الجزرة » اما من ناحية « العصا » فتتمثل فى الفيتو الامريكى على مبيعات اسرائيل لمنتجات اسرائيلية بها أجزاء امريكية لطرف ثالث ، النص على قيام اسرائيل باستيراد سلع امريكية تساوى حجم المساعدة الاقتصادية التى تخصص لها ، وان يتمتع المصدرون الامريكيون بنفس الحقوق التى تتمتع بها اسرائيل حينما يصدرون الى الاسواق الاسرائيلية ، وان يتم نقل ٥٠٪ من كافة البضائع المستوردة بوسائل نقل امريكية .

ونلاحظ هنا ان « ميكانيزم » التبادل يهدف اولا واخرا الى زيادة التحكم فى الدولة الهامشية حتى لو كانت هذه الدولة هى اسرائيل .

هذا من ناحية الجانب الاسرائيلى ، اما من ناحية الجانب العربى فتصر السياسة الامريكية على :

● ان يكون التوازن دائماً فى صالح اسرائيل فى كل الظروف والاوقات

● الابقاء على « فجوة تكنولوجية » بين البلاد العربية واسرائيل تعوض التفوق العربى العددى والكمى

● لا بد ان يتغلب السلاح الامريكى على السلاح السوفيتى فى اى تصادم

● التصدير على آجال طويله .

● فوائد عالية للقروض العسكرية بحيث تستهلك الجزء الاكبر من المعونة الاقتصادية .

وبخصوص النقطة الاخيرة نضرب مثلا بمصر التى بلغت المعونة الاقتصادية التي تلقتها من الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ حوالى ٧٥٠ مليون دولار بينما كانت اقساط « خدمة الديون العسكرية » ٤٠٠ مليون دولار سوف ترتفع الى ٧٠٠ مليون دولار حينما تنتهى فترة السماح ويحل موعد تسديد الاقساط وقد بلغت الديون العسكرية لمصر ٤ بليون دولار بفائدة مركبة تبلغ ١٣,٥٪ سنويا ، اى تقارب العوائد السنوية ٦٠٠ مليون دولار دون المساس بأصل الدين وقد بدأت مصر فى التخلف عن سداد الاقساط ربع السنوية من العام الماضى ، وبعد زيارة وزير التخطيط مؤخرا قدمت الحكومة الامريكية مشروع موازنتها للكونجرس وتطلب فيه ٨٥٠ مليون دولار معونة اقتصادية لمصر ، اى بزيادة ٦٥ مليون دولار فقط عن معونة العام الماضى وهى زيادة وصفها احد المسئولين المصريين بأنها بالكاد تعادل نسبة التضخم النقدى فى الولايات المتحدة

من ذلك نرى ان السوق الدولية للسلاح سوق مختلفة تماما عن باقى الاسواق العالمية ، اذ ان السلع المتداولة فيها وطريقة التعامل بين البائع والمشترى بكل وسائل تسديد « الفواتير » للصانع التي يتفق عليها . كلها تتم بطريقة مختلفة تؤيد ما سبق ان ذكرناه من ان الدبلوماسية اصبحت من الامداد بالاسلحة

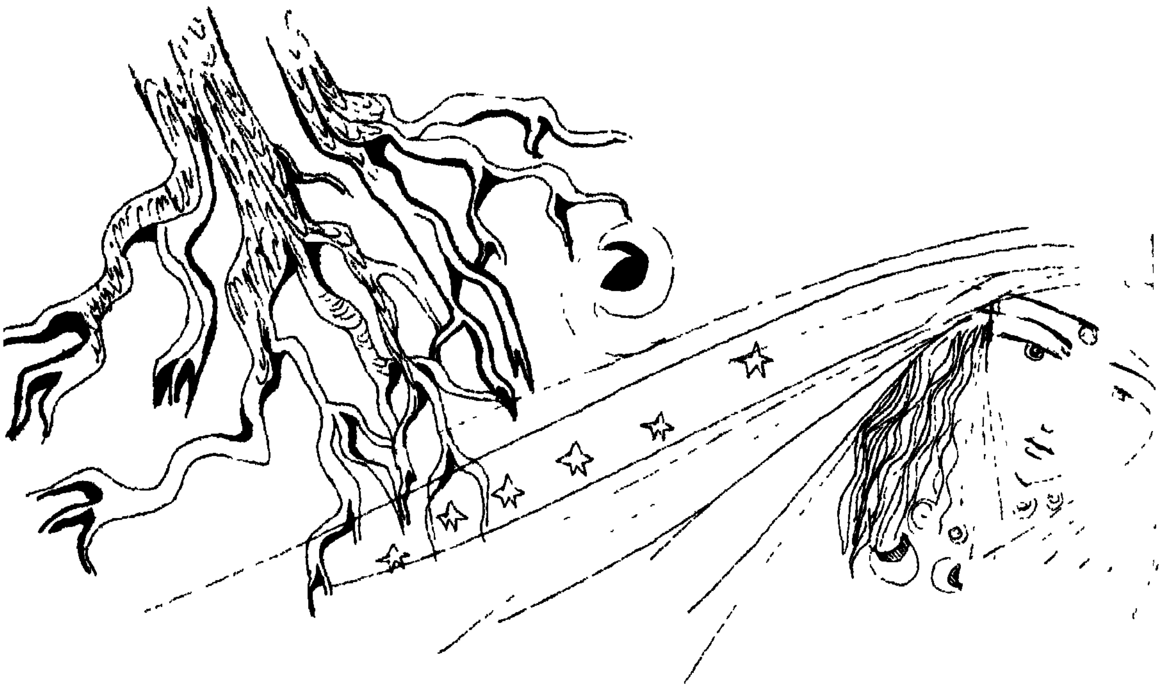
ويبقى السؤال الهام الذى يجب ان نفكر فيه ليل نهار ، وهو كيف يمكننا ـ نحن العرب ـ ان نجعل التعامل فى هذه السوق العجيبة العربية بالنسبة لنا اقرب الى التجارة منه الى السياسة ؟ !

وأؤكد مرة ومرات ان الاجابة على هذا السؤال بطريقة صحيحة تصحح المسار وتضع استراتيجيتنا الحائرة على الطريق السليم . □

لقاء في المنامة

الشاعر محمد الفايز

سقاكِ الله من فيضِ السواقي
وسَّعَ مِنْ جوانبكِ الرِّقاقِ
لأنكِ قد أتيتِ مع انبهاري
بما يأتي وجئتِ مع انعتاقي
وأخشى أنْ يُفجِّرني احتوائي
لنوركِ أو يرنحني انطلاقي
وأنت منافذُ الشُّعَلِ اللواتي
تجيءُ من الجوانحِ والتراقي
وأنك قد عَرفتِ بأيِ عشقٍ
صُليتُ وأنتِ باردةُ الرواقِ
دحانا الماجسُ الأقصى فجئنا
نسيرُ على الأضالعِ والمآقي
وليلٍ لم يكنْ ليلاً ولكنْ
مسالكَ طارقٍ ومدى اشتياقِ
خرجنا نقتفي شجراً غريباً
ففي أغصانهِ فَزَعُ الفراقِ



ولـلأشـجـارِ أشـجـانٌ وفـيـهـا
مـواصـلـةُ الـرحـيـلِ بـلا تـلاق
سـلـكـنـاهُ إلى أقـصـى هـوانـا
ووقّـانـا وقـاهُ كـلُّ واق
وكـانـت تـقـرأ الأشـجـارَ كـلٌّ
لَـهُ وطـنٌ وأسـمـاءٌ بـواقـي
وكـنـت كـذاك أقـرأُ مـا عـلـيـهـا
وأوغـلُ في مـعـانـيـهـا الـدقـاقِ
كـأن بـجـسـمـهـا نـوبـاتُ بـرقٍ
وإلا فـهْـي مـن مـاء مُـراق
وواضـحـة الحـراك إذا تمـشّـى
بهـا عـشـقٌ وطـيّـعـةُ الـعـنـاق
ومـا بـرحـتْ ثـيـابي في عـبـيرِ
أكـرّرُ في بـواقـيـه احـتـراقـي

تجديد التربية مطلب حضاري قومي

بقلم : د . عبدالله عبدالدايم

التجديد في ميدان التربية . . هو أساس التقدم الحضاري والنهوض القومي وهو يستهدف بالضرورة اطلاق الطاقات الفكرية وتفجير الخلق والابداع عند أبناء الوطن العربي . . والبحث لتحديد الأوجه المرجوة لهذا التجديد والسبيل الى تحقيقها .

لن نفتح أبوابا مفتوحة ، ولن نطرق دروبا طالما طرقتها الأدلة لن نتيه في شعاب البحث عن ذلك الشعار ، الذي شاع وذاع في دنيا التربية منذ نيف وعشرين سنة ، والذي بلغ عنفوانه حدا دعا بعض الكتاب من أمثال « ايليش » الى المناداة بالغاء المدرسة جملة وتفصيلا ، والذي ذهب في أكثر أشكاله اعتدالا الى المطالبة بتجاوز اطار التربية التقليدي ـ اطار الصف والمعلم والسبورة ـ والى المطالبة بصيغ تربوية محدثة تدعو في الجملة الى اللجوء الى تقنيات تعليمية جديدة ، هدفها النهائي تعليم عدد أكبر من الصغار والكبار تعليما أفضل ، بنفس الامكانات المادية والبشرية المتاحة .

ان جل قصدنا أن نمضي من وراء هذا الجدال النظري حول التجديد ومرتجياته ودعاواه وعلوائه ، الى استقراء الواقع العالمي عامة والواقع العربي خاصة ، استقراء يبين لنا أن تجديد التربية شرط

سروري لامتطاء صهوة العصر ، والدخول في حلبه ، واللحاق بركب تقدمه .

التجديد التربوى في البلدان المتقدمة

ولنبدأ بالبلدان المتقدمة ، اذ قد يخيل للقارىء أن ما نقول عن شأن التجديد ودوره في بناء التقدم الحضاري يصدق على البلدان النامية وحدها لا على البلدان المتقدمة . والأمر ليس كذلك ، فالتقدم أولا نسبي دوما ، وأمام التقدم تقدم لا ينتهي ، وهو دوما أمامنا لا وراءنا،والبلدان المتقدمة بعد ذلك مراتب ودرجات ، والسباق بين من يرتقى أعلى السلم ، وبين من يزحف في بداياته أو أواسطه سباق حاد ، يأخذ حقا شكل الصراع القومي والحضاري . وحسبنا دليلا على ذلك أن نشير اشارة عابرة الى مثالين حديثين من أمثلة كثيرة : أولهما الصراع مؤخرا بين المشروع الأوروبي (الذي تتزعمه فرنسا) حول صناعات الفضاء وأبحاثه (مشروع أوريكا) وبين المشروع الأمريكي في هذا المجال . والمثال الآخر هو ما لجأت اليه أمريكا في الآونة الأخيرة ، من بيع كميات كبيرة من القمح للجزائر منافسة في ذلك فرنسا التي تعتبر سوق الجزائر سوقا تقليديا لها .

وكلا المثالين ـ والأمثلة أكثر من أن تحصى ـ يشيران الى طبيعة الصراع وجوهره ، ويضعاننا في صلب موضوعنا الأساسي موضوع التجديد التربوي ، فقوام الصراع هو مدى التقدم العلمي والتقنية التي يملكها كل طرف ، ومدى قدرته على تحديث وسائل انتاجه تحديثا يريد في انتاجية مشروعاته الصناعية والزراعية وسواها ، وصفقات القمح أمكن بيعها الى الجزائر بأسعار مزاحمة لأسعار القمح الفرنسي ، بسبب جودة القمح الأمريكي ، وبسبب انخفاض كلفته نتيجة لزيادة الانتاجية الزراعية ، عن طريق تحديثها ، وادخال أدق الأجهزة والوسائل التقنية اليها .

السباق القومي بين الأمم يقوم اذن بوجيز العبارة على أرض التحديث العلمي والتطوير الجذرى في وسائل الانتاج ، وتحقيق المزيد من آلية الآلة ، والمزيد من حلولها محل الانسان . ولا يتم ذلك الا اذا تم قلب سريع لبنى الانتاج ووسائله ، واستخدام متزايد للاوتوماتية والسبرانية والمعلوماتية وسواها من التقنيات الطليعية ، التي تزيد في الانتاجية ، وترفع من مستوى فعالية الادارة والتنظيم . والحديث عن التغيرات المرجوة وعما يجرى بهذا الشأن في البلدان المتقدمة حديث يطول،وله غير هذا المحال والذى نود أن نخلص اليه من وراء هذا كله أن مثل هذا التحديث والتغيير لا يمكن أن يتم الا بتجديد التربية بنى ومحتوى وطرائق . ومن هنا تشعر البلدان الأوروبية أن سعيها من أجل تحديث وسائل الانتاج ، لا بد أن يرافقه جهد مواز يتصل باعداد القوى العاملة اللازمة لوسائل الانتاج الجديدة ، وللبنى الاقتصادية والاجتماعية الجديدة بوجه عام . ومثل هذا الجهد لا تجدى فيه الجهود الاصلاحية البطيئة ، بل لا بد فيه من جهد تربوى تجديدى جذري

البلدان العربية والتجديد التربوى

ولكن لا بد من الارتحال عن تجربة البلدان المتقدمة ، فهي على غناها بالدروس ، لا تغني عن الحديث عن شجوننا التربوية الخاصة وحسبنا أن رأينا من خلال هذه اللفتة البرقية الخاطفة كيف أن تجديد التربية في البلدان المتقدمة هو سبيل التجديد الحضاري القومي وهو الدرب اللازب لتأكيد الوجود واثبات القدرة في حلبة السباق العالمي ، السباق الذي عدا سباقا علميا تقنياً أولا وقبل كل شيء .

أما في البلدان النامية عامة والبلدان العربية خاصة ، فالصلة بين تجديد التربية وبناء الحضارة القومية صلة أعمق وأوضح . لقد قطع معظم هذه البلدان شوطا واسعا في طريق تعميم التعليم . وبالاضافة الى ذيوع التعليم الابتدائي تعاظمت نسب الملتحقين بالتعليم الثانوى بله العالي ومع ذلك فحصاد هذه الجهود العديدة التي استلزمت سنوات عديدة وأموالا ينوء بحملها أصحابها ، ما يزال مقصرا تقصيرا فاضحا عن الشأو المطلوب ، اذا نظرنا اليه من منظار حاجات اللحاق بالعصر ، وبناء حضارة قومية في مستوى التقدم العالمي . ذلك أن الوقت الذي كان يظن القوم فيه ان التربية ضرب من مكافحة الأمية لاغير وقت قد مضى وانقضى ، كما أنه زال الى غير

رجعة ، ذلك الذى راود بعص الاذهان ، ان مجرد بناء المدارس وفتح أبوابها على مصراعيها لطارقيها ومرتاديها يؤدى الى التنمية المنشودة ، بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفي البلدان العربية بوجه حاص ، أدرك القوم أن المدارس الشاسعة التي فتحت أبوابها للطارقين ، والجامعات المتكاثرة التي بلغ بعضها من العمر عتيا ، والتي خرجت أفواجا من بعدها أمواج ، لم يكن حصادها حتى الأن الا حصادا محدودا ، ولم تؤد الى تجاوز البلدان العربية منزلة الدول التي ما تزال تحبو نحو مرحلة الثورة الصناعية الاولى ، في عالم جاوزها وجاوز الثورة الصناعية التي تلتها ، وانتقل يغذ الخطا الى عالم ما فوق الصناعية والى الثورة العلمية التقنية ويكاد الشعور يسود بأن الطاقات الفكرية لأبناء الأمة العربية شأن طاقاتها المادية ، طاقات مغلولة ، لا تجد في نظم التربية ما يعمل على تفتيحها الى أقصى مدى ممكن ، والى تفجير الخلق والابداع فيها ، بل كثيرا ما تعمل النظم التربوية السائدة على اخمادها ووأدها منذ طور مبكر .

ونستدرك فنقول : اننا لا نعني بذلك أن نحمّل التربية وحدها أوزار التخلف العام ، فالتربية نظام فرعي من نظام كلي ، وهو النظام الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، ولابد من جهد متوازن ومتوازٍ في التربية وفي سائر مقومات النظام الكلي ، ان اردنا لهذا الواقع صلاحا . على اننا نؤمن بأن الهامش المتروك للتربية في البلدان العربية وفي البلدان النامية ، هامش اساسي . ذلك ان التربية تكاد تكون في مثل هذه البلدان المؤسسة الثقافية والعلمية الوحيدة ، وليس من حولها الا القليل من المؤسسات والمواقع الأخرى ، التي تسهم في تطوير الفرد وتنميته في اثناء وجوده في المدرسة وبعد تخرجه فيها ، زد على ذلك أننا لا نستطيع ان نتخيل تقدما في الجوانب الاقتصادية لحياتنا وفي المؤسسات التابعة لها من صناعية وزراعية وادارية وسواها ، لايدعمه جهد تقوم به المدرسة من اجل البناء العلمي الصحيح لنفوس الناشئة ، بدلا من تشويهها على العكس وتعبئتها تعبئة مناقضة ، لأعراض التقدم الحضاري العام .

الأوجه المرجوة للتجديد التربوي الحضاري :

غير ان التجديد التربوي المرجو في بلادنا ليس أي نوع من التجديد كما قلنا منذ البداية . انه التجديد الذي يتحلق حول مطلب أساسي ، مطلب اللحاق بركب التقدم العالمي من أجل بناء الحضارة العربية ومن هنا لن نتريث عند الأوجه والاشكال المتكاثرة للتجديد ، وعند تجارب التجديد التي ذر قرنها هنا وهناك ، بل سنقصر حديثنا على الجوانب التي تتدولنا الصق بمطلبنا هذا ، دون أن ننكر شأن الجوانب الأخرى العديدة من التجديد .

وفي هذا الاطار يبدو لنا ان التجديد التربوي المنشود في بلادنا العربية ينبغي ان يدور حول محاور خمسة . ربط المدرسة بعالم العمل ، وربط المدرسة بعالم العلم والتقنية ، وبث وسائل التثقيف والتعليم الذاتي ، نعني تعليم المرء نفسه بنفسه ، والتربية على الحياة الديمقراطية ، وتكوين ارادة العمل المشترك في السعي القومي المتكامل

١ ـ أما ربط المدرسة بعالم العمل والانتاج فمطلب واضح الصلة بمستلزمات التقدم العصري ، ويلبس هذا المطلب اهمية خاصة في مجتمعنا العربي الذي ورث ارثا قبليا مازال آثاره باقية ، يحقر العمل ويمتهن المهنة ويعير فيه الفرزدق جريرا بأنه « القَيْن وابن القَيْن » ويذكره بجده الذي « نفخ الكير » ، ووسائل التجديد وتقنياته في هذا الميدان كثيرة معروفة ، لامجال الى التفصيل فيها ، وحسبنا ان نقول ان أهم هذه الوسائل ان نلجأ الى غرس محبة العمل لدى الأطفال منذ نعومة الأظفار . وان نعودهم على العمل وعلى حياة العمال ، وأن نجعلهم بوجه خاص يدركون عن طريق الأساليب التربوية الملائمة ، جمال الابداع اليدوي ، وروعة العمل المتقن ، وبراعة اليد الصانعة ،ولذة الاشتغال بالأصابع الخمس ، وعبقرية « الدماغ الذي في اليد ، والذي يفوق الدماغ الذي في الرأس » على حد قول غاندي . . . واهم من هذا وذاك ان نوجههم بعد ان يصبحوا على ابواب الصبا في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي ، نحو قابلياتهم الحقيقية ، بعد ان نكشف عنها كشفا علميا سليما ، بحيث نوجههم بعد ذلك الى فروع الدراسة

ـواعها المختلفة ، استنادا الى ما ظهر من تلك ـالميات والى ما يُسّروا اليه بطبعهم . وبعد هذا ـاك ، لابد من تعريفهم على عالم العمل ، ـطلاعهم على مجرى الحياة في المؤسسات الاقتصادية الاجتماعية المختلفة القائمة في البلد ، بل لابد من ـقامة ضرب من التعاون بين المدرسة وبين عالم ـالعمل ، هذا لاسيما في المراحل المتقدمة من التعليم ، هذا اذا لم نأخذ ببعض الافكار الهامة الحديثة المنادية بالتناوب بين المدرسة والعمل ، أو بالتربية الراجعة المتكررة

٢ ـ ويلحق بمطلب ربط المدرسة بعالم العمل ويكمله مطلب ربط المدرسة بعالم العلم ، عالم التقدم العلمي التقني في ارقى صوره ومنجزاته وقد رأينا ان العلم غدا قوام العمل والانتاج في ايامنا هذه ، وانه والتقدم الحضاري عامة صنوان لا يفترقان وههنا ايضا شجون كثيرة. حسبنا منها ان نؤكد ان التجديد المنشود في هذا السبيل لا يعني مجرد بث الروح العلمية ، أو مزيد العناية بالمواد العلمية على اهمية ذلك ، بل يعني شيئا اوسع واعمق وأكثر جذرية ، يعني بناء مناهج التعليم وطرقه وبناه واشكاله وكل ما فيه ، بناء جديدا انطلاقا من حاجات الثورة العلمية التقنية لقد رأينا بعض ابعاد هذه الثورة ومن المهم ان نذكر هنا انها أدّت فيما أدت اليه الى توليد علوم جديدة ، والى تقادم علوم عفا عليها الزمن ، كما أدت الى خلق مهن جديدة ، واسقاط الحاجة الى كثير من المهن التقليدية ، وأهم الميادين العلمية الجديدة التي تبرع ويتزايد شأنها من خلال هذه الثورة : الدراسات المتصلة بالطاقة وبالطاقات البديلة خاصة ، والدراسات المتصلة بالأدوات التي يحتاج اليها تقدم الكهرباء الميكانيكية ، والدراسات المتصلة بالحاسبات الالكترونية ، فضلا عن الصناعات الفضائية ، وعلوم البيولوجية الذرية ، والصناعات البيولوجية ، وعلم النسل . . . ولاشك ان هذه التغيرات الجذرية في بنى الحياة العلمية والتقنية الحديثة ، تستلزم من البلدان العربية والبلدان النامية عامة تجديدا تربويا جذريا في مواد التعليم ومناهجه وطرائقه .

٣ ـ ويرتبط بهذا كله القول بمطلب التثقيف الذاتي فلئن أدى الاغراق في آلية الآلة الى ضرب من التسيير الذاتي لكثير من المؤسسات الصناعية تسييراً تقوم به الآلة بدلا من الانسان ، فإن الدراسات الحديثة في علم النفس وفي التعلم ـ فضلا عن العون الذي تقدمه الآلة نفسها ـ تبين أن مثل هذا التسيير الذاتي للتربية ينبغي أن يحتل مكانة متعاظمة في التربية ، ان أردنا فعلا أن نفتح طاقات الانسان حتى آخر مداها ، ونعني بالتسيير الذاتي هنا وسائل التعلم الذاتي ، أي تلك التي تسمح للمتعلم أن يعلم نفسه بنفسه وقديما قيل « من لم يعلم نفسه لم يعلمه معلم » ويتيح ادخال الحاسبات الالكترونية في التعليم الى جانب التقنيات الحديثة الأخرى مجالا واسعا لمثل هذا التعلم الذاتي . وقد خطت بعض البلدان العربية خطوات في هذا المجال ، وهنالك جهود قائمة ، عربية وقطرية للافادة من الحاسبات الالكترونية في التربية . على أن الآلات والأجهزة الحديثة ليست شرطا لازما للتعلم الذاتي ، كما أنها ليست شرطا لازما لتقدم سائر أساليب التربية ووسائلها والآلة على كونها عنصرا مساعدا ، ليست هي الأصل في تجديد الوسائل والأساليب ، سواء اتصلت بالتعلم الذاتي أو سواه وهنالك وسائل تربوية عديدة لا تلجأ الى الآلة تمكن الطالب من تعليم نفسه بنفسه ، ومن تعويده على أن يثقف ذاته

٤ ـ وقد يبدو للوهلة الأولى أننا نقحم مطلب التربية الديمقراطية في عداد محاور التجديد المرجو اقحاما فيه بعض القسر ، لا سيما أننا نتحدث عن التجديد التربوي في اطار التقدم الحضاري ، ولا سيما التقدم العلمي التقني وليس الأمر كذلك . فأي تقدم حضاري حق لا يمكن أن يتحقق دون تربية ديمقراطية وثقافة ديمقراطية . والتقدم التقني لا يمكن أن ينبت في غير مناخ الحرية الفكرية والعلمية والاجتماعية والتربية لا تستطيع أن تجدد نفسها وتتجاوز ذاتها أصلا الا اذا كان المجال فسيحا للنقد الفكري والحوار الحر والابداع ـ وهو أهم عناصر التجديد في كل ميدان ، وأهمها التجديد العلمي والتقني ـ يعني في تعريف علماء النفس شيئا يجاوز مجرد الذكاء « الذكاء المقارب » على حد قولهم ، انه كما يقول أولئك الذين تحدثوا عن روح الخلق والابداع (الابداعية كما يقولون) ذلك « الذكاء المباعد » الذي لا يكتفي بحل المشكلات كالذكاء المقارب ، بل يفتق

تململ السائق قليلا . مرت بباله ـ خاطفة ـ ذكريات مهنية سوداء . . مقابلاته للسكارى والشواذ والساقطات والمجرمين ولكن الرجل لايبدو عليه ـ حتى الآن ـ أنه من هؤلاء . حديثه غير عادى ، وشخصيته لاتزال مبهمة ، ولكن سلوكه العام غير مريب .

توقفت السيارة . ترحل الراكب . خلع معطف المطر وطرحه فوق المقعد الخلفى ، ثم فتح الباب الأمامى ، وجلس إلى جوار السائق :

ـ (هنا أحسن . هيا بنا . بتمهل . .) .

تحركت السيارة والارتياب يعاود السائق خطف نظرة إلى الرحل الجالس إلى جانبه . هل يخفى شيئا فى ملابسه ؟ . الملابس عصرية عالية الذوق . لايمكن أن يكون قاطع طريق بهذه الأناقة هو ـ إذن ـ ليس أكثر من راكب عريب ثرثار .

أخيرا ، تحدث الراكب كأنما ليزيل شكوك السائق :

ـ (والآن . . سأخبرك سرّى . . أنا هارب من فوج سياحى يقيم فى الفندق الذى رأيتنى أقف بالقرب منه . .) .

ـ (فوج سياحى !؟)

ـ (نعم . كان المفروض أن نصل إلى الاسكندرية ظهرا . تعطلت السيارة فى الطريق وتأخرنا . . ألغيت جولتنا فى المدينة من البرنامج . غدا صباحا سنطير إلى الأقصر . هل فهمت ؟!)

ـ (تقريبا . أنت تريد تنفيذ الجولة . .) .

ـ (أنا مصرّ عليها . معظم رفاقى من كبار السن ، ولا تهمهم الاسكندرية كثيرا ، وخصوصاً إذا كانت ممطرة . . أما أنا فقد تسللت فى المطر حتى وحدتنى . .

غير معقول أن أحضر إلى الاسكندرية لأتناول عشائى وأنام .) .

وأخذ يردد مقاطع من ألحان شعبية متداخلة كان قد تأكد لدى السائق أن الراكب سائح . ولكن ، أى سائح هذا الذى يجيد العربية ويحفظ أغنيات تتردد فى حارات الاسكندرية ؟! تألقت فى ذهنه فكرة أنه ربما كان أحد دارسى اللغة العربية ممن يسمون بالمستشرقين المهم يحمل صفة سائح ، والأهم أنه يسعى إلى جولة فى المدينة وهذا يترجم إلى أجر مرتفع يسهم فى إزالة الارتباك من حسابات هذا الشهر المقترب من النهاية

ـ (ما رأيك فى غنائى ؟ . . مريع ، هه !؟ . . على أى حال ، دعنا نرى ماذا لديك من أشرطة الأغانى . .) .

ـ (لدىّ مجموعة متواضعة . . تحت أمرك . . فى « الدرج » أمام سيادتك . .) .

فتح (الدرج) ، وراح يفحص الشرائط . أبعد بعض الأسماء التى لايعرفها ، ثم رفع واحداً فى يده هاتفا :

ـ (فوق الشوق ! . . آه . . عبد الحليم أهواك ! . . صافينى مرة ! . .

ـ ذكريات الأغانى الأولى الجميلة . ألست معى فى أن بداياته أكثر جمالا ؟!)

رد السائق وهو يحاول أن يجامل راكبه المتميز :

ـ (فعلا . . كان عظيما . . الله يرحمه !) .

ـ (نعم . . نعم . . كان عظيما . .) .

وضع ، بنفسه ، الشريط فى جهاز الاذاعة ، وأخذ يهز رأسه متنشياًبالأغنية .

أوقف الجهاز واستعاد مقطعا .

بدا ، بعد فترة ، فاقد الحماس لأغانى الشريط ، وكان يلتفت إلى الأضواء والمبانى وعلامات الطريق كان صمته غريبا على الجو الذى خلقه فى السيارة مد حل بها . نظر السائق إليه كان شارداً ، وملامح وجهه تشى بأفكار محزنة . حسب أن السبب صوت عبد الحليم الشجى وكلمات الأغنية الرقيقة المعاتبة فى حزن . أخفت السائق صوت الأغنية ، فانتبه الراكب والتفت ينظر اليه . قال السائق :

ـ (لاحظت أن عبد الحليم أثّر فيك بشدة . .)

قال فى صوت خفيض ، كأنما يحدث نفسه :

ـ (فعلا . . أنا أسمعه كثيرا . . ولدىّ مكتبة أغانى كبيرة . . لم أتصور أن تتزاحم الذكريات بهذه الصورة . .) .

ثم عاد صوته إلى الارتفاع فى محاولة جديدة لكسب ود رفيق جولة المساء :

ـ (لابأس . . لابأس . . لديك سيارة أنيقة نظيفة . . واضح أنك تعتنى بها . . لا بد أنها ملكك ؟) .

ـ (أمامى سنة لتصبح ملكى . . اشتريتها بالتقسيط !) .

دروبا جديدة ، ويحلق في عوالم مبتكرة ، ويتخيل دُنى أخرى مباينة للمألوف والمعروف ، وتربية هذه الروح الابداعية لها وسائلها العديدة ، كما يبينون ، غير أن رأس وسائلها تنمية روح النقد الحر ، والقدرة على الاتيان بالأفكار البكر ، وتعوّد التساؤل عن كل شيء ، واعتياد الخروج من القوالب المألوفة وتجاوزها .

أما وسائل التربية الديمقراطية فقد أطال في الحديث عنها رواد التربية الحديثة : تنظيم العمل المدرسي في فرق ، المكافأة الجماعية بدلا من الفردية ، تقدير تقدم الطالب بالقياس الى ذاته لا بالقياس الى سواه « النحن بدلا من الأنا » الجمهوريات المدرسية ، المطبعة المدرسية ، التعاونيات المدرسية ، المشروعات المشتركة الخ . . . . غير أن حركات التجديد التربوى تجاوزت هذا كله الى المناداة خصوصا بالتسيير الذاتي للمدرسة ، من قبل الطلاب والمعلمين والآباء مجتمعين ، على نحو ما فعل أصحاب « المدرسة المؤسسية » بوجه خاص . وفي رأينا أن ما هو أهم من هذا كله وأبقى اشاعة روح النقد الفكرى في مناهج التعليم وطرائق التعلم من جهة ، وتحقيق التفاعل والحوار الدائم بين المعلمين والطلاب ، وكذلك بين الطلاب أنفسهم من جهة ثانية . ويتبع هذا الاهتمام بتدريب الطلاب طوال حياتهم المدرسية على الجرأة في قول الحق والحقيقة ، وعلى قبول الحوار الحر حولها في الوقت نفسه ، والخضوع لنتائج الشورى في كل أمر .

٥ - أما تكوين « ارادة العمل المشترك » فهو بحق المطلب الذي يمنح للمحاور التجديدية جميعها لحمتها القومية وتماسكها . فالارتباط بعالم العمل والتمرس بالتعلم الذاتي والدربة على الديمقراطية أمور لا تلبس كامل معناها ، ولا تتخذ كامل مداها ، اذا لم تسعفها ارادة مشتركة ، توظف ذلك كله في خدمة الهدف القومي المشترك ، وتضعه في أقنية الجهود المتكاثرة المتلاقية ، الهادفة في النهاية الى بناء مجتمع قومي حضاري جديد . ان أي دعوة لا تملك الحرارة اللازمة لانطلاقها الا اذا انبثقت من ايمان عارم يحركها ودعوة التجديد التربوى لا تنطلق عنيدة شديدة اذا لم يوجه انظار دعاتها أفقٌ قومي به يؤمنون ، ولبنائه يجهدون ، والتجديد التربوى الذي يستهدف بوجه خاص بناء الحضارة القومية الجديدة بالأمة والعصر على نحو ما أردنا في هذه الكلمة ، يعمل في فراغ كبير ان لم يسعفه تجديد لارادة البناء القومي المشترك والعمل الجماعي المتضامن المرصوص . وسائر محاور التجديد التي تريثنا عندها ، العمل والعلم والتعلم الذاتي والديمقراطية ، تبقى جسدا بلا روح ان لم يكن رائدها في النهاية بناء حضارة ، وتكوين أمة متقدمة ينعم الجميع في أرجائها . ان سائر تلك المحاور باردة جامدة في ذاتها ، لا تملك من قوة الاندفاع الذاتي ما يحركها ويحرضها . وهي تلتهب وتضيء حين تتجلى أدوات أساسية لبناء قومي مكين يعمل له الكل .

ولا شك ان المشروع الحضاري الموعود الذي تشد الرحال اليه المحاور التربوية التجديدية التي أشرنا اليها ، مشروع لا بد أن يجعل من الارتباط بالتراث القومي أحد عناصره الأساسية . غير أننا قد ندرك من خلال العرض الذي قدمناه ان الأصالة المرجوة في مشروعنا الحضارى المرتقب لا تقتصر فقط على الأصالة النابعة من الارتباط بالتراث ، بل تتجلى أيضا فيما أشرنا اليه من جهد تربوى ذاتي نقوم به من اجل تجديد التربية تجديدا يربطها بالعمل والعلم والثقافة الذاتية والديمقراطية (وكلها قيم نحد بذورها ونظائرها مع ذلك في صلب تراثنا ، وان لبست أيامنا هذه لبوسا جديدا) .

فالأصالة أولا وآخرا هي بناء الحضارة بناء ذاتيا غير مجلوب ، واشادة صرحها من تربة نمتاحها من أرض الأمة وواقعها وحاجاتها وضرورات تقدمها . انها البناء الذاتي أي الأصيل للحضارة ، بل انها البناء المنفرد لحضارة لا بد ان تكون جديدة رغم أن جذورها في الماضي عميقة ضاربة . □



فرنان برودل

عاشق البحر المتوسط

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

في مايو الماضي احتل المؤرخ الفرنسي فرنان برودل مكانه الشاغر منذ زمن طويل في الاكاديمية الفرنسية ، وبالرغم من تقلده مناصب رفيعة وحصوله على العديد من الشهادات والأوسمة والنياشين ، الا أنه بقي على الدوام زاهدا في كل ذلك ، مخلصا لعشقه القديم ، للبحيرة الحضارية التي تسمى البحر المتوسط . . . .

استقبلت الاكاديمية الفرنسية في أواخر مايو الماضي (١٩٨٥) المؤرخ الفرنسي الشهير فرنان برودل . وفي خطاب الترحيب الذي ألقاه عضو الاكاديمية موريس دريون قال موجها الحديث اليه : « أرجو أن تسمح لي قبل كل شيء ، أن أعتب عليك لأنك أخذت وقتا طويلا قبل أن تقرر الانضمام الينا .

ثم تساءل عما اذا كان ذلك راجعا الى أن طريقه

كان دائما مليئا بالنجاح وآيات التشريف ، ولذا لم يكن يرى أن دعوة الاكاديمية له كانت مجرد [illegible] مختلف رقيق [illegible] ولكنه [illegible] دائم [illegible] مختلفا . [illegible] السنوات [illegible] الاكاديمية [illegible] برودل أن [illegible] الترشيح [illegible] يكن [illegible] لترشيحه [illegible]

كان قد بلغ الثالثة والثمانين من عمره ، وذلك لكى يملأ المكان الذى شغر بموت الكاتب أندريه شامسون .

وخرجت صحافة باريس ترحب بذلك الاختيار الذى طال انتظاره . ولم ينس البعض مع ذلك ان يقول ان برودل كان يتردد فى ترشيح نفسه ، لأن عضوية الأكاديمية لم تكن تضفى عليه مزيدا من الشهرة أو الشرف ، فهو أكثر شهرة من أغلب الأعضاء الذين انتخبوه ليجلس بينهم . فقد تخطت شهرته حدود فرنسا الى بقية أنحاء العالم ، كما أن كتبه تعتبر من أكثر الاعمال الفرنسية ذيوعا وانتشارا فى أوروبا وأمريكا ، ولا يكاد يفوقها فى ذلك الا بعض الروايات التاريخية ، التى اعتنق أصحابها نظرته الى التاريخ ، وتأثروا بأسلوبه ومنهجه وطريقة معالجته له ، كما هو الحال فى رواية مونتايو التى كتبها ايمانويل لروا لادوري الذى كان يعتبر من أقرب أتباعه اليه ، حتى غضب الأستاذ عليه ، وأبعده عن دائرته .

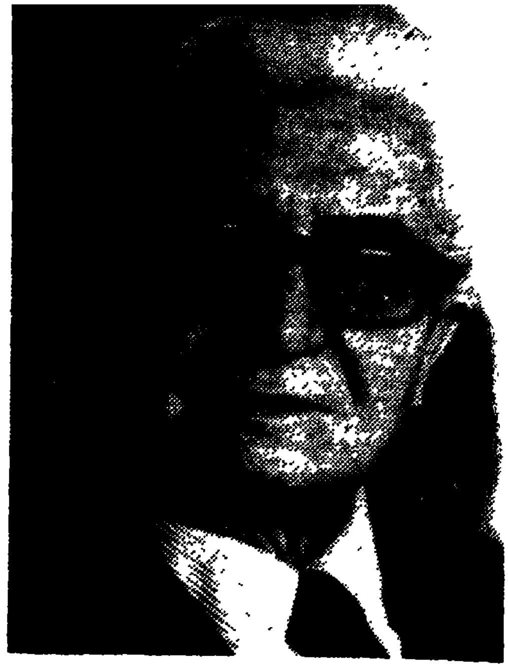
ويقال ان مكانة لادورى اهتزت اهتزازا شديدا بعد هذه القطيعة .

نكهة الكتابة

ولم يكتسب برودل شهرته نتيجة المشاركة في الحياة العامة ، أو اعتناق أحد المبادىء السياسية التقدمية ، أو مساندة حركات التمرد على الأوضاع القائمة في فرنسا ، والدعوة الى الانقضاض عليها وتغييرها ، أو السير فى المظاهرات ، كما كان يفعل كثيرون غيره من كتاب فرنسا وفلاسفتها وأدبائها ، من أمثال جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وجاك دريدا وغيرهم . فهو على العكس من ذلك تماما أقرب الى التحفظ والعزلة والابتعاد عن الاضواء والزهد فى الحياة العامة . انما ترجع هذه المكانة العالية التى يتمتع بها الى تمسكه الشديد بالقيم والمعايير العلمية الصارمة ، وأخذه نفسه بالشدة والدقة فى العمل . فالكتابة الجيدة فى نظره ليست هى الكتابة الطريفة الخفيفة ، وانما هى الكتابة الدقيقة الرصينة . ولذا لم يكن يبخل بوقت أو جهد فى جمع المعلومات الكثيرة ، وتتبع مصادرها ، والتحقق من صحتها ثم تحليلها . وليس أدل على ذلك من أنه أمضى عشر سنوات كاملة فى جمع المعلومات اللازمة لكتابه الأول عن « البحر المتوسط والعالم المتوسط فى عصر فيليب الثانى » ، وهو الكتاب الذى نبه الأذهان اليه وفتح آفاق الشهرة واسعة أمامه ، ولا يزال اسمه مرتبطا به حتى الآن كذلك فإن كتابه الضخم عن « الحضارة المادية الاقتصاد والرأسمالية فى القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر » ، الذى ظهر عام ١٩٦٧ فى ثلاثة مجلدات ضخمة ، ظل يشغل فكره ويأخذ الكثير من جهده فى جمع المادة اللازمة له طوال ثلاثين سنة وكان في أثناء ذلك كله ينشر عشرات المقالات فى أهم المجلات العلمية ، وقد جمع بعضها فيما بعد فى كتاب بعنوان « كتابات في التاريخ » ظهر عام ١٩٦٩ ولايزال برودل حتى الآن ورغم بلوغه الثالثة والثمانين يقبل على البحث والكتابة بنفس الهمة والجدية والتفانى والصرامة .

وهو فى هذا كله يصدر عن موقف نظرى ومنهجى محدد ، ويعالج مادته التاريخية بأسلوب متميز ، يجمع بين الدقة والجزالة . وهذه كلها عناصر أساسية ، تضفى على كتاباته شخصية قوية متميزة ، بحيث نجد هناك من يقول ان لكتاباته (نكهة) فريدة وطابعا خاصا أقرب الى أن يكون نوعا من (الماركة المسجلة) .

وكتاب « البحر المتوسط » الذى ارتبط به اسم فرنان برودل له قصة طريفة ، تكشف لنا عن الكثير من جوانب شخصيته ، وطريقة تفكيره وأسلوب عمله . فحين أراد اختيار موضوع لرسالته للدكتوراه عرض على أستاذه لوسيان فيفر ان يكون عنوان الرسالة : « فيليب الثانى والبحر المتوسط » ، ولكن الأستاذ اقترح عليه تغيير العنوان الى « البحر المتوسط وفيليب الثانى » بحيث يكون التركيز على تلك المنطقة الجغرافية والحضارية المهمة وليس على شخص الملك . وكان ذلك بداية اتجاه جديد ومدخل جديد فى الدراسات التاريخية . وعكف برودل على جمع المادة العلمية الغزيرة المتعلقة بالموضوع ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، واشترك فيها ، ولكنه وقع فى أيدى الالمان منذ البداية ، وأمضى فى معسكر الأعتقال خمس سنوات بعيدا عن مذكراته التى يقال انها كانت تملأ أكثر من عشرة آلاف بطاقة . ولم يتسرب اليأس الى قلبه ، وانما عكف على الكتابة من الذاكرة ، وهو



فرنان برودل

فى (حجرة) المعتقل التى يشاركه فيها تسعة عشر شخصا آخر . وكان يسجل مايكتبه على قصاصات صغيرة من الورق يخفيها فى فراشه ، حتى تحين له فرصة تهريبها وارسالها الى أستاذه ، وبذلك تم تأليف الرسالة التى اصبحت كتابا يقع فى الف ومائتى صفحة مليئة بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة ، التى تدل على قوة الذاكرة وصلابة الارادة . وقدظهر الكتاب عام ١٩٤٩ ، وجذب اليه فى الحال انتباه العلماء والنقاد ، ثم ترجم الى الانجليزية ، ووقع عليه الاختيار ليكون هو « كتاب الشهر » فى أمريكا ، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكتاب مترجم . وكان ذلك كله بداية الشهرة العريضة التى يتمتع بها برودل الآن

مؤرخ من أصل فلاحي

يصف لنا فرنان برودل نفسه بقوله: « لقد كنت فى البداية ، ولاأزال حتى الآن ، مؤرخا من أصل فلاحي » . وهذا القول يفسر لنا بعض جوانب حياته المحافظة من ناحية ، ونظرته الى التاريخ واهتمامه بدراسة موضوعات معينة بالذات ، تجمع بين اتساع النظرة ، والاهتمام بتعرف أثر البيئة المحيطة بأحداث التاريخ ونظمه وعصوره المختلفة من الناحية الأخرى .

فقد ولد فرنان برودل عام ١٩٠٢ فى قرية صغيرة بشرق فرنسا ، على حدود اللورين ـ شمبانى ، وهى

● عاشق البحر المتوسط

منطقة كانت دائما ساحة للحروب بين الجيوش الفرنسية والألمانية ، وبذلك شاهدت كثيرا من التغيرات والتقلبات والصراع بين الدولتين على فترات واسعة من التاريخ . وقد انحدر هو نفسه من أصل (فلاحي) متواضع . فقد كان جده لابيه عاملا فلاحا عاديا ، كما كان بقية أجداده وأسلافه يشتغلون اما بقطع الحجارة ، أو العمل في المناجم او من العمال اليدويين العاديين ، وان كان واحد منهم عاش فى النمسا لبعض الوقت ، واصبح قنصلا لها فى الجزائر . أما أبوه فكان معلما ، ويبدو أنه كان يتمتع بشخصية متسلطة ، فقد استطاع أن يجبر ابنه على أن يسلك طريق التدريس الذى سار هو فيه ، وان يمنعه من أن يدرس الطب حين أراد أن يدخل الجامعة وأغلب الظن أن الابن لم يكن يستطيع أن يحقق لنفسه كل هذه الشهرة والسمعة الطيبة والمكانة العالية ، لو أنه سار فى الطريق الذى كان يريده لنفسه

اشتغل فرنان برودل بعد تخرجه بتدريس التاريخ لبعض الوقت ، ثم رحل الى الجزائر حيث عمل مدرسا للتاريخ أيضا فى بعض مدارسها الثانوية فى قسنطينة ثم فى الجزائر العاصمة . وهذه الفترة التى امتدت الى عشر سنوات هى التى ربطته بالبحر المتوسط ، الذى ملك عليه لبه وفكره وخياله ، كما أنها هى الفترة التى أتاحت له ان ينظر الى التاريخ نظرة عامة شمولية ، تتعدى الأحداث الواقعية . وتبحث عن العوامل الثابتة والقوى « اللاشخصية » الكامنة وراء تلك الأحداث ثم هى أخيرا الفترة التى أوحت اليه بأهمية البحر المتوسط من حيث هو « بحيرة حضارية » حسب تعبيره ، وأن يدرسه فى عصر فيليب الثانى ملك اسبانيا وكما يقول موريس دريون فى خطاب الترحيب وهو يوجه الحديث اليه انه (اى برودل) عرف البحر المتوسط من واجهته الجنوبية ، بسواحله الذهبية المتسعة المترامية ، وأراضيه الطينية الصلبة ، وشعوبه المختلفة المتباينة ، وتقاليده القديمة المتوارثة عبر القرون ، ومنشآته الاسلامية ، وعلاقاته وروابطه مع أوروبا ومع المسيحية ، وأسواقه التى يفوح منها عبق الشرق ، وان معرفته بالبحر المتوسط لم تكن معرفة السائح العابر ، لأنه ذهب الى هناك للعيش والاقامة والعمل ، مما ساعده على أن يتغلغل الى أعماقه ويدرك تنوعاته . وهكذا أفلح البحر

المتوسط في أن يملك عليه أمره ، وأن يثير في ذهنه كثيرا من التساؤلات عن الأسباب التي جعلت منه تلك « البحيرة الحضارية » المتميزة ، سواء أكانت هذه الأسباب هي الأوضاع الجغرافية الخاصة أم الموارد البشرية .

بعد هذه السنوات العشر التي أمضاها برودل في الجزائر عاد الى باريس واشتغل في بعض المدارس الثانوية ، ثم انتقل للتدريس في كلية الاداب جامعة سان باولو بالبرازيل ، ولكنه لم يلبث أن رجع الى فرنسا عام ١٩٣٧ ، على أمل أن ينهي رسالته للدكتوراة .

ولكن قامت الحرب العالمية الثانية ، وكان ماكان من قصة الرسالة ، والكتاب الذي أصبح أحد المعالم الرئيسية فيما يعرف الآن باسم « التاريخ الجديد » .

خلاف مع السوربون :

لم يكن التاريخ بالنسبة لفرنان برودل مجرد دراسة وضعية للأحداث الجزئية ، ورصد هذه الأحداث في تتابعها الزمني ، كما يرى الكثيرون من المؤرخين الذين يصفهم بأنهم تقليديون وأعضاء في (المؤسسة) ، أي السوربون ، وانما التاريخ في نظره دراسة كلية شاملة تعطي أولوية مطلقة للأوضاع والعوامل والعناصر الأساسية ، التي تتفاعل معا داخل المجتمع ، وتحدد بتفاعلها سير الأحداث ان لم تخلقها خلقا . فليس هناك في نظره سوى تاريخ واحد هو هذا التاريخ الكلي الشامل ، الذي لايكاد يضارعه في شموله أي علم اجتماعي أو انساني آخر ، بل انه يستعين في دراسة موضوعاته بنظريات واتجاهات ومناهج هذه العلوم كلها ، وبوجه خاص الانثربولوجيا ، وبعض التأويلات المستمدة من التحليل النفسي . وهذا واضح بشكل خاص في كتاب « البحر المتوسط » اذ تظهر فيه تأثيرات عدد كبير من العلوم ، مثل الجيولوجيا والانثربولوجيا والاجتماع والاقتصاد والاحصاء وغيرها .

ولقد كان من الطبيعي أن يرفض المؤرخون (التقليديون) هذا الاتجاه . ولذا أغلقت السوربون أبوابها في وجهه ، مما جعله يتجه الى « المدرسة العملية للدراسات العليا » .

الرأسمالية ظاهرة مؤسفة

ولقد كان عام ١٩٤٩ عاما فريدا في تاريخ حياة استاذ التاريخ . فهو العام الذي شهد ظهور كتاب « البحر المتوسط » ، وفيه أيضا أفلح برودل في أن يدخل الكوليج دو فرانس ويشغل كرسي الحضارة الحديثة . وهنا أيضا نجد أنه يخلف استاذه لوسيان فيفر الذي كان يتربع على هذا الكرسي حتى تقاعده وفي محاضراته الافتتاحية لكرسي الاستاذية حدد برودل موقفه بصراحة ، اذ أعلن رفضه للنظرة الضيقة الى التاريخ ، وعدم ايمانه بالرأي الذي يقول ان الانسان يصنع التاريخ ، وانما التاريخ هو الذي يصنع الانسان ، ولم يكن يقصد بذلك أن يقلل من شأن الفرد أو دوره في الحياة ، وانما كان يقصد ضرورة أن يتجاوز البحث التاريخي أفعال ومنجزات الأفراد أيا كانوا ، ويتعدى الاحداث الواقعية الملموسة ، بحثا عن المقومات الأساسية التي ترتكز عليها هذه الأفعال والأحداث . فعصر فيليب الثاني ملك اسبانيا ومنجزاته ليست كلها الا نتاجا لذلك الكل الحضاري المركب الذي سميه « البحر المتوسط » ، ولايمكن فهم هذه المنجزات والأحداث الا في ضوء هذه الوحدة الحضارية الكلية الشاملة . ولم يكن انتماؤه للكوليج دو فرانس ليمنعه من ان يعبر صراحة عن رفضه لكثير من الأوضاع الجامدة السائدة فيها ، والتي تفرض كثيرا من القيود على انطلاق الفكر . ولم يغير رأيه فيها أبدا ، حتى تقاعد عام ١٩٧٢ ،بعد أن أمضى ثلاثة وعشرين عاما استاذا بها . فقد كان يراها آلة تنزل بالانسان العالم المثقف الى مستوى ادنى وأقل من حقيقته . وكان ذلك يثير عليه زملاءه . ولكن الذي كان يهمه هو الدعوة الى التخلص من القيود التي تعوق انطلاق الفكر في البحث العلمي .

ثم أتيح له في آخر الأمر أن ينشيء (مؤسسته) الخاصة التي تعبر عن موقفه ، وتحمل تعاليمه للآخرين ، والتي ينضوي تحتها الآن عدد كبير جدا من التلاميذ والاتباع والمريدين ، وذلك حين انشأ عام ١٩٦٣ بيت علوم الانسان وهذه هي المؤسسة العلمية الوحيدة التي أنشأها بنفسه ، والتي ترتبط بإسمه هو دون سواه ، وان كان قد عاونه في انشائها

من العلماء الشبان . وقد تولى ادارتها بعد
ها ، وكان يعمل فيها تحت رئاسته ما لا يقل عن
ائة عالم وباحث وموظف اداري . وهنا أيضا نجد
سم ذاته الذي تحمله هذه المؤسسة ، وهو « بيت
م الانسان » يكشف عن نفس النظرة الكلية
املة ، وعلاقة علوم الانسان بعضها ببعض من
حية ، وعلاقتها كلها بالتاريخ من الناحية
حرى . وقد لعبت هذه المؤسسة مع « الشعبة
سادسة » دورا هاما في نشر « التاريخ الجديد » الى
خارج حدود فرنسا ، وبوجه خاص الى بعض دول
شرق أوروبا وامريكا الجنوبية وكندا ، ثم أخيرا الى
أمريكا ذاتها . ولكنها لم تفلح في غزو بريطانيا وألمانيا
بنفس القوة حتى الآن .

ولقد شجعت هذه النظرة (البانورامية) الى البحر المتوسط على قيام دراسات أخرى كثيرة مماثلة ، اتبعت نفس الاسلوب والمنهج ، بحيث كانت تهتم بدراسة مناطق وأقاليم أخرى جغرافية محددة بدلا من الاكتفاء بدراسة الأحداث . وظهر بذلك عدد كبيرمن هذه الدراسات المونوجرافية ، التى تؤكد كلها المدخل الكلي الشامل أو المدخل البنائى وقد طبق برودل نفسه هذا المدخل في دراسته المهمة عن « الحضارة الرأسمالية » التى ظهرت في ثلاثة مجلدات في الستينيات . فقد أخذ في هذا الكتاب التاريخ الاقتصادي بأوسع صورة ، وحاول أن يدلل على أن كل عصر تاريخي كانت تسيطرَ عليه مدينة تجارية عظيمة واحدة . وأن هذه المدينة كانت دائما احدى هذه الموانى الكبرى . ففى الفترة من ١٣٨٠ تقريبا حتى ١٥٠٠ كانت البندقية هي المركز التجاري والحضاري في العالم ، ثم جاءت أمستردام في أواخر القرن السادس عشر ، ثم تلتها لندن في أثناء الثورة الصناعية ، ثم أخيرا وفي عام ١٩٢٩ أصبحت نيويورك هي ذلك المركز . وتحليل برودل للرأسمالية يبرزها على أنها النتيجة الاقتصادية لظهور ونشأة الصفوة ، وانها على أي حال ظاهرة طبيعية ، ولامفر منها ولا يمكن تجنبها أو تحاشيها ، وان كانت مع ذلك ظاهرة مؤسفة ، وقد تختلف الآراء حول هذه النظرة ولكن الذي يهمنا هو أن هذا الكتاب يكشف عن مدى اتساع المجال الجغرافى الذى يعالج فيه هذه المشكلة المحددة .

كلمة برودل الخاصة

وهكذا نجد أن فرنان برودل الاستاذ العالم الجاد البعيد عن الحياة العامة يفلح في أن يجمع في وقت من الاوقات بين اربعة مناصب هامة في اربع مؤسسات لها دورها الفعال المؤثر في الحياه العلمية (الحوليات ـ الكوليج دو فرانس ـ المدرسة العملية للدراسات العليا ـ بيت علوم الانسان) . وتكشف لنا هذه المناصب طبيعة العلاقة التى كانت تربطه باستاذه العظيم لوسيان فيفر ، وتبين كيف يمكن للأستاذ الذي يتوسم الخير في أحد تلاميذه أن يأخذ بيده ويدفعه الى النجاح ، بحيث يخلفه في اعماله ومكانته ، كما تبين كيف يمكن للتلميذ المخلص أن يحمل الرسالة ، ويحافظ على التركة ، بل يضيف اليها ، ويعمل على تدعيم المدرسة التى أنشأها استاذه ، ويعتبر ذلك خير وسيلة للاعتراف بفضل الأستاذ عليه وعلى العلم . كذلك تكشف لنا هذه المناصب ذاتها عن مدى مايتمتع به برودل من سلطة ونفوذ وتأثير في الأوساط العلمية والثقافية . ولقد حمل علمه اليه الشهادات والدرجات ، والالقاب الفخرية ، والأوسمة ، والنياشين ، وعضوية المجالس العلمية والاكاديميات في كثير من الدول ، وكان تتويج هذا كله عضوية الأكاديمية الفرنسية التى كان يمتنع عليها لفترة طويلة .

وعلى الرغم من بلوغه الثالثة والثمانين ، فلا يزال يعمل ويقبل على المشروعات العلمية الكبرى ، التى تتطلب الكثير من الوقت والجهد والمثابرة والحماس والايمان . فهو يعكف الآن على كتاب ضخم عن (تاريخ فرنسا) يقع فى ستة مجلدات ، وقد ظهر المجلد الأول منها بالفعل . ومع أن هناك مؤلفات وكتبا كثيرة جدا عن تاريخ فرنسا فإن ذلك لم يمنعه من أن يطرق الموضوع الذى عالجه مئات غيره من قبل ، ليقول كلمته هو أيضا بطريقته الخاصة .

فالتاريخ يتغير ويتجدد ، لأن المشاكل التى يطرقها تتغير وتتجدد . وهذه النظرة تنم عن مدى احترامه لمادةتخصصه ، بحيث لايستنكف الرجوع الى الموضوعات والمشكلات القديمة التى سبقه اليها الكثيرون ، فيعالجها من زاوية جديدة ومدخل جديد وفكر جديد . وهذا أساس هام لتقدم العلم . □

مواقيت الصيام والصلاة

في أقصى الشمال والجنوب

دكتور/ عبدالمنعم النمر

قضية جادة طالما شغلت اقلام المجتهدين ، وتساؤلات المسلمين ، عبر القرون الخوالي وما زالت . ألا وهي كيف يصلي المسلمون ويصومون في الاصقاع التي يتبدل فيها النهار والليل على خلاف ماهو مألوف ؟ حول هذه القضية نطرح هذه الدراسة

جاء القرآن والسنه بتحديد أوقات الصلاة والصيام حسب الطواهر الشمسيه والقمريه في المناطق المعتدلة والاستوائية التى تبدو فيها هذه الطواهر المتغيرة فصلاة الصبح حين يبدو الشفق من الشرق ، والظهر حين تميل الشمس عند الزوال ، والعصر حين يصير ظل الشيء مثله او مثليه ، والمغرب حين تغرب الشمس ، والعشاء حين يغيب الشفق الأحمر او الأبيض . ومن خلال هذا يعرف وقت الفجر وبدء الصيام اليومى ونهايته عند الغروب ، ويبدو وقت كل من النهار والليل متقاربا او بينهما فرق حيث يبدو النهار أطول بساعة او اقل ، او اكثر صيفا ، والليل أطول كذلك شتاء ، في النصف الشمالى والنصف الجنوبي في الكره الأرضيه

ولم يكن المسلمون يجدون اية صعوبة في تمييز هذه الأوقات لأداء العبادات فيها ، فالشمس تشرق وتغرب ، والقمر يظهر ويغيب . ويضبط المسلمون اوقاتهم على ما يرون من هذه الظواهر . ولم يتعرض القرآن ولا السنة ولا الصحابة والفقهاء وأئمتهم لما عدا ذلك الذين يرونه حولهم ، حيث لم يكونوا على علم بما يجري من ظواهر في أقصى الشمال وأقصى الجنوب ، وبالتالي لم يضعوا احكاما لذلك .

ولكن حدث بعد القرون الاولى أن صعد المسلمون الى الشمال في اسبانيا وحوض البحر

ـس في فرنسا وايطاليا ووسط آسيا . . ولاحظوا
ي طول النهار أو قصره ، عما عهدوه في بلادهم
لية المعتدلة ، وكذلك بالنسبة الى الليل . .
ـدوا صعوبة في صيام يوم قد يصل الى نحو
ين ساعة من الفجر حتى الغروب ، فكان من
بيعي أن يتساءلوا عن الصوم في مثل هذه
ـة . . ؟ أما من ناحية الصلاة فظواهرها موجودة
جر وزوال وغروب الخ . . .

ثم صعد المسلمون الى الشمال أكثر وأكثر . .
ـسوا تغيرا أوضح في المظاهر الشمسية والقمرية .
ـسوا طولا أكثر في اليوم في وقت الصيف ، حتى
ليصل أحيانا الى ٢٣ ساعة أو يزيد دقائق . . ويضيع
وقت الليل أو يكاد . .

وأحيانا يكون طول الليل مثلا ٣ ساعات أو أقل ، ولا يغيب فيه شفق الغروب حتى يؤذن بوقت العشاء ، ثم يظهر شفق الفجر بعد غياب ، حتى يؤذن بوقت الفجر وبدء الصيام ، بل يظل مستمرا ، فمتى يصلون العشاء والفجر ويبدءون الصيام ؟

ثم اذا صعدنا للشمال أو للجنوب نحو القطبين تغيرت الظواهر الشمسية تغيرا كليا ، فلم تغب الشمس لأيام قد تصل إلى شهور ، ويكون هذا طول اليوم ، وعلى العكس في الشتاء لا تظهر الشمس أبدا لأيام قد تصل الى شهور ، ويكون هذا طول الليل .

حقائق فلكية

وبودي أن أضع أمام القارىء بعض الحقائق والمعلومات الفلكية التي يقررها علماء الفلك ، لتظهر الصورة التي نتحدث عنها بوضوح .

اذا بلغنا خط عرض ٦٧ شمالا أو جنوبا ، وهو يمر شمال كندا ، وألاسكا ، وجزيرة جرينلند القريبة من ساحل كندا ، وجزيرة أيسلندا شمال الجزر البريطانية ، وشمال السويد والنرويج ، وفنلندا وشمال روسيا ، وسيبريا . اذا وصلنا الى هذا الخط فما فوق شمالا ،أو جنوبا،يتواصل النهار فيها حتى يبلغ ستة أشهر أحيانا في أثناء فصل الصيف ، والليل ستة شهور في أثناء الشتاء .

الجزر البريطانية وما يوازيها شرقا وغربا تقع بين خطي عرض ٥٠ ، ٦٠ ، والشمس تشرق فيها وتغرب طول العام بانتظام ، ومن السهل الوقوف على أوقات الصلاة فيها والصيام ، الا في الشهور الصيفية التي يتصل شفق الغروب بشفق الشروق ، فلا يمكن تمييز وقت العشاء ، ولا تميز وقت الفجر . . حيث تكون الشمس باستمرار تحت الأفق بـ ١٢ درجة ، ويظهر شفقها باستمرار .

يختلف وقت زوال الشفق ، أو مدة وجوده بعد الغروب حسب خطوط العرض فعند خط الاستواء مدته ١٢ق و ١س ثم يطول شيئا فشيئا ، حتى يصل الى ٣ ساعات في شفق الغروب ، وشفق الشروق ، وذلك عند خط عرض ٦٧ تقريبا ، عندما يكون طول النهار ١٨ ساعة أو أكثر .

وفي هذه الحالة ينعدم الاظلام التام ويتصل الشفقان : ٣ + ٣ + ١٨ ساعة = ٢٤ ساعة وكلما زادت مدة الشفق ظهر الضوء وانعدم الظلام ، فيكون النهار الدائم عند خط عرض ٦٧ فما فوق .

المنطقة الفلكية المدارية : هي الواقعة بين مداري السرطان شمالا والجدي جنوبا ، بين ٢٣ درجة شمالا ، و ٢٣ درجة جنوبا .

المنطقة الفلكية المعتدلة : هي التي تشرق الشمس فيها بانتظام ، ويكون صيف وخريف وشتاء وربيع ، ويختلف فيها الليل والنهار ، ولا يتساويان الا مرتين في السنة ، وهي التي تمتد من خط عرض ٢٣ شمالا وجنوبا ، حتى خط عرض ٦٧

المنطقة القطبية من ٦٧ ـ ٩٠ شمالا وجنوبا .

متى يتصل الشفقان ؟

قلنا ان شفق الغروب قد يستمر غربا ، حتى يظهر من الشرق شفق الشروق فيتلاقيان في بعض شهور السنة ، فمتى يحصل ذلك ؟ وعلى أي خطوط من خطوط العرض ؟

قال الفلكيون ان هذا يحصل كما يأتي .

من أول مايو كل سنة الى ١٥ منه . لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٨ ـ ٦٠

من ١٥ مايو لنهايته : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٤ ـ ٦٠

مدة النهار والليل في الكرة الأرضية

خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار وشتاء	خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار وشتاء
	ق س	ق س		ق س	ق س
خط الاستواء	ــ ١٢	ــ ١٢	٥٠°	١٨ ١٦ صيفا	ــ ٨ شتاء
١٠	٤٠ ١٢ صيفا	٣٠ ١١ شتاء	٥٥°	١٧ ١٧	٠٥ ٧
٢٠°	١٨ ١٣	٥٣ ١٠ شتاء	٦٠°	٤٥ ١٨	٤٥ ٥
٣٠°	٠٢ ١٤	١٠ ١٠ شتاء	٦٥°	٤٣ ٢١	٢٢ ٣
٤٠°	٥٨ ١٤	١٦ ٩ شتاء	٦٦°	٢٤	٣٠ ٢
٤٥°	٢٣ ١٥	٤٢ ٨ شتاء	٦٧°	يستمر الضوء ويكون نهارا دائما	يستمر الظلام ويكون ليلا دائما
٤٩°	١٦	٠٥ ٨ شتاء			

طول النهار والليل القطبي

طول النهار القطبي يختلف حسب درجات العرض شمالا وجنوبا وكذلك الليل القطبي هكذا .

خط العرض شمالا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي	خط العرض جنوبا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي
	صيفا	شتاء		صيفا	شتاء
٧٠°ش	٧٠ يوما	٥٥ يوما	٧٠°ح	٦٥ يوما	٥٩ يوما
٧٥	١٠٧ يوما	٩٣ يوما	٧٥	١٠١ يوما	٩٩ يوما
٨٠	١٣٧ يوما	١٢٣ يوما	٨٠	١٣٠ يوما	١٣٠ يوما
٨٥	١٦٣ يوما	١٥٠ يوما	٨٥	١٥٦ يوما	١٥٨ يوما
٩٠	١٨٩ يوما	١٧٦ يوما	٩٠	١٨٢ يوما	١٨٣ يوما

وفي هذا النهار الطويل أو الليل الطويل الذي يبلغ من شهرين وعشرة أيام الى ستة شهور وكسور كيف يؤدي المسلمون المقيمون في هذه المناطق عبادتهم ، من صلاة وصوم ؟

في يونيو ويوليو : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٠ ـ ٦٠

من أول أغسطس الى ١٥ منه : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٤ ـ ٦٠

من ١٥ أغسطس لآخره : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٦ ـ ٦٠

وقبل ذلك الوقت وبعده ، يغيب شفق الغروب ، ثم يظهر شفق الشروق ، ويعرف وقت العشاء ، ووقت الفجر ..

فمتى تؤدى صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ومتى يبدأ الصيام ونمسك عن الأكل كل يوم في الليالى التى يتصل فيها الشفقان ، وهى تكون من خط عرض ٥٠ كما ترى في الجدول السابق في الجزر البريطانية ، وما يوازيها على خطوط عرضها ، اذ ان هذه الجزر تقع بين خطى عرض ٥٠ ـ ٦٠ شمالا ..

ومن هذه المعلومات والحقائق الفلكية[1] ، التى عرفت من بعد القرون الاسلامية الأولى ، أى من بعد عصر الرسول والصحابة والتابعين والأئمه وتلامذتهم ، برزت أمام العلماء المتأخرين ابتداء من القرن الخامس الهجرى حتى الآن مشكلة او نسميها

نة ذات شقين :

لاول : كيف يؤدى المسلمون الذين يقيمون في ه البلاد التي يتواصل فيها الشفقان عبادتهم ؟

الثاني : كيف يؤدي المسلمون الذين يقيمون في ه البلاد التي يستمر فيها النهار أكثر من ٢٤ ساعة ى يصل الى نحو ستة أشهر ، وكذلك الليل . كيف دون عباداتهم من صلاة وصوم ؟ هده المشكلة رت منذ القرن الخامس الهجري كما قلنا وما زالت تى الآن . فما الحكم فيها ؟ هذه تساؤلات عن هذه لظواهر التي عرفها المسلمون بعد قرون امتدت حتى لان ، بل ويعيشون فيها الان بعد ان تقاربت أجزاء لعالم ، وأصبح السفر والاقامة في هذه البلاد أمرا سهلا .

ولاشك أن الاجابة عن هذه التساؤلات سيكون مصدرها الاجتهاد من الفقهاء . حسب وجهة نظرهم . اذ لا يمكن أن يقفوا امامها عاجزين دون رد .

وبالرجوع الى المصادر التي أمكن الرجوع اليها وجدنا أن فقهاء القرن الخامس الهجرى كانت لهم اجابات ، وكانوا أول من تعرض للفتوى فأفتى شمس الأئمة عبدالعزيز الحلواني (توفى ٤٤٨هـ - ١٠٦٥م) وزين الدين البقالي (٥٦٢هـ - ١١٦٧ م) من فقهاء الأصناف بفتوى سريعة بعدم وجوب أداء الصلاه التي لا تظهر لها العلامات المعتادة ، وأفتيا بعدم وجوب صلاة العشاء على الذين يعيشون في المناطق التي لايغيب فيها الشفق . وتابعهم في ذلك فقهاء أتوا بعدهم مثل السراهدى (٦٥٨هـ - ١٢١٠م) وأبي البركات النفسي (٧١٠هـ - ١٣١٠م) والزيلعي (٧٤٣هـ - ١٣٤٢م) وملاخسرو (٨٨٥هـ - ١٤٨٠م) والحصكفي (١٠٨٨هـ) والرملاني (١٠٦٩هـ) ورأى هؤلاء جميعا رأى فطير يتساقط أمام أدلة قوية كثيرة ، وأهمها وجوب التقدير في هذه الحالة حسب ماجاء في حديث الدّجال ، حين قال الرسول لهم « أقدروا له » وأداء الصلاة على حسب هذا التقدير وهو رأى الشافعية والمالكية .

وما هذا الحديث ؟

هو حديث رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث لأصحابه عن الدّجال ، وحين سأله احد الصحابة قائلا : « وما لبثه في الأرض ؟ أجاب الرسول قائلا : أربعون يوما يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة (اسبوع) ، وسائر أيامه (أي الباقية) كأيامكم هذه . قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة ، تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا أقدروا له قدره » وواضح من هذا أن الأيام التي لاتظهر فيها العلامات المميزة لأوقات الصلاة ، والأيام التي تطول عن أيامنا العادية (٢٤ ساعة) لاتسقط عنا فيها الفرائض ، ولكنا نلجأ الى تقدير الأوقات التي يمكن أن نصلي فيها كل وقت ، فلا تسقط الفرائض لعدم ظهور العلامات ، كما نقدر الشهور بـ ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما على حساب اليوم ٢٤ ساعة .

وعلى هذا استقر رأي العلماء الآن ، اذ لايمكن اسقاط الفرائض عن مسلم واعفاؤه منها لعدم وجود مثل هذه العلامات . فكل أربعة وعشرين ساعة تحسب يوما ، وتؤدى فيه الفرائض على أساس التقدير . . وكل ٢٩ أو ٣٠ (أربعا وعشرين ساعة) تحسب شهرا ، ويمكن أن يكون فيها رمضان

صور من الاجتهاد في تقدير الأوقات

واذا كنا قد انتهينا الى ضرورة تقدير الأوقات التي يؤدي فيها المسلمون فرائض دينهم من صلاة وصوم فان العلماء الذين يجتهدون في تقدير هذه الأوقات كانت لهم وجهات نظر مختلفة ولا غرابة في هذا ، فانه شأن كل موضوع يحصل فيه اجتهاد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما احتهد الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من صحابته ، الا يصلوا العصر الا في بني قريظة ، فبعضهم فهم أن الغرض من أمر الرسول هو المسارعة في الوصول ،

(١) مأخوذة عن الدراسات الفلكية التي تقدم بها لندوة لندن الفلكيود / الدكتور حسين كمال الدين والدكتور محمود خيري علي ، والدكتور محمد الهواري

ضحك وهو ينطق العبارة الشائعة :

- (كل شىء يهون . . أليس كذلك ؟!) .

دق الراكب على الوتر الرنان بادرة طيبة أن يذكر هذه الكلمات المتماثلة ، وإن كان لايدرى لماذا ضحك وهو ينطق بها . على أى حال ، شعر بالامتنان له .

- (فات الكثير والصبر طيب .) .

وأدهشه حين عاد إلى سلوكه المستغرب ، وأخذ يقهقه - فى غير مجال - مرددا :

- (نعم الصبر الصبر . . ياعطارين دلونى !!)

ومد يده ولمس إطاراً لصورتين معاً يضعه السائق أمامه .

- (إنك تضع صوراً فى إطار جميل . هذه لك . فى ملابس العمل ؟)

- (لا . هذا رداء الجندية)

- (أأنت جندى ؟!)

- (لا . هذه صورتى حين كنت مجندا)

- (آها ! هل كنت تهم بركوب العربة فعلاً أم أن اللقطة مصممة هكذا ؟ إنها لقطة بارعة .) .

ابتسم السائق سعيدا بذكرياته

- (كانت عرسى ، وكنت أعتز بها ، فأحببت أن تجمعنا صورة . للذكرى !) .

فوجىء به يصفق هاتفاً فى انفعال :

- (جميل . . جميل . . أحب الوفاء وهذه المشاعر الجميلة لابد أنك شاعر !!) .



وبالرغم من أنه لم يرتح إلى تصديق هذا الانفعال الزائد عن الحد ، فلم يملك إلا أن يشكره على كلمات المديح . عاد الراكب يتساءل :

- (والصورة الثانية . . آه . . لاتقل شيئا . . دعنى أخمن . . لابد أنها للسيدة والدتك !؟) .

عاد يدق وتراً آخر اضطرب له صدر السائق :

- (الله يرحمها !) .

تغضنت ملامح وجه الراكب راسمة صورة للحزن :

- (أوه ! . متوفاة ! . . أنا آسف . .) .

- (لاعليك . .) .

- (لقد أثرت أحزانك . . حب الأم قيمة إنسانية عظيمة .) .

وكانت أول مرة يحادثه راكب عن الصورة الحبيبة ويثير ذكرياته وأشجانه ، فلم يراجع نفسه ليتساءل إن كان الأمر مناسباً أم لا ، بل وجد نفسه يفضى إليه . .

- (ماتت حزنا علىّ وأنا فى الأسر . .) .

سارع الرجل بلفظه (أوه) ، والحزن لايزال مطبعاً على وجهه . لكن ملامح الوجه تبدلت فجأة إلى مستطلعة :

- (هل قلت الأسر !؟) .

- (نعم . . وقعت فى الأسر سنة ٧٣ . .) .

تحرك الراكب - وقد شده الاكتشاف - واستند بظهره الى باب العربة ليواجه السائق :

- (لابد أنها تجربة مريرة . .) .

وصل إليه التساؤل المشبع بالفضول فى كلمات الراكب ، فاستجاب على الفور :

- (كنت أنقل الذخيرة فى منطقة وسط القناة . . وكنت راجعاً لأحمل شحنة جديدة ، فوجدت دباباتهم تحيط بى . . أسرونى وأحرقوا العربة . .) .

استغرق الراكب فى التفكير ، وعاد يستند إلى ظهر المقعد . أخرج علبة سجائره .

قدم للسائق سيجارة . اعتذر عن عدم أخذها لأنه لايدخن . أشعل الرجل سيجارته . أخرج أول سحابة دخان طويلة ، وقال :

- (الحروب تدمر كل شىء . . السلام نعمة كبيرة . .)

فرأوا أن يصلوا العصر في الطريق حاضرا ، ويعوضوا ذلك بالاسراع الى بني قريظة . . وبعضهم التزم حرفية نص كلام الرسول ، عليه الصلاة والسلام فظلوا سائرين حتى وصلوا الى بني قريظة بعد المغرب وفاتتهم صلاة العصر . . ولما علم الرسول بهذا وذاك لم يعترض على فهم هؤلاء ، ولا هؤلاء ، لأنه فهم قائم على اجتهاد ووجهة نظر في تنفيذ أمره . . » ومن احتهد فاصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » ، قد صوب الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاد كل من الفريقين ، ولم يؤاخذ واحدا منهما .
فهكذا شأن الاجتهاد « ولكل وجهة هو موليها »

وقد اختلف الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ومن بعدهم في فهم الأحكام ، وبيانها للناس في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما نعرف ذلك ، ونقرؤه كل يوم في الكتب دون أية غضاضة ، أو اعتراض أو حساسية . .

فلا بأس ـ اذن ـ اذا اختلف المجتهدون والمحدثون في طريقة تقدير الأوقات التي يؤدي المسلمون في تلك البلاد القاصية شمالا أو جنوبا صلاتهم وصيامهم فيها ، لاسيما والأمور في الأصل مبنية على التيسير .

وكان الصحابة والفقهاء الذين انتفعوا بفقههم ، يأخذون بالتيسير في عاداتهم . فقد روى عن الزهري من أئمة الحديث أنه قال : بلغني أن أبا هريرة قال : من خشي أن ينام قبل صلاة العشاء ، فلا بأس أن يصلي قبل أن يغيب الشفق »

وكان عطاء بن ابي رباح ، وهو أحد كبار التابعين (توفي ١١٥ هـ ـ ٧١٣م) يصلي المغرب ، ثم يطوف سبعا ، ويصلي ركعتين ، ثم يصلي العشاء عقب ذلك ، وفي رواية ، قبل أن يغيب الشفق » وكان عطاء يقول : صل العشاء قبل أن يغيب الشفق ، واني لأطوف أحيانا سبعا بعد المغرب ، ثم أصلي العشاء » .

وقد حكي أن ظهير الدين المرغيناني ، لما قدم فرغانة رأى كسالى من بخاري يصلون العشاء قبل أن يغيب الشفق ، فأراد منعهم عن ذلك ، ثم لقى الامام الرضى (ت ٤٣٧ هـ ـ ١٠٩٠ م) وشاوره في قصده ، فقال : لاتفعل فانك ان منعتهم عن ذلك تركوها بالكلية ، وأما الآن فانهم يؤدونها في [illegible] يجيزه بعض الأئمة »

وقد رأينا اليسير من رسول الله في كثير [illegible] المواقف . وفي الحج بخصوص الرمي والذ[illegible] والتقصير قال لكل من سأله : افعل ولا حرج ، لا داعي للترتيب ، وكان يجيز لمن له عذر أن يؤ[illegible] الشعيرة قبل وقتها . وكان يستجيب لبعض تحفظ[illegible] من الذين يسلمون حديثا مراعاة لحالهم الخ .

فمن فقه الشريعة أن نقدر حالات وظروف هؤلاء الناس ، ونسير عليهم بقدر المستطاع ، حتى يؤدوا فرائض دينهم ، ولا يتركوها بالكلية . .

وأي احتهاد في التقدير يراعى فيه أسس الاجتهاد ، وأصول وقواعد روح الشريعة ، هو اجتهاد مقبول ، وان اختلفت طرقه ، وتعددت مسالكه ، وهو يؤدي في النهاية الى أن يؤدي هؤلاء فرائض دينهم ، دون عسر وعقبات تثقل كاهلهم ، وتكلفهم فوق طاقتهم ، وفي ظروف هذه البلاد الأجنبية الصعبة . .

رأي المرحوم الشيخ محمود شلتوت

ان تقدر أوقات هذه البلاد الاستثنائية على حسب أوقات أقرب خط عرض لهم تظهر وتنتظم فيه علامات الأوقات ،

وتدل الحسابات العلمية الفلكية أن البلاد حتى خط عرض ٤٨ تنتظم فيها هذه العلامات ولكن تبدو من هذا الرأي مشكلة حين يكون طول الليل عند خط عرض ٤٨ أو ٤٩ ثماني ساعات بينما يكون في الوقت نفسه عند خط عرض ٦٥ ساعتين فقط فكيف نطبق عليه ليلا مدته ٨ساعات . .

الأخذ بالنسبة :

وهنا برز رأي اجتهادي آخر يقول : نقدر ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٤٨ ونسبه الى مدة الليل كله ، فاذا كانت المدة ساعتين فهي ربع الليل ، فيكون ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٦٥ فيما فوق ربع ليلة أي نصف ساعة ، ونصلي العشاء ،

ـدا بالنسبة لوقت الفجر وصلاته وبدء الصيام .
استقر على ذلك رأي ندوة المركز الاسلامي في
ـ في ما يو سنة ١٩٨٤ وقد حضرتها واشتركت

ـمع بين صلاتي المغرب والعشاء :

على أنه يجوز بين صلاتي المغرب العشاء جمع تقديم ـ سيما في رمضان لضيق وقت الليل عند الافطار ، ـلاة المغرب ثم العشاء والتراويح وقت العشاء ، ثم ـسحور ، ثم الفجر وقد روي عن ابن عباس رضي ـالله عنهما كما جاء في صحيح مسلم وفي الموطأ ، وشرح معاني الآثار للطحاوي والمحلى لابن حزم قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء في غير خوف ولا مطر » قيل لابن عباس ، ماذا أراد بذلك ؟ قال . أراد ألا يحرج أمته » وظروف هؤلاء أشد حاجة الى عدم الاحراج

الفطر لطول النهار :

كما يجوز الفطر لمن لم يستطع الصوم لطول النهار ثم يقضي في أي وقت شاء .



أما رأي لجنة الفتوى في الأزهر .

فيقضي بالقياس على وقت أهل مكة . فيصوم مدة صيامهم ثم يفطر ، ولو كانت الشمس موجودة ويقيس عليه أيضا وقت صلاته . .

ورأى مجلس هيئة كبار العلماء في الرياض :

فقد رأى في ١٢ / ٤ / ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ . أن يصلي الذين لاتظهر عندهم علامات الأوقات على حساب أقرب البلاد التي تظهر فيها العلامات ، وكذلك رأى المجمع الفقهي في مكة في ١٤٠٢/٤/٨ هـ ١٩٨٢/٢/٢

وهناك رأي آخر

يقول : تسير هذه البلاد على الأوقات التي كانت تظهر فيها العلامات عندهم قبل أن تختفي

وما العمل الآن ؟

هذه الآراء الاجتهادية الحديثة هي كالآراء الاجتهادية بين الأئمة ، يجوز لأي انسان أو أية جماعة الأخذ بالرأي الذي يختاره ، ولا حرج ، كما نختار الآن من المذاهب الفقهية مع الاختلاف بينها . . لكن الأمر لو ترك على ذلك ـ كما شاهدت في انجلترا وعلمت ما في الدول الأخرى من تعصب كل عالم لعلماء بلده ، أو للجهة التي تدفع له راتبه ، فان أدى يؤدي الى صورة سيئة من الخلافات بين المسلمين ، في بلاد تنظر الى فعلهم على أنه الاسلام ، ويؤدي هذا الى صورة سيئة لانحبها .

والرأي عندي لقمع هذا الخلاف أن يجتمع مؤتمر مصغر من علماء الأزهر والسعودية ودول المغرب وباكستان والهند ، ويختاروا رأيا من هذه الآراء يسير عليه الجميع في هذه البلاد النائية حتى يتوحد العلماء والمفتون فيها على رأى ، ويظهر المسلمون بالمظهر الطيب الذى يحبه الجميع . □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى:(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف(٣٢)،

نقل الطبري عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد ان قوما كانوا يحرمون ما يخرج من الشاة ، لبنها وسمنها ولحمها ، فأنزل الله هذه الآية ، ومعناها : قل يا محمد لهؤلاء الذين يحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق : من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها ، وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم .

وقد كان من بين صحابة الرسول (ﷺ) من اختار الا يكتفي بأداء شعائر الدين ، واطاعة أحكام القرآن ، والاقتداء بالنبي في أفعاله ومسلكه ، وانما أراد أن يدخل في علاقة بربه هي في زعمه أوثق ، وأن يحرر روحه من ربقة الجسد ، فبالغ في الصوم والعزلة والزهد في متاع الدنيا ، وفرض على نفسه قيودا ولشهواته حدودا ما فرضها عليه الاسلام قط .

وقد قاوم الرسول هذا الاتجاه عند صحبه واستنكره . فكان يقول لمن شغلته الصلاة والعبادة ليلا عن رعاية حقوق أهله ، ان إتيان الرجل امرأته صدقة ، ولمن رأى في الزواج ركونا الى الدنيا : « ان كنت من رهبان النصارى ، فالحق بهم ، وان كنت منا فمن سنتنا النكاح » ولمن آثر الاقتداء بمسلك هؤلاء الرهبان انه « لا رهبانية في الاسلام » كذلك فقد ورد بكتاب الله من الآيات ما يؤكد هذا المنحى ، مثل الآية التي نتحدث عنها ، ومثل :« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله » (البقرة ١٧٢) و« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) . و« وما جعل عليكم في الدين من حرج » (الحج ٧٨) .

فإن كان بعض الزهاد المشهورين من الصحابة ـ كأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري ـ قد استندوا الى آيات قرآنية تحث على الزهد في متاع الدنيا ، وتصفه بأنه متاع الغرور، فان المؤكد على ضوء سيرة النبي ﷺ

ذكرناه لتوّنا من آيات ـ أن هذه الآيات ما عنت الزهد التخلي عن متاع الدنيا ، وإنما عنت صرف العقل عن الاستغراق فيه ، وشدة الاهتمام به ، حتى يصرفه ذلك عن التفكير في الله . اما عن اختيار هؤلاء لحياة الفاقة والشظف التي رأوها شرطا للكمال الروحي ، فما من آية واحدة في القرآن تتحدث عن « فضيلة الفقر » هذه . وقد حكى عن الحسن بن علي أنه لما بلغه قول أبي ذر الغفاري : « الفقر أحب الى من الغنى » . قال : « يرحم الله أبا ذر ، وانا اقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يحب غير ما اختاره » .

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الأية : كان لتميم الداري حلة بألف درهم يصلي فيها ، وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد ، وكان ثوب ابن حنبل يشترى بنحو الدينار . . فأين هذا ممن يؤثر اللباس الخشن ؟ أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى ؟ لا والله . بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والعقل ، وغيرهم أهل دعوى وقلوبهم خالية من التقوى . ان البر ليس في الخشن من الثياب ، انما البر ماوقر في الصدر وصدقه العمل .

وقال ابو الفرج بن الجوزي في حديثه عن هذا المسلك : إنّه يتضمن ادعاء الفقر ، وقد أمر الانسان أن يُظهر أثر نعم الله عليه ، ويتضمن اظهار الزهد ، وقد امرنا بستره ، فكان لسان حالهم الشكوى من الله تعالى . والجواب أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ، ولا كل ما يتزين به للناس يكره . وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو على وجه الرياء في باب الدين .

وقد روى مكحول عن عائشة ان النبي (ﷺ) كان اذا خرج الى الناس نظر في الماء يسوى لحيته وشعره ، وكان ان سئل عن هذا قال ان الله جميل يحب الجمال . ولم ينقل عن النبي قط أنه امتنع من طعام لاجل طيبه قط ، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب ، وفي حين كان البعض يترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء ، كان رسول الله يقول . سيد أدام الدنيا والآخرة اللحم .

وقد بذل بعض الزهاد جهدا في اختراع واذاعة قصص عن الرسول (ﷺ) لا ترال العامة الى يومنا هذا تصدقها وترددها ـ تتحدث عن فضيلة الفقر والجوع ، وكيف كان يربط الحجارة الى بطنه احيانا ، أو كيف أنه التقى ذات يوم بأبي بكر وعمر وقد اخرجهم الطوى جميعا الى الطريق . وهي قصص أثارت غضب أحمد بن حنبل الذي انبرى لهؤلاء يهاجمهم ويفند مزاعمهم . كما انبرى غيره من علماء المسلمين يستهجنون تقليد البعض لرهبان النصارى في تقشفهم واختيارهم لحياة الفقر ولبس أردية الصوف : « وهم انما اظهروا التواضع في لباسهم ، وأكنوا الكبر في قلوبهم . وان أحدهم لاشد عجبا بكسائه الصوفي من صاحب المطرف الثمين بمطرفه . وأما عن نسكهم وأخذهم النفس بالقسوة فبئس الناس هؤلاء ، الذين يظنون أن الله لا يرحمهم حتى يعذبوا أنفسهم . وما أصدق قولة عمر بن الخطاب لرجل رآه يظهره النسك متماوتاً : ـ

« لاتمت علينا ديننا أماتك الله » . □

■ نحن في حاجة الى الهامكم ، وأنتم في حاجة الى معرفتنا ، نحن في حاجة الى حركتكم ، وأنتم في حاجة الى ثباتنا . . نحن في حاجة الى وثبتكم ، وأنتم في حاجة الى تجربتنا

(د . عبد الرزاق السنهوري)

قصة قصيرة

حكاية شخص هامشي جداً..

بقلم : محمد صوف*

قال لي رئيس المستخدمين :

تأتي كل يوم متأخرا ، لماذا ؟ هذا ليس من اختصاصي ، تدبر أمرك ، هذا انذار شفوي ، بقية الطريق ليست في صالحك .

الحافلة ياسيدي ، لو كنت تقطن في الحي الذي أقطنه ، لو عانيت من الاستيقاظ المبكر والانتظار الطويل أمام المحطة .. لو .. لأدركت ..

- لماذا تجمد أمامي هكذا ؟ انصرف الى عملك ، وأكرر ، تدبر امرك ، فطأطأت رأسي وانصرفت الى مكتبي .

تبتدىء الحافلة عملها عادة في الساعة السادسة صباحا . استيقظ قبلها بنصف ساعة ، أرتب نفسي ، وكم مرة قضيت ساعتين في الانتظار .

تفتح المكاتب ، يبدأ الزملاء عملهم ، وأنا مازلت انتظر الحافلة .

بطاقة تعريف :

اسمي حمان ، قبل ستة شهور أسعفني الحظ ، وعثرت على عمل في احدى المؤسسات التجارية ، أقطن في حي يرسم علامات الاستغراب على ملامح كل من يسمعه ، وأصبح السؤال أين يوجد هذا الحي ؟ منتظرا في كل حوار . حتى أني أجيب على السؤال قبل أن يطرح .

بيتنا تستنزف أجرته ثلاثة أرباع أجرة الوالد ، يتكون من غرفتين ومطبخ وحمام ، الوالدان ينامان في غرفة ، والغرفة الأخرى أتقاسمها مع أحد عشر فردا ، أسعفني الحظ ووجدت عملا ، أسعف الحظ أحد عشر فردا ، فقد أصبح يعولهم شخصان بدل شخص واحد .

قال رئيس قسم المستخدمين :

مر على عملك معنا ستة شهور ، ولم تتعلم الاعتناء بهندامك بعد ، ذقنك تحلقه مرة كل أسبوع ، ربطة العنق هذه كأنها رفضت التخلي عن رقبتك ، ياقة قميصك كأنها في خصام مع الصابون ، يا أخي ، نحن في مؤسسة تجارية ، ومظهر مستخدمينا جزء من معاملاتنا .

الحالة الشخصية :

تأكل العائلة راتبي ، انني احتفظ فقط بما يؤمن لي ركوب الحافلة ، والحمام الأسبوعي ، وشفرة حلاقة

* كاتب قصة من المملكة المغربية



أسبوعية ، وحفلتين فى قاعة السينما الوحيدة الموجودة بحينا كل شهر .

عندى قميصان كلما فكرت فى قميص ثالث أثرت غضب العائلة . حلق ذقنى كل صباح قد يفوت على حافلة الساعة السادسة ، هذا ، اذا جاءت فى ميعادها . ربطة العنق فعلا تثير اشمئزازى ، وكلما فكرت فى شراء واحدة أدركت أن ثمنها يؤمن امتطائى الحافلة لاكثر من أسبوع ، وكلما حاولت خصم ثمنها من مرتبى أتت تكاليف اخرى لتنتزعه منى .

الحالة العائلية :

قلت لوالدى :

ـ أصبحت مهددا بالطرد ، الرئيس يؤنبنى على هندامى ، عملنا يتطلب مظهرا لائقا .

قالت أمى . هى دوما تتدخل دون أن يطلب منها ذلك :

ـ يريدون عملك أم أناقتك ؟ اذا كنت تفضل ربطة عنق علينا فافعل ما بدا لك ، ثم كم منهم يعملون فى المكاتب ولا يحملون ربطة عنق .

قلت لوالدى :

ـ لكى لا أصل كل يوم الى العمل متأخرا ، مارأيك لو اشتريت دراجة نارية بالتقسيط ؟

قالت والدتى :

ـ وسنزداد ضيقا نحن فى هذا البيت ، أين سنضع دراجتك عندما تشتريها أولا ، ثم من سيعوض لنا نحن الأقساط الشهرية التى ستدفعها فيها ، الا تكفيك هذه اللعنة التى نتعرض لها ؟

قال والدى :

ـ نريد سلامتك ياولدى . . الدراجة النارية خطر ، والطريق تزخر بالحوادث ، الناس يستعملون الطريق دون عقل ، الحافلة أضمن لسلامتك ولـ

قال رئيس قسم المستخدمين :

ـ حليقا ، أريد أن أراك كل يوم ، تدبر أمرك ، لقد تحملناك كثيرا .

طقوس خاصة :

سأحلق ذقنى كل مساء قبل أن أندس فى فراشى ، كيف لم افكر فى هذا من قبل ؟

المرآة مكسرة أرى خطوطها ترتسم على وجهى . ا
أمامها ، تمتد كثير من الشفرات ، لا ، بل هى صو
متكررة لشفرة واحدة . لن أتلقى عتاب رئيـ
غدا ، على الأقل سأرتاح من ملاحظاته ، حتى بـ
القميص سأغسلها ليلا كلما اتسخت ، أما ربـ
العنق فتلك مشكلة حلها سهل ، قال لى أحد أساتذ
يوما :

ـ تذكر أن ماحك جلدك مثل ظفرك .

غبى ، كيف لم انتبه لهذا أيضا من قبل ، على كل فأنا أتعلم ، الذقن محلوق ، الياقة نظيفة .

النتيجة كمية عتاب تتناقص

ثم انهى مشكلة ربطة العنق ، وهاهو يبتسم لى كلما رآنى كما يبتسم لزملائى الآخرين ، ابتسمت وأنا أمرر الشفرة على خدى الأيسر فانغرست فى احدى ثناياه ، وارتسم خط أحمر على الذقن ، تساقط كقطرة مطر على وجه الصغير النائم عند قدمى .

يوم غير معتاد :

هذا الجرح البسيط لايشوه الوجه ، وقد رأيت خدوشا أكثر خطورة منه على وجه الزملاء الذين يبتسم لهم الرئيس ، الياقة نظيفة تماما اليوم : والشعر ممشوط كعادته ، شعرى هو رأس مالى ، ولايكلفنى غسله ومشطه عناء كبيرا .

هو الوحيد الذى لم يتعرض لمضايقات الرئيس رغم الازدحام ورغم ضغط الأجساد فأنا سعيد ، وهذه التى تحدق فى ، قد أكون أثرت انتباهها بأناقتى ، أنا أشعر أننى اليوم أنيق جدا .

مازالت نظرتها تتركز على ، قد يكون لى معها شأن ، مالت على اذن رفيقتها تهمس لها بشىء ، اصطدمت نظرتى بنظرة صديقتها . . وانفجرتا ضحكا .

متى كانت الأناقة تثير الضحك ؟ ولم تضحكان اذن ؟ هناك شىء مايبعث على السخرية ؟ هل هو الجرح ؟

الازدحام يتكاثف والجابى يصرخ ، يطلب من الناس أن يتقدموا الى أمام الحافلة لتخف وطأة الزحام ، وهما تضحكان ملء شدقيهما ، لم تضحكان ؟

سأندفع نحوهما وأعطيهما درسا فى الاخلاق ، وسط

الخصم البشرى حتما لااستطيع .
ساغير نظرتى تجاهها ، ساعطيها طابع الغضب
ناب . لم تعودا تنظران الي ولكن حديثهما ظل
حكا . وقفت أمام مرآة أحد المتاجر وحدقت فى
ى جيدا ، وجدتنى أثير سخرية السخرية داتها ،
ن مصدر هذه السخرية لااستطيع تحديده
لا اكون انا . انا . نعم انا .

قال لى رئيس قسم المستخدمين .

ـ انت لاتنفع معك نصيحة .

حلقت ذقنى ، غسلت ياقة قميصى ، فقط كتب على أن اخدش ، هذا أمر يحدث لاى كان ، أم أنك وجدت فى ما يضحك انت الآخر ؟ لقد بلغ السيل الزبى ، أيها الرئيس المحترم ، قضية ربطة العنق ساجد لها حلا فى القريب العاجل . .

ـ التأخر عدم النظافة !

ماذا يقول هذا المعتوه اذن ؟

والفتاتان تضحكان ملء شدقيهما فى الحافلة ، الزميلة الضاربة على الآلة الكاتبة لم تكلف نفسها يوما عناء توجيه كلمة الي ، حتى تحية الصباح التى ألقيها لاتردها ، أصدقائى فى العمل تختلف أمزجتهم وطبائعهم ، وهذا الذى يلومنى يوميا . اركض دائما وراء رضاه . . اليوم كنت متأكدا من ابتسامة منه ، وهاهو يلومنى . .

والآن أذهب الى عملك وهذا آخر اندار . .

لم أسمع ما قال ، ولماذا يوجه الى انداره الأخير ؟ سخرية فى الحافلة وانذار فى العمل ، انه لظلم . هل أثور فى وجهه ؟ وبعد ؟ رغم ذلك فهو انسان طيب .

لو كان غيره لتعرضت للطرد منذ مدة ، مادام طيبا فلأ طلب منه اعادة ماقال ، مازلت لا أعلم سبب هذا التأنيب .

ـ تحرك .

الزميلة التى ترفض تحيتى كل صباح . . تبتسم . . تضحك . . ماذا حدث ؟ تهمس الأخرى فى أذن صديقتها ، تنفجران ضحكا ، تضحك الكاتبة ، يؤنبى الرئيس ، يصافحنى الزملاء وفى أعينهم أشياء لايريدون قولها . ابتساماتهم يتحكمون فيها يقمعونها ، لاتظهر على الشفاه لكنى أراها آتية . أقف أمام مرآة المرحاض ، أتأمل نفسى جيدا

ـ مالك أيها المخبول ؟ لماذا أصبحت مصدر سخرية الكل ، من أعلى الرأس الى أخمص القدمين ، أنت مهزلة

يرفضونك ، تثير ضحك من لايضحك ، نعم أنت فعلا مضحك . انظر الى نفسك . . . الى كل شىء فيك أضحك أنا من نفسى ، أضحك ، تتعرى ضحكتى ، أشير الى المرآة وتتضخم القهقهة ، تدمع عيناى ، يزداد القهقهة تضخما .

الحالة العقلية :

صورتى تضحكنى ، ظلى يضحكنى ، اسمى يضحكنى ، انا أضحك نفسى . قال زميل : يجب عرضه على اخصائى ، الشاب فقد توازنه العقلى قال رئيس قسم المستخدمين :

ـ لانعرضه على أحد ولايحزنون نستغنى عن خدماته ، هذا هو القانون .

بطاقة تعريف :

اسمى حمان ، أحب الضحك ، اسمى يضحكنى ، ظلّ يضحكنى ، صورتى ، تنفسى ، عملية دغدغة دائمة ، حتى أولئك الذين كلما رأونى قالوا عنى انى السعيد حقا ، يضحكوننى . □

■ لم أجد في الحياة سوى قضيتين أوليين هما الجمال والحق . . . أما الجمال ففي قلوب المحبين ، وأما الحق ففي سواعد العمال

(جبران خليل جبران)

أرقام

بقلم : محمود المراغي

بدلاً من الملعب والمدرسة

المؤشــرات عـلى فقــر الفقــراء .. وبؤس البؤسـاء .. تتزايـد كل يـوم . في السنـوات الماضية كانت أرقام الصحة والتعليم ومستوى الدخل المنخفض وسن الـوفـاة المبكـرة مؤشـرات واضحـة تقول : « هنا في العالم الثالث يوجد صنف آخر من البشر يعيش حياة أقصر وأشد قسوة »

أخيرا ، أضيف مؤشر آخر يقول « وفي العالم مائة مليون طفل يعملون في أشغـال شاقـة و (٩٨) بالمائة من هؤلاء يعيشون في دول نامية ويعملون في المناجم والمصانع والمزارع » .

وطبقا للتعريفـات الدوليـة فان هؤلاء الاطفـال يعتبرون خارج قوة العمل ، التي تبدأ من الخامســة عشرة الى سن الرابعة والستين .

وطبقا لتقرير منظمة العمل الدولية أيضا ، وهي صاحبة هذا الرقم ، فان الاحصاء قد لايكون دقيقا ، وقد يكون المشتغلون من الاطفال في أعمال صعبـة يـزيدون عن ذلـك ، لكن حصرهم أمر متعـذر ، فالكثيرون يعملون في أعمـال سريـة أو بشكل غـير مشروع .

و .. وتـدعم هذه الحقيقـة منظمـة الدفـاع عن الاطفال التي تتخذ مقرها في جنيف ، فتقول ان هناك (٣) ملايين طفـل يعملون في كولـومبيا ، وبعضهم يعمـل في مناجم الفحم عـلى عمق ٢٨٠ مترا تحت الارض .

ثم .. تتعدد الأمثلة :

في الهند (٤٥) الف طفل يعملون في صناعة أعواد الثقاب والالعاب النارية .

وفي بانكوك ينتشر الأطفال في خمسة آلاف مصنع من مصانع الشوارع الخلفية غير المسجلة !

وفي أكثر من بلد افريقي يخرج الطفل للعمل في سن مبكـرة ، حتى أصبح الأطفـال قيمة اقتصـادية يحرص الآباء على انجابها من أجل دخل أكثر .

وبينما تستنكر الـدول المتقدمـة ذلك ، تستخـدم الولايات المتحـدة مليون مكسيكي يعملون بشكـل موسمي !

ما هو التفسير الذي يمكن أن نضعـه لهذا الـرقم الذي يصدم العين والعقل : مائة مليون طفل يتركون اللهــو واللعب .. والعلم والتعلم .. ليتـحمـلوا مسؤولية ثقيلة تنوء بها أعمارهم وأجسادهم وخبرتهم المحدودة ؟ .

مـا هو التفســير ، والتعليم في تزايـد ، ومستوى الدخل يرتفع ؟

هناك العديد من الأسباب والتفسيرات ..

فالذين يـدخلون في سن العمل تبلغ نسبتهم في الدول الصناعية عام ١٩٨٣ ـ طبقا لاحصاءات البنك الدولي ـ (٦٧) بالمائة من السكان .. بينما يهبط الرقم الى (٥٩) بالمائة في الدول النامية منخفضة الدخل ..

و .. معنى ذلك أن هناك نسبة أكبر مما يسميه خبراء

ـساد بالاعالة في الدول الفقيرة . . أي أن
ـل الواحد يعول عددا أكبر من الافراد غير
ـعلين .

الظاهرة الثانية وهي التي تتصل بعمل الاطفال ـي توزيع السكان بين ريف وحضر . . فبينما يعيش ٧) بالمائة من سكان الدول الصناعية و (٦٤) بالمائة ـ سكان أوروبا الشرقية في الحضر . . فان النسبة ـط إلى (٢٢) بالمائة في الدول النامية منخفضة ـدخل و (٨٤) بالمائة في الدول النامية متوسطة ـدخل .

وبالطبع عندما تكون النسبة الكبرى في الريف يكون الخروج المبكر للعمل . . واردا ومنطقيا فكثيرا ما يكون ابن الفلاح . . فلاحا .

ثم تأتي الظاهرة الثالثة أو السبب الثالث ، وهو تخلف الطفل عن المدرسة ، وبينما يسجل التعليم تقدما ملحوظا . . وبينما يذهب الى المدرسة الابتدائية في الدول منخفضة الدخل (٨٥) بالمائة ومن هم في سن هذه المرحلة من التعليم ، . بينما يحدث ذلك فان النسبة في العديد من البلدان تهبط بشكل واضح ، ولا تزيد عن (٣٠) بالمائة في مالي والصومال وبوتان . وتزيد عن ذلك قليلا في موريتانيا والسنغال وسيراليون وبوروندي . .

وبديهي أنه كلما تخلف الاطفال عن التعليم اتجهوا للعمل . . وربما العمل الشاق الذي تتحدث عنه احصائية منظمة العمل الدولية

فاذا أضيف لذلك قضية انخفاض الدخل فاننا نستطيع أن نفسر : لماذا يخرج الاطفال للعمل الشاق . . في سن مبكرة ، وقبل أن يصلوا الى سن الخامسة عشرة ، وينضموا الى قوة العمل »

نستطيع أن نفسر الظاهرة ، لكننا قد لانستطيع أن نحصر النتائج بنفس الدقة .

في قائمة النتائج نستطيع أن نتوقع لابناء الدول النامية ـ أو لشريحة واسعة منهم ـ مستوى صحيا أدنى من أقرانهم في الدول المتقدمة . . فهاهم يخرجون للعمل قبل أن يكتمل نموهم الجسدي . .

وهاهم يتحملون المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية المبكرة بكل ما تتركه من آثار قد تصقل الشخصية وتثقلها بالهموم .

وفي قائمة النتائج أيضا لابد أن نسجل فقدان فرصة التعليم ، وما يتركه ذلك من أثر ثقافي .

. . فالذين يعملون سنوات أطول في عمرهم ، يقضون سنوات أقل في تعليمهم ، والذين ينالون قسطا أقل من التعليم ينالون ـ في معظم الأحوال ـ قسطا أقل من الثقافة .

و . مع ذلك ، فليست هذه هي كل النتائج أو أكثرها سوءا . . فهناك نتيجتان تسيران في عكس الاتجاه المرغوب فيه في معظم الدول النامية . . أعني الاتجاه لتحديد السكان ، كإحدى وسائل الاسراع بالتنمية والتغلب على أسباب الفقر .

وبصرف النظر عن اشتغال الطفل بعمل شاق وبما يخالف حقوق الانسان . . فان مجرد خروجه للعمل . قبل موعده يعني تشجيع الزواج المبكر ، وتشجيع النسل الأكثر . فالطفل عندما يتحول في سن صغيرة الى قوة منتجة ، يتزوج على الأرجح في سن صغيرة أيضا ، وبما يزيد من فرص الانجاب أيضا ، ولنفس السبب ـ وهو تحول الطفل الى قوة اقتصادية منتجة ـ فان الآباء يجدون الاغراء لمزيد من الانجاب ، فالاطفال مصدر رزق ، وليسوا سببا في المزيد من الانفاق

وهكذا تتاح فرصة كثرة الانجاب مرتين مرة عند الآباء . . ومرة عند الأبناء !

هل من سبيل لتغيير هذه الصورة ؟

كثير من الدول تحمي المرأة بقوانين تمنع اشتغالها في أعمال صعبة أو ليلية

وكثير من الدول تسن التشريعات لتحمي الطفولة وتمنع الصبية من الاشتغال بالاعمال الخطرة ، أو الضارة بالصحة ، أو تمس الآداب العامة .

والقوانين الدولية تضمن الأمرين . حماية المرأة وحماية الطفل . ولكن يبقى الأمر أبعد من قانون يصدر أو تشريع يحظر . . فالقضية هي التطور الاجتماعي والاقتصادي . وعندما يزيد الدخل وتزيد فرص التعليم ويزيد التحضر يتراجع دور الطفل في دائرة العمل بشكل عام . . والعمل الشاق بشكل خاص .

وغدا تختفي ظاهرة « الطفل . . ربا للأسرة . . » والكثير من الاطفال يلعب هذا الدور بالفعل . . يلعبه على مسرح الحياة . . وليس على مسرح العرائس أو المسرح المدرسي . □

أضاف السائق :

ـ (لا أحد يحب الحرب . .) .

وظلا صامتين لمسافة طويلة ، حتى وصلت السيارة إلى (محطة الرمل) . تخلص السائق ـ بصعوبة ـ من شلالات الذكريات ، والتفت إلى الراكب وهو ينتقي كلماته ، متسائلاً :

ـ (أنا سعيد بلقائك . . ولكن ، نحن الآن في وسط المدينة . . وأنت تعلم أن المتاحف مقفلة في هذا الوقت . . وأنا حائر ، لست أدري أي الأماكن تحب زيارتها يحسن أن نحدد وجهتنا الآن . .)

أخفض الراكب رأسه قليلاً لينظر إلى يسار الطريق :

ـ (فعلاً . ها هي محطة الرمل تغيرت ملامح المكان . ولكن ، ها هو سعد زغلول وفندق سيسيل . و (تريانو) لا يزال في مكانه . سمعت أنه تحول إلى بنك)

أوقف السائق السيارة انتظاراً للقرار

ـ (هل ننعطف إلى محطة الرمل ؟)

ـ (لا كنت أود أن أسير في شوارع « الأزاريطة » و « كامب شيزار »)

ـ (نمر عليهما في طريق العودة

ـ (فكرة طيبة والآن نكمل المسيرة إلى عبق ذكريات المكان والوجوه والروائح . . إلى « الأنفوشي » و « رأس التين » لست عربي في كل الشوارع والحارات أريد أن أمشي في الأزقة القديمة وأشم رائحة السردين المشوي تنبعث من البيوت هل رأيت في أن نتناول عشاءنا شواءً في محلات الأرصفة ؟ ! حتى أذكر بعض الأسماء المشهورة سنحددها هيا بنا) .

هنا ، استراح السائق تماماً لأنه ـ أخيراً ـ عرف وجهته بالتحديد نطلق برفقة الغريب في السيارة أنزل الراكب زجاج النافذة قليلاً ، فلما تدفقت إلى وجهه حبوب المطر ، سارع برفعه مهرجاً كالأطفال

كان يمسح وجهه ، وكان السائق يفكر في أن هذه الليلة ستحتل المكانة الأولى في سجل الأعاجيب التي عاشها وفكر كيف يتصرف إذا دعاه للعشاء وسهى تفكيره إلى قيمة الأجر الذي سيطلبه منه فجأة ، وجد التساؤل يتحرك على لسانه

ـ (إنك تعرف المنطقة كأحد أبنائها . .) .

قهقه الراكب ، وأطفأ السيجارة المنتهية :

ـ (شيء عجيب ، أليس كذلك ؟ . . فعلاً أنا مولود هنا في الإسكندرية !) .

ـ (هكذا خمنت أنا . .) .

ـ (غادرت مصر في ٥٦ ، وأنا في العشرين من عمري . .) .

ـ (هجـــرة ؟ !)

تردد قليلاً قبل أن يجيب .

ـ (يمكنك أن تقول ذلك . .) .

وضحت الصورة أمام السائق . كان ضرورياً أن تكتمل الصورة . ضرورة وقتية غذاها الفضول والرغبة في سبر غور هذه النوعية الفريدة من الركاب . واستمر ـ لمجرد الرغبة في الثرثرة ـ يسأل

ـ (إلى أمريكا ؟) .

ـ (لا . .) .

ـ (كندا ؟) .

ـ (لا .)

ـ (أوروبا ؟)

ـ (لا) .

ـ (إذن لا بد أنها استراليا)

ابتسم الراكب ابتسامة عريضة ، وقال في هدوء وببساطة

ـ (لكي لا تجهد نفسك . أنا إسرائيلي !)

في لحظة واحدة خاطفة استوعب الأمر ، وحرك قدماه ، وصرخت عجلات السيارة وهي تنزلق على الإسفلت المبتل . دارت السيارة دورة ، وكادت تصطدم ـ قبل أن تتوقف ـ بعمود إنارة بعد صعدت مقدمتها الرصيف الوسط بجانب الكورنيش

كان الراكب يتساءل مذعوراً ، وكان السائق يغادر لباب بجانبه ويسرع ـ في المطر ـ إلى الباب الآخر ليفتحه صامتاً مكفهر الملامح مشيراً للراكب بالخروج

ارتفع صوت الراكب مستنكراً ومحتجاً بينما السائق ووجهه وملابسه بالأمطار الغزيرة يرتعش كمحموم ، وكانت عيناه تبرقان بحدة امتدت يده وقبضت على كتف الراكب تشده وأمره بصوت صارخ رافض : انزل ! .



الوطنية في شعر عبد الحميد الديب

بقلم : حلمي الخولي

لم يبن شاعر عالمه الشعري من البؤس والفاقة والحرمان ، مثلما بنى عبد الحميد الديب عالمه . ورغم شاعريته الراقية ورقة تراكيبه ، إلا أن أحدا لا يذكر له الا قصائده عن البؤس . وفي هذا المقال جانب جديد من شعره ، لم يتناوله النقاد الذين ظلموه حيا وميتا . . !

حينما يذكر اسم الشاعر عبدالحميد الديب ، يذكر مرادف هذا الاسم « شاعر البؤس » لأنه عاش بين فكي البؤس والحرمان ، واذا ابتسمت له الدنيا يكون الابتسام للحظات لا تذكر ، ثم تكشر عن أنياب البؤس والفاقة مرة أخرى ، فأصبح البؤس شيئا لازما في حياة الشاعر ، وأصبح الترف شيئا غريبا عن حياته ، فعندما قطن في حجرة بها بعض الأثاث لم يطق هذا الوضع الجديد ، واضطر الى بيعه حتى لا يخرج عن قانون بؤسه في السكن ، كما يوضحه لنا من خلال وصفه لحجرته التي أسماها « جُحْر الديب » فيقول :

أرى النمل يخشى الناس الا بأرضها
فأرحله أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة
وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدي
ترابي بها كل الأثاث ، فمعطفي
فراش لنومي أو وقاء من البرد
وأما وسادتي بها .. فجرائد
تُجدد اذ تبلى على حجر صلد

وكثيرا ، ما كان يضطر الى قضاء العديد من الأيام في أحد بيوت الله ، ليجد فيه الراحة من التشرد والضياع ، فيصف حياته البائسة المكدودة فيقول :

نهاري إما نومة بين مسجد
غرارا .. واما بالطريق .. تسكع
وأطوي عصي الليل في القبر ساعيا
ومن أين للآفاق في الكون مهجع
اذا أذّنوا للفجر طرتُ مسرة
الى مسجدٍ فيه أصلي وأضجع
أصلي بادكاء المرائي وقلبه
وشتت صلاة يحتويها تصدع

عاش الديب مشردا ، لا سكن له ، ولا أهل ولا مال ، فكانت حياته محنة ومأساة يصور لنا أبعادها فيقول .

أذله الدهر لا مال ولا سكن
فتى تزيد على أنفاسه المحن
اذا سعى فجميع الأرض قد نتنه
وان أقام فلا أهل ولا وطن
مهاجر بين أقطار الأسى أبدا
كأنه سيد الأرزاء . مرتهن

ويصور لنا ثيابه التي لم تتغير أبدا فيقول :

ثيابه كأصابيه ممزقة
كأنها وهو حي فوقه كفن

وعاش عمره يشكو من الجوع والطوى ، ليله ونهاره ، فلم يكن يجد تلك اللقيمات التي يقيم بها أوده ، وربما ألقيت أضخم الموائد في صناديق « الزبالة » فاسمعه يقول

واجلس الليل في صحبي أسامرهم
وكلهم بجمالي رقتي حفل
حتى اذا سلموا للعود وانصرفوا
سريت جوعان يفري عزمي الكلل

فيعذبه جوعه ، وتشتد قسوة الطوى ، فيصرخ صرخة حزينة ، بائسة يائسة تنم عن مدى حزنه وبؤسه وفاقته فيقول .

جوعان ! يا محنة أربت على جلدي
كأن ليلي يوم البعث متصل

كأن حظي رحيق الدهر يشربها
بكرا معتقة، والدهر بي ثمل
فإن تطلبتُ عيشي متُّ من كمد
وإن تطلبتُ حيني يبعد الأجل

فمن عاش حياة الديب، وعانى محنته، وقاسى فاقته، هل يكون له أمل غير الموت، ينشد فيه راحته المأمولة؟. ولم يكن الدهر هو الذي قسا على الديب وحده، ولكن الناس أيضا جمعوا عداءهم الى عداء الدهر، فساء ظنه بالناس، وأصبحوا في نظره أعداء، ويصور لنا هذا بقوله:

أمر على المقهى.. فأسمع شامتا
يمزق في عرضي، وآخر يشفع
وقد ساء ظني بالعباد جميعهم
فأجمعت أمري في العداء وأجمعوا

وقد رمى بعض الناس الديب بالعزلة، وعدم الايجابية والمشاركة الوطنية في أحداث الوطن فقد توفي في عام ١٩٤٣. وأين له الصواب الذي يفكر به في أمور الوطن. وقد شل فكره من كثرة ماعاناه وكابده في الحصول على أقل الأشياء الحياتية وهي لقمة العيش، ولو لم يشارك الديب في أحداث الوطن، فله عذره الذي يقيه اللوم.

بؤس الفرد والوطن

ولكن المتصفح لأشعاره يجد أنه كان ذئبا قويا في قوة الأسد، حين يتصدى لقانون فاسد، أو مؤامرة حقيرة. وقد عاش الديب أخريات حياته في ظل الملكية الفاسدة، ومن يعاونها من الوزارات التي تنتمي الى أحزاب كل همها مصلحة أناس في الحزب، لا مصلحة الوطن، فقال يهجو حزبا جمع الى الوزارة رئاسة الديوان الملكي ويعرض بالملك السابق:

سرامكة وليس لهم رشيد
وأقيال وكلهم عبيد
مدحتهمُ فما شرفوا بشعري
لخستهم، وما شرف القصيد
وصُغت هجاءهم فاذا الأهاجي
على الأفواه لحن أو نشيد

وقد اختلط الحكم في مصر. فالقصر الملكي هو الصورة الحاكمة، والحاكم الفعلي هو الاستعمار وأذنابه، ولقد خرست من بطش الحكم الس[...] وزاغت عن الحق أقلام، ولكن الديب من شدة الهول، وعنف العاصفة يخرج مكشرا لهم عن أنيابه، مرسلا عُواءه الذي منه:

أبينَ عجاجها نبلي بخُلف
يوجهه انقلاب وانتحاب
نعام في الوغى يا آل مصر
وفي غير الوغى ظفر وناب
وما يبغون حربا أو سلاما
ولكن كل همهو اكتساب
تعالى مجد مصر أن يردى
بشرذمة أخافوا واستراسوا
الى الهيجاء ان بها حياة
ومجدا لا يزول ولا يشاب

ونجده ينتقد تصرفات الحكومة الفاسدة في عنف شديد حين اختصت الحكومة أنصارها من الأغنياء والأمراء بالقناعات الواقية من الغازات، على حين أنها تحرم الفقراء وتتركهم الى الموت فيقول:

يا رب ما مصر أمام عدوها
الا «كمائم» خصصت لسراة
للأغنياء، وعبدهم، وكلابهم
أما الفقير فطعمه الغازات

وكثيرا ما كانت حكومات الأحزاب التي تتولى الحكم، تتاجر بأقوات الشعب، فيخرج الديب منددا بأسلوب احدى الوزارات الرخيص في الاتجار بقوت الشعب الكادح المطحون، ويفضح أسلوب وزارة التموين في احدى الوزارات فيقول:

في غابة الوحش ثارت
عواصف من جهنم
الأرض منها استجارت
والصخر منها تكلم
وما شدا الطير فيها
الا النعيب المنغم
قال الوحوش «لذئب»
مُرُّ العواء: تقدم!



فالحاكم اليوم ليث
وصاحب الليث « مكرم »
كم قبل حكمك شمنا
فيك المسيح بن مريم
يا مستغاث جياع
أكلت شعبك فارحم

وكان الديب يرى في الملك الذي يحكم ، انه ليس من الشعب ، وليس الشعب شعبه ، فلما طلب اليه أن يصوغ قصيدة في عرس أحد أولياء العهد ، رفض بل ندد به فقال :

أأصوغ في عرس المليك قصيدة
وأنا الى الموت الرهيب زفافي
لو كنت من شعب المليك نظمتها
من مهجتي ، وعواطفي ، وشغافي

وحين سنت احدى الحكومات الفاسدة تشريعا تحرم به أكل اللحم يومين في الأسبوع ، وجد الشاعر فرصته سانحة ليعرض بأسلوب تلك الحكومة ، التي تظهر أمام العالم بشعبها الثري الذي يأكل كل يوم اللحم ، في حين أن واقعه أليم ، فالعديد من أبناء الشعب ربما لم يذقه منذ عدة أسابيع ، فكانت صرخة أرسلها الديب عالية فقال :

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجى غير مسموع
من حرموا اللحم في يومين، هل علموا
أن ليس في حكمهم زيد لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهمو
على الورى حرمته ألف أسبوع

وهذه أبيات من قصيدة بعث بها الشاعر الى رئيس وزراء سابق ، يندد فيها بمن ينهبون خير مصر مع حرمان أهلها منه فقال فيها :

تحيرت في مصر فمرجع خيرها
الى ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
اذا ما كشفنا كنزها أرض تبره
لمن لم يكن منه على مركب صعب
لكل خمول أو جهول ، وتنتهي
الى يدنا منه الفجائع بالندب
أعود بآلاء الكنانة انها
غدت هملا كالعيش تعطو الى شرب

وكانت صرحاته مدوية مهيبة في آذان من يتهافتون على الحكم ، ويخشون الحرب من أجل الدفاع عن الوطن ، فندد بهؤلاء قائلا :

يا خائفي الحرب مادا تحذرون بها
وأنتم دون هول الحرب أموات
قتلتم الناس جوعا من تهالككم
على الثراء فلا عشتم ولا ماتوا
أنتم عبيد الغنى والحرب كافلة
أن يعمر الأرض قوامون سادات
كم دا أكلتم على حرماننا ذهبا
واليوم تعوركم في الحرب أقوات ؟
لولا الأشحة في الدنيا لما رويت
بها الظبى وعدا للسيف اصلات

ويمضي في نفس القصيدة بأسلوب هجائي تهكمي مفندا ضلال هؤلاء :

قالوا : سلام ، فقلنا : ضل رأيكم
الأرض فيها ثعابين وحيات
أعاد طوفان نوح طهرها غرقا
واليوم طوفانها : نار وغارات

ان كان للبعث أشراط مقدرة
فمالها في هدوء السلم مبقات
هي القيامة من يحيا ، بصرعتها
تمت به الأرض سكان وأبيات

وحينما ظهرت اليد الخفية التي تحكم مصر من وراء الستار ، حينما بذت الخفافيش في ضوء النهار ، وأطلقت السياسة الانجليزية يدها في شؤون مصر الداخلية ، كان عواء الذئب زئيرا يرهب أعتى الشجعان ، حين قال وهو الفقير الكادح المطحون البائس .

ماذا استخفك حتى جست آجامي
لا راهبا غضبي أو خائفا جامي
رزء السماحة أن تعطي لجاحدها
وأن يجود حياها ربع اجرام
حطمته صولجانا ليس يعصمني
لؤم الضعاف طغوا من فيض اكرام
أشبعتهم فأجاعوا من خلائقهم
مالا يهذب في جوع واطعام
قل للخفافيش : ان الشمس طالعة
وساحة النور لم تخلق لهوام

ويستمر الشاعر في نفس القصيدة في صب غضبه على تلك الشراذم التي تكون عونا للدخيل ، ليحكم بهم الشعب المسكين بيد من حديد :

ما للثعالب صلت من مطاردها
جحورها ، واستباحت غيل ضرغام
أمام ذئب فلاة قد جرت فزعا
وفي حمى الليث تبدي بأس هجام
تلك الثعالب يستعلي بها ملأ
هم عصبة الجبن في شعبي وأقوامي
ألمة عجزت عن صون بيضتها
وما لها عصمة من جرحها الدامي
تعلي وتخفض من حكام مملكتي
كلا ، فليس رضاع الذل حكامي

وكما يرفض هؤلاء الذين نصبتهم يد الاستعمار الأثمة على الشعب حكاما ، ويوضح لهؤلاء - في وطنية وعزيمة صادقة - أن تاجهم تاج مزيف ، التاج الحقيقي هو في شرف الشعب وعزة ايمانه واقدامه فقال :

لا تحسبوا فوق تاجي تاج ملككمو
البأس بأسي والصمصام صمص...
بنيت عرشي في عز ، وفي شرف
على أساسين : ايماني واقدام...

ويعلو صوته مهددا ، بفناء هؤلاء ، ان سولت لهم أنفسهم مس شرف الوطن ، وسوف يستعين بالله ناصرا عليهم حتى تظل أعلامهم فوقها أعلام الوطن ، ويمضي مفندا مزاعمهم ، هاجيا أكاذيبهم فيقول :

هي القيامة ان مست مطامعكم
علا سريري ورمتم فيه ارغامي
لي من معونة ربي صبر مقتدر
وفوق أعلامكم في الروع اعلامي
هي الحقيقة مهما ضل رائدكم
فكل دعواكم أضغاث أحلام
يا كادين على الدنيا نحر نكمو
ونصركم بيننا تزوير أرقام

ويستمر في هجائه محقرا اياهم فيقول .

ذل الأسار عليكم قيده ، دبحت
به مهانتكم ، يا شعب أغنام
لو شئت أو شاء شعبي كنتم أكلا
لحوت نيلي ، وأحجارا لأهرامي

من الخاص الى العام

ورغم الحياة المرة التي عانى منها الذيب ، ورغم الطوى الذي كان ينهش في أمعائه ، وخناجر البرد التي تفتك في عظامه ، ورغم الانكار لعبقريته ممن يعرفون قدرها وضياعه في وطنه بأيد من رفقائه ، فهو يرغب في الجهاد الذي يحفظ للوطن شرفه ، ويريد أن يذوب في المجاهدين ، ليقدم نفسه قربانا لأمته الغالية فيقول :

أريد سماء بالجهاد تعزني
وشعبي يأبى أن يبوئني أرضا
أحولي هذا الرعد والبرق وأمضا
وتمحو حياتي لا أشيم بها ومضا

...اه باعدامي غداة شبيبتي
...جزت فلم أملك لضربته نقضا

... انتظامي بين أجناد أمتي
أقدم قربانا شبابي لها غضا

...رتفع صرخات الديب عالية ، لتخرج عن حدود ... الصغير ـ مصر ـ الى كل وطنه الكبير ـ الوطن ...ي ـ ليلفت نظر العرب الى تلك الجريمة التي تحاك ...لخفاء يدبرها الاستعمار والصهيونية لتمكين ...دمة من اليهود في فلسطين العربية ، وكان الشاعر ...حدا من أولئك الذين جزعوا لهول تلك الكارثة ، ...قد سجل الشاعر العربي الوطني عبد الحميد الديب ...كل هذا في قصيدته الوطنية ، التي تنم عن أنبل المشاعر الانسانية ، وتفيض بأزخر المعاني وأصدقها ، حين تجيش في صدر وقلب كل عربي غيور ، وقد اختار أن يكون عنوانها « فلسطين الدماء » وقد كتبت سنة ١٩٣٦ وقال فيها .

أقتلتهم بالحسن أو قتلوك
الشمس أمك .. والهلال أبوك

دار النبوة .. والعروبة .. والهدى
خفروا ذمامك بالدم المسفوك

جهلوا عليك ومادروك فأمعنوا
في قتل قومك . ليتهم عرفوك

تيهي « فلسطين الدماء » على الورى ان الملائك
والملوك بنوك

فلرب ظبي من بنيك مهفهف
بجماله وحسامه يفديك

نامت عيون الناس الا عينه
حتى يصيب الثأر من راميك

ولرب شيخ من بنيك محطم
بهر الوجود صبا لكي يحميك

وقد صدقت نبوءة الشاعر وصارت فلسطين ، فلسطين الدماء ،ولم ينتهبها اليهود لانهم أقوياء ، ولكن الاستعمار والمتخاذلين قدموها لهم لقمة سائغة . والشاعر العربي عبد الحميد ، قد سبر غور هؤلاء اليهود الذين يستدرون عطف الناس ، ويبكون بدموع التماسيح ، قد كشف عن نواياهم الخسيسة التي تنطوي على الغدر والمكر والخبث والدهاء ، فحينما يهون أمره في العيد على المسلمين يقول :

عيد تطالعني . والعيش منكود
لأنت يوم الأسى والحزن يا عيد

يجدد الناس من لبس ومن فرح
وعندنا للأسى والهم تجديد

وفي قصيدة أخرى له ، حينما يريد اظهار قسوة الناس عليه يقول :

اذا رمت عيشي عاملا فكأنني
رجوت « يهوذا » رحمة « يسوع »

وهو قد علم أنهم عباد الدراهم ، فحينما يصور تكبر صاحب البيت الذي يسكن فيه لمماطلة الديب في دفع الأجر ، فيصور تعاليه قائلا :

تكبر فالالفاظ منه اشارة
كأن عباد الله طرا من الخرس

ويسترسل الشاعر العربي ، صاحب الفؤاد المجروح على وطنه العزيز فلسطين ، فيصور لنا هذه الشرذمة فيقول :

أعمى اليهود وساء الاستعمار
واضلهم عن دمة وجوار

يحيون أعداء الشعوب لأنهم
قوم أذلهم هوى الدينار

إن فاتهم ذل النفوس تفتهمو
نعم الحياة وعيشها المدرار

حذقوا محاباة العباد فأصبحت
لهمو ، طوال الدهر شر شعار

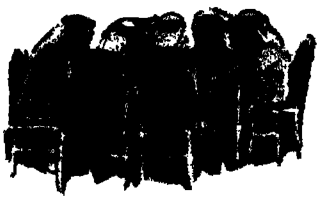
قضت السماء بأن يشرد شعبهم
ويعد بين طوائف الفجار

فهمو عبيد الانجليز وما لهم
في نهضة الأحرار أي قرار

* رحم الله عبد الحميد الديب ، الذي ارتفع فوق آلامه وبؤسه ، وتشرده وطواه ، وصعد بوطنيته فوق أي مأساة اعترضت حياته ، فكان شاعرا وطنيا صادق الحس ، على ساحة وطنه الصغير ـ مصر ـ والى ساحة وطنه العربي الكبير ، وكانت وطنيته مثالا صادقا لابن الشعب الكادح المغبون ، المظلوم فارتفع ذلك حين ألم الخطب بوطنه ، فالوطن أعلى وأسمى من أي ظلم ، ومن أي آلام خاصة .

* ندعو الله أن يعوضه مرارة ما عاش ، وقسوة مالاقى ، بنعيم مقيم . □

قضية الحقوق السياسية للمرأة ما تزال فوق السطح . . . بين مؤيد ومعارض . . وقد دخلت هذه القضية أخيرا مرحلة جديدة . . يمكن مناقشتها في ظل ديمقراطية الاسلام . . وحق نصف الأمة في أن يكون لها فرصة الاختيار . . وهو ما يناقشه هذا المقال .



منتدى العربي

قضية

خواطر انتخابية : المرأة .. وديمقراطية الإسلام

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

الناظر فى أرجاء عالمنا العربي وعالمنا الاسلامى لا يرى أن اقطاره استقرت على نسق واحد فى الأخذ بهذا الذى نسميه النظام البرلمانى الانتخابى أو الديمقراطى . . فمنهم من تركه البتة لمبررات متباينة بعضها على الأقل اسلامى الشعار ، ومنهم من أخذ به وادعاه كاذبا كل الكذب أو صادقا غير كامل الصدق ، على تباين في ضمان النتيجة المرغوبة سلفا بالوسائل المباشرة ، أو بسلسلة من السببية ذات الأشراط المقننة ، والحيل المحسوبة التى تجعلها الى أسلوب المرايين أقرب منها الى التعرف الصادق والشجاع على رأي الأمة . ولكن منهم كذلك من اختار الصدق الصحيح والحمد لله فأنعش أملا كاد يقضى عليه اليأس ، وحقق حلما طال ارتقابه فى عبر عشم كبير . ومن أمثلة هذا النوع الأخير لا بد هنا أن اشير الى الانتخابات الأخيرة فى الكويت . . كان من بين المرشحين عناصر يعرف الجميع أنها ان دخلت البرلمان فستكون معارضة ناشطة بل مرهقة ، وفتح الناس اعينهم ليروا كيف يكون التصرف ، ودارت معركة انتخابية كان سلاحها الاول المحاضرات والندوات يعقدها المرشحون فى مقارهم الانتخابية فى حرية لاتحابى ولاتجامل ، ولم تقع اشتباكات ولاسقطت ضحايا ، وفقدت الخراف المذبوحة والاموال المبذولة سلطانها فى شراء الأصوات ، أما السلطة فوقفت على طول الشوط فى حياد عجيب

...اذن القارىء في أن استعمل كلمة عجيب ، فأنا ...س فى العالم العربي - حتى أعلنت النتائج ، فكان من فاز المعارضون والفقراء ، والذين لا يعتمدون جاه أو حظوة أو عصبية . أقول هذا وأنا أتخطى ...موبة نفسية ، فيا أختار لقلمي أن يدرج في سلك ...احين ، ولكنني كذلك أرى أن الجحود من ...ظلم ، فضلا عن أنني أطمع أن أثير غيرة ...حرين ، ممن لايرون بعد أن شعوبهم قد استعدت ...تى الديمقراطية الكاملة ، أو أنهم أنفسهم قد ...ستعدوا لقبول رأي الأمة الحقيقي مهما كان هذا ...رأي . . لقد عملتها الكويت ولم تندم عليها ، ولا ...حسبها على المدى الطويل ستندم عليها أبداً ان شاء الله .

الشورى فى الاسلام

ومهما قيل فى النظام الديمقراطى من الناحية الاسلامية ، وهل هو يفي بالشورى التى أمر بها الاسلام ، وهل الشورى ملزمة أو غير ملزمة ، فمما لا أشك فيه بعد طول التفكير أنه الآن أوفى النظم بتحقيق مقاصد الاسلام فى سياسة مجتمعاته ، الشرط الأوحد والأكبر الذى أصر عليه هو أن يتأسس النظام على الاسلام ، ويلتزم به فيما حلل وحرم،فلا يكون ديمقراطية منفلته كديمقراطية الغرب التى تحسم عظائم الأمور بأغلبية الأصوات فقط ، غير عارفة أو عابئة بما حلل الله وحرم ، فكان أن حللوا المواحش ، وقننوا المظالم وترددوا فى المهالك . . ومهما قيل فى تقدم الحضارة الغربية المعاصرة فانها صائرة الى دمار ولو بعد حين ، لابسبب نظامها الديمقراطى ، ولكن لأن ديمقراطيتها انحجبت عن الهدى الالهى ، ولعلهم هم معذورون لأنهم محرومون ، أما نحن فديننا يعصمنا إن اهتممنا له وعملنا به .

وأعود فى التاريخ الى بداية الاسلام ثم الى عصر الخلافة الراشدة ، ومن ذاك الموقع فى الزمان والمكان أحاول أن أمد بصري الى المستقبل أستقرئه ، فيقر فى ذهني أن نمو أمة الاسلام واتساع رقعته كان سيفضي بالأمة لو سارت الأمور مسارها الصحيح الى نظام سياسى اسلامى ربما كان كبير الشبه بالديمقراطية المعاصرة ، لولا أنه مؤمن لاملحد . فى البدء كان انتقال الأمر الى يد أبي بكر ثم الى يد عمر ثم الى يد عثمان ثم الى يد علي يتم فى كل مرة بطريقة مختلفة ، دليلا للأمة على عدم وجود قالب واحد جامد عليها أن تلتزم به ، وأن المجال أمامها اذن فى المستقبل مفتوح لها ان تصل فيه الى الصيغة التى تجدها مناسبة ، ولكن كانت هناك البيعة « الحرة » تعطيها أغلبية الأمة ، ولم تكن البيعة مطلقة أو مؤبدة ، بل كانت مشروطة بما عبر عنه أبو بكر بقوله « أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » ، وكان الحاكم يطالب الأمة ان رأته على الحق ان تؤيده وان رأته على الباطل أن تسدده ، فان ابدت الأمة استعدادها لأن تقوم اعوجاج الحاكم ولو بحد السيف فرح الحكم متمثلا فى عمر وفى تعقيبه « لاخير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فينا ان لم نسمعها » وحمد الله على مثل تلك الرعية . أما الشورى فكانت ان بذلت وقعت على آذان سميعة وأفئدة لله مطيعة ، وكان النبى عليه السلام يقبل النصح ويغير بمقتضاه رأيه الا فيما أوحى به الله اليه ، وكان سياج الحاكم من بعده أن يدعو الناس أن يشيروا عليه ، والمشير والمستشير جميعا لا يبغون الا وجه الله ، بل يؤكد حديث الرسول أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم .

ضمانات الحكم

كانت تلك بواكير لو نمت نماءها الطبيعي مع نماء الأمة واتساع رقعتها وتعقد ادارتها لأفضت فيما أعتقد الى نظام نيابي انتخابي سليم . ولكن هذا النماء فى هذا المضمار بالذات قد قوطع بل اجهض اجهاضا فيما تمخضت عنه الفتنة الكبرى ، وانتقال الحكم الى معاوية ، ثم الطريقة التى أخذت بها البيعه لابنه يزيد . ثم ما كان من وقوع الأمة فى قبضة الدكتاتورية من يومها ذاك الى يومنا هذا ، الا فيما ندر من فترات قليلة مؤقتة ، لم تصحح من بعدها المسار أو تصوب التيار . وبينما تقدمت الأمة بانطلاقة أفراد الشعب فى مجالات الفتوح والعلوم والفنون والفقه والحضارة ، ظلت ضامرة قاصرة قزمة بل شوهاء ، فى المجال السياسى والدستورى ، والميزان بين سلطة الامة وسلطة الحكم .

أيام كان على رأس الأمة الخلفاء الراشدون كان للحياة طعم خاص ، ولكن عندما عرفت الأمة حكاما ومارس بعضهم الظلم وولغوا فيه قطعا ، وأحالوا الحكم ملكا ونعمة وترفا ، وتصرفوا على أنهم سادة الأمة لا خدامها ، ووقعوا في الحرام بغير شبهة ، آنذاك كان الدرس الأكبر الذي ينبغي أن تتعلمه الأمة هو قضية الضمانات التي تحول بين الحكم وبين الانحراف ، واستنباط النظام الذي يكفل أن تكون البيعة حرة لامغصوبة بالرغب والرهب ، وان تختار الأمة من يمثلها في مراقبة الحاكم ، وأن من يملك أن يعطي البيعة يملك أن يسحبها اذا قضت مصلحة الأمة ، وفي سهولة ويسر وفي غير عنوة ولا سفك دم . كان هذا هو الدرس . . وللأسف الشديد انه لا يزال هو الدرس . . من أمسنا الغابر الى يومنا الواقع . . ومن أجل ذلك أقمنا حضارة ثم فقدناها . . ومن أجل ذلك نحن الآن من دول العالم الثالث ، ومن أجل ذلك نحن خفيفو الوزن قليلو الحيلة ضعيفو الاثر حتى في قضايانا المصيرية . . ومن يومها الى يومنا ظهر فينا الفقهاء الذين يغمضون عن شرعية الحكم وعن صحة البيعة وعن نزاهة الانتخابات ، ويفتون للحاكم بما يريد ، ويؤثرون الوضع القائم على الوضع الواجب ، على اعتبار أنه يحقن دماء الأمة ويجنبها الفتنة ، ولا يرون بعد ان إلزام الشورى للحاكم ضمان حيوي واساسي لصالح أمة المسلمين ، وظهرت آثار ذلك قديما وحديثا ، ومن امثلته الواضحة ما ظهر في الفترة الأخيرة من فجوة الثقة بين الشباب والعلماء ، فرغم حاجة الشباب الجلية الى قيادة اسلامية راشدة فانهم في كثير من الحالات لم يجدوها في الفقهاء ، وان كانوا خزائن علم زاخرة ، ولعل في هذه الايجازة بينت الداء ودللت على الدواء ، وبقي أن تصدق نية الأمة ـ حكاماً ومحكومين ـ على الرغبة في الشفاء وتوخي العافية .

المرأة والترشيح والانتخاب

وثمة خاطرة أخرى أريد أن أتناولها في هذا المقام وهي قضية اشتراك النساء في الانتخابات،إما ناخبات فقط ، وإما مرشحات وناخبات ، فليس الأمران واحدا . . وهو موضوع تردد في ذهني على ىـ طويل أقدره بعشرات السنين ، وانما جذبتني اليه ن فتوى شرعية صدرت في الكويت منذ قريب م شرعية اشتراك المرأة في الانتخابات البرلمانية مر حة أو ناخبة . وأعلن أنني لست هنا على الاطلاق أرد بل الفتوى أو أزمع تفنيدها . ولست من أهل التخص ص في التصدي للاجتهاد الشرعي ، فضلا عن شتى الكاملة في الاخوة أعضاء الهيئة العامة للفتوى بو ارة الأوقاف بالكويت ، وفي كفاءتهم العلمية ونزاهتهم الأخلاقية ، وأنا بعد منهم وهم مني نقف في خندق واحد للدفاع عن الاسلام والذود عنه .

ولقد رأت اللجنة في غيبة النصوص الخاصة من الكتاب والسنة في هذا الموضوع أن تؤسس فتواها على الاجتهاد بقواعده وضوابطه المعروفة ، فجزى الله أعضاءها خيرا ، ولهم من الله اجر أو اجران ان شاء الله . ونعلم ان من شروط الاجتهاد أنه لا ينقض بمثله ، ولكنه كذلك يمنع من اجتهاد جديد ولو في نفس الموضوع ، ان استبانت خفايا أو أزيلت غوامض ، أو أمنت محاذير ، أو تعدلت تكييفات ، أو تطورت مصالح الناس بتطور ظروف العصر أو المصير . ولهذا قضى عمر رضي الله عنه في حادثة بقضاء ، وبعد زمن قضى في حادثة مشابهة بقضاء مختلف ، فلما روجع قال:ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي .

مكانة المرأة في الاسلام

لو طرحتَ صورة وحيدة وادعيتَ أنها وحدها الصواب ، لارتكبتَ خطأ يقع فيه للأسف الشديد كثير من عامة المسلمين وخاصتهم . فالحلال بين والحرام بيّن . ولكن الذي يفوت كثيرامن الناس أن رقعة الحلال واسعة . . وان مساحة المباح كبيرة تسمح بحرية الحركة وحرية انتقاء البدائل واستنباطها حسبما يرى أهل الرأي أنه أكفل لمصلحة الامة في يومها هذا،وظرفها هذا ،غير سادّين بظروف الماضي طريق الحاضر ولا مبرمين بظروف الحاضر أمر المستقبل . . فقهنا وتراثه تعدد المذاهب ،

ان يكون للشافعى مذهب فى بغداد ثم مذهب فى القاهرة ، فيقال قال فى القديم وقال فى الجديد . ولهذا ليس علينا من بأس على الاطلاق فى ايماننا وعقيدتنا ان نحمل ما قاله العتيبى وابن رشد مثلا بكل احترام وتوقير ، ولكن ليس بالضرورة بالتقديس الذى يجعله سيدا على زمان غير الزمان وظروف غير الظروف .

وأعود الى مجتمع اسلامى افتراضى فى عصرنا الحاضر أحاول أن أستقرىء ملامحه من أيام الاسلام الباكرة والناصعة ، ولكن بعد أربعة عشر قرنا من التطور السوى البرىء ، مما أصاب المسيرة من نكسات أو نكبات ، والمتحرر كذلك من أغلال التقاليد والعادات الاقليمية والجغرافية التى أضفيت عليها صبغة الاسلام ، دون أن تكون بالضرورة من تعاليمه ، بل قد يكون منها ما يجافيه ويجانبه .

أما مكانة المرأة فى الاسلام فيكفى أن نشير فيها الى ان أول من أجاب الدعوة اليه امرأة هى خديجة ، وان أول شهدائه امرأة هى سمية أم عمار بن ياسر ، وان من بين الصفوة المعدودة والمحدودة التى ائتمنت على سر الهجرة فتاة هى أسماء بنت أبى بكر ، وان أوامر الاسلام ونواهيه تندرج على الرجال والنساء مثوبة وعقوبة ، وان النساء شقائق الرجال ، وان دور المرأة فى مجتمع الاسلام الأول دوائر منداحة مركزها بطبيعة الحال أن تكون سكنا وحاملا ووالدة ومرضعا ومربية (وهو مالا يصلح له الا المرأة) ولكنه يتسع حتى يكون السلاح الطبى فى جيش النبى كله من النساء (الأسيات) بل حتى الى حمل السلاح والاشتراك فى القتال كما فعلت نسيبة بنت كعب ، عندما تحرج موقف المسلمين فى أحد فألقت بعدة الضماد ، وحملت السلاح وقاتلت وأصيبت بالجراح وامتدحها النبى عليه السلام بقوله « ما نظرت يمنة أو يسرة الا وجدتها دونى تنافح عنى » وليت شعرى ماذا كان يقول بعض المتشددين اليوم عن امرأة مثلها فى ظرف مماثل ؟ وفعلتها نسيبة مرة أخرى بعد وفاة الرسول اذ اشتركت وأبناؤها فى حرب مسيلمة الكذاب . . اننا لسنا مع الصرعة الحديثة التى أصابت القوم فى الغرب فجعلتهم يطالبون بالتماثل الكامل بين الرجل والمرأة ، فهذا فى عرف الطبيعة محال . . ولكننا نخطىء كذلك الذين لا يرون فى المرأة الا مظاهر الأنوثة كما نخطّىء الذين لا يرون الرجل الا فى مظاهر الرجولة . . وانه ليحزننا ان قطاعات كبيرة من المسلمين ترى فى المرأة مخلوقا دون الرجل وتغلف ذلك بغلاف اسلامى . ان التماثل بين الرجل والمرأة محال ، ولكن التكافؤ قائم ، وتوزيع الادوار من بديهيات الطبيعة ، فى غير تقليص لحقوق أيهما ، ولواجباته فى خدمة المجتمع كل حسب استطاعته وعلى اساس فردى محض

الدرجات المتفاوتة مشروعة

قد سمعنا وآمنا بقول ربنا « الرجال قوامون على النساء » قوامة قائمة على أسبابها « بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » وسمعنا وآمنا بتأصيل المساواة بينهما ثم درجة الرجال عليهن « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . . ولكن ليس لنا أن نعتسف فى التأويل ، فالدرجات المتفاوتة مشروعة حتى بين رسل الله صلوات الله عليهم » « تلكَ الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات » بل بين عامة المؤمنين قاطبة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » . لادرجة واحدة . .

نعم جعل الله القوامة للرجال فليس للمرأة أن تحكمهم ، والحديث صريح « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ولكن هل المناط هنا عملية الانتخاب واشتراك المرأة فيها ؟ ان هذه القواعد الشرعية لم تمنع المرأة من أن تكون لها ذمتها المالية المستقلة ، وأن تباشر بنفسها ادارة أموالها، وان ترفض الزواج من رجل يريد أبوها أن يزوجها اياه على غير رغبتها ، وأن تتعلم وأن تعلم كما أوصى النبى أن تأخذ من السيدة عائشة ، وكما أخذ الشافعى عن السيدة نفيسة ، بل أن تكون قاضية بين الناس فى الخصومات ، وقد ورد فى الاختيار التعليل المختار للموصلى أن عمر بن الخطاب ولّى الشفاء بنت عبد الله المخزومية قضاء الحسبة ، وأجاز الحنفية قضاءها فى غير الحدود (الهداية شرح بداية المبتدى للمرغينانى) .

الرأي، والرأي الآخر والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر هو أبرر الطرق للوصول الى الحقيقة وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية

منتدى العربي

قضية

في المنتدى لهذا الشهر قضية وعدد من التعقيبات القضية يثيرها الشاعر السوري شوقي بغدادي الذي لاحظ بأسى انحسار الجماهير التي تسعى الى قراءة الشعر وتذوقه ويدعو الناس الى الاحتفاظ « بجررهم الروحية التي يسهم الفن في انقاذها » من طوفان الاستهلاك

وفي التعقيبات نقرأ للدكتور حسان حتاحت مجموعة من أفكار أثارها في نفسه المقال الافتتاحي للعدد ٣١٦ من مجلة العربي بقلم الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، ويعقب محمد الاسعد على مقال الدكتور فؤاد زكريا عن « وهم الاصالة والمعاصرة » المنشور في عدد مارس من المجلة

هل انتهى زمان الشعر؟

بقلم : شوقي بغدادي

يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، وأنا أراقب بكثير من الدهشة والأسى القاعات الكبيرة تشكو الخواء والبرود وانحسار الجماهير عنها في الامسيات الشعرية وحتى الذين يحضرون كنت أراهم غير مأخوذين بما يسمعون كما كان الأمر في السنوات الخاليات

كانت الظاهرة تتضخم وتؤكد نفسها عيانا وأنا أتأملها مع غيري من المتفائلين ، وكنت أقرأ عن هذه الظاهرة في اوروبا العربية ، الا انني لم ادرك حجمها الخطير حتى الصيف الماضي حين جمعتني الصدفة بالشاعر الفرنسي « جان بريتون » في مهرجان ستروغا « الشعرى العالمي في جمهورية مكدونيا بيوغسلافيا ، وهو ناشر أيضا وعضو في هيئة تحرير وادارة مجلة « شعر » الفرنسية التي تصدر منذ سبعة عشر عاما كنا نتحدث عن أحوال الشعر في أوروبا العربية أو في فرنسا بالذات ، وعن مدى اهتمام القراء هناك بهذا

الم تناقش المرأة ولىّ الأمر (صلى الله عليه وسلم) بل وتجادله جدالا حتى فى أمر التشريع ذاته ، حين قصدته خولة بنت ثعلبة تشكو ظهار زوجها لها ، مما يحرمها عليه فى منطق الجاهلية ، وتسأل النبى أن يجد لها رخصة ، ويحجم النبى فى انتظار شرع الله ، فتراجعه قائلة « انه ما ذكر طلاقا » ولكنه عليه السلام يمسك ، فتراجعه قائلة ان لى صغارا ان ضممهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الىّ جاعوا . . ولكنه يمسك فتشكو الى الله حتى ينزل الوحى بما يفرج كربها فى قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ،والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير . . . »

أو ليست المهمة الأساسية للبرلمان أن يكون رقيبا على الحاكم ، وأن ينوب عن الأمة فى رده الى الصواب ان جانبه ؟ فلقد فعلت ذلك المرأة التى ردت عمر بن الخطاب حين خطب الناس يأمرهم بخفض المهور ، فقالت ليس ذلك لك يا عمر فان الله قال « وآتيتم احداهن قنطارا » فيقول فى تواضع شجاع أصابت المرأة وأخطأ عمر . .

نصف الأمة وفرصة الاختيار

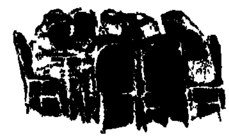
والأمة تختار نوابها للدفاع عن قضاياها فأيحرم نصف الأمة حتى من فرصة اختيار المحامين من بين المرشحين المتقدمين ، وهم محامون توكلهم الأمة ، والأمة رجال ونساء ؟ أبعد أن تسلحت المرأة بالعلم لأعلى درجاته ، وتسلمت مناصب الدولة من أول السلم حتى وكالة الوزارة ، واثبتت كفاءتها فى مضامير الحياة ادارة واقتصادا وكتابة وفكرا وتعليما وتطبيبا ، ومالا أعد ولا أحصى تقف الأنوثة حائلا بينها وبين مجرد الادلاء بصوتها الانتخابى ، بدعوى أنها ان فعلت فواضيعتاه لاننا اسلمنا النساء ولاية الأمر ؟ وما دام البرلمان ينظر فى أمور التشريع ومنها أمور تلمس صميم مصالح الأمومة والطفولة بوجه عام ، أفلا يثرى النقاش ويقرب الى الصواب ان تمثل المرأة فى هذا الموقع ؟ بقيت مسألة المحاذير التى يخشى المخلصون الوقوع فيها ، ان نحن فتحنا هذا الباب ، ونحن معهم فى خشيتهم ، وان كنا نرى أن التوقى منها قد لا يكون بالضرورة اغلاق هذا الباب بادىء ذى ب
فإن التعرف الكافى على المرشحين فى زمننا هذا لم تلزم له المخالطة فى الأخذ والعطاء ، والسفر م ومرافقتهم ، كما أوصى ابن رشد على زمانه ، تعد تلزم له زيارة المقر الانتخابى والازد والاختلاط كما يحدث فى يومنا هذا . . وفضلا المطبوعات التى توزع وعما تنشره الصحف فا وسع جهاز التلفزيون الآن ان ينظم اذاعة الند الانتخابية ، بل ان ينظم لكل مرشح فرصة موقو فى أن يعرض ما لديه وأن يناقشه ناس فى الاستوديو ، أو بتوجيه الأسئلة تلفونيا وفوريا ليجيب عنها على الهواء مباشرة ، فتسمعه الأمة رجالا فى بيوتها أو نساء فى خدورها ، وهو أمر يؤديه التلفزيون فى بلاد أخرى ، ولا أحسبه يتقاعس عنه فى بلادنا خلال موسم الانتخابات كل بضعة اعوام ، ولعله أولى من كثير مما يطلع به التلفزيون على الأمة ، ويعرو به البيوت والأفكار ، أما عملية الانتخاب فنرى بطبيعة الحال أن تكون للنساء لجانهن الانتخابية الخاصة باستعدادها الخاص ، ولا نظن شهود يوم انتخابى كل سنوات سيصرف المرأة عن واجباتها الاساسية ، ربة دار وأم اطفال، والتدرع بذلك فيما أعتقد جدل غير ذى وزن .

فماذا عن المرأة ان كانت مرشحة ؟؟ تبث دعايتها بالنشر او بالتلفاز أو حتى بالاذاعة من وراء حجاب . . ولكن ماذا اذا تحالف جمهور النساء وتعصب للمرشحات ، فاصبحت ـ فرضاً ـ اغلبية البرلمان من النساء ، فنكون بذلك جعلنا الولاية للمرأة بحكم الأغلبية ؟؟

حتى هذه يمكن تلافيها بتحديد نسبة محدودة من عدد المقاعد للنساء ، يقدرها أهل الحل والعقد فى نطاق العدد الذى تظل فيه الولاية بايدى الرجال بحكم الاغلبية الرجالية والاقلية النسائية ، التى لا تحرم النساء من حقهن فى الشورى ، دون أن تجرح التركيبة الرجالية العامة للبرلمان . فان الولاية للمجلس عامة وليست للعضو ذاته .

هذه خواطر أردت أن أشرحها مؤمنا بأن سد الذرائع لا يرتكز على المصادرة وحدها ، وانما أيضا على البدائل والاحتياطات والحيلة البناءة . □

منتدى العربي
تعقيبات



حول مشكلات الحوار الثقافي

بقلم : عبد الرزاق البصير

للجانب الثقافي لأي أمة من الأمم أهمية بالغة لاتخفى على أحد ، اذ أنه هو الذي يرسم مكانة الأمة وقيمتها الحقيقية بين الأمم ، لأن الجانب الثقافي للأمة يعني نشاط علمائها وأدبائها وفلاسفتها وفنانيها ، ومن المحقق أن ابراز هذا النشاط يرسم الصورة لما تقوم به تلك الأمة من مشاركة في الحضارة الانسانية ، ومن هنا يتبين معنى ما نشاهده في التاريخ الماضي والحاضر من تقدير الأمة لمن يبرز فيها،وفي كل فن من الفنون ، وفي كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . اذن فليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان الحوار الثقافي بين العرب وأوروبا يكتسب أهمية كبرى ، وهذا يعني بأن على كل من يتصدى للحديث عن هذه القضية أن يعطي صورة واضحة للقضايا التي طرحت في ذلك الحوار ، والاعتراضات والعقبات والشبهات التي برزت من قبل كل من المتحاورين وهذا مالم نلمسه في المقال الذي نشره الدكتور حسام الخطيب في مجلة العربي عدد (٣٢١) .

فاننا نجد استاذنا الدكتور قد بدأ مقاله برأي يقول بأن الحوار الثقافي ليس أفضل من الحوار السياسي والاقتصادي ، وفي تقديري أن هذا رأي لايوافق عليه الا القليل من الناس ، لأنه يحتاج الى توضيح أكثر ، فنحن نعلم أن الحوار السياسي يرتكز على قضايا تعتمد أكثر ما تعتمد على القوة ، لان عالم السياسة وعالم الاقتصاد يرجح القوة في جميع الأحوال ، أما الجانب الثقافي فانه يرجح المنطق والعقل والفن في تقديره

ولا أدل على ذلك من أن المثقف ، يقبلون على الأعمال الأدبية الرفيعة ، سواء كان مصدرها أمة صغيرة أو كبيرة ضعيفة كانت أو قوية فكم من أديب مرموق وهو في الواقع ينتمي الى أمة ضعيفة مستعمرة ، وكمثال على ذلك نذكر أسماء بعض الأدباء الذين نالوا شهرة واسعة لانهم قدموا أعمالا أدبية فرضت نفسها على من يقدر الفن والفكر ، كالاديب المعروف « مانوييل حاليتش » صاحب المسرحية المشهورة « سمك عسير الهضم » وهو أديب جواتيمالي . فانك حين تقرأ مسرحيته هذه لايسعك الا أن تكبره اعظم الاكبار ، اذ انه عالج مشكلة قديمة تطرق لها الكثيرون من القصاصين ، ونعني بها تلك التي تحدث لمن يطرأ عليه الغنى دفعة واحدة ، فيبقى على فطرته ، ولكن زوجته اجتذبتها الحياة الناعمة ، وعن هذه المشكلة ينتقد المؤلف هذه الطبقة التي تتنكر لماضيها ، وأجرى بين شخصيات روايته حوارا يدل على تمكنه وقدرته .

وهذا هو الأديب (نيقوس كازنـدزاكي » الذي طبقت شهرته الآفاق ، والذي ترجمت رواياته الى عديد من اللغات ، ولقيت رواياته من الرواج مالم تلقه روايات أخرى في السنوات الأخيرة ، وقدمت مسرحياته في فرنسا والمانيا والسويد واليونان . وهو

العربي تخترق أدغال صباح

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



هل تمنيت يوما أن تعيش على الفطرة بين الأدغال ؟ . . وأن تشارك القبائل البدا . حياتها وهي تطارد فرائسها بالسهام المسمومة تنفخها بالفم من تجويف قصبة البامبو ؟ ! وهل جربت أن تنام وعيناك مفتوحتان على « ديكور » جماجم بشرية تتراقص عـ جدران الكوخ الذي تقضي فيه ليلتك ؟ ! وهل خطر ببالك ان تشهد بالعين والعدسة مدى الفارق بين جيل الاجداد الذين قدسوا أرواح الجبال والاشجار والاسلاف ورقصوا لها وهم في ملابس لا تكاد تغطي أسفل الجسد ، وبين جيل الأبناء الذين تفرقوا بين مختلف العقائد والديانات وارتدوا الجينز والقميص المشجر ، وانتقلوا من حضيض البدائية والوحشية الى قمة الحضارة والمدنية ؟

اذن . . تعال معنا ونحن نعيش وسط القبائل البدائية ونخترق الأدغال . . في أعماق « صباح » .

لبضع مئات من السنين ، لم يكن احد يعرف شيئا عن « بورنيو »

تلك الجزيرة الغامضة التي تقع في قلب بحر الصين الجنوبي في جنوب شرق آسيا . . ممثلة ثالث اكبر جزر العالم . . ويحيط بها من الشمال تايلاند ، ومن الشمال الغربي شبه جزيرة الملايو وسنغافورة ، ومن الجنوب اندونيسيا بجزرها الرئيسية سومطرة وجاوة وبالي ، ومن الشمال الشرقي أرخبيل الفلبين . . .

وحدهم التجار الصينيون الذين كانوا يخوضون بسفنهم أمواه المحيط الهادي وبحر الصين الجنوبي . . هم الذين رسوا على السواحل الشمالية ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون اكثر من أنهم ـ في سبيل الحصول على الأحجار الكريمة والريش الذهبي والرؤوس العاجية لطائر « أبي منقار ملك الاسماك » ـ يتعاملون مع رجال القبائل الذين لا يكادون ينهون عملية المقايضة التجارية معهم ، حتى ينطلقوا عائدين الى اعماق الغابات حيث يختفون في الأدغال الكثيفة التي لا تخترقها الشمس .

وحين جاء المستعمرون الأوربيون وأقاموا لأنفسهم مستعمرات على السهول الساحلية ، لم يجدوا لديهم الجرأة قط ليخترقوا أعماق الغابات ، ولم يستطع رجالهم سوى أن ينسجوا من الخيال قصصا وأساطير عن أبطال من صيادي الرؤوس المتوحشين الذين وقعوا في الأسر . . ولكن حكاياتهم ـ إذا كان في بعضها شيء من الحقيقة ـ إلا أنها في أغلبها كانت مجرد خيالات واوهام . . !

دولة من أعماق المجهول

من خلال هذا الغموض وتلك الخيالات . انبثقت دولة صباح . . بعد أن نفضت عن نفسها اسم « بورنيو الشمالية » الذي أطلقته عليها شركة شمال بورنيو الانجليزية . . التي راحت تتوسع في أراضي سلطنة بروناي وتسلخ منها بالقوة أجزاء كبيرة من مقاطعاتها في ظل الحماية البريطانية التي فرضت على مقدرات السلطنة . .

كان اعلان قيام دولة صباح ـ التي شملت كل الاقليم الواقع في منطقة الرأس الشمالي من جزيرة بورنيو ـ مع بداية الانسحاب البريطاني عام

١٩٦٣ . . واحتلت الدولة الجديدة مساحة من الأرض بلغت حوالي ٧٤ الف كيلومتر مربع ، في الوقت الذي كانت جارتها سرواك قد شغلت المنطقة الشمالية الغربية على مساحة تصل الى ١٢٥ الف كيلومتر . . وليشغلا معا بعد دخولها في نطاق اتحاد ماليزيا الفيدرالي حوالي ثلث مساحة جزيرة بورنيو . وأكثر من مساحة ماليزيا الغربية بولاياتها الاحدى عشرة في شبه جزيرة الملايو .

وحين أخذنا وجهتنا الى « صباح » كان أقصى مانعرفه عنها أنها مثل بارز لمزيج متداخل من البدائية والمدنية . . وأنها « بلاد ما تحت الريح » وهو وصف اطلق عليها لأنها محصنة بوساطة الحزر الاستوائية المرجانية من الرياح والتيارات الهوائية ، حيث تطل سواحلها على بحر الصين الجنوبي . . الزاخر بالاسماك والأحياء المائية الاستوائية الرائعة . . وتمتلىء أجواؤ ها بزهور وفراشات وطيور نادرة زاهية الالوان بالغة الفتنة والجمال . . كما عرفنا أن في الاعماق منها تقوم أدغال كثيفة لاتخترقها أشعة الشمس ، بقدر ماتخترقها الانهار والجداول والمحاري المائية والمستنقعات ، وكل ذلك يجعل الانتقال بين أنحائها مقصورا على القوارب ذات المجاديف التي ارتقى بعضها الى قوارب بخارية ، ويجعل مساكن قبائلها متناثرة في مجموعات من الاكواخ يطلق على بعضها اسم « البيوت الطويلة » وعلى البعض الاخر اسم « القرى المائية » . . . .

غير أن الصورة الحقيقية لطبيعة حياة القبائل في أعماق الادغال ، لم يكن من الممكن أن ندركها تماما إلا بعد أن اتيحت لنا الفرصة لاختراقها . . وبعد أن قمنا بزيارة العاصمة « كوتاكينا بالو » ومايحيط بها من مدن . . حيث شهدنا مظاهر التقدم والتطور الذي يعيشه الناس في المدينة الحديثة . . واطلعنا على المعالم البارزة التي استقطبت سكان الادغال واخذت بيدهم على مدى سنوات قليلة . . لينطلقوا على طريق الحضارة والمدنية . .

كوتاكينا بالو :

كان هذا هو أول مافعلناه منذ لحظة هبوطنا في مطار « كوتاكينا بالو » . . عاصمة صباح . لأول وهلة ، ونحن في الطريق من المطار الى مكان إقامتنا ، انطبعت في أذهاننا تلك الصورة المشرقة لمدينة غاية في الهدوء والنظافة والاناقة . . تبدو كفتاة في ميعة الصبا ، فتحت عينيها مع بداية يقظتها على مستقبل مشرق بالنور والأمل . . وتأكدت هذه الصورة حين وجدنا أنفسنا ننزل أجمل منتجع صيفي في شكل جنة . . يحمل اسم « بوفورت تانجونج آرو » .

لاتعجب لهذا الوصف . . فالمنتجع لم يكن حين أنشيء يستهدف استقبال الزوار أو السائحين العاديين . . فقد شيد خصيصا ليكون مقرا ملكيا لراحة ثلاثة عشر من السلاطين واستجمامهم مع اسرهم ومرافقيهم بالاضافة الى ١٢٨ مسئولا من قادة الحكم .

فهنا . . في هذا المنتجع الرائع ، والذي يعد أروع فندق على اتساع جنوب شرق اسيا ، نزل سلاطين الاتحاد الفيدرالي الماليزي خلال مؤتمر حكام الولايات الذي عقد في اكتوبر ١٩٨٣ . فكانوا اول ضيوف ينزلون في المنتجع الملكي الذي شيد على مساحة ١٤ هيكتارا من الاراضي الساحلية على أجمل بقعة من شاطيء خليج تانجونج آرو ، وصمم على اساس أن تتوافر له الفخامة اللائقة بالملوك والمتعة التي يسترخي معها الحكام وهم يطلون من شرفات غرفهم على مشهد الشاطيء ، بجزره التي تشكل حدائق خضراء رائعة تتناثر على صفحة المياه الزرقاء . . وتتوسطها حمامات سباحة ذات أشكال دائرية تحيط بها شاليهات من البامبو صممت على أحسن الصور وأبهاها .

وتبدأ جولتنا في كوتاكينا بالو . . .

المدينة كانت تحمل من قبل عدة اسماء ، وسجت حولها اساطير ومغامرات . ومنذ قيامها تعرضت اكثر من مرة للتدمير . . وكانت كلما دمرت عادت مرة أخرى لتنهض من جديد . . واول ما تلمست لنفسها مكانا في الخريطة على خليج حايا حملت اسم « آبي آبي » بمعنى « النار النار » . فقد كان القراصنة وهم يجوبون شواطيء شمال بورنيو قد اتخذوا من القنوات الممتدة بين الجزر المرجانية الصغيرة القريبة من السواحل ملاجيء لبقايا سفنهم الحربية ومستودعات لتخزين ما يستولون عليه في أثناء غاراتهم ، وحين ازداد تكدس القوارب والسفن القديمة ومحتويات المستودعات المستهلكة وراحوا يبحثون عن ملاجيء أخرى . . أشعلوا النار في المساكن والبيوت والاكواخ والمستودعات . . فكانت التسمية التي أطلقت على المدينة منذ ذلك الحريق الكبير . .

ومرة أخرى قامت المدينة من جديد تحت اسم « سنجاماتا » حين اراد المستعمرون الانجليز ان



* العاصمة كوناكينالو . المدينة الحديثة التى دمرت أكثر من ست مرات . لتعود كل مرة فى ثوب جديد . . وباسم جديد .



* (الى اليسار) فتيات وفتيان من قبائل الموروت فى الملابس التقليدية . . . . وفى الخلف احد البيوت الطويلة التى تسكنها القبائل فى قلب الغابة العذراء .
(وفى الوسط) ثلاث فتيات من الكادازان خلال الاحتفال بموسم الحصاد (والى اقصى اليسار) زهرة الكادازان . . . وزهرة من الاوركيد .





* برج يايا سين . رابع برج دائري فى العالم .. ومنه تنطلق كل اشعاعات التطور والتقدم لتصنع الحياة الجديدة لشعب يتطلع الى المستقبل



يقيموا مستوطنة لهم على الشاطيء لتكون مركزا لتجارتهم ومخازن لبضائعهم .

ولكن خلال الثورة الوطنية التي قادها الزعيم محمد صالح ضد الانجليز تم تدمير المنطقة كلها عام ١٨٩٧ . ومن جديد اقامت شركة بورنيو الشمالية البريطانية مدينة في نفس المكان ، أطلقوا عليها اسم « جيسلتون » نسبة الى رئيسها تشارلز جيسيل ، وصارت ميناء تجاريا خطيرا يحظى بأهمية كبيرة ألجأت اليابانيين الى ضربها وتدميرها عام ١٩٤٥ خلال الحرب العظمى الثانية بقنابلهم .

وعلى انقاض المدينة التي تناوبها الدمار لاكثر من مرة ، قامت عاصمة صباح الجديدة بتخطيط هندسي دقيق على مساحة من الارض تبلغ ٣٥ الف هكتار ، ليصل عدد سكانها الى ١١٣ الف نسمة ، ولتزداد اتساعا مع امتداد العمران على جانبيها ودخول القرى المجاورة في نطاقها وسميت في هذه المرة « كوتاكينا بالو » نسبة الى جبل كينا بالو العظيم الذي يشرف عليها من الجنوب . بينما يستلقي حيثما امتد البصر ذلك الشاطيء المفضي الرائع الذي تحتضنه الامواج بلطف ، وذلك الأفق الصافي الذي لايشقه سوى مشهد الجزر المرجانية الصغيرة والشمس المنحدرة نحو الغروب .

القرى المائية :

تكاد « كوتاكينا بالو » أن تكون اكثر المدن ضيقا وازدحاما بالسكان في آسيا .

الشوارع تمتد موازية لشاطيء البحر لعدة كيلومترات ، ولاتكاد تنحني عند أي ركن حتى يجد المرء نفسه صاعدا او هابطا الى قناة ماء ، وعلى سفوح التلال الخضراء تقوم شاليهات « البانجالو » المبنية على أحدث طراز أوروبي فاخر ، ووراءها تلك اللوحة الخلفية من خطوط أشجار الغابة وألوانها . . بينما يستلقي الميناء ومن حوله مجموعات الجزر المسترخية في إغفاءة على صفحة الماء

وفي وقت الأصيل تمتليء الشوارع والساحات والملاعب بتلاميذ المدارس وهم يمارسون لعب كرة الهوكي أو البولو . . ويسير الناس في نشوة وهدوء وهم يحدقون في مشهد الغروب على الطريق الساحلي حيث المتعة الرئيسية للأهالي مساء كل يوم . . وباعة الخضر والفاكهة الصينيون يفرشون سلالهم على الجانبين

وعندما يهبط الليل فإن كوتاكينا بالو تبدو مدينة بعيدة كل البعد عن الابهار والاضواء والصخب الذي تزخر به جارات لها مثل هونج كونج وسنغافورة فلا شيء هناك غير ممارسة المشي أو الجلوس على المقاهي المتناثرة في كل ركن من اركان الشوارع وتدور عيناك مع حركة فتيان قبائل الكادازان في بنطلونات الجينز والقمصان المشجرة وهم في طريق عودتهم راكبين دراجاتهم البخارية . وقد تتناثر هنا أو هناك بعض النوادي الليلية التي تتمثل فيها حين تدخلها ظلمات الغابات التي تخترقها أضواء ضئيلة لشموع متناثرة . أو بطاريات يقودك على ضوئها النادل ليدلك على مائدة خالية . . اما القرية المائية التي تحتل مساحة كبيرة على صفحة النهر حيث تعيش مجموعات من الأسر الصينية . فقد كانت ذات يوم عبر بعيد هي كل مايعمر المنطقة قبل أن تقوم المدينة ، وهي ماتزال تحمل بقايا ذكريات قبائل الباجاو الذين كانوا يسكنونها حين كانوا يصطادون السمك أو يزرعون الارز . . ولم يكن لهم اعتماد بعد ذلك الا على مايعمه القراصنة

الآن احتل اكواخ القرية أحفاد المهاجرين الصينيين الذين جاءوا منذ ايام كوبلاي خان . . واصبحوا يشكلون اليوم نسبة تقل قليلا عن ثلث سكان صباح . . وفي المناسبات الكبيرة مثل ذكرى العيد الوطني أو استقبال المجموعات السياحية ، فإنهم يرتدون ازياءهم الوطنية بينما هم في حياتهم اليومية يحرثون حقول الارز ويشقون ويعملون في المصانع ويمارسون التجارة بمختلف انواعها بما في ذلك الاخشاب وزيت النخيل والفلفل والكاكاو وأم الربيان . . وهي التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد .

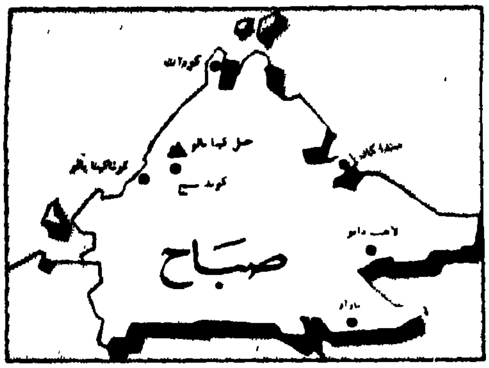
وقد كان الصينيون يشكلون ثقلا اقتصاديا مهما بين السكان أيام الحكم البريطاني . وبعد أن استطاعت الشركات اقامة صناعات الأخشاب والتجارة ، اتجه الصينيون القدامى الى هذه الصناعة وأصبحوا من أبرز الخبراء العاملين في هذا الميدان ، وقد عمل الصينيون على التجمع في مناطق معينة وتكوين مجتمعات منفصلة عن الآخرين ، وأقاموا معابدهم الخاصة بهم ومدارس لتعليم ابنائهم واصبحت لهم احتفالاتهم ومناسباتهم ، وما زالوا حتى الآن يقيمون المعابد الكثيرة ويتابعون ممارسة عاداتهم وتقاليدهم ويشاركون في المناصب الرئيسية وعضوية المجلس الوطني ويسهمون في مختلف الاعمال الاقتصادية والسياسية والخدمات العامة .



أضخم برج دائري :

لايسعك وأنت تسير في شوارع كوتاكينا بالو الا أن تتعلق بنظرك الى « برج ياياسان » رابع أضخم برج دائري في العالم ، البرج هو المقر الرئيسي للدولة ويطل على حليج ليكاس وهو ليس برجا قائما على ساق يحمل في أعلاه كرة أو صينية دائرية كما هو معروف عن أبراج أشهر مدن العالم ، ولكنه بناء متكامل من أسفله الى قمته يقوم على مساحة من الأرض تبلغ حوالى ٧٠ الف متر مربع ، جميع أدوار البرج ذات واجهات مضلعة الشكل يبلغ عددها ٧٢ واجهة تدور حول المبنى من أدناه الى أعلاه والجدران كلها من الزجاج السميك العاكس (المدخن) المقاوم للحرارة والبرودة ،ولسرعة رياح تبلغ ١٧٠ ميلا في الساعة ، وعدد الالواح الزجاجية يبلغ ٢١٦٠ لوحا . وللبرج عمود تحكم واحد رغم ضخامته وطوله ؛ وتتدلى من قمته سادات من الحديد الصلب نصف القطري عددها ٩٦ عمودا تحمل ثلاثين طابقا ، أعلاه طابق دائري يدور على المحور الرئيسي حيث مكتب رئيس وزراء الولاية وفي الأيام التي تصفو فيها السماء فإن الجدران الزجاجية للبرج تعكس صورة جبل كينابالو العظيم ، بينما في الأيام العادية تعكس الألوان المتباينة لصفحة السماء بألوان غيومها من الفجر حتى الغروب .

ومنذ بدأ انشاء برج ياياسين عام ١٩٦٦ وهو يؤدي دورا متميزا في حياة الحكام والشعب في صباح . . ففي طبقاته الثلاثين توجد وزارات الدولة واغلب المؤسسات العامة والادارات التي تعمل من أجل التقدم والتطور العلمي والتقني والحضاري والثقافي والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي ،



خريطة تبين موقع صباح بالنسبة لجزيرة بورنيو .. وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا الغربية)

وينبثق منها كل ما يتيح منح التسهيلات والخدمات لابناء الشعب . شرح لنا مدير الاعلام - ونحن ننتظر لقاء رئيس الوزراء في الطابق الثلاثين - أهمية الدور الذي يلعبه برج ساسان فقال -

- ان الدور الرئيسي هو تأكيد التطورات الحضارية والتنموية التي تجري لصالح شعب صباح مع التوسع الكبير في الأنشطة التي تتصل بحياة الناس وابراز الجهود الحكومية في تطوير الدولة ، واضافة الى ذلك فهو يضم مركزا للمعارض الفنية والثقافية ومسرحا للدولة ومكتبة عامة ومركزا للبحوث مزودا بكل اجهزة البحث العلمي والمواصلات اللاسلكية لتتيح الاتصال بجميع مراكز البحوث في مختلف انحاء العالم .

وأشار مدير الاعلام من فوق قمة البرج الى مجموعة من المباني الحديثة الممتدة على مساحة كبيرة من الأرض وهو يضيف :-

هذه المباني هي جامعة مالا للتكنولوجيا على مساحة

الفن ، وكان أن سألته :

كم يبلغ عدد النسخ التي تطبع من أول ديوان يصدر لاحد الشعراء الجدد ؟

فأجاب قائلا :

قبل انجاز هذا الامر لابد من اجتياز عدة عقبات . . اولا ، يجب أن يكون هذا الشاعر قد ظهرت له عدة محاولات شعرية ولمدة سنوات في المجلات الادبية بشكل كاف ومقنع لتكريس اسمه كشاعر موهوب حقا . وبعدها تأتي عقبة العثور على دار نشر تقبل هده المغامرة ، ذلك لأن دار النشر التي توافق على نشر المجموعات الشعرية الجديدة باتت قليلة جدا ، فاذا اجتاز الشاعر هذه العقبة فلن يطبع من مجموعته عندئذ أكثر من خمسمائة نسخة على الاغلب . .

واستغربت وقتها هذا الرقم كثيرا بالنسبة لبلد كبير قارىء مثل فرنسا . ولكن صدور هذا التصريح عن شخص مطلع مثل جان بريتون اعطاني مؤشرا جديدا ، اذا أضفناه الى مجموع المؤشرات المستقاة من الغرب ، أمكننا أن نتأكد من أن تقلص الاهتمام بالشعر قد أصبح ظاهرة حقيقية في العالم الغربي .

عودة الى الوراء

ليس ضروريا هنا أن نعود نحن العرب الى الجاهلية لنذكر الاعياد التي كانت تقيمها القبيلة عند نبوغ شاعر فيها ، ولا بذكريات الشعراء الكبار في العصور الاسلامية ممن كانوا ملء الاسماع والقلوب كالبحتري وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي وغيرهم . بل يكفي أن نذكر بعهد قريب لا يعود الى أكثر من ثلاثين أو اربعين سنة خلت ، كانت فيه قصيدة للرصافي أو الجواهري في العراق ومثلها لأحمد شوقي أو حافظ ابراهيم في مصر وأخرى لبدوي الجبل وابي ريشة في سوريا كافيه لاثارة الرأي العام . واقبال الجماهير على الشعر بشكل مؤثر كان يقلب الحكومات القائمة أحيانا رأسا على عقب أو يصبح على الاقل المتعة الاولى في وجدان البشر .

ولم يكن الأمر مقصورا على جماهير المثقفين بل كان يتعداها الى الجماهير البسيطة التي كانت مشغوفة بالشعر قراءة واقتناء وحفظا حتى يصعب وقتها تصور حركة المجتمع العربي دون تدخل الشعراء ومشاركتهم الفعالة .

لابد من الاعتراف الآن أن تلك الايام قد تلاشت الى حد بعيد ولم يَبْقَ منها سوى الاصداء ، وان الاصوات الشعرية التي ما تزال مسموعة على نطاق واسع تتضاءل يوما بعد يوم حتى ليمكن حصرها في اسمين أو ثلاثة لا أكثر .

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟

ان تفسير هذه الظاهرة مسألة بالغة التعقيد وقد تحتاج معالجتها الى مؤلف ضخم ، ولكن اختصارا يمكن رد المسألة الى عاملين اساسيين ، أحدهما يتعلق بالمنتج أي الشاعر نفسه والآخر بالمتلقى أي القارىء ، مع الاعتراف بأن كلا الطرفين يتعرض لضغوط مشتركة متشابهة ولكنهما في الوقت نفسه يختلفان من حيث الوضع الاساسي لكل منهما حيال طبيعة القضية بين الابداع والتلقي . .

لا شك أن الشاعر العربي المعاصر يواجه معضلة درامية ـ اذا صح التعبير ـ من نوع خاص حين نأخذ بعين الاعتبار الصراع الذي نشب في أعماقه منذ هجوم الحداثة بين طموحين يبدوان حتى الآن طرفين في معادلة صعبة الحل : أولهما يدفعه الى التجديد والابتكار تحت دافع التطور الطبيعي ومجاراة الثقافة الغربية ، ولكنه طموح يهدده في الوقت نفسه بالانفصام عن الجماهير العاجزة حضاريا عن مواكبته ، والطموح الثاني يدفعه الى الحفاظ على صلاته بالتراث والتقاليد وبالتالي بالجماهير ، الا انه طموح يهدده بالتخلف عن ركب الثقافة المعاصرة المتقدمة .

ليس من السهل عمليا الاحتفاظ بالتوازن بين هذين الطرفين المتباعدين حتى الآن ، ولذلك كان بدهيا أن تهتز الخطا على هذا الطريق، وأن تعكس التجارب الشعرية هذا الاهتزاز والقلق بأشكال متباينة بين قطبين متطرفين : أحدهما يراهن على المستقبل غير عابىء بالمستوى الحضاري الذي يعيشه





• الصعود الى سفح الجبل فى الطريق الى السوق . والسلال المليئة بالفاكهة والخضروات تكاد تقصم الظهور (والى اليمين) وجه معبر من الاصول الملاوية فى صباح



• هنا . . مركز تجميد المدمنين . . حيث أحدث وسيلة للعلاج بالاقتراب من الله . .

٣٠٠ هكتار وتكلفت حتى الآن حوالي خمسة ملايين من الدولارات وهي تستوعب حوالي ألفي طالب ، ومن هنا ينبثق الاشراف على التعليم في الولاية حيث الدراسة في جميع المراحل بالمجان ويمنح التلاميذ الملابس والاحذية والكتب المدرسية والاجهزة العلمية مع الرعاية الصحية والغذائية واللبن اليومي

مسجد الدولة :

ولعل من ابرز معالم العاصمة ايضا المسجد الوطني الكبير ذو القباب الذهبية والمئذنة المدببة التى يعلوها الهلال والنجمة ، وقد أنشىء المسجد فى عهد رئيس الوزراء الاسبق داتو حاج مصطفى هارون وافتتحه ملك اتحاد ماليزيا يحيى بن السلطان ابراهيم يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٧ ، قاعة الصلاة في الطابق الثانى فسيحة حيث تقوم القبة الرئيسية على اعمدة من المرمر ، والى جانب اقامة الصلوات في مواقيتها تعقد كل ليلة لقاءات تلقى فيها دروس القرآن والتفسير والحديث واللغة العربية ، وهناك قسم خاص للنساء يطل على صحن المسجد حيث شاهدنا مئات من طالبات المدرسة العالية التي أنشأتها « حاجة رحمة » وهن يؤدين الصلاة ثم يشاركن في الاستماع الى الدروس الدينية والاستفادة من المكتبة الاسلامية المقامة في الطابق الأول بالاضافة الى ديوان الامام والقاعة الخاصة بالمحاضرات .

جبال كينا بالو :

من يزور صباح لابد له من رحلة الى جبال كينا بالو ، السيارة اللاندروفر تقطع بنا طريقا طوله ١٣٠ كيلومترا وكأنه ثعبان ضخم على سفح الجبل حتى نصل الى المتنزه الوطني على ارتفاع حوالى ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر . على جانبي الطريق وقرب القرى التي تعيش فيها قبائل الكادازان والباجاو نشاهد قوافل الطلاب والطالبات ، والملامح الصينية هي الطابع الواضح على وجوههم ينطلقون صعودا وهبوطا على سفح الجبل الى مدارسهم . ونساء الكادازان يحملن أحمالهن فوق ظهورهن في سلال كبيرة مربوطة بأحزمة الى رؤوسهن وهن يصعدن السفح . . الغالبية منهن عجائز تملأ وجوههن تجاعيد الزمن وشقوة الحياة . أحمالهن من الخضراوات والفاكهة يحملنها الى سوق القرى أو الدكاكين القائمة على جانب القرية المطل على طريق الصعود . على طول الطريق تقوم أسواق الكادازان حيث تفرغ النساء أحمالهن من الاقفاص والسلال . والبائعات في السوق لايجدن حرجا في بعض الأحيان من ترك الفاكهة والخضروات والى جوارها صندوق صغير للنقود ، تاركات أمر الشراء ودفع القيمة لأمانة المشترين .

ونصل الى المتنزه الوطني حيث بعض الراحة والاستعداد للصعود على طريق القمة .

الصعود الى القمة يبدأ على دروب ضيقة صاعدة على درجات من فروع الاشجار تمتد تحت ظلال الغابة الخضراء على اتساع السفح

يقوم جبل كينابالو بارتفاع ٤١٠٠ متر . . وهو بذلك يعد أعلى الجبال فى جنوب شرق آسيا . . حيثما وليت وجهك وأنت تدور حول ولاية صباح ، فستجد دائما أن ناظريك معلقان بذلك المشهد للجبل الذى يمتد على طول البلاد وتبدو قمته الشامخة من كل مكان .

وقد يثير الاستغراب أن هذه القمة الصخمة أصغر من الصخور المحيطة بها . وهم يسمون هذه القمة الجرانيتية باسم تنكو عبد الرحمن الأب الروحي لماليزيا . وتبرز الى جوار القمة قمتان أصغر منها يسمونها « أذني الحمار » اذ يبدوان على نفس الشبه ونحن نطل الى القمة أول الأمر نتأملها مع الفجر من نافذة فندق باركازا القائم وسط الجبل غير بعيد من المتنزه الوطني .

مواطن أرواح الاسلاف :

تعتقد قبائل الكادازان (الدوسون) ان هذا الجبل العظيم إنما هو موطن أرواح الاسلاف قائلين ان اسمه مشتق من كلمة « أكي نابالو » وهي تعني « مكان الخلود للموتى » .

ولا يزال البعض يؤكد أن ارواح الأسلاف تحيط بمنازلهم وتحوم حولها قبل أن تنطلق في رحلة الخلود وراء قمة جبل كينابالو . . وترتفع صرخات العجائز في القرى وهن يودعن الميت في جنازته ويرفعن ايديهن الى بعيد في دعاء واشارة كأنها تطلب من الروح الابتعاد بسرعة عن القرية فلا تسبب ازعاجا لأهله ، وهن يذبحن ذكر الجاموس قربانا قبل دفن فقيدهن لمساعدته على سرعة الرحيل . .

أما في مواسم الحصاد فيحتفل الكادزان احتفالا كبيرا يقوده الكهنة الدينيون لتقديم الشكر لروح الارز التي غمرتهم بالبركة والرزق الوفير .

ففي ساعة الغروب في يوم محدد يرتفع صوت غريب كأنه قادم من السماء . تتبعه هتافات نسائية . ثم الأغاني والترانيم التي تقودها الكاهنات العجائز وهي تحيي الاله الخالق « كينو نيجان » الذي ضحى بابنته الوحيدة « هيمينوداو » حتى لا يموت الناس من الجوع . وكما يعتقد الكادازان فإن الأرز نبت وتغذى على ذرات جسد ابنة الاله التي نثرها فوق الأرض وتجسدت روحها فيما يسمونه « الباماراون » التي منحت الشعب حصادا وفيرا يؤمن لهم حصادا أكثر وفرة في العام التالي . وتستمر الأغاني والأناشيد والرقص وتقديم القرابين طوال الليل في احتفال بهيج يأكل فيه الجميع حتى تشبع روح الارز . فتتغذى الارض من جديد من أجل حصاد قادم وفير .

العروس تحولت الى صخرة :

ان أول من تسلق جبال كينابالو وسجل الحدث في عام ١٨٥١ كان « هيوج لو » المقيم البريطاني في جزيرة لابوان . وقد أطلق اسمه على رأس أعلى قمة في الجبل برغم أن مغامرته لم تصل الى هذه القمة

وهناك قصة تروى حول تسمية كينابالو وترتبط بقدوم الصينيين الى صباح قبل قرون وامتزاجهم بالأهالي ومصاهرتهم ومن المحتمل أن « كينا » مأخوذة عن « تشاينا » ، أما « بالو » فتعني « العروس » ويقال ان أحد الأمراء الصينيين تسلق الجبل خلال بحثه عن ماسة ضخمة كان يحرسها الدراجون (التنين) الذي يقيم في قمته . وبعد ان قتل التنين واستولى على الماسة تزوج الأمير من فتاة من الكادازان . ولكنه اضطر الى هجرها وعاد فورا الى الصين . ويقال ان العروس كانت تذهب الى روح الجبل حيث تبكي وتنوح على زوجها الذي فقدته . وقد ظلت كذلك حتى تحولت الى صخرة . .

ان نصف الزهور المعروفة في العالم هي من نباتات جبل كينابالو بما في ذلك كل أنواع زهور الاوركيد أكثر من ألف نوع من الاوركيد توجد هنا . وهناك اكتشافات حديثة أيضا . . ولعل شهرة كينابالو جاءت من صادرات الاوركيد الى جميع أنحاء العالم . وعلى سفوح الجبل تنتشر هذه الزهور بألوانها الزاهية بين الأحمر والأبيض . وعلى سفوح كينابالو تنمو أنواع من النباتات هي أروع من كل النباتات في أى مكان في العالم

أما عن الفراشات فهناك أكثر من ألف نوع من الفراشات الزاهية الألوان في صباح ، أغلبها على ارتفاعات تتجاوز الألفي متر ولكن بعضها أمكن مشاهدته على ارتفاعات تصل الى ثلاثة آلاف متر على جبل كينابالو

مركز تخميد المدمنين :

والآن تعال بنا نخترق غابات السمح وننطلق في اللاندروفر في منطقة كنداسنج لنرور أول مركز من نوعه لتخميد مدمني المخدرات

التجربة مثيرة حقا والمركز الذى أقيم لتنفيذها عبارة عن عشرة أجنحة تتسع لحوالى ٢٠٠ مريض ومدمن بالاضافة الى حديقة واسعة وملاعب رياضية وصالة للمحاضرات والندوات وورش صغيرة لممارسة الهوايات وتعلم الحرف اليدوية المختلفة

الهدف من إنشاء المركز ان يكون مصحة نفسية لعلاج المدمنين هنا لا أطباء ولا ممرضين ولا أدوية ولا حقن ولا ارغام على شىء حتى حرية الحركة متاحة للجميع ما عدا الابتعاد كثيرا عن المنطقة فعندئذ لن يترك لهم الحراس المدنيون الفرصة ، وحتى لو أرادوا فمن الصعوبة بمكان أن يجدوا من يحملهم أو ينقلهم بعيدا فلا مواصلات ولا أى وسيلة انتقال ، وسفح الجبل لن يسمح لهم بالذهاب بعيدا سيرا على الاقدام

العلاج يعتمد على إتاحة الفرصة للمدمن ان يفكر في الله والا تكون لديه من شواغل الحياة ما يبعده عن الاسترخاء والتأمل والتفكير . . كما أنه سيعتاد على استحالة وجود أى مواد مخدرة أو مسكرة أو تهريبها ، حتى ولو أحس بالحاجة الملحة اليها في أيام المعاناة الاولى لوجوده في المركز ، مما يجعله يستسلم للحياة الطبيعية مع توفر الغذاء والشراب الطبيعي وعصير الفواكه المعد له باستمرار ، بحيث تنقطع الصلة تماما بينه وبين كل عاداته القديمة هنا ومن خلال دروس ولقاءات دينية يجد نفسه مع الفراغ الذى يحيط به منقادا الى حضورها والاستماع اليها . وهي تستهدف هدايته الى المسائل الدينية والى وعيه بالمصار التي كانت تلحق به خلال فترة ادمانه وشيئا فشيئا يبدأ المدمن الاعتياد على الحياة العادية







* الصغار بمظلتهم في الطريق الى المدرسة .. والأم تحمل رضيعها على ظهرها حسب الطريقة التقليدية حتى لايشغلها وهى تجوب السوق .. (والى اليسار) مزرعة الشاي .. والايدى تجمع الاوراق الخضراء تمهيدا لنقلها الى المصنع .



حتى يصبح عاديا في تصرفاته ، فيتولى المركز بعد ذلك رعايته ومتابعته لفترة محدودة ، مع إتاحة فرصة العمل المناسب له حتى يُطمأن الى أنه قد برىء تماما من الادمان القديم .

شاي صباح :

نعود مرة أخرى الى الانطلاق على سفح الجبل منحدرين الى دائرة ريناو . .

هنا نشهد تجربة مثيرة أخرى . . زيارة مصانع « شاي صباح » . التجربة بدأت قبل حوالى أربعة أعوام فقط حين التقى رئيس الوزراء داتو حارث محمد صالح مع أحد المهندسين الزراعيين المتخصصين في مصانع الشاي بسيريلانكا كان المشروع الذى عرضه على المهندس هو إمكان زراعة الشاي وتصنيعه في صباح ، وعلى الاخص ان هناك ظروفا طبيعية ومناخية متشابهة بين مناطق زراعة الشاي في سيلان وبين بعض مناطق صباح وتم التعاقد على تنفيذ التجربة . . وجرى استصلاح مساحة كبيرة من أرض الغابة بعد إزالة أشجارها في منطقة ريناو . . وبدأ جهد كبير يقوده مدير المزرعة السيلاني بقدرته على اجتذاب العاملين ومعاملتهم بطريقة تحببهم في العمل . وبذل أقصى الطاقة من أجل إنجاح المشروع ، وكان وراء هذا النجاح قدرة ادارية مميزة واسلوب مثالي في التضحية والبذل لا يقدر عليه الكثيرون ، وجرى تمهيد الأرض وزراعتها بينما كانت الآلات تستورد لاقامة المصنع . وبدأ العمل الانتاجي بالفعل بعد سنتين وكانت النتيجة رائعة . . وبدأ ظهور أكياس « شاي صباح » في الاسواق منافسا لأشهر شاي في العالم « شاي سيلان » .

خلال جولة في اللاندروفر مع مدير المصنع لمشاهدة مناطق زراعة الشاي الممتدة على سفح الجبل قال لنا ان شجرة الشاي عادة تعيش في الارض أكثر من عشر سنوات . . وجذع الشجرة غليظ قوى وأوراقها تشبه أعواد الملوخية . وقطف أوراق الشاي يتم على مراحل كما ان زراعة الشجرة يتم في فسائل تحت حضانات مظللة ، حتى إذا نمت بشكل جيد بدأ غرسها في الارض ، فإذا كبرت الأشجار بدأت النساء في قطف الأوراق حيث ينقلها العمال في عربات الى المصنع ، ومن ثم يتم قطف الاوراق وفصلها عن السيقان .

ونشهد مراحل التصنيع . . يوضع الشاي الأخضر على ألواح تمر على سطح آلة تتعرض للهواء الساخن الصناعي لتخفيف الرطوبة الموجودة في الأوراق تبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية بوضع الشاي الذى خفت رطوبته في آلة تشبه آلة العصير لتحطيم الأوراق وعصرها حتى تصفى بقايا العصارة الموجودة فيها أما الناتج بعد ذلك فينقل الى آلة كهربية لتخفيف بخار الماء بحيث لا يتبقى إلا الشاي المركز فوق الأوراق المعتصرة المحطمة ، والذي يدخل في أفران كهربية تهزها هزا شديدا وبصورة مستمرة حتى تصل نسبة الرطوبة الموجودة في الشاي الى أقل من ٢٪ هنا تكون الاوراق المطحونة المجففة قد تحولت الى لون قريب من اللون الاسود . . فينقل الى ما يشبه المصفاة أو « الغربال » الذى يهزه بشدة ويغربله ، فينزل الشاي الناعم الى الأسفل ليتم جمعه ولتعاد البقايا الخشنة لتحطيمها من جديد . ثم يمر الشاي الناعم في عملية تجفيف أخرى في الهواء العادى ، لتجيء بعد ذلك مرحلة مهمة هي عملية معرفة رتب الشاي ودرجاته . وتحديد لونه ورائحته وتجربة مذاقه بمعرفة خبير « ذواقة » خاص يستطيع بحساسيته وخبرته ان يضع كل التقديرات الخاصة بنوعية الشاي ، قبل أن تدخل الكميات الجاهزة في آلة تدور لتملأ علبة الشاي المعدة ، أو لتوضع في الاكياس الصغيرة ، وهي عملية تتم بالأيدى بعد ذلك عند التعليب .

وهكذا يخرج الى الاسواق . شاي صباح . .

البدايات . . والقبائل . . والأدغال :

الأصول السكانية في صباح ـ والتي يبلغ عدد سكانها مليون و ٣٠٠ ألف نسمة ـ هم من الدوسون الذين فضل احفادهم ان يطلقوا على أنفسهم اسم « الكادازان » وهم يشكلون نسبة ٢٨٪ من السكان . . أما الصينيون الذين جاءوا الى صباح واستوطنوها فنسبتهم ٢١٪ بينما الملاويون المسلمون يشكلون ١٠٪ يضاف اليهم قبائل الباجاو المسلمة وتتجاوز نسبتهم ١٠٪ وكذلك مجموعات أخرى قليلة من الفيليبينيين والباكستانيين والاندونيسيين مما يجعل نسبة المسلمين تصل الى حوالي ٤٠٪ من السكان . وهناك مجموعات أخرى قليلة من أعراق مختلفة مثل الرونجوس والموروت . واذا كانت أعداد كبيرة من ابناء هذه الجماعات قد انتقلت من أعماق الغابة لتعيش حياة التحضر والمدنية في العاصمة والمدن

ـرى ، إلا أن الذين بقـوا في المناطق الـداخلية ـادغال ما زالوا يعيشون حياة بدائية أولية منعزلين في ـابات والمناطق المستنقعية وقد عمل المهاجرون ـد ، الدين وفدوا من إقليم جنوب شرق آسيا من ـدونيسيا وجـاوا ونتجـار الى جـانب الصينيـين ـلاويين ، عـلى استغـلال الاراضي في الانتـاج ـراعي وخصوصا بعد التطور والتحديث الذي أدى ـ إزالة مساحـات كبيرة من الغـابات لتقـوم محلها ـاص زراعية ، ومن أهم الغلات المزروعة بالبلاد لارز والـذرة وقصب السكـر وجـوز الهنـد وزيت لنخيل ، كما يشتغل بعض السكان بقطع الاخشاب من الغابات الـواسعة في البـلاد،وهي صناعـة ازداد ـزدهارها مـع تطويـرها تحت الاشـراف الحكومي ، وتمثـل الاخشاب أكـثر من نصف قيمة الصـادرات السـنوية لصباح . . .

اختراق الأدغال :

الآن . أتيحت لنا الفرصة لاختراق الأدغال . واللقاء مع القبائل التي تعيش في المناطق الداخلية في أعماق صباح

كنا ننتقل من تامبونـان الى كينتجاو عـائدين من منطقة كوبداسنـج وكينابـالو حيث التقينا بالأغلبيـة السكانية من قبائل الكادازان والذين ما زالت اصول منهم تتمسك بالاسم القديم « الدوسون » وخلال الطريق الذى سننحرف منه أكثر من مرة لاختـراق الادغال وزيارة القبائل حدثنا مرافقنا العلامة الشيخ على الدين فقال: أن اكثر من ٤٠٠ ألف من رجال القبائل ما زالوا يعيشون في أدغال صبـاح . . وهـم يتميزون بفنونهم الشعبية وطقـوسهم ورقصـاتهم ولغـاتهم ، ومعتقداتهم الدينية تتباين وتبـدو من خلال أقنعتهم وقلائدهم التى يعلقونها على صدورهم والرسوم التى يرسمونها على أجسادهم ، وهـم يتذاكرون أبـطالهم وأساطير بطولاتهم في مقاومـة الأعداء الـذين كانـوا يتربصون بهم . .

الآن كثير من هؤلاء قد تـركوا الصيـد وأزالـوا مساحات من الغـابات المحيـطة بهم ليزرعـوا الارز والفلفل . . كما أن حياتهم البدائيـة تغيرت بشكـل واضح إذ بدأوا يملكون التليفزيونات ويقرأون الصحف ويسمعـون الاذاعات ويـرتـدون أحـذيـة التنس في تحركاتهم . وتتوافر البضائع الغربية المستوردة داخل أكواخهم وبيوتهم الطويلة الى جانب بقايا الجماجم التي يحتفـظون بها ويتـوارثونها ويـزينون بهـا جدران بيوتهم ومداخلها ، وبعد أن كانوا يتعـاملون بتبادل السلع فقد أصبحوا يتعاملون الآن بأوراق النقد التي تفي بحاجتهم أكثر حين ينزلون الى المدينة تاركـين البيوت الطويلة حيث يجدون لهم مكانا في المدينة فلا يعودون الى حياة الأدغال .

وبينما البوسـان والنيجوريشو يستخدمـون الأدغال كمنازل لهم فإن الملاويين يجاهدون من أجل أن يجعلوا الغابات وراء ظهرانيهم . ولا يكاد المرء يبتعد لأكثر من كيلومتر واحد عن المدينة حتى يجد نفسـه داخـل الأدغال .

واخترقنا الادغال في أكثر من منطقة من منـاطق إقامة الجماعات القبلية في حياتها البدائية . وخرجنا بحصيلة كبيرة من المشاهد والمعلومات . .

كل السكان في منطقة تامونان أو أغلبهم هـم من الكادازان (الدوسون) وان كانوا يختلفون في كثير من العادات والتقاليد عن هؤلاء الذين التقينـا بهم على سفوح كينابالو ومزارعها . . وهـم يوجدون أيضا في بعض مناطق كيننجاو .

تسمية « الدوسون » لها أصل اذ كانت هذه القبائل في البدايات تسمى « اورانج دوسون » وتعنى « أهالى البساتين » ذلك أنهم مزارعون بشكل رئيسي وما زالوا حتى الآن برغم أن عددا كبيـرا منهم قد انـطلق الى المدينة وأصبحوا موظفين في الحكومة يعمل أغلبهم في العاصمة « كوتاكينابالو » . وقبل عام ١٩٥٠ ابتدعت هـذه الجمـاعـات لنفسهـا اسم كـادازان بـدلا من دوسون . وتوجد جماعات قبلية أخرى مثل اللوتود في منطقة تاوران ما زالت تسمى نفسهـا بالـدوسون . وبعض الناس يسمون الرونجوس في منطقة تودات بالدوسون أيضا وان كانت لهم حضارتهم الخاصة

ومن المعتقد ان الدوسون هم السكان الاصليون في صباح نزحوا الى المناطق الداخلية من السواحل تحت ضغط المهاجرين والقادمين الجدد الذين عبروا التلال والسهول مستقرين في أى مكان ينزلون به . . ولم يكن من السهولة بمكان لهؤلاء ان يخترقوا الادغال ليقيموا صلات مـع الذين نـزحوا الى الـداخل مـع اختلاف اللغة والعادات والتقاليد .

يدين نصف هؤلاء الكادازان الدوسون بالديـانة المسيحيـة . وعشـرهم مسلمـون ، أما السـاقـون فيدينون بعقائد أخرى وعلى الاخص العقائد البدائية



● المسجد الوطنى فى قلب العاصمة يلعب دورا كبيرا فى نشر رسالة الاسلام واجتذاب اللادينيين الى نور العقيدة تحت اشراف المجلس الاسلامى



الراهن للبيئة ، وجماهير القراء الواسعة ، فيطلع على الناس بانتاج مبهم غريب على ثقافتهم وأذواقهم . والآخر يراهن بالعكس على الماضي غير آبه بمتطلبات العصر ، فيطلع على الناس بإنتاج مستهلك متذل لا يرضي طموح البشر العميق الى الجديد ، وكأن جماهير القراء بغريزتها الصادقة ، اذ ترفض الاثنين معا ، تعبر عن موقف ثالث لا تستطيع أن تبلوره في مواصفات محددة ، غير ان التجربة الزمنية تثبت يوما بعد يوم أن كثيرا من التجارب الشعرية المحدثة الناجحة كانت ، في نهاية التحليل ، تجسيدا عمليا ملهما لهذا المناخ السديمي الذي ما يزال في طور الشكل داخل الوجدان الجماعي ، الذي استطاع الشاعر أن يبرزه بطاقة خاصة من موهبته واخلاصه في الاصغاء الى صوته الداخلي من جهة ، وصوت التراث والبيئة المحلية من جهة أخرى ، في اطار متكامل مع العصر.

رفض الموسيقا

وفي الايقاع اندفع كثيرون أيضا متأثرين بالترجمات النثرية عن الشعر الغربي ، ومتطلبات التعبير المعاصرة المتطرفة ، أو بالهبوط المستمر للمناهج التربوية في تدريس اللغة العربية ، وعدم العناية بتعليم العروض العربي المدهش بغناه الايقاعي ، والمتميز تميزا كبيرا بأصالته وألوانه المتنوعة ، اضافة الى دوافع أخرى مشبوهة متأثرة بشكل أو بآخر بالمشروع العالمي التدميري لاصالة الشعوب والانسان في العالم المتخلف الغارق في التبعية . كل ذلك دفع الكثيرين من الشعراء الى نبذ التراث العَروضِيّ نبذا تاماوتبني ما يسمى بقصيدة النثر بديلا للشعر الايقاعي. ورفض أية محاولة في تحديد الايقاع في الشعر ليس التزاما بموسيقا خارجية كما يقولون ، وانما هو تلبية لغريزة أصيلة في الانسان وخصوصا لدى الشعوب ذات التراث العريق .

وضع القارىء العربي

لعل أهم المؤثرات التي دفعت وما تزال تدفع القارىء العربي الى الابتعاد عن ميدان الشعر هو ما يسمى بنمط الحياة الاستهلاكية التي اجتاحت المجتمع العربيّ ، هذا النمط من الحياة الذي يجعل التعامل مع الاشياء عامة خاضعا لقانون الفائدة المادية المباشرة .

ان الاهتمام بقراءة الشعر محتاج الى انسان قادر حقا على أن يخلو الى نفسه ، وان يجد متعة فعلية في تأمل ذاته والحياة من حوله تأملا روحيا صافيا بعيدا عن الرغبات النفعية المباشرة . هذا الصفاء الداخلي لا توفره المجتمعات الحديثة بسهولة ، واذا كان لابد من القراءة فان الناس باتوا يهتمون بالروايات المثيرة القادرة على منافسة السينما والتلفاز أو في أحسن الأحوال بالبحوث والدراسات الجادة التي يعتقدون انها اكثر جدوى في فهم ما يجري في العالم . لقد باتت قراءة الشعر اذن نوعا من الترف أو بتعبير أدق مضيعة للوقت الذي بات ضيقا جدا في عصر الاستهلاك والسرعة ، والتزاحم .

أما العامل الآخر المؤثر فهو راجع ، في اعتقادي ، الى المناخ المعنوي الهابط الذي خلفته الهزائم والنكسات القومية المتلاحقة منذ بداية عصر النهضة حتى الآن ، والى الفراغ الروحي الكبير الذي كرسه افلاس الايدولوجيات العربية المختلفة وأنظمة الحكم التي عقد عليها المواطنون آمالا كبيرة في العقود الماضية .

في أجواء الهزيمة

لقد كان الشعر في أيام الصعود الوطني في الاربعينيات والخمسينيات خاصة هو الفن الأدبي الاكثر نشاطا وتأثيرا في الجماهير المتوقدة حماسة آنذاك . ومازلت اذكر - وأنا من الذين اسهموا الى حد كبير في غمار هذا التيار إبّان الخمسينيات - التجاوب العاطفي والفكري العميق الذي كانت تحدثه قصائدنا المنشورة أو الملقاة من على المنابر . لقد كان ثمة نوع من القناعة لدى الشاعر والقارىء بأن الشعر هو التعبير الامثل عن هذه الروح الوطنية الصاعدة ، وأنه أكثر الفنون قدرة على الاسهام في عملية التغيير الاجتماعي بسبب المناخ الديمقراطي النسبي الذي كان سائدا في تلك العهود . كان الناس واثقين من انفسهم ، وبالتالي من شعرائهم ، ولكن

التي توارثوها عن أجدادهم .

أما الباجان المتمسكون بالعقائد القديمة فيؤمنون بالأرواح . . لكل شجرة أو صخرة أو نهر روح يجب استرضاؤ ها . وأي مرض يصيب الانسان يعتبرون أنه من غضب الأرواح،وكل احتفالاتهم ترتبط بهذه « الكائنات العلوية » وبعضها غير محبوب . . وبعضها الآخر ضار شرير . وكل منها يعامل بالطريقة التي تناسبه . . فمثلا الأرواح الشريرة القادرة على الحلول بجسم الانسان تعامل بوساطة السحر ، أما الأرواح الخيرة فيمكن ان تعامل بلطف واحترام .

وطالما ان المهنة الرئيسية التي يمتهنها الدوسون هي زراعة الارز والحبوب ، فان أغلب قرابينهم وصلواتهم تقدم الى الأرواح الشريرة لتمنع الاضرار من ان تحيق بمزروعاتهم وبمحاصيلهم وبالعاملين منهم في الحقول ، وخصوصا أن هؤلاء يبذلون جهودا كبيرة في ازالة المساحات الواسعة من الغابات ليحولوا أرضها الى أرض زراعية ليستغلوها لزراعاتهم واقامة بيوتهم ومخازن محاصيلهم ، وهم بالتالي يخشون عليها من لعنة الأرواح الشريرة ، ولهذا فإنهم كلما جاء موعد انتهاء الحصاد في شهر مايو من كل عام يقيمون مهرجانات غنائية راقصة يشارك فيها معهم كل جيرانهم من الجماعات الاخرى القريبة . . على أن هناك عادة غريبة كان الدوسون يمارسونها قبل سنوات مضت تلك هي عملية صيد الرؤ وس . فالرجل لا يستطيع أن يؤكد رجولته لامرأته ونساء بيته الا اذا رجع الى البيت من صيده وفي أعلى رمحه رأس رجل آخر استطاع ان يهزمه . . وكان صيد الرؤ وس جزءا من عقيدتهم وما يقدمونه للأرواح من قربان . . ولم يكن من الضروري صيد الاعداء ولكن المهم هو صيد أي رأس حتى ولو كان صاحبها من نفس الجنس ولكن من قرية أخرى .

والذي ما يزال يذكر بهذه العادة التي توقفت أخيرا هي هذه الجماجم المعلقة على جدران البيت . . وكلما كثرت الرؤ وس ازداد الاعجاب بهذا الديكور البشري . . ولكن بعض هذه الجماجم لا بد ان تعلق وتتدلى عند مدخل الدار حتى تهدأ الارواح عن السكان الذين قدموا هذه القرابين لارضائها .

وكان من عادتهم حين ينتقلون من مكان الى آخر أن يحمل الواحد منهم على سن رمحه جمجمة لتأكيد قوته ورضاء الارواح عنه . وحين دعينا لدخول أحد هذه الاكواخ عند سفح جبل كينابالو استطعنا ان نحصي ٤٢ جمجمة معلقة يفخر أهل الدار بأن جدهم كان محاربا شجاعا لا يشق له غبار في صيد الرؤ وس .

الباجاو والموروت :

أما قبائل الباجاو فقد جاءوا الى صباح منذ أكثر من مائتي سنة ، بعد الدوسان الكادازان ، وقد جاءوا غالبا من جنوبي الفيليبين حيث كانوا يعيشون قراصنة بحريين . وهؤلاء يختلفون عن الباجاو البريين الذين استقروا في كوتابيلود في سهول تمبازوك شمال غربي صباح أسفل جبال « كينابالو » .

وتشير آثار بروناي الى الدور المهم الذي قام به الباجاو في الايام الباكرة للسلطنة العظمى . . ويبدو أن الباجاو كان لهم دور كبير في فرض السيطرة البحرية وتزاوجوا مع الارستقراطية المالوية حتى أعلى المستويات . والتقارير الأولى الأوروبية تصفهم بأنهم أنقى سكان السواحل الذين كانوا أصحاب حرفة كبيرة في صيد السمك ، وعندما كانوا لا يعملون في البحر فإنهم كانوا يعملون بالتنقيب عن الملح والمعادن كما كانوا صناع أقمشة في الاراضي الداخلية .

وعندما أقامت شركة بورنيو البريطانية حكومتها في صباح لحق بها الباجاو ورغبوا في العمل معها والذين كانوا في كوتابيلود تعلموا تماما طرقا جديدة للحياة . والآن يشكل الباجاو أغلبية السكان في المنطقة . يزرعون الارض ويربون الماشية وأصبحوا ركاب خيول مهرة يشاركون بخيولهم الراقصة المزينة في المهرجانات والاحتفالات .

أما عن جماعة أو قبيلة « الموروت » فإنها توجد في المناطق الداخلية حيث زرناهم في منطقة « كنجاو » وهذه القبيلة بالنسبة للمعتقدات الدينية تنقسم الى ثلاثة أقسام : قسم اللادينيين وهو الأصل ، وقسم المسيحيين ، والثالث والمتجدد والمتطور هم الذين اعتنقوا الاسلام .

واللادينيون من الموروت لهم عادات اجتماعية خاصة بالنسبة لطريقة الزفاف . فأما عن المهر عندهم فيسمى « مهر طول الحياة » فماذا يعنون بذلك ؟

المقصود بهذا المهر انه بعد عقد الزواج يعتبر كل ما كان ويكون في بيت الزوج من حق أب الزوجة وأمها وأسرتها بما في ذلك البقر والجاموس . . أما لماذا ؟ فلأنهم يعتقدون ان كل أملاك الزوج وكل الاموال الموجودة في بيته أصبحت من حقهم مقابل الزوجة التي أخذها منهم بموجب « مهر طول الحياة » . !

أبرز التقاليد الأخرى للموروث تكريم ...ات . فاذا مات أحد منهم نشروا الخبر بين جميع القبيلة الذين يجيئون أفواجا ، منهم من يأتي ...س والقوارب ، ومنهم من يأتي على الاقدام ، ...ب المنطقة التي يقيم بها .

فإذا وصلوا الى البيت بدأ الاعلان عن تكريم ...ت . البعض يبكي والبعض يعوي والبعض يمتدح ...اس الميت . . فهو رجل طيب وسخي وكريم ...سريف وهكذا . . وبعد انتهاء البكاء والطواف حول الميت يأكلون ويشربون حتى يأتوا على كل ما في ...ت أهل الفقيد .

يستمر البكاء والغناء والطواف لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام أو اسبوع كامل . الميت لا يغسل وانما يبدل بالثوب القميص والحذاء حتى يبدو في ملبس جميل ، وبعد ذلك يغسون على جسد الميت العطر ثم يلفونه بالربك داخل صندوق للمحافظة على الجسد حتى لا يبلى ثم يحملونه بعد ذلك الى القبر .

أما بالنسبة لعبادتهم فهم يعبدون أي شيء كبير الحجم مثل أكبر شجرة في الغابة أو أكبر صخرة على سفح الجبل وهم يقدسون كل قوة خارقة على العادة فالبحر له قوة والشمس لها قوة والحجر له قوة والشجر له قوة . ومن أجل ذلك نجد أنهم يقدسون الاشجار والاحجار والبحار والانهار والجبال كما انهم يعتقدون بتناسخ الارواح .

أما في المنطقة الساحلية العربية وفي كودات ، فهناك قبائل الرانجوس دوسان الذين يسكنون في البيوت الطويلة في كودات . وقد تخصص النازحون منهم الى المدن في صناعات الفندقة والسياحة واستقبال السياح الاجانب وخدمتهم ، والخدمة في المطابخ وصناعة الاطعمة وتسهيلات الرياضة المائية ، بالاضافة الى الزراعة التي يشتغل بها الفقراء منهم كما انهم يمارسون زراعة الكاكاو وتجفيفه وزراعة الارز على سفوح الجبال بين كوتابيلود وكودات .

وتحاول الحكومة الأن إزالة الفوارق بين الاغنياء والفقراء . . ومن بين برامجها منح الاراضي للمزارعين المعدمين القادرين على الزراعة ورفع المستوى الاجتماعي للجميع .

ففي كودات على سبيل المثال نرى المؤسسة العامة لتطوير الغابات في صباح (سافودا) تتولى هذه المهمة فهي تقوم بازالة أشجار الغابات وتستصلح الارض للزراعة وتقسمها على الفلاحين من أجل مزيد من تطوير حياتهم . . وقد تمكنت بذلك من اسكان حوالي الفي أسرة في ٣٦ ألف هكتار من الاراضي المستصلحة ، وستزود كل أسرة بمنزل مقام على واحد من عشرة من الهكتار ، وتمنحهم المعدات التي تقسط عليهم بأقساط تمتد الى عشر سنوات ، وستكون كل أسرة مسئولة عن قطعة أرض مجاورة مماثلة تتبع (للسافودا) التي تدفع أجورا يومية لكل مقيم مسجل لديها

وكجزء من برنامج النهوض والتطوير فانها تقوم بعمل التسهيلات المعيشية والاجتماعية وطرق المواصلات والخدمات التعليمية والصحية والمحلات التجارية والمراكز التعاونية مع تزويدها بالماء والكهرباء ، والى جانب الألفي أسرة فهناك ١٧٥٠ عاملا سيوظفون للعمل الزراعي مما يؤدي الى رفع مستوى المعيشة للجميع .

الحياة السياسية في صباح :

لعله من المستغرب الا يكون لكثـ ـة النعرات العرقية تأثير على مجرى الحياة في ولاية صباح ولكن الحقيقة ان هذه الجماعات والقبائل التي تشكل بنية المجتمع تتعايش معا بطريقة غاية في البساطة والحب والتعاون ، بحيث لا تترك مجالا لأي صراعات عرقية أو طائفية أو اجتماعية . . فالكل يعمل ويبذل كل الجهد من أجل تطوير الحياة وإرساء أسس النهضة وتغيير طبيعة المجتمع من حضيض الدائية الى قمة المدنية . . ولعل كل ذلك كان وراء الاجماع على الانضمام الى الاتحاد الفيدرالي الماليزي بعد الانسحاب البريطاني . فقد كانت الأمال معقودة على أن المحافظة على الاستقلال والانطلاق على مسيرة التقدم لا يمكن أن يتم الا من خلال الدخول في نطاق دولة قوية ناهضة . . .

ولكن على الرغم من مرور حوالي ٢٢ سنة على دخول صباح في اتحاد ماليزيا الفيدرالي ، الا أن الاندماج الكامل بين شعبها المتعدد الاعراق مع السكان في ولايات ماليزيا الغربية لم يتم بالصورة المرضية . وقد حرصت حكومة الاتحاد على أن تمنح صباح درجة كبيرة من الحكم الذاتي بما جعلها تعتز بقدرتها على التصرف باستقلال كامل في شئونها الداخلية . . ولكن ليس من الممكن ان نتخطى الحقيقة القائلة بأن الاندماج الفعلي يحتاج الى كثير من الجهد . . . فطبيعة الاعراق السكانية متباينة وطريقا

التقدم مختلفان . . فقد جاءت البداية في صباح متأخرة كثيرا عما كانت عليه في ماليزيا الغربية . وفي ذلك يحدثنا الدكتور محاضر محمد رئيس الحكومة الاتحادية في كوالالمبور ويقول : « لا شك ان الاندماج القومي يتقدم ببطء . . ولا شك أيضا انه سيستغرق وقتا . . ومن أجل ان يتحقق الاندماج الكامل لا بد من فترة تتسم بالهدوء مع ادراك حقيقة ان الاتحاد الفيدرالي يحتاج للاستمرار والاستقرار . وما من شك في أن وجود بعض الاتجاهات الانفصالية التي تتحاور المطالبة بمزيد من الحكم الذاتي في صباح تسبب المتاعب للاتحاد .

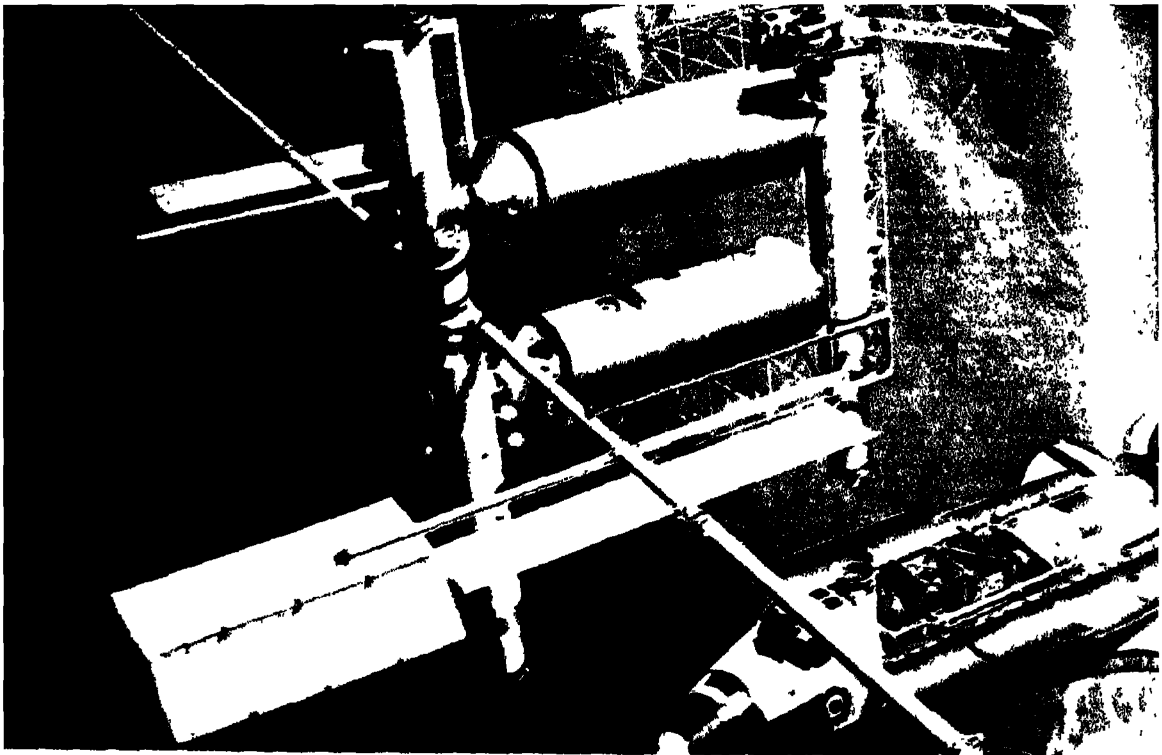
والواقع ان التهديدات من بعض الفئات السياسية بالانسحاب من الاتحاد برزت خلال فترة حكم تون مصطفى هارون عندما كان على رأس منظمة الاتحاد الوطني في صباح بين ١٩٦٧ و ١٩٧٥ ، ولكن هذه التهديدات خفت صوتها كثيرا في الأعوام التسعة التالية بعد ان تولت السلطة حكومة حزب برجايا برئاسة « داتو حارث محمد صالح » ، ولم تكن تطفو على السطح الا خلال الخلافات الأخيرة المثيرة للجدل حول جزيرة لابوان الاستراتيجية التي اتفقت حكومة برجايا مع كوالالمبور على أن تصبح ميناء حرا تحت ادارة الحكومة الاتحادية ، فحين ذهبت صباح الى صناديق الاقتراع في ابريل الماضي ارتفعت الاصوات المنادية بالانسحاب من الاتحاد وبرغم أنه لم يكن هناك حملات سياسية عنيفة للمطالبة بذلك ، إلا أن قيادات الحزبين السياسيين اللذين كانا يعارضان حزب برجايا استطاعا الحصول على نسبة ٦٥٪ من أصوات الناخبين . وبذلك فاز في الجولة حزب « برساتو » برئاسة بايرين الذي ركب موجة تأييد طارئة من الكادازان أكبر مجتمعات الولاية بعد ان حصل على دعم من الصينيين . وبرغم أن الحزب لم يعلن إلا قبل ذلك بشهور قلائل إلا أنه استطاع ان يقتنص الاغلبية ، ويزيح حزب برجايا وحكومة حارث محمد صالح عن الحكم .

وكان غريبا ان يفشل رئيس الوزراء حارث صالح في الحصول على أغلبية الاصوات في عملية الانتخاب رغم كل الجهود البارزة التي قام بها الحزب في تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية والخدمات بحيث استطاعت صباح أن تنافس أي دولة متقدمة مضى على حركة النهضة فيها عشرات الأعوام . .

لهذا فعندما القى حاكم الولاية عدنان روبر و ١٦ مايو الماضي البيان الوزاري ببرنامج الحـ . . . والذي أعدته له الوزارة الجديدة برئاسة بايرين أمام المجلس التأسيسي الجديد . . حاول أن بتهدئة الموقف فأضاف فقرة الى البيان قال فيه « ان حكومة الولاية يجب أن تحذر من أي . . . للانفصال عن ماليزيا باعتباره عملا خطيرا غير . . . العواقب . لقد حصلنا على الاستقلال من خلال . . . ماليزيا فلا تثيروا الشك بأن تقدم صباح وتقدمها يرتبط بخروجها من الاتحاد الفيدرالي . . فإن تقدمنا ومستقبلنا لا يمكن ان يتم الا من خلال مشاركتنا واستمرارنا في دولة الاتحاد » .

وبرغم تلك التصريحات فقد برز خطر السياسات المتباينة حسب تقلبات الاعراق السكانية ، خصوصا ان بايرين اعتمد في تشكيل حزبه الجديد ـ بعد خروجه من حزب برجايا حيث كان نائبا للرئيس حارث صالح ـ على الكادازان المسيحيين (٢٨٪) الذين تساندهم القوى التبشيرية ذات الثقل في المناطق الداخلية في صباح مع جهود واضحة لاجتذاب الصينيين . قبل ذلك كان الصينيون (٢١٪) يساندون حكم منظمة الاتحاد الوطني بقيادة مصطفى هارون الذي كانت قيادته ملاوية اسلامية . . كما ساندوا حزب برجايا بقيادة حارث صالح والذي كان مؤيدا أيضا من كل الاجناس المتعددة وبينها قبائل الكادازان والصينيين ، واستغل بايرين فرصة سخط المسيحيين والصينيين على سياسات حارث صالح الاخيرة واستقطب هذه الاصوات التي تحولت الى حربه مما أخل بالتوازن وأدى الى ظفره بالاغلبية وتوليه كرسي رئاسة الحكومة .

ولكن بايرين الآن لا يجلس على كرسي مريح فالمحاولات كثيرة لاسقاطه من خلال عدم تمثيل المسلمين في الوزارة بشكل مناسب . . ويبذل حزب برجايا ومؤيدوه كل فرصة لخلق المصاعب أمامه لارغامه على الاستقالة . والذي يساعد على ذلك هو أن بايرين يفتقد وجود صداقات له مع أعضاء الحكومة الفيدرالية . ويقول هؤلاء ان خطأ واحدا يقترفه بايرين يمكن أن يؤدي به الى السقوط وخصوصا ان استمراره مرهون بقدرته على اجتذاب حكومة الاتحاد وارضاء بقية المجتمعات السكانية التي تعارضه . . وفي مقدمتها الملاويون المسلمون . □



مستعمرة فضائية تجمّع بواسطة المكوك

الفضاء
ساحة الحرب المقبلة

بقلم سعد شعبان

« قامت قيامة الدنيا ولم تقعد ، ولم يعد لوكالات الأنباء حديث الا عن آخر أخبار « حرب النجوم » ، وفرض الموضوع نفسه حتى على اجتماع رؤساء دول العالم الغربي الذي عقدوه في بون في شهر مايو الماضي . . كما يفرض نفسه بطبيعة الحال على اجتماع قمة ريجان وغورباتشوف هذا الشهر ، وموضوعه الأول عن مشكلات عسكرة الفضاء . . . فماذا سيحدث بالضبط في الفضاء المحيط بنا ؟

سيأخذ الصراع العالمي بين الدولتين العظميين في العالم ، بعدا جديدا خلال التسعينيات ، ذلك أن القرار الاستراتيجي الذي أصدره الرئيس ريجان في أوائل عام ١٩٨٣ ، بالتخطيط لنقل ساحة الحرب الى الفضاء ، بانتاج سلاح دفاعي فضائي مضاد للصواريخ المعادية ، ذاتية الدفع العابرة للقارات ، ولأقمار التجسس ، ولاشك أن هذا القرار ، سيحدث تغييرا في مجرى التاريخ ، وقد أتى على غرار قرار الرئيس الراحل كيندي في الستينيات ، بتوجيه الجهود الفضائية الأمريكية لارساء انسان على سطح القمر . ولقد أعقب اعلان الرئيس ريجان ، تصريحات توضح ان الاستراتيجية الجديدة ، لن تكتمل قبل حلول القرن القادم عام ٢٠٠٠ وانها لن تدخل الخدمة قبل حلول القرن ٢١ . ويأتي القرار من منطلق أن التفوق العسكري في كل العصور يمكن ان تحققه بكفاءة وفاعلية الاكتشافات العلمية الجديدة . والتاريخ خير شاهد على ذلك ، فصواريخ ف٢ الألمانية التي اعتبرت تطويرا بعيد المدى للمدفعية الثقيلة ، لعبت دورها في التعجيل بانهاء الحرب العالمية الثانية ، وشجعت الجانب الآخر على استخدام التفجير الذري الذي غرس الرعب في قلوب اليابانيين وحلفائهم ، فاستسلموا أمام بشاعة القدرات التدميرية التي حاقت باثنتين من مدنهما . ودائما تكون التحولات الجذرية في الحروب على أيدي الاكتشافات العلمية الجديدة ، كما حدث عند استخدام الرادار والغواصات والطائرات والأسلحة الكيماوية . لذلك فانه لامر طبيعي أن يكون قرار ريجان ، بجعل التفوق العسكري مرتكزا على احدث تقنيات العصر ، وهي تقنية الفضاء ، بالاقدام على خطوة جريئة في مسار التوازن النووي بين الدولتين العظميين ، والسائد بينهما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

الخطر النووي يعبر القارات

وفي مجرى ما أوجدته التقنية الحديثة من صناعات ، دفعت الى حلبة التنافس العسكري بين القوتين العظميين بآلاف من الصواريخ ذاتية الدفع العابرة للقارات ، التي أصبح مدى كل منها يقاس بعشرات الآلاف من الكيلومترات ، والتي تستطيع حمل الرؤوس الذرية أو النووية المدمرة . وتستخدم عمليات توجيه دقيقة جعلتها قادرة على بلوغ أهدافها بكل دقة . ولقد تعددت في ترسانات الأسلحة ... تحميل وطرق اطلاق هذه الصواريخ ، اذ أصبح بعضها يطلق من آبار خرسانية مجهزة تحت الأرض ، وأصبح البعض الآخر يطلق من غواصات تجوب تحت سطوح مياه المحيطات ، أو من فوق منصات متحركة . كل ذلك سانده تدخل تقنية الحواسب الألكترونية في اختزان المعلومات اللازمة لاحكام دقة التوجيه ، وتوالى التحكم من المحطات الأرضية . ولذلك لانجد بدعا في احتدام التنافس بين الولايات المتحدة واليابان في حقل صناعة الحواسب الألكترونية ، ومحاولة الاتحاد السوفيتي اللحاق بركب هذا التسابق . الأمر الذي كان من نتائجه ظهور سوق كبيرة « للميني كومبيوتر » ، ثم « السوبر كومبيوتر » ، للتحكم في الخطوات المؤثرة على اتخاذ القرار العسكري . حتى غدت صناعة جمع المعلومات ، أهم مايميز عصرنا ، نظراً لأهمية الثانية قبل الدقيقة في تحقيق عنصر المفاجأة العسكري لمداهمة الأراضي المعادية بصب كل وسائل الدمار عليها . ولا يحد من غلواء الجنون النووي ، الا وجود التوازن بين القوتين العظميين ، ولكن كلاً منهما يتربص بالآخر الدوائر

التجسس أصبح ضرورة

وأعقب ذلك اطلاق مئات من الأقمار الصناعية للتجسس العسكري لالتقاط الصور الفضائية لأراضي الكتلة الأخرى ، وتحليل هذه الصور بوسائل عدة ، سواء كانت المساحة المصورة تحت ضوء الشمس ، أو مغلفة بأستار الظلام .

فقد تطورت أقمار التجسس في التصوير بالعدسات البصرية ، والعدسات التليفزيونية ، وبكاميرات حساسة للأشعة تحت الحمراء ، للتعامل مع الأهداف التي يكسوها الظلام ، وأصبح من تفسير الصور ، أمر يرتبط بحدقة العين البشرية ، وقدرة الحواسب الألكترونية أيضا ، لهتك ستر كل ما على الأرض من أهداف يزيد طولها أو عرضها عن متر ونصف ، اذ يمكن معرفة كل ما على وجه الأرض من

ا‍د ..ات ومعدات ، وتميزها من شكلها والنشاط
ال‍ يدور من حولها .
‍م تستعص الأهداف المخبأة تحت الأرض عن
ع‍ ‍ات أقمار التجسس ، التي يمكنها اكتشاف الآبار
ا‍ ‍سانية للصواريخ العابرة للقارات ، وهتك ستر
ك‍ ما تحويه الأرض من كنوز معدنية ومياه جوفية حتى
ع‍ ‍ن يقرب من ١٠ أمتار . لذلك أصبحت قواعد
بطاريات الصواريخ ، والمطارات ، ونطاقات انتشار
المدرعات والمجنزرات والآليات كلها ، تحت نظر
الجانب الآخر .

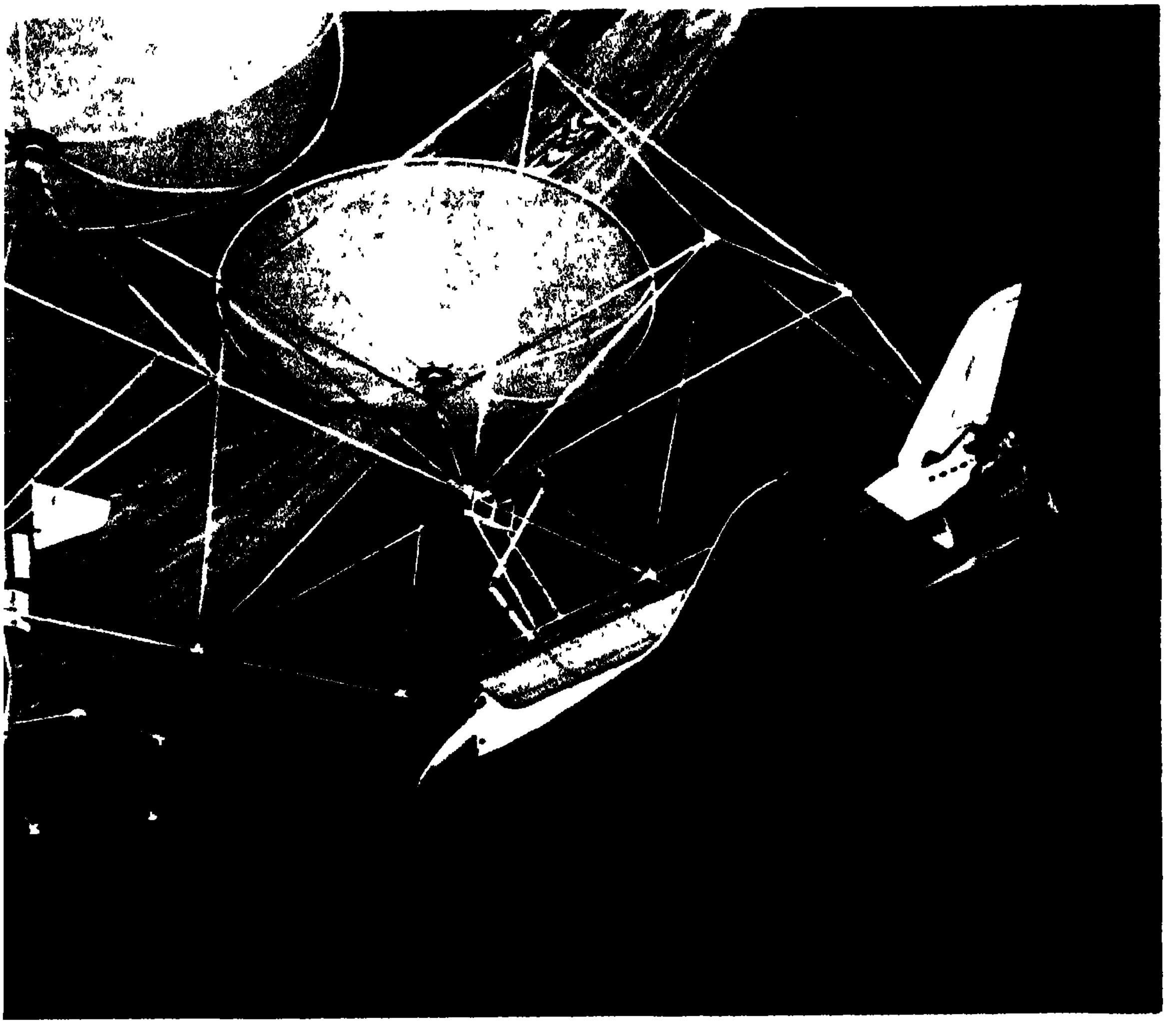
وهكذا أصبحت انجازات الفضاء ، مبهرة في كثير من المجالات ، وتخدم الجانبين العسكري والمدني سواء في حقل الاتصالات أو التنبؤ الجوي أو الكشف عن الموارد الأرضية ، أو التفجيرات التي تحدث في أي مكان أو المسح الجغرافي والزراعي والاقتصادي .

وخلال الحرب الباردة ، لم تعدم الأساليب السياسية والدبلوماسية وجود مفاوضات بين طرفي القوتين العظميين تتقن أساليب اللف والدوران حول بعضهما ، بغية عدم تفوق أحدهما على الآخر ، ولقد تمحص هذا الحوار الدبلوماسي عن اتفاقيتين دوليتين : أولاهما بين الرئيس الأمريكي نيكسون والرئيس السوفيتي بريجنيف ، ووقعت في موسكو عام ١٩٧٢م واطلق عليها اتفاقية « سالت - ١ » - وهي اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية - وثانيتهما وقعت عام ١٩٧٩ في جنيف واسميت « سالت - ٢ » . ولكن الكونجرس الأمريكي رفض التصديق عليها .

اسم على غير مسمى

واليوم اذا كان قرار ريجان قد حول ساحة الحرب من على سطح الأرض ، الى الفضاء ، فإن كثيرا من وسائل الاعلام قد تناقلت ذلك تحت اسم « حرب الكواكب » أو « حرب النجوم » . وهي تسمية غير معبرة ، لأن حقيقة الأمر ان المقصود هو تحول رقعة الصراع من على وجه الأرض ، وفي غلافها الجوي ، الى أغوار الفضاء السحيقة . ويرتكز العمل الأساسي في المشروع الأمريكي عن « حرب الفضاء » على انتاج نظام دفاعي ضد القذائف الصاروخية العابرة للقارات . يمكن أن نصفه بأنه سيكون نظاما صاروخيا ، نوويا ، فضائيا ، اشعاعيا . اذ سيكون الاعتماد الرئيسي في هذا النظام على توجيه « أشعة الليزر » لاعاقة حركة الصواريخ العابرة للقارات ، وتدميرها قبل بلوغها اهدافها ، وهي في الفضاء . وذلك باعتبار اشعة الليزر هي سلاح المستقبل ، الذي يجري تطوير اتاحه في صمت منذ اوائل الستينيات ، الذي مازال استخدامه يتم في نطاق محدود تحت اسم « اشعة الموت » . وان كان قد نجح استخدامه على نطاق ضيق في بعض الاستخدامات المدنية ، وخصوصا الطبية أو الصناعية . وكان أول استخدام فضائي لهذه الأشعة في فجر عصر الفضاء وخلال رحلات أبوللو الناجحة للهبوط على القمر ، لقياس بعد القمر عن الأرض قياسا دقيقا اذ وضع رواد رحلة ابوللو ١١ عام ١٩٦٩ جهازا خاصا على سطح القمر يتكون من مائة مرآة عاكسة قطر كل منها ٢/١ ٢ سم في وضع يسمح بأن تعكس هذه المرايا شعاعا من الليزر يوجه اليها من ثلاثة اماكن متفرقة على سطح الكرة الأرضية . ولقد ظل الجهاز يعمل لمدة عشر سنوات ، لتسجيل الانعكاسات على سطح وهي المرايا البعد الفعلي للقمر بدقة بالغة يحققها شعاع الليزر الشديد التركيز . ولنا أن نتصور مبلغ هذا التركيز من تصور مقدرة اختراقه للغلاف الجوي ، وطبقات الفضاء مسافة تقرب من ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر .

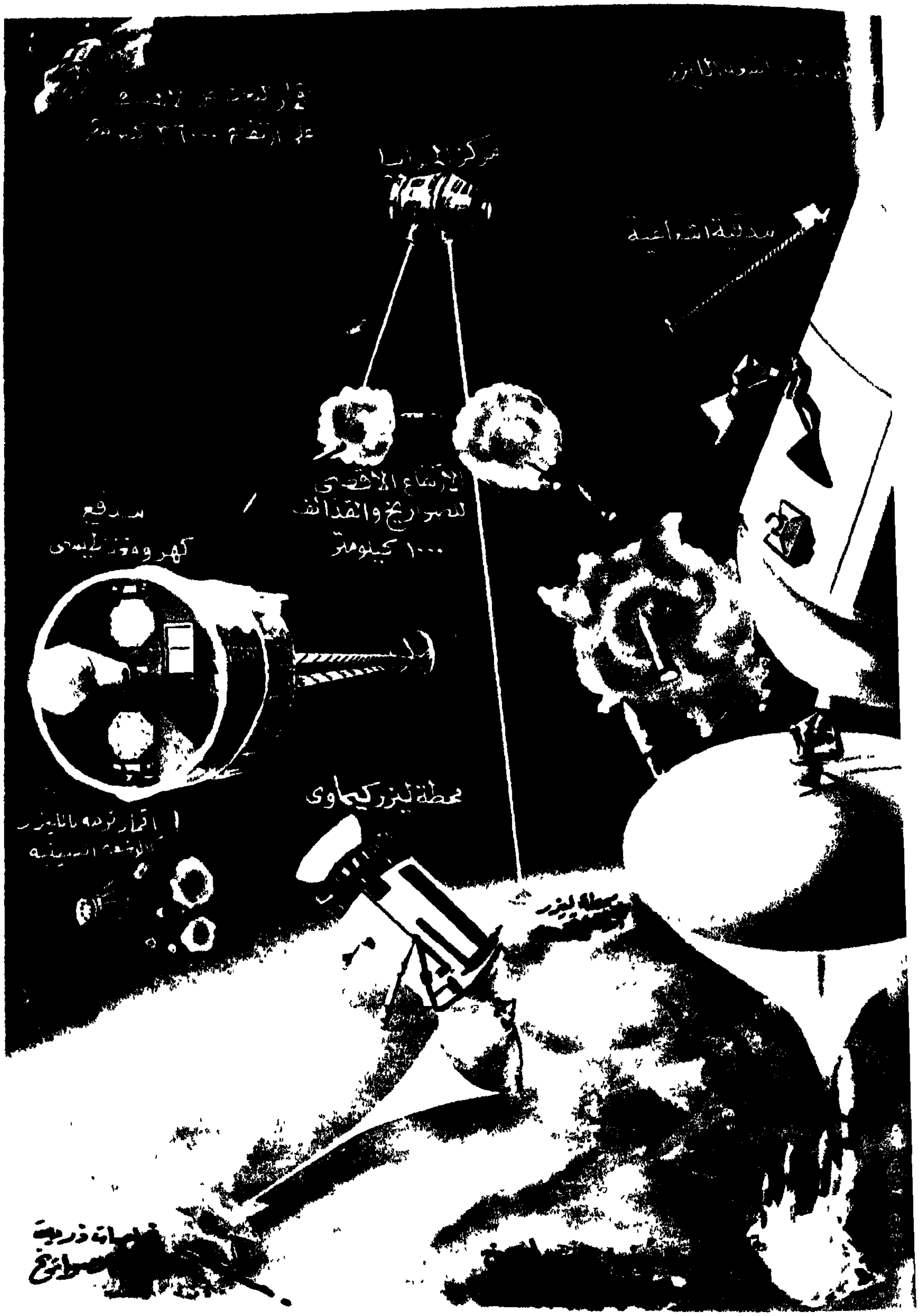
والحقيقة ان هذا المشروع الفضائي لحرب الفضاء ، قام على نتائج جهود متعثرة سبقته بعشرات السنوات ، ومحاولات لم يقيض لها النجاح ، كان اولها محاولة تصنيع « صاروخ مضاد للصواريخ » في الستينيات نجح منها الصاروخ طراز « زيوس » عام ١٩٦٣ ، ولم يكن اداؤه دقيقا بالقدر الكافي ، لافتقار وحدات التوجيه الألكتروني الى عنصر الدقة اللازمة لأغراض الصواريخ المعادية . كما قامت افكار لم تبلغ مرحلة النضوج عن انتاج « قمر صناعي مضاد للأقمار المعادية » و « صاروخ مضاد للأقمار الصناعية » . لكن الركيزة الأساسية في « حرب الفضاء » المقبلة هي اقامة « منصات فضائية » يمكن منها توجيه اشعة الموت الى الأقمار الصناعية او



المرايا والهوائيات يحملها المكوك الى المستعمرات الفضائية



صورة من المكوك لتفاصيل جيولوجية في أمريكا اللاتينية .



الارتفاع الأقصى
للصواريخ والقذائف
١٠٠٠ كيلومتر
مدفع
كهرومغناطيسى
محطة ليزر كيماوى

الصواريخ العابرة للقارات المعادية ، فتمنعها من تحقيق الوصول الى اهدافها . وحسب تقديرات الخبراء الأمريكيين ، فان صناعة المنصات او المستعمرات الفضائية العسكرية ، لوضع الأسلحة الاشعاعية عليها لن يبدأ قبل حقبة التسعينيات ، ولن يكتمل في صورة فعالة للردع قبل نهاية قرننا . ووقتئذ ستنقل البشرية الى عصر يمكن ان ينعت بانه « عصر الاشعاعات » ، وسيؤدي بعصر الفضاء الى عالم النسيان ، كما اودى هذا بالعصر الذري من قبل .

الخواص الفريدة لليزر

رغم ان اشعة الليزر عرفت علميا منذ اوائل الخمسينيات من قرننا ، الا انها لم تثر فضول العلماء الا في الستينيات . ويصعب نسبة اكتشافها الى عالم معين ، اذ يعود فضل معرفة خواصها الخارقة الى عديد من علماء دول مختلفة ، على رأسهم « بوهر » أبو الذرة الذي كشف عن الاشعاع الذي يصدر من الذرة عند انتقالها من مستوى طاقة عال الى مستوى طاقة اقل . ويليه العالم العبقري (اينشتين) الذي استطاع حساب الطاقة التي يمكن ان تصدر من مادة ، وواصل المسيرة بعدهما عديد من العلماء منهم الأمريكي « تشارلز تاونز » والروسيان « الكسندر بردشوروف » و « نيكولاي بازوف » وقد حصل ثلاثتهم على جائزة نوبل عام ١٩٦٤ .

والأصل في تسمية اشعة « الليزر » (LASER) مشتق من الجملة التي تعني « تضخيم الضوء بواسطة اطلاق الأشعة المثارة » (Light Amplification stimulated Emission Radiation) أما عن ماهية اشعة الليزر فهي تقع ضمن نطاق الموجات الكهرومغناطيسية ، شأنها شأن أشعة الضوء المرئي كضوء الشمس والأشعة غير المرئية مثل الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية واشعة اكس وجاما ، وموجات الراديو ، وهذه كلها تشترك في كونها تتموج في الهواء او الفضاء بموجات ذات اطوال مختلفة ، ولكنها تتحد في السرعة التي تنتقل بها ، فهي سرعة الضوء والتي تعارف العلماء على انها اكبر سرعة موجودة في الحياة،وتعادل حوالي (٣٠٠) الف كيلومتر في الثانية الواحدة او ما يعادل (١٨٦) الف ميل في الثانية .

ولأن شعاع الليزر له هذه الخواص الفريدة فقد امكن توجيهه عبر المسافة الكبيرة من الأرض الى القمر ، فلم يتشتت ولم ينكسر ، وأمكن رصد الأشعة الساطعة التي يحدثها على القمر بواسطة المراصد الفلكية .

واستغلالا لهذه الخواص دخل الليزر عدة مجالات للتطبيق ، من اهمها حقل الاتصالات ، وابحاث الفضاء . ومن اهم المجالات التطبيقية المدنية مجال الطب ، حيث استغل الاطباء القدرات الخارقة لليزر واجروا به بعد اضعاف قوته الجراحات الدقيقة بدلا من استخدام المشارط ، وتفتيت حصى الجهاز البولي ، وازالة عتامات العين . ولكن لاشك ان العسكريين كانوا اذكياء في استغلال الخواص الخارقة لليزر لاستخدامه كسلاح ، وبدأ يتردد من اوائل السبعينيات اصطلاح « اشعاع الموت » الذي بدأ تطبيقه في مجال توجيه الصواريخ المحدودة المدى كصواريخ الطائرات جو - جو .

تجارب رائدة على الطريق

● لم يأت تصريح الرئيس الأمريكي ريجان عن الحرب الاشعاعية في الفضاء من فراغ ، بل استند الى نجاح عدة تجارب احيطت بالكتمان في اول الأمر ، ثم اميط اللثام عن اهدافها فقط دون توضيح للنتائج ، بقصد حث الاتحاد السوفييتي على المضي في الحوار عن اسلحة الفضاء ، رغم ان السوفييت كانوا يحرزون عنصر المبادأة منذ عام ١٩٦٨ ، بصناعة قمر صناعي قاتل للأقمار الاخرى ، يعتمد على توجيه قمر صناعي قاتل من الفضاء نحو قمر اخر يعمل كهدف معادي ، وتكون عملية التدمير بالشظايا التي تخرج من القمر القاتل متناثرة في شتى الاتجاهات .

ولقد رصدت المخابرات الأمريكية هذه التجارب التي تمت بين القمرين كوزموس (٢٤٨ ، ٢٤٩) وثبت ان مداها لا يتجاوز ٢٢٠٠ كيلومترا ، وهي لا تشكل خطورة الا على الاقمار ذات المدارات المنخفضة . فقد تمت التجربة على ارتفاع ٥٩٣

... وثبت انه منذ عام ١٩٧٦ اجرى الجيش ... كي تجارب على اسلحة تعمل بأشعة الليزر ، ... فاعليتها على اهداف مختلفة مثل الطائرات التي بدون طيارين .

وفي عام ١٩٧٣ تمكنت طائرة امريكية مزودة ... بهار ليزر من تدمير طائرة بدون طيار واطلق على ... سلاح « شعاع الموت » . كما وجهت اشعاعات ... ليزر ايضا على الصواريخ المضادة للدبابات من نوع « ... ماو » . بل لقد افلحت بندقية اسميت « بندقية الليزر » في شل حركة الأشخاص اذ تحدث لهم الاصابة بالعمى ، حيث يخترق شعاع الليزر عدسة العين .

وفي خريف عام ١٩٨٢ نجح سلاح اشعاعي يعمل بالليزر في تدمير صاروخ ارض ـ ارض من طراز (ثور) ثبت على قاعدة اطلاقه ، ووجه اليه شعاع ليزر ضعيف على مسافة قريبة فثبتت قدرته التدميرية .

● ثم كرر الاتحاد السوفييتي تجربة اعتراض قمر صناعي لآخر في يناير ١٩٨١ عندما اطلق القمر كوزموس ١٢٤١ وجعلوا القمر ١٢٤٣ يعترضه في الفضاء على ارتفاع يتراوح بين ٩٧٦ ، ١٠٠٩ كيلومترات فوق الأرض . وقد تمكن القمر الثاني من تدمير الأول على هذا الارتفاع العالي ، الذي يكاد يكون ضعف الارتفاع الذي تمت عليه تجربة عام ١٩٦٨ .

ولقد وضع ذلك الأمريكيين في وضع قلق ، لأن هذا معناه القدرة على تحقيق الدمار من الفضاء ، بواسطة اي سفينة فضاء بعيدة المدى مثل تلك التي توجه نحو الكواكب .

لعبت اقمار التجسس دورا هاما لدى الكتلتين المتصارعتين ، وثبت للأمريكيين ان الاتحاد السوفييتي لا يقف في سكون ، وانه يطور اسلحته الفضائية الاشعاعية . ولقد دون ذلك في تقارير قدمت للجنة التسليح في الكونجرس الأمريكي .

وتردد في عدة تقارير للمخابرات المركزية الأمريكية ، ان الاتحاد السوفييتي قد شرع في اقامة « مجمع فضائي عسكري » سيكتمل في التسعينيات ، ويستهدف ادارة الحرب في المستقبل من الفضاء ، معتمدا على استخدام الأشعة الجزئية في شل فاعلية الأسلحة الأمريكية الفضائية .

لذلك شرع السلاح الجوي الأمريكي اواخر عام ١٩٨٣ في استخدام اشعة ليزر ذات طاقة عالية في الفضاء على صواريخ جو ـ جو تتحرك بسرعة ٣٥٠٠ كيلومتر في الساعة وقد عرف بعد ذلك ان هذه الصواريخ من طراز « سايد وايدر » (Side Win-der) وكان قد تم قبل ذلك نجاح استخدام اشعة الليزر في تغيير مسار صاروخ بالتشويش على اجهزة التوجيه به . ولكن اشعاع الليزر كان ينطلق من الأرض . لذلك فالجديد في الأمر هو اطلاق اشعة الليزر من الجو .

ولقد صرح مسئولون علميون رسميون في الولايات المتحدة ، يمكن ان يكون لديها قبل عام ١٩٩٠ سلاح ارضي يعمل بالليزر ، قادر على تدمير الاقمار الصناعية كذلك . وتعود اهمية هذه التجربة الى اجتياز عقبة هامة ، وهي التغلب على الظروف الطبيعية لتحقيق كفاءة اشعاعات الليزر في اجتياز الطقس البارد والسحب الباردة ، فجهاز الليزر يستخدم غاز ثاني اكسيد الكربون في درجة حرارة عالية للغاية ، لتوليد شعاع ضوئي شديد التركيز بالتبريد المفاجيء .

وفي مطلع عام ١٩٨٤ قامت الولايات المتحدة باجراء اول تجربة لاطلاق صاروخ مضاد للاقمار الصناعية ، اطلق من طائرة من طراز (ف ـ ١٥) . واطلق على الصاروخ اسم « قاتل اقمار التجسس » (آسات Anti Satellite Weapon(ASAT) ... وقد عرف ان الطائرة تستطيع حمل صاروخين من هذا النوع ، وتصعد بهما حتى ارتفاع ٢٩ كيلومترا ، ثم توجههما نحو القمر الصناعي لتدميره .

وقد صرحت مصادر رسمية امريكية ان عملية تصنيع هذا الصاروخ تجري في سرية منذ عام ١٩٧٨ ، وانه قد رصد لتصنيعه ١,٤ مليار دولار ، وكانت المصانع الأمريكية قد أدخلت تعديلات فنية على الطائرة (ف ـ ١٥) شملت اجهزة الرادار ـ والتصوير لتتلاءم مع مهام اصطياد الأقمار الصناعية المعادية .

الفن ، وكان أن سألته :

كم يبلغ عدد النسخ التي تطبع من أول ديوان يصدر لاحد الشعراء الجدد ؟

فأجاب قائلا :

قبل انجاز هذا الامر لابد من اجتياز عدة عقبات .. اولا ، يجب أن يكون هذا الشاعر قد ظهرت له عدة محاولات شعرية ولمدة سنوات في المجلات الادبية بشكل كاف ومقنع لتكريس اسمه كشاعر موهوب حقا . وبعدها تأتي عقبة العثور على دار نشر تقبل هذه المغامرة ، ذلك لأن دار النشر التي توافق على نشر المجموعات الشعرية الجديدة باتت قليلة جدا ، فاذا اجتاز الشاعر هذه العقبة فلن يطبع من مجموعته عندئذ أكثر من خمسمائة نسخة على الاغلب ..

واستغربت وقتها هذا الرقم كثيرا بالنسبة لبلد كبير قارىء مثل فرنسا . ولكن صدور هذا التصريح عن شخص مطلع مثل جان بريتون اعطاني مؤشرا جديدا ، اذا أضفناه الى مجموع المؤشرات المستقاة من الغرب ، أمكننا ان نتأكد من أن تقلص الاهتمام بالشعر قد أصبح ظاهرة حقيقية في العالم العربي .

عودة الى الوراء

ليس ضروريا هنا أن نعود نحن العرب الى الجاهلية لنذكر الاعياد التي كانت تقيمها القبيلة عند نبوغ شاعر فيها ، ولا نذكريات الشعراء الكبار في العصور الاسلامية ممن كانوا ملء الاسماع والقلوب كالبحتري وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي وغيرهم . بل يكفي أن نذكر بعهد قريب لا يعود الى أكثر من ثلاثين أو اربعين سنة خلت ، كانت فيه قصيدة للرصافي أو الجواهري في العراق ومثلها لأحمد شوقي أو حافظ ابراهيم في مصر وأخرى لبدوي الجبل وابي ريشة في سوريا كافيه لاثارة الرأي العام . واقبال الجماهير على الشعر بشكل مؤثر كان يقلب الحكومات القائمة أحيانا رأسا على عقب أو يصبح على الاقل المتعة الاولى في وجدان البشر .

ولم يكن الأمر مقصورا على جماهير المثقفين بل كان يتعداها الى الجماهير البسيطة التي كانت مشغوفة بالشعر قراءة واقتناء وحفظا حتى يصعب وقتها تصور حركة المجتمع العربي دون تدخل الشعراء ومشاركتهم الفعالة .

لابد من الاعتراف الآن أن تلك الايام قد تلاشت الى حد بعيد ولم يَبْقَ منها سوى الاصداء ، وان الاصوات الشعرية التي ما تزال مسموعة على نطاق واسع تتضاءل يوما بعد يوم حتى ليمكن حصرها في اسمين أو ثلاثة لا أكثر .

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟

ان تفسير هذه الظاهرة مسألة بالغة التعقيد وقد تحتاج معالجتها الى مؤلف ضخم ، ولكن اختصارا يمكن رد المسألة الى عاملين اساسيين ، أحدهما يتعلق بالمنتج أي الشاعر نفسه والآخر بالمتلقى أو القارىء ، مع الاعتراف بأن كلا الطرفين يتعرضان لضغوط مشتركة متشابهة ولكنهما في الوقت نفسه يختلفان من حيث الوضع الاساسي لكل منهما حيال طبيعة القضية بين الابداع والتلقي ..

لا شك أن الشاعر العربي المعاصر يواجه معضلة درامية ـ اذا صح التعبير ـ من نوع خاص حين نأخذ بعين الاعتبار الصراع الذي نشب في أعماقه منذ هجوم الحداثة بين طموحين يبدوان حتى الآن طرفين في معادلة صعبة الحل : أولهما يدفعه الى التجديد والابتكار تحت دافع التطور الطبيعي ومجاراة الثقافة الغربية ، ولكنه طموح يهدده في الوقت نفسه بالانفصام عن الجماهير العاجزة حضاريا عن مواكبته ، والطموح الثاني يدفعه الى الحفاظ على صلاته بالتراث والتقاليد وبالتالي بالجماهير ، الا انه طموح يهدده بالتخلف عن ركب الثقافة المعاصرة المتقدمة .

ليس من السهل عمليا الاحتفاظ بالتوازن بين هذين الطرفين المتباعدين حتى الآن ، ولذلك كان بديهيا أن تهتز الخطا على هذا الطريق، وأن تعكس التجارب الشعرية هذا الاهتزاز والقلق بأشكال متباينة بين قطبين متطرفين : أحدهما يراهن على المستقبل غير عابىء بالمستوى الحضاري النوعي

جولة بين الخيارات

يبدو من التجارب التي اشرنا اليها سابقا ، ان كلا الطرفين في حالة سباق ، لتحقيق التفوق العلمي ، بقهر المجهول في مجال الحرب الاشعاعية الفضائية . ويبدو كذلك ان قرار الرئيس الأمريكي ريجان قد اتى بعد تمحيص مع اللجان العسكرية ، وكأنه امر لابديل عنه ، والا فسينقلب ميزان القوى . والجديد في الأمر ان الرئيس ريجان بتصريحه عن المضي في تصنيع سلاح دفاعي اشعاعي ضد الصواريخ المعادية والأقمار الصناعية ، هو ان حلقات الصراع قد تحولت الى العلانية ، بعد ان كانت تجارب غير معلنة . ورغم ما أثاره من جدل احتدم في اوساط البنتاجون ، والكونجرس ، والصحافة ، فانه على ما يبدو لم يتبلور اتجاه البحوث الفضائية التي سيستقر عليها الأمر ، لأن هناك بعض خيارات لابد من المفاضلة بينها .

الخيار الأول : سلاح الليزر الكيماوي

ويعتمد على توليد اشعة الليزر من اتحاد غازي الهيدروجين والفلورين ، ومازالت هناك مشاكل تعترض هذه الطريقة . فالمواد الكيماوية المستخدمة شديدة الاحتراق ، ويحدث عنها تآكل ، ومازالت هناك عقبات في التغلب عليها حتى الآن .

الخيار الثاني : سلاح المرايا العاكسة .

وتتم عملية التوليد هذه على الأرض ، ثم توجه اشعة الليزر من مئات من محطات الارسال الى الفضاء ، لينعكس على مجموعة من المرايا الضخمة ، التي قد يصل قطرها الى نحو ثلاثين مترا . ويمكن ان تعلق هذه المرايا في منصة فضائية ، من السهل تجميعها ، بعد ان نجحت عمليات تجميع الأجزاء المكونة لهياكل معدنية في الفضاء ، بواسطة رواد مكوك الفضاء الأمريكي ، وبعد ان نجح استخدام الذراع الآلي ، الذي يمكنه ان يبرز خارج المكوك ، ليمسك بالأقمار الصناعية او الأجسام السابحة في الفضاء . ولقد اكتسبت الحركة في الفضاء مرونة منذ يونيو ١٩٨٤ ، باستخدام الكرسي النفاث للسا[illegible] به خارج المكوك . وتأكدت هذه المرونة بالنجاح انقاذ القمر الصناعي الأمريكي المتعطل م[illegible] عام١٩٨١ ، واستبدال الاجزاء المعطوبة فيه . لذ[illegible] تعتبر عملية تجميع هذه المرايا في الفضاء امرا سهلا ولكن الصعوبة قد تكمن في ان اشعة الليـ[illegible]ر في ا[illegible] اختراقها لطبقات الغلاف الجوي ، نـ[illegible]ـو هذه المر[illegible] لابد انها سترفع درجة حرارة الهواء المحيط بها ، الأ[illegible] الذي قد يقلل من تركيز حزمه الليزر . ولاشك ا[illegible] هناك محاولات للتغلب على هذه المصاعب .

الخيار الثالث : سلاح الصواعق

الاسم العلمي لهذا النظام الذي مازال في طوره النظري هو « شعاع الجسيمات » لأنه يتكون من شعاع من الجسيمات الدقيقة المشحونة بشحنات عالية ، يمكن ان تحدث مثل ما تحدثه الصواعق الطبيعية في الأهداف التي توجه اليها .

ويتم توليد « شعاع الجسيمات » من « تسارع » اي زيادة سرعة البروتونات والأيونات في ذرات المادة ، فينطلق منها شعاع عالي الطاقة من الجسيمات المشحونة ، لو وجه نحو صاروخ معادي لحطمه ، وحرق الوقود الذي به ، وأعطب اجهزة التوجيه الالكترونية فيه تماما كما يحدث عندما يتعرض جسم الصاروخ لصاعقة طبيعية من تلك الصواعق التي يصاحبها البرق والرعد . لكن الشحنة الكهربية التي تحدث الصاعقة الطبيعية لابد أن تكون ذات قوة عالية للغاية ، قد تبلغ ٥٠ مليون فولت ، لكي يكون معدل تدفقها عاليا .

ويرى العلماء الأمريكيون ان سلاح الصواعق اسرع في أداء مهمته التدميرية ، التي لاتحتاج الا جزءا من الثانية ، على خلاف شعاع الليزر الذي قد يحتاج بضع ثوان .

الخيار الرابع : المضخات النووية

في هذا النظام يحدث انفجار نووي محدود ، تصدر عنه حزمة من الأشعة السينية (أشعة اكس) ، توجه بواسطة شعاع من الليزر نحو القذائف المعادية لتدميرها وتحطيمها . □

وجهاً لوجه



د. عبد الحميد يونس و فاروق خورشيد

■ كل معرفة جديدة .. إعادة تركيب واكتشاف .

■ لا ألوم العلم واكتشافاته إذا سخره رجال السياسة والاستعمار لأهدافهم .

■ الموروث الشعبي يحقق التوازن في فهمنا لتاريخ الانسان العربي .

■ الاضافة هي الحياة .. وهي تمرد على القديم وتقديم للجديد .

■ الأدب يجب أن يكون قائما على المعايشة الحقيقية .. ومعبرا عن الواقع .

■ فقدت قدرتي على الابصار عندما أصبت وأنا ألعب كرة القدم .

■ أتمتع بذاكرة بصرية قوية .. والقراءة والكتابة وسيلتي لتحويل المسموع الى مرئي .

الدكتور عبدالحميد يونس هو رائد الدراسات الشعبية في الجامعات العربية ، فهو أول استاذ لكرسى الأدب الشعبي الذي أنشيء في جامعة القاهرة ، كما أنه درس هذه المادة في كل الجامعات العربية تقريبا ان لم يكن مباشرة ، فعن طريق تلاميذه الذين تخرجوا عليه وتخصصوا في هذا الفرع من الدراسات التى كانت غائبة عن اهتمامات الجامعات العربية من قبل . . وقد انتخب الدكتور يونس في شهر أغسطس هذا العام رئيساً لجماعة القصص الشعبي التى عقدت أول اجتماع لها في تونس تحت رعاية الجامعة العربية ، وقبل هذه بأسابيع تسلم الدكتور يونس جائزة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت فرع الدراسات الأدبية لهذا العام والتى خصصت للدراسات في الفن الشعبي ، وذلك لدوره الرائد في هذه الدراسات ، وأبحاثه المتخصصة ، واضافاته العديدة والقيمة الى حصيلة المعرفة العلمية في هذا الميدان ، ومن قبل حصل الدكتور عبدالحميد يونس على جائزة الدولة التقديرية من المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة .

والدكتور عبدالحميد يونس من مواليد ٤ فبراير عام ١٩١٠ وعاش في حي السيدة زينب بالقاهرة ، وكان عضوا في فريق كرة القدم بالخديوية الثانوية . وفي أثناء تدريب لهذه اللعبة اصطدمت رأس زميل منافس بوجهه ، وأغمى عليه ، وفي المستشفى عرف أنه في الطريق الى فقد ابصاره الذى تم تدريجيا . وقد حاول الحصول على شهادة اتمام الدراسة الثانوية رغم الظروف الحديدة التى أحاطت به ، ونجح بعد محاولات ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، ومنها حصل على درجة الماجستير عن سيرة الظاهر ، والدكتوراه عن السيرة الهلالية ، وانضم الى جماعة الأمناء التى كونها استاده أمين الخولى .

أجرى الحوار معه فاروق خورشيد أحد الدارسين للأدب الشعبي والمهتمين بالسير الشعبية على الخصوص ، وله عدة كتب مطبوعة في هذا الميدان ، وله محاولات في ميادين القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي ، وقد عمل فترة في اذاعة القاهرة ، ودرّس مادة الاعلام في أكثر من معهد اعلامى عربي . وهو حاليا أستاذ متفرغ للأدب الشعبي بالمعهد العالى للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون بالـ...رة الى جوار عمله الأصلى ككاتب وأديب متفرغ

* * *

قلت له في أول اللقاء : نحن متفقان في ... كثيرة ، ولكنى أحب أن نختلف في حوارنا .

قال : ان لم يكن هناك اختلاف ، فلا ... هناك .

قلت : هذا استهلال مريح ، فوعد اذن لا يغضب الاستاذ من تلميذه .

ضحك وقال : وتعدنى ألا يغضب التلميد من أستاده .

قلت : ما تعودنا في حياتنا أن يغضب التلميد من استاذه ، فله حق الريادة والأبوة والصداقة معـ ، وكلها تجعل من الخلاف توجيها من الاستاد لتلميده عليه أن يفهمه ويدرك مغزاه ، ويعدل مساره العلمى بمقتضاه . .

قال : أدخلتنى في متاهة فلست أحسب أن المسافة بيننا تحتاج الى كل هذا ، ولو شئت لندخل في الموضوع المطروح مباشرة .

ـ جائزة مؤسسة التقدم العلمى ـ

قلت : حصلت على جائزة مؤسسة التقدم العلمى في الكويت وهي أول جائزة تمنح لباحث عربي في ميدان الأدب الشعبي ، وقد نافسك فى الجائزة تلاميذ حقيقيون ، كما نافسك فى الجائزة كل من كتب بحثا فى الأدب الشعبى أو الفن الشعبى على العموم ، فما تقييمك لهذا السلوك من ناحية ، ومارأيك فى الجائزة من ناحية أخرى ؟

قال : التقدم للجوائز حق مشروع لكل صاحب جهد علمي يرى أنه يؤهله للتقدم الى الجائزة . وكلما ازداد عدد المتقدمين الى جائزة زاد هذا من قيمتها وأهميتها ، لأنه يعنى أننا قد أصبحنا من الثراء العلمى بحيث أفرز مجتمعنا نخبة كبيرة من أبنائه يعنون أنفسهم بالاجتهاد العلمى فى مختلف التخصصات العلمية ، ومنها هذا التخصص وهو ـ كما تعلم ـ تخصص جديد فى ميدان الدراسات الأدبية العربية . .

قلت : كثيرون من دارسى الفولكلور فى العالم

ـرب اليوم ـ وقد كثروا عددا وعدة ـ يعتبرون ـحاب الدرس الأدبي ، متطفلين على الدراسات ـسية ، ويصمونهم بأنهم يبحثون عن الفن الشعبي مكاتبهم . . فما قولك في هذا الموقف ؟

قال : الدراسات الفولكلورية في العالم كله قامت على أساس من الدراسات الأنثربولوجية والسيسيولجية لانثولوجية ، ومن هنا كان الاهتمام بها يستقطب ـارس الاجتماع والانثروبولوجيا . وهؤلاء أساسا يعتمدون على مناهج بحث مقررة علميا من قبل ، وتدور كلها حول الجمع الفولكلوري الميداني ، ثم التصنيف ، ثم المقارنة ، ثم تبادل المعلومة الفولكلورية ، وتصنيفها آخر الأمر . ونحن في كل هذا في مواجهة عمل ميداني ومعملي بالدرجة الأولى ولامكان فيه لرؤية أصحاب الأدب ومباهجهم وتذوقهم الشخصي ولهذا أنا لا ألوم الدارسين العرب الذين يقدسون هذه المناهج التي وان تعددت الا أنها تصب آخر الامر في معين واحد ، وتتجه نحو هدف محدد ، هو المزيد من الكشف عن المجهول الفولكلوري عند الشعوب ، وخصوصا الشعوب النامية والبدائية . . ولاشك أن الكثير من نتائج هذه الدراسات قد أفاد في فهم التطور الحضاري للانسان ، وفي تحديد معنى الحضارة ومراحل تطورها سواء عند شعب ما بالذات ، أو عند الانسان بمعناه الأشمل والأكمل . . ولاشك أيضا ان الكثير من نتائج هذه الدراسات قد أفاد من أرادوا قيادة الشعوب البدائية ، أو التي مازالت تعيش في مرحلة متخلفة وفي بلاد غنية بالثروات الطبيعية المهملة لتطويع هذه الشعوب لارادة من يستغلون نتائج الدرس والبحث الفولكلوري استغلالا سياسيا أو بمعنى أصح استعماريا . .

الشعوب النامية

قلت : لاأظن أننا نلوم العلم واكتشافاته اذا ماسخره رجال السياسة والاستعمار لأهدافهم ؟

قال : بالطبع لا ، ولكني أقرر حقائق هامة لابد من وضعها في الاعتبار الجاد عندنا نحن بالذات فنحن من هذه الشعوب التي تدرس ـ ومازال ـ مجال جمع فولكلوري وتصنيف وبحث . .

قلت : نعود الى سؤالنا الذي جر الى كل هذا الحديث

قال : نحن في صميم الاجابة عن سؤالك . ان الكثير من أجزاء مجتمعنا وخصوصا في أفريقيا وفي المناطق البدوية البعيدة عن مركز الحركة الحضارية ظلت بعيدة عن خط الجامعين الفولكلوريين القدماء ، من أصحاب كتب الرحلات وكتب الطرائف وكتب العلم المجمع والمختلط وهؤلاء تستهدفهم الأبحاث الجديدة بتركيز واهتمام زائد أما باقي أجزاء مجتمعنا الذي تطور وتحضر ، بل قاد الحركة الحضارية في مراحل متعددة من التاريخ الانساني ، فهي قد تم مسحها فولكلوريا على أيدي المؤلفين القدماء فدونوا لنا العادات والتقاليد ، وأثبتوا لنا الطقوس والاحتفالات الدينية والموسمية والاجتماعية على السواء ، كما دونوا لنا الموروث الفولكلوري الشعبي ، والأدب الشعبي الذي اعتمد عليه واستغله في تكوين ثروة أدبية شعبية هائلة هي التي يهتم بها أمثالي من اصحاب الدرس الأدبي ، وهي التي يجب أن نفرغ من دراستها دراسة معاصرة تعتمد على المنهجين الفولكلوري والأدبي معا لتحقق نوعا من التوازن في فهمنا لتاريخ الانسان العربي وشخصيته ومكوناته عبر التاريخ

قلت : ـ بالفعل الانسان يحس في قدرة التلاعب بمكونات الشعب الواحد بتعمق حقيقي في فهم الفروق الدقيقة ، وكيفية اثارة النعرات وخلق القلاقل الطائفية والعرقية في كل مكان في العالم العربي الآن ، وهذا لايمكن ان يتم الا بدراسة عميقة ووافية للجذور ، وما الجذور الا البدايات الفولكلورية لكل مجتمع

قال : أنت معي اذن ، ولكن ليس معنى هذا ان نتوقف عن الدراسة بل لابد من الاستمرار فيها وبسرعة ، ولكن على الدارسين الفولكلوريين أن يحرصوا على مادتهم المجموعة ، وأن يوطنوها وبسرعة في ارساء المفاهيم الاجتماعية السياسية الصحيحة ، وان يقدموا نتائج دراساتهم لنا أولا ثم بعد هذا لأصحاب الاموال الممنوحة والاجهزة المدولة والعناية والرعاية المالية . وأن يكونوا على حذر وهم يعملون ، حذر العارف والفاهم ، وحذر الوطني الذي يعمل

لبلاده وقومه أولا ، والذى يعرف أن العلم وان كان ملكا للجميع ، ولكنه آخر الأمر صرورة قومية فى عملية التنمية الاجتماعية وضرورة قومية فى عملية التوحيد لا التفريق ، وعمليّة البناء لا الهدم ، وعملية خلق المعنى القومى لا المعنى الطائفى أو العرقى . . وأنا واثق أن كل الدارسين العرب ، ايا كانت الجامعات التى تشرف على دراساتهم الفولكلورية يعرفون هذا الخط ، ويدركون دورهم الهام . . ويضعون نصب أعينهم أن الخصوصية الفولكلورية لبيئة أو مجموعة انما هى احد المكونات او اللبنات للكل الفولكلورى العربى العام ، فالخاص الشديد الخصوصية انما هو وسيلة رئيسية لمعرفة العام المشترك فى المكون العربى الكلى . ونحن اصحاب الدرس الأدبى نستفيد من هذه البحوث الميدانية كل الاستفادة ، ونعيد تقييم نتائج ابحاثنا السابقة طبقا لمتغيرات الكشف العلمى الفولكلورى المتحدد على أيدى أصحاب البحث الميدانى . ومحاولة الهجوم على الدراسة الأدبية للأدب الشعبى محاولة فى رأيى تحتاج الى وقفة طويلة لأن الدراسات التى قام بها اصحاب الدرس الأدبى للموروث الشعبى قادت وتقود دائما الى المعنى القومى وأبرزت وتبرز دائما وحدة الموقف ووحدة المعاناة ووحدة الامل .

قلت . لعل هذا كان من أسباب المحاولات الدائمة التى بذلت لصرف أصحاب الدرس الأدبى عنه ، مرة باعتبارها من (تخاريف) العامة ، ومرة باعتبارها من الأدب الحسى كما حدث لألف ليلة وليلة ، ومرة باعتبارها تخرج من محيط العمل الأدبى المصحح

قال . يخطىء من يظن أن أصحاب الدرس الأدبى يلوون عنق هذه الأعمال الشعبية لتنطق بالمعنى القومى ، وبالعطاء البناء ، بل الحقيقة هى أن هذه الأعمال نفسها صاحبة الموقف والرسالة ، وأحسب أن الدارس بعد لم يكمل عملية استكشافها واستنطاق كل أبعادها واعماقها . وهى مهمة نكلها بكل ثقلها وعنائها الى أصحاب البعد من الدارسين فى الأدب الشعبى ، وفى الأدب العربى بعامة

- الأدب والحياة -

قلت : ألا ترى أن الأدب هنا تشابك مع السياسة الى حد ما ؟

قال : بل قد تشابك مع الحياة ، فنحن من مدرسة الفن والحياة . . واذا كان غيرنا يجد ان العلم والفن والأدب وسيلته الى السيطرة والقوة فلماذا لانفعل نحن هذا أيضا ؟ سأحكى لك تجربة من حياتى أنا عندما كنت طالبا فى المدرسة الخديوية كنت فى فريق كرة القدم بالمدرسة وحدث فى أثناء التدريب ان اصطدم رأس احد اللاعبين بوجهى. فأغمى على وعندما افقت وجدت الدنيا تظلم فى عينى ، ونقلوني الى المستشفى وبعد عدة عمليات فقدت الأمل في الاستعادة الكاملة للابصار ولكن هذا لم يثننى عن مواصلة الدراسة . وبعد توقف عامين كاملين تقدمت الى امتحان (البكالوريا) وهى المقابل للثانوية العامه هذه الأيام . . وبعد عدة محاولات نجحت في الحصول على هذه الشهادة التى تؤهل للالتحاق بالجامعة . . وقد حاولت الالتحاق بكلية الحقوق لرغبتى فى ممارسة العمل السياسى الذى كانت شهادة الحقوق - أيامنا - هى الباب الأمامى اليه ، ولكنى لم أنجح فى هذا فقد كان فقدى للبصر عاملا اساسيا فى هذا الاخفاق . واتجهت الى كلية الآداب ، وكانت رغبتى الأولى ان أدخل قسم الفلسفة لأنى كنت أريد أن أدرس الحياة الاجتماعية لأن الدراسة فى هذا القسم وقتنا كانت تشمل دراسة الفلسفة والاجتماع معا . كما كنت أفكر فى الدراسة بقسم اللغة الانجليزية فقد كنت ولوعا بقراءة الأدب الانجليزى وكانت لى بعض الترجمات المبكرة لقصص ومقالات ظهرت فى بعض المجلات ، وهنا حدثت ظاهرة غريبة هى التى اقصدها بكل هذا الاستشهاد . فقد بدأ الاهتمام بشأنى يأخذ شكلا ملفتا وذلك من بعض الجمعيات الدينية والانسانية الخيرية ، بل وجدت ان بعض السيدات الأجنبيات والمصريات من غير المسلمات يتصلن بى ويعاوننى فى السير والقراءة والكتابة . . ووجدت سيلا من الكتب يتدفق على ، والمدهش ان كل هذه الكتب ترتبط بالدين المسيحى وبلغت المسألة حد الخطورة حين وجدت رئيس قسم اللغة الانجليزية فى كلية الاداب وهو رجل انجليزى

ين الى الكلية ويعرض على بنفسه ان ادخل قسم ة الانجليزية ، وقال لى انني سألقى كل العناية عاية ، وأنني بعد النجاح والحصول على الليسانس ن ان اكمل تعليمى فى انجلترا . واخبرنى أيضا أنه حصص لى سكرتيرا يقودنى فى الطريق ويقرأ لى كتب باللغة الانجليزية . . وأخبرنى ان عنده فكرة سقة عن اهتمامى باللغة الانجليزية وتفوقى فيها ه يتوقع لى مستقبلا زاهرا فى دراستى بالقسم . .

ـ الاضافة أولا والاضافة أخيرا ـ

قلت : ومع هذا لم تدخل قسم اللغة الانجليرية

قال : قلت لك ان العملية التبشيرية كانت قد اتضحت لى . . وانا عندما أجد أمامي اغراءات غير مبررة اتردد دائما واعيد التفكير محاولا معرفة ما الذى يكمن وراء كل هذه الاغراءات . . ومع هذا كان من الممكن ان أدخل قسم اللغة الانجليزية لولا أنى سألت نفسى سؤالا هاما دائما ما اطرحه على نفسى عندما أجد نفسى فى مفترق طريق . والسؤال هو : ماهى الاضافة الحقيقية التى ساضيفها انا الى دراسة الأدب الانجليزى ؟ وعلى هذا دخلت قسم اللغة العربية وكلي أمل أن تقودني الدراسة الى اضافة شيء جديد .

ـ مالذى رجح دخولك قسم اللغة العربية يا دكتور ؟

قال : شخصية الدكتور طه حسين ، وكنت معجبا به كمثل للقدرة على التغلب على الظروف الشخصية القاهرة ، وشق الطريق بالارادة والمعرفة ، وكنت قد قرأت له قبل طروفي المصرية فصوله التى كان ينشرها من كتابه الأيام في مجلة الهلال . كما أنى لاحظت انه بالفعل أحدث اضافة لدراسة الادب العربي أثرت على أجيال الدارسين من بعده .

قلت : كررت كثيرا كلمة الاضافة كشيء هام وضرورى فماذا تعني بها ؟ .

قال : ـ الاضافة هي الحياة فليس معقولا ان يتقدم جيل جديد للدرس والبحث دون أن يكون هدفه الاساسي هو الاضافة الى ما هو قائم وموجود والاضافة في هذه الحالة تمرد على القديم الى حد ما ، وتقديم الجديد الى أبعد حد وعند دخلت قسم اللغة العربية بكلية الأداب كان هذا الوضع قائما . كان هناك من يدرس اللغة العربية والادب العربي بطريقة محافظة جدا وكان هناك المتمردون



الدكتور عبد الحميد يونس أثناء الحديث مع فاروق خورشيد

والثائرون ، والمتطلعون الى الاضافة أو اتاحة الفرصة لخلق هذه الاضافات المتعددة . فمثلا أنا وجدت مدرس النحو في الكلية يصر على نص التعريفات التى تعلمها في مدرسة محمد علي الابتدائية ، بينما كان هناك أساتذة يعاونون على الرؤية الجديدة في كل شيء ومنهم الاستاذ ابراهيم مصطفى وأستاذى أمين الخولى الذى أدرك أنني مرتبط بالمجتمع ، مرتبط بالحارة ، مرتبط بالقرية . وكنت أرى أن الكثير من دراستنا لا تتناول الأشياء الحقيقية ، أنا لا أعنى العامية كلغة وانما أنا أعنى المعايشة ، ان يكون الدرس ابن الحقيقة والواقع . .

ـ أدب الثورة ـ

قلت : لكى يكون درس الأدب مبنيا على المعايشة يجب أن يكون الأدب نفسه قائما على المعايشة الحقيقية ، ومعبرا عن الواقع

قال وهذا ما أعنيه ، وأنا صغير كان اعجابي الشديد بأدب سنة ١٩١٩ أدب الثورة ، أدب الخطب والشعر والرحل والاغانى التى تترجم عن مخاض الثورة ، ثم عن ثورة الشعب على الاحتلال . وهذا ما دفعني عند الانتهاء من الليسانس ان اتجه الى دراسة أدب سنة ١٩ في الماجستير باعتباره أدبا معايشا يتضمن بلا شك أدبا شعبيا حيا . وقد وافق أستاذى أمين الخولى على هذه الدراسة ولكن واجهتني صعوبة جمع المادة فقد كانت متناثرة ، ولم يكن تتبعها يلائم ظروفي الخاصة . وبهذا اتجهت الى دراسة أدب (بين بين) فكانت دراستي للماجستير عن الظاهر بيبرس ، ورغم صعوبات الدرس فيها الا أن مشاكلها كانت أخف من مشاكل الدكتوراه التى واجهت فيها صعوبات حقيقية وخصوصا من جانب العنصر المحافظ في الكلية . وكانت الدراسة في الدكتوراه كما تعرف عن السيرة الهلالية

ـ القرية والسيرة الشعبية ـ

قلت : ـ ولماذا السيرة الهلالية بالذات ؟

قال : ـ هناك سبب شخصى ، فعندما كنت أذهب الى القرية كنت أسمع الشاعر ينشد هذه السيرة ، وكانت القرية منقسمة بين من ينتسبون القيسية وبين من ينتسبون الى الهلالية . كما وجدت في (خزنة) الكتب في البيت نسخة قديمة من الهلالية قرأتها في وقت مبكر . وقد أحسست القرية تعيش في السيرة ، بل ان السيرة تؤثر العادات والتقاليد بل في الازياء وطريقة الكلام عند الناس . . والواقع ان معظم معلوماتي أسبق من الملاحظة قبل القراءة . ومن هنا كان عملي يتجه الى حد كبير الى الاستفادة من الدرس الميدانى الى جانب الاستفادة من القراءة والتدوين .

قلت : ـ عفوا ، لست أفهم هذه النقطة

قال : أعني بالنسبة لظروفي البصرية الخاصة أنا بالفعل أتمتع بذاكرة بصرية قوية وهي ذاكرة لونية ولونية معقدة أيضا والقراءة والكتابة وسيلة لتحويل المسموع الى مرئى . . والشعر عندى يتحول الى مجموعة نغمات ، هذه النغمات تتحول الى صور تمكن رؤيتها بوضوح من خلال العقل الانسانى فتتحول الى معنى واضح وهذه الظاهرة أيضا تتمثل عندى في الايقاع المصاحب للكلام وهو ما يصل في صورته الأخيرة الى الرقص ولكن في صورته الفنية يمثل الايقاع اضاءة للكلام ، وأنا أقول لطلبتى دائما ان الحركة والاشارة والايماءة جزء من الابانة . وهذا هو الذى جعلنى أكثر حساسية لما حولى ، وأكثر استفادة من الملاحظة الدقيقة لكل ما أسمع .

قلت : ـ فكأن كل معرفة جديدة عندك ، اعادة تركيب

قال اعادة تركيب واكتشاف ، ومن هنا كانت متعة الدراسة الشعبية عندى ، فهذا الميدان اضافة الى عطائنا الأدبي من ناحية ، والى دراساتنا الاجتماعية بالمعنى العام من ناحية أخرى وبعد هذا أصبح الدرس الشعبي استمرارا للتواصل التخصصى ، واستمرارا في نفس الوقت لمحاولة الكشف فأنا الى الآن أكتشف وأنا أقول لتلامذتى دائما ان التخصص ليس شيئا مغلقا ، بل لا بد من الاضافة والكشف مع الاستفادة من المناهج الحديثة التى تقوم على العمل الميدانى والملاحظة الواقعية .

قلت : أنت تكلف الدارس ان يستفيد ممن هو قبله ولكن على ألا يردد ما قبله دون اضافة .

قال : ـ على المستوى الفردى هذا صحيح ، ولكن

المستوى العام هناك أيضا ملاحظة هامة . فمن الحظ اننا لا ننظر نظرة علمية تكاملية الى الدراسة الجامعية بمعنى أن كل من صادفته فكرة يسجلها دراسة الجامعية ويوافق عليها الاستاذ ، ويوافق عليها القسم دون مراجعة للدراسات الجامعية السابقة ، انما يجب قبل الموافقة على دراسة علمية جديدة أن نراجع ما تم ، ونخطط لما ينقصنا في مجال البحث العلمي

- التخطيط للدراسة الجامعية -

قلت . - تعنى داخل التخصص الواحد في جامعة بذاتها

قال · بل أعنى داخل التخصص الواحد في كل الجامعات العربية ككل ، بحيث تتكامل الدراسات ، فثقافتنا واحدة ، وهمومنا واحدة ، وكل بحث جديد يلقى اضاءة على تراثنا ككل فيجب اذن **أن نشترك في التخطيط لكيفية أن تسير الدراسات في نقلات متتابعة ولا تكرر دراسة سبق أن قدمت لجامعة أو أخرى فيضيع الجهد ولا نجد بحثا جديدا**

قلت : - لا يختلف أحد على أهمية هذا ، ولكن هناك ملحوظة هامة بالنسبة لاتجاهك ، فأنت كما تهتم بالادب الشعبي تهتم اهتماما واضحا بالترجمة

قاطعني قائلا . - هذا تكامل في العمل فالاكتشاف لا يسعى أن يسير في اتجاه العمق فقط وانما يسعى أن يتجه أيضا الى الحياة المعاشة حولنا . والحياة العلمية حولنا لن نعرفها الا بالقراءة في اللغات الاخرى وترجمة ما في هذه اللغات الى العربية وفي عهد الصبا كان اهتمامنا بالاطلاع بالانجليزية كبيرا ومن حسن حظنا أن المجلات الانجليزية والكتب كانت ترد وكانت رخيصة الثمن وفكرنا ان نترجم دائرة المعارف البريطانية ، وكانت فكرة طموحة واتصلنا بهم فطلبوا ثلاثة ملايين جنيه استرليني وكان هذا في الثلاثينيات ، وبالطبع ماتت الفكرة وأخذنا نترجم بعض القصص والمقالات وننشرها في المجلات الثقافية الى ان بعث عبد واحد منا هو الدكتور محمد ثابت الفندى فكرة ان نترجم دائرة المعارف الاسلامية على ان نستفيد من الاساتذة المتخصصين في الرد على اراء المستشرقين في بعض المواد وبدأنا العمل بالفعل ثم توقف المشروع لاسباب مالية وادارية . ولكني لم أتوقف عن الترجمة حتى الآن فأنا من هواة الترجمة

قلت · أى أن الترجمة تدخل في اطار الهواية

قال - هي هواية وهي عمل **فالترجمة مكابدة حقيقية فليست المسألة تحويل الالفاظ من لغة الى لغة ، ولا ترجمة المعاني ، وانما المهم هو ترجمة المضامين الفنية وخصوصا في الشعر والقصة والمسرح**

قلت - يثور سؤال هنا عن قدرة اللغة العربية على التعبير عن هذه المعاني والمضامين

قال - لا تنس أن اللغة العربية احتفظت بكيانها ثابتا مدة طويلة . واضافة مفردات جديدة اليها عمل صعب ، ولكننا كنا نتغلب على الصعوبات بعملية نحت وتعبير ، دون أن نغير من تقاليد اللغة العربية نفسها وقد حاولنا نقل العامية الى الفصحى ولكن بحذر

قلت له بمناسبة العامية ألا ترى نقصا في أن تكون استاذا للأدب الشعبي ولا تكتب بالعامية

قال - أنا لا أكتب بالعامية لأن لغتي هي العربية أفكر بها وأكتب بها وأترجم بها أيضا . والأدب الشعبي ليس أدب العامية ، وانما أدب العامية جزء منه يدرس ويناقش وأنا احتفى بالنص العامي وأحاول فهمه ولكني حين أكتب عنه أكتب عنه باللغة الفصحى وهذه مشكلة قديمة وأزلية أعني مشكلة الفصحى والعامية . ولكنها بالنسبة لنا محلولة ، لأن النص العامي لا يأخذ صفة العروبة العامة ، أو لا يصبح من الأدب الشعبي العربي بعامة الا اذا جاء من يصوغه بلغة الأدب الشعبي ، وهي فصحى أو قريبة جدا منها ، ولا نحتفظ من العامية الا ببعض العلاقات الفولكلورية العامة ولكنها أخر الأمر تقريب للعاميات العربية المختلفة ، وتقريب بينها وبين الفصحى الأم ، المهم أن يكون الاتجاه - كما قلت معك في أول الحديث - الى التوحيد لا الى التجزئة ، والعربية الفصحى تجمع وتحقق الارتباط ، وهي قابلة لامتصاص الخلافات والبحث عن صيغ عامة تحقق الالتقاء الثقافي والفكري ، حتى الشعبي منه في كل المنطقة العربية □

المُرَكَّبات سريعة التبخر وتلوث البيئة

بقلم : د . عدنان الظاهر

بعيدا عن مفهوم التلوث المألوف وخطر السموم الكيميائية والموت بالأشعة ، تمثل بعض المركبات المتطايرة أو سريعة التبخر عاملا آخر من عوامل تلوث البيئة . لكن هذا العامل له خصائصه المتميزة ، وعلى رأس هذه الخصائص أنها ليست سامة وانها لاتمثل أي خطر معروف على صحة الانسان وعلى مستقبل أجياله القادمة .

اذا شئنا أن نكون متحفظين فلنقل أن العواقب البايولوجية لأبخرة مثل هذه المركبات لم تدرس بعد بشكل علمي ممهجي .

فيم اذن تصنيفها كعامل من عوامل تلويث البيئة ؟ الجواب : في كونها تنفث روائح كريهة ينفر منها الانسان ولاتتقبلها حاسة الشم لديه . فهي والحالة هذه تصنف ضمن ملوثات الغلاف الجوى بانتشار جزيئاتها فيما بين جزيئات مكونات الهواء الرئيسية وهي النايتروجين ٧٩٪ وغاز الاوكسجين (حوالى ٢٠٪) .

اذن ليس بالضرورة أن يكون عنصر التلوث قاتلا ، بل وكل مامن شأنه أن يسيء الى الذوق العام شما أو بصرا أو حتى سمعا . نعم ، فالاصوات العالية النشاز تلوث المدينة وتسيء لحاسة السمع ، ثم الى الصحة النفسية والبدنية على حد سواء .

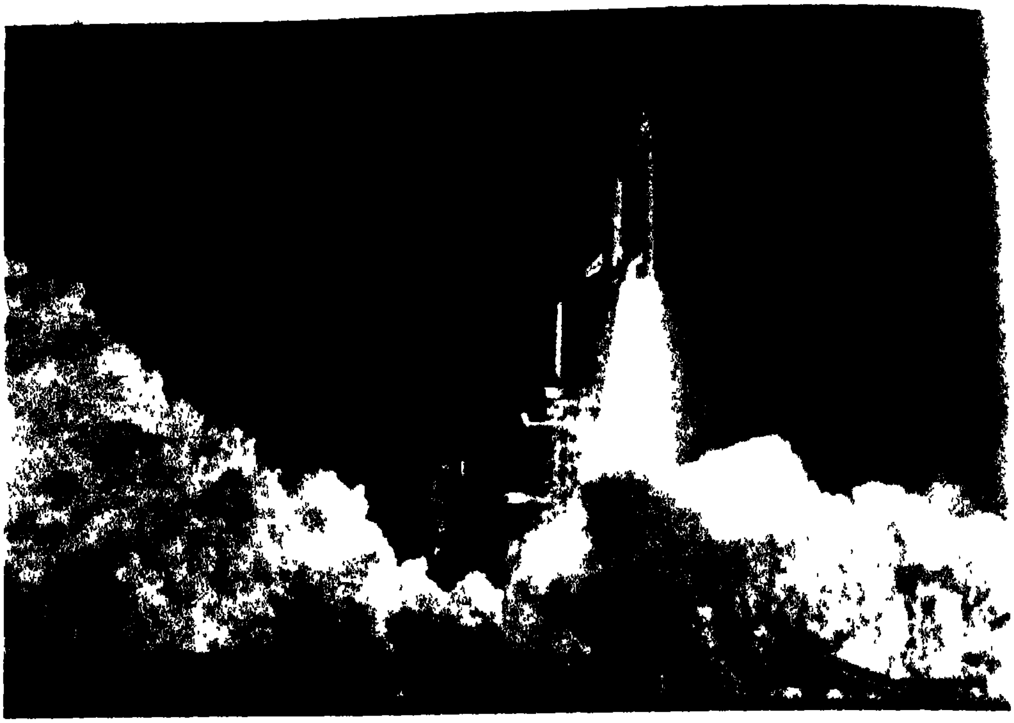
الأمينات والنايتروجين

أظهرت بعض الدراسات أن من بين الروائح الكريهة جدا مركبات أمينية يدخل النايتروجين في تركيبها بدون استثناء ، وبالطبع ليس النايتروجين بحاله مسؤ ولا عن هذه الخاصية المنفرة للذوق . اذ أن غاز النايتروجين كجزيئة ذات ذرتين لا رائحة له ، وهو يشكل النسبة الأعظم في الهواء الذي يحيط بنا .

هذا صحيح ، ولكن يوازيه في الصحة القول ان ليس كل المركبات التى يحتوي بناؤها على ذرة نايتروجين أو أكثر تتميز بالرائحة الكريهة . وأحسن مثال على ذلك محلول الأمونيا (النشادر) أو بخارها . صحيح أنه نفاذ وصادم ، لذلك يستخدم أحيانا في المستشفيات للتنبيه من حالة الاغماء أو بعض حالات الغيبوبة ، كشميم للغائب عن الوعى أو المغمى عليه .

لكن رائحة الأمونيا على أية حال ليست كريهة ، ولذا يستخدم هذا السائل كذلك في البيوت كمنظف جيد .

في جزئية الأمونيا ذرة نايتروجين واحدة ترتبط بها ثلاث ذرات هايدروجين . اذن هل هناك علاقة بين عدد ذرات النايتروجين في جزئية ما وبين خصائص هذه الجزئية الشمية ؟ وهل هناك علاقة بين هذه الخصائص وترتيب ونوع ارتباطات ذرة أو ذرات



النايتروجين بذرات العناصر الأخرى التي تشكل البناء الهندسي والتوزع الفضائي النهائي للجزئية ؟

ليس من اجابة شافية عن السؤال الاول بعد ، ولكن التركيب الجزئي المعروف يجيب عن السؤال الثاني بنعم فحين تحل مجموعة المثيل ch_3 Methyl group محل ذرة هايدروجين في جزيئة الامونيا nh_3 وتكون رابطة كيميائية جديدة لم تكن موجودة أصلا في جزيئة الامونيا - انها الآصرة التي تربط ذرة النايتروجين الأساسية الوحيدة بذرة الكربون القادمة مع مجموعة المثيل - يبقى المركب الجديد ويسمى الامين المثيل $ch_3 nh_2$ Methylamine محتفظا برائحة الأمونيا النفاذة الصادمة لخلايا حاسة الشم ، ولكن الصورة تنقلب كلية اذ تحل مجموعتا مثيل محل ذرتي هايدروجين في جزيئة الأمونيا ، عندئذ يكتسب المركب الجديد ويسمى الأمين ثنائي المثيل رائحة كريهة لايطيقها المرء .

وكذلك الأمر فيما لو حلت ثلاث مجاميع محل ذرات الهايدروجين الثلاث في جزيئة الأمونيا فهنا تصبح الرائحة أكثر قوة وأشد ازعاجا للانسان والبيئة ويتفاقم الأمر أكثر عندما تحل مجموعتا اثيل Ethyl group او اكثر محل عدد مساو من ذرات الهايدروجين ، فتكون النواتج هي الأمين ثنائي الاثيل والأمين ثلاثي الاثيل

ويكون لهذين المركبين روائح أشد إيلاما للنسيج المخاطي الذي يبطن الانف والحنجرة وباقي ممرات الجهاز التنفسي المعتادة الدور الذي تلعبه مجاميع المثيل في تحول رائحة الأمونيا من شيء مقبول الى اخر كريه لايطاق يجعلنا نركز على أمر نفهمه أكثر عن طريق الاستدلال بالمقارنات ، أردت أن أقول أن ذرة الكربون بالذات المحاطة بثلاث ذرات هايدروجين (في مجموعة المثيل) هي السبب الأول والأخير في اعطاء المركب الجديد ، الأمين ثنائي أو ثلاثي المثيل هذه السمة الشمية الكريهة . فالأمر قريب جدا من جزيئة غاز الميثان Ch_4 حيث تحيط بذرة الكاربون المركزية أربع ذرات هايدروجين كما هو واضح من التركيب الجزئي ورائحة هذا الغاز السام القاتل معروفة وكثيرا ما يتسبب في قتل عمال المناجم وطيور الكناري وعمال تنظيف البالوعات وحفر بقايا المفصلات الادمية قبل اتباع هندسة المجاري الحديثة . هناك مركبات كيميائية أخرى مشهورة

الراهن للبيئة ،وجماهير القراء الواسعة، فيطلع على الناس بانتاج مبهم غريب على ثقافتهم وأذواقهم . والآخر يراهن بالعكس على الماضي غير آبه بمتطلبات العصر ، فيطلع على الناس بإنتاج مستهلك مبتذل لا يرضي طموح البشر العميق الى الجديد ، وكأن جماهير القراء بغريزتها الصادقة ، اذ ترفض الاثنين معا ، تعبر عن موقف ثالث لا تستطيع أن تبلوره في مواصفات محددة ، غير ان التجربة الزمنية تثبت يوما بعد يوم أن كثيرا من التجارب الشعرية المحدثة الناجحة كانت ، في نهاية التحليل ، تجسيدا عمليا ملهما لهذا المناخ السديمي الذي ما يزال في طور الشكل داخل الوجدان الجماعي ، الذي استطاع الشاعر أن يبرزه بطاقة خاصة من موهبته واخلاصه في الاصغاء الى صوته الداخلي من جهة ، وصوت التراث والبيئة المحلية من جهة أخرى ، في اطار متكامل مع العصر.

رفض الموسيقا

وفي الايقاع اندفع كثيرون أيضا متأثرين بالترجمات النثرية عن الشعر الغربي ، ومتطلبات التعبير المعاصرة المتطرفة ، أو بالهبوط المستمر للمناهج التربوية في تدريس اللغة العربية ،وعدم العناية بتعليم العروض العربي المدهش بغناه الايقاعي ، والمتميز تميزا كبيرا بأصالته وألوانه المتنوعة ، اضافة الى دوافع أخرى مشبوهة متأثرة بشكل أو بآخر بالمشروع العالمي التدميري لاصالة الشعوب والانسان في العالم المتخلف الغارق في التبعية . كل ذلك دفع الكثيرين من الشعراء الى نبذ التراث العَروضيّ نبذا تاماوتبني ما يسمى بقصيدة النثر بديلا للشعر الايقاعي.ورفض أية محاولة في تحديد الايقاع في الشعر ليس التزاما بموسيقا خارجية كما يقولون ، وانما هو تلبية لغريزة أصيلة في الانسان وخصوصا لدى الشعوب ذات التراث العريق .

وضع القارىء العربي

لعل أهم المؤثرات التي دفعت وما تزال تدفع القارىء العربي الى الابتعاد عن ميدان الشعر هو ما يسمى بنمط الحياة الاستهلاكية التي اجتاحت المجتمع العربي ، هذا النمط من الحياة الذي يجعل التعامل مع الاشياء عامة خاضعا لقانون الفائدة المادية المباشرة .

ان الاهتمام بقراءة الشعر محتاج الى انسان قادر حقا على أن يخلو الى نفسه ، وان يجد متعة فعلية في تأمل ذاته والحياة من حوله تأملا روحيا صافيا بعيدا عن الرغبات النفعية المباشرة . هذا الصفاء الداخلي لا توفره المجتمعات الحديثة بسهولة ، واذا كان لابد من القراءة فان الناس باتوا يهتمون بالروايات المثيرة القادرة على منافسة السينما والتلفاز أو في أحسن الأحوال بالبحوث والدراسات الجادة التي يعتقدون انها اكثر جدوى في فهم ما يجري في العالم . لقد باتت قراءة الشعر اذن نوعا من الترف أو بتعبير أدق مضيعة للوقت الذي بات ضيقا جدا في عصر الاستهلاك والسرعة ، والتزاحم .

أما العامل الآخر المؤثر فهو راجع ، في اعتقادي ، الى المناخ المعنوي الهابط الذي خلفته الهزائم والنكسات القومية المتلاحقة منذ بداية عصر النهضة حتى الآن ، والى الفراغ الروحي الكبير الذي كرسه افلاس الايدولوجيات العربية المختلفة وأنظمة الحكم التي عقد عليها المواطنون آمالا كبيرة في العقود الماضية .

في أجواء الهزيمة

لقد كان الشعر في أيام الصعود الوطني في الاربعينيات والخمسينيات خاصة هو الفن الادبي الاكثر نشاطا وتأثيرا في الجماهير المتوقدة حماسة آنذاك . ومازلت اذكر - وأنا من الذين اسهموا الى حد كبير في غمار هذا التيار إبّان الخمسينيات - التجاوب العاطفي والفكري العميق الذي كانت تحدثه قصائدنا المنشورة أو الملقاة من على المنابر . لقد كان ثمة نوع من القناعة لدى الشاعر والقارىء بأن الشعر هو التعبير الامثل عن هذه الروح الوطنية الصاعدة ، وأنه أكثر الفنون قدرة على الاسهام في عملية التغيير الاجتماعي بسبب المناخ الديمقراطي النسبي الذي كان سائدا في تلك العهود . كان الناس واثقين من انفسهم ، وبالتالي من شعرائهم ، ولكن

بخصائصها السمية أو بروائحها الكريهة ، تتميز بدحول ذرات معينة في تركيبهاالجزئي (وهو أمر يدعو للمزيد من التأمل) وأبرز هذه الذرات هي الكبريت كما في حالة غاز كبريتيد الهايدروجين وغاز ثانى أوكسيد الكبريت السام ثم درة الفسفور كما في غاز الفوسفين والكلور والكاربون في الفوسجين القاتل الذي ينطلق من أوانى ومعدات البلاستيك المصنوع من مادة الكلوريد متعدد الفنايل نتيجة حرقها أو احتراقها قضاء وقدرا . وآخيرا ذرة النايتروجين كما في حالة غازات النايتروجين ، ولا سيما أول أوكسيد النايتروجين وثانى أوكسيده وهي تعتبر من ملوثات الحو الغازية السامة وذات الخطورة . العريب في الأمر - ولاغرابة في العلم - ان هذه العناصر غير الفلزية تدحل في تركيب أعضاء جسم الانسان المختلفة ، ونقص أحدها يؤدي الى مالاحصر له من العيوب والمضار التى تتهدد صحة الانسان ، فالضار نافع والنافع ضار ، ولاننسى أن في القليل من سموم الأفاعى العلاج الشافى للكثير من الأمراض .

لست ادري أمن المجدي اثارة السؤال القديم حول طبيعة تأثير الروائح الكريهة : أهو ذاتى أم موضوعى ؟ أي أهو كائن في التركيب الخاص لمادة خاصة ، أم أنه تأثر خاص لخلايا معينة في أجسادنا ؟ ثم لماذا تؤثر مركبات خاصة في خلايا خاصة وكيف ؟ لقد أخلت الفلسفة مكانها للعلم ، وفي التفاعلات الكيميائية نحد عادة الجواب الشافى .

تجربة علمية :

قامت مجموعة (١) من الباحثين الكيميائيين في مركز أبحاث التلوث البيئي في مدينة أوساكا وَ الهدسة في جامعة هيروشيما في اليابان عام ٨٣ تجربة رائدة اكتشفت فيها بطريقة الكروماتوغ الغازية المكيفة تكيفا خاصا للكشف عن آثار بعد الغازات في الجو . لقد ركز هؤلاء البحاثة على أما وبيئات خاصة وكما يلي :

١ - جمعوا عينات من هواء زريبة ماشية .

٢ - وعينات هواء من منطقة خاصة لتخمير فضلات المواشى .

٣ - وغازات ناتجة عن تخمير فضلات خنازير

٤ - وهواء من حقل دواجن

٥ - ونماذج هواء من حوالى جهاز تخمير فضلات دجاج وطيور .

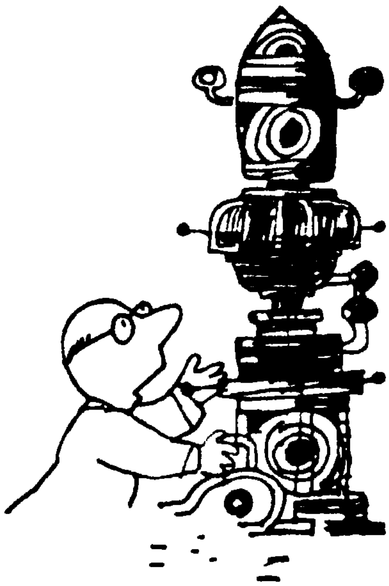
فمادا اكتشف هؤلاء البحاثة ؟ لقد أكتشفوا وجود غاز الأمين ثلاثى المثيل TRIMETHYLA-MINE في هواء زريبة المواشى بتركيز يساوي ٨/ جزء في البليون كما وجدوا غاز مركب الامين المثيل Methylamine في الجو المحيط بجهاز تخمير فضلات الدجاج والطيور بتركيز تبلغ ٩٧٪ . . جزء في البليون فضلا عن الأمين ثلاثى المثيل بتركيز يضاهى ماوجدوه في أجواء حظيرة الأبقار .

هذة التجربة تثبت بشكل قاطع أن الروائح الكريهة التى نشمها في أو بالقرب من حظائر المواشى والطيور وأماكن لفظ فضلاتها (وربما يصح الأمر على الخيول وفضلات الانسان أيضا) انما سببها مركبات كيميائية من نوع الأمينات التى يدخل كل من عنصري النايتروجين والكربون في تركيبها بالاضافة الى الهايدروجين . □

العناية بالتربية البدنية

○ من الحكم اليونانية المشهورة . العقل السليم في الجسم السليم ، وقد اهتم أجدادنا بالرياضة البدنية والالعاب الحرة التي يرتاح لها الأطفال بغريزتهم ويقومون عليها برغبتهم وفطرتهم .

قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين : ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جيلا يستريح اليه من تعب الكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا .



طبيعة الإبداع

بقلم الدكتور . فاخر عاقل

يستطيع دارس الابداع وطبعته وركانزه ان يقول مطمئنا إن دراسات الابداع وصلت اليوم الى ما وصلت اليه دراسات الذكاء في الخمسينيات من هذا القرن ، أي أن طبيعة الابداع أصبحت معروفة . وركانزه مستقرة

النصف الأول من هذا القرن يعد الزمان الذي درس فيه الذكاء من هذا القرن يعد الزمان الذى درس فيه الذكاء وبحثت طبيعته ووضعت روائزه ، فان النصف الثاني هو الزمان الذى درس فيه الابداع والمبدعون ، فعينت طبيعة الابداع ، ووضعت روائزه وكثر الكلام على تربية المبدعين

وما نظنا بحاجة الى بيان الصلة الوثيقة بين هذين النوعين من الدراسات ، والعلاقة الطبيعيه بين الذكاء والابداع ، مما نشعر به حين نتحدث عن الابداع حديثا مفصلا ، ولعله من المفيد ان نسارع فنقول (إن كل مبدع ذكي) ولكن ليس كل ذكي مبدعا بالضرورة ذلك لان الذكاء شرط أساسي من شروط الابداع ، ولكن الذكاء بحد ذاته غير كاف للابداع

طبيعة الابداع :

ويرى (تورانس) أنه منذ الولادة يبدو بعض الأطفال أكثر ابداعا من البعض الآخر ، انهم فعالون ونشيطون ، وينتبهون وكأنهم يلاحظون كل شيء ، ويستجيبون لكل صوت أو لمحة ، ... انهم يتعلمون بسرعة كيف يفقدون حاجاتهم وطلباتهم الى من حولهم ، وكيف يفسرون سلوك هؤلاء الذين يحيطون بهم انهم يتفحصون كل شيء ، وما ان يبدأوا بالحبو حتى يحشروا أنوفهم في كل أمر وحينئذ نقول ، انهم فضوليون

ومن الغريب ان هذه الفروق الفردية في الابداع تمحى بواسطة الطريقة التي يلجأ إليها الأهل في مواجهتهم هذه القدرة الابداعيه وهذا الفضول وبطبيعة الحال فإن الأمر لا يقتصر على الأهل بل

يتعداهم إلى كل من يحيط بالطفل ويلعب دورا في حياته . وكلما تقدم العمر بالطفل فان الفروق الفردية التي تُلاحط بينه وبين سواه من الأطفال فيما يخص الابداع تبدو وكأنها عائدة بكاملها الى الخبرة وليس الى الوراثة . وبما أن فعالية الأطفال الصغار ونشاطهم أمر يزعج الراشدين ويتعبهم فانهم لايشجعون مثل هذه الفعاليات والنشاطات . وليس من المبالغة أن نقول ان الطفل النشيط الطلعة يعاقب على سلوكه هذا أكثر من الطفل (الوديع) الطيع .

ويقول (كاتينا) إنه لو كان السلوك الابداعي محددا بالوراثة فان الأهل والمعلمين لا يستطيعون فعل الشيء الكثير لزيادته . لكن الحقائق تدل على خطأ هذا الاعتقاد ، كما تدل على أن كيفية معاملة السلوك الابداعي للطفل من قبل الأهل وسواهم ممن يحيطون به هي أكثر أهمية .

ومن هنا كان اهتمام علماء النفس بفهم قابليات الطفل الابداعية والمساعدة على تنميتها ، بل انهم تعدوا ذلك الى الاهتمام بالقدرات الابداعية لدى الراشدين ، واقترحوا طرائق عدة لتعليم الأطفال والمراهقين والراشدين كيفية التفكير بطريقة أكثر ابداعا .

ان الأمم المتحضرة اليوم تبحث عن المبدعين من أبنائها في كل مجال من مجالات المعرفة ، بل هي توجدهم وتسهل لهم سبل العمل والابتكار ، وتعطيهم من اهتمامها وتشجيعها وسخائها المادي ما يسمح لهم بالانطلاق في آفاق الاختراع والاكتشاف والتقدم ، وماأحوجنا نحن العرب الى المبدعين المبتكرين ، ينطلقون بنا الى حيث يجب أن نكون بين أمم العالم المتقدمة .

قدرات التفكير المبدع الأربع :

القادة في دراسة الابداع وروائزه وهم (غيلفورد) و (تورانس) و (كاتينا) يرون أن قدرات التفكير المبدع الأربع هي : الطلاقة ، والمرونة ، والأصالة ، والتوسيع . وسنمر بها سراعا الواحدة تلو الأخرى .

اما الطلاقة فهي القدرة على انتاج العديد من الأفكار فيما يخص مهمة ما . ولنضرب على ذلك أن انسانا طلب اليه أن يفكر في استعمالات غير عا[illegible] للقرميد ، وحينئذ فانه قد يقول : « ان من المم[illegible] قذف الآخرين به ، أو استعماله كثقل يوضع ف[illegible] الأوراق ليمنع تطايرها ، أو تغليفه بالشيكولا[illegible] وتقديمه الى صديق بوصفه قالب حلوى ، وذل[illegible] بمناسبة عيد ميلاد الصديق بقصد النكتة ، أو تسخي[illegible] واستعماله كمكواة ، أو وضعه فوق قطعة خش[illegible] لتغطيسها في الماء» .

لقد أعطى هذا الشخص خمسة استعمالا[illegible] للقرميد غير مألوفة ، فاذا ما خصصت علامة واحد[illegible] لكل استعمال فان هذا الشخص ينال خم[illegible] علامات ، ولو أنه أعطانا عشرين فكرة فانه ينال عشرين علامة في الطلاقة . وبالطبع فانه كلما زاد عدد الأفكار المعطاة ارتفع مستوى الانسان في الطلاقة

وأما المرونة فهي القدرة على انتاج الأفكار التي تظهر تحرك الانسان من مستوى تفكير الى آخر ، أو نقلاته التفكيرية بالنسبة الى مهمة معينة . ان الافكار التي تكرر الأعمال ذاتها لاتظهر مثل هذه النقلات التفكيرية ، ومثال ذلك أن اثنين من استعمالات القرميد آنفة الذكر وهما · استعمال القرميد كثقل لمنع تطاير الاوراق ، ووضعه فوق الخشب لتغطيسه في الماء ، إن هذين الاستعمالين متماثلان ، ففي الحالتين يستعمل القرميد كثقل ولذلك فليس ثمة اية نقلة في التفكير . أما الاستعمالات الثلاثة الأخرى فتقوم بمهام مختلفة ، وتظهر نقلات في التفكير أو أصالة فيه . وهكذا يحصل الشخص المذكور سابقا على أربع علامات فقط فيما يخص المرونة .

وأما التوسيع فهو القدرة على اضافة التفاصيل الى فكرة اساسية ثم انتاجها . افرض أنك أعطيت انسانا عددا من المربعات ، وطلبت اليه أن يفكر وأن ينتج أفكارا لم يُسبق اليها وأن يرسم صورا مستعملا هذه المربعات . انه قد يستعمل المربع في رسم (باب) ، وقد يعطي الصورة اسم (باب) فاذا ما أضاف الى الصورة مقبضا وتزيينات ، ووضع عليها لوحة باسم صاحب البيت ، وثقبا للعين السحرية وغير ذلك ، فانه يكون قد وسع فكرة الباب الاساسية ، وحينئذ يمكن أن يعطى علامة على كل تفصيل اضافة الى الفكرة الأساسية ، فكرة الباب . لكن وضع

مقبض لايعطي أية علامة بالنسبة للتوسيع وذلك على اعتبار أنه بدون مقبض لايكون المربع تاما .

وأخيرا فان الاصالة القدرة على انتاج أفكار غير عادية ولايستطيع انتاجها الكثيرون من الناس ، انها أفكار بعيدة وذكية . وواحدة من أكثر الطرائف المستعملة في روائز الأصالة ، هي وضع علامات للأفكار التي يقدمها خمسة أشخاص أو أقل من بين مائة شخص ، وفي بعض الأحيان تعطى للأفكار مابين خمس علامات للأفكار الجديدة تماما ، وعلامة واحدة للأفكار المألوفة . والأفكار التي ينتجها أكثر من خمسة أشخاص من بين مائة شخص تعطى صفرا ، فاذا ما جمعت كل العلامات التي يحصل عليها الانسان حصلت على تقدير رقمي لأصالته

وقد أضاف (تورانس) ومعاونوه مؤخرا قدرات جديدة الى القدرات الأربع المذكورة أعلاه ، الا وهي . القدرة على التحليل والتجريد ، والقدرة على الاغلاق أى القدرة على تأجيل إكمال مهمة ما الى وقت يسمح بانتاج الافكار الاصيلة

التفكير المطابق والتفكير المجانف :

ويميز علماء النفس بين نوعين رئيسيين من التفكير هما . التفكير المطابق والتفكير المجانف

والتفكير المطابق هو بساطة التفكير وفق الطرائق العادية المألوفة . اما التفكير المجانف فهو التفكير وفق طرائق جديدة غير مألوفة ولا مكرورة

ويرى علماء النفس أن الناس بصورة عامة - يقسمون الى قسمين أساسيين وهما المفكرون تفكيرا مطابقا ، والمفكرون تفكيرا مجانفا ، كما يرون أن المبدعين الأصليين هم ذوو التفكير المجانف .

ومن سوء الحظ أن التفكير المطابق أى التفكير وفق الطرائق المألوفة هو ما يشجعه المربون غير الواعين من آباء وأمهات ومعلمين وسواهم ، مما يقتل في الطفل القدرات الابداعية ، ويجعل منه انسانا عاديا لا يبتكر ولايثور ولايغاير ، ولذلك فهو في نظرهم طفل (مثالي) وهو الجدير - فيما يزعمون - بالنجاح والتقدم

والحق ان التفكير المجانف هو التفكير الذى يقود الى الابتكار والاختراع والابداع ، ولذلك فان علماء النفس والتربية اليوم يشجعون هذا النوع من التفكير ويوجدون الطرائق والوسائل التي تعين على استغلال هذا النوع من التفكير بعد تفتيحه واظهاره

ان واحدا من الأمور المهمة التي قام بها (جيلفورد) هي توجيه اهتمام علماء النفس لا الى الطرق المختلفة التي تظهر ذكاء الانسان وابداعه فحسب ، وانما - إضافة الى ذلك - الى التفكير الذى يستطيع ان يقود الى العديد من البدائل المختلفة ، التي توصل الى الأجوبة عن التساؤلات وحلول المشكلات ، وبالتالي الى الابداع ان هذه القدرة متصلة اتصالا وثيقا بالتفكير المجانف والقدرة على التحويل والتركيب واعادة التعريف

ويرى علماء النفس أن كل إنسان يمكن أن يكون مبدعا في مجال أو مجالات معينة ، ولكن يبقى أن تعنى التربية والمربون باظهار قدرات الانسان - كل انسان - وأن تفتحها وتشجعها وتهيىء لها الفرص اللازمة ، وحينئذ يقدم الفرد ابداعه وابتكاراته لمجتمعه وأمته ، لاسيما وأن الأمم تتنافس الآن في عدد المبدعين في كل منها ونوعهم وقدرتهم على العطاء .

□

■ قال أحد البخلاء الأغنياء لخادمه : هات الطعام . وأغلق الباب .

فقال الخادم . . ياسيدي هذا خطأ .

قال : ولماذا ؟

قال الخادم : قل أغلق الباب . . وهات الطعام . .

فقال له السيد : أنت حر لوجه الله . لمعرفتك بعزم الأمور .

غارقة في العيون

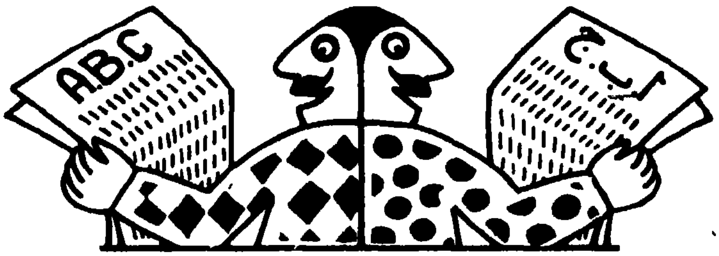
شعر : فاروق شوشة

من وحي المهرجان الشعري الذي عقد في بغداد ـ في اطار احتفالات اعياد المرأة العراقية ـ وشارك فيه الشاعر ممثلا لشعراء مصر » .

أخرستني العيون والأحداقُ
فكلامي الشّرودُ ، والإطراقُ
الخُطى لهفةٌ ، وبعضُ انعطافِ النفس
وجدٌ وغربةٌ واشتياق
وجناحان من حَنينٍ يَرِفّا
نِ ، فهدأ المدى ضُحىً وانعتاق
والهوى مركبي لدار حماها
وحماها النجومُ والأشواق
قيَّدتني سبيكةُ العطر فارتعْـ
ت وللعطر سطوةٌ ووثاق
واحتوتني مفاتن السحر ، لحظٌ
بابليٌّ ، وكرمةٌ وعناق
واستُبيحت ممالكي ، فخيالي
مُشْرَئِب الخُطا ، وقلبي يساق
والهوى دائرُ الحُميّا ، فقلبٌ
مستحير اللظى ، وقلبٌ مراق
عنْفوان الجمال يَغْتُو ، فأهفو
وبعينيّ من لظاهُ احتراق



حيثما درتُ، يصعدُ الدفءُ طقسا
عبقريا، وتجهش الأعـ ـاق
ويغيب المخْلُ الجديبُ، وتْحيا
مس حديد وتُنْبِتُ الأوراق
خفرٌ في العيون، ان تكتُم الشُجو
وللشحو في العيون انبثاق
وارتدادٌ الى المسافات ينأْس،
وينأى الوميض والإسراق
السنون التي قطعنا.. اغترابٌ
والطريقُ التي احتوتْنا فراق
غارقٌ في العيون، هيهات أطمو
يالَقلْبِ يلَذُّهُ الاغراق
رب ألقيتي بوادٍ طليل
تتمى وُرُودَهُ العشّاق
ما الذي الآن أشتكي؟ رُبَّ نُعمى
قتلتني، وللعبير احتراق
قد يُطاق الجمالُ فرْدا ونكس
كلُّ هذا الجمال كيف يُطاق!



حكايات شرق وغرب

عيد ميلاد « سعيد جدا ! »

● كانت مفاجأة لحرس السجن في لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، عندما عرض السجين « سوتيللو » أن يعد لهم مأدبة عشاء فاخر بمناسبة عيد ميلاده الأربعين . فقد كانوا يعلمون أن سوتيللو كان يعمل رئيسا لطهاة أحد الفنادق الكبرى ، قبل أن يدخل السجن بتهمة الاعتداء على الزبائن !

وأعد الحرس مطبخ السجن ، واشتروا اللحوم والخضراوات والأسماك التي سيقوم الطاهي باعدادها شخصيا وتقديمها لهم على مائدة العشاء . . وبدأ « سوتيللو » المكسيكي الأصل يعمل في هدوء ، وامتلأ الجو برائحة اللحوم والأسماك المشوية ، وسال لعاب الحرس ، وراحوا يتعجلون الرجل لكي يفرغ من اعداد الأطباق الشهية التي كانوا ينتظرونها !

وأخيرا خرجت الأطباق من المطبخ يحملها « سوتيللو » ويرصها بنفسه فوق المائدة . . وجلس الجميع حولها يأكلون ويمتدحون صاحب هذه الأيدي الماهرة ، التي قدمت لهم ألذ وأشهى وجبة منذ جاءوا لحراسة المسجونين في هذا السجن المظلم القديم !

ثم حدثت المفاجأة عندما بدأ رجال الحرس يشعرون بالنعاس . . وفي البداية حاولوا مقاومة هذه الرغبة المفاجئة للنوم حتى يستطيعوا الاستمتاع بتناول الأطباق اللذيذة . . ولكن مقاومتهم ما لبثت أن انهارت . . وذهب الجميع في نوم عميق . !

ومن وراء باب المطبخ كان الطاهي الماهر ينتظر هذه اللحظة ، حتى اذا ما تأكد من أن جميع الحراس وعددهم ثمانية غير مدير السجن الذي وجهوا اليه الدعوة ليشاركهم هذا العشاء الشهي ، قد أغمضوا عيونهم واستغرقوا في النوم ، راح ينقلهم الواحد بعد الآخر الى الزنزانة التي كان يقيم هو فيها ، ثم أغلق عليهم الباب بالمفتاح الذي ألقى به بعد ذلك في بالوعة المطبخ ، ثم خلع ملابس السجن ، وارتدى ملابسه في هدوء ، وخرج من الباب الرئيسي ، وقد وضع فوق رأسه قبعة مدير السجن ، وراح يرد تحية الحرس الخارجي في كبرياء حتى اختفى تماما !

ماذا حدث ؟ لقد وضع « سوتيللو » الأقراص المنومة التي هربها اليه أصدقاؤه داخل أرغفة الخبز التي كانوا يحملونها اليه في أطباق الطعام الذي قدمه للحرس في عيد ميلاده . وقد اتضح أنه كان يستعد للاحتفال بهذه المناسبة داخل السجن ، منذ أن دخله قبل ثلاثة أشهر ! !



الحياة سنة ٢٠٠٠ !

الأطفال الذين يولدون اليوم لن يتجاوزوا الرابعة عشرة من أعمارهم ، عندما يحتفل العالم باستقبال سنة ٢٠٠٠ . سوف يعيش الطفل الذي جاء الى الدنيا في هذه الأيام ، شبابه ورجولته في القرن الحادي والعشرين ، وسيكون عالمه مختلفا اختلافا مذهلا عن العالم الذي نعيش فيه اليوم ، كما اختلف عالمنا عن عالم أجدادنا وربما أكثر !

سوف يصبح هذا الطفل قادرا على أن يعرف في خلال ثوان معدودة الاجابة عن أي سؤال بمجرد الضغط على زر صغير من أزرار الكومبيوتر . سوف يقف وسط بيته ويعطي الأوامر شفويا الى الفرن الذي يعمل بالموجة القصيرة ، والى ماكينة غسل الأطباق ، والانسان الآلي الذي يعمل في خدمته .

أما سيارته فلن تكون في حاجة الى البترول ، فسوف تستعيض عن هذه الطاقة التقليديه بالفحم السائل أو عصير قصب السكر . وسيحتوي طعامه على بعض أنواع أوراق الشجر والطحالب . وسوف يتمكن الجراحون من اجراء عمليات زرع مخ جديد ، وقلب اصطناعي كامل يعمل بالطاقة الكهربائية .

هذه بعض التنبؤات التي ظهرت حديثا في كتاب جديد بعنوان « الحياة في المستقبل » التي حاول فيها المؤلف « اسيموف » أن يرسم لنا صورة لشكل الحياة سنة ٢٠٠٠ ، أو بعد مرور بضع سنوات من اليوم .

ويقول المؤلف في كتابه : « واذا تقدمت صناعة السيارات بنفس السرعة التي تتقدم بها صناعة أجهزة الكومبيوتر ، فسوف نجد سيارة الأسرة الصغيرة تسير بلتر واحد من الوقود الذي يكفيها مدى الحياة ، ولا تكلف صاحبها أكثر من خمسة جنيهات استرلينية ! »



ثم يقول « ان اليابانيين قد تمكنوا حديثا من انتاج آلة تستمع الى أي حديث بالانجليزية وتترجمه فورا الى اليابانية ، وهم يؤكدون أن الترجمة الفورية من أية لغة الى لغة أخرى سوف تتحقق بفضل هذه الآلة مع قدوم عام ٢٠٠٠ !

ومع اطلالة القرن الجديد الحادي والعشرين سوف يتمكن الانسان من الحديث الى أي شخص في أي مكان من العالم عن طريق الراديو ، في ساعة اليد الصغيرة التي يضعها حول معصمه ، وبفضل الأقمار الصناعية القوية التي تنتشر في الفضاء !

وسوف يعمل الملايين من البشر من منازلهم ، عن طريق أجهزة الكومبيوتر ، واذا أراد أن ينتقل من مكان لآخر ، فسوف تتولى السيارة التي يوجهها جهاز الكومبيوتر ، أو القطار الذي ينطلق بلا سائق بسرعة لا تسمح بملامسته المحط الحديدي المعد لسيره ، مهمة نقله الى المكان الذي يريد الذهاب اليه .

بقي بعد هذا الشبح المظلم الذي يخيم على الحياة في القرن الحادي والعشرين ، وهو الحرب النووية . ثم يعدد الكتاب بعض الدول الصغيرة التي قد تسعى لاستملاك القنبلة الذرية قبل مجيء القرن الجديد !!

.. ووجد الأب « الحرية » التي يبحث عنها !

عندما ترك كالفين موس بيته وزوجته وطفله الصغير روبرت الذي لم يكن قد بلغ بعد العام الخامس من عمره ، كان يريد أن يجد « الحرية » التي افتقدها بعد الزواج ! فقد كان موس يقول لاصدقائه ان الزواج سجن بلا أبواب ، ولابد من تحطيمه اذا كنت تريد الخروج منه !

ودهب موس الى حيث لا يعلم أحد ، وابتلعه الشارع بمدينة كليفلند بولاية أوهايو الأمريكية ، ومضى على هدا الحادث أكثر من اثنين وعشرين عاما ، انقطعت خلالها كل صلة كانت تربط الأب الهارب وأسرته الصغيرة !

ثم كان اللقاء أخيرا ، ولكنه كان لقاء مثيرا حافلا بالذكريات التي صحت فجأة من رقادها . فقد قبض بوليس الولاية على الأب كالفين موس وقدم للمحاكمة بتهمة تعاطي المخدرات وبيعها ، وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما !

ودخل موس زنزانته ، ومرت بضعة أيام قبل أن يكتشف أن جاره في الزنزانة الملاصقة له تماما يحمل نفس الاسم ، وسأله : « من تكون أنت يا بني ؟ » فقال : « أنا روبرت موس . وقد دخلت السجن لأمضي فيه عشر سنوات ، بعد أن اعترفت بتهمة السرقة من أحد المحال التجارية الكبرى ! »

وراح الأب يتفرس في وجه الشاب الذي كان يحدثه وهو يبكي : « لقد تركنا أبي ورحل منذ سنوات طويلة مضت . رحل ، كما قالت لي أمي ، بحثا عن الحرية . . ولا بد أنه وجدها ، لأنه لم يعد اليد مرة واحدة منذ رحيله ! »

وسقط الأب على الأرض بعد أن عجزت ساقاه عن حمله . . سقط وهو يتمتم : « روبرت ابني . سجين مثلي لأنه لص ، يا لها من حرية ! »

وفي صباح اليوم التالي عرف الابن القصة . عرف أن جاره هو والده الذي لم يكف عن البحث عنه لسنوات طويلة بعد رحيله . عرفها من حارس السجن الذي كان بجواره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

. . ومات المدرس بطلا !

● كان الملازم السابق في الجيش السوفيتي « يوري ليلكوف » يشرح لتلاميذه الصغار في الفصل كيفية اطلاق مفعول القنابل اليدوية ، كجزء من التدريب العسكري في المدارس ، وقال الملازم المدرس لتلاميذه وهو يمسك باحدى هذه القنابل بين يديه : « كل ما يجب عليكم أن تفعلوه هو الضغط على صمام الأمان ، ثم شد الحلقة الى الخارج !

راقبوني جيدا وأنا أقوم بهذه العملية البسيطة أمامكم !! »

وضغط المدرس على الصمام وشد الحلقة الى الخارج ثم عاد يوري يقول : « والآن عندما أترك الصمام ويعود الى مكانه الأول سوف تسمعون صوتا يشبه دقة الساعة ، لأن هذه القنبلة هي مجرد نموذج لقنبلة حقيقية ، فالأمر يختلف مع الثانية ، لأننا عندما نعيد الصمام الى مكانه ينطلق عمود رفيع من الدخان ، ثم يحدث الانفجار بعد لحظات من القاء القنبلة على الهدف ! »

وقام ليلكوف بما كان يزمع القيام به وهو منهمك في الشرح لتلاميذه ، ولكنه ما كاد يفعل حتى شاهد عمودا من الدخان يخرج من القنبلة ، فهي لم تكن



نموذجا كما توقع ، وانما كانت قنبلة يدوية حية وضعت بطريق الخطأ !

وراح المدرس يفكر بسرعة . . انه لا يستطيع أن يلقي بها من نافذة الفصل لأن التلاميذ يلعبون في فناء المدرسة ، ولا يستطيع أن يلقي بها من الباب ، لأن هناك فصولا أخرى على جانبي الممر الطويل الذي تقع الفصول الدراسية على جانبيه . . . ماذا يفعل اذن ، والقنبلة توشك على الانفجار خلال ثوان معدودة ؟!

لقد أمسك بها بكلتا يديه ، وابتعد حتى اقترب من

.ط تماما ، والتصقت القنبلة بجسمه من الأمام ،
. أن أدار ظهره الى تلاميذه . .

وانفجرت القنبلة أخيرا . ومات « ليلكوف » بعد
. مزقت القنبلة جسده ، ولكن أحدا من تلاميذه لم
صب بسوء !

لقد استطاع بجسده أن يمنع الشظايا الصغيرة من الانتشار في الفصل الذي كان يضم أكثر من ستة وعشرين تلميذا بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة

وعندما علمت زوجة الملازم السابق بما فعله زوجها لانقاذ تلاميذه من موت محقق ، قالت « لقد مات يوري بطلا وسوف أروي لابنه الصغير ما صنعه والده حتى يستطيع أن يمشي دائما مرفوع الرأس بين زملائه ! »

أغنية العصافيــــــر !

● عندما فقدت تريزا جيو شيلي توازنها وسقطت على الأرض في مطبخ البيت الصغير الذي تعيش فيه مع الوحدة والآلام الشيخوخة بمدينة ميلانو ، أدركت على الفور أنها لن تستطيع الوقوف على قدميها مرة أخرى ، فقد تقدم بها العمر وأصابها الوهن والضعف . . لقد جاوزت الثمانين !

ولكنها لم تنس في تلك اللحظة صديقيها اللذين بقيا يؤنسانها في وحدتها . انهما كارلا وبولا العصفوران الصغيران الكناريان اللذان كان يملآن البيت بصفيرهما ! وقالت تريزا العجوز تحدث نفسها : ترى ماذا سيكون مصيرهما وأنا راقدة في مكاني غير قادرة على الحركة أو حتى الاستغاثة ؟ »

كانت تعلم أن أحدا لن يسمعها حتى لو استطاعت أن ترفع صوتها طالبة النجدة . ولم يكن في البيت جهاز تليفون أو أقارب أو أصدقاء قريبون منها وأدركت أن رحلتها مع الحياة سوف تنتهي في هذا المكان الذي سقطت فيه . . ولكنها لم تستسلم رغم الآلام الشديدة التي كانت تحتوي جسدها الضعيف العجوز . راحت ترحف بكل جسمها المنهك في اتجاه القفص الصغير الذي يعيش فيه صديقاها كارلا وبولا كانت تريد أن تفتح لهما باب القفص ليخرجا منه لانها لا تريد لهما ان يموتا معها من الجوع والعطش !

ووصلت اليهما أخيرا وخرج الصديقان ، وانطلقا عبر نافذة المطبخ الصغيرة ، ثم أغمى عليها !

ولكن الصديقين لم يتركا صاحبتهما لقد كان في وسعهما أن ينعما بالطيران في الحرية التي أعادتها اليهما صاحبتهما ولكنهما لم يفعلا . . لقد بقيا هناك فوق سور شرفة البيت المطلة على الشارع ، وراحا يصفران



ويملآن الدنيا بغنائهما الجميل !

ولفت هذا المطر غير المألوف أنظار الجيران فقد تعودوا أن يروا العصفورين الصغيرين ، ولكن داخل القفص ، أما هكذا وهما خارجه وفي مكانهما لايبرحانه فهذا الشيء الجديد الغريب ! !

وأشفق الجيران على العصفورين من الصياح وسط هذه البيئة التي لم يألفاها ، فأسرعوا الى البيت يطرقون الباب ، ولكن أحدا لم يجب . فقد كانت صاحبته العجوز ما تزال في غيبوبتها !

واستنجدوا بالشرطة وفتح باب البيت أخيرا ووجدوا صاحبته ملقاة على الأرض وقد أصيبت بكسور في ساقها ونقلوها الى المستشفى للعلاج . وعلى فراشها الصغير ، قالت وهي تتطلع الى عصفوريها الجميلين . كنت أعرف أنهما كل ما تبقى لي في هذه الدنيا لقد انقذا حياتي !

قال رجال الشرطة وهم يتطلعون في اعجاب الى ... هل تعرفين ياسيدتي أن صديقيك قد عادا الى القفص عندما ادركا انك لم تعودي وحدك !

اننا ما كدنا نصل اليك ونحملك في طريقنا الى المستشفى ، حتى فوجئنا بهما يعودان الى بيتهما الصغير ، فعدنا نغلق الباب عليهما ، وحملناهما اليك لكونا بجوارك عندما تفتحين عينيك مرة أخرى على الحياة التي تصورت انها قد انتهت !

النكسات القومية والوطنية المتلاحقة بعد ذلك وضعت هذه الثقة الكبيرة كلها موضع الشك ، ثم انحسرت واستحالت الى نوع من الاحباط والتشاؤم في جدوى أية كلمة تقال وعلى الخصوص في ظل المناخ التعسفي الذي أطاح بنسائم الديمقراطية القليلة. وهكذا حل محل الثقة القديمة اعتقاد شعبي راسخ بأن عملية التغيير تحكمها قوى الطغيان والعنف المنظم لا قوة الفكر أو الشعر.

وبهذا المعنى بات الناس يستمعون الى الشعراء بقابلية أخرى مغايرة وكأنها تقول لهم: مساكين أنتم ايها الشعراء انكم تجهدون انفسكم دون جدوى !

فاذا أضفنا الى كل هذا روح المداهنة والتملق التي راحت تطغى على كثير من رجال الفكر والفنون عامة حيال هذا الشعور الطاغي بعدم الجدوى والرغبة في نشدان السلامة ، نجد أن جمهور القراء بدأ ينتقل شيئا فشيئا من موقف الرثاء للشعر والمفكرين الى موقف العداء والريبة في النوايا الحقيقية لهذا الهراء الكبير الذي يسمعونه هنا وهناك متشدقا بالكلام الرنان المبتذل والشعارات الكبيرة التي فقدت محتواها .

تلك هي بشكل عام الصورة السائدة لوضع الشعر العربي في هذه الايام . لكن هذه الصورة الكالحة لا تخلو من اشارات مضيئة لا يمكن تجاهلها. انها تكمن في طبيعة تطور البشر ونضالهم اليومي المستمر للتشبث ببقايا جذورهم الروحية المتنائية. وهذا ما يبقى للنشاط الفكري عامة والفني خاصة ، وفي طليعته الشعر ، وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها. وتلك بالتأكيد ليست مهمة الشعراء وحدهم ، وانما هي في الوقت نفسه مهمة البشر في الا يستسلموا لليأس واغراء المادة ، وان يقاوموا بدورهم وان يحتفظوا في اعماقهم الملونة بتلك الجذيرة الروحية التي يسهم الفن الاصيل في انقاذها ، كي يبقوا بشرا اسوياء يطلبون الشعر كما يطلبهم الشعر نفسه في ان « واحد » □

منتدى العربي

تعقيبات

الــــــدواء قبــل الغـــذاء

في العدد (٣١٦) من مجلة العربي ، تحدث الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، عن مشكلة الدواء في العالم العربي ، فأثار الكثير من لواعج النفس وشجونها. ووضع اصبعه في الجرح الذي نعاني منه. ومشكلة الدواء مشكلة مزمنة وحادة في آن واحد. يعاني منها الطبيب ويعاني منها المريض. ذلك أننا نبحث دائماً عن الدواء الذي فيه من النفع أكثره ، ومن الضرر أقله . فاذا زاد النفع عن الضرر كان الدواء جيّداً واذا كان العكس فالدواء غير مقبول.

وترانا كدول في العالم الثالث ـ نستورد القسم الأكبر من الأدوية التي نستهلكها جاهزة معلّبة ، او نستورد طريقة تصنيعها وموادها الأولية . فنحن في كلتا الحالتين نفتقر الى الابداع والى البحث العلمي الدقيق .

وعند الكلام عن مشكلة الدواء ، لا بد من دراسة هذا الأمر على أربعة مستويات : مستوى الاكتشاف والتصنيع ، ومستوى الاستيراد ، ومستوى الطبيب ، ومستوى المستهلك .

فعلى مستوى الاكتشاف والتصنيع نجد ان الدول العربية منفردة عاجزة عن أن تمتلك التج

الايدز

قصة مرض .. وصرخة تحذير

بقلم : الدكتور عماد شمسى باشا

تاريخ الانسانية حافل بما لا يحصى من الانجازات العظيمة والاكتشافات الباهرة ، وفي مجال الطب بالذات نماذج رائدة وأسماء خالدة .. وفي العقد الذى نعيشه من تاريخ الانسانية شهدنا مقدم مرض حاد الأنياب والأظافر ، ثم شهدنا السيوف تستل من كل حدب لمواجهته والاجهاز عليه .. انه « الايدز » ، وانها قصة اكتشاف فريدة لمرض كان مؤهلا لان يكون أخا للطاعون والجدرى والسل ...

غادر كثير من العلماء أماكنهم في قاعة المؤتمر ، فقد تأخر بهم الوقت ونال منهم التعب ، ولكن القلة الباقية منهم أصروا على البقاء ليستمعوا الى المحاضرة الأخيرة التى سيلقيها العالم الفرنسى لوك مونتاجنير التى سيعرض فيها اكتشافه لفيروس جديد يعتقد أنه العامل المسبب لمرض الايدز . هذا المرض الذى تسبب حتى ذلك الوقت في وفاة ما يزيد على ألفى شخص والذى يهدد آلافا آخرين غيرهم بالموت .

ومع ما كان مونتاجنير يتمتع به من مكانة علمية مرموقة ، الا أن عرضه لنظريته الجديدة حول هذا الفيروس لم يرق للحاضرين ، بل لقد كان مثار جدل علمى طويل بينه وبينهم ، ولقد كان أكثر الحاضرين شعورا بخيبة الأمل العالم الأمريكى روبرت جالو ، خبير الفيروسات الذى طالب المحاضر ببراهين تدعم أقواله ، وتخرج بها الى حيز القطع . وأمام هذه « المحاضرة » العلمية لم يجد مونتاجنير أمامه من سبيل الا أن يوافق على وجوب اجراء المزيد من الأبحاث لتأكيد النظرية وتوثيقها . يومذاك . لم يكن ليدور في خلد أحد من الحاضرين ، حتى ولا في خلد مونتاجنير نفسه ، أنــه وضع يده على كشف علمى جديد ، وان تلك المناقشات الحادة التى شهدتها قاعة المؤتمر لم يكن لها أن تدحض حقيقة قائمة ، وان كانت قد اسهمت في اذكاء حماسة العالم الفرنسى لاثبات نظريته ، وازالة الغموض المتوهَّم حولها . .

كان ذلك اللقاء في الخامس عشر من شهر سبتمبر/ ايلول عام ١٩٨٣ . وكان المؤتمرون نخبة من جلة العلماء المعنيين بموضوع الفيروسات ودراسة الجديد فيها . . ولقد أعقبت هذا المؤتمر ستة أشهر كاملة من البحث الجاد الدؤوب ، حتى تمكن مونتاجنير من اقامة الدليل على صدق ما أشار اليه في محاضرته ، وحتى أثبت بالبرهان القاطع أن ذلك الفيروس الذى وصفه هو بالفعل الفيروس المسبب لمرض الايدز

القصة من بدايتها :

كانت البداية فى صيف عام ١٩٨١ ، حين أصيب عدد من الشبان في ولايتى كاليفورنيا ونيويورك الأمريكيتين بمرض غير مألوف . . مرض مجهول الهوية . . مرض تفاقم وتطور حتى انتهى بفراشه الى الوفاة ، قبل أن يتمكن الطب من الاهتداء الى العلاج ، وكانت الملاحظة اللافتة للنظر فى هذا المرض أن ضحاياه مشتركون فى ظاهرة واحدة . وهى أنهم جميعا من الشاذين جنسيا ، وبالتحديد من الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع آخرين من نفس جنسهم ، ولقد غاب على ظن الأطباء وهم يتعاملون مع هذه الحالات الفردية انها حالات طارئة وغير عادية ، وأنها قد لا تستحق من الاهتمام الا قدر ما يثيره الفضول العلمى ، ولم يكن واضحا لأحد أن هذه الحالات انما هى نذير الخطر بقدوم مرض جديد



دويل يعتمد على عطف الغرباء

يهدد المجتمع بأكمله ، ويستوجب استنفار الفعاليات الطبية على مختلف الأصعدة ، لصد هذا الخطر الداهم ، حتى جاءت الاحصاءات وعمليات القياس لتضع المشكلة فى حجمها الصحيح الكبير فقد أعلن أن الرقم الحالى للاصابات أصبح يقدر بـ ٦٠٠٠ اصابة ، كان مصير أكثر من نصفها الوفاة ، ويتوقع وفاة النصف الآخر فى غضون السنوات الثلاث القادمة ، وأن هذا العدد قد يرتفع في غضون السنوات الخمس القادمة الى مايقرب من (٣٠,٠٠٠) اصابة ، وأن نسبة غير قليلة من هذا العدد مصابون بالفعل ، ولكنهم لم يكتشفوا اصابتهم بعد .

ومع هذه التوقعات المخيفة اعتبر مرض الايدز المشكلة الصحية الاولى في الولايات المتحدة ، وخصص لمواجهتها ميزانية قدرت بـ (١٦٣) مليون دولار . . اضافة الى أن هذه المشكلة أصبحت الشغل الشاغل لأكثر العلماء والباحثين شهرة في مجال الفيروسات والأمراض الوبائية . وفي مقدمة هؤلاء عالمان أمريكيان وثالث فرنسي . فمن هم هؤلاء الثلاثة ، وكيف استطاعوا بجهودهم المتضافرة أن يصلوا آخر الأمر الى تحديد هوية مرض الايدز ؟

فأما أول الامريكيين فهو روبرت جالو الذى اتينا على ذكره في صدر هذا المقال ، والذى يرأس حاليا مختبر أبحاث بيولوجيا السرطان في معهد السرطان القومي في ولاية ماريلاند الأمريكية ، والذى كان اهتمامه منصبا بالأساس على دراسة نوع نادر من سرطان الدم (Leukemia) الذي كُشف في اليابان وبعض مناطق افريقيا، ولم يكن مرض الايدز داخلا في اطار اهتماماته بادىء ذى بدء .

وأما الثانى فهو العالم الأمريكي ماكس ايسكس الذى كان يجرى أبحاثه في منطقة قريبة من مدينة بوسطن ، والذى كان معنيا بالفيروسات التى تسبب الاصابة بسرطان الدم عند القطط ، كما كان معنيا بتأثير هذه الفيروسات على الجهاز المناعى عند القطط ، وقد كان هو الآخر غافلا عن الايدز منصرفا عن الاهتمام به . .

وأما عالمنا الفرنسي فقد كانت اهتماماته محصورة في مجال أبحاث سرطان الثدى ، وفي محاولة ربطه بأسباب فيروسية ، بعد أن استطاع أن يثبت علاقات الفيروسات بالسرطان لدى حيوانات التجربة ولم يكن هذا العالم سوى مونتاجنير نفسه . . . ومن العجيب أنه حتى مونتاجنير هذا لم يكن مدركا لعلاقة أبحاثه هذه بمرض الايدز .

كانت حالات الايدز الاولى قد ظهرت ، وبشكل محصور نسبيا ، في منطقتين محددتين . وكان الظن أولا أن الأمر قد يكون وباء . ولكنه جاء محدود الانتشار ، ومن هذا المنطلق عهد مركز مكافحة الأمراض في مدينة أتلانتا - وهو الجهة الأمريكية المتخصصة بأمور الأوبئة ودراستها والعمل على احتوائها - عهد هذا المركز الى فريق من الباحثين مكون من عشرة أشخاص للتصدى لهذه المشكلة واقتراح الحلول اللازمة لمعالجتها . . ومن الطريف يكون لأى من العلماء السالف ذكرهم وجود في هذا (الفريق) من الباحثين ، وان تلقى مهمة ترؤسها طبيب متخصص بالأمراض التناسلية ، هو الدكتور جيمس كوران ، ولم يكن مستغربا وقتها أن تلقى هذه المهمة على عاتق احتصاصى في الأمراض التناسلية على اعتبار أن المرض كان ينتقل عن طريق الاتصال الجنسى ، اعتمادا على المشاهدات الأولية ، وعلى القصة السريرية للحالات المرضية

وبدأ أعضاء الفريق عملهم بالانتشار في الأحياء التى يكثر فيها أصحاب الشذوذ الجنسى ، في كل من مدينتى سان فرنسيسكو ونيويورك ، وعملوا على جمع المعلومات الميدانية المتعلقة بالموضوع ، من مقابلتهم للعديد من أصحاب الشذوذ الجنسى ، ومحاولة معرفة التفاصيل الكاملة عن ممارساتهم الجنسية لقد كانوا يريدون أن يعرفوا - قبل كل شىء - لماذا يصاب بعض الأشخاص بهذا المرض ، ولايصاب به البعض الآخر على الرغم من اشتراكهم جميعا بصفة الشذوذ الجنسى . . ؟ ولم تكن هذه المهمة بالمهمة اليسيرة ، فقد تطلب ذلك منهم الدخول الى صميم حياة تلك الفئة من الأشخاص مع كل ما يكتنفها من السرية والانغلاق ، والى القيام بزيارات عديدة الى الملاهى والخمارات ، والى الأقبية السرية الملحقة ببعض النوادى ، حيث كانوا يجتمعون ويمارسون شذوذهم وقد بينت هذه الاستقصاءات ان الأشخاص المصابين بالايدز هم من أصحاب النشاط الجنسى الشاذ المفرط ، ومن المتعاطين لأنواع من المخدرات تساعدهم على تحقيق المزيد من النشوة الجنسية .

ورغم أن هذا العمل استغرق شهورا عدة ، الا أن الفكرة التى كانت منطلق البحث ، وهى أن الايدز مرض ينحصر وجوده عند هذه الفئة من الناس ، ظلت هى الفكرة الراجحة ، الى أن ظهرت في الميدان حالات جديدة من الايدز لم يكن لضحاياها أية علاقة بهذا الشذوذ . .

ومن هنا بدأت المشكلة تأخذ أبعادا جديدة أكثر تعقيدا ، وبدأت جهات عديدة ومن أنحاء متفرقة من العالم ، تتنادى لبحث الموضوع بشكل أكثر عمقا

وسع اطارا . . لقد بدأ المرض يصيب ـ اضافة الى الفئة السابقة ـ الأشخاص المدمنين على المخدرات ، لا سيما المخدرات التى تحقن وريديا ، ثم ظهرت اصابات بين الأشخاص المصابين بمرض الناعور (الهيموفيليا) ـ وهو مرض دموى وراثى ، يتظاهر بالنزف المديد غير العادى ، التالى لاصابات مرضية ، ويتطلب علاجه حقن المريض وريديا بمثبطات النزف ـ كذلك ظهرت اصابات عديدة بين المهاجرين من أصل هايتى ، وحالات أخرى أعقبت عملية نقل دم لأصحابها لأسباب مختلفة . كل ذلك الاختلاف فى نوعية المصابين أظهر أن المعضلة لن تحل بتوجيه الجهد والانتباه ناحية أصحاب الشذوذ الجنسى وحدهم ، وأن جهودا أخرى لا بد أن تبذل ـ وعلى مستويات مختلفة ـ للوصول الى حل ، وأن جهود اختصاصيى الأمراض التناسلية وحدهم لن تكون كافية للتعرف على كنه هذا المرض وسببه

ومضى عام :

فى صيف ١٩٨٢ وبعد مرور عام كامل على ظهور الحالات الأولى لهذا المرض ، كان عدد الاصابات فى أمريكا قد وصل الى ٧٠٠ حالة ، وعلى الرغم من أن اختصاصيى الأوبئة لم يكونوا قد توصلوا آنئذ الى معرفة أصل المشكلة ، الا أن بعض الحقائق كانت قد بدأت تتكشف فى المخابر السريرية فقد أظهرت تلك المخابر أن أساس العلة يكمن فى دماء أولئك المصابين ، وبشكل أوضح أن دماء أولئك المصابين كانت تفتقد الكريات البيضاء اللمفاوية المتخصصة بمقاومة الأمراض ، والتى تشكل عند الانسان خطا هاما من خطوط الدفاع عن البدن ضد الجراثيم والفيروسات ، وحتى السرطانات التى تهدده بالمرض ، ويبدو أن الايدز لم يكن سوى نتيجة لفقدان هذه الكريات البيضاء ، وبالتالى لانهيار أجهزة الدفاع عن البدن ، وجعله فريسة فاقدة الحيلة تجاه أى غزو متمثل فى مرض من الأمراض وقد فسرت لنا هذه الملاحظات مجتمعة لماذا يتعرض ضحايا الايدز الى أمراض وعلل مختلفة ، ولماذا يتنوع السبب المباشر للوفاة . فمنهم من يصاب بنوع خبيث من السرطان (سرطان كابوزى الذى يصيب عادة المتقدمين فى السن) ومنهم من يصاب بنوع نادر من التهاب الرئة الذى يصيب فى العادة الأشخاص الذين يتعاطون أدوية معينة ، تضعف عندهم أجهزة المناعة والدفاع ، لأغراض طبية خاصة ، أو يكونون عرضة لأمراض طفيلية قليلة المشاهدة ، يصاب بها عادة الأطفال المولودون بفقد خلقى لجهاز المناعة عندهم وهكذا تتنوع الاصابات ، ولكنها كلها انعكاس لما فقده الجسم من أسلحة الحماية والمناعة ومن هنا سمى هذا المرض بالايدز ، وهى حروف مختصرة تعبر عن المرض المتميز بضعف الجهاز المناعى ، وقد كان لكشف هذه الحقيقة أهمية بالغة فى توجيه دفة البحث والاستقصاء ، وفى لفت انتباه الكثير من الباحثين المعنيين بأمور المناعة وأمراضها وهذا ما حدث بالفعل ، فقد وجد علماء المناعة بين ايديهم مرضا متميزا يصيب جهاز المناعة وحده دون أجهزة الجسم الأخرى ، وقد اعتبروه ـ أى الايدز ـ وسيلة فريدة لكشف الكثير من الغموض الذى يكتنف موضوع المناعة عامة

ولقد كان من هؤلاء العلماء الذين أثار الايدز انتباههم العالمان ماكس ايسكس وروبرت جالو ، فأما ايسكس فقد لفت نظره أن الايدز يدمر جهاز المناعة بطريقة تشابه فعل الفيروس (FELV) المسبب لسرطان الدم عند القطط ، وأما جالو فقد جذب انتباهه حقيقة أن الايدز يقضى على الخلايا اللمفاوية ، ويؤدى الى اختفائها من دم المصابين ، وهذا يماثل ما يحدثه فيروس آخر هو فيروس (HTLVI) الذى يسبب تدمير الخلايا اللمفاوية ، ويحدث نوعا من سرطان الدم عند الانسان

وهكذا احتل الايدز مركز الصدارة فى اهتمام العالمين المذكورين ، لاسيما أن الفيروس (FELV) الذى يدرسه ايسكس والفيروس (HTLVI) الذي يدرسه جالو ينتميان الى مجموعة فيروسية واحدة ، وهى المجموعة المسماة بـ (الرتروفيروس) وهكذا أيضا نهض سؤال جديد واحد فى ذهن كل من العاملين : الا يمكن أن يكون الايدز ناجما عن فيروس مشابه لفيروس الـ (HTLVI) ؟

رحلة البحث عن السر :

رغم أن الهدف كان واحدا لكل من أيسكس وجالو الا أن كلا منهما سلك اليه طريقا خاصا ، فكلاهما كان يسعى لمعرفة ما اذا كان الايدز ناجما عن الاصابة بفيروس ينتمى الى مجموعة الرتروفيروس ، ولكن كلا منهما نحا نحوا مستقلا . .

أما جالو فقد وجه اهتمامه للكشف عن الفيروس المنشود فى أنسجة الشخص المصاب بالايدز ، وخصوصا فى خلاياه اللمفاوية التى هى الهدف الأول للاصابة . مثله فى ذلك كمثل رجل الشرطة الذى يبحث عن حل القضية الجنائية فى مسرح الجريمة ، وأما ايسكس فقد أراد الكشف عن الفيروس بالتحرى عن الأجسام المضادة الخاصة ، التى يكونها الجسم عادة حين يتعرض لغزو جرثومى أو فيروسى ، فمثله كمثل من يتتبع المجرم بالبحث عن بصماته . . وفى الواقع فان تشبيه الأجسام المضادة التى يشكلها الجسم ببصمات الأصابع تشبيه صحيح الى حد بعيد ، فكما أن البصمات تخص فردا بذاته ، فالأجسام المضادة كذلك توجه ناحية نوع معين ومحدد من الغزاة ، فى حين تتوجه أجسام ضدية ناحية غاز من نوع آخر . . . واعتمادا على هذه الأجسام الضدية يمكن الكشف عن وجود الغازى ، فعن طريق الكشف عن الأجسام المضادة لفيروس الحصبة مثلا يمكن البرهنة على فيروس الحصبة ذاته . وهكذا كانت عناية ايسكس منصبة على الكشف عن أجسام مضادة لفيروس (HTLVI) فى دم المصابين بغرض الكشف عن تعرض الجسم للاصابة بفيروس الـ (HTLVI) .

وهكذا تحدد اسلوب البحث وخطة العمل ، وبدأت العينات من المرضى المصابين بالايدز ، ومن أولئك الذين فقدوا حياتهم بسببه تصل تباعا الى مخبرى الأبحاث ، حيث يعمل كل من ايسكس وجالو . . وكان ذلك فى خريف عام ١٩٨٢ .

لقد عمد جالو الى البحث عن الفيروس في الخلايا اللمفاوية بالذات ، فهى كما ذكرت هدف الاصابة الأول ، ولم تكن مهمته تلك بالمهمة اليسيرة ، فهو يبحث عن شىء لا يعرف شكله أو صفته ، والأسلوب المتبع علميا فى مثل هذا البحث أن يلجأ خبير الفيروسات الى محاولة تكثير عددها ، الى حد يمكن معه كشفها والتعرف عليها ، وهذا التكثير يتم بمحاولة « استنبات » الخلايا التى يظن باصابتها بذلك الفيروس فى محاليل خاصة ، وحينما تزداد أعداد تلك الخلايا ستزداد معها أعداد الفيروسات المطلوبة ، وتسهل رؤيتها وتحديدها وتمييزها عما سواها ، وهذا بالضبط ما فعله جالو ، فقد وضع الخلايا التى يعتقد أنها مصابة بالفيروس فى محاليل الزرع الخاصة ، وراح ينتظر أن تتكاثر أعداد تلك الفيروسات . . ولكن النتيجة لم تأت حسب توقعه ، فعلى الرغم من تكاثر أعداد الخلايا واستمرارها فى الحياة لعدة أسابيع ، الا أن جالو فشل فى كشف الفيروس الذى يبحث عنه ، لقد ظلت تلك الخلايا حية لمدة ثلاثة أسابيع كاملة ثم أخذت بالموت والاختفاء ، الامر الذى أزعج جالو كثيرا ، فقد كان يعتقد أن هذه الخلايا ستستمر فى التكاثر والحياة لفترات طويلة غير محددة ، وبنفس النمط الذى تتكاثر فيه الخلايا السرطانية ، مادامت الخلايا المزروعة خلايا مصابة بفيروسات من نوع (HTLVI) التى سبق لجالو أن أثبت أنها تسبب التكاثر السرطانى اللامحدود ، وهكذا أسقط فى يد جالو وفشل فى الكشف عن الفيروس ، كما فشل حتى فى اثبات أثره على الخلية المصابة به .

لقد كانت النتائج السلبية السابقة كفيلة بأن تقعد جالو عن الاستمرار فى محاولاته ، لولا ما بلغه من حصول أيسكس على بعض النتائج المشجعة ، باستخدام طريقة الأجسام المضادة ، فقد تمكن ايسكس من كشف الأجسام المضادة لفيروس الـ (HTLVI) فى أكثر من ثلث عينات الدم الخاضعة للدراسة ، وكانت هذه النتيجة مذهلة حقا ، لا سيما بعد أن تحرى عن مثل هذه الأجسام الضدية لدى الأشخاص الأصحاء ، للمقارنة ، فلم يعثر لها على أثر . وهكذا بدأ يتضح أول معالم الطريق ، اذ لو لم يكن لفيروسات الـ (HTLVI) علاقة بالايدز لما ظهرت أضداد لها فى دم المصابين ، فى حين برىء دم الأصحاء من هذه الأضداد . فى الوقت نفسه نهض فى ذهن ايسكس تساؤل هام ،



صورة مجهرية لفيروس مرض « الايدز »

كان لا بد معه من جولة أخرى من جولات البحث العلمى الدؤوب : على فرض أن لهذه الفيروسات علاقة بالايدز ، فان هذا يعنى حتمية كشفها أو كشف أضداد لها فى دماء كل المصابين بهذا المرض ، الأمر الذى لم يكن تأكيده واقعيا بالفحوص المخبرية . فما الذى يمكن عمله اذن لتفسير مثل هذا الغموض أو التناقض ؟

اقترح جالو على ايسكس تعليلا يمكن أن يعزى اليه هذا الغموض فقال : لنفكر فى أن نجد التعليل فى ظاهرة التفاعل المتصالب ، وهذه الظاهرة معروفة فى علم المناعة والأجسام المضادة ، وتعنى أنه اذا وجد نوع من التشابه فى التركيب الكيماوى لنوعين من الجراثيم أو الفيروسات مثلا فان الأجسام المضادة التى يشكلها البدن ضد واحد من هذين النوعين ، حين يغزو الجسم ، يمكن أن تتفاعل وتهاجم النوع الثانى حين يغزو الجسم ، بالرغم من أنها ـ أى الأجسام المضادة قد شكلت أصلا ضد النوع الأول من الفيروسات . . وبمعنى آخر فكأن الأمر « يلتبس » على هذه الأجسام المضادة ، فتهاجم فيروسات مشابهة نوعا ما للفيروسات الخاصة بها ، والتى شكلت أصلا لمقاومتها ومكافحتها .

واعتمادا على هذه النظرية افترض جالو أن الفيروس الذى يحدث الايدز ليس هو الفيروس (HTLVI) ـ الذى أثبت أنه يحدث نوعا من سرطان الدم فى اليابان ـ وانما هو فيروس مشابه له فى التركيب الكيماوى الى حد ما . ومن هنا فالأجسام المضادة التى تشكلت فى دماء المصابين بالايدز تجاه هذا الفيروس ، لها القدرة على مهاجمة فيروسات الـ (HTLVI) اضافة لقدرتها على مهاجمة فيروسات الايدز طبعا ، نظرا ، للتشابه الكيماوى بين الفيروسين وهكذا تبادر الى دهن ايسكس ان الاجسام الضدية التى كشفها انما هى أجسام مضادة ليست موجهة ضد فيروسات الـ (HTLVI) أساسا ، بينما هى فى الواقع موجهة ضد فيروسات مشابهة ، وقد حدث هذا اللبس بسبب ظاهرة التفاعل المتصالب

الدور الفرنسى فى الموضوع :

للننتقل الآن الى مكان آخر من العالم ، وبالتحديد الى فرنسا موطن العالم المتخصص بأبحاث الفيروسات ـ مونتاجنير ـ والذى يرأس قسم الفيروسات فى معهد باستور الشهير ، ولندخل عليه مخبره فى محاولة من جانبنا لمعرفة ما توصلت اليه أبحاثه فى هذا المضمار .

بدأ مونتاجنير أبحاثه بطلب عينات دم من الأشخاص « المشتبه » باصابتهم بالأيدز وليس من المصابين به فعلا ، أى من أشخاص يظن لبعض الأعراض مثلا أنهم قد يكونون فى المرحلة البدائية للمرض ومن ضمن هؤلاء تم اختيار أشخاص يعانون من تضخم مجهول السبب فى العقد اللمفاوية ، مع كونهم من الفئة التى يكثر الايدز بينهم ، لأنهم من الشاذين جنسيا .

لقد ظهر لمونتاجنير ـ ولأسباب غير معروفة ـ أن عدد فيروسات الأيدز يصل الى حد كبير فى عينات الخلايا المدروسة خلال فترة أسبوعين ، ثم يبدأ هذا العدد بالتناقص السريع في الوقت الذى تبدأ فيه الخلايا بالموت والاختفاء ، وهذا يعلل السبب فى أن جالو لم يتمكن من كشف الفيروس فى الخلايا التى أخضعها للدراسة ، بعد أن زرعها لمدة ثلاثة أسابيع . . ذلك أن معظم الفيروسات كانت قد اختفت حينما بدأت الخلايا بالموت .

وككل كشف جديد لم يكن مونتاجنير واثقا كل

الثقة من أن ماعثر عليه في الخلايا هو فيروسات الايدر ، وحتى أن تكون هي فيروسات ال (HTLVI) المشابهة لها ، ولكي يقطع الشك باليقين اتصل برميله جالو وطلب منه ارسال بعض المواد الكيماوية ، والتي يمكن بواسطتها التحقق من كون الفيروسات الجديدة هي الفيروسات التي يبحث عنها . . وأرسلت المواد الكيماوية المطلوبة الى فرنسا على جناح السرعة ، وبعد اسبوع من العمل المتواصل ظهرت النتيجة : ان الفيروسات المكتشفة ليست فيروسات الـ (HTLVI) وانما هي فيروسات أخرى . لقد اكتشف الفرنسيون اذن فيروسات جديدة من مجموعة الرتروفيروس مسئولة عن مرض يصيب الانسان ، وكان هذا بحد ذاته كشفا علميا رائعا . ولكن هل هذه الفيروسات المسببة للايدر ؟ ام أنها فيروسات جديدة حقا تم اكتشافها بالصدفة ، ولا علاقة لها بالايدز وتأتي الأيام بعد ذلك لتثبت أن ما كشفه الفرنسيون ـ ولم يكن باستطاعتهم وقتها تأكيده ـ انما هو الفيروس المسئول عن الايدر بالفعل

مع حلول ربيع ١٩٨٣ أصبح الايدر مشكلة عامة ، وأصبح موضوع الحديث ومصدر الخوف للعامة والخاصة على السواء ، وخرج عن كونه فصولا علميا أو هما طبيا ليصبح قضية لها آثارها العديدة على المجتمع الأمريكي .

ومع قدوم صيف ١٩٨٣ أصبح عدد المصابين بالايدز يقدر ب ١٥٠٠ مصاب ، توفي منهم ٦٠٠ شخص ، وينتظر الباقون نفس المصير في غضون سنوات ثلاث

البرهان على الاكتشاف الجديد :

على الرغم من أن الفرنسيين استطاعوا اكتشاف الفيروس ، الا أنهم ظلوا يفتقرون الى الطريقة التي بواسطتها تأكيد ماتوصلوا اليه . وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة اليهم هي في الحصول على عدد كاف من الفيروسات لدراستها . أو بمعنى آخر زراعتها باعداد كافية . ولما كانت هذه الفيروسات قد كشفت في خلايا شخص مصاب بتضخم في العقد اللمفاوية ، فقد أطلق على هذه الفيروسات اسم (LAV) ـ أي الفيروسات المرتبطة بتضخم العقد اللمفاوية ـ الى أن يثبت أنها السبب الرئيسي الفعلي للاصابة بالايدز .

وكما يقول المتخصصون بأمور الفيروسات ، فان استزراع هذه الفيروسات والعثور على الخلايا الملائمة لتكاثرها ضمنها ليس بالمهمة اليسيرة دائما . وقد حاول جالو أن ينجح في هذا المضمار ، بعد أن خانه حظه وحدسه العلمي في المرحلة الأولى من الكشف ، وقد كان قاب قوسين أو أدنى من النجاح ـ وكان أول ماعمله هو أن أعاد دراسة العينات التي سبق له أن فحصها الرتروفيروس في ٤٨ عينة من عيناته ، وبذلك يكون قد تحقق مما ذكره الفرنسيون ، بعد أن اتبع طريقتهم في البحث

ولكن السؤال الجديد الذي برز والذي بات يتطلب الاجابة هل جميع هذه الفيروسات المشاهدة في العينات مسئولة عن الايدز أم أن بعضها فقط هو الذي يحمل هذه الخاصة ؟

وهل هذه الفيروسات من نوعية واحدة أم أنها مختلفة بعضها عن بعض ؟ لقد افترض أنه اذا كانت هذه الفيروسات مختلفة بعضها عن بعض ، فان هذا يعني أن وجودها في تلك العينات المدروسة انما يعود في الواقع الى كون المصاب بالأيدز شخصا معرضا للاصابة بكل أنواع الفيروسات وان وجود هذه الفيروسات ماهو الا « نتيجة » لاصابته بفقدان المناعة ، وليس هو سبب الاصابة بالمرض ذاته .

ولاثبات الاختلاف أو التشابه أو نفيهما في تلك الفيروسات ، كان لابد من الحصول على عدد كبير منها لاستزراعه وفرزه ، وهذا يعني أن أمام جالو عقبتين أساسيتين . ـ اولاهما أن يحصل على الخلايا الملائمة القادرة على الحياة لمدة طويلة ، بالرغم من اصابتها بالفيروس ، اي خلايا مقاومة للموت نسبيا . والعقبة الثانية ايجاد وسيلة لانتاج العدد الكبير اللازم من هذه الفيروسات . ومن الجميل أن هاتين العقبتين حُلتا في وقت واحد . ولكن ليس على يد جالو نفسه ، وانما على يد أحد مساعديه في المختبر ويدعى بوبوفيك . لقد كان بوبوفيك هذا مقتنعا بأنه لن يكون من السهل الاعتماد على الخلايا اللمفاوية العادية في انتاج فيروسات الايدز ، على الرغم من كون تلك اللمفاويات الهدف الأول للاصابة بالفيروس . . لذلك فقد سعى الى البحث

. نوع آخر من الخلايا ، له قدرة أكبر على الحياة
نمو ، ثم بدا لـه أن يستخدم الخلايا اللمفاوية
محصولة من دماء المرضى المصابين بسرطان الدم ،
ن مشاهداته السابقة أكدت له أن تلك الخلايا تتمتع
بقدرة أكبر على مقاومة تأثير الفيروسات عموما
هذا مافعله بالضبط ، فقد قام بمساعدة زميلته في
المختبر (اليزابيث ريد) بمزج الخلايا اللمفاوية من
مرضى سرطان الدم بالعينات الحاويةعلى فيروسات
الرتروفيروس المشتبه بأنها سبب الأيدز ، وأخذا
يرقبان تطور الأمور ، ومضت أسابيع قبل أن تظهر أية
نتيجة مشجعة ، وفي غضون ذلك غادر بوبوفيك مخبره
لتمضية اجازته السنوية في موطنه سويسرا ، تاركا
مهمة المتابعة لزميلته اليزابيث .

وفي عصر يوم من ايام اكتوبر من عام ١٩٨٣ ،
وبينما كانت اليزابيث تقوم بالفحص العادي لانابيب
التجربة ، اكتشفت ماطال انتظارها له . لقد
شاهدت نشاطا فيروسيا كبيرا في العينات الخاضعة
للدراسة ، وبشكل لم تر له مثيلا من قبل ، ولم تصدق
عينيها بادىء الأمر ، فأعادت النظر مرات ومرات .
وكانت الحقيقة : وكان مما ضاعف من دهشتها أن
الخلايا اللمفاوية المزروعة مع تلك الفيروسات لم تمت
ولم تختف ، بل - على العكس - تكاثرت وتضاعفت
أعدادها .

وحين عاد بوبوفيك من اجازته ووقف على هذا
التطور الجديد لم يشأ أن يخبر صديقه جالو بالأمر ، بل
أراد التأكد بنفسه من تلك النتيجة ، وأن يطمئن الى
صحتها . وأعاد بوبوفيك العمل بنفسه ودقق فيه
طويلا حتى حصل على النتيجة ذاتها ، بل لقد
استطاع - اضافة الى ذلك - ان يعزل الخلايا اللمفاوية

عودة الى فرنسا :

في الوقت الذي كان فيه الأمريكيون مشغولين
بموضوع زراعة الخلايا اللمفاوية ،وتكثير أعداد
الفيروسات اللازمة للدراسة ، كان الفرنسيون
مهتمين بموضوع فيروس الـ (LAV) الذي كشفه
مونتاجنير في دماء المرضى المشتبه باصابتهم بالايدز..
وكانوا في دوامة البحث عن البرهان على أن تلك
الفيروسات - التي هي من مجموعة الرتروفيروس -
هي بالفعل سبب الايدز . واستمر التعاون بين العلماء
الفرنسيين والأمريكيين ، واتصلت حلقاته ، فقام
مركز مكافحة الأمراض في « اتلانتا » بتزويد المخابر
الفرنسية بالعديد من العينات المأخوذة من مرضى
مصابين بالايدز ، أو من اخرين تحوم الشكوك حول
اصابتهم به ، وذلك للكشف عن فيروس الـ
(LAV) في تلك العينات وكان الرأي يومئذ أنه
اذا اكدت الفحوص وجود فيروس ال (LAV) في
جميع تلك العينات ، أو في غالبيتها على الأقل ، كان
ذلك دليلا قويا على علاقة الـ (LAV) بالايدز
وجاءت نتائج الفحص كما كان مرجوا ومتوقعا ، فقد
عثر على فيروس الـ (LAV) في كل العينات
المأخوذة من الأشخاص المشتبه باصابتهم بالايدز ،
كما عثر عليه في غالبية الأشخاص المصابين به
بالفعل

وهكذا اصبحت علاقة الايدز بـ (LAV)
علاقة شبه مؤكدة ، واقتنع الكثيرون بأن الـ
(LAV) هو الفيروس المسبب للايدز

المحطة التالية :

والان وقد تم للعلماء معرفة سبب الايدز ، فقد
أخذت الجهود تتجه نحو المحطة التالية كيف يمكن
اكتشاف المرض في مراحله المبكرة عن طريق فحص
مخبري بسيط ؟ ثم يأتي بعد ذلك الهدف الأهم وهو
كيف تتم معالجة هذا المرض ؟

أما بالنسبة لعملية اكتشاف المرض فان بعض
شركات الأدوية على وشك أن تطرح في الأسواق
بعض المصول التي يمكن استخدامها من قبل الأطباء
للتحري عن وجود الفيروس في دم المشتبه به وقد
تكون هذه هي الخطوة الأولى نحو تصنيع لقاح واق
من المرض ، وهذه الخطوة لن تكون بعيدة المنال كما
تشير الدلائل الى ذلك .

وأما العلاج . فحتى يومنا هذا ما يزال الطب
عاجزا عن تقديم المداواة الفعالة لهذا المرض الذي
يجرد الانسان من وسائل دفاعه ، ويجعله لقمة سائغة
لأضعف الكائنات ولكن البحث جار - وبخطا
حثيثة - لاختبار تأثير العديد من الأدوية على هذه
الفيروسات ، التي يقع ضحيتها كل يوم ثلاث عشرة
حالة في امريكا وحدها ، فيما هو ظاهر للعيان
فقط . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ **الفن الشعبي.. في جمهوريات البلطيق**

استطلاع ملون ... سليمان الشيخ

الفكر الإسلامي والأغلال الاختيارية	أشعة ليزر في عالم العيون	الدبلوماسية الإعلامية ذات الوجهين
د. عبدالعزيز كامل	د. سري سبع العيش	حمدي قنديل

واقرأ □ قسطرة الزهراوي آخر صيحة في عالم الطب.. د. سامي عزيز

□ شبتاي زفي.. ويهود الدونمة ... د. جعفر هادي حسن

□ التصنيع الحربي.. وتحرير القرار السياسي... أمين هويدي

□ ترجمة الصور بين الفضاء والأرض... طاهر القيسي

○ كتاب الشهر: همة الهمام في نشر الإسلام.. عرض د. محمد موفاكو

○ وجهاً لوجه: د. إسماعيل صبري عبدالله ونجاح عمر

□ البيت العربي: ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - شوقي بغدادي - د. علي شلش - د. أحمد خطاب

د. عزالدين غربية - د. صلاح بركات - محمد التهامي - خليل قنديل

جديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

خلق الانسان من طين

■ منذ أيام شارلز دارون والاعتقاد السائد بين العلماء هو أن الكائنات الحية ظهرت أول ما ظهرت في الماء ، لا في الطين . . ولكن هذا الاعتقاد الذي وجد اذنا مصغية لدى الكثيرين قد تعرض لهزة عنيفة في الشهور الأخيرة . . ولم تأته هذه الهزة من أوساط التفكير النظري الفلسفي ، وانما من أحد مراكز الابحاث والتجارب العلمية المعروفة « مركز أبحاث آميس في كاليفورنيا » التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا) .

فثمة لفيف من العلماء العاملين في هذا المركز مازالوا يركزون ابحاثهم وتجاربهم على الاصول العديدة المحتملة التي يمكن للكائنات الحية أن تكون قد انبثقت منها وقد وقفوا جهودهم كلها على هذا الموضوع بالذات طوال السنوات الخمس عشرة الماضية ، ولعلك تتساءل عن العلاقة بين أبحاث كهذه وبين الفضاء الخارجي البعيد ، الذي لا أمل يرجى في ارتياده حتى الآن . . والذي يعمل المختصون في وكالة ناسا على تصميم السفينة الفضائية التي يمكن أن تنطلق بسرعة الضوء أو ما يقاربها والتي قد تنجح في نقل رواد الفضاء الى أجوازه أو أغواره السحيقة .

فمثل هذه الرحلات التي قد تستغرق عدة سنوات لايجوز القيام بها قبل أن يتوصل العلماء الى فهم أعمق لنشأة الكائنات في الحياة ولاصولها العديدة المحتملة . من هنا كانت الجهود المتواصلة التي كان يقوم بها لفيف العلماء السالف الذكر ، منذ مطلع السبعينيات ، بإشراف الدكتورة ليليا كوين والتي أعطت ثمارها الاولى في مطلع شهر ابريل الماضي (١٩٨٥) فما الذي اكتشفه هؤلاء العلماء ؟

اكتشفوا أن في الطين العادي معادن وبلورات تتميز بخاصيتين : خزن الطاقة وتحويلها ، ولكن من أين تأتي هذه الطاقة الموجودة في الطين ؟؟ تأتيه من باطن الارض ، بل من انحلال النشاط الاشعاعي الذي يتم تحت سطح الارض وتأتيه أيضا من الشمس . . ومن طاقتها الاشعاعية على وجه التحديد.

أما بلورات الطين ومعادنه فقد استطاع العلماء تصنيعها أو تخليقها في المختبر . الا أنهم لم يكونو بحاجة الى ذلك نظرا لأنها توجد في الطين بصورة طبيعية . . وقد حللوها في المختبر فاكتشفوا في الكريستال الطيني خللا في صميم بنيته .

واكتشفوا أيضا أن هذا الخلل بالذات هو سر قدرة الطين على الاحتفاظ بالطاقة ، وعدم التخلي عنها الا تحت ظروف معينة . ومضى العلماء في تجاربهم وابحاثهم حتى تبين لهم أن الطين يعطي تلك الطاقة بصورة أشعة بنفسجية ، ولا يعطيها الا في حالة تفاعل معادنه مع الماء ، أو مع سوائل اخرى . وهكذا فان الطين يستطيع تحويل المواد غير العضوية الى مواد أكثر تعقيدا أو ان شئت عضوية على أنهم لم يقفوا عند هذا الحد . فهم

المتطورة الكفيلة بصنع دواء جديد وجيّد .

وتأتي في هذا المستوى مشكلة تجربة الدواء ـ وهي مشكلة موجودة لدينا ولدى دول العالم المتقدم ، فلتقرير ما اذا كان دواء ما مفيداً للبشر لا بدّ من تجربته على البشر . ولا بد أن تُسبق تلك التجربة بموافقة صريحة من المجرّب عليهم ، بعد أن يتلقوا عرضاً مفصلاً لفوائد الدواء المتوقعة ومضاره المحتملة .

أما على المستوى الثاني وهو مستوى الاستيراد فلا بد أن نكون واعين حذرين . لأن خطأنا هنا لا يغتفر ولئن كان قدرنا أن نستورد كل شيء جاهزاً معلباً فلنعرف على الأقل ماذا نستورد

وفي هذا يجب الاعتماد على الشركات ذات السمعة الحسنة ، التي لا تقبل بتسويق دواء غير مدروس أو جيّد ، ولا بد حتى في هذه الحالة من تحليل مقومات الدواء أولاً ومن اجراء أبحاث وتجارب علمية ثانياً ، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عدم استيراد أي دواء لا يستعمل في بلد المنشأ ؟ أو في البلدان ذات البحث العلمي الناشط ، ويجب أن يكون هذا الاستيراد ونقل الدواء في أفضل الشروط التي تضمن وصول دواء جيد فعّال وأن تكون هذه الأدوية متوفرة دائماً في الأسواق

وان كانت مشاكل الدواء تشمل العالم كلّه فان معاناتنا منها لا شك أكبر ، لأن ضرورة الدواء في عالمنا المليء بالجهل والمرض أهمّ وأعظم . واننا لنتطلع الى يوم يكتشف فيه الدواء الجيد الجديد في بلادنا ويصنع فيها . في الوقت الذي تكون فيه حاجتنا الى استعمال هذا الدواء قد تضاءلت بسبب التطور والوعي الاجتماعي ولعلّ مقالة الدكتور الرميحي خطوة مطلوبة على طريق فتح ملف الدواء ، وتشجيعاً لنا على التطلع الى المستقبل . ولست أدري اذا كنا في تطلعنا الى هذا المستقبل المتواضع حالمين أو معالين ؟□

الدكتور غسان حتاحت

* * *

التباسات الأصالة والمعاصرة : الحضارة من حفنة تراب !

ان الحرص على الموضوع النظري والرغبة في حل الاختلاط بين عدة مدلولات للفظ الواحد ، هو ـ كما يبدو لنا ـ حافز الدكتور فؤاد زكريا ـ في مقاله المنشور بعدد مارس ١٩٨٥ تحت عنوان « وهم الأصالة والمعاصرة » ـ لاستخلاص الصيغة البسيطة والفعالة . الابداع أم الاتباع ، ووفق وجهة النظر هذه تبدو الأصالة بمعنى احتذاء نموذج الماضي نوعاً من الاتباع ، بينما تبدو المعاصرة بمعنى احتذاء النموذج الغربي نوعاً آخر من الاتباع ، وهكذا تأخذ كلمة الابداع من المفهومين السابقين مدلولهما الايجابي أي الجانب التقويمي

لا شك لدينا في أن هذه خطوة متقدمة على صعيد بلورة النظرية وتحديد مفاهيم أكثر فعالية ، في سياق هذا الجدل القائم حول كيف ينهض العرب ؟ هذا السؤال الذي طرح منذ قرنين وما زال يطرح في أواخر القرن العشرين بنفس الحدة .

الا أن للقضية وجهها الآخر ، فاذا كان التحديد النظري لمنظومة ما مهما ، فان الأكثر اهمية هو وعي الاشكالية نفسها وهنا نختلف مع د فؤاد زكريا في هذه النقطة ، لأننا لا نعتقد أن تباين الصيغ هو مجرد خلط بين ما هو زمني وما هو تقويمي، بل هو نابع من تباين في جوهر الاشكالية نفسها بين هذا الفريق وذاك . أو بعبارة أخرى نحن لا نعتقد أن جوهر الاشكالية كان وما زال واحدا منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواخر القرن العشرين اللهم الا في الظواهر العامة ، فقد اختلف هذا الجوهر وفق اختلاف رؤية الطبقات والفئات الاجتماعية العربية التي تعاملت مع الاكتساح الغربي للوطن العربي ،

ماضون في احراء التجارب على التقارب أو الانحذاب القائم بين الطين والمواد الكربونية ، اد لابد للمعادن التي في الطين من التفاعل مع مركبات كربونية ، ابتداء من ثاني اكسيد الكربون الذي في الجو لتتكون القاعدة التي يقوم عليها التركيب الكيماوي العضوي (الجوي) وتنشأ الحياة .

مع الكذابين

كثر الحديث في المدة الأخيرة حول الكذب والأجهزة الكاشفة التي تستعملها دوائر المباحث والشرطة في تحقيقها مع المجرمين والظاهر أن الدراسات العديدة التي اجريت في الشهور الأخيرة لموضوع الكذب والكذابين رعزعت الثقة في الأجهزة الكاشفة المذكورة،والقت صوءا حديدا على ظاهرة الكذب ، وعلى حرص الكذاب الشديد على اخفاء كدبه

وقد بينت تلك الدراسات أن المؤشرات التي اعتمدت حتى الآن باعتبارها مؤشرات كذب قد تكون مضللة الى حد كبير فلعلها مؤشرات في حالة الكذب العفوي ولكنها ليست كدلك في حالة الكذب المعد والمحطط له سابقا

وعددت احدى تلك الدراسات التي أحريت برئاسة عالم النفس المعروف البرفسور اكمان المؤشرات التي يعجز الكذابون عن اخفائها ، حتى لو كانوا محترفين ، ويتقون الكذب ، ومنها التحاشيات التلقائية . ولعل أكثر تلك المؤشرات هي المبالغات وانصاف الحقائق . وقد سدكر منها الكذبات الاجتماعية ، كالتدرع بارتباط سابق ودلك تفاديا لاحتماع لاحق .

من تلك المؤشرات التي يعجز الكذابون عن اخفائها الشفاه المضغوطة . وهي التي غالبا ما تعبر عن العصب وتقطيب الحاجبين مع رفع الحاجبين . وتعبر في الغالب عن المعاناة من مأزق أو كارثة والحاجة الى نحدة (انظر الصورتين) .

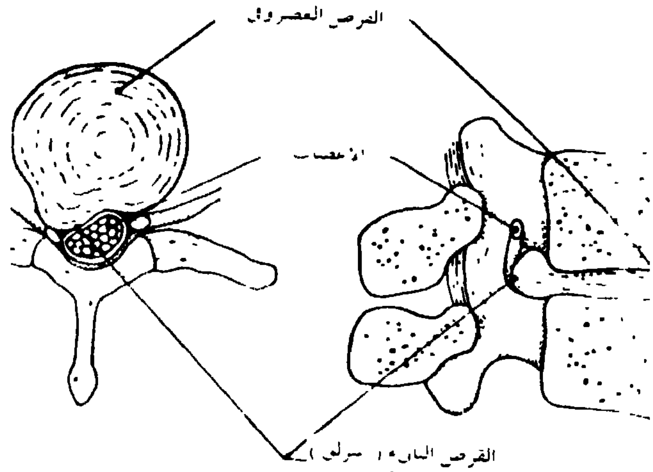
الانزلاق الغضروفي ومعالجته بالانزيمات

عقار الدسكيز (Discase) المستحضر من فاكهة البابايا ، من عصارتها بل حمارها بالتحديد ، عقار نافع وخطير فهو يعالج الأمراض الغضروفية التالفة (الدسك) ، ويغني عن اجراء العمليات الجراحية . . وقد كتبنا في هذا الموضوع شيء من التفصيل في مقالنا ؟

ونعود الى الكتابه عن العقار خاصة . . لايضاح ما التبس من المقال على الكثيرين من الـ...ـء ، وقد كتبوا الينا مستفسرين . ونظرا لأن بعض الأخبار الهامة وردتنا عن الدسكيز في الاسابيع الأخيرة فاننا نوردها فيما يلي :

١ ـ الدسكيز لايباع في الاسواق كما تباع سائر العقاقير . فالمستهلك لا يستفيد من شرائه شيئا ، اد يتعذر عليه استعماله ذلك أن العقار ليس حبوبا أو ما الى ذلك مما يسهل ابتلاعه . فهو حقن . معدة للحقن في الغضروف الثالث مباشرة . ولا مفر من الاعتماد على طبيب مختص وخبير لاجراء عملية الحقن هذه .

الانزلاق العضروفي



٢ ـ ذلك أن حقن هذه الخمائر ـ واسمها العلمي هو chemo-) papian (في القرص العضروفي مباشرة عمليه دقيقة للغاية ما لم يكن الطبيب المعالج على خبرة ودراية في اجرائها فان الحقنة تصبح نقمة وخطرا فقد تحدث الشلل وقد تسبب الوفاة أيضا فيما لو تم الحقن في الموضع غير المناسب . في العصب الذي يضغط عليه القرص حقا انها احتمالات ضعيفة ولكنها واقعية وقد وقعت بالفعل في الحالات التي كان الاطباء المعالجون فيها بلا خبرة كافية

٣ ـ من هنا كان حرص الأوساط العلمية على توفير التدريب والتلقين الكافيين للاطباء الراغبين في اجرا عمليات حقن الدسكير وعمدت بعض المستشفيات الى ابتكار أساليب خاصة تضمن تلك العمليات وسلامتها ، نذكر منها ما يعرف باسم (دسكولوسيس) ، وهي تعتمد على التصوير بالاشعة ، لتحديد موضع الحقن المناسب على وجه الدقة والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي الاسلوب المعتمد في اجراء تلك العمليات في مستشفى /آلام الظهر في لندن (Royal National Orthopaedic Hospital) وان الطبيب الذي ابتكرها أو ساهم في تطويرها والذي يجري عمليات حقن الدسكير في المستشفى المذكور هو الدكتور مايكل سوليفان (Michael Sullivan)

٤ ـ هذا ، وعمليه حقن الدسكير في غاية البساطة ، ولا تختلف كثيرا عن الحقن العادية التي تحقن فيها الأدوية في العضلات فهي تستغرق ثوان معدودة ، وقد يسمح للمريض بمغادرة المستشفى فور اجرائها ولا تكلف الا ـ ر١٧٥ جنيها استرلينيا (في مستشفى لندن الذي سبقت الاشاره اليه) أو نحو ذلك

٥ ـ والأهم من ذلك أثر حقنه الدسكير السحري اذ لاتكاد خمائر البابايا تدخل القرص العضروفي التالف حتى يزول تلفه أو انبعاجه تماما ويصبح قرصا سالما سويا . ويشفى المريض من الالام المبرحه التي طالما عانى منها على مدى الشهور أو السنين . ويكون شفاؤه تاما ونهائيا بخلاف الشفاء المترتب على العمليات الجراحيه التي غالبا ما تترك شيئا من التصلب في العمود الفقري وكثيرا ما تتطلب اجراء عمليه اخرى لاحقة ، ناهيك عن التكاليف الكبيره التي تتطلبها هذه العمليات ، وعن فترة النقاهه الطويله التي قضاءها في المستشفى أولا وفي البيت ثانيا

٦ ـ وتجدر الاشاره الى أن آلام الظهر ليست حالات أقراص عضروفية تالفة (دسك) فهذه الحالات لا تشكل أكثر من ٥٪ من مجموع حالات الام الظهر وهذه الخمسة بالمئة من الحالات لا تعالج كلها بحقن الدسكير عوضا عن العمليات الجراحية وان يمكن علاج أغلبها

الأدب في أفريقيا الجنوبية :

اسم هذه الأرض جاء مني أنا ..

بقلم : الدكتور عبد القادر ياسين

يعتبر معظم كتاب أفريقيا الجنوبية المعاصرين من طلائع انتفاضة سويتو . فهم جميعا انطلقوا من تيار ثوري انفجر أمام الظلم والاهانات ، وبقوا في دوامة هذا التيار يفجرون من أعماقهم الكلمة الرصاصة سواء كان ذلك عن طريق الشعر أو القصة القصيرة أو الرواية . واذا كان بعضهم من أصل هندي (مثل أحمد أيوب وشامبير بانوباي وأيوب باتل) فان ذلك لم يمنعهم من مشاركة المواطنين السود نفس الاضطهاد والعذاب ونفس الهموم والكفاح ضد سياسة التمييز العنصري .

لقد شهدت السنوات الأخيرة غليانا فكريا منقطع النظير جاء مباشرة اثر منع سلطات الحكم العنصري في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٧ لنشاط المنظمات والجمعيات التابعة أو الموالية لحركة الضمير الاسود . فبعد ذلك مباشرة تشكلت مجموعات عمل وتفكير وانتاج جماعي توزعت في طول البلاد وعرضها . فأصدرت هذه المجموعات مجلة (ستافريور) المتعددة اللغات في عام ١٩٧٨ وجمعت هذه المجلة حولها معظم الكتاب والمفكرين والمبدعين في ميدان الرسم والتصوير . كانت هذه المجلة تصدر عن احدى دور النشر في جوهانسبورغ ، ومملوكة لعناصر تقدمية من البيض ساعدوا على فتح ثغرة في الحصار العنصري المفروض على الثقافة والتفكير الحر بنشر ما يكتبه السود والبيض الملتزمين في ميادين المسرح والشعر والقصة القصيرة والرواية

أنا هذه الأرض

ولم تكن هذه الحركة في حاجة الى موجه أو قائد لان الفنون تساهم كلها في الواقع في عملية التوعية . وكل واحد من الكتاب والمبدعين معني بالامر لانه أحد عناصر هذه الحركة ، ولأنه في الوقت نفسه معرض كغيره لقمع السلطة العنصرية وتهديداتها . لذلك تجمعت الطاقات تشجع بعضها بعضا ، فأبدعت في

بدان الأنتاج الادبي،وأبرزت الاصرار على الاستمرار الارادة الجماعية،ليس في الكفاح وحده وانما في لانتظار أيضا . وعلى سبيل المثال لا الحصر لنستمع الى سمبالا يقول في ديوان شعر (سوفيتو) مؤكدا اصرار الشعب الافريقي العريق وايمانه بعدالة قضيته ، وبأنه صاحب هذه الأرض مهما كان الرفض والعناء الذي يواجه به من قبل المحتلين العنصريين .

« لم أكن يوما في حاجة لان أقول
هذه الأرض ملكي أنا
هذه الأرض كانت دوما لي
واسمها نفسه جاء مني أنا
تركيبة هذه التربة أحددها أنا ،
وأنا من يعطي ملحا لعرقها ودمعها
عضلاتي المربوطة لعجلتها
تديرها متى مددتها
أنا هذه الارض ، وهي ملكي أنا ،
لم أطالب يوما بحصتي من الميراث
لاحاجة لي بذلك
فأنا هذه الارض »

كان أدب السود في أفريقيا الجنوبية في بدايته أدب احتجاج واستنكار ، يحمل في طياته في الوقت نفسه المعاناة اليومية واللحظة المعاشة،فكأن الادباء أرادوا له أن يكون شهادة على ما يقاسيه الرجل الأسود في بلاده حتى لايقول الرجل الأبيض (وبقية العالم) انهم يجهلون ما يجري في هذه البقعة من العالم التي فقد فيها الرجل الأبيض انسانيته في عصر التحرر من القيود والانطلاق نحو غزو الفضاء . ثم أصبح هذا الأدب على مر الايام أدب الرفض والتصدي ، وتحول الى أداة لجمع القوى وحشد الطاقات،وسلاحا في معركة المصير . لقد كانت الافكار التي يبثها والكلمات الصارخة التي يطلقها تدعو الى ضرورة توحيد الصفوف والتضامن والعمل وخوض المعركة دون تردد .

نحو تحرير العقول

ونظرا لأن القنوات الرسمية والشرعية للتعبير مغلقة امام الكاتب الأسود ، سواء أكان ذلك الشارع أو البرلمان أو الصحافة المكتوبة والمسموعة ، فقد فرض الأدب نفسه وسط جمهوره الافريقي كعنصر رائد لاستعادة الشخصية الجماعية وتثبيتها ، وذلك عبر الدعوة الى التجمع وتوحيد صفوف المنبوذين وبما أن الكاتب ـ شأنه في ذلك شأن أي فرد من أفراد الشعب يعتبر منبوذا ، فالفرد أيا كان ـ يذوب وسط الجماعة ، والكاتب يصبح معبرا عنها وعن ثورتها وطموحاتها ، عن افراحها ومآسيها ، وعن مطالبها وآمالها فكان انتاج الكتاب السود في افريقيا الجنوبية دعوة الى تحرير العقول ، وهو الطريق نحو التحرير الكامل في جميع المجالات انه المخاض لصنع الوطن المتكامل بكل أبعاده ، صنع وطن يرفض كل العصبيات وروح العشيرة ، ويزيل الحواجز التي تفصل الافارقة بعضهم عن بعض ، وتحول دون تشكيل جبهة موحدة في مواجهة الاضطهاد الذي يشتركون في معاناته .

ان الادب الافريقي الذي كان نبعة من فيض الرجل الافريقي السمح ومن قلبه الزاخر بالعواطف الانسانية لانه عانى قرونا من المحن وظلم الانسان ، لايتعرض للرجل الابيض بالحقد والكراهية رغم سيطرته على كل شيء وحرمان الرجل الاسود من كل شيء ان الواقعية سمة بارزة في الادب الافريقي ، والرجل الابيض يحتل مكانه فيها لانه موجود ، وكل مايطلب منه هو أن يأخذ مكانه وليس كل المكان . كما ان الرجل الاسود ليس وحده على الساحة الافريقية ، وليس كل اسود معدودا في صفوف الحرية .

ويتفق النقاد الذين درسوا هذا الادب على القول أنه غير عنصري ، ويدعو في مجموعه الى بعث مجتمع تمحي فيه فكرة التصارع بين الأجناس ، وانطلاقا من ذلك يعمل على كشف زيف ومغالطات السياسيين الذين يحاولون اخفاء الواقع المرير الذي ساهموا في خلقه وترسيخه بمختلف الاساليب والدعايات انه أدب يحرك الضمائر النائمة ويوجه المترددة منها انه يكشف المتهربين من المعركة والمتعاونين مع نظام عنصري تدينه الانسانية بأجمعها.انه باختصار ، أدب يحاول فك العزلة التي أرغمهم عليها النظام العنصري لتنفتح بلادهم على افريقيا السوداء ، وذلك بالدعوة الى الرجوع الى القيم التقليدية الانسانية ، والى نبذ الانانية والفردية المتقوقعة . □



سوق نزوة الأسبوعى تجمع فرضته التقاليد العمانية العريقة وتحت شجرة الصبار الضخمة هذه تجرى تقاليد البيع
والشراء والمصاهرة . وفى سوق الحدادة بالبحرين ، يعزف السندان لحن العمل الأبدى . (الى اليسار)

الأسواق الشعبية

فى الخليج العربيّ

استطلاع : ثريا البقصمي

اشتهرت أسواق الخليج العربي منذ القدم - نظرا لموقعها الجغرافي - كمركز تجاري حي ، ونقطة مهمة .
ولكن معظم هذه الأسواق جرفه الزحف العمراني لمواكبة عجلة التقدم .
وهذه جولة في بعض أسواق دول الخليج العربي .



أصوات مطارق الصفارين ، تختلط بضحكات الباعة من كبار السن اثر نكتة أطلقها أحدهم ، الروائح العطرة والتوابل الحادة ، تجذب النساء الملتحفات بعباءاتهن ... ممرات ضيقة مسقوفة ، جدران فقدت ألوانها ولكنها احتفظت ببصمات الماضي

جو شرقي آسر . يقطعه شح الخرافات الواقفة على أبواب هذه الأسواق ، والذي يرسم لونا من الكآبة على الوجوه المسنة ، على الرغم من كل البدائل المطروحة ، واغراءات الأسواق المركزية الحديثة المكيفة . فهذه العتبة المتصدعة التي تتصدر باب أحد الباعة ، والتي لعب أمامها طفلا . وجلس عليها شابا واتكأ عليها شيخا هرما ، هي جزء منه لن ينفصل عنه ولن يحمله إلى أية بقعة جديدة وهذا السوق بكل قدمه وإن لم يواكب روح العصر وتقدمه ، فانه يبقى منزلا للذكريات ، يشيع جوا حالما ينطق الأصالة والجمال

أسواق الكويت ـ قديما ـ

لعبت الأسواق ـ في الكويت القديمة ـ دورا رئيسيا ، كمكان لالتقاء الناس من جميع الفئات المختلفة . وكان هناك حاكم لفض المنازعات بين رواد السوق ، وحراس لفرض النظام وحماية ممتلكات الباعة والتجار

ويعتبر سوق « الداخلي » من أوائل الأسواق في الكويت ، وهو يضم متاجر الحدادين الذين يزودون تجار السفن بكل لوازم السفن ، كما كانت تباع فيه الخضراوات

وينتهي هذا السوق إلى ممر مسقوف ، يجتمع فيه البدو الرحّل ، حيث يبتاعون الأرز والحبوب ، ويقوم رجل من الجمارك ، يدعى « ابن عسكر » بأخذ الجباية على هذه المواد الغيبية

وفي نهاية هذا السوق غرفتان خشبيتان ، يجلس فيهما حكام الكويت لاستقبال أبناء الشعب في ساعات معينة ، والتشاور معهم في أمور الحكم ، ومن أشهر الشخصيات في هذا السوق الحاكم « صباح السوق » ، وكان رجلا شديد المراس ، ذا قدرة فض المنازعات التي كانت تزداد في شهر رمضان شباب منطقة « قبلة » ومنطقة « الشرق »

أسواق للنساء :

إن أشهر الأسواق التي كانت تتداول البضائع النسائية هو « سوق البنات » الذي كان مركزا لبيع الأقمشة ، وتجاره من الكويتيين واليهود المهاجرين وكان هناك من النساء من يحملن البضائع المختلفة ويترددن على البيوت لبيعها ، ويطلق عليهن اسم « الدلالات » ، وتتميز بضائعهن بأنها من الصناعات اليدوية التي تصنعها النساء في بيوتهن و « الدلالة » هي الوسيط في تسويق هذه البضائع هذا وللنساء دور كبير أيضا في سوق « الصفاة » حيث كن يبعن الحبوب والبن المطحون ، وعلف المواشي . والحب الجاف ، ويغزلن الأصواف ويعتبر سوق « الحريم » هو السوق الوحيد الذي تبقى من هذه الأسواق النسائية ، وما زال قائما حتى الوقت الحاضر ، وفيه تتاجر البائعات بالملابس الشعبية الفلكلورية من « أثواب » مطرزة ، وعباءات ولوازم التجميل الطبيعية مثل « الحناء » و « الديرم » ـ وهو لحاء شجر يصبغ الشفاه

وقد ازداد عدد الأسواق وتنوعت بضاعتها . تمشيا مع التطور الحضاري للكويت ، واتخذت تسميات تنبع من صميم شخصياتها الاقتصادية ، وكان أشهرها « سوق سكة عنزة » ، وسوق « الذهب » الذي تباع فيه الذهون النباتية والحيوانية ، وسوق « الحرارة » وقد اشتهر بصناعة « النعال » والصنادل الجلدية وأشهرها « النعال النجدية » ، وسوق الحدادين المتفرع من سوق السلاح ، الذي اشتهر ببيع الأسلحة والذخائر ، وسوق التجار ، وسوق السمك ، وسوق الصاغة ، وكانت هناك أسواق موسمية ، تعقد في فترات معينة ، وهي عبارة عن مهرجان للبدو الرحل الذين يجلبون الدهون والجلود والمواشي للاتجار بها ، وكانت تعقد عند قصر « نايف » وساحة « الصفاة » وسوق المناخ ، وهو

..رة عن ساحة كبيرة نصب فيها ميزان ضخم يسمى «القبان» ويستعمل لوزن المعبيات الغذائية، وأحد ...رية عيبية عليها، وجاورت هذه الأسواق مقاه شهيرة لعبت دورا رئيسيا في حل كثير من المشاكل التي واجهت المجتمع الكويتي في بداياته، وكان مقهى «أبو ناشي» في مدخل سوق التجار من أشهرها فهو بمثابة منتدى للتجار ووجهاء البلاد

وفي الثلاثينيات اجتاحت البلاد فيضانات نتجت عن الأمطار الغزيرة، وسميت سنة «الهدامه» وفيها غرقت الأسواق وتلف العديد من المحال التجاريه

الأسواق القديمة ـ حديثا :

إن ما تبقى من القديم لا يكاد يذكر، والأسواق الحالية لايزيد تاريخها عن بضع عشرات من السنين، والسوق الحالي حديث البناء، وكان سابقا في موقع «للسكراب» أي بقايا حطام السيارات والنفايات المتناثرة بالقرب من ساحة الصفاة، وقد أمر الشيخ «فهد السالم» مجموعة من المهندسين الكويتيين وأشهرهم الأسطى «أحمد البناء» ببناء سوق في هذ الموقع، وحال انتهائه انتقل إليه الباعه، وقسم إلى مجموعات صغيرة، أطلقت عليها تسميات مختلفه، وهي سوق «الحب» ـ علف المواشي ـ، وكان موقعه السابق على ساحل البحر، وسوق «...» ـ السجاد ـ الذي اشتهر فيها بعد بالمزادات العلنيه، التي يجريها التجار على السجاد، أما المشترون فهم في الغالب من اصحاب الحوانيت التجارية المجاورة، ثم يباع هناك السجاد الفارسي ...، وقد بقيت بعض الحوانيت التي تبيع «البشوت» وهي العباءات الرجالية، وكانت في السابق تستورد من سوريا والاحساء، وتخاط يدويا، أما الآن فهناك مصنع ضخم في الكويت يزود السوق والأسواق في منطقة الخليج بهذه البضاعه التي لا غنى للرجل الخليجي عنها، كما أن هناك بعض الأسواق التي في طريقها إلى الزوال مثل «سوق الحمام» و«سوق الحريم» أما سوق «الصفافير» فقد تم نقله إلى مقر جديد، وهو مايزال يزود السوق بالصناعات المعدنية الخفيفة

الأسواق في الامارات

إن الزحف العمراني الذي عم الخليجي الفتي، لم يبق إلا على قليل من ... الماضي العميقة، وكل ما تبقى من أسواق ... قديمة في مدينة دبي، لايتعدى بعض المحلات المستطيلة المسقوفة، والتي تقع على «الخور» الساحلي مباشرة، ويطلق عليها الناس اسم «سوق الديرة»

إن عمر سوق الديرة لايتعدى سبعين عاما، وقبل أن يتأسس هذا السوق كان يطلق عليه اسم «سوق الخيام» وذلك لأنه كان محطة لالتقاء تجار المواشي، الذين ينصبون خيامهم حتى تنتهي فترة السوق الموسمية، ويعد سوق «بندر طالب» أول سوق في المنطقه، وفيه مخازن لبيع سعف النخيل. وساعد قرب هذا السوق من البحر إلى انتعاشه الدائم، هذا وقد شب حريق في هذه الأسواق، قبل خمسة وعشرين عاما، أدى إلى القضاء على أكبر مجموعة من المحلات القديمة وفي ممر ضيق شرنا على بائع «للنبع» يدعى «محمد عباس» يبيع (المدواع) وهو العليون والذي يستعمله البدو للتدخين، و«الأراحيل» للحصر، وقال إن النبع كان يصدر من دبي لدول المنطقة، وذلك لأنه يزرع محليا، والنبع تجارة رابحه، لأنه يخزن فترة تتراوح مابين الخمس والست سنوات

عطار يبطل السحر :

جلس «الحاج حسين» وسط أنواع مختلفة من الأعشاب، وهو يتحدث عنها بحب كبير، قال إني أبيع ستمائه نوع من الأعشاب ومواد العطاره المستوردة من الهند، اليمن وإيران، وبعضها من الصومال والسودان، ولايزال الناس يطلبون الطب الشعبي فهو تجارة رابحه، وللأعشاب تسميات طريفة مثل «قرص القمر» «هده ...» «...» «وحب الرموته» للعلاج ... هضم، و«...» للطفل ... «ومبطل السحر» وهو يحضر من الزئبق وأعشاب مختلفة ثم يوضع في حجاب تحت وسادة «المسحور» فيبطل السحر، وإن سكان عمان

الصـــورة
اليمين عدسة مصـ
العـربي سليمـ
حيـدر فاجأت هـ
الرجل العماني وهـ
يحتسى فنجان القهـ
العربية فى سو
مطرح بمسقط اليسـ
بائع النحاس العمار
يجتمع حوله روا
السوق
والى اليمين
اسفل صائغ
ذهب عمانى يقضى
يومه فى مناحاة
المعادن الثمينة
والى اسفل بائع
البخور ، بسوق
الجت فى الكويت
يبيع هذه المادة
المعطرة









وبالتالي لم يكن تعدد الصيغ التي طرحت للاشكالية نابعا من الغموض والاختلاط اللفظي بقدر ما كان نابعا من تباين المصالح في التشكيلة الاجتماعية التي صدمت بهذا الاكتساح . لقد حدد (الخديوي اسماعيل) ومن تابعه من المفكرين مثلا مشكلة مصر في اطار القدرة على التحول الى جزء من أوروبا . بينما كان مفكر مثل عبد الله النديم يطرح مشكلة مصر في اطار القدرة على التحرر من قبضة أوروبا

ان اختلاف هاتين الصيغتين هو بالضبط انعكاس أمين لاختلاف في الاشكالية نفسها ، وهو اختلاف طبيعي تماما ، وليس شذوذا .

ولهذا كان الامر خيارا بين موقفين : الأصالة والمعاصرة ، بمعنى الحفاظ على الذات أو الذوبان في الآخر الغازي ، والحقيقة أن فشل كلا الخيارين في إثبات مصداقيته وفاعليته لم يأت بسبب أخطاء نظرية ، بقدر ما جاء بسبب من طبيعة هذا الاقتحام الغربي الذي لم يكن احتكاكا أو تعارضا بل كان اقتحاما لبنية تاريخية مغيرا لعناصرها ، وموجها لمعنى وجودها . فالحفاظ على هذه النهضة المسماة تقليدية سلوكا وفكرا وانتاجا كان مستحيلا أمام غزو مسلح بنمط انتاج متقدمة ، وانجازات عسكرية أكثر فتكا ، وكذلك كان مستحيلا الانخراط في الآخر الغازي ، وسر هذا الفشل المزدوج لكلتا الشخصيتين التقليدية والعصرية ، يكمن في طبيعة مشروع الغزو نفسه . فهو لم يكن يحمل في طياته مشروع اقامة عالم على مثاله ، لأنه بذلك يعارض ويناقض نفسه كنمط انتاج مركزى متوسع على حساب التهام الشعوب الاخرى ، بل كان يتضمن اقامة عالم ثالث لا هو بالتقليدي ولا هو بالمعاصر وأبلغ ما يعبر عن اتجاه هذا الغزو تلك الأحداث التاريخية التي قوضت بها أوروبا أنماط الانتاج الرأسمالية التي حاولت الظهور في فترات مختلفة من القرن التاسع عشر في مصر والعراق وتونس .

ان ما استخدمه الغزو بحكم طبيعته الانتاجية أي كنظام رأسمالي هو تحطيم البنية التقليدية ، وصياغة تجمعات بشرية تخدم وظائفه فقط . أي تجمعات بلا هوية ولا مرتكز ولا تاريخ

وما زلت أذكر حتى الآن تلك الحوادث العجيبة التي سمعتها من أكثر من فلاح فلسطيني ابان الاحتلال البريطاني لها . حوادث كان فيها جنود بريطانيا العظمى يقتحمون بيوت الفلاحين ليس فقط للبحث عن الاسلحة ، بل لتدمير قوت الفلاحين من القمح والشعير والطحين والزيت ، أي تقويض مقومات البقاء على الأرض .

لماذا فشلت المعاصرة ؟

اذا كان الانسان « التقليدي » في دفاعه عن ذاته ونمط معاشه وطراز بيوته ومكانه في العملية الانتاجية التاريخية ، قد بدا فشله واضحاً في سياق العنف الاستعماري المتفوق الذي وجه اليه ، في وقت لم يكن فيه يمتلك المؤسسة المنظمة ولا المعرفة الكافية ، فان فشل « العصري العربي » كان أشد وضوحا ومأساوية . ذلك لأن الأول كان - على الاقل - يدافع عن هوية وعن بيئة تاريخية ذات سمات واضحة هدمها الغزو الغربي في طريقه الى الاسواق والمواد الأولية وطرق المواصلات ، أما الثاني فقد كان يتوقف عن الدفاع أملا في تحقيق مستقبل خاسر سلفا ، هو مستقبله كما تصوره على غرار الحاضر الغربي وبالتعاون معه وهكذا توازى فشل التقليدي والمعاصر ، وظل وعينا لهذا الفشل وادراكه هو المهمة التي لم تنجز حتى الآن .

لقد فقدت قوة العمل العربية سواء كانت ذهنية أو عضلية ، موضوعها ، أي المادة أو الطبيعة ، وفقدت تاريخها أي السياق الزمني الذي تترجم فيه وعبره فعالية اليد والفكر وتدريجيا ومع نمو شروط التبعية الاقتصادية والاجتماعية أصبحت هذه القوة بلا قوى حقا ، لنتصور مجتمعا يقوم كيانه - أي تجمع أفراده وعلاقاتهم ونظمهم ومعتقداتهم - على شرط وجود نهر من الانهار ، وعلى أساس الاستغلال لهذا النهر والاراضي المحيطة به . ما الذي يكون عليه مصير هذا الكيان اذا نضب النهر ، وتفتت كل ما كان يسنده بالتالي ؟ هل يكون أمام أفراد مثل هذا التجمع الا التبطل وتشكيل حلقات مذاكرة قصائد الماضي وملاحمه والتمتع مؤقتا بمنتجات مجتمعات أخرى ؟ لا شك أن مثل هذا المجتمع سرعان ما سيتحول الى مجرد كتلة لا فرق بينها وبين كومة الرمل وسيبدو بحثه عن الاصالة أو المعاصرة أو كلتيهما معا لغوا لا ...

المشهورين بالسحر ، يتوافدون إليّ لشراء « مسطل السحر » هذا

أسواق الشارقة

على شاطىء الكورنيش في الشارقة ، يمتد ممر ضيق يسمى « سوق الفحم » ، وهنا يباع الفحم الباكستاني والسيريلانكي والعماني والأفريقي ، وبجانبه تباع أعلاف المواشي والأسماك المملحة ، وكميات كبيرة من الملح الخشن ، وحسب أقوال أحد الباعة فإن الملح يخلط مع الفحم ويردم في حفرة لاستعماله في أغراض الطاقة الكهربائية

الأسواق الشعبية في البحرين

اشتهرت البحرين بأسواقها منذ القدم . وقد اندثر بعضها ، أما البعض الآخر فما يزال يعكس تراث شعب (يتميز بالأصالة) وقد تنوعت الأسواق الشعبية حسب تنوع الصناعة ، وكان من أشهر الأسواق قديما « سوق الخميس » وسمي بذلك لأنه يقع بالقرب من « مسجد الخميس » وفي باحة كبيرة مسوّرة كان يجتمع تجار الماشية والبدو الذين أحضروا صناعاتهم اليدوية لتسويقها ، وكانت هناك أسواق موسمية وأسبوعية من أشهرها سوق الاثنين والأربعاء ، ـ وينعقد حاليا سوق الأربعاء في المنامة وهو زاخر بالصناعات الشعبية ، ويعتبر تجمعا لمختلف الفئات ، وأغلب رواده من النساء

ومن الأسواق التي اندثرت سوق « جارو » وكان عبارة عن مخازن للغلال والحبوب ومرابط لتجار الماشية .

سوق الحدادين :

في مدخل سوق المنامة يقع « سوق الحدادين » ومن خلال أكوام الحديد شيء كالسواد يتسرب إليك وإلى كل الأشياء الصغيرة ، وينتشر ليغمر سحنة ذلك الانسان المطحون المنهمك أثناء حديثه بمطرقته وسندانه ، وتؤجج نفخات « الكير » (المنفاخ) احمرار قطع الحديد الملتهبة . رفع السيد « علي الحداد » اللحام رأسه وهو يشي شكواه لاعنا تلـ الصناعات الحديثة ، والتجار الذين يستوردونها مـ الخارج ، لكي يصيبوا مهنتنا بالكساد : ولتعلمي سوق الحدادين هذا ، هو السوق الوحيد في منطقـ الخليج ، وقد كان في السابق يصدر مصنوعاته لـ جميع الدول ، والمناطق المجاورة ، أما الآن فقـ أنشأت هذه الدول مصانع حديثة واستغنت عـ مصنوعاتنا ، وأصبحنا نغطي حاجة البحرين فقط .

وعن مصنوعاتهم اليدوية قال : إننا نصنع لوازم السفـ و « باورات السفن » المرساة ، وأدوات زراعيـ وعندما سألته عن هذه الفوضى العارمة التي تحيط به ، أجاب والدهشة تكسو وجهه . إنه لا يرى أي فوضى ، فأكوام الحديد الصدئة هذه ، تنتظر النار لتصهرها عندما يقدم الزبون أي طلب جديد .

ولاحظت بأن العاملين أحجامهم ضئيلة ، وعمل الحداد شاق يحتاج إلى الجهد العضلي ، ولكنه صحح هذه الفكرة قائلا : بأن عمل الحدادة يحتاج إلى الذكاء والخبرة قبل احتياجه إلى العضلات المفتولة

سوق التمباك « التبغ » :

يعد سوق المنامة من أكبر الأسواق الشعبية مساحة في منطقة الخليج ، وهو عبارة عن ممرات ضيقة متشعبة . ستجد نفسك ـ اذا كنت غريبا ـ في نفس النقطة ولن تستطيع الخروج إلا بمساعدة مرافق من أهل المنطقة ، وفي سوق التبغ تثير انتباهك متاجر قديمة لا تتعدى مساحتها بضعة أمتار تتكدس فيها أكوام من ورق التبغ الجاف ، والباعة المسنون يتحدثون عن تجارتهم ببهجة ، إنها تجارة مربحة ـ كما قال أحدهم ـ والسبب يعود إلى أهل البحرين ، وخاصة كبار السن الذين لم يقلعوا عن تدخين (الأرجيلة) ولا يخلو أي بيت بحريني من هذه العادة ، والنارجيلة البحرينية صغيرة الحجم ، مصنوعة من قشرة ثمر جوز الهند ، ولها عنق فخاري وتملأ بالماء الساخن ، ويقول بأنه كلما ازداد اخضرار التبغ ارتفعت جودته ، والتبغ أنواع ، مثل : تبغ « خاكة » و « الحجري » و « شبات » و « باطني » .

وكلما كان للتبغ مفعول أقوى ، ارتفع سعره ،

ن أجود الأنواع ، التبغ العماني ، وفي البحرين لا
ع التبغ بل يستورد من الخارج

سوق « الصفافير » :

ومرورا بمحلات مختلفة لبيع البدو والعطارة حال الماشية ، أتينا الى شيخ هرم يخيط الأكياس التي تستعمل لتحرير الحبوب والطحين عرف نفسه وهو رفيق للاسره وقطع (الخيش) ومن داخل السوق يبعث صوت طرقات رتيبه تصيب بالصداع ، بينما يشعر العاملون هناك بالبهجة وهم يسمعون هذه الأصوات ، وأغلب المصنوعات المعروضة هي براميل لحفظ المياه ، وأوعية منزلية ، « والصفافير » هم الأشخاص الذين كانت مهنتهم تصفير الاواني المنزلية ، والقدور النحاسية القديمة ، وتلميعها وتنظيفها بمادة النشادر والقصدير ، لتعود صالحة لأغراض الطبخ ، ونادرا ما يخلو أي مطبخ بحريني من هذه الأواني ومع ظهور أواني « الألمنيوم » ، توقف نبض الشارع لفترة ، ثم عاد يستجمع قواه من جديد ليواجه الموقف ، والان يقوم شارع الصفافير بجميع الأعمال المعدنيه ، وتشاهد في شارع الصفافير لوحة شعبيه جميله حيث تتجاور المحال ، وقد افترش أصحابها الأرض يعملون بلا كلل

أسواق المحرق :

من أشهر أسواق مدينه المحرق سوق « الطواويش » وهو سوق موسمي يقام لتجار اللؤلؤ ، وبقيت هذه الأسواق ولكن اختفى اللؤلؤ منها لتباع فيها بضائع أخرى أقل تكلفة ، وأكثر التصاقا بحياة الناس

سوق العباءة (أو سوق القيصرية) :

في هذا السوق الضيق تنتشر متاجر صغيره ، تباع فيها العباءة الحريرية السوداء ، وكان الخياط « حسن الحرس » منهمكا في محادثة إبرته ، تحيط به تلال من الأقمشة السوداء اللامعة ، قال إن صناعة العباءة النسائية ما زالت تلاقي رواجا ، على الرغم من انتشار ظاهرة السفور ، وكانت أقمشة العباءة تستورد من سوريا ، أما الان فان الأقمشة اليابانية غزت الأسواق ، وهناك عباءات للفتيات ، وأخرى للنساء ، وتختلف العباءات باختلاف التطريز المحاط بها ، كما تتفاوت أسعارها حسب نوع القماش ، وتستغرق كل عباءة بضعة أيام لانجازها ، والمرأة البحرينية تبتاع العباءة في الأعياد والمناسبات والأعراس ، وتسمى العباءة باللهجة البحرينية « بالدفه »

وتنتشر في هذا السوق محال الندافين ، الذين يحشون الوسائد القطنية ، ويحلجون القطن ويعرضونه بطرق بدائية والات يدوية بسيطة في مخزن ملحق بمعمل الندافة ، وتحتاج العملية إلى إبر سميكة ، وذلك لأنها عرضة للكسر اكثر من مرة ولعل أجمل ما في هذا السوق المنازل الطينية القديمة والحواري الضيقة ، ورائحة بخور عتق تنبعث من خلف نوافذ مزخرفة بأحلام شعب وطراز بحريني أصيل

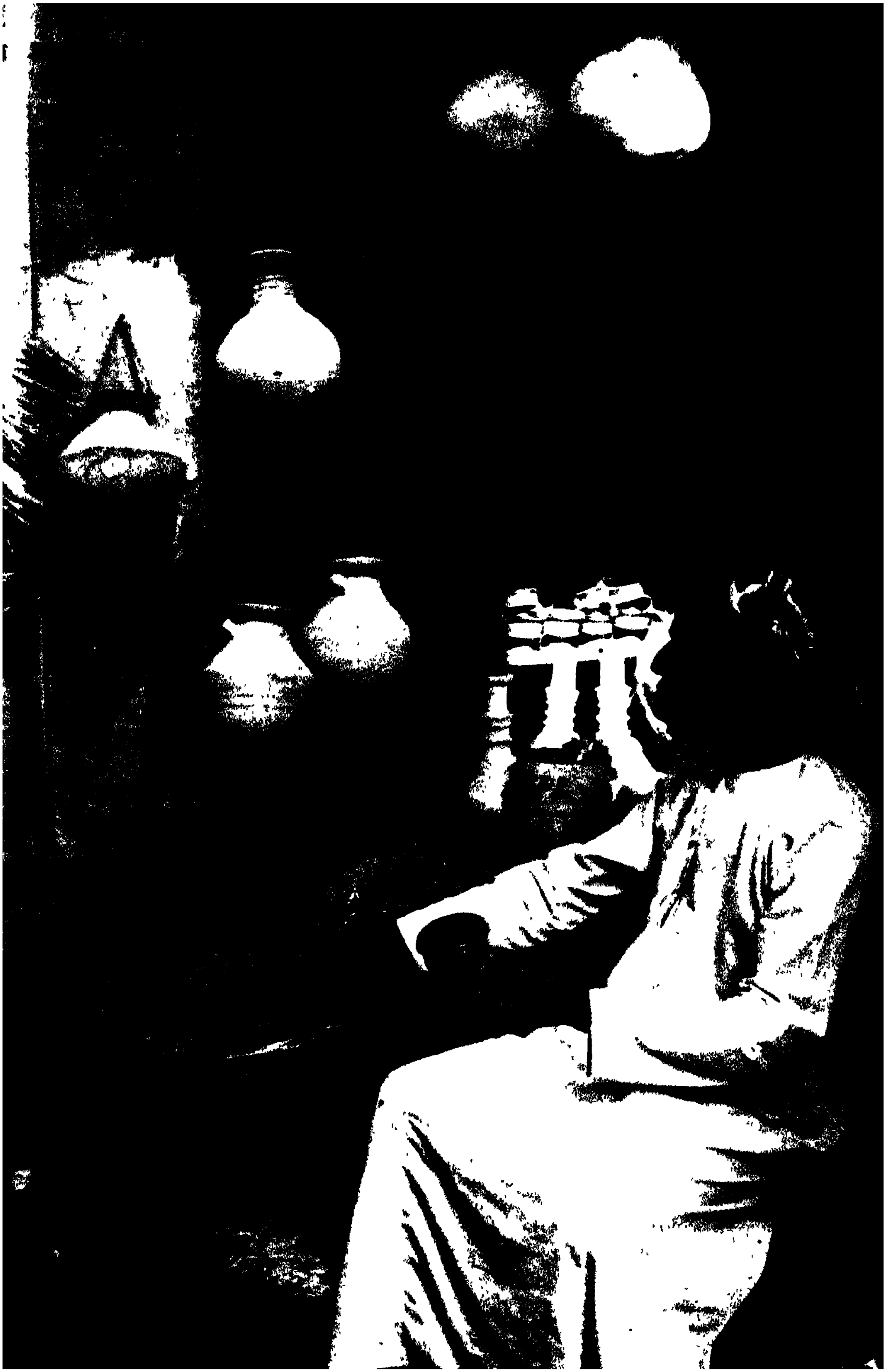
سلطنة عُمان

أسواق لمرادات الخناجر والمواشي

تعتبر « عُمان » وهي في ذلك الركن البعيد من شبه الجزيرة العربية ـ أشبه ما تكون بجزيرة من الجبال ، ولكنها جزيرة تسيطر على اقدم الطرق التجارية البحرية في العالم ، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي ، ونتج عن موقعها هذا أسواق ساحلية ، اكتسبت عمان شهرتها منذ القدم

سوق مطرح :

ففي مدينة « مطرح » الواقعة على بعد ميلين من مدينة « مسقط » العاصمة ، يحتل « سوق مطرح » مساحة كبيرة من المدينة ومعنى كلمة « مطرح » مكان الرسو أو « محط الرحال » الذي قد يشير إلى المكان الذي كانت تلقى فيه قوافل الجمال القادمة من الداخل أحمالها بعد رحلة تستغرق أسبوعا عبر الجبال والوديان وكانت بوابات سوق مطرح حتى شهر يوليو ١٩٧٠ تغلق عند غروب الشمس ويعتبر سوق مطرح أول سوق بني في عمان،وهذا





بائع فخار عماني بسوق مطرح ، ينتظر زبائنه من القرويات اللاتي لاغنى لهن عن هذه الجرار الفخارية . (الصورة الى اليمين)

بائع « التمباك » البحريني بسوق المنامة ، قضى حياته بين أوراق التبغ الصفراء ومساومات زبائنه



سوق « الحريم » بالكويت مسحة من الماضي ، في طريقها الى الزوال .



عمانيون يخوضون عملية مزايدة لبيع الاسلحة بسوق مطرح الساحل .

السوق لم تنله يد الترميم ، وهو عبارة عن محال متقابلة تربطها ممرات ضيقة مسقفة ، وقرب « ميناء قابوس » من هذا السوق ، سهل عملية تسويق البضائع ، وعلى الرغم من سيطرة الهنود على هذا السوق فإن الصناعات العمانية التقليدية ما تزال في أيدي العمانيين ، لأنهم يعرفون أسرارها ، ويرفضون أن تؤول إلى الأجانب.

يقول بائع « الكميم » و « الكميم قبعات قطنية ، غنية بالمطرزات يعتمرها الرجل العماني : إن بعض قبعاتي محلية ، وغالبا ما تقوم النساء بتطريزها ، » إذ يستغرق تطريزها أحيانا شهرًا كاملا ، وهي مرتفعة الثمن ولا يقتنيها غير الميسورين . أما القبعات المستوردة فهي زهيدة الثمن ، والرجل العماني بدون « الكمة » يعتبر ناقصاً في زيه وفي مظهره الرجولي ، وكان البائع قد عرض قطعا من القماش التي تحمل رسوما تخطيطية ، تنتظر النساء القرويات لكي يحملنها إلى منازلهن ويقمن بتطريزها ثم يحملنها إلى السوق مرة أخرى لبيعها ، وكلما تعقد التطرير ارتفع سعر « الكمة ».

بائع الخيزران : وتفاجأ بمجموعة من الرجال المسنين وهم يثنون عصي الخيزران ، ويعيدون لا تنقصها الخبرة يحاولون معرفة جودة الخيزران ، وهنا قال البائع : إن بضاعتي مازالت رائجة فإن الرجل العماني يجب أن يكون مظهره كاملا ، فإن لم يعتمر خنجرا ويحمل خيزرانة ، يشعر بأنه يسير عاريا ، وأضاف بأنه نظرا لارتفاع أسعار الخناجر ووصول بعضها لمبالغ خيالية ، فإن الخيزران يحل محل الخنجر العماني في بعض الأحيان.

وفي الماضي كان الرجل العماني لا يسمح له بدخول المحكمة ، إن لم يحمل خيزرانة في يده ، وفي هذا السوق تصادف بعض الباعة الذين يعرضون بضاعة بسيطة ، مثل عطار يبيع على الرصيف ثلاثة أنواع من البهارات فقط ، وذلك لضيق الحال وآخر يبيع الصواني النحاسية ، والقدور المعدنية ، والسجاد ، ويجذب الجمهور بالنداء على بضاعته بالرقص والغناء وإلقاء النكات المختلفة وقد رد البائع على أحد أسئلتي اللحوحة عن نوع بضاعته قائلا : هذه الصينية اسمها « الشبه » ثم أكمل مشيرا إلى نفسه « وهي مثل راعيها الشايب » . ! ! . . .

وتعتبر « العِمّة » العمانية مكملة للزي الحكومي في السلطنة ، ولن يدخل أي موظف دائرته الحكومية إذا لم يعتمر العِمّة ، وقد قال البائع « جواد علي » إن هذا القرار أنعش تجارة بيع العمائم، وبعضها من الأقطان الرخيصة وهي لعامة الناس ، وبعضها الآخر من الأصواف العالية والحرائر النفيسة ، وتصل إلى مبالغ خيالية ، ويتواكب الناس على شراء الأقمشة وخصوصا النساء ، ومعظمهن يقمن بخياطتها في منازلهن ، وتمتاز العمة العمانية بثرائها اللوني والزخرفي.

ومن أشهر المناطق في سوق مطرح « سوق الصاغة » ، وقد التقينا بالحاج « سعيد خميس » وهو صائغ هرم لا يعرف عمره بالضبط ، ولكنه بدأ العمل في الصياغة منذ التاسعة من عمره ، وكان الذهب يجلب من الهند ، ويصهر بالفحم : أما الآن فقد استبدل الغاز بالفحم ، وقال الحاج سعيد : في السابق كنا نصوغ الفضة ، ولكن قل الطلب عليها في الوقت الحاضر أما بالنسبة إلى الذهب فقد بقي في السوق اليوم خمسون محلا فقط لصياغة الذهب ، بينما كانت في السابق تبلغ الضعف.

وقال صائغ آخر يبلغ السابعة عشر من عمره : إني أحاول أن أتعلم مهنة والدي ، وهي مهنة تحتاج إلى الصبر والدقة وكثير من الفن ، ونحن نحاول دائما تقديم تصاميم جديدة وذلك لأن النساء سريعات الملل ويرغبن في كل ما هو جديد.

وفي بعض الممرات الضيقة تفاجأ بمحال (الروبابيكا) ، وهي تحوي كل ما تخلى عنه الناس من علب فارغة وأحذية بالية ، وعندما سألت البائع عما يبيع قال : مشيرا إلى بضاعته بفخر ، إني أجمع ما يلقيه الناس ويتخلون عنه ، وهناك زبائن يحتاجون إلى أشياء تافهة يجدونها عندي ، وتأملت محله جيدا ، فمن السقف تتدلى الحبال والجرار ، وعلى الأبواب علقت أقفال صدئة ، وأشياء بلا هوية ، وحسدته على الرضا الطافح على وجهه الهرم : وكانت المحال المجاورة أكثر جدية فيما تعرضه من بضائع تشمل أواني الطهي ، ومجامر البخور ، والجرار الخزفية والفخارية التي تقوم النساء بزخرفتها قبل بيعها ، وهذه الجرار تجلب من مدينة « بهلة » حيث تقع معامل الفخاريين .

سوق السيب :

تشتهر « مدينة السيب » الساحلية سوقها المتاخم للساحل ، والذي يشتهر ببيع الحلوى العمانية المصنعة يدويا ، طبق مواصفات معينة ويكثر فيها استعمال نبات الزعفران والمكسرات ، وتتفاوت أسعارها حسب جودتها ، وهي عنصر مهم في عملية الضيافة العمانية ، حيث تحتل الصدارة بجانب القهوة العربية ، وتقدم في الأعراس والمناسبات

مزاد الخناجر :

وفي حلقة دائرية لبعض الرجال (المرتّدين) بمختلف أنواع الأسلحة أثار انتباهي وجود مجموعة من الخناجر الفضية المعقوفة وقد صفت على الأرض ، وأحد الباعة يقوم بالمناداة عما يشبه عملية المزاد ، وقال المنادي . بأن سعر بعض الخناجر يصل إلى أربعة آلاف دولار ، وهناك أنواع مختلفة من الخناجر ، منها خنجر سحري ، وخنجر هندي وخنجر صيفاني ، وكلما قدم الخنجر ارتفع سعره ، وبعض الخناجر تصنع محليا والأخرى تستورد من الهند ، وللخناجر مقابض من العاج أو الفضة والخناجر الرخيصة مقابضها من عظام الحيوانات والخنجر الأصيل هو الخنجر الحاد النصل ، ويتهافت السياح الاجانب على شراء واقتناء الخناجر العمانية

ولاحظت بأنه كانت تجري في الأسواق عملية مزاد للخناجر ، ولكن بطريقة غريبة وهي المزاد المتحول ، حيث يقوم أحد البائعين بحمل خنجر ، ويتجول به في السوق وهو يعرض سعرا معينا ، ويظل يتجول حتى ينال السعر الذي يرضيه ثم يبيع بضاعته ويعود لعرض خنجر آخر

سوق نزوة :

من أهم المدن الداخلية في عمان التي تحيط بالجبل الأخضر مدينة نزوةً ، تتحدث السجلات القديمة عن « نزوة » بأنها كانت العاصمة في القرن الثامن بعد الميلاد،وتشتهر بصناعة الفضة والنحاس . ولسوقها أربعةِ مداخل رئيسية ، تحتل محارن الفضيات الجزء الاكثر منه ، حيث تتدلى القلائد العمانية القديمة « بدولارات ماريا تريزا »

وقال أحد البائعين إن المرأة العمانية العصرية كفت عن شراء الفضة ، وربائننا في الوقت الحاضر من السائحات الأجنبيات والنساء البدويات ، وأهالي المناطق الشرقية الذين مازالوا يحبون هذا المعدن الجميل .

وفي زاوية من السوق المسقوف ، التقيت بالحاج « عبد الله الخميس » وهو يبيع قطع قماش زاهية الألوان ، تشبه الشرائط الطويلة ، وتنتهي « بـ « بدنون » ملونة ، وقال إن اسمها « المحصية » وتباع للسيدات لكي تخاط في حواشي العباءات النسائية وقال إنه ينسج يوميا ثلاث قطع من هذه اللفائف ، ويساعده في عملية النسيج أحد أبنائه ، والقرويات أكثر من يفضلن بضاعته هذه

وفي باحة السوق وبجانب قلعة نزوة التاريخية ، وتحت ظلال شجرة صبار ضخمة تنعقد في يومي الخميس والجمعة « سوق الماشية » ، ويجلس المشترون القرفصاء في شبه دائرة ويقوم تجار المواشي بعرض مواشيهم ، ويتبع في عملية البيع والشراء أسلوب المزاد العلني ويبدأون بالأغنام ليبيعوا بالأبقار ، وينتهي السوق قبل أذان الظهر ، وهناك رجل مسن يدون في دفتره أسماء المشترين بالآجل أو الدين

وتجلب البدويات ماشيتهن ويدخلن في عملية مساومة مع الرجال كما يباع في هذا السوق عسل النحل الطبيعي ، وفروخ النخيل ، وتحت شجرة الصبار الضخمة نثر حافة جلست فيها صغار الماعز التي جلبت لبيعها ، وبجانب النثر فتاة عمانية ، تمسك بيد والدها،وعيناها تتعرس في وجوه الغرباء ورجل مسن يتحسس ضرع البقرة بيده ، مطمئنا على البضاعة المعروضة ، وآخر يقطع شعرة من صوف الماعز ، ليقيس مدى جودتها ، ووجوه متعبة جاءت من البراري والسهوب المجاورة لتعرض كل ما لديها ، لعلها تعود بالنقود أو تعود بما حملته ، وجوه جديدة ووجوه مألوفة ، وعالم يسوده الهرج والمرج ، ملتقى لعادات وطقوس منذ مئات السنين ، والسوق يظل نقطة التقاء ، تقرب بين الناس وتترجم برحمة حية الطقوس الاجتماعية التي يمارسونها □

قصة

النعوات خطأً

للكاتب الايطالي دينو بوتزاتي
ترجمة : د . محمود موعد

ذات صباح ، دخل الرسام الشهير « لوشيو بردوبرابي » ذو الستة والأربعين عاما ، والذي انسحب منذ زمن طويل الى منزله في الريف في « فيمركات ، » دخل وهو يطالع صحيفته اليومية عندما لاحظ في الصفحة الثالثة ، الى اليمين في الاسفل ، على أربعة أعمدة ، العنوان : ـ

الفن الايطالي في حداد « وفاة الرسام بردوبرابي »

وتحت ذلك ملاحظة صغيرة بالحرف الايطالي المائل :

« فيمير كات ، ٢١ شباط (فبراير) بعد مرض قصير وقف الأطباء ازاءه عاجزين ، انطفأ نجم الرسام « لوشيو بردوبرابي » منذ يومين وقد عبر المرحوم رغبته بالايداع حبر وفاته الا بعد مراسم الدفن

وقد تبع ذلك مقالة تأبينية تقريظية من عمود تقريبا ، كلها مديح موقعة من الناقد الكبير « ستيفاني » ، وكان ثمة صورة له يعود تاريخها الى عشرين سنة خلت .

قرأ بردوبرابي المقالة التأبينية باضطراب ، منذ بلمح البصر ـ على الرغم من سرعته ـ جملا قليلة فيها تحفظ لاذع ، انزلقت هنا وهناك بدبلوماسية ، وسط طوفان من المدائح

صاح بردوبرابي حالما استطاع التقاط أنفاسه

ـ ماتيلدا ، ماتيلدا

أجابت زوجته من الغرفة المجاورة

ـ ماذا هناك ؟

نادى متوسلا

ـ تعالي ، تعالي بسرعة ياماتيلدا

ـ انتظر قليلا ، انا مشغولة بكي الثياب

ـ ولكن تعالي أقل لك

كان صوته مشوبا بقلق بالغ ، حتى أن ماتيلدا تركت المكواة وهرعت اليه

قال الرسام متأوها وهو يمد اليها بالصحيفة :

ـ خذي اقرئي

أخذتها ، شحب لونها وانفجرت ـ كما تفعل النساء دون تفكير ـ بنحيب يائس ـ تلعثمت وتمتمت خلال دموعها





ـ أوه عـزيزي لـوشيـو ، يـا مسكيي لـوشيـو ، ياكنزي .

وانتهى المشهد بغيظ الرجل .

ـ ولكن أنت مجنونة ماتيلدا ؟ الا ترين أني هنا ؟ أنت لا تفهمين اذا انها غلطة . غلطة شنيعة ؟

توقفت ماتيلدا عن البكاء على الصور ـ ونظرت الى زوجها ، فعاد الاطمئنان الى وجهها ، وفجأة وبالسرعة التي احست فيها بأنها أصبحت أرملة ، لمست الجانب الفكاهي في القصة وأخذتها موجة من الضحك

ـ أو ، ياالهي ، ياله من شيء مضحك ، أوه ، أوه ، أية قصة ، اعذرني لوشيو ولكن أنت تعلم ، انني في حداد وأنت هنا سليم معافى

كانت تصيح مقهقهة

واحتد الرجل ـ

هيا هذا يكفي ، ألا تـدركين ؟ هـذا رهيب رهيب بالتأكيد ، آه ، سأريه ، مدير الصحيفة ، ستكلفه عاليا هذه المزحة

أسرع بردوبراي الى المدينة ، وهرع الى الصحيفة رأسا ، واستقبله المدير ببشاشة

ـ أرجوك يا سيدي العزيز تفضل بالجلوس ، لا لا هـذه الكنبة مريحة أكثر ، سيجارة ؟ أوه ، هـذه القداحات التي لاتعمل شيء يثير الأعصاب تفضل هذه هي المنفضة ، والآن أنا أصغي اليك ، أي ريح طيبة حملتك الينا ؟

يتظاهر بالجهل أم يجهل حقا مانشرته صحيفته ؟ بقي بردوبراي مشدوها

ـ ولكن ؟ ولكن ؟؟ في صحيفـة اليـوم في الصفحة الثالثة هناك اعلان عن موتي ؟

ـ عن موتك ؟

أخذ المدير الصحيفة المطوية على مكتبه ، وفتحها ، ورأى وفهم (أو تظاهر بالفهم) وأخذته لحظة حرج قصيـرة . أوه ، حرج من الثانيـة فحسب ، استدرك وسعل سعالا خفيفا

ـ أيه ، أيه بالطبع هي غلطة صغيرة انزلقت مجرد اختلاف طفيف .

كان موقفه كموقف الأب الذي يوبخ ابنه شكلا ، أمام مار ضايقه الطفل

فقد بردوبراي صبره فصاح :

ـ مجرد اختلاف طفيف ؟ أنت قتلتني ، هـذا فعلته بي ، هذا شيء وحشي .

قال المدير بهدوء .

ـ نـعـم . نـعـم . يمـكـن . سـأقـبـ بأن ، . ها ، كان سياق الخبر . . ها ، قد تجا قليلا بواباتنا من جهة أخرى آمل أن تكون قـ قدرت قيمة الاطراء الذي كالته صحيفتي لفنك ؟

ـ اطراء رائع ، أنت أهلكتني

ـ همم م ، لا أنكر بأن خطأ بسيطا قد تسلل ا . .

ـ كيف تقول بأني ميت بينما أنا حي ؟ وتسمى هذ خطأ ؟

لا يلام المرأ اذا أصبح محبوبا بكل بساطة ، أطلب تصويبا طبقا للاصول المرعية ، وفي موضع هذا المقال ذاته ، كما احتفظ بحقي كاملا في ملاحقتك بالعطل والأضرار

ـ اضرار ؟ ولكنك ياسيدي الطيب ـ تحولت من معلم الى مجرد سيد ، وهذا فأن شيء لاتدرك الحظ الرائع الذي يقبل عليك

أي رسام آخر سيقفز عاليا من الفرح هكذا

ـ الحظ ؟

ـ نعم الحظ ، وكيف وعندما يموت الفنان فان أسعار لوحاته تقفز قفزات واسعة دون أن نقصد ، نعم تماما دون أن نقصد ، أعترف بذلك ، نحن قدمنا لك خدمة لاتقدر بثمن

ـ واذن على أن أموت ؟ أن أختفي ؟ أن أنتحر ؟

ـ ولكن بالتأكيد ، اذا أردت أن تغتنم هذه الفرصة العظيمة .

اللعنة ، أنت لاتريد أن تدعها تفلت منك ؟ فكر قليلا معرض رائع بعد الوفاة ، دعاية متقنة جيدا سنعمل كل جهدنا لهذه الحملة . ستكون صفقة ببضعة ملايين ، يا معلمي العزيز

ـ ولكن أنا في كل ذلك ماذا أصبح ؟ أيجب علي أن أختفي من الحياة اليومية ؟

ـ قل لي ألا يوجد لك أخ ؟

ـ بلى ، لماذا ؟ انه يعيش في أفريقيا الجنوبية

ـ رائع هل يشبهك ؟

ـ قليلا . . نعم . ولكن له لحية .

ـ حسن ، دع لحيتك تطل وقل بأنك أخوك . .

..ون الأمر سهلا كرسالة في السريد ثق بي : من
..حس أن تترك الأشياء تصب في مجراها
لمبيعي . ومن ثم أنت تدرك تصويبا من هذا
..وع . لا أدري ما فائدته . أنت شخصيا ،
..رني على صدقي ، لك وجه مضحك قليلا . من
المحدي الاعتراض . احياء الموتى ليس لطيفا
..يا . وفي عالم الفن ، أنت تعلم جيدا كيف تجري
..امور . احياؤك ، بعد فيض من المديح ، سيعطي
..ر اسيئا ، وسيكون عملا مريبا

لم يستطع أن يقول لا ، عاد الى بيته في الريف ،
..سجن نفسه في غرفة ، وترك لحيته تنمو ولبست زوجته
..الحداد ، أصدقاء كثيرون جاءوا لرؤيتها ، وخاصة
..اوسكار برادلي رسام هو الآخر ، وكان دائما طلا
..لبردوبراي ، وبدأ المشترون يتوافدون . التجار ،
..جامعو اللوحات ، أناس اشتموا رائحة صفقة
..رابحة . لوحات لم يصل سعرها من قبل إلى الاربعين
أو الخمسين ألفا الا بصعوبة ، بيعت الان ، دون
مشقة بمائتين من الالاف ، وهناك في مخبئه السري ،
كان بردوبراي يرسم لوحة بعد أخرى ، ويكتب عليها
تاريخا سابقا بالطبع . وبعد شهر ـ وكانت لحيته قد
طالت ـ خارف بالخروج على اعتباره الأخ الذي وصل
من افريقيا الجنوبية . كان قد وضع على عينيه
نظارات ، وأخذ يقلد في كلامه لهجة غريبة . وكان
الناس يقولون . شيء عجيب أن يشبهه بهذا
الشكل

ودفعه الفضول في إحدى جولاته الأولى ، بعد
حسه الى الوصول الى المقبرة ، وعلى البلاطة الرخامية
في مدفن الاسرة كان ثمة نحات يحفر اسمه مع تاريخ
ميلاده ووفاته

انه لأمر عجيب ، بقدر ما أصبحت زيارات
أوسكار برادلي تزداد شيئا فشيئا فان ما تيلدا كانت
تتفتح وتبدو اكثر فتوة وشبابا . وقد لاق بها الحداد
بكل تأكيد ، وكان بردوبراي يلاحظ تحولاتها بشعور
هو مزيج من الغبطة والحذر . وذات مساء ادرك انه
يشتهيها على اعتبار ان هذا لم يحدث منذ سنوات
لقد أصبح يشتهي أرملته

اما بالنسبة لبرادلي ، أليست مواظبته على الزيارة
في غير موضعها ؟

ولكن عندما فاتح بردوبراي زوجته في الأمر كان
ردها عدوانيا الى حد ما . « مالذي أصابك ؟ مسكين
أوسكار . صديقك الحقيقي الوحيد . وحده الذي
يأسف بصدق لفقدك ، ويتحمل العناء ليعزي وحدق
وأنت تشك فيه . يجب أن تخجل من نفسك »

وخلال ذلك ، أقيم معرض ما بعد الوفاة ، وحقق
نجاحا رائعا . كما حقق زيادة عن المعروضات
المدفوعة ، خمسة ملايين ونصف . ثم سقط
النسيان ، بسرعة مذهلة على بردوبراي وأعماله
الفنية ، ونادرا ما أصبح يذكر اسمه في بعض الزوايا
من المجلات الفنية . وبعد حين اختفى منها نهائيا

وبوجوم عميق أدرك انه حتى دون « لوشيين
بردوبراي » فان الحياة ستستمر في الجريان كما كان الأمر
قبلا . الشمس تشرق وتغرب ككل يوم ، وكما كان
يجري . تنقص الخادمات السحاحيد ، وتوغل
القطارات في سيرها ، ويأكل الناس ويمرحون ، وفي
الليل يتعانق الشبان والفتيات واقفين ، مستندين الى
سياج الحديقة المعدني الأسود

حتى كان يوم ، بعد عودته من نزهة الى الريف ،
تعرف فيه الى المعطف الواقي من المطر ، الضائع في
المدخل لصديقه العزيز « اوسكار برادلي » . كان
المنزل هادئا خفيا ، وحميميا بغرابة . ومن هناك ،
كانت أصوات تتحدث هامسة ، ووشوشات وتنهدات
رقيقة

على أطراف أصابعه استدار حتى الباب ، خرج
بهدوء وتوجه نحو المقبرة ، كانت أمسية لطيفة
ماطرة

وعندما وجد نفسه أمام مدفن الاسرة ، نظر
حواليه ليس هناك من روح تهوم ، عند ذاك فتح
المصراع البرونزي . ودون عجلة ، ومع سقوط
الليل ، نزع غطاء ناووس صغير ، الراعي الذي نعلى
التابوت الحديد ، تابوته هو « لوشيين بردوبراي »

فتحه بهدوء كبير ، استلقى على ظهره اخذا
الوضعية التي يفترض أنها تناسب الموتى في رقادهم
الأبدي ، وجدها أكثر راحة مما توقع

ودون أن يضطرب أعاد برفق ، الغطاء فوقه
وحين لم يبق الا شق صغير أصغى بانتباه ، لحظات ،
فربما كان هناك من يناديه ، ولكن لا أحد على
الاطلاق ينادي ، عند ذاك ترك الغطاء يعود الى
السقوط نهائيا □

للواقع بصلة .

لذا فلا خيار ولا مقابلة بين الاتباع أو الابداع فالمسألة لم تعد تتكيف في اطار الاختيار الحر بين موقفين ، لأنه في وضعية مجتمع مهمش على صعيد الانتاج ، ولا يمتلك وقتا ليكون تابعا إن أراد ، فقد بدأت مرحلة التبعية بالاهول مع ازدياد تركز عملية الانتاج العالمي معرفة وصناعة في أيدي أنظمة قليلة ، ومع ازدياد تهميش المجتمعات الثالثة : وبروز ظواهر الابادة ، ابادتها ، بالمجاعات والحروب الاقليمية والهجرات ، ان أحلام المالكين أو تقديراتهم لا قيمة لها في الحصيلة النهائية اذن ليس هناك الا خيار واحد ، هو خيار الابداع ، ليس بالمعنى التقني وهو ابتكار الوسائل البسيطة والفعالة لحل المشكلات ، ولكن بالمعنى الحضاري الشامل ، أي طرح الاشكالية بوصفها اشكالية صنع الحضارة بكل ما يتضمنه ذلك من مقاومة وقدرة على انتزاع المجتمع من المنطقة الثالثة ، واعادته الى التاريخ والى الطبيعة والى نفسه ، والحقيقة أن الامثلة التي طرحها الدكتور فؤاد زكريا لايضاح نوع الابداع الممكن أي ابتكار وسائل بسيطة وفعالة لحل مشكلات تقنية معقدة لا يمكن فهمها الا في سياق نظرية استثمار العمل العربي ، وهي نظرية لا تستطيع أن تنجح الا بتحول مواز في الكيان كله . تحول فكري ومادي متكامل ، يعيد حركة البحث في النهوض الى الذهنيات المنسية ، الانسان والعمل والزمن والمادة ، يروي « ابن عذاري المراكشي » في كتابه « البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب » هذه القصة ، يقول : « لما انهزمت جيوش جرجير سار عبد الله بن أبي السرح حتى باب مدينته العظمى « قرطاجنة فحاصرها بمن كان معه من المسلمين حصارا شديدا حتى فتحت ، فأصاب فيها من السبي والاموال مالا يحيط به الوصف ، وكان أكثر أموالهم الذهب والفضة . وكانت توضع بين يديه أكوام الذهب والفضة لأنه انتزع أفريقيا نكرا ، فعجب هو والمسلمون من كثرة ذلك ، فقال للأفارقة « من أين لكم هذا ؟ فجعل الرجل منهم يتلمس شيئا من الارض حتى جاء بنواة زيتون فقال « من هذا أصبنا الأموال لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فيمتارونه من هنا » .

ان موقعنا الراهن أمام عجائب منتجات الحضارة الغربية يشبه موقف هؤلاء الأسلاف وسؤالهم يشبه السؤال الذي دار في أذهاننا ونحن نواجه آلة الغرب المتفوق ، ولكننا لم نجد من يميل الى حفنة التراب ليقول لنا من هنا تبدأ الحضارة ، بل وجدنا من يشير الى ناطحة السحاب ، أو الطائرة ، أو الحاسب الآلي ، أو محطة الأقمار الصناعية . ليضللنا .. ويضلل نفسه ، فهل نجد من يميل الى التراب مجددا ، ذلك الذي تتحول اليه كل هذه العجائب والنظم وعظمة الانسان ؟ □

محمد الاسعد

رأي الكرملي في اللغة العربية

يقول الاب أنستاس ماري الكرملي : إن اللغة العربية أسمى اللغات ، وإنها مفتاح اللغات جميعا ، لأنها قادرة على تصوير كل ما يدور في الفكر البشري وفي الطبيعة الانسانية ، وإنها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذي لا يوجد في لغة سواها ، وإن القصور في أبنائها الذين أترفوا ولا يريدون أن يتجشموا في سبيل لغتهم أي جهد .

كائنات بحرية سامة

هواة الغوص معرضون للسعات وتجريحات الشعاب المرجانية

بقلم : رجب سعد السي



« اذا كان ظهر اليابسة فى بعض أجزائه مرتعا للزواحف والحشرات السامة ، فإن بطون البحر لاتخلو من الأحياء السامة ، وعلى الانسان أن يصطنع لنفسه ـ كما فعل على وجه الارض ـ من وسائل الوقاية والمعالجة مايدفع عنه مخاطر سموم البحر » .



لاتغامر بالامساك بهذه النجمات البحرية ويدك عارية . . فوراء هذا الجمال ابر تلدغ ومتاعب صحية .

فى كتاب قديم ، عن الكائنات البحرية السامة ، يصف المؤلف السمكة المعروفة باسم (البقرة اللادغة) ، فيقول :

« هى سمكة سامة جدا ، حتى أنها إذا تمكنت من شجرة قد تقتلها ! . إنها قادرة على وخز أى درع قوى . . فهى تضرب بشوكتها كسهم يخترق الهدف بقوة ، كما لو كانت مصنوعة من الصلب ، وتترك الجرح الذى تحدثه فى الضحية ملوثا بالسموم » .

وقد ارتبطت عضات الكائنات السامة ولدغاتها ـ بعامة ـ فى الأزمنة القديمة بالقوى فوق البشرية ، وصورت فى الأساطير والحكايات الشعبية على أنها انتقام إلهى .

وتحكى أوراق طبية مصرية قديمة ـ ١٦٠٠ سنة ق . م . ـ جانبا من هذه الأساطير ، كما تحتوى على أوصاف لبعض الكائنات السامة ، ونصائح طبية لعلاج التسمم وإزالة آثاره .

ويوجد فى البحار والمحيطات مايزيد على ألف نوع من الكائنات الحية القادرة على إنتاج السم واستخدامه ، وهى منتشرة فى كل بحار ومحيطات العالم ، لايخلو منها شاطىء ، وقد درس العلماء معظم هذه الأنواع ، غير أن الكثير منها لايزال مجهولا حتى الآن ، خصوصا تلك التى تقطن الأعماق .

ولا يهدف هذا المقال إلى إزعاج القراء وإقلاق راحتهم فى رحلاتهم الصيفية ونزهاتهم الشاطئية ، ولكنه يلقى الضوء على جانب قد يخفى على الكثيرين ، والحرص ـ كما يقولون ـ واجب .

وعلى كل حال ، فإن الكائنات البحرية السامة تمثل جزءا لايتجزأ من البيئة البحرية ، يجب أن يؤخذ في الاعتبار مع الاقبال المتزايد للبشر على البحر لاستغلال موارده ، وثمة مؤشرات إلى احتمالات كبيرة لامكان الانتفاع بالسموم البحرية في مجال كيمياء الدواء .

أنواع الكائنات البحرية السامة

ويمكن تقسيم الكائنات البحرية التي لها نشاط سُمّي إلى ٣ أقسام :

١ ـ كائنات سامة إذا استخدمت كطعام ، فهي سامة في كل أنسجة الجسم أو بعضه ، وهذا تأمين لها ضد وقوعها ضحية الافتراس

٢ ـ كائنات تفرز السموم ، ولكنها لاتملك أداة العض أو اللدغ التي تنقل بها هذه السموم إلى جسم الضحية ومعظم هذه الكائنات كسول ، وبعضها يعيش مستقرا . مثبتا أو ملتصقا إلى جسم حي أو جماد وهي تلجأ إلى إفراز المواد السامة في الوسط المحيط بها ، فقط عند إحساسها بالخطر من عدو مقترب ، أو تفرزها بصفة مستمرة لمنع الكائنات المجهرية من التسلل إلى داخل قنواتها الحيوية أو الالتصاق بأجسامها .

٣ ـ كائنات تفرز السموم ولديها وسيلة اللدغ أو الحقن ، وتساعدها هذه الوسيلة المتحركة على مفاجأة ضحيتها أو عدوها ـ في الهجوم أو الدفاع ـ فتشل فيها الحركة

ومن الحقائق العلمية المهمة في هذا المجال أن الكائنات البحرية السامة موزعة على الأعماق المختلفة للبيئة البحرية ، ولكن معظمها وأشدها خطورة يعيش في المياه قليلة الغور ، حيث تتركز معظم النشاطات البحرية الانسانية

ومن غرائب عالم الكائنات البحرية السامة أن بعضها لايفرز السموم ، ولكنه يكتسبها من كائنات سامة أخرى ، في صورة استفادة مباشرة من هذه السموم ، أو بطريق غير مباشر ، خلال سلسلة الغذاء . . أي تتغذى كائنات غير سامة بطبيعتها على كائنات منتجة للسموم ، وعلى هذا فهي لاتكون دائمة السمية ، ولكن لأوقات معينة وفي أماكن محددة ، أي حين تجوع وتتواجد في مكان يتواجد غذاؤها المكون من الكائنات التي تفرز السموم

ولعله من الغريب أيضا أن بعض الكائنات البحرية يفرز مركبات سامة دون أن يدري دون أن يكون لديه نية استخدامها ! فهي المركبات تأتي كنواتج ثانوية للعمليات والتفاعلات الأيضية التي تتم في أجسام هذه الكائنات . وتو[...] مركبات كيميائية لها خاصية سمية عالية بالنسبة لأ[...] من الكائنات الحية ، وهي ـ في الوقت نفسه ـ [...] من التركيب الكيميائي لأجسام كائنات أخرى

ويهمنا ، فيما يلي ، أن نتعرض للكائنات البحـ[...] التي يمكن أن تؤذي الانسان إذا اقترب منها أو تعامل معها ، أو التي قد تضطره الظروف إلى تناولها كطعام ، والأضرار التي تصيبه منها ، وكيفية علاجها

لنبدأ من أول السلم . إن الكائنات البحرية وحيدة الخلية هي القاعدة العريضة لهرم الحياة في البحر . بعض هذه الكائنات سام ، ويؤدي إلى قتل غيره من الكائنات البحرية الأعلى في التطور

المحارات

وهي ، في حد ذاتها ، لاتسبب أي ضرر للانسان ، ولكنها ، بطريق غير مباشر ، يمكن أن تلحق به أشد الأذى . إذ تتحول - وهي من أشهى أنواع الأطعمة البحرية وأحبها للانسان ـ إلى مصدر خطر على صحته . فهذه المحارات تعتمد في تغذيتها على (غربلة) الماء وابتلاع كل ما يعلق به من كائنات أو أجسام دقيقة دون تمييز ، فإذا استبقت المحارات في قنواتها الهضمية بعضا من هذه الكائنات الأولية السامة ، ووصلت هذه المحارات بعدئذ إلى مائدة طعام الانسان ، فإنها تصيب من يأكلها بحالة تسمم تتراوح في شدتها تبعا لحالة المصاب ونوعية التلوث وكميته ، وجدير بالذكر أن القنوات الهضمية للمحارات يمكن أن تختزن أيضا أنواعا من الميكروبات والفيروسات ، أو تركيزات عالية من العناصر الفلزية الثقيلة ، أو المركبات الكيميائية السامة .

وتظهر أعراض التسمم خلال يوم أو يومين بعد تناول وجبة المحارات المسممة ، ويمكن أن تمتد (فترة

ـ ة) إلى سبعة أيام ، وتتمثل هذه الأعراض
فى الام فى المعدة مع عدم إقبال المصاب على
ن م ـ غثيان وقىء ـ إمساك وصداع وحالة إعياء
ـ ، وبعد حوالى يومين أو ثلاثة من بداية ظهور
ر اض الأولية ، يحدث إدماء من الأغشية المخاطية
ن ـ والفم ، ، وتأخر فى تجلط دم المصاب ، كما
ن ط حدوث اضطرابات وتضخم فى الكبد ، وقد
ـ لت بعض حالات التسمم المتقدمة ، وفيها
يصاب الصحية بحالة هياج وهذيان تنتهى بغيبوبة ،
وقد تحدث الوفاة خلال أسبوع من الاصابة بالتسمم
إذا لم يسعف المصاب ويعالج . وفى الحالات المعتدلة
يتم الشفاء ببطء ، ويحتاج المريض إلى وقت طويل
حتى يشفى من الضعف الشديد الذى يطرأ على
صحته العامة .

وأهم بنود العلاج أن يلزم المصاب الفراش ، ويصح بحقن المريض بالجلوكوز فى الوريد ، ويعطى فيتامينات (ب) ، و (س) ، و (د) ، والأنسولين .

ويهمنا أن نؤكد على ضرورة أن تتبع عملية إنتاج المحارات ، من المصايد أو من المزارع ، بعملية تنظيف وغسيل لها ، حتى نقلل من احتمال تسميمها للمستهلك ، ولابد للمستهلك ، من جهة أخرى ، أن يتأكد من خلو المحارات من الفضلات ، وألا يتناولها نيئة ، لعل الطهى يقضى على ما يمكن أن يعتريها من ملوثات .

وقبل أن نتحدث عن سم (الاسفنج) ، نبادر بالقول بأن قطع الاسفنج التى تصل إلى يد المستهلك ليست إلا الهيكل الخارجى للحيوان ، وقد مرت بمراحل من الاعداد والتجهيز ، بحيث ينتفى تماما احتمال أن تصيب من يستخدمها بضرر ، كما أن الأنواع السامة من الاسفنج قليلة العدد ، وغير اقتصادية ، ولاخطر منها إلا على من يعملون فى مجال صيد الاسفنج ، أو هواة الغوص فى أعماق البحار .

وتعيش الاسفنجيات السامة فى البحار المدارية وتحت المدارية . وليس معروفا على وجه الدقة كيف تحس هذه الاسفنجيات بحاجتها إلى بث السموم وكيف تبثها ، وقد وضع نوع من الاسفنج الحى فى حوض تجارب مع أنواع من الأسماك والقشريات والمحارات والديدان البحرية ، فماتت هذه الحيوانات كلها بعد ساعة أو أقل من بداية التجربة ، وبقى الاسفنج ! . كما أجريت تجربة على بعض حيوانات المعمل ، فحقنت بمستخلص كحولى لنوع من أنواع الاسفنج ، فأصيبت الحيوانات بالقىء والاسهال والاعياء الشديد ، ونزيف معوى وضيق فى التنفس .

ويحدث التسمم للانسان إذا حدث خدش بواسطة الأشواك الدقيقة الحادة التى تمثل هيكل الاسفنج ، إذ تسرى الافرازات السامة خلال الخدوش السطحية ، وقد سجلت حالات تسمم دون أن تحدث الخدوش ، وهذا دليل على قدرة السم على النفاذ خلال الجلد .

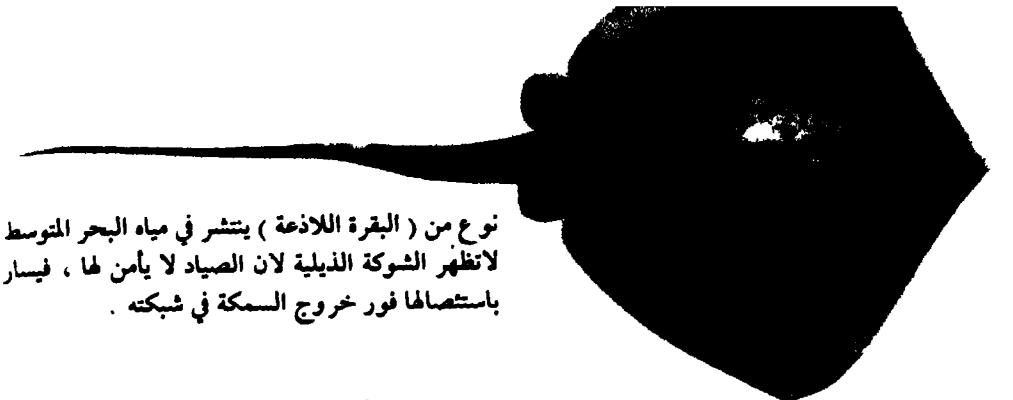
وبصفة عامة ، فإن تأثير سم الاسفنج على الانسان ينصب على الجلد ، فيلتهب ويحمر ويتورم مكان الاصابة ، وفى حالات متقدمة تؤدى التسمم إلى اعتلال عام فى الصحة وضعف ، مع إفراز للعرق وغثيان ودوار .

الاسماك الهلامية والشعاب المرجانية

وهما من الحيوانات الجوفمعوية البحرية السامة . فالأسماك الهلامية كائنات شفافة تشبه الجرس أو المظلة ، وتعيش طافية على سطح البحر ، ولهذه الحيوانات أذرع أو لوامس ممدودة فى الماء تتحسس طريقها ، وتبحث عن طعامها ، وبعض هذه اللوامس خلايا محورة ، تشبه « الكبسولة » تسمى بالخلايا اللاسعة Nematocysts وهى التى تفرز السم ، ولكل خلية لاسعة أنبوبة تنتهى بما يشبه الابرة ، تنطلق بقوة فى حالة الدفاع أو الهجوم على فريسة ، فتخترق جسم الهدف لتحقن فيه السم .

وتصبح هذه الكائنات الرقيقة مصدر إزعاج إذا انتشرت بوفرة ، كما يحدث فى المصايف السياحية المشهورة بجنوب اوروبا ، وتحرص شركات السياحة على أن تحصل على تأكيدات بخلو المياه من هذه الأسماك الهلامية ، قبل أن تبعث إليها بالأفواج السياحية .

أما الشعاب المرجانية ، فإن التهتكات واللسعات الناتجة من ملامستها أو الاحتكاك بها ، معروفة تماما لكل الذين يعملون فى المياه الاستوائية . وترجع شدة



نوع من (البقرة اللاذعة) ينتشر في مياه البحر المتوسط لاتظهر الشوكة الذيلية لان الصياد لا يأمن لها ، فيسار باستئصالها فور خروج السمكة في شبكته .

الألم الناتج عن هذه الاصابات إلى اتحاد عدة عوامل : التمزق أو التهتك الذى يحدثه الهيكل الخارجى للشعاب ، وله حدة الموسى ، وتأثير المادة الكيماوية التى تفرزها الخلايا اللاسعة ، وتلوث الجرح بالبكتيريا والمواد الغريبة التى تدخل فيه .

وللصيادين ، وهواة الغوص ، والعاملين فى مناطق الشعاب المرجانية ، نورد الاسعافات السريعة التى يجب إجراؤها فى حالة التعرض للاصابة بجروح هذه الشعاب :

يأتى فى البداية تنظيف الجروح وإزالة المواد الغريبة الملوثة لها ، ولو تطلب الأمر توسيع الجرح . ويستخدم للتطهير أى من المحاليل المناسبة ، مثل ٢٪ صبغة اليود ، وفى حالات الاصابة الشديدة ، يستحسن أن يلجأ المصاب إلى الراحة التامة فى الفراش ، مع رفع الأطراف إلى أعلى ، وتغطية مكان الاصابة بضمادات مغموسة فى محلول سلفات الماغنيسيوم والجلسرين والمضادات الحيوية .

وبالنسبة للسعات الأسماك الهلامية ، يراعى فى المعالجة أن تزال اللوامس التى تكون ملتصقة بالجلد ، ويستخدم فى ذلك الرمل أو الأعشاب البحرية أو قطعة قماش .

وهذه خطوة هامة فى الاسعاف ، لأن هذه اللوامس تظل تفرز السم فى جسم الضحية طالما هى ملتصقة بالجلد ، وللتأكد من تمام القضاء على نشاط هذه الخلايا المجهرية ، يمسح موضع الاصابة وما حوله بالكحول أو أى (لوسيون) مناسب

وفى العلاج ، يصف الأطباء بعض مركبات الكورتيزون ، سواء كانت شرابا أودهانا وقد وجد أن مضادات الهيستامين تخفف من حدة أعراض الاصابة ، وفى الحالات الشديدة ، يعطى المصاب منشطات للقلب والتنفس .

وللبحر نجوم وقنافذ

أما نجوم البحر وقنافذه فهى حيوانات يغطى الشوك جلدها وتسمى : (الجلد شوكيات) ، ومنها ما يأكله سكان السواحل فى بعض المناطق من العالم ،



سمكة (العقرب) مليئة بالابر ـ في الزعانف ـ والاشواك في الغطاء الخيشومي . حاذر اذا اقتربت منها .



نـوع مـن الاسـمـاك الهلامية (قنديل بحـر) حلبه الكاتب من مياه الاسكندرية
اذا انـتـشـرت هـذه الاسمـاك في منـطـقـة شاطئية كانت مصدر ازعاج للمصطافين



نوع (الخنـزير ثـلاثى الاشواك)   والاشـواك مشرعـة للدفاع او الهجوم

وبعض أنـواع القنافـد (وتسمى أيضا بـالـرتسـا أو الرترا) سام كطعام ، كما توجد أنواع أخرى تحمل السم فى مناسلها فقط

وأشواك نجم البحر مغـطاة بأغشيـة تفرز المـواد السامة التى تنتقل إلى أى جسم يلمسها ، وينتج عن وخـز الأشواك جـروح مؤلمة ، واحمـرار ، وتورم ، وقيء يستمر لمدة طويلة ، ويتخدر العضو المصاب كما لـوكان مشلولا ، أمـا أشـواك قنفـد البحـر ، فهى طويلة ، مجوفة ، ومملوءة بسائل قرمزى اللون ، ولها نهايات مدببة حادة قادرة بسهولة على النفـاذ فى لحم الضحية ، مما يؤدى إلى التهـابات وتـورم فى موقـع الاصابة فى الحال ، وقد يخف الألم بعـد ساعـات ، ولكن مكان الاصابة يظل ملتهبا لعدة أيام

ويركز المسعفون فى هذه الحالات على ضرورة نزع الأشواك المتكسرة فى الجرح قبل تطهيره ، والمشكلة هنا أن هذه الأشواك هشة للغـاية ، بحيث يصعب الامساك بها ، ويوصى الخبراء بضرورة استخدام أى مادة دهنية مناسبة تساعد على سهولـة تجميع فتـات الأشواك وإزالتها داخل الجرح ، بينما يرى فريق من الأطباء أنه لاضرورة لازالة أشواك قنفد البحر ، لأن جسم المصاب يمتصها خلال يوم أو يومين

الرخويات البحرية

وهى كائنات طرية الجسم ، تتخذ لنفسها دروعا وهياكل مختلفة الأشكال لحماية لحمها الرخو ، فتقبع داخـل قـوقـع أو تلتصق بصـدفـة ، أو تحتمى بين مصـراعـين ، أو تكتفـى بعـمـاد قـرنى كـمـا فى « الرأسقدميات » (المحارات والأخطبوط) وكثير من أنـواع الرخـويات البحـرية طعـام مقبول لـدى الانسان ، وتأتى المشكلة من أن هذه المجموعـة من الكائنات البحرية لاتخلو من بعض أنواع تفرز السم

وقد تحدثنا عن المحارات كوسيط لنقل سم بعض الكائنات الأولية ، أما القواقع فإن لبعضها غددا تفرز مادة (التترامين) السامـة ، وفى اليابـان ، رصدت حـالات تسمم إثـر تـناول وجبـات من الجبـارات (السبيط) ، والأخطبوط

وطبيعة سم « الرأسقدميات » غير معروفة ، ولكن الأنواع السامة منها تسبب آلاما بالبطن مصحوبة بقيء وإسهال وحمى وصداع وجفاف شديد ، وتشنجات ، وتشفى حـالات الاصابـة بعد يـومين إذا عـولجت جيدا

وتملك المحارات والأخطبوطات القدرة على اللدغ



هذه هي شوكة السمكة المسماة بالبقرة اللادعة . وهذا نوع مسنن من الاشواك يحدث جروحا تهتكية كبيرة يطول علاجها

بواسطه برور قرني حاد يشبه الفك أو المنقار . ويمسك الأخطبوط بالفريسة بين أذرعه القوية التي تقربها من الفم . فيعضها . فتسري المادة السامة من الغدد اللعابية في الفم الى الجروح الثقبية التي أحدثها الفك . ويؤدي السم الى شلل فوري للفريسة اذا كانت سمكة أو حيوانا قشريا مثلا . وقد سجلت في استراليا حالات كان الانسان فيها ضحية مثل هذه اللدغات الأخطبوطية وفي هذه الحالات أدى سم الأخطبوط الى شلل العضلات الهيكلية للضحية الادمية . وهبوط في التنفس أعقبته الوفاة

القشريات البحرية

وهي في غالبيتها العظمى ولحسن الحظ - غير سامة . ومتاحة كغذاء للادميين . غير أن بعض العلماء يؤكدون أن النوعين من سرطان البحر (الكاسوريا) المسميان (حدوة الفرس) و (الملك) . يحتويان على مواد قلويه سامة . مما يجعلهما غير صالحين للاستهلاك الادمي . ويعتقد هؤلاء العلماء أن أنواعا أخرى تحوي على مواد سامه ولكن في بعض أطوار حياتها الأولى فقط

القروش والقوابع اللاسعة

ونصل لأقرب المخلوقات البحريه الى حياة الانسان - الأسماك . لنجد أن بينها أكثر من خمسمائة نوع سام . وتنتشر هذه الأنواع في كل بحار العالم . ولكنها تتركز بأنواع كثيرة وأعداد ضخمة في الشعاب المرجانية والمياه الضحله في المناطق الحارة . وخصوصا في المحيطين الهندي والهادي

ومن أهم أنواع الأسماك الغضروفية السامة القروش والقوابع اللاسعة . وبعض أنواع القروش،مثل(قرش جريلاند) الذي يكمن السم في لحمه . بينما أنواع عديدة من قروش المياه الاستوائية لا تحوي على السم الا في أكبادها . ويؤدي تناول لحم القروش السام الى نزلة معوية . أما الأكباد السامة فهي شديدة الضرر . وتظهر أعراض التسمم بعد ٣٠ دقيقة من أكلها غثيان وقيء وإسهال . والام في البطن . وصداع . ونبض ضعيف مصحوب بعرق بارد غزير . والتهابات في اللسان وما حوله من المريء

ويأخذ الصيادون حذرهم اذا وقعت في شباكهم قروش من الأنواع ذات الأشواك ففي هذه الأنواع . توجد شوكة حادة قوية أمام كل من الزعنفتين الظهريتين . وتتصل كل شوكة بنسيج غدي عند قاعدتها . يفرز السم . وتسبب اللدغة من هذه الأشواك ألما فوريا حادا يستمر لعدة ساعات . مع ورم واحمرار في الجزء المصاب

أما القوابع اللاسعة . فهي أسماك غضروفية مفلطحة . تعيش قابعة فوق القاع . وفي المناطق الضحله . وهي أهم مجموعة من الأسماك السامة . لأنها تحتوي على أكبر عدد من هذه الأسماك . ولأنها توجد بكثرة في المناطق البحرية والتي يرتادها الانسان كثيرا في أنشطته المتعددة

والجسم في هذه الأسماك عبارة عن جذع شبه دائري في الغالب . يمتد منه ذيل طويل رفيع . وجهاز اللدغ عبارة عن شوكة قوية حادة (واحيانا تكون مسننة) تبرز من الناحية الظهرية قرب قاعدة الذيل . فاذا أحست السمكة بالخطر . أو اذا استثيرت أو وطئتها قدم عارية عاثرة الحظ . فإن جسم السمكة يتقلص بسرعة وقوة . ويلتوي الذيل الى أعلى .

و... ب الشوكة طاعنة الهدف بقوة ، محدثة جرحا
... يا كبيرا ، وتنكسر ـ في معظم الحالات ـ داخل
... الاصابة ، والسم هنا مركب بروتيني يؤثر على
... والأوعية الدموية والجهازين العصبي والتنفسي
... بيات .

وتسبب هذه اللدغة آلاما مبرحة ، فورية أو بعد
ع... دقائق من الاصابة ، ويصل الالم إلى أقصاه بعد
حد... لى ٩٠ دقيقة ، ثم يبدأ في التلاشي بعد مدة من ٦
الى ٤٨ ساعة

الأسماك العظمية

وثمة أكثر من ٣٠٠ نوع سام من الأسماك العظمية ، من بينها أفراد من فصيلة الوقار وفصيلة شبيهات الببغاء ، والعديد من الأسماك الشاطئية

وسم الأسماك العظمية معقد التركيب ومكون من عدة مشتقات . جزء قابل للذوبان في الدهون ، وجزء آخر قابل للذوبان في الماء ، والشفاء من هذا السم يستغرق وقتا طويلا ، ويروى أن بعض الحالات احتاج الى أكثر من عشرين سنة للتخلص من أعراض التسمم وآثاره

أسماك التونة

ولعله من المفيد أن نشير هنا الى أن بعض أنواع الأسماك الاقتصادية المهمة مثل أسماك (التونة) ، وهي بطبيعتها غير سامة ، اذا ساء حفظها ، أو اذا تركت في درجة حرارة الغرفة (١٥ْم) لعدة ساعات فانها تصبح سامة وتصيب من يتناولها طعاما بأعراض التسمم

ويفسر العلماء ذلك بأن البكتيريا تؤثر كيميائيا على مادة (الهيستيدين) في عضلات السمكة وتحولها الى (الهيستامين) ، وعلى هذا يمكن تقدير مدى صلاحية السمكة أو فسادها بحساب نسبة الهيستامين فيها ، ويعتقد فريق من العلماء اليابانيين أن المسئول عن سُمِّيَّة أسماك التونة الفاسدة مركب آخر ينتج عن تأثير البكتيريا على عضلات السمكة ، هو (السوارين) ، ولا يزال هذا المركب محل دراسة العلماء في المعهد القومي للصحة في اليابان

علاج التسمم

ولعلاج التسمم من منتجات البحر ، عن طريق الفم ، يسعف المصاب في أسرع وقت ممكن بافراغ المعدة ، وباسعاف سريع أيضا بحقن في الوريد بمحلول ١٠ ٪ من جلوكونات الصوديوم ، ويعطى أحد المركبات المنشطة للتنفس ، ويرود بالأكسجين للتغلب على صعوبة التنفس ، وفي حالة استمرار الآلام الشديدة ، تستخدم المسكنات مثل المورفين ، على جرعات صغيرة مجزأة ، وقد وجد أن الأدوية المضادة للهيستامين مفيدة في علاج التسمم من التونة

أما علاج التسمم الناتج عن اللدغات ، فيتلخص في ثلاث مهام رئيسية

١ ـ تخفيف ألم المصاب ٢ ـ مقاومة تأثيرات السم

٣ ـ منع حدوث اصابات أو تلوثات ثانوية

فالألم ينتج في الجرح بتأثير الشوكة أو الابرة والسم والمخاط ، وغير ذلك من المواد المهيجة التي دخلت الجرح ، لذلك يجب البدء بتنظيف الجروح باستخدام الماء المالح البارد ، أو بمحلول ملحي معقم ان وجد

وينصح بعض الأطباء بوضع الطرف المصاب في ماء ساخن لمدة ٣٠ الى ٦٠ دقيقة ، بحيث تكون درجة حرارة الماء مرتفعة إلى أقصى حد يمكن للمصاب احتماله ، وإذا كانت الاصابة في الوجه أو في منطقة يصعب غمرها في الماء ، يوضع فوقها قطع القماش المبللة بالماء الساخن ، وهذه النصيحة مبنية على أساس أن الحرارة العالية تحطم المركبات السامة

وفي مجال الاسعافات السريعة أيضا ، ينصح الأطباء باستخدام رباط مناسب للأوعية الدموية لمنع تسرب السم الى باقي الجسم ، ويمكن أن يحقن المصاب بمضادات التيتانوس كإجراء احتياطي

ولمعالجة الصدمة العصبية الناتجة عن اللدغة ، يجب الاهتمام بالحفاظ على انتظام ضربات القلب ، وعلى نشاط الجهاز التنفسي □

* باحث بمعهد علوم البحار والمصايد عضو اتحاد الكتاب المصريين



فاريُوجت ٧٤٧
تستعدّ للهبوط..
مَع فاريُوجت ٧٤٧
Moulinex
variojet 5
مولينكس وتحط بخفة وسهولة
لتحديد ثناياه بفعالية البريسنغ
اضغطوا على البخاخ واضبطوا منسوب
البُخار بلمسة إصبع حسب القماش:
"فاريُوجت ٧٤٧" تُقاد بسهولة وتحط
بدقة لكن مفعُولها مُدهش.
جرّبوا مُولينكس وسافروا على متن
"فاريُوجت ٧٤٧"، سِت مكاويّ جميلة،
جذابة وفعّالة مِن مُولينكس.
Moulinex
made in france

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



مسرح العرائس والطفل

التاترا البولندية

أرض الأسطورة والعنف والسحر الحزين

استطلاع: صلاح حزين



- جبليون يؤدون رقصاتهم الفلكلورية بين الجبال



جبلي بملابسه المزركشة يؤدي احدى الرقصات

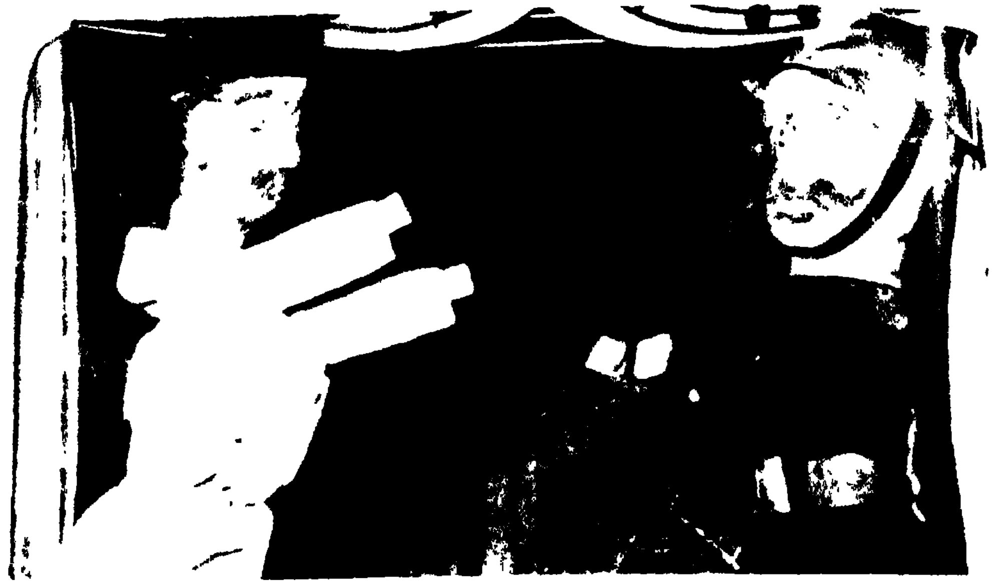
مسرح العرائس والطفل..

بقلم : حسين ابو زينة

«يفتن أطفالنا بالعرائس ، وتزداد فتنتهم عندما يرونها تتحرك وتتكلم وتغنى من فوق خشبة المسرح ، ويصبح مسرح العرائس مكانا أثيرا لهم ، لهم ، ولكن ماذا يجب أن يقدمه مسرح العرائس وهو يخاطب أطفالنا ؟ »



- صندوق الدنيا والأراجوز هما بدايات المسرح والذي كان يجمع الأطفال حوله في الطرقات



ـ شخوص وأبطال المسرح تداعب خيال الأطفال وتصبح نجوما لديهم

إن من أوضح الآثار التي يمكن ان يعكسها التفهم الدقيق لمسرح الطفل ، ذلك الأثر الذي يمارسه المسرح ذاته على الأطفال أنفسهم .

فلقد أصبح من اللازم أن نقدم أشكالا معينة للمسرح تتعاطف مع دراما الطفل ، وتوجد الآن في انجلترا فرق قليلة من الكبار تحاول في هذا الأمر بجد واهتمام وهذه مسألة تخص الكبار الذين يقومون بالتمثيل للصغار ، مقدمين تمثيلياتهم في الاشكال التي تظهر فيها دراما الطفل للأعمار المختلفة ، وهم يشجعون المتفرجين على المشاركة فيها ، مستخدمين الأصوات المثيرة للاهتمام

واذا كنا في نهضتنا الأدبية قد استحسنا الحاجات الحياة ، واستعرنا التمثيل الدرامي المباشر ، وتوسلنا بضرب آخر من التمثيل يعرض الصورة المتحركة الناطقة أمام الناس ، فلقد كان الواجب يقتضينا أن نفطن أولا الى تصحيح مفهوم التراث الفني ، محتفى بآثار خيال الظل . وهي آثار ترتبط بالأدب ارتباطها بفنون الايقاع والرسم . وليس من شك في أ . لو أدركت هذه الحقيقة لكنا قد كشفنا عن القاعدة الأصلية التي لابد من الارتكاز عليها ، لكي ندع فنا قوميا يتسم بالملامح الاسلامية ، ويشغل أ . . . بالتطوير ، مستعلين . . . حركته البشرية في وسائل الاعلام والعرض

ونحن الآن مشغولون بمسرح العرائس ، وبالصور المتحركة ، ومسرح الأطفال والأفلام الخاصة بالتربية أفلا يحق لنا أن نعيد النظر في تراث خيال الظل ، لنجد من موضوعاته ونماذجه الفنية رديفا تشبه التقاليد التي لا يستطيع فن من الفنون ان يحققه وحده بدونها ؟ ان كثيرين من المثقفين يتصورون فنون التمثيل والتصوير والتشكيل دخيلة على تاريخنا ومجتمعنا ، والواقع أن هذا التصور خطير الى حد كبير ، ذلك لأنه يجعل فنونا معلقة بلا تاريخ

ولقد عاش فن العرائس مدة طويلة دون أن يكون هناك حكم عليه بأسلوب علمي . وذلك لأسباب مختلفة ، لكن الآن وبعد أن أصبح المسرح في عدة بلدان ، أصبح لفن العرائس نقاد متخصصون يقومون العمل من خلال جزيئاته المختلفة ، ومن هنا بدأت حركة الصعود لهذا الفن

ومسرح الطفل للعرائس يعدّ مسرحا عالميا في فكرته وامكانية مخاطبته للأطفال في كل مكان بالعالم



ـ حتى الحيوانات عندما يتم تقديمها في شكل العروسة ستحوذ على انبهار الطفل ودهشته



ان رواد هذا الفن الرفيع في تزايد مستمر ، ولهذا يجب بذل المزيد من الجهد للارتفاع بمستوى هذا الفن ، حيث لم يعد يليق بنا الابقاء على الأطفال أمام شاشة التلفاز ، انتظارا لبرامجه التي لا تناسب أعمارهم ، إن انجاح هذا الفن العرائسي يأتي مباشرة من الأطفال أنفسهم ، فاما أن يجذب التفاتهم تماما ، واما أن ينصرفوا عنه

ويعدّ المسرح العرائسي من أرقى أنواع الفنون ، ذلك لأنه يبث القيم الروحية والاجتماعية التي تعدّ الطفل اجتماعيا ، لكي يستقبل حياته العملية في الكبر وهو محصن بمجموعة كبيرة من الخبرات التي تلقاها بطريقة غير مباشرة ، والتي تؤثر في تكوينه النفسي ، حتى يستطيع التكيف مع متناقضات مجتمعه الذي يعيش فيه ، وحتى لا يصطدم بجهامة الواقع .

مسرح العرائس ـ اذن ـ يستطيع أن يلعب دورا مهماً في التربية الفكرية للأطفال ، فالطفل في سنواته

أو، تتكون ملامح شخصيته من خلال تجاربه الحادة ، فتتجدد قدراته الفكرية بمحالات الادراك التى هيأ له ، وادراك الطفل للأشياء لا يتأتى الا بالممارسة والعمل ، وهنا يلعب مسرح العرائس دورا حيويا فى تجسيد الأفكار التى تدور بذهن الطفل وبشكل مشوش ، وقد يكون الطفل أتم تجسيدها من وجهة نظره ، وبشكل خاطىء ، وهنا يأتى دور مسرح العرائس فى تصحيح التصور الخاطىء لدى الطفل -

وهناك حقيقة لا بد أن نؤكدها ، وهى أن المسرح العرائسي يلعب دورا مهماً وخطيرا فى عملية التطبيع الاجتماعى ، وفى تكوين وبلورة شخصية الطفل ، فاذا أردنا تقديم الأسطورة أو قصة من قصص الخوارق ، فمن المهم أن نضع القصة في شكل يتناسب مع عقول الأطفال ، مع الحفاظ على المستوى الفكرى ، وبحيث تناقش قضية بعينها فالطفل يجد لذة لسماع أو رؤية القصص الخيالية ، ولديه القدرة على استنباط القيم الخلقية مما يعرض أمامه ، الأمر الذى يؤدى الى تفتح طاقات خياله وآفاق تأمله ، بالاضافة الى تبين الطفل لعناصر الصراع العنيف الدائر بين الخير والشر فاذا انتصر الخير يدرك الطفل عدالة العقاب وأهميته ، وأهمية اثابة المحسن الخير الكريم ، مما يؤدى الى نمو الوعى الدرامى عند الطفل

ومسرح العرائس يلقى اهتماما وجاذبية كبيرة من

عالم كامل بكل تفاصيله التي تقترب من الواقعية قدمت بالعرائس والدمى





- يلعب تجهيز المسرح والديكور واقتراب المشهد من الواقعية دورا في اثارة خيال الطفل

ناحية الطفل ، وخلال جميع مراحل نموه وتطوره ، وقد يمتد الاهتمام بمسرح العرائس الى مرحلة المراهقة فبمجرد مشاهدة الطفل للعرض العرائسي تقوى ذاكرته وتصوره للخبرات السابقة ، تمهيدا لاستدعائها ، كما تنمو قدرته الخيالية ، وهذه القدرة لها دور كبير في بناء الأفكار وابتكار كل جديد .

واندماج الطفل مع العرض العرائسي يوفر له نوعين من التوازن بين اتجاهاته العقلية والانفعالية والفكرية والحسية وبين الوعي واللاوعي ، ويمكن أن تتحول بعض الدوافع الهدامة لدى الأطفال الى دوافع بناءة .

كما يساهم مسرح العرائس في تنمية الادراك الحسي عند الأطفال والادراك البصري عن طريق الاحساس بحركة العروسة التعبيرية ، وايماءاتها وشكلها وحجمها ولونها الجذاب ، كما ينمو الادراك السمعي عن طريق الموسيقا التصويرية وكلمات الأغنية المناسبة مع المشهد .

ويسهم مسرح العرائس في تنمية مدركات الطفل التي تعد ضرورة مهمة في عملية تنشئته ، فمما لا شك فيه أن الثقافة عملية مهمة في حياة الانسان ، فهي تلعب دورا عظيما في تغيير وجه المجتمع وبنائه ، واذ كانت الثقافة تعني المعارف المختلفة في شتى أنواع الخبرات الانسانية ، كالخبرات الاجتماعية والعملية والفنية ، واذا كانت الثقافة تعمل على تطوير عقلية الانسان ، وتعكس الأسلوب الذي تتشكل به عاداته وسلوكه ، وجب علينا الاهتمام بتنمية عقلية الطفل تنمية سليمة وكاملة من كافة النواحي ، ومسرح العرائس قادر على المساهمة في تقديم الثقافة الى الطفل .

وعلينا ونحن نقدم عملا عرائسيا بعيدا عن المحلية ، ان نستخدم في أثناء التأليف اللغة المبسطة التي تتفق مع قدرات الطفل ، وأن نبتعد عن لهجاتنا الشعبية ، حرصا على هذا الفن من الاندثار والتلاشي ، ذلك لأنه يعالج قضايا حيوية تمس احتياجات الطفل في كل مكان ، فاذا ما كتب بلغة عربية معروفة كان من السهل ترجمتها للغة المراد التعامل معها . □

الموت حياة

المشهد يكاد أن يكون يوميا .. ومتكررا، في المساء وفي نشرة الأخبار منذ ثلاثة شهور، تأتي صور الملونين السود في جنوب أفريقيا، وهم يرفضون سياسات التمييز العنصري .. وكم كانت مذهلة هذه الصور والمشاهد .. عندما يخرج آلاف البشر .. يرقصون رقصاتهم الأفريقية، ويغنون ضد الغاصب الأبيض : كان المعروف دوما أن المظاهرات عمل عنيف .. أصوات غاضبة تهدر .. وأذرع متشنجة تلوح بالغضب والرفض .. حتى أطل علينا هؤلاء الثوار الفنانون الحالمون الرائعون .. ورأينا الأغنية وهي تصبح أنشودة لمجد الوطن وللجمال والحق .. والأجساد وهي لاتتشنج، ولكنها تصفق باليد وتدق بالقدم. تعزف نغمة ليرقص عليها تراب الوطن .. وبرغم كل الرصاص ومحاولات الاغتيال من قبل قوى النظام الحاكم في جنوب أفريقيا لناس وملح الأرض .. الا ان مسيرات الغناء والرقص لم تتوقف .. ويطغى صوت الرصاص السافل .. على اللحن الجماعي .. الذي يميز الانشودة .. ويخل سقوط جسد من وسط الرفاق بايقاع الرقصة للحظة ولكنها تستمر، ولم تكن هذه المواجهة الرائعة النبيلة للموت مقصورة على مدينة واحدة ولا حي واحد .. ولكنها تجاوزتها الى كل أنحاء المدن في جنوب أفريقيا ..

ومنذ فترة قصيرة عاد صديق لي من جنوب لبنان .. وأخذ يحكي عن رقصات الاهالي للدبكة وغنائهم للوطن وللمجد ولشجرة الأرز، كلما سقط شهيد في عملية انتحارية، وكيف تصبح تجمعات البشر تجمعات للاحتفال وليس للعزاء ..

وتذكرت صورة جنوب أفريقيا .. وقلت له انه العالم الذي يتغير .. ان ملايين الفقراء والمسحوقين في هذا العالم .. أدركوا ـ وهم يرزحون تحت الفقر والقهر ـ ان الغد لهم .. وفي مواجهة كلاب القهر .. ومصاصي الدماء .. يبقون هم الطير .. والخير والغد والمجد .. ورغيف الخبز .. وانشودة الموت التي تهب الحياة للوطن . كل الوطن .. الوطن الانساني الذي يغني للمجد والحرية والجمال .. □

محمود عبد الوهاب

إزاحة الستار عن ..

أسرار الألم

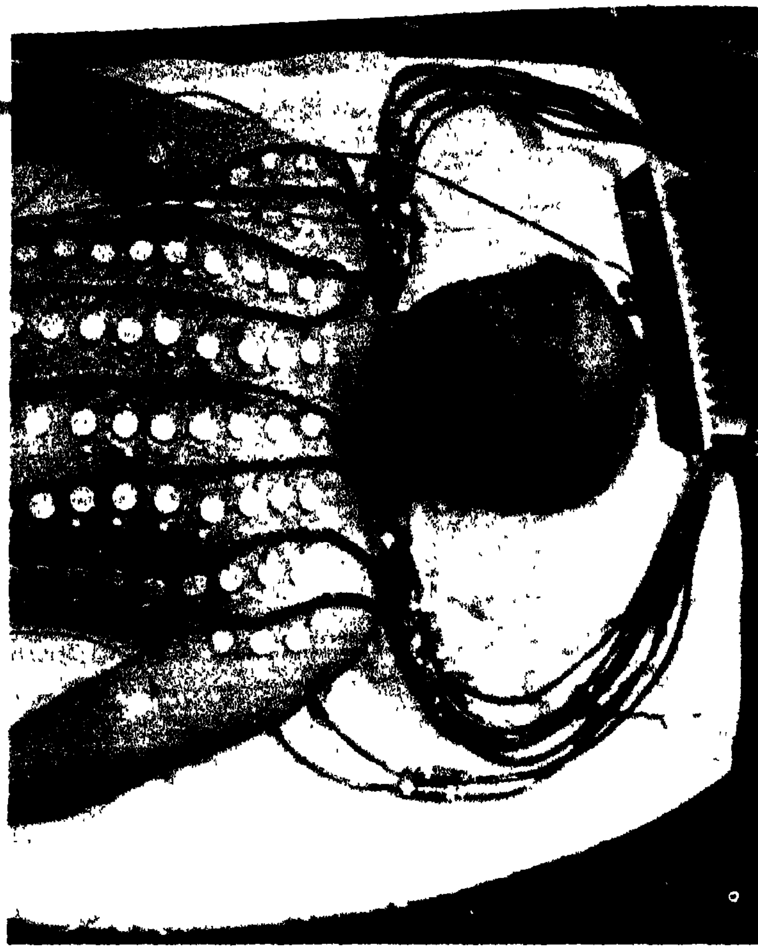
بقلم : د . انيس فهمى

لا أحد منا لم يتألم . . ونعنى بالألم هنا ذلك الألم الجسمانى وليس ألم النفس . . ولكن ماذا نعرف عن الألم وكيف ينشأ وماهي مسبباته ؟ هذا المقال يوضح لنا كيف يحدث ذلك ويعطينا الجواب .

الألم من أهم المشكلات التى شغلت بال الأطباء والعلماء منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، إن الالم أيا كان نوعه ، وسواء كان ناتجا عن التهاب بالمفاصل أو عن الصداع النصفى ، أو عن أى سبب آخر معلوم أو مجهول يصيب بالعجز عددا من الناس أكثر من عدد المرضى بالسرطان أو بأمراض القلب . . ومع ذلك فان أسباب الألم مازالت تمثل الى حد كبير منطقة مجهولة تحتاج الى البحث والاكتشاف ، وقد أدرك الباحثون أخيرا أهمية الحاجة الى علاج خاص للعقل والجسم معا ، عندما يصرخ المريض متوجعا من الألم .

كان الألم ينسب فى العصور القديمة الى الأرواح الشريرة . فى حين أن الانسان البدائى كان يستطيع أن يدرك مصدر الألم الحاد الناتج عن الاصابات أو الحروق ، الا أنه بالنسبة للألم المزمن كان يلجأ الى السحرة ومدّعى الطب . . وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الألم المزمن مصدره الأرواح أو الآلهة أو الموتى . ولكنه فى القرن السادس عشر قبل الميلاد اكتشف المصريون فائدة الأفيون فى تسكين الألم ، وجاء ذكره فى برديه ايبرس Ebers Papyrus التى تحوى ألف وصفة علاجية تقريبا ، كانت تستعمل فى أيام امنحوتب .

كان المصريون القدماء يعتقدون أن المركز العضوى للألم هو القلب ، وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا الى أن نادى الفيلسوفان الاغريقيان ديموكريتوس وأفلاطون بأن مركز استقبال الألم هو المخ ، وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف أن المخ متصل بشبكة ذات نوعين من الألياف العصبية : نوع مختص بالحركة ، والآخر مختص بالاحساس . وخلال القرون الوسطى اندثرت هذه المعرفة ،



وعاد الأمر الى الدجل والشعوذة ، وظل الحال كذلك حتى أقبل عصر النهضة الذى رفعت فيه القيود على تشريح الجسم الانسانى ، واثبت العلماء وعلى رأسهم ليوناردو دافنشى أن الألم له علاقة بالجهاز العصبى . وأغلب التعديلات التى حدثت لهذا المفهوم تمت فقط فى السنوات العشرين الأخيرة .

رسالة الألم

أصبح العلماء الآن على دراية بما يحدث مثلا عندما يصطدم اصبع القدم الكبير بجسم صلب ، ان رسالة الألم تبدأ عند نقطة التصادم ، بانطلاق عدد من المواد الكيماوية المخزونة فى النهايات العصبية أو بالقرب منها ومن بين هذه المواد المادة أ ، والبروستاجلاندين والبراديكيين ، هذه المواد الكيماوية تزيد من حساسية النهايات العصبية ، وتساعد فى نقل رسالة الألم من المنطقة المصابة الى المخ ، وبالاضافة الى ذلك فان البروستاجلاندين يزيد من الدورة الدموية فى المنطقة المصابة ، وبذلك يسبب الورم والاحمرار اللذين نطلق عليهما اسم « الالتهاب » . ومنذ أيام أبو قراط والأطباء يكافحون باستخدام حمض الساليسيليك الذى يستخرج منه الاسبرين ، ولكنهم لم يعرفوا الا منذ خمسة عشر عاما فقط أن الاسبرين يحبط افراز البروستاجلاندين .

ان اشارة الألم الناتجة عن اصابة اصبع القدم تصعد كتيار كهربائى كيميائى على طول عصب

الاحساس الى القرن الخلفي للحبل الشوكي ، ثم يذهب التيار بعد ذلك الى الـ -THA LAMVS أو (السرير في الترجمة العربية) وهي أول منطقة تدرك فيها احساسات البرودة والحرارة والألم واللمس . وبعد ذلك يصعد التيار الى قشرة المخ ، حيث تدرك شدة الألم ومكانه . وهذه المنطقة الأخيرة هي الأرض الكبيرة المجهولة في الابحاث الخاصة بالألم . وعلى أيه حال فان قشرة المخ هي التي تنظم الاستجابات المتطورة المتعددة للانواع المختلفة من الألم .

نظرية « رقابة البوابة على الألم »

عندما يشعر الانسان بالألم في اصبع القدم فانه يدعكه ، ويبدو أن دعك الاصبع المتألم له هدف معين ، إذ أن الانسان يشعر براحة كبيرة عندما يدعك عضوا متألما . وفي عام ١٩٦٥ استطاع العالمان باتريك وول ، وورونالد ميلزاك ان يصوغا نظرية لتفسير هذه الظاهرة ، وهي نظرية « رقابة البوابة على الألم . وطبقا لهذه النظرية لايستطيع الجهاز العصبي الاستجابة الا الى كمية محدودة من الاحساس في لحظة معينة . وعندما تكثر مصادر الاحساس فإن خلايا معينة بالحبل الشوكي تقطع اشارات الألم ، وكأنها تغلق البوابه التي تمر منها هذه الاشارات ، وعلى ذلك فانه يمكن منع الألم من المرور من خلال البوابة عندما تكون هناك منافسة له من احساسات أخرى مثل دعك الاصبع . وقد استخدمت هذه النظرية كقاعدة لطريقة جديدة لعلاج الألم يطلق عليها اسم : **« التنبيه العصبي بواسطة استخدام الكهرباء من خلال الجلد »** . وفي هذه الطريقة يوضع موصلان للكهرباء فوق الجلد لكي يسرى بينهما تيار كهربائي ضعيف ، ينافس اشارات الألم الصادرة من الجلد ، وبذلك يسد عليها طريق البوابة ، فلا يدركها الجهاز العصبي . ويعتقد ان العلاج



بالوخز بالابر الصينيه يفعل مفعوله الى حد ما باغلاق بوابة الألم .

ان نظرية « رقابة البوابة » فتحت المجال لأنواع كثيرة من الأبحاث الحديثة ، كما أفادت في تفسير بعض الظواهر النفسية المحيرة للألم . لنأخذ على سبيل المثال الظاهرة الشائعة في اثناء الحروب ، التي تحدث للجندي الذي يكون منغمسا أشد الانغماس في حرارة المعركة ، فلا يشعر باللغم الذي انفجر تحت قدميه ، أو لاعب الكرة الذي يكون منغمسا أشد الانغماس في المباراة ، فلا يشعر بالخلع الذي أصاب مفصل كتفه الا بعد انتهاء المباراة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنه يوجد شيء ما في الجهاز العصبي منع الاحساس بالألم .

اكتشاف الاندروفين

منذ عشر سنوات مضت اكتشف العلماء في سكوتلندا ماهية هذا الشيء الذي يمنع الاحساس بالألم . فقد استطاع جون هيوز ، وهانز كوستر ليتز في جامعة ابردين بسكوتلندا أن يعزلا مواد كيماوية قوية قادرة على كف الألم ، وهذه المواد موجودة بشكل طبيعي في المخ والحبل الشوكي ،

. د اطلق عليها اندروفين ENDORPHIN . مى قادرة على اغلاق الانذار بالألم تماما مثلما يغلق مفتاح القفل . وهذه الأقفال هي مستقبلات الألم على سطح الخلايا العصبية . ان المخدرات مثل الافيون والمورفين والهروين تغلق أيضا هذه الأقفال ، وبذلك تنشط جهاز الجسم الخاص بتخفيف الألم .

ان جهاز الاندورفين أيضا هو احدى الوسائل التى تستطيع اغلاق بوابة الألم . ومنذ اكتشاف النوع الأول من الاندروفين فى عام ١٩٧٥ اكتشفت أنواع عديدة من الأفيون الطبيعى ، وأنواع أخرى لاصلة لها بالأفيون موجودة داخل الجسم للتأثير على رسالة الألم . وبعض هذه المواد الكيماوية والتى أطلق عليها اسم « الناقلات العصبية » ليست مختصة بالألم فقط ، بل لها علاقة أيضا بالاستجابات العاطفية مثل الاكتئاب . وقد عرف الاطباء أن الادوية التى تعالج الاكتئاب يمكن أيضا استخدامها بجرعات قليلة لتخفيف الألم .

الألم تجربة معقدة

ان العالم رونالد دابنر بالمعاهد القومية للصحة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى يكرس وقته لازاحة الستار عن كيمياء الألم والعقاقير المخففة للألم توصل الى الحقيقة التالية ، وهى أن الألم تجربة معقدة تشتمل على الانفعالات ، وتجارب الألم السابقة ، ومعنى الألم بالنسبة لنا فى أى وقت معين . وباختصار فان الخط الفاصل بين فسيولوجيا الألم وسيكولوجيته خط مهتز وغير واضح . ويقول البروفسور هود رئيس أبحاث أدوية الألم بمركز السرطان بنيويورك أن الخوف والقلق والتوتر وتوقع الكوارث يجعل الألم يبدو أكثر سوءا مما هو فى الواقع . فبالنسبة لمريض السرطان يتضخم الألم فى أغلب الأحوال لأن المريض يفسره بأن المرض قد عاد ، أو استجدت احدى مضاعفاته ، أو أن الموت قريب على الأبواب . وعلى العكس من ذلك فان الأمل والتشجيع يستطيعان أن يجعلا الالم يبدو أخف مما هو فى الواقع

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وجد أن الجنود الدين أصيبوا اثناء معارك حامية الوطيس احتاجوا لكمية من المورفين أقل بكثير من المدنيين الذين أصيبوا بجراح مشابهة ، والسبب فى ذلك أن الجراح كانت تمثل للمدنيين مصدرا للقلق والخوف ، اما بالنسبة للجنود فكانت الجراح تعنى أنهم سيعودون الى منازلهم !

وفى كثير من حالات الألم المزمنة يكون لدى المريض سبب مادى أو معنوى يجعله يستفيد من الألم الذى يشعر به . فقد حكى أحد الاطباء النفسانيين عن حالة سيدة بدأت تشعر بألم فى أسفل ظهرها ، عندما أحيل زوجها الطبيب الى المعاش . ويفسر الطبيب النفسانى ظهور ذلك الألم بأن هدفه ربما يكون اتاحة الفرصة للخروج لكى يعاود مزاولة مهنة الطب بعلاج زوجته !

وقد أثبتت الأبحاث أن الأفراد الذين يقيمون دعاوى بقصد طلب التعويض عن اصاباتهم لاتتحسن حالتهم الا بعد الفصل فى الدعوى !

ويعتقد الكثير من الأطباء أنه توجد خصائص مميزة تجعل بعض الناس أكثر استعدادا للألم ، ومن أهم هذه الخصائص عدم الاقبال على الحياة ، أو ضعف الحافز ، أو عدم الثقة بالنفس ، أو الاعتماد على الآخرين . ومن المعروف لدى الأطباء أن بعث الأمل لدى المريض بأنه سيشفى ، ومعاملته برقة وحنان يساعدان كثيرا على تخفيف الاحساس بالألم ، وفى هذه الأحوال فان اعطاء المريض حبة مغلفة من السكر بدلا من حبة الدواء ، بدون علمه بالطبع يمكن أن تشفى المريض من آلامه ، وعلى أية حال فأن الألم موضوع شائك معقد ، وبالرغم من التقدم الذى حدث فى السنوات الأخيرة فى ازاحة الستار عن أسراره الا ان الكثير من أسرار الألم لم يكشف عنه بعد . □



هو....

أرض جدباء

● عذاب ونار تشتعل داخلي . . ولاأتصور أن أحدا يستطيع أن يشعر بما أحس به وأعانيه ، الا اذا كان قد اكتوى بالعذاب مثلي !!

عشر سنوات مرت منذ زواجنا . . والأمل يصعد بي كل يوم . . واللاجدوى تصفعني كل مساء . . أترقب بدايات الأشهر . . وأنتظر هلال القمر . . دون أن أيأس ولكن الأيام تركض كجواد جامح ، تقطع بي أيام العمر وأشهر الترقب وسنوات الازدهار . .

في البداية كنت أتندر . . آتية بجمالي وعندما تأتي سيرة الانجاب أو غمزة من هنا أو غمزة من هناك . . كنت أهز كتفي بدلال . . وأصيح . . ماذا ينقصني . . . ذراع . . أم ساق . . قبيحة أو شوهاء . . لاهذا ولاذاك . ثم أقرر في لهجة تعليمية « اكتمال الأنوثة شيء والقدرة على الانجاب شيء آخر » ، ولكنني لم أقو كثيرا على الصبر . . فقد زارني القلق والتوتر . . ولكنهما قلق وتوتر يحتاجان الى صبر من نوع خاص . . صبر يلغي إحساسك بذاتك . . صبر يفوق احساسك بوجودك وكيانك ، ولأن مثل هذا الصبر عزيز فقد عرفت طريق الأطباء . . في البداية ذهبت سرا ، ثم اصطحبت زوجي معي ، وتحول الأمر الى ادمان ، ترددنا على عشرات الاطباء ، وأجرينا مئات التحاليل الطبية وجربنا عديدا من الطرق في ضرورة الهدوء النفسي ، ومحاولة تسيلد الرغبة في الانجاب . . . وأصبح همنا أن نسمع عن طبيب ماهر . . أو عن أسرة رزقت بطفل بعد طول انتظار ، فنهرع اليهم نسألهم . . ونستفسر ونجرب طب العرافين والعرافات والأحجبة والتمائم .

وبرغم أن زوجي يأخذ القضية ببساطة وسخرية ، فإنه يقول مادام الطب أثبت أننا صالحان طبيا للانجاب ، فلا توجد مشكلة ، فما لايأتي اليوم يأتي غدا . . وما لايجيء غدا فأمامنا العمر . . واذا راح العمر . . فتلك مشيئة الله . . ويجن جنوني وتثور ثائرتي وهو هادىء مبتسم . . وأصبحت المشاجرات بيننا عادة يومية ، سواء كان هناك سبب يستحق أو لم يكن . . لو كنا سائرين في طريق ووقف أمام محل أزياء أطفال ، لو كنا في زيارة لعائلة وداعب طفلا . . أشعر أن سكينا يمزق أحشائي . . وتحترق أعصابي ، وتصبح الكلمة التالية أيا كانت مادة شجار . . صحيح أنني بعدها أبكي . . وكثيرا ما يتفهم هو ذلك فيضحك ويهدىء من ثائرتي . . لكنني أشعر أني أرض جدباء لافائدة منها . . شجرة ملعونة لاتمنح ظلا ولاثمرا . . عذاب . . ونار . . كلما همست لنفسي بيني وبين نفسي . . انني . . . انني . . انني عاقر .

هي



هيَ....

ولكنها الحياة

عذبتني معها . . ولولا نعمة الله بأن منحني ايمانا وصبرا لكانت الحياة بيننا قد انتهت ، فلم يعد هناك شيء لانتشاجر حوله . . ولايوجد شيء لايثير أعصابها ، وبرغم أننا قد قضينا سنوات الزواج الأولى في هدوء وراحة بال ، ولم تكن هذه المشكلة تلح على ذهنها ولاتقف عندها . . فمنذ اليوم الأول لزواجنا وأنا أسلم أمري لله في موضوع الانجاب ، فلم أشجعها على استخدام أي نوع من أنواع موانع الحمل . . ومضت بنا الأيام ، ولا أدري بالضبط كيف تفجرت المشكلة داخلها هل هو كلام الصديقات . . أم احساس الأمومة الغريزي ؟ الا أنني في كلتا الحالتين أعذرها وأفهم ، وأسأل الله أن يهبها راحة نفس وسكونا .

حاولت كثيرا أن أقول لها تلك مشيئة الله ، وانه قدر لنا ألا نرزق بأولاد ، والله سبحانه يرزق من يشاء ذكورا ويرزق من يشاء اناثا ، والحمد له اننا لا أنا ولا أنت نشكو مرضا . . فلعله امتحان من الله ، أو لعلها هي تلك مشيئته ، ولكن كلامي يذهب أدراج الرياح .

وأعترف أنني كثيرا ما تقتلني نار الكلمة . . أن أسمع مناداة ابني لي . . أن أراه أمامي صبيا يدخل البيت صائحا مهللا . . حاملا كتبه يملأ الدنيا حيوية وحياة . وكثيرا ما أشعر ببرودة الأيام القادمة ، عندما أصير شيخا ولا أحد يسأل عني . . ولا ابن يرعاني في شيخوختي . .

عذابات أشعر بها تأكلني وتورثني احساسا عبثيا قاتلا بأنني أحرث البحر . . لا أحصد الا الزبد الخاوي . وتعلمت مع الأيام والوقت فن الصبر . . وتعلمت كيف أعلل نفسي وأروضها ، وأفترض انه لو جاء ابن يشكو من مرض أو علة ، أو ليس ما أنا فيه أرحم . . وحينا آخر أقول ربما لو جاء ولدا كان عاقا . . كالغلام الذي قتله الخضر وكان أبواه صالحين ، وكان يرهقهما طغيانا وكفرا . . وعديد من الافتراضات . . من باب السلوى والعزاء . . ثم من منا تعطيه الدنيا كل ما يريد وكل ما يحلم ؟

ومن منا أزهرت أحلامه كلها واينعت امانيه انها الحياة تعطي وتأخذ ، تحنو وتقسو . . ونسير فيها حاملين الأحلام والأمنيات والخيبات والأسى . . حتى نغادرها يوما ، عزاؤنا فيها صبر وايمان ورضا ، ولتكن كما تكون حتى بدون ولد يحمل الاسم ، ويبقي الأثر فيها حتى بعد الرحيل .

هوَ



من الحياة

وفاءُ امرأةٍ

.. ثمَّ كانَ اللقاءُ قبلَ الخريفِ !

بقلم : منير نصيف

هذه القصة عشت نهايتها .. أما بدايتها فقد رواها لى الزوجان .. انها قصة حب كبير ... في الربيع كانت البداية ، وكانت أقوى من الحياة ذاتها ، فقد عاشت الى ما قبل مجيء الخريف بقليل !

جاءت اليه تلهث فى فستانها الأبيض الجميل ، الذي اشترته لها أمها منذ يومين .. كان العرق يكسو وجهها ورأسها الصغير الجميل .. وقالت وهى تقف أمامه فى في الحديقة الصغيرة التى تعودا على اللقاء فيها ، واللعب وسط زهورها وأشجارها : اليوم عيد ميلادى . سوف أطفىء أربع عشرة شمعة .. لقد كانت مفاجأة لى عندما صحوت من نومى في الصباح ، واقتربت منى أمى لتقول لى كل سنة وأنت طيبة ياصغيرتى ! وقلت لها اننى أريد أن أدعو صديقى الى الحفل الصغير الذي ستقيمينه لى ، فقالت لي : انه عيد ميلادك ، ومن حقك أن تدعي اليه كل اصدقائك !

ووقف الصبى الذي يكبرها بعام واحد ، يتأمل وجهها الجميل ، قبل أن يمد يده الى جيبه ليبحث فيه عما تبقى له من مصروفه .. ولكنه وجده خاويا .. لقد انفقه كله ، ولن يستطيع أن يشتري شيئا .. أي شيء يقدمه هدية لصديقته الصغيرة في عيد ميلادها .. وأحس بخجل شديد .. ولكنه لم يفقد الأمل تماما .. فقد عبرت برأسه فكرة ، حاول أن ينفذها ، لماذا لايعود الى البيت قبل الذهاب الى الحفل ، ويرجو والدته أن تعطيه مبلغا صغيرا يستطيع أن يدفعه ثمنا للهدية التى سيختارها لصديقته ؟ .. وقال لها : عودى أنت الى بيتك الآن وسوف الحق بك !

وذهبت ، وهى ترجوه ألا يتأخر ، فقد أوشكت الشمس على الغروب ، ولابد من أن يبدأ الحفل في ساعة مبكرة ، وينتهي قبل أن يحين موعد الذهاب الى النوم قبل التاسعة ، ففي الغد يوم جديد ، سيذهبان فيه الى المدرسة معا ، في نفس السيارة الكبيرة التى يلتقيان فيها كل صباح ..



وذهب الصبي الى أمه ، ووقف يرجوها أن تساعده في شراء هدية لصديقته الصغيرة بنت الجيران التي قضى معها رحلة السنوات السبع الأخيرة ، عندما انتقل مع والدته للعيش في هذه الضاحية الصغيرة ، بعد أن رحل والده وهو يدافع عن تراب الأرض التي ولد فيها ، وكبر وسط جبالها ووديانها . .

وابتسمت الأم في حنان ، واقتربت من ابنها الوحيد ، وضمته الى صدرها ، وقالت : هل تعرف أيها الرجل الصغير انني معجبة بصديقتك . . أنا ايضا أحبها . . ومن أجل ذلك سوف أعطيك هدية جميلة لتقدمها لها في عيد ميلادها !

وفتحت خزانتها الصغيرة ، وأخرجت منها خاتما ذهبيا يحمل لؤلؤة ثمينة . وقالت وهى تقدمه له : « لقد أعطتني أمي هذا الخاتم عندما كنت في مثل سن صديقتك . . اذهب اليها الآن وقدمه لها ولاتنس ان تبلغها تمنياتي لها بعيد ميلاد سعيد . . قل لها أن تحرص عليه دائما ، وألا تنزعه من اصبعها أبدا !

وحمل الصبي الخاتم في جيبه ، وذهب الى بيت صديقته . . . كان يحبها . . فقد كانت حياته مع أمه في وحدتها ـ بلا أخوة ولاأخوات ـ قد ملأت قلبه الصغير بالحب لكل الناس . . ولكنه كان يحمل حبا خاصا لهذه الصبية الصغيرة . . كان يرى فيها أخته وصديقته وزميلته التي لايفترق عنها طوال سني الدراسة ، التي أمضياها في المدرسة التي جمعتهما في فصل دراسي واحد ، وفي الحي الذي يسكنان فيه قريبا من بعضهما بعضا . . كانا يلعبان ويستذكران دروسهما معا . . يخرجان للنزهة معا . . كانا يجدان في تلك الصداقة التي ربطت بينهما شيئا جديدا؛ جعل للحياة البريئة التي يعيشانها طعما وهدفا . .

هي أيضا كانت وحيدة والديها ، وكانا يفيضان عليها من حبهما وحنانهما كل ما يمكن أن يحمله قلباهما الكبيران اللذان اتسعا لحب كل أبناء الحي الصغير ، الذي يمضيان فيه أجمل سني العمر !

ووصل الصبي أخيرا ؛ وكان الحفل قد بدأ . . وما كادت تراه قادما حتى أسرعت اليه مهرولة ، ومدت يدها الصغيرة تصافحه : لقد تأخرت كثيرا . . انني لم أطفىء الشموع في كعكة عيد ميلادي بعد ، فقد كنا جميعا في انتظارك . . أمي وأبي وكل أصدقائنا تعال معي لتساعدني في اطفاء الشموع !

ولكنه بقي واقفا ، حيث هو ، ومد يده الى جيبه ، وأخرج الخاتم الذي أعطته له أمه ، وقدمه اليها ، ولم ينس أن يتمنى لها عيد ميلاد سعيدا !

واحتضنت الصبية الخاتم بكلتا يديها ، وضمته الى صدرها ، وأسرعت الى أمها : انظري ياأمي ماذا أعطاني . . انه خاتم جميل . . هل أستطيع أن أضعه في أصبعي ؟؟

وفعلت ، وأطفئت الشموع . . وأكل الصغار الكعكة اللذيذة التي أعدتها الأم ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع عائدين الى بيوتهم ، وبقي الخاتم في

اصبع صديقته . . كان الصبي حريصا دائما على أن يبحث عنه في اصبعها كلما لقيها في المدرسة ، أو في نزهاتها أو كلما خرجا معا للعب في الحديقة العامة القريبة من البيت ؟

وتمضي الأيام . . وينتهي العام الدراسي ، ثم تحدث المفاجأة ، لقد انتقل والد الصبية الصغيرة للعمل في احدى المدن البعيدة . . وبدأت الأسرة تستعد للرحيل . . .

ولأول مرة مرة منذ أن تفتحت عينا الصبي على الحياة في القرية الصغيرة القابعة في بطن الجبل ، احس بأن شيئا ثمينا قد ضاع منه . . ان صديقته التي أحبها وعرفها وملأت حياته بهذه المعاني والصور الجميلة ، سوف تذهب ، وقد لايلتقي بها مرة أخرى . . ترى كيف سيكون شكل الحياة بعد رحيلها مع والديها الى هذا البلد البعيد . . كيف سيمضي في هذه الرحلة الهادئة بعد أن تترك القرية والبيت الذي تعود أن يزورها فيه ، والمدرسة التي أمضيا فيها هذه السنين معا في فصل واحد ؟

هي ايضا ، لقد احتواها شعور بالألم والحزن ، وهي تجمع ملابسها وذكرياتها وتستعد للرحيل . . ولم تفلح كلمات الأم في أن تخفف عنها ألم فراق صديقها الصغير ، الذي كان لها أخا ورفيقا في غدوها ورواحها . .

ولم ينجح الأب بدوره في أن يزيل عنها الهم الكبير الذي انتابها وهي تردد أمامه : معنى هذا أنني لن أرى صديقي مرة أخرى بعد اليوم !

أبدا ياعزيزتي ، سوف نعود الى القرية في عطلة الصيف ، وستمضي في ربوعها أسابيع طويلة ، تستطيعين خلالها أن تلتقي بصديقك ، وتتذكرا معا أيام طفولتكما السعيدة !

وجاءت لحظة الوداع . . وجاءت هي لتودعه في بيته . . وبكى الاثنان بكاء الأطفال . . ولكنهما تواعدا على تبادل الرسائل ، وتبادل الزيارات كلما سنحت الفرصة !

ومرت الأعوام . . في البداية كانت تكتب له رسالة كل أسبوع ، وكان بدوره يبعث اليها برسالة يجمع فيها كل ما يهمها أن تعرفه عن المدرسة و[illegible]تها وزميلاتها ، وعن حياته في القرية بعد أن [illegible]لت عنها !

ولكن الرسائل بين الصديقين ، ما[illegible] أن تقلصت وتناقصت . . . أصبحت تصل مر[illegible] كل شهر ، ثم كل شهرين . . وبدلا من الصف[illegible]ات الطويلة التي كانت تمتلىء دائما بالحكايات والذ[illegible]يات أصبحت مجرد سطور قليلة تحمل التحي[illegible]ات والتمنيات . .

ثم انقطع الاتصال فجأة بين الصديقين . بعد مرور بضع سنوات على بقائهما بعيدا ع[illegible] بعضهما ! .

شيء واحد بقي عالقا في ذهن الصبي الصغير . إنه صورة الصبية التي أحبها في طفولته ، وقد بقيت تحتل مكانها في قلبه ، وفوق مكتبه ، وهو يعد لدرجة الماجستير ، بعد أن أكمل دراسته الجامعية ،ورحل هو للعيش في المدينة التي راح يكمل في جامعتها دراساته العليا . . انه لم ينس أبدا الأيام الحلوة التي قضاها معها في قريتهم الصغيرة . .

وما أكثر المرات التي وقف فيها حائرا أمام صورتها يسال نفسه : أين هي الآن ؟ ماذا صنعت الأيام بها . . ترى كيف تبدو بعد مرور هذه السنين . . هل مازالت جميلة ؟

كان يحدث الصورة . . ولكن باسلوب جديد . . باسلوب الرجل الذي يبحث عن المرأة التي كان يتمنى لو أنها ظلت قريبة منه ، لتشاركه حياته في الزواج !

ومضى يكمل رحلته مع العلم ، حتى حصل على الدكتوراه ، وأصبح استاذا في الجامعة ، وطبيبا ناجحا ، الى أن ساق القدر في طريقه يوما فتاة رقيقة تنتمي الى أسرة رقيقة الحال ، وقدمها الى أمه وقالت الأم : « تزوجها يابني فقد طالت رحلتك وحدك في هذه الدنيا ، وقد تقدم بي العمر ، ولا أريد أن أتركك في وحدتك . . أريد أن أرى أطفالك قبل رحيلي !

وتزوجا في حفل صغير وجاءت الزوجة لتعيش في بيت الزوج مع أمه . ومضت الحياة في هدوء .

ك الابن يصحو من نومه مبكرا ويذهب الى الجامعة و لتقى بطلبته ، فاذا حان موعد الغداء ، عاد الى ا بيت ليتناول وجبة سريعة ، يستريح بعدها قليلا ، ثم يستعد للذهاب الى عيادته في المساء . . وهكذا لم يكن عمله يسمح له بقضاء وقت كاف يتعرف من حلاله على زوجته ، التى كانت تمضى معظم وقتها في الحديث مع الأم عن الزوج الغائب دائما . . وكان الحديث بين المرأتين صريحا دائما مليئا بالقصص والحكايات عن ايام الطفولة وحياة الريف ، وصديقة العمر التى اختفت من دنياه الصغيرة منذ سنوات بعيدة مضت ، وأخيرا رغبة الأم في أن ترى لابنها ولدا يملأ البيت ، ويملأ حياتها التى امتلأت بالفراغ منذ رحيل والده ، وهو بعد مازال طفلا !

ولاحظت الأم أن زوجة ابنها تحاول دائما أن تغير مجرى الحديث ، عندما يقترب من الحمل والأطفال . . الى أن جاء اليوم الذي جلست فيه الزوجة تعترف لأم زوجها : « لقد عرضت نفسى على الأطباء ، وأكدوا لى أنه لايوجد سبب عضوي واحد يحول دون انجابي للأطفال !

واذن لابد أن يكون السبب عند الزوج ، وأجفلت الأم وأسرت الى ابنها بالامر . . ولكنه لم يهتم به كثيرا . . أنه سعيد في زواجه ، وزوجته فتاة طيبة . . وهى تحبه . . !

وتمضى الأيام . . وتذهب الأم في رحلتها الطويلة البعيدة التى كانت تتمنى الا تجى قبل أن ترى أحفادها . . .

وتحاول الزوجة أن تبحث لنفسها عن شىء يشغلها في وحدتها . . ولكن حياتها الجديدة بعد رحيل أم زوجها لم تدم طويلا ، فقد أصيبت بمرض حار الأطباء في علاجه ، ثم ذهبت هى الأخرى وفي عينها دمعة تحمل معانى الاعتذار : أرجو أن تغفر لى لانى فشلت في ، أن أعطيك ولدا !

ويعود الابن الى وحدته . . ولكنه يترك البيت ويترك المدينة كلها ، ويبدأ حياة جديدة في مكان بعيد عن الماضى وذكرياته التى مازالت تعيش في رأسه وقلبه !

وهناك في قلب المدينة الكبيرة التى ازدحمت بالناس والحياة والاضواء هال الرجل ان يجد نفسه يعيش الماضى بكل تفاصيله ودقائقه . هل يمكن أن يحدث هذا . .

هل يمكن أن يجد المرء نفسه وحيدا وهو يعيش في واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاما بالناس . .

وفي مساء أحد الايام كان يشق طريقه وسط هذا الزحام ، في طريقه الى المطعم القريب لتناول طعام العشاء . وفجأة أحس بقدمه تصطدم بشىء على الأرض . وانحنى يلتقطه ، فاذا به حقيبة اليد الصغيرة التى تحملها السيدة التى كانت تتقدمه ، وهم واقفون في الطابور الطويل في انتظار الموائد التى تخلو ، بعد أن يفرغ أصحابها من تناول طعامهم . .

والتقط الحقيبة وقدمها الى صاحبتها ، ولكنه أحس أن قدميه قد تسمرتا في الأرض . . هى أيضا لم تمد يدها لتستعيد حقيبتها . . لقد بقيت واقفة في مكانها تحدق في هذا الوجه . !

هل يمكن أن تكون هى ؟ وتذكر على الفور الخاتم الصغير الذي أهداه لها في عيد ميلادها ، فنظر الى أصابع يديها . . وكانت المفاجأة . . لقد وجده هناك في اصبع يدها الصغير . . وكان لقاء حارا لقاء صامتا . لم يقاطعه أحد . . ولم ينته أبدا . . الدموع . . دموعهما فقط كانت التعبير الوحيد للفرحة التى ملأت قلبيهما . نفس القلبين اللذين افترقا في الربيع ، والتقيا قبل أن تسقط أوراق الشجر في خريف الحياة بسنوات قصيرة . .

قال لها : لاتحدثينى عن الماضى . قولى لى من أنت الان ؟

قالت : أنا . . أنا ، لم أتغير صديقتك الصغيرة التى امضت اجمل سنى عمرها تبحث عنك . . فقد بقيت بلا زواج ! قال : لقد تزوجت وماتت زوجتى . . هل هل تقبليننى زوجا لك ؟

وتزوجا ، وكان قد مضى على اليوم الذى افترقا فيه أكثر من خمسة وعشرين عاما ! . . وبعد عام واحد كانا يحتفلان بمولد الطفل الذي انجبته له زوجته قبل مجى الخريف ! □



طبيب الأسرة



قضايا منزلية

ميزان الحرارة الطبي ضرورة لكل بيت ..

بقلم / د . حسن فريد أبو غزالة

لم تكن حرارة الانسان ذات مدلول معين فيما مضى من عصور ، سوى أن سخونة المريض تعتبر دلالة غامضة مبهمة على انحراف الصحة ووجود مرض ما ، وكانوا يستدلون على العارض بجس جسم المريض ، أو بملاحظة هجرة الحشرات وخصوصا حشرات القمل ، ورحيلها عن جسم المريض حيث لاتستطيب الحشرات سوى حرارة الانسان الطبيعية ، التي تقارب ٣٧ درجة مئوية ، فلا تطيق ارتفاعها أو انخفاضها ، لهذا تهجر جسم المريض بالحمى كما تهجر المتوفين .

غير أن طبيبا اسكتلنديا يدعونه جورج مارتن شغله الاهتمام بالتحرى عن ارتباط ارتفاع درجات حرارة الانسان بمختلف الامراض ، ودورها في تشخيصها ، فكان هذا أول بادرة لتشخيص الأمراض ، باستخدام مدلول درجات الحرارة عام ١٧٤١ .

لقد كان القرن الثامن عشر هو بداية انطلاق الاهتمام بقياس درجات الحرارة ، اذ قام العالم الألماني جابريل دانيال فهرنهايت بابتكار ميزان لقياس درجات الحرارة عرف باسمه ، وهو ميزان الحرارة الفهرنهايت ، حيث سجل درجة العد باستخدام الجليد المخلوط بالأمونيا ، ومن ثم وافقت درجة انصهار الجليد العادي عنده درجة ٣٢ .

كما وافقت درجة غليان الماء درجة ٢١٢ ، باعتبار أن المسافة بين تجمد الماء وغليانه قد قسمها الى ١٨٠ درجة .

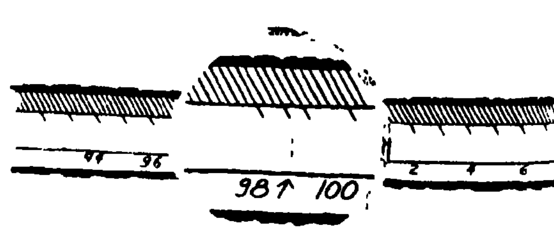
لقد كان ابتكار ميزان الحرارة الفهرنهايت هذا عام ١٧٠٩ ، ثم أعقبه عام ١٧٤٢ ابتكار آخر للعالم السويدي اندرز سلسيوس ، حيث صمم ميزانا آخر لقياس الحرارة عرف باسم ميزان الحرارة المئوى ، لانه قسم المسافة بين تجمد الماء وغليانه الى مائة درجة ،

وا بر تجمد الماء هو درجة العد ، بينما غليانه هو درجة الم . .

لقد سجلت درجة حرارة الانسان على ميزان ا. ارة الفهرنهايت حوالى ٩٨,٥ تقريبا . فيما سجل مي ان الحرارة المئوى درجة ٣٦,٥ تقريبا .

غير أن الموازين القديمة كانت بطول المتر تقريبا ، ولاتصلح للاستعمال الطبى ، حيث لايثبت الزئبق عند قراءة معينة ، مما يتحتم على الطبيب أن يقرأ درجة الحرارة والميزان مازال فى فم المريض ، الى أن جاء طبيب يدعى توماس اليون من ليدز بانجلترا ، فطلب من شركة هارفى ورينوليدز تصميم ميزان يثبت درجة الحرارة ، ويكون ذا طول مناسب ، لايزيد عن ست بوصات (١٥سم) فكان هذا مولد موازين الحرارة الطبية ، التى تعتمد على وجود انحناءة فى قناة الزئبق أعلى الخزان ، تمنع عودة الزئبق داخل قناة الميزان الشعرية الى داخل الخزان السفلى ، ولكنها تسمح بارتفاعه فقط ، ومن هنا وجب رج الميزان بشدة عقب استعماله ، لدفع الزئبق المرتفع الى الهبوط ثانية فى خزان الميزان .

ان طول الميزان قصير طبعا ، نظرا لعدم الحاجة الى قياس مدى كبير من درجات الحرارة ، وانما يكفيه التدريج بين درجة ٣٥ مئوية ودرجة ٤٢ مئوية ، وهما أدنى وأقصى درجات حرارة الجسم الانسانى ، ومن هنا وجب المحافظة على ميزان الحرارة من ارتفاع شديد ، قد يدفع بالزئبق الى تدمير الميزان عند تمدده وتكسير الزجاج ، وهذا ما يلاحظ عند ترك الميزان فى الشمس أو مكان حار



ان هناك شكلين شائعين من موازين الحرارة الطبية ، هما ميزان الحرارة الفهرنهايتى المستعمل فى انجلترا وأمريكا ، وما جرى على نمطهما من بلدان ، وميزان الحرارة المئوى الأكثر شيوعا فى العالم ، فالأول يعتبر درجة حرارة جسم الانسان الطبيعية حوالى ٩٨,٥ درجة ، بينما القياس المئوى يعتبر درجة حرارة ٣٦,٥ هى درجة جسم الانسان الطبيعى من الفم ، وعادة ماتقاس درجة حرارة الجسم بوضع الميزان تحت اللسان لمدة دقيقة تقريبا ، ولكن الشرج قد يكون اختيارا مناسبا بديلا للفم عند قياس درجة حرارة الأطفال ، أو اذا تعذر القياس من الفم ، وهنا تعتبر درجة الحرارة الطبيعية أعلى قليلا عما هى بالفم ، بما يتراوح بين نصف درجة أو حتى درجة تقريبا .

وهناك اختيار ثالث لقياس درجة الحرارة ، وهو تحت الابط ، غير أن درجة الحرارة تعتبر أدنى نصف درجة درجة أو ربما درجة واحدة عن مستواها من الفم .

ان استعمال الميزان يجب أن يعقبه رج الميزان مع تنظيفه ، سواء بالماء والصابون ، أو باستعمال المطهرات كالكحول وما اليه ، لضمان عدم نقل العدوى من مريض لآخر مع التأكيد على حفظه فى مكان مناسب ذى حرارة منخفضة ، بعيدا عن تناول الأطفال .

من الملاحظ أن اختلافا بسيطا لدرجات الحرارة قد يصاحب بعض الأطعمة ، مثل المواد الحريفة والتوابل والحلاوة الطحينية ، أو عند القيام بنشاط جسدى ، أو مع اختلاف ساعات اليوم ، فالحرارة أدنى ما تكون عند ساعات الصباح الأولى ، وأعلى ما تكون عند ساعات المساء ، وهذا ما يجب أن يوضع فى الاعتبار .

كما يلاحظ أن ميزان الحرارة الخاص بالفم يكون خزانه مستطيل الشكل ، بينما الميزان الشرجى كروى الشكل ، حتى لايخدش الطفل أو يجرحه . □

بريد طبيب الأسرة

الحليب وغازات البطن

● بالرغم من قناعتي بفائدة الحليب للصحة ورغبتي في شربه فانني أعاني من انتفاخ وعسر هضم وآلام الأمعاء عقب شرب أية كمية من الحليب . .

لقد جربت شتى أنواع الحليب ، وعملت بنصائح عديدة ، ولكن دون فائدة ، فما هو السر في هذا ، وهل من سبيل للعلاج ، علما بأن الكثيرين ممن هم حولي يشاركونني هذه الشكوى . ولكم الشكر

عبدالله ع . ع - درعا

ان الشكوى من غارات البطن وعسر الهضم وما يصاحبهما من معاناة هي شكوى عامة ، بل ربما كانت عالمية ، ولكنها أشيع في بلدان الشرق منها في بلدان الغرب ،وفي الشعوب الفقيرة نسبيا منها فى الشعوب الغنية .

لقد حار الاطباء قديما في تفسير هذه الظاهرة ، واجتهد بعضهم فقال ان هناك ميكروبات أليفة تعيش في أمعاء بعض الناس دون البعض الآخر ، هي التي تسبب تخمر الحليب وتصاعد الغازات وتولد الأحماض ،غير أن البحث والتقصي لم يؤكد هذا الرأي ، ولم يصل العلماء الى ذلك الميكروب المتهم ، فذهب فريق آخر الى انها أحياء دقيقة من نوع الفيروسات ، غير أن هذا المذهب لم يجد قناعة ولادليلا .

وعلى أي حال فقد انتهى العلماء الى رأي جديد ، ربما كان هو الاصوب والمعتمد المتفق عليه ، وهو . الحليب يحتوي دون غيره على سكر خاص يد اللاكتوز ، أو سكر الحليب ، وهذا من أنـ ع السكريات الثنائية التي تحتاج الى هضم وتحلل الى سكريات أولية ، مثل سكر الجلوكوز القابل للامتصاص ، وقد زود الله سبحانه أمعاء الانسان بغددخاصة مفرزة لخميرة هاضمة لسكر الحليب تدعى أنزيم اللاكتاز (خميرة سكر الحليب) وهي نشطة عند الاطفال ، غير أن انقطاع الانسان عن شرب الحليب فترة من حياته عقب الطفولة الأولى يدفع بالغدد المفروزة لانزيم اللاكتاز هذا الى الخمول والضعف والكسل ، وربما وصل الى حد التوقف عملا بقانون الطبيعة المسمى « ضمور الكسل » تماما كما هو الحال مع العضلات تضعف من قلة الاستعمال وتقوي بالرياضة .

من هنا يتراكم حليب السكر « اللاكتوز » في الامعاء دون هضم في غياب خميرة اللاكتاز ، وقد تعمل الميكروبات الأليفة في الأمعاء على تخمره ، شأنه شأن كل السكريات الأخرى ، من هنا تتصاعد الغازات وتتولد الأحماض كنتيجة طبيعية لعملية التخمر ، ممايعاني معه صاحبها من الانتفاخ والحموضة وعسر الهضم والآلام .

وحلا لهذا الاشكال الصحي الغذائي ، فقد عمدت بعض شركات الحليب الى أنتاج أنواع من الحليب خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) أسوة بالانواع الخالية من الدسم مثلا .

لهذا يعتبر العيب في الأمر كامنا في عجز الشخص ، وليس في الحليب ، تماما مثل مرضى السكر الذين يعانون من عجز البنكرياس عن افراز الانسولين وليس من عيب في الاطعمة التي يتعاطونها .

[دو]الي الساق

● أصيبت والدتي بمرض الدوالي في ساقها الأيمن ، مما أدى الى تشوه منظرها ، وهو أمر يسوء ويستفحل يوما بعد يوم ، وقد سمعت أنه مرض وراثي وعائلي ، مما أصبحت أخاف منه على نفسي ، بمثل ما اتمنى الشفاء لوالدتي ، فهل لنا في نبذة عن هذا المرض وأسبابه وطرق الوقاية والعلاج ؟

سلوى ع . ع / دمشق .

الدوالي اصطلاح طبي يقصد به انتفاخ الوريد وتعرجه ، واستطالته في أي موقع من مواقع الجسم ، وهو أمر شائع بين الناس ، يصيبهم في الساق أكثر ما يصيب ، حيث تؤكد الاحصائيات أن نسبة دوالي الساق تصل الى ما بين ١٠ ـ ٢٠ في المائة من مجموع السكان

وأمر دوالي الساق قديم موغل في تاريخ الانسان ، رصدته الحضارات الاولى ، فقد وجدت كتابات طبية تتناول دوالي الساق عند المصريين القدماء ، وعند أهل اليونان القدامى .

وحتى نتفهم سر دوالي الساق التي تصيب الأوردة علينا أن نستعرض الحقائق العلمية التالية :ـ

اولا : ان الأوردة التي تعود بالدم الى القلب هي بخلاف الشرايين التي تحمل الدم من القلب ، تتميز بضعف جدرانها لعدم وجود طبقة عضلية في جدار الوريد ، كما هو الحال في الشريان .

ثانيا : لضمان سريان الدم داخل الأوردة وعدم عودته الى الوراء ، تعتمد على صمامات في جدرانها تشبه أكواب النواعير ، بينما الشرايين تعتمد على توتر عضلات جدرانها .

ان هذه الحقائق تجعل من الأوردة عرضة لظاهرة الدوالي ، وخصوصا اذا ما كان صاحبها مهيئا وراثيا أو خلقيا بعدم وجود صمامات داخل أوردته ، أو لضعف شديد في جدرانها ، وهو الأمر الذي يمثل ٩٢ ٪ من الحالات ، واذا أضيف لهذا عوامل ثانوية مثل الوقوف الطويل او الامساك الذي يضغط على أعلى أوردة الحوض أو الحمل أو الأورام ، وربما البدانة والسمنة ، بل قيل ان أمراض الحمل لها دور في الأمر .

وأوردة الساق تنقسم الى قسمين رئيسيين هما :ـ الأوردة الداخلية التي تصاحب الشرايين داخل عضلات الساق وأنسجته ، والأوردة الخارجية التي أهمها الوريد الصافي الكبير ، وهذا هو أطول أوردة الجسم ، يبدأ من سطح القدم وينتهي عند أعلى الفخذ ، مارا بالجانب الداخلي من الساق تحت الجلد مباشرة ، وزميله الصافي الصغير الذي يمر من جانب الساق وينتهي فوق الركبة تقريبا ، وهذان الصافيان هما المعرضان للدوالي لعدم وجود دعم لهما سوى الجلد الرقيق ، على غير حال ، أوردة الساق الداخلية وأعراض الدوالي تدور حول شعور المصاب بالألم والتعب ، وخصوصا عقب الوقوف الطويل مع انتفاخ في الساق والتواء وتعرج ظاهر في الأوردة ، مما يشوه منظر الساق وخصوصا لدى السيدات ، وهن الأكثر تعرضا للاصابه ، ربما أدى الحال الى تلون الجلد بلون بني داكن ، أو ربما تقرح موضع الدوالي وتحول الى قرحة مزمنة ، وأحيانا تؤدي الاصابة الى التهاب موضعي .

ان أمر الوقاية والعلاج ميسور بادراك هذه الحقائق والتعامل معها بعدم الوقوف طويلا ورفع السيقان عاليا عند النوم ، أو الجلوس ومعالجة اي ضغط داخل الحوض ، كالامساك مثلا ، وربما احتاج المريض حسب اشارة الطبيب الى رباط ضاغط يلفه حول الساق ، أو كلسات مطاطية خاصة .

والعمليات الجراحية سواء بحقن الأوردة بمواد مخثرة للدم ، أو بازالة الأوردة المصابة كلية ، قد اثبتت نسبة عالية من النجاح تصل الى ٩٠ ٪ ولكن الاختيار الانسب لوسيلة العلاج هو من مسؤولية الطبيب المعالج .

قبل الذهاب الى تلك المنطقة النائية في أقصى جنوب الحدود البولندية كانت كلمة « زاكوبانة » كبرى مدن المنطقة قد ترددت أمامي كثيرا بحروفها غير المتناسقة وجرسها الغريب . والى جانبها كانت تذكر كلمات الجبال وكراكوف والجنوب والتاترا والقرباط . ومن بين هذه الكلمات جميعا لم يكن يعني لي شيئا سوى اسم كراكوف .

يرتبط اسم كراكوف بأسماء ملوك بولندا العظام ، وشخصياتها المهمة وشعرائها وكتابها الكبار . فهناك ولد جوزيف كونراد الروائي الكبير الذي حمل الجنسية البريطانية ، وكتب بلغة تلك البلاد بعض أهم الروايات الانكليزية في منعطف هذا القرن . وهناك ولد آدم مسكيفيتش ، شاعر بولندا القومي ، ودفن في مقبرة العظماء هناك في الكنيسة الواقعة ضمن أسوار القصر الملكي ، وهناك ولد وعاش البابا الحالي يوحنا بولس الثاني قبل انتخابه لمنصب البابوية . وكراكوف هي عاصمة الجنوب البولندي وكبرى مدنه،كما أنها العاصمة الثقافية والروحية للبلاد ، وبلد أقدم الكنائس،ومكان مناجم الملح الشهيرة . وهي معبر جميع القادمين من الشمال والوسط الى منطقة الجبال السياحية الشهيرة في جنوب بولندا . ومع عبور مدينة كراكوف والتوجه نحو منطقة الجبال ، تبدأ الألفاظ تأخذ معانيها وأشكالها المحددة ، وتحل طلاسم الكلمات ذات الوقع الغريب .

فالجبال هي جبال التاترا التي تقع على الحدود الجنوبية لبولندا المتاخمة لتشيكوسلوفاكيا ، والتاترا جزء من سلسلة جبال القرباط الشهيرة التي تمتد عبر تشيكوسلوفاكيا حتى رومانيا في الجنوب . أما زاكوبانة فهي أكبر وأشهر مدن الجزء البولندي من جبال التاترا . ومنها ينطلق السياح والزائرون من عشاق رياضة المشي على الأقدام أو التزلج على الثلج نحو الوديان والسهول والجبال المحيطة بالمدينة المنتشرة فوق عدد من التلال الخضراء .

وبحسب التقسيم الجغرافي للمنطقة فإنها تتكون من قسمين هما : السهول والجبال ، ويقصد بها هنا جبال التاترا البولندية ، تلك المنطقة الساحرة الحسنا التي يطلق عليها اسم يحتوى هذا المدى الشاسع من الخضرة والجمال والشلالات والصخور ، هو « حديقة التاترا الوطنية »

لكن هذا الجمال الفائق الذي يأخذ الزائر ليس كل ما يعطي المنطقة خصوصيتها . فوراء هذا الجمال تاريخ من النزاعات الحدودية ، والصراعات السياسية ، والانتفاضات المسلحة ، والنشاط السياسي الممتزج بالخرافات والأساطير التي تعطي كل ذلك بعدا شاعريا ، فهذه المنطقة الأخاذة من بولندا هي أرض الجمال والأساطير والعنف .

زاكوبانة

يبلغ عدد سكان زاكوبانة الأصليين ٣٠ ألف نسمة . الا أن هذا العدد لا يمثل سوى جزء ضئيل من أعداد المترددين على المدينة طوال فصول السنة . فهي لا تشتهر بكونها مشتى جبليا يقصده الزائرون من مختلف انحاء أوروبا وحسب ، بل انها معروفة كذلك بكونها مصيفا ومنتجعا ومركزا صحيا مهماً . لذا فإن أعداد السياح الكبيرة لا تنقطع عن هذه المدينة ، التي تعتبر العاصمة السياحية لبولندا طوال فصول السنة ، وخصوصا في فصل الشتاء ، حيث يتوافد المتزلجون على الثلج فوق الجبال التي تكون قد استبدلت بلونها الاخضر لونا أبيض ناصعا ، ويتناثرون فرادى أو مجموعات بزحافاتهم الضخمة وعصيهم الأنيقة وملابسهم المزركشة . ويقدر المترددون على هذه المدينة بثلاثة ملايين سائح سنويا .

وطوال فصول السنة يطغى مشهد السياح الذ ير

له في الأرض ما ليس لله في السماء

دخل حذيفة بن اليمان على عمر بن الخطاب ، فسأله : كيف أصبحت يا حذيفة ؟ فأجاب حذيفة : أصبحت أحب الفتنة .. وأكره الحق .. وأصلي بغير وضوء .. ولي في الأرض ما ليس لله في السماء ... فغضب عمر غضبا شديدا .. وولى وجهه عنه .. واتفق أن دخل علي بن أبي طالب فرآه على تلك الحال .. فسأله عن السبب .. فذكر له ما قاله بن اليمان ...

فقال علي : لقد صدقك فيما قال يا عمر ... فقال عمر : وكيف ذلك ؟

قال علي : انه يحب الفتنة لقوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة » ، فهو يحب أمواله وأولاده .. ويكره الحق .. بمعنى الموت .. لقوله تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ويصلي بغير وضوء .. يعني أنه يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم .. ومعنى أن له في الأرض ما ليس لله في السماء .. يعني أن زوجة له وأولادا .. والله تعالى هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ..

فقال عمر لعلي كرم الله وجهه : أحسنت يا أبا الحسن .. لقد أزلت ما في قلبي على حذيفة .

مع البخلاء

■ وقف أعرابي على أبي الأسود وهو يتغدى .. فسلم عليه ... فرد عليه ... ثم أقبل على الأكل ولم يدعه اليه ليأكل معه ..

فقال الاعرابي : مررت بأهلك ..

فقال له : كذلك كان طريقك ..

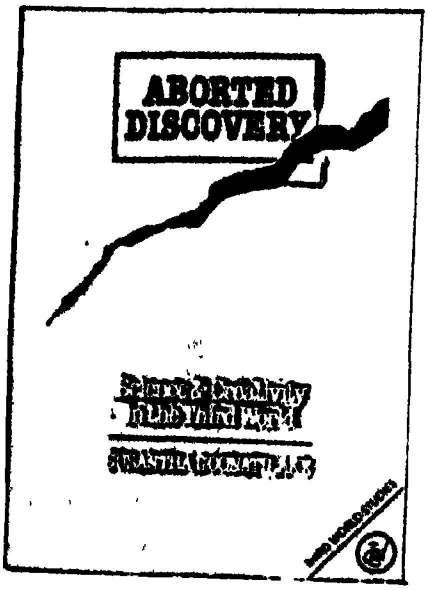
قال : وامرأتك حبلى . قال : كذلك كان عهدي بها ..

قال : قد ولدت .. قال : كان لابد أن تلد .. قال : ولدت غلامين ..

قال : كذلك كانت أمها .. قال : مات أحدهما .. قال : ماكانت تقوى على ارضاع اثنين .. قال : ثم مات الأخر .. قال : ما كان يبقى بعد أخيه ..

قال : وماتت الأم .. قال : حزنا على ولديها .. قال : ما أطيب طعامك ..

فقال له : من أجل ذلك ... لا تذوقه أبدا .



الاكتشاف المحبط

تأليف : سوزانثا جونانيليك

عرض : د . امين العيوطى

الكتاب الذي بين أيدينا اليوم يوضح كيف أن العلوم الغربية الحديثة ، بالرغم من استعاراتها من العلوم العربية وغيرها ، قد اكتسحت التقاليد الثقافية والعلمية للحضارات غير الأوروبية ، وأصبحت لها السيطرة كاملة .

وقد ارتبطت عملية الازاحة الكاملة هذه بنمو الاستعمار الأوروبي ، حتى سيطرت العلوم الغربية على كل الصياغات العلمية خارج نطاقها ، وكانت نتيجة اعتماد هذه البلاد على تقليد علمى غريب على تاريخها ومبادراتها الثقافية أن أصبحت العلوم في العالم الثالث تقوم على التقليد لا الابداع . وعلى هذه المجتمعات أن تستعيد العناصر العلمية العقلانية التى تنبع من تراثها الثقافى ، وأن تنفصل عن أنماط البحث والتطوير الحالية التى تقوم على التقليد .

كتاب الشهر

تقنية القدماء :

لم يكن الاغريق أول من حمل الشعلة العلمية الى أوروبا ، فقد عرفت الهند القديمة الزراعة والرى ، والعمارة المتطورة وتخطيط المدن . وفي مجال الفلك عرفت التقويم القمرى ، في القرون الميلادية الأولى إذ بحثت في حركات الكواكب ، والخسوف والكسوف ، ومقاييس وحسابات الشمس والقمر ، ودوران الأرض ، وتطور الكواكب مستخدمة الأدوات الفلكية ، وفي الرياضيات عرفت الأوزان والمقاييس والعمليات الحسابية البسيطة ، والجمع والطرح ، والضرب والكسور ، حتى تطورت حسابات التربيع والتكعيب والمثلثات والدوائر والأجسام الكروية ، والمتواليات الرياضية في القرون الميلادية الأولى . وفي علم الأحياء كان لديها معرفة منظمة بالنباتات والحيوانات وتصنيفها على أساس طريقة توالدها وتكاثرها ووظائف أعضائها ، وبأمراضها وأساليب علاجها . وفي القرن السادس ق . م . توصلت الى نظام يفسر الطبيعة على أساس العناصر الخمسة :ـ الماء ، التراب ، الهواء ، النار ، الفراغ . كما عرفت فلسفاتها أنظمة الذرة والمنطق والسلبية ، وظهرت نظريات لتفسير المادة على أنها تركيبات من ذرات في حركة دائمة قادرة على الالتحام والانفصال ، تسبب اتحاداتها المختلفة اختلافات نوعية المواد . وفي الطب توصلت الى علم وظائف الأعضاء ، والعلاقة بين النظام العضلى الارادى واللاارادى ، والأمراض وتفسيرها ، ونظريات علاج العظام والجهاز العصبى ومصل الجدري ، وأدوية مختلفة نباتية ومعدنية وحيوانية . كما عرفت الجراحة وأدواتها . وفى الهندسة المدنية عرفت مبكرا انشاء أعمال الرى ، وبناء السدود وخزانات المياه . واذا كانت الهند القديمة قد عرفت التقنية التى تقوم على الآلات الحجرية والأدوات البرونزية وتصنيع الفخار ، فانها عرفت في القرن الاول ق . م صناعة الزجاج ، وعلم المعادن وتنقيتها ، وعمل القوالب لصبها .

هكذا أيضا كان الحال في حضارات وادي النيل ومنطقة البحر الأبيض ، وفي العالم الجديد عرفت قبائل الانكا زراعة المصاطب ، وشق الطرق الضيقة ، والبناء بدون ملاط ، وان لم تعرف الحديد والعجلة والمحراث . أما قبائل المايا فقد عرفت الفلك والرياضيات ، والتقويم الشمسى من خلال ملاحظات فلكية دقيقة من المعابد العالية بأدوات بدائية ، فوصلت معرفتهم بكوكب الزهرة درجة عالية من الدقة ، كما استخدموا النجم القطبى في الملاحة .

لكن منذ القرن ١٨ بدأ تأثير العلوم والتقنية الغربية على هذه الحضارات ، بسبب نمو انظمتها في تفسير العالم المادى ، والاستعمار الذى قمع ودمر هذه الأنظمة العلمية .

العلوم الأوروبية :

يؤكد تاريخ العلوم الأوروبية في القرنين ١٩ ، ٢٠ على تفرد الاكتشافات الأوروبية ، فقد أدى الأحساس بالتفوق الأوروبى الى تجاهل الانجازات التى حققتها الشعوب غير الأوروبية ، غير أن الدراسات الحديثة عن التقاليد العلمية في الشرق أوضحت أن مسار العلوم بدأ من مصر وجنوب آسيا الى اليونان القديمة ، ومن اسبانيا الاسلامية الى ايطاليا عصر النهضة ثم بلدان أوروبا ، هذه الثقافة الكلاسيكية ، مع اضافات من الاسكندرية وروما ، تمثل حجر الأساس في الثقافة العالمية الحديثة .

كان الاغريق يرون في الماء أصل الأرض والهواء والحياة ، وامكانية تحويل العناصر من خلال النار .

كما نشرت مدرسة فيثاغورس المعرفة الرياضية ، وفكرة كروية الأرض ودورانها حول نار مركزية غير منظورة ، وطور ديموكريتوس نظرية الدرات التي جزأها جزيئات هندسية تلتحم لتخلق أشكالا مادية مختلفة ، وفي عصر بيريكليز طور يوكليد الرياضيات الاغريقية ، وظهر طب أبيقراط ، وعلم الطبيعة والأحياء ، وفي القرن الثاني ق . م وصل الفلك الى ذروة جديدة على يدى هيباركوس ، طورها بطليموس فيما بعد لتصبح الشمس مركز الكون ، وهو الرأى الذى نقله العرب الى أوروبا ليستخدمه كوبر نيكوس وجاليليو وكليبر ونيوتن . وشهد العصر أيضا تطورا في الميكانيكا والمبادىء الميكانيكية والآلات السيطة

أما الرومان فانهم لم يضيفوا شيئا ، الا في الهندسة المدنية وشق الطرق ، والقنوات والصرف الصحى ، واستخدام طواحين الماء والهواء ، ووضع حريطة للعالم . وفى القرن الثالث عشر الميلادى تأسست جامعات فى أوروبا ، وظهرت فئة مثقفة من الباحثين همهم الأول توحيد علم اللاهوت مع الفلسفة الطبيعية .

لهذا لم ينشأ عصر النهضة من فراغ ، وهو العصر الذى ظهرت فيه أسماء كوبربيكوس وكيبلر وجاليليو في مجال الفلك (١٤٤٠ - ١٥٤٠) (وبيكون) وديكارت في مجال أساليب البحث العلمى (١٥٥٠ - ١٦٥٠) ثم بويل وهوك ونيوتن الدين بدأوا عصر العلم الحديث (١٦٥٠ - ١٦٩٠) .

كان اعظم انجازات عصر النهضة النظام الفلكى الذى وضعه كوبر نيكوس ، والتشريح الذى وضعه فيساليوس ، كما شهد العصر عباقرة في مجالات الظواهر الطبيعية والمعادن والتعدين والجراحة ، وبناء السفن وصناعة البارود والتقنية الكيمياوية ، والرياضيات التى أدخلها العرب .

وفي القرنين ١٦ ، ١٧ ، بدأت التطورات الهامة في العلوم في انجلترا وفرنسا بتكوين الجمعيات والاكاديميات العلمية فى انحلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا . وكان أهم الاكتشافات اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية ، وقانون الطرد المركزى وبناء نموذج رياضى لنظام الكواكب ، وعلى يديه وصلت العلوم الى نضجها ونمت المعرفة العلمية نموا سريعا .

وقد ارتبط هذا التقدم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية مثل الثورة الصناعية ، والثورة الفرنسية ، والرأسمالية الاحتكارية ، والأزمة الاقتصادية والسياسية التى أدت الى حربين عالميتين ، ورعاية الدولة للعلوم والتقنية . كما أدى هدا التطور الى ظهور العلوم الاجتماعية ، وتطبيق القوانين العلمية على الحياة الانسانية لاكتشاف القوانين العامة التى تحكم حياة الانسان وبيئته ، وامتدت هده النظرة لتشمل ميادين الاقتصاد والسياسة وعلم الأحناس ، مظهرت أسماء آدم سميث وكارل ماركس وسان سيمون ودير كايم ، وهم التعبير الايديولوجى الثقافى للتطورات الاجتماعية .

وفى الأبنية الاجتماعية التى أوجدتها أوروبا في مستعمراتها نمت ثقافة جديدة مشتقة من أوروبا ، ومند ذلك الحين ظلت ثقافة المستعمرات معتمدة على اوروبا ، ضعيفة ومقلدة في مجال العلوم والتقنية .

التأثير المتبادل :

تباعد التقليدان الأوروبى والشرقى منذ القرن ١٨ في كمّ انتاجها ، ومدى تطورهما ، بل فقد التقليد الثقافى الشرقى مشروعيته ، وفرض عليه التقليد الأوروبى ، وأصبح المعرفة المشروعة التى تدرس في الجامعات وتمارس في مراكز الأبحاث . عير ان هدا التشعب لايعنى أنه لم يكن هناك تأثير متبادل بين التقليدين قديما وحديثا . فقد غذت الحضارة المصرية والسومرية والآرية حضارة الاغريق منذ وقت مبكر ، فقد تأثر فيثاغورس فى رحلاته بالحضارات المصرية والأشورية والهندية . فمن الهند أخذ فكرة تناسخ الأرواح ، وتأثر بالرياضيات،وتحمل نظرية امبيوكليس عن العناصر الأربعة تأثير الفكر الهندى وهناك نقاط التقاء بين الحضارتين فى شأن كروية الأرض وتغلغل الخالق في الخلق كلية . وعن الهند أخذ ديموكريتوس نظريته عن الذرة ، كما أثرت المعارف الطبية الهندية على الطب الاغريقى غير أن الاغريق أثروا كذلك فى مجال الهندسة والفلك فى جنوب آسيا .

وفى العصور الوسطى ظلت الاتصالات بين أوروبا وجنوب آسيا من خلال الباحثين العرب مثل البيرونى فى القرن الثالث عشر . وقد نقل العرب

كتب الشهر

أساسا الرياضيات والاعداد ومفهوم الصفر والكسور العشرية والجبر وحساب المثلثات وفي الطب كان مؤلف الرازي ، الذي اشتمل على كثير من المعارف الطبية الهندية ، الأساس الذي قام عليه الطب الأوروبي وأسهم في التطورات اللاحقة .

وفي بداية عصر النهضة ورثت أوروبا الأفكار التي نقلها العرب . ففي الكيمياء لم تكن اضافة باراسيلسس لعنصر الملح الى عنصري الكبريت والزئبق الا استعارة من الهند من خلال العرب الذين عدوا علم الكيمياء في أوروبا ، كذلك كان الحال في مجال الملاحة والفلك ، فطور البرتغاليون معرفتهم بالملاحة في شكل الجداول والخرائط والاسطرلاب ، التي كانت من أفكار الهنود والعرب . ومن الصين أخذت اوروبا البوصلة ، ومن العرب الشراع ، ومن جنوب آسيا الأشرعة المتعددة ، فقد اعتمدت العبقرية الاوروبية على جمع وتطبيق المعارف المتفرقة لدى الشعوب المختلفة .

وبعد رحلات الاكتشاف دخلت أوروبا أفكار جديدة عن صناعة النسيج ، والأثاث الخشبي ، والكتب والصور والخزف ، والمقاييس وورق الطباعة والمعمار في القرن ١٦ . وفي البلدان المكتشفة وجد الاوروبيون أدوية وأعشابا جديدة مما فتح عيونهم على علوم النبات

ومنذ القرن السابع عشر تميزت العلوم والتقنية الغربية عن مثيلاتها في الشرق في حجم ونمو الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، وان قامت على أساس شرقي في مجالات العمارة ، واستخدام البارود ، والطبيعة وجراحة التجميل ، واستخدام الأمصال الطبية ، ولم يكن تطور تقنية الحديد والصلب الا بتأثير مباشر من الهند .

ومن الملاحظ ان تطور العلم في الغرب قد صاحبه صراع بين العلم والدين ، في حين لم يشهد الشرق مثل هذا الصراع . وهو صراع فقد فيه الكثيرون حياتهم في ثورة كوبرنيكوس . وبعد ظهور نظرية دارون ، والى حد أقل بعد ظهور نظرية فرويد في علم النفس ، فقد تصادمت هذه النظريات مع تفسيرات المسيحية لتعمير الكون ، ومركزية الأرض ، واعتقادها بان الانسان مركز الكون ، وان عقله هبة الهية ، أما في جنوب آسيا فلم تكن هذه النظريات لتواجه مثل هذه المعارضات لان الانسان في فلسفاتها ليس الا واحدا من المخلوقات ، وخلق الكون أزلي ودائم التطور ، وهناك أكوان أخرى فيما وراء هذا الكون ، كما أن سطوتها الى العقل تتجاوز العقل الواعي الى طبقات أخرى من اللاشعور واللاوعي

السياسة وتطور العلوم :

غير ان العلم منذ القرن السابع عشر ، أخذ ينمو بشكل مطّرد في الغرب ، حين ارتبط بتطور أوروبا الاجتماعي والاقتصادي ، من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية التجارية ، الى الرأسمالية الصناعية ، وأخيرا الرأسمالية العالمية ويتفق الماركسيون وغير الماركسيين على العلاقة بين العلم والتقنية ، والاطار الاجتماعي الذي يصممها

ففي زمن ميلاد العلم الأوروبي الحديث ، كان تأثير السياسة والظروف الاجتماعية سلبيا بالنسبة لكوبرنيكوس وجاليليو ، حين استخدمت سلطات الدولة والدين لخنق اكتشافاتهما ، بل حتى في عشرينيات القرن الحالي أصدرت عدة ولايات أمريكية قوانين تحرم تدريس نظرية التطور في المدارس ، واليوم تظهر في أمريكا محاولات لتدريس ما يسمى « بعلم الخلق » ضد نظرية التطور ، وهي محاولات تحظى بتأييد شخصيات كبيرة بما فيها الرئيس ريجان .

أما اكتشافات نيوتن في الفلك فقد ارتبطت بحاجة التجار الى معرفة ملاحية ، كما ارتبطت اكتشافاته في

قوانين الحركة وحركة القذائف بحاجتهم الى معرفة في مجال استخدام المدافع . وهناك علاقة أساسية بين ظهور حساب التفاضل والتكامل ، وحاجة التجار الى حساب العمليات التجارية . وحاجة أصحاب رؤوس الأموال الصناعيين الى التحكم في العمالة والسلع ، هكذا أيضا كان التحول الى الرأسمالية الصناعية ، سببا في ظهور نظريات ادم سميث وريكاردو وكونت وكارل ماركس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

واليوم يرتبط العلم بالسياسة ، فيرتبط البحث العلمي في أمريكا بالدعم السياسي والمادي ، وعلى العلماء الأمريكيين أن يتفاعلوا مع الجماعات السياسية ، للحصول على دعمها ، كما أن اعتماد العلم على المعايير السياسية ، والتمويل الصارخ للعلوم والتقنية المرتبطة بالعسكرية وعلوم الفضاء ، قد أدى الى تمتع العلوم الطبيعية بدرجة عالية من الدعم السياسي . وقد تم هذا على حساب العلوم الاجتماعية التي لم تزدهر الا بعد الانتقادات التي وجهت لحرب فيتنام والمؤسسة العسكرية ، ودعمها للأبحاث العلمية العسكرية

كذلك الحال في الاتحاد السوفيتي ، حيث القرارات العلمية قرارات سياسية داخل اطار التخطيط الاقتصادي والتخطيط تتحكم فيه السياسة والايديولوجية السياسية ، وشخصيات القادة السياسيين وأولويات تمويل العلوم ، كما يخضع العلم لاعتبارات سياسية خاصة بعد ظهور التنافس بين السوفييت والامريكيين في مجال أبحاث الفضاء والسيطرة العسكرية .

وعلى المستوى القومي في الغرب يرتبط العلم باعتبارات اقتصادية ، وخصوصا العلوم والتقنية الصناعية ، حيث أصبحت التطورات التقنية تمول من جانب القطاع الخاص والدولة معا بل أصبحت الشركات المتعددة الجنسية مؤسسات للبحث والتطوير لانتاج معدات وأجهزة علمية وتقنية موجهة الى السوق ، وخصوصا في مجال الاليكترونيات وهكذا تدعم الاعتبارات الاقتصادية الاعتبارات السياسية في تحديد الاتجاهات التي تتخذها العلوم ، وأصبح البناء الاجتماعي للعلوم الحديثة معتمدا على تنظيم المجتمع اقتصاديا وسياسيا

الاستعمار والعلوم :

وقد تطلب تصنيع أوروبا تكاملا بين الأنظمة الاجتماعية والثقافية في المستعمرات ، وبين أنظمة المستعمرين ، فتحولت المستعمرات الى منتجة للمواد الخام ، والى أسواق للنظام الصناعي ، مما تطلب نقل أشكال المعرفة من الغرب . هكذا ادى اهتمام شركة الهند الشرقية بالاستثمارات في المناجم والمزارع لانتاج أدوات تخدم الصناعة الى التأثير في الزراعة في جنوب اسيا . وقد شهد هذا التحول في الهند دخول السكك الحديدية والمعرفة العلمية والتقنية اللازمة لبنائها ، وشق الأنهار وحفر الأنفاق واقامة أعمدة التلغراف كما أنشئت صناعات لتصنيع المنتجات الزراعية جزئيا او كليا . واستلزم هذا التحول نقل المؤسسات العلمية ونظم التعليم الى جنوب اسيا ، فشجعت شركة الهند دراسة النباتات والمعادن ذات الأهمية الاقتصادية لبريطانيا

وفي مجال التعليم انتقلت مناهج التعليم الغربية الى المستعمرات لتزويد الحكومات الاستعمارية بكوادر ادارية ، واعتبر التاريخ الأوروبي أهم من كل ماكتبه الهنود والعرب في التاريخ والميتافيزيقيا . والطبيعة والفكر الديني . واستجابت لهذه التغييرات طبقة أصحاب رؤوس الأموال الصناعية الجديدة في الهند ، وصاحب هذا ادخال اللغة الانجليزية كوسيلة للتعليم ، ونشر التعليم العلمي الجديد ، الذي أكد على أهمية الرياضيات ، والتاريخ الطبيعي والكيمياء والتشريح والعلوم الجديدة ، اقتداء بنظم التعليم في أوروبا . وفي الجامعات أصبحت مواد الطب والهندسة المدنية والاساسيات والقانون مطابقة لمايدرس في جامعة لندن . وهكذا أصبحت الانشطة العلمية والتقنية في خدمة النشاط الاقتصادي الاستعماري

بعد الاستقلال :

وبعد الاستقلال اتجهت البلاد المستعمرة الى انشاء قاعدة علمية موازية لبنائها الزراعي والصناعي ، والى التأكيد على العلوم والتقنية بهدف توفير بدائل للمواد

الصناعية المستوردة ، مما أدى الى خلق مؤسسات علمية متخصصة ، والتوسع فى نظام التعليم الجامعى . وقد أقيمت هذه المؤسسات على نمط مثيلاتها فى بريطانيا وأمريكا .

غير أن عبء التدريس فى الجامعات ونقص التمويل لم يترك لأعضاء هيئات التدريس وقتا وامكانيات للبحوث ، وامتدت أوجه عدم الكفاية الى المكتبات والمراجع ، مما أثر على نوعية العلماء وتدريبهم وسطحية أبحاثهم . وفى المؤسسات العلمية الأخرى انفصلت الأبحاث عن الأساس الاقتصادى الاجتماعى القومى ، نظرا لعدم وجود محكمين محليين ، وتوجه الابحاث الى محكمين غربيين ، يحددون نقاط بحث تتفق والمشكلات السائدة في المجلات العلمية الأوروبية ، ولاتعكس هذه الابحاث مناهج بحث واضحة أو نتائج جديدة ، أما من نجح فى الابتكار من العلماء المحليين فهم أولئك الذين وصلوا الى اقامة علاقات مع العلماء الغربيين الذين يعملون في مجالهم . ونتيجة لعزلة الجماعات العلمية في المؤسسة المحلية الواحدة ، وعدم وجود مجتمع علمى محلى أو مناقشات أو تبادل آراء أو تقييم علمى دقيق للأبحاث الجديدة ، ظلت العلوم تابعة للغرب . كما أدى عدم وجود تفاعل بين المجلات المتخصصة في الطبيعة والمجلات المتخصصة في الكيمياء مثلا ، وعدم الاطلاع على أحدث الأبحاث فى العالم الى تخلف الأبحاث عن الأبحاث الغربية .

وقد أدى هذا الى استمرار اعتماد العلوم والتقنيات فى العالم الثالث على الغرب ، بحيث تبدأ القضايا العلمية الأساسية في الغرب ، ثم يتناول العلماء المحليون تنويعات عليها . وحتى عندما تحدث اضافة أساسية مبتكرة فى العالم الثالث فلابد أن تكتسب مشروعيتها فى الغرب أولا ، ولهذا يحدد الأكاديميون مناهجهم فى ضوء الأساليب الغربية فى البحث . ونتيجة لهذا يختنق الابداع والابتكار لدى العلماء المحليين .

وهذه التبعية تعنى وجود فجوة بين العلوم فى الغرب وبين مثيلاتها فى البلدان التابعة ، كما تعنى أيضا ترديد العلماء المحليين لاتجاهات الفكر التى تعرضوا لها فى الغرب ، ثم جمودهم عليها ، اذا انقطعت صلتهم به ، بينما تظل الثقافة العلمية فى الغرب فى حالة تجدد دائم ، ولهذا قد نجد أحد المثقفين المحليين غير منتج فى ظروف العالم الثالث ، ولكنه ما أن ينتقل الى مراكز التعليم فى العالم الأول ويتكامل مع المجتمع العلمى فيه حتى يصبح منتجا مبدعا .

لكن مما يلفت النظر أن مظاهر الابداع الموجودة فى العالم الثالث تتحقق فى التقاليد العلمية التى ترتبط بالثقافات الشعبية ، وخصوصا فى مجال الأدوية التى تستخلص من نباتات وأعشاب محلية . وغالبا ماتؤدى التجارب المحلية الى اكتشافات جديدة فى هذا المجال ، مما يعنى أن الابداع من الممكن أن يوجد وسط المجموعات التى لم تنل منها المعارف التى تعتمد على الغرب .

الخريطة التقنية :

وفى مجال التقنية يحدث شيء مماثل ، فقد ضاعفت التقنية فائض الانتاج فى المجتمعات التى أوجدتها ، وكمية وأنواع السلع لسكان هذه المجتمعات . واجتذبت هذه القدرة التقنية اهتمام البلدان الواقعة خارج الاطار الاجتماعى والاقتصادى المباشر لها . وهكذا تبنت تلك البلدان تقنيات البلدان المتقدمة دون ادراك ان هذه التقنية ليست عالمية ، بل تنمو فى اطر تاريخية واجتماعية محددة ، بحيث تتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وتؤثر فى شكل بناء المجتمع ، وتعكس طبيعة النظام الاقتصادى وأنماط صراعاته وادارة هذه الصراعات . كما أن تبنى دول

العالم الثالث لهذه التقنية يعنى تبعية ثقافية واستعمارا ثقافيا . فنقل التقنية يعنى علاقة تبعية مكشوفة ، وخصوصا وأن مستورديها ليسوا الا طبقة متعاونة خلقها الوجود الاستعمارى . . كذلك فان التقنية بمثابة عامل وراثى اجتماعى ينقل معه العلاقات الاجتماعية السائدة فى البيئة التى انتجتها ، ومثال ذلك التقنيات الزراعية . وهكذا أدى ادخال التقنية الجديدة الى اقامة علاقات رأسمالية زراعية فى الريف فى العالم الثالث ، على نمط العلاقات الموجودة فى بلد منشئها ، ولعبت التقنية دور العامل الوراثى الاجتماعى الذي ينقل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية من بلد المنشأ الى العالم الثالث .

الابداع فى العالم الثالث :

ان انفصال علوم العالم الثالث عن العالم الأول أمر ضرورى ، وقد يعمل علماء العالم الثالث فى بداية الانفصال على معارف عتيقة وضعها الباحثون فى الغرب ، وقد يعجزون أول الأمر عن بدء أبحاث مبدعة فى ميادين جديدة ، مالم يصاحب هذا الانفصال تغييرات تنظيمية داخل الأوساط العلمية كما حدث في كمبوديا ، وفي الصين في الخمسينيات والستينيات . فى التجربة الصينية جمعت التجربة بين الاساليب العلمية الحديثة والتقليدية ، فلم تنفصل كلية عن الغرب ، وظلت الاتصالات قائمة من خلال المجلات العلمية . وقد أكدت الثورة الثقافية على وحدة النظرية والتطبيق ، فنجح العلماء فى تطوير مشروعات عملية مثل تهجين النباتات واطلاق الصواريخ وتطوير القدرة النووية ، وان لم يوجدوا علوما بديلة .

غير أن التقاليد العلمية التاريخية فى الصين والهند يمكنها أن توفر بدايات لمشكلات ومناهج علمية عديدة . فالباحث عن أفكار مبدعة داخل مجال النظرية الذرية ، سوف يجد ثروة خيالية هائلة في فلسفات الهند التى تناولت فكرة الذرة . واذا كان الغرب قد بدأ من نظرية ديموكريتس فى الذرة ، فمن الممكن الرجوع الى النظريات الفلسفية الخاصة بالذرة ، وهى نظريات أكثر تنوعا ومرونة ، وقد يؤدى البحث في هذه الحدود الى رؤية أكثر تكاملا عن الذرة . فلو طبقنا مثلا نظرة البوذية الى الذرة على أنها تتجدد وتتبدد وتشغل أدق جزيئة زمنية ممكنة ، فقد توفر هذه الفكرة الخيالية تطورات جديدة في العلوم . وهكذا أيضا فى مجال العمارة والطب .

ففى الطب يمكن تقسيم الأنظمة الأساسية الى النظام الاغريقى - العربى ، النظام الصينى ، نظام جنوب آسيا والنظام الأول يرتبط بتطور الطب فى أوروبا الحديثة ، رغم انكار أوروبا لكل الأنظمة السابقة . وفي حين أن عصر العقاقير لم يبدأ الا في ١٨٩٩ باكتشاف الاسبرين ، قبل أن تتوالى العقاقير الجديدة ، فلابد أن نلاحظ أن القليل منها فعال حقا ، والكثير ضار أو خطر أما الأنظمة السالفة فانها تحمل امكانيات التطور والنمو ، اذا اعتبرنا نقطة البداية المخزون الهائل من الأساليب والعقاقير المستخلصة من الأعشاب وأوراق الشجر وجذوره . بل ان منظمة الصحة العالمية لديها برنامج لتطوير طب جنوب آسيا ، وان كانت تهدف الى الوصول الى عناية صحية رخيصة التكاليف لا تطوير الطب القديم كعلم

وفى العمارة نجد أن مقررات العمارة التى تدرس فى الجامعات تؤكد على المبانى الضخمة التى تضم مكاتب وشققا سكنية ، تتفق فى تصميمها الخارجى والداخلى وأنظمة تهويتها مع النموذج الغربى والعمارة فى حقيقتها تعبير عن ثقافة ، وعن التركيبة الاسرية ، ولها علاقتها بالمناخ والسمات الجغرافية ، ولهذا فان المأوى في القطب الشمالى يلبى احتياجات بيئية مختلفة عن احتياجات آسيا المدارية فى مواد البناء وتنظيم المساحات الداخلية والخارجية وأنظمة التهوية . ومنطقة جنوب آسيا بها تراث معمارى ثرى فى قصورها ومعابدها وبيوت فلاحيها ، يعكس استجابة للبيئة الطبيعية والاجتماعية . ومن هذا التراث يمكن بعث تقليد معمارى متطور .

ان التاريخ يتطلب من العالم الثالث الآن ان يعود الى حواره مع الطبيعة ، في كافة مجالات المعرفة ، ليستعيد الطريق الذى بدأه منذ فجر التاريخ ، ويواصل استكشاف الطبيعة والكون الذى يعيش فيه . □

من المكتبة العربية

الموسوعة الفلسطينية

بقلم : زياد عـــودة

في نهاية عام ١٩٨٤ ، تم الانتهاء من طبع « الموسوعة الفلسطينية » بأجزائها الأربعة على مطابع ميلانو ستامبا الايـطالية . هـذه الموسـوعة التي جاءت لتلقي الأضواء على تاريخ وطن وشعب وقضية منذ اقدم العصور حتى وقتنا هذا .

كم شهـدت فلسـطين من حـروب طـاحنـة ، وعروات كبيرة ، كان آخرها الهجمة الاستيطانية الكبيرة من قبل الصهاينة المدعومين من القوى الاستعمارية ، الذين تمكنوا من احتلال فلسطين العربية ، واقامة كيان غريب فوق أرضها ، بعد أن تم تشريد أصحاب الوطن الشرعيين .

لقد كتب الكثير عن فلسطين أرضا وتاريخا وشعبا ، وتناولتها الدراسات من كل جانب ، ومع هذا فقد كانت الحاجة ملحة لموسوعة ضخمة ، تعطي فكرة واضحة عن وطن جريح ، عانى شعبه الكثير من الظلم والحرمان والابادة .

والتفكير بهذه الموسوعة ، واخراجها الى حيز الوجود يؤكد هذا الارتباط الكبير بفلسطين . فكل معلومة جديدة عن أى مدينة أو قرية أو أثر دارس أو شخصية لا شك انها تقربنا الى فلسطين التي ستظل الأمل الساطع لكل المشردين والمنفيين من أولادها وأولاد أولادها ، الذين عشقوها ويحنون اليها حنينهم الى كل مقدس .

لقد اشترك في اعداد هذه الموسوعة أكثر من مائتي باحث من جميع التخصصات منهم العالم والمؤرخ والأديب والموسوعي ورجل السياسة .

ومن هنا يصبح لهذه الموسوعة التاريخية العلمية دور أساسي في معركة تحرير فلسطين يتمثل في عرض الحقائق التاريخية حولها أرضا وشعبا وحضارة وقضية ، لتكون وثيقة علمية تدحض الأساطير التي ظل يروج لها المستعمرون في ميدان انفردوا فيه واحتكروه . لقد بدأ المشروع باتفاقية عقدت بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة

التحرير (دائرة التربية والتعليم) في العاشر من شهر كانون الاول عام ١٩٧٤ ، لاصدار هذه الموسوعة التي كان المؤتمر العام للمنظمة قد اقرها في دورته الثالثة

جاء الجزء الأول من الموسوعة في ٦٤٦ صفحة من القطع الكبير تضمن الحروف من (أ - ت) ، وبحث في مواد سات الأرض مثلا المواقع والاماكن والتجمعات السكانية وغيرها التي تدخل في حدود فلسطين المعروفة ، بموجب صك الانتداب ، باستثناء منطقة الحولان الواقعة خارج حدود فلسطين وادخلت في الموسوعة : -

- جميع القرى المدثرة على يد الصهيونيين ، مهما يكن حجمها وعدد سكانها ، باستثناء القس منها الذي لا يتجاوز سكانه عشرة أشخاص

- ضم الى الموسوعة بحث موحد عن القرى العربيه المدثرة قبل قيام الكيان الصهيوني ذكرت فيه سماؤها ولمحة في وصفها وردت في نهاية البحث

- جميع القرى العربيه القائمة الان ويقطنها سكانها العرب ، ويزيد عددهم عن ٥٠٠٠ نسمه حين صدور الموسوعة ، وترد فيها تحت تسمية بلده

وضمن الموسوعة ايضا التجمعات الصهيونية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفا

جاء الجزء الثاني من الموسوعة في ٦٥٢ صفحه من القطع الكبير ، وتناولت المواد التي تبدأ من حرف (ح - ش)

الجمعيات الأدبية في فلسطين

وتحت هذا العنوان جاء في الجزء الثاني من الموسوعة · كانت الجمعيات الأدبية في فلسطين عاملا من العوامل السائرة في نهضة هذا القطر العربي الثقافية . وما يلاحظ على هذا العامل الثقافي انه لا يخلو من بذور سياسية ناعمة تدخل ضمن العناصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وانه كان ساعيا على وعي التيارات السياسية التي كان المستعمر يخلقها لدفع هذا القطر وجره نحو نهاية بعيدة عن مصلحة الشعب العربي فيه

غير أن الجمعيات الادبية لم تكن مقصورة على فترة الانتداب الانجليزي في فلسطين . بل سبقت هذه مرحلة فكان في فلسطين جمعيات ادبية زمن الحكم العثماني منها في القدس جمعية « سوسنة صهيون » فرع جمعية ، عهد اسنان المسيحيين » بلندن سنة ١٨٧٧م ، ومنها في هذه الفترة جمعية « العصبة المسيحية لشبان الروم الارثوذكس في القدس العصبة ، وكان من جمعيات هذه الفترة المبكرة ثلاث جمعيات انشئت في عكا وهي « شعبة المعارف » و « الجمعية الادبية الخيرية » و « جمعية مار منصور »

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر عرفت فلسطين نشاط « جمعية الادبية الفلسطينية » التي حبذت نشر المباحث المفيدة ذات العلاقة بمختلف شئون فلسطين

وقد عرفت بعض الأوساط في فلسطين الدواوين او المجالس العائلية التي تشبه الجمعيات الأدبية وعمل الادبية في بعض ما تؤثره في المجتمع . ومن أمثلة هذه المجالس ، المجلس الذي كان ينظم في دار عثمان بن سليمان النشاشيبي ، والد الاديب الفلسطيني المشهور محمد اسعاف النشاشيبي ، وكان ينظم في ذلك المجلس محمد جاد الله ، وعارف الحسيني ، وموسى عقل واخرون

ويقع الجزء الثالث من الموسوعه في ٦٩٠ صفحه ، وتناولت المواد التي تبدأ بالأحرف الهجائية من (ص - ك) ، وجاء كالجزء الثاني بدون مقدمة . وقد احتوى هذا الجزء على بحث موسع عن الصحافه العربيه في فلسطين . فقد سار الصحافه العربيه في فلسطين وتطورت عبر اربع مراحل تاريخيه تبدأ الأولى بصدور الصحف باللغه العربيه في القدس في العهد العثماني سنة ١٨٧٦م ، وينتهي بوقفها في مطلع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ . وتبدأ المرحلة الثانية بعودة الصحف الى الصدور في ظل الانتداب البريطاني ١٩١٩ وتمتد لنهاية ١٩٤٨ . والثالثة مرحلة ما بعد النكبة وقيام الكيان الصهيوني وضم الضفة العربيه الى المملكه الاردنيه الهاشميه ١٩٥٠ . وتأتي المرحلة الرابعه بعد حرب ١٩٦٧ ، والاحتلال الصهيوني لبقيه الاراضي الفلسطينيه وأجزاء من الأراضي العربية . وفي نهاية البحث تم ترتيب جدول باسماء أكثر من مائتي مجلة وصحيفة ونشرة كانت تصدر في فلسطين من عام (١٨٧١ ولغاية ١٩٦٨)

واحتوى هذا الجزء أيضا بحث عن الصحافة

يملأون شوارع البلدة على مشهد سكان زاكوبانة الأصليين ، بملابسهم الزاهية المزركشة التي يختلط فيها اللونان الابيض والأسود مع الوان الصوف التي تحيط بالقبعات الصوفية ، ولون الأحزمة الجلدية العريضة بشكل ملفت للنظر حول خواصرهم . ويستثنى من ذلك مواسم الأعياد ، حيث تجتمع الفرق بملابسها التقليدية وأدواتها الموسيقية ، يرقصون ويغنون الأغاني الفلوكلورية مع النساء بملابسهن الزاهية الجميلة .

غيفونت وصخرة الغزال

منذ البداية ، يشد انتباه الزائر ذلك الجبل الرهيب الذي يذكر الناظر ، بفارس جليل ينام نومته الأبدية ، يشرف على المدينة بمهابة ووقار . انه « غيفونت » ، اكثر الجبال شهرة في تلك السلسلة التي تمتد على طول واحد وخمسين كيلو مترا ، بطول الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية . ويبلغ ارتفاع « غيفونت » ١٩٠٩ أمتار عن سطح البحر . ولدى الشروع في تسلق هذا الجبل تكتشف أنه في الواقع سلسلة من الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق . وان ما خلته ، عن بعد شقوقا في وجه وجسد الفارس النائم هي في الحقيقة شقوق صخرية كبيرة تغطي قمة الجبل ـ السلسلة بعد أن تبدأ الطريق ناعمة هادئة بالعشب الأخضر الخفيف ، الذي يحف بالجانبين على مقربة من الغابات الهائلة المحيطة بالمشهد . وحين تصعد أعلى قمم « غيفونت » لا تكتشف سر الشقوق الصخرية وحسب بل تكتشف سر الأسطورة التي أحاطت غيفونت على مر العصور .

تقول الأسطورة ان « غيفونت » محارب قديم ، ناصر الحق وساعدعلى نشر العدالة في بقاع أوروبا المختلفة ومنها بولندا ، التي حارب فيها من أجل العدالة . ثم نام ليستريح من عناء الحروب ، وبقي على نومته المهيبة تلك الى اليوم يذكر بالحق والقضايا العادلة .

لكن الصعود الى قمة غيفونت ليس بالامر السهل . بل انه يتحول الى نوع من المغامرة وخصوصا أثناء العواصف لذا فقد آثرنا الصعود الى أقرب قمة منه ، وتعرف باسم « سارنيا شكاوا » . صعدنا اليها مع وادي « بياويغو » الذي يخترقه نهر صغير يأخذك الى أعلى الجبل « سارنيا سكاوا » كلمة بولندية تعني صخرة الغزال وقد أخذ الجبل اسمه من تلك الصخرة البيضاء التي تعلو قمة الجبل . ومن هناك،من قمة « صخرة الغزال » يواجهك جسد غيفونت الصخري بكل جلاله وهيبته ، وتنظر الى الخلف فترى المدينة ممتدة أمامك ، تتلامح منازلها الخشبية المزخرفة من بين الغابات ، وخلف التلال الخضراء التي تقوم عليها زاكوبانة ، ومن هنا أيضا يسحرك مشهد جبال (غوباوفكا) التي يبلغ ارتفاعها ١١٢٣ مترا عن سطح البحر و ٣٠٠ متر عن زاكوبانة نفسها ، فهي تقع في طرف المدينة المقابلة للجبل المهيب .

وجمال جبال « غوباوفكا » يختلف تماما عن بقية الجبال ذات القمم الصخرية البنية اللون . فهي جبال خضراء تكسوها الأشجار والحشائش والأعشاب . ومنها بامكانك التمتع بمشهد شامل لجبال التاترا البولندية من جهة،ولمنطقة السفوح من الجهة الثانية . وبعكس غيفونت الذي يصعب الصعود الى قمته هنالك أكثر من طريقة للوصول الى قمم جبال « غوباوفكا » ابتداء من القدمين الى القطار المعلق ، الى المصاعد الفردية التي تنقلك الى قمم اخرى عديدة . والقطار المعلق غير القطار الطائر الذي يصل بين القمم متجاوزا الوديان السحيقة . بل يصعد الجبل بواسطة مسننات مثبتة في اسفله .

الشاعر والقمة

لكن القطار المعلق والمصعد الفردي ليسا شكلي الانتقال الوحيدين بين قمم الجبال أو بين الجبال والمدينة ، فهناك أيضا القطار الطائر الذي يصل قمم الجبال الوعرة والمرتفعة بعضها فوق ببعض . وأعلى قمة يصل اليها القطار الطائر ، كما يسمونه ، هي قمة « كاسبرو في ، فيرخ » أى قمة « كاسبروفي » ، التي تستدعي على الفور اسما شهيرا في تاريخ الأدب والشعر البولندي هو « يان كاسبروفيتش (١٨٦٠ ـ ١٩٢٦) » . ولا يكون هذا الاستدعاء بسبب تشابه الاسمين وحسب ، بل بسبب ارتباط هذين الاسمين بالمنطقة وسهولها وجبالها . وقد بدأ يان كاسبروفيتش زيارته للمنطقة عام ١٨٩٢ .ومنذ ذلك التاريخ واظب

الاسرائيلية التي كانت تصدر في فلسطين قبل قيام « اسرائيل » بثلاثين عاما . . وقد كانت الصحافة اليهودية في فلسطين احدى الأدوات الرئيسية لخدمة اهداف الحركة الصهيونية ، في بلورة الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، وتوجيهه وارشاده والتعبير عن طموحاته وتطلعاته وتعبئة نفسها ، وتحويله الى مجتمع ذي خصائص محددة ولغة موحدة .

وقفة مع الموسوعة

ان أي عمل مهما كان صغيرا ، لابد وان تعتوره بعض الأخطاء . . . فقد وقعت في الموسوعة اخطاء صغيرة ، كان من الممكن تفاديها بسهولة . فقد جاء في التعريف بالقائد عبد الرحيم الحاج محمد في الجزء الثالث من الموسوعة ص (١٦١ - ١٦٢) « هو واحد من قادة ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وقائدها العام لمدة تزيد على السنة ، كنيته « ابو كمال » ولد في ذنابة في قضاء الخليل ، والصحيح ان قرية ذنابة مسقط رأس القائد عبد الرحيم الحاج محمد تقع في قضاء طولكرم وهي الان ضاحية من ضواحي طولكرم، حيث يطلق عليها ضاحية ذنابة . وجاء ايضا في الموسوعة : « تابع عبد الرحيم الحاج محمد جهاده في ظل القيادة الجديدة التي ترأسها فوزي القاوقجي ، وانتصر في هذه الفترة ايضا في جميع المعارك التي خاضها ، ومن اهمها : معركة نابلس ١٩٣٦/٩/٢٤ ، ومعركة بلعا ١٩٣٦/٩/٢٥ ، ومعارك جبع وديـر شرف . والصحيح أن معركة نابلس التي استهدفت الهجوم على معسكر نابلس وقعت ليلة ١٩٣٦/٩/٢٨ ، ومعركة بلعا الثانية وقعت بتاريخ ١٩٣٦/٩/٣ وكانت اول معركة خطط لها القائد فوزي القاوقجي مع القادة الفلسطينيين عند وصوله الى فلسطين . وجاء ايضا في الموسوعة عن عبد الرحيم الحاج محمد «خلال هذه الفترة خاض الثوار بقيادة عبد الرحيم معارك ضارية ، والحقوا بالقوات البريطانية خسائر كبيرة ، ومنها معركة بيت امرين التي جرح فيها القائد عبد الرحيم ، ومعركة دير غسانة (١٩٣٨/٩/٢٠) التي وقعت عندما كان قادة الثورة يعقدون مؤتمرا لتدارس اوضاع الثورة . وقد استشهد فيها القائد محمد الصالح « ابو خالد » . والصحيح ان القائد عبد الرحيم الحاج محمد جرح في معركة النزلة الشرقية على اثر كمين نصبته له القوات البريطانية . وان معركة « دير غسانة » وقعت يوم الخميس الموافق ٢٠ رجب سنة ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨/٩/١٥م . بالقرب من قرية بيت ريما ودير غسانة،ولو عاد محرر الموسوعة الى مادة ثورة المثبتة في الجزء الأول من الموسوعة لما وقع في الخطأ ، وخصوصا حول تاريخ المعارك التي خاضها فوزي القاوقجي في فلسطين بالتعاون مع « الثوار الفلسطينيين » .

وجاء في الجزء الثاني من الموسوعة ص ٤٣٤ تحت مادة دير ياسين (مذبحة ١٩٤٨) ما يلي : -

في ١٩٤٨/٤/٧ قتل الشهيد عبد القادر الحسيني . . . وفي الجزء الثالث ص١٦٩ نقرأ حول مادة عبد القادر الحسيني .

انه استشهد بتاريخ ١٩٤٨/٤/٨ ، وهو التاريخ الصحيح الذي استشهد فيه عبد القادر الحسيني حيث ورد النص التالي : . . ووصل عبد القادر الحسيني الى القدس صباح ١٩٤٨/٤/٧ ، فنظم هجوما مسلحا على القسطل ، استطاعت قواته ان تسترد الموقع في اليوم التالي ١٩٤٨/٤/٨ ، ولكن هذا القائد استشهد في اثناء القتال .

وجاء في الجزء الثاني صفحة ٤٣٥ - مادة دير ياسين - حول الوضع العسكري بعد مذبحة « دير ياسين » .

اما من الناحية العسكرية فقد جاءت النتائج لصالح (اسرائيل) . . . يقول مناحيم بيغن « قائد المنظمة الارهابية الارغون تسفاي لئومي » المنظمة القومية شتيرن « ورئيس وزراء « اسرائيل » السابق :

لقد حاولت دعاية العدو أن تلطخ أسماءنا ، ولكنها النتيجة ساعدتنا . . فلقد طغى الذعر على عرب أرض اسرائيل!نلاحظ هنا أن جملة « عرب أرض اسرائيل ، جاءت في سياق الحديث كأنها شيء طبيعي ، فقد كان المفروض في المحرر أن يضع علامتي تعجب واستفهام على هذا الكلام الذي لا أساس له من الصحة .

وجاء في مادة عز الدين القسام في الجزء الثالث من الموسوعة ص ٢٣٠ : انه استشهد بتاريخ ١٩٣٥/١١/١٩ ، في قرية الشيخ زايد . . .

والصحيح انه استشهد بتاريخ ١٩٣٥/١١/٢٠ ، في قرية الشيخ زيد قرب احراج يعبد قضاء جنين .

وجاء في مادة « القدس ـ مدينة » في الجزء الثالث ص٥٠٩ : هجرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن وحلت محلها نواة رئيسية تقوم على تلال اخرى عبر تلال الضهور (الطور) مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيتا) في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة وباب حطة ، ومرتفع ساحة الحرم (موريا) في الشرق ، ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي ، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور ، فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة ، والصحيح ان جبل صهيون وجبل الطور واقعان خارج أسوار مدينة القدس القديمة فاذا نظرنا الى الخارطة المنشورة في الكتاب نرى صفحة ذلك . . . وجاء في كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ بيت المقدس (١) هامش صفحة (١٤) : (وطور زيتا) يقصد جبل الزيتون ، مشرف على المسجد ـ يقصد الحرم ـ وفيما بينهما وادي جهنم ومنه رفع عيسى عليه السلام

وفي ص ٤٢٣ جاء : جبل الزيتون ـ الطور زيتا . .

وجاء في المصدر السابق بيت المقدس (٢) ص ١٨٨ : . . . . وجبل صهيون الواقع عليه مقام النبي دواد .

معلومات قديمة

وبعد . فالذي قرأ اسماء الباحثين التي وردت في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة استبشر خيرا بتلك النخبة الطيبة من العلماء والأدباء والمؤرخين . ولكن شاب تأليف وتحرير الموسوعة بعض القصور ، والدليل على ذلك اعتمادهم على المصادر والمراجع المعنية بالبحث ونقلها حرفيا في معظم الأحيان ، بما فيها من معلومات غير دقيقة . فمثل هذا العمل الموسوعي الضخم يحتاج الى دراسات ميدانية ، من اجل جمع المزيد من المعلومات وخصوصا حول القرى والمدن والشخصيات الفلسطينية ، واضافة تلك المعلومات ضمن المادة المراد الكتابة عنها .

فالاعتماد على كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ غير كاف من اجل الاحاطة باخبار القرى والمدن الفلسطينية ، وخصوصا وان الطبعات المعتمد عليها معظمها صادر قبل سنة ١٩٧١ ، بل قبل ذلك بسنوات . ولهذا فمعظمها قديمة بحاجة الى اضافات جديدة عليها ، من أجل أن يأخذ الموضوع حقه في البحث والتنقيب . ونحن نسجل هذه الملاحظة ليس تقليلا من أهمية كتب الاستاذ الدباغ التي تعتبر مرجعا لا غنى عنه لاي دارس أو باحث ، ولكننا كنا نأمل لو تم اثراء المواضيع المطروحة بمعلومات جديدة ، وخصوصا اذا علمنا أن هناك عشرات الجمعيات والروابط التي تحمل اسماء المدن والقرى والعائلات ، ومعظمها يوجد لديه نشرات حديثة جدا عن مدنهم وقراهم ، ومع هذا تظل الموسوعة من المراجع المهمة التي لاغنى عنها لأي بيت أو مدرسة أو جامعة أو مؤسسة ، فهي تاريخ حافل وثري عن فلسطين العزيزة آملين ان يتم تلافي الأخطاء في الطبعات القادمة □

●

■ الوفاء لأخيار الناس يضطرنا أحيانا الى ان نقول فيهم من الخير ، ما يضيقون به أشد الضيق ! (طه حسين)

■ الشعوب التي تقصر في واجباتها . . تستريح الى من ينفخ لها في بوق الحقوق ، ولا يذكرها بالتبعات (أحمد لطفي السيد)

■ السلطة فساد ، والسلطة المطلقة فساد مطلق (لورد اكتون)

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : الوجه الآخر .
اسم المؤلف : فؤاد التكرلي .
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد .
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع الكبير .

هذه الطبعة هي الثالثة لمجموعة فؤاد التكرلي الشهيرة ، التي صدرت لأول مرة في بغداد في بداية الستينيات ، لكنها ضمت مجموعة اخرى من القصص في طبعتيها الثانية والثالثة .

وهذه المجموعة لواحد من أبرز كتاب القصة القصيرة العراقية ، تضم قصصا تتراوح في حجمها بين صفحات لا تتجاوز الست ، وأخرى يمكن اعتبارها رواية قصيرة مثل القصة التي أعطت المجموعة اسمها .

كما تغطي هذه القصص فترة تمتد من عام ١٩٥٠ الى ١٩٧٢ ، وهي فترة غنية في الانجازات الفنية والأدبية وغناها في الانجازات السياسية والاجتماعية . ومن هنا تأتي اهمية هذه المجموعة لواحد من أكبر القاصين العراقيين موهبة ، وان يكن أقلهم حماسا للنشر

اسم الكتاب : تنمية ، أم تبعية اقتصادية وثقافية .
اسم المؤلف : د . جلال أمين .
الناشر : مطبوعات القاهرة .
عدد الصفحات : ١٨٩ من القطع المتوسط .

بالرغم من أن د . جلال أمين « أستاذ للاقتصاد » فإنه لا يتعامل مع القضايا الاقتصادية بمنهج أحادي جانبي ، وهذا ما أعطى الكتاب قيمة اضافية ، ووسع من دائرة القراء الذين يخاطبهم المؤلف . فهو يناقش مشكلات التخلف والتنمية من منظور شامل ، يربط هذه المشكلات بقضايا التبعية الاقتصادية والثقافية

وخلال ذلك كله يعيد صاحب كتاب « محنة الثقافة والاقتصاد في مصر » النظر في المقولات السائدة بين الاقتصاديين والمثقفين والمهتمين بهذه القضايا المصيرية .

اسم الكتاب : قصص مختارة .
اسم المؤلف . جنكيز ايتماتوف
الناشر دار رادوغا ـ موسكو
عدد الصفحات : ٢٩٣ من القطع الصغير .

ترجمة جديدة تقوم بها دار رادوغا لثلاث من أشهر قصص الكاتب القيرغيزي السوفيتي جنكيز ايتماتوف هي « المعلم الأول » و « شجيرتي في منديل أحمر » و « جميلة » التي وصفت بأنها أجمل قصة حب حديثة .

وان كانت أهمية هذه القصص بالنسبة للقراء السوفييت تأتي من كون كاتبها يمثل جيلا جديدا من المبدعين السوفييت ، الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية ، فانها تمثل بالنسبة لنا أعمالا مهمة ، تدور في أجواء شرقية ، لم يفقدها التقدم الحضاري بساطتها وعفويتها وأصالتها .

اسم الكتاب : دماء على الظلال
اسم المؤلف : سعيد الشيخ
الناشر : دار الصمود العربي ـ نيقوسيا ـ قبرص
عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط

تضم هذه المجموعة القصصية ـ وهي الأولى للقاص الشاب سعيد الشيخ ـ عشر قصص قصيرة ترسم في مجموعها صور المعاناة والعذاب . الى جانب صور الكفاح والثورة والموت والشهادة في المخيم الفلسطيني ، الذي أعادت الثورة تكوينه من جديد .

وبالاضافة الى رسم هذه القصص الاستمرارية حياة المخيم في ظل ظروف جديدة ، فانها اعلان عن ظهور جيل جديد من الأدباء الفلسطينيين الشباب ، ممن خرجوا من رماد المأساة .

اسم الكتاب : سورية والانتداب الفرنسي
اسم المؤلف : يوسف الحكيم
الناشر : دار النهار للنشر ـ بيروت
عدد الصفحات : ٣٥٤ من القطع الكبير

هذا الكتاب هو الجزء الرابع من « ذكريات » يوسف الحكيم السياسي السوري المخضرم ، الذي استعرض خلال كتبه الثلاثة الأولى تاريخ سوريا في العهد العثماني ، والعهد الفيصلي ، وفي هذا الكتاب الرابع والأخيرة يروي بدقة وتفصيل كبيرين تاريخ سوريا في عهد الانتداب الفرنسي ، الذي استمر بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٤٦ .

وفي الكتاب مزج بين التاريخ بما هو تفاصيل لأحداث يومية ، عاشتها سوريا خلال عهد الانتداب ، والسيرة ذاتية لكون المؤلف أحد الشخصيات السياسية التي شاركت في صنع أحداث تلك الفترة .

اسم الكتاب : مشكلات علم الجمال الحديث ـ قضايا وآفاق
اسم المؤلف : مجموعة من علماء الجمال السوفييت
المترجم : فريق من دار الثقافة الجديدة
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع الكبير

يضم هذا الكتاب ثلاثة عشر بحثا في قضايا علم الجمال المختلفة ، بأقلام مجموعة من الكتاب [illegible] السوفييت في هذا الفرع المهم من فروع الفلسفة .

وتتراوح [illegible] الأبحاث بين قضايا أقرب الى التجريد [illegible] « الصورة الفنية » وقضايا ذات طبيعة [illegible] الواقعية والمودرنية) الى جانب موضوعات [illegible] في [illegible] العربي مثل « المثل الأعلى والبطل في [illegible] »

ورغم المستوى المتقدم الذي [illegible] الأبحاث ، الا أن الكتاب موجه أساسا الى « القارئ العادي ذي الاهتمامات العامة بالمشاكل الثقافية في عصرنا الحالي »

اسم الكتاب : الأرض الحرام
اسم المؤلف : محمود شاهين
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٣٩٦ من القطع الكبير

« الأرض الحرام » عند الروائي محمود شاهين هي الأرض الفلسطينية المحرمة على أهلها ، في واحدة من أكثر لحظاتها حسما ، ما قبل حرب الأيام الستة بقليل .

في هذه الرواية يواصل محمود شاهين ما بدأه منذ مجموعته القصصية « نار البراءة » من رسمه لصورة شريحة مجهولة من شرائح المجتمع الفلسطيني ، ونعني بها تلك المجتمعات الرعوية التي لا تزال أسيرة نمط انتاجها التقليدي القديم ، تكافح من أجل البقاء في عالم من القسوة .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الوادي والأودية والوديان

لشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم قصيدةٌ وطنية نظمها قبل سبعين سنة ، يقول فيها :

نـظرت لـلنيـل فـاهـتـزت جـوانبـه
وفـاض بـالخـير في سـهـل ووديـان

والمتشددون اللغويون منذئذ يأخذون عليه في هذا البيت كلمة « وديان » ويرون أن القافية وحدها هي التي ألجأته اليها ، وأن كلمة الوادي لاتجمع على وديان ، وهم في ذلك يعتمدون على أنهم لم يجدوها في معجم ولا نص مأثور .

ونحن نرى أن كلمة كهذه ينبغي قبولها ما دامت سائغة ولها جذر في الفصيحة ، ولها سند من نظير فصيح نقيسها عليه ، ولو لم ترد في معجم أو نص مأثور .

ولا شك في فصاحة كلمة « الوادي » وجذرها « وَدَى) ودلالته على السيولة ، ومن معاني « الوادي » الماء السائل ، أو مكانه وهو المنخفض أو المتسع الذي يمتد بين اثنين أو أكثر من الجبال أو التلال ، فيسيل فيه الماء ، ومن معانيه المكان أو الجهة بعامة ، كما في آية الشعراء « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم في كلِّ وادٍ يَهيمون » ، أي في كل جهة أو اتجاه ، وقد يقال « الواد » بحذف الياء اكتفاء بالكسرة ، شأنه شأن كل منقوص ، وهكذا ورد « الواد » في المصحف مرات .

وقد ذكر له في القاموس المحيط : أربعة جموع : أَوْداء ، وأَوْدية ، وأَوْداه ، وأودابة .

أوداء مثل صاحب وأصحاب ، وأودية مثل ناد وأندية ، وأوداه بالقلب وقد ورد الجمعان الأخيران في قول الفرزدق :

فـلولا أنـت قـد قـطعـت رِكـابي
مـن الأوداه أوديـة قـفـارا

وقد ورد الجمع « أودية » وحده في القرآن مرتين : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ولم تذكر بقية الجموع .

ومما يستوقف النظر أن الجوهري في معجمه

« الصحاح » يقول : « الجمع أودية على غير قياس ، كأنه جمع وَدِيٍّ ، مثل : سَرِيّ وأسْرِية للنهر ، ومهما يكن من عدم قياسية هذا الجمع ، فقد ذكر في القرآن الكريم ، وكذلك العرب يشبهون وزنا بوزن فيجمعونه كجمعه .

ولكن هل الجمع « وديان » صواب .

والجواب « نعم » ونقفز الى السند المعجمي ، فقد ذكر الزبيدي في مادة « ودى » من تاج العروس ، فقال « وقد يجمع الوادى أيضا على وُديان بالضم » .

ثم ننظر الى السند القياسي ، فقد ذكر سيبويه في « باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجمع » ان ما كان من الاسماء على وزن فاعِل أو فاعَل فكله يجمع تكسيرا على فواعل ، مثل : تأبَل وتوابِل [١] ، وطابَق وطوابق ، وحاجِز وحواجِز ، وحائط ، وحوائط ، وقد يجمع تكسيرا على فُعلان ، مثل حاجر وحجران ، وسالّ وسُلّان ، وحائر وحُوران ، وغال وغُلّان ، وفالق وفُلقان ومالّ وملان ، وجعه بعضهم على فِعلان ، مثل : حائر وحِيران ، وغائط وغيطان ، وحائط وحيطان . وأما الصفة التي أجريت مجرى الاسماء فقد تُبنى كالاسماء على فُعلان ، مثل : راكب ورُكبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ، وراع ورُعيان .

ونستطيع أن نضيف الى الأمثلة التي نقلناها هنا عن سيبويه ما يأتي : راهب ورُهبان وواحد ووُحدان أو أحدان[٢] ، وشاطىء وشُطآن ، وباطن وبُطنان ويافع ويُفعان ، وحسبنا هذه الأمثلة الكثيرة لكي لانستغرب قياسا جمعَ « واد » على وديان .

ثم لنسأل من نصادف من اخواننا في البلاد العربية عن جمع واد ، فان أول ما يخطر على السنتهم هو الجمع « وديان » وقد يذكرون « أودية » . وللشهرة هنا قيمتها الكبيرة يستأنس بها ، ولكن يلاحظ أننا في الدارجة نقول « وديان » بكسر الواو ، لابضمها كما جاء في لسان العرب ، وخَطْبُ الخلاف في هذا هين ، فالكسرة والضمة صوتيًا قريبٌ من قريب ، ثم ان كثيرا من الكلمات على هذه الصيغة تأتي بفتح أو بكسر ، مثل حُزّان وجزان ، وحُوران و جيران ونحن نعلم أن العرب يجيزون في قوافي القصائد الجمع بين الكلمات التي يسبق الروى فيها واو ، وياء كقول مسلم بن الوليد :

مس لام في هواها فنصحه مردود
يا سحر واصليني فانني عميد

ولا يشترطون التزام الواو ، ولا التزام الياء □

---

(١) التابل : ما يطيب به الطعام
الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، تمسك الماء .
الحائر : مجتمع الماء . الغيط والغائط : المكان المنخفض الواسع
الطابق : الأجر الكبير . السال : واد واسع ينبت الشجر
الفالق : الشق في الجبل ، أو مكان منخفض بين مرتفعين . الباطن : البطن أو الشيء الخفي
(٢) وحدان ، كما في قول قريط بن أنيف (من شعراء الحماسة)

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

أي جماعات وآحادا
ومثال (أحدان) قول العقاد من قصيدة عنوانها « الحب الأول »

ان الجسوم مثناة جوارحها
الا القلوب فصيغت وهي أحدان

جماليات العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

ابن الرومي يرثي ولده الأوسط

هذه القصيدة لشاعرنا العبقري الكبير ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) في رثاء ولده الأوسط . ويندر نظيرها في الشعر العربي بل الشعر العالمي ، وهي تدل على أعمق الفجيعة في نفس أب فقد ابنه الصغير.وهو يصف فيها خيبة آماله التي كان يتوقعها في ابنه ، والآلام التي عاناها في مرضه . ويبين ان الأولاد لايسد بعضهم مكان بعض في قلب الأبوين . وابن الرومي صاحب أطول ديوان في الشعر العربي ، وله عشرات القصائد الطوال وبعضها يزيد على مائة بيت ، وهو يسترسل في خواطره الى آفاقها البعيدة .

بكاؤكما يَشْفي ، وان كان لا يُجدي ... فجُودا ، فقد أودى نظيرُكما عندي(١)

الا قاتل الله المنايا ورميَها ... من القوم حباتِ القلوبِ على عمد

توخَّى حِمامُ الموت أوسطَ صِبْيتي ... فلله كيف اختار واسطةَ العقد (٢)

على حين شِمْتُ الخير من لمحاتِه ... وآنستُ من أفعاله آيةَ الرشد

طواه الرَّدى عني ، فأضحى مزارُه ... بعيدا على قرب ، قريبا على بعد

لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها ... وأخلفت الآمالُ ما كان من وعد

لقد قلَّ بين المَهد واللحدِ لُبْثُه ... فلم يُنْسَ عهدُ المهد ، اذ ضُمَّ في اللحد

ألح عليه النُّزْفُ حتى أحاله ... الى صُفْرة الجاديِّ عنْ حُمْرة الورد (٣)

وظـل عـلى الأيـدي تَـسـاقطُ نـفـسـه ... ويذوي كما يـذوي القضيبُ من الرَّنـد (٤)
فـيـالـكِ من نـفسٍ تَسـاقطُ أنـفـسـا ... تـسـاقُطَ دُرٍّ من نظامٍ بلا عـقـد (٥)
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلْد
وما سرَّني أن بعتُهُ بثوابه ... ولو أنه التخليدُ في جنة الخلد
ولا بعتُه طوعا ولكن غُصِبْتُه ... وليس على ظُلم الحوادث من مُعْدِ
وإني وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعده ... لذاكرُه ما حنّت النِّيبُ في نجد (٦)
وأولادنا مثلُ الجوارحِ أيُّها ... فقدناه كان الفاجعَ البيّنَ الفقد
لِكُلٍّ مكانٌ لا يسد اختلاله ... مكانُ أخيه من جزوعٍ ولا جلْد
هل العينُ بعدَ السمع تكفي مكانه؟ ... أم السمعُ بعد العين يهدي كما تهدي
لعمري، لقد حالتْ بي الحالُ بعده ... فياليت شعري كيف حالتْ به بعدي؟
ثكلتُ سروري كلّه إذ ثكلتُه ... وأصبحتُ في لذات عيشي أخا زهد (٧)
أريحانة العينين والأنفِ والحشا ... ألا ليت شعري هل تغيرتَ عن عهدي؟
سأسقيك ماء العين ما أسعدت به ... وإن كانت السُّقيا من الدمع لا تُجدي
أعينيَّ جُودا لي، فقد جُدتُ للثرى ... بأنفسَ مما تسألان من الرِّفد (٨)
كأني ما استمتعتُ منك بضمّةٍ ... ولا شمّةٍ في ملعبٍ لك، أو مهد
أُلامُ لما أُبدي عليك من الأسى ... وإني لأُخفي منك أضعاف ما أُبدي
محمدُ ما شيءٌ تُوُهِّمَ سلوةً ... لقلبي، إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونان للأحزان أورى من الزَّند
إذا لعبا في ملعبٍ لك لذّعا ... فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوةٌ، بل حزازةٌ ... يهيجانها دوني، وأشقى بها وحدي (٩)
وأنت وإن أُفردتَ في دار وحشةٍ ... فإني بدار الأُنس في وحشة الفرد
عليك سلامُ الله مني تحيةً ... ومن كل غيثٍ صادقِ البرق والرعد.

(١) يخاطب عينيه، ويقول إن ابنه مثلها عزيز. لا يجدي: لا ينفع. أودى: مات
(٢) المنايا: جمع منية وهي الموت، وحمام الموت: قضاؤه
(٣) كان في عافيته أحمر كالورد فصيره المرض أصفر كالجادي (نبت أصفر)
(٤) القضيب: الفرع. الرند: شجرة طيبة الرائحة
(٥) النظام: الخيط ينتظم حبات العقد
(٦) الناب: الناقة المسنة، والجمع نيب
(٧) ثكلته: فقدته
(٨) أسعدت: ساعدت. الرفد: العطاء
(٩) الزند: الزناد، تقدح به النار. الحزازة: كل ما يحز في القلب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - أيهما أكبر مساحة : أمريكا الجنوبية أم امريكا اللاتينية ؟

٢ - أيهما أكثر تعرضا للاصابة بتضخم البروستاتا : الرجل أم المرأة ؟

٣ - الاسفلت من مشتقات البترول .. إنه الرواسب المتبقية بعد تقطير زيت البترول وتصفيته .. ولكنه يوجد على الطبيعة أيضا .. وقد اشتهرت احدى البلدان ببحيرات واسعة من الاسفلت .. ترى أى البلدان تلك .. ؟

* ترينداد
* ليبيا
* قبرص

٤ - دار الصناعة التى أقامها السلف الصالح فى فجر الدولة الاسلامية والتى سماها الأوروبيون (ارينال) ، ترى ماهى الصناعة التى تخصصت فيها تلك الدار ؟

٥ - البترول هو السلعة الأولى لأى الأسواق العالمية بلا نزاع .. فما هى السلعة التالية فى تلك الأسواق .. ؟

* الفحم الحجرى
* القمح
* البن

٦ - القمح والأرز والذرة .. كل منها يمثل الغذاء الرئيسى بالنسبة لمجموعة كبيرة من سكان العالم .. ترى أى المجموعات الثلاث هى الأكثر عددا .. ؟

٧ - أى الكواكب التالية يوصف بالكوكب الأحمر .. ولماذا ؟

* المريخ .. فهو يبدو أحمر أو مشعا باللون الأحمر لكل من يشاهده بالتلسكوب .
* الزهرة .. فحرارته المرتفعة كفيلة بظهوره محمر اللون .
* عطارد .. أقرب الكواكب من الشمس وبالتالى أشدها حرارة واحمرارا .

٨ - ليوناردو دافنشى ، الفنان الايطالى الشهير .. لم سموه دافنشى ؟

٩ - أى الشعوب الاسلامية تظهر نساؤه بغير

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو يناير ١٩٨٥ .

حجاب أو لثام .. ويحرص رجاله على تغطية وجوههم بلثام أسود أو ازرق ...

١٠ ـ افلوطين فيلسوف يونانى معروف .. عاش فى القرن الثالث بعد الميلاد .. وهو مؤسس مذهب الأفلاطونية الجديدة ذلك المذهب الذى كان له أعمق الاثر فى تفكير الفلاسفة المسلمين .. ترى أين ولد أفلوطين ؟

* اثينا
* الاسكندرية
* اسيوط

١١ ـ تولستوى ، دوستويفسكى ، تشيكوف ، بافلوف

أسماء لامعة فى تاريخ الفكر الروسى .. ثلاثة منها منسجمة وواحد ناشز .. فأيها هذا الناشز ؟.. ولم هو ناشز ..

١٢ ـ درج السلف الصالح على نظم الأراجيز او الألفيات (١٠٠٠ بيت من الشعر أو اكثر) فى علوم وفنون شتى .... والمطلوب أن تسمى ثلاث ألفيات .. احداها فى الطب والثانية فى النحو والثالثة فى الألغاز الخفية ...

العدد ٣٢٤

نوفمبر ١٩٨٤

اكتب الحلول فى هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقهامعه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ

٢ ـ

٣ ـ

٤ ـ

٥ ـ

٦ ـ

٧ ـ

٨ ـ

٩ ـ

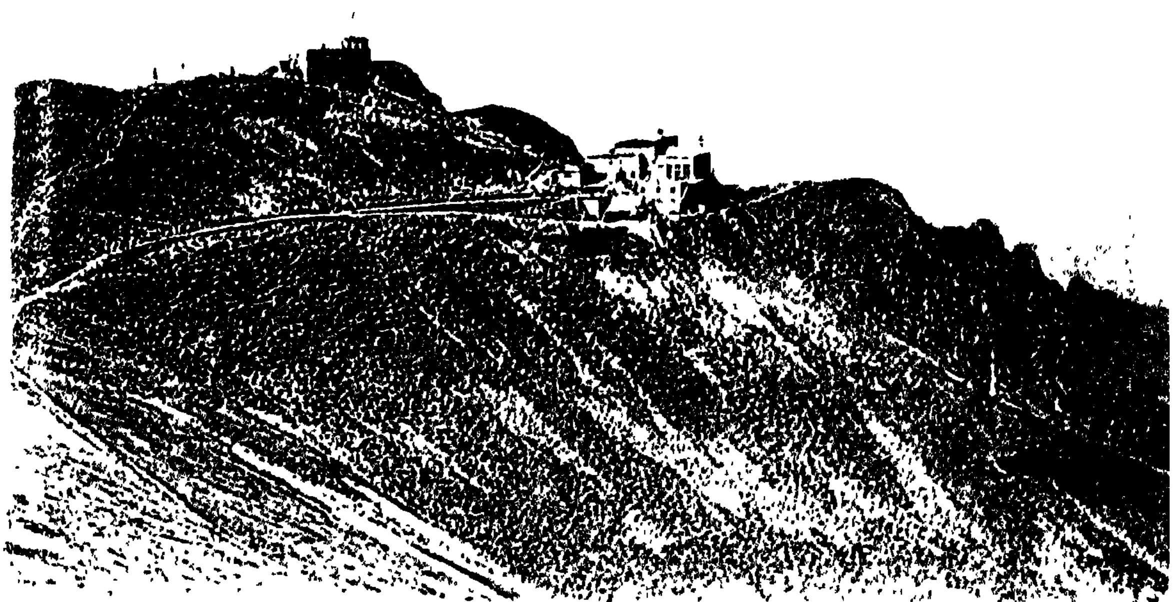
١٠ ـ

١١ ـ

١٢ ـ

الاسم

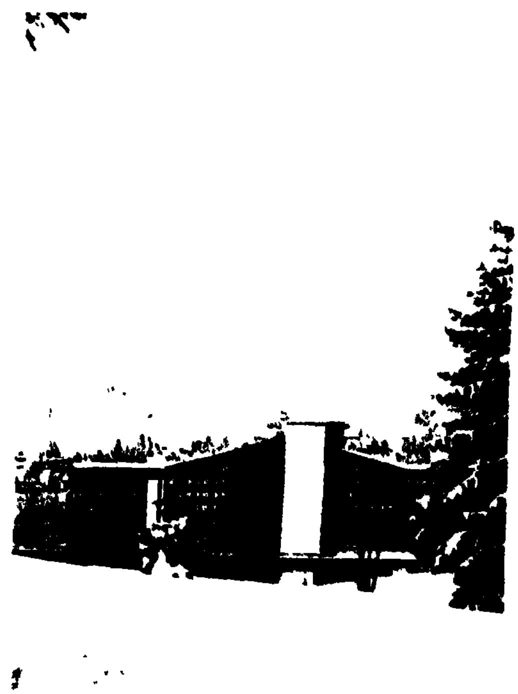
العنوان



ـ قمة كاسبروفي « كاسبروفي فيرح » ونشاهد المحطة الأخيرة للقطار الطائر ، وعلى ارتفاع أمتار قليلة المرصد الشهير وفي مقدمة الصورة الحد الفاصل بين الحدود البولندية والتشيكوسلوفاكية



ـ القطار الطائر المتجه الى كاسبروفي فيرخ فوق نهر بلا ـ



ـ فندق كاسبروفي في زاكوبانه تغطيه الثلوج



حل

١ - العالم المقصود هو عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) وقد اسره النازيون سنة ١٩٣٨ بالتحديد . . في فيينا لدى احتلالها قبيل الحرب العالمية الثانية .

٢ - الممر الشمالي الغربي هو الذي يسير بمحاذاة شواطئ كندا الشمالية والممر الشمالي الشرقي هو الذي يسير بمحاذاة شواطىء سيبيريا الشمالية ، ولعل من السهل استنتاج خط السير هذا من التسمية نفسها . .

٣ - الكافيين والثايين صنوان انهما مادة واحدة ورمزهما الكيماوي واحد ومعنى هذا ان المادة المنبهة في كل من الشاي والقهوة هي كافيين وثايين في آن معا

٤ - اللوكيميا او سرطان الدم هو المرض الخبيث الذي يصيب كريات الدم البيضاء فالجزء الاول من الاسم ، (أي لوكي أو لوكو) انما يعني اللون الابيض بالمقارنة مع اللون الرمادي

٥ - علم الحيل هو علم الميكانيكا

٦ - الأسماء الأربعة الاولى اسماء قبائل . فهي ادب متحاسة ، أما الاسم الخامس (الرلطي) فهو الاسم الذي تطلقه بولوبيا على وحدة عملتها ، وهو اذن الاسم الناشر . . .

٧ - كميه الماء التي تحتاجها زراعة طن واحد من الارز المقشور تبلغ (٤٠٠٠) طن ، وكمية ماء الري التي تحتاجها زراعة طن واحد من القطن المحلوج هي

(١٠,٠٠٠) طن وذلك خلاف ما قد يتصور المرء .

٨ ـ تؤخر ساعتك او تقدمها ستين دقيقة لدى قطعك ١٥ درجة من خطوط الطول الواقعه إلى شرق خط جرينتش او الى غربه على التوالي

٩ ـ مساحة استراليا ٢,٩٦٧,٩٠٩ ميل مربع مساحة القارة القطبية الجنوبية = ٥ ـ ٦ ملايين ميل مربع

١٠ ـ تتوقف البوصلة المغناطيسية عن العمل في القطب المغناطيسي

١١ ـ هوميروس هو الشاعر فهو شاعر وكاتب ملاحم . ملحمة الالياذة والاوديسا بالتحديد اما الثلاث الاخرون هم من كتاب المسرحيات اليونان

١٢ ـ الاستقراء هو الذي يستخلص الكليات من الجزئيات . وهو عماد العلم الحديث كما هو معروف والاستنباط هو الذي يستخلص الجزئيات من الكليات وهو المنطق ، عماد التفكير الفلسفي

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢١ اغسطس ١٩٨٥

الجائزة الاولى : وفاء امين الشيخ / كفر الزيات / مصر
الجائزة الثانية : محمود داود الهاب / الشعيبة / الكويت
الجائزة الثالثه : عبدالله محمد سليمان / الظهران / السعودية

[illegible]

١ ـ كمال أبو اليزيد شباره / مدرسة الشوربجى / كفر الزيات / مصر
٢ ـ Mr C Kunhimohamed Madani, Islamic Library Kottakkal 676503 Keaala , India
٣ ـ بنونة خليل / زنقة أبي عباس / العرائش / المغرب
٤ ـ عبدالمجيد آزر علي / الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة
٥ ـ مبارك سلمان محمد أحمد / ودمدني السودان .
٦ ـ طارق شمس / بيروت / لبنان .
٧ ـ حامد المصمودى / استاذ بالمعهد الثانوى / صفاقس / الجمهورية التونسية .
٨ ـ روضه الزينوني / حي عين دباغ / الكاف / الجمهورية التونسية .

معركة بلا سلاح

الأولمبياد السادس والعشرون

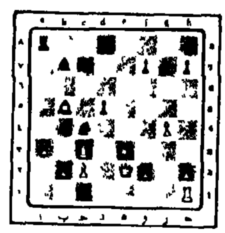
عقد الأولمبياد السادس والعشرون من ١٤ نوفمبر الى ٤ ديسمبر ١٩٨٤ في سالونيكا ثاني اكبر مدن اليونان المتاخمة لجبال الأوليمب في شمال البلاد . وقد تزامن هذا الأولمبياد مع الأولمبياد الحادي عشر للسيدات . واشترك في هذا المهرجان الدولي ـ الذي يقام كل عامين ـ ٨٨ فريقا من جميع بلاد العالم ، كان بينهم عشر فرق عربية احتلت بينها الامارات العربية المركز الأول وكان ترتيبها ٣٦ بين دول العالم ، وتلتها مراكش ثم مصر وتونس فالعراق ولبنان والبحرين وليبيا والأردن وفلسطين .

وقد توقع المراقبون ان يجد الفريق الروسي صعوبة في الاحتفاظ ببطولة العالم نظراً لغياب بطل العالم أناتولي كاربوف ومتحديه على اللقب جاري كاسباروف من الفريق وكانا مشغولين في مباراة البطولة ، ولكن هذه التوقعات ما لبثت ان تبخرت منذ البداية عندما تغلب الفريق الروسي على الفريق المنغاري بنتيجة ٤ ـ صفر . وقد احتل الرقعة الرئيسة عن الجانب السوفييتي اللاعب الخارق بيلافسكي بديلا عن بطل العالم واثبت انه خير بديل له بتحقيق خمسة انتصارات متتابعة على منافسيه من كبار ابطال العالم من امثال بورتيش وتمان ومايلز .

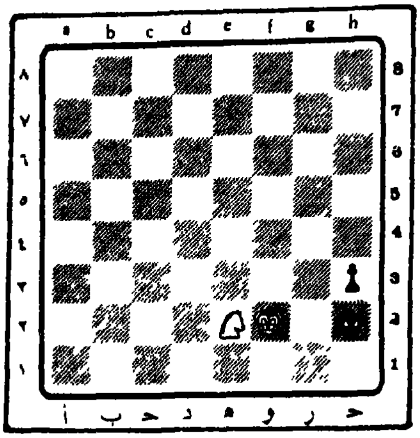
وهكذا فاز الاتحاد السوفييتي كالعادة بالمرتبة الأولى وتبعته بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية . ويعتبر فوز بريطانيا بالمرتبة الثانية فوزا ساحقا لها بعد ان كانت تحتل المرتبة العاشرة بين بلدان العالم في اولمبياد ١٩٨٢ المنعقد في لوزان في سويسرا . ومن ابرز اللاعبين البريطانيين الذين حققوا لبلدهم هذا النصر جون نن وتعتبر المباراة التالية بينه وبين ج . سوسونكو (الهولندي) من ابرز مباريات هذا الأولمبياد وفازت بجائزة دنكان لوري لأفضل دور لعبه بريطاني في هذا المهرجان الدولي .

جون نن (أبيض)	ج . سوسونكو (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	ح ـ جـ ٦
٣ ـ د ٤	ج×د ٤
٤ ـ ح×د٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	د ٦
٦ ـ ف ـ جـ٤	هـ ٦
٧ ـ ف ـ هـ ٣	أ ٦
٨ ـ و ـ هـ ٢	و ـ جـ ٧
٩ ـ ت ت (طويل)	ح ـ أ٥

١٠ ـ ف - د٣ — ب ٥
١١ ـ أ٣ — ف - ب٧
١٢ ـ ز٤ — د ٥
نقله حرجة لعبها سوسونكو دون تروّ
١٣ ـ هـ×د٥ — ح×د٥
١٤ ـ ح د×ب ٥ ! — أ×ب ٥ ؟
(و - ب ٨ أفضل لأنها تضطر الأبيض للتخلّي عن الحصان)
١٥ ـ ف×ب ٥ + — م - د٨
١٦ ـ ح×د ٥ — هـ×د٥
١٧ ـ ر - د٣ ! لمنع الملك من الهرب الى حـ ٨ ثم ب ٨ الأمن)
١٧ ـ .... — ح - جـ ٤
١٨ ـ ر - جـ٣ — ف - ب ٤
الأبيض لا يستطيع الأخذ (الشكل)



١٩ ـ ر×جـ ٤ ! — د×جـ ٤
٢٠ ـ ر-د١ + — م - جـ٨
٢١ ـ ر-د٤ — ف ـ د٥
نقله يائسة
٢٢ ـ ر×د ٥ — ف - د٦
٢٣ ـ ر - د٤ — يستسلم
لو٢٣ .... — م - ب ٨
٢٤ ـ ر×جـ ٤ — و - هـ٧
٢٥ ـ ف - جـ ٦ وبذلك يحقق الأبيض تفوقاً ملحوظاً في المادة والطريق امامه مفتوح لهجوم ساحق .



مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٥)

الأبيض يلعب ويميت بخمس نقلات

حل المسألة (٣٣)

مفتاح الحل : و - أ٤

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٢) أغسطس ١٩٨٥	الفائزون باشتراك سنة كاملة .	الفائزون باشتراك ستة أشهر .
	١ ـ مازن مشوّح ـ دمشق/ سوريا	١ ـ محمد عيسى ـ اربد/ الأردن
	٢ ـ بهاء جابر ـ الأسكندرية/ ج . م . ع .	٢ ـ مصطفى أحمد ـ القاهرة/ ج . م . ع
	٣ ـ محمد الزروالي ـ البيضاء/ المغرب	٣ ـ فاطمة أصغر ـ البحرين
	٤ ـ مالك شكري ـ الزرقاء/ الأردن .	٤ ـ حضراوى حمادي ـ تادله/ المغرب
	٥ ـ عاطف سالم ـ القاهرة/ ج . م . ع .	٥ ـ هشام مختار ـ مصراته/ ليبيا

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

« مشاعر كريمة من اخوة كرام »

فى الفترة الأخيرة وصلت الى مجلة العربي رسائل عديدة من أخوة فى مختلف الأقطار العربية والاسلامية ، تعبر كلها عن صادق المشاركة وعميق الألم ، للاعتداء الاثم على أمير الكويت وشعبها ، ونختار من بين كل هذه الرسائل هذه الرسالة تعبيرا عن المعانى النبيلة التى تضمنتها ، مع شكرنا العميق لكل من كتب حول هذا المعنى ، وتقديرنا الخالص لما تعنيه هذه الرسائل ، من عمق الصلة بين الشعوب وعمق الرفض لأسلوب الغدر والتآمر .

المحـــرر

● الأخ الكريم الدكتور محمد الرميحى
سلام الله عليك ورحمته وبركاته
وبعد

فأنى أخاطب فيك شعب الكويت الحبيب كله فى هذه الأيام العصيبة التى تمر بالكويت ، حيث تتوالى التفجيرات والحرائق ، تصيب أرضا حديدة من أرض هذا الوطن .

أأقول انى حزين ؟ وقد فقد الحزن اندفاعه داخل نفسي ، بعد أن غطى مساحات عمرى كله ، أأقول انى غاضب ، وقد غدا الغضب صراخا أحمق فى بئر لاقرار لها

لاتعجب ياأخى فأنا من الشعب الذي يقتل منذ عشرات السنين فى كل ماسة ، يقتل البعض منه فى أيام النحس ، وفى أيام السعد يدفن قتلانا ، ورغم ذلك فأنى أشعر بالحزن والغضب والأسف لما يحدث فى الكويت ، فالكويت حبيب الى القلب رغم أنى لم أره من قبل ، الا انى عرفته فى اصدقاء لى من أبنائه خلال دراستى فى الجامعة ، وقد تفرقت بنا السبل ، وانقطعت حبال الوصل ، فلم أجد غيرك أخاطب الكويت فى شخصه .

ترى هل كتب على جيلنا أن يروى فى الأركان القصية المظلمة ، ويشاهد الفناء يجرى فى الأوصال جزءا فجزءا ، يذهلنا الخوف على الجيل القادم الذى سيرث هذه التركة البشعة !؟ أنا لست سياسيا ، ولامن يصنعون الحدث أو القرار . ولكنى انسان أبكى حين أفقد ، وأبكى حين يفقد أخى ، وأبكى حين يفقد أى انسان ابنا أو أبا أو اختا أو اما أو صديقا .

امتلأ القلب بالحزن ، والحلق بالمرارة ، والعقل بالضباب ، فأردت ان أخاطب شعبا أشد على يده ، أواسيه وأعزيه ، أتمنى له السلامة ، فاخترتك لأتوجه اليك بالخطاب كواحد من أبناء هذا الشعب الذى اقدر دوره ، وأشعر بما يتعرض له ، ولكم جميعا خالص محبتى .

درنة - ليبيا - محمد عقيلان

ويبقى الحوار حول ألف ليلة وليلة . .

● جاء في مجلة العربي العدد رقم ٣٢٠ في مقال الاستاذ فاروق خورشيد عن (ألف ليلة وليلة) مايلي

« بل ان أحدهم لم يتحرج في أن يحفظ الصبيه منذ نعومة أظفارهم من آيات القرآن الكريم مافيه اشارة الى أحداث الخيانة الزوجية والزنا والأفعال المحرمة ، فيقول تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما » ولي على هذه الفقرة ملاحظة خاصة ، ثم لي ملاحظة عامة على ماقبلها

اولا : ليسمح لي الاستاذ فاروق خورشيد أن اسأله عن المصدر الذي من خلاله اعتمد على أن خيانة امرأتي نوح ولوط كانت زنا ، وبهذا الصدد أسوق له ماورد في تفسير القرطبي حول هذه الآية . ضرب الله هذا المثل تنبيها على أنه لايغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين » الى ان نقل عن ابن عباس قوله : مابغت امرأة نبي قط ، وهذا اجماع من المفسرين ، انما كانت خيانتهما في الدين حيث كانتا مشركتين »

ثانيا : حول مقارنة الكاتب نقلا عن ابن قتيبة الدينوري بين ماذكر عن الأعضاء التناسلية في ألف ليلة وليلة وماذكر في القرآن ، أشير الى أن هذا قياس مع الفارق ، فالاسلوب والسياق الذي تناول بهما القرآن الكريم هذه المسائل يخلو من الاثارة ويتسم بالنقاء ، وهذا مالا وجود له في تناول ألف ليلة وليلة لهذه الأمور وشكرا .

الدار البيضاء . المغرب . ابراهيم أدواب

معاني المصطلحات

● لي مطلبان

أولا : أن تعرفوني بعنوان الجهة المسئولة عن السياحة في الكويت لأتمكن من طلب بعض المطبوعات السياحية منها

ثانيا : أن تقدموا لنا في العربي شرحا للمصطلحات التالية

حيث ان الكثير من الشباب يقرؤها في المقالات المنشورة في العربي وغيرها ، ولايعرفون معناها بالتحديد

- أيدولوجية
- فلسفة عقلية
- فلسفة روحية
- كلاسيكي
- تفكير موضوعي ... الخ

فراس قاسم علعالي
المملكة الاردنية الهاشمية - الرمثا

بالنسبة لمطلبك الأول فالجهة المسئولة عن السياحة في الكويت هي وزارة الاعلام ، باسم السيد وكيل الوزارة ، وبالنسبة للسؤال الثاني فيسرنا أن نوضح للقارىء الكريم أن سياسة المجلة في اختيار المصطلحات التي تقدم في باب « قاموس العربي » هي البدء بالمصطلحات الأكثر شيوعا ، ثم ننتقي من بينها المصطلح الأكثر التصاقا بسير الاحداث أو المناسبات ، وفي اطار هذه السياسة قدمنا « باندونج » في ذكرى انعقاد مؤتمر باندونج ، وقدمنا « صهيونية » في شهر مايو ، ونقدم في هذا الشهر عن التفرقة

العنصرية فى ضوء الأحداث التى تشد الأنظار فى جنوب افريقيا - وهكذا ، ونود أن يطمئن القارىء الكريم الى أن الدور سيأتى لشرح المصطلحات التى يقترحها علينا ان شاء الله .

الفيديو :
أداة تعمير أم تدمير

● لاشك أننا نعيش فى عصر التنافس والتكتل بين الامم ، والسبق الحضارى المتسارع الذى يعتمد العلم والتقنية أداة ووسيلة للفوز في هذا السباق ، ونحن - العرب - لامكان لنا فى هذا السباق مالم نأخذ بمناهج العلم وأساليب التقنية ، وما لم نتخل عن دورنا كمجرد مستهلكين لمنتجات العالم المتقدم ومستخدمين لأدوات الحضارة التى يصنعها ، ولب الموضوع الذي أريد الوصول اليه فى هذه الرسالة هو ما ألاحظه من الانتشار الخطير لوسيلة تقنية من أخطر الوسائل التى أنتجها هذا العصر وهى جهاز الفيديو ، ومن سوء استخدام هذه الوسيلة فى الوقت ذاته ، فهى عندنا بكل أسف تعمل كأداة تخريب وتدمير ، حيث تنشر الأفلام التجارية الهابطة ، والأشرطة التى تتنافى مع الأخلاق ، وتدمر الشخصية وتقتل الوقت ، وتسلم الشباب الى الضياع ، مع أن الفيديو يمكن ان يستخدم لاحداث ثورة علمية حقيقية ، وثورة تعليمية كذلك ، ويمكن ان يحقق معجزة فى كثير من المجالات ، مثل مجال محو الأمية ، وتنمية الوعى الصحى والاجتماعى والاقتصادى وغير ذلك ، اننا ندعو جميع الجهات المختصة في جميع الدول العربية الى التنبه لهذا الأمر الخطير ، وعلى جميع وزارات الاعلام والثقافة والتربية فى البلاد العربية أن تعمل على حسن استخدام هذا الجهاز الخطير ، وتخصيص أوقات محددة من خلال البث التلفزيونى كل يوم لتقديم البرامج التعليمية المناسبة للمستويات المختلفة بين جماهير الشعب ، والبرامج العلمية المعدة خصيصا للجمهور فى مختلف مجالات المعرفة ، كل هذا الى جوار البرامج الترفيهية النظيفة والراقية .

ان هذا هو الطريق الوحيد لاختصار الفجوة الحضارية بيننا وبين الشعوب المتقدمة .

اننا نأمل أن تولوا هذه القضية ماتستحقه من اهتمام فى مجلة العربى وشكرا .

سلطان عبده سيف الشيبانى
الجمهورية العربية السورية / حمص

لانملك سوى ان نحيي القارىء الكريم على هذه الرسالة ، وان نؤكد صدق وسلامة ماتحتوى عليه من تحذير واقتراحات بناءة . . . . . .

ونود أن يطمئن القارىء الكريم الى أن العديد من الحكومات العربية تتوجه بالفعل الى حسن استخدام التقنيات الحديثة فى المجالات التربوية والاعلامية ، وان العربي تحرص فى المجال الثقافى على تسليط الضوء على الجوانب التى تضمنتها رسالته ، سواء فى اعدادها السابقة أو اللاحقة .

آراء ومقترحات لمجلة « العربى »

● اقترح ان تضيفوا الأبواب التالية الى مجلة العربى - باب ثابت تحت عنوان (على طريق الوحدة العربية) تتناولون فيه الخطوات التى تتخذها كل دولة عربية على طريق الوحدة ، والعوائق التى تظهر على هذا الطريق ، وآراء مفكرينا فى قضية الوحدة ، والعالم

والـوحـدة العـربيـة ، وتجـارب شعـوب العـالم الوحدوية . . . . الخ .
- اعادة تقديم باب « انت تسأل ونحن نجيب » حتى يتسنى للقراء تقديم أسئلتهم ، فكم من سؤال لدى الشاب العربي لايجد من يجيبه عليه .
- اعادة تقديم بـاب « مسلمات خالـدات » وتقديم باب جديد بعنوان « شخصيات من تاريخنا » ، حتى يتسنى لأبناء العروبة والاسلام معرفة أجدادهم الذين قدموا للبشرية - فى عصـر ازدهار الحضـارة العربيـة والاسلامية - أفضل زاد على طريق التقدم الانسانى .

أحمد محمد أحمد باذيب
اليمن الديمقراطية / كريتر / عدن

أرجو أن تعملوا على تحقيق المقترحات التالية :
- ان تعطونا معلومات عن اقطار افريقيا التى انضمت الى جامعة الدول العربية مثل موريتانيا والصومال .
- الاكثار من الموضوعات العلمية ، وخصوصـا عن علوم الكون الخارجي
- نشر مقالات أو دراسات عن تأثير اللغة العربية فى اللغات التى جاورتهـا وتفاعلت معهـا ، مثل اللغـة الفارسية والتركية والهندية وغيرها . .

أسامة حمدالله عربيات
محافظة البلقاء / السلط / الأردن

ان مجلة العربى بمثابة دائرة معـارف متجددة بـلا شك ، ومع ذلك فالاحظ أنه ينقصها أن تهتم بناحية الابتكـار وتنمية المـواهب ، ومن هنا فـأتقدم بهـذه المقترحات لاستكمال هذا الجانب في المجلة . .
- ماذا لوخصصت المجلة كل شهر نموذجا لتـوضيح فكرة جهاز أو آلة مما يستخـدم فى حياتنـا اليوميـة . وتوضيح كيفية تركيب وتشغيل وصيانة تلك الآلة أو الجهاز .
- تخصيص جائزة سنوية لكل مبتكر أو لكل مجموعة من المبتكـرين بقـدر اهتمــامهم ، والاستفـادة من مبتكراتهم على مستوى الوطن العربى .
أرجو أن تنال هذه الفكرة اهتمامكم وشكرا .

خضر أحمد عبدالرحمن خضر
جامعة القاهرة / كلية التجارة

نسعـد كثيرا بمثـل هـذه الـرسـائـل التى تتضمن مقترحات من القـراء الأفاضـل ، لتطويـر الخدمـة الثقافية التى تسعى مجلة العربى دائما لتقديمها للقراء ، وسواء أكان هذا التطوير عن طريق اضـافة ابـواب جديدة ، أم اعادة أبواب قديمة ، أم ادخـال بعض التعديلات الحالية للمجلة

فكل هذه المقترحات تعني ان قارىء العربى يشعر حقا بأنها مجلته ، وبأنه يشارك فيها مشاركة فعالة ، وليس مجـرد مستقبل لما تقدمـه له ، وهـذا من أعز أهداف أى مجلة .

ولعـل نشر كـل هذه المقتـرحات يـطمئن الأخوة أصحاب الرسائل الى اننا نفكر معهم ومن خلالهم ، ونأخذ بعين الاعتبار كل مايتفضلون به من مشاركة جادة ومسئولة

وقـد يكون من المـلائم أن نضـع أمـامهم بعض الملاحظات تأكيدا لفكرة المشاركة والحوار البناء

- ان فكرة الابواب داخل المجلة سواء الثابتة أو المتغيرة تخضع دائما لقدر من التخطيط والتجريب معا ، يأخذ فى اعتباره مدى الحاجة الملحة الى ضرورة استمـرار الباب أو امكانية تغييره موضوعا أو شكلا ، فى ضوء استجابة القارىء له ، اذ ليس من المناسب ان يحدث التغيير فى اى وقت وبأي كيفية

- ليس عدم وجود باب فى مجال معين أن المجلة لاتولى هذا المجال مايستحقه من اهتمام ، فقضية الـوحدة العـربيـة مثـلا بـالنسـبة لمجلة العـربى هى قضيتهـا الأساسية ، وهى أكبر من أن تحتوى فى باب واحد أو صفحات محدودة وهى مطروحة دائما ومستهدفه من خـلال كـل الأبـواب ، مهـما اختلف الشكـل أو العنوان .

- من هنـا فالأبـواب القديمـة التى اختفت كعناوين موجودة كمضامين فى صفحات المجلة الأخرى .
- دائما ستبقى هناك أشياء لانملك تحقيقها ، وقد تتحقق بشكـل افضل فى مجـلات أخرى أو مجـالات أكـثر التصـاقا بهـذه الأشيـاء . . كـالـوادى العلميـة والعملية .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٤

أول نوفمبر ١٩٨٥

ما ثمن المجد ؟

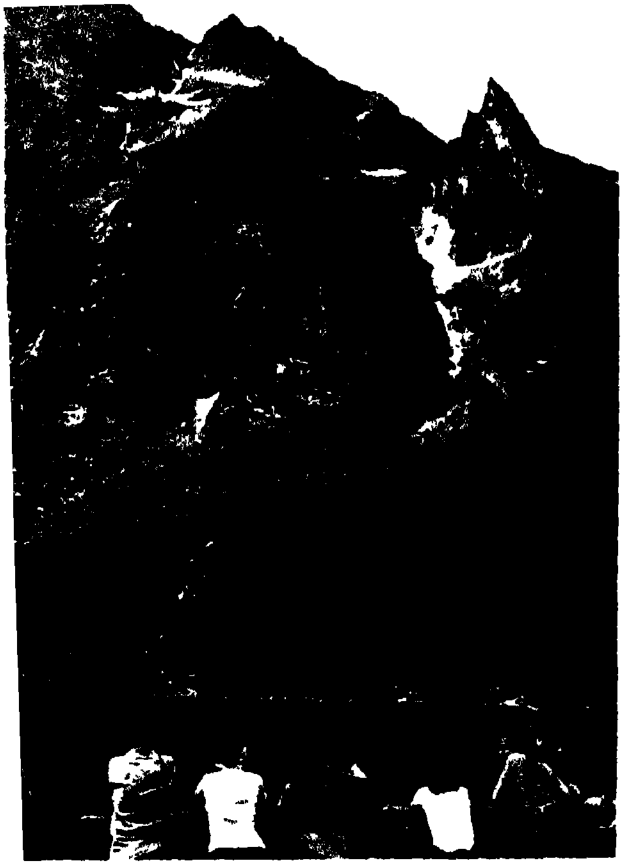
تأليف : ماكسويل أندرسون

ترجمة وتقديم : محمد الحديدي

مراجعة : د. طه محمود طه.



ـ بحيرة تشارني ستاف أو البركة السوداء ـ ومنها الطريق الى قمة « ريسي » أعلى قمم التاترا البولندية



ـ مشهد لبحيرة مورسكى أوكو وحولها الجبال بألوانها المتدرجة ، وقد اظهرت الى يمين الصورة قمة « منيخ » أو الراهب



ـ صورة قريبة وواضحة لجبل غيمونت أو الفارس النائم

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٥م

تغير العالم

تأليف : د. أنور عبد الملك

٥٠٠ فلس

الكتاب الخامس والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

* *

على قضاء احازاته بانتظام الى أن قامت الحرب العالمية الأولى ، فترك عمله في حامعة «كاربميريج » في مدينة (لفوف)واستقر نهائيا في مدينة هاريندا ، حيث توفى عام ١٩٢٦ ودفن هناك في مكان يشرف على مشهد حميل من جبال التاترا .

وعلى أي حال ، فليس هناك من علاقة بين الشاعر الكبير « كاسبروفيتش » واسم « كاسبروفي » الذي يطلق على أطول شوارع مدينة زاكوبانة ، وعلى واد بحانب حبل كاسبروفي بل ان أكبر وأفخم فنادق المنطقة يحمل هذا الاسم أيضا ، وذلك بخلاف القمة المذكورة التي يصلها الزائرون بالقطار الطائر أو « التلفريك » كما يقال له أحيانا .

يصل القطار ـ الطائر الذي بني خلال عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ عبر مرحلتين . الأولى تصل قمة كوزنيتسي التي يبلغ ارتفاعها ١٠٥١ مترا ، ثم الى قمة كاسبروفي التي ترتفع ١٩٨٥ مترا عن سطح البحر وعلى ارتفاع امتار قليلة من المطعم والمقهى الذي يصل اليه زائرو القمة يوجد مركز للأرصاد الجوية يحتل احدى القمم العالية هناك وبعد أمتار قليلة تجد نفسك أمام حجر كتبت على احد جانبيه عبارة « الحدود البولندية » وعلى الجانب الآخر عبارة الحدود التشيكوسلوفاكية » فقمة كاسبروفي تقع في وسط التاترا البولندية تماماً وفي أقصى طرفها الجنوبي الملاصق للحدود التشيكية وخلال رحلة حبس الانفاس التي يقطعها الزائر قبل وصوله الى قمة كاسبروفي يشاهد أي هوة سحيقة تفصله عن الأرض التي اكتست بالصخور الناتئة أو بالأشجار العملاقة التي سدت بحيلة مدببة الرؤوس في أسفل تلك البقعة .

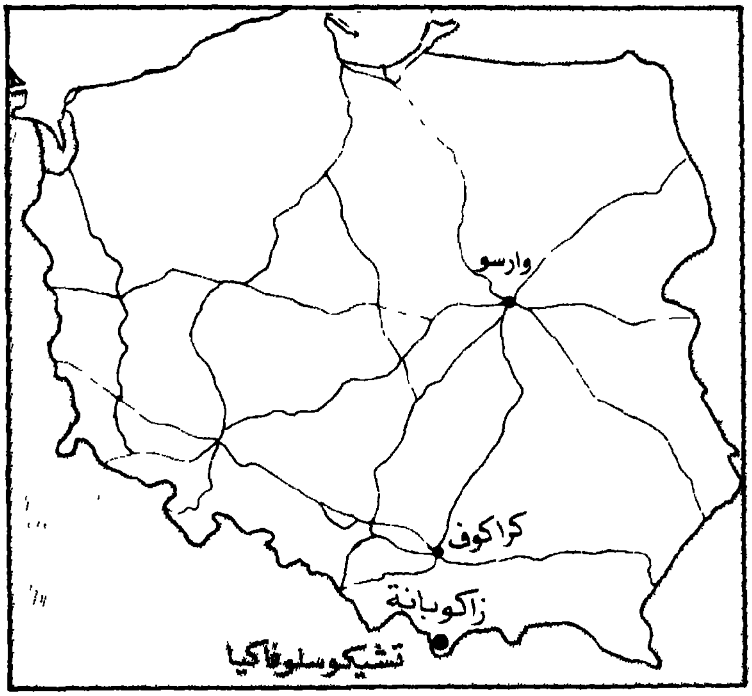
ارض السحر الحزين

ربما كانت اكثر المناطق سهولة وجمالا وقربا من مدينة زاكوبانة هي وادي « خوخووفسكا » الذي أخذ اسمه من مدينة خوخووف المجاورة . وهو أكبر وديان المنطقة الغربية من جبال التاترا البولندية . ويمتد الوادي الذي يبلغ طوله ١١ كم في بعض أطرافه ليصل المناطق الخضراء من الجبال المحيطة التي تبرز من رؤوسها الصخور لتشكل القمم العالية فيها .

وعلى امتداد هذا الوادي الشاسع الذي تحميه الجبال العالية والغابات من جهات ثلاث لا تبصر العين الا المراعي الخضراء ، التي تغطى بعض اجزائها الورود البرية بألوانها الزاهية ، والأحراش التي تكون تشكيلا جميلا على لون المراعى الأخضر العشبي ، بلونها البني الاحمرار الداكن وأمام هذه الخضرة الممتدة ينتاب المشاهد شعور بسحر حزين يميز هذا الوادي عن غيره من مناطق جبال وسهول التاترا البولندية وعن بعد تتناثر بقع سوداء غير منتظمة فوق البساط الأخضر الممتد في كل الاتجاهات وعند الاقتراب منها تكتشف أنها أكواخ صغيرة بنيت من أخشاب تلك المنطقة بناء هندسي بدائي بسيط . انها أكواخ للرعاة والأغنام التي ضلت طريقها يأوى اليها الرعاة الذين حالت ظروف عديدة بينهم وبين العودة الى اطراف المدينة ، وتأوى اليها الماشية والأغنام من برد الشتاء الثلجي .

وبالطبع ، فان رياضة التزلج على الثلج هي أكثر أنواع الرياضة انتشارا في هذا الوادي . يساعد على ذلك خلوه من المرتفعات أو المنحدرات الخطرة . الا ان لرياضة المشي ميزة خاصة في هذا الوادي ،وخصوصا في أيام الصيف والخريف ، حيث تسير المجموعات أو الأفراد في اتجاهات مختلفة تتقاطع وتتباعد أو تختفي داخل الغابات ليلتقي أغلبها بعد ذلك أو قبله في الفندق السياحي القائم في زاوية المثلث العليا من الوادي فمن بعده الغابات ومن جانبه تنفرج أطراف الوادي بشكل متدرج ، لتصل الى الجبال أو الغابات المحيطة .

ورغم أن هذا الفندق قائم منذ مدة طويلة ، إلا أنه أصبح أكثر شهرة بعد شهر يونيو / حزيران عام ١٩٨٣ ، حين زار البابا البولندي يوحنا بولس الثاني موطنه . وطلب من السلطات السماح له بالذهاب الى وادي « خوخووفسكا » حيث كان يمارس رياضة المشي وتسلق الجبال في أيام شبابه ، عندما كان كاردنيالا لتلك المنطقة قبل ترشيحه لمنصب البابا ، وهناك ، صلى في الكنيسة الصغيرة القائمة بجانب الفندق ثم طلب لقاء « ليخ فاليسا » زعيم النقابات البولندية المستقلة « تضامن » الذي كان قد افرج عنه من سجنه الانفرادي . وهناك حدث لقاء تاريخي بين



خريطة بولندا وتبدو مدينة زاكوبانه في أقصى الجنوب البولندي .

البابا وفاليسا لمدة لا تزيد على ربع الساعة . ولكنها كانت دقائق غير عادية ، فبعد انتهاء اللقاء طيرت وكالات الأنباء العالمية خبرا مفاده أن هذا اللقاء قد تمخض عن انتهاء المستقبل السياسي لواحدة من اكثر الشخصيات اثارة للجدل في بولندا والعالم . فقد أخبر البابا فاليسا انه ليس باستطاعته الاستمرار في دعمه بقوة كما حدث حتى تلك اللحظة .

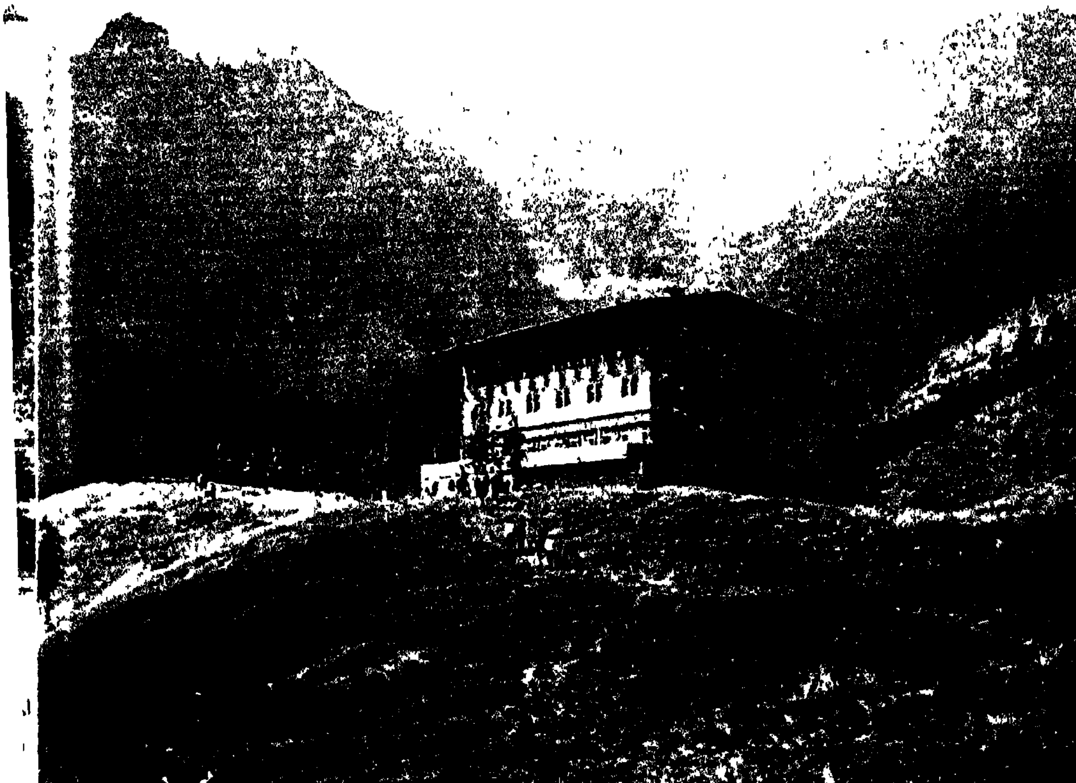
واليوم ، يرى الزائرون لوحة برونزية تؤرخ لزيارة البابا تتصدر المدق المذكور . وعلى بعد امتار تقف لوحة في بداية احدى الطرق المؤدية من أعلى الوادي الى الجبال المحيطة عبر الغابات كتب عليها « ممر البابا يوحنا بولس الثاني » .

وهكذا كان من قبيل المفارقة الدرامية أن تشهد هذه المنطقة ذات الجمال الاخاذ ، نهاية أسطورة سياسية ، على يد اسطورة اخرى شهدت نفس المنطقة بداياتها تكونها قبل تألق نجمها ، ونعني بها شخصية البابا التي لا تقل اثارة للجدل عن ليخ فاليسا .

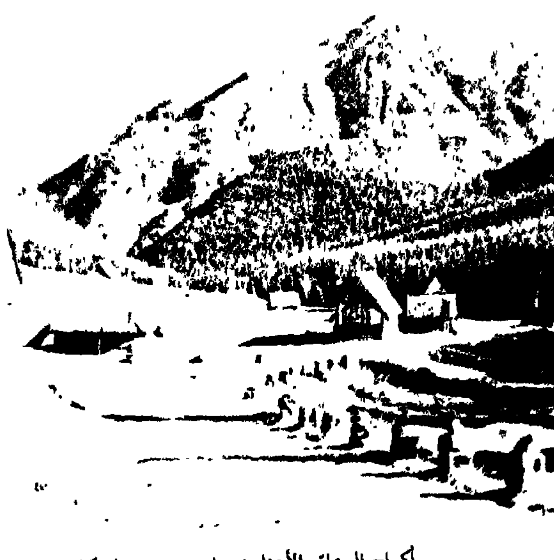
انهار بلا أسماء

بصعود الطريق الموازي لنهر ربيي بوتوك يمكن الوصول الى قمة « ريسي » . وهي العليا في بولندا كلها ، اذ يبلغ ارتفاعها ٢٤٩٩ مترا فوق سطح البحر . ولكن قبل الوصول الى تلك القمة عليك السير في محاذاة الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية مسافة طويلة قبل الوصول الى موقف عام للسيارات لا يسمح لها بتجاوزه ، وذلك للحفاظ على الطبيعة وحمايتها من التلوث الذي يسببه غاز العادم . ومن تلك النقطة على الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية ينطلق الباص في شارع متعرج مليء بالمنحنيات الحادة والمنعطفات الخطرة ليشق الغابات الكثيفة التي تغطي الجبال المحيطة . وبعد ساعة من السير الصعب يصل الباص آخر نقطة يسمح له بها ، لتبدأ بعد ذلك رحلة سير على الاقدام لمسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات بقليل . وعلى جانب الطريق المحاذي لنهر ربيي بوتوك الذي يفصل بين الدولتين الاشتراكيتين يقف سكان تلك المنطقة من الجبليين بملابسهم المزركشة وقبعاتهم السوداء يبيعون منتجاتهم من المصنوعات اليدوية .

وربيي بوتوك هو أحد الانهار الكثيرة التي تنبع من قمم الجبال لتسير في الوديان نحو مصبها . لكن لهذا النهر اسم ومعظمها انهار بلا اسماء . وفي الافق بين صفي الاشجار التي تحف بالشارع ، تطل عليك بين الحين والآخر احدى قمم الجبال في تلك المنطقة تتميز



ـ الفندق السياحي تحيط به الجبال الشاهقة



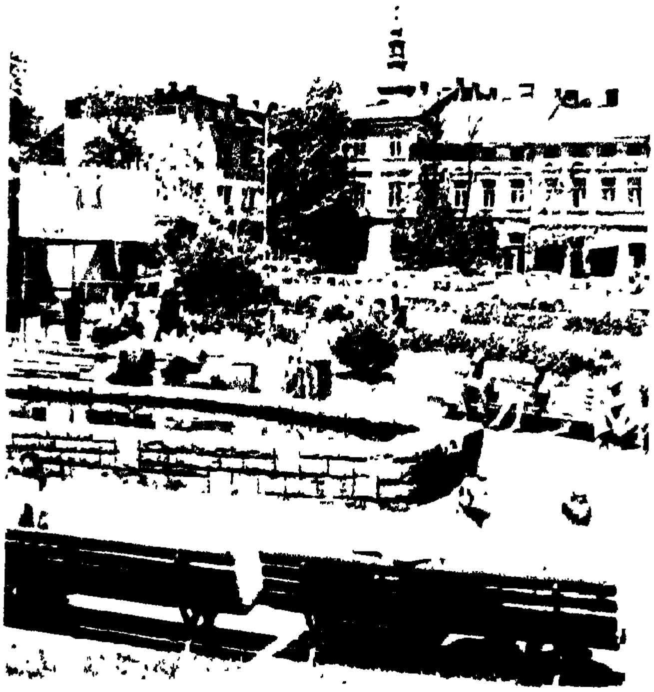
ـ أكواخ الرعاة والأغنام في وادي حوحووفسكا وعن بعد بدت قمة كامبينارسكي



ـ عشاق رياضة السير على الأقدام يسيرون فوق الطرق المرصوفة بين الغابات



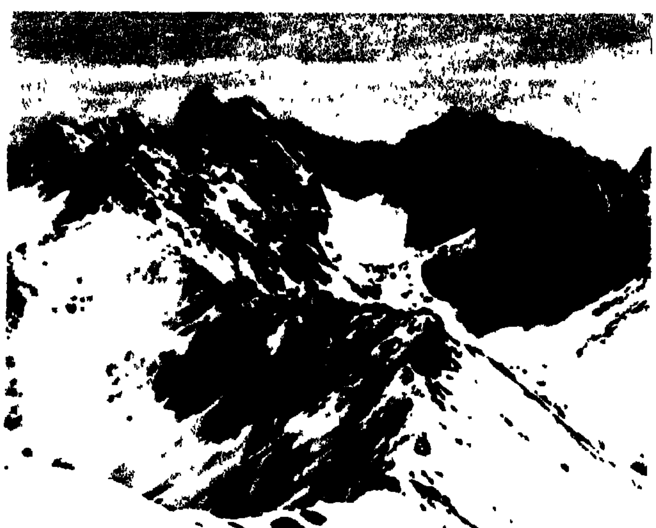
ـ الفندق السياحي في حوحووفسكا الذي شهد نهاية المستقبل السياسي لزعيم النقابات البولندية ليح فاليسا .



ـ الساحة الرئيسية في مدينة سوق تارج



ـ كنيسة خشبية في راكوبانه



ـ مشهد لقمة « ريسي » في الشتاء ، أعلى قمم بولندا وارتفاعها ٢٤٤٩ مترا

بشدة انحدارها والرأس المدبب لقمتها ، مما يذكرك بغطاء رأس الرهبان المميز ، انها احدى القمم العديدة التي تحيط ببحيرة « مورسكى اوكو » الشهيرة التي تقصدها مع الجموع السائرة على ضفة النهر الهادر عن يسارك ، وتدهش بعد ذلك حين تعرف ان اسم هذه القمة التي شاغلتك طوال الطريق هو قمة « منيخ » أي « الراهب » .

اسطورة عين البحر :

بوصولك الى مورسكى اوكو يخالجك الشعور بأنك في منطقة تختلف عن كل ماشاهدت حتى تلك اللحظة في منطقة الجبال .

وبحيرة «مورسكى أوكو» التي أعطت المنطقة اسمها هي واحدة من عدة بحيرات تتناثر في تلك المنطقة المرتفعة ، لكنها الأكثر شهرة . فهي الكبرى بين تلك البحيرات ، والثانية من حيث كمية الماء الذي تحتويه بين ضفافها،وهي الرابعة من حيث العمق . اذ تقع على ارتفاع ١٣٩٣ مترا فوق سطح البحر ، وتبلغ مساحتها نحو ٣٥ هكتارا ، الا ان عمقها يبلغ نحو ٦٠ مترا ، وهو عمق كبير جدا مقارنة بالمساحة الصغيرة التي تنتشر فوقها . وقد أدت تلك الظواهر الغريبة الى نسج الاساطير حول هذه البحيرة منذ القديم . وأهم واشهر تلك الاساطير هو الذي منح البحيرة اسمها « مورسكى أوكو » وتعني « عين البحر » . وتقول الاسطورة إن هذه البحيرة الشاهقة التي تقع في أقصى نقطة في جنوب بولندا تتصل عبر ممر مائي بالبحر الاسود في اقصى الشمال . وماهي الا عين لذلك البحر البعيد . وهي اسطورة ترمز الى وحدة الاراضي البولندية التي كثيرا ما انتهكت من جانب جيرانها عبر التاريخ . كما انها من جهة اخرى محاولة بدائية لتفسير ظاهرة جغرافية معقدة بالنسبة للوعي السائد في تلك الايام

بين الخرافة والموسيقا :

وقد حيرت « مورسكى أوكو » العلماء وجذبت السياح زمنا طويلا قبل اكتشاف الحقيقة بشأنها عام ١٧٩٢ على يدي استاذ التاريخ الطبيعي في جامعة لفوف « يان كازيميربج » . فقد اختلطت - ولـ[illegible] الاسطورة بالخرافة بالحقائق العلمية طويلا مما جـ[illegible] الأكثر شهرة بين البحيرات العديدة المنتشرة بين الجبال .

ففي سنة ١٧٢١ نشر غابرييل جاسينسكي ، وهو عالم طبيعي وشاعر كتابا امتلأ بالخرافات والاساطير ، بل والهراء . فقد جاء فيه مثلا مايلي :

« ومن الغريب أن توجد في أعلى اجزاء جبال القرباط بحيرات عظيمة تدعى اكبرها مورسكى اوكو (عين البحر) ، حيث يعثر المرء على حطام للسفن ومن المحتمل ان يكون هذا الحطام قد انجرف الى هنا عبر ممر غامض تحت الارض » . وبعد ذلك بسنوات كتب بنيد كت خميلوفسكي كتابا اسماه « اثينا الجديدة » أو « اكاديمية كل العلوم » تضخمت فيه هذه الخرافات الى حد غير معقول ، فقد ذكر فيه مثلا عن وجود بعض حيوانات « الشامو » التي لاتستخدم ارجلها في الحركة ، بل تستخدم قرونها في التنقل بين اغصان الشجر والصخور » .

ولكن هذه الخرافات بدأت في التلاشي مع افواج السياح وعلماء الطبيعة ومتسلقي الجبال الذين اكتشفوا البحيرة وقاسوا عمقها ، وبدأو في اكتشاف الجبال الشاهقة المحيطة بها على التوالي،لكن سحر مورسكو أوكو لم يتبدد باكتشاف هذه البحيرة المدهشة ، بل بقيت وحيا للكثير من الشعراء والكتاب والروائيين والموسيقيين والرسامين الذين صاغوا شعرهم من وحي سحرها ، ورسموها في اعمالهم الفنية بخلفيتها الغنية بجمالها ، أو استوحوا منها قطعا موسيقية جميلة . بل ان مشاهد درامية كاملة في قصص وروايات ومسرحيات بولندية تتخذ من بانوراما مورسكى أوكو خلفية لها .

الا ان اسم « مورسكى أوكو » ارتبط بشكل وثيق بشاعر بولندا الكبير آدم اسنيك الذي كتب هو الآخر مجموعة من السوناتات حول البحيرة أيضا . وقد [illegible] في احدى مقاطع هذه السوناتات في وصف البحيرة :

« فوق جدار من الغابات /عصرتها الجـ[illegible] العظيمة / التي استدارت حولها / تعكس [illegible] المعتمة لبحيرة داكنة/للعالم الساكن بين الصخور .



بحيرة مورسكى اوكو فى لقطة من ضفة بحيرة تشارني ستاف

البركة السوداء :

ولا تذكر بحيرة مورسكى أوكـو الا وتذكـر معها بحيرة تعلوهـا بنحـو ١٨٧ متـرا تـدعى « تشـارني ستاف » وهو اسم تشترك فيه عدة بحيرات في تلك المنطقة ، لكن هذه هي الاكثر شهرة بينها لقربها من « مورسكى أوكو » وتشارني ستاف وهي كلمة تعنى « البركة السوداء » تقع في طرف سلسلة القمم الغربية التي تبدو كالأبراج حول بحيرة « مورسكى أوكو » . ويمكن الصعود اليها عبر طريق وعرة متعرجة . ورغم قصر المسافة النسبي بين البحيرتين والذي لايزيد على ١٨٧ مترا الا ان الزمن الذي تستغرقه الرحلة المضنية يزيد على الساعة .

ومن ضفة تلك البحيرة تجد نفسك في مواجهة أعلى قمم بولندا « ريسى » التي يفصلك عنها حاجـز من الصخور المستديرة الضخمة ، وقد بنت بينها غابات صغيرة من أشجار الصوبر القزمة التي عجزت عن النمو بفعل الرياح والثلوج والامطار .

ورغم ان مساحـة بحيرة تشـارني ستاف لاتساوي نصف مساحـة مورسكي أوكـو ، الا انها اعمق منها ، اد يبلغ عمقها نحو ٧٦ مترا ، وقد كانت هذه المنطقة الجميلة-التي اشتهرت في البداية لكـونها غنية بالمعادن الكامنة في باطنهاموضع نزاعات حدودية متتالية مع الامبراطورية الهنغارية النمسـاوية ، التي كانت تضم تشيكوسلوفاكيا منذ نهاية القرن السادس عشر ، ولم ينته الا عام ١٩٠٢ .

ادباء وسياسيون وثوريون :

وبـالطبـع فان نـزاع الحدود هـو احـد اشكـال الصراعات السياسية التي عاشتها أوروبا ولم تنته منها الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . ولم يكن النزاع الحدودي الذي ذكرناه حول « مورسكى أوكو » غير واحد من نزاعات عديدة شهدتها منطقة الجبال البولندية عموما ، ربما كان اكثرها دموية فترة الاحتلال النازي الذي اعتبرها ارضا المانية ، واعاد تسمية بعض المدن باسماء المانية . فقد كانت النمسا انذاك جزءا من الرايخ الألماني الثالث . وحسب هذا المنطق فقد اعتبر هذا الجـزء من بولنـدا الذي كـان ضمن مستعمرات النمسا السابقة جزءا من الرايـخ الثالث هو الآخر .

لكن النزاع الحدودي لم يكن اكثر من شكل من أشكال الاضطرابات السياسية التي اتخذت في بعض الاحيـان شكلا دمـويـا صبـغ سهـول وجبـال تلك المنطقة .

فمن بين انتفاضات وطنية وشعبية عديدة قامت في انحاء متفرقة من بولندا عبر تاريخها ، شهدت المنطقة

ماعرف بانتفاضة خوخووف عام ١٨٤٦ ، حيث هاجم الفلاحون المراكز الحدودية النمسوية ودمروها ، ثم امتدت الانتفاضة من خوخووف لتشمل مدن فيتوف وتسيخي وخيابيش وزاكوباسة ونوورونين ، أي معظم مدن وقرى المنطقة في الجبال والسهول ، وقد قمعت هذه الانتفاضة بوحشية من جانب السلطات في ذلك الوقت .

ومع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي أخذ العنف الحدودي أو المسلح يتحول شيئا فشيئا ليأخذ شكل الكفاح السياسي والثقافي ، الذي يلازم في العادة انبعاث الشعور الوطني ، وبدايات تبلور الهوية القومية التي عانت بولندا من محاولات طمسها ، ربما اكثر من أي بلد أوروبي آخر

ولمدينة نورنين التي تقع في السهول على ارتفاع ٧٤٣ مترا عن سطح البحر موقع خاص في تاريخ الكفاح السياسي الثقافي ، الذي تكلل باستقلال بولندا عن كل من روسيا القيصرية ، وجزئيا عن المانيا عام ١٩١٨ فقد عاش في هذه المدينة ، أو تردد عليها عدد من ألمع شعراء وكتاب وسياسيي بولندا .

وربما كان أشهرهم الشاعر فوادیسواف اوركان و « يان كاسبروفيتش » الشاعر الذي سبق ذكره والشاعرة آنييلا غوت ستاسيسكا » وهي شاعرة شعبية عاشت بين ١٨٩٤ - ١٩٥٤ ، وكتبت الكثير من الأشعار حول المنطقة

كما عاش في نوروبين العديد من الثوريين الروس الملاحقين من جانب القيصر ، اهمهم زعيم الثورة الاشتراكية الروسية فلاديمير لينين الذي عاش هناك بين ١٩١٣ و ١٩١٤ ، حيث قبض عليه بتهمة التجسس ، وأودع السجن الى أن اطلق سراحه بعد تدخل بعض السياسيين من النواب في البرلمان النمسوي عن المنطقة ، وبعد تدخل من جانب الشاعرين اوركان وكاسبروفيتش تحت الوساطة وخرج من السجن ليغادر بعد ذلك الى سويسرا . وقد تحول المنزل الذي عاش فيه لينين الى متحف صغير في تلك المدينة الجميلة ، بعد أن كان فندقا صغيرا أثناء اقامة لينين فيه .

العنف يغير لون السهول

لكن ملحمة العنف والكفاح الحقيقية سطرت اثناء الاحتلال النازي لبولندا الذي استمر من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ . حين دخلت الجيوش الهتلرية المنطقة وبدأت أعمال القمع والاعتقالات لتصب في جوف معسكرات الاعتقال النازية . ومن جانب آخر تصاعدت أعمال المقاومة من أشكالها البسيطة الأولى ، مثل توزيع المنشورات التي تحرض على الثورة والهروب الى تكوين عصابات الأنصار ، لتنتقل بعد ذلك الى أشكال أكثر فعالية تمثلت في تكوين فرع « اتحاد الكفاح المسلح » ، وكان ذلك عام ١٩٤٠ أي بعد مضي اشهر قليلة على الاحتلال النازي . وقد ذكر « فواديميرش فلك » في كتابه « الكفاح السري في القمم » ، ان سكان خوخووف أعادوا أمجاد آبائهم الذين قاموا بانتفاضة ١٨٤٦ ، وكرروا بطولاتهم أثناء فترة الاحتلال ، لكنهم دفعوا ثمنا افدح من ذلك الذي دفعه أسلافهم » فقد كان العدو أشرس مما لا يقاس

وخلال تلك الفترة ساهم السياسيون والمثقفون ورجال المقاومة في اصدار الصحف والنشرات السرية التحريضية وكان الاعدام أو الرمي بالرصاص أو الارسال الى معسكرات الاعتقال مصير الخلايا الثورية التي تكتشف وهو ما حدث عام ١٩٤٢ عندما اكتشفت الخلية السرية الرئيسية التي كانت تنسق أعمال المقاومة هناك . ولم ترتفع المعاناة عن سكان منطقة الجبال الا بعد تحرير بلادهم من الجيش الهتلري عام ١٩٤٥ . لكن ذلك لم يمنع وقوع حوادث متفرقة في تلك المنطقة ، خصوصا بعد اعلان قانون الطوارىء في بولندا في ديسمبر ١٩٨١ ، فقد قبض على العديد من الزعماء المنتمين لنقابات العمال المستقلة (تضامن) الفارين . وهم يحاولون اجتياز الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية هربا من المطاردة ولكن جاء اللقاء الشهير بين البابا يوحنا بولس وليخ فاليسا زعيم « تضامن » ، ليكون آخر الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة الجبال البولندية ، التي تختزل فوق قممها وخلال غاباتها وفوق سهولها تاريخا من الأساطير والخرافات و... السياسي والمسلح لم يفلح في تشويه الجمال ا... لتلك المنطقة الفريدة من بولندا .

وجهاً لوجه





الشاعرة ● الشاعر

ملك عبد العزيز فاروق شوشة

وهذه الرحلة مع عقل ووجدان الشاعرة ملك عبد العزيز محاولة للتعرف على أبعاد عالمها الشعرى وعناصره ومكوناته ، ورؤيتها للعديد من القضايا والمشكلات التى يطرحها الواقع الشعرى والادبي الراهن،يصحبها فيها شاعر من جيل الشباب ، واكب الشعر الحديث وأسهم فيه اسهاما طيبا .

● كانت هناك ضغوط اجتماعية تجنبتها باللجوء الى الرمز .

● يرجع الفضل في إشاعة مصطلح الشعر المهموس الى الدكتور مندور .

● أنا أكتب الشعر بفطرتي أكثر مما أكتبه من حصيلتى الثقافية .

تنتمي الشاعرة ملك عبد العزيز الى جيل الشاعرات العربيات الرائدات . نازك الملائكة وس... الخضراءوفدوىطوقانويتميز صوتها من بينهن بظاهرة الهمس الشعرى ، والمزج الفني المحكم بين هموم ال... وهموم المجتمع في معادلة ناجحة ومحكمة .

ومن خلال دواوينها الشعرية المتتابعة ، أغاني الصبا . وقال المساء ، وبحر الصمت ، وأن ألمس ... الأشياء ، وأغنيات الليل ، تحققت معالم رحلتها الشعرية ، التي بدأتها ، وهي ما تزال طالبة في كلية الا... بجامعة القاهرة ، تتلقى العلم على يد أستاذها الناقد الراحل الدكتور محمد مندور ، والذى اقترن بها فص... شريكة حياته الحافلة والممتلئة بالنضال الفكرى والنقدي والسياسي ، مما كان له أعمق التأثير في عالمها الشعر... ووجدانها الثرى المرهف .

وللشاعرة ملك عبد العزيز مشاركات ذاتية في النشاط الثقافي والأدبي في مصر ، من خلال المتا... الصحفية والمحافل الأدبية والشعرية ، كما أنها مثلت مصر في العديد من المؤتمرات الثقافية والمهرجا... الشعرية ، وهي الآن عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر ، ولها جهدها الموفور وحضور... المؤثر في نشاط هذه اللجنة الدائب خلال الأعوام الأخيرة .

أما الشاعر فاروق شوشة الذى أجرى هذا الحوار فهو أحد الأصوات الشعرية من جيل الشعراء ، أمل دنقل ومحمد عفيفي مطر ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وقد صدرت له خمس مجموعات شعرية هي : الى مسافرة ـ العيون المحترقة ـ لؤلؤة في القلب ـ في انتظار مالا يجيء ـ الدائرة المحكمة ، بالاضافة الى عدد من الدراسات الادبية والنقدية في مقدمتها ، لغتنا الجميلة ، ومشكلات المعاصرة ـ العلاج بالشعر ـ وأحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي ـ وأحلى ٢٠ قصيدة في الحب الالهى

وهو المدير العام للبرامج الثقافية باذاعة القاهرة ، وأستاذ الالقاء والتذوق الأدبي في كلية الاعلام بجامعة القاهرة

المكونات الأولى

● نبدأ من البداية : المكونات الاولى للشاعرة ملك عبد العزيز التى صنعت وصاغت وجدانها الشعرى ، وخلفيتها الثقافية . . .

ـ المنبع الأول لتكوينى الشعرى هو الشعر العربي القديم . بدأت رحلتى معه في سن مبكرة جدا قبل الدراسة الثانوية التى كانت تبدأ فى أيامنا في سن الثانية عشرة . قبل هذه المرحلة كنت أستمع الى أخوتي الكبار يقرأون المحفوظات الشعرية ، وكانت موسيقا الشعر تلفتنى اليه . وأذكر اننى في طفولتي كنت ا... بشعف كل النماذج الموجودة فى كتب المحفوظات ... المقطوعات المقررة فقط ، وأعى بعض المقطوع... التى تروقنى . واستطعت فى هذه السن المبكرة أن ا... كتب اخوتى الكبار ، بما فيها من نماذج الشعر الجا... والشعر العباسي

وفى السنة الاولى من المرحلة الثانوية بدأ لقا... المدرسى مع مختارات من الشعر الجاهلى والعص... الاسلامى ، على مستوى كبير من الجودة ، وعر... طريقى الى الشعر ، وتفجرت في اعماقى تلك الم... الشعرية . واكتسبت الحس اللغوى ، والاحسا... بالموسيقا الشعرية .

وفي الجامعة اتسعت آفاقى ، واصبحت أك... اتصالا بالشعر الأجنبي ، وفي ذلك الوقت أعجـ... بنوع خاص بالشاعر الانجليزي وردزورت الـ... يتميز بعشقه للطبيعة ، واعتقد اننى فى شعرى احتـ... كثيرا بالطبيعة ، وفى سنوات الدراسة الجامعية كا... هناك جمعية تسمى « التعاون الفكرى » كان را... المرحوم الدكتور محمد مندور ، لكنه لم يكن رئيسـ... وقد فكر فى انشائها أحد الطلبة هو المرحوم محمد... العزيز اسحاق . كانت هذه الجمعية عظيمة الف... لنا جميعا ، لان كلا من أعضائها إذا قرأ كتابا أعجـ... قصيدة أعجبته ، فلا بد أن يشرك الآخرين فى ... ومدارستها ، وعن طريق هذه الجمعية عرفنا ا... مندور بأشعار الفرنسيين الذين كانوا يمثلون أ...

التجديد فى ذلك الوقت ، مثل رامبو وفيرلين وبودلير وفاليرى . . ثم عرفنا أيضا بشعراء المهجر . هذا التعريف المزدوج ، مع اتساع الافاق نتيجة الاتصال بالثقافة الأجنبية اعطاني القدرة على التعبير الذى كنت عاجزة عنه من قبل ، وهو التعبير عن المشاعر الخفية المرهفة وليس المشاعر الواضحة او ذات اللون الواضح الصارخ ، كما جعلنى اقدر على استخدام الرمز (ن) بعد أن كان الشعر ينصب مباشرة ويستنفد ذاته فى كلمات قليلة .

● دراستك الأساسية فى كلية الآداب كانت فى قسم اللغة العربية ، وكانت عميقة الاتصال بالأدب العربي والثقافة العربية . ماذا أضافت اليك هذه المرحلة من الدراسة ؟

ـ هذه الدراسة فى الحقيقة جعلتنى أصل الى الاصول الشعرية التى لم تكن على مقربة منى من قبل ، فقد بدأت التعامل مع دواوين القدماء ذاتها ، ولا أكتفى بالنمادج او المختارات او الشذرات الموجودة فى كتب الأدب العامة . وفى تلك الفترة تعرفت تعرفا حقيقيا على الأدب الجاهلى وأحببته ، لانه أصدق كثيرا من شعر العصور التالية له ، التى أصبح الشعراء فيها يحاولون تقليده دون أن يصلوا الى صفاته وأصالته . وكان هذا كسبا عظيما لي تمثل فى الاحساس باللغة احساسا كاملا ، بطبيعتها وصورها وموسيقاها وفنها الأصيل .

● مع بداية التعبير عن ذاتك الشاعرة من خلال قصائدك وعالمك الشعرى الخاص ، هل كنت تحسين بلون ما من القيود أو الخطر على مشاعرك وأحاسيسك ، فى وقت لم يكن صدر المجتمع يتسع لهذا الافضاء والتعبير ؟

ـ طبعا كانت هناك ضغوط اجتماعية شديدة ، حتى وان لم تكن مباشرة ، فأنا كنت استشعرها فى داخلى ، ومن هنا فقد كان الرمز مخرجا لي في الخروج من هذه الحيرة او صعوبة التعبير ، وفى نفس الوقت يبدو أنها طبيعتى أنى الى حد ما الجأ الى التجربة ، بمعنى أنى لا اتحدث عن الحدث ، ولكن عن الموقف الذى صنعه الحدث ، أو المشاعر التى فجرها الحدث . وهذا كان ينجينى اجتماعيا الى حد كبير ، وان كان فى الوقت نفسه اسلوبا فنيا وجدت نفسي فيه .

إضافات مندور

● على ذكر الناقد الراحل الدكتور محمد مندور الذى برز فى هذه الفترة من حياتك الجامعية كأستاذ ومعلم ورائد واب روحى لجمعية التعاون الفكرى ، ثم تحولت هذه العلاقة وتطورت بين الاستاذ وتلميذته الى رفقة حياة خصبة ومثمرة .
ماذا اضاف اليك الاقتراب من عالم الدكتور مندور كتلميذة وزوجة ورفيقة حياة ؟

ـ كان اعظم ما اضافه اليّ ان موارد الأدب ـ بفضله ـ اصبحت قريبة منى ، كتب الشعر الفرنسي والانجليزى مثلا فى مكتبته الحافلة ، بالاضافة الى دوره كملهم لشباب الجامعة فى سنوات الدراسة ، عندما كانوا يتحلقون حوله من خلال اهتماماتهم بشتى ألوان الفنون ، فالدكتور مندور كان موسوعيا ، ولم تكن ثقافته محصورة فى الأدب العربي أو الادب الفرنسي ، أو حتى الادب اليوناني ، وانما كان على صلة عميقة بتاريخ الموسيقا والفن والحضارة ، وكانت ثقافته المتشعبة جدا تجذب اليه الشباب ، الذى كان يعاملهم كأبنائه ثم كاخوته .

الهمس فى الشعر

● كيف ترين امتداده واستمراره فى تلاميذه من بعده ، نقاد وفنانى ومثقفى هذا الجيل ؟

ـ فى الواقع من الصعب التحديد فى هذا المجال . لكنى اعتقد ان كثيرين قد تأثروا بدعوته الى الهمس فى الشعر ، ثم بدعوته الى الاحتفال بالأثر الاجتماعى ، وأحسب أنهم قد تأثروا به بصورة واضحة ، سواء منهم الذين تتلمذوا عليه بطريقة مباشرة أو غير

مباشرة ، وهم منتشرون الآن فى وزارة الثقافة وفى المسارح وفى الاذاعة وفى التليفزيون ، وأثرهم واضح فى النهضة الثقافية .

● من بين اهتمامات الدكتور مندور النقدية كان اهتمامه الأساسي بالشعر ، واليه يرجع الفضل فى اشاعة مصطلح الشعر المهموس او الهامس . . والتصقت بشعرك هذه التسمية على نحو خاص - هل توافقين على هذه التسمية وهل ترين فيها الصفة الرئيسية والمميزة لعالمك الشعرى ؟

- كان الدكتور مندور يقصد بالهمس الصدق . . الصدق الانسانى ثم بالطبع الصدق الفنى ، من هذه الناحية يمكن ان يقال ان شعرى ينطبق عليه هذا المفهوم .

اما اذا فسر الأخرون مصطلح الهمس على انه النبرة الخافتة فليس كل شعرى نبرة خافتة . . هناك قصائد فيها عنف ، ولكن فيها الصدق الذى قصده الدكتور مندور ايضا . واعتقد أن قصيدة « أخي » لميخائيل نعيمة التى اختارها كنموذج للشعر المهموس لم يكن بها همس بالمعنى اللغوى ، اى لم تكن هادئة تماما ، وانما كانت تمتلىء بثورة مكبوتة أو مضغوطة . . فالاساس فى الهمس هو الصدق ، لا مجرد النبرة الخافتة كرد فعل للخطابية أو النبرة الزاعقة . . والذى أثار الدكتور مندور ليس شيوع الخطابية فى مجمل الشعر العربي ، وانما تحول هذه الخطابية فى كتابات المتأخرين الى رنين خاو . . . هى عند المتنبى كانت تعكس موقفا ، او تعكس فكرا ، اما عند هؤلاء المتأخرين المقلدين فقد أصبحت مجرد الفاظ خاوية لا تعكس احساسا صادقا ولا فكرا ، ومن هنا كان الدكتور مندور يرفضها ، وقد أعلن فى كتاباته الاولى صراحة انه معجب بشعر المتنبى وشعر فيكتور هيجو وكلاهما شعره خطابي . . لكنه شعر رائع على الرغم من هذه الخطابية ، اما ما شاع فى عصرنا الحديث من الشعر الخطابي الأجوف فقد أثاره ، وأراد أن ننتقل الى مرحلة حضارية نتخاطب فيها بصوت أقل جهارة وأكثر صدقا

● هذه فرصة لنعرف ما لم يكتبه الدكتور مندور عن شعر الشاعرة ملك عبد العزيز . . . ماذا كان رأيه فى شعرك وتقييمه لرحلتك الشعرية ؟ خاصة وهو لم يسجله فى مقال أو كتاب ؟

- فى الحقيقة كان رأيه بشكل عام أنه شعر جيد ، لكنه لم ينقده نقدا تطبيقيا . وأذكر أنه فى كتابه « فن الشعر » . . استشهد بقصيدتى « ذكرى جواد » الموجودة فى ديوانى الاول « أغانى الصبا » . . على انها نموذج لامتزاج النَفَس الوجدانى بالنَفَس القومى ، وقال إنها من أجمل ما قرأه من شعر .

لكنه لم يتوقف بالتحليل أو الدراسة لشعرى الا فى مقال كتبه لجريدة الجمهورية على صورة حوار بينى وبينه . . وللاسف لا تسعفنى الذاكرة الآن بما جاء فيه من آراء وانطباعات . . .

وللامانة والتاريخ ، لقد كنت أنا وراء ابتعاده عن الكتابة عن شعرى ، وكان اصرارى هذا مبعثه الا يظن أحد أنه يجاملنى بالكتابة عنى وانا زوجته وأم أولاده . . ، وانه غير محايد كما هو مفروض فى النقد . . . .

الدواوين الخمسة

● لو عكفنا الآن على تأمل رحلتك الشعرية من خلال دواوينك الخمسة المتتابعة . . ما هو رد الفعل عند صدور ديوانك الاول « اغانى الصبا » ؟

- قوبل الديوان مقابلة حسنة لا بأس بها ، لكن الذى أثر فيّ كثيرا ، ان سيدة لا أعرفها قرأت الديوان وجاءت لتحيينى على قصيدة بعينها اعطتها أملا فى الحياة ورغبة فى المقاومة والصمود أمام الصعاب .

فى الحقيقة لقد خجلت من نفسي ، وشعرت بمسئولية الشاعر أو الكاتب بأكثر مما كنت اتصور

وبدأت اتساءل هل فيما كتبته - غير هذه القصيدة - ما يعطى أملا للناس أم أنه مجرد تعبير ذاتى عن نفسى ولا يقدم ما قدمته هذه القصيدة ؟

● فى هذا الوقت كان المجتمع الأدبي يموج بمفاهيم ودعاوى مختلفة . الفن للمجتمع والفن للفن . . الأدب الملتزم وغير الملتزم . وبدايات الكتابة الواقعية . .
أنت كشاعرة وسط كل هذه الدعاوى . اين كان موقفك وانتماؤك ؟

ـ فى الحقيقة أنا كشاعرة أكتب بفطرتى أكثر مما اكتب من حصيلتى للثقافة ، طبعا الشاعر لا يمكن أن ينعزل عن الحياة ، لكن ما معنى الحياة ؟ ، البعض ينظر اليها نظرة ضيقة على أنها عالم السياسة وعالم الاقتصاد ، وآخرون ينظرون اليها نظرة شاملة على أنها كل ما يعنى الانسان ، والانسان تعنيه اشياء كثيرة فى الاقتصاد والسياسة والحب والحزن ـ وغيرها ، واعتقد انى أقرب الى النظرة الواسعة . .

● هل ثمة تغير فى موقف ورؤية الشاعرة ملك عبد العزيز عن حدود هذه النظرة التى صاحبتها فى البداية ؟ ما الذى طرأ بعد رحلة التعبير الطويلة والثرية والمعاناة المستمرة القاسية ؟

ـ ربما عندما أخرج من ذاتى كشاعرة وأنظر اليها كناقدة ، أجد الأشياء الخاصة ـ هناك الرغبة او الدعوة الى العدل والمحبة والسلام مثلا ـ الدعوة الى رفض الجدران سواء الجدران المادية او تلك التى تقوم بين الناس، والرغبة فى الأخوة والالتحام بالناس والمحبة بين البشر هذه أشياء أقصدها ولكنها ترددت فى شعرى

● المتابعون لك يعرفون أنك فى طليعة من يمثلون الفكر الانسانى التقدمى . لا تضنين بالمشاركة السياسية والانتماء والارتباط بقضايا الناس وهمومهم ، وما يحقق مصلحة المجتمع . . هذا الانتماء ملمح أساسى من ملامحك ، كيف انعكس لديك شعرا ؟

ـ انعكس انعكاسا تلقائيا عندما يكون هناك موقف او قضية انسانية أو سياسية أو وطنية ، فمن الطبيعى أن أجد نفسى وهى تعبر عن بعض هذه المواقف ، لكنى لا اقصر نفسى على شىء . ولكنى بطبيعتى أنفعل بما ينفعل به من يعيش فى هذا الوطن . ولا بد اذن من مشاركة ، وشعرى بالاضافة الى نشاطى الاجتماعى أو السياسي ، كل منهما فى الواقع يكمل الآخر ، ويؤدى مالا يؤديه الآخر من دور بمفرده

● كيف تم ارتباطك كشاعرة ـ ونحن ما زلنا فى اطار ديوانك الأول أغانى الصبا ـ بصورة القصيدة الشعرية الجديدة ، قصيدة الشعر الجديد او الشعر الحر ؟ متى احسست ان هذه الصيغة الشعرية هى مجالك التعبيرى الدائم والمستمر ؟

ـ فى هذا الديوان الأول تصرفات كثيرة فى القصيدة العمودية ، فهى لم تجىء على الصورة التقليدية تماما ، انما جاءت فيها التنويعات والتوزيعات التى ابتدعتها مدرسة المهجر وجماعة أبوللو ، وداخل هذه التنويعات كانت لى تنويعاتى انا الخاصة ، فكنت أراوح بين الأشطر طولا وقصرا بحسب الاحساس النفسى والفنى ، ولم يكن هذا مقصودا ولكنى تركته للتلقائية . وهناك قصائد لو تركتها تكتب بالشكل الحر لكانت حرة لان بها اختلافات فى الايقاعات والصيغ الموسيقية .

وفى نهاية دراستى الجامعية ، وجدت نفسى « اكتب بالطريقة الجديدة دون ان أجرؤ على أن أتم شيئا ، شعرت أن هذا خطأ أو ليس صوابا . ثم حدث أن توقفت وانقطعت فترة عن الشعر بعد زواجى مباشرة وشغلت بالحياة المنزلية ، وعندما عدت الى الشعر كانت هذه المدرسة الجديدة قد انتشرت وثبتت اركانها وتأكدت ، فوجدت نفسى بالطبيعة أكتب على هذه الصورة . . . .

واقع الشعر الحديث

● كيف ترين الآن حاضر الشعر الجديد بعد حوالى خمس وثلاثين سنة من بداياته ؟ وما هو تقييمك لواقع هذه الحركة الشعرية الراهن ؟

ـ اعتقد ان الشعر الجديد سيظل كما قدر له من البداية طبقا للصيغة والقواعد التي أرساها رواده . وألاحظ أن البعض الآن يكتبون نثرا ، أنا لا أوافق على هذه الكتابات ، واعتقد ان الموسيقا عنصر أساسي في الشعر ، لانها ليست مجرد حلية او ايقاع اضافي ، ولكنها جزء من التعبير عن النفس تعجز عنه الألفاظ .

قصيدة النثر هذه ربما اعتبرتها فنا أدبيا غير الشعر اذا تكاثفت فيها الصور بحيث تعوضها بعض ما تفقده من فقر الموسيقا وترتفع بها عن الكلام العادي ، ولكن هذا قليل ونادر فيما يسمى قصيدة النثر . وهذه السهولة ـ باعتبارها نثرا ـ تدعو الكثيرين الى كتابة أي شيء وتسميه شعرا .

● ما رأيك فيما يثار حول حركة الشعر الجديد من بعض الأصوات المتشائمة التي ترى ان روافد الحركة قد أخذت تجف وتدخل في مضيق ، ووقعت أجيالها الجديدة في الغموض والسطحية والضعف الموسيقي والعروضي واللغوي . . ؟

ـ هناك الآن من الشعراء من يتابعون الحركة كما بدأت على أيدي شعرائها الرواد ، وبعضهم شعره جيد ، وان كانت وسائل النشر لم تبرزهم ولم تعطهم حقهم على الساحة . . أسماء بعضهم معروفة والاخرى تغترب وهكذا ، ولكن هناك بعض الأسماء التي يمكن أن نحترمها بالنسبة للشباب الذين يكتبون بهذه الطريقة .

وهناك تيار جديد أغرق في الغموض ، بحيث أصبح كأنما يحدث نفسه ، وقد قرأت بعض هذا الانتاج ، وهناك درجات ومستويات من الغموض من الممكن تقبلها ، لأنها قد توحي بشيء ، وأنا أتقبل هذا ، وان لم أفهم فهما مباشرا ، لان القصيدة قد تعلو الى جو بعينه ، ولكني احيانا اخرى أعجز عن أن اجد هذا الجو ، وابذل جهدا كبيرا يضنيني ثم لا اصل الى شيء . . هذا ارفضه تماما . .

عن شعراء السبعينيات

● هذه فرصة لأسألك الرأي بما يسمى الآن بالانتاج الشعري لجيل السبعينيات . . وحتى الثمانينيات ، هذا الجيل الذي يملأ انتاجه الصحف والمجلات ، ونماذجه هي المسئولة عن اعطاء فكرة عن واقع الشعر الجديد بالنسبة للقارىء العام . . باعتبارها الأكثر انتشارا ودورانا . . .

ـ الواقع أن شعراء السبعينيات الذين نطلق عليهم هذا اللقب هم جماعتان بعينهما . . ربما كانتا أعلى صوتا وأكثر ضجيجا . . ولكن لا ينفي هذا وجود شعراء آخرين أقل ضجيجا ، ولكنهم يسيرون على السمت الصحيح . اتيح لي في العام الماضي أن أحضر مهرجان الشعر في بغداد وكان به شعراء شباب من كل أرجاء الوطن العربي ، ووجدت أن الأكثرية تكتب بالاسلوب السليم أو الطريقة الصحيحة ربما هناك بعض أخطاء لغوية أو عروضية في بعض الحالات ، لكن هذا يمكن تداركه بالدراسة . .

وهناك تجارب شعرية ناضجة تماما وتخلو من هذه الأخطاء . . الأقلية فقط هي التي تكتب بالطريقة الغامضة الملغزة .

● ماذا تقصدين بتعبير : الاسلوب السليم او الطريقة الصحيحة في كتابة القصيدة الجديدة ؟

ـ اقصد الاسلوب الذي الفناه منذ ظهرت هذه المدرسة .

● الم يحدث عليه تغيير أو تطور ؟ هل الشعراء الجدد الآن يكتبون بطريقة نازك والسياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وغيرهم من الرواد ؟

ـ طبعا هناك الآن رمزية أكثر وغموض أكثر . ولكن مع ذلك ، نستطيع أن نقول أنها امتداد طبيعي لما سبق ، أما الامتداد الملغز فهو الذي أرفضه ، وإذا كنت ـ وانا المتمرسة بكتابة الشعر وقراءته منذ العمر الباكر حتى الآن ـ لا أجد تواصلا بيني وبين هذا الشعر ، فما بالنا بالقارىء العادي .

● ماذا عن ديوانك الثاني « قال المساء » ؟

ـ هذا الديوان يمثلني في أواسط الثلاثينيات من العمر ، وأحسست أنني لم أنجز ما كنت أحلم به في طفولتي ، من أن أكون شاعرة معطية ، فأحسست بشيء من الأسى أو الالم أو ما هو أكثر من الأسى . فالمساء هنا هو مساء العمر ، عمري أنا ، فانا أسائل نفسي : قال المساء ما صنعت في نهارك الطويل ؟

من هنا جاءت تسمية المساء ، باعتبارها ذات دلالة رمزية .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « بحر الصمت » ؟

ـ هو الزمن . هذه أجدى المسائل التي وجدت أنها تشغلني ، طبعا لم اتعمد أن أكتب فيها ، لكن وجدت أنها تشغلني حتى من سن الصبا ، حيث لا يفترض في الانسان أن يلتفت الى الزمن ، لكني كنت أشعر . دائما أن الزمن يحطم الأشياء ، والناس تتحطم بينما هو باق وسرمدي ، وكل اللحظات الجميلة تنتهي ، لذلك لي قصائد كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع ، من زوايا وجوانب مختلفة . والزمن في تصوري كائن جبار قوي ممتد من الأزل الى الأبد ، يحتوينا ويغنينا ويحتوي كل شيء ويفنيه ، ونحن باعتبارنا نحاول الخروج من أسره أو التغلب عليه ، نلوذ بالفن ، بالكتابة ، بالتعبير . . بينما يحاول الانسان العادي أن يخرج من هذا الاسر بالحلم ، بالعالم الآخر أو الحياة الباقية الخالدة . . فالانسان لا يتقبل أبدا فكرة فنائه ، وانما هو يحلم دائما بعالم مستمر .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « أن ألمس قلب الأشياء » ؟

هذه هي الفكرة الثانية التي تعنيني ، وهي الا تكون العلاقات بين البشر سطحية أو نفعية ، وانما أن يكون هناك التحام صادق قوي بين الناس ، وعلاقات حميمة دائمة . واحساسي فقط ليس إزاء الناس ، وانما أيضا ازاء الطبيعة فلست أشعر بأني جزء منفصل عنها ، وانما أنا جزء ملتحم بها ، ومن هذا المنطلق اتحدث من خلالها .

● وديوانك الخامس : أُغنيات الليل ؟

هل الليل هنا ايضا له مدلول رمزي ؟

ـ الطبيعة عندي دائما ممتزجة باشياء اخرى ، كما يحدث في الفن السيريالي«الرجل الجبل او المرأة الشجرة ، فدائما يمتزج الانسان بالطبيعة في كل واحد . وربما كانت الروح الرومانتيكية جوالة تسيطر على جو هذا الديوان . كل ما هنالك ان الفن التشكيلي يعطينا الاحساس دفعة واحدة ، اما الشعر فيعطينا الاحساس درجة بعد درجة وكلمة بعد كلمة وصورة بعد صورة ، فهو اكثر امتدادا في الزمان . ولقد كنت اتمنى لو كنت موسيقية بدلا من كوني شاعرة ، لان الموسيقا فن تجريدي صرف يستطيع ان يعبر عن كافة الخلجات التي لا يستطيع الفكر ان يترجمها باللغة . ومهما جردنا هذه اللغة وحاولنا جعلها شفافة وطائرة فهي في النهاية مدلول عقلي ، بما يؤدي الى الاحساس بالعجز .

زحمة الاهتمامات والشواغل التي يعيشها المجتمع العربي الآن،ما هو احساسك ورؤيتك لوضع الشاعر في هذا المجتمع ؟ ومدى اهتمام الآخرين بمتابعته ؟

ـ زحمة الاحداث لا تترك فرصة لمتابعة الفنون الراقية ، ولكن مع ذلك عندما تقدم هذه الفنون للناس بالفعل فانهم يقبلون عليها ، واعتقد ان وسائل الاعلام عليها مسئولية كبيرة،ولها تأثير كبير في هذا المجال .

● سؤال آخر عن رأي الشاعرة ملك عبدالعزيز في رفيقات دربها الشعري من الشاعرات العربيات الكبيرات : نازك الملائكة وفدوى طوقان وسلمى الخضراء .

ـ نازك يغلب عليها عالم الاستبطان الذاتي والتأمل الداخلي ، وهي تبرع في هذا براعة كبرى .

فدوى مغنية للمشاعر الانسانية في طلاقة وبهجة ، حتى اشعارها الحزينة تعطينا الاحساس بالبهجة ، لانها صادقة ومنطلقة .

سلمى هي اكثر تعمقا ورمزية من سابقتيها . . ربما ، وقادرة على خلق الصور الجديدة الممتازة . □



التدخين

هـذا المبيـد البشـري

بقلم الدكتور : بدوي بدران*

« كل سيجارة تدخنها تدق مسمارا في نعشك » عبارة تحولت الى كلمة يرددها الاطباء - والسيجارة بين شفاههم - وهم يؤكدون أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة . . ويتمثلون بأن محلول النيكوتين كان يستعمل في رش الحقول والمزروعات كمبيد حشري . . فهل آن للانسان ان يتخلص من هذا المبيد البشري . . ؟

إن أول الدلائل عن التدخين ترجع الى المؤرخ اليوناني هيرودتس والذي ألمح فيها أن بعض القبائل كانوا يستنشقون دخان بعض النباتات بعد حرقها .

ولكن اكتشاف التدخين يرجع الى اكتشاف امريكا عام ١٤٩٢ عندما لاحظ كولومبوس وجماعته أن سكان جزيرة قواتشان التي سميت فيما بعد « سان سلفادور » كانوا يحرقون نوعا معينا من النباتات ثم يجتمعون حوله ويأخذون باستنشاق دخانه بشغف وتلذذ ، وأن البعض كان يمضغ أوراق هذه النباتات ، التي سميت فيما بعد بالتبغ ، والتي أصبح يصنع منها فيما بعد لفائف السجائر .

وعندما رجع بعض البريطانيين المهاجرين من امريكا الى بلادهم ، أحضروا بذور هذه النبتة معهم وأخذوا يزرعونها ويصنعون منها السجائر .

أما نبتة التبغ فقد دخلت الى فرنسا لأول مرة عن طريق سفيرها في البرتغال جان - نيكو ، الذي نصح الملكة كاترينا ملكة فرنسا وأحد أبنائها باستعم... ومضغ أوراق التبغ لوجع الرأس . ومن هنا جاء... تسمية المادة السامة في التبغ بالنيكوتين نسبة الى هذ... السفير جان - نيكو .

وفي أواخر القرن السادس عشر وأوائل القر... السابع عشر أصبح التدخين ينتشر بسرعة في أورو... ومنها انتقل الى جميع أنحاء العالم .

انتشار التدخين :

التدخين أكثر العادات السيئة والضارة انتشارا ... الناس ، إذ تدل الاحصائيات على أن أكثر من نصف... الرجال ، وكذلك ما يقرب من ربع الناس في الد... يدخنون وبمقادير متفاوتة .

ففي بريطانيا تقدر نسبة المدخنين من الرج... بـ ٦٥٪ ومن النساء حوالي ٤٠٪ كذلك في امريكا ... نسبة المدخنين تبلغ حوالي ٦٠٪ من الرجال و ٥...

* الدكتور بدوي بدران نعيم اخصائي الامراض الداخلية والقلب . عمان - الاردن .



من النساء ، وتدل الاحصائيات على أنه حوالي (٢٨٠,٠٠٠) سيجارة يتم تدخينها كل دقيقة فما بالك كل ساعة أو في اليوم الواحد

وعادة التدخين تبدأ في سن الطفولة والمراهقة وفي سن الشباب . ومن أهم أسباب التدخين أن الأطفال والمراهقين يهوون تقليد من هم أكبر منهم سنا أو تقليد والديهم ، وعلى اعتبار أن التدخين نوع من المودة يجمع بين الأصدقاء ، كذلك فإن الذكور يبدأون التدخين في سن أبكر من الفتيات .

والسبب غير المباشر الذي يجعل المدخنين يولعون بالتدخين هو شعورهم بالانتعاش ، والاحساس بأن عقليتهم قد تنشطت ، وأن قدرتهم على العمل قد زادت ، ويأتي هذا الشعور نتيجة لتوسع شرايين الدماغ بسبب تأثير النيكوتين الموسع للشرايين ، والتحسن المؤقت للدورة الدموية في الدماغ لعدة دقائق . فيشعر المدخن بتحسن في مقدرته الذهنية وأن صداعه قد زال ، ولكن بعد فترة وجيزة ترجع هذه الشرايين للانقباض فتقل كمية الدم والاكسجين في الدماغ ، فيشعر المدخن من جديد بتعب وصداع مما يضطره الى تناول سيجارة أخرى وهكذا .

تركيب التبغ :

إن أوراق التبغ التي تصنع منها السجائر تتكون من العناصر الأساسية التالية :

ـ نيكوتين	١ ـ ٤٪
ـ مواد كربوهيدراتية	٢ ـ ٢٠٪
ـ بروتينات	١ ـ ١٣٪
ـ أحماض عضوية	٥ ـ ١٧٪
ـ زيوت طيارة	٠,١ ـ ١,٧٪

وعلى كمية هذه النسب تعتمد جودة التبغ ، وفي الأنواع الجيدة تكون نسبة المواد الكربوهيدراتية أكثر من البروتينات والعكس صحيح . أما نكهة التبغ فتعتمد على نوعية الزيوت الطيارة الموجودة فيه .

أما الدخان المتصاعد من السيجارة فيتكون من:ـ

نيكوتين وأول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون وأمونيا وزيوت طيارة وأحماض عضوية مثل : حامض الخليك ، حامض النمليك وحامض الكربوليك وغيرها . وكبريتيد الهيدروجين والساج (الشحبار) ومواد مشعة مثل البولونيوم والتي يرجع لها التأثير السرطاني على الجسم .

ويحسن الآن تناول كل من هذه المركبات ومعرفة آثارها :

● **النيكوتين :**

مادة سائلة عديمة اللون ، تتحول الى اللون البني القاتم بمجرد تعرضها للهواء ، وهي مادة سامة جدا ، حيث ان الجرعة القاتلة للانسان ، عبارة عن (ملغم/ كغم من وزن الانسان ، وهو ما يعادل قطرة ونصف من مادة النيكوتين) ، أي أنه لو أخذت كمية النيكوتين المستخلصة من ٢٠ سيجارة ومقدارها قطره ونصف تقريبا ، وأعطيت للانسان بشكل حقنه لقتلته ، وقد أعطيت هذه الجرعة فعلا لحصان فقتلته .

ولكن أثناء عملية التدخين يحترق النيكوتين ، ثم ينفخ مرة ثانية في الهواء ولا يبقى منه الا الجزء اليسير جدا في الرئتين ومنهما يدخل الى الجسم . والثابت أن

النيكوتين (محلول النيكوتين) كان يستعمل كمبيد حشري لرش الحقول والمزروعات وقد استعيض عنه اليوم بمواد أكثر فاعلية وأسهل استعمالا .

● **أول أكسيد الكربون : CO**

هو المادة الثانية ، السامة جدا في الدخان وينتج عن احتراق المواد العضوية احتراقا غير كامل ، وكان يستعمل في السابق من قبل الرومان والاغريق للانتحار وقتل الخصوم السياسيين ، واليه يرجع السبب في الاختناق من الفحم أو من مدافىء الكاز في الجو المحصور . .

إن أول أكسيد الكربون يتحد مع هيموجلوبين الدم مكونا كربواكسيد هيموجلبين Cohb ويمنع اتحاد هيموجلبين الدم بالاكسجين ، وان اتحاد أول اكسيد الكربون بالهيموجلبين أقوى (٢١٠) مرات من الاكسجين . والموت يحدث عنه اتحاد أول اكسيد الكربون مع ٧٠ - ٨٠٪ من الدم .

أما التسمم المزمن بأول اكسيد الكربون فيؤدي الى تلف الدماغ تدريجيا وما يتبع ذلك من تغيرات عقلية .

ومع دخول أول اكسيد الكربون باستمرار ، وبكميات قليلة في جسم الانسان ينتج التسمم المزمن ، والذي يؤدي بدوره الى الارهاق الذهني والصداع والدوخة ، وضيق التنفس . .

● **الزيوت الطيارة : Volatile Oils**

وهي زيوت عطرية تتبخر دون أن تترك أثرا شحميا على الورق ، ومنها النافع ومنها السام . ونظرا لرائحتها الطيبة تستعمل بكثرة في العطور مثل زيت النعنع وزيت القرنفل ومنها .

Alcohol	Phenol	Esters
الكحول	الفينول	الأستر

وهي مختلفة كيميائيا .

وبعضها سام مثل : الترنتين Turpentine فـ ١٥ غم منه يسبب الوفاة بالاضافة الى أنها جميعا تسبب تهيج الأنسجة ، والسام منها يسبب تلف الكلى ، كذلك تسبب تورم الرئتين والدماغ .

● **الأمونيا : غاز النشادر NH_3**

وهو غاز قلوي الطعم يعمل على تهيج الأنسجة المخاطية في الفم والحلق والقصبات الهوائية .

● **المواد المشعة : البولونيوم PO^{210}**

واليها يرجع التأثير السرطاني للتدخين كما سـ [illegible] فيما بعد .

تأثير التدخين على صحة الانسان :

بعدما سبق من معلومات عن مركبات التبغ يصبح من السهل فهم تأثير هذه العناصر على جسم الانسان منفردة أو متحدة ، فجميع الاحصائيات والابحاث الطبية تدل على أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة ، والأمثلة كثيرة وعديدة .

والامراض التي لها علاقة بالتدخين هي :

١ - سرطان الرئتين والحلق والشفتين .
٢ - التهاب القصبات الهوائية المزمن .
٣ - تصلب الشرايين بشكل عام وشرايين القلب بشكل خاص .
٤ - قرحة المعدة والاثنى عشر .
٥ - أثناء الحمل : زيادة نسبة الطروحات ، كذلك انخفاض وزن الاطفال عن المعدل الطبيعي .
٦ - تسوس الأسنان وغيرها من الامراض .

وللتدخين تأثير على جميع الجسم ، وللتسهيل والتوضيح نأخذ تأثيره على أجهزة الجسم كل على حدة .

أولا : تأثير التدخين على الجهاز العصبي :

إن الجهاز العصبي أكثر أجهزة الجسم حساسية للتدخين ، ولما كان الجهاز العصبي هو الجهاز المسيطر والمنظم لجميع أجهزة الجسم الاخرى ، فبطبيعة الحال سوف تتأثر جميع هذه الأجهزة ، فتسمم الجسم بمختلف مركبات الدخان ، يشعر الانسان بالدوخان والارهاق الذهني وعدم التركيز والتوتر العصبي والصداع ، وكلها ناتجة عن تقلص الأوعية الدموية في الدماغ ، وهو ما يؤدي بالتالي الى نقص في كمية الاكسجين والدم اللازم للدماغ ، كذلك النيكوتين يؤثر على أعصاب السمع والبصر والذوق ويضعفها فمثلا المدخنون لا يحبون الأشياء الحلوة ولا يتذوقونها بسبب ضعف حاسة الذوق في اللسان ، والناتجة عن تأثير النيكوتين المباشر على اللسان .

ثانيا : تأثير التدخين على الجهاز التنفسي :

لما كان تأثير التدخين مباشرة على الجهاز التنفـ

وعلى الفم ، فان ذلك يؤدي بدوره الى تهيج الأنسجة المخاطية المبطنة لهذه الأعضاء مما يجعل الفم والحلق والقصبات الهوائية عرضة للأمراض المزمنة ، كذلك فان تأثيره على الأوتار الصوتية يجعل الصوت خشنا .

المعروف أن حرق ١كغم من التبغ يؤدي الى تكوين ٥٠ غم من السناج . ولو اعتبرنا أن معدل ما يدخنه الشخص في اليوم الواحد ٢٥ سيجارة ، وأن معدل وزن السيجارة ٢غم فبطريقة حسابية .

٢٥ × ٢ = ٥٠ غم تبغ في اليوم الواحد

٥٠ × ٣٠ = ١٥٠٠ غم تبغ في الشهر

$\frac{١٥٠٠ \times ٥٠}{١٠٠٠}$ = ٧٥غم سناج معدل ما يمر في الرئتين في الشهر الواحد .

وطوال سنوات التدخين يترسب قسم من هذه المواد في الرئتين ويعطيها اللون الأسود ، كذلك يؤدي الى تصلب الرئتين ثم الى نقص في مرونتها ، مما يؤدي الى نقص في وظيفة الرئتين ، وما يتبع ذلك من نقص في كمية الاكسجين اللازمة للجسم

ثالثا : تأثير التدخين على القلب والدورة الدموية .

المعروف علميا وعمليا أن التدخين يزيد من تسارع ضربات القلب بمعدل ١٠ ـ ٢٠ ضربة في الدقيقة ، ولما كان معدل ما يضخه القلب في الدقيقة ٥ لترات زيادة ، فمعنى ذلك أن القلب يضخ زيادة لترا واحدا عند المدخنين في الدقيقة أي ٦٠ لترا في الساعة .

أي ٦٠ × ٢٤ = ١٤٤٠ لترا في اليوم الواحد،وكذلك يؤدي التدخين الى ارتفاع ضغط الدم بمعدل ٢٠ ـ ٢٥٪ حيث دلت التجارب العلمية على الحيوانات أن التدخين يؤدي الى زيادة افراز هرمونات الغدة الفوق كلوية Cotocho lamines التي بدورها تؤدي الى انقباض الأوعية الدموية والى ارتفاع ضغط الدم ، هذا بالاضافة الى أن ارتفاع ضغط الدم عبارة عن ثقل زائد على القلب ، كما أن التدخين عامل أساسي في تصلب شرايين القلب كما سيأتي فيما بعد ، وبذلك يكون تأثير التدخين على القلب .

ـ زيادة الضربات . وهذا يؤدي الى اجهاد القلب .

ـ ارتفاع ضغط الدم وهذا أيضا عبء كبير على القلب .

ـ تصلب شرايين القلب وما يتبعه من ذبحة صدرية

ـ عدم انتظام ضربات القلب

رابعا : التدخين وتصلب الشرايين :

إن تصلب الشرايين عبارة عن تغيير في جدار الأوعية الدموية مما يفقدها مرونتها ، كذلك في الجدار الداخلي لهذه الأوعية مما يجعل هذا السطح خشنا ، مما يؤدي الى ترسب الدهون وأملاح الكالسيوم على هذا السطح ، والذي بدوره يؤدي الى تقرحاته ، وتضيق هذه الأوعية مما يعيق حركة الدم بداخلها ، ومما يزيد من امكانية تجلط الدم بداخل هذه الأوعية . وتصلب الشرايين يؤدي الى نقص في كمية الدم اللازمة للاعضاء مثل القلب والدماغ وغيرها ، وأحيانا الى جلطة هذه الأعضاء وغيرها من المضاعفات .

خامسا : التدخين وتأثيره على الجهاز الهضمي :

يبدأ تأثير التدخين مباشرة على تجويف الفم بما فيه من لسان وأسنان وحلق وبلعوم ، حيث أنه يلون الاسنان باللون الأسود ثم يجعلها خشنة مما يؤدي الى تشققها وبالتالي الى تسوسها ، كذلك يؤدي الى تهيج الغدد اللعابية ، ثم الى زيادة افرازها ، وهذا ما نلاحظه عند بعض المدخنين من كثرة البصاق .

كذلك دلت احصائيات منظمة الصحة العالمية أن سرطان الشفتين واللسان والحلق عند المدخنين يبلغ ٤ أضعاف منه عند غير المدخنين .

سادسا : التدخين وأثره على الغدد الصماء :

أثبتت الدراسات العلمية أن ١١٪ من الرجال الذين يعانون من ضعف جنسي هم عبارة عن مدمنين للتدخين ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى زيادة الدورة الشهرية عند النساء وعدم انتظامها . وهذه الأعراض قد لوحظت أيضا عند النساء اللواتي يعملن في مصانع التبغ وتعليب السجائر .

سابعا : التدخين وتأثيره على الأطفال :

مما سبق نلاحظ مدى خطورة التدخين على جسم الانسان البالغ ، فما بالك بمدى خطورته وضرره على جسم الطفل الذي في دور النمو .

فضرر التدخين يبدأ على الجنين أثناء فترة الحمل ، اذا كانت الام مدخنة ، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن نسبة الطروحات عند الامهات المدخنات اكثر بـ ٢ ـ ٣ مرات منه عند غير المدخنات ، كما يسبب التدخين الولادة المبكرة عند الحوامل ، وان وزن الأطفال يكون عادة أقل بـ ١٥٠ الى ٢٥٠غم من الوزن الطبيعي .

شكسبير وشهرزاد!



شكسبير

بقلم : الدكتور امين العيوطي

لقد بذلت جهود عديدة لتقصي مصادر اعمال شكسبير الأوروبية . اما احتمال ان يكون من بين هذه المصادر مصادر عربية فلم تحظ بالكثير من الاهتمام ، رغم وجود حقائق تاريخية وشواهد فنية تشير الى هذا الاحتمال ، وليس هذا المقال الا محاولة لاثارة هذا الموضوع .

في مسرحية (ترويض الشرسة) تبدأ الأحداث بمقدمة من مشهدين يقدم فيهما شكسبير شخصية سلامي . وسلامي هذا صعلوك تقلب في حرف مختلفة . فقد عمل بائعا متجولا ، واشتغل في صناعة امشاط المغازل ، وحارسا للدببة واخيرا سمكريا . وهو سكير مفلس دائما هكذا نلتقي به في بداية المقدمة ، وهو يشتبك مع صاحبة الحان ، لأنه لا يملك ثمن الأقداح التي عبها . ولا يلبث ان يغلبه السكر ، فيغط في نوم عميق امام الحان . على هذا الحال يعثر عليه السيد النبيل واعوانه وهم عائدون من رحلة صيد ، وينتهز السيد الفرصة ليتسلى به ، فيأمر بنقله الى فراش وثير في قصره،وتطييب رأسه القذر بالماء المقطر الدافيء ، ولفه بأفخر الأغطية الحريرية ، وتزيين أصابعه بالخواتم ، واعداد اشهى الأطعمة والفواكه له ، وان تقوم الحاشية بين يديه في افخر ثياب ، وأن يحمل احد الحراس طستا مملوءا بماء الورد ، والآخر ابريق م والثالث منشفة من الكتان ، وان يحرق البخور لي رائحة الغرفة ، وان تستعد فرقة موسيقية لعزف الانغام الساحرة حين يفيق ، وان يقنعه الجميع كان في غيبوبة طويلة لسنوات ، وأنه قد اسـ عافيته ، ويحدثوه عن كلاب صيده وجواده ، ويه له نواح زوجته لما اصابه ، وان يقوم ممثل من د التمثيل الجوالة بتمثيل دور الزوجة التي استبد الحزن على مرضه ، ويغرقه في حنانها ، وأن تعر عليه الفرقة تمثيلية (ترويض الشرسة) ويجري شيء كما دبر السيد تماما ، فيقتنع سلامي بانه عظيم شريف المنبت ، ويجلس ليستمتع بالعـ المسرحي ، وهو يعب الخمر بطبيعة الحال . حـ انتهى العرض حمله اثنان من الأتباع في زيه الأ وتركاه حيث كان امام الحان ، ليدخل ا فيوقظه ، ويقص عليه سلامي قصة الحلم ا



الذي رآه ليلة الأمس ، الذي كان يدور حول كيف افلح جلف قروي في ترويض زوجة مشاكسة ، حتى ان سلامي لا يخشى الآن العودة الى بيته ، ولا من لعنات روحته ونقارها فهو يعرف الآن كيف يروضها

المقارنة مع تراثنا :

وفي ألف ليلة وليلة ترد حكاية مشابهة اثارت خيال المسرحيين العرب ، فصاغها مارون النقاش في مسرحيته الهزلية (هارون الرشيد وابو الحسن المغفل) ، وتناولها سعد الله ونوس في (الملك هو الملك) ، كما نسج منها حسن يعقوب العلي مسرحيته (الثالث) . تقول هذه الحكاية ان الملل اصاب هارون الرشيد ذات ليلة ، فخرج مع وزيره جعفر والشاطر علي الزيبق وسيافه منصور ، ليتجولوا في بغداد متنكرين ، وفي مقهى للدراويش سمع الرشيد درويشا يتمنى لو انه حكم بغداد ثلاثة ايام فقط . واستهوت الفكرة خيال الرشيد ، فصمم على ان يحقق للدرويش امنيته . وهكذا ارسل اليه احد العيارين الذي بنّجه واتى به الى القصر ، حيث طلب الرشيد من الجميع ان يعاملوه كما لو كان الخليفة فعلا حين يفيق ، في حين ظل هو يراقب ما يفعله الرجل على امتداد الأيام الثلاثة .

أوجه الشبه بين الحكايتين تلفت النظر . هناك العلاقة بين رغبة كل من الرشيد والسيد النبيل ان يتسلى برجله، والدرويش في « الليالي » له نظيره الصعلوك في المسرحية . احدهما ويحمل وهو تحت تأثير المخدر والآخر يُوخذ وهو تحت تأثير الشراب . وكلاهما يمر بتجربة النائم اليقظان او حلم اليقظة ، ويكتمل لديه الوهم بانه اما خليفة او نبيل ، ويحقق في حلم يقظته مالايقدر عليه في الواقع . وفي الحالين يفيق النائم اليقظان من حلم يقظته ليعود الى سيرته الأولى ولعل هذا يطرح علينا سؤالا حول ما اذا كان هذا الشبه الدقيق كان مجرد صدفة ، او ان شكسبير اعتمد على بعض المصادر الشعبية الانجليزية ، كما كان يفعل دائما بمصادره الأدبية والتاريخية التي حولها الى تاريخيات وتراجيديات ، أو ان الف ليلة وليلة كانت المصدر الذي أخذ عنه .

تميل د . سهير القلماوي الى ان تنظر الى الأمر على انه مجرد تشابه بين قصص من الأدب الشعبي ، وان شكسبير في هذه المسرحية كان يتناول موضوعات لا تبلى ، وتقول في المقدمة التي كتبتها لترجمتها لمسرحية شكسبير ، ان موضوع المرأة الشرسة والزوج الذي يروضها باللين والقسوة والحيلة والقوة صورة خلدها الأدب الشعبي والقصص الديني ، كما انها من قصص الف ليلة وليلة ترد في قصة « الحمار والثور » وصاحب الزرع وكذلك المقدمة التي يظهر فيها سلامي الصعلوك .

ولذا فانها ترى ان تحقيق نسبة هذه المسرحية لشكسبير أعسر من المسرحيات الأخرى ذات الموضوع المبتكر غير المتداول . ومع ذلك يخوض النقاد في

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الدعاية والهواية

الدعاية إحدى الكلمات التي تظهر وتشيع بيننا منذ أواخر القرن الماضي ، مع نشوء الصحافة عندنا ، وربما ظهرت ترجمةً للكلمة الاوروبية Propaganda وقد تصدى لها بالانكار يومئذ بعض اللغويين المتشددين عندنا ، وأيد جلّهم إنكارها ، إذ كان من حظها أنها لم ترد في أشيع المعاجم المتاحة يومئذ وفي مقدمتها « القاموس المحيط » وما دونه من المعاجم المدرسية ، وبقيت مطاردة حتى تيسر لأحد اللغويين (وربما كان هو المرحوم معروف الرصافي) أن يصادفها فينتبه إليها ، لورودها في رسالة النبي - صلوات الله عليه - إلى هرقل عظيم الروم (ملكهم) حين دعاه إلى الاسلام ، وكان مما كتب إليه « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته ، ودعوته هي توحيد الله وتجنب الشرك به ، ومن هنا بدأ يشيع الاعتراف بفصاحتها ، بعد الاصرار على أن المصدر هو « دعاوة » ، التي يذكرها « القاموس » لا « دعاية »

ومن العجب أن يغفل عنها الباحثون ، ولا نقول « أن يجهلوها » لأنها واردة في كتب السيرة المحمدية ، وهذه الكتب منتشرة ، تقرأ تبركا أو تثقفا ، وقلما تخلو هذه الكتب من هذه الرسالة القصيرة التي تكاد تكون أشهر رسائل النبي إلى الرؤساء يدعوهم يومئذ إلى الاسلام ، وكثير يحفظونها ويغفلون عن هذه الكلمة فيها . ثم أنها واردة في معجم « لسان العرب » مع الفقرة التي وردت فيها من الرسالة ، فالمعترفون بفصاحتها يرون أنها مسموعة من الفصيحة .

لكن لنفرض أن « دعاية » لم تسمع في المأثور الفصيح من نص أو معجم ، فهل ننكرها ؟

رأيي إنها فصيحة قياسيا من عدة وجوه تتساند لعدّها فصيحة .

أولا : تذكر بعض المعاجم « دعَيْتُ » كما تذكر « دعَوْت » ، وإذن فلنا أن نقول : « دعيت دعاية » كما قيل في الفصيحة « حكيت حكاية » ، « ورويت رواية » ، « وسقيت سقاية » ، « وبريت براية » ، « وكفيت كفاية » . . . .

ثانيا : يذكر « لسان العرب » في مادة شكا أن مضارعه يشكو ، والمصدر شكوى ، وشكاوة وشكاية بقلب الواو ياء ، وينقل عن السيرافي قوله في ذلك « إنما قلبت واوه ياء لأن أكثر مصادر « فِعَالة » من المعتل إنما هو من قسم الياء نحو : الجراية والولاية والوصاية ، فحملت الشكاية عليها لقلة ذلك في الواو » ولهذا نقول لَوْ لَمْ يكن الفعل إلا واويا « دعوت دِعاوَة » لجاز لنا أن نقول قياسا على ذلك « دعوت دعاوة ودعاية » ونلاحظ أن الغالب في تصريف كلماتنا هو قلب الواو ياء .

الفعل « دعيت أو دعوت » صار مع ظهور
الإسلام يدل على مهمة مطردة تشبه الحرفة أو
الصناعة ، وسُمّي القائم بهذا العمل الداعي
أو الداعية والجمع دعاة ، وهناك قواعد مصادر
الفعل ، وفيها أن الفعل الثلاثي إذا دل على حرفة أو
صناعة كان مصدره على « فِعالة » مثل زراعة وتجارة
وحدادة . فاتباعا لذلك نقول « دعاية » دون
حرج

وللفعل « دعا » عدة مصادر متعددة المعاني ،
وتظهر الفروق في الاستعمال بحسب المقام ، ولكنها
تبدأ وتنتهي عند معنى النداء أو الاستدعاء مع
اختلاف المقامات .

وتكميلا هذه الاشارة الى تعدد معانى الفعل لنعود
الى كلمة « الدعاية » فنقول : انها كانت تعنى عمل
الداعى أو الداعية بصدق وأمانة ، ولكن شاب نقاءها
أخيرا شيء من الكدر ، فيقال مثلا فى كلام أو عمل
« انه دعاية » أى لا ثقة به لما يشوبه من غش أو
خداع ، وحلت محلها كلمة « اعلام » ، فلا يقال
الآن فى الهيئات أو المؤسسات التى تقوم للتعريف
بشيء الا أنها « للاعلام » ولا توصف إلا أنها
إعلامية ، ومن ذلك وزارات الاعلام فى الدول ،
ومثلها الهيئات والمؤسسات الأخر

وكان اللغويون المتشددون اذا نسبوا الى الكلمة
قالوا : « دعاويةّ » ترجمة لكلمة
Propagandism ، وأخيرا صاروا يقولون فى
النسب اليها « دعائية » ونحن نرى الأخيرة فصيحة
مع حداثتها ، فقديما كان فقهاؤنا يقسمون الفروض أو
الواجبات قسمين : فرض عين وهو ما لا بد أن يؤديه
كل شخص بنفسه ولا يجوز أن يوكل فيه غيره
كالصلاة ، وفرض كفاية وهو فرض اذا قام به بعض
الجماعة سقط عن الباقين كالجهاد فى سبيل الله بأوسع
معناه ، ومنه الجهاد دفاعا عن الوطن أو العرض أو
النفس أو المال ، وكانوا اذا نسبوا الى « الكفاية » قالوا
« فرض كفائى » فنقول قياسا على ذلك « عمل
دعائى » فى النسبة الى « الدعاية » .

هواية : ظهرت هذه الكلمة عندنا خلال هذا
القرن بعد ما انتشرت بيننا المدارس على النظام
الغربى ، ثم عرف ولاة الأمر أن الدروس المقررة ـ
وهى عامة إجبارية ـ لا تستجيب لكل مواهب
الطلاب المختلفة ، ورغباتهم على وفقها ، فعينوا
لذلك أوقاتا بين الدروس يمارسون فيها ما يرغبون من
أعمال فيقسمون جماعات بحسب الرغبة فى المواد :
كالموسيقا والرسم والخط والكهرباء والنساجة
والنجارة ، وتسمى الرغبة كما يسمى العمل الذى
يرضيها « هواية » ترجمة لكلمة hobby ، وقد يغير
الطالب هوايته ، أو يتحدها بعد ذلك حرفة . وقد
يتكسب منها أو لا يتكسب ، وتظل أيضا « هواية » .

وهواية مشتقة من الفعل هَوِى الشيء يهواه هوى
(مثل عمى يعمى عمى) أى أحبه فهى فى مزاولتها
الكثيرة تشبه المهنة ، فيكون وزن المصدر على فعالة .

والجذر « هوى » يختلف تصريف أفعاله
ومصادره ، فهناك فعل آخر غير ما سبق : « هوى
يهوى » (مثل بكى يبكى) ومصدره « هُوِيّ » و
« هَوِيّ » بمعنى السقوط أو الوقوع ، ويبدو لى أن هذا
هو المعنى الأصيل العام للجذر ، فهو يلاحظ فى كل
تصاريفه على اختلاف أوزانها ، فتختلف معانيها ،
ولكنها قريب من قريب كالإخوة ، حتى ان هوى
الشيء بمعنى أحبه تدل على السقوط فيه ، ومثل ذلك
الحب ، فإن معنى الجذر « ح ب ب » هو السقوط ،
يقال « حب الجمل » بمعنى « برك » ، وفى البروك
سقوط ، واذا برك الجمل كان المكان الذى يشغله
أوسع من مكانه واقفا ، ولهذا يدل « ب ر ك » على
التوسع ، ومنه « البركة » بمعنى السعة . □

لا تقلد سواك فى الدين فالتقليد عجزٌ ، والله اعطاك عقلا
تفكر فى الخلق تكشف خفايا ، لتسعى خلاله مستقلا

جماليات العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

أبو البنات

كل الأحياء تحب صغارها وتعطف عليها بالفطرة ، وهذه المحبة والعطف أظهر في الأحياء المتقدمة في التطور مع ظهور النزعة الاسرية فيها بين كل أبوين ، وهذا ما نراه في بعض الطيور والاحياء البحرية والبرية ، لحاجة الصغار الى فترة من الحضانة تعتمد فيها على أبويها قبل أن تعتمد على نفسها في المعيشة والحماية .

والشعور الأسري بين الابوين في البشر أشد ظهورا ولزوما ، لان الطفل البشري أشد عجزا من صغار سائر الأحياء ، لفترة أطول ، فهو أحوج الى حضانة طويلة لاتمام تربيته التي قد تمتد سنوات حتى بعد بلوغه الرشد ويحذرنا القرآن الكريم من تعريض صغارنا للاخطار المحظورة وغير المحظورة ، ومنها أن نترك لهم في ميراثهم منا عداوة أحد ، فينتقم منا في حياتنا أو بعدنا بالانتقام منهم ، فقال : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا » .

ومحبتنا لصغارنا تحمل كثيرا منا على أن يتجنب المخاطر ليبقى لحمايتهم بنفسه ، وعلى امساك المال ولو حين يجب بذله في بعض الحقوق ، خوفا عليهم من الفقر معه أو بعده ، وهو يحتمل في نفسه ما لا يحتمل فيهم من آلام ، وفي الاثر « الاولاد مجبنة مبخلة » اذ قد يحملون على الجبن غير الجبان ، أو على البخل غير البخيل .

وبناتنا أحوج من الابناء الى الحماية والعطف ، ولو لم يطلبنه ، فكيف وهنّ لضعفهن يطلبنه دائما بلسان الحال ، وأحيانا بلسان المقال ، وهن أشد بنا تمسكا . والانسان لا يشعر بكل ما في كيانه من رقة الانسانية وحنانها وأريحيتها ونجدتها الا مع صغاره ، ولا سيما بناته ، وهو أشد خشية عليهن من الضياع لفقد الحماية الشخصية والمالية في حياته وبعده .

وهذا الشعور الاخير هو محور المقطوعات الشعرية الثلاثة التي اخترناها هنا ، وأصحابها الثلاثة شعراء اسلاميون من العصر الأموي .

ولا نعرف المناسبة التي أوحت بكل من المقطوعتين الاوليين ، وان كان مثل هذا الشعر في غنى عن المناسبة ، وهما من « ديوان الحماسة لابي تمام » .

لإسحاق بن خَلَف

لولا «أميمة» لم أجزَعْ من العدَم
ولم أقاسِ الدُّجى في حِندِسِ الظُّلَمِ[١]
وزادني رغبةً في العيش معرفتي
أن اليتيمةَ يجفوها ذوو الرَّحِمِ
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُلمَّ بها
فيهتكُ الستر عن لحمٍ على وَضَمِ[٢]
تهوى حياتي، وأهوى موْتَها شفَقاً
والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ[٣]
أخشى فظاظةَ عمٍّ، أو جفاءَ أخٍ
وكنت أُبقي عليها من أذى الكَلِمِ

٢ ـ لحِطَّانَ بن المُعَلَّى

أنزلني الدهرُ على حُكمِهِ
من شامخٍ عالٍ الى خفضِ
وغالني الدهرُ بوفر الغِنى
فليس لي مالٌ سوى عِرْضي
أبكاني الدهرُ، ويا رُبّما
أضحكني يوماً بما يُرضي
لولا بُنيّاتٌ كزُغْبِ القطا
رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ[٤]
لكان لي مضطرَبٌ واسعٌ
في الارض ذات الطُّول والعَرضِ
وإنما أولادُنا بينَنَا
أكبادُنا تمشي على الأرض
لو هبَّتِ الريحُ على بعضِهِمْ
لامتنعت عَيْني من الغَمْضِ

٣ ـ لأبي خالد القَنائي

كان أبو خالد من أصدقاء قَطَريِّ بن الفُجاءة الذي كان من كبار قُوّاد الخوارج ضد الدولة الاموية، وكبار شجعانهم وشعرائهم، فكتب قطريٌّ اليه يدعوه للحرب معه، وأن لا عذرَ له في القعود عنها بين لصوصٍ وكفارٍ[٥]، فأجابه أبو خالد بهذه الأبيات (وهي من كتاب الكامل للمبرد).

لقد زاد الحياةَ اليَّ حُبّاً
بناتي، إنهنّ من الضِّعافِ
أحاذرُ أن يرَيْنَ الفقْرَ بعدي
وأن يشرَبْنَ رَنْقاً بعد صافِ[٦]
وأن يعْرَيْنَ إن كُسِيَ الجواري
فتنبو العينُ عن كرمٍ عِجافِ[٧]
ولولا ذاك قد سوَّمْتُ مُهْري
وفي الرَّحمن للضعفاءِ كافِ[٨]
أبانا، من لنا ان غِبْتَ عنّا
وصار الحيُّ بعدكَ في اختلافِ

---

(١) العدم الفقر. الدجى الظلام والمراد هنا ظلام النفس من الألم حندس الظلم شدة الظلمات
(٢) الوضم ما يوضع تحت اللحم من خشب ونحوه لوقاية من الأرض. وتركه لحما على وضم أوقعه في مذلة
(٣) الشفق هنا الشفقة. والحرم النساء
(٤) القطا طيور كالحمام بطيئة الخطوات. والزغب جمع أزغب، والزغب الشعر النامي على صغار الطير رددن من بعض الى بعض متقاربات في العمر
(٥) كانت حركة الخوارج أشبه في مبادئها بحركة «التكفير والهجرة» التي قامت في مصر في السنوات الاخيرة
(٦) الرنق من الماء ومن العيش هو الكدر. وعكسه الصافي
(٧) الجواري الفتيات. تنبو العين تنفر من سوء حالهن وهن الكريمات العزيزات
(٨) لولا ذاك لركبت حصاني وخرجت للقتال

رسالة القاهـــرة

ألف ليلة وليلة

بين التحقيق الأدبي والتحقيق الجنائي

بقلم : فاروق خورشيد

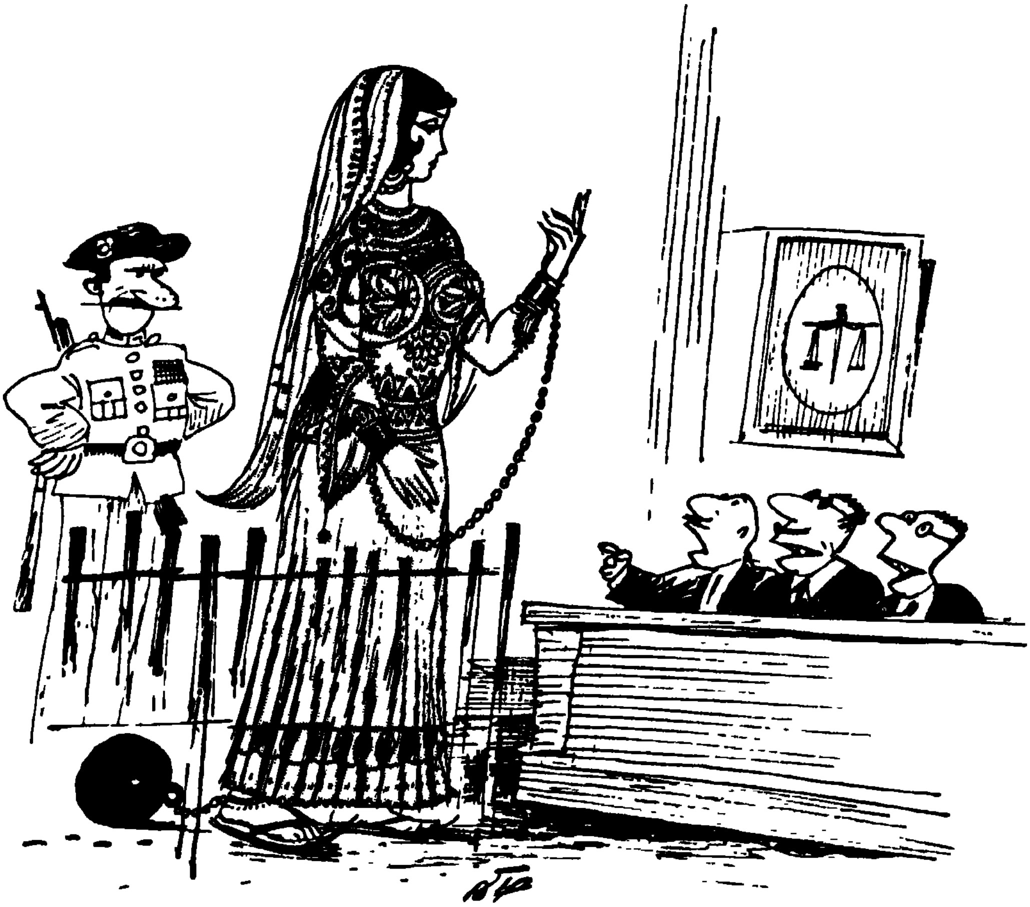
ألف ليلة وليلة في قفص الاتهام !!
فما هي التهمة ، ولماذا توجيه الاتهام الآن ، وما هي الحيثيات ؟
هناك عنوان كبير وخطير ووصمة وجهت الى الليالي اسمها « خدش الحياء العام » !
فما هذا الاتهام ؟ وهل يقوى على الصمود أمام « دخائر » الدفاع الكثيرة ؟

عادت ألف ليلة وليلة لتحتل مكان الصدارة من انتباه الحياة الأدبية من جديد وقد تعودنا أن تكون ألف ليلة وليلة الشغل الدائم لأجيال متتابعة من الدارسين والمبدعين على السواء

فعلى الرغم من صدور الدراسات العديدة عن هذا العمل الشعبي الأدبي ، الا أننا جميعا نسلم انه لم يحظ بعد بالكشف الكامل عن كل جوانبه الفنية والاجتماعية على السواء وعلى الرغم من استيحاء كبار الكتاب من مطلع عصر النهضة لشخصية شهرزاد نفسها وشخصيات ألف ليلة وليلة الأخرى الثرية وحكاياتها المتعددة الايحاءات والجوانب ، الا أننا نحس جميعا أننا لم نعرف من هذا الكنز ما فيه الكفاية من هنا كان من الطبيعي أن تظل ألف ليلة وليلة شغل الدارسين والمبدعين على السواء ولكن الغريب أن بروز ألف ليلة وليلة هذه الأيام الى بؤرة الانتباه تجاوز الدارسين والمبدعين ، بل تجاوز المثقفين من المهتمين بالحياة الأدبية ليصل الى شغل اهتمام رجل الشارع العادى وما كان هذا ليكون غريبا لو أن هذا البروز كان نتيجة تمثيلية تلفزيونية أو تمثيلية اذاعية واسعة الأثر والانتشار تقدم للجماهير هذه الأيام،وانما مصدر الغرابة كان في أن واقع الحياة نفسه حل محل التمثيلية التلفزيونية أو الاذاعية في هذا المجال وواقع الحياة وممارساتها هذه الأيام أصبح يحوى ما هو أكثر غرابة من خيال مؤلفي التمثيليات

القاء القبض على ألف ليلة وليلة !

فقد ألقي القبض على ألف ليلة وليلة نفسها وسيقت بكل نسخها التى عثر عليها الى السجن ، وتحرزت النسخ ، ووضعت في مكان أمين حتى لا



تحدث في المجتمع تأثيرا ضارا أثناء التحقيق معها أمام الشرطة وأمام النيابة بعد ذلك ، ثم أمام القضاء آخر الأمر . . وفى أول الأمر ، تحركت الأقلام للدفاع عن ألف ليلة ، وتحرك اتحاد الكتاب فدخل بصفته منتفعا بكتب التراث ، اذ ينص قانونه على الحصول على خمسة في المئة من حصيلة بيع كتبه ، كطرف في القضية .

واستشهدت الأقلام بما قدمته الاذاعة وما قدمته السينما وما قدمه المسرح وما قدمه التلفزيون من أعمال مقتبسة من ألف ليلة وليلة ، كما تحدثت هذه الأقلام عن جهود الكتاب والدارسين فى مصر والوطن العربي والعالم كله ، التى تركزت حول ألف ليلة وليلة ، لكن هذا كله لم يشفع للمتهم من أن يظل حبيس التحفظ وأن يقدم للنيابة فالقضاء . والتهمة قاسية هي ليست تهمة فكرية أو قضية رأى أو موقف مما كان جديرا بنص أدبي يمكن أن يقف من أجله فى قفص الاتهام دون خجل أو تحرج ، ولكن التهمة تمس الخلق . فتهمة « الليالى » أنها نص يروج للفساد بين النشء ويحض على الفسق والفجور ، وبهذه التهمة أخذ ناشران كبيران - سنا وعملا - وأودعا في السجن الى جوار مروجي الصور الفاضحة والأفلام الزرقاء . . وضابط البوليس المتحمس يرى أنه وحده الذى أدرك حقيقة ألف ليلة التى استترت على كل العقول والأفهام منذ أعرق مراحل التاريخ ، وحتى توصل هو وحده الى رفع القناع عن وجهها القبيح . . .

ترجمة . . ولغات عدة

ألف ليلة وليلة حدعت الكثيرين فعلا ، فقد ذُكرت منذ القرن الرابع الهجرى ، ذكرها ابن النديم في الفهرست ، والمسعودى في مروج الذهب ،

والمقرى في نفح الطيب ، ثم ترجمت الى التركية عام ١٦٣٦ وترجمت الى الفارسية عام ١٨١٤ ، وترجمت الى الاوردية والى الهندستانية عام ١٨٣٦ وبعد هذا ترجمت الى كل اللغات الشرقية المعاصرة . أما في الغرب فقد عرفها الفرنسيون على يد أنطوان جالان مترجم القرآن الكريم ، وتحتفظ المكتبة الأهلية في باريس بترجمته التي انتهى منها عام ١٧١٧ ، وترجمت هذه الترجمة الفرنسية الى كل لغات أوروبا . وتقول الدكتورة سهير القلماوي في دراستها عن ألف ليلة وليلة المنشورة عام ١٩٥٩ (وقامت الشعوب غير الفرنسية بنقل هذا الأثر الى لغاتها ، فترجمت الترجمة الفرنسية حتى انه لم يبق شعب تقريبا في أوروبا لم يترجم هذه الترجمة ـ ترجمت الى الانجليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية والهولندية والدانماركية والألمانية واليونانية والسويدية والروسية والبولندية والهنغارية ولاقت هذه التراجم جميعها نجاحا عظيما) الى هنا ينتهي حديث الدكتورة سهير القلماوي الذي جاء في رسالتها التي نالت عليها الدكتوراه تحت اشراف عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، وافتتحت بها الدراسات الأكاديمية لأدبنا الشعبي كله ، فما مرت سنوات حتى اصبح لهذا الأدب الشعبي كرسي أستاذية خاص به شغله الدكتور عبد الحميد يونس في جامعة القاهرة ، التي أدخلت الدراسات الشعبية في مناهجها في أقسام اللغة العربية وأقسام الاجتماع وحذت حذوها جامعات عربية متعددة

كل هذه الشعوب في الشرق والغرب لم تلتفت الى وجه الليالي القبيح ، حتى جاء ضابط شرطة نشط معرف حث الليالي ، وألقى القبض عليها متلبسة ثم أودعها السجن ، وألصق بها التهم التي أحدث بها النيابة وصححتها وزادت عليها من عندها حتى طالبت بالحكم عليها بالاعدام حرقا وهو حكم قرأنا عنه كثيرا في القرون الوسطى ، يطبق على الساحرات والكفرة والمشعوذين الذين تدينهم محاكم التفتيش الشهيرة

ثم قدمت ألف ليلة وليلة الى القضاء ، وكان على الأقلام أن تسكت فليس لأحد أن يتناول قضية معروضة أمام القضاء حتى لا يؤثر الحديث عنها على أحكام القضاة ، كما ليس لأحد أن يعقب على حكم يصدره القضاء حتى لا يفقد الحكم قيمته ، فمجال الطعن فيه أمام القضاء نفسه ، فقدسية القضاء تحتم الا تكون أحكامه مضغة في أفواه الناس ، أو مجالا لعقيباتهم وهكذا وقفت الليالي وحدها بلا محام أمام القضاء فإن المحامين الذين يترافعون في القضية إنما وكلهم الناشرون المتاجرون بها ، أو إتحاد الكتاب الذي يعتبر نفسه بحكم قانونه وريثهم الشرعي أما الليالي نفسها فلا يدافع عنها سوى وجودها الأدبي الشعبي ، ووجودها الأدبي التاريخي نفسه ، وما كان سيحدثنا عنها ترافع محام يعتمد على نصوص قانونية ، ولا تمتد معرفته بها الا الى حدود ذكريات قديمة من أحاديث الجدات أو ذكريات معاصرة من اطراف أحاديث بعض الكتب والأفلام والتمثيليات وهي التي دافع عنها على مر التاريخ العلماء والمستشرقون من أبناء كل الشعوب حين خصصوا سنوات من أعمارهم لترجمتها الى لغاتهم وتقديمها ذخيرة دسمة لتربية أذواق أممهم وشعوبهم من ألمانيا يدافع عنها فون هامر ١٨٢٨ وويل ١٨٤١ وهاسنج ١٨٩٦ وجريمه ١٩١٨ وليتمان ١٩١٨ ويدافع عنها من انجلترا سكوت ١٨١١ وتورنر ١٨٣٨ ولين ١٨٣٩ وبين ١٨٨٢ وبرتن ١٨٨٥ ويدافع عنها من الفرنسيين جالان الأشهر ومردوس بعده بقرنين وتريبوتين عام ١٨٢٨ كما يتقدم للدفاع عنها المستشرقون دي ساسي وشليجل وفون هامر واويسترون ولين وشوفان وليتمان وماكدونالد وبولدكه وشيجلرج وأحدهم وهو أويسترون الدانمركي حصل على اجازة الدكتوراه في بحثه الاستشراقي عن ألف ليلة وليلة ومن العرب الدكتورة سهير القلماوي التي رجعنا الى رسالتها في ذكر الباحثين السابقين عليها والدكتور طه حسين وأحمد حسن الزيات وجورجي زيدان والأب أنطون الصالحاني والشيخ أحمد بن محمود شيرواني اليماني والشيخ عبد الرحمن الصفتي الشرقاوي والدكتور محسن مهدي والدكتورة فريال غزولي ، وهؤلاء من الدارسين أما الذين استوحوها وكتبوا من واقع انفعالهم الفني بها ، واحساسهم بتراثها الفني فيتقدم للدفاع عنها الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وسيد قطب وعلي أحمد باكثير وكامل كيلاني وأحمد رشدي صالح والفريد فرج وطاهر أبو فاشا وأحمد بهجت

حمد سويلم ، وغير هؤلاء وأولئك كثيرون كما ـدم كورساكوف بصاحبته الرائعة شهرزاد يملأ بها ـبات المحكمة .

أعداء الأدب

احر الأمر أن ألف ليلة وليلة وقفت وحدها في قفص الاتهام تسمع بلاغة وكيل النيابة ، وحكم القاضي ونصمت هي ويتكلم هؤلاء فلا تعقيب حتى ايضا لا تملك التعقيب على القضية وحكم القضاء ومرافعة النيابة . ولكن التعقيب جاء في نفس وقت عرض القضية من أمريكا فقد حدث أن الأستاذ محسن مهدى أستاذ كرسى (جويت) للدراسات العربية بجامعة هارفارد كان يزور القاهرة في وقت وقوف الليالي في قفص الاتهام وقد جاءها ومعه نسخ محدودة من كتابه (ألف ليله وليلة من أصوله العربيه الأولى) الذى طبع في ليدن عام ١٩٨٤ ليقدمه لمجتمع القاهرة العلمى كآخر محاولة علميه قام بها عربى يدرس الأدب العربي في جامعة أمريكية للحصول على نسخة محققة ، أو نسخة (سند) من ألف ليلة وليلة وليس بعد هذا الدفاع دفاع

فهو لا يقدم دفاعا موضوعيا اذ يحقق الكتاب تحقيقا علميا وحسب ، وإنما هو يقدم دفاعا فنيا وخلقيا أيضا ، ان جاز استخدام هذه التعبيرات في مجال الفن والأدب ، اذ هو يصدر كتابه بفقرة مطولة ينقلها عن مقدمه كتاب (عيون الأخبار) الذى ألفه وكتب هذه الفقرة الامام الحافظ ابن قتيبة الدينورى وهذه الفقرة ليست دفاعا عن ألف ليلة ، فما كاد يكتب عن ألف ليله . وانما هى دفاع عن الابداع الأدبي خاصة ، وعن الانتاج الفنى بكل صورة بشكل عام وذلك من خلال دفاعه عن كتابه (عيون الأخبار) ضد المآخذ التى قد تؤخذ عليه ككتاب أدب وهى مآخذ قد يأخذها البعض على كل كتاب من كتب الأدب ، في كل لغة من لغات الأدب في العالم كله فللأدب أعداء في كل عصر وكل مصر تقصر نفوسهم عن الاستجابة له . وتخشن طباعهم فلا يحسون عطاءه . وتترمت عقولهم فلا يرون ما خلف الكلمات من معان . وما خلف المعانى من عطاء .

وما يهدف هذا العطاء اليه من إثراء النفس الأنسانية بكشفها وتعريتها في نبلها وزيفها على السواء وما يحققه هذا العطاء بتحرير النفس من قيودها ، فتعرف وجودها حين ترى التعبير الفنى عن هذا الوجود ، وتحطم قيدها الذى يشدها الى ريبها ، وتندفع باحثة عن صحتها وسوائها ، فتثرى الحياة وتعطى التقدم الحضارى المستمر

والامام ابن قتيبة يقسم أعداء الأدب الى عدة أنواع من الناس ، فمنهم المترمتون المؤثمون ومنهم المتصعبون ومنهم المتحذلقون وهؤلاء من أخلصوا العداء ، وعرفهم ابن قتيبة في عصره ، أما من كان عداؤ هم لغير ما يجدون في أنفسهم ، وبدافع من هوى خارجى فهم كثر وخصوصا في أيامنا هذه رحم الله ابن قتيبة فقد كان ينطلق من معنى الاخلاص في العداء الى معنى الاخلاص في الدفاع والبيان

وللمترمتين يقول ابن قتيبة الدينورى (وسينتهى بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الاشراف والأئمة فيها فاذا مر بك أيها المترمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به واعلم أنك ان كنت مستغنيا عنه بنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه توقى المترمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل اليه معك) . . ومعرفة المذهب في المزاح والفكاهة تعنى أن المسألة ليست لعبا ، وأن لكل قول معنى وراءه معنى ، وأن هذا المعنى ان أدركه المترمت والتزم به ، فغيره محتاج الى هذه الوسيلة الأدبية لتقربه الى نفسه ، وارسائه في وجدانه والكتاب لم يعمل ليُرضى طائفة لا تريد مما ترى وتسمع وتقرأ الا ما وقر في نفسها من سابق معرفة ، فلا تريد أن يهز معرفتها شىء يثير فيها التساؤل ويدفعها الى البحث .

آيات شاهدات

وللمؤثمين يقول ابن قتيبة الدينورى . (واذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ، فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن

تصعر خدك وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب فتهم الأمرين وافرق بين الحسنين) . وذكر العورة أو الفرج أو الأعضاء التناسلية جميعا ليست من المأثم في شيء ، فهي في مجال العلم ضرورة ، وهي في مجال الدين ضرورة يقول تعالى في سورة الأنبياء الآية (٩١) . . (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) ويقول تعالى في سورة التحريم الآية (٢١) : (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) . . ويقول تعالى في سورة (المؤمنون) الاية (٥):(والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) والى آخر الآيات التي جاء فيها ذكر الاعضاء التناسلية دون حرج أو تحرج كما أن الفعل نفسه لا تحرج فيه اذ يقول تعالى في سورة النور آية (٣٢) (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) حيث أطلق اسم الفعل الحسي للدلالة على معنى الزواج ويقول تعالى في سورة النور الآية (٣):(الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) للدلالة على الفعل الحسي صراحة ولم يتأثم أحد من الشراح من الوقوف عند هذه الالفاظ وشرحها ، والاختلاف حولها وتوجيهها وجهة أو أخرى لجلاء المعنى ، دون خوف على أذواق المسلمين ، كما لم يتحرج أحد من أن يحفظ الصبية ايات القران الكريم دون خشية عليهم من الفتنة وهم يحفظون هذه الألفاظ الدالة على أسماء الأعضاء أو على أسماء الفعل الحسي نفسه ، بل ان أحدا لم يتحرج في أن يحفظ الصبية منذ نعومة أظفارهم من آيات القرآن ما هو اشارة الى أحداث الخيانة الزوجية والزنا والافعال المحرمه فيقول تعالى في سورة التحريم الآية (١٠) (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) فما هي خيانة الزوجتين وكيف خانتا الزوجين ؟ بل هناك تصوير بالغ الروعة ومثير للخيال في قصة يوسف . يقول تعالى في الآيات ٢٣ ، ٢٤ : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) . لم يتحرج القرآن الكريم اذن لا من ذكر الأعضاء ولا من ذكر الفعل الحسي ولا من ايراد حكايات الفتنة والغواية والخيانة فليس في الدين من حرج ، وليس في العلم من حرج ، وليس في التربية الخلقية من حرج ، والفن والقصة من وسائل هذه التربية .

وللمتصنعين يقول ابن قتيبة الدينوري (أحببت أن تجري في القليل من هذا ـ يعني الترخص في بعض المواقف ـ على عادة السلف الصالح في ارسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ، ولا تستشعر ان القوم قارفوا و تنزهت وثلموا أديانهم وتورعت) ولست أجد عبارة أبلغ من هذه العبارة في الرد على أصحاب الكذب والنفاق ، الكذب على النفس ، ونفاق المترمتين من أصحاب المنع وقهر الحياة فليس من شك ان (القوم) ونعني بها البشرية منذ أخرج آدم من الجنة ، ومنذ قتل قابيل أخاه هابيل ، ومنذ خانت امرأة نوح ولوط زوجيهما ، تعيش في صراع أزلي دائم بين الخير والشر ، وبين روح الانسان التي هي من روح الله ، وبين جسد الانسان الذي هو من طين الأرض ودفن الرؤوس في الرمال لا يخفي عن أحد حقيقة ما يحدث في الحياة من صراع يسجله الفن وتحكيه فنون الأدب . ومن يقرأ كل هذا ويستوعبه لا يقارف اثما ولا يثلم دينا ، أما من يكره ويتجاهله فهو يتعالى على غيره بدعوى كاذبه ان صدق ، ودعوة مرائية في حقيقتها

وللمتحذلقين يقول ابن قتيبة الدينوري . (وكذلك اللحن ان مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك ان تتعمده ، لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه،وشاطر النادرة حلاوتها الا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالأعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ، ولاستبشعها سامعها ، وكان أحسن أحوالها أن يكافيء لطف معناها ثقل ألفاظها) فالترخص أمر يرتبط

حس الأديب وفهمه لما يقول ، وموافقة الحديث لمجال القول وهو مقصود لذاته ان كان يضيف الى النص جديدا ، ويقدم له من الطلاوة والرقة ما يتناسب معه ويزيده حلاوة في التلقي ورقة في الدخول الى النفس . ليست المسألة صحة وحسب ، وانما المسألة خصوصا في النادرة والحكاية ، مدخل الى قلب المتلقي ، ورهافة في التعبير . والترخص هنا ليس جهلا ، بل هو علم فوق العلم ، لأنه يد من يعلم ويعرف ، ولا يتحرج رغم المعرفة والعلم أن يعطي نفسه الرخصة التي تصله بالقلوب والعقول والأفهام دون حائل . ومن هنا لم تخالف النصوص الشعبية المكتوبة القواعد ، ولكنها ترخصت قدر الطاقة وحلقت لغة الأدب الشعبي المتداول في كل قطر وكل جيل لأنها حين ترخصت سهلت وقربت الى النفوس والأفهام .

شاهد الصِـــــدق

وقد أحسن الدكتور محسن مهدي الدارس القادم من الغرب الأمريكي بابراز هذه المقتبسات من مقدمة الامام الديبوري القادم من عمق التاريخ من الشرق العراقي ، فهي أعظم ما يقدم به بين يدي دارسة عن ألف ليلة وليلة ، ونسخة مقارنة محققة ـ على جهد الدارس وطاقته . هذه الذخيرة الرائعة من ذخائر العربية التي يشرف بها أدبها ويسمو بين الآداب العالمية

والامام الديبوري صاحب هذه المقتطفات التي جاءت من مقدمته هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديبوري قال عنه ابن تيمية (هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء ، وأجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف . . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون ممن استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة .

ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه) . وقال عنه الخطيب في تاريخ بغداد كان (وثقة ديّنا فاضلا) . وقال عنه كاتب مقدمة النسخة المحققة التي صدرت في سلسلة تراثنا عن وزارة الثقافة المصرية (أجمع الدين ترجموا لابن قتيبة على أنه كان أحد العلماء والأدباء ، والحفاظ الأذكياء ، وعلى أنه كان إماما في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف) وصاحب عيون الأخبار هذا هو مؤلف : غريب القرآن ومشكل القرآن ، ومعاني القرآن ، وأدب الكاتب وغيرهما الى الثلاثمائة مصنف . وقد أسرعت بهذا التعريف حتى لا يقصر المتهمون الى الامام الديبوري نفسه ، فما أكثر ما نؤخذ بجهالة الجُهال ، وتنطع المتنطعين . فلم يكن الأستاذ محسن مهدي اذن مبعدا عن القصد حين اختار هذه المقتطفات من امام علامة مشهود له بالصدق والأمانة والدين ومعرفة أمر الدنيا معا ، فهو صاحب مؤلفات في الشعر وفي أدب الكاتب وفي النساء أيضا . والأستاذ محسن مهدي شهادة حية بنفسه اذ أنفق عمره في هذا السفر العظيم الذي أراد به أن يقدم لأمته نسخة قريبة قدر الأمكان ، مما يتصوره النسخة الأم أو النسخة الأستاذ لألف ليلة وليلة . فجمع هذه النسخ في مظانها وقارن وطابق . ثم اختار نسخة أصلية يستند اليها ، ويصححها ويضيف اليها من النسخ الأخرى . وهو جهد يعني أننا دخلنا دنيا العلم المخلص الصادق ، فلسنا نعرف من دارسينا العرب من عنى نفسه كل هذا العناء الذي يشاكل عناء المستشرقين في موقفهم من لياليناً .

وهي حقا ليالينا أعادها محسن مهدي الينا بسفره الضخم الذي يحتاج الى وقفة خاصة ليس هنا مجالها . . ويكفينا منه أنه كان شاهد صدق وعدل حين احتاجته الليالي ، ويكفينا ان الصدف ساقته الى القاهرة يوم محنة عشقه الأكبر ـ ألف ليلة وليلة ـ ليساندها في قفص الاتهام بجهده الصادق وعرقه المخلص ، وهذه الكلمات الرائعة التي اختارها من الشيخ الامام الحافظ ابن قتيبة الدينوري . حياه الله ورحم ابن قتيبة الدينوري ، ومد لنا نظل رحمته حتى لا يضيعنا ويضيع تراثنا المتعجلون من شباب لم يقرأ ولم يعرف ، وتصدى لما لا يعرف بضجيج من اللفظ لا يعنى عن المعنى والبقاء ، ولا يحط من تراثنا الفني ولا يضع من أمر أدبنا الذي شق طريقه من قديم الى معنى العالمية حين عرف العالم ألف ليلة وليلة . ورحمنا الله ان عشنا حتى رأينا سا يغص عيشنا ويسخر من عقولنا ، ويسفه أحلامنا . . رحمتك بنا يا الهي فأنت خير الراحمين . □

قصة مترجمة

مناسب من جميع النواحي

للكاتبة الانكليزية : جرترود شويتزر
ترجمة : الدكتور عيسى المصو

(طوال حياتي والاخرون يعررون عي ما هو مناسب لي لكن هده المرة أردت تحديد ما اريد)

تعرفت على (توني) في نفس اليوم الدى طلب مني (رون) فيه أن أتزوجه

لكن في الواقع لم يطلب (رون) مني تماما ان اتزوجه فلقد كنا تظاهرنا باننا سنتزوج عندما كان في السابعة وانا في الخامسه وشاع بين الناس انه يصلح الواحد منا للاخر ـ فلقد كان طويلا أشقر ، بينما كنت انا سمراء قصيرة القامة

فالذى قاله (رون) في الحقيقة هو ألا تعتقدين أن شهر سبتمبر سيكون شهرا مناسبا لزواجنا ؟

اني لم أتعرف على (توني) في ذلك اليوم . فلقد كنت طريحة الفراش مصابة بزكام ، بينما كان هو في غرفة الجلوس يقيس حجم الموقد ، اذ منذ شهور وابي يتحدث عن تركيب موقد لحرق الاخشاب ، ولكنه لم يتيسر له ذلك ، الا ان شقيقتي (ليبي) التي كانت قد نزلت عندنا في احدى زياراتها نصف السنوية ، عثرت على من يقوم بالعمل . وها هو ذا الان منهمك فيه

قالت (ليبي) هذا هو (توني ستنفسر) يا (جيم) وهو يقول ان المكان صالح تماما لتركيب الموقد فيه

ولا يستطيع أحد الزعم بأن هذا التعارف هو تعارف حقيقي ، فلقد رفع رأسه عن آلة القياس التي كان يستعملها وحياني بكلمة (هاى) فأحيته بنفس الطريقة

ولو سمع أبي ذلك فربما لم يكن يروق له الأمر ، فكمدرس للغة الانكليزية كان يرغب عن مثل هذا اللون من التحية المقتضبة وكان ابي يرغب في اشياء كثيرة بعيدة المنال ، ولكن شأنه في ذلك هو شأن الاخرين أيضا ، وكانت (ليبي) تعتقد انه كثير الاحلام ، واني شديدة الشبه به وكنت قد بقيت في البيت لأرعى شؤونه بعد موت والدتي ، وسارت الأمور فيما بيننا سيرا حسنا

وعند قدوم (ليبي) كانت تتولى ادارة المنزل ، الأمر الذى جعلني أدرك مدى التشويش في طريقة حياتنا لقد كانت شقيقتي متزوجة من أحد المحامين ، وهي تقوم بأعباء مهنتها وبأمور بيتها ، وهي رابطة الجأش دائما ، كما كانت تكبرني بعشر سنوات ، فكانت أشبه ما تكون بمثلي الاعلى ومرشدتي الا أننا كنا على طرفي نقيض

سألتني عن موعد زواجي من (رون) ، وذلك في اليوم التالي بعد مجيء (توني) لاخذ قياس الموقد ، اى في اليوم التالي الذى قال فيه (رون) انه يعتقد ان سبتمبر سيكون شهرا جميلا للزواج

وكنت قد أخبرته أنه لم يبق لسبتمبر سوى أربعة شهور ، وانني لم أكن أفكر في الزواج بمثل هذه السرعة وكان ذلك صحيحا ، فلم أكن واثقة تماما انني كنت بعد مستعدة للزواج



فطلب مني (رون) بلهجة حازمة ، أن أحسم الأمر حالا

. وكنت قد عقدت العزم على التفكير في الامر ، ولكني الفيت نفسي افكر في (توني) بدلاً منه . ولم يكن في وسعي معرفة السبب ، فلم يكن وسيما ـ وكانت ملامحه كبيرة ولونه صارب الى السمرة ، ولم يسبق اني سمعته ينطق شيئ سوى تلك التحية المقتضبة ورغم هذا فانه استحوذ على تفكيري

وكل ما قلته (لليبي) هو أن (رون) وانا لم نقرر بعد موعد الزواج ، فأجابتني أنها لو كانت مكاني لقررت الموعد ، فمن حظل الرأى اعتبار رجل مثل (رون) وكأنه مضمون

وكانت على حق بالطبع كان (رون) حسن الهيئة وكانت له وظيفة مرموقة في احدى شركات التأمين ، فما الذى يحدو بي الى الانصراف عن (رون) والتفكير في رجل لم أره الا دقائق معدودة ؟

وعلى الغداء اشاد ابي (بتوني) مستشهدا بقول صديق له سبق وأن جربه في العمل بأنه صانع ماهر . فاجابته (ليبي) بهدوء انها سبق وان عرفت بذلك قبل استخدامه ووافقها أبي على ذلك ، فهو معجب (بليبي) ، وكان كلانا معجبا بها ، وان كنا نرتاع قليلا من مقدرتها ، وأضاف أبي بانه على كل حال لن يكون بحاجة الى عمل ، فلقد مضى وقت طويل على قريتهم مذ أن كان فيها صانعاً يستعمل أساليب قديمة

وعندما عاد (توني) بعد ظهر ذلك اليوم لتركيب الموقد سألته هل لازلت تستعمل الاساليب القديمة ؟ فرد بانه يعتقد أن استعمال الأساليب القديمة لا يتساوق مع سنه الصغيرة ، وانه صانع على كل حال ، يحب العمل بيديه ، وانه يتقن ذلك ، وكان في اثناء حديثه يعمل بالمطرقة والازميل دون النظر اليّ

قلت . لابد وان يكون هذا رائعا ، أما أنا فأبعد ما أكون عن اجادة الاعمال اليدوية ، ولحسن الحظ لا يتبين ذلك في اعمالي ، فانا اعمل مبرمجة كمبيوتر

وفجأة وجدتني أحدثه عن مواضيع تكاد لا تخطر لي على بال ، فاعلمته عن رغبتي السابقة في احتراف الرقص ، ولكن دون ان تسعفني الموهبة ، وكيف أن شقيقتي تدأب على القول انه لا يقدر النجاح الا للقليلات حتى من بين الموهوبات

قال ليس تحقيق النجاح هو كل شيء ، فعليك أحيانا الاصغاء الى صوت نفسك

وتفوه توني بهذا الكلام دون التوقف عن عمله بل دون الالتفات إليّ ، وتمنيت لو أنه يلقي نظرة سريعة اليّ على الأقل غير أنه كان هناك للقيام بعمل ، وخيل الي أنه لم يكن يبدى أي اهتمام بي ، وقسوت على نفسي مرددة اني لن أعيره بدوري أي اهتمام

لكن ذلك لم يكن صحيحا ، فلم استطع نسيانه ، وعندماجاء (رون) ذات يوم للعشاء وتحدث مع أبي وشقيقتي عن زفافنا ، وكأن كل شيء قد تقرر ، ألم بيّ الهلع فأنى لي ان اتزوج (رون) وانا ما برحت افكر في رجل آخر ؟

قلت . انا لم اقل يا (رون) انني سأتزوجك في سبتمبر انني لم اتوصل الى قرار بعد فقد جاء الامر مفاجئا

قهقه أبي مرددا مفاجئا ، ألستما متحابين مذ ثمانية عشر عاما ؟

قلت لايمكن لطفلة في الخامسة أن تحب .

قال (رون) ساخرا من تصرفي غير المعقول انها لا تريد الا المعارضة فقط

ولئن كنت راغبة في الظهور بمظهر الهدوء والاتزان والوقار ، غير أنه لم يسعني الا أن أكرر هذه الكلمات فقط : كلا ـ أنا آسفة ـ لا استطيع ـ احتاج الى وقت ـ واندفعت خارجة قبل ان يستطيع أحد ايقافي

صعدت الى غرفتي وجلست الى النافذة محملقة في شجرة الخوخ . كان (رون) قد تحداني ان أتسلقها وأنا في التاسعة ، وقبلت التحدى فوقعت عنها ، فجرحت في رجلي ، ولا تزال الندبة الناتجة عن ذلك تذكرني بالحادث (فلرون) طريقة تجعلني أقوم بعمل الأشياء حتى تلك التي لا أريد القيام بها .

وكنت في العادة أنفذ ما تطلبه (ليبي) مني ، وكانت دائما تلح في اقناعي بسداد رأيها في كل ما يتعلق بي ولا مراء أنها الآن يطمئنان أبي في غرفة المائدة ، بانني ساعود الى رشدى كما كان مألوفا ، ولكنهما لم يملكا وسيلة تدلهما على أنني لم أعد نفس الفتاة التي يعهدانها ، وانني لم اعد كما كنت منذ ان تطلع (توني) اليّ وحياني باقتضاب

قلت هلا تتوقف عن العمل للغداء ؟

ضرب بمطرقته مسمارا ضربات سريعة دقيقة ثم

التمت لينظر اليّ . كنت أعتقد أن عينيه سوداوان واذ بهما خضراوان اخضرارا غامقا كمياه البحر . وسألني مادا تريدين ان تعرفي ؟

خطر لي أن أقول اني محبة للاستطلاع ، لكني عرفت عن ذلك أمام هاتين العينين قلت : مكرت انه ربما استطعنا تناول طعام الغداء معا .

حدجني بنظرة ثم هز كتفيه قائلا : ان غدائي معي ، فاذا أردت أن تحصلي على بعض السدويشات ، واحضارها الى هنا فلا بأس .

قلت : يبدو وكأنك تضن علي بوقتك ، وقد تفضل الانفراد بنفسك .

ـ لا ابدا ، لكني لست متأكدا مما تعنينه ، فلقد سمعت أنك مخطوبة منذ نعومة أظفارك .

ـ ان الامر في بلادنا يختلف عما هو عليه في البلاد الأخرى . فلا يخطب الأطفال هنا ، وعلى كل حال فالامر مجرد غداء .

قال : لا ادرى اذا كان الأمر موقوفا على الغداء ، فقد أميل اليك كثيرا أثناء الغداء ، وبعد ذلك قد يطفر بك هذا الرجل الآخر وابتسم لأول مرة ، ولم يكن في ابتسامته شيء غير عادى ، ولكني شعرت وكأنه قدم الي هدية .

ليست عندى فكرة عما أكلته على الغداء وجلسنا على لوح خشبي في نور الشمس وتحدثنا عن أنفسنا ، ولكني لا استطيع تذكر الكثير مما قيل . الا أني أتذكر باني أخبرته أن (رون) مجرد صديق عرفته طوال حياتي ، وبدا الأمر صحيحا عند النطق به .

ولم أعرف الآن ، وأنا جالسة في الظلام بعد ان فحصت مشاعرى في غرفة المائدة ، اذا كان الأمر صحيحا أم لا . فلقد كان يخيل الي دائما أنني أحب (رون) ، ولكن هل يمكن ان انجذب في الحال (لتوني) اذا كنت أحب شخصا آخر ؟

صعدت (ليبي) الدرج أولا ، وقرعت الباب ، ودخلت قبل أن تنتظر مني دعوتها . واشعلت النور ووقفت تحدق بي النظر .

قالت : ما الذى ألمّ بك يا (كيم) ؟ الا تدركين كم أنت محظوظة للحصول على (رون) ؟

قلت : لا أعرف ان كنت أحبه في الحقيقة أم لا .

ـ ما الذى تقولينه ؟ لقد تحاببتما منذ طفولتكما .

ـ لقد نشأت وأنا أعتقد ذلك ، ولكنني الآن لست واثقة من صحة الامر .

ـ ولكن يا (كيم) انك لم تلتفتي الى أى شخص آخر و (رون) تتمناه كل امرأة ، فهو مناسب لك من جميع النواحي .

قلت . كنت اعتقد دائما أنك تعرفين ما الذى يناسبني يا (ليبي) ولكني أعتقد أنه لا يستطيع أحد سواى أن يعرف ذلك .

وقبل أن تجيب قرع (رون) الباب ، وخرجت (ليبي) وهي تهز رأسها

قال (رون) ما معنى هذا الأمر كله يا (كيم) ؟ لقد كدرت أباك وأختك تكديرا عظيما .

ولم يقل اني سببت له كدرا . انهما يوافقاني بخصوص سبتمبر من غير المعقول ان تصري على ان الموعد قريب جدا .

قلت ليس لأبي أو لأختي أية علاقة بهذا الأمر . فاذا قلت اني بحاجة الى المزيد من الوقت فليس لاحد أن يدحض ذلك . وجلست منتصبة وقد بدأت أشعر انى أطول مما كنت عليه عادة . وأضفت : حتى ولا أنت يا (رون)

تقطب وجهه . وعندما تحدث كان صوته قد تغير قال : لقد كنت دائما فتاة معقولة ، وهذا العناد لا يليق بك واستدار داهبا وهو يقول . اذا صممت على انك لا تقصدين ما تقولين وانك تريدين الزواج في سبتمبر كلميني هاتفيا .

وكان في طريقه نحو الباب عندما قررت أن أعلمه بكل شي . قلت بهدوء : اعتقد انني بدأت أحب شخصا آخر يا (رون) .

تحول نحوى محملقا قائلا : ماذا تعنين ؟ من ؟

ـ رجل يدعى (توني ستيفنز)

بدا الشك عليه ، وكأنه يعتقد أنني أختلق الأمر كله .

قال : حسنا ، لايزال في وسعك أن تكلميني هاتفيا اذا عدت الى رشدك .

وحين أغلق الباب وراءه رجعت الى النافذة ، والآن بعد أن تحدثت بكل ما امكني من حزم ونزاهة ، ألمت بي قشعريرة . ان جميع ما يترتب عليّ عمله بالطبع هو أن أحدث (رون) هاتفيا قبل فوات الأوان ، وأن أحيطه علما بانني لم اكن اعني ما قلته ، الا ان عملا كهذا كان خارجا عن ارادتي .

وكلمني (توني) هاتفيا في مساء اليوم التالي ، ودعاني للذهاب الى السينما فقبلت دعوته .

وفي منتصف الفيلم أمسك بيدي ، وبعد ذلك لم أدر ماذا حدث على الشاشة وبعد انتهاء الفيلم تمشينا نحو مطعم صغير ، وقد عوض (توني) عن الأوقات التي لم يكن ينظر فيها الي ، فما انفكت عيناه تطيلان النظر الي

قال لم أكن متأكدا ان كنت ستخرجين معي ، فقد كنت أظن أن ذلك اليوم الذي اتيت فيه الى مكان عملي ، وتعدينا معا ، كان تعبيرا عن مجرد هوى من الأهواء وابتسم تلك الابتسامة التي هي أشبه بالهدية

قلت لست متأكدا من نفسك ، أليس كذلك ؟

اجاب بعد هنيهة انني متأكد من عملي ، وعن الكيفية التي أريد أن أعيشها ، ولكني لست واثقا من النساء لقد كنت على وشك الخطوبة ذات مرة من فتاة ، ولكنها آثرت الزواج من احد المحاسبين بدلا مني ، ولست أريد أن يحدث لي ذلك مرة اخرى

وبدا لي وأنا أوافقه على قوله أنني كنت أعده بشيء ما وقبل أن يطلب مني توضيحا قلت هل لي ان أعرف كيف تريد أن تحيا حياتك ؟

أجاب براحة وشرف مع من أحب ، نقوم بعمل الأشياء التي نحبها ، مقتربين بعضنا من بعض مع وجود بعض المسافة بحيث يستطيع كل منا تأكيد ذاته ، واستطرد بهدوء اعتقد أن على الرجل ان يقوم بما يريد عمله حتى لو لم يدر عليه ذلك ربحا وفيرا ، وللمرأة أن تحترف المهنة التي تشاء

وافقته على رأيه وأنا أعي هذه المرة حقيقة ما ذهب اليه

وعندما عدت كان (رون) في غرفة الجلوس في البيت مع (ليبي) وابي ففوجئت به الى حد لم أشعر معه أكنت مسروره أم اسفة لحضوره ؟

قال موضحا الموقف لم ات لأراك يا (كيم) ، وانما جئت لاتحدث مع أبيك

قال أبي أخبرني (رون) أن هناك شيئا بينك وبين (توني) ، فهل هذا صحيح ؟

قلت بلهجة لاذعة ذهبت مع (توني) لمشاهدة أحد الأفلام ، ان كان هذا هو ما تقصده بقولك انه يوجد شيء بيننا

قال (رون) هل سمعت ؟

وتنهد أبي وسأل . لماذا ؟ يا (كيم) ؟

وجلست على الأرض قرب مقعده، واخذت يده قائلة يا أبي لست واثقة اذا كان بامكاني أن أفسر

قال (رون) قبل أن أنهي حديثي تعتقد انها تحبه

قالت (ليبي) ان ذلك يبعث على الضحك . فلقد عشت دائما مع اناس يستعملون ادمغتهم في عملهم . فكيف تتخيلين انك تحبين صانعا ؟ انك سحت حلما رومنسيا من شيء مستحيل كرغبتك في احتراف الرقص

قلت الرقص ؟ اجل ولكن اني لي أن أعرف ان كان ذلك ممكنا

ونظر ابي الي مدهشا ، وأدركت عندئذ انه سمح (لليبي) ان تقنعه كي لا أحترف هذه المهنة

أما بالنسبة الى (رون) و (ليبي) فبدا عليهما أنهما لم يسمعا ما قلت

سألها (رون) ماذا تعتقدين فيما دار من حديث بينهما ؟ شعر المسامير ؟

وادركت حينذاك انني لم اكن احبه ، وان الذي كان بيننا لم يكن حبا

قلت له بلهجة جعلتها ألطف ما يكون (رون) اعتقد ان من الأفضل لك أن تذهب ، فانني أريد أن أحدث والدي على انفراد

فنهض في الحال للذهاب وقال مخاطبا والدي انها تعتقد جادة أن في هذا الرجل شيئا خاصا

لاتنس مطلقا اي نوع من الرجال هو هذا الرجل

وكرر أبي حال مغادرته الغرفة أي نوع من الرجال هو هذا ؟ وهل يقصد رجلا يعمل بيديه ؟

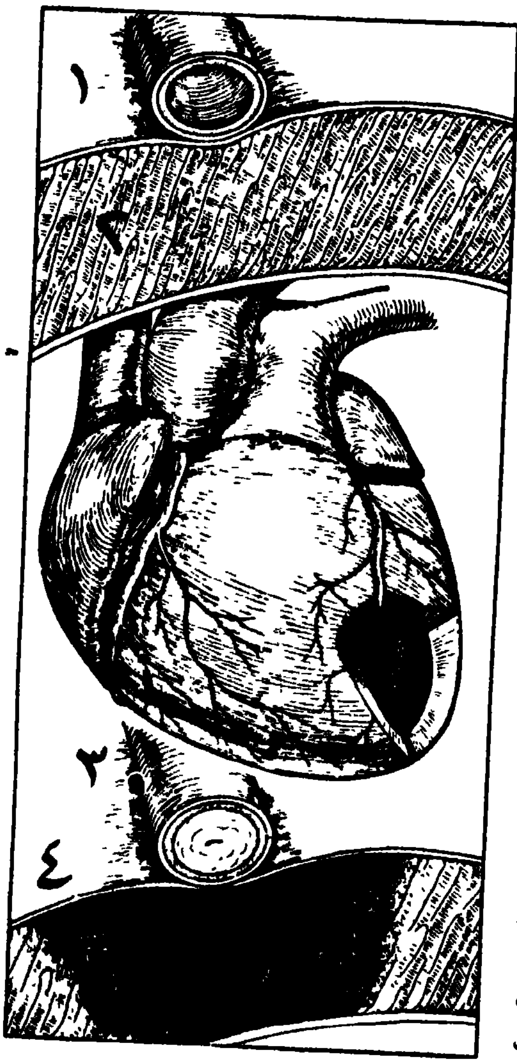
ونزع ابي نظارته محملقا في الفضاء نظرة حالمة وقال قضيت ذات مرة في طفولتي فصل صيف بكامله مع رجل يعمل بيديه ، كان مزارعا ، ولم انسه ابدا ، فقد كان يعرف ما هو جدير بمعرفته أكثر من أي رجل صادفته

قلت انتظر حتى تلقى (توني)

وبدأت (ليبي) الحديث قائلة اصغي الي يا (كيم) يا عزيزتي - ولكني قاطعتها قائلة : لا يا (ليبي) ليس هذه المرة ، في هذه المرة سأصغي الى صوت نفسي .

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي



يعتبر انسداد الشريان التاجى وموت أو تلف العضلة القلبية بسببه في طليعة العلل التى تؤدى الى النوبات القلبية القاتلة في الغرب ، وقد بلغ عدد الذين يلقون حتفهم تبعا لذلك ٣٠٠,٠٠٠ نسمة سنويا ـ وذلك في الولايات المتحدة وحدها

ويوضح الرسم المرافق الشريان التاجى والعضلة القلبية ويظهرهما سويين في أعلى الرسم ، ومعتلين في أدناه ، لاحظ الشريان المغلق والعضلة التالفة (المظللة)

وقد تم تطوير عقار لمعالجة الذين تنتابهم نوبات قلبية من هذا القبيل ، ويطلقون على هذا العقار اسم (t-pa) ويعطى الى المصابين أثناء النوبة ويعمل على التخلص من التجلط الذى في داخل الأوعية الدموية المتصلة بالقلب واجريت تجارب عديدة على العقار الجديد ، وأصاب من النجاح نسبة لايستهان بها ٧٢ ـ ٨٠٪

ويتميز العقار الجديد على سائر العقاقير التى تعمل على تسليك الجلطات مثله في أنه يتم تناوله بواسطة التقطير في الوريد خلافا للعقاقير الأخرى التى يتم تداولها بواسطة القثطر

والجدير بالذكر ان العقار الجديد من ثمار الهندسة البيولوجية وقد طورته شركة Genentech الأمريكية

الصلع ثانية

ما أكثر ما كتبنا عن الصلع وعن العقاقير التي استحضرت لعلاجه وما أكثر ما كتب لنا القراء يطلبون المزيد من المعلومات عن تلك العقاقير، وعن الجهات التي تنتجها، وبلغ من كثرة ما كتبوا أننا عجزنا عن الرد عن استفساراتهم لأننا وانما نقدم الخبر الذي ينشر كل ما لدينا من معلومات حوله، بما في ذلك عنوان النشرة العلمية ان كان قد وردنا عنوانها.

والخبر الجديد الذي نقدمه اليوم ظهر أول ما ظهر في تقرير نشرته مجلة نايتشر العلمية، في احد أعدادها الصادرة في مطلع هذه السنة (في شهر مارس بالتحديد) ومفاده ان عالمين اسكتلنديين قد نجحا في زرع خلايا الشعر الخلوية التي توجد تحت منبت الشعر مباشرة، والتي تعرف باسم الحلمات الجلدية Jermal Papillae، فهذه الخلايا تتحكم بنمو الشعر بحيث يتوقف نموه تماما في حالة انتزاعها من مكانها، ثم يعود الى النمو ثانية لدى اعادتها الى مكانها ويستطيع هذه الحليمات - اضافة الى ذلك - ان تعمل على تكوين منابت شعر جديدة في مواقع جرداء لم يكن فيها شعر ولا منابت.

ونجح العالمان في زرع هذه الخلايا في آذان الجرذان وفي اسنانها بكميات كبيرة واجريا من التجارب على الخلايا الجديدة المنتشرة ما أكد قدرتها على احتضان منابت الشعر وكأنها خلايا شعر اصلية.

الا أن هذه التجارب اجريت على خلايا الفئران، وليس من المعقول دون اثبات خلايا شعر انسانية فقد انسب هذه وأعلنتها كخلايا الفئران كان في مقدور العلماء اكتشاف الأسباب التي تؤدي الى الصلع او الى فقدان خلايا الشعر فعلينا اصلا وكان في استطاعتهم القضاء على الصلع بعمليات بسيطة، تزرع فيها خلايا شعر فعالة.

حرب النجوم

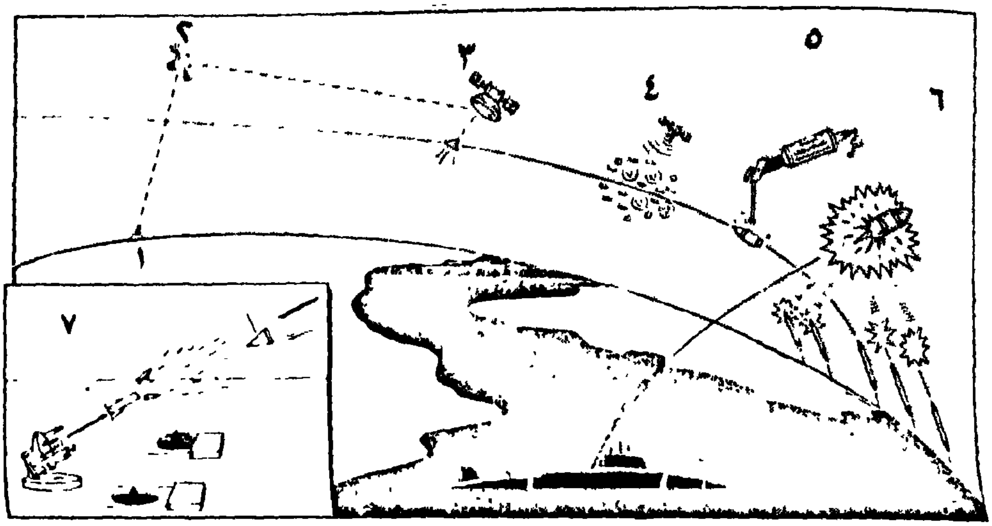
ماهي؟

حرب النجوم كانت - ومازالت - موضوع اهتمام الجميع في الغرب وفي الشرق كبارا وصغارا فهي بين اهتمام الصغار بقدر ما كانت موضوعهم المحبب بين مواضيع الخيال العلمي التي ظلوا يشاهدونها على شاشة التلفاز والسينما وهي بين اهتمام الكبار بقدر ما بعثت على حب استطلاعهم فما هي حرب النجوم التي تتعدى تكنولوجيتها حدود الخيال، والتي تضمن للعالم الغربي الحماية والوقاية من الصواريخ السوفياتية كما يعتقد الأمريكيون، والتي يبدو بعضها سينتج كي يرتد السوفيات؟

على ان لا نضطر هنا الى اكثر من شرح مقتضب جدا لهذه حرب، مستعينين في ذلك بالرسم الذي وضعه الخبراء بقصد هذا الايضاح.

ولعل اول مايذكر عن حرب النجوم هو ان اسمها هذا هو الاسم الذي اطلقه عليها الكتاب والصحفيون اما اسمها الرسمي فهو: «شبكة الأسلحة الفضائية المضادة للصواريخ والقذائف النووية» فهي اذن لا علاقة لها البتة بالكواكب البعيدة في اغوار الفضاء، انها مجرد اسلحة متطورة مضادة تطلق من الفضاء او من الارض لعرقلة أسلحة اخرى متطورة اطلقت هي الأخرى من الفضاء او الارض، ولتسقطها في الفضاء وقبل بلوغها الأهداف.

واول الاسلحة المضادة هي أسلحة الليزر الارضية التي تطلق أشعتها الى الفضاء وفق توجيه مرآة خاصة يحملها قمر صناعي (٢) و (٣)



ولما كان من السهل تدمير هذا القمر الصناعي الراصد (٤) وذلك بواسطة أقمار كاذبة خادعة ، أو عن طريق التشويش الراداري كان لابد من وجود سلاح مضاد ثان غير نووى كأشعة ليزر الكيماوية (٥) ، والأشعة النيوترونية وما الى ذلك على أن يكون هذا السلاح في مدار له في الفضاء ليرد على غارة العدو دون أدنى تأخير .

ولكن الرؤوس النووية المعادية قد تكون مطلية مما يفقد ذلك السلاح المضاد الثاني الكثير من فاعليته في تلك الحال يدخل المعركة السلاح المضاد الثالث ، أشعة ليزر السينية (٦) التي تطلقها الغواصات وما اليها من أعماق البحار ، أو من على سطح الأرض . وهذه الأشعة بالغة الفاعلية ، بحيث يستطيع الشعاع الواحد منها تدمير عشرات الصواريخ

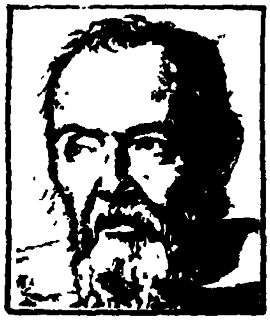
أما اذا نجح الصاروخ المهاجم في تخطي كل هذه الأسلحة واقترب من أهدافه فلابد في تلك الحال من اطلاق قذيفة الشظايا (Shrapnel) على ذلك الصاروخ (٧) مما يكمل القضاء عليه

الجديد في علاج مرض السكرى

هذه طريقة جديدة في معالجة مرض السكرى اجرى تجاربها وتعاون على تطويرها فريقان من العلماء الاطباء فريق جامعة واشنطن في سانت لويس وفريق جامعة كولورادو للعلوم الصحية في دنفر والطريقة الجديدة هي الاخرى تقوم على الزرع . ولكن زرع بعض خلايا البنكرياس وليس كله والخلايا المقصودة هي تلك التي تفرز الانسولين (Islets Cells) فقد تبين أن زرع خلايا سليمة محل الخلايا التالفة كفيل بحصول الجسم على ما يحتاجه من الانسولين بصورة طبيعية وتصبح الخلايا الجديدة ايضا رصدا متواصلا لمحتويات السكر في الدم بحيث يزيد افراز الانسولين اذا زادت تلك المحتويات والعكس بالعكس

وقد جربت هذه الطريقة في الحيوانات فكانت نتائجها طيبة . وستجرب عما قريب في الانسان يقول الدكتور انطون موناكو ، رئيس قسم زراعة الاعضاء في مستشفى نيوانجلند في بوسطن ، يقول « لا شك ان التجارب التي ستجريها على الانسان ، في غضون شهرين ، ستنجح مثلما نجحت تجارب الحيوان »

مكتشفون ومخترعون



جاليليو
١٥٦٤ - ١٦٤٢م

يحتل جاليليو جاليلي مكان الصدارة بين رواد العلم الحديث جميعا. فقد كان ذا فضل كبير في اثراء المعرفة البشرية وتوسيع مدارك الانسان.

ولد في بلدة بيزا الايطالية، حيث البرج المائل الذي طالما تردد عليه جاليليو في صباه. فالذي ألقى من فوقه حسبما تزعم الرواية، بأجسام ذات أوزان مختلفة ليقيم الدليل على أن تلك الأجسام تصل الى الارض في وقت واحد.

والتحق جاليليو بالجامعة لدراسة الطب. ولكنه مالبث أن انصرف عن الطب واقبل على دراسة الرياضيات، وذلك إثر درس اتفق له ان يسمعه في الهندسة. غير أن ظروفه المادية حالت بينه وبين مواصلة الدراسة الجامعية.

وما أسرع ما انطلق جاليليو في كتابة الكتب. وما أسرع ماتجلت مواهبه الفذة في تلك الكتب.

ويعجب المرء كيف اتسع وقت جاليليو لاختراع ميزان الحرارة الرائد، الذي عمل بالغاز لقياس حرارة الهواء. أما المرقب (التلسكوب) فلم يكن من ابتكار جاليليو، بل انه سمع عن اختراعه في هولندة، فما كان منه الا أن أعاد تصميم المرقب الهولندي وحسنه في يوم واحد. ثم وجهه الى السماء لمراقبة أجرامها، فكان أول فلكي راقب النجوم والكواكب بمنظار. وكان أول فلكي رأى أقمار وحلقات الكوكب زحل، ولاحظ تحركات بقع الشمس. فوجد في تحركاتها دليلا على صحة نظرية كوبرنيكوس.

على أن هذه النظرية لم تكن بحاجة الى دليل في نظر جاليليو، وقد اعتقد منذ شبابه أن الشمس لا الأرض هي الثابتة، وان الأرض وسائر الكواكب الأخرى هي التي تدور حول الشمس.

ولطالما شعر جاليليو بحماسة فائقة لنشر تلك الحقيقة. الا أنه أحجم عن ذلك نظرا لانها تناقض نظرية بطليموس، وتتعارض وتعاليم الكنيسة. واثر عدم الكتابة فيها قبل ترخيص البابا بذلك، والا اضطهد واتهم بالهرطقة.

وجاءت موافقة البابا الصريحة سنة ١٦٢٤، فكتب جاليليو كتابه الشهير «حوار بين النظامين الرئيسيين: نظام بطليموس ونظام كوبرنيكوس». وقد تميز هذا الكتاب بروح البراعة والوضوح، وروعة التعبير، حتى اعتبر من روائع الفكر والعلم والأدب.

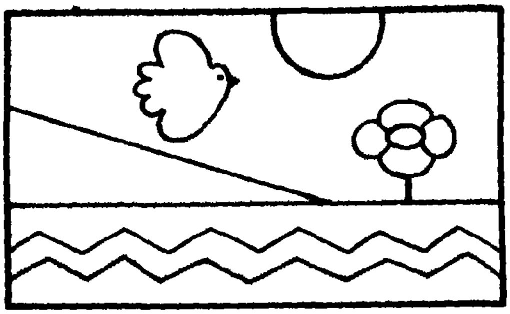
ولم يكن من الصعب التعتيم على موافقة البابا، وقد ظهرت فجأة وثيقة أخرى زعمت ان الفاتيكان حذر جاليليو من نشر كتاب الحوار.

وهكذا مثل جاليليو أمام محاكم التفتيش، وقد هددته بالتعذيب مرتين، فاضطر الى الاعتراف بأنه مذنب. فأدين بالزندقة، وحكم عليه بالاقامة الجبرية في منزله. وأمضى السنوات الثماني الأخيرة من حياته وهو سجين منزله، وتوفي سنة ١٦٤٢ عن عمر يناهز ٧٨ سنة.

وتجدر الاشارة الى أن جاليليو لم يتوقف عن الكتابة في فترة سجنه، بل انه ألف فيها أحسن كتبه!

بقي أن نذكر أن جاليليو كان بريئا مما اتهم به، وان الحكم الذي صدر بحقه كان جائرا. هذا على الاقل هو ما أعلنه البابا الحالي قبل سنة ونيف. أي أن جاليليو بريء، ولكن بعد موته بثلاثة قرون □

سلامة البشرية في سلامة البيئة



سمك السالمون والتوازن البيئي



سمك السالمون عنى عن التعريف انه السمك الذى يقضى طفولته ى الأنهار ، حتى اذا بلغ طوله ٥ ـ ٦ بوصات وعمره بضع سنوات انطلق الى أعالى البحار ، الى حقول غدائه المفضل ، وقد تبعد هذه الحقول مئات الأميال أو آلافها ، وقد يقضى السمك فيها عدة سنوات ولكنه يعود الى مواطنه الأصلية ى الأنهار ، ويبدأ رحلة عودته ى فصل الربيع . فتلك هى قصة سمك السالمون سالمون المحيط الأطلسى وسالمون المحيط الهادى وهو أكثر حجما .

ولما كانت مواعيد رحلات السالمون معروفة تماما لدى الصيادين ، ولما كان لحمه مستطابا ، كان حرصهم على الترنص له وصيده ى أماكن معينة ، ومواعيد مفصلة الا أنهم تمادوا ى صيدهم وتجاوزوا الحد الذى يصبح بعده الصيد جائرا

ولم تغفل السلطات المعنية بالأسماك أو التوازن البيئى عما حدث . فقد بلغ مجموع ما صادوه من سمك السالمون ى أنهار اسكتلندة وحدها ١٥٧١ طنا ، وذلك فيما بين سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ ثم هبط ذلك المجموع ونقص بنسبة ٣٠٪ تقريبا ، حتى بلغ ١١٨٤ طنا خلال الفترة ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ ، وقد حدث مثل ذلك النقصان ى كندا والنرويج وايرلندة وغيرها ، حتى أصبحت مجموع سمك السالمون العالمية مهددة

ونقصت تلك السلطات أسباب هذا النقصان ، فوجدته ى الصيد الجائر الذى قام به صيادو جزر الفرور وهى الجزر التى تقع ى شمال الأطلسى ، وتتمتع بحكم ذاتى مرتبط بالدانمرك فقد تضاعف مجموع ما صادوه بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠ عشرة أضعاف ، حتى بلغ ١٠٠٠ طن سنويا ولعلهم لم يجدوا غضاضة ى ذلك ، نظرا لأن جزر الفرور لم توقع على أي من الاتفاقيات الدولية التى تحدد الكميات التى يسمح بصيدها من السمك السالمون ، تحاشيا للصيد الجائر

لا عجب اذن أن ضغطت مجموعة الدول الاوروبية العشر على جزر الفرور ، وحملتها على التوقيع على معاهدة تلزمها بحدود تقف عندها ى صيد سمك السالمون . وهى ٧٥٠ طنا خلال موسم ١٩٨١/٨٢ و ٦٢٥ طنا ى المواسم التى تليه

أضف الى ذلك أن بعض الدول المعنية حظرت على صياديها صيد سمك السالمون فى رحلة عودته الى الأنهار . . باعتباره صيدا جائرا مهما قلّت كمياته . . ولعل من أهم ما ضمن لسمك السالمون الاستمرار وعدم الانقراض ، حقول تربيته الكثيرة . . وقد بلغت حصيلة هذه الحقول فى اسكتلندة وحدها ٢٠٠٠ طن سنة ١٩٨٢ ، ثم تضاعفت حتى بلغت ٤٠٠٠ طن سنة ١٩٨٥ . □

الضوضاء . . جهاز الستيريو . . أهم أسبابها

تعتبر الضوضاء ملوثا من ملوثات البيئة ، ولعلها من أسوأ الملوثات اطلاقا ، فهي تسبب ارتفاع ضغط الدم . . وتعكر صفو حياة الانسان النفسية ، وتحد من قدرته على الدراسة واكتساب العلم ، ناهيك عن الأذى الذى تحدثه لحاسة السمع .

فقد دلت آخر الابحاث على أن الضوضاء من شأنها أن تفتك بخلايا الشعر ، او تقضى عليها ، فتحدث الطنين المتواصل فى الأذن ، هذا اذا لم تؤدّ الى الصمم الدائم او المؤقت على الأقل .

والجدير بالذكر أن خلايا الشعر التى توجد فى الأذن العميقة ، والتى تتحرك ذات اليمين وذات الشمال لدى وصول الصوت اليها ، هى التى تمكن الانسان من سماع الأصوات ، اذ أنها تفرز مادة كيماوية ، وترسلها الى الألياف العصبية ، وتكسب هذه الالياف القدرة على حمل الرسائل السمعية وايصالها الى المخ .

وأفادت تلك الأبحاث أيضا أن ضوضاء ٤٦ ديسيبل كافية لاحداث الأرق . . وأن ضوضاء ٦٥ ديسيبل تسبب تلفا للمخ فى الحيوانات ، فيما لو استمرت ٢٤ ساعة أو تزيد .

ولعل الستيريو هو أسوأ مصادر الضوضاء كما دلت دراسات أخرى حديثة . . قام بها أحد علماء جامعة ايوا المختصين . . ذلك أن ضوضاء الستيريو ممزوجة بعذوبة الموسيقا ، وهكذا يتلقى عشاق الستيريو السم والدسم فى آن معا . . فهم معرضون لفقدان سمعهم جزئيا أو كليا اذا واصلوا الاصغاء للستيريو ثلاث ساعات يوميا لفترة من الزمن . . وكانت ضوضاء الستيريو بمعدل ١٠٠ ديسيبل أو تزيد .

بقى أن نذكر أن وكالة الطيران المدنية فى الولايات المتحدة (FAA) نجحت فى حمل الطائرات على الحد من ضوضائها بنسبة ٥٠٪ ، وذلك فى آخر ميلين تقطعهما قبل الهبوط ، وأول ميلين تقطعهما بعد الاقلاع . . وأن مدينة نيويورك وضعت قانونا ضد الضوضاء ، وفرضت غرامات على المخالفين تبلغ الواحدة منها ٢٥ دولارا كحد أدنى . . وقد حذت شيكاجو وسان فرنسيسكو ومدن أمريكية أخرى حذو نيويورك . □

الضوضاء فئات . . تتفاوت من حيث حدتها التى تقاس بالدسيبل وتختلف من حيث أثرها على الانسان .



دسيبل	
٧٥ فما فوق	قد تحدث أذى طويل الأجل لسمع الانسان .
٧٠ ـ ٧٥	تسبب الأرق وتمنع الحوار
٦٥ ـ ٧٠	احتمال الأرق ومنع الحوار . . والنوافذ مقفلة
٦٠ ـ ٦٥	احتمال الأرق ومنع الحوار . . والنوافذ مفتوحة
٥٥ ـ ٦٠	قد تسبب الازعاج للنائم . . والنوافذ مفتوحة

ملاحظة : الدسيبل هو الاسم الاصطلاحى الذى نطلقه على الضوضاء ، بل على الوحدة التى نقيس بها الضوضاء ، ورمز الدسيبل هو (dBA)

الرصاص .. أسوأ الملوثات جميعا

قررت وكالة البيئة فى الولايات المتحدة الأمريكية الحد من محتويات الرصاص فى بنزين السيارات بنسبة ٩١٪ ، وذلك اعتبارا من سنة ١٩٨٦ .. وحظر تلك المحتويات نهائيا وذلك بعد سنة ١٩٩٥ .. ومعنى هذا أن هذه القيود ستسن فى قوانين اتحادية ، وتلزم بتنفيذها كافة الولايات الخمسين .. غير أن مجلس مدينة شيكاجو استبق الحوادث ، وقرر تحريم البنزين المرصرص على الفور ، واعتبارا من شهر ديسمبر الماضى (١٩٨٤)

ويتساءل المرء عما اذا كان الرصاص ـ بكمياته الضئيلة التى توجد فى البنزين ـ يحدث بالفعل أضرارا بالغة تبرر كل هذه الضجة وكل هذه الاجراءات التى نقرأ عنها كل يوم تقريبا ، والتى لا تقتصر على الولايات المتحدة ، بل تتعداها الى ألمانيا وبريطانيا واليابان ودول أخرى كثيرة .. ترى ما هى أضرار الرصاص على وجه الدقة ؟ نعنى الأضرار التى أثبتتها دراسات علمية جادة ودقيقة ..

وأول ما يذكر من هذه الأضرار تلك التى تصيب الأطفال البالغين من العمر ١ ـ ٣ سنوات ، فهم أكثر الناس عرضة لأثر الرصاص الدائم وضرره المقيم .. فوجود الرصاص فى دمهم بنسبة تزيد على ١٥ ميكروجرام كفيل باضعاف أسنانهم والحد من ذكائهم ..

وقد أثبتت الدراسات المسهبة الترابط الوثيق بين نتائج الأطفال فى امتحان الذكاء ، وبين الارتفاع فى محتويات الرصاص فى دمهم .

على أن الأجنة معرضة هى الأخرى لضرر الرصاص .. فقد أثبتت التجارب التى شملت ٥١٨٣ جنينا أن ١٠ ميكروجرام رصاص فى حبل الجنين السرى كافية لاحداث تشويه دائم فى ذلك الجنين .. وهى كفيلة أيضا بامتناع احدى خصيتيه عن الهبوط الى مكانها الطبيعى .

أما فى الرجال فقد أكدت الدراسات أن ٣٠ ميكروجرام رصاص فى الدم كفيلة باصابة الرجل



بارتفاع ضغط الدم .. وقد لا تزيد محتويات الرصاص على ١٥ ميكروجرام ، وفى تلك الحالة يكون الرجل عرضة لفقدان بعض قدرته على التعلم .. ذلك أن تلك الكمية من الرصاص كافية ، على ضآلتها ، لاحداث تغيرات فى موجات المخ البطيئة ..

وترجع دراسات أخرى أثر الرصاص المدمر فى قدرة الرجل على اتخاذ القرارات .. وقد تجلى ذلك الأثر فى تصرفات عدد لا يستهان به من أباطرة الرومان ، حتى اتهم بعضهم بالجنون وبعضهم الآخر بالعته أو الصرع أو ما الى ذلك .. ويذهب بعض العلماء والمؤرخين الى أن الرصاص هو الباعث على اتخاذ القرارات الخاطئة التى اتخذها اولئك الأباطرة ، والتى أدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى سقوط الامبراطورية الرومانية بأسرها .

ولعل أخطر ما يذكر عن الرصاص هو أنه اذا دخل الجسم بقى فيه .. اذ لا يلفظ الجسم منه سوى ١٠٪ تقريبا ، أما البقية ٩٠٪ فتستقر فى العظام غالبا ، ثم تتسرب الى الدم بين حين وحين . □

استراحة العربي

نصف كلمة :

عجبت لرجلين في قارب . . جهد الناس في التفريق بينهما حتى صمم كل منهما ان يبتعد عن الاخر جهده ، وجلس أحدهما عند مقدمة القارب بينما الثاني في مؤخرته ، ثم هبت ريح عاصفة هوجاء واصطدم القارب بصخرة خرقت القاع فتسرب منه الماء ، وبدلا من ان يتعاون الرجلان في سد الخرق تركا القارب يشرف على الغرق . وزعق الذي عند المؤخرة مناديا النوتي على الشاطىء يسأله أي طرفي القارب يغرق أولا ؟ فلما أخبره النوتي بأنه يرى أن المقدمة تغوص قبل المؤخرة . . قبّل كفه ظهرا لبطن . . وهو يقول :

ـ لن يكون الموت بغيضا الى نفسي . . مادام الآخر سيهلك قبلي . !

***

كلمات :

- بعض الناس يحسبون أنهم يبيّضون صحائفهم بتسويد صحائف الآخرين .
- من قاد نفسه اقتاد الشعوب . . ومن قادته نفسه غمرته العيوب وابتلعته الخطوب
- لو كان الناس كلهم عقولا . لخربت الدنيا .
- البياض ناصع كالحقيقة . . تعلن عن وجودها بلا تستر ولاغموض . والسواد صريح كالمنطق . . لايلتوي ولايدور . . انما يمضي كالصراط .

حكمة :

« الذي يولد ليزحف . . لايستطيع أن يطير » .

حكاية :

مر رجل في الطريق بثعبان كاد يتجمد من البرد . . واخذته به الشفقة . . فتناوله من الارض ووضعه في جيب ردائه . . فلما احس الثعبان بالدفء دبت فيه الحياة وتنبهت الغريزة . . فعض الرجل الذي أحسن اليه ونفث فيه السم ليموت . . . !

****

صورة :

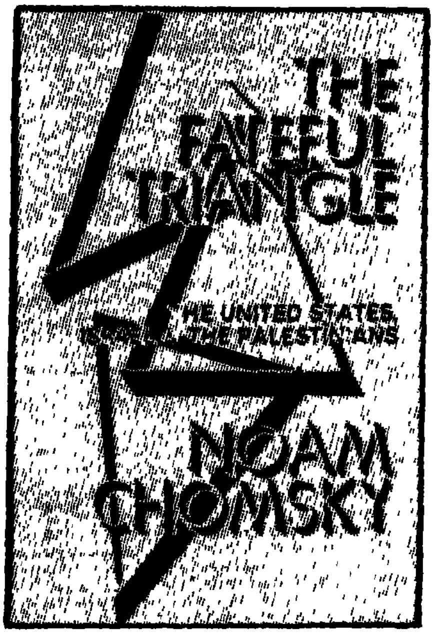


التعامل مع الناس فن له قواعد وأصول . ولكن يظل أبرز مقومات هذا التعامل أن تكون انسانا مع الناس . . .

فالمعاملة الانسانية . . . معناها الالفة مع الذين يحيطون بك . . ومعناها أيضا أن تأخذ وأن تعطي . . فالحياة أخذ وعطاء متبادل . . تؤثر في الناس . . . . وتتأثر بالناس . . وبالحياة . . . . .

شئون عربية

كتاب الشهر



مُثَلث الشؤم

تأليف : نعوم تشومسكي

عرض : نبيل ابراهيم

يمثل نعوم تشومسكى عالم اللغويات اليهودى البولندى الأصل ظاهرة شاذة بالنسبة للأوساط الصهيونية ، فمن قلب امريكا داعمة اسرائيل وحاميتها ، يرتفع هذا الصوت ليقول جزءا من الحقيقة حول أطراف الصراع الثلاثة فى منطقتنا العربية ، ولكن لأن الصهيونية عدوة الحقيقة فقد اعتبرت الكاتب والكتاب معادين لها .

فيما يلى عرض للكتاب الذى عادته الصهيونية وقبله العرب لأنه يعرض جانبا من الحقيقة .

كتاب الشهر

لقد قيل وكتب الكثير عن غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، ونسي الكثير واختفت الافتتاحيات الجدلة الصاخبة حول « تحرير » لبنان وحول « الفرص الجديدة » للسلام التي تنبعث من وسط الموت والدمار. واختفت تبريرات بيغن الخادعة خلف « عملية السلام من أجل الجليل » مع توكيداته القاطعة بأن اسرائيل لم تطمع ببوصة من الأراضي اللبنانية كما ذهبت أميال شارون « الخمسة والعشرون » التي أعلنها هدفا عسكريا، الى جانب أكاذيبه الأخرى أمام عالم يفقد الثقة به تدريجيا فالذاكرة قصيرة المدى وخاصة في أمريكا، حيث تختلط الاسطورة بالتاريخ تدريجيا بأيدي « الأوصياء على التاريخ ».

ذهبت ولكن لم تنس

« ذهبت ولكن لم تنس »، ربما كانت هذه عبارة مناسبة لوصف كتاب نعوم تشومسكي الأخير « مثلث الشؤم ». ففي هذا المجلد الكبير يعيد هذا اللغوي البارز-المعروف عالميا بنقده السياسي-صياغة السجل التاريخي للغزو الاسرائيلي الوحشي للبنان، والأحداث التي نتجت عنه. وهذا الكتاب هو جولة للكتابة السياسية والتحليل النقدي الموسوعي في مداه وفي توجهه نحو التوثيق التفصيلي. وفيه يحطم تشومسكي تماما « النسخة الرسمية » السائدة لتلك الفترة، كما وصفها المدافعون عن اسرائيل في أمريكا.

هناك أمر مطمئن تماما حول عدد كبير من الحقائق التي لا يمكن النيل منها في عمل سهل وموثق بشكل جيد. وقد اعتمد المؤلف اعتمادا أساسيا على الصحافة المكتوبة بالعبرية، ليوثق كتابه، مما جعل منها تلك القضية التي لا تدحض لدى القراء (فهناك على سبيل المثال ما يقرب من ألف حاشية في هذا الكتاب المكون من خمسمائة صفحة).

وفي الواقع أنه صاغ تاريخا جديدا بالكامل، تاريخا غير رسمي، من مئات القصاصات المأخوذة من مصنفات الصحف والمجلات وغيرها، مما يمكن أن يطوى ويزول، وهذه هي الكتابة في قمتها

يمكن القول أن هدف تشومسكي لم يكن اعادة ترتيب السجل التاريخي لهذا الفصل من تاريخ الشرق الأوسط، الذي عانى من تشويه كبير، وذلك بغض النظر عن مدى أهمية وبقاء هذا الاسهام بل كان هدفه المعلن هو التثبت من بعض جوانب « العلاقة الخاصة » بين الولايات المتحدة و « اسرائيل » وأثرها المدمر على ضحاياها المباشرين، الفلسطينيين وقد تركزاهتمامه الرئيسي على هذه الجوانب لتلك العلاقة ذات الابعاد الثلاثة، التي يرى تشومسكي أنه جرى التقليل من أهميتها، بل كثيرا ما شوهت وعرضت بشكل سيء، وقادت الى سياسات كانت « مشينة وبالغة الخطورة » في الوقت نفسه ولم يكن الغزو الاسرائيلي للبنان سوى حلقة واحدة، ولكن حاسمة، في مسلسل تلك العلاقة

الاجماع الدولي

يعبر تشومسكي عن نقطة جدله المركزية « بالاجماع الدولي » على ضرورة ايجاد حل للصراع العربي الاسرائيلي الذي يمكن الرجوع به الى ما بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧. وفي البداية كان الاجماع « رافضا » من حيث اهماله للحقوق الوطنية للفلسطينيين واعترافه بصلافة بحقوق « اسرائيل ». وفي منتصف



أدوات القوة والبطش

السبعينيات عدل الاجماع الدولي ليشمل الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وبالسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت ترفض الصيغة السابقة للانضمام لهذا الاجماع . وعند هذه النقطة لم يعد الاجماع رافضا ، لانه اعترف بحقوق طرفي الصراع ، وفسر ذلك عموما بأنه يعني حلا بوجود دولتين ، واليوم يضم هذا الاجماع الدولي الدول الأوروبية ، والاتحاد السوفيتي ، ومعظم دول عدم الانحياز ، والدول العربية الرئيسية ، بما في ذلك جميع دول المواجهة ، وبالطبع ، التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن البديهي القول ان مشهد التطورات ذاك أقرب الى السجل التاريخي الحقيقي منه الى السجل السائد في الولايات المتحدة ، وحسب هذه النسخة فان الولايات المتحدة واسرائيل قد بحثتا بشكل حثيث عن تسوية سلمية للصراع ، بينما عارضت ذلك الدول العربية (عدا مصر منذ عام ١٩٧٧ وارهابيو منظمة التحرير الفلسطينية) . وبتعبير آخر « الرافضون » . ويتمكن تشومسكي من قلب هذه النسخة « الرسمية » للاحداث رأسا على عقب بسهولة نسبية ، من خلال تفحصه المتروي للسجل التاريخي منذ عام ١٩٦٧ ، بدءا من قبول الرئيس عبد الناصر لمشروع روجرز عام ١٩٧٠ ، حيث يؤسس نسيته بشكل منهجي على أن دول المواجهة أولا ثم التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية قد دخلوا ضمن الاجماع الدولي لتلك الفترة . ويتتبع المؤلف عروض السلام العربية المتعددة واحدا تلو الآخر ومن ضمن أشهر هذه العروض تلك التي تقدمت بها مصر أعوام ٧٠ و ٧١ ، ٧٧ والأردن في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ . ودول المواجهة عامي ١٩٧٦و ١٩٧٧ . ومنظمة التحرير الفلسطينية عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٧ . وفي الأعوام الأخيرة طالت القائمة لتشمل مشروع الملك فهد الذي طرحه عام ١٩٨١ وقرارات قمة فاس عام ١٩٨٢ والنقطة التي يطرحها تشومسكي واضحة تماما : فالسجل التاريخي باعتباره نقيضا للسجل « الرسمي » لايدع مجالا للشك حول النقطة التي تقف عليها الدول العربية الرئيسية ، والتيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لو جادل أحد في غموض بعض مواقفها الذي ربما يكون مقصودا .

معسكر المعارضة

وفيما يتعلق بالسجل الامريكي الاسرائيلي يلاحظ أن هناك نوعا من الثبات في معارضتها القاطعة للاجماع الدولي ، حتى في صورته الرافضة الأولى ، بغض النظر عن الانشائيات الدعائية التي تظهر العكس . وكلا البلدين هما في الواقع قائدان لمعسكر المعارضة ، مما يجعلهما - وياللمفارقة - ضمن حلف واحد مع الأقلية العربية الرافضة .

كتاب الشهر

وفي حالة الولايات المتحدة يناقش تشومسكي بأنه بعد حرب يونيو (١٩٦٧) حدثت هناك مناظرة حول السياسة الداخلية بين المدافعين عن الانضمام للاجماع الدولي الذي كان في ذلك الوقت قائما على قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وكان هذا الاتجاه بقيادة وزير الخارجية الأمريكي روجرز ، وبين الاتجاه الآخر المعارض لهذا الانضمام الذي كان يقوده هنري كيسنجر ، الذي كان مستشارا للأمن القومي حينذاك . وقد كانت الغلبة للاتجاه الثاني ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحدة تتبع في الواقع العملي سياسة دعم « اسرائيل الكبرى » . وقد عرفت أخيرا بمقولة ان اسرائيل « قيمة استراتيجية » . ومثل هذه السياسة تستدعي تطوير اسرائيل لتصبح قوة عسكرية رئيسة في المنطقة ، بحيث تدافع عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة . وبالتالي فان هذه السياسة تتطلب توسع اسرائيل اقليميا ومن هنا يأتي قبول الولايات المتحدة باستمرار اسرائيل في احتلالها للمناطق العربية . ويسارع تشومسكي الى الاشارة الى أن الصراع الداخلي في الولايات المتحدة لايقوم على الأهداف ، بل على التكتيك الذي يتمحور حول كيفية الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط بالطريقة المثلى (في الأساس السيطرة على موارد النفط واستمرار تدفق البترو دولار .)

وقد ظل الموقف الاسرائيلي ، كما يعلنه الطرفان ، معارضا بلا هوادة للاجماع الدولي لصالح مد السيطرة الاسرائيلية على جميع المناطق المحتلة (الليكود) ، أو الاحتفاظ بجميع أو أغلب المناطق المأهولة في الضفة الغربية (حزب العمل) ويقوم موقف حزب العمل على مشروع آلون القديم ، الذي تقوم اسرائيل بموجبه بمنح سكان الضفة الغربية تمثيلا سياسيا رمزيا مع الأردن . وبموجب هذا المشروع تحتفظ اسرائيل بسيطرتها على الضفة الغربية ، بينما تعفي نفسها مما تدعوه « بالمشكلة الديمغرافية » للعرب . وكلا الحزبين الاسرائيليين الحاكمين يعارضان بصلابة وجود أي نوع من التعبير السياسي الفلسطيني المستقل غرب نهر الاردن ، ناهيك عن اقامة دولة فلسطينية مستقلة .

الذعر والعدوان

وقد ردت اسرائيل « بذعر » نموذجي على عروض العرب ومنظمة التحرير بتسوية سياسية إذ كان يتلوه صمت بارد وراء نشاط استيطاني متزايد ، مثل اعلان حزب العمل عن « توسيع القدس » بعد عرض السادات للسلام ، الذي قدمه في فبراير ١٩٧١ وفي مناسبات أخرى نتج عن الذعر عمل عدواني ، كان في العادة موجها الى أهداف مدنية (من الغريب أنه بعد اعلان مشروع فهد للسلام عام ١٩٨١ انتهكت اسرائيل المجال الجوي السعودي مطلقة تكهنات حول احتمال قيام اسرائيل بضربات جوية لحقول النفط .)

يقول تشومسكي : ان مشروع السلام السعودي وغيره من تلميحات تطلقها الدول العربية لم تكن السبب الوحيد في حالة « الذعر » التي اجتاحت اسرائيل عامي ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، بل كان ما هو أخطر من ذلك ، وهو الصعوبة المتزايدة في تصوير منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها مجرد عصابة من الارهابيين ، خاصة في ضوء محافظتها على وقف اطلاق النار على الحدود اللبنانية الاسرائيلية ، الذي اقترحته الولايات المتحدة رغم استفزازات اسرائيل المتعددة . وهنالك اسباب وجيهة تدفع للاعتقاد بأن هذا الخطر كان واحدا من العوامل التي دفعت اسرائيل لغزو لبنان » .

ومن الواضح أن هذا ما كان يدور في ذهن رئيس

ركان الاسرائيلي الجنرال ايتان ، عندما صرح ـ عزو في ذروته ـ بأن « الدفاع عن الضفة الغربية يبدأ بيروت الغربية » .

ويصر تشومسكي على نقطة يهملها الأخرون في العادة : فبدون الدعم الهائل الذي تلقاه اسرائيل من أمريكا اقتصاديا وعسكريا وسياسيا فانها لاتتمكن من الابقاء على خطها المعارض أو الاستمرار في سياستها القائمة على الحرب والتوسع . وتتضمن المعونة الامريكية أيضا ، حسب قول تشومسكي : الدعم الايديولوجي والمرائي والمعيب لاسرائيل داخل أمريكا « من خلال تزييفها المنهجي للسجل التاريخي ، وممارستها للتشهير بالفلسطينيين وتجاهلها لمعاناتهم » .

وتتحمل الولايات المتحدة المسؤولية الكبرى في اطالة امد الصراع والأثار المترتبة على الرفض الاسرائيلي : وقد كانت الحرب مع لبنان أسوأ مظاهره حتى ذلك التاريخ ، ويناقش تشومسكي أن يكون الرفض الامريكي الاسرائيلي حائلا دون توفر امكانية تسوية سلمية ، وأن الدعم المالي الامريكي لحركة الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة قد خلق حقائق « لايمكن تغييرها بأقل من الحرب » وهكذا فبدلا من النظر بأمل الى تسوية سلمية ، ربما يكون علينا أن نهيء أنفسنا للنتائج الضارة التي يتوقع تشومسكي أن تتضمن احتمال طرد اقسام كبيرة من سكان الضفة الغربية . « وتحويل اسرائيل الى مجتمع على غرار جنوب افريقيا من نظام « البانتوستان » أي نظام الاقاليم المتعددة . المطبق في جنوب افريقيا ، والالتزام بالحفاظ على هذا التمزق »

وبدلا من القبض على ما تبقى من احتمالات لتسوية سلمية تبدو الولايات المتحدة جاهزة للابقاء على حلفائها في الشرق الأوسط في حالة دائمة من الاعتماد على الغير ، وستواصل اسرائيل من جانبها تنفيذ اوامر الولايات المتحدة ، بينما تقبل بالعيش في حالة حرب . ويحذر تشومسكي أنه « عاجلا أم آجلا فان اسرائيل ستواجه الهزيمة العسكرية ـ التي اقتربت منها عام ١٩٧٣ ـ أو أنها ستحتاج الى اللجوء الى الخيار النووي مع ما يجره ذلك من نتائج لايمكن تصورها . ولا أقل من ذلك سوى انحدارها نحو مسخ الاجتماعي والأخلاقي والسياسي » . لقد وضعت اسرائيل « الهيمنة » نصب عينيها ، بدلا من التعايش مع جيرانها ، وكان هذا بمباركة أمريكية .

سلاح اسرائيل السري

ودون أن يُبقي حجرا لم يقلبه،يناقش تشومسكي امكانية تخلي الولايات المتحدةعن خطها الرافض ، وانضمامها الى الاجماع الدولي ، والضغط على اسرائيل للحذو حذوها ، كما أنه يضع سيناريو أكثر احتمالا تتخذ فيه اسرائيل خطوات انفرادية ، تعتبرها الولايات المتحدة مخالفة لمصالحها ورغباتها . ونفترض عموما أن حالة الاستقلال الاسرائيلي الممنوحة يجب أن تتوافق مع ما تمليه الولايات المتحدة في هذا المجال .

وبتعبير آخر ، فان على اسرائيل أن تنفذ أوامر الولايات المتحدة ، سواء رضيت بها أم لم ترض . وهناك برهان جلي يتقدم به تشومسكي على أن اسرائيل قد تلجأ الى « سلاحها السري » وعندها يتحول الخطر الى حالة جنون أو وحشية . وحسب هذا المنطق فان بامكان اسرائيل أن تهدد (كما هو الأمر الآن) بفرض حالة من التحدي العسكري على الاتحاد السوفيتي ، وبذا فانها تطلق زناد مواجهة بين القوتين العظميين ، يمكن أن تؤدي في حالة الذروة الى حرب نووية . وقد ألمحت اسرائيل الى أنها قادرة على ضرب الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي بأسلحتها النووية . وبغض النظر عن مزايا هذا التهديد فان هناك طرقا عديدة تستطيع بها اسرائيل اثارة مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ،مورطة الولايات المتحدة في الصراع .

وتبقى منطقة الشرق الأوسط واحدة من أكثر المناطق احتمالا لنشوب حرب عالمية ثالثة . وقد شهدت المنطقة من قبل عددا من حوادث المواجهة بين القوتين العظميين ، وتدل جميع المؤشرات على استمرار التوتر والمنافسة بين هاتين القوتين في المستقبل ، والدليل على أن لاسرائيل القدرة على تحويل هذا الخطر الى حالة جنونية « قائم ووارد » ، وحول ما اذا كانت ستشعر يوما أنها تحت الضغط لممارسة « خيارها الشمشوني » وتهدم المعبد على رؤوس الجميع ، فان السؤال يبقى مفتوحا . واذا

كتاب الشهر

كان للسلوك السابق أي دلالة فانه سبب قوي يدعو الى القلق .

ظل أورويل في أمريكا

لقد تجاهل التيار الرئيسي لوسائل الاعلام والمجلات الثقافية والاكاديمية في الولايات المتحدة هذا الكتاب . ومثل ذلك فرقا واضحا عما حدث من استقبال في أوروبا وكندا ، حيث تم استعراضه من جانب التجمعات الثقافية المؤسسية في الولايات المتحدة لفترة من الوقت ، ورغم أنه مقبول تماما فقد رفضت الكثير من أقسام الجامعات التي تتمتع باحترام تبني ظهوره في أروقتها ، التي كانت تجتذب ما يقرب من الف شخص . وعندما لا تقوم بمنعه من الحديث الى مريديه ، فانهم يقومون بلا حياء بنشر المقالات المليئة بالبذاءات والتشهير ضده في المجلات والصحف المرموقة . وبأسلوب « أورويلي » نسبة الى الروائي الانجليزي جورج أورويل ، فان الرجل الذي هللت له واحدة من المجلات الادبية المرموقة باعتباره من أبرز المثقفين الامريكيين ، قد أصبح الأن - ويا للغرابة - شخصية غير محببة لدى نخبة المثقفين الأكاديميين . وفي هذا تفسير لحالة هذه النخبة والمجلات التي يشرفون عليها .

وقد لايبدو السبب في هذا الهجوم العنيف على تشومسكي واضحا للوهلة الأولى . ويمكن الافتراض بأن نقده المعلن لسياسات الولايات المتحدة واسرائيل نحو الفلسطينيين هو رد على القذف والتشهير الموجه له (وهذا على أية حال اتجاه سبق وضع هذا الكتاب بكثير ، اذ كانت له الكثير من الكتب والعديد من المقالات السابقة عليه .) . ومثل هذا الاستنتاج له بعض المزايا بلا شك ، ومنها خلفيته اليهودية التي



جورج أورويل

تضعه في موقع لايحسد عليه ، حيث يمكن اتهامه بأنه « يهودي كاره لنفسه » من جانب المتعصبين من مناصري اسرائيل . وفي العادة فان أكبر قدر من التشهير يحتفظ به لليهود والاسرائيليين الذين لديهم من الشجاعة ما يمكنهم من نقد السياسات والممارسات الاسرائيلية،وحماتهم الامريكيين ضد العرب . لكن تشومسكي ليس « درايكاليا » ولا « متطرفا » بأي مقياس اذا أطلقت هذه العبارات لتعني المدح والذم . فلم يحدث أبدا أن دافع عن تحطيم الدولة اليهودية . بل كان على الدوام مدافعا عن دولة عربية يهودية ثنائية القومية ، وهو موقف اتخذه بعد أن أصبح مثل هذا الموقف مقبولا تماما . باعتباره واقعيا،فقد اقتنع بالحل على أساس ثنائي القومية المتجسد في الاجماع الدولي الحالي ، باعتباره حلا ممكنا ، مع أنه قد لايكون الحل الأفضل لهذا المأزق . ويفسر هذا الموقف ، ضد عوامل أخرى ، الاهتمام المتزايد بأعمال تشومسكي في أوروبا .

ماكن أخرى خارج الولايات المتحدة ، حيث تسود كرة الاجماع الدولي . ودعمه الواضح للحقوق ملسطينية لاينعكس بالتأكيد من خلال دعم مماثل نظمة التحرير الفلسطينية ، التي تعرضت سياستها وممارساتها للنقد في بعض كتاباته السابقة ، رغم تناسب ذلك مع الدور المحاصر للمنظمة في مواجهة امريكا أو اسرائيل . ومن الصعب التمييز بدقة بين النقطة التي ينتهي عندها « تطرف » تشومسكي وتلك التي يبدأ عندها تعصب خصومه خلال هستيريا العداء لتشومسكي ، التي تتعدى أحيانا لتصل الى « النقد المدروس » لهذا العالم .

المثقفون والحقيقة

وبالنسبة لتشومسكي فان التقصي الدقيق لسياسات الولايات المتحدة وسلوكها ، هو جزء من الالتزام الذهني « بقول الحقيقة وكشف الاكاذيب » . فان كان الناس مسؤولين عن أعمال حكوماتهم المتعاقبة ، فللمثقفين مسؤولية أكبر ، لانهم كما يجادل تشومسكي « في موقع يمكنهم من كشف أكاذيب الحكومات ، وتحليل الافعال حسب مسبباتها ودوافعها ومقاصدها الخفية أحيانا « فالمثقفون » أقلية مميزة تُوفِّر لها الديمقراطية خلف قناع من التشويه وسوء التمثيل والايديولوجيا والمصالح الطبقية ، التي تقدم لنا من خلالها الاحداث والتاريخ الحالي . » وقد لخص تشومسكي موقعه الفلسفي والاخلاقي من مسؤولية المثقفين قبل نحو عقدين من الزمان ، وحافظ عليه باخلاص منذ ذلك الحين .

وقد وضعه موقفه المبدئي بالطبع في تناقض مع اهتماماته الثقافية والاكاديمية ، التي يسميها « الرأي الواضح والاوصياء على التاريخ » ممن يبذلون جهودا كبيرة في انتاج التشوش الفكري والدفاعات السياسية نيابة عن الدولة ونخبها الحاكمة . وخلال حرب الولايات المتحدة في الهند الصينية اكتسب عداءهم عندما « قال الحقيقة وكشف الأكاذيب » التي لفقتها ونشرتها هذه الطبقة المثقفة .

واليوم يعتبر تشومسكي على المستوى العالمي واحداً من المدافعين الرئيسيين عن حقوق الانسان والناقدين للسياسة الخارجية . ويتراوح مجمل انجازه الثقافي بين ٢٤ كتاباً ومئات المقالات . نصف هذه الكتب تقريباً يتعلق بالسياسة الخارجية وانتهاكات حقوق الانسان أو نقد سياسات الدول . وجريمة تشومسكي في نظر المدافعين عن أمريكا واسرائيل هي أنه وظف المكانة الكبيرة التي يحتلها كعالم ومدافع عن حقوق الانسان في نقد سياسات أمريكا واسرائيل . وبالنتيجة فقد ذبح تشومسكي « العجل المقدس » الأمريكي . وان كانت هناك أسطورة تدين بنجاحها الكبير الى الاستغلال الايديولوجي ، فهي اسطورة اسرائيل في أمريكا ، وقد رفض نعوم تشومسكي المساهمة في هذه اللعبة .

●

عصامي وعظامي

يحكى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختباره فقال : أعظاميٌّ أنت أم عصامي ؟ اراد أشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما أم بنفسك ؟ فقال الرجل : انا عصامي وعظامي ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس ، فقضى حوائجه ، ومكث عنده مدة ، ثم اختبره فوجده أجهل الناس . فقال له تصدقني : كيف أجبت بما أجبتني حين سألتك ؟ فقال : لم أعلم عصامي خير أم عظامي . فخشيت أن أقول أحدهما ، فقلت كليهما ، فقال الحجاج عند ذلك : المقادير تُصيِّرُ العَيي خطيبا .

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : تاريخ التعليم فى الكويت والخليج أيام زمان . (الجزء الاول)
المؤلف : صالح شهاب
الناشر : الكويت / مطبعة حكومة الكويت
عدد الصفحات : ٥٦٨ صفحة من القطع الكبير .

رغم العدد الكبير من الوثائق والصور النادرة التى تؤرخ لبدايات انتشار التعليم المنهجى فى الكويت ، فان المؤلف صالح شهاب ، وهو أحد اوائل التربويين الكويتيين ، يطلق على كتابه اسم الحكايات

وكان هذا الكتاب عند نشره على حلقات فى صحيفة القبس الكويتية قد أثار اهتماما واسعا من جانب القراء ، لا فى الكويت فحسب بل فى أقطار الخليج الأخرى

ومثل كل الكتب المشابهة ، فان كتاب تاريخ التعليم فى الكويت يجمع المعلومة الى جانب الحكاية والوثيقة ، الى جانب الصورة والحقيقة ، الى جانب الذكرى الشخصية

ويأخذ قيمته على المدى الطويل من ذلك الكم الكبير من الوثائق المهمة ، وعلى المدى الآنى من خلال نقله لذكريات مرحلة قريبة بعيدة ، بدأ التعليم فيها ينتقل من خيام وأركان الملالى المتواضعة ، الى المؤسسات الحكومية والرسمية ، تعبيرا عن التحول الاجتماعى الكبير الذى كان عندئذ مجرد ارهاصات .

اسم الكتاب : بيروت . . البكاء ليلا .
المؤلف : شوقى عبد الحكيم
الناشر : شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع .
عدد الصفحات : ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط

بعد الخروج من بيروت المحاصرة عام ١٩٨٢ ، جلس الخارجون من قلب الحصار ليكتبوا رؤاهم الكابوسية ، التى عاشوها دما ودمارا وبطولة

وبعكس كُتّاب آخرين عاشوا التجربة ، ثم خرجوا ليسجلوها على شكل مذكرات شخصية ، أو من خلال وثائق تؤرخ فترة الحصار ، أو من خلال اعادة نشر الكتابات التى أبدعها كُتّابها وهم فى جوف المعركة ، يختار شوقى عبد الحكيم أسلوب الرواية ليحكى قصة بيروت

وبيروت فى الرواية هى نقيض المدن العربية التى تعيش حالة قمع وقسوة وحصار داخلى ، فتتعرض للحصار الخارجى على أيدى القوى الهمجية الصهيونية ، وداخل هذه الكيلومترات القليلة المحاصرة من بيروت تتحرك الشخوص ، وتمارس خوفها وبطولتها وانسانيتها التى تتعرض للدمار .

اسم الكتاب : أوليات النقد الأدبى فى اليمن ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨
المؤلف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : بيروت ـ دار الآداب
عدد الصفحات : ١٣٩ من القطع الكبير .

يأخذ هذا الكتاب أهميته من كونه كتابا يبحث فى الجذور التى تراكم فوقها تراب القمع والتجهيل ، طوال سنوات طويلة من اليأس والقلق والغربة عن العصر . ومن داخل هذا الركام ، من قمامة

الكلمات التى تفوح منها رائحة المديح للطغاة ، ونتانة الاتهام للشعب ، فضلا عن الكتابات المتسمة بالسطحية والجهل » على حد تعبيره . يخرج الدكتور عبد العزيز المقالح بارهاصات النقد الأدبى فى اليمن ، فى فترة كانت فيها تلك البلاد تعيش « خارج العصر » . ويعتمد الكاتب فى دراسته التأسيسية هذه على الأعداد القليلة لمجلتين صدرتا فى اليمن فى تلك الفترة هما : « مجلة الحكمة » التى صدرت بين عامى ١٩٣٨ - ١٩٤١ و « البريد الأدبى » وهى صحيفة خطية توقفت عن الصدور عام ١٩٤٥ . ومنهما بدأت ارهاصات الكتابة النقدية الادبية والشعرية بوجه خاص .

ويقف المؤلف بكتابه عند عام ١٩٤٨ ، وان كان هذا العام يرتبط عند العرب بنكبة فلسطين ، فانه يرتبط عند اليمنيين بأول ثورة دستورية ذكرت اليمن - رغم فشلها - بزمنها الضائع .

■

اسم الكتاب : حول الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ودراسات اسلامية اخرى .
المؤلف : حسين أحمد أمين
الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر / بيروت - لبنان
عدد الصفحات : ٢٣١ صفحة من القطع الكبير .

يقول حسين أحمد أمين مقدما كتابه هذا: « لقد لقيت هذه المقالات بأسرها من الامتعاض والاستياء ، وبعضها من الهياج والثورة ماكان يبرر تسميتها باسم كتاب برتراند راسل « مقالات مكروهة » لولا انها أثارت فى نفس الوقت حماس البعض الآخر واعجابه » .

فى هذا الكتاب الذى يضم عددا من المقالات والدراسات الاسلامية التى نشرها فى بعض المجلات والصحف العربية ، يواصل الكاتب سيره فى الطريق الصعب الذى بدأه بكتابه المثير للجدل « دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين » .

والكتاب فى مجمله رؤية عصرية متنورة لبعض القضايا الاسلامية ، التى طرحت بقوة فى وطننا العربى ، منذ النصف الثانى من السبعينيات ومهما كانت درجة الاختلاف مع اجتهادات المؤلف حول تلك القضايا ، فان شجاعته فى طرحها تجعل من صدور هذا الكتاب حدثا لاجدال حول أهميته .

والى جانب المقال الذى أعطى الكتاب اسمه ، يضم الكتاب عناوين اخرى مثل « حجاب المرأة ، هل هو من الاسلام ؟ » و « عن العلمانية فى العالمين المسيحى والاسلامى » و « تأملات فى حقيقة امر السلف الصالح » .

■

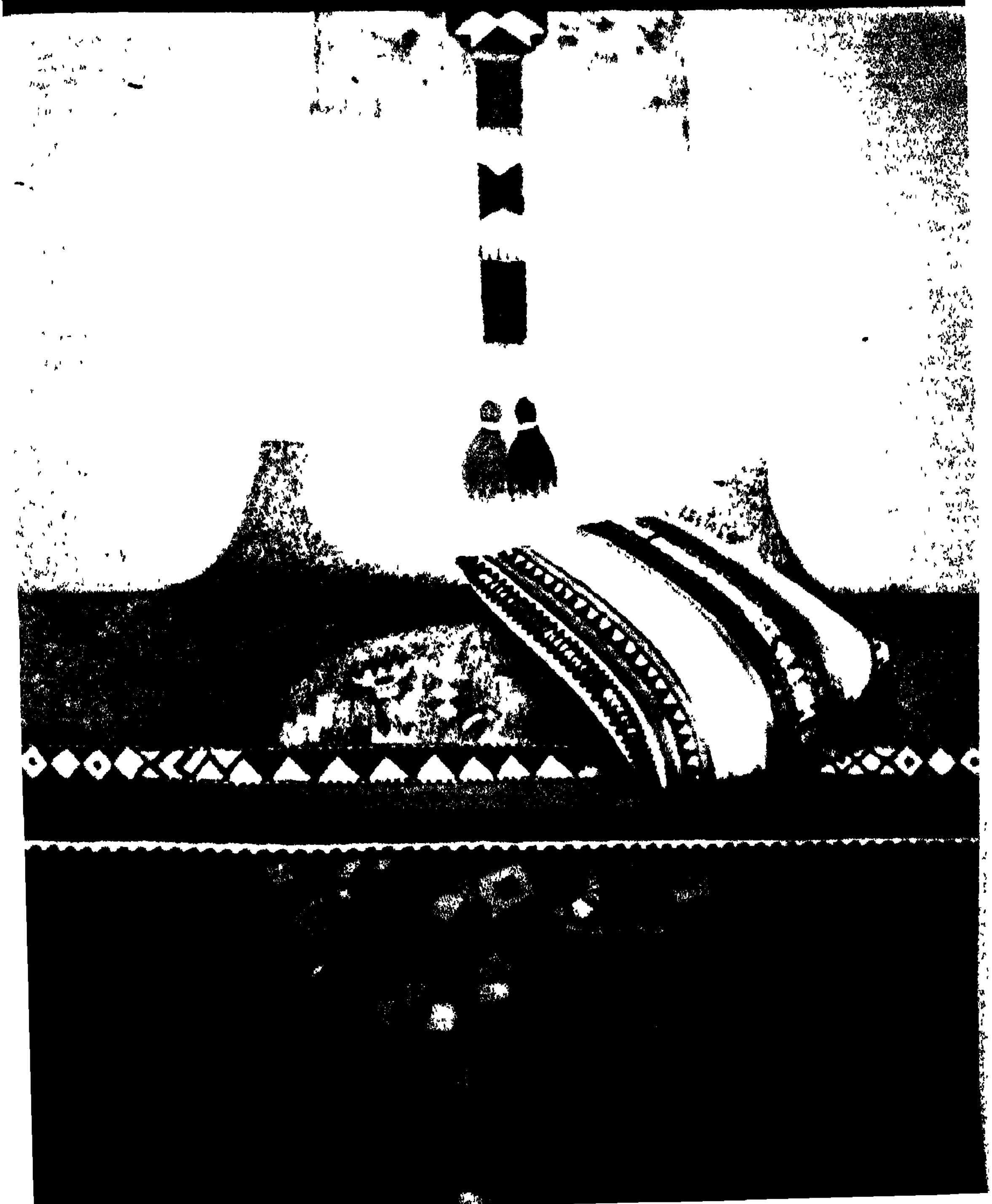
اسم الكتاب : علم الدلالة العربى
المؤلف : الدكتور فايز الداية
الناشر : دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات : ٥١٠ صفحات من القطع الكبير

تبلور مصطلح علم الدلالة فى صورته الفرنسية لدى اللغوى الفرنسى بريال فى أواخر القرن ١٩ ، ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو « علم الدلالات » ليقابل « علم الصوتيات » الذى يعنى بدراسة الأصوات اللغوية » وبعد أن يحدد المؤلف موقع علم الدلالة من علم الصوتيات ، يعود الى جهود الدلاليين العرب القدماء ، والى المعجم الشعرى العربى والكتب النقدية ، بهدف استجلاء النظرية الدلالية العربية عند الفلاسفة والمفكرين واللغويين والأدباء العرب ، الذين لاحظ المؤلف أن جهودهم قد أغفلت من قبل الدلاليين المحدثين .

ورغم أن الكتاب يبدو متخصصا فى موضوعه ، الا أنه يطرح قضية بالغة الأهمية للمثقفين العرب ، الذين واكبوا انتشار المدرسة البنيوية فى النقد الأدبى الحديث ، وما يستتبعه ذلك من اطلاع على علوم برزت حديثا ، مثل الألسنية والصوتيات واللغويات وعلم الدلالة .

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

المرسم الحر .



وخمسة وعشرون عامًا من الإبداع

استطلاع : ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر







منسوجات السدو برموزها الشعبية الجميلة قدمها الفنان سامي محمد بتقنية حديثة وتكوين فني مفعم بالرمزية (الى اليمين) . الغريق . تمثال برونزي يغلب عليه طابع الرمزية للنحات الكويتي سامي محمد (الى أعلى فوق) رقصة شعبية كويتية انتقلت الى عالم النحات عيسى صقر لتحور في منحوتة برونزية ساحرة (الى أعلى) . العودة من البحر . صورة شعبية جميلة نفذها بالاكريليك الفنان جاسم بوحمد (الى اليسار)

في عالم الفنانين كلمة تشع سحرا تحمل الفنان الى عوالم الخيال ـ انها كلمة « التفرغ » ذلك المفتاح الذهبي الذى ما ان يمتلكه الفنان حتى تفتح أمامه أبواب النجاح .

لو قلبنا النظر في وريقات التاريخ لوجدنا مئات القصص ، التي تحكي صراع الفنانين وكفاحهم مع مجتمعاتهم ، التي وصمتهم ظلما بالكسل والبطالة لأنهم رفضوا القيام بأية أعمال تسرق الوقت منهم ، ومازلنا نذكر قصة صراع الفنان الهولندي « فان جوخ » مع الوقت ، وكيف حمله إلى مشارف الجنون ، لأنه كان يفضل الموت جوعا على أن يفرط في ساعة من وقته ، لا تعزف فيها أنامله على أوتار لوحة ، يشدو فيها أنغام روحه المعذبة ، ولم ينس التاريخ كيف عانى فانو الحي الباريسي « مونمارت » « العوز والفاقة » ، وذلك لرفضهم القيام بأي عمل يسرق الوقت منهم . وها هو الفنان الايطالي « موديلياني » يلجأ إلى الرسم على باب مسكنه بعد أن نفدت نقوده ، ولم يعد في استطاعته شراء قماش للوحاته ، وعندما انتهت اللوحة خلع الباب وأخذ يدور على تجار اللوحات الفنية ليبيعه ببعض الفرنكات .

وقد كتب الفنان المصرى المعروف « راغب عياد » عن أهمية الوقت في حياة الفنان فذكر « أن الفنان يحتاج للوقت ، لأنه يحتاج للانسجام والتفاعل مع فنه ، كما يحتاج إلى التفكير المتواصل لمعالجة مشاكله الفنية التي تكون أحيانا معقدة ، تحتاج لحلول ومخارج وللاطلاع والدرس المستمر ، وان التفرغ هو رأس مال الفنان وسر نجاحه الفني » ـ .

المرسم الحر تجربة رائدة

أسهمت الحكومة في دفع المسيرة الفنية إلى الأمام ، بتهيئة الظروف المناسبة للعمل الفني الناضج ، وآمنت بفكرة انعتاق الفنان من فرض الوقت في عمل آخر ، ومنحه التفرغ الكامل لفنه ، فأنشأت المرسم الحر ، الذى كتب عنه الفنان العراقي ، شوكت الربيعي : « المرسم الحر هو ذلك المكان الانتاجي الذى يشعرك على الدوام بالنشاط والفاعلية الدائبين على البحث والتقصّي والتجربة سعيا وراء وسائل تعبيرية قادرة على ايجاد المعطى الحقيقي لدور الفن في الحياة وعناصرها : الماء ، والهواء ، والنار . وفي نقائضها : الجوع ، والجنس ، والخوف ، والموت » .

تأسيس المرسم الحر

على شارع الخليج العربي ـ في الكويت ـ يقع منزل قديم ، بابه الخشبي وشم التاريخ بذكرياته ، حوائطه البيضاء تحمل لافتة كتب عليها كلمتان ، كان لهما مفعول السحر في نفس كل من عاصر الحركة التشكيلية في الكويت « المرسم الحر » . . هذا الصرح الفني الذى مرت خمس وعشرون سنة على تأسيسه ، كان ولا يزال صومعة فنية دخل إليها الهواة ليخرجوا منها بعد سنوات فنانين محترفين أسهموا في تطوير الحركة الفنية في بلادهم .

ولنرجع إلى بداية هذه الحركة :

كويت الخمسينيات والفن

طبيعة صحراوية بحرية هادئة تلف قوام مدينة الكويت ـ كويت الخمسينيات ـ حيث يتسم كل شيء بالبساطة والفطرة ، التي كان يعكسها طلبة المدارس في منتوجاتهم الفنية في نهاية كل عام دراسي ، وكان أول معرض فني في عام ، هو معرض « البطولة العربية » الذى أقيم في عام ١٩٥٨ ، وقد تنبه المتتبعون للنهضة الحضارية المتغلغلة في النسيج الثقافي للكويت الفتية ، إلى تلك المواهب الفنية الشابة ، والطاقات الابداعية التي كانت تنتظر الظروف المناسبة لظهورها واستمرارها ، وكانت فكرة معرض « الربيع » السنوي تظاهرة فنية ، أبرز العديد من الطاقات الشابة ، ولمع فيه أكثر من اسم فني . وهو أول معرض للربيع أقيم في عام ١٩٥٩ بصالة المباركية .

وفي مكتب مدير دائرة المعارف « وزارة التربية حاليا » السيد « عبدالعزيز حسين » دار نقاش مطول ، عن كيفية الحفاظ على هذه المواهب الفنية ،

المرسم الحر للفنون الجميلة



مبنى المرسم الحر صومعة فنية ، ذات تاريخ فني عريق

وما هي أحسن السبل لتطويرها ودعمها ، وقد طرح موجه التربية الفنية بوزارة التربية السيد « حامد حميدة » فكرة اقامة ناد أو مرسم للهواة من الشباب مع تزويده بالخامات الفنية والمشرفين الفنيين ، وكان الأستاذ عبدالعزيز حسين يطمح بدوره ، إلى أن يكون هذا المرسم نواة لكلية فنون كويتية ، تسهم في تحريك عجلة التقدم الحضاري لدولة الكويت الفتية .

وخصصت بعض الغرف في مدرسة قتيبة الابتدائية للبنين ، لتكون مراسم للفنانين ومكتبة تحوي الكتب الفنية ، واختيرت نخبة من الأساتذة المتخصصين في مختلف المجالات الفنية للاشراف على المرسم ، ونجحت التجربة ، وبلغ عدد الهواة المنتسبين مائة وثلاثين هاويا وكان المرسم يفتح أبوابه مساء ولا يمنح المنتسب أية شهادة دراسية .

وفكر المسئولون عن المرسم في الصعوبات التي يواجهها الفنانون المرتبطون بالوظائف العامة ، وصعوبة التوفيق بين العمل والفن ، وقرروا إيجاد حل لمساعدة الفنانين ، وكانت فكرة التفرغ الفني ، المخرج الوحيد الذي يحقق للفنان أحلامه في أن يكون عطاؤه خالصاً من أجل الفن ، وكان أول من منح التفرغ الفني ، الفنان « عيسى الصقر » ثم تلاه الفنان « خليفة القطان » ، وقرر المسؤولون إعطاء الفنانين فرصة للالتحاق بالمعاهد الفنية خارج البلاد وذلك لدراسة الفن وإثراء ثقافتهم الفنية ، وكانت معظم هذه البعثات إلى القاهرة وبعض منها إلى انجلترا وفرنسا .

زاد نشاط المرسم في نهاية الستينيات ، لاشتراكه في المعارض الخارجية وكان أول معرض للفنانين المتفرغين عام ١٩٧٢ وذلك بقاعة المتحف ، وعندما انتقلت مسؤولية المرسم إلى وزارة الاعلام ، مُنح مقرا جديدا وهو عبارة عن منزل شعبي قديم ، يتميز بجو فني وبمراسم أكثر ملاءمة للفنانين المحترفين أولئك الذين خلعوا عنهم رداء الهواية ، ولبسوا أثواب الدراسة الجادة والتجربة الناضجة .

شروط وقوانين التفرغ

لقد وضعت أسس وقوانين لتحكم أعمال الفنانين المتفرغين ، ومن أهمها · مدى إدراك الفنان للشكل الفني ، وأسلوب الفنان ، ومدى نمو هذا الأسلوب ، والمستوى الثقافي الذي يتمتع به الفنان المتفرغ ، وإجراء مقارنة بين إنتاجه الفني قبل التفرغ وبعده ، ومدى استفادته من المنحة الحكومية التي يندر وجودها في كثير من دول العالم وللانتساب للمرسم شروط هي : أن يكون المنتسب كويتي الجنسية ، وله نشاطات فنية ملحوظة ، وأن يكون ذا مؤهل علمي عال . وبعد خمس سنوات من تقييم الفنان المتفرغ يُمنح شهادة الامتياز .

نشاطات المرسم

وقد وضعت للمرسم نشاطات وأعمال حدثنا عنها الفنان « جاسم بوحمد » أمين المرسم الحر فذكر : بأنه يوجد في المرسم أحد عشر فناناً متفرغا ، وتتوافر في المرسم الخامات الفنية والمراسم ، وكذلك مكتبة مزودة بأحدث الكتب الفنية ، وأفران للخزف ،



النحات عيسى صقر بعال



طبيعة بحرية ساحرة ، وعبق الماضي الاخاذ .. بريشة الفنان محمود الرضوان .

البادية برموزها البسيطة غرقت في خضم الأمازيج اللونية التي أسبغها عليها الفنان خزعل عوض .



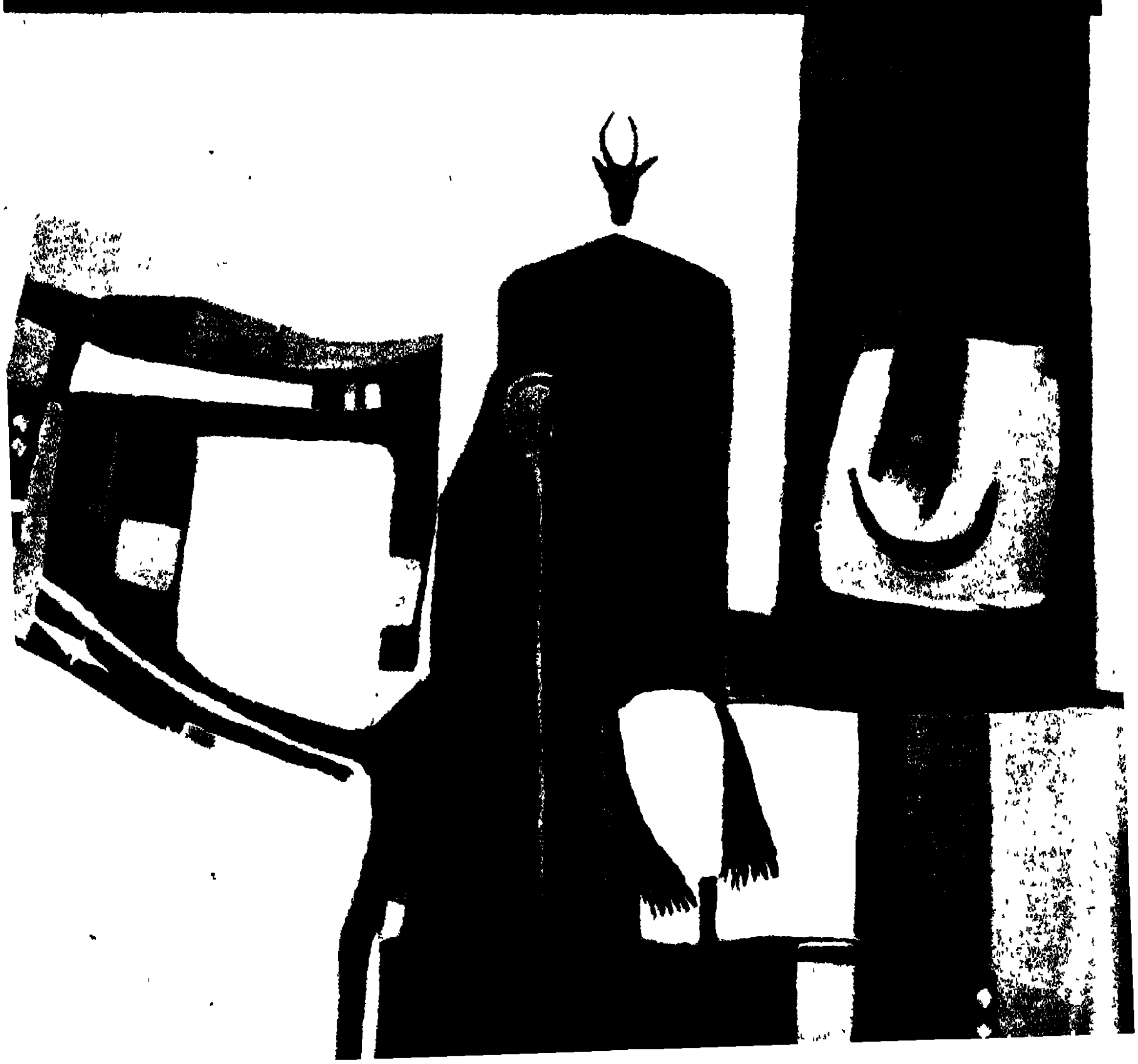


حد تماثيله في محترفه بالمرسم الحر



النحات خزعل عوض في منحته بالمرسم الحر وعمل متواصل من أجل خدمة الفن

موروثات شعبية ، في إطار فني حديث قدمه الفنان عبد الله سالم .



ومحترق مزود بأحد أجهزة الطاعة ، ومسبك لصهر البرونز . وقال إن الفنانين يسهمون في الأسابيع الثقافية التي تقيمها الدولة في الخارج ، وكذلك في المشاريع الحكومية ذات الطابع الفني ، ويحق للدولة أن تمتلك أعمال الفنانين مقابل مكافأة رمزية ، وللفنان الحق في التصرف بلوحاته وبيع إنتاجه الفني ، وقد شارك فنانو المرسم في أكثر من (٨٥) معرضا خارجيا ومحليا ، وفي مؤتمرات فنية ، كان من أهمها : « مؤتمر النحاتين في كندا » وقد قال الفنان جاسم بوحمد « إن التفرغ شرف أعتز به ، وهي كلمة لا تمنح لأي فنان عادي ، وعن ذكرياته في المرسم يذكر بأنه في أول زيارة للمرسم الحر ، شعر بالرهبة والخشوع لهذا الفن الراقي الذي يقترب من القداسة .

جولة مع فناني المرسم

التقينا مع بعض فناني المرسم الذين كانوا يعالجون الكتل الخشبية بأزاميلهم ، أو قماش اللوحة بريشهم ، وبعض هؤلاء الفنانين حصل على التفرغ منذ عشرين عاما ، وله كثير من الذكريات ، والتقينا بالفنان « عيسى الصقر » وهو أول الفنانين المتفرغين ، وقد قال بأن التفرغ يعني أن يعيش الفنان لفنه فقط ، والفنان عيسى اشتهر بحبه للفنون الشعبية ، التي حورها في تماثيل برونزية جميلة ، تمتاز بالاستطالة ، والرشاقة ، وخبرة فنان نذر نفسه للفن .

ومن فناني المرسم النحات الكويتي المشهور « سامي محمد » والذي قدم تماثيل تعالج قضايا إنسانية وسياسية ، يقول بأنه لولا التفرغ لواصل السير في نفس الطريق ، ولكنه لم يكن يجني نفس الثمار ، ولن يصل إلى ما وصل اليه .

ومن الفنانات الكويتيات المتفرغات الفنانة صبيحة بشارة ، والفنانة سعاد العيسى ، والتي ذكرت بأن العمل الاداري يقتل روح الفنان ويفقده شخصيته الفنية ، وهو يعطي للفنان الفرصة للعمل دون أن تثقل كاهله الأعباء المادية ، أما النحات « جرجل عوض » ، الذي يعشق المواضيع التراثية ذات الطابع الرمزي ، فإنه يسرد ذكرياته عن مدى الأثر الذي تركه المرسم في نفسه إثر أول زيارة له فيقول . عندما دخلت هذا المكان شعرت بشفافية مستقبلية ، وعرفت بأني لن اغادر هذه الصومعة الفنية ، وها هو ميداني فلتنطلقي يا خيول إبداعي ، ومن الفنانين الرواد في المرسم الفنان « خليفة القطان » والفنان « محمود الرصوان » الرافض الانفصال عن الماضي ، والمتغلغل في نسيج التراث الكويتي ، حيث ينقل بأمانة فنية تامة وتقنية رائعة صورا شعبية جميلة للأحياء الكويتية القديمة التي اندثرت ، وللساحل الخليجي ، ويفسر سبب ولعه هذا بأنه تمنى لو أنه بقي في الماضي

النحات سامي محمد يعالج كتلة خشبية ، ومشروع تمثال



النقاد والمرسم الحر

وقد كتب كثير من النقاد الفنيين عن الحركة الفنية التشكيلية في الكويت ، ومنهم الدكتور « عفيف بهنسي » مدير الفنون الجميلة في الجمهورية العربية السورية إذ يقول:لعل أهم ما يميز الحركة الفنية في الكويت هو سلامة منطلقها ، فلقد ظهرت هذه الحركة في ظروف فنية فما كان عليها أن تستمد نسقها من أصول غريبة ، أو من مصادر متنوعة كما كان الحال في نشأة الفن في أكثر الأقطار العربية ، ولكن الفن العربي الحديث ، وقد استقام بعد تجربة طويلة استمرت مند بداية هذا القرن قدّم إلى الكويت حصيلة تطوره المتجهة نحو بناء الشخصية العربية في الفن ، وأنبت في هذا البلد العربي براعم ناشئة ، تفاعلت مع الثقافة الفنية ، الواردة من المعاهد الفنية العربية ، أو من مدرّسي الفن المتخصصين ، وكانت هذه الثقافة ، مقدمة أصيلة جديرة بالمتابعة والاهتمام .

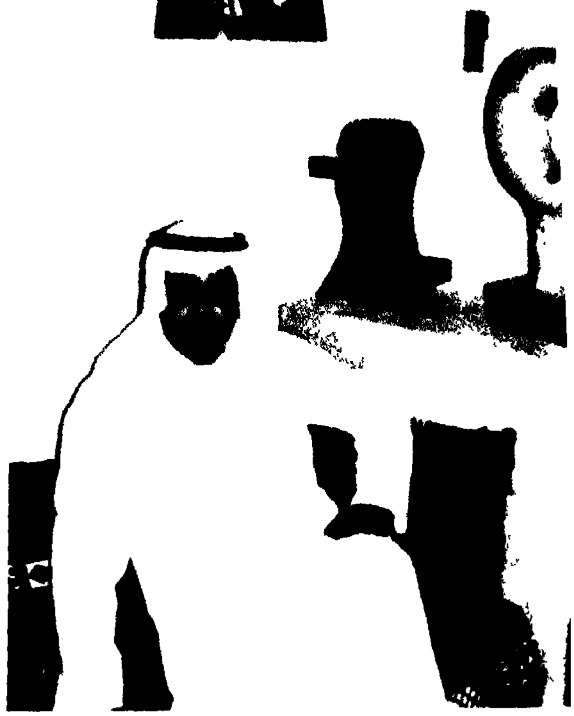
ولو ركزنا نظرتنا في ملامح الفن الكويتي ، لتبين لنا أن الفنان هناك يحاول أن يتخطى الصعوبات التقنية ، لتحقيق نوع من الأصالة الفنية ، ولقد تمثل هذا في محاولات متنوعة بعضها واضح في محاولة تطوير الرقش العربي وبعضها يتمثل في التعبير التلقائي عن المناخ والبيئة المحلية ، وهناك من يؤكد على القضايا العربية المباشرة بأسلوب صادق مبسط » .

كل هذا يبشر بولادة صحيحة لفن عربي أصيل على أرض الكويت .

فن أصيل

نعم إنه فن أصيل يفيض بروح الأرض التي ينتمي إليها ، وإن رحلة الـ (٢٥) عاما التي قطعها المرسم الحر ، منذ تأسيسه ، لتشهد على أصالة هذا الفن ، وبالفضل الكبير للمرسم على تطور الحركة الفنية الكويتية ونموها،وإن فناني المرسم المتفرغين ما زالوا يذكرون مرسمهم وهو يحبو ويخطو خطواته الأولى ، وكيف شب ونضج وأصبح صرحا فنيا يفتخر به على المستويين العربي والعالمي . □





النحات جاسم بوحمد أمين المرسم الحر ورغبة صادقة في تطوير الحركة الفنية التشكيلية الكويتية

وظل طفلا صغيرا يراقب أهله وهم يركبون قواربهم ، مبحرين لطلب الرزق ، وعندما لم يستطع تحقيق أمنيته بالعودة للماضي ، حمل هذا الماضي في قلبه ليمحره حبا وألوانا على قماش لوحته . ومن الفنانين المبدعين في المرسم : « الفنان عبدالله القصار » الملتزم في فنه بفلسفات خاصة ، والذى قرر أن يكون إبحاره في عوالم الفن مصحوبا بفكرة الغوص في أعماق النفس البشرية ، وهناك بعض الفنانين الذين عشقوا البادية ، وكل ما يتصل بحياة البدو الرُّحل ، وحولوا عشقهم إلى مواضيع فنية زاخرة بالألوان الدافئة الصحراوية الجميلة ، وهم : الفنان عبدالله سالم » ، الذى اختزل الرموز البدوية ، وحوّل البساط البدوى إلى نسيج رائع من الأحاسيس والأفكار ، والفنان مساعد الفهد » الذى ابتعد عن المدارس الفنية الحديثة ، ويقول عن ذلك « انا ابن هذه الأرض أحب أن تنبع لوحاتي من روحها .

خلاّط ٧٢١ الجَديدْ منْ مولينكس

شكل جذاب وقوة فعالة

سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١، الخلاّط الجديد
من مولينكس: قوة، متانة وسُرعة.
بالاضافة إلى وظيفة الخلط فإن
سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١ يطحن ويَبشّر
في ثوانٍ بفضل ملحقي مطحنة البن
ومبشرة الأجبان الخاصّة بمولينكس.
سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١،
جهاز مسَجّل في جميع أنحاء العَالم.



مولينكس
صنع فرنسا

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع



العقم عند النساء

اللعب وأثره في التربية

بقلم . راتب المسعود

ليس كل لعب لهوا وعبثا . وحيل من التربية الحديثة أن تصطنع منه أساليب تعينها على تكوين الناشئة . فتضفي عليهم ثوبا من عافية البدن . ونشاط الذهن . واستقرار النفس

اعتبر اللعب قديما مضيعة للوقت ، ومبددا للجهد الذي يجب أن يبذل في الدراسة والتعلم ، ولذا فلا غرابة إن وجدنا التربية القديمة تعمل جاهدة لابعاد تلاميذها عنه ، عن طريق تجاهلها له في مناهجها المدرسية أو خططها التربوية

وقد تغيرت النظرة الى اللعب ، وتبدلت الصورة عنه في عهد التربية الحديثة . التي أكدت على ضرورة إدخاله ضمن المناهج التربوية في جميع مراحل التعليم ، وغرسه في اكثر النشاطات التربوية والمواضيع الدراسية اعترافا بأهميته الملموسة في ترسيخ التعليم في الذهن

واللعب الذي نعنيه هنا يشمل مجموعة النشاطات والممارسات التي يقوم بها الطفل سواء من تلقاء نفسه أو التي صممت ونظمت له من قبل غيره كالجري والعوم في الماء وركوب الأراجيح وغير ذلك . اما الشكل الآخر للعب فهو تلك النشاطات التي يقوم بها الطفل ، مستخدما الألعاب المختلفة ، والتي تنوعت صنوفها في الآونة الأخيرة حتى أصبحت صناعة كبيرة شملت الألعاب التعليمية والأجهزة السمعية والمرئية . فأصبح منها الثابت والمتحرك ، والبسيط والمعقد ، ومنها ما يستطيع الطفل أن يلعب به بمفرده ، ومنها ما لايستطيع الا بالاشتراك مع غيره من الأطفال ، ناهيك عن مادة صنع تلك الألعاب ، فإن بعضها ورقي كرتوني ، وبعضها بلاستيكي وآخر معدني أو خشبي إلى غير ذلك

وسوف نحاول في هذه العجالة توضيح الأثر المهم الذي يحققه اللعب من أجل تربية الطفل ، وتعليمه وكيف يؤثر اللعب على كافة جوانب نمو الطفل جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا ، ليتسنى لنا - آباء ومدرسين - وضع اللعب في المكان الذي يليق به إن أردنا حقا لأطفالنا السعادة ولمجتمعاتنا التقدم

فوائد اللعب :

اللعب عبارة عن استغلال طاقة الجسم الحركية في جلب المتعة النفسية للفرد ، وهو الوسيلة التي يزداد بها الطفل معرفة بيئته التي يعيش فيها يوما بعد يوم ، إذ أن اللعب هو عمل للطفل وهو وسيلته التي ينمو بها ويرقى بوساطتها . ويمكن ان ننظر الى نشاط اللعب على انه رمز الصحة العقلية ، وإذا لم يقبل عليه الفرد كان ذلك دليلا على عيب فطري أو مرض نفسي



اللعب . رياضة وترويح وبسمة على الشفاه .

لم تكن التربية الحديثة تولي اللعب كل هذا الاهتمام ، لولا أن هناك فوائد عديدة وثمارا تربوية جمة ، يقدمها اللعب للطفل ، ومنها :

١ . ينفس عن التوتر الجسمي والانفعالي عند الطفل .

٢ . يدخل الخصوبة والتنوع في حياة الطفل .

٣ . يعلم الطفل أشياء جديدة عن نفسه وعن العالم المحيط به .

٤ . يعطي الطفل مجالا لتمرين عضلاته كما في ألعاب الحركة والمجهود الجسمي .

٥ . يعطي الطفل فرصة لاستخدام عقله وحواسه ، وزيادة قدرته على الفهم .

٦ . يتيح الفرصة للطفل ليعبر عن حاجاته التي لا تتاح لها الأشباع في حياته الواقعية .

٧ . يجذب انتباه الطفل ويشوقه الى التعلم ، لتعليم باللعب يوفر للطفل جوا طليقا يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه .

٨ . يمكن الكبار من مساعدة الطفل على حل مشكلاته وأزماته الشخصية اذ يوقفهم على مفاتيح مهمة لمسلكه .

٩ . اللعب الجماعي تقويم لخلق الطفل ، اذ يخضع فيه الى عوامل ايجابية كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء .

١٠ . اللعب يوفر للطفل فرصة التغيير ، وهي حاجة أساسية عند الانسان ، فلا بد في الحياة من تغير رتابة العمل لكيلا تصبح الحياة مملة والعمل مضنيا .

اللعب والتربية :

بعد أن كانت التربية التقليدية تعتبر اللعب عدوا للوقت والجهد ، وتحول بين الأطفال وبينه ، جاءت التربية الحديثة لتعزز موقفه وتجعله ضروريا للنمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي ،

شعب لايعرف كيف يلعب .. شعب لايعرف كيف ينتج ؟ وليس صدفة إن الأمم الأكثر تقدما هي ذاتها التي تحتل المكانة الأولى في الألعاب الرياضية





وتؤكد على أنه ميل طبيعي له غاياته التربوية. ولذا فلا غرو ان وجدنا معظم علماء التربية يؤكدون على جعل اللعب مبدأ من مبادىء التربية،وأنه وسيلة مهمة لتربية الصغار.

والتربية الحديثة لاتولي اللعب مثل هذه الأهمية، الا لأنه يحقق أثرا بارزا في مختلف أنواع النمو عند الطفل، كما يتضح فيما يلي

أثر اللعب على النمو الجسمي :

يسهم اللعب إسهاما كبيرا مع الغذاء في زيادة وزن الطفل وحجمه ونمو أجهزته المختلفة، فالجري والمطاردة والعوم في الماء وركوب الدراجة وتسلق السلالم والسباق وغير ذلك من الألعاب الرياضية المنظمة والنشاطات تعمل جميعها على إعمال الطاقة الكامنة لدى الطفل، وبالتالي زيادة قوته العضلية ونموه البدني. وتعمل هذه النشاطات على ايجاد نوع من التوافق الحركي عند الطفل وتكتسب عضلاته الصغيرة يوما بعد يوم مزيدا من الضبط والمهارة في استعمال الأشياء.

ان اللعب ضرورة أساسية لنمو الطفل في مرحلتي الطفولة المبكرة والمتأخرة لتهيئته لاستقبال الأعمال والمهارات التى تتطلبها مراحل النمو المقبلة، حيث أن لكل مرحلة نمو معينة، مهارات وأعمالا معينة لابد من إتقانها والالمام بها حتى ينتقل الطفل الى مرحلة النمو التى تليها انتقالا سويا

والبيت والمدرسة كلاهما مدعو لتشجيع الطفل على تنويع نشاطه الحركي، وتشجيعه على الحركة التى تتطلب المهارة والشجاعة، وعلى مختلف أنواع الالعاب الرياضية المنظمة التى تكسبه قوة ومتانة وتزيد عضلاته نموا وانسجاما.

أثر اللعب على النمو العقلي :

تعد ألعاب الطفل وسيلة مهمة وحيوية لادراك الكثير من المفاهيم والقواعد في مختلف المعارف والعلوم، واكتشاف حقائق الكون وفهم بعض أسراره

ان اللعب يعطي الطفل الفرصة لاستخدام حواسه وعقله وزيادة قدرته على الفهم، إذ أنه يجذب انتباهه ويشوقه الى التعليم، لما يوفره له من جو طليق يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه، فمن خلاله يتعلم مفاهيم الحساب كالعد والوزن والحجم والمقاييس، عن طريق ألعابه المختلفة السهلة الاستعمال، سواء أكانت خشبية أم بلاستيكية أم كرتونية، أم معدنية أم غير ذلك، وبذا يكون ذخيرة جيدة من المفاهيم التى تستقر في ذهنه، ويصعب نسيانها ليعزز المبدأ القائل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر ».

وما يندرج على مفاهيم الحساب يندرج على مجموعة كبيرة أخرى من المفاهيم في سائر انواع العلوم، يكتشفها الطفل بطريقة عفوية غير منظمة بالنسبة له، مع أنه يفترض أن يكون الكبار قد وعوا وأدركوا جيدا الهدف من هذه اللعبة أوتلك قبل تقديمها للطفل. وبذا تكون الألعاب رافدا مهما لمعلومات الطفل ومفاهيمه ومدركاته بحيث تعمل جميعها على زيادة النمو العقلي له تمشيا مع كافة أشكال النمو الأخرى

أثر اللعب على النمو الاجتماعي :

سبق أن قلنا في معرض الحديث عن فوائد اللعب، ان اللعب الجماعى يعد تقويما لخلق الطفل، إذ يخضع فيه الى عوامل مهمة كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء، فمن خلال اللعب يتعلم الطفل كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية،



ـت أنه يمر في مواقف حياتية تتيح له الفرصة ليتعلم ـموذج الأمثل في تكوين العلاقات المتبادلة ، ـلتعاون ، والتنافس ، والمشاركة والمناقشة ، ـلمشاورة مع الآخرين ، والاشتراك في اتخاذ قرار جماعي ، وتقبل رأي غيره ، واحترام هذا الرأي ، وطرح الافكار التي تهم الجماعة . وما الى ذلك من الأنشطة الاجتماعية البسيطة ، التي من خلالها يتعلم الطفل أمورا مهمة لمستقبل أيامه ، ويتخذ منها اساسا لعلاقاته الاجتماعية المقبلة

وهذه المظاهر وغيرها يتعلمها الطفل من خلال مجموعة كبيرة من الألعاب . قد تبدأ بلعبة يشترك فيها مع طفل واحد آخر كلعبة « السيسو » مثلا ، وتنتهي بالألعاب التي تحتاج لأكثر من طفل للقيام بها وبما تجدر الاشارة اليه أن المعلم أو المعلمة في مرحلة الروضة أو المدرسة الابتدائية قد يخطط لألعاب كثيرة ولا تكلفه شيئا سوى الاعداد لها ، وقد تقع معظمها في دائرة النشاطات التربوية . التي من خلالها يعزز المعلم أو المعلمة عند الأطفال القيم الايجابية الجماعية التي سبق ذكرها

أثر اللعب على النمو الانفعالي :

يعمل اللعب بمختلف أنواعه ، وعلى مدى سني عمر الطفل على تنمية أشكال العواطف لديه ، وعلى ضبط انفعالاته والوصول بها الى مستوى النضج

فمنذ الأشهر الأولى التي يبدأ فيها الطفل مرحلة جديدة من النمو الحركي وهي المشي ، نجده يستغل هذه القدرة على ابراز كيانه ، والاعتراف بهذا الكيان يشعر هو بالثقة بالنفس ، وبقدرته على الانجاز والعمل دون إدراك حقيقي لهذا العمل .

ويعد اللعب بالنسبة للطفل أفضل وسيلة للتعبير عم يشعر به ، ولذا فلا غرابة إن وجدناه احيانا يرمي ـعبة أو يصرخ بأعلى صوته معبرا عما يجول في نفسه ـ غضب واستياء ، أو يعطي لعبة الى غيره من ـطفال معبرا لهم عن الحب الذي يكنه لهم ، أما ـطف الكره والبغض والخوف والغيرة والهدوء ـعادة والفرح والتذوق فإننا نكاد نلمحها بوضوح ـعامل الطفل مع دُمْيَاته واقرانه .

ويتأثر بهذا كله النمو الاجتماعي الذي سبق واشرنا اليه ، لأن هذه العواطف تعزز بعض العمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع وما الى ذلك مما يجعله يزداد يوما بعد يوم في معرفة ذاته أولا وفي معرفة محيطه آخرا .

وفي حقيقة الامر فإن كل لعب يقوم به الطفل لتنمية جسمه وعقله ، هو في الوقت نفسه عامل على نمو عواطفه وتطور انفعالاته ، وهنا تأتي مهمة الكبار من آباء ومدرسين لأن مسئوليتهم في توجيه الطفل تعد ذات أثر بالغ في العمل على ايجاد التوازن في عواطف هذا الطفل وأحاسيسه،والعمل على تعزيز عاطفة نبيلة يظهرها الطفل من أجل نمائها وريادتها . وبالمقابل توجيهه الى الابتعاد عن الانفعالات الشريرة التي يحتمل أن تولد وتترعرع في نفسه الحقد والكراهية والبغضاء ، ولذا فإن تربية الانفعالات مسئولية عظمى تترك آثارها واضحة في حياة الطفل المستقبلية

ان مساعدة الطفل في السيطرة على انفعالاته وضبطها والتحكم في نفسه ، والفهم والتقبل لمشاعره نحو نفسه ونحو العالم المحيط به ، اضافة الى اشباع الرغبات النفسية كالحب والشعور بالأمن والتقدير ، كلها أمور تخلق في الطفل توافقا انفعاليا واتزانا عاطفيا يجلب السعادة له ولمن يعيش حوله .

ان اللعب هو وسيلة لتفريغ الطاقة عند الاطفال ، وهو الوسيلة التي يختارها الطفل للتعبير عن ذاته بالعمل دون أي اعتبار للنتائج التي يجنيها ، ولانعدو الحقيقة إذ قلنا إن اللعب يمثل مدرسة . لأن الطفل يتعلم بوساطته ما لا يستطيع احد أن يعلمه اياه ، فهو يتعلم كيف يتعرف على الاشياء ويتحاور معها ، ويتعلم أنماط العلاقات الانسانية وكيفية الاتصال بالناس ، والكفاح من أجل الوصول الى هدف .

ولما كان للعب مثل هذا الأثر المهم في التعلم والتربية فما أحرانا ان نجعله موضوع اهتمامنا ودراستنا ، ونحسن تقدير أثره التكميلي في نمو أطفالنا نموا سويا . □

العقم عند النساء

بقلم : الدكتور انيس فهمى

عندما يتأخر ظهور أعراض الحمل على الزوجة تبدأ التساؤلات .. وعندما يقول الطبيب إنها لاتنجب تبدأ سحب الهموم فى سماء الحياة الزوجية ، فماذا تعرفين ـ سيدتى ـ عن العقم وأسبابه وعلاجه ؟

العقم من أشد الاشياء ايلاما وإحداثا للقلق عند الزوج والزوجه ، وهناك ملايين من الأزواج لم يستطيعوا الحصول على الاشباع العضوى والوجدانى الذى يحققه انجاب طفل لأنهم عقيمون ، وليس أمام اولئك الازواج سوى حل واحد هو تبنى الاطفال الان أصبح فى متناول اليد مجموعة من الامكانات الطبية ، ليست مؤكدة ١٠٠٪ ، ولكن أعلبها يعد بامال كبيرة ، ومجموعة من العقاقير وانواع جديدة من الجراحات ، وحتى اتمام عملية الاخصاب خارج الرحم يمكن أن تفتح الطريق لتحقيق حلم أزواج كثيرين بتكوين اسرة سعيدة .

وقد دلت الاحصاءات على أن ٤٠٪ من حالات عدم الانجاب يقع فيها اللوم على الرجل ، وفى ٤٠٪ من الحالات يقع اللوم على المرأة ، وفى باقى الحالات يقع اللوم على الزوجين معا .

تقدم العلاج فى السنوات الأخيرة :

يبدو أن حالات عدم الانجاب فى ارتفاع مستمر ، وأحد الاسباب هو ارتفاع نسبة الاصابة بالأمراض التناسلية ، وهناك سبب آخر هو ميل النساء الى تأجيل الزواج والحمل . وفى العشرين سنة الأخيرة اكتسب الخبراء معرفة كبيرة بتعقيدات الغدد الصماء التى تتحكم فى عملية الانجاب ، واكتشفت اختبارات جديدة لتشخيص نقص الهرمونات لم تكن معروفة من قبل ، هذا بالاضافة الى نجاح الباحثين فى عزل الهرمونات الجنسية وتخليقها مما ساعد على علاج الحالات المستعصية بالعقاقير الحديثة . أما العمليات الجراحية التى كانت مستخدمة لعلاج العقم فقد استبدلت الآن بالجراحات الميكروسكوبية . وباستخدام عدسات قوية



أما أكثر العمليات إثارة فهي تلقيح البويضة خارج الرحم ، وفي هذه الحالة يستخرج الطبيب البويضة من المبيض ويلقحها بالحيوان المنوى للزوج في أحد أطباق المعمل ، ثم يدخل البيوضة الملقحة الى رحم السيدة ليمو الجنين نموا عاديا ، وتلد السيدة طفلها بعد انتهاء مدة الحمل بطريقة طبيعية ، ومند أن ولدت الطفلة « لويز براون » بانجلترا في عام ١٩٧٨ وولد بعدها ١٥٠ طفلا بهذه الطريقة وأصبحوا يسمون اطفال الانابيب

الهرمونات الجنسية :

إن العقم عند النساء غالبا ما يرجع الى اضطراب في عمل الهرمونات الجنسية ، فإن الغدة النخامية تفرز نوعين من الهرمونات نوع ينشط حويصلات المبيض ويساعد على انضاجها ، ونوع آخر يسبب انطلاق البويضة الناضجة من حويصلة المبيض لتسافر عبر قناة فالوب الى الرحم ، وخلال هذه الرحلة تلتقى بالحيوان المنوى الذى يلقحها ، وفي هذه الأثناء تحدث عمليات كيماوية اخرى لتعد جسم السيدة للحمل ، فالمبيضان يفرزان هرمون الاستروجين ، والحويصلة الفارغة بعد انطلاق البويضة منها تفرز هرمون البروجسترون،هذان الهرمونان يعملان على اعداد الغشاء المبطن للرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، فاذا كانت البويضة لم تلقح او فشلت في ايجاد مكان لها بالرحم فان افراز البروجسترون يتوقف وينفصل الغشاء المخاطى للرحم الذى يطرد خارج الرحم اثناء الدورة الشهرية

علاج العقم بالعقاقير :

في حالة عدم التبويض فان العقار الاول الذى يعطى للسيدة هو كلوميد وهو هرمون تخليقى تتناوله السيدة عن طريق الفم بعد الدورة الشهرية ، وهذا الهرمون ينشط عملية التبويض . اما اذا كان سبب العقم يعود الى نقص في افراز

ومشارط دقيقة للغاية ، وخيوط ارفع من الشعرة ، استطاع الجراحون أن يضاعفوا فرص النجاح في عمليات تنقية الانابيب في المرأة او عمليات استعادة الحبل المنوى المقطوع عند الرجل .



هرمونات الغدة النخامية المنشطة للمبيض فتعطى السيدة حقن برجونال وهى مادة تستخلص من بول السيدات اللواتى بلغن سن اليأس ، وتحتوى على الهرمونين المنشطين لعمل المبيض . إن علاج السيدة لمدة ثمانية ايام الى عشرة بحقن برجونال كفيل بانضاج البويضة ، ثم تحقن السيدة بعد ذلك بحقنة من هرمون الغدة النخامية المنشط لافراز البروجسترون من المبيض لكى تنطلق البويضة من حويصلة المبيض

احيانا يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم كثيفا بدرجة تشكل مانعا للحمل ، فاثناء التبويض يجب أن يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم غزيرا لزجا رقيق الكثافة لكى يسمح للحيوانات المنوية باختراقه ، والدخول الى الرحم ثم الى انبوبة فالوب لتلقيح البويضة ، اما اذا كان الافراز المخاطى كثيفا جدا فان الحيوانات المنوية لاتستطيع اختراقه وبالتالى يتعذر حدوث الحمل ، ان مشكلات الافراز المخاطى لعنق الرحم ليس من السهل علاجها ولكن يمكن استخدام مادة جوايفينيزين

وهى مادة مفتتة للبلغم وتستخدم فى كثير من أدوية السعال، وللاقلال من كثافة الافراز المخاطى لعنق الرحم .

الاندومتريوزيس

لقد دلت الابحاث على أن نصف السيدات العقيمات تقريبا واللواتى يكون سبب العقم لديهن راجعا الى مشكلات هرمونية يمكن أن يتخلصن من العقم باستخدام العقاقير سالفة الذكر . ولكن العلاج ليس هينا الى هذا الحد فان بعض الحالات لابدلها من الجراحة مثل حالات الاندومتريوزيس حيث يظهر الغشاء المبطن للرحم فى تجويف البطن ، واذا حدث أن نما هذا النسيج حول الاعضاء التناسلية وداخل قناتى فالوب فانه يسبب التهابا وانسدادا بالانابيب وبالتالى يسبب العقم ، ويمكن اكتشاف هذا المرض بعملية استكشاف للبطن بوساطة انبوبة مضيئة تدخل فى بطن المريضة من خلال شق بطنى صغير ، وبذلك يستطيع الطبيب أن يرى الأعضاء على الطبيعة ويمكن علاج هذه الحالات اذا كانت بسيطة باستعمال عقار يدعى دانوكرين

وهو يؤدى الى ضمور النسيج واستعادة القدرة على الانجاب ، ولكن فى بعض الاحيان ، قد يستدعى هذا المرض اجراء جراحة لاستئصال النسيج غير الطبيعى من خلال شق بطنى آخر اثناء فحص المريضة بالانبوبة المضيئة الا انه فى بعض الحالات قد يستدعى الامر اجراء جراحة كبرى ، وبعض الجراحين يلجأون احيانا الى استخدام أشعة الليزر لازالة الالتصاقات ونسيج الاندومتريوزيس .

انسداد انابيب فالوب :

ان الانسجة الدقيقة لانابيب فالوب يمكن أن تصاب بالانسداد والتليف بسبب الاندومتريوزيس او الالتهابات او الاصابات نتيجة لعملية سابقة بالبطن ، وهذه الحالات تشكل تحديا حقيقيا للجراح . وقد ساعدت الجراحة الميكروسكوبية على زيادة فرص علاج العطب الذى يحدث للانابيب وذلك باستخدام مشارط ومقصات دقيقة جدا لاستئصال الالتصاقات ، وكى الأوعية الدموية التى تقطع اثناء الجراحة بالتيار الكهربى ، وقبل خياطة الشق البطنى يصب فى تجويف البطن سائل يحتوى على احد مضادات الحساسية مع عقار الكورتيزون ، وذلك لمنع الالتهاب الذى قد يحدث بعد

العمليــة ، وللوقــايــة مـن تكــرار تكــوين الالتصاقات .

أطفال الانابيب

لايوجد أى علاج للعقم بهر انظار العالم كله مثل التلقيح حارج الرحم الذى كان اول من قام به الدكتور باتريك ستتو والفسيولوجى روبرت ادواردز . ان التوقيت الدقيق أساسي لنجاح عملية التلقيح حارج الرحم ، ومن المتبع أن تعطى السيدة حقنة برجونال بعد ابتداء الدورة الشهرية بثلاثة أيام لتنشيط عملية التبويض ، ولكى يتحقق الطبيب من اقتراب موعد التويض يُجْرىٰ تحليل للدم لمعرفة نسبة ازدياد هرمون الاستروجين،وتُسلط اشعة بالموجات فوق الصوتية للمبيض لقياس حجم الحويصلات ، وبعد اسبوعين من ابتداء الدورة الشهرية تكون الحويصلات قد بلغت الحجم المطلوب ثم تعطى السيدة حقنة من الهرمون المنشط لاسطلاق البويضة ، لكى يحدث التبويض فى طرف ٣٨ ساعة ، وقبل ذلك مباشرة تدخل السيدة المستشفى وتنزع منها البويضات بطريقة حاصة لتوضع فى اطباق معينة مزودة بمادة مغذية للبويضات ، وبعد ذلك يؤخذ السائل المنوى للزوج وتستخلص منه الحيوانات المنوية وتوصع فى حصانات حاصة ، وفى كل طبق به سويصة واحدة يوصع من خمسمائة الف الى مليون ونصف مليون حيوان منوى ، وهذا المزيج يوصع فى حصانة لمدة ٣٨ ساعة الى ٤٨ ، وفى هذا الوقت تكون البويضة الملقحة قد انقسمت الى عدة خلايا ، وأخيرا تودع هذه الأجنة الصغيرة فى رحم الزوجة بوساطة الحقن ، وينتظر الطبيب والسيدة بقلق التحقق من أن البويصة قد وجدت لها مكانا فى الرحم ، وأن السيدة اصبحت حاملا .

وتتكلف هذه العملية مبلغا يتراوح بين ثلاثة آلاف دولار الى ستة آلاف فى كل محاولة ان هذه الانواع من العلاج اصبحت حقيقة واقعة ، ومما لاشك فيه ان العلم سيستمر فى الكشف عن أسرار عملية التكاثر ، ومع كل سر يزاح عنه الستار سيستمتع عدد أكبر من الأرواح باشباع رغبتهم فى انجاب الاطفال □

في الشكر

قال ابن عطاء الله السكندري : الشكر على ثلاثة أوجه : شكر باللسان ، وشكر بالأركان ، وشكر بالجنان .

فشكر اللسان التحدث بالنعمة قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

وشكر الأركان : العمل بطاعة الله ، قال تعالى : اعملوا آل داود شكرا » .

وشكر الجنان : وهو الاعتراف بأن الله وحده هو المنعم ، قال تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » . .

هو .... يسرق مملكتي

اعترف لكم أني قلقة على نفسي ، واخشى ان أكون غير طبيعية ، وأفكر كثيرا في أن أذهب الى طبيب ، ولكني سرعان ما أبعد عن نفسي هذا الوهم . مايقلقني أن ماكان يسرني ويسعدني صار يشقيني ، وماكنت أعده نعيما وسرورا . . اصبح يمثل لي عبئا وألما ونارا تحرقني .

بدأ الامر بدعابة ، كنا نتناول طعام الافطار في أثناء شهر العسل ، واذا بزوجي يقول انه يعد لي مفاجأة . . سأجلس مثل الأميرات (هكذا قال) وهو سيتولى اعداد الطعام ، اغرقت في الضحك ، واعترضت لاني لست مستعدة أن آكل طعاما سيئا ولامحترقا ولا . . ولكنه أصر وأكد أن الغداء سيكون مفاجأة . وبالفعل كان مفاجأة . فقد اكلت طعاما شهيا يصعب على كثير من السيدات طهوه بهذه المهارة ، ومابدا كأنه دعابة تحول الى عادة . في البداية كان يقول انه فقط يقدم استعراضا في فنون الطهي ، حتى تحول الأمر الى أنه يعد كل شيء . حتى أنواع المخللات وأصناف الحلوى ، صارت ضمن أعماله ، وطوال عشر سنوات لم يتخلف يوما عن الوقوف في المطبخ ، كنت ارقبه في البداية وأتصور أنه سرعان ماسيمل ويترك هذه الهواية . . ولكنه كان يدخل المطبخ وهو سعيد ويقف يعمل ويغني ، وبصراحة في البداية كنت سعيدة غاية السعادة ، وأحسد نفسي على هذه الراحة ، الا انني الآن ومنذ فترة أشعر بأن هذه السعادة لم تكن حقيقية ، ولاشيء ينغص عليّ حياتي مثل هذه الهواية العجيبة ، التي أرى أنها تسرق أنوثتي ، وتسلب مني مملكتي ، وتحرمني من ممارسة احساسي بانني صاحبة بيت اهتم بشئون من فيه ، وأصبح أحساسي انني أقرب ما أكون الى شغالة ، كل مهامها تنظيف البيت ورعاية الاطفال . . حتى طعام الأطفال . . لم أكن أعده أنا ، أما الآن بعد أن كبر الأطفال وأصبح طعامهم معنا . صاروا متمردين عليّ ، أذكر منذ فترة أنني طهوت قليلا من الأرز بشكل سريع ، واذا بأكبر أطفالي يدفع الطعام من أمامه ويقول « انه ليس طيبا كالطعام الذي يعده أبي » وثرت يومها عليه ، وامتدت يدي تضربه بقسوة ، فقد كان بكلمته البريئة هذه يضغط على جرح داخلي ، حاولت بعدها أن أحرج زوجي كثيرا أمام اصدقائنا ، واذا به يقبل الأمر ببساطة ويضحك ، العجيب أن أصدقاءنا ازداد اعجابهم به ، وزوجاتهم ينظرن اليّ نظرات الحسد ، وعندما اعربت لهم عن ضيقي بهذا ، وأنني أرغب أن أتولى شئون بيتي كاملة . . تضاحكوا على ابن آدم الذي لايشكر ولايحمد النعمة التي أرسلها الله له ، ومازالت سعادتي جحيما ، ومازال صدى كلام زوجي في أذني . . انه لايحب ان يأكل طعاما لايصنعه هو . . وما زلت أفكر بالذهاب الى الطبيب .

هيَ



هي....

الحكمة الغائبة

● لاادري ماذا يوجعها ؟ ففي الأونة الأخيرة ازداد توترها وأصبحت حساسيتها لاتطاق ، واعترف انني عندما وضعت يدي على السبب أصابتني الدهشة ، فقد كانت حساسيتها من اعدادي للطعام بنفسي امر عريب ، وحاولت كثيرا أن اشرح لها وأفسر وأحاول أن أقنعها عبثا . كنت أقول لها . . اعتبري وقوفي في المطبخ نوعا من المشاركة الانسانية من زوج لزوجته في أعمال المنزل ، وأن اسهامي في العمل المنزلي ليس سلبا لمملكتك ولا انتقاصا من قدرك . قدر ماهو تعبير مني عن احترامي لك واحترامي لقيمة العمل داخل المنزل . . وفهمي أننا شركاء حياة لافضل لاحد فينا على الآخر . . ورغم كل هذا لم تقتنع ولم تهدأ مشاعرها .



وانتقلت في الأيام الأخيرة الى احراجي أمام أصدقائنا . . كانت متصورة ان هذا سيدفع بي الى الثورة والتخلي عن أعمال المنزل ، ولكن رد فعلي وهدوئي على مايبدو أثارها أكثر ، وجلست أقول لها ولاصدقائنا لماذا الاندهاش ؟ ولماذا تستعجب المرأة ؟ وتنسى أن أبرع من ادى أعمالا - تزعم المرأة انها من اختصاصها - هم الرجال ، فاشهر دور الأزياء وأعظم مصممي الثياب هم رجال . . وأمهر الطهاة رجال . . ولاترتاح المرأة في تصفيف شعرها الا عند الرجال ، ولاتأمن الى طبيب الا اذا كان رجلا . يبدو أن منطقي أثارها اكثر . .

الى أن حدثت الواقعة عندما أعرب ابني الأكبر عن رأيه العفوي - وغير المقصود - في طعام اعدته لهم . . انهالت عليه ضربا مبرحا . . يومها أدركت ان الأمر تحول عندها الى نوع من الحساسية المرضية ، وانها وصلت الى مرحلة صار يخشى منها على انتظام الحياة . . يومها حسمت المسألة بأن قلت لها بوصوح انني لاأقبل ان آكل طعاما لاأصنعه أنا ، هدأت هي . . ولكن الأمر داخلها لم ينته بعد . . ورحم الله أمي وغفر لها ، فقد صرت لاأدري هل ماعلمته لنا كان نعمة أم نقمة . . فقد كنا ثمانية أبناء ستة بنين وفتاتين ، فخشيت أن نطغى على أخواتنا فعلمتنا كل أعمال المنزل . . ولقنتنا أن هذا لا ينتقص من الرجل بل يزيده احتراما ، وأنه لايخجل الانسان ان يعمل أي عمل . . رحمها الله وأراح زوجتي والهمها قليلا من حكمة أمي وبصيرتها .

هو

من الحياة

الإحساس بالملل.. كيف نغالبه ؟

قالت لها صاحبتها : « اني زوجة سعيدة وأم لاربعة أبناء . مضى على زواجي أكثر من عشرة أعوام ، ولكنني ، ولاأدري كيف بدأت اشعر بالملل ، بدأت أمل الحياة .. أمل الصورة التي اعتدت أن أراها منذ شروق الشمس في الصباح حتى المغيب .. صورة بيتي الصغير والأطفال ومشاكلهم ، وأطباق الطعام التي أبذل جهدا في اعدادها .. انها هي هي ، لا أكاد أنتهي من اعداد آخر طبق في القائمة التي أعدها كل أسبوع حتى أعود اليها من جديد . انه الروتين ، أو هي رتابة الحياة التي أحياها .. أليس غريبا ان أشعر بالملل وسط هؤلاء الذين أعيش لهم ؟ الذين أعطيهم كل وقتي وجهدي وحبي ؟ » .

وجلست الصديقة تنصت باهتمام ثم قالت : أنت تعيشين في قفص ياعزيزتي .. أو هكذا صور لك خيالك .. ولابد أن تخرجي من هذه الدائرة الضيقة التي أصبحت كل دنياك ، أنت زوجة غير عاملة ولكنك لست وحدك .. ان هناك الملايين من الزوجات اللواتي يعشن لبيوتهن وأزواجهن وأطفالهن .. المهم أن تعرفي كيف تتخلصين من هذا الشعور الذي ينتابك .. أن تتعلمي كيف تجعلين من كل يوم يمر ، رحلة جديدة في عالم جديد .. فأنت تحبين بيتك وأسرتك ، وهذا الحب وحده هو الذي يستطيع أن يجعلك تنسين كل متاعب الحياة . تذكري دائما أنك زوجة سعيدة ، وأنك تحبين هؤلاء الذين يحوطونك ويتعلقون بك . وسوف تجدين السلوى في تلك الذكريات السعيدة التي تملأ قلبك وصدرك .

ثم شيء آخر .. ان الوحدة التي تعيشين فيها خلال ساعات الصباح عندما يترك الجميع البيت . الزوج الى عمله ، والأبناء الى مدارسهم .. هذه الوحدة هي التي تولد هذا الشعور الذي يحتويك بالملل .. املئي وقتك بعمل مفيد ، يبعد عنك هذا الاحساس بأنك تعيشين فقط من أجل ملء هذه الأفواه التي تعود اليك جائعة دائما .. بيتك هو مملكتك الصغيرة ياعزيزتي ، وأنت صاحبته وسيدته .. حاولي أن تخرجي من عزلتك .. من وراء الجدران العالية التي ترتفع أمامك فتحجب عنك ضوء الشمس ، فلا تصل اليك الا بمقدار ما تسمح به النوافذ الصغيرة :

« هل يستغرق عمل البيت كل وقتك ؟ لا أظن ، واذن فلماذا لاتحاولين ان تخرجي أنت من قفصك الصغير .. ؟ لماذا لاتوجهين الدعوة الى صديقاتك وجيرانك لكي يأتوا لزيارتك ، أو تذهبي انت اليهم .. أو ربما ذهبتن جميعا في رحلة قصيرة خارج البيت تلتقين فيها بهذا العالم الصغير الذي يمتلىء بصورة لايراها المرء الا عندما يقترب منها .. ؟ ومـ



أكثرها من صور تستحق الوقوف والتأمل . ابحثي عنها ياعزيزتي وسوف تجدينها في قلوب هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة الفقراء واليتامى والمرضى والمعوزين . . سوف تجدين نفسك في الجمعيات والمؤسسات التي أقامها أهل الخير من أجل كل هؤلاء وعندها فقط سوف تجدين الراحة التي تبحثين عنها من خلال عطائك ومساهمتك . . وسوف تتخلصين من الشعور الذي ينتابك أحيانا بالملل ، وسيمتلىء بيتك بسعادة أكبر . . انها تلك التي تجدينها في العطاء ، لا تحبسي قلبك الكبير داخل جدران بيتك . . دعيه ينطلق من قفصه الصغير ليمتلىء بحب لناس . . . كل الناس . »

* * *

وقالت الصديقة : « سأروى لك قصة امرأة عرفتها عشت قريبة منها على مدى سنوات طويلة قبل أن نفترق عندما ذهبت كل منا في طريق . . كانت تعمل مدرسة في احدى المدارس الصغيرة للاطفال ، في احدى ضواحي المدينة التي تزدحم بالناس والأضواء والسيارات . . وكانت تكره الزحام ، وتحب أن تعيش بعيدا عن الأضواء . فلما علمت باختيارها للعمل في هذه المدرسة ، احسّت بالارتياح ، وراحت تبحث لنفسها عن سكن صغير قريب من المدرسة التي ستذهب اليها كل صباح ، ووجدت أن أقرب سكن مناسب يبعد عن مكان عملها مسافة كيلو مترين تقريبا .

كانت صغيرة وجميلة . . فقد تخرجت لتوها من الجامعة ، واختارت التدريس لأنها كانت تحب الأطفال ، وبدأت الفتاة عملها الجديد ممتلئة حماسا وحيوية ، كانت تترك بيتها قبل شروق الشمس ، وتمشي في الطريق الطويل الذي يقودها في نهايته الى المدرسة التي اختاروها ، لكي تبدأ فيها رحلتها مع الحياة والكفاح من أجل الرزق والعيش . . فاذا

انتهى النهار ، وفرغت من عملها ، وقفت تودع أبناءها الصغار تلاميذ المدرسة ، وحملت حقيبتها وبدأت رحلة العودة الى البيت ، وكانت حريصة دائما على أن تصل الى بيتها قبل مغيب الشمس ، فقد كانت تخاف الظلام .

ومضت السنون ، وكنت ألقاها كثيرا بحكم عملنا في مكانين متقاربين ، هي في مدرسة الأطفال ، وأنا في المدرسة المقابلة لها تماما ، حيث كنت أقوم بتدريس العلوم الاجتماعية لتلميذات المرحلة الثانوية . كنت أحب هذه الفتاة الصغيرة المكافحة . وكانت تستقبلني دائما بابتسامة مشرقة . . نفس الابتسامة التي جعلت الأطفال يحبونها ، ويتعلقون بها ، ويلتفون حولها في كل مكان تذهب اليه ، حتى اذا حاولت أن تخلو بنفسها بعيدا عن العيون لتتناول طعام الغداء الذي كانت تحمله من البيت ، فلا تكاد تفعل حتى تجدهم حولها ، فتقتسم معهم ماكانت تأكل ، وكثيرا ماخرجت هي بلا طعام ، ومع هذا فقد كانت ابتسامتها دائما هناك على وجهها الرقيق الحاني ، وكأنها قد وجدت السعادة كلها في تلك اللحظات التي جلست فيها ترقب هؤلاء الصغار وهم يأكلون غذاءها ، لأنه الذ وأطيب مما يقدم لهم في المدرسة . هكذا كانوا يقولون لها . ومن هنا كانت سعادتها .

ومضت الصديقة تكمل القصة . « ثم جاء يوم لقيتها فيه ، فوجدتها أتعس انسانة في الدنيا ، قلت أسألها في قلق ماذا حدث ؟ ماذا ألم بك ؟ قالت : لقد صدر قرار نقلي الى مدرسة أخرى انها تبعد كثيرا عن المدرسة التي عرفتها ، وأمضيت فيها خمس سنوات من عمري مع أطفالي الصغار الذين أحببتهم ، وأصبحوا جزءا من حياتي ، لاتكتمل الا بوجودهم بجانبي ، انني لا أدري ماذا أفعل . سوف افتقد مدرستي ، سوف أفتقد كل طفل وطفلة من ابنائي الذين وقفت أعلمهم ، وأرقبهم وهم يكبرون . لقد نشأت بيننا صداقة لن يكون من السهل علي أن انساها . انني لا أتصور كيف أستطيع أن أفترق عنهم ، أن أعيش بعيدا عن الوجوه التي أحببتها ، المكان الذي ألفته . حتى الطريق الطويل الذي أقطعه مرتين كل يوم . مرة في الصباح مع الشروق ، ومرة في المساء قبل الغروب . . الشجرة العجوز التي كنت أقف تحتها لأستريح قبل أن أكمل رحلتي . . الساعة الكبيرة التي كانت تتوسط الميدان ، وأسمع دقاتها السبع عندما تقترب رحلتي من نهايتها بالقرب من باب المدرسة الخارجي . . بائع الصحف الصغير الذي كنت أشترى منه جريدة الصباح ، فينقل لي ملخصا لأهم الأنباء وهو يسير بجواري ليستمع الى تعليقاتي عليها . . بواب المدرسة العجوز الذي يقف لتحيتي ، ويلاحقني بدعواته . . كل هذه الأشياء . . وكل هؤلاء سوف أفتقدهم . . . » .

« ونظرت الى وجهها وهي تسير معي ونحن نقترب من باب بيتها ، فوجدت عينيها مغرورقتين بالدموع . قالت وهي تودعني : « حتى شقتي الصغيرة قد نشأت بيني وبينها صداقة لا أتصور أنني سأجدها في مكان آخر . انني أشعر أنهم بهذا القرار قد أخذوا مني شيئا غاليا أحبه وأعيش له . . انهم يريدون أن ينتزعوا قلبي . »

« وافترقنا . . وانقضت بضع سنوات قبل أن نلتقي مرة أخرى وكانت أخبارها قد انقطعت تماما عني ، ولم أعد أعرف شيئا عن عملها الجديد في مدرستها الجديدة . ولكنها لم تكن وحدها ، كان معها شاب وسيم تتأبط ذراعه وتسير معه في الطريق الطويل القريب من بيتها القديم نفس الطريق الذي طالما سارت فيه على مدى خمس سنوات متصلة الى المدرسة التي أحبتها ، ولم تستطع الأيام أن تمحو صورتها من مخيلتها أبدا .

« قالت عندما وقفت ترد تحيتي : أقدم لك زوجي ، لقد احتفلنا بزواجنا منذ أسبوعين ، وكانت مفاجأة سعيدة عندما علمت أن شقتي القديمة قد خلت بعد أن كنت قد انتقلت منها لأقيم في بيت خالتي . وقررنا أن نعود اليها ونقيم فيها . . أنا سعيدة ياعزيزتي . وغدا سوف أعود الى الطريق الذي أحببته وافتقدته . . فقد عينت مدرسة في المدرسة الثانوية التي تعملين أنت فيها ، وسأعود الى تلميذاتي ، لقد كبرن الآن ، ووصلن الى المرحلة الثانوية . لاتستطيعين أن تتصوري كم أنا سعيدة بعودتي الى بناتي اللواتي تركتهن اطفالا .

انها لم تمل الحياة التي الفتها وتعودت عليها ، بكل مافيها من رتابة لأنها تحبها .

***

يقول علماء النفس : «ليس الروتين نفسه هو الذي يثير في نفوسنا الملل ، ويدفعنا الى الشعور بالزهد في الحياة ، ومحاولة الهرب منها ، وانما هي نظرتنا الى الحياة ذاتها والى دورنا فيها انا نستطيع ، اذا شئنا ، أن نرى كل يوم شيئاً جديداً ، تماما كما لو كنا ننظر الى لوحة جديدة ، أو نقرأ كتابا جديدا أو نستمع الى قصيدة جديدة مليئة بالمعاني الحلوة . »

ان الدفء الذي يملأ قلوبنا ، والحب الذي يسيطر على مشاعرنا ، والحماس الذي نستقبل به يوما الجديد . هذه الانفعالات مجتمعة هي الوقود الذي يدفعنا ويحرك فينا الرغبة في الاستمرار في الحياة التي ألفناها وتعودنا عليها

ثم لماذا نذهب بعيدا . ان كل شيء من حولنا في هذا الكون الهائل يسير طبقا لنظام دقيق رتيب لايتغير ، منذ أن بدأت الحياة على الأرض .

وهكذا الحياة نفسها . . كل شيء فيها يسير وفق نظام وضعناه نحن لأنفسنا حتى أصبح بالنسبة لنا عادة . . فالزواج عادة . . والعمل عادة . وحتى الفكر المتجدد المتطور عادة . ومع هذه العادات يتولد الشعور بالروتين . . ولولاها لما استطاع الكتّاب والمؤلفون والمخترعون أن يقدموا للبشرية ماقدموه نتيجة لأعمالهم وبحوثهم التي لم تتوقف أبدا . . أما الملل الذي نحس به أحيانا في فترة أو في أخرى من مراحل حياتنا . والذي نحاول الهرب منه ، فهو شعور ملازم للحياة ، وفي يدنا وحدنا الخلاص منه يجب ألا ننسى أن النهار والليل يتعاقبان ، وأننا لم نر شروق الشمس يوما وسط ظلام الليل الطويل □

الجمال في ألفاظ

رتب القدماء حسن المرأة في الفاظ فقالوا : اذا كانت المرأة بها مسحة من جمال فهي (وضيئة) و (جميلة) ، واذا كانت لاتبالي أن لا تلبس ثوبا حسنا ، ولاتتقلد بقلادة فاخرة فهي (معطال) .

واذا كان حسنها ثابتا كأنه وسم فهي (وسيمة) ، فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي (قسيمة) ، واذا كان النظر اليها يسر الروح فهي (رائعة) ، واذا غلبت النساء بحسنها فهي (باهر) . واذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي (غانية) وجمعها غوانٍ ، وفي هذا المعنى الأخير أنشد شوقي :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي (خود) واذا كانت لطيفة الكشحين فهي (هضيم) . واذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي (ممشوقة) ، واذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي (عطبول) ، واذا كانت عظيمة الوركين فهي (ورکاء) و (هرکولة) ، واذا كانت عظيمة العجيزة فهي (رداع) ، واذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي (بضة) ، واذا كانت حيية فهي (خفرة) و (خريدة) ، واذا كانت منخفضة الصوت فهي (رخيمة) .

طبيب الأسرة

ماذا تفعلين إذا اصيب ابنك بالحصبة ؟

تعتبرالحصبة من أكثر الأمراض الشائعة والمعروفة لدى الأطفال ، بل هي أكثر الأمراض ازعاجا للامهات وإرهاقا لصحة الاطفال . وهي مرض ناتج عن فيروس ينتقل إما بصورة مباشرة من المرضى عن طريق الرذاذ الذي يفرزه الأنف ، أو بصورة غير مباشرة من الأدوات حديثة التلوث التي يستعملها المريض .

الحصبة عادة تصيب الأطفال بعد السنة الاولى حيث يفقدون المناعة الموجودة في أجسامهم ، التي أخذوها من امهاتهم اثناء شهور الحمل . كذلك قد تصيب الحصبة الكبار الذين لم يصابوا بها وهم صغار .



مراحل المرض

بعد مرور الفيروس بدور من الحضانة يتراوح بين ٧ ـ ١٤ يوما تظهر الأعراض الاولى للمرض من رشح في الأنف ، ودمع في العينين مع احتقان وعطاس وحمى خفيفة وسعال حاد متكرر . وهذا الدور يستمر حوالي ٤ ايام . تظهر في اليوم الثالث من هذه الأعراض البقع المميزة لمرض الحصبة ، وفي اليوم الثاني لظهور هذه البقع يظهر طفح الحصبة على العنق والوجه ، وترتفع درجة حرارة المريض ، وينتشر بعدها الطفح تدريجيا على الصدر والأطراف العليا ثم البطن والأطراف السفلى حسب التسلسل ، وعندما يبدأ الطفح بالاختفاء يأخذ نفس التسلسل أيضا .

مريض الحصبة يظل معديا خلال الخمسة ايام الاولى لحين ظهور الطفح . وقد يختلط الأمر على بعض الأمهات حيث تتشابه الحصبة مع كل من الحصبة الالمانية وهو مرض ناتج عن فيروس أيضا يختلف عن الحصبة حيث تكون اعراضه خفيفة ، كما لايظهر طفح على الجسم وانما يحصل تضخم بالغدد اللمفاوية العقبية الخلفية ، والغدد التي تقع خلف الأذنين .

هناك مرض ثانٍ مشابه للحصبة حيث يظهر في هذا المرض الطفح مباشرة بعد انخفاض الحرارة .

ومن أهم الأمراض التي قد ترافق الحصبة

التهاب الاذن الوسطي والتهاب الدماغ الذي اما أن يظهر أثناء الطفح أو بعد مرور عشرة أيام من اختفائه .

الوقاية من الحصبة :

تكون الوقاية من الحصبة اما باعطاء مناعة مكتسبة بواسطة مصل يحتوي على مادة « كاماالكوبولين » او باعطاء لقاح الفيروس الضعيف .

ويفيد التطعيم عادة الاطفال ضعاف البنية او الصغار والمصابين بأمراض أخرى اثناء وجودهم مع اطفال مصابين بالحصبة ، وذلك لمنع تعرضهم لمضاعفات هذا المرض . ولاننكر أهمية هذا اللقاح ، ودوره الفعال في منع الحصبة ، حيث ان ذلك يخفف من آلام الطفل ويقلل من ارهاق الام . ويبدو أن هذا اللقاح سيساعد في قطع دابر الحصبة من الارض .

علاج الحصبة :

في حالة عدم وجود أطفال آخرين ، يوضع الطفل في فراشه بغرفة خافتة الضوء وذلك للتقليل من حساسية العين للضوء ، ويعطي أدوية مخفضة للحرارة ، ومسكنة للسعال ، وقطرات مهدئة لاحتقان العينين ، ولفتح المجاري الانفية . ويجدر بالام محاولة ابقاء ابنها داخل غرفته حتى يتعافى تماما . □

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

ظفر العين pterygivm

● اعانى من وجود زوائد لحمية طرف العين قال لى الطبيب عنها انها ظفر العين ، ونصحنى بازالتها بعملية جراحية بسيطة على حد قوله .

ولكننى متردد ومتخوف من المضاعفات فما هو ظفر العين ، وما هى المضاعفات لو تركته ، أو أجريت له العملية الجراحية .

ف . ع الدوحة

ظفر العين أو ظفرة العين ، تعبير عن امتداد لحمى ليفى مخروطى الشكل يتجه من زاوية العين الى وسطها على غشائها المسمى بالملتحمة .

والأغلب أن يكون الظفر من الزاوية الداخلية للعين الواحدة ، وربما كان فى الزاوية الخارجية ، أو ربما أصاب العينين معا ، وهذا أمر يندر حدوثه .

والملتحمة conjunctiva هي اسم الغلاف الخارجى للعين ، وباطن الجفون حيث موقع الظفر الذى يبدأ من زاوية العين فى خيوط ليفية ، على شكل قمع مدبب الرأس يتجه الى وسط العين حيث القرنية الشفافة ، ببطء غير ملحوظ ، وتتخلله شعيرات من الأوعية الدموية الحمراء ، كما أن الالياف تفرز جذورها فى بياض العين أو ما يعرف بالصلبة (Sclera) .

ان ظفر العين لا يعتبر فى عرف أطباء العيون مشكلة خطيرة الا اذا ترك ليصل الى منطقة القرنية الشفافة ، ومن هنا فانه يحجب الرؤ ية ويسد فتحة

الزوبؤ ، ويؤدى الى عمى جزئي ، كما أن ازالته جراحيا عند هذا الحد قد تؤدى الى عواقب لا تستحب منها عتامة القرنية

هذا الى أن ازالة الظفر واقتلاعه من جذوره جراحيا في بدايته مأمونة الجانب ، وليس لها مضاعفات ، واذا ما كانت الازالة تامة صحيحة يكون احتمال عودة الظفر نادرا كما أنه لا يخلف تشوها أو ضعفا

القلق مرض العصر

● **تستولي علي ضغوط فكرية داخلية تدفعني الى اعتزال الناس ، وأكون منطويا على نفسي مما سبب لي فشلا في حياتي العملية والاجتماعية ، وقد تناولت بعض المهدئات ، ولكن دون جدوى ، والأفكار والوساوس المخيفة تلاحقني دوما مع اقتناعي أن هذه الأفكار لاتطابق الواقع والمنطق ، فما سبب هذا المرض وما هو العلاج ؟**

ج ف - الرباط - المغرب

الخوف ظاهرة طبيعية لدى الخلائق ، يقيها من المخاطر التي تحيط بها ويبعدها لملاقاتها ولكن الخوف عادة يكون من شيء معلوم معروف ، يتوقع له المخلوق نتائج وخيمة

غير أن هناك خوفا من أمر مجهول غير معروف السبب،يتوقعه الانسان من داخل ذاته ، ومن رسم مخيلته ، ويستحيب حسمه له ، وهذا ما يعرف بالقلق . وهو مرض شائع في عصرنا الذي اختلطت فيه البيئة ، وتعقدت لدرجة قد لايحتملها البعض .

ربما كان بعض القلق في الحدود المعقولة التي يمكن تجاوزها وادراك كنهها ، مثل قلق الأم على ابنها الغائب أو المريض توهما أن سوءا قد يلحق به ، ومنها قلق الطالب عقب الامتحان خوفا من الفشل ، واذا كان الخوف مؤقتا تصاحبه بعض ردود الفعل ، كوقوف الشعر ، وتوتر العضلات ، وخفقان القلب ، وزيادة سرعة التنفس ، فان كان القلق دائما نسبيا ، تطول الأعراض وتدوم ، مما يسبب ارهاقا جسديا ونفسيا للمريض ، لهذا كانت لمرض القلق أعراض متميزة منها

١ - الشكوى من زيادة ضربات القلب مع رعشة في الاطراف

٢ - أعراض هضمية مثل عسر الهضم والانتفاخ والغثيان والمغص والاسهال أو الامساك مع الغازات

٣ - أعراض تنفسية على صورة سرعة التنفس مع شعور بالضيق واللهثان .

٤ - كثرة افراز العرق وتوتر العضلات ، مما يؤدي الى شعور بالتعب مع أقل مجهود ،والاجهاد من أي عمل بسيط

٥ - شعور بما يشبه الصراع غالبا ما يكون توترا في عضلات الرقبة وفروة الرأس ، مع شعور بالدوار

٦ - أعراض نفسية تتمثل في حساسية المريض وعزوفه عمّن حوله ، والملل من أي نقاش مع اضطراب في الذاكرة وضعف في انتاجه الفكري .

كثيرا ما يتهرب المريض من مواجهة مشكلته والاعتراف بمرضه النفسي ، خوفا من أن يتهم بمرض عقلي ، مما يعقد المشكلة ويصعب معه العلاج وخصوصا أن جذور المشكلة عادة ما تكون عميقة وتقوم على محورين :

أ - أسباب كامنة في العقل الباطن منذ عهد الطفولة ، نتيجة التربية الخاطئة سواء منها الافراط أو التفريط في العناية .

ب - مشكلة معقدة يعجز المريض عن حلها والخلاص منها ، لدرجة تلاحقه دوما في كل أوقاته .

والقضية كما نرى على هذه الصورة تحتاج الى الاطمئنان على سلامة الجسد بالتحليلات والفحوص المخبرية ثم عناية طبيب الامراض النفسية المختص والعلاج بالعقاقير المناسبة .

مساحة وُدّ

تجوع الحرة

كان التناقض حاداً وعميقاً ، وشاءت الظروف أن أرى جانبي الصورة في يوم واحد ونهار واحد وبقدر قسوة الصورة . . دُفِعَ عقلي الى التساؤل والتفكير ! كنت في إحدى العواصم الافريقية حيث الجوع مسمار يدق العظم ، والفقر يملأ الأفواه ، والشوارع مهولة ، والضواحي مظلمة غارقة في العتمة والعرى والفقر ، وعلى جانبيْ الطرقات وفي بهو الفنادق المتواضعة تتكاثر الفتيات عارضات أنفسهن يتلهفن على ابتسامة عابرة ، وينتظرن اشارة صغيرة ، ومن هذه العاصمة انتقلت الى جنيف في طريقي الى بلد افريقي آخر ، وفي محطة الانتقال أمضيت ليلة ونصف نهار .

قضيت أكثر من ثلثي الليل أطوف شوارع العاصمة السويسرية حيث أعلى دخل للفرد في العالم ، وحيث الثراء والرفاهية ومجتمع الوفرة . ومارأيته في العاصمة الافريقية تكرر بصورة اخرى في جنيف ـ الفتيات والنسوة يقفن شبهْ عرايا يعرضن انفسهن خلف أبواب زجاجية . . ولايخجلن من الاشاره اليك بالدعوة ، ولا من الجسد العاري . وكتل الأصباغ فوق الوجه . . وراح العقل يتساءل ويفكر في افريقيا حيث الجوع والعرى . . قد يكون التصرف مفهوما والسلوك الانساني له ما يبرره ، وهو تصرف وسلوك لانحترمه ولانوافق عليه ولكنه مفهوم ، أما غير المفهوم فهو ذات السلوك في عاصمة أعلى دخل للفرد ، فلا توجد الفاقة أو الجوع حتى الموت ، الذي يدفع البشر الى امتهان أنفسهم كحل للخلاص من أسر الجوع ومن هنا فاني اتصور أنه ليس صحيحا « أن الفقر مسئول عن الانهيارات الاخلاقية » ، وأن العلاقة العكسية التي يراها البعض بين الفقر والاخلاق لاصحة لها ، ففي مجتمعنا العربي هناك ٩٠ بالمائة على الاقل أسر فقيرة ، وبرغم ذلك فان أخلاق هذه الاسر لم تصل الى هذا الانهيار ، فالفقر يخلق حالة من النبل والرقة والحساسية ، اذا كان فقرا داخل بيئة تزخر تقاليدها باحترام الجهد الانساني ، وترى في شموخ الجسد وعفته ونقائه دليلاً على سلامة الروح ، فلا يمكن أن تتطهر روح واماؤ ها قذر ، ولعل عمق التناقض دليل على صحة هذه الرؤ ية ، ففي الحالة الاولى يطمع البعض في رغيف أو دواء ، أما في الحالة الثانية فالبعض يبحث عن مزيد من الرفاهية ، ولاأدرى لماذا تذكرت واقعتين · الاولى لاحدى شبكات بيع اللحم الأبيض ، فقد كشف التحقيق المبدئي عن ثروات باهظة لدى افرادها . والواقعة الثانية لاب قتل زوجته واطفاله خوفا من الفقر والجوع ، وكلما كانت ابعاد الصورة تتضح امام عيني ، كان ايماني يزداد بان الفقر ليس مبررا معقولا وحتمياً لانهيارات الاخلاق ، ولكن القضية تكمن في التربية ، وثقافة المجتمع الذي يقدر كبرياء الجسد الانساني ، ويعلي قيمة الانسان من حيث هو انسان ، مجتمع يتوارث أجياله مأثورا شائعاً عن الحرة التي تجوع ولاتأكل بثدييها .

في اخلاق المجتمع الاجتماعية وثقافته يكمن السبب وليس في الفقر . فكم في عالمنا من فقراء نبلاء قديسين .

محمود عبدالوهاب

تراتيل صوفية

شعر :
الدكتور عيسى درويش

كلما فكرت فى هذى الحياة
وبسرِّ الخَلْقِ . . والكونِ وآلافِ الصورْ
وتذكّرتْ بأنى عابرٌ نهرَ الزمنْ
رُحتُ يافاتنتى أبحثُ عنكِ
فى السما والموجِ
فى عِطْرِ الزَّهَرْ
ودعاءِ الطير لله . . بأغصانِ الشجرْ

* * *

كلّما فكّرتُ فى الصدفةِ . .
فى اللغز الذى جاء بنا
ورأيتُ الناسَ قد مرُّوا
على تلك الدُّنا
ثم راحوا بين طيات الحُفَرْ
رحتُ ياملهمتى أبحثُ عنكِ
فى انبلاج الصبحِ
فى بَوْحِ الوَتَرْ
وضياءِ الشمسِ . . . أو ضوءِ القمرْ

* * *

عندما أمعنُ تفكيرى . . بأخلاقِ البشرْ
وبفعلِ الناس من خيرٍ وشرْ
وأرى القومَ على جسر الصراط
رحت يافاتنتى . . أبحثُ عنكِ
فى كتابِ الله . . ما بين السُّوَرْ

* * *

كلما صَلّيتُ للرب صلاةَ التائبين
ونما الايمان فى قلبى برب العالمين
وسَمتْ نفسى على حبِّ الفضيله
رحت يافاتنتى أبحث عنكِ
فوجدتُ الحل فى أنّا بشرٌ . . . فأنا أنتِ . . ولكنْ فى
صُوَرْ



ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

"فـــا"

الفابيـــة

جمعية اشتراكية بريطانية تأسست عام ١٨٨٤ ، تؤمن بالاشتراكية وترى أن تطبيقها يجب أن يتم بالتدريج ، أي عن طريق البرلمان ، وكانت بدايتها جمعية أخلاقية تضم مجموعة من المثقفين الذين يريدون رفع مستواهم الثقافي ، ويديرون نقاشات فيما بينهم حول أوضاع المجتمع وظروفه .

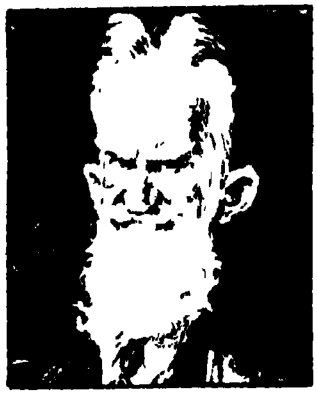
ورغم أن البداية كانت شديدة التواضع ، وبدأت بتسعة أشخاص رأسهم فرانك سادمور ، الذي استأجر شقة صغيرة في العاصمة البريطانية ، لتكون مقرا للجمعية رأسمالها لايزيد عن عشرين شلنا ، الا أن الجمعية امتد تأثيرها واتسع حتى شمل الحياة السياسية والفكرية في الجزيرة البريطانية وأوروبا كلها .

وينتهي نسب اسم الجمعية والذي اختاره « سادمور » الى الجنرال الروماني القديم « فابيوس كانكاتور » ، واختار مجموعة من أشعار فابيوس لتكون شعارا للجمعية ، وقد كان اختيار فابيوس ايمانا بفكرته في الاستراتيجية والتكتيك وتشبها به ، فقد كانت خطة فابيوس في حربه الشهيرة ضد هانيبال أن يصبر عليه طويلا ، ثم هاجمه من الأطراف ، ولم يصطدم به وجها لوجه أبدا ، وانتصر عليه في النهاية بهذا التكتيك . وهكذا خطة الفابيين:الانتظار طويلا على الرأسمالية ، والتزام الصبر حتى يحين وقت الانتصار .

وقد كان من الممكن أن تظل الجمعية الفابية جمعية أخلاقية اجتماعية ، لولا أن التحق بها شخصيات متوقدة الذكاء شديدة الملاحظة،راغبة في الاسهام في التغير . وتدين الفابية بهذا الى ثلاث شخصيات هي جورج برناردشو ، وسيدني ويب ، وكير هاردي ، فوضع شو ميثاق الجماعة وبحث في ضم زميله ويب ـ الذي كان يعمل معه في وزارة المستعمرات الى الجمعية ـ ، وقام ويب باجراء البحوث ، وجمع الاحصاءات والبيانات للاسهام في وضع تصور علمي وعملي لقضايا المجتمع ، وكان انضمام كير هاردي ـ زعيم النقابات ـ مؤشرا هاما على تحولات داخل النظام الاقتصادي والاجتماعي . يقول ببساطة:ان العمال لا يأملون خيرا كثيرا من حزبي المحافظين والأحرار ، وأنه لابد أن يكون لهم قوة سياسية مستقلة ماداموا يشكلون قوة اجتماعية .

واذا كان هناك فضل يذكر لتوجه الفابية الى العمال،والعمل من خلالهم،فانه يعود الى بياتريس ويب ابنة الطبقة الارستقراطية ، التي انسلخت عن طبقتها وتزوجت سيدني ويب ، ونبهت الجمعية الى ضرورة العمل وسط العمال ، لأن نقابات ذلك العصر انصرف اهتمامها الى الجمعيات التعاونية ، والحصول

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



برناردشو

على امتيازات شخصية ، وأعملت الصراع من أجل تحقيق وضع أفضل للعمال .

ولمزيد من فهم الاطار الفكري للفابية فانه لابد من فهم التيارات السائدة في المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت . كانت التيارات السائدة في أوروبا وبريطانيا حينئذ هي الماركسية التي ينادي أصحابها بالثورة الطبقية الحاسمة ، وحركة الاشتراكية الدولية ، وجماعة الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي ، وعصبة الاشتراكية ، التي كانت تتأثر بالأفكار الفوضوية ، وكان المجتمع البريطاني يعيش في مرحلة احباط شديد ، فالعنف في المطالبة بتحقيق العدل الاجتماعي لم يصل الى شيء ملموس ، وكانت نهاية الثورات الفرنسية في أعوام ١٨٣٠ ، ١٨٤٠ ١٨٧٠ درسا لعدم جدوى العنف ، وأكده نزول الجيش الى شوارع الجزيرة البريطانية بقيادة الاميرال ويلسون ، بطل موقعة واترلو لقمع المتظاهرين .

في هذا المناخ والجو ظهرت وتبلورت أفكار الفابية ومن هنا فليس غريبا ايمانها بالتدرج والنسبية والمهادنة المؤقتة ، والتسلل الى صفوف الخصوم متخذة الرأسمالية مثالا واضحا . فقد استطاعت الرأسمالية أن تتسلل الى برلمان المجتمع الاقطاعي حتى استولت عليه . وانتشرت هذه الصفات واتسعت حتى أصبحت سمة أساسية لكل الاشتراكية الديمقراطية .

ويختلف الفابيون في تصوير الصراع الطبقي . فهم يرون أن هذا الصراع لا ينشب بين من يملكون ومن لا يملكون ، بل بين الذين يحصلون على ناتج العمل السريع والذين لا يحصلون عليه ، أي بين مجموع الشعب من عمال ومديرين ومفكرين وعلماء وبين الذين يستفيدون منهم . ويتفق الفابيون في كثير من آرائهم الاقتصادية مع جون ستيوارت ميل أكثر من ماركس ، فهم مع ميل في الاصلاح الزراعي واعادة توزيع الأرض،وضد التيار الماركسي في تأميم الأرض ، ويرون أن نظرية الريع وعدالة توزيع الأرض التي هي مصدر الريع لا تنسحب على القطاع الزراعي فقط ، بل تشمل كل منابع الثروة ، وهم بالتالي أصحاب اتجاه اصلاحي،ولا تغيير جذري كالتيار الماركسي .

ومن هنا فقد تبنوا فكرة الضرائب التصاعدية كحل تشريعي لاعادة توزيع الثروة،وانطلاقا من نقطة « البين بين » والحل التدريجي عن طريق البرلمان ، انطلقت كل أفكار الفابية لوضع حلول اشتراكية لمشاكل المجتمع واستمرت الجمعية في النشاط ، الى أن خرج من صفوفها حزب العمال البريطاني ، والذي مازال يضع أمام مقره تمثالين لسيدني وبياتريس ويب عرفانا بفضل الجمعية على الحركة الاجتماعية والعمالية . □

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ لو كان لديك شريطان أحدهما من النايلون والآخر من الألمنيوم .. وكانا متساويي القطر .. ترى أي الشريطين يفوق الآخر قوة ومقاومة لفعل الشد ؟

٢ ـ حجر رشيد .. اكتشفه في مصر علماء فرنسيون سنة ١٧٩٩ .. وكان لاكتشافه أثر كبير في حل رموز الكتابة الفرعونية .. ترى أين يوجد هذا الحجر حاليا ؟ :

- في القاهرة
- في باريس
- في لندن

٣ ـ مسألة حسابية بسيطة وهي : ٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠ هل تستطيع كتابتها بالأرقام اللاتينية التي كانت سائدة في شتى أقطار العالم قبل انتشار الأرقام الهندية / العربية ؟

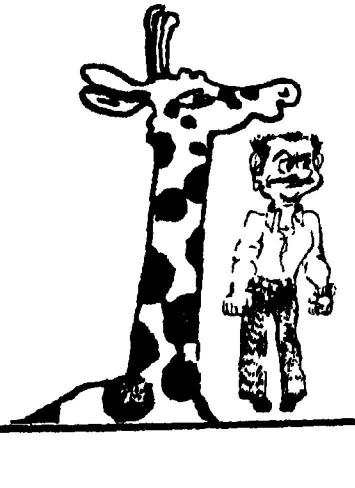
٤ ـ علمان من أعلام الدول المستقلة .. يطابق أحدهما الآخر تمام المطابقة ، سواء بالشكل أو الألوان أو النقش ، هذا بالرغم من أن العلمين يخصان قطرين مختلفين متباعدين ، ولا يربط بينهما أي رابط في الحاضر أو الماضي .. فما هذان القطران ؟ .. علما بأن أحدهما يقع في أوربا والثاني في أمريكا اللاتينية .

٥ ـ نهر الخابور الأعظم ونهر الخابور الأصغر أين يقعان وأين يصبان ؟

٦ ـ السلين ـ الستروستومايسين ـ الكلورومايستين ـ والانسولين .

اسماء كلها متجانسة ، ما عدا واحدا .. فأيها هذا النشاز .. ولم تعتبره نشازا .. ؟

٧ ـ ما عدد الفقرات في رقبة الانسان وفي رقبة الزرافة ؟ . علما بأن طول رقبة الانسان لايزيد على ٣٠ ـ ٤٠ سم مهما طالت ، بينما طول رقبة الزرافة يبلغ ٣ ـ ٤ امتار .



الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر ١٩٨٥ .

٨ ـ الجاحظ والدميري . . لكل منهما كتاب في الحيوان ، فما اسم كتاب كل منهما ؟

٩ ـ طائفة الموارنة طائفة مسيحية كبيرة في لبنان ظهرت سنة ٤٠٠ ميلادية ونزحت الى لبنان سنة ٧٤٥ /٤٦ م ، ترى أين ظهرت ؟

١٠ ـ حجر الفلاسفة لم يكن وقفا على علماء العرب في القرون الوسطى . . وقد اعتقد به احد كبار العلماء الأوروبيين في العصور الحديثة : ترى من هو هذا العالم ؟ :

- اينشتين
- مدام كوري
- اسحق نيوتن .

١١ ـ اي دول امريكا الجنوبية تسمى وحدة عملتها قرطبة . ؟

١٢ ـ ميزان فهرنهايت وميزان سلسيوس المئوى للحرارة ميزانان متفاوتان كما هو معروف . . فالصفر المئوى يعادل ٣٢ درجة فهرنهايت . . ترى ما هي الدرجة التي يلتقي عندها الميزانان ويتساويان تماما . ؟

العدد ٣٢٠

يوليو ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ

٢ ـ

٣ ـ

٤ ـ

٥ ـ

٦ ـ

٧ ـ

٨ ـ

٩ ـ

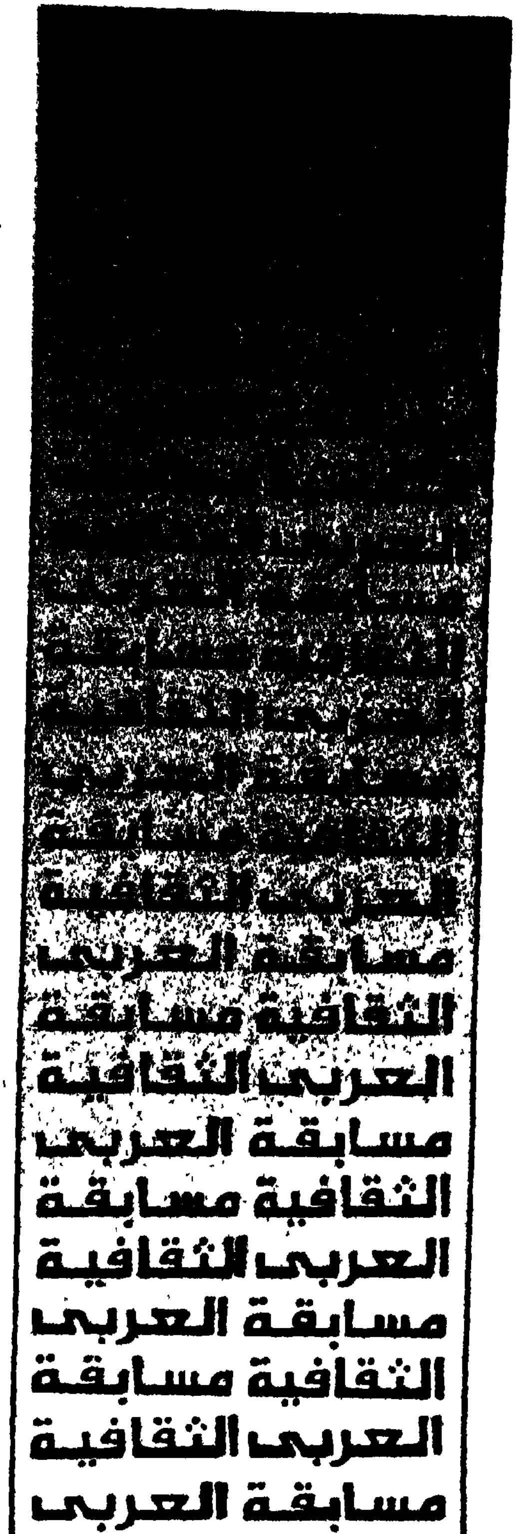
١٠ ـ

١١ ـ

١٢ ـ

الاسم . . .

العنوان . . .



حل

١ - نعم ، توجد جبال شاهقة على سطح القمر ، وبعض هذه الجبال يفوق جبل افرست ارتفاعا . .

٢ - ديوجينس الفيلسوف الاغريقي الساخر (٤١٢ - ٣٢٣ ق . م) هو قائل العبارة ، وقد وجهها الى الاسكندر المقدوني حين زاره هذا قبيل حملته الشهيرة ، وسأله مايريد

٣ - الهند هي التي اتخذت من اللغة الانجليزية لغة رسمية ثانية لها

٤ - لامسافة بين فورمورا وطيوان . لأن فورموزا هي طيوان وطيوان هي فورموزا . وهي جزيرة تقع على بعد ١٠٠ ميل الى شرق الصين . وعاصمتها تايباي ، وهي مقر حكومة الصين الوطنية .

٥ - البوابة الذهبية هي المضيق الذي يقع في مدخل خليج سان فرانسيسكو في كاليفورنيا . ويبلغ طول المضيق ٥ أميال ، وعرضه ميلين تقريبا . ويسمى الجسر الذي يقطع ذلك المضيق بجسر البوابة الذهبية ، ويعتبر أطول جسور العالم المعلقة (٤٢٠٠ قدم)



مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

٦ ـ الأصح قولك نقه المريض نقها . أما نقه نقاهة فتعنى فهم الكلام . .

٧ ـ الاسم الطويل (سومي تاساملتا) هو اسم فنلنده الثاني .

٨ ـ استهتر بالشيء أصبح مولعا به لايتحدث بغيره ، ولايفعل غيره .

٩ ـ لانرى من القمر الا وجها واحدا لأن القمر يدور حول نفسه كما يدور حول الكرة الأرضية ، ويستغرق في كلتا دورتيه نفس المدة تقريبا (٣/١ ٢٧) يوم

١٠ ـ تبلغ سرعة الصوت ٣/١ كيلومتر في الثانية . . بالضبط ٣٣٢ مترا . أوما يعادل ٧٦٠ ميلا في الساعة . . وذلك في الهواء وبدرجة حرارة صفر مئوية .

١١ ـ جلد الشموا نسبة الى وعل الشموا الذي له فروة مخملية . والذي عمدوا الى تقليده في الدباغة ، فكان الجلد المخملي الصناعي الذي سموه شموا .

١٢ ـ مساحة حلبة الملاكمة تبلغ ١٨×٢٥ قدما . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

الجائزة الاولى كمال أبو اليزيد شاه / مدرسة الشوربجى / كفر الزيات / مصر

الجائزة الثانية : عبدالزهرة عبدالجبار علي / العراق / بصرة / عشار

الجائزة الثالثة فاضل بن نصر / ١٥ نهج الأمل / سيدى أبو سعيد / الجمهورية التونسية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

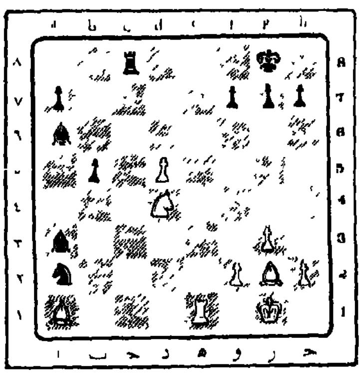
١ ـ صلاح كاظم بلبيل / بيروت ـ لبنان
٢ ـ أميرة خريشه / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية
٣ ـ صلاح الدين عبدالقيوم أبو شامه / بور سودان / جمهورية السودان الديمقراطية .
٤ ـ أحمد سالم الفريقى / خور مكسر / عدن ـ اليمن الديمقراطية .
٥ ـ بشير سليم عوامة / الكويت .
٦ ـ يوسف عبدالله الشبعان / المحرق ـ دولة البحرين
٧ ـ بثينه علي محاسنه / مطار الملك خالد الدولى / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .
٨ ـ رياض الحارس / دمشق ـ سبع بحرات ـ مديرية المصالح العقارية ـ الجمهورية العربية السورية .

معركة بلا سلاح

مباراة العصر

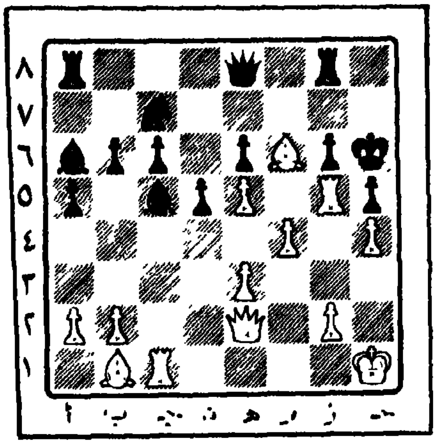
وأخيرا وبعد ستة أشهر من اللعب المتواصل أوقف السيد فلورنشيو كامبومينز رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج مباراة العصر بين بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف (٣٣ سنة) ومواطنه الروسي حاري كاسباروف (٢١ سنة) وسط الاحتجاج المصطنع من بطل العالم والثورة العارمة من متحديه على اللقب الذى فاز بثلاثة أدوار متتالية بعد الأدوار الخمسة المتتالية التى فاز بها كاربوف في بداية المباراة . وقد حدّد الاتحاد الدولي موعد الجولة القادمة بين البطلين فى شهر سبتمبر القادم من العام الحالي بعد أن سنّ للمباراة القادمة عددا من القوانين الجديدة أهمها تحديد عدد الأدوار التى يلعبها البطلان بأربعة وعشرين دورا فقط ينعقد النصر فيها لمن يفوز بستة أدوار أولاً أويحصل على نتيجة أعلى فى نهايتها .

وما أن أفاق العالم من الصدمة المذهلة التى سبّبتها هذه النهاية العجيبة لماراثون العصر حتى بدأ المحللون من كبار أساتذة الشطرنج يتناولون أدوار المباراة بالدراسة والتحليل والتعليق ، وقد اسفرت هذه الدراسات عن اكتشافات مثيرة حقاً ، فالدور السادس مثلاً الذى انتهى بفوز كاربوف كان يمكن ان يكسبه متحديه بسهولة . (انظر الشكل)



فقد اختار الأبيض (كاسباروف) ان يلعب ٢٧ ٠ ح - جـ ٦ لسدّ العمود جـ فى وجه قطع الخصم ، واثبت التحليل ان النقلة ٢٧ ٠ ح - و٥ أقوى بكثير فهى تهدد بكش مات بمؤازرة فـ×ز٧ وفي الوقت ذاته تسمح للبيدق د أن يتحوّل إلى قطعة مهاجمة في منتهى الخطورة . وفيما يلي التفريعات المحتملة بعد النقلة ٢٧ ٠ ح - و٥ :

(١) ٢٧	ر ٦
٢٨ . د٦	ز×و٥
٢٩ . د٧	ويليها
٣٠ . ر - هـ ٨ +	
(٢) ٢٧	ر-د٨
تفادياً للكشة المضاعفة	
٢٨ . ف×ز٧	ف-جـ٨
٢٩ ف-و٦	ر-و٨
٣٠ . ح-حـ٦	كش مات
(٣) ٢٧	ف-ب٤
٢٨ . ر-هـ٢	ح-جـ١



مسابقة العدد :

مسألة رقم (٣١)

الابيض يلعب ويكش مات في ٤ إلى ٥ نقلات

حل المسأله رقم (٢٩)

مفتاح الحل : حـ٣

---

٢٩. ر-هـ٤ — ف-و٨
٣٠. د٦ — ح-ب٣
٣١. د٧ — ر-جـ١+
٣٢. ف-و١ — ر-د١

وبدلا من اغلاق العمود «د» بالنقلة ٣٣ ف د٤ يستطيع الابيض أن ينهي الدور كما يلي .

٣٣. ر-هـ ٨ — ر×د٧

(لو لعب الاسود ٣٣. . . . ح×أ١ لرد الأبيض ٣٤ ح-هـ٧ كش مات)

٣٤. ف×ز٧ — حـ٥
٣٥. ر×و٨+ — م-حـ٧
٣٦ ر-حـ٨+ — م-ز٦
٣٧ ر-حـ٦+ — م×و٥
٣٨. ف-حـ٣+ — ويفوز بالرُخ
(٤) ٢٧ . . . — ف-ب٤
٢٨. ر-هـ٢ — ح-جـ٣
٢٩ ف×حـ٣ — ف×جـ٣
٣٠. ر-أ٢ — (٣٠. ح-هـ٧ قوية أيضاً وتحقق للابيض الفوز بالفرق)
٣٠ . . . . — ف-ب٧
٣١ ح-هـ٧+ — م-و٨
٣٢. ح×جـ٨ — ف×جـ٨

٣٣. ر×أ٧ ويصبح الاسود أعزل أمام ٣٤ ر-أ٨ أو ر-جـ٧ أو د٦ والتي يتبعها ٣٥ ف-جـ٦

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٨

عدد ابريل ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ حسين الأزهري ـ الزقازيق / ج . م . ع
٢ ـ لولوة المرهوم ـ المنامة / البحرين
٣ ـ احمد سليمان ـ عمان / الاردن
٤ ـ مراد توفيق ـ المانيا الغربية
٥ ـ وليد سعد الله ـ القادسية / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ وفاء حناوي ـ اللاذقية / سوريا
٢ ـ مصطفى بن يوسف ـ حربه / تونس
٣ ـ ازهري خضر ـ متزده / ليبيا
٤ ـ طالب العامري ـ حضرموت / اليمن
٥ ـ علاء فريد ـ الزقازيق / ج . م . ع

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

اللغة العربية هي لغتنا الام ، التي قال فيها الخالق سبحانه « انا انزلناه قرآنا عربيا » ثم ان هذه اللغة هي التي حركت قرائح الشعراء منذ القدم ، وتركت لنا تراثا أدبيا خالدا له اصالته ومكانته والعاميه هي لهجة الناس فيما بينهم ، ولم تكن في أي يوم من الأيام لغة يكتب بها الكاتب او يقرا بها القارئ فالعربية هي لغة التفاهم بين ابناء العروبة الذين اختلفت لهجاتهم العامية عن التعبير والتفاهم فيما بينهم

العربية لا الفصحى

● ينتشر في مجتمعنا العربي العديد من المشكلات المشتركة والخطيرة ، ومن أهمها مشكلة « احلال اللغه العاميه مكان الفصحى »ولما كان دور مجلتنا «العربي» هو تأكيد إصالة اللغة العربية ، فان المطلوب منها التصدى لدعاة العامية ، الذين ينادون بها ونبذ اللغة الفصحى التي جاء بها القرآن الكريم

وقد كتب « ويلكوكس » الانجليزي كتابا يزعم فيه أن اللغة الفصحى هي السبب الكامن وراء التخلف المصري ، لانها لغة ترف ذهني وليست لغة ابداع علمي . والدعوه الى العامية لم تكن الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفصحى ، بل كانت هناك وسائل أخرى ، منها الدعوة الى استبدال الحروف اللاتينيه في الكتابة بالحروف العربية ويعتبر « سلامة موسى » في مقدمة من دعا الى ذلك في كتابه « البلاغة العربية واللغة العصرية » الذي صدر في عام ١٩٤٥م

محمد جابر محمد عبد الله - أسيوط - مصر العربية

النوبة . . منطقة مصرية

● اعتبرت بلاد النوبة من أيام الأسره الثامنه عشرة احد أقاليم مصر وكان الملك المصري قد قام بتعيين حاكمها الذى اطلق عليه « ابن الملك حاكم كوش » وكانوا ايضا يدينون بالعبادات المصرية في ذلك الوقت

وحين توفي شيشنق الأول ، حاكم مصر قام بعض الكهنة الذين لم يرضوا عن هذا الوضع بالهجرة الى بلاد النوبه وقاموا بطقوسهم الدينية هناك للاله « امون رع »

واذا كان البعض لايزال ينظر الى اهل النوبة نظرة فيها اتهام بالتخلف والفوضى ، فلهؤلاء أقول : إن أهل النوبه يمتازون بالطيبة والمرح والخلق وسعة الادراك والثقافة وهم تاريخهم الذي يجب على كل من ينكرهم الرجوع اليه لمعرفة الحقيقة التي غابت عنه .

زكي محمد محمود . . مصر العربية

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعـداد : يـوسف الشهاب

العربي . . والثقافة الافريقية

● لما كانت مجلة « العربي » لسان القارىء العربي في كافة أقطار العروبة ولما كانت هذه المجلة الرائدة صديق كل عربي يبحث عن الثقافة والعلم والمعرفة ، فاننا قراء المغرب العربي نود من مجلتنا أن تسلط الضوء على قضايا الجناح الافريقي العربي ، سواء الثقافية منها أو الاجتماعية أو العلميـة أو حتى الاعلامية ـ ذلك لأننا نشعر أن هذه الجوانب الهامة في حياة أقطارنا الافريقية العربية لم تلق الاهتمام المطلوب من مجلتكم العربي ، التي تنطق بالعربية لكل قارىء فيها

ونحن على ثقة بأنكم سوف تلبون رغبتنا هذه ، وخصوصا وأن العربي تدخل كافة أقطار العروبة من المحيط الى الخليج .

سليمان بركة محمد ـ طرابلس ـ الجماهيرية الليبية

لم نهمل في أي عدد من أعدادنا أنشطة المغرب العربي ، سواء الأدبية منها أو العلمية أو الثقافية . وهو واجب علينا نعمل دائما على التوسع فيه . . ولعلك تلاحظ في هذا العدد أننا قد بدأنا نشر رسالة المغرب العربي التي يتولاها مكتب العربي في الشمال الافريقي ومقره تونس . . والى مزيد من اليقظة الاعلامية الثقافية لأقطار هذه المنطقة من الوطن العربي .

المرأة العربية . . في السينما

● شاهدت الكثير من الأفلام العربية ، وكان معظمها ـ ان لم يكن جميعها ـ يقف موقفا غير عادل تجاه المرأة ، سواء أكانت بطلة للفيلم أم ممثلة كسائر الممثلين

هذا الموقف وضع المرأة في دائرة الاتهام ، والنظرة السلبية لدور هذه المرأة كأم ومربية

لقد قدمت السينما العربية الدور السلبي للمرأة في كافة أفلامها حتى صار هؤلاء يعتقدون أنه لادور إيجابي لهذه المرأة . وهذا التقديم السينمائي السلبي للمرأة جعلها في دائرة الاتهام والظلم ، وأبرزها في صورة مشوهة غير حقيقية ، وغير متفقة مع واقعها الحالي ان للمرأة دورا كبيرا في كافة مرافق الحياة عندنا ، والوجه المشرق للمرأة يجب أن تبرزه السينما العربية بدلا من اهتمامها بالمرأة كعنصر هدم للأخلاق والفتن والاغراء .

نبيلة عزوزي ـ طنجة ـ المملكة المغربية

من واجب السينما العربية أن تعطي المرأة حقها ، وتكون منصفة لها ، فالدور الايجابي الذي تقوم به هو دورها الذي لايمكن لحركة السينما العربية أن تنكره . . ونأمل أن يأخذ السينمائيون العرب المرأة كعنصر له دوره في المجتمع أكثر من الدور الذي يقدمون به المرأة الآن كعاشقة وفاتنة بطل الفيلم .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

الشغل في اللغة

● جاء في مجلتكم العربي ، العدد ٣٠٦ في مقال للاستاذ عبد الواحد حروق . . « فأي ضير على اللغة يراه الكاتب في استعمال لفظ الشغل في معنى العمل ؟ أو لم يرد هذا في القرآن الكريم ؟ حيث جاءت كلمة « شغل » لتدل على التوجه الى العمل « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا » الفتح .

والحقيقة أن المعنى العجمي لكلمة شغل هو « ضد الفراغ أو الالهاء » وهذا ماقصد بالكلمة من الآية الكريمة ، أي أن المخلفين قد ألهوا بأموالهم وأهليهم فلم يتقدموا الى الجهاد . وهذا مفهوم من سياق الآية . كذلك وردت كلمة شغل في القرآن في سورة « يس » الآية ٥٥ ، وتؤدي معنى اللهو لامعنى العمل .

توفيق جرجور . . دمشق - سوريا

البربر . . أبناء مازيغ

● تناولتم أكثر من مرة موضوع « البرابرة » وقد رأيت فيها بعضا من الملاحظات التي أود توضيحها لكم .

فالبرابرة . . أو الامازيغ هم السكان الأصليون لشمال أفريقيا ، ويعود أصلهم الى « مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام » . . ويروى أنه حينما كان عمرو بن العاص ، واليا على مصر أرسل بعض رؤساء البربر الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسألهم عن نسبهم فقالوا نحن أبناء مازيغ (المصدر ، تاريخ المغرب الكبير للشيخ أحمد علي دبوز) .

والبربر . . هو الاسم الغالب عليهم ، وليسوا هم أولئك المتوحشين من الاوروبيين الذين أطلق عليهم اليونانيون اسم البربر بمعنى الوحشية والهمجية ، بل هم شعب يحب الحرية والديمقراطية ، وهذا ماجعلهم يرفضون الخضوع الى كل الفاتحين . وكذلك الوافدين من البيزنطيين الى المغرب والاسلام وحده هو الذي ألف بين قلوب البربر والعرب على الرسالة المحمدية . كما أن لغة القرآن سائدة على بعض ألسنة هذه الأقوام . .

عبد الحكيم يحيى . . الينابيع الجديدة - الجزائر

ردود خاصة

● الاخ عبود محمد باربيد . . اليمن الديمقراطية ، نشكرك على اعجابك بالمجلة فيما تقوم به من دور تجاه القارىء العربي . . وهذا جزء من واجبنا . .

● الى القارىء سيد بشير محمود . . بلدية الكويت ، اقتراحك بخصوص قيام المجلة باستطلاع عن « بنغلادش » نفيدك بأننا سوف نقوم به في القريب العاجل.

● من مصر بعث الينا القارىء طالب خالد عبد المعطي ، يطلب تزويده ببعض قصص الأنبياء . . ولما كانت هذه الكتب غير متوفرة لدينا ، فاننا نعتذر عن ارسالهاءوهي متوفرة في مكتبات القاهرة . . . وعذرا مرة أخرى .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٠

أول يوليو ١٩٨٥

العدالة

تأليف : جون جولزورذي

ترجمة وتقديم : د. داود حلمي السيد

مراجعة : د. طه محمود طه

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٨٥م

تربية اليسر وتخلف التنمية

تأليف :

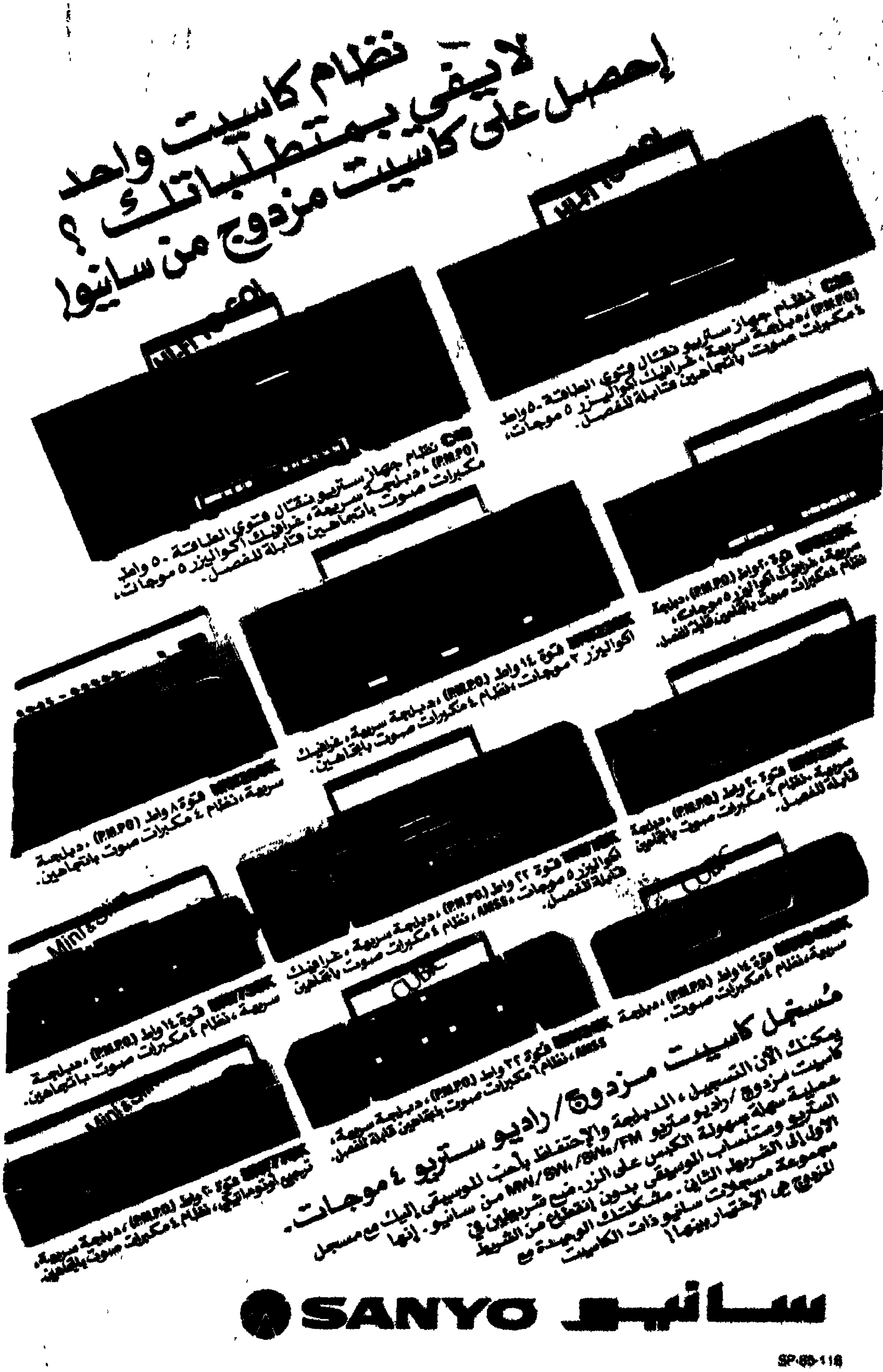
د. عبد العزيز الجلال

الكتاب الواحد والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت


جزيرة
والعيون


نظام كاسيت واحد
لا يفي بمتطلباتك ؟
إحصل على كاسيت مزدوج من سانيو!
نظام جهاز ستريو نقال قوي الطاقة ٥٠ واط، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٥ موجات، مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
مُسجل كاسيت مزدوج / راديو ستريو ٤ موجات.
يمكنك الآن التسجيل، الدبلجة والإحتفاظ بأحب الموسيقى إليك مع مسجل كاسيت مزدوج / راديو ستريو FM/SW₂/SW₁/MW من سانيو. إنها عملية سهلة بسهولة الكبس على الزر. مع شريطين في الستريو وستنساب الموسيقى بدون إنقطاع من الشريط الأول إلى الشريط الثاني. مشكلتك الوحيدة مع مجموعة مسجلات سانيو ذات الكاسيت المتنوعة هي الإختيار بينها!
SANYO سانيو
SP-80-118

العـــــــدد ٣٢١ أغسطس ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No.321 Aug. 1985 P.o. Box 748- Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR.44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

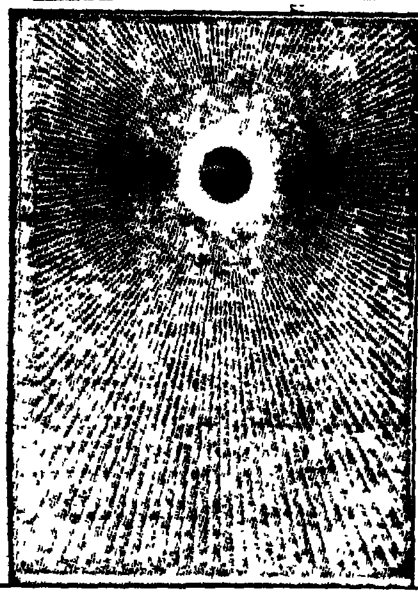
الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر حديثا

كتاب العربي



آراء ودراسات في :

الفكر القومي

ساطع الحصري — د. أحمد زكي

د. محمد أحمد خلف الله — د. عبد العزيز الدوري

د. عبد الله عبد الدائم — د. عبد الرحمن البزاز

د. كلوفيس مقصود .

العدد الثامن — ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارئ

لجنة الفرز الأولية لمسابقة القصة في المجلة فوجئت بسيل القصص التي تلقتها من القراء ، وهواة ومحترفي كتابة القصة ، للاشتراك في المسابقة التي أعلنت عنها العربي في مطلع العام الحالي . .

وتساءل أعضاء لجنة التحكيم عن هذه الكثرة الغالبة ، من القصص ، التي تجاوزت كثيرا حدود كل التوقعات ، رغم كثرة ما شاركوا فيه من تحكيم عشرات المسابقات من قبل

لو قلنا ان رقم الفرز قد تجاوز الثلاثة آلاف قصة حتى الآن ، فاننا لا نبالغ ، ولو قلنا أنه مازال في ملفات الفارزين مجموعات أخرى فاننا لا نقدم اعتذارا مسبقا لو ارتأت اللجان تأخير موعد اعلان النتيجة المتوخاة

مع ذلك فان لجان الفرز والقراءة والتحكيم مازالت تعمل وتتابع هذا السيل العرم من القصص ، التي جعلت منها بعض الأقلام وسيلة لاسماع الصوت حول الكثير من مشاكل الأفراد والجموع العربية في شتى أقطارها

صحيح أن للصيف مشاكله ، وصحيح أن لحرارة الصيف في الكويت صعوباتها ومعوقاتها ، مع ذلك فان العمل يسير ، وحركة الفرز والقراءة لم تهدأ منذ لحظة الاعلان عن اجراء المسابقة . وممنوعة هي الاجازات الطويلة ، ومحدودة هي أيام العطل والا فان تلال القصص كان يمكن أن تظل مكدسة . . وتلال الأوراق كان يمكن أن تبقى داخل الملفات بانتظار تأشيرات حمراء وزرقاء الى ماشاء الله .

عزيزي القارىء . . ان ماذكرناه ماهو الا تسجيل لحالة طوارىء نعيشها ، فنأمل أن تعطينا من صبرك صبرا ، وان تمنحنا من وقتك وقتا وكان الله في عوننا وعونك

كلمة أخرى نقولها لك عزيزي القارىء ، ان عددنا هذا سيطوف بك ومعك حول محطات عدة منها :

■ قضايا المرأة . . وهل هي قضايا خاصة أم هي جزء من مشاكل وقضايا المجتمع للدكتور محمد الرميحي

■ قبرص ـ هذه الجزيرة الصغيرة التي تفيد الأساطير بأنها النقطة التي خرجت من بحرها إلهة الحب آفروديت . الا أن بعض ناسها والقوى الطامعة فيها حولتها الى جزيرة منهكة بالخلافات والحروب ! استطلاع ملون عن الجزيرة .

■ أما استطلاعنا الملون الثاني فهو عن « ثورة » التاميل في سيريلانكا . وهذه الثورة تحمل في وجه من وجوهها ثورة الأقلية ضد الأغلبية ، وثورة طائفة ضد أخرى .

هكذا يجد القارىء أنه على الرغم من أننا نعد موادنا قبل حوالي شهرين من صدور العدد ، فاننا نحاول قدر الامكان أن نكون على تماس مع الأحداث المتفجرة والمشتعلة في العالم .

هذه بعض الهموم والمشاغل التي تشغلنا ، وهذه بعض مواد عددنا . . نأمل دائما أن نحقق من أجلك الأجود والأفضل .

المحرر

محتويات العدد



عجوز في الجزيرة « المنهكة » تطرز القماش بخيوط عمرها ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣٢١ ـ أغسطس ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

خطاب مفتوح إلى النساء العربيات

□ قضيّة المرأة هي قضيّة الرجل .. وهيَ قضيّة المجتمع .

□ الطبيعَة الثانية للمرأةِ العربيّة : كيفَ تكوّنت ولماذا استمرت ؟

□ لايزال بعضُنا يعتقد أن المرأة لا تصلح إلا لغسل الصحُون وحفظِ النسل !

□ لماذا يهرُبُ الرجال من مسئولياتهم الأسْرية في بلاد العالم ؟

قضايا المرأة وأوضاعها وشؤونها وشجونها فرضت نفسها على الاعلام العالمي في الشهر الماضي ـ يوليو ١٩٨٥ ـ اذ عقد في الاسبوع الثاني منه المؤتمر العالمي للمرأة في نيروبي عاصمة كينيا ، والتقى فيه حوالي ثمانية آلاف امرأة يمثلن حوالي مائة وخمسين دولة ، ويعتبر المؤتمر حلقة من سلسلة طويلة من الحلقات والندوات التي عقدت في السنين العشر الاخيرة،لاسترعاء نظر دول العالم الى قضية المرأة بعامة ، وقضية المرأة في العالم الثالث على وجه الخصوص .

هذا المؤتمر له قصة ، فقد أعلنت الامم المتحدة ـ كعادتها في تخصيص سنة أو عقد للاحتفال بموضوع معين على مستوى العالم ـ سنة ١٩٧٥ سنة دولية للمرأة ، وعقد مؤتمر دولي للمرأة في مدينة المكسيك ، وقد ارتأى المؤتمر عدم الاكتفاء بتخصيص سنة دولية واحدة فقط لقضايا المرأة ، فطالب

الامم المتحدة باعلان الفترة من سنة ١٩٧٦ الى سنة ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأة ، وهكذا كان .

وخلال هذا العقد الذي ينتهي بانتهاء هذا العام ، وربما بانتهاء مؤتمر نيروبي السالف الذكر ، تكون المرأة قد عقدت سلسلة ندوات واجتماعات اقليمية ودولية لمناقشة قضايا المرأة ومراجعتها . وعقد المؤتمر قبل الاخير في كوبنهاجن بالدنمارك (يوليو ١٩٨٠) الذي كان بمثابة مؤتمر لالتقاط الانفاس . ثم تلاه المؤتمر الاخير في نيروبي .

ولكن ماذا تحقق من كل ذلك ؟

من المفارقات الاولى اللافتة للنظر أنه عندما كان آلاف النساء في مؤتمر نيروبي يراجعن التقارير والمطالبات ، كانت تلازمهن حقائق صارخة تفيد بأن خمسين في المائة من نساء كينيا العاملات ـ البلد الذي استضاف المؤتمر ـ يتقاضين أجورا عن أعمالهن لا تكفي لشراء الحليب المصنع لارضاع أطفالهن !

☐ من العبث طرح قضية المرأة على أنها قضية خاصة بالنساء ، وقد تكفلت كتابات ومواقف كثيرة بتأييد هذا الاتجاه ، صحيح انها ـ جزئيا فقط ـ مشكلة نساء ، ولكنها كليا مشكلة غنى وفقر ، ومشكلة مجتمع كامل أيضا قبل أن تكون مشكلة خاصة بالنساء . فعلى الصعيد الدولي تقول لنا الاحصاءات ان النساء نصف سكان الارض ، وتعادل ساعات عملهن ثلث ساعات العمل التي تنجزها البشرية ، ولكن كسب النساء لا يتعدى واحدا على عشرة من مجموع الدخل العالمي ، وتقدر تلك الاحصائيات أن النساء ليس لديهن من الدخول المادية أكثر من ١٪ من الدخل المادي العالمي . واذا كانت المرأة في الدول المتقدمة ـ كالدول الغربية والولايات المتحدة وكندا واليابان وفي بعض الاقطار الغنية مما يوصف بدول الشمال عموما ـ قد حصلت لنفسها على حقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية نتيجة لظروف تطور تلك المجتمعات ، فان المرأة في دول الجنوب ـ امريكا اللاتينية وأجزاء كبيرة من آسيا وافريقيا ـ قد وقع عليها ما وقع على الرجل في بلدانها من تعسف استعماري تحول الى تخلف انساني .

من المؤكد أن بعض المندوبات في مؤتمر نيروبي اكتشفن حالة الفقر المدقع التي يعيشها معظم النساء الكينيات ، وسوء تغذية الاطفال الناجم عن فقر الأسرة وعمل الأم المتواصل في الحقل أو فى غيره، وهذا وضع تشترك فيه النساء والأطفال سواء أكانوا في أرياف افريقيا أم الهند أم تشيلي ، أم في المدن المكتظة بالسكان سواء كانت كلكتا أو مكسيكو على سبيل المثال ، وهذا الوضع لا يترك لهؤلاء الامهات خيارا بين ارضاع اطفالهن رضاعة طبيعية أو شراء المستحضرات التي تأخذ مكان حليب الأم ، والتي تروج لها الصناعات الكبيرة في العالم المتقدم ، فمن الثابت من خلال الاحصاءات العالمية المتوافرة أن الأمهات اللواتي يسهمن في الانتاج داخل المدن المكتظة ، أو في الحقول في





أقطار كثيرة من العالم الثالث ، لا يجدن الوقت الكافي لعملية الارضاع الطبيعية ، رغم تأكيد الطب ـ للفئات الواعية ـ أن ليس هناك ما يعوض الطفل عن حليب أمه !

والاحصائيات الدولية المتوافرة تقول لنا شيئا آخر بجانب ذلك ، فهي تشير الى أن نسبة الوفيات بين الأطفال المحرومين من حليب الأم ترتفع في بلدان مثل تشيلي والهند وبلدان امريكا الجنوبية ، في حين أن وفيات الاطفال تنخفض بين أطفال الامهات اللواتي يجدن وقتا للارضاع الطبيعي في تلك البلدان .

ولعل ضغط الفقر والجفاف والسياسات غير الرشيدة كلها تتكالب على الامهات في اقطار العالم الثالث ليكون أول ضحاياها الاطفال أنفسهم ، وتفيد احصائيات البنك الدولي ـ وهي احصائيات تقريبية ـ الى ان البلدان التي لا يتجاوز فيها متوسط الدخل السنوي للفرد مائة وخمسين دولارا ، لا تنعم بالماء النظيف ولا تتخلص من النفايات بالطرق السليمة ، ماعدا استثناءات قليلة وخصوصا عند الموسرين من بين السكان ، وهناك ١٨٪ من سكان بعض مدن الهند يحصلون على ماء نقي للشرب والاغتسال و ١٣٪ من السكان في زائير مثلا لديهم هذا الامتياز و ١٪ من السكان في اثيوبيا ! وذلك على سبيل التذكير والمثال لا الحصر .

المرأة والأسرة

☐ فكيف يكون وضع المرأة في مجتمعات فقيرة كالتي أشرنا اليها ؟

ان الرجل في معظم هذه المجتمعات ينسلخ عن العمل عند عودته الى البيت من الحقل أو من أي عمل آخر يقوم به ، بينما المرأة في غالب أرياف العالم الثالث ومدنه يتواصل عملها الاضافي الشاق عند العودة الى المنزل كالتنظيف ، وربما جلب المواد الغذائية بجانب عملية الطبخ نفسها ، وأعمال أخرى تضطر الى انجازها قبل أن تأوى متهالكة الى فراشها استعدادا ليوم عمل جديد .

هذه الاوضاع تنعكس سلبيا على الروابط الاسرية في مجتمعات العالم الثالث وعلى تنشئة الأبناء ، ففي كثير من دول العالم الثالث يفتقد حضور الرجل ـ للاسباب التي ذكرناها ـ مع الاسرة ، وتبقى النساء . فقد جاء في احدى الاحصائيات العالمية أيضا أن ٤٠٪ من الاسر في امريكا اللاتينية تنهض فيها المرأة بمسؤولية رب الاسرة ، هذا في المتوسط ، وفي بعض البلدان مثل تشيلي تزيد نسبة الأمهات المهجورات على ذلك ، والبعض منهن لا يتجاوز سنهن الرابعة عشرة فقط .

ويكشف تقرير آخر عن أن مشكلة البرازيل انما تكمن في أطفالها وأن الأطفال المشردين الملقين للعوز والجوع والمرض تفوق كل تصور ، وأن



أربعة الى خمسة ملايين منهم انتفخت بطونهم بسبب الجوع .

وهكذا فان وضع المرأة في دول العالم الثالث ـ دول الجنوب ـ الاكثر فقرا وعوزا ، ليس سوى نقطة لمظاهر عديدة من التخلف ، فالاستغلال المركب للاسرة والمرأة يفضي الى نتائج متخبطة ، منها اندفاعهم الى محاولات ساذجة للخروج من هذا الضنك والحرمان بالمزيد من الانجاب ، فانجاب الاطفال لدى غالبية هذه الاسر في تلك البلدان هو السلاح الوحيد للحلم بحياة أفضل في المستقبل ، وربما لضمان شيخوخة تغني عن الحاجة للاخرين .

ولكن هذا الحل الذي يبدو « منطقيا » للبعض يضاعف المشكلة ، فتصبح مشكلة الاطفال وبالتالي الشباب خاصة في المدن الكثيفة مشكلة مركبة ، ويهرب الازواج كما أسلفنا ملقين بالعبء كله على النساء ، ومع ذلك مازال مؤشر الانجاب هو الحل الأقرب الى اقتناع الغالبية ، ولقد ثبت أن الحل ـ الانجاب الكثير ـ استعصى حتى على البرامج الدولية لتحديد النسل ، مع انها أنفقت عليها بلايين الدولارات في الدول المكتظة بالسكان ، فرغم هذه البلايين التي أنفقت في سبيل ضبط النسل ، وفي تعبير آخر تحديده ، فإنها لم تؤت ثمارها المرجوة .

وهكذا فان الفقر والجوع والموت وهروب الرجال مع الأمية الطاغية ، كل هذا لم يقنع الكثير من نساء العالم الثالث الفقيرات بأهمية تلك البرامج مع أنهن يشاهدن الموت بأم أعينهن يحصد من أولادهن الكثير حصدا بلا هواده . .

ولعل من الظواهر البشرية الملفتة للنظر تلك المعادلة الملموسة من خلال الاحصائيات في العالم ، والتي تؤكد على انخفاض نسبة الولادة من السكان كلما ارتفع الدخل ، مع صحة العكس ، والاحصاءات الدولية تقرر لنا ذلك بوضوح ، فهي تشير الى أن متوسط الولادات لكل ألف من السكان ترتفع لتصل الى (٤٦) مولودا في المناطق التي لا يتعدى متوسط الدخل السنوي للفرد فيها ١٥٠ دولارا تقريبا ، وتنحسر هذه النسبة لتصل الى ١٦ مولودا لكل ألف من السكان في البلدان المصنفة ـ بلدان الشمال ـ حيث يزيد متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد فيها على ٦٠٠ دولار تقريبا !!

واذا كان لتلك الاحصائيات معنى . . فهو يعني أن تكاثر السكان في البلدان الفقيرة يرتبط علاجه ارتباطا وثيقا بارتفاع الدخل ، أي يعني في جملة ما يعنيه وظائف ملائمة ورعاية أفضل للنساء .

ولا ننسى أن كثرة الولادة والارضاع في مجتمعات فقيرة تفتقد الحد الادنى من الرعاية ماهي الا مراهنة تدفع فيها المرأة الثمن باهظا ، وكثيرا ما تكلفها ببساطة شديدة حياتها ذاتها . .

المرأة
العربية

□ مضى على اصدار كتاب « تحرير المرأة المسلمة » للمرحوم قاسم أمين حوالي خمسة وثمانين عاما ، في هذا الكتاب والكتب العربية الكثيرة التي لحقته ، حظيت قضية المرأة العربية بمناقشات واسعة وآراء مختلفة ، وتباعدت كثيرا أو قليلا للاجابة عن سؤال يتعلق بدور المرأة العربية في هذا العصر ، وخصوصا وأن القرن العشرين قد بدأ يعد آخر سنوات عمره .

اسئلة كثيرة أطلقت ومازالت تطلق حول قضية المرأة العربية ، فهي بجانب مشاركتها لاختها في أقطار العالم الثالث في بعض الظواهر والمشاكل ، إلا أن لها خصوصية حضارية واجتماعية من الصعب إنهاء المناقشة حولها دون معرفة الموقف التاريخي أو اللحظة التاريخية التي تمر بها كأمة .

أنا من المؤمنين - مع كثيرين غيري في هذا الموضوع - بأن قضية المرأة العربية ليست قضية خاصة بالمرأة فقط ، فهي في حقيقتها قضية مجتمع ، وقضايا المرأة العربية - رغم تقاربها وتشابهها في كل الأقطار العربية - الا أن بعضها له خصوصية قطرية لا يسعنا إنكارها . ولكن الخلاف ليس في كل ذلك . ليس الخلاف على أن نصف سكان الوطن العربي تقريبا نساء ، أو كما تقول الاحصائيات مرة أخرى انه يوجد في الوطن العربي من ٨٥ الى ٩٠ مليون امرأة هذا العام (١٩٨٥) - وسيزداد هذا الرقم ، كما تقول لنا الاحصائيات المتوقعة - الى حوالي ١٤٠ مليون امرأة في سنة ٢٠٠٠ أي بعد خمس عشرة سنة من الان .

ولكن الخلاف في تجاهل البعض هذا الرقم الكبير نسبيا وتجاهل حقيقة أن المرأة هي أيضا انسان له حقوق وعليه واجبات . وقد يقول قائل - كما يشار في كتيبات الدعاية أو يطرح من على المنصات وفي الاحتفالات النسائية - ان المرأة العربية عملت سفيرة ووزيرة واستاذة جامعة وطبيبة وشرطية . . الخ ، وأقول للقائلين بذلك : نعم . . ان ذلك صحيح . ولكن مرة أخرى أريد أن أتحدث عن غالبية النساء في ريفنا العربي ومدننا المكتظة وقرانا النائية وصحارينا الواسعة .

المرأة هناك مازال أمامها شوط كبير لتصل الى تحقيق انسانيتها ، ليس بالقوانين المكتوبة والمفروضة ، ولكن من خلال الممارسة الممكنة والواقع الملموس المحسوس .

القضية ليست في تعليم المرأة العربية فقط ، مع أن الأرقام المتوافرة لدينا في هذا الصدد تثير الحزن ، فتفشي الأمية بين النساء العربيات يصل في متوسطه الى ٧٠٪ لمن هن فوق الخامسة عشرة ، ويجب التذكير أن هذا الرقم هو رقم متوسط يتوارى خلفه كل ما تخبئه الأرقام المتوسطة !

فنسبة الأمية بين النساء تتراوح في الاقطار العربية بين حدها الادنى ٣٥٪ الى حدها الاقصى حوالي ٩٥٪ ، وتقع كفة الحد الاقصى في موضع الرجحان .



يتجاذب قضية تعليم الفتاة في مجتمعنا العربي طرفان متناقضان ،

فهناك من يملكن قابلية التعليم ويقبلن عليه ، ولكن لا يجدن مقعدا في التعليم الابتدائي .

وذلك ناتج عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذا القطر العربي أو ذاك ، أما الجانب النقيض الاخر فيتمثل في بروز عوائق اجتماعية أساسها ضعف الوعي ، وتفشي الجهل ، حتى لنكاد نسمع من خلالها ذلك القول العجيب :

« ليس لدينا فتيات يذهبن الى المدارس » ! بكل ما تعنيه هذه العبارة وتنطوي عليه من غثاثة اجتماعية مؤسفة .

ومن المبكيات المضحكات أن محصلة طرفي الجذب في تعليم البنات في مجتمعنا العربي بين قادر محجم ، ومعوز مقبل ، محصلة ذلك أحد التقارير التي ذكرت أن اسهام المرأة في مجمل قوة العمل العربية ، اسهام هامشي اذ يتراوح بين ١٠٪ و ١١٪ من كامل قوة العمل العربية* في الوقت الذي تسهم فيه المرأة في الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية بـ ٤٥٪ من قوة العمل وفي جنوب شرق آسيا وافريقيا السوداء بـ ٣٣٪ ، وأخيرا في أمريكا اللاتينية ٢٥٪ من قوة العمل .

أي أن قوة العمل النسائية العربية لا تكاد تصل الى نصف قوة العمل في أمريكا اللاتينية على الرغم مما فيها من تخلف !

وهذا يؤكد القول بأننا نقترف إثم تعطيل قوة حقيقية ونغل أيديها عن العمل والانتاج . .

وصحة المرأة العربية

□ اذا كان تعليم المرأة واسهامها في قوة العمل قضية لها أبعاد اجتماعية بجانب أبعادها الاخرى ، فماذا عن صحة الام العربية ؟

اذا كان بعضنا يفخر بالانجازات الصحية وبناء المستشفيات في المدن العربية ، فهو يرى ربع الصورة على أقل تقدير ، والصورة الحقيقية طبقا للاحصاءات العالمية تقول : ان معدل وفيات الاطفال الرضع يصل الى ١٥ في الألف في المتوسط في دول الشمال (الدول الصناعية) ، ويصل الى حوالي ٤٥ في الألف في الدول المتوسطة الدخل ، أما في معظم الأقطار العربية فهو يتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ لكل ألف من الولادات . صحيح أن هذه النسبة تقل كثيرا حتى تصل الى حوالي ٤٠ لكل ألف في بعض الأقطار العربية ، ولكن الثابت أن المتوسط العام يشير الى خطورة الوضع الصحي للام العربية في الارياف والمدن المكتظة والاقطار العربية الفقيرة ، وهي نسبة لا تدعو الى الابتسام ، إلا اذا كان ذلك من باب الرثاء أو القلق .

وتشارك أغلب النساء العربيات أخواتهن في العالم الثالث في موضوع



* لقد اختلفت النسبة قليلا بين باحثين عربيين هما د. خضر زكريا (جامعة دمشق) و د. مارلين نصر (لبنان) ، ورغم أن الأخيرة تحدد دراستها بالمشرق العربي ، الا أن متوسط الاحصائيات متقارب .

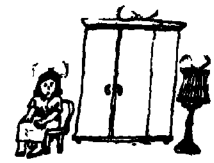
المستوى الصحي وخصوصا في قصور الخدمات العامة كالمياه الصحية ، والصرف الصحي والتخلص من الفضلات ، أي في قضية ما تعارفنا عليه « بالصحة البيئية » ويتضح ذلك أكثر ما يتضح في البيئات الريفية وأحياء المدن الفقيرة ، ولعل من التناقض القول أنه بجانب المشكلات الصحية السلبية لنسبة كبيرة من النساء العربيات ، فان هناك مشكلة صحية أخرى للاقلية من بين النساء العربيات تتمثل في السمنة وثقل الاوزان . فقلة الحركة والافراط في تناول أصناف الطعام تؤدي الى السمنة المفرطة وأمراض الغدد وغيرها مما يعتبر من أمراض الحضارة الحديثة ، وتزداد خطورة هذه الأمراض إذا صادفت قصورا في الوعي الصحي .

في الحالتين ـ حالة الأغلبية وحالة الأقلية ـ يؤثر الوضع الصحي المتدهور على مستوى عطاء المرأة وعلى أطفالها وتنشئتهم ، بل حتى على متوسط عمر الفرد في الاسرة والبيئة جميعها . وتتشابه أوضاع أغلبية النساء في المنطقة العربية بأوضاع النساء في بقية بلدان العالم الثالث من حيث تبعيتها للرجل ، فهي مرتهنة لارادته ان كانت ابنة أو زوجة أو أما ، وسواء أكانت حبيسة في المنزل تفرغ جهدها في الغسل والكنس والطبخ وتعني بالاطفال ، أم تكسب أجرا من عمل في الخارج . فالمفروض عليها أن تخدم كل أفراد العائلة وترغمها أوضاعها العامة على الانصياع للرجل .

☐ لا يجري الحديث عن حقوق المرأة بمعزل عن حقوق الرجل ، ولا يستقيم الحديث في الجزء الأخير إلا بفهم واضح للمحصلة التاريخية بتراكمها الحضاري والثقافي .

ولقد أفاض الكتاب العرب في تناولاتهم لموضوع حقوق المرأة ، فبعضهم انحاز الى الممارسات الغربية ، ومنهم من اتجه الى بطون كتب التراث العربية يتمثلها ويتأسى بما فيها ، كل يريد أن يدلل على صحة مقولته سلبا أو ايجابا ، ومنهم من تجاوز كل ذلك بالحديث عن الانسان العربي وحيثيات وضعه في المجتمع ، فحيثما يوجد تخلف اجتماعي ، وقهر انساني في مجتمع ما ، فان مصاب المرأة فيه أفدح من مصاب الرجل بكثير ، ومشكلات حقوق المرأة العربية كلها داخلة في نطاق العسر والتعقيد والتشتت ، فهي مطروحة من جانب على أنها استلاب لحقوق ، واعتداء على انسانية الانسان من خلال رفض الاعتراف بها ككيان آخر كامل ومنفصل عن الرجل وقائم بذاته . مما يفضي الى التعامل مع المرأة العربية كشيء أو جزء من اثاث البيت . وهي مطروحة من جانب آخر حسب صيغة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات في المبادىء والنصوص ، وبين ماهو مطبق في دنيا الممارسة والواقع ، وفي هذا الاطار الاخير تبرز المشكلة في أصعب صورها المعقدة .

فالحقوق المعروفة والمتفق عليها مبدئيا للمرأة كثيرة ، سواء كانت شرعية أو موروثة أو قانونية مستحدثة ، لكن المشكلة تتعلق في تحويل هذا



الحق في المبدأ الى حق في الممارسة . كالحق في التعليم والعمل والتجارة واختيار الزوج والسفر ، وتصعيدا الى حقها في ممارسة الحقوق السياسية .

وفي إطار البحث عن نظرة أعمق للاطار الحضاري الذي ينظر فيه العربي للمرأة ، يحدثنا أحد الاجتماعيين العرب* في إطار تفسير اجتماعي لغوي للمرأة فيقول :

(ان كلمة امرأة في اللغة مشتقة من فعل « مرأ » أي طعم ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالطعام والتذوق ، ويقال مرأ فلان مرءا أي صار كالمرأة هيأة وحديثا ، وتجمع المرأة على غير اشتقاقها فيقال : نساء ونسوة ، وتعرف المرأة بأنها مؤنث الرجل ، والنساء تعني « المناكح » ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالتزاوج . واذا تناولنا أصل النساء ، وجدناه مشتقا من فعل نسا ، ينسو ، ومعناه ترك العمل ، وكأن المرأة تعني البطالة .

وترتبط المرأة بعدة أفعال رئيسة أولها فعل « حرم » ويعني « منع » والحرم هو (النساء لرجل واحد) ، والحريم يعني النساء اي ما حرم ولم يلمس ، وكلمة حرامي مشتقة من هذا الفعل وهو يعني فاعل الحرام) .

وكل ما يعنينا التقاطه من هذا السياق أنه قبل أن نضع خطوطا عريضة واقتراحات جادة لاندماج المرأة في مجتمعنا العربي واشراكها في خطط التنمية وتقرير المقولات والشعارات التي نرددها ونرفعها ، يجب علينا أن ننظر في أنفسنا بدءا باللغة التي نستعملها صياغة لأفكارنا ، فاللغة في ظواهر تفسيراتها تقدم لنا المرأة على أنها وسيلة إشباع متعدد الاغراض ، فهي أقرب الى الشيء منها الى الانسان .

وعلى الرغم من أن هذه المقولة تبدو متطرفة متحاملة على اللغة ، إلا أن فيها شيئا من النقد الذي يستلفت النظر ، ويستطيع به بعض الخبثاء الاذكياء أن يفسروا المواقف « الرجالية » من المرأة العربية .

تهميش المرأة العربية

□ من المظاهر المتناقضة في ثقافتنا العربية - والتي تحتاج الى دراسة وتمحيص - موقفنا من الاسرة ، والتي تمثل المرأة ركنا « مهما » فيها ، هذا الموقف الذي يضفي على الاسرة هالة من القداسة والاصالة والاهمية ، في الوقت الذي ينظر للمرأة كانسان آخر على أنه هامش غير ذي بال ، خلق لخدمة الرجل وإشباع حاجاته فقط . بالاضافة الى أن أمثالنا وقصصنا الشعبية زاخرة بالتوكيد على أن كل ماله علاقة بالنساء من قريب أو بعيد لابد أن ينطوي على شر .

لقد اعتبرت المجتمعات البدائية أن المرأة شر بطبيعتها ، لأنها مختلفة بيولوجيا عن الرجل ، فهي مدنسة ينبغي أن تنبذ ، وانتقلت هذه الافكار عبر الاجيال والتقاليد حتى كادت تصبح طبيعة ثانية للمرأة بجانب طبيعتها

---

* الدكتور خليل أحمد خليل .



الانسانية . وربما استسلمت بعض النساء من قبيل الضعف الى هذه « الطبيعة الثانية » .

فمن المتعارف عليه أن تختزل المرأة ـ كما يقول عالم الاجتماع العربي د. مصطفى حجازي ـ ايجابا أو سلبا ، الى احدى صفات المرأة أو خصائصها أو وظائفها . وهنا يكمن سر تهميش المرأة العربية ، فهناك تجاهل تام للكيان الكلي الانساني لها ، ويحدث هذا الاختزال ايجابا أو سلبا في مبالغة بتكريم ، أو غمط بتحقير . وأشهر أشكال الاختزال يأخذ طابع الأحكام الجاهزة ، فالمرأة قاصر وعورة وفتنة يجب أن ترشد وتستر وتراقب !

أما الصورة المبالغ فيها أو النقيضة ، فهي صورة المرأة الام وما تبثه في أطفالها مما يستوجب الطاعة العمياء ، ومن هذا الموقع تتسلل الام الى أن تغرس في أبنائها قيم الحفاظ على الوضع الراهن واحترامه ،ومقاومة التغيير ورفضه .

ومن هذه المؤشرات والعوامل التي تدفع المرأة العربية دفعا الى التهميش والانعزال في المشاركة ، تخلفها عن التعلم أو ضآلة حظها منه ، ومحدودية دورها في العمل ، وتدهور أوضاعها الصحية مع سيادة قيم وعلاقات اجتماعية معوقة ، كل ذلك دفع بالمرأة العربية الى قبول «الطبيعة الثانية » كما أسلفنا ، والنتيجة أن المرأة العربية شكلت نصف المجتمع العربي المعطل ، ونظر اليها المجتمع أيضا تلك النظرة التقليدية القاصرة ، فالنصوص الدستورية في معظم الاقطار العربية تؤكد على دور المرأة كأم ، وعضو في اسرة لا ككيان قائم بذاته له حقوقه السياسية والاقتصادية ، وحتى لو أقرت النصوص الدستورية أو القانونية بهذا الكيان المستقل فأن التطبيق العملي ينأى عن هذا الاقرار ولا يأبه به .

وبعد . . .

فعلينا ـ ونحن نخوض أشرس معارك البقاء في تاريخنا العربي الحديث ـ أن نعترف بأن المرأة معطلة وأن قضيتها لا تقتصر على المساواة القانونية ـ أي ازالة التمايز القائم بحكم القانون ـ كما لا تقتصر على قضية التعليم والعمل ، بل تتجاوز ذلك الى المساواة في الحقوق والمسؤوليات ، وفرض مشاركتها في التنمية باعتبارها عنصرا ايجابيا وفعالا ، وباعتبارها ركنا يستند اليه استنادا كاملا في معاركنا القومية .

في هذا الاطار يجب أن تنشط قياداتنا النسوية وغيرها من قيادات الفكر والمجتمع ، فالمهمة كبيرة والعبء ثقيل والطريق طويل . . طويل .

ودون جدية ومواجهة واعية للمسئولية . . فان الأمر سيبقى على ماهو عليه ، ان لم يتتكس الى الاسوأ ، وحينذاك لا يجدي تساؤلنا : اين النساء . . ؟

وربما نعود الى تفقد أنفسنا ونعلو بصيحتنا : وأين الرجال أيضا . . ؟

محمد الرميحي

أقوال

□ « من تخادعت له فنال منك مأربه فقد خدعك » .

ـ معاوية بن أبي سفيان

□ « قد يتخذ مطلب التنمية شكل قضية قطرية خاصة ، الا أن المفهوم الأمثل للتنمية يحتم على كل قطر عربي التكامل والاندماج مع الأقطار الأخرى » .

ـ د. علي خليفة الكواري

□ « هل عرف شعب آخر غير الشعب الفلسطيني هذا العدد من الهجرات ؟ هذا الكم من المنافي ؟ وهذه الأعداد من المذابح ؟ دون أن يكافأ بوطن . . اعني وطنه ؟ ودون أن يحظى باعتراف أو بوعد ما من بلفور جديد ؟ » .

ـ محمود درويش

□ « إن غير اليهود يقتلون غير اليهود ، فما ذنب اليهود ؟ » .

ـ بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق

□ « ليس هناك أية تدابير مضادة فعالة ضد من يختار الموت . . »

ـ الرئيس الأمريكي ريغان

□ « الشعر الذي يكتب بتعاط مجاني مع الحياة ربما يبهر لفترة قصيرة ، لكنه ليس الحداثة ، حينما نقول : شاعر حديث مجدد ، نقصد أن لديه موقفاً جديداً كاملاً من الحياة » .

ـ مظفر النواب

□ « الكاتب كشهرزاد يبتكر كل يوم قصة كي يؤجل موته ليلة أخرى » .

ـ كارلوس فوينتس (كاتب مكسيكي)

□ « الفرق بين النزوة العابرة والحب الى الأبد . . ان النزوة تدوم أكثر» .

ـ أوسكار وايلد

□ « طالما كنا نعيش ، فان هناك أبداً وقتاً لنسأل ، لنبحث ، ولنكتشف ، واذا كنا ضللنا الطريق مرة ، وأخرى ، وثالثة ، فلا بد أن نجد في يوم من الأيام ممراً يقودنا نحو الحقيقة . . نحو الصدق » .

ـ الكاتبة بديعة أمين



محمود درويش



ريغان



أوسكار وايلد

المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية الكويتية

بقلم : سليمان ماجد الشاهين *

المفاوضات لها تعريفاتها العملية وتعبيراتها الأكاديمية كما أن لها شكلها المطلق وميادينها المتعددة .. وتجاوزا لكل ذلك وتحديدا للموضوع ... يتحدث الكاتب ـ وهو وكيل وزارة الخارجية الكويتية ـ في هذا المقال عن المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية للكويت ، والعوامل التى جعلت مبدأ التفاوض ركنا أساسيا في سياستها، وطريقا أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الآخرين .

المفاوضات الدبلوماسية هي الوجه الاخر للحرب أو هي إحدى المعارك السلمية التي يشكل بعضها طبيعة العلاقات بين دولتين أو أكثر في مرحلة من المراحل ، وحيال موضوع محدد ، ولفترة زمنية تطول أو تقصر، وبحسب أهمية موضوع تلك المفاوضات . ولقد أصبحت هذه الظاهرة سمة العصر بالنسبة للدول الاكثر تحضرا ، ولئن كان دورها محدوداً في حضارات العالم الاولى بسبب عزلة المجتمعات بعضها عن بعض ، غير أنها تكاد تصبح محورا أساسيا للعلاقات بين دول عالمنا الحديث .

ان المفاوضات الدبلوماسية الان تستوعب مساحات واسعة من القضايا المتشابكة بين الدول ، سياسية كانت أو اقتصادية ، انسانية أو فضائية ، الخ مئات ومئات من المواضيع والقضايا ذات الاهتمام المعين لهذه الدول أو تلك ، في هذا العالم الذى أصبح صغيرا جدا أمام هذا التحول الحضارى الكبير .

* وكيل وزارة الخارجية الكويتية .

ولا بأس من التطرق لبعض أشكال التفاوض كمدخل ستهدى به عند الحديث عن المفاوضات في السياسة الخارجية للكويت ومنها :

١ ـ طريقة المفاوضة الدبلوماسية الاعتيادية :

وهى طريقة مباشرة في اجراء المفاوضات ، وأطلق عليها لفظ اعتيادية لكونها الاسلوب الاول والاقرب الذى تلجأ اليه دولتان لحل خلاف أو توطيد علاقة ، وتتم بين المبعوث الدبلوماسي والجهات المسئولة في الدولة المعتمد لديها بصورة ودية ودون اثارة اعلامية وهى تستهدف علاج القضايا ذات الطابع الخفيف ان صح التعبير ، اذ لا تستدعى اشتراك وفد أو تدخل دولة ثالثة أولجوءاً إلى منظمات دولية أو اقليمية .

٢ ـ المساعي الحميدة :

عندما يتصاعد الخلاف بين دولتين ويتعذر اللقاء التفاوضي أو يتعثر بينهما يتعين على طرف ثالث يتمتع باحترام أو تقدير ورضا من الدولتين مناط الخلاف أن يتقدم بجهد لحل الخلاف أو اقناعهما بالعودة الى التفاوض مرة أخرى بدلا من اللجوء الى القوة .

وهنا يجب أن نلاحظ أن دور الدولة القائمة بالمساعي الحميدة يقف عادة عندما يتفق طرفا النزاع على العودة الى المفاوضات ، فهى لا تشترك كطرف وانما تقوم بدور التقريب ويُترك القرار النهائى أو الحكم في نتائج التفاوض الى الطرفين المتنازعين ، وليس الى الدولة الثالثة التى قامت بالمساعي الحميدة ، كما يُفترض السرية والكتمان في الدور الذى تبذله الدولة الثالثة في حالة قيامها بمثل تلك المساعي .

٣ ـ الوساطة :

ان المساعي الحميدة تتحول الى وساطة اذا تعدت النصح والمشورة الى المساهمة برضا الطرفين في المفاوضات الجارية فتدلي الدولة الثالثة بالرأي حول ما يُطرح ، وتتقدم بالمقترحات اللازمة ، ولهذا فان هناك خطاً رفيعاً بين المساعي الحميدة والوساطة ، ولذا فانه يمكن القول بأن الوساطة تتميز بعدة أمور منها :

١ ـ ان الدولة الوسيطة تقدم وساطتها بارادتها دون أن تكون مرغمة على ذلك .

٢ ـ ان الدولة المتنازعة حرة في قبول الوساطة أو رفضها لان الوسيط ليس قاضيا يفرض الحل .

٣ ـ نتيجة الوساطة ليست الزامية كما هو الحال في التحكيم

٤ ـ ان الوسيط يشترك مباشرة في المفاوضات ويسعى لتقريب وجهات النظر ويتقدم بالحلول دون اكراه .

٥ ـ ان الوساطة تتمتع بطابع رسمي وعلني .

٤ ـ لجان التحقيق :

ان من بين الوسائل التفاوضية التى توصل اليها مجتمعنا الدولي الحديث هى تشكيل لجان دولية تتناول بالدراسة والعلاج القضايا التى تختلف عليها دولتان أو أكثر ، وقد أقرت هذه الفكرة بشكلها القانوني في مؤتمر لاهاي لعامي ١٨٩٩ ، ١٩٠٧

وعادة ما تعمل هذه اللجان متى اتفقت عليها الاطراف في صمت ، حتى اذا ما توصلت بعد دراسة وبحث وتدقيق الى المواقف التى تعتقد صحتها تقدمت بتقديرها الى الاطراف دون أية صفة اجبارية أو قضائية ، الا ما تم الاتفاق عليه بين الاطراف في بدء تشكيل تلك اللجنة أو اللجان .

٥ ـ التحكيم :

ربما كان التحكيم من أقدم مظاهر الوسائل الهادفة الى حل الخلافات أو الاختلافات بين طرفين أو أكثر سواءاً في المجتمعات الاولى أو الحضارات المتقدمة

ويتوقف التحكيم بطبيعة الحال على ارادة الطرفين المتنازعين ، وعادة ما تكون القرارات الزامية ونهائية ولكن بلا سلطة تنفيذية يمكن أن تجبر الاطراف على الرضوخ لها .

٦ ـ التسوية القضائية :

تعتبر التسوية القضائية تطورا عن فكرة التحكيم ، وتمثل محكمة العدل الدولية التى أنشئت نتيجة لقيام عصبة الامم ، حيث أُوكلت اليها مهام

محددة لفض المنازعات ، ثم تدعّم وجودها إثْر قيام الامم المتحــدة حيث أصبحت واحــدة من أهم مؤسسات الامم المتحدة ، ويتكون أعضاؤ هـا من خمسة أعضاء ينتخبون لمدة تسع سنوات ويمثلون مختلف الحضارات والثقافات العالمية .

وفي هذا الصدد لابد أن نشير الى أن آخر هيئة قامت على المسرح الدولي ـ وذلك ضمن اطار التفاوض ـ هي هيئة فض المنازعات المبثقة عن المجلس الاعلى لمجلس تعاون دول الخليج العربية والتي حددت اختصاصاتها في :

١ ـ البت في المنازعات بين الدول الأعضاء

٢ ـ البت في الخلافات حول تفسير أو تطبيق النظام الاساسي لمجلس التعاون .

نهج السياسة الكويتية

وهكذا نكون قد تناولنا باقتصاب محكم أهم الوسائل والأجهزة التي تعالج وتخدم المفاوضات التي تستهدف حل القضايا بين دولتين أو أكثر ، بأسلوب عقلاني وحول مائدة المفاوضات بدلا من ساحات الحروب ووسائل الدمار ، ولعله مدخل مفيد يسهل علينا التعامل مع الطرح الخاص بالمفاوضات في السياسة الخارجية الكويتية

ان النهج الذي اتسمت به السياسة الكويتية في علاقاتها الخارجية وأسلوب تعاملها مع شتى القضايا ذات العلاقة المباشرة بالاشقاء والاصدقاء أو دورها في تلك القضايا التي لا تهم الكويت بشكل مباشر ، هو نتيجة طبيعية لعدة عوامل أساسية بعضها اختياري والبعض الاخر أسهمت به ظروف متعددة ، وتلك العوامل لا تختص بها الكويت وحدها بل هي أمر طبيعي يؤثر مباشرة على سلوك أية دولة في طريقة تعاملها مع الاخرين على فرص أن تكون حرة الارادة مستقلة القرار وذلك وفق المعايير الواقعية .

ولعل الجغرافية والتاريخ يُعدان من أهم العوامل الاساسية في التأثير على نمط التوجهات السياسية لاية دولة أو منطقة . والكويت في سلوكها السياسي وطريقة تعاملها مع محيطها الدولي ودورها الذي انتهجته يكاد يثبت تلك الحقيقة ، وبالتالي فإننا نكاد نلحظ بوضوح بصمات تلك العوامل على أسلوب معالجة الكويت لقضاياها المعلقة مع الآخرين وهو أسلوب التفاوض ، ولقناعتها بايجابية ذلك الاسلوب وأهميته فقد تبنته كطريقة مثلى لعلاج مشاكل الآخرين أيضا ، ولم تكتف بالوعظ أو النصح بذلك بل اسهمت بالدعوة إليه والأخذ به عبر الاجتماعات الاقليمية وخلال المنظمات القومية أو المحافل الدولية

إذن مبدأ التفاوض هو ركن أساسي في السياسة الخارجية للكويت كأداة للتعامل مع القضايا ذات العلاقات المشتركة مع طرف آخر ، ومن هنا يصبح من المفيد التطرق لاهم تلك العوامل التي وضعت الكويت أمام ذلك الاختيار كطريق أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الآخرين

وتتمثل أهم تلك العوامل فيما يلي .

أولا . تحيط الكويت ـ المحدودة مساحة والقليلة سكانا ـ ثلاث دول تتميز بمساحات شاسعة وكثافة بشرية كبيرة اذا ما قورنت بالكويت ، وهي السعودية والعراق ثم ايران عبر الخليج العربي ، ومثل هذا الموقع وهذه المساحة والسكان كان لابد للكويت من أن تسير وفق تعادلية معينة في علاقاتها مع الاشقاء والجيران ، فهي لا يمكن أن تُستقطب لطرف على حساب طرف آخر ، كما لا يمكن أن تشعر بالطمأنينة في حالة أي تأزم بين تلك الاطراف ، ولذلك كان لزاما عليها أن تبذل أقصى الجهد في تأمين حالة من الاستقرار بين تلك الدول ، وأن تسعى دوما نحو قيام حالة طبيعية في علاقات تلك الدول بعضها مع بعض ، والكويت في حرصها على ذلك لا تحقق المصلحة القومية فقط ولكن لها مصلحة ذاتية أيضا عندما يتحقق لها ذلك

ثانيا . الصحراء والبحر :

لقد دفعت صحراء قلب الجزيرة العربية بموجات من الهجرات البشرية عبر تاريخها الطويل فاستقرت على حوافها ، وتطورت مجتمعاتها الى دول من بينها الكويت ، ومجتمعنا الكويتي حمل في داته كل صفات الصحراء ، وأورثها بطريقة أو أخرى لكل سكانه أينما كانت جذورهم ، واستوعبها المواطن الكويتي الذي تبلورت شخصيته بعد ذلك في تعامله مع البحر الذي فتح له آفاقا واسعة لاتحد من المعرفة بالنسبة لمجتمعه وبيئته المحدودة . . فتعامل مع كل وافد الى موانيه

يحمل كل جديد ، وعرف العالم الخارجي عبر سفنه التي جابت البحار والمحيط من حوله،واستطلع عالما جديدا أمده بتجارب وأساليب مستحدثة على حياته ، ذلك المزيج من الصحراء والبحر كان له تأثير مباشر على تكوين الخصوصية الكويتية ان صح التعبير ، والخصوصيّة سمة طبيعية يتميز بها كل مجتمع عن الآخر ، ولكن بطبيعة الحال يتم ذلك ضمن اطار الامة الواحدة بصفاتها الأكثر شمولا واتساعا

ثالثا : ان أي متتبع لتاريخ هذه البقعة المحدودة من الارض الطيبة ، يعرف بأن أولى بدايات المجتمع كانت بالتراضي والتشاور ، فاختيار الحكم وممارسه السلطة قامت على الحوار ، فلم يكن هنا اغتصاب حكم أو تغير في السلطة بل سياق متصل وتطور مستمر ضمن نظام واحد منذ نشأة الكويت الى وقتنا الراهن ، وهذه الصفة المميزة أكسبت المجتمع الكويتي مشاعر حقيقية من الاطمئنان والاستقرار والدعة والثقة المتبادلة بين نظام الحكم وبين المجتمع ، وأصبح طابع العلاقة في التوصل لحل المشاكل هو الحوار وتبادل الرأي دون عنف أو إكراه

كل تلك العوامل ساهمت مع غيرها من المؤثرات الاخرى في توجيه الشخصية الكويتية لمواجهة أي قضية تعترض الفرد أو المجتمع أو الدولة ، وعندما نشير الى ذلك لا ندّعي تفرد الكويت في تلك الصفة من بين المجتمعات أبدا . . وانما نقول أنه اذا ما توافرت عوامل شبيهة بشكل أو بآخر مما أوردناه لدى أي مجتمع فان طبيعة ذلك المجتمع سوف تتجه ذلك الاتجاه في علاج قضاياها وبالتالي فسوف تسلكها في تعاملها مع غيرها بل تعمم أسلوبها كلما تيسرت لها السبل في تحقيق ذلك

لماذا تأهلت الكويت للدور ؟

وبطبيعة الحال إن الاشارة للعوامل السالفة انما أريد بها الاعتراف بأهميتها كأساس لا يمكن تجاهله عند ظهور بعض المواقف التي تجعل من الكويت مفاوضا أو وسيطا ناجحا . ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ ان صدق الكويت في سلوكها وفق مواثيق المنظمات الدولية والاقليمية ومواعيدها وشروطها التي تنتمي اليها أكسبها احتراما دوليا ومكانة رفيعة أعظم بكثير من حجمها الجغرافي والسكاني .

ـ عدم ارتهان السياسة الكويتية بأية جهة أو اتجاه جعل تحركها السياسي وفق المبادىء والمثل المعلنة تحركا حرا لاتحده قيود ولا يخضع لاية توجهات غير وطنية

ـ عدم تقلب السياسة الكويتية وفق الاهواء والامزجة والتقلبات السياسية التي تعصف عادة بالعالم الثالث . وبناؤ ها على قواعد اختارتها مدعومة وطنيا ومقبولة قوميا ، أعطاها قوة ووضوحا في ابداء الرأي والإسهام في اتخاذ المواقف الانسب عند طرح أية قضية تخص الكويت أو العالم العربي أو الدولى دون أية شكوك من الاطراف الاخرى

ـ ان الكويت تتصرف اقليميا ودوليا وفق سياسة معلنة واضحة ، فهي لا تعلن عن سياسة وتتصرف بأخرى مغايرة ، وبعبارة أخرى ان الكويت ليست لها أهداف غير معلنة أو نوايا خفية تهدف لتحقيقها بوسائل متعددة أو مراحل مختلفة ، ومرد ذلك ليست براعة « سياسية » بقدر ما هي استجابة لعامل « الجيوبولتيك » وهذا السلوك له أثره في اشاعة الثقة والاطمئنان لدى أي طرف تتعامل معه الكويت بأي شكل من أشكال التفاوض .

ـ ان الثقل الاقتصادي للكويت بالاضافة الى الانجازات الحضارية والثقافية التي تحققت على هذه الارض جعلت ولا شك ـ للكويت مكانة تتناسب وحجم ذلك الانجاز . وبطبيعة الحال فإن الاحاطة بكيفية استثماره لصالح هدف معين أمر محقق تم اكتسابه من خلال التجارب المتعددة والمختلفة في المحافل الاقليمية والدولية

تلك بعض الأمور التي جعلت من الكويت مرشحة دائمة للقيام بدور الوسيط أو المفاوض بالنسبة لمصالحها أو لمصالح الاطراف الاخرى

شخصية المفاوض أو الوسيط

وهنا نتوقف لنؤكد على حقيقة أساسية وهي أن تضافر العوامل المتعددة وتوافر كل الامكانات والمظاهر المشار اليها لا تعني شيئا اذا لم تجد لها الشخصية التي

تبعث فيها الحياة وتحيلها الى « ديناميكية » تسحرها نحو هدف معين . فالعامل البشري إذن شرط أساسي لنجاح أية محاولة تفاوضية أو مسعى حميد أو وساطة ناجحة أو فشلها . وفي هذه الحالة يفترض أن تتوافر في الشخصية المرشحة لقيادة التفاوض أو للقيام بالوساطة صفات متعددة من بينها :

- التمتع بالثقة الكاملة من حكومته والوعي بالصلاحيات التي يعرف متى يستفيد منها دون افراط أو تفريط .

- القدرة على فهم الطرف الآخر والتعامل معه بكرامة محفوظة واحترام متبادل .

- التمكن من الموضوع والاحاطة بتفاصيله كاملة

- الاستعداد للحوار الطويل أو الحادّ أو البطيء أو الممل دون فقد السيطرة على النفس .

- القدرة على تقديم المقترحات والبدائل في الوقت المناسب وبعقلية لماحة وواعية لنتائجها المستقبلية .

تلك بعض المقومات الاساسية التي يفترض أن تتوافر في شخصية المفاوض أو الوسيط ويتحلى بها سواء أكان بمفرده أم قائدا لفريق من المفاوضين

ومثل تلك المقومات بالطبع هي صفات مشتركة لاي مفاوض دون تحديد لجنسية أو مكان ، ولكن هناك الخصوصية التي يمتاز بها المجتمع وأفراده نتيجة لطبيعة الظروف التاريخية التي تأثر بها والتي طبعت حياته السياسية وعلى الاخص فيما يتعلق بهذا الجانب الذي نتعرض له

مثل بارز للمساعي الحميدة

على أنه من المفيد أن نستعرض حالة مساع حميدة قامت بها الكويت ثم تحولت الى وساطة أدت فيها بعد الى تحقيق نجاح تمثل في جمع الطرفين على مائدة مفاوضات مباشرة مازالت جارية حتى تتحقق جميع أهدافها فلقد سعت الكويت بخطوات حميدة بين مسقط وعدن حين تأزمت الامور بينهما ووصلت الى حد المواجهة الفعلية،واستشعارا من الكويت بواجبها كان لا بد أن تتحرك فكانت تلك البادرة التي قامت بها منفردة،وتتابعت الأمور بقيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية،وتحولت القضية الى واحدة من اهتمامات المجلس،وانطلاقا من أهدافه العامة ببذل المساعي الحميدة وكافة السبل الممكنة التي بدورها تسهم في عودة العلاقات وصلات الترابط بين دول المنطقة ، ومن هذا المنطلق وبتكليف من مجلس التعاون قامت كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ببذل جهود الوساطة لحل الخلاف بين كل من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان ، ونتيجة للاتصالات المكثفة والمساعي التي قامت بها دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة تمت عدة اجتماعات على مستوى الخبراء وكان ذلك في شهر يوليو ١٩٨٣م بحضور وفدين من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان وبحضور وفد دولة الكويت .

وتم الاتفاق في أثناء تلك الاجتماعات على جدول الاعمال الذي ضم البنود الآتية :

١ - الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود

٢ - الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية .

٣ - الحملات الاعلامية

٤ - تبادل التمثيل الدبلوماسي .

كما اتفق الطرفان على عقد اجتماعات لاحقة ، وتم بالفعل عقد اجتماعات للخبراء ما بين ٢٣-٢٤ أكتوبر ٨٢ في دولة الكويت توجت باجتماعات بين وفد سلطنة عمان برئاسة معالي السيد يوسف العلوي عبد الله،ووفد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية برئاسة معالي الدكتور عبد العزيز الدالي وبحضور رئيس وفد دولة الامارات العربية المتحدة سعادة عبد الرحمن الجروان ومعالي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح رئيسا للوفد الكويتي . وقد عقدت عدة اجتماعات للنظر في جدول الأعمال الذي ضم البنود المشار اليها .

وبروح من الصراحة التامة والمسئولية ناقش المجتمعون جميع بنود جدول الاعمال واضعين في الاعتبار الضرورة الماسة لاقامة علاقات حسن الجوار والتعاون بين الجارتين الشقيقتين وازالة جميع العوامل والمسببات المعيقة لبناء علاقات أفضل وأوثق بين الجارتين .

أسس الاتفاق وقواعده

ومن منطلق الرغبة الصادقة في تدعيم أواصر العلاقات الثنائية بين الجارتين الشقيقتين فقد أكّدا على ضرورة وقف الحملات الاعلامية ، كما أكّدا على ضرورة التعاون في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، وتتويجا لذلك أكّدا على ايجاد علاقات طيبة تسهم في اضفاء المزيد من الاستقرار والامن في المنطقة ، وعليه فقد تم الاتفاق على الاسس والقواعد التالية :

١ ـ الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود حيث يلتزم البلدان باقامة علاقات طيبة فيما بينهما على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، واحترام السيادة الوطنية لكل منهما ، وحسن الجوار والتعاون بما فيه مصلحة شعبيهما وحل خلافاتهما بالطرق السلمية والودية ، وعدم السماح لاي أعمال معادية تؤدي الى زعزعة الاستقرار والامن في أي من البلدين الجارين بالانطلاق من أراضي أي منهما الى الأخرى،وفي الوقت نفسه الذى يؤكد البلدان على عدم وجود أية أطماع في أراضي أي منهما .

كما اتفق البلدان على تشكيل لجنة فنية تشارك فيها كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ، تعرض أمامها جميع الوثائق والمستندات لغرض الوصول الى حل نهائي لقضية الحدود بين البلدين الجارين بموجب حدود كل منهما في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ .

٢ ـ الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية ، حيث اتفق الطرفان على عدم السماح لاي قوات أجنبية باستخدام أراضي أي من البلدين للعدوان والتحرش بالبلد الثاني .

٣ ـ الحملات الاعلامية ، حيث اتفق الطرفان على وقف الحملات الاعلامية من وسائل الاذاعة والتلفزيون والصحافة وكافة أنواع الدعاية والنشر الرسمية ضد أي منهما من الآخر .

٤ ـ تبادل التمثيل الدبلوماسي ، حيث أكد الطرفان على ضرورة دعم العلاقات الثنائية وفتح مجالات مثمرة للتعاون ، ومن هذا المنطلق فقد اتفق على مبدأ الاعتراف السياسي ومبدأ اقامة علاقات دبلوماسية لتطوير العلاقات المستقبلية ، على أن يتفق على اعلان اقامة العلاقات عن طريق الاتصال الثنائي حيث صادق المجتمعون على النقاط الاربع المشار اليها أعلاه بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٨٢ .

ثم تتالت اجتماعات اللجان الفنية للحدود بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وعقدت ثلاثة اجتماعات للحدود .

وتعتبر تلك الاجتماعات سلسلة لفتح الحوار الصريح لحل الخلافات بين الدولتين الشقيقتين ، وحيث اعتبر الاجتماع الاخير بمسقط نقطة تحول ايجابية بصرف النظر عن نتائجه التي تم التوصل اليها ، إذ أنه يأتي بعد فترة زمنية طويلة كانت العلاقات بين البلدين تتسم بالتردي ، ويعد هذا الاجتماع هو الاجتماع الرسمي الاول الذى يعقد في أحد البلدين على مستوى المسئولين حيث كانت الاجتماعات السابقة تعقد على التوالي في أبو ظبي والكويت كما تم مؤخرا تبادل زيارات رسمية بين مسقط وعدن تمثلت الاولى بزيارة وفد من وزارة الداخلية بعمان الى عدن ، ثم تلاه وفد فني في شئون الطيران الى مسقط . ثم قام سفير الجمهورية اليمنية في أبو ظبي بزيارة رسمية الى مسقط حيث قابل وزير الخارجية العماني .

كما تم الاتفاق لعقد الاجتماع الرابع بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

وأرجو أن لا أسبق الامور حين أشير الى أن من الاهداف التي تعرفها الاطراف هو انسحابنا بهدوء في الوقت المناسب من هذه المفاوضات لنترك الطرفين الشقيقين يواجهان بعضهما بعضا بشكل طبيعي ودون وسيط ، وبذلك نكون مع الامارات قد أنجزنا المهمة بنجاح .

جهود كويتية بارزة

تلك الصورة بشكل من التفصيل وهناك الكثير من الامثلة ولعل من أوضح تلك الجهود الكويتية في هذا الصدد على سبيل الاشارة لا الحصر هي :

١ ـ المحادثات والاتصالات والجهود الدبلوماسية التي استهدفت قيام اتحاد لإمارات الخليج العربية .

٢ ـ الإسهام في المفاوضات وجهود الوساطة

العربية بين الجانبين اللبناني والفلسطيني من أجل التوصل الى اتفاق ينظم الوجود الفلسطيني في الاراضي اللبنانية .

٣ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية العربية من خلال اللجنة السباعية العربية المشكلة من أجل التوصل الى صيغة للحل السلمي للحرب العراقية الايرانية (قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٤٣٢٦ تاريخ ١٩٨٤/٣/٣١) .

٤ ـ الإسهام في الجهود المبذولة من أجل معالجة الأزمة اللبنانية من خلال عضوية الكويت في لجنة المتابعة المشكلة من قبل مجلس الجامعة العربية لهذا الغرض .

٥ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية من خلال لجنة المتابعة العربية المشكلة بقرار من مجلس الجامعة العربية (يونيو ١٩٨٢) من أجل فك الحصار عن بيروت وتحقيق الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

٦ ـ الإسهام في المفاوضات التي يقيمها الجانب العربي مع دول السوق الاوروبية المشتركة في نطاق الحوار العربي الاوروبي .

٧ ـ الإسهام في المفاوضات والاتصالات الرامية الى تعزيز التعاون العربي الافريقي من خلال عضوية الكويت في اللجنة المشكلة لتنظيم شئون التعاون المذكور مع منظمة الوحدة الافريقية بموجب قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٣٢٢٨ تاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ .

٨ ـ المساعي الحميدة عشية تأزم الوضع فيما كانت تسمى باكستان الشرقية وما أدت اليه الامور من قيام بنجلاديش فكانت الكويت واحداً من أهم أعضاء اللجنة التي أوفدها اجتماع منظمة المؤتمر الاسلامي لهذا الغرض .

٩ ـ ولا نستطيع ان ننسى بهذه المناسبة الدور الكبير الذى قامت به الكويت في استقلال البحرين .

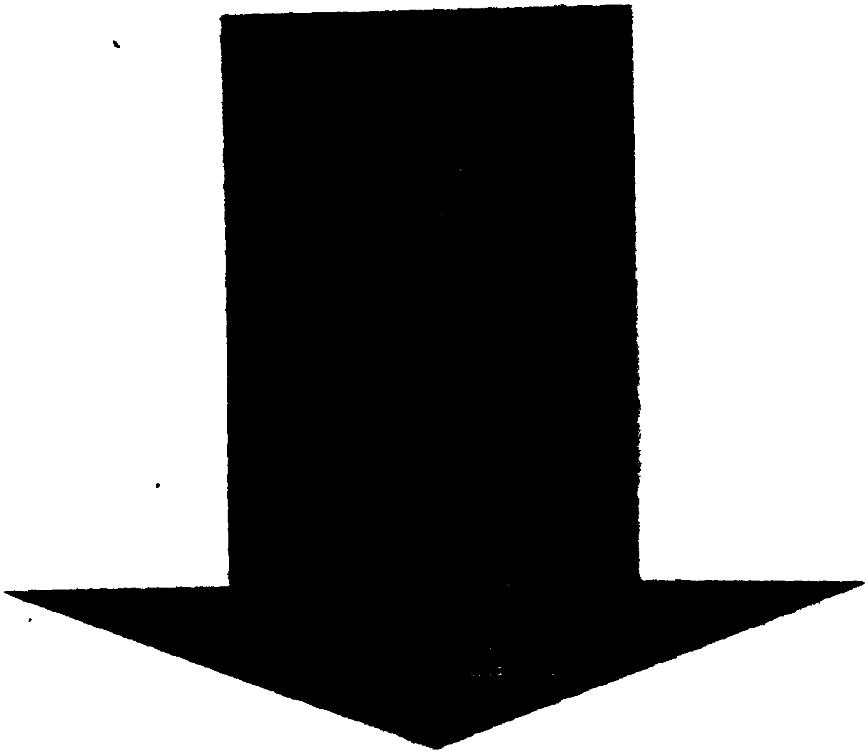
مهندس السياسة الخارجية

واستكمالا لحقائق الامور وحين نشير الى هذه الحقبة من حياة الكويت السياسية لا بد من ذكر مهندس السياسة الكويتية منذ فجر الاستقلال عام ١٩٦١ معالي الشيخ صباح الاحمد الجابر نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية عميد وزراء الخارجية العرب ، وثاني أقدم وزير خارجية في العالم بعد السيد جروميكو .

ولا مجال لي شخصياً للافاضة عن شخصية هذا الرجل في هذا المقام لاعتبارات متعددة ، ولكن من المؤكد أن المؤرخ لهذه الحقبة من الحياة الدبلوماسية للكويت ـ ودون انتقاص لأي دور آخر ـ سيجعل من هذا الرجل الوجه المشرق للسياسة الخارجية للكويت ، فيما يملكه من قدرات صقلتها التجارب العملية جعلته القاسم المشترك في أي عملية وساطة أو بادرة أو مفاوضة على صعيد كل الاجتماعات السياسية في الخليج بمجلس التعاون ، أو في الجامعة العربية على الصعيد العربي ، أو في العالم الاسلامي من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي أو دولياً في حركة عدم الانحياز .

وأرجو أن أضيف شيئاً الى موضوعنا حين أورد لمحة عن كيفية تحرك هذا الرجل حيال المواقف التي لا تنتظر التريث في الرد ، فلقد قام في شهر ابريل ١٩٨١م بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وعبر مائدة المفاوضات كان جروميكو وصحبه،ومن خلال الاجتماع كانت هناك أوقات يقتنصها المفاوض ليطرح بعض « بالونات » الاختبار ليبلغ عن موقف ، أو يكتشف هدفاً ، وإذ تقدم الشيخ صباح الأحمد بقائمة تحوي أنواعاً من الأسلحة قدرها السوفيت بانها تزيد عن حاجة الكويت ، وأمسك السيد جروميكو بالقائمة الطويلة ، وبكل جدية السوفيت ، وبعد أن أنزل نظارته فاستقرت على أرنبة أنفه ، نظر الى الشيخ صباح ليقول بهدوء ثلجي : يبدو أن رفيقنا الشيخ صباح لديه خطط لاحتلال العالم ! ! فما كان من معاليه الا أن أجاب : نعم كدولة صغيرة استطيع أن أحتل العالم ولكن بالسلام والحب وليس بالتهديد والحرب .

ولعل هذا الأسلوب يكشف بعضاً من ذات الرجل وبعضاً من أسباب نجاح الكويت في سياستها الخارجية . □



الأمم المتحدة

بعد أربعين عاماً من قيامها
وُلدت قوية .. ثم أصابها الوهن في سن النضوج !

بقلم : عبد الحميد الكاتب

في شهر اكتوبر من العام الماضي أحتفلت الأمم المتحدة ببلوغها سن الأربعين . وكان مولدها حدثاً لانها بدأت عملاقة قوية يحسب لها العالم ألفَ حساب . ثم مضت السنون ، وكبرت الهيئة الدولية ، وأصبحت تضم اليوم ١٥٩ دولة ، ولكنها أصبحت كيانا مترهلا ، لا يكاد يرتفع صوتها حتى يضيع وسط هدير مطامع الدول الكبرى ومصالحها وسياساتها . . كيف حدث هذا ؟ هذه هي القصة كما يرويها كاتب عاصر الأمم المتحدة مدة تزيد على الثلاثين عاما !

تبلغ الأمم المتحدة هذه الأيام سن الأربعين . وسن الاربعين في حياة الأفراد هي السن التي يكتمل فيها للفرد ما قدره الله له من قوة وخبرة ونضوج ، بعد انتقاله من مرحلة الشباب وهي مرحلة التجربة والاكتشاف ، وما يقترن بهذا من أخطاء أو نزوات ، وقبل أن تأتي عليه مرحلة الكهولةوما تحمل معها من قلة النشاط وقلة العمل والانتاج .

أما المنظمات الدولية فيبدو أنها تختلف عن الأفراد في هذا . فحين تولد ، تولد كبيرة قوية ، عالية الصوت مسموعة الكلمة ، وتحتفظ بقوتها وتأثيرها بضع سنين لا تتجاوز عقدا واحدا أو عقدين ، ثم يدركها الضعف والانهاك ، ولا تلبث أن تفقد نفوذها وفاعليتها ، وتتعرض لما يتعرض له الشيخ الفاني من الانصراف عنه والاستهتار بأمره . فاذا بالناس ، شعوباً وحكومات ، لا يكادون يدرون ماذا تصنع ، ولا يأبهون لما تقول .

كان هذا شأن (عصبة الأمم) . . فكان مولدها في أعقاب الحرب العالمية الاولى حدثا كبيراً على مسرح السياسة الدولية ، وكانت محوراً رئيسياً للعلاقات الدولية بضع سنوات .

فمثلا عندما غزت ايطالياالفاشستية أثيوبيا كجزء من محاولات موسوليني اقامة امبراطورية رومانية جديدة تمتد من البحر الأبيض الى البحر الأحمر ، فرضت عصبة الامم مقاطعة اقتصادية على ايطاليا ، واستجابت دول عديدة في العالم الى قرار المقاطعة ، والتزمت بتنفيذه الى حد ما ، ولكن لم تمض الا فترة وجيزة بعد هذا حتى فقدت العصبة نفوذها وتأثيرها ، فلم تستطع أن تفعل مثل هذا مع ألمانيا النازية عندما بدأت تغير على بعض المناطق المجاورةلها ،والتي كان هتلر يعدها أجزاء من ألمانيا الكبرى ، اغتصبت منها عندما هزمت في الحرب العالمية الاولى وضمت الى تشيكوسلوفاكيا وبولندة . . حتى النمسا بأكملها دخلها هتلر بجيشه وأعلن ضمها الى أرض الرايخ الالماني بينما كانت عصبة الامم تتطلع الى ما يحدث عاجزة عن أن تفعل شيئا ، وحتى هذا الموقف العاجز لم يعجب هتلر ، فأعلن انسحاب ألمانيا من عصبة الامم مستهيناً بها وبما يصدر عنها من قرارات . .

مولد الأمم المتحدة :

وكذلك الأمم المتحدة . . ولدت وسط مهرجان دولي عظيم أقيم في مدينة سان فرانسسكو ، وأطل الوليد مبشراً بأن عهد الحروب قد انتهى ، وأن عصر السلام والأمان قد أشرق على العالم ، ووضعت الأمم المجتمعة لنفسها ميثاقا مفصلاً أعلنته يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، فارتبطت به وتعاهدت عليه جميع الدول القائمة والمستقلة في ذلك الوقت ، وأقام الميثاق مجالس ولجانا وأجهزة كانت تبدو كفيلة بأن تجعل العالم يعيش آمنا مطمئنا ، ويتجه نحو أهداف واضحة من التعاون في مجالات الاقتصاد والاجتماع وحقوق الانسان . . وبعبارات بليغة تصدرت ذلك الميثاق أعلنت الأمم المتحدة فيما أعلنت :

(نحن شعوب الأمم المتحدة
(قد آلينا على أنفسنا
(أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب
(أن نؤكد ايماننا بما للأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية
أن ندفع بالرقى الاجتماعي قدما . . وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية فسيح
(أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وأن نعيش في سلام وحسن جوار
(أن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعا) .

هذه فقرات من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة التي جاءت مبشرة بعالم جديد متحرر من الخوف من الحرب ، ومتحرر من الخوف من الطغيان والاضطهاد وانتهاك حقوق الانسان ، ومتحرر من الخوف من الفقر وما يحمله في طياته من جهل ومرض ومساويء . .

ومضت الأمم المتحدة خلال السنوات الاولى من حياتها في همة وعزيمة . . تصدر القرارات فتستجيب الدول - حتى الكبرى منها - الى تنفيذ هذه القرارات ، فمثلا ، كان الاتحاد السوفيتي يحتل بجنوده منطقة أذربيجان في ايران ، فشكت ايران الى مجلس الأمن

وطلبت جلاء هذه القوات ، فأصدر المجلس قرارا يقضي بانسحاب القوات المحتلة ، واذا بالاتحاد السوفيتي يسحب هذه القوات ويجلو عن ايران . ويدا للعالم أن مجلس الأمن هو صاحب السلطة العليا في شؤون العالم ، وان كان من غير المستبعد أن الاتحاد السوفيتي سحب قواته من ايران لامور تتعلق باستراتيجيته الدولية .

قضية فلسطين :

ومثل آخر ، ولو أنه مثل سيء ، وهو القاء بريطانيا بمشكلة فلسطين في حجر الامم المتحدة .. فقد جاءت بريطانيا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقول انها لا تدري ماذا تفعل في فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ، وانها قررت أن تنهي انتدابها وتسحب قواتها من فلسطين ، وعلى الأمم المتحدة أن تبحث ماذا تستطيع أن تفعل هناك ..

وتداولت الجمعية العامة في الأمر مليا وأصدرت قرارها ، وكان قرارا خاطئا أشد الخطأ ، ظالما الى أقصى حدود الظلم ، وكان من الواضح أنه ينطوي على نتائج وعواقب وخيمة . هذا هو قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .. ورغم الخطأ والظلم والعواقب المنتظرة فقد قال العالم : هذا ما قررته الامم المتحدة فلابد من احترام قرارها وتنفيذه .. وصار هذا هو الرأي السائد في العالم بأسره ، بما فيه العالم العربي نفسه ، فقد اعتبر قرار الأمم المتحدة أساسا (قانونيا) يستند اليه قيام دولة يهودية كما سماها القرار ـ فوق أرض فلسطين .. وتجسد هذا الرأي العربي الرسمي عندما وافقت الدول العربية التي شاركت في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ على قرار المؤتمر بأن تحل مشكلة فلسطين على أساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة بما فيها قرار التقسيم طبعاً !

ومثل ثالث على قوة الأمم المتحدة ونفوذها في تلك المرحلة الاولى من حياتها وهي قضية ليبيا ومصيرها ، قد جاءت الى الأمم المتحدة مثلما جاءت قضيتا يتيريا والصومال لأنها كانت مستعمرات ايطالية ابقة ، وقد هزمت ايطاليا في الحرب وجردت من مستعمراتها .... فماذا ترى الامم المتحدة وماذا تقرر ؟

وكانت بريطانيا حتى بداية الخمسينيات من هذا القرن ما تزال تعيش بعقلية الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وقد زادها انتصارها في الحرب العالمية الثانية وهما بأنها لا تزال قادرة على التوسع والاستعمار ، فاقترحت في الأمم المتحدة أن تقتسم ليبيا مع ايطاليا وفرنسا ، فتأخذ بريطانيا منطقة برقة ، وتأخذ ايطاليا منطقة طرابلس ، وتأخذ فرنسا منطقة فزان المجاورة لتونس . !

وهنا أظهرت الأمم المتحدة قوتها مرة أخرى ، فرفضت الجمعية العامة هذا المشروع ورفضت تقسيم ليبيا ، وقررت أن تبقى ليبيا بلدا موحدا وأن تحصل على استقلالها في موعد قريب .. وفعلا تم تنفيذ قرار الامم المتحدة ، وبعد سنين صارت ليبيا دولة مستقلة وعضوا في المنظمة الدولية . وهكذا كان شأن الأمم المتحدة في بعض المشاكل الدولية في سنواتها الأولى .

العدوان الثلاثي :

وربما وصلت الأمم المتحدة الى أقصى قوتها في مرحلة الصبا ، فيما بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة من عمرها .. أي فيما بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٣ . ففي السنة الاولى من تلك المرحلة اجتمع مجلس الأمن فجأة ، ووضع أمامه مشروع قرار يأمر بريطانيا وفرنسا ومعهما اسرائيل أن توقف فورا عدوانها على مصر ، فأطلقت بريطانيا وفرنسا حق (الفيتو) على مشروع القرار ، فانتقل الموضوع فورا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث لا يسري فيها ذلك (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الكبرى ، وكانت الجمعية العامة قد اكتسبت قوة كبرى بمقتضى قرار سابق صدر عند نشوب حرب كوريا ، ويعرف باسم قرار (الاتحاد من أجل السلام) .. وهو القرار الذي ابتكرته الولايات المتحدة ، والذي يعطي الجمعية العامة سلطة تقترب من سلطة مجلس الأمن .. فلا تكون سلطتها مجرد إصدار (توصية) يعمل بها أو يهمل أمرها ، بل يكون قرارها ملزما لمن يصوتون معه ، فضلا عن تأثيره المعنوي على من يعترضون على القرار .

انتقلت مشكلة العدوان الثلاثي على مصر الى الجمعية ، وتوالي على منصتها العديد من الخطباء يندجون بهذا العدوان . . واستمر ممثلو الدول المختلفة يخطبون طول المساء وشطرا من الليل . . وعند الفجر تقريبا أصدرت الجمعية العامة قرارا حاسما يقضي بوقف العدوان فورا ، وبانسحاب القوات المعتدية الى حيث جاءت . ولا شك في أن هذا القرار الذي صدر بما يشبه الاجماع ، والذي كان أشبه بمظاهرة دولية كبرى تتصدرها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا ، قد هز الرأي العام في بريطانيا هزة قوية ، وأثر أيضا الى حد ما في الرأي العام الفرنسي ، فلم تمض على صدور القرار أكثر من سحابة نهار اليوم التالي حتى أعلنت بريطانيا وفرنسا وقف القتال عند منتصف الليل ، وبدأت الدولتان تسحبان قواتهما بعد أيام قليلة ، أما اسرائيل فتلكأت في الانسحاب بضعة شهور . وخرجت الأمم المتحدة من هذه المعركة وهي أقوى ما تكون ، وبرز على المسرح الدولي أمينها العام ، داج همر شولد ، كأحد القوى الكبرى المحركة لأمور السياسية في العالم .

وتغير وجه العالم :

وفي سنة ١٩٦٣ كان يبدو أن الامم المتحدة صارت تضم العالم كله تقريبا . . فيما عدا بقايا مستعمرات بريطانية وفرنسية متناثرة في آسيا وأفريقيا وفي بعض جزر المحيطات ، وفيما عدا المستعمرات البرتغالية الكبيرة في أفريقيا ، فقد كانت البرتغال تعيش بمعزل عن العالم تحت حكم القسيس سالازار الذي يبدو أنه مات قبل أن يدرك أن وجه العالم قد تغير ، وأن عصر الاستعمار قد ولى ، وكذلك بقي خارج الامم المتحدة حتى ذلك الوقت الدولتان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية ، ألمانيا بشطريها واليابان ، وبقيت الدول المقسمة ، ومنها كوريا وفيتنام ، شمالها وجنوبها وبقيت سويسرا ومازالت ، خارج الامم المتحدة باختيارها . . وفيما عدا هذا فيمكن أن يقال ان الامم المتحدة في أواسط الستينيات صارت تضم من الدول ما يمثل الأغلبية الكبرى من شعوب العالم وصارت تمثل العالم تمثيلا شاملا .

وقد أدى وجود عدد كبير من الدول الآسيوية والافريقية والعربية واللاتينية الى دفع الامم المتحدة دفعة قوية في مجال آخر غير مجال السياسة ، وهذا هو مجال الاقتصاد . . وعلى الأصح مجال التنمية الاقتصادية للدول النامية ، ومحاولة اكتشاف نواحي الخلل الاقتصادي الذي يقسم العالم قسمين متباعدين ، قسم من الدول الصناعية الغنية ، وقسم من الدول الاخرى الفقيرة . . فضلاً عن مجموعة أخرى من الدول ، يناهز عددها الآن ثلاثين دولة ، هي أشد بلاد العالم فقرا . . انها الفجوة الواسعة بين الشمال والجنوب .

كان في الامم المتحدة منذ البداية برنامج متواضع جدا اسمه برنامج المعونة الفنية . . ينفق منه على استئجار بعض الخبراء الأوروبيين والامريكيين ، وأحيانا بعض الهنود والعرب ، لتقديم خبراتهم لعدد من الدول النامية ، وينفق منه أحيانا مبالغ بسيطة للمشاركة في اقامة بعض مشروعات التدريب ، فلما بدأت الدول الصغيرة والمتوسطة تأخذ مكانها في الامم المتحدة ، وتتجمع وتقوى ويرتفع صوتها من فوق المنصات العديدة في الامم المتحدة ، وأخذ العالم يستمع الى أصوات واضحة وكلمات رشيدة تصدر عن ممثلي الهند ومصر والبرازيل والمكسيك وغيرها ، تحول البرنامج الصغير لاستئجار الخبراء ، الى برنامج ضخم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . . وأخذ رأس ماله ينمو سريعا حتى بلغ وجاوز مليارا من الدولارات ، تشارك مشاركة فعالة في كثير من مشروعات التنمية في معظم البلاد النامية ، ولم تعد الخبرة حكرا على عدد محدود من الخبراء الأمريكيين والاوروبيين ، بل صارت البلاد النامية نفسها هي التي تصدر الخبراء لغيرها من البلاد النامية ، فهم أقرب الى مشاكلها وأدرى بها . .

دور الدول النامية :

ومجال آخر اقتحمته الأمم المتحدة مدفوعة بأيدي الدول النامية التي كثر عددها وأحست بمصالحها ومشاكلها المشتركة ، وهو مجال التجارة الدولية . . فدعت الى مؤتمر كبير جدا هو مؤتمر (التجارة والتنمية) الذي عقد في سنة ١٩٦٤ وكانت القوة

الدافعة في المؤتمر تتكون من رجلين من البلاد النامية . . القيسوني الذي رأس المؤتمر من مصر ، وبريبتسن ، سكرتير عام المؤتمر ، من الأرجنتين . . وبجانب كل منهما مجموعة كبيرة من الخبراء أغلبهم من الدول النامية ، وطرحت مشاكل التجارة الدولية في دراسات وبحوث مستفيضة ، وتنبه الرأي العام المستنير في البرلمانات والمحافل الدولية ، الى أن العالم لا يمكن أن يعيش آمنا مطمئنا ، بينما أسعار المواد الخام متدنية الى حد السلب والنهب ، وأسعار المواد المصنعة مرتفعة الى حد الابتزاز والاستغلال .

ولم يسفر المؤتمر عن رفع أسعار المواد الخام التي تنتجها الدول النامية ، أو خفض أسعار المواد المصنعة التي تشتريها من الدول الصناعية ، ولكن أثار المشكلة وعرضها على العالم ، وأقام جهازا دائما للمضي في تنبيه العالم الى هذا الوضع الشاذ وما ينطوي عليه من خطر ، ونبه الدول النامية الى الطرق التي يجب أن تسلكها ، ويمكن أن يقال ان تلك كانت نقطة البداية في انشاء منظمة الدول المصدرة للبترول « الأوبك » . وفي التفكير المستمر في انشاء منظمات مماثلة للدول المصدرة للقطن والبن وغيرها من منتجات الدول النامية .

وكذلك ضغطت الدول النامية في ميدان آخر هو ميدان التنمية الصناعية ، ودعت الى عقد مؤتمر ، والى اصدار قرارات ، والى انشاء منظمة دائمة ، وصارت أمور هذه المنظمات بأيدي خبراء من بلاد العالم الثالث، وقراراتها ـ ولو أنها مجرد توصيات وتوجيهات ـ تتمشى مع مصالح ومطالب دول العالم الثالث ، بل أخذت دول العالم الثالث تقتحم المجالات العلمية في الامم المتحدة ، فثروات البحار وكنوزها ، وكيف ينبغي كف أيدي الدول الصناعية القليلة عن احتكارها لنفسها ، وكيف ينبغي أن تعتبر ملكية مشتركة لشعوب العالم كلها غنيها وفقيرها .

ان الذي فتح هذا الموضوع في الامم المتحدة دولة من أصغر الدول هي مالطة . . وكان لدولة أخرى من دول العالم هي الكويت دور بارز في هذا المجال . .

ومثله موضوع (الفضاء الخارجي) . . هل هو حكر للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ؟ لا ، فان مقترحات بناءة ، ومشروعات جادة ، تتقدم بها دول من ذلك العالم الثالث . . الهند والبرازيل ومصر وغيرها من الدول النامية التي أقامت معاهد ومراكز ، تحت اشراف الامم المتحدة يفد اليها الطلاب والباحثون من بلاد عديدة للدراسة والتدريب ، ودفعت الدول النامية منظمة الامم المتحدة الى التوسع في مجالات أخرى مثل مساعدة اللاجئين ، ومساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية ، ومثل تكوين رأي عام مدرك لمشاكل تزايد السكان ووسائل تطويق هذه المشاكل المتزايدة .

ولم تكن الدول الكبيرة والغنية وهي دول العالم الأول الغربية ، ودول العالم الثاني الشرقية ، بعيدة عن هذه المجالات والميادين التي أولتها دول العالم الثالث اهتمامها الكبير ، بل كانت تلك الدول تشارك في جميع الاجتماعات واللجان ، وتحضر اليها وفي أيدي ممثليها دراسات وافية ، وتشارك في المناقشة بجدية ونشاط ، وأهم من هذا أنها كانت تسهم بنصيب كبير في تمويل العديد من المشروعات ، ولكن الدول الكبيرة ، وعلى الأخص الدولتين العظميين ، كانتا معنيتين بمشكلة أخرى هي في الواقع أكبر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، وهي مشكلة سباق التسلح ، وماذا يمكن الاتفاق عليه لتجميد بعض الأسلحة وتخفيض بعض الأسلحة الاخرى ، وفي مرحلة نشاط الامم المتحدة وحيويتها نجد أن الدولتين العظميين استطاعتا الاتفاق ، داخل اطار الامم المتحدة ، على عدد من أهم الاتفاقيات . . ومنها اتفاقية الحظر الجزئي على التجارب النووية ، أي التجارب في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء وليس على سطح الارض ! والموقعة سنة ١٩٦٣ . . ثم معاهدة الفضاء الخارجي سنة ١٩٦٦ ، ثم معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية في سنة ١٩٦٨ . . ثم معاهدة حظر الأسلحة النووية في قاع البحار في سنة ١٩٧١ ، وفي العام التالي معاهدة منع وتخزين الأسلحة الميكروبية والسامة .

وهن وضعف !

بوجه عام شهدت السنوات العشرون الاولى من حياة الامم المتحدة نشاطا واسع النطاق ، متعدد المجالات ، داعيا الى الاحساس بأن الامم المتحدة في

طريقها الى تحقيق المبادىء والأهداف التي نص عليها الميثاق ، أما بعد هذا - وعلى وجه التحديد خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة - فقد دب الضعف في الامم المتحدة ، وسرى الهزال في كيانها ، وأصابها الاعياء والانهاك . .

وانظر عددا من القضايا المشاكل لترى أن الامم المتحدة على مدى خمس عشرة سنة أو تزيد لم تستطع أن تفرض حكما نافذا فيها ، أو تجد حلا سلميا لها ، أو تجد من الدول الاعضاء استجابة صادقة لما تصدره من قرارات .

وأوضح الامثلة على هذا هو عجز الامم المتحدة عجزا تاما أمام اسرائيل وأفعالها العدوانية قديما وحديثا ، فأما مجلس الأمن فلا يستطيع أن يصدر قرارا لان (الفيتو) الأمريكي يتم اعداده مقدما في البيت الأبيض وفي وزارة الخارجية الأمريكية ليحول دون صدور قرار من المجلس يدين اسرائيل أو يطالبها بشيء ما ، وأما الجمعية العامة فهي التي تصدر العديد من القرارات ، وقد بلغت في دورة العام الماضي وحدها أكثر من عشرين قرارا ، ولكن اسرائيل لم تعبأ بهذه القرارات ، ولا أحد في العالم يطالب اسرائيل في شيء من الجدية والحزم أن تستجيب الى أي من هذه القرارت . وهكذا تجمدت القضية الفلسطينية ، وقضية كل أرض عربية امتدت اليها أيدي اسرائيل بالعبث والعدوان .

ومثل هذا قضية التفرقة العنصرية التي تمارسها حكومة اتحاد جنوب أفريقيا ، وتصدر القوانين التي تجعل ممارسة التفرقة العنصرية هي العمل المشروع ، ! ومقاومتها هي الخروج عن القانون الذي يستوجب اطلاق الرصاص ، والسجن لمن لم يصرعه وابل الرصاص .

وكل القضايا السياسية المطروحة أمام الامم المتحدة . . راكدة أو متجمدة ، وليس في المنظمة الدولية الكبرى قوة لتحرك أيا من هذه القضايا خطوة الى الأمام .

* قضية أفغانستان . . وللامم المتحدة وسيط هناك نسمع أحيانا شيئا عن تنقلاته واتصالاته ، ولكن الاحتلال السوفيتي باق ويزداد شراسة ، وأكبر حشد من اللاجئين في العالم ، يزيد على ثلاثة ملايين أفغاني ، يعيشون في قرى باكستان وايران .

* قضية قبرص . . والمفروض أن تعمل الامم المتحدة على توحيد شطريها . . ازدادت تعقيداً !

* قضية ناميبيا . . المستعمرة الوحيدة الباقية في أفريقيا . . والتي كان من المفروض أن تستقل منذ أيام (عصبة الامم) في الربع الأول من هذا القرن . . اذ كانت تحت الانتداب ، الذي أقيم بدعوى وضع مؤقت يؤهل للاستقلال . . ما تزال حتى اليوم ترزح تحت حكم جنوب أفريقيا .

وفي المجال الاقتصادي . . تجمدت البرامج التي ذكرناها من قبل وانكمش بعضها ، لان الولايات المتحدة بدأت تقبض يدها عن المساهمة الكبيرة في تمويل مشروعات هذه البرامج . . وهي تنذر من حين الى حين بأن الكونجرس الأمريكي قد يرفض تضييع أموال الشعب الامريكي في تمويل منظمة لا تتمشى أغلبية أعضائها مع أمريكا فيما تريد وما لا تريد ، وتعلو نغمة هذاالانذار كلما صدر قرار يدين اسرائيل أو يصف الحركة الصهيونية بصفتها الحقيقية وهي أنها حركة عنصرية ! . . وبينما كانت الولايات المتحدة تسهم بما يعادل ٦٦ في المائة من ميزانية الأمم المتحدة ، صارت مساهمتها ٢٥ في المائة ، أما الاتحاد السوفيتي فيسهم بما يبلغ ١٥ في المائة من الميزانية ولا يزيد ، ويمتنع عن المساهمة في بعض البرامج والمشروعات التي لا تعجبه .

* هذا . . . وفي المجال الاقتصادي أيضا فان دور الامم المتحدة فيما يسمى بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد لم يتعد حتى الآن دور الخطب والمساجلات بين الاغنياء والفقراء ، ودور اعداد الدراسات والتقارير المستفيضة ، دون خطوة واحدة الى الامام في سبيل اقامة هذا النظام .

وهكذا صارت الأمم المتحدة في سن الأربعين كيانا ضخما بأعضائه الذين يبلغون الآن ١٥٩ دولة . . وبموظفيه الذين يبلغون اثنين وعشرين ألف موظف . . ولكنه كيان مترهل ، متخاذل لا يكاد يستطيع العمل والحركة مثلما كان في سنواته الاولى □

رسالة اسبانيا :

الجديد فى الحوار الثقافى بين الشرق والغرب

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

بعد مرور عقدين من السنين على حوار الشرق والغرب ، يجد المتحاورون أنفسهم عند نقطة البداية ، وأن الحوار الثقافى ليس أفضل حالاً من الحوار السياسى والاقتصادى . فهل كان ذلك لأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنج قبل أكثر من نصف قرن من الزمان ، أم ان هناك عوائق حقيقية امام مسيرة الحوار الثقافى بين الشرق والغرب ؟ ذلك هو ما يجيب عنه هذا المقال .

تبدو اسبانيا جادة فى تهيئة أرضها ، لتكون ملتقى حوار بين الشرق والغرب أو الاسلام والمسيحية ، أو العرب وأوروبا ، أو غير ذلك من أشكال اللقاء .

وخلال السنة الماضية (١٩٨٤) عُقدت فى مدريد واشبيلية وغرناطة عدة لقاءات ومؤتمرات ونشاطات ، دارت كلها حول موضوع الحوار ، وجوانب التقارب بين الشرق والغرب .

وانطلاقا من تجربة ملتقيين مهمين نسبيا ـ أتيح لى أن أشارك فى أعمالهما ـ تبلور فى الذهن أمران على الأقل :ـ

أولهما : الخطوط الرئيسية لقضية الحوار الثقافى ، كما تبدو فى نهاية عام ١٩٨٤ وبعد عقد كامل من بدء حملته .

والثانى : سلسلة الأسئلة الصميمية التى تثيرها فى الذهن قضية الحوار ، والتى يخشى أن يبقى الحوار مكتوفا نسبيا اذا لم يسارع الغيورون الى البحث عن حل لها .

والملتقيان هما :ـ

١ ـ اجتماع الجمعية العمومية لجمعية (الاسلام والغرب) فى اشبيلية من ١٠ ـ ١٩٨٤/٩/١٢ .

٢ ـ ملتقى (الحوار البرلمانى العربى الاوروبى فى سنته العاشرة) فى مدريد وغرناطة ، من ٦ ـ ١٩٨٤/١١/٩ . وقد خصصت فيه كالعادة قناة للحوار الثقافى الى جانب الحوار السياسى والحوار الاقتصادى .

وحضر الملتقيين مندوبون يمثلون مؤسسات راقية فى عددٍ من البلدان الأوروبية والعربية والاسلامية .

وقد نشرت الصحافة اليومية جوانب مما دار في الملتقيين ، مما يعفى المرء من الوقوف عند الوقائع ، ويسمح بالتركيز على الناحيتين اللتين أشرنا اليهما آنفا وهما الخطوط الرئيسية والأسئلة .

خطوط رئيسية للحوار :

ليس الحوار الثقافي طارئا على مائدة الحوار الشرقي الغربي [1] ، اذ بدأ منذ عقدين من السنين ، مع الحوار السياسي والحوار الاقتصادي ، ومازال جزءاً لايتجزأ من عمليات الحوار المتابعة . وفي كثير من الأحوال خصصت له مؤتمرات وملتقيات موقوفة عليه ، تدليلا على أهميته .

ومن الملاحظ أنه جرى التقرب من الحوار الثقافي في بادىء الأمر بحماسة شديدة وذلك نتيجة لوجود شعور عام بما يمكن أن يؤدى اليه (تطبيع) المناخ الثقافي بين الشرق والغرب ، من خلق تربة أفضل لكل من التعاون السياسي والاقتصادي وسائر مجالات الحوار

على أن امعان النظر في سلسلة حصيلة الحوار الثقافي يشير الى أن هذه القناة ـ ربما أكثر من القنوات الأخرى للحوار ـ لم تتقدم أية خطوات تستحق الذكر ومن الصعب القول بوجود مشروعات متسلسلة ومتساندة ، وهذا لاينفي وجود التطلعات الطيبة والرغبات المخلصة لدى مواقع مختلفة على جانبي قناة الحوار .

ومراعاة للدقة والانصاف يحس المرء أن يشير هنا الى أن مصير الحوار الثقافي لم يكن أسوأ بكثير من مصير الجوانب الأخرى للحوار ، وأنه حين بدأ قبل عقد من السنين كانت هناك توقعات ايجابية ومتفائلة نسبيا بشأنه ، ولكن التطورات اللاحقة أظهرت جسامة الصعوبات التى تعترض الحوار بوجه عام ، وتفرد الحوار الثقافي بمشكلات حساسة دينية وتاريخية وفكرية وغيرها .

على أن هذه التطورات السلبية ـ التى ينبغى الاعتراف بوجودها ـ لا يجوز أن تعنى أن فكرة الحوار تلاشت أو تمخضت عن حيبة كاسحة ، وانما يجب أن تدفع طرفي الحوار ـ الى مزيد من التبصر والجهد في توجيه قضية الحوار . واذا كانت جوانب الحوار الأخرى خارجة عن اطار هذه المقالة ، فانه يمكن القول أن الحوار الثقافي وحده يفتح أبوابا كبرى للبحث والتعاون والعمل المشترك ، سواء أكان ذلك مقصودا لذاته أم موجها لخدمة الحوار السياسى والاقتصادى والتعاون الحيوى الشامل . ومن هنا كانت الضرورة تستدعى مواصلة العمل المشترك ، لوضع أساس سليم لارتياد الجوانب الأكثر فعالية للحوار .

وجدير بالذكر هنا أنه نشأت خلال بضع السنوات الفائتة مؤسسات كثيرة تعنى بالحوار الثقافي ، كما أن هناك مؤتمرات عديدة تعقد لهذا الغرض ، بعضها رسمي وبعضها من عمل جمعيات تطوعية . ويصاحب ذلك تزايد شديد في مستوى التبادل الثقافي والعلمي والتكنولوجي الذى تنظمه الاتفاقات الثقافية والتربوية الكثيرة ، التى تربط البلدان العربية والاوروبية بوجه خاص. الا أن الذى كان قائما في الأذهان منذ نشأة الحوار ، ونعتقد أنه ما زال واردا ، هو العمل على ابراز تلك المشروعات الثقافية المشتركة بين طرفين عامين متحاورين ومتعاونين على غير صيغة الاتفاقات الثنائية بين دول مفردة ، أى بين أوروبا والعرب ، أو بين الاسلام والغرب ، أو بين الشرق والغرب . وقد اعترضت ذلك صعوبات كثيرة تكشفت بقوة حين بدأت بعض أقنية الحوار تنتقل من النظرى الى التطبيقى ، ومن المجرد الى الملموس وبالنسبة الى الحوار الثقافي بالذات كانت العقبة المباشرة هى عدم وجود طرفين متبلورين على جانبى قناة الحوار .

وهذا ما يقودنا الى الشق الثانى من هذه الرسالة

اسئلة صميمية

السؤال الأول :

هل هذه الملتقيات المتعاقبة حوار بين الشرق

---

١ ـ استعمل هذا المصطلح للدلالة على أشكال الحوار وحينما لا تكون هناك حاجة الى التخصيص .

والغرب ، (ديالوج) أم حوار منفرد بين الغرب والغرب (مونولوج) ؟ أليست المفاتيح الثقافية والكلمات الاصطلاحية والمفهومات التي يستخدمها المناقشون من الطرف الاسلامي تأتي في كثير من الأحيان مطابقة لما يستخدمه الطرف الغربي ؟

ومادمنا نردد دائما أن حوار الثقافة ليس تجريدا ، بل هو حوار حي بين البشر ، أفليس معظم الذين يناقشون الغربيين (من موقع أفكار شرقية) هم من المثقفين الذين تعلموا وتكونوا دهنيا في الغرب ؟ وكثيرون منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون الى العربية ؟

وبالطبع يجب ألا يفهم من هذا القول أي اعتراض على اتقان اللغات الاجنبية او الافادة من المعرفة الغربية ، فالاسلام حض على تعلم اللغات وطلب العلم ولو في الصين . ان هده التساؤلات تهدف الى تصحيح مجرى الحوار المنشود (الذي يخشى ألا يكون قد بدأ) ولنفترض مثلا أنه يوجد بين المتحاورين من يملك ثقافة اسلامية خالصة . لنتخيل كيف يمكن أن يكون الحوار . ألا يحسن أن يضم الحوار على الجانبين ممثلين للموقف التقليدي ، الى جانب غيرهم بالطبع ؟ ألا يفيد ذلك في كشف زوايا مخبوءة من عملية الحوار ، يمكن أن تنتج عن إضاءتها خطوات إلى الأمام (خلافا لما يعتقده الكثيرون)

وإلا فكيف نأمل تقدما لحوار ينتقى له كل جانب أقرب الناس الى الجانب الآخر ؟ وبالنسبة للطرف العربي الاسلامي أليس المعتاد هو انتقاء مثقفين ممن درسوا التاريخ أو الأدب أو ـ حتى ـ الفكر الاسلامي في الغرب ، وتكليفهم محاورة زملائهم الغربيين من متخرجي الجامعات نفسها والنظام الفكري العام نفسه ؟

السؤال الثاني :

أليس ما نسمعه عادة من مناقشات الطرف العربي الاسلامي يعني بمجمله أن الثقافة الاسلامية تحتاج الى التسامح الغربي وسعة الأفق لكي يتم انصافها . لكن بة ثقافة ؟

من الواضح أن الثقافة الاسلامية التقليدية تحظى باحترام عالمي شامل وقد نطق التاريخ حكمه بتقديرها ، ولم تعد بحاجة الى شهادات فردية .

إذن :

أليست المشكلة هي أن الثقافة الغربية المغرقة في الحداثة تحاور ثقافة عريقة لم تتشكل عصريا بعد ؟

ألا تظهر هده الحقيقة جلية حينما يجلس الطرف الاسلامي لمحاورة الطرف الغربي ، فيشرع المثقفون المسلمون في حوار داخلي لاهم خارج النوايا الطيبة والمبادىء العامة ، ليسوا بالضرورة متفقين على مواقف ملموسة ؟

والنتيجة :

ألسنا نطلب من الغرب أن يحاور نفسه من أجل أن يصالح الثقافة الاسلامية مع نفسه ، وبالطريقة التي تلائمه في المرحلة التاريخية المُعطاة ؟ ألسنا نشارك بهذه اللعبة الخطرة ؟ هل فكرنا في مدى، مايحمله ذلك من أخطار مستقبلية ؟

السؤال الثالث :

في أي مناخ عالمي يجرى الحديث عن التثاقف وعن الحوار ؟ أليس واضحا أن الغرب ما زال يهيمن ثقافيا على كل مكان في العالم تقريبا ؟ وهل تصالح الغرب مع أية ثقافة أخرى أو على الأقل تحاور معها على المستوى اللائق من الجدية والاحترام ؟

وحين نضع حوار (الغرب ـ الاسلام) في اطاره الأوسع من الحوار الثقافي العالمي فماذا نجد ؟

هناك ثقافة واحدة مسيطرة عالميا هي الثقافة الغربية ، وهي تمد كل حوار ، صغيرا كان أو كبيرا ، بمفاتيحها الخاصة ومصطلحاتها ومفهوماتها . أليس الصراع بين الرجعية والتقدمية والماركسية والليبرالية والديمقراطية والمثالية والمادية والنسبية والتحليلية ، كله يدور في فلك الثقافة الغربية ؟

هل أبدى الغرب أي استعداد لتفهم ثقافة عريقة مثل الثقافة الهندية أو الصينية ؟ وكيف يعامل الغرب ثقافات الشعوب المقهورة فيما يسمى غربيا بالعالم الثالث ؟

ألم نقبل نحن طائعين تسميات (العالم الثالث) و (البلدان المتخلفة) و (الشرق الأوسط) و (الشرق الأقصى) و (الشمال الافريقي) وغير ذلك ، وكلها من اختراع الغرب ؟

ليست هذه مطالبة مباشرة بالتخلي كليا عن هذه التسميات ، ولكنها مطالبة بأن نعي ما نحن فيه .

السؤال الرابع .

هل الغرب ملوم في موقفه ؟ هل يصح أن نضع اللوم عليه ونحمله الوزر ونمضي في اللعبة المرسومة ؟ وهل نطلب منه أن يفهمنا أكثر مما نفهم أنفسنا ؟ ألسنا مطالبين بأن نتصدى لمعضلتنا ؟

ها أنذا ـ ربما ـ انتهي الى النتيجة نفسها التي ربما وصلها كثيرون من قبلي وهي المطالبة بالتحليل الذاتي . ولاأدري بالمناسبة كيف يجرى تصالح هذه النتيجة مع المرافعات الكثيرة التي نسمعها على مختلف منابر الحوار ، والتي تطالب الغرب بتحمل مسؤولية تفهم الثقافة الاسلامية أو العربية أو الشرقية .

على أي حال أليس المطلوب منا الآن ودون ابطاء أن نعمل على تكوين هويتنا الثقافية الحديثة . . في ضوء احتياجات مجتمعاتنا المعاصرة ، وأن نكون صريحين جدا وقاسين مع أنفسنا ، وأن نكون أيضا واثقين من المستقبل ، لان تراثنا الحضاري وامكاناتنا المعاصرة المتعددة الجوانب تمنحنا أساسا موضوعيا لثقة بالنفس ، واقعية وبعيدة عن التفاخر والمبالغة ، وبالتالي تؤهلنا لموقف حواري أكثر جدوى مع ثقافات معاصرة تقف على أرض صلبة من وضوح الهوية ، وتستند الى تراث تاريخي حافل ؟

السؤال الخامس :

ألا تبالغ بعض لقاءات الحوار في حكمتها حين تلتزم الابتعاد عن السياسة ؟ أليس هناك شيء أساسي مهم ناقص في تحليلاتنا وهو البعد السياسي ؟ وهل يمكن ان تفهم مشكلات الحوار الثقافي بمعزل عن الصراع السياسي ومحركات المصالح والنفوذ ؟

وهل المسألة مسألة اقتناع أو اطلاع فقط ؟

وهل نتصور أن المانع الوحيد من تطور الفهم المشترك المنشود هو القصور في الفهم المتبادل ؟

وهل مسألة الفهم المتبادل صعبة الى هذا الحد على العقل الانساني الذي تمثل خلال العصور الوسطى (مصطلح غربي أيضا) في أرقى أشكال الفكر والعلم (في المنطقة العربية) والذي يتمثل اليوم (عند البلدان المتقدمة في الغرب) في أرقى اكتشافات الفضاء ؟ وهل هذا العقل عاجز عن تعرف ذاته من خلال التمثلات المتباعدة في الزمان واللغات ؟

ألا يخشى أن تكون هناك عوائق (فوق ـ فكرية) في طريق الحوار الثقافي بحيث لا يستطيع الحوار الثقافي أن يتقدم تقدما محسوسا اذا لم يذللها ؟

ألا يصح أن يعدل الحوار الثقافي من حكمته قليلا ليقول : نتجنب تفصيلات الوقائع السياسية ولاندخل في المماحكات العويصة ، ولكن لانتجاهل البعد فوق الفكري للحوار الثقافي؟

أسئلة صعبة ما في ذلك شك ، ولكن لا بد من مواجهتها بشجاعة وتبصر . □

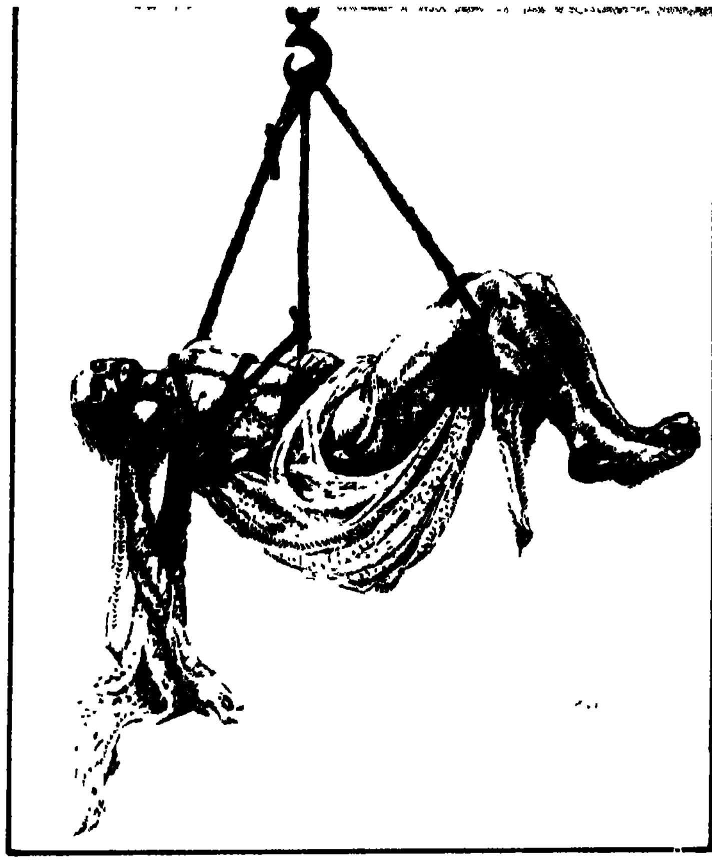
صندوق ونصيحة !

أتى الحجاج بصندوق مقفل ، قد أصيب من بعض خزائن كسرى ، فأمر بالقفل فكسر ، فاذا فيه صندوق آخر مقفل ، فقال الحجاج : من يشتري مني هذا الصندوق بما فيه ، ولا أدري ما فيه ؟

فتزايد فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف دينار ، فأنفذ الحجاج البيع ، لكنه عزم على المشتري أن يفتح الصندوق ويريه ما فيه .

ففتح الصندوق ، واذا فيه رقعة مكتوب فيها :

من أراد أن تطول لحيته ، فليمشطها من أسفل .



أنشودة الانتصار الفلسطينية

بقلم : الدكتور عبد الوهاب المسيري

في احدى قصائد معين بسيسو ـ رحمه الله ـ يموت الجندي المجهول في صمت دون أن يعلن عن نفسه أو عن تضحيته . وهو في استشهاده يشبه الشاعر الحق الذي لا يلقي بكلماته جزافا ، دون أن يدرك معناها ، ودون أن يكون على استعداد لدفع الثمن ، وانما ينزف دمه ليضفي مصداقية عليها :

ماكان بيده كاميرا ، وعلى فمه
ماكان مكبر صوت
كان يموت وراء خطوط الضوء
وراء خطوط الصوت

والصورة هنا ـ على المستوى المباشر ـ تتحدث عن وسائل الاعلام ، التي يجيد الصهاينة والآخرون

استخدامها ، والتي تزيف الواقع الى أن تسود الأكاذيب اللامعة المصقولة . هذا الجندي الشهيد لا يكترث بذلك ، ويقدم ذاته كي يسود الحق وتعود الحقيقة . ولكن على مستوى أعمق نعرف أن هذه المنطقة التي تقع (وراء خطوط الضوء/ وراء خطوط الصوت) هي الأزلية والدار الآخرة التي وعد الله المجاهدين .

والايمان الكامن وراء هذه الابيات هو أنه اذا مادفع الثمن سيحين وقت الحصاد ، وهو ايمان يصبح واضحا ظاهرا في غنائية توفيق زياد القصيرة التي يقول فيها :

احبائي . . برمش العين
أفرش درب عودتكم ،
برمش العين ،
وأحضن جرحكم
وألم شوك الدرب
بالكفين ،
ومن لحمي
سأبني جسر عودتكم
على الشطين . .

والقصيدة تعبير عميق عن الايمان بحتمية الانتصار ، فهي تتحدث عن نهاية الأحزان ، وعن التحام المنفيين حارج فلسطين بالمسجونين داخلها ، وعن الجراح التي ستندمل ، والأشواك التي ستنزع ، والدروب التي ستفرش ، وأخيرا عن الجسر الذي سيبنى ـ جسر العودة (عنوان القصيدة) . والمصطلح الذي يستخدمه الشاعر هو مصطلح الشعر الرومانسي وأغاني العشق والغرام :

رمش العين ودرب العودة واحتضان الأحزان والشطين (وكلمة الشط أو الشاطىء أصبحت مرتبطة في الأغاني العربية الحديثة بشط الغرام وشط النيل ، حيث يلتقي المحبون) ، ولكن الغنائية المتدفقة والمصطلح الرومانسي ينسياننا لوهلة أن الشاعر هنا ، شأنه شأن جندي بسيسو المجهول ، يدفع ثمنا فادحا . فرموش العين لا تعطي اشارات الغرام وانما هي التي ستفرش الدرب ، والجراح لن تندمل بفعل الزمن وانما بعد أن يحتضنها الشاعر بنفسه ، وشوك الدرب سيدمي كفيه ولا شك ، الى أن نصل الى الصورة الأخيرة حيث نكتشف أن الجسر الذي سيربط الشطين مبني من جسده . وتكتسب القصيدة كثيرا من جمالها وتجددها وصلابتها من هذا التوتر بين المستويين الكامن والظاهر .

وهذا هو النمط السائد في أشعار الانتصار الفلسطينية ، حيث يجب أن ينزف الشاعر ليقام عرس الدم الفلسطيني . يقول محمود درويش في قصيدة (طوبى لشيء لم يعد) :

هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيدا أو شريدا

وفي احدى قصائد سميح القاسم يحاول الشاعر أن يستكشف لحظة الانتصار الفلسطينية من خلال استخدام اسطورة هندية امريكية قديمة ، اسطورة طائر الرعد ـ رمز الخير والحرية الذي سيأتي لا محالة :

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوه في غبار مناهج الدرس
ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني :
طائر الرعد
لابد أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت . .

ان (حتمية) وصول طائر الرعد مرتبطة بالشمس وبدورات الطبيعة ، ولكنها مرتبطة بشيء أعمق : بالبذل الانساني والدم الفلسطيني ، ولذا فهذه العنقاء الهندية لن تصل الا بعد أن نبلغ نحن (قمة الموت) . .

ولكن ليس كل قصائد الانتصار الفلسطينية تنتمي الى هذا النمط المتكرر (الدم النازف ثمنا لانشودة الانتصار) بل ثمة قصائد تحتفي بلحظة النصر وبثمرة النضال دون ذكر للثمن ـ وكأننا هناك بالفعل ، وكأننا قد وصلنا .

ولا يوجد في مثل هذه القصائد أي توتر بين ماهو

قائم وما ينبغي أن يكون ، ولا أي ثورة على الحدود أو الكلمات ، لأن الصور تحاول أن تنقل للقارىء ضربا من اليقين الهادىء . ولعل أفضل مثل على هذا النوع من القصائد قصيدة فدوى طوقان (طائر النورس ونفي النفي) التي نقابل فيها طائرا آخر ، ولكنه هذه المرة ليس بطائر اسطوري وانما طائر النورس المعروف الذي يسيطر على جو القصيدة سيطرة كاملة ، اذ يحوم فيها وكأنه ملك في مملكته ، يقود الجيوش بثقة كاملة .

عبر الافق وشق الديجور
ممتلكا ناصية الزرقة منطلقا بجناح النور
لف ودار وظل يدور

يأتي الطائر كرمز للامكانات اللانهائية ، ولكنه لا ينطق حرفا ، فهو صورة متعبة للميلاد والنصر المرتقبين ، ولذا فالحروف والكلمات لا أهمية لها :

دق على شباكي المظلم فارتعش الصوت المبهور
خيرا ياطير .
وفشي بالسر ولم ينبس
وتوارى النورس .

والسكون هنا ليس علامة العجز أو القهر ، وانما هو تعبير عن الامتلاء الذي يتخطى حدود الكلمات . ولذا فالشاعرة تجيب عنه مع أنه لم يبس بنت شفة ، فقد أدركت محتوى رسالته : حتى وسط السكون ، والظلمة لا تخيم على الاحرار ، اذ أن كل شيء يتغير .

ياطيري ! ياطير البحر ! الآن عرفت
في الزمن الصعب الواقف في أقبية الصمت
تتحرك كل الاشياء
تنمو البذرة في قلب الموت
ينفجر الصبح من الظلماء . .

وفي وسط هذا الامتلاء والتوازن حينما ترد صورة الطوفان فهي الاخرى تكتسب هدوءا واتزانا ، ولا تفكر الشاعرة في جانبها المدمر وانما في جانبها التطهيري وحسب :

الآن عرفت
وانا اسمع ركض الخيل نداء الموت على الشطآن
كيف اذا جاء الطوفان
تغتسل الارض من الاحزان . .

وترفض القصيدة حتى النهاية أن تدخل في عالم التوتر والصراعات ، وتظل داخل دائرة الفرح ـ دائرة النورس المحلق ـ التي لا نسمع فيها أية كلمات ، وانما نرى فيها صور الفرح الواضحة المحددة تقف شاهدا على ما سيكون . ولذا لم يبق أمام الشاعرة سوى أن تتمتم وتعمعم بكلمات الحمد والشكر :

ياطيري ، ياطير البحر الطالع من قاع الديجور
بشرك الله بكل خير
الآن عرفت
شيء حدث . . انفتح الافق وحيا الدار صباح النور .

مثل هذه القصائد (الساكنة) و (المتزنة) ليست كثيرة ، بل يمكن القول انها نادرة فهي لا تتعامل مع ماهو قائم ، وانما تتعامل مع ماسيكون . ولا يوجد الكثير في مخيمات اللاجئين ولا في الجرائد اليومية ماقد يساند هذه الرؤية ، فالدماء الفلسطينية لا تتوقف عن السريان ولكن مع هذا مع حق الوجدان الثوري أن يترك عالم الجدل التاريخي ، عالم القتال والاستشهاد ، ليصل الى (هناك) حيث النقمة الموعودة ، وحيث الزمان المرتقب ، فهذا ولا شك يشد من أزرنا ويخلق مسافة بيننا وبين الواقع المتغير ، ونحن في هذا لا نهرب من الواقع وانما نتجاوزه لنصل الى ما نرى انه الجوهر ، وعلى حد قول محمود درويش :

والحلم اصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والوطن المرابط خلفه .
الحلم أصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والجسد المخبأ في شظية
والحلم أكثر واقعية

ان شعر المقاومة الفلسطيني باحتفائه بما سيكون وبما ينبغي أن يكون ، يبين مدى عمق ايمانه بالانسان ، ذلك الكائن الذي يرفض الرضوخ والادعان للقهر وللبيانات العسكرية والاكاذيب الاعلامية والحقائق المصمتة ولكل ماهو قائم .

وبذلك تتسع ساحة هذا الشعر لتضم لا الفلسطيني وحسب ، ولا حتى العربي وحسب ، وانما كل البشر ، وبذا تصبح أنشودة الانتصار الفلسطينية هي أنشودة انتصار الانسان . □



إبداع التراث

بقلم : الدكتور فهمى جدعان

تعنى فكرة تاريخية التراث ، انه لا يتبقى لنا من التراث ، « هنا .. الآن » ، الا بعضه . وأما بعضه الآخر فليس علينا الا ان نعلقه أو أن « نضعه بين قوسين » ، ناظرين اليه نظرتنا الى أى عنصر أو حدث تاريخى انقضى . الى أين يؤدى بنا هذا القول ... فلننظر .

ـ الذى يهمنا هنا الان هو فقط ذلك الجزء من التراث الذى يقبل ان يكون ، بقدر ما ، جزءا من الحاضر . وامام هذا الذى « يتبقى » لن يكون ى من حال الا واحدا من اثنين : الدمج المادى ، أو ما يمكن أن اسميه بـ « الاستقلاب المعنوى » . وكل واحد من هذين الحالين ينصب على نمط معين من عناصر التراث . فأما الدمج المادى فيقع على العناصر المستخلصة العيانية من التراث . وأما الاستقلاب المعنوى فيقع على العناصر الأدبية والجمالية منه . ولكى لا يكون هذا الضرب من القول مجردا ، أقول ان جميع العناصر التى تشتمل عليها أعمال المتكلمين المسلمين مثلا مما يمكن أن يكون مقبولا اليوم فى اطار علم العقيدة العقلانى ، هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل الانظار العقلية الراهنة للقضية العقيدية ، وأن جميع الاجتهادات الفقهية التى نجمت عبر العصور المختلفة مما يمكن أن يكون مقبولا لدى المشرعين اليوم ، ومما يمكن أن يمثل حلا معقولا لمشاكل عملية فقهية مطروحة هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل التشريعات الفقهية الراهنة ، وأن جميع المفاهيم الفلسفية التى ما تزال مقبولة الآن تظل جزءا من منظوراتنا الفلسفية أو الفكرية ، وهكذا . ومن وجه آخر نحن لا نستطيع الا أن نستخلص فوائد أدبية وجمالية من قراءتنا للاعمال الأدبية والفنية العربية أو الاسلامية الكلاسيكية ، ولا نملك الا الاعجاب والانبهار والتأثر بكثير من روائع الفن القديم . وهذا يعنى أن عملية « استقلاب » آثار هذه الأعمال وتمثلها وادخالها فى حالتنا الشعورية ووعينا الجمالي ، تظل هى الحال الطبيعية لنا بإزاء هذا النمط من العناصر المورّثة . فقراءة الجاحظ مثلا او التوحيدى ، او المتنبى أو المعرى وغيرهم ، وتأمل

أعمال الفن التشكيلي المختلفة والآثار المعمارية وغير ذلك ، مما يثير الاحساس بالجمال والمتعة . . هي أمور لا مجال لاستبعادها أو اهمالها . وهي تدخل ، بكل تأكيد ، في المركب الانساني المعقد لوجودنا الراهن . ويدخل في هذا المركب بالاجمال جميع القيم الأدبية والجمالية التي تثير فينا الرضا والقبول والفائدة وكلها يكون شأننا معها الاتصال المستمر ، والدربة والممارسة والمعاناة والتعلم والتذوق ، اذ بذلك يمكن لعملية « الاستقلاب » ان تتم فتتحول هذه العناصر الادبية والجمالية الى المركب الثقافي لبنيتنا الشخصية .

ما ينبغي طرحه

ووراء هذه الوجوه من التراث لا يبقى في الحقيقة الا ما يسقط في طريق التاريخ ويتحول الى متحفه . وهذا الذي يسقط ينتمي الى واحد من القطاعات الثلاثة التالية : قطاع المفاهيم والعقائد والأفكار ، وقطاع المصنوعات أو المدعات التقنية ، وقطاع القيم . فثمة عدد كبير من المفاهيم والعناصر التي تشتمل عليها العلوم النظرية القديمة قد فقد قيمته اطلاقا . وما على انسان يحيط بالعلوم الحديثة الا أن يفتح كتابا في العقائد مثلا ، أو في الفلسفة الطبيعية ليقرر ، بعد التدقيق ، أن معظم المفاهيم أو العناصر الكلامية أو العلمية أو الفلسفية لم يعد مقبولا الآن ، أو أنه منازع فيه كثيرا . أما قطاع المصنوعات التقنية فلا ينكر أحد أنه تضاءل الى درجة لم يعد يساوي معها شيئا ، بالاضافة الى ما انجز في القرنين الأخيرين . وأما القيم والعادات فمن الواضح أن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد القت بكثير منها في غياهب اليم .

وعلى هذا الأساس ، وفي كل الأحوال ، ننتهي واقعيا الى حالة من النظر والفعل لحمتها الواقع المباشر وما تبقى من التراث ، ويكون المطلوب منا عمليا مباشرة أفعال مشخصة بهذه الاطراف الماثلة أمامنا أو الحالّة فينا . لكن هذه المباشرة لا يمكن أن تكتمل الا بتدخل عنصر ثالث هو الوحي ، ينضاف الى العنصرين الآخرين ليصبح مخطط النظر والعمل الراهن على النحو التالي : المعطيات المباشرة للواقع ، والتراث الحي ، والوحي :

المعطيات المباشرة والتراث والوحي

١ ـ أما المعطيات المباشرة للواقع فهي الأرض التي نتحرك عليها ، وهي الأصل المباشر لأحوالنا . انها منبع الحياة والفعل ، والمصدر الذي تتفجر منه مشكلاتنا وقضايانا الوجودية . وأول ما ينبغي التصدي له هو الواقع ، لانه هو الحياة . وليس معنى ذلك أن عقولنا وأفكارنا ينبغي أن تتشكل وفقا للواقع باعتبار أنه ذو قوانين نهائية ملزمة ، وانما معناه أن فهم حركة الواقع وبنيته شرط ضروري لكل فعل . وأن توجيه الواقع وتغييره من خلال هذا الفهم أمر لا مفر منه . وهذا يعني أن الفكر يمكن أن يلجأ الى تغيير أحكامه وأساليبه في النظر والعمل ، في ضوء الواقع ، ان كان هذا الواقع يجري مجرى لا يتناسب مع متطلبات الفكر .

وليس هذا الجانب من المسألة في وجهه الفقهي ، الا عين ما عبر عنه القدماء بقاعدة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » . فنحن نحيا الواقع الذي يتشكل ، بتضافر عوامل وظروف ذاتية وخارجية جد معقدة ، ونحن نعيد تشكيل حياتنا وأفكارنا عبر هذا الاحتكاك المستمر بالواقع ، ومستندنا في ذلك منجزات العلوم الوضعية الانسانية . وبهذه العملية نقوم ، عمليا ، بانجاز عناصر « تراثية » جديدة تضاف الى العناصر المتبقية من التراث السالف ، وتورّث للآتين من بعدنا . وهذا هو الوجه الأول مما أسميه « ابداع » التراث .

٢ ـ واما التراث ، عند حده الماضي ، فقد أصبح شأنه جليا . اذ قلنا ان ما يتبقى منه من عناصر مادية يدمج في نظمنا المادية والحياتية الراهنة ، وما يتبقى منه من عناصر أدبية وجمالية يستقلب بعملية التمثل الأدبي والجمالي ، ويصبح جزءا من حساسيتنا الأدبية أو الجمالية الحالية . وبعمليتي الدمج والاستقلاب هاتين نحن نحيي التراث من جديد ، أي أننا نجعله حيا في الحاضر . وهذا أيضا ابداع له وخلق جديد . بيد أنه لا بد من القول ههنا ان التراث الماضي يفقد

بنيته النوعية ، من حيث هو جزء من الماضي التاريخي ، أو من حيث هو كل تاريخي سالف ، ويصبح عنصرا مركبا من عناصر التراث الذي يتكون أو يصير أو يتشكل . وبهذا الاعتبار يمكننا القول أن التراث دائم التشكل ، وان جوهره في حراك مستمر ، أي أنه خاضع لعملية ابداع دائمة .

٣ ـ وكما سبق أن قررنا ، في القسم الأول من هذا البحث ، ليس الوحي جزءا من التراث . لذ لا يمكن الكلام عليه هنا الا من جهة انه أصل للتراث ، أو أنه واحد من الأصول التي ينبني عليها التراث . ونحن نتكلم هنا ، بطبيعة الحال ، على التراث العربي الاسلامي لا على سواه . اذ من نافلة القول التذكير بأن هناك ثقافات و « تراثات » ليس لها مبدأ في الوحي . أما في الاسلام فالوحي أصل للتراث . وعلى هذا الأساس ليس لدينا أي علم من العلوم التي ظهرت في الاسلام الا وللوحي أثر ما فيه . ومن قبيل التكرار القول ان علومنا برمتها ، هي العلوم الاسلامية ، قد كانت أثرا مباشرا له ، مهمتها خدمته وتجليته وبيانه . فهذه العلوم « التاريخية » هي علوم تراثية ، بينما الوحي نفسه ليس « علما » تراثيا . ومعنى ذلك ان التراث ههنا وفي هذه الدائرة هو هذا الذي ينجم عن عملية الالتقاء بين الانسان القابل من ناحية ، وبين الوحي الفاعل من ناحية . ومن هذا الالتقاء ـ وعبر الشروط الموضوعية التاريخية ـ نجمت العلوم الاسلامية المختلفة . وهذه العلوم ، كما قلنا مرارا وتكرارا ، هي علوم تاريخية مقترنة بالظروف والأوضاع التي ظهرت فيها . ولأن الأوضاع التاريخية متباينة متغايرة ، فان من الطبيعي أن تتفاوت ثمار « الفهم » عبر العصور . وبسبب تفاوت صور « فهم » الوحي تاريخيا كان ثمة « قراءات » مختلفة للوحي الذي يتوجه الى الانسان في كل الظروف والأزمنة . فاجتمع لدينا قراءة نقلية خبرية ، وثانية لغوية نحوية ، وثالثة عقلية ، ورابعة بلاغية أو بيانية ، وخامسة صوفية كشفية ، وسادسة غنوصية باطنية وسابعة ظاهرية ، وهكذا . وكل هذه القراءات تدخل في « التراث » ، وليس ثمة واحدة منها بحائزة على اجماع « القراء » جميعا . وكلها ، كما هو بين ، تاريخي . وهذا يعني أننا نحن اليوم ، اذ يدخل « الوحي » طرفا رئيسا في حياتنا النظرية والعملية من حيث نحن مسلمون ، لا بد لنا أن نقابل الوحي بقراءة ما ، قد تكون واحدة من تلك القراءات التاريخية القديمة ، لكن ليس ثمة ما يمنع من نحوم قراءات أخرى ، جديدة ، غير تلك القديمة . وليس ثمة حرج في ذلك طالما أننا نتعامل مع الوحي باعتبار أنه الأصل ، ونتعامل مع مناهجنا باعتبار أنها طرقنا الراهنة لفهم الوحي ووضعه عمليا موضع التنفيذ ، بحسب أبطارنا وأفهامنا الحالية . وموضوعات العلوم الانسانية الحديثة قد أفرزت مناهج لفهمها ودراستها ـ وقد نقول اننا نحن الذين أبدعنا هذه المناهج لفهم تلك الموضوعات . ـ ونحن نستطيع أن نستخدم هذه المناهج لفهم « النص » الديني ، كما نستخدمها لفهم النصوص غير الدينية . والذي يمكن أن يترتب على هذا نجوم قراءات عدة : قراءة لسانية ، وقراءة بنيوية ، وقراءة وظيفية ، وقراءة فينومينولوجية[1] ، وقراءة برجماتية[2] ، وقراءة ابيستيمولوجية[3] ، وغير ذلك من القراءات . والحقيقة ان هذه القراءات جميعا ممكنة . دليل ذلك أن هناك من يتعلق بها ويستخدمها في فهم النص القرآني والدعوة لمضامينه دون الخروج على قواعد « العقيدة » التي يرتبط بها بحبل سري لا ينقطع .

القراءة . . واعادة القراءة

لا شك أن هذه المناهج جميعا قابلة للنقد أو للجدل ، ولا شك أنها يمكن أن تقدم النصوص الدينية بثوب يشبه أن يكون كألوان الطاووس ، لكن ما الضرر من ذلك ان كان كل منهج من هذه المناهج

(١) الفينومينولوجيا هي فلسفة الظواهر ، أو هي العلم الذي يبحث في وصف الظواهر وتصنيفها ، وهو وصف علمي للظواهر الواقعية يتجنب كل تأويل أو شرح أو تقويم .

(٢) البراجماتية : هي فلسفة الذرائع ، وهي التي تجعل النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الافكار وصدقها .

(٣) الأبستيمولوجيا : هي نظرية المعرفة .

يؤدى وظيفة مجدية ويجعل من النص القرآني نصا معاصرا لنا حيا بحياتنا متألقا بألق العصر ، بهيجا بما يخلعه عليه العقل الذى أبدعه الله نفسه وهداه الى ما هداه ! بيد أن ثمة قيدا لا بد من التعلق به فى هذه العملية ، وهو أنه ليس لأحد من أصحاب هذه المناهج جميعا أن يقول أن قراءته هى القراءة الوحيدة الصحيحة ، وأن الوحى فى ذاته هو ما ينتهى الى تحديده هذا المنهج أو ذاك . فهذا غير صحيح ، وهو يشبه تماما قول بعض القدماء ان القراءة الكشفية وحدها هى الصحيحة ، أو ان القراءة البلاغية هى وحدها الصحيحة ، وهكذا . ان الوضع السليم لواقع الحال هو ان يقال أن هذه القراءة أو تلك ممكنة ، وأنها تؤدى وظيفة محددة فى معرض بيان الخطاب الالهى وعرضه على الانسان . وعند هذه النقطة نستطيع القول ان هذه القراءات تمثل انجازا تراثيا جديدا ، هو بدوره تاريخي ، وهو فى حقيقته ابداع لتراث جديد .

ما الذى تصبح عليه ، بعد هذا ، العلائق التى تكلمنا عليها فى مطلع هذا البحث : علاقة المقدس الدينية ، وعلاقة المقدس القومية ، وعلاقة المقدس الانسانية ؟

الحقيقة النهائية هو أنه لا شىء مقدس فى التراث ! لان التراث قد ارتد الى حدوده الطبيعية ، أى الى حدوده الانسانية الخالصة . ونحن لا نستطيع أن نتكلم على قداسة للتراث الا على معنى المجاز . والأنسب أن نتجنب نهائيا الالماع الى وجه كهذا للتراث . لانه لا مسوغ لذلك على الاطلاق ، طالما ان المقدس الحقيقى الوحيد وهو الوحى قد ظل خارج دائرة التراث . ان ما نستطيع الكلام عليه ، بل ما ينبغى الكلام عليه هو تقرير القول ان التراث واقعة لا غنى عنها اطلاقا ، وانه مركب جوهرى من مركبات وجودنا التاريخي .

التوجيه والابداع

ويبقى سؤال ملح هو التالى : اذا كانت وظيفتنا ابداع التراث ، فما هو التراث الذى ينبغى لنا ان نبدعه ؟ او بتعبير آخر : هل ثمة تراث محدد من واجبنا نحن ، ان نبدعه ونورثه ؟ ام أن ما نبدعه مرهون بظروف الواقع والتاريخ ؟

الحقيقة ان عملية « توجيه » التراث المبدع ليست أمرا يسيرا فى ظروف العالم الراهنة . لأننا لسنا سادة أفعالنا جميعها ، رغم أننا بكل تأكيد نود أن نكون كذلك . كما أننا لسنا بمنأى عن عوامل الفعل والانفعال الذاتية والخارجية . ولست أجانب الصواب ان قلت اننا « معاصرون » تاريخيا . معاصرون بانماط الفهم التقليدية العقيمة ، ومعاصرون بأوهامنا ورغباتنا وأهوائنا الانانية والطائفية والعشائرية والأسرية والقطرية والشوفينية .

واذا كانت مهمتنا النهائية هى انجاز تراث قومى وانسانى يليق بنا ويحقق وجودنا على نحو سام ، فى هذا العصر وفى الأعصر القادمة ، فان مهمتنا الأولية السابقة على أية مهمة أخرى هى الفعل المباشر من أجل ما أسميته بـ (فك الحصار) المضروب على فعالياتنا الطبيعية والصنعية . وفى اعتقادى أن ما يناضل من أجله مفكرو التيار الجديد الذين يدعون الى (عقلانية نقدية واقعية) هو أمر لا مفر منه . وهو ضرورى لا لأن المعتزلة وابن حزم وابن رشد مثلا قد أخذوا به ، ولا لأن له ما يعززه فى التراث ، وانما لان المعطيات المباشرة لوجودنا العربي الراهن تلزم به الزاما لا محيد عنه . بيد أنه ينبغى أن يظل منا على بال ان « تفرد » العقلانية وريادتها لخطو الانسان العربي الصانع للتراث الممتد الجديد لا يجوز أن يعنى الافتئات على المركبات الأساسية الأخرى للطبيعة الانسانية ، او التقليل من أهمية هذه المركبات وخطورتها . ومن واجب العقلاني أن يعرف قبل غيره أن المركبات البيولوجية والنفسية واللاعقلية والميتافيزيقية .. لها هى أيضا حقوقها فى عملية بناء الانسان . وبهذا الاعتبار عليه أن يجابه المشكلة القديمة نفسها التى جابهها افلاطون وأرسطو وابن سينا وابن رشد ، وهى : كيف يتسنى لنا أن نجعل من هذا الحوذى الذى هو العقل قائدا لهذه العربة التى تحمل كل هذه القوى المتنازعة ، او المتباينة ، او المتفردة ، او المتكاملة ! ؟ □

العربي - العدد ٣٢١ - أغسطس ١٩٨٥

بقلم : محمود المراغي

في أوروبا يريدون أطفالاً أكثر !

عدد السكان قضية تشغل الجميع ، البعض يريد سكانا أكثر ، والبعض يريد سكانا أقل ، والبعض لايريد غير الاستمرار .. بلا زيادة أو نقصان .

وبينما يحسم الأمر في النهاية قرار فردي أو عائلي ، فان عوامل عدة تدخل في صناعة هذا القرار ، بينها : موقف الدولة أو الحكومة وماتحبذه من سياسات

أيضا ، وبينما يصبح الصوت الأعلى لدعوات تنظيم الأسرة وتقليل الزيادة السكانية في العالم الثالث خاصة ، فانه - وفي نفس الوقت - يبرز صوت آخر يقول : لماذا لانزيد عدد سكان هذه الدولة أو تلك ؟ لماذا لاننجب أكثر ؟ .. و .. يقول أصحاب هذا الصوت : « ان الذين يخشون الزيادة السكانية يواجهون خطر نقص الموارد وعدم كفايتها .. أما نحن - هكذا يقولون - فاننا نملك الموارد ولانملك البشر نملك المستقبل الاقتصادي ، ولانملك المستقبل السكاني ، والذي يتهدده النقصان باطّراد ؟ »

النموذج من أوروبا حيث بلغ الكثير من دولها حالة من التوازن يسميها علماء السكان حالة التثبيت .. حيث لازيادة أو نقصان ، وانما يأتي الأطفال الجدد ، والذين يبقون على قيد الحياة ليلعبوا دور الاحلال لآخرين يفارقون الدنيا .

ولأن التوازن لعبة خطرة ، ولأن تكنولوجيا العصر قد ضاعفت امكانية استغلال الموارد ، فان البعض يسلك الطريق الآخر وهو تشجيع الانجاب وزيادة السكان .

وقد مرت بأوروبا عصور عديدة عانت فيها من ظاهرة انخفاض الخصوبة ، وانكماش عدد من تنجبهم المرأة ، ويبقون على قيد الحياة ، ويحددون معدلا لحجم الأسرة .. ففي أوائل القرن التاسع عشر بلغ معدل الوفيات للأطفال فيما يطلق عليه الآن اسم المانيا ثلاثة أطفال بين كل عشرة .. وكان المعدل العام في أوروبا طفلين أي (٢٠) بالمائة من الأطفال . المعدل مرتفع ، لذا كان التباطؤ في النمو السكاني واضحا .

ولم تكن الوفاة هي كل شيء ، فقد حملت سجلات الأبرشيات - وهي مصدر المعلومات لبعض الفترات - أن بعض القرى الفرنسية كانت تعرف تحديد النسل ، وتمارس تخفيضا متعمدا للخصوبة ، وتقف عند حدود الطفلين لكل أسرة ، وكان ذلك في القرن الثامن عشر .

نفس الشيء ، ولأسباب أخرى حدثت في هنغاريا وبولندا في القرن الثامن عشر ، حيث لجأ ملاك الأرض لتحديد حجم الأسرة ، حفاظا على حق الوريث في قطعة أرض مناسبة .. بينما سجلت أسر العمال الزراعيين خصوبة أكبر للمرأة وحجما أكبر للاسرة .

وكما كان الفقر والعوز والمرض أسبابا لنقص السكان ، كان النمو والتقدم مسببين لنفس الظاهرة . لقد ثبت - وفي الدول الأوروبية قبل غيرها - أن الوفرة الاقتصادية والصحة والتعليم والتحضر عوامل لتقليل حجم الأسرة والتراجع ، بما يسميه المشتغلون بعلم السكان « مستوى الخصوبة » .

حدث ذلك في الكثير من بلدان أوروبا .. وشهدت بداية هذا القرن انتشار الظاهرة ، حتى أصبح الكثير من الدول الأوروبية « محلك سر » .. وحينذاك تحركت بعض الحكومات في اتجاه عكسي ،

وبدلا من أن تشجع التقييد في الانجاب ، راحت تضع السياسات التي تحبذ كثرة الانجاب . . وكان من هذه الدول التي تمارس هذه السياسة في الوقت الراهن : هنغاريا ورومانيا .

النموذج الأول ـ هنغاريا ـ يثير الانتباه ، فالحالة الاقتصادية والاجتماعية ـ وفقا لأرقام البنك الدولي حالة طيبة . متوسط دخل الفرد ـ وفقا لارقام ١٩٨٢ ـ (٢٢٧٠) دولارا في السنة . معدل النمو (٦,٣) بالمائة سنويا وهو معدل مرتفع ، بينما يسجل التضخم معدلا منخفضا هو (٢,٢) بالمائة سنويا . . وصحة الفرد يعكسها رقم يقول ان العمر المتوقع للطفل الهنغارى عند المولد هو (٧١) عاما ، وهو المتوسط العام للدول الاكثر تقدما .

هناك وفرة اقتصادية ومستوى صحي مرتفع ، ولكن في نفس الوقت فانه لايوجد توقع بزيادة في السكان . التوقع وفقا لحسابات البنك الدولي أن يظل سكان هنغاريا من الآن . . وحتى عام (٢٠٠٠) كما هم وبنفس العدد : (١١) مليون نسمة على أحسن الفروض .

قد يعني ذلك دخلا أكبر للفرد في المستقبل . . وقد يكون سببا في رفاهية معيشية أكثر . . ولكنه قد يعني أيضا : خطرا أكبر ، وهو ماتعكسه أرقام أخرى ، تقول ان معدل المواليد والمتوسط السنوي لنمو القوى العاملة يتراجعان بانتظام ، حتى أصبحت نسبة مايضاف للقوى العاملة في الثمانينيات(وحتى عام ٢٠٠٠ وفقا للتوقع) نصف ماكانت تسجله هذه النسبة في السبعينيات ، وخمس ماكانت تسجله في الستينيات .

لذا ، كان التدخل واجبا لتشجيع الانجاب ، ولتبلغ الخصوبة عام ٢٠٠٠ مايسميه علماء السكان مستوى الاحلال ، وهو المستوى الذي تعوض فيه الزيادة الجديدة الفاقد بسبب الموت .

في عام ١٩٨٢ دفعت هنغاريا (٢,٤) بالمائة من ناتجها المحلي كعلاوات للأمومة والأسرة . . فالنظام يقضي بمنح اعانة شهرية للأطفال ، وهي أعانة تتزايد بعد الطفل الثاني . كذلك تقضي هذه النظم باجازات أمومة طويلة ومدفوعة ، وتمنح اعانات لملابس الأطفال واحتياجاتهم ، وتأمين ضمان العمل لكل أم . . و . . . في نفس الوقت واعتبارا من عام ١٩٧٤ ـ أصبح الاجهاض ممنوعا إلا لفئات معينة هي : المطلقة ، والأرملة ، وغير المتزوجة ، والزوجات فوق الأربعين ، ومن لديهن ثلاثة أطفال ، وليس لديهن سكن .

في رومانيا تتشابه الظروف الاقتصادية والصحية من حيث الوفرة وارتفاع متوسط الأعمار . . ولكن معدل المواليد ونسبة نمو القوى العاملة . . في تراجع . ورغم أن هناك زيادة سكانية محدودة الا أن الخطر كان واضحا بسبب الاجهاض ، الذي سجلت أرقامه عام ١٩٦٥ أربعة أضعاف عدد المواليد

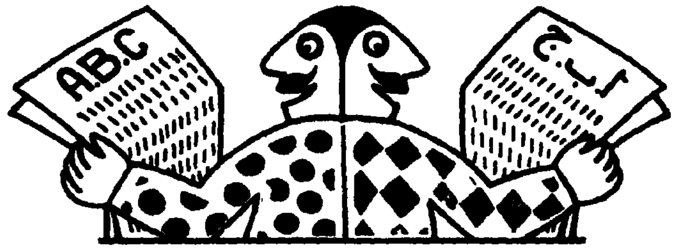
وفرت الدولة قدرا من الحوافز الاقتصادية من أجل انجاب أكثر وأعطت قضية الاجهاض اهتمامها ، فحظرته الا في حالات تقدم السن ، أو المرض ، أو وقوع الحمل بسبب الاغتصاب .

كان ذلك عام ١٩٦٦ ، ولكن وبعد ١١ عاما سجلت الارقام أن وفيات الأمهات بسبب الاجهاض غير الرسمي قد بلغت ثلاثة أضعاف ماكانت عليه ، وذلك بالرغم من انتشار وسائل منع الحمل . وبقول آخر فقد أصبح في النموذج الروماني إرادتان . . ارادة الافراد التي تريد أطفالا أقل ، وارادة الجماعة ـ أوالدولة ـ التي تريد أطفالا أكثر ، وبين الارادتين تحاول السياسات الحكومية أن تدفع المجتمع لحجم اكبر ، بعد أن بلغ (٢٣) مليونا عام ١٩٨٢ ، ومن غير المتوقع أن يزيد أكثر من مليون واحدة حتى عام ١٩٩٠ ومليون أخر حتى نهاية القرن .

والنماذج هنا تشير الى أن مسألة السكان ـ سواء بالزيادة أو النقصان . . التحديد او التثبيت ـ قد أصبحت من قضايا العصر التي تشغل بال كل دولة .

لم تعد القضية متروكة للتلقائية ، ولم يعد الأمر خاضعا لقرار خاص يتخذه الزوجان . . ولكن أصبحت الدولة طرفا في هذه العلاقة الخاصة ، وهذا الاختيار الذي يحدد حجم الأسرة ،

الدولة أصبحت طرفا ، والتدخل الاداري أصبح أحد أسس القرار العائلي . . والثقافة والتوعية والحوافز الاقتصادية أصبحت أسلحة تصل بين الاثنين : الفرد والدولة . . وبينما تنتشر في العالم الثالث مقولة « كفى أطفالا . . . تنتشر في بعض بلدان الشمال الأوروبي ، مقولة « سيدتي . . لماذا لاتنجبين أكثر ؟ » . □



حكايات شرق وغرب

الثروة الحقيقيــة !

كان صن باتاي العامل الصيني المتقاعد العجوز الذي جاوز الحادية والسبعين من عمره ، عائدا الى بيته بمدينة زنجرو في اواسط الصين ، عندما احس باحدى قدميه تصطدم بحقيبة ثقيلة على جانب الطريق . وتوقف باتاي وانحنى يفتح الحقيبة ، فاذا به يفاجأ بما لم يكن يخطر له على بال . فقد كانت الحقيبة الانيقة تحوي ثروة من العملة الصعبة ، عندما احصوها فيما بعد وجدوا انها تزيد على المائة الف جنيه استرليني .

واعاد باتاي غطاء الحقيبة الى مكانه ، وحملها تحت ابطه وراح يبحث عن اقصر طريق يوصله الى مركز الشرطة الذي لم يدخله مرة واحدة في حياته . وهناك سلم الثروة التي عثر عليها لضابط الشرطة وانصرف في هدوء عائدا الى بيته بعد ان ترك اسمه وعنوانه .

وفي البيت الصغير الذي يحتوي على غرفتين ويعيش فيه مع زوجته وابنه المتزوج ، جلس الرجل يروي قصته مع الحقيبة والثروة التي امتلأت بها ، ويقول : « لم يخطر ببالي للحظة واحدة ان احتفظ بهذا المال الكثير . كان كل همي عندما عثرت عليه ان اعيده لصاحبه .. ولم يكن امامي الا ان الجأ الى الشرطة لتساعدني ! واستطاعت الشرطة ان تصل الى صاحب الحقيبة . انه احد البنوك المحلية بالمدينة ، وكانت سيارة البنك تحملها مع ست حقائب اخرى تحوي مبالغ كبيرة عندما فتح الباب الخلفي الذي اهمل الحرس اغلاقه ، وسقطت الحقيبة في الشارع !

وفي مساء ذلك اليوم ، كان باتاي يشاهد برنامج التلفزيون وفجأة سمع اسمه يتردد على لسان رجل وقور يجلس الى مكتبه . انه مدير البنك الذي اعادت اليه الشرطة المبلغ الضائع . وراح مدير البنك يشيد بامانة باتاي ويتوجه اليه بالشكر بينما كان العامل العجوز يستمع الى كلماته وهو يشعر بالفخر بين اصدقائه ومعارفه وجيرانه الذين جاءوا يهنئونه !

قالوا بعد ان انتهى التلفزيون من اذاعة الخبر : « الم تحصل على المكافأة التي تستحقها على امانتك ؟ .

وقال باتاي : « بل حصلت عليها واكثر .. يكفي انني اعيش اليوم مكرما وسط اسرتي الصغيرة واصدقائي .. انني فخور بما فعلت .. هذه هي ثروتي الحقيقية !» .



الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة !

كان أبوها سكيرا عربيدا قاسي القلب ، أما أمها فقد ماتت منتحرة وعاشت هي محرومة من الحب الذي تبحث عنه كل طفلة . . كانت تنتقل من بيت الى بيت مع المربيات اللواتي كن يتغيرن كما تتغير الملابس التي تضع فيها جسمها الصغير .

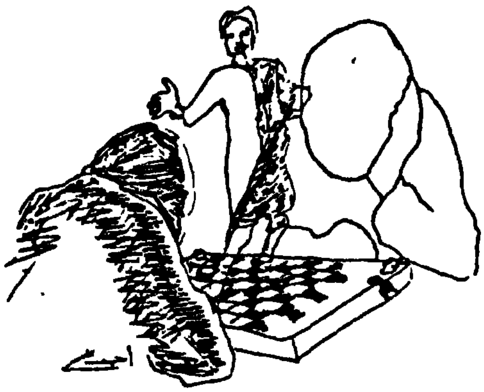
كانت خجولة وكانت تشعر دائما بالوحدة حتى وهي تسير في أكثر شوارع المدينة ازدحاما . . قال لها أبوها يوما بعد أن لعبت الخمر برأسه وزاغت عيناه : « يجب أن تعلمي أيتها المخلوقة الضعيفة أن ٩٩ ٪ من سكان هذا الكوكب الذي نعيش فيه قد جاءوا اليه « صدفة » !!

وسط هذه البيئة التعسة ولدت ونشأت المليونيرة الأمريكية « باربارة هاتون » صاحبة محلات « وولورث » التي تنتشر في جميع أنحاء الولايات المتحدة وأوروبا،وقد رحلت باربارة عن عالمها التعس الذي عاشت فيه طفولتها وشبابها في عام ١٩٧٩ ، بعد حياة مليئة بالآلام والأحزان . .

حتى وهي طفلة في السادسة ، لم تدرك بالضبط ماذا يعني هذا الكلام الذي تسمعه عندما جاءوا يقولون لها : « لقد ورثت عن جدك محلات وولورث التي تصل قيمتها اليوم ما يوازي خمسمائة مليون جنيه استرليني » .

فقد عاشت باربارة بجرح لا يندمل طوال حياتها . . كتبت يوما عندما بلغت عامها الثالث عشر تقول : « سوف أعيش حياتي عانسا . . أنا أعلم أن أحدا لا يحبني ، واذا وجدت هذا الحب فلن يكون لي ، وانما سيكون لما أملك من مال ، انني أعلم أنني سأعيش حياتي مع الوحدة !! »

وفي كتاب جديد اختار له مؤلفه عنوانا يعبر عن المأساة التي عاشتها باربارة هاتون الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة ، يستطيع المرء أن يقرأ صفحات من حياتها التي أمضتها في بعثرة الملايين بحثا عن الحب . . كانت تريد أن تتزوج رجلا يحبها لذاتها . . وتزوجت سبع مرات ، وفشلت زيجاتها السبع في اسعادها .



لقد كانت باربارة قادرة على أن تشتري أي شيء وكل شيء ، وعندما صور لها خيالها في احدى مراحل حياتها التي امتلأت بالمرارة واليأس ، أنها ربما استطاعت بفضل ثروتها أن تعيش حياة سعيدة بعيدا عن الرجال الذين كانوا يطلبون ودها من أجل مالها ، سارعت الى شراء قصر منيف في مدينة طنجة وجلست فوق عرش مطعم بالذهب ، وراحت تستقبل ضيوفها كما كانت تفعل كاترين العظمى امبراطورة روسيا القيصرية .

ولكنها ما لبثت أن ملت حياتها الجديدة التي امتلأت بالنفاق ، فتركت القصر وسافرت هاربة الى باريس وأقامت في جناح خاص بفندق ريتز ، وكانت تدفع في الليلة الواحدة مبلغا يوازي الآن أكثر من ثلاثة آلاف جنيه استرليني . ثم تركت هذا كله ومشت حافية فاذا بها تجد نفسها تعيش وسط غابة !

وعندما تقدم بها العمر راحت تبحث عن السعادة في مكان آخر . .

« في المكان الوحيد الذي أعاد اليها الشعور بأنها مازالت تعيش وتتنفس » كما وصفته باربارة هاتون ، في القصائد التي كتبتها وهي تحاول أن تضع فيها بعضا من أحاسيسها ومشاعرها . . ولم يكن هذا المكان سوى الجمعيات الخيرية والمؤسسات التي تعنى بالفقراء والمحرومين . . وأخذت تغدق عليها وتهب الملايين للمحرومين .

ولكن سعادتها لم تطل . . فقد بدأت تشعر بالشيخوخة تزحف الى جسدها النحيل وقلبها

المريض ، فذهبت الى فراشها تطلب فيه الدفء . . ولكنها لم تستطع أن تغمض عينها . . لقد هرب النوم من رأسها المتعب المهموم .

يقول مؤلف الكتاب دافيد هيمان : « وعندما ماتت المليونيرة التعسة ، وجاءوا ليحصروا تركتها ، لم يجدوا شيئا لقد ذهبت ثروتها كلها . . وعادت فقيرة ، وهي أمنية كانت تعيش لها ، ولكنها لم تتحقق الا بعد رحيلها !!

الوحوش في حراسة الانسان !

● مفاجأة تنتظر اللصوص الذين احترفوا السرقة في تايبه عاصمة جزيرة فرموزة ! فقد رأى رجال الاعمال الاثرياء ان الكلاب البوليسية لم تعد قادرة على حمايتهم وحماية اموالهم وممتلكاتهم امام الاساليب الارهابية التي تفتقت عنها اذهان محترفي السرقة والاجرام ، فما كان منهم لأول مرة في تاريخ مكافحة الجريمة ، الا ان لجأوا الى استخدام الحيوانات المتوحشة بدلا من الكلاب .

وفي مقدمة الوحوش التي تتولى الحراسة الآن الاسد والنمر والغوريلا والدب القطبي ، وهم يدفعون مبالغ ضخمة في سبيل الحصول عليها من حديقة الحيوان او عن طريق البحارة الاجانب الذين يدخلون هذه الوحوش خلسة الى البلاد بعيدا عن اعين رجال الامن والجمارك .

وفي بيت احد رجال الاعمال المتقاعدين ، وهو ثري كبير ، تمرح خمسة نمور في الحديقة الواسعة ، بينما يقف قرد من نوع الشمبانزي على مقربة من الباب الخارجي ، علموه كيف يقرع الطبول التي صفت امامه عندما يسمع صوتا غير مألوف .

ويقول رجل الاعمال صاحب النمور والقرد ، انه كان قد تعرض للسرقة عدة مرات ، بمعدل مرة او مرتين في السنة الواحدة ، ولكنه الآن يستطيع ان يغمض عينيه وينام وهو مطمئن ! .

حياة ربة البيت في ايطاليا مهددة بالخطر !

● عمل ربة البيت في ايطاليا ، وظيفة محفوفة بالمخاطر ! هذه هي النتيجة التي توصل اليها اتحاد شركات التأمين على الحياة في العاصمة الايطالية . ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد الحوادث التي ادت الى اصابات مختلفة اكثر من ٨٠٠ ألف حادث ، أصيب فيها أكثر من مائة ألف شخص ، و ٧٠٠ ألف امرأة ، بعضهن كانت اصاباتهن خطيرة أدت الى عجز تام ، بينما بلغ عدد الوفيات اربعة الاف .

وتقول الاحصائيات المعلنة ان اكثر من نصف الاصابات كانت نتيجة للسقوط من فوق السلم الصغير المتنقل الذي تستخدمه ست البيت للوصول الى الاماكن العالية لتنظيفها ، او بسبب السقوط فوق بلاط المطبخ . وبلغت نسبة الاصابات بين النساء اللواتي تعرضن للارتطام بالمقتنيات في البيت اكثر من ٣٠٪ ، واصابات التسمم ٣٪ ، والاصابات الناجمة عن الحروق ٣٪ ، وكذلك الاصابات الناجمة عن الاختناق او التعرض لصدمة كهربائية فقد سجلت هي الأخرى نسبة لا تقل عن ٣٪ .

ثم ماذا ؟ لقد اكتشفت شركات التأمين ان الوفيات بين النساء اللواتي يقمن بأعمال البيت التي تفرضها عليهن وظيفتهن كزوجات وامهات تبلغ ثلاثة اضعاف الوفيات بين اي فئة اخرى من النساء اللواتي يزاولن اعمالا اخرى ، حتى اصبح قائد سيارة السباق اكثر امنا على حياته من ربة البيت !

الشــقيقتـــــان !

● دخلت الجدة العجوز « نيللي كيف » التي جاوزت العام السبعين من عمرها ، مسابقة لاختيار أجمل جدة . ونشرت الصحف البريطانية صورتها مع بقية الجدات المتسابقات ، وفي صباح اليوم التالي كانت جدة اخرى تدعى كويني فيليبس ، تمسك بالصحيفة وتقرأ تفاصيل المسابقة ، وتتأمل صور المشتركات باهتمام ، وما كادت تصل الى صورة الجدة نيللي حتى توقفت عندها وراحت تتأملها في حيرة ودهشة ، ثم ما لبثت ان أسرعت الى مرآتها تتأمل وجهها هي ، وراحت تحدث نفسها : « هل يمكن ان يكون هذا صحيح ؟ هل يمكن أن تكون هي ؟

ولم تطل حيرتها ، فقد اسرعت تتصل بها تليفونيا بعد أن حصلت على رقم تليفونها من الصحيفة . . وعلى الجانب الآخر من الخط سمعت صوتها . . وصرخت : أنت نيللي . . ؟ نعم انا . . انت شقيقتي إذن . . هل تذكرين ؟

وصرخت نيللي بدورها . . واختلط صوت الشقيقتين بالدموع . . وكان اللقاء في مدينة بورتسموث بانجلترا . . ما القصة ؟

لقد افترقت الشقيقتان منذ اكثر من خمسين عاما وكان اللقاء اخيرا بعدأن ظنتا كل الظن أن لا تلاقيا !

ان الشقيقتين جدتان اليوم لخمسة وثلاثين حفيدا !

نهاية رحلــة كاتـــب !

● حتى عندما كان صبيا صغيرا ، كانت تراوده دائما الرغبة في ان يصبح كاتبا مرموقا . . وقد بدأ بالفعل في هذه السن المبكرة بكتابة الموضوعات الانشائية وقصائد الشعر .

وعندما بلغ العشرين ، استطاع رافائيل ستاميلوتو ، وهذا اسمه ، ان يفرغ من كتابة اول مؤلف له ، ثم ما لبث ان حمله وذهب به الى احدى دور النشر الكبرى في مدينة ميلانو بايطاليا !

وقرأ الناشر القصة ، ولكنه ما لبث ان اعادها الى « الكاتب » الصغير قائلا : لا تصلح ، لأنها تفتقر الى الواقعية . . . ان الكاتب يا بني لابد ان يخوض تجربة الحياة حتى يستطيع ان يكتب ! وقرر رافائيل ان يلتحق بالفرقة الاجنبية في فرنسا وسافر الى مرسيليا ، واصبح محاربا مأجورا .

وعاد بعد عامين ليكتب من جديد ، وقرأ الناشر ما كتب ، وقال : ليس في كتابك الجديد قلب يخفق ! انه موت ودماء بلا دموع ، لم اجد لمسة دفء واحدة بين سطوره !!

ولم ييأس رافائيل ، راح يجري من جديد ، وكانت تجربته في هذه المرة مع المغامرات الغرامية ، ثم ترك ضحاياه وعاد ليكتب . وقرأ الناشر كتابه وقال : « اين المغامرة في كل هذا . انها قصص يمكن ان تجد ابطالها في اي مكان !

وقرر « الكاتب » ان يذهب الى احراش افريقيا ، وعاد بعد عامين يحمل كتابا جديدا ! ولكن الناشر عاد يقول : « لقد تغير مزاج القاريء . . انه يبحث عن العنف والحركة . . وليس في كتابك اي شيء غير تجاربك مع الحيوانات المتوحشة التي كنت تطلق عليها الرصاص فتسقط امامك بلا مقاومة ! »

واحس رافائيل بخيبة امل ، ولكنها لم تستطع ان تثنيه عن عزمه وفي هذه المرة ، خرج يبحث عن « العنف » ووجده في تلك المحاولة التي قام بها للسطو على أربعة محال تجارية ومصرف كبير في مدينة ميلانو الايطالية !

وقبض عليه بعد معركة مع رجال الشرطة ، وقدم للمحاكمة وحكموا عليه بالسجن لمدة عامين !

قال وهم يسوقونه الى زنزانته : « من يدري فقد استطيع ان اضع كتابي الجديد عن الحياة داخل السجون !!

الشباب .. والإدمان !

بقلم : الدكتور درى حسن عزت*

اذا كانت الحضارة الحديثة قد يسرت الكثير من سبل حياتنا ، وأشاعت فيها مزيدا من القوى والامكانات ، وألوانا من المتاع والوفرة ، فانها لم تعفنا من ضجيجها ومنغصاتها ، حتى استغلقت دروب الامن أمام بعض الشباب ، وضاقت صدورهم عن معايشة الواقع ، فاجتذبتهم المواد المخدرة لترمى بهم في عوالم الضياع والدمار.

وفي هذا الموضوع نتعرف الى خطورة هذه المواد ، وسبل وقاية شبابنا منها ، ومعالجة أولئك الذين جرفهم قدرهم التعس الى التردي فيها .

انتشر استعمال المواد الادمانية بين سائر فئات المجتمع فى العقدين الأخيرين وظهرت الاثار السلبية لدلك وتنبه الجميع الى خطورة الظاهرة والى ضرورة اتخاد الاجراءات لمكافحتها حاليا وللوقاية من زيادة انتشارها مستقبلا .

فبعد ان كانت المواد الادمانية لاتتعدى المشروبات الكحولية والحشيش والافيون ومشتقاته اشتملت الان على المهدئات النفسية والمنومات والمنشطات والمواد « المهلوسة » مثل حمض الليثارجيك وكذلك استنشاق المواد الهيدروكربونية التى تدخل فى تكوين الأصباغ والاصماغ والبنزين .

وبعد ان كانت اغلب أعمار المدمنين حول مرحلة منتصف العمر تدنت مؤخرا لتصل الى سن الشباب أي حول سن العشرين وفى بعض الاحيان حول سن العاشرة . وبعد ان كان الادمان ينتشر بين الذكور بدأت تظهر حالات قليلة بين الاناث ، كما زادت نسبة دخول حالات الادمان الى مصحات العلاج النفسى بالنسبة الى الدخول الكلى لكافة الامراض من

* استشارى الطب النفسى - الكويت

٣ ـ ٥ ٪ في الماضى لتصل الى حوالى ١١ ـ ١٣ ٪ : في الحاضر .
هذه بلا شك مؤشرات واضحة تدق الناقوس عاليا ليسمعه المسئولون عن قطاعات الشباب وغيرهم لأخذ الامر بالجد الذى يستوجبه .

أسباب الانحراف

هذا المجال مازال فى حاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء ، فهناك من يقول إن الشباب يواجه الضغوط والحرمان ، ولايستطيع قسم منه مواجهة ظروف حياته الصعبة فيهرب الى استعمال المواد الادمانية التى تبعده فى الخيال عن واقعه مؤقتا .
وهناك من يقول ان الكثيرين يدمنون بالرغم من أن حياتهم راغدة وظروفهم سهلة لاتسبب ضغطا ولاحرمانا ، وهذا القول صحيح ، ولكن بالرغم من هذه الظواهر المتناقضة فإن هناك ثوابت يمكن الاعتماد عليها .
فبشكل عام يواجه الشباب فى المجتمعات المتقدمة مستقبلا غامضا ، إذ انه بالرغم من عظم الجهد المطلوب منه فى حاضره فإن المقابل المتوقع له مستقبلا لايوفر له حياة مستقرة ، فالبطالة وصلت الى أكثر من ١٥٪ من قوة العمل ، ويقع على الشباب العبء



الاكبر من آثارها ، والوضع فى البلاد النامية اكثر سوءا من ذلك بكثير ، ناهيك عن البطالة المقنعة التى تسبب الملل والحرمان من تأكيد الذات وتحقيقها ، كذلك يُدفع الشباب أحيانا للقيام بمهام وتحمل أعباء ليست لديهم القناعة الكافية بضرورتها والمثل الواضح على هذا هو حرب فيتنام ، فنتيجة للاحباط الذى اصاب الشباب الامريكى بسبب هذه الحرب انتشرت بين صفوفه موجَة عارمةً من الادمان لم يفق من آثارها حتى اليوم .

كذلك سرعة إيقاع الحياة الحديثة وما يتبع ذلك من حدة المنافسة بين الأنداد لتحقيق الاهداف ، وكثرة المتطلبات الحياتية مع محدودية الامكانيات لتلبيتها وازدياد معدل المتغيرات فى المجتمعات ومايستلزمه ذلك من تقبل للقيم الجديدة وضرورة التأقلم على الاوضاع المتجددة ، والشعور بالفجوة بين الأجيال ومفاهيمها المتناقضة ، والمعيشة فى بيئة قلقة كأنها موتقة من الاحداث التى لاتهدأ ولاتسمح لاحد باستقرار أو هدوء ، كل هذه العوامل تشكل فيما بينها محصلة من الضغوط تعمل عملها فى انسان العصر مما يثير عنده الاحساس بالاغتراب ويدفعه للهجرة الذاتية داخل النفس أو يثقل عليه شعوره بواقعه فيحاول التخفيف من وطأته باستعمال المهدئات او المنومات او المنشطات او المخدرات التى سرعان مايقع فريسة الادمان لها ، كذلك يميل الشباب بطبعه الى التحرر والانطلاق والتعبير عن نفسه وتأكيد ذاته ، وعلينا أن نعترف ان الشباب فى معظم البلاد النامية لايجد امامه المساحة الكافية فى وسائل الاعلام الحديثة للتعبير المأمون عما يجيش به صدره ، وهذا من العوامل التى تدفع البعض منه الى التنفيس فى عالم الخيال الذى تعوضه له المواد الادمانية عما يعجز عنه فى عالم الواقع ، ويلاحظ ايضا ان الادمان ينتشر بين الشباب الذى ينشأ بين الاسر المفككة التى يسودها الاضطراب والفوضى ويحكمها الجمود والقسوة والتسلط ، او تتراخى فيها سلطة الوالدين اوتهتز فيها صورة الاب المثالى بسبب انحرافه او ادمانه هو الآخر .
وأخيرا ، فقد اعلن مؤخرا ان البلاد التى تزرع النباتات المخدرة زادت انتاجها كوسيله للتغلب على أزماتها الاقتصادية فتضاعف التصدير للاسواق العالمية

مما نتج عنه انخفاض سعرها وتوافرها بين أوساط الطلبة والعمال ، ناهيك عن تقدم تكنولوجيا التهريب والترويج وسطوة رجال العصابات مثل (المافيا) وغيرهم وفعاليتهم في توريد المخدرات ونشرها بين راغبيها

اعراض الادمان :

ينتج عن إدمان بعض المواد التي أتينا على ذكرها مجموعة من الاعراض ، هذه تتوقف على نوع المادة الادمانية

فالافيون ومشتقاته كالمورفين والهيروويين يُشعر المستعمل بحالة من الخدر الحسى تشبه الحلم مع الغبطة والانفصال عن الواقع تستمر لبضع ساعات يعقبها شعور بالانحطاط والانقباض مما يدفعه للبحث عن جرعة اخرى ترجعه للحالة الاولى ، ويستمر هكذا مع اضطراره لزيادة الجرعة للحصول على نفس الاثر ، واذا اضطر المدمن للتوقف فجأة عن التناول حدثت ردة فعل قوية تعرف « بالحالة الانسحابية » تبدأ بعد ساعات من الانقطاع وأهم اعراضها القلق والخوف وعدم الاستقرار ، مع التثاؤب والعرق وزيادة الافرازات وكذلك الغثيان والقيء والاسهال ، مع تقلصات بالبطن وآلام بالجسم

الكوكايين :

وهو منبه للجهاز العصبي،ويتناول بالحقن او الاستنشاق ويسبب النشاط البدني وقوة الرغبة الجنسية والشعور بالغبطة .

واعراض التسمم تشمل الاضطرابات العقلية والشعور بالاضطهاد واحساس بزحف الحشرات فوق الجلد ، واستنشاقه يسبب التهابات وتقرحات للغشاء المخاطي للانف .

الحشيش او (الماريهونا):

هو من اقدم انواع المخدرات واكثرها انتشارا في العالم بين مختلف الاجناس والطبقات والاعمار ، والماده الفعالة هي مادة الكانا بينول

ويستعمل عن طريق التدخين ويسبب حالة تشبه الحلم حيث تكون الافكار تجرى بغزارة دون ترابط او سيطرة اوقيود ، كذلك يختل إدراك الوقت والمكان وتقدير الأبعاد ، وبالتعود عليه يصبح المرء متبلدا كسولا ، لايعنيه مايدور حوله ويفقد الدافع الارادى لتحسين احواله وينعزل عن النشاط الاجتماعي الايجابي .

وللحشيش شهرة أن له مفعولا منشطا للقدرات الذهنية والنشاط الجسى عند الرجال ، لكن ذلك لم يثبت بالدليل العلمي .

القات :

تمضغ الاوراق وتخزن بالفم ويستحلب عصيرها ويبلع ، ويُحدث القات تنبيها للجهاز العصبي وشعورا بالغبطة والرضا وحس الحال ، يصاحب ذلك ميل للثرثرة والخلط في مواضيع التفكير والكلام . وبانتهاء المفعول يشعر المتناول بالتبلد والاكتئاب وفقدان الشهية للطعام .

عقاقير الهلوسة

واهمها حمض الليثارجيك

وينتشر استعماله بين بعض الشباب الفاشلين والعاطلين عن العمل ،وتؤخذ هذه العقاقير عن طريق الفم بجرعات صغيرة جدا ، لهذا فخطر انتشارها كبير إذ أن تهريبها وايصالها للمستعملين لايشكل مخاطرة كبيرة . وتسبب هذه العقاقير حدوث الهلاوس وبالأخص البصرية منها فيرى المتناول مناظر عجيبة بألوان متغيرة وتفاصيل غريبة وتراكيب تتصل وتنفصل ، وتتداخل وتختفي،وتظهر على هيئات واشكال لانهائية في تغيرها تسبب احساسا بالذهول والاغتراب والذعر احيانا ، ويكون الذهن صافيا يراقب مايدور في حالة من الاندهاش والاستسلام والاستغراق ، وبعض من يتناولون هذه العقاقير تحدث لهم حالات اضطراب عقلي تشبه مرضى الفصام .

الأمفيتامين :

هو منبه للجهاز العصبي ويستعمله بعض الطلبة قبل فترة الامتحانات واثناءها لازالة الشعور

بالتعب والتغلب على النعاس وسرعة الاستيعاب ، وبعض الاناث يستعملنه للتحكم فى الشهية وتخفيف الوزن ، وبشكل عام يولد الامفيتامين الشعور بالثقة فى النفس وتزايد الطاقة البدنية فيتعاطاه الشباب فى البلاد الغربية قبل حضور الحفلات الصاخبة ليزداد عندهم الصخب وينشطون بلا تعب فى الرقص والغناء والصراخ والاستمتاع ، والادمان على هذا العقار يؤدى الى حدوث حالات اضطراب عقلى تشبه مرضى الفصام وتحتاج للعلاج فى المستشفيات النفسية ، كما يمكن ان يحدث اضطرابات سلوكية غريبة على الطباع الاصلية كالتورط فى السرقات والمطاردات الجنسية دون كبح أو سيطرة ، والكثيرون اهملوا اعمالهم وفشلوا فى دراساتهم او الانتظام فى الحياة الاجتماعية المنتجة .

ومن العلامات الكاشفة للادمان المبكر على الامفيتامين ، ان المدمن يسرف فى عملية المضغ دون أن يكون فى الفم مايمضغ ، وكذلك الكز على الاسنان واحتكاك اللسان من جانبيه بداخل الشفة السفلى إلى درجة التقرح لكليهما .

ويمكن ان تصدر من المدمن افعال خطرة ضد المجتمع كالاعتداء على الآخرين والعنف تجاههم او ارتكاب جرائم القتل نتيجة للمعتقدات الوهمية الاضطهادية او يقدم على الانتحار فى اثناء نوبة من الاندفاع والاستهانة بالمخاطر او نوبة من الاكتئاب الشديد واليأس وفقدان الامل .

الادمان على المشروبات الكحولية :

تعرف منظمة الصحة العالمية المدمنين على الكحول بأنهم « هؤلاء الذين يشربون باسراف ويعتمدون على الكحول فى حياتهم بحيث تظهر عليهم تبعا لذلك اضطرابات عقلية واضحة ، او يؤثر فى صحتهم النفسية والبدنية ويقلل من كفايتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية ، أو الذين تظهر عليهم العلامات الاولى لهذه المرحلة » .

وجدير بالذكر أن تناول الكحول بكميات كبيرة بشكل متقطع غير ادمانى يمكن أن ينتج عنه سلوك عدوانى وتصرفات منتقدة اجتماعيا وخلقيا بسبب ضعف القدرة فى السيطرة على النفس . وبعض الناس يتصرفون بعنف وعدوان حتى بعد تناول كميات قليلة من الكحول ولو كان ذلك لاول مرة .

أعراض الادمان على الكحول :

الاعراض البدنية :

- آلام واحساسات غريبة أوفقدان الاحساس فى منطقة القدمين واليدين نتيجة التهاب الاعصاب الطرفية .
- التهاب المعدة المزمن والقرحة نتيجة لتهيج الغشاء المخاطى
- رعشة فى اليدين او البدن بأكمله .
- تليف الكبد وتضخمه ومن اعراضه القىء الممزوج بالدم .
- التهاب الحنجرة والشعاب الهوائيه نتيجة الاسراف فى التدخين ، فالادمان على الكحول غالبا ما يصاحبه الاسراف فى التدخين
- نوبات صرعية لتهيج انسجة المخ نتيجة الاعراق المائى لمن ادمنوا تناول البيرة .
- التهاب العصب البصرى مما يؤدى لفقدان البصر بسبب تناول الخمر الرديئة او شرب ماء الكولونيا او الكحول المثيلى المستخدم فى الصناعة .
- يصبح المدمن سريع الاستثارة ضيق الصدر دائم القلق والاكتئاب .
- تضعف عنده الذاكرة للاحداث القريبة وبتطور الحالة يمتد الضعف للاحداث التى تتعلق بالماضى .
- يعانى المدمن من المعتقدات الوهمية الباطلة ، وبالاخص التشكك فى سلوك الزوجة واتهامها بالباطل فى إخلاصها .
- الهلاوس السمعية المزمنة اذ يسمع أصواتا تسبه وتلعنه وتقلل من شأنه .
- بطء الانعكاسات العصبية وخلط المدركات مما يسبب الحوادث السيئة .

مضاعفات الادمان :

- بسبب تلوث الحقن تحدث الالتهابات الجلدية والخراج الموضعى ، كذلك تخثر الاوعية الوريدية كما تنتقل الامراض مثل التهاب الكبد الوبائى وداء الزهرى والملاريا .

ـ عدم القدرة على العمل المنتج مما يؤدى الى الطرد من الوظيفة أو العمل وفقدان مصدر الرزق..

ـ الفشل فى الدراسة بالنسبة للطلبة وضياع المستقبل .

ـ إهمال الاسرة وضياع الصغار من افرادها نتيجة لادمان ربها العائل لها

ـ التدهور الاجتماعى والخلقى ، اذ يضطر المدمن الى ارتكاب الجرائم للحصول على المال لشراء المخدرات او يُدفع الى ذلك بواسطة المروجين مقابل الحصول على المخدر فينغمس اكثر فى الجريمة ويعيش فى العالم السفلى من المجتمع .

علاج الادمان :

يهدف العلاج الى تغيير السلوك الادمانى بالكلية الى سلوك اكثر توافقا ، ولهذا يلزم دخول المريض لمصح خاص بالادمان يتوافر فيه العلاج الشامل من بدنى ونفسى وتأهيلى والبقاء فى المصح لفترة قد تطول لشهور عدة لعزل المريض عن ظروفه التى دفعته للادمان وحمايته من مطاردة المروجين وصحبة المدمنين الذين يؤثرون عليه باغرائهم له بالرجوع الى الادمان اذا أخرج من المصح مبكرا ، ويجب تضافر جهود المهتمين بالعمل الاجتماعى فى التأهيل ، ولرجال الدين دور اساسى فى تنمية القوى الروحية لدى المريض لمقاومة الاغراء والانتكاس .

الوقاية من الادمان :

الوقاية هى انجح العلاجات لحماية الصغار والشباب من مشاكل الادمان ومضاعفاته ، ليس فقط من اجل الجيل الحالى بل أيضا من اجل اجيال المستقبل التى لم تولد بعد .

وللاسرة الدور الاول فى هذا المجال ، اذ يجب ممارسة سلطة الوالدين لوضع الموانع والحدود امام الابناء ومراقبة التزامهم إياها،وعلى الوالدين مناقشة السلوك غير المرضى عنه مع ابنائهم بكل وضوح ، ووضع المثال الذى يجب أن يحتذى امامهم ، فالابناء يحتاجون لهذا الارشاد ويرحبون به لكننا نجد فى أحيان جديدة انهم يفتقدون هذه الرعاية الاسرية الاساسية .

وعلى رب الاسرة ان يؤكد على القيم والأخلاق حتى ينشأوا عليها ويهتدوا بها فى حياتهم ، فاذا وضحت هذه المفاهيم للابناء منذ صغرهم اصبحوا محصنين ليس فقط ضد الادمان بل ضد جميع أنواع الانحرافات ، وليس أنفع من قيم الايمان الصحيح وأخلاقه السامية يُحصِّن بها الابناء وتسلح بها الاجيال .

وعلى وسائل الاعلام وبالاخص« التلفاز » بث التوعية المستمرة المستنيرة التى يقوم بها المتخصصون . على أن تكون ضمن خطة قومية شاملة لمكافحة الادمان ، ولن يجدى فى مجال التوعية حديث فردى عابر ، ويجب ان يُراقب بوعى كل ما ينتج ويعرض من مسلسلات وافلام عن الادمان ، فالبعض من هذه الوسائل رغم ادعائها التوعية لمضار الادمان تحتوى من المشاهد والمواقف والحوار مايمكن اعتباره مدعاة اليه وترغيبا فيه ، وقد تعلم الصغار الكثير عن ممارسة الادمان خلال افلام الفيديو التى يشاهدونها سرا فى غفلة من مراقبة الكبار .

كما يجب التدقيق فى الحصول على الأدوية المهدئة والمنومة والمنشطة من الصيدليات والمستشفيات ، اذ ان هذه الادوية يساء استعمالها فى بعض الاحيان وتتخذ بديلا عن المواد الادمانية الاصلية فى حال عدم توافرها ، وهذا التدقيق يجب أن يسرى فى جميع بلاد المنطقة الواحدة فلن يجدى التدقيق فى بلد ما بينما التفريط موجود فى آخر .

وفى الختام نحب أن نبين مرة اخرى ان الشباب ينزع بطبعه الى الحرية والانطلاق وحب المغامرة والتجربة واشباع الفضول .

وعلينا ان ننظر الى الشباب ومشاكله بنظرة متفهمة وبروح متعاطفة ومساندة ، ونيسر له قنوات التعبير الكافية ليفصح عن ذاته فى أسلوب مأمون ملائم ، لكيلا يدفع الى دروب خفية يلتمس فيها ما حُرم منه إذا ما أحيط بجو من القهر والجمود والحرمان ، وعلى الشباب أن يضع المستقبل نصب عينيه ، فالمستقبل له وهو صانعه ، والمجتمع ينظر الى الشباب بثقة واكبار ويتوقع منه الخير الكثير لحاضره ومستقبله . □

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

تعريب التعليم في الجامعات

بقلم : عبد الرزاق البصير

بالرغم من صدور ونشر مئات الكتب والدراسات ، ربما قبل بداية هذا القرن ، حول ضرورة تعريب التعليم في أقطارنا العربية ، وبالرغم من حصول بعض هذه الأقطار على استقلالها منذ ما يزيد على نصف قرن . .

مع ذلك فان بعض المواد العلمية مازالت تدرس بلغات أجنبية في جامعاتها ومعاهدها . .

فما هي العقبات والصعوبات التي تقف حجر عثرة بوجه التعريب ، وكيف كان الأمر في زمن سابق على زماننا ؟

من المحقق أن المثقفين من الانجليز والفرنسيين والألمان ، وفي كل الشعوب المتحضرة لا يفكرون في التعليم بلغاتهم ، لأن ذلك أمر أصبح من المسلمات ، فكل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، ومن المؤكد أن بعض هذه الأمم ابتلى بمثل ما ابتلينا به من سيطرة المستعمرين ، ولكن هذه الأمم لم تكد تستقل وتسيطر علىَ شئونها حتى جعلت التعليم في جميع مراحله بلغاتها من بديهيات الاستقلال ، ومن عجب أننا معشر العرب الذين نمتلك لغة تعد من أقدر اللغات على استيعاب ما يجد في الحياة ، بشهادة التاريخ الذي مرت به الامة العربية الاسلامية أيام ازدهارها وقوتها.من عجب أننا ما زلنا ندعو الى تعريب التعليم على الرغم من مرور أكثر من قرن من الزمن على بداية تعريب التعليم ، فمن المعروف أن الطب كان يدرس باللغة العربية في مصر أيام محمد علي الكبير المتوفي سنة ١٨٤٩ .

فالمفروض والحالة هذه أن نكون قد تجاوزنا معالجة قضية التعليم بلغة القرآن في جميع مراحل التعليم ، وينبغي أن نكون قد انتهينا من بحث هذه القضية وأصبحت في الواقع العملي منذ مدة طويلة ، فان التعليم باللغة القومية أصبح من المسلمات عند جميع الأمم الحية كما أشرنا الى ذلك قبل قليل ، فهي لا تحتمل الأخذ والرد ، فمن المعروف أن جميع الامم التي لها لغة قومية متكاملة أصبحت تعلم أبناءها بلغاتها في جميع مراحل التعليم ، وهذه ايران سعت حثيثا الى اتخاذ الفارسية وسيلة للتدريس في الطب والصيدلة والهندسة والزراعة وغيرها من الفروع العلمية ، وهذه الهند سعت بعد استقلالها الى استخدام اللغات الهندية وحدها أو بالاشتراك مع الانجليزية في التعليم العالي للعلوم البحتة والتطبيقية ، وتوضع الآن باللغات الهندية كتب في مختلف العلوم لتدريسها في الجامعات ، وهذا الكيان الصهيوني يستخدم اللغة العبرية في تدريس العلوم ، وقد نجح الصهاينة في ذلك نجاحا كبيرا في بضع سنين .

الآن وليس غداً !

والأمثلة على تعليم الأمم أبناءها في جامعاتها ومعاهدها بلغاتها القومية أكثر من أن تحصى ، فالصين واليابان قد سلكتا هذا السبيل ، على الرغم مما في لغاتها من تعقيدات شديدة نشأت عن تراكيبها . ان الزام اللغة القومية في التعليم من الأمور التي لا تقبل النقاش ، وذلك ان التعليم الجامعي باللغة القومية من أهم عناصر تقرير المصير ، وهو أمر يعتمد على اتخاذ القرارات الحاسمة من قِبَل مَنْ بيدهم الأمر والنهي ، وكمثال على ذلك ما حدث في الجزائر ، حيث أن المشتغلين في التربية والتعليم عقدوا مؤتمرا حضره المرحوم هواري بومدين ، وأخذوا يتحاورون حول السؤال القائل « متى نبدأ في تعريب التعليم ؟ » وكيف نبدأ ؟ وقد استمر الحوار عدة ساعات ، وحين انتهى حوارهم ، سأله المؤتمرون عن رأيه فكان جوابه ينبغي أن نبدأ في تعريب التعليم من هذه الساعة ، ولا يجوز السؤال عن متى نبدأ وانما السؤال هو كيف نبدأ في تعريب التعليم ؟ ونحن نعلم جميعا ان اللغة الفرنسية في الجزائر قد أمعنت بصورة قوية الى حد جعل الكثير منهم لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية ، واذا ما تساءل متسائل عن سبب لانصرافنا عن تعليم أبنائنا في كليات العلوم بلغة القرآن ، فان الجواب يأتي بأن الأمة العربية قد قدر الله لها أن تحيا عدة قرون تحت ظل حكم أجنبي ، وان يخيم الجهل عليها ، حتى ضعف وعيها الى درجة أصبحت لا تقدر ما يعنيه ضعف لغتها من أثر على وجودها ، فلما جاء الاستعمار الاوروبي زاد في تعميق هذا الداء في نفوس الكثيرين ، لأنه يدرك بأن أهم عناصر قوة الأمة وعزتها يأتي من قوة لغتها . وقوة اللغة تنشأ من ترجمة العلوم اليها وتعليم أبنائها بها ، لأن ذلك يخلق في الأمة اعتزازا بلغتها ، فانه اذا لم يتأكد في نفوس أبناء الأمة أن لغتهم قادرة على استيعاب ما يجد في الحياة انهدمت أو ضعفت على الأقل ثقتهم بلغتهم ، مما يجعلهم ينصرفون الى غيرها من اللغات الأجنبية ، وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا إن كل أمة تصل الى مثل هذا الحال يصبح شأنها ضعيفا ، مما يجعلها هدفا للغزو الثقافي .

ومن غريب الأمر أننا كنا نعلم أبناءنا الطب قبل أكثر من قرن باللغة العربية ، وكان الطلاب يتلقون ذلك بكل يسر وسهولة ، بحيث أنهم كانوا ينجحون في فهم ما يلقى اليهم من تلك الدروس أحسن الفهم . فقد كانت مدرسة القصر العيني في القاهرة تدرس الطب باللغة العربية ويضع اساتذتها الكتب بها . يقول الدكتور احمد شوكة الشطي عن هذه الكتب ، في كتابه « نشاط العرب العلمي في مائة سنة » ، « لو تصفحنا الكتب التي ألفت أو ترجمت في مدرسة قصر العيني يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتبا ممتازة لا تقل عن أمثالها في ذلك الحين من كتب الغرب جودة في الطبع وحسنا في التعبير وبراعة في الايضاح » .

على أن مجامع اللغة العربية قد وضعت المئات من المصطلحات العربية في علوم الطب والكيمياء والهندسة والفيزياء الى غير ما هنالك من العلوم التطبيقية ، مما يدل على أن اللغة العربية قادرة على مسايرة الحياة ،ولكن المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات التي بذل فيها علماؤنا جهودا مضنية ،

أقول من المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات حبيسة في كتب المجامع ومجلاتها . . لا ينتفع منها الا انتفاع قليل جدا ، كحديث يذاع من احدى المحطات الاذاعية ، أو مقال صغير بسيط ينشر في بعض المجلات أو الجرائد ، في حين أن هذه المصطلحات ينبغي أن تكون مستعملة في جامعاتنا ومعاهدنا ، ولقد حضرت في مجمع اللغة العربية في الأردن ، واستمعت من رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة حديثا يدعو الى الحزن والألم . . . يقول الدكتور خليفة « ان بعض اساتذة مادة الرياضيات في جامعة ارىد ترجموا الكتب المختصة في هذه المادة والمقررة على الطلاب في السنة الاولى وأخذوا يلقون منها دروسهم عليهم ، فكان نجاحهم باهرا لان استيعابهم لهذه المادة كان قويا جدا ، ولكن الغريب في الامر أن عميد تلك الكلية قد تغير وجيء بعميد آخر ، فأمر بأن تلغى الكتب المترجمة الى اللغة العربية ، وأن توضع مكانها كتب باللغة الأجنبية ، ولا تسل عما حدث من ارتباك في نفوس الطلاب ، وفي هذا دلالة على أن هناك من يسعى لابعاد اللغة العربية عن التعليم الجامعي ، وهو أمر لا يجوز السكوت عنه .

ومهما يكن من أمر فنحن نعلم جميعا أننا نبعث طلابنا للدراسة في مختلف البلاد الأجنبية كأمريكا وفرنسا وروسيا وانجلترا وغيرها من البلاد ، فيعودون الينا حاملين الشهادات العليا بمختلف اللغات ، فما عسى أن نصنع بهؤلاء من بناتنا وأولادنا ، وكيف ننتفع بدراساتهم بلغات مختلفة ، والتي أنفقنا عليها كثيرا من الأموال ، وبذلوا فيها جهودا عظيمة مشكورة ؟ من المحقق أن الانتفاع بهم لا يمكن الا اذا كان التعليم الجامعي عندنا باللغة العربية ، فان التدريس باللغة العربية يساعد على نمو اللغة وتطورها ، كما أنه يذلل صعوبة اختلاف المصطلحات ، فان ممارسة التعليم هي التي تطوع اللغة في هذا الشأن .

والدليل القوى على ما ذهبنا اليه هو أن التعليم في الجامعات السورية باللغة العربية قد بدأ منذ ستين سنة أو أكثر ، وقد تخرج في تلك الجامعات أعداد كبيرة من الطلاب في مختلف العلوم التطبيقية ، وان من العجب حقا أن ننسب العجز الى لغة كانت لغة العالم المتحضر ، قبل ألف سنة ، وقد نقل اليها من اللغات الأجنبية كثير من الكتب العلمية في زمن لم تبلغ الحاجة الى النقل مثلما بلغته في وقتنا الحاضر ، دون أن يشكو المترجمون من عجز اللغة العربية . . وكيف تعجز لغة تضم أكثر من اثنى عشر مليون كلمة عن احتضان العلوم التطبيقية ، وما نظن أن اللغة الانجليزية والألمانية والصينية وغيرها من اللغات القديمة والحديثة تملك من ثروة المفردات أكثر مما تملكه لغة القرآن . ولكن الذي نحتاج اليه هو الثقة المطلقة بلغتنا العربية .

التدرج في التطبيق

وقد ثبت علميا أن الطلاب المتخرجين في الجامعات التي تدرس باللغة العربية ، يكونون أقدر على فهم ما يلقى عليهم من الدروس ، ومن ثم يصبحون قادرين على تدريس العلوم بلغتهم ، والطريق العلمي أن نتدرج في ذلك ، فنكتفي في أول الأمر باعطاء مادة أو مادتين علميتين ، ثم ننطلق بعد ذلك في تدريس بقية المواد العلمية ، وليس من شك ان التجربة في أى عمل من الأعمال هي التي تذلل كل عقبة وتزيل الحواجز التي خلقها الاستعمار وعملاؤه في النفوس .

أما وسائل تنمية اللغة فهي كثيرة لعل أهمها الاشتقاق والتعريب ، وقد تحدث العلماء عن قواعدها أحاديث مفصلة تضمنتها مؤلفات قيمة ، منها القديم ومنها الحديث ككتاب « المعرب » للجواليقي وكتاب « شفاء الغليل » للخفاجي و « المعرب من القرآن » للشيخ حمزة فتح الله . . وغيرها كثير وكلها تشهد بمرونة اللغة العربية ، لان الاشتقاق من صفاتها ، ومن المحقق أن علينا ألا ندخل في لغتنا العربية إلا ما نحتاج اليه ، لان في إدخال مالا نحتاج اليه إضعافا للغة العربية .

وهناك « النحت والتوليد والقياس والتركيب » وقد أقر مجمع اللغة العربية هذه الوسائل ووضع لها قواعد محكمة فيها صون للغة العربية ومراعاة للذوق العربي ، ذلك أن بعض الناس يخرج على هذا كله ، وكمثال على ذلك نشير الى ما فعله البعض حيث قال في قلم الحبر « قلمح » أو « قحبر » أو « قلحب » .

عبر من ماضينا

وعلى كل حال فاننا جميعا نفخر بما لنا من تراث علمي جليل ـ شمل الطب والرياضيات والفلك والفيزياء وغيرها من العلوم التطبيقية ـ قام به علماء أجلاء شهد لهم الأجانب بالنبوغ والتفوق كجابر بن حيان ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة ، والحسن بن الهيثم ، وغيرهم كثيرون ، ولسنا في حاجة الى القول إن هؤلاء العلماء أصدروا آثارهم العلمية باللغة العربية ، دون أن يلاقوا أي صعوبة تمنعهم عن ذلك ، فهل يجوز ـ ولغتنا العربية على ما ذكرناه من القابلية والتكيف ـ أن نمتنع عن تعريب التعليم ، بحجة أن لغتنا غير قادرة على تعريب المصطلحات العلمية الجديدة ؟

والامة الحية هي التي تصل حاضرها بماضيها ، وليس من وسيلة لهذا الأمر أفضل من تعريب التعليم . لان هذا النهج يدفع علماءنا الى المشاركة والمساهمة في مختلف العلوم التطبيقية المعاصرة ، على أن التعريب الذي ندعو اليه لا يقتصر على التعليم في كليات العلوم بالجامعة وانما يجب أن يمتد الى كل المؤسسات والوزارات الرسمية وغير الرسمية لأن من شأن ذلك جعل الثقافة غير مقصورة على صفوة من الناس ، وإنما تصبح قدرا مشتركا بينهم جميعا ، فالفرد يصبح مقدرا للغته أعظم التقدير حينما يجدها هي اللغة السيدة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات ، ثم ان هذا النهج يعزز الوحدة الوطنية بصورة خاصة لما للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية من أثر قوى على الجماهير بما لها من اتصال مستمر بالمؤسسات ، ويعزز الوحدة العربية بصورة عامة ، والتي هي حلم كل فرد مخلص لهذه الأمة . اذ لا توجد مصطلحات فرنسية في هذا القطر وايطالية في ثان وانجليزية في قطر ثالث ، وانما توجد لغة مشتركة بين أمة العرب في جميع أقطارها .

وبالجملة فاني اعتقد اعتقادا جازما أن جامعات جمهورية مصر العربية اذا أخذت بالتعليم باللغة العربية في كليات العلوم ككلية الطب والهندسة ، الى ما هنالك من العلوم التطبيقية ، فان نهج التعريب يصبح ساري المفعول في كل البلاد العربية ، لما لمصر من أثر قوى على كل الأقطار العربية ، فما من اتجاه حدث في مصر الا وكان له أبلغ الأثر في مشرق الوطن العربي ومغربه ، مما يؤكد أن مصر هي قلب الأمة العربية .

وبعد . . فان الحديث عن تعريب التعليم ميدان واسع متشعب جالت فيه أقلام فئة كبيرة من المفكرين المؤمنين بعزة أمتنا العربية ـ أمة القرآن ـ ووحدتها □

منتدى العربي

تعقيبات

مَنْ قتلَ اللغة العربيَّة ؟

في منتدى العربي بالعدد ٣١٧ من العربي عدد ابريل ١٩٨٥ مقالان دفاعاً عن الفصحى ، ونعياً على قاتليها ، والذين يدعون الى احلال العامية محلها .

والواقع المر أن الفصحى لم يعد يستخدمها حتى بعض من يفترض فيهم الفصاحة والاشتغال باللغة ، وأصبح الذي يتكلم العربية بدون عي أو فهاهة ، وبدون أخطاء في النحو والصرف ، ودون سوء استخدام للكلمات والحروف ، وبغير الاستهتار الذي يكاد يكون متعمداً في استخدام التنقيط

والفواصل ، أصبح مثل هذا الشخص أندر من أن يعول عليه في الدفاع عن اللغة وحمل رايتها الى النصر المبين .

والمشكلة مرة وحلها انما يتم بأن يتناقش الناس في أمرها ، دون أن يتهم من يخالفنا في الرأي - كعادتنا دائماً - بالتخريب و « هدم شمل الأمة » وغير ذلك من التعميمات السخيفة التي لم يعد يقبلها أحد . ان الاختلاف في الرأي هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة ، والصحافة الحرة في بلاد الله الحرة تنشر مقالين متناقضين في نفس العدد . ولا يوصف أي المقالين ولا من كتبهما بالخروج على الأمة ولا بالخيانة ، ولا بعكس هذا من صفات المديح الممجوج التي تصب صباً على من يتفق معنا في الرأي . اذ أن كلا من المدح والقدح لا يفيد الناس في شيء ، انما الذي يمكن أن يفيد الناس هو أن نشرح لهم ثلاث نقاط :

أولاً : مظاهر المشكلة وأبعادها (أو الجانب الوصفي للمشكلة) .

ثانياً : أسباب المشكلة (أو الجانب التحليلي للمشكلة) .

ثالثاً : علاج المشكلة (أو الجانب البنائي للمشكلة) .

أما عن مظاهر المشكلة فالناس كلهم يعرفونها ، وتكفي مقالة الدكتور الذوادي لبيان بعض هذه المظاهر . وخلال ما يقرب من ربع قرن في التعليم الجامعي بالولايات المتحدة وببعض الدول العربية ، لاحظت أن المشكلة تتفاقم باستمرار . ولم يعد الطلاب وحدهم هم العاجزون عن استخدام اللغة ، وانما وصل الحال الى أن كثيراً من الأساتذة لا يعرف أبسط قواعد اللغة .

أما عن أسباب المشكلة فلعل في القاء الضوء عليها ما يمكن من ايجاد الحل باعتباره السبب الأول في نظري - هو في فكرة التعليم الكمي لا الكيفي ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية . هذه الظاهرة التي بدأت باجبار جميع السكان على دخول المدارس دون الاستعداد الواعي لخلق الكوادر التعليمية ، انتهت بجيش لا نهاية له من طالبي العلم في جامعات غير مستعدة لاستقبال معشار العدد . والنتيجة الحتمية لهذا التيار كانت خلق جيل من أنصاف المتعلمين يعلم جيلاً من الجهلاء ، ولما كان العمل الوظيفي هو النهاية المألوفة لغالبية أصحاب الشهادات ، انتهى الأمر من سيىء الى أسوأ ، وأصبح هنا « متخصصون » في جميع فروع المعرفة ، لا يستطيعون خلق جديد في مجالاتهم ، لأنهم لم يجدوا الفرصة للاطلاع على القديم أصلاً ، وينطبق هذا التحليل بصورة أعم على اللغة العربية وخريجي مدارسها .

السبب الثاني هو الاستهتار باللغة ، واعتبار العلم بها عيباً والعالم بها متخلفاً « أو فقي » ، لا يجوز الاهتمام به . وبدأت الظواهر تتجلى في الكتابات اليومية في الصحف ووسائل الاعلام ، ثم تصاعدت الى أن وصلت الى أعلى صور الصياغة القانونية ، والمقارن لكتب القانون وأحكام المحاكم اليوم بما يناظرها من أربعين عاما يجد الهوة شاسعة حقاً .

السبب الثالث هو الالحاح الدائم من وسائل الاعلام اليومية على استخدام لغة عربية في الفاظها وقوعدها . والمطابع والاذاعات تمضغ هذا الكلام وتمجه على أسماع الناس وابصارهم كل لحظة ، حتى أصبح العامة يحسبون هذه الغثاثة هي السليم ، وأن ما غيرها « كتباً صفراء » لا يجوز لعاقل أن يقرأها .

والسبب الرابع - وهو الأشد خطورة - هو أن جيلاً ممن يجهل اللغة العربية جهلاً تاماً أصبح يسيطر على وسائل الاعلام ، ويستطيع بهذا أن يقول للناس ان العربية الحقة لغة عيِيَّة قديمة لا تصلح لما يقدمه العصر من تقدم ونماء .

السبب الخامس - أن الغيورين على اللغة العربية لم يقدموا لنا نتاجاً فكرياً مقبولاً لا في مجال التعريب ولا في مجال التطوير . وما زالوا يقولون لنا ان « الشاي » كلمة غير عربية لا بد أن توضع بين قوسين وأن « الانبج » يؤكل لأنه هو المانجو ، وأن السروال أصح من البنطلون ، الى آخر قائمة هذه السذاجات الفكرية التي تعرقل نمو اللغة ولا تطوره ، والناس تتثاءب في ملل ، أو تترك الأمر برمته وتكتب وتتكلم كما تشاء .

هل هناك حـــل ؟

لا يستطيع انسان أن يزعم بأنه قمين بتقديم حل

واحد للمشكلة ، ولا بتقديم الحلول جميعاً في مقال قصير مثل هذا ، انما نستطيع أن نبدأ بشيء مما يلي : -

١ ـ فرض دراسة اللغة على جميع طلاب الجامعة ، ولا عيب في هذا ، فجميع جامعات الولايات المتحدة تفرض دراسة اللغة الانجليزية لمدة سنة على الأقل على كل طالب .

٢ ـ توفير كوادر تدريس اللغة واحترامهم معنوياً ومادياً .

٣ ـ فرض منقحين لغويين على دور النشر ووسائل الاعلام ، والتشهير بالأخطاء كلما ظهرت . ولعل صحافتنا تتعلم من صحافة الغرب التي تقيم الدنيا وتقعدها لسوء استخدام بعض أجهزة الحكومة لعبارات معينة بقصد التمويه .

٤ ـ أن يحاول علماء اللغة التقريب بين الواقع والخيال ، فان كان عالم اللغة يرى مثلاً أن قول امريء القيس جميل حين أنشد :

مسح اذا ما السابحات على الونى
أثرن غباراً بالكديد الموكل

فهذا شأنه ، كما أنه من شأن أي عالم أن يعجب بالقديم في علمه . ولكنه لا يجوز لأي عالم أن يفرض على غيره حب هذا القديم . وكما أن عالم الانجليزية يحب اللاتينية التي هي أصل لغته ، الا أنه يستخدم الفاظاً انجليزية حديثة الكثير منها جرماني وفرنسي بل عربي . وكما نحتنا كلمة تلفاز من كلمة « تلفزيون » الفرنسية ، فقد نحت الفرنسيون كلمة اميرال من عبارة أمير البحر العربية » .

٥ ـ ان يحاول علماء اللغة خلق قاموس عربي عصري يتجدد كل عام أو عدة أعوام ، وتدخل فيه الكلمات الجديدة ، كما يفعل علماء اللغة في كل بلد يعتز بلغته ، فاللغة كائن حي يستخدمه الناس للتعامل اليومي لا للمبارازات البديعة . وكيف يستطيع انسان مثلاً أن يكتب لآخر خطاباً يصف فيه جهازاً اليكترونياً مثل الكمبيوتر دون أن يضع ٩٠٪ من الكلمات بين أقواس أو بالانجليزية ؟ ان انساناً لا يستطيع أن يشرح جل ما يتعلق بهذا الجهاز باللغة العربية ، لا لأنه لا يفهم العربية بل لأن علماء اللغة لا يفهمون الجهاز . وكما قال الجرجاني :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

القضية ليست مخططا لدفن العربية ، وانما هي جهل المعلم ، وحاجة للتعبير تتغير أمام لغة لم ينجب لنا أصحابها ، فهل يتحركون ! ؟ □

د. مصطفى ابراهيم شعبان

تأثير الموسيقى بين الوهم والحقيقة

بعد التطور المذهل في جراحة المخ والأعصاب ، عرف العلماء أن دماغ الانسان يحتوي على مادتين مخدرتين هما (اندروفين) و (انكوفالين) ، وهما : اقوى من المورفين بمئة مرة تقريبا ، وهذا ما تؤكده الدوائر الطبية في فرنسا واليابان والصين والاتحاد السوفييتي ، وهو ما كشفه تيرانيوس السويدي وسنديدر وج سيمون من امريكا ، وكان للفرنسي (باسي) والياباني (راكو) الفضل في استغلال هذه الناحية والاستفادة منها طبيا ، هذه حقيقة قديمة والفضل فيها ليس لعلماء جامعة اوهايو الأمريكية كما يذكر الدكتور نبيل سليم في مقالته (الموسيقا علاج طبي) المنشورة على صفحات مجلة العربي (العدد ٣١٠) . وأهم تطبيق لهذه الحقيقة هو المعالجة بالوخز (بالابر) ضد بعض الأمراض ، إذ يستخدم العلماء الوخز كمحرّض للدماغ لافراز الـ (اندروفين) والـ (انكوفالين) ويمكن التحريض بواسطة :

"Multiple Electoronic Aupuncto-scope"

كما يمكن الاستفادة من هذه الظاهرة ، وبواسطة

الوخز ايضا ، في معالجة الأمراض العصبية والنفسية وبعض الأمراض المستعصية مثل الأرق والصداع النصفي المسمى بالشقيقة واوجاع المفاصل وتشنج العضلات وتكلس فقرات الظهر والرقبة وبعض الاضطرابات الجنسية . وافاد هذا الاسلوب في علاج كثير من حالات الادمان الكحولي والنيكوتيني ، وكل هذا بالطبع لا يغني عن وسائل الطب المعروفة لكشف المرض وحالة المريض بمساعدة السماعة الطبية وجهاز الضغط والاشعة والمخابر ، أو العقاقير .

ومنذ توصل العلماء لهذه الحقائق بدأوا يبحثون عن بديل للوخز باعتباره مؤلما ، فاتجهوا الى التحريض عن طريق حركات رياضية معينة ، او عن طريق احداث اهتزازات متنوعة،ودراسة التغيرات التي ترافقها ، وهذه محاولة في سلسلة المحاولات التي يسعى اليها الطب للمعالجة بدون عقاقير وادوية،وتغيير الاسلوب الكلاسيكي القديم في الطب ، ومن الطبيعي ان يفتش بعض العلماء في الموسيقا لعلهم يجدون فيها ضالتهم ، وبحثهم في الموسيقا ليس لاجلها بل لانها اهتزازات منظمة،ويمكن التلاعب بذبذباتها لاحداث هذه التأثيرات .

اما ما يقرره الدكتور نبيل سليم من ان الموسيقا تؤثر على الجهاز العصبي فهو صحيح تماما الى هذا الحد ، أما أن الموسيقا تقضي على الالم فهو امر مبالغ فيه جدا ، بل ان المنطق العلمي والطبي لا يجيز بأي شكل من الاشكال تعميم مثل هذا الكلام ، فهو نسبي والى حدود لا تتجاوز ١٥٪ كما قرر العلماء اصحاب هذه النظريات انفسهم ، لا كما نقرر نحن هكذا دون دليل ، ثم نروح نقرر وبالاسلوب ذاته ان الاتجاه العلمي في استخدام الموسيقا يسعى العالم كله اليه الآن (انظر الى كلمة العالم كله) .

ان الـ ١٥٪ ممن يستجيب لنداء الموسيقا ايجابيا هم من فئة معينة من الناس لهم ميول وانفعالات نفسية خاصة ، بمعنى ان العامل الذاتي يلعب دوره ، فضلا عن ان الفضل فيما تم التوصل اليه من استجابات يعود الى الجهد الرياضي الذي بذلوه اثناء اخضاعهم لهذه التجربة وفي ظروف مناخية معينة . اما تجارب الدكتور (جيفري رودي) في جامعة اوهايو فلا تشكل الموسيقا فيها الا العامل المساعد وليس الرئيسي بشهادة الاخ كاتب المقال نفسه ، كما ان طرق الاستشفاء تقوم على اسلوب ممارسة نوع من التركيز والحصر الذهني الشعوري الشبيه بطرق التنويم المغناطيسي،مما يذكرنا بممارسات بعض فرق المتصوفة في غابر العصور والازمان . ومن نافلة القول ان اذكر هنا ان بعض (الرومانطيقيين) ممن يمجدون الالم فرحوا عند اكتشاف هذه العلاقة بين الألم والمتعة بعد معرفة عمل الاندروفينات هذه،فراحوا يروجون لآرائهم بقالب فلسفي ميلودرامي .

بناء الانسان

يقول الدكتور سليم « ان الموسيقا عنصر جوهري في البناء الروحي للانسان توقظ فيه الشعور بالمعاني الكبيرة ، المعاني السامية ، كالحق والخير والجمال ، وتحرك وجدانه » ثم يربط هذا بمقولة (شوستاكوفيتش) - وانا صراحة لا اعرفه من قبل - وكيف يخدم الفنان قضايا السلام والتقدم .

هذا كلام شخصي محض لأن عملية البناء الروحي للانسان تقوم على اسس اهمها شعوره بالانتماء لجماعة ، وما ينمي هذا الشعور لديه ليس الموسيقا وانما هو القيم والمعتقدات الاخلاقية التي يدين بها ، وتنظم علاقاته مع المجموعة التي يعيش فيها ، والمنطق العلمي - الطبي والاجتماعي - يؤكد هذا الكلام .

ان كثيرا من الفلاسفة واصحاب المذاهب الادبية سبقوا الدكتور سليم في رأيه فبعضهم قال بان الرقص يبني الانسان ، وبعضهم قال ان الرياضة والسباحة هي التي تبنيه ، في حين اصر آخرون على ان البناء الروحي للانسان يتم فوق السطح تحت اشعة الشمس المحرقة ، مع الانهماك بالتأمل وعمل الطلاسم ، وتعصب آخرون للشعر والأدب ، وفريق تحمس للعمل المنتج وجماعة مجّدوا الألم والدموع ، فلا مانع من ان يرى الدكتور سليم في الموسيقا بانية للروح ، وهو امر شخصي لا ننكره ، لكن الا ترون معي ان عملية بناء الانسان اعقد واكبر من ان يحلها موسيقى ، وعملية بناء السلام والحضارة اخطر من ان نوكل اعباؤ ها لعازف اكورديون او غيتار . □

محمد فتحي الحريري

● رسالة المغرب العربي ●

من رشيد خشانة

ندوة حول كتاب :

تكوين العقل العربي

■ المغرب : وتكوين العقل العربي .

■ الجزائر : تستعيد ذكرى ودور ابن باديس .

■ تونس : تناقش إلهامات رجالها في المعجم العربي .

المغرب :

نظم اتحاد كتاب المغرب ندوة حول كتاب الدكتور محمد عابد الجابري الجديد « تكوين العقل العربي » الذي يأتي بعد كتابيه السابقين « نحن والتراث » و « الخطاب العربي المعاصر » . وشارك في الندوة عبدالسلام بن عبدالعالي وسعيد بن سعيد وكمال عبداللطيف ومحمد عابد الجابري . أكدت مداخلات المناقشين للكتاب أن المؤلف لايقوم بتأريخ بارد لمكونات الثقافة العربية الاسلامية أو بمحاولة للتحريب المنهجي المحايد وانما هو يخطو خطوة هامة في افق التحرر مما هو ميت ومتخشب في كياننا العقلي وارثنا الثقافي . ويعتبر الجابري أن عصر التدوين هو الاطار المرجعي الذي يشد اليه جميع مناحي الثقافة العربية ، وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة الى يومنا هذا ، وهويقسم الفكر العربي الى ثلاثة أنظمة رئيسية هي : البيان والعرفان والبرهان . ونظام البيان هو الذي يجد أسسه الثقافية في اللغة والدين ، ويتجلى في حقول متعددة ، كالنحو والبلاغة والفقه وعلم الكلام ،وآلته المعرفية هي القياس ، ونظام العرفان أو مايسمى « باللامعقول العقلي » ويعود الى جذور قديمة اندمجت في الموروث الثقافي القديم ، وانصهرت في خليط من العقائد والديانات والفلسفات الباطنية ، ويتجلى - في الثقافة العربية - في التصوف والفكر الشيعي والفلسفة الاسماعيلية ، وفي السحر والطلاسم وعلم التنجيم ، وتقوم آليته المعرفية على الكشف والوصال والتجاذب . أما النظام الثالث ، نظام البرهان او المعقول العقلي فقد تأسس في حقل الفلسفة ، وشكل ارسطو مرتكزه المرجعي الاول ، ويتجلى هذا النظام في الكتابة المنطقية ، وفي الرياضيات والطبيعيات ، وتقوم آليته المعرفية على مبدأ الأستنتاج العقلي .

وركز الاستاذ كمال عبداللطيف في مداخلته على أن الجابرى حاول دراسة مادعاه بأزمة الأسس فسعى الى تشخيص الأزمة التي عرفها العقل العربي في حركته التكرارية المغلقة ،عن طريق تحليل الانظمة المعرفية المؤسسة للعقل العربي ، فبين أن الاصطدامات التي عرفتها هذه الانظمة (اصطدام البيان بالبرهان ، واصطدام البرهان بالكشف ، ثم أشكال الهدنة التي مورست في الثقافة العربية ، بين هذه الانظمة خلال

مراحل حركتها التكرارية) أدت الي خلل معرفي بارز في بنية العقل العربي ، يتجلي في غياب التقدم اذ يشكل تأريخ الثقافة العربية لحظة متموجة تكرارية ، لحظة تنكفيء داخل زمنيتها المغلقة باستعادة الأوليات والآليات القديمة ، من دون أن تشكك في أسسها أوتحاول كسر قوالبها .

ويستثني الجابري من هذه اللحظة التكرارية التجربة الثقافية الأندلسية المغربية التي تمكنت - في رأي الجابري - من فك الطوق وفتح امكانية التجاوز .

وركز الدكتور سعيد بن سعيد مداخلته على مسألة واحدة اتخذها نموذجا وهي موقف الجابري من الأشعرية ، فهو يعتبره موقفا متقدما ، لكنه يوميء الى أن نصوص الأشاعرة بل الفكر الاشعري لايكون قابلا للفهم الا بمقدار ما نبتعد به عن النظرة التصنيفية الثالثة التي تسعى الى تصنيف المفكر وتأطيره في نفس الخانة مرة واحدة والي الابد ، وتعجب د . بن سعيد كيف يتنصل الجابري بسرعة من الموقف الذي اتخذه بخصوص الأشعري عندما يعرض لفكر زعيم الاشاعرة وكبيرهم : الغزالى ، والحال أن الغزالى احوج منهم جميعا لهذا النوع من التأويل الذى يكون وحده قادرا على فهم شخصيته الغريبة « المتعددة » فلماذا كان الامر حلالا هناك وحراما هنا ؟

أما د . عبد السلام بن عبد العالى فشدد فى مداخلته التى تحمل عنوان « خلدونية جديدة » على أن الجابرى ينحو فى كتابه الجديد منحى ابن خلدون فى منهجه ويحاول مواصلة المشروع الخلدونى ومجاوزته : مواصلته أولا لأن المنهج الخلدونى ، تحرك في اتجاه تحرير العقل من اللاعقل ، وهذا مايرمي اليه كتاب تكوين العقل العربي ، الا انه حاول - في الوقت ذاته - دمج المشروع الرشدى (ابن رشد) مع المشروع الخلدوني ، والقيام بما قام به الأول ازاء ابن سينا والثانى ازاء اخوان الصفا ، ولكن هذه المرة ازاء الثقافة العربية بمجموعها ، وهنا تكمن محاولة تخطى ابن خلدون .

وتكلم الدكتور الجابرى فى الندوة ليعقب على المداخلات ، وكان أهم ما جاء فى كلمته أننا فى حاجة الى عقل نستطيع به ان نحقق ذواتنا ومشروعنا الحضارى ، ونعيد به بناء استقلالنا التاريخى ، فلا يمكن الفصل بين ما أكتبه - يقول الجابرى - وبين المشروع النهضوى العربى ، لذا يجب ان نطمح الى بناء هذا المشروع عن طريق العقل ، أما باللاعقل فغير ممكن ، فنحن إنما وقعنا فيما وقعنا فيه لاننا استسلمنا لهذا اللامعقول العقل : التصوف والطرقية وما ترتب عنهما من غنوصية وسواها .

كتاب جديد للروائى محمد شكرى :

اصدر الروائى المغربى المعروف محمد شكرى الذى اشتهر بروايته « الخبز الحافى » مجموعته القصصية الثانية بعنوان « الخيمة » وكانت مجموعته الاولى الصادرة عن دار الآداب عام ١٩٧٩ تحمل عنوان « مجنون الورد » تقع المجموعة الجديدة فى ١٣٢ صفحة من القطع الوسط ، وتضم ١٤ قصة قصيرة هى : الرجال المحظوظون - الأفواه الثلاثة - المستحيل - سيج العنكبوت - الليل والبحر - الجثة الغريبة - الفردوس الصغير - الزاحفون وقوفا - نعل النبى - الخيمة - ازرو - الارامل ١ - الارامل ٢ - عائشة .

الأيام والليالى لادريس الخورى

صدرت للقاص المغربى ادريس الخورى مجموعة قصصية جديدة بعنوان « الأيام والليالى » وتضم تسع قصص قصيرة تتركز حول هموم الانسان العربى . ومن اهم قصص المجموعة الوقوف فى الخنادق و « ألا تعرفون ؟ » و « انا أيضا » و « غسان » و « خطان غير متوازيين » و « أنا اتغير ولذا فأنا كما أنا » و « الأيام والليالى » الخ . .

ورأى النقاد فى هذه المجموعة عودة الى القصة الستينية من حيث التقنية الجمالية ، وان كان المؤلف أفاد من تقنيات الفيلم السينمائى ، وعابوا عليه اغراقه في المباشرة والسرد باستثناء القصة التى يحمل عنوانها عنوان المجموعة ، والتى نحس فيها ببحث جمالى مميز ، وبتناوله لقضايا انسانية وشمولية .

الجزائر :

مكتبة وطنية جديدة :

تم في يوم ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٥ وضع تصميم لمركز العاصمة الجزائرية الجديد ، في ضاحية « الحامة » ويضم ثلاثة مشروعات ضخمة ، أحداها مبنى المكتبة الوطنية .

وتضم الآن المكتبة الوطنية الجزائرية نحو مليون مجلد وأربعة آلاف مخطوط ، وتحددت مهمتها منذ الاستقلال بجمع التراث الوطني والمحافظة عليه ، وتمكين الباحثين والقراء من مصادر البحث والاطلاع ، الا ان قاعات المكتبة صارت تضيق اليوم بالرواد ، وذلك بسبب قدم المبنى الذي يعود انشاؤه الى فترة الاحتلال الفرنسي أيام كان فرعا للمكتبة الوطنية الفرنسية ، وقد فكر الجزائريون ـ أمام ضخامة مقتنيات المكتبة ، وتزايد عدد المرتادين ـ في توسيع المبنى الحالي ، لكن اتضح أن الكلفة ستكون عالية جدا ، فتقرر انشاء هذا المبنى الجديد .

كتاب عن الاحتلال الروماني للمغرب العربي :

في كتابه الجديد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال الاحتلال الروماني يحلل د . محمد بشير شنيتي استاذ التاريخ القديم بجامعة الجزائر اوضاع الامبرطورية الرومانية ، والحالة السياسية في المغرب العربي في القرن الثالث الميلادي ، وهي أوضاع اتسمت بصعود أسرة مغربية ـ ليبية الى عرش الامبراطورية ، مما تسبب في احداث تغيرات جوهرية تتمثل اساسا في سن دستور كاراكلا ، الذي أقر حق المواطنة الرومانية لكل أحرار الامبراطورية ، ولو نظريا على الاقل ، ثم تعرض المؤلف الى حملات سبتموس سفيروس ضد الفرس في الشرق .

في الفصل الاول من الكتاب الذي يحمل عنوان « الوضع الاقتصادي في المغرب الروماني : الزراعة والضرائب » يتعرض المؤلف الى وضعية الأراضي واحتلال المستوطنين الرومان لها وتشريد القبائل الأصلية ، وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان الوضعية الاجتماعية في المغرب الروماني : النسيج الاجتماعي ، يحلل القبائل وأصولها مثل النوميديين والجيتول والبقواط والبوار الخ . . . ثم يدرس علاقاتها بالجماعات الوافدة كالايطاليين والسوريين واليهود .

اما الفصل الثالث والأخير فقد وضعه د . شنيتي تحت عنوان « الاطار الديني للصراع الاجتماعي ـ السياسي » وتناول فيه بالبحث حركة التنصر ، مقارنا اياها بالمعتقدات الوثنية التي كانت سائدة قبلها ، ومحللا عوامل انتشار المسيحية في المغرب الروماني .

موقف الغرب من ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ :

ألقى الاستاذ مولود قاسم رئيس المجلس الأعلى للغة الوطنية بالجزائر محاضرة حول موقف الغرب من ثورة الجزائر في الأول من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤ ، بدأها بذكر ماجاء في الدستور الفرنسي من أن الجمهورية الفرنسية وحدة لاتتجزأ ، وأن الجزائر جزء من هذه الوحدة منذ أكثر من قرن ، ولذلك فان المساس بهذه القطعة من فرنسا يعد مساسا بفرنسا نفسها . ثم تطرق الأستاذ قاسم الى مواقف اليسار الكاثوليكي واعطي مثالا من موقف الكاتب فرنسوا مورياك الذي صرح بعد يومين من اندلاع الثورة المسلحة قائلا : ان الذين ينتظرون مني موقفا آخر غير تأييد الحكومة سيخيب أملهم ، لأنني لايمكن ان أصارع حكومتي التي تنطلق من نظرية قانونية موجودة أمامنا ، وهي أن الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا دستوريا .

اما الحزب الشيوعي فظل حتى ١٧ مايو ١٩٥٧ متمسكا بنظرية الوحدة الفرنسية التي تشمل الجزائر ، وهو امتداد للموقف الذي أعلنه الأمين العام للحزب موريس توريز في الجزائر سنة ١٩٣٩ والقائل بأنه ليس هناك شعب جزائري وإنما هناك خليط من عشرين جنسا يعيشون في صراع دائم .

واشار المحاضر الى أن جان بول سارتر وفرانسيس جونسون شكلاً نواة لتجمع المثقفين الذين تضامنوا

مع ثورة ١ تشرين الثاني (نوفمبر) . ثم استعرض مواقف معظم بلدان أوربا الغربية ، كألمانيا ، وبلجيكا ، والنمسا ، وسويسرا ، ودول الشمال ، وكانت المواقف الرسمية في هذه البلدان مناهضة للثورة الجزائرية في معظمها ، لكن موقف الاحزاب والشخصيات غير الرسمية كان ايجابيا .

تونس :

ندوة حول اللسانيات

نظمت الجمعية المعجمية العربية بتونس ندوة دامت ثلاثة أيام ، وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والاساتذة الجامعيين المتخصصين في علوم اللسانيات وكان موضوع الندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي .في الجلسة الاولى المخصصة لموضوع التراث المعجمي في تونس تكلم د . محمد رشاد الحمزاوى عن تفسير التحرير والتنوير الذى وضعه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور واسهامه في اثراء المعجم العربي ، وتكلم ابراهيم بن مراد عن المعجم العلمي العربي المتخصص في تونس حتى القرن الثامن هجرى ، وكانت الورقة الثالثة لرئيس اتحاد الكتاب محمد العروسى المطوى بعنوان « المصطلح الصوفى في مناقب أحمد بن عروس » . اما الجلسة الثانية فتكلم فيها د . محمد السويس عن التجربة التونسية في التعريب ، وتحدث محمد مواعدة عن دور مدرسة باردو الحربية في التعريب في القرن التاسع عشر ، وتكلم حبيب عونلل عن التعريب في الادارة التونسية .

وخصصت الجلسة الثالثة لمحور قضايا المصطلحات في تونس ، وقدم فيها على بن قائد ورقة عن دور المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في وضع المصطلحات ، فيما قدم د . عبد السلام المسدى ورقة عن « المصطلح اللسانى في تونس » وقدم عبد الحميد سلامة ورقة عن « دور التونسيين في اثراء معجم الرياضة البدنية » .

أما الجلسة الثالثة الأخيرة فتكلم فيها عبد اللطيف عبيد عن التأليف المعجمى في تونس في عهد الاستقلال ، وقام هادى بوحوش بدراسة « القاموس الجديد » الصادر سنة ١٩٧٩ . . وقدم د . احمد العايد « معطيات أساسية عن الرصيد اللغوى في تونس » .

ندوة الكتاب والقراءة في افريقيا :

في المركز الثقافي الدولي في مدينة الحمامات عقدت ندوة علمية خلال الاسبوع الاخير من شهر شباط (فبراير) أشرف على تنظيمها معهد الصحافة والاعلام ، وتناولت بالدرس أوضاع البحث العلمي والتكوين والتأهيل المهنى في ميدان الكتاب في البلدان الافريقية ، وكان شعار الندوة من أجل تكوين جامعي ومهنى للعاملين في قطاع الصناعات الثقافية نهوضا بالكتاب والقراءة .

وشارك في الندوة العديد من المنظمات والبلدان ، كما قدم الدكتور عبد القادر بن الشيخ المنسق العام للندوة ورقة تمهيدية جاء فيها : ان ارادة تعميم التعليم وارساء المؤسسات الأولية للنشر والطباعة والتوزيع يشكلان ـ في تفاعل مع تطور وسائل الاتصال الالكترونية ـ جملة من الوسائل التى يتحتم أن تستجيب لاهداف نمو متحرر من وطأة التبعية .

أما جلسات العمل العلمية فتركزت على بحث العلاقة بين المكتوب وأدوات الاتصال ، وواقع تدريس علم الكتاب في الجامعات العربية والافريقية ، وتقويم البحوث العربية والافريقية في هذا الميدان .

ولم تخلص اعمال الندوة في شكل توصيات كما جرت العادة ، وانما اعتمدت على تصور عام لمشاريع أولى صيغت في شكل محاور من بينها :ـ

* تكثيف العناية بالجوانب النظرية في ميدان نشر الكتاب .
* علاقة المكتوب (النصوص المخطوطة) بأدوات التوصيل .
* اجراء بحث مقارن موضوعه « الشباب وعلاقته بالمكتوب » .

ثم شكلت الندوة هيئة علمية مهمتها التنسيق لاعداد ندوة افريقية مماثلة بعد سنتين ، وذلك في اطار الجمعية العالمية للكتاب التى استقر مكتبها الاقليمي في تونس . □

أضواء من الفلسفة على :

الحب كمثل أعلى للانسان

للدكتور : توفيق الطويل

الحديث هنا عن الحب . المثل الاعلى للانسان فى تصور الفلاسفة :
عند أرسطو ـ عند نيتشه ـ عند الرواقية ـ فى المسيحية ـ فى الاسلام ـ فى أحلام الفلاسفة ـ فى المواثيق الانسانية . فهل يمكن أن تتحقق آمال البشرية فيه مع المستقبل القريب ؟

لا نقصد بالحب هنا ما كان مجرد ميل أو غريزة تربط بين قلبين ، برغم أن مثل هذا الحب يحتل فى قلوبنا مكانا مرموقا من التقدير والاحترام ، لكننا ننظر الى الحب فى هذا المقال فى محيط أوسع ، وبمعنى أعم وأشمل ، ذلك الذى يجمع بين قلوب يربطها هدف انسانى كريم ، يستتب فى ظله الامن ، ويستقر السلام ويقوم التعاون بين الناس بعضهم وبعض،أفرادا وجماعات وأمما فى كل زمان ومكان .

غاندى والامبراطورية البريطانية :

بالحب هزم المهاتما غاندى أعظم أمبراطورية عرفها التاريخ الحديث ، وهى الامبراطورية البريطانية التى كانت ـ عند استعمارها للهند ـ لا تغيب الشمس عن أملاكها ! وقد كفل لها أسطولها البحرى وامكاناتها الحربية ان تفرض سيادتها على الدنيا بأسرها ، فتصدى غاندى لمجابهتها ووراءه مئات الملايين من الهنود العزل من كل سلاح ، الا من الايمان بمبدئه فى « الاهمسا » أى « الكف عن الاذى » ، ومقاومة السيئة بالحسنى ، ومحاربة الحقد والظلم والكراهية بالحب الذى يملأ شعاب النفس ، ويدفع صاحبه الى الصيام والصلاة طلبا للمغفرة لمن أساء وبغى وظلم . .

والعالم كله لم ينس بعد كيف قاد غاندى مسيرات ضخمة مسالمة كانت تحتج على ظلم المستعمر البريطانى وبغيه ، وتعرضت احداها لهجوم البوليس الانجليزى الذى انهال على هؤلاء المسالمين ضربا وطعنا وتشتيتا فى غير رفق ولا رحمة ، وهم يحتملون الاذى صامتين ، لا يردون على العدوان حتى بهتاف عدائى . ونظر البوليس المعتدى فاذا برجل قمىء نحيل قد انتحى ركنا وراح يجهش بالبكاء والنحيب إشفاقا على أقرانه المعتدى عليهم ظلما وعدوانا . . وأدرك البوليس أنه غانـدي نبى الهنود كما كان يراه



مئات الملايين منهم ، فتوقف المعتدون وكأنما شلت أيديهم ، وخفوا إليه يستغفرونه من سوء ما فعلوا . .

وكان هذا حاله مع مختلف طوائف الهنود ، كلما نشب بين طائفتين منهم صراع سارع الى صلاته ، وأعلن الصيام حتى يتوقف الصراع ويسود الوفاق ، وان خشى المتصارعون على حياته أعلنوا أنهم تصافوا وتحابوا بعد كراهية !

بمثل هذا استقلت الهند المسالمة العزلاء تحت راية الحب والمسالمة عام ١٩٤٧ وخارت أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث أمام رجل أعزل من كل سلاح ، لم يستخدم ـ هو ولا أبناؤه ـ طوال سنوات الكفاح قنبلة ولا صاروخا ولا مدفعا ولا دبابة ولا غواصة ، ولا شىء مما يستعان به عادة فى الحروب من آلات الفتك والقتل والتدمير والتخريب . . ومن أسف أن ما يصلح فى شعب عميق الايمان بالحب قد لا يصلح عند شعوب أخرى تتعارض ظروفها مع ظروفه .

وكان غاندى لا يستريح حين يوصف جهاده بالمقاومة السلبية ، إذ كيف تكون سلبية وهى لا تتحقق إلا لمن وفق في مجاهدة ميوله وغرائزه ، وضبط دوافعه ونوازعه.، والسيطرة على أهوائه ونزواته ، وهذا هو الجهاد الاكبر كما قال المصطفى عليه صلوات الله وسلامه ، وهذا هو المعنى الذى فات الفيلسوف الالمانى فريدريك نيتشه ١٩٠٠ Nutgsche حين كان يخطط لظهور « السوبرمان » أو الانسان الاعلى ـ كما سنعرف بعد قليل .

ومن سخرية الاقدار أن يموت غاندى أمام الحب والمسالمة عام ١٩٤٨ قتيلا على يد مجرم أثيم من أهل دينه ، اغتاله من فرط ضيقه بسماحته ومسالمته لاصحاب الديانات الاخرى .

هذا هو الحب ، يطهر النفوس من الدنايا والضغائن والاحقاد ، ويصل بين الناس ما انقطع ، ويقيم بينهم التعاطف الوجدانى ويربطهم بالتعاون الذى يتكفل بتحقيق مصالحهم المشتركة ، وحسبه أن يكفل للعزل من السلاح أن يدحروا أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث ، فرضت سيادتها على الدنيا بأسرها . فلنتصور وطننا العربى وقد صفت نفوس أهله وتطهرت من الحقد والكراهية ، وتعاونت دوله على البر والتقوى ، ماذا تستطيع أمتنا العربية بسكانها المائة والخمسين مليونا تقريبا أن تحقق من أمجاد أجدادنا يوم دمروا الصليبيين ، وقهروا المغول ، ويوم كانوا أئمة الحضارة والفكر فى الدنيا بأسرها .

فى تصور الفلاسفة :

كان المثل الاعلى للانسان مثار اهتمام الفلاسفة من قديم الزمان ، وقد عرفت منه نماذج شتى ، نتخير منها ـ الى جانب من ذكرنا ـ أربعة نماذج ، أشار اليها « برترند راسل » ممثلة فى : أحسن الناس عند أرسطو ، والسوبرمان عند نيتشه ، والحكيم المتحكم فى انفعالاته بعقله عند فلاسفه الرواقية قديما ، وقد قيل انه كان ارهاصا بالقديس المسيحى فيما بعد .

فأحسن الناس عند أرسطو يتميز بالكبرياء والغطرسة واحتقار العجزة والاستخفاف بالضعفاء ، والترفع عن حب من كان دونه ، يقدم للناس المنافع ويستحى أن يتلقاها منهم ، ولا يبلغ هذه المكانة ـ

عند أرسطو - الا الملوك وأبناء الطبقة الارستقراطية . ومع أن أرسطو قد أطال فى بحث الصداقة ، فانه لم يشر بكلمة الى حب الانسانية ، أو تقديم الخدمات الى الاخرين . إنه كان يدرك آلام البشرية ولا يستثار بها ولا يشقى بسببها ، إلا متى كان ضحاياها من أصدقائه ، وهذا هو مكان الحب فى أنسانة الاعلى . !

وقد أحيا هذه الصورة وبالغ فيها حديثا فردريك نيتشه . فيما سماه بالسوبرمان أو الانسان الاعلى ، اذ أنه أعاد جدولة القيم الاخلاقية ، وانتهى الى أن العوائق التى تعوق هذا الانسان الاعلى هى تمجيدنا لقيم بالية يتمسك بها الدهماء وهم الكثرة الساحقة ، من مسالمة وحب وتعاطف ورحمه وحنان وحلم وصبر ودعه وطاعة وتواضع ومساواة وحرية . . . وغير هذا مما سماه بأخلاق العبيد . . « أما أخلاق السادة عنده التى يتخلق بها الانسان الاعلى المنتظر فهى فى رأيه أرادة القوة والقتال والبغى والظلم والعسف والقسوة والسيطرة على الضعفاء والسير على جثثهم » . . !!
وهكذا رد نيتشه الانسان الى شريعة الغابة . . . ولم يفطن الى أن التحكم فى النفس والسيطرة على نزواتها وضبط غرائزها ، وتطهير النفس من الحقد والكراهية ، وترويضها على الحب والحنان والتعاطف والرحمة والدعة . . . هى شجاعة لا يقوى عليها إلا صفوة الممتازين من الناس .

ويقول مؤرخو الفلسفة : ان أحسن الناس عند أرسطو ، والانسان الاعلى عند نيتشه كانا على تعارض ملحوظ عند الحكيم الرواقى الذى كان ارهاصا بالقديس المسيحى ، أن هذا الحكيم يعيش وفاقا للعقل ولا ينساق أمام عواطفه ووجداناته ، وهو يحتقر الاهواء والميول ، ويشعر بالانفعالات ولكنه لا يأذن لها - من فرط قدرته على ضبط نفسه - أن تتحكم فى سلوكه ، وهو لا يشعر بالحنان والتعاطف الوجدانى ولا يهزه موت الاصدقاء والاعزاء ، ولا يحس الما ولا حزنا ولا خوفا ولا ندما . . . وهكذا أنكر الرواقية الحب كعاطفة فى حياة الانسان . !

ومن هنا وبسبب ماديتهم التى لا تتمشى مع منطق الاديان بدا الحكيم الرواقى - فى رأينا - على خلاف مع القديس المسيحى ، برغم أن من آباء الكنيسة من أعجبه تمسكهم بالاخلاق ، فقال ان الفلسفة الرواقية كانت مدخلا الى المسيحية،فالقديس المسيحى بوداعته وحنانه وتعاطفه مع الآخرين تمثلت فيه أعلى صفات الحب فى المسيحية .

سطر جديد فى المسيحية،أبان المسيح عليه السلام فى عظمته للحواريين على الجبل معنى الحب حين أوضح لهم الجديد فى دينه الجديد فقال (فى الاصحاح الخامس وما بعده من انجيل متى فى العهد الجديد) :

« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن (يقصد ما ورد فى التوراه) وأما أنا فاقول لكم :لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايسر فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فاعطه ، ومن أراد أن يعترض سبيلك فلا ترده ، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فاقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين ، لانه ان أحببتم الذى يحبكم فأى أجر لكم ؟ اليس العشارون يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ اليس العشارون أيضا هكذا ؟ فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم فى السموات هو كامل » .

ويقول مؤرخو المسيحية ان خطبة المسيح للحواريين على الجبل قد ارتفعت بالمسيحية الى أعلى قمم شاهقة من الروحية ، وان الحب فيها قد بدا أعلى القيم وأسماها [1] . . فماذا كان الحال فى الاسلام ؟ .

فى الاسلام :

ان من أسماء الله الحسنى فى الاسلام : الودود - بمعنى المحب - وقد ورد فى آيات الكتاب وأحاديث النبى ما يدعو المؤمن الى تطهير قلبه من الحقد

(١) (العربى) يرى السيد المسيح أن « الله محبة »

والكراهية ، وبث الحب فى شعاب نفسه ، قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وفى الحديث النبوى : « أحب لاخيك ما تحب لنفسك » ـ ومثل هذا فى الاسلام أكثر من أن يحصى .

ولكن الاسلام يحذر المؤمن من أن يصبر على ضيم ، أو يستسلم لذل أو يستكين لظلم ، بل يأمره صراحة بأن يرد العدوان بمثله ، وإن كره الله أن يبدأ المسلم بعدوان . قال تعالى : « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . »

ومضى الصوفية فى طريق الحب الى أقصى آماده ، فجعلوا حب السالك غاية طريقهم ، ونهاية مطافهم ، ودعوا السالك الا ينطوى لغيره الا على الحب صافيا لكى تصفو نفسه ويرتفع عنها حجاب الحس .... الى آخر ما هو معروف عنهم .

وهكذا رفع الاسلام الانسان فوق بهيميته ، دون أن يقطع صلته بواقعه .

وفى أحلام الفلاسفة :

صور الفلاسفة أحلامهم فى « يوتوبيات » .. أى مجتمعات مثاليه تخيلوها محققه لسعادة أفرادها ، وكمال حياتهم ، دعوا فيها الى تطهير النفوس من الحقد والكراهية ، والنفور من الحروب وآفاتها ، وتوكيد قيم عليا تتمثل في منع الخوف والقلق والجوع الجهل والمرض .. وطلب الأمن والسلم واقرار الحرية والكرامة والعدالة ، وتوفير أسباب المعرفة ، ووسائل العيش الرخى ... وغير ذلك من قيم عليا يلتقى على طريقها الناس أفرادا وأمما فى كل زمان ومكان .

ووراء هذا كله توكيد للحب فى نفوس الناس بكل معانيه وأسراره .

وفى المواثيق الانسانية :

وضاقت الامم بالصراع الذى قد يهبط بها الى أدنى مراتب الوحشية والبهيمية ، هذا واقع تثقله عند الاقوياء آفات الجشع والعدوان والاضطهاد والاغتصاب ، وعند الضعفاء معاناة الظلم والبغى والذل والاستعباد ، يخفف من هذا الواقع الاليم نزوع الأمم كافة الى التخلص منه والتعالى عليه فى ظل قيم عليا تطلعت اليها بعد الحرب العالمية الاولى فى « عصبة الامم ، حين قبل الحلفاء مشروع ولسون (١٩١٩/٤/١٠) وكان يقضى باقامة التعاون بين الدول الاعضاء ، وكفالة السلام وتفادى الحروب وتوثيق العلاقات الشريفة بين الامم ، وكفالة العدل وابرام المعاهدات والوفاء بالتزاماتها ، وإزالة العوائق الاقتصادية مع توقى الامراض وضمان المواصلات وتحديد التسليح ، وتسوية المشاكل سلميا ... وهى قيم تتطلب طاقات روحية لا تخفى .

ومن أسف أن الحلفاء قد نسوا كل هذه المبادىء عند عقد المدنة التى أعقبت الحرب « واقتسموا الغنائم كما تقتسم الوحوش الضارية فريستهم فى الغابة .. !

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية وقع الحلفاء على ميثاق هيئة الامم المتحده (٤٥/٦/٢٥) وقوامه اقرار السلام وتوكيد الحرية واحترام حقوق الأمم ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، وكفالة كرامة الفرد وحقوقه السياسية ، مع توخي التسامح ، وكفالة الامن الدولى ، والعمل على ترقية الشئون الاقتصاديه والاجتماعية لكافة الشعوب حتى يستتب الأمن وينتفى العدوان وتنمو علاقات الود بين الامم على أساس من المساواة فى الحقوق والتعاون تحقيقا للرخاء الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ... الى آخر هذه القيم الانسانية التى لا تستقيم بغير طاقاتها الخلقية الروحية ، وتستهدف جميعها توكيد الحب بكل معانيه وأسراره .

وخيبة الرجاء في تحقيق هذه المواثيق الى اليوم لا ينفى القول بأنها تستهدف التخلص من واقع اليم ، وتؤكد الحب مثلا أعلى يدين به الناس ، أفرادا وجماعات وأمما فى كل زمان ومكان ، والامل كبير فى أن تتقدم البشرية نحو تحقيقه فى المستقبل رويدا رويدا □

العربي
عيونك
على العالم

جزيرة الحب المنهكة



لابكي ايتونيا » مدينة مصغرة تتجاوز مساحتها ألف متر مربع بنيت على الطراز القبرصي القديم في قلب العاصمة نيقوسيا





شمس قبرص الحارة ، وبحرها الأزرق الممتد حتى الأفق ، وأجساد المصطافين تتناثر بغير انتظام فوق رمال الشاطيء الناعمة الساخنة ، مستسلمين بخشوع لوهج الشمس الحارة ، كأنهم يمارسون طقس عبادة خاصا بهم للشمس باعثة الدفء في اوصال الجزيرة . وعن بعد تتسلق التلال المحيطة مجموعة صغيرة من المباني الحديثة الفخمة ، التي غطت اجزاء منها المظلات الملونة المنتصبة فوق الأجساد . وعلى مقربة من هذا المشهد اصطفت في ميناء المدينة الصغير قوارب الصيد الصغيرة ، التي اسلمت نفسها لحركة المياه الخفيفة ، بانتظار البحارة القدماء ، للذهاب في رحلة صيد بحرية نحو الأفق القريب البعيد .

انها قرية ايانابا القبرصية الساحلية ، الواقعة على نقطة في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة ، التي تشبه في شكلها مصباح الزيت القديم ، الذي تتحدث اساطيرنا عنه وعن حارسه ذي القدرة الخارقة .

مصائب قوم

لقد اخترنا ان تكون زيارتنا الأولى لأيانابا من بين كل المدن والقرى القبرصية ، لأنها احدث المتجعات البحرية في الجزيرة . وقد تنظر الى خارطة للجزيرة وضعت قبل خمس او ست سنوات فلا تجدها ، لكنها اليوم واحدة من اكثر القرى الساحلية شعبية ، وخصوصا لدى السائحين القادمين من البلدان الاسكندنافية ، الذين احبوا القرية التي اشتهرت من قبل بديرها العتيق ، ومصائد الأسماك على مدى سنين طويلة . ثم جاء التدخل التركي في الجزيرة عام ١٩٧٤ فهجر سكان فاماغوستا مدينتهم التي تقع الى الشمال منها ، وكانت حتى ذلك الوقت اشهر موانيء الجزيرة ، وتوزعوا على المدن القبرصية الأخرى ، وانبعثت الحياة في عدة قرى مجاورة ، وكان لأيانابا النصيب الأكبر من إرث المدينة المنكوبة .

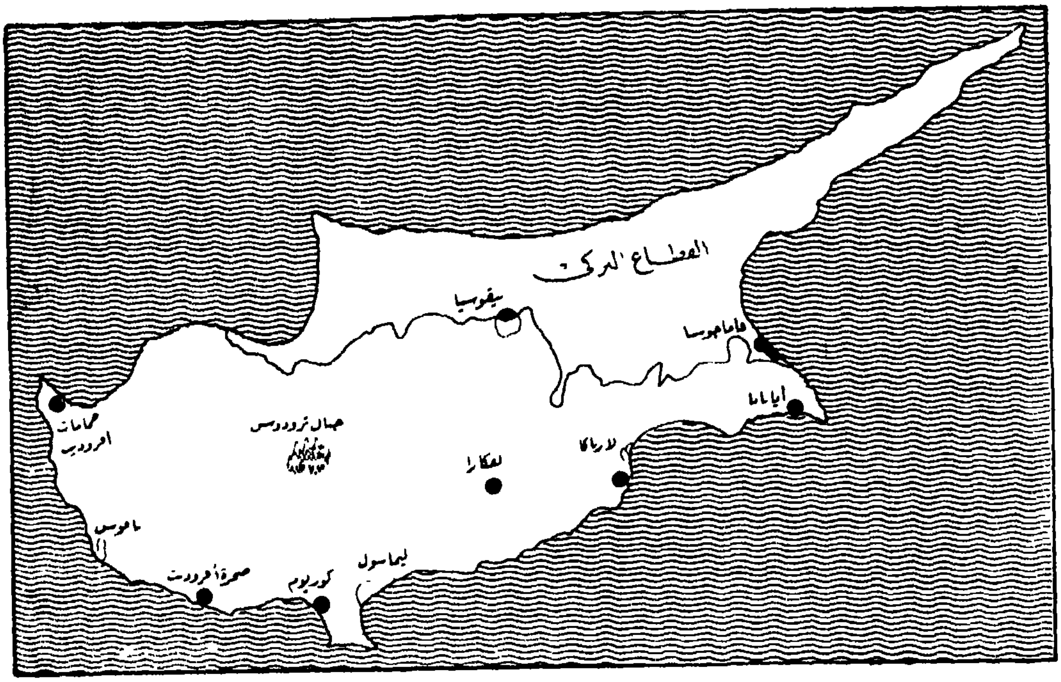
خلال الايام التالية لاقامتنا في الجزيرة زرنا المتجعات الساحلية الأخرى،لارناكا ، ليماسول ، وبافوس كان المشهد التشكيلي واحدا في الجوهر ، مع اختلافات طفيفة في التفاصيل . ففي لارناكا يكبر المشهد البحري ليستوعب اشجار النخيل التي امتدت على طول شارع البلاجات الرئيسي في المدينة ، وامتدت رقعة الرمال ، وانتشرت الفنادق الفخمة التي استوعبتها المدينة الكبيرة بحركتها الدائبة ، وامتدادها العمراني ، في محاولة لاحتواء التوسع الذي تشهده .

والميناء وحوض السفن تراهما هنا ايضا في لارناكا ، وهناك في ليماسول التي يعرفها العرب جيدا ، لكنها اكبر حجما ومساحة واكثر ازدحاما ، فقد امتلأ الميناءان القبرصيان ـ الى جانب السياح والمصطافين الأوربيين ـ بعشرات الآلاف من العرب الذين جاءوا لأسباب متعددة ، تتراوح بين الهروب من جحيم الحرب الاهلية اللبنانية ، والسياحة والاصطياف في شهور الصيف القائظة في بلادهم ، وبين الاستثمار العقاري الذي يكاد ان يتركز في ليماسول ، ذلك الميناء التاريخي العريق الذي كاد ان يتحول الى مدينة عربية لكثرة اعداد السائحين والمستثمرين والمقيمين من العرب هناك ، لذا فليس من المستغرب ان تفاجئك في اثناء سيرك في شوارع المدينة قطع اعلانية باللغة العربية تعلن عن وجود شقق للبيع او للايجار ، او يعترضك اعلان عن وجود مطاعم تقدم اشهى المأكولات العربية او اللبنانية وغيرها . وقد تفاجأ بان صاحب المطعم او من يقدم لك الطعام مصري او سوري او لبناني مثلا .

لقد اصبحت اللغة العربية واحدة من المكونات الأساسية لفسيفساء الناس والتاريخ في قبرص عموما ، وفي ليماسول بوجه خاص .

مدينة أفروديت :

في مدينة بافوس ، الواقعة في اقصى نقطة غربي الجزيرة يختلف المشهد قليلا ، فهي مزيج من بساطة ايانابا وهدوئها ، وزحمة مشاريع الاستثمار العقاري والسياحي التي بدأت تأخذ من العاصمة القديمة لقبرص شيئا من عفويتها وبساطتها . فعلى الطريق بين بافوس القديمة وبافوس الجديدة اللتين ترتبطان بخطوط متصلة من البيوت التي امتدت مع الشوارع بدأت ترتفع الفنادق الفخمة ، وبعضها فروع لسلاسل الفنادق العالمية المعروفة ، وبعضها الآخر فيلات سكنية يمتلك جزءا منها بعض الموسرين العرب والخليجيين منهم على وجه الخصوص .



جزيرة قبرص وفي الشمال تبدو نيقوسيا آخر المدن المقسمة

لكن شيئا واحدا لم يتغير في بافوس منذ زمن الأسطورة الشهيرة التي اعطت الجزيرة اسمها . انه الشاطىء الصخري الذي يفترض انه شهد خروج افروديت من زبد البحر ، لتكون الهة للجمال والحب والخصب كما تقول اساطير الاغريق ، وكما أنشد هوميروس منذ اكثر من الفي عام . ولقرون عديدة ظلت تلك البقعة الصخرية الموحشة مزارا للقادمين من جميع انحاء العالم ، لرؤية صخرة افروديت الواقعة على الطريق بين ليماسول وبافوس . ينزل الزائرون من حافلاتهم وسياراتهم ويتجهون نحو الشاطىء الصخري ، ويخوضون في الماء الافروديتي ثم يعودون تاركين الصخر والموج في عراك ابدي ، في تلك المنطقة الموحشة من الشاطىء ، الذي لم تمتد اليه يد التغيير منذ انبثاق الاسطورة .

لا يختلف مرفأ بافوس كثيرا عن مرفأي ليماسول ولارناكا ، وربما كان هناك وجه شبه آخر بينه وبين مرفأ وشاطىء ايانابا ، فالاثنان يخضعان لعملية بناء جديدة تشير الى اهمية قادمة ، وعلى المستوى التشكيلي هنالك قلعة بافوس الشهيرة التي تحرس المرفأ بأبعادها المتناسقة وتضفي على المشهد البحري شيئا من عبق التاريخ .

يقول التاريخ إن هذه القلعة بنيت في عهد احمد باشا ، حاكم قبرص التركي عام ١٥٩٢م « لتكون حصنا حصينا » كما تقول الكتابة المحفورة على الحجر الابيض فوق بوابة القلعة ، وانها بنيت فوق قلعة دمرها البندقيون قبل ان تقع في ايدي الأتراك الذين احتلوا الجزيرة عام ١٥٧١ ، وقبل ذلك كان البيزنطيون قد بنوا قلعة في المكان نفسه لكنها دمرت بفعل الهجمات العربية على الجزيرة .

وهكذا ، فخلف هذا الشموخ المتناسق لقلعة هدمت واعيد بناؤها اكثر من مرة تكمن ذكريات التاريخ المريرة لجزيرة انهكها تعاقب الغزاة والمحتلين عبر تاريخ يمتد عميقا حتى العصر الحجري .

هذا العذاب وتلك الوداعة :

لقد كان للموقع الاستراتيجي الذي تحتله جزيرة قبرص في الركن الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط دور كبير في كل هذا العذاب الذي شهدته الجزيرة ، فهي حلقة الوصل بين القارات الثلاث للعالم القديم ، ومنذ فجر التاريخ ، ايام مجد الفراعنة المصريين عرفت الجزيرة الاحتلال لاول مرة عام

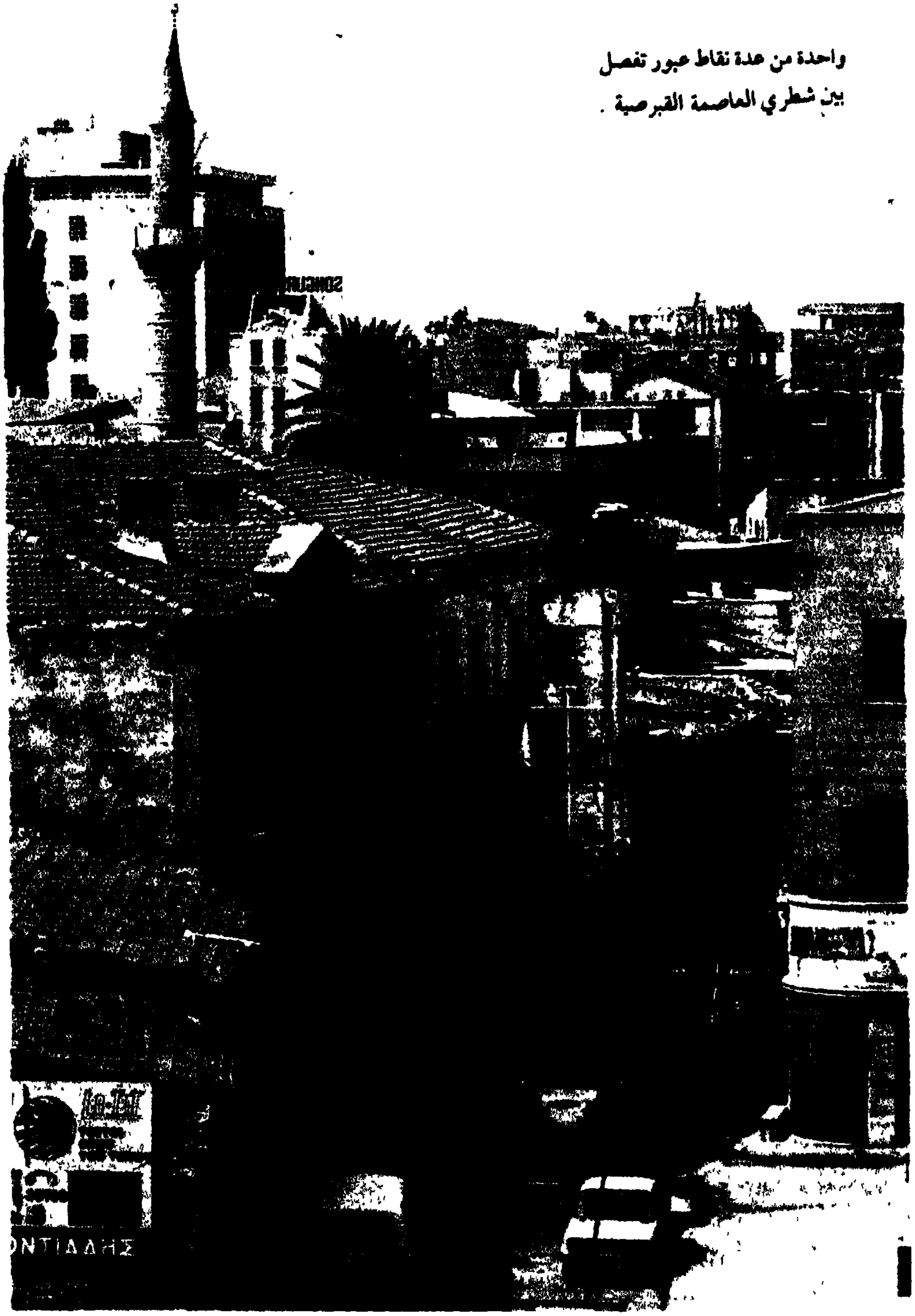


سائحة جاءت من أقصى الشمال لزيارة المكان الذي ولدت فيه أفروديت

على صهوة الحمار القبرصي الشهير، في الطريق من أيانابا الى لارناكا .



واحدة من عدة نقاط عبور تفصل
بين شطري العاصمة القبرصية .



١٤٥٠ ق . م ومنذ ذلك التاريخ ظلت محطة للغزاة العابرين والمقيمين ، فقد احتلها بعد ذلك الآشوريون والفرس والبطالسة والبيزنطيون والرومان ، والملك الانكليزي ريتشارد قلب الأسد الذي باعها مقابل ١٠٠ ألف جنيه لفرسان المعبد الصليبيين ، ثم عاد فمنحها للمغامر الفرنسي لوزينيان احد فرسان المعبد . بعد ذلك جاء البندقيون ثم الأتراك فالانكليز الذين واصلوا احتلالها حتى الاستقلال عام ١٩٦٠ ، وبعد ١٤ عاما جاء التدخل التركي ليقسم الجزيرة الى قسمين ، تركي وآخر قبرصي يوناني ، ولتصبح العاصمة نيقوسيا مدينة مقسمة في منطقة مضطربة ومجتمع دولي لا حيلة له .

ومع ذلك ، فإن الوداعة والبساطة التي يتميز بها سكان الجزيرة لا تخفى على الزائر بأي حال ، يبدو ذلك من خلال حرارة الاستقبال وعفوية التعامل مع عشرات الجنسيات التي تغص الجزيرة بمواطنيها طوال العام ، كما يبدو من خلال تقبل المواطنين للزوار واستسلامهم لأجهزة التصوير التي تتدخل في خصوصياتهم وتقتحم عليهم منازلهم ، حتى في القرى النائية التي يفترض انها بعيدة عن الاحتكاك السياحي الذي تعرفه المدن الكبيرة

فوق صهوة حمار قبرصي

في الطريق من ايابابا الى لارساكا يراودك شعور بانك قد سلكت هذا الطريق من قبل ، وأنك دخلت القرى وشاهدت أهلها . فالشبه بينها وبين القرى والطرق الجبلية في فلسطين ولبنان وسوريا اوضح من ان تخفيه اللغة المختلفة التي يستخدمها اهل الجزيرة .

وعلى جانبي الطريق تبدو بين حين وآخر مجموعة من الأشباح تنحني فوق التربة الحمراء الممتدة على مرمى البصر ، انهم الفلاحون والفلاحات يلتقطون محصول البطاطا الذي تشتهر بزراعته هذه المنطقة من الجزيرة ، وتلوح في الأفق قطعان من الماشية منقادة امام كلب يمتثل لأوامر سيده الكهل الذي امتطى صهوة حماره القبرصي الشهير .

ولأن الحمار القبرصي احد المعالم المهمة للجزيرة ، فقد وقفنا لالتقاط صورة للمشهد الجميل الطريف ، فامتثل الراعي وامتثل الكلب والحمار والأغنام . التقطنا الصور بعد همهمات صامتة ، وبعض الاشارات مع الراعي الكهل ، ثم غادرناه وهو يكبح جماح الكلب المتحفز ، ملوحا بعصاه الغليظة التي امسكها من الوسط فيجري الكلب دائرا حول الاغنام التي انقادت طائعة في الاتجاه المحدد ، فوقفنا عن بعد نرقب حركة المشهد الذي يحمل اكثر من ايحاء !

وتساءلنا عن مصير الحمار القبرصي الشهير فجاء الجواب بانا غير محظوظين ، لأن هذا ليس موسم نقل الملح من بحيرة لارناكا المالحة الذي يتم اساسا على ظهور الحمير القوية التي يتجمع منها عدد كبير ، وشيء من الفخر قال لنا السائق المرافق انه منذ قرون عديدة وحتى الان لم تظهر وسيلة لنقل الملح افضل من الحمار القبرصي ، ولكن ـ يضيف محدثنا ـ لم يبق من هذه الثروة « الحيوانية » سوى القليل ، مما اوصل سعر الحمار الى ٥٠٠ باوند قبرصي ، وهو مبلغ كبير نسبيا ، وبشيء باهمية لايستهان بها الحيوان لم ينصفه التاريخ الا في قبرص ، حيث لا تزال القصص تروي عن حادثة وقعت هناك ايام حرب التحرير بطلها الحمار القبرصي نفسه ، ففي احدى مراحل القتال بين الانكليز والثوار تم التوصل لوقف اطلاق النار ، فاراد الانكليز ان يغتنموا الفرصة للقضاء على الثورة فأطلقوا الطائرات ترمي على المدن منشورات تطالب الثوار بالاستسلام ، فما كان من هؤلاء الا ان اطلقوا حمارا يجوب شوارع العاصمة وحيدا متحديا منع التجول وعلى ظهره لوحة كتبت عليها عبارة « ابي استسلم » .

الفلسطيني الأول في قبرص :

فيما عدا الشاطيء الذهبي الذي لم تكن الحركة فيه قد وصلت الى ذروتها هنالك ثلاثة معالم سياحية اخرى يتوجه اليها زوار لارناكا ، مسجد هالا سلطان ، والبحيرة المالحة وكنيسة العازر . وترتبط احدى الاساطير الدينية بين البحيرة المالحة والعازر الذي اقامه السيد المسيح من الموت ، فهرب من فلسطين الى قبرص خوفا من اليهود ، لأنه ظل شاهدا على معجزات المسيح . تقول الاسطورة ان العازر الذي كان سائرا في يوم قائظ الحر توجه نحو أحد الأكواخ ، وطلب من عجوز كانت تعيش فيه شيئا من العنب



جورج أيوانو وعائلته من قبارصة فلسطين ولد في معان بالاردن وعاش طفولته في القدس قبل أن يغادر الى قبرص

لاطفاء ظمئه ، ولكنها كذبت عليه بقولها ان كرم العنب لديها جف دون ان ينتج عنبا ، فقال العازر غاضبا « لانك كذبت علي ، فان كرمك سيجف ويتحول الى بحيرة مالحة » وهكذا كان . ولاثبات هذه الاسطورة يجول حتى اليوم راهب بصحبة غلام على منازل الفلاحين لتلاوة القصة عليهم مستشهدا على صدقها ببعض جذور العنب الجافة التي يصادف وجودها في البحيرة الجافة احيانا ، وبالمقابل يعطي الفلاحون الراهب والغلام البيض ، فيدعوان لهم بحق القديس العازر ان يحفظهم الله ويحفظ مزروعاتهم .

واليوم تقف كنيسة القديس العازر في مدينة لارناكا فوق قبره لتخلد ذكرى قدوم اول فلسطيني الى لارناكا هربا من اليهود ، وذلك قبل نحو الفي عام من قدوم فلسطينيين الى الجزيرة هربا من صهاينة اليهود الذين انشأوا دولتهم على ارض الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ، وقبل ان تنزل بها القوات الفلسطينية الخارجة من حصار بيروت عام ١٩٨٢ بعتادها واسلحتها وشموخها ، وقبل ان ينزل بها آلاف اللبنانيين الذين غادروا بلادهم امام الغزو الصهيوني لها في العام نفسه .

في مسجد هالا سلطان تمتزج الأسطورة بالحقيقة ، فهذا المسجد قائم فوق قبر ام حرام التي كانت ترافق جيش المسلمين ، الذين غزوا المدينة عام ٦٤٧ م ، فسقطت عن بغلتها وماتت هناك . وفي عام ١٧٦٠ قام حارس المنطقة التركي الشيخ حسن ببناء ضريح لها ، وفي ١٨١٦م قام سيد امين افندي حاكم قبرص التركي ببناء المسجد على طراز التكايا ، ذات التصميم التركي الذي يذكر المشاهد بالتكية السليمانية في دمشق ، والتكايا التركية الأخرى المنتشرة في البلدان التي وقعت تحت الاحتلال التركي .

وقد تضاربت الآراء حول ام حرام التي قيل انها عمة الرسول الكريم محمد (ﷺ) لكن الدكتور يونس مهران ، استاذ التاريخ الاسلامي في القاهرة يقول بأنها « ام حرام ، عمة انس بن مالك الصحابي الجليل التي كانت موضع احترام النبي هي وابن



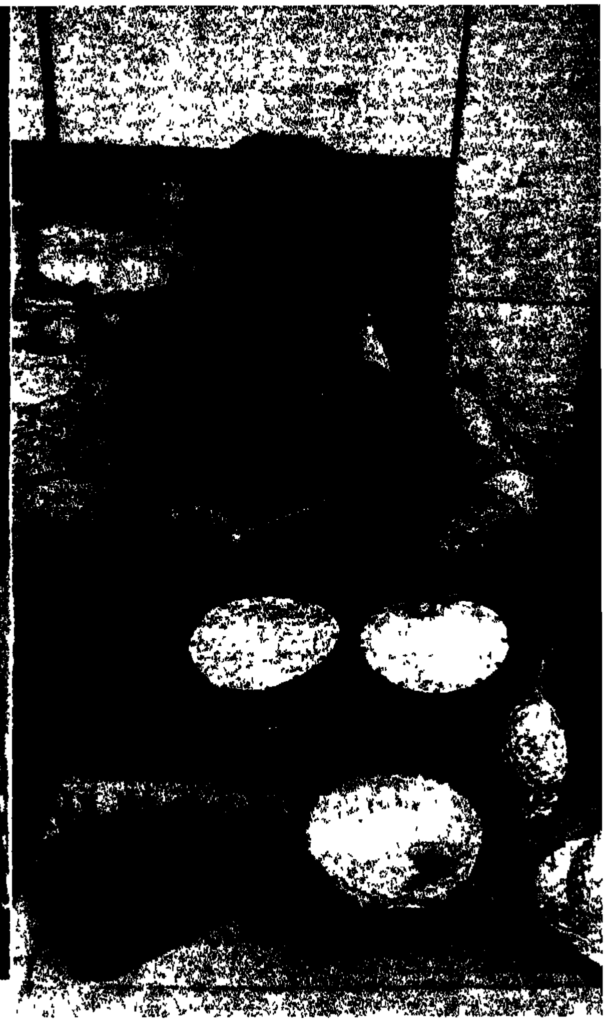


▲

نساء قبرصيات من مختلف الأعمار يشتركن في تطريز قطعة قماشية كبيرة في قرية (لفكارا) الشهيرة بأعمال التطريز والأعمال اليدوية الأخرى

□□

فتاتان من (فلسطيني قبرص) المهاجرين من المنطقة التركية تصنعان الخزف في مركز الفلكلور في نيقوسيا



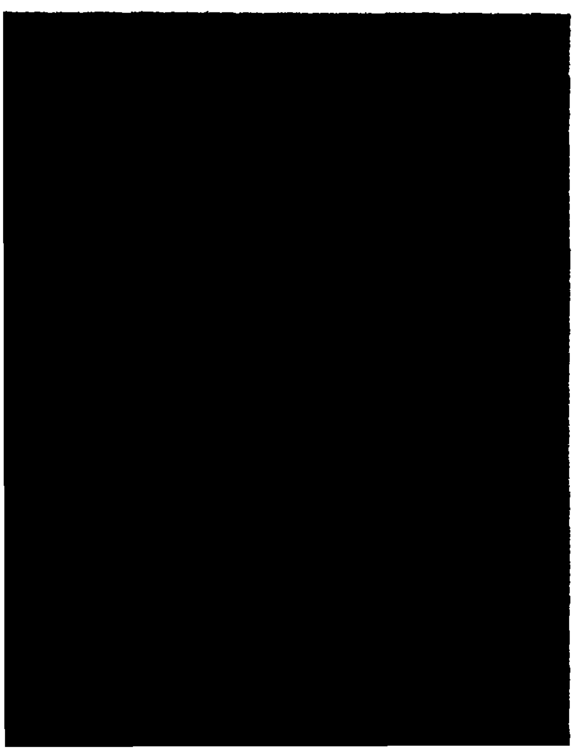
يد خبيرة في عرض الشارع



كنيسة القديس العازر أول فلسطيني في قبرص



مسجد هالا سلطان يتوسط غابة من نخيل في لارنكا



أشكال فسيفسائية في بافوس ، ويشاهد رمز الصليب المعقوف الناري بجانب نجمة داود الصهيونية ، لقد كانا معا منذ القدم !

اخيها ، وانه ربما من اجل ذلك جاء الخلط حول هويتها » .

وتقول بعض الأساطير ان الحجرين اللذين يغطيان الضريح قد طارا من مكة ، وانتظرا معلقين في الهواء قرونا طويلة قبل استخدامها في بناء الضريح . وبالطبع فان نسج الأساطير حول احداث التاريخ في جزيرة الأساطير امر متوقع ، لكن ما هو غير متوقع بقاء من يؤمن بمثل هذه الأساطير والخرافات حتى يومنا هذا وفي جزيرة تحسب جغرافيا ضمن قارة العلم والتقدم ، اوروبا .

في المجال الاغريقي :

من ليماسول الى بافوس ، من وسط الساحل الجنوبي لقبرص حتى اقصى الساحل الشرقي منها ، يدخل الزائر ما يمكن تسميته بالمجال الاغريقي .

لاشيء يميز مدينة ليماسول عن غيرها سوى حجم الجالية العربية من لبنانيين هاربين من حربهم الى بعض السائحين من منطقة الخليج اساسا ، الى مستثمرين وتجار ووسطاء عقاريين نقلوا نشاطهم ومراكزهم التجارية من لبنان وغيرها الى قبرص . لذا « فالصوت العربي » مسموع ومألوف في تلك المدينة ، التي كان للملك ريتشارد قلب الأسد فيها من الوقت ما جعله يتوقف ليتزوج في قلعتها من خطيبته بارينغاريا ، في أثناء رحلة عودته مهزوما على يد صلاح الدين الأيوبي .

في الطريق من ليماسول التي اقيمت فوق مدينة قديمة تدعى اماثوس الى بافوس وقرية بوليس تقوم عدة مناطق اثرية رومانية ويونانية وصليبية . تعكس شيئا من التاريخ المتنوع للجزيرة ، فمن قلعة كولوسي التي بناها فرسان المعبد الصليبيون ، والتي تذكرنا بقلاع كثيرة تركها هؤلاء الغزاة في بلادنا ، الى مدينة كوريوم حيث المدرج الصغير المطل على السهول الخضراء المحاذية للبحر ، وأرضيات ما تبقى من منازل مزينة برسوم فسيفسائية ملونة ، نكتشف عند وصولنا الى بافوس انها مجرد عينات صغيرة لتلك القطع الفنية الكثيرة ، التي لا يزال قسم كبير منها سليماً في بافوس . ومن فوق المدرج القديم الذي ترد له الحياة في الصيف حين تقدم الفرق المسرحية اعمالها عليه ، ننظر نحو الأفق فتتراءى لنا طائرات ليست كالطائرات ، انهم هواة الطيران الشراعي الذين ينطلقون بأشرعتهم الملونة من تلك الهضبة العالية المحاذية للبحر ، ليمارسوا هواية مثيرة وخطيرة مخففين العبء على الارض مزاحمين الطير في السماء .

هم في الفضاء ، ونحن على الأرض نتحرك في المجال الاغريقي نحو معبد ابولو ، الذي لم يبق منه سوى حلبة المصارعة التي شهدت صورا من عنف الانسان ووحشيته في عصر الرومان . وفي احدى الزوايا قبعت جرة كبيرة الحجم ، كانت تستخدم لحفظ الزيت الذي كان المصارعون يستخدمونه في دهن اجسادهم عند التدريب . وعلى بعد امتار قليلة من تلك الحلبة يقوم الحمام الروماني الذي لا غنى عنه بعد كل هذا العنف . ومن المفارقة ان هذه الساحة الرهيبة كانت تستخدم في ايام السلم لفض الخصومات والمنازعات بين الناس وفي سبتمبر من كل عام كانت الاحتفالات تقام فيها ابتهاجاً بمولد ابولو ، اله الشمس .

نغادر المنطقة متجهين الى بافوس فتلوح لنا عن بعد قلعة كولوسي مرة اخرى ، مطلة على المشهد الأخضر والى جوارها شجر الزيتون العجوز وبناء متهدم قيل أنه كان فيما مضى مصنعاً للملح ، فعرفنا شيئا عن قبرص الصناعية في العصر الوسيط ، قبل ان نصل الى مكان يسمى « تل المصنع » في بافوس ، لنشاهد كهوفا ضخمة محفورة في الصخر ، قيل انها سميت بتل المصنع ، للاعتقاد بوجود مصنع للقطن في تلك المنطقة في أزمان الصناعة القبرصية الغابرة .

قصور الأغنياء ومقابر الملوك :

بين صخرة افروديت في الطريق من ليماسول الى بافوس وحمامات افروديت التي تقع على بعد ٣١ ميلا الى الشمال الشرقي منها تقع العاصمة القديمة للجزيرة بافوس ، هنا ايضا ، كما في مدن قبرص الأخرى ، الشاطىء الرملي تفترشه مجموعات من الاجساد البرونزية ، التي جاءت لتصطلي بوهج الشمس التي لا تراها كثيرا في بلادها ، وكنائس ومعابد اغريقية ورومانية ، ومساجد غادرها المصلون المسلمون نحو الشمال الذي اعلن من جانب واحد

جمهورية قبرصية تركية منفصلة واشياء مشابهة شاهدنا مثلها في كل المدن القبرصية التي زرناها ، لكن لدى بافوس ما تختلف به عن مدن الجزيرة الأخرى : انها اعمال الموزاييك الملون الذي يغطي ارضيات المنازل الرومانية بالأساطير الاغريقية ، وقبور الملوك الغريبة . تلك المدن المحفورة في باطن الصخر وتحت الأرض لاستقبال جثث الموتى في توابيتها الحجرية المنضدة .

وعلى اي حال فلم تكن تلك قبورا للملوك بل قبورا لبعض الأغنياء اتخذها المسيحيون الأوائل ملاذا للهرب من الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه آنذاك ، وقد سميت بقبور الملوك لفخامة بنائها وضخامتها . وستمع الى الشرح وشرد بأذهاننا نحو بعض عواصمنا ، حيث يلجأ المسلمون الفقراء الحاليون نحو بعض المقابر ، هربا من قسوة الحياة خارج المقابر .

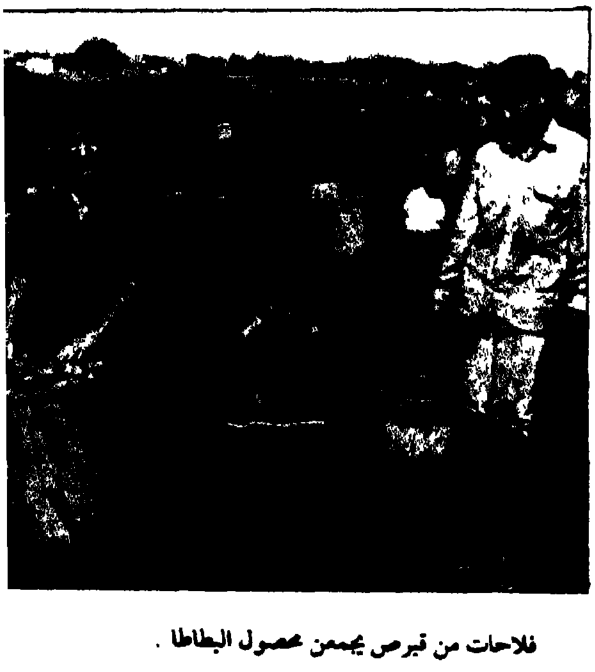
نجمة داود والصليب المعقوف :

وان كان لجثث اغنياء ذلك الزمان قبورهم الفخمة فقد كانت لهم في حياتهم بيوتهم الواسعة المترفة التي تغطي ارضيات غرفها رسوم فسيفسائية ، تمثل اساطير الاغريق ورموزهم وآلهتهم . وفي الموقع الذي اطلق عليه اسم بيت ديونيروس تمتد فوق مساحة الأرضية تصويرات ملونة لتلك الآلهة والقصص والأساطير ، وعند الوصول الى غرفة الرموز التي تغطي ارضية احدى الغرف يدهشك الفن التشكيلي لبعض الرموز التي استكان كل منها في مساحته الخاصة به ، وتقع عيناك على احد اوائل الاعمال التشكيلية لمكعبات ذات ابعاد ثلاثة ، وعلى مقربة منها يفاجئك شكلان تعرفهما جيدا . وتتساءل عن سر وجودهما معا منذ ذلك الزمن السحيق ، انها نجمة داود ، الرمز اليهودي والصهيوني المعروف ، وعلى مقربة منه شكل مقلوب للصليب المعقوف الذي كان شعارا للنازية ، التي اذاقت العالم ويلات الحرب والدمار منذ اكثر من اربعين عاما تحت شعار تفوق العرق الآري والعداء للسامية ورمزها نجمة داود . وبدلا من التساؤل عن كيفية وجود شعار النازية الى جانب النجمة الصهيونية قبل ظهور الفكرتين النازية والصهيونية باكثر من الفي عام ، قلت لنفسي بصوت مسموع ، لقد كانا على الدوام رمزين لمسمى واحد اسمه الدمار ، وحاولت مرافقتنا ان تستوضح ما أقول ، فأحست بأن ذلك أمر لا يفهمه الا عربي

ونزل القرية غريب :

في صباح مبكر كنا في بلدة (لفكارا) التي تقع على بعد ٣٧ ميلا جنوبي العاصمة نيقوسيا في الطريق الى ليماسول . الأزقة القديمة الضيقة للقرية التي لم تستيقظ بعد ، تذكرك بقرية جبلية سورية او فلسطينية او لبنانية ، وكما هو الحال في معظم مدن وقرى الجزيرة ، تقف الكنيسة مقابل المسجد الذي لم يعد يرتاده احد منذ الحرب ، عام ١٩٧٤ ، حين غادرت الأقلية التركية المسلمة البلدة الى الشمال

بعد الساعة التاسعة بقليل بدأت بوابات المنازل والحوانيت تفتح على مصراعيها امام الزوار والسياح القادمين لشراء اغطية المناضد والشراشف المطرزة التي تشتهر بها القرية الحلية . تفتح العجائز الأبواب وتتركها مشرعة امام العابرين الذين لا يترددون في الدخول الى فناء المنزل ، الذي احتلطت فوق ارضيته الزهور بالاعمال اليدوية للمصبات من ادوات واوان



فلاحات من قبرص يجمعن محصول البطاطا .



أياناپا   بحر ومصطافون وفنادق جديدة



بائعة وقبعة



بائع خضار في أياناپا يحاول أن يحمل ثلاث بطيخات بيد واحدة



ميناء ليماسول وصيادون يرعون شباكهم   مشهد يتكرر في جميع موانىء قبرص



قبور الملوك في بافوس ، اختبأ بها المسيحيون الاوائل ودفن فيها الأغنياء .

وتحف وقطع تزينية ، بالقطع القماشية المطرزة بأسلوب لفكارا المميز والمعروف في انحاء مختلفة من العالم . وتجلس النساء من مختلف الاعمار في الازقة الضيقة امام منازلهن يطرزن القطع القماشية في جو يشي بألفة ومودة لم تنسه قرى الجزيرة المعذبة .

وتمثل قرية لفكارا نموذجا فريدا من بين قرى الجزيرة ، فمنازلها ورش عمل حقيقية لسكانها الذين يقومون فيها باعمالهم اليدوية ، ثم يعرضونها للسياح الذين يمر ثلاثة آلاف منهم بالقرية كل يوم ، يطوفون بالمنازل والحوانيت للفرجة او للشراء . وفي احد الأصباح من عام ١٤٨١ نزل القرية زائر غريب واشترى قطعا من مطرزات لفكارا وعاد الى وطنه ليضع القطعة في كاتدرائية ميلانو الشهيرة في ايطاليا ، اذ لم يكن هذا الزائر الغريب سوى ليوناردو دافنشي ، فنان عصر النهضة الايطالي .

الحرب والجمال :

يمتد موسم الجزيرة السياحي فترة طويلة بكل المقاييس ، فشمس الجزيرة الحارة تصبح محتملة لدى السياح الاوروبيين القادمين من الشمال البارد منذ مارس ، حيث يبدأ الموسم ولا ينتهي قبل نوفمبر من كل عام ، وعندها تتحول افواج السائحين نحو جبال ترودوس التي تقع اعلى قممها على ارتفاع ٥٥٠٠قدم فوق سطح البحر ، ومنذ يناير وحتى اواسط ابريل يبدأ المتزلجون على الثلج بممارسة هواياتهم في تلك المنطقة الجبلية ذات الطبيعة الساحرة ، ويختلط اللون الابيض للثلوج بثلاث قباب بيضاء تتربع فوق واحدة من اعلى قمم المنطقة ، انه المرصد البريطاني الذي يشرف على المنطقة العربية بأسرها بما في ذلك جزء من منطقة الخليج،وهو احدى ثلاث قواعد بريطانية في الجزيرة . وفي الاسفل يمارس المتزلجون او المصطافون في اشهر الصيف الأخرى هواياتهم المفضلة ببراءة لا تتناسب مع مهمة المرصد المتربع فوق قمة الجبل .

في الطريق من نيقوسيا الى ترودوس يراودك مرة اخرى ذلك الشعور الغريب بألفة المكان والفة الطبيعة المحيطة بجانبي الطريق ، وتبدأ الذاكرة باستحضار صور الطبيعة والأمكنة الشبيهة بها بشكل مدهش في لبنان وفلسطين وسوريا .

ومن خلال مذياع السيارة تأتي اصوات مذيعي محطات الارسال التي أقامتها الميلشيات والقوى اللبنانية المختلفة في الجبال الشبيهة على الجانب الشرقي من البحر . وتحاول ان تكتشف العلاقة بين جمال الطبيعة الجبلية وبين دوي المدافع وازيز الرصاص ، فقد كانت جبال ترودوس ايام حرب الاستقلال القبرصية مسرحا لمعارك شرسة بين قوات الاحتلال البريطاني ، وبين الثوار الذين اتخذوا من الجبال الوعرة والغابات الكثيفة مراكز لهم لشن حرب الاستقلال . ولكن وجه الشبه يأبى ان ينطبق هنا ايضا ، فالفرق كبير بين حروب التحرير والحروب الأهلية .

آخر المدن المقسمة :

لم يبق الا نيقوسيا ـ العاصمة ـ آخر المدن المقسمة في عالم لا يبالي . شوارع حديثة طويلة بين صفوف لا تنتهي من البوتيكات والمحلات التجارية ومقاهي الرصيف ، ليس بها وطأة المدينة الضخمة ، بل بها مسحة المدينة الشرقية ، بيروت ، وربما دمشق او بلدة فلسطينية اخرى ، لكن بيروت تبقى اكثر المدن شبها بها ، ويتعزز هذا الشعور عندما تمضي باتجاه المدينة القديمة (ليدرا) فتصطدم بأحد الحواجز التي تفصل بين شطري المدينة القبرصي والتركي فتتداعى في ذهنك على الفور اسماء كل الحواجز اللبنانية التي سمعت بها في نشرات الاخبار طوال احدى عشرة سنة هي عمر الحرب الأهلية في لبنان .

بعد أن أنهكت الغزوات المتكررة مدن قبرص الساحلية ، اختيرت نيقوسيا الواقعة في وسط الجزيرة تقريبا لتكون عاصمة للبلاد ، وقد مكنها وقوعها بين الجبال من تطوير نفسها بعيدا عن الغزوات في زمن الغزو ، فوصلتها يد الحرب عام ١٩٧٤ ، وقسمت في زمن الأمم المتحدة والدعوة لاحترام استقلال الشعوب،واصبحت لها نقاط عبور خاصة بها يأتي اليها القبارصة الاتراك ، الذين يعيشون في الجزء الشمالي الذي بقي تحت السيطرة التركية منذ عام ١٩٧٤ للقاء ابنائهم واقاربهم الذين فضلوا البقاء في مدنهم وقراهم مع القبارصة اليونانيين في الجنوب . تماما كما ظل الفلسطينيون يعملون عند بوابة مندلبوم التي كانت تصل القدس العربية بالجزء المحتل منها بين ١٩٤٨

و١٩٦٧ حين سقطت البوابة والقدس وما تبقى من الأرض الفلسطينية في ايدي الصهاينة .

لابحر في نيقوسيا ، بل مواقع اثرية تتركز في المدينة القديمة ذات الجدران الضخمة والبوابات الثلاث القديمة الكبيرة ، وفي عدد من الكنائس والمساجد ربما كان اكثرها لفتا للنظر ذلك المسجد في الجانب التركي من المدينة الذي كان كنيسة بنيت على طراز كنيسة نوتردام الشهيرة في باريس مع تغييرات طفيفة ، وفي العهد التركي تحولت الكنيسة الى مسجد واقيمت عليها مئذنتان ، فغدت عن بعد مشهدا غريبا يعكس تعددية المدينة وأزمتها وطابعها الشائي وتاريخها المتنوع .

فلسطينيو قبرص وقبارصة فلسطين :

قبل ان تصل نيقوسيا قادما من لارناكا تلفت نظرك تلك المجمعات السكنية بأبنيتها الصغيرة المتشابهة ، وتعرف انها للاجئين القبارصة النازحين من القسم الشمالي من الجزيرة ، وتتذكر على الفور حالات اللجوء الأخرى من فلسطين الى لبنان ومنهما الى قبرص ، التي استطاعت بالرغم من كل شيء استيعاب مهاجرين آخرين اليها اضافة الى مهاجريها الأصليين ، فأصبحت الجزيرة المنهكة آخر المهاجر العربية ، وأصبح الوجود العربي هناك احدى الحقائق الكثيرة في الجزيرة . فهناك التجار والمستثمرون والمواطنون والمؤسسات الصحفية والسياحية والمكاتب العقارية للشركات التي وجدت في قبرص بديلا عن بيروت الدمار .

لكن العلاقة بين العرب والقبارصة ليست علاقة جديدة ، بل هي اقدم مما نتصور بكثير،تعود الى اوائل سنوات الحكم الاموي ومنذ ذلك التاريخ كانت الجزيرة هدفا لغزوات عربية عديدة او محطة لغزوات اخرين في طريقهم الى المنطقة العربية ، وفي ايام الاحتلال التركي للبلاد العربية حدثت حالات زواج كثيرة بين عرب وقبرصيات مسلمات للحصول على اعفاء من قانون الجندية التركي الذي كان يعفي المتزوجين من اجنبيات ، وهكذا وجد الفلسطينيون منهم انفسهم يغادرون الى قبرص عند احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ مع عدد من الفلسطينيين العرب ، وآخرين من اصول قبرصية او يونانية كانوا يعيشون في فلسطين ، واندمج اكثرهم في التركيبة الاجتماعية القبرصية قبل ان تصل الأجيال التالية من المهاجرين الذين لا يزالون يتدفقون على الجزيرة .

كما اخذ الحضور العربي شكلا آخر تمثل في عدد كبير من القبارصة الذين ولدوا في مصر ، وعاشوا فيها ثم غادروها الى قبرص في اواسط الخمسينيات مع عدد من اليونانيين والايطاليين والفرنسيين الذين كانوا يحتلون مراكز اقتصادية مهمة حتى ذلك التاريخ . لذا فليس غريبا ان تجد من يتحدث اليك بالعربية اينما كنت في قبرص .

أما القبارصة الذين توزعوا بين شطري الجزيرة نتيجة لتطورات سياسية فرضت عليهم فلا زالوا يأملون بحل قريب لوضعهم الشاذ ، بل ان هناك بعض المدن المختلفة التي لا يزال فيها القبارصة اليونانيون والاتراك يعيشون جنبا الى جنب تعبيرا عن رفضهم لهذا الوضع وتمردهم عليه فهناك قرية بيلا في الطريق بين اياناما ولارناكا حيث يعيش ٧٠٠ قبرصي يوناني و٣٠٠ من القبارصة الأتراك في سلام تام . والى هذه المدينة يأتي الأصدقاء القبارصة الأتراك واليونانيون للالتقاء بعيدا عن تعقيدات السياسة القبرصية .

وقبل ان نغادر الجزيرة عائدين سمعنا عن قرية اخرى يتعايش فيها الطرفان تدعى بوتاميا تقع على بعد ١٣ ميلا من العاصمة نيقوسيا ، وهناك جلسنا مع الطرفين على مقهى واستمعنا الى نعيم حميد عميد الجالية التركية في تلك القرية المسالمة يتحدث بلغة انكليزية سليمة عن أخوة القبارصة الاتراك واليونانيين ، وضرورة ضرب المثل بامكانية التعايش . وقبل ان نغادر القرية قال نعيم حميد ان له رجاء خاصاً من أشقائه العرب المسلمين ، فمسجد القرية هناك بحاجة الى بعض السجاد ، وأنه يود لو تبرع بعض الأغنياء العرب به لفرشه في أرضية المسجد ، فوعدته بذكر ذلك في مادة الاستطلاع .

وقبل أن نركب السيارة عائدين الى نيقوسيا تقدم الينا شاب وسأل بلغة عربية تشوبها لكنة تركية مميزة :

ـ انتم عرب ؟ تفضلوا فأنا اعرف العربية .

لكننا اعتذرنا لضيق الوقت وغادرنا ، وفي ذهننا أسئلة عن الحرب والسلام ومصير البسطاء في جزيرة الحب المنهكة . □

ثورة التاميل

برميل البارود المتفجر في سيريلانكا

استطلاع : سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر



من وراء أكياس الرمال تقف قوات الحكومة بأسلحتها في مواجهة عنيفة مع التاميل


يتلقى
لتدخل جوفه
وشفتاه

مشكلة الأقليات في العالم .. مشكلة متفجرة .. سواء كانت في أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستنت .. أوفي اسبانيا بين أبناء الباسك والوطن الاسباني .. أو في الهند بين السيخ والاكثرية الهندوكية .. في كل مكان في العالم نجد هذه المشكلة . وفي الآونه الأخيرة ظهرت المشكلة في سيريلانكا بين التاميل والأغلبية السنهالية .

ما قصة هذا الخلاف الجديد وما هي جذوره

« العربي » تأخذك الى هناك كي تروى لك القصة من أولها .

وانفجر برميل البارود .. وتحولت الجنة الضائعة الى جحيم .. حدث هذا في نهاية شهر يوليو .. قبل عامين بالضبط .. ولم يكن أحد يتوقع ما حدث .. أو على الأقل لم تكن الصورة قد بلغت حد السوء بعد ، ولكن فجأة .. تحولت جمهورية سيريلانكا (ومعناها الجزيرة المتألقة وهي جنة الجزر في المحيط الهندي الواقعة الى الجنوب الشرقي من الهند) الى جحيم مندلع الأوار . ولم تعد هناك قيمة للحياة بعد .. القتلى والجرحى بالمئات ، والنار تشتعل في كل مكان ، والدم كأنه السيل يتدفق ليطيح أمامه بكل معاني الحياة .. وتحول كل شيء الى خراب ..

كانت الشرارة الأولى قد اندلعت في منتصف ليلة ٢٣ يوليو ١٩٨٣ ، ولم تكن سيارة الجيب ومن خلفها العربة العسكرية المصفحة تدري أن هناك من ينتظرها وراء أحد الجدران القائمة على الطريق في المعسكر القريب من مدينة « تينفلي » في اقليم « جافنا » ، المركز الرئيسي للتاميل . ولكن أفراد المجموعة المسلحة من المتطرفين الهندوس من « جماعة النمور » ـ أحد فروع جبهة تحرير التاميل ـ كانوا يدركون أنهم قد أعلنوا حرب التحرير ضد الحكومة في سيريلانكا .. وضد السنهاليين ، أصحاب الأغلبية الرئيسية بالذات . ووقع الهجوم ، وارتفع صخب الانفجارات ، وسقط أول قتيلين من ركاب الجيب العسكريين وسط الطريق . وبدأ بقية الجنود يطلقون نيران رشاشاتهم ويلقون القنابل اليدوية على المهاجمين . وتزايد عدد القتلى في بضع دقائق لتكون أول الحصيلة ١٣ قتيلا من العسكريين ... بينما لم يعرف عدد القتلى من المهاجمين .

وحاولت السلطات احتواء الحادث ، وقررت دفن القتلى في ستة قبور بالعاصمة كولومبو في منتصف الليل . ولكن الخبر كان قد انتشر وذاع ، وبلغ أسماع السنهاليين الذين تجمعوا خارج أبواب المعبد البوذي في كاناتا . واحتوى الجنون الجميع ، وفي محاولة لتهدئة الموقف أمر قائد العسكر جنوده فحملوا الجثث الى داخل معسكر في « باناجودا » ، وزحفت الجموع حلفهم . وفي طريقها بدأت تشن الهجوم على كل من تجده من طائفة التاميل ، وتكتسح مراكزهم ، وتحطم محلاتهم ، وتحرق بيوتهم . وراحوا يقذفون كل ما يجدونه في المحلات والبيوت الى عرض الطريق ويشعلون فيه النار .. وانطلقوا يقذفون بالحجارة ويطعنون بالسكاكين كل من يقف في وجههم من التاميل .

حتى في السجن :

انتشر الهياج واستمر أياما ، وبلغت أخبار ما حدث الى المساجين السنهاليين في سجن « وليكادا »

في كولومبو ، فاندفعوا يهاجمون الحراس ورجال الأمن ، ويفتحون الزنازين على زملائهم المساجين التاميل ويقتلونهم شر قتلة . . وفي خلال وقت قصير كان عدد القتلى التاميل في السجن ٣٧ قتيلا من بين ٧٣ سجينا . وازداد الهيجان وامتد اللهيب الى كل مكان في قرى ومدن سيريلانكا التي يوجد بها التاميل . وكان هدف المهاجمين دائما هو البيوت والمحلات والمصانع . وبعد أسبوع من هذه الثورة الضارية التي قضت على الأخضر واليابس وجرت معها الدماء أنهارا ، بدأت الحكومة تتدخل لحماية التاميل ، وأقامت المخيمات لايواء المشردين واهائمين على وجوههم من الاطفال والنساء والعجزة

كانت حصيلة المعارك في البيانات الرسمية ٣٨٥ قتيلا ، بينما كانت الأرقام غير الرسمية تؤكد أنها تجاوزت ألف قتيل . وبلغ عدد من تشردوا وفقدوا المأوى أكثر من مائة ألف . وبلغ عدد الدكاكين التي دمرت والمصانع التي أحرقت أكثر من ألف وخمسمائة .

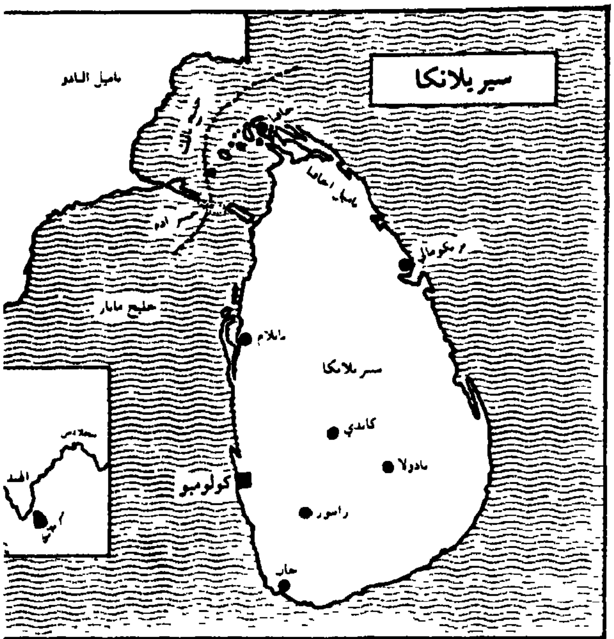
على أن الأضرار لم تلحق بالتاميل وحدهم . فان العمال من السنهاليين الذين كانوا يعملون في هذه المحلات والمصانع قد فقدوا موارد رزقهم . وأذاع وزير المالية نداء الى البنوك لطلب مد يد المساعدة والعون ، بعد أن أعلن أن الخسائر المادية قد تجاوزت أربعة بلايين من الروبيات (١٦٥ مليون دولار أمريكي) . ولم يكن الضرر مقصورا على الأفراد ، بل تعداهم الى الاقتصاد الحكومي والى خطة التنمية التي كان لابد أن تتوقف بعد ان انهار الاقتصاد الوطني . .

تلك هي تفاصيل الشرارة الأولى التي أدت الى انفجار برميل البارود بين التاميل والسنهاليين . .

ولكن . . من هم التاميل . . . ومن هم السنهاليون ؟

هؤلاء هم التاميل :

لقد عرفنا كل شيء حين كنا نلاحق الأحداث بعد انطفاء جذوة النار التي كانت لا تزال تشتعل تحت الرماد ، بعد أن هدأت الأمور قليلا لتنفجر من جديد . . وبين العاصمة كولومبو ومدينة جافنا ـ



خريطة سيريلانكا حيث تقع الجزيرة شرق الهند . وتبدو مناطق التاميل في الشمال تواجهها مناطق تاميل النادو في شبه الجزيرة

المركز الرئيسي للتاميل في شمال الجزيرة ـ تنقلنا لنشهد بعض الحقيقة ، ونتابع سر الأزمة ، وما وراء البرميل الذي انفجر . .

يشكل التاميل حوالي ١٩ في المائة ـ اي حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ـ من سكان سيريلانكا البالغ عددهم حوالي ١٥,٥ مليون نسمة . وحوالي الثلثين من هؤلاء التاميل ـ وهم من يعرفون « بالجافنا تاميل » ـ تمتد جذورهم الى أرض الجزيرة منذ حوالي الفي سنة . أما الباقون ـ وهم حوالي ٦٪ من السكان ـ فهم من الهنود التاميل الذين وفدوا من جنوبي الهند ـ الوطن الأسيوي الأم ـ خلال القرون الأخيرة . . وكل هؤلاء لايفصلهم عن « تاميل النادو » في الجنوب الشرقي للهند الا ممر مائي هو مضيق بالك . . يبلغ عرضه حوالي ٤٠ كيلومترا .

على أن تاميل الجافنا يعتبرون أنفسهم أعلى منزلة من التاميل الوافدين . . ليس فقط لارتباطهم بالجذور الأصيلة لأرض سيريلانكا . . ولكن أيضا لمقدار التفاوت الاجتماعي والثقافي والحضاري

فبينها لغة التاميل ، والعقيدة الهندوكية ، والتقاليد المتوارثة ، والعلامات المميزة هي السائدة بين هاتين الفئتين . . نجد أن تاميل الجافنا المحوريين بجدورهم داخل الأرض . . . يستندون في التفاخر أيضا الى أنهم من نسل المقاتلين الأوائل من ملوك الباندايا والشولا والالافا الذين جاءوا غزاة من الجنوب الهندي ، واستمر حكمهم في القرنين الثاني والثالث الميلادي

وعلى العكس من دلك ، فقد وصل التاميل الهنود الى سيريلانكا كعمال أجراء ، للعمل في مزارع البن والشاي الانجليزية ، حيث صحب وصول الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر ، بداية استقدام موجة جديدة من المزارعين الهنود . . والأغلبية من هؤلاء مازالوا يعملون في مناطق زراعة وصناعة الشاي على سفوح التلال في سيريلانكا . ولا شك أن هؤلاء قد جاءوا من المناطق الأكثر فقرا والطوائف الدنيا في جنوب الهند . لهذا يعتبرون أدنى ثقافيا واجتماعيا وسياسيا بالنسبة لاخوانهم المقيمين القدامى الأعمق انتسابا للأرض

وحتى بالنسبة للأنشطة العقائدية ، فان العقيدة الهندوكية التي عايشها التاميل الهنود هي بشكل عام أكثر تأصلا في أعماقهم وعاداتهم . وبينهم هؤلاء الذين يمارسون أعمال السير فوق النار ، والذين يمارسون أشد أنواع التعذيب للنفس كعقوبة تكفير عن الذنوب .

وتاميل الجافنا ينظرون الى التاميل الهنود على أنهم قد فقدوا حتى نقاوتهم كجنس ، وذلك بالتزاوج بينهم وبين الطوائف الأخرى ويبدو ذلك أكثر وضوحا بالنسبة لفئة منهم ما يزال التزاوج قائما بينهم وبين المسلمين السيريلانكيين . والذي يبلغ تعدادهم حوالي المليون .

وبين تاميل الجافنا فئات صارمة تبالغ في التحجر والانغلاق . وأشد هؤلاء صرامة هم النباتيون من البرهميين المنتسبين الى الرهبان البراهمة الذين يعتبرون أنفسهم أكثر التاميل نقاوة وسموا .

ويأتي بعد هؤلاء . . « الميللالا » طبقة الفلاحين المترمتين ، ثم الحرفيون وخصوصا الذين يعملون في صناعة المشغولات الذهبية ، ثم الحدادون والنجارون . فلكل من هؤلاء الحق في دخول المعابد الهندوسية لتقديم القرابين والتعبد للآلهة . . بينما الفئات الأخرى من التاميل الوافدين بما فيهم الصيادون والنساجون والحلاقون وقارعو الطبول ، لا يجرءون على الجلوس بمستوى الطوائف الأعلى ، ولا على تناول الطعام على نفس المائدة مع التاميل الأكثر سموا .

والسنهاليون :

ولكن ماذا عن السنهاليين ؟

تعتبر الطائفة السنهالية نفسها الأسبق في الجزيرة ، وأنهم ينحدرون من الاصول السكانية في سيريلانكا . ويحدثنا أحد الدارسين من البوذيين-كان يصحبنا في جولتنا ونحن على أبواب المعبد البوذي الرئيسي في كولومبو-فيقول .

لا تظنوا أنها أسطورة ، حتى لو كانت بعيدة عن التصديق بالنسبة لكم ، فقد تناسل السنهاليون من أسد عظيم اسمه « سنها » مازال دمه (لي) يجري في عروق أبنائه وأحفاده

ويبدأ تاريخ السنهاليين وفق التسلسل الرسمي بوصول الأمير « فيجايا » قادما من شمال الهند . وهو حفيد الأسد المقدس الهندي تؤكد الموروثات الشعبية أن أباه الملك « سنهاباهو » قد ولدته لبؤة . وبرن فيجايا في المنطقة التي تسمى الآن « مانار » ، وأطلق على الأرض التي نزل فيها اسم « تامبا باني » نسبة الى تربتها النحاسية الحمراء . وقد اتفق توقيت وصوله مع اللحظة التي كان بودا المستنير يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة على الأرض قبل أن يصعد الى « النيرفانا »*.

ويقول « الماها فامسا » الكتاب البوذي المقدس أن

---

* النيرفانا مرحلة من السمو تعتبرها الكتب البوذية اتحاد الفرد بالله ومقوماتها السبعة عند بوذا هي : السيطرة على النفس ، والوصول الى الحقيقة ، والنشاط ، والهدوء ، والغبطة ، والتركيز ، وعلو النفس وهو أسمى ما يمكن أن يصل اليه الانسان

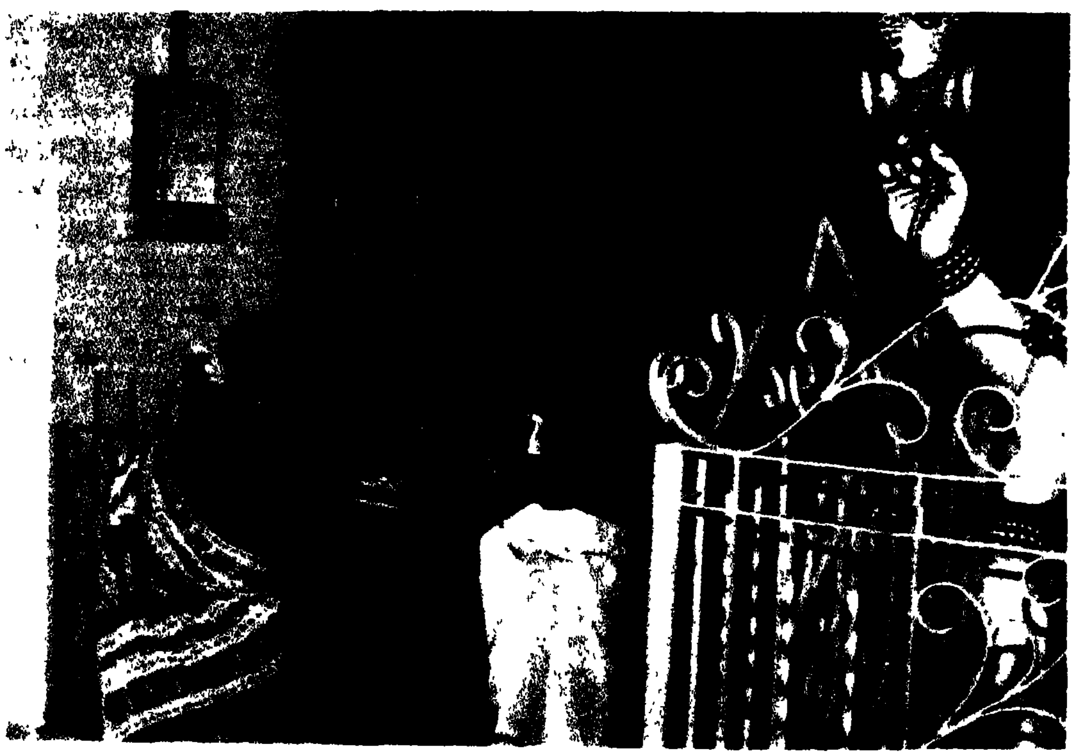
● التاميل برميل البارود المتفجر



قيادات النمور   مطلوب القبض عليهم



ثلاث فتيات بعد خروجهن من العزلة



امرأة من التاميل . . تقدم القربان . وتتلقى البركات في المعبد الهندوسي .

ساحرة تسمى « كوفيني » من قبيلة « ياكساس » أغوت رفاق فيجايا وأوقعتهم في أسر هواها : ولكن البطل ـ تحميه مباركة قدسية ـ لم يكن ليضل حتى عندما ظهرت كوفيني أمامه في صورة أميرة رائعة الجمال ذات شعر طويل هفهاف . وأمسك فيجايا بالساحرة وهددها بأن يقطع رأسها إذا لم تخلص رفاقه من سلطان غوايتها .

ووافقت الساحرة ، بل أكثر من ذلك عرضت أن تساعد فيجايا في ذبح أبناء قبيلتها والقضاء عليهم بشرط أن يجعلها ملكته . وهكذا اتفق الاثنان وتمت الصفقة . وأصبحا معا صاحبي السيطرة على كل أرض المنطقة . ولكن ما كادت سنوات قليلة تمضي حتى ضاق فيجايا ذرعا بملكته ، فطردها الى منفاها بين ثنايا الأدغال ، حيث رجمت بالحجارة حتى الموت بأيدي الفلول الهاربة من رجال قبيلتها .

كانت هذه هي بداية وجود السنهاليين في أرض سيريلانكا كما حدثنا بها الدارس البوذي . وأضاف صاحبنا أن الأبحاث التاريخية أكدت أن أصل المستوطنين الهندوآريين هم ممن جاءوا من شمال الهند الى جزيرة سيلان ، وامتزجوا مع الأجناس البدائية في الجزيرة من قبائل الياكساس والناجاس ، وتعلموا منهم لغتهم البراكريتية التي تحولت فيها بعد على مدى القرون الى اللغة السنهالية .

بعد أن تخلص فيجايا من ملكته الساحرة تزوج ملكة ثانية من « مادورا » بادئا بذلك تقليد استقدام زوجات من الهند ممن يجري في عروقهن الدم الملكي . . تماما كما حدث بالنسبة لما نقلوه من الفنون والهندسة ونمط القصور الهندية . . وأكثر من ذلك . . ما أخذوه من العقيدة البوذية .

هذه العقيدة هي التي تمتلىء بها أعماق الغالبية العظمى من السنهاليين الآن . ويمثل السنهاليون ٧٤٪ من سكان سيريلانكا . . أي حوالي ١١ مليونا ، من بينهم عشرة ملايين يدينون بالبوذية . وفي كل جزء من الجزيرة ـ ماعدا القسم الشمالي والساحل الشمالي الشرقي ـ فان السنهاليين البوذيين يمثلون الغالبية العظمى . وبرغم أن عددا من السنهاليين قد تحولوا الى الكاثوليكية أو البروتستانتية أو الهندوسية أو الاسلام . . الا أن عقيدتهم القديمة ما تزال راسخة في أعماقهم وتقاليدهم وتصرفاتهم . .

قصص العبور :

ان توافق توقيت فيجايا مع صعود بوذا الى النيرفانا في أرض « تامباباني » جعل من سيريلانكا حارسة العقيدة البوذية وحاميتها . وخلال حياة بوذا قيل انه انتقل عابرا من الهند الى سيريلانكا ثلاث مرات على الأقل ، وقد أصبحت المناطق التي نزل بها أماكن مقدسة . ويقول البعض انه ترك أثر قدمه على قمة جبل « سري بادا » التي تسمى أيضا « قمة آدم » . حيث يعتقد أن ذلك الأثر هو أثر قدم آدم ابو البشر حين عبر الطريق هابطا من الجنة المفقودة الى الأرض عند سيلان .

وخلال حكم الامبراطور « أشوكا » راعي البوذية في الهند ، أرسل ابنه « ماهندا » الى سيريلانكا ليهدي الملك وقومه الى عقيدة بوذا المستنير .

وتتابعت أحداث التاريخ ، وتم مع تتابعها أكثر من عبور بين الهند وسيلان

ولعل أبرز عبور بعد عبور بوذا ، هو عبور الحد الاكبر للسنهاليين حفيد الاسد « سنها » الذي جاء من شمال الهند ليستقر في سيلان ، وليقوم من بعده شعب السنهاليين . ثم كان بعد ذلك عبور التاميل من جنوب شرقي الهند الى سواحل سيلان مهاجرين مرة وغزاة عدة مرات . . ولتكون الهجرة والغزو من بعد ، أساسا لاستقرار طائفة التاميل في سيريلانكا . .

الجسر التاريخي المقدس :

أكثر من رباط تاريخي آخر كان يربط دائما بين الهند وسيلان منذ قرون كثيرة . . ولكل منها جذوره المقدسة عند كل من الهندوس والبوذيين . وتتحدث « الرامايانا » . . أهم الاساطير المقدسة في العقيدة الهندوسية ـ عن الجسر التاريخي الذي أقامته القرود بين شبه جزيرة الهند وسواحل جزيرة سيلان . فحين قام « رافانا » ملك الشياطين بخطف « سيتا » زوجة الأمير راما ، وانطلق بها في مركبته السحرية الى مقر عرشه . . عمدت الأميرة الى إلقاء وشاحها وعقدها ليسقطا على سفح جبل القرود . ووقع الوشاح والعقد في يد القرد « هانومان » الذي حكى للأمير راما كيف

أنه رأى بنفسه مركبة رافانا وهو يطير بها ومعه الأسيرة نحو الجنوب . وشجع هانومان الأمير أن يستعين بملك القرود للبحث عن المكان الذي نزل فيه رافانا والأميرة المخطوفة . وعلى رأس أحد جيوش أربعة أرسلها ملك القرود انطلق هانومان لاداء هذه المهمة ، وبلغ اخلاص هانومان لصديقه راما حدا جعله لا يهتم بما يقاسيه هو وجيشه حتى بلغ شاطىء المحيط . وأطل فاذا هناك على مسافة بعيدة جزيرة مسحورة يحيط بها ضباب كثيف . وأدرك هانومان أن هذه الجزيرة هي المكان الذي يسعى اليه واستطاع من خلال مغامرة مثيرة وقوى سحرية جبارة ، أن يقفز من شاطىء المحيط الى شاطىء جزيرة سيلان ، حيث استطاع أن يتعرف على قصر رافانا وأسيرته ، ويثير الذعر في قلب كل الشياطين ويشعل النار في قصر الملك رافانا . وحين عاد هانومان الى راما وأطلعه على ما عرفه أعد ملك القرود جيشا كبيرا سار به راما وهانومان حتى وقفا في مواجهة جزيرة سيلان (وهي التي عرفها الرحالة العرب باسم سرنديب) . واستخدم القرد هانومان ذكاءه في البحث عن وسيلة للعبور الى الجزيرة . ومصت ملايين القردة تجمع كل ما أمكنها جمعه من جذوع الشجر وقطع الصخر ، وأقاموا جسرا بين ساحل الهند وساحل الجزيرة ، عبرت عليه جيوش القردة في الظلام . ودارت معركة رهيبة كان لابد أن تنتهي بهزيمة ملك الشياطين ، وعودة راما ومعه امرأته سيتا وقائد جيشه القرد هانومان منتصرين .

وتقول رواية أخرى ان الجسر التاريخي الذي أقيم عبر المحيط الهندي اقامته القرود بأن تماسكت بعضها في أيدي البعض الآخر حتى قام الأمير راما وعبره على ظهر القرود من الهند الى سيلان حتى تمكن من انقاذ سيتا . . ولعل هذا هو ما جعل للقرود قداستها عند الهندوس . .

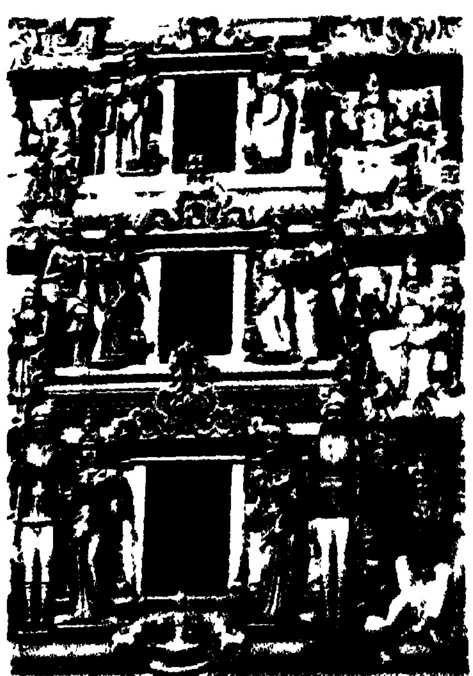
ومن المقدسات الرئيسية عند البوذيين في سيريلانكا قصة عبور مقدس آخر هي قصة عبور « سن بوذا المقدس » والذي قامت من أجل امتلاكه عدة حروب .

فقد حدث منذ حوالي ٢٣ قرنا حين بلغ بوذا مرحلة النيرفانا وصعد الى السماء ، أن تم تقسيم بقايا جسده بين الرهبان البوذيين في جنوب آسيا وكان من بين ذلك سن بوذا الأيسر الذي أصبح في ملكية ملوك كاليحا لعدة قرون . وحين تعرضت المملكة لهجوم اعداء معادين للبوذية ، خاف الملك أن يتعرض سن بوذا لأي ضرر ، فأعطاه لابنته مؤكدا عليها أن تعبر بالسن الى مأمن في سيريلانكا لو هو تعرض للهزيمة . . واذ حدث ما توقعه الملك فقد اخفت الأميرة السن بين ثنايا شعرها ، وعبرت به وهي في ثياب الحجاج الى سيريلانكا . واستقبل الملك السن المبارك في تقديس ، وحفظه داخل صندوق من الذهب ، داخل معبد شيد خصيصا من أجله . ويقول البرتغاليون انهم حين استعمروا الجزيرة بعد ذلك عثروا على السن وكسروه . . ولكن السيريلانكيين ينفون الرواية الاستعمارية ويرفضونها ، ويؤكدون أن السن الذي عثر عليه البرتغاليون كان سنا مزيفا . وأن السن الأصيل مطمور في مكان ما ، وسواء كان السن مكسورا أو مطمورا فقد شيد السنهاليون البوذيون على اسمه أشهر هياكلهم المقدسة في العالم « معبد السن » في مدينة كاندي التي أصبحت بوجوده فيها مدينة مقدسة عند البوذيين حيث يحتشد الآلاف في المعبد مع نهاية يوليو من كل عام في احتفال ديني كبير يسمونه عيد « أليسالا بيراهيرا » يستمر عشرة ايام ، وتقود حفل الختام مسيرة من مائة فيل مزينة بالمخمل والحرير المطرزين بالذهب والفضة ، ومن وراء الفيل يسير حملة المشاعل والراقصون في موكب بطيء على قرع الطبول

وثمة عبور مقدس آخر يعتبره السنهاليون مفخرة لهم . . هو عبور فرع شجرة « البو » المباركة التي كان يجلس تحتها بوذا ، حين تبين له أنه أوشك على نهاية بحثه الطويل عن حكمة الحياة ، وأدرك أن أول قانون للحياة هو أنه « من الخير يأتي الخير ومن الشر يأتي الشر » وأنه بذلك قد بلغ مرتبة المستنير . فقد قطع الامبراطور أشوكا-راعي البوذية في الهند-غصنا من الشجرة المباركة التي صاغ بوذا تعاليمه في ظلالها وأرسله الى ولده « ماهندا » في سيريلانكا لتحل البركة باتباع البوذية السنهاليين . وحملت فرع الشجرة سفينة ملكية ذهبية صحبتها ابنة الامبراطور لتسلمه الى



أول حسر بين الهند وسيريلانكا تقيمه القرود بقيادة هانومان (اللوحة العليا) ، وعلى الحسر مرت جيوش راما لانقاذ سيتا من قصر ملك الشياطين الذي أحرقه هانومان (الى أسفل) ، وهي قصة مقدسة تعرض بالتماثيل على حدران معابد التاميل (أسفل يمين)







جاوتا ما بوذا « المستنير » قبل صعوده الى النيرفانا . . لوحة دينية على جدران المعبد البودي

أخيها . وخرج أهل الجزيرة كلهم لاستقبال الغصن المقدس في احتفال ديني كبير ، وحملوه في محفة من الذهب حتى بلغوا به قصر ماهندا الذي أعاد زرعه في حديقته ، حيث ما تزال الشجرة قائمة حتى اليوم . . يقدسها البوذيون ويتباركون بها باعتبارها ما تبقى من شجرة البو المقدسة . .

المهم هو أن هذه الروابط التاريخية بين الهند وسيريلانكا كان لها أثرها في تخفيف الحدود الفاصلة بين أصحاب العقيدتين الرئيسيتين في الجزيرة . . البوذيين والهندوس . . وبمعنى آخر السنهاليين والتاميل . واستمر ذلك زمنا طويلا مع قناعة الطائفتين بانهما ينتسبان الى نفس الوطن الأم . الهند .

فالبوديون هنا على سبيل المثال متأثرون بممارسات العبادات الأخرى كالهندوسية والمهايانا وهم يتباركون بآلهة هذه العقائد ، ولا يجدون ما يمنعهم من أن يلجأوا اليها في أوقات الجفاف ونقص الطعام وأيام الفيضانات . . بل انهم يلجأون اليها حتى لحل المشاكل العائلية . . وفي أوقات الامتحانات المدرسية . وفي ساحة كل بيت أو في مدخله نجد في الغالب هيكلا يقدسون فيه واحدا أو أكثر من هذه الآلهة ، ويؤدون لها صلاة تعبد عند الدخول أو الخروج من البيت . ومن أقرب هذه الآلهة الى السنهاليين البوديين أنفسهم ، فشنو وكاترا جاما وبايتيني وناثا . وتسمع تبريرا لذلك من بعض الشباب من السنهاليين حين يقول لك ان بودا نفسه لم يمنع أبدا تقديس الآلهة . . وأن كان يقول دائما انها لا تستطيع أن تحول دون آلام البشر ، أو تمنع الأذى عنهم . . والانسان في حاجة الى أن يبحث عن العون من الآلهة المقدسة . . ولا يمنع الأمر أيضا من تقديم القرابين الى آلهة الهندوس إتقاء للشرور . .

ويبدو ذلك واضحا في اثناء الاحتفالات والأعياد الدينية التي تسمى « رقصات الشيطان » لتهدئة

الأرواح الشريرة ، وهم يلبسون الأقنعة التي تسرد السحر الأسود الذي قد يتعرضون له . بل ان قصة الرامايانا الهندية توجد مرسومة في بعض المعابد البوذية في سيريلانكا جنبا الى جنب مع قصة حياة بوذا منذ هجر قصر أبيه ملك الساكيا في أعالي الهيمالايا ، بحثا عن الحقيقة حتى بلغ النيرفانا . وقد يعود ذلك الى اعتقادهم بأنهم ـ كما قلنا ـ من نسل الأسد الهندي « سنها » وهو ما جعلهم يرون أنهم مزيج من أصول الأريين .

شيء آخر يربط بين العقيدتين ، فلا يوجد فارق كبير في الأسماء بينهما ، ولا تستطيع من خلال أسماء السنهاليين أو التاميل أن تعرف الى أي الطائفتين ينتسب صاحب الاسم ؟

عودة الى الانفجار :

ومع هذا . . فقد انفجر برميل البارود . . وكان هذا الذي حدث بعدما انطلقت الشرارة الأولى في يوليو قبل عامين . على أن تطورات أخرى زادت النار اشتعالا فهناك في الجانب الآخر . في القسم الجنوبي الشرقي من الهند . توجد الأصول الرئيسية للتاميل . هناك « تاميل النادو »

وربما لم يكن تاميل النادو بعيدين عن تحريك الأحداث . وهو ما تؤكده حكومة سيريلانكا وما تشير اليه الأمور من أن حكومة الهند هي القادرة على إيقاف القتال أو العمل على إقرار اتفاق لوقف النار والبحث عن حل سياسي للأزمة

والرئيس السيريلانكي جايواردين كان في لقائه ومحادثاته مع راجيف غاندي رئيس وزراء الهند في أواسط يونيو الماضي كان يركز دائماً على أن الذي يقود النمور من ثوار التاميل شاب لا يتجاوز عمره ٣١ سنة هو « براباكاران » يتخذ مقراً له في مدراس المركز الرئيسي لتاميل النادو في الهند ، من حيث تتدفق المساعدات لتاميل الجافنا . هذا الزعيم الشاب هو الذي عمل على توحيد حركات المقاومة التاميلية الأربع خلال أحداث ١٩٨٣ حين قال : « لم تعد هناك وسيلة سوى المقاومة المسلحة ولن تستطيع هذه المقاومة أن تنتصر إلا بتوحيد قواها » وقد تم بالفعل في ابريل ١٩٨٤ قيام الجبهة الوطنية للتحرير تحت اسم « جيش تحرير تاميل إيلام » ويتراوح عدد القوى الفاعلة فيها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ عضو بينهم ٥٠٠ في مدينة جافنا وحدها وهم مسلحون بشكل جيد ومدربون أحسن تدريب .

ولعل قمة المواجهة التي جرت في الفترة الأخيرة هو ذلك الهجوم الذي قام به النمور على المدينة الودية المقدسة عند السنهاليين « انورا دبورا » حيث قتل ١٥٠ من المدنيين ويعتقد أن هذه الهجمات كانت عملية انتقامية ردا على غارة عسكرية قامت بها القوات الحكومية ضد المدنيين التاميل . واذا كان الجيش قد استعد للمواجهة بعنف ، الا انه بذل جهداً كبيراً لمنع الالتحام بين السنهاليين وتاميل الشرق والشمال ، وان صاحب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت حوالي ١٥٠٠ من التاميل احتجزوا بلا محاكمة في معسكرات الجيش حيث عوملوا بشدة وقسوة لعلها كانت أحد الدوافع للمزيد من العنف والضراوة المضادة التي لجأ إليها شباب النمور في صراعهم ضد السنهاليين

وفي لقاء مع أحد الشباب السنهاليين في كولمبو قال لنا : اننا معشر السنهاليين قد سببنا لأنفسنا ضررا كبيرا من جراء أحداث التخريب والقتل والحرق والتدمير . فالتاميل يملكون حوالي ٦٠ في المائة من الأعمال التجارية في البلاد ، و ٨٠ في المائة من تجارة التجزئة في العاصمة . وبتدمير القاعدة الصناعية التاميلية حدث عجز كبير في الموارد الغذائية ، مع ارتفاع خطير في الأسعار . . بالاضافة الى فقد كثير من فرص العمل . . وها أنت ترى أننا نعاني من البطالة ، ونضطر الى قبول أي عمل مهما كان للحصول على لقمة العيش في الوقت الذي يهتم التاميل في مناطقهم الرئيسية بأن يكونوا أحسن حالا من بقية الأهالي الذين يعانون البطالة . وكان أسوأ ما في الأمر وما زاد الطين بلة ، أن عناوين الصحافة الأجنبية أبرزت الأحداث الدموية التي تجري في البلاد ، وكشف عجز السلطات الأمنية عن الوقوف في وجه المتحاربين من الجانبين . فهرب السياح الذين كانت اقتصاديات البلاد تعتمد عليهم بنسبة كبيرة ، يصل مدخولها الى حوالي ثلاثة بلايين من الروبيات . . والواضح من الصورة الآن أن استرداد نشاط الحركة السياحية لن يتم قبل عدة سنوات .

وتلك في الواقع صورة صحيحة للموقف الاقتصادي المعقد في سيريلانكا منذ بداية الأحداث الأخيرة . التي كانت لها بدايات أخرى منذ الاستقلال . . فان أحداث العنف كانت تندلع بين الحين والآخر بين التاميل والسنهاليين ، وكان أبرزها أحداث اعوام ١٩٥٨ و ١٩٦١ و ١٩٧٧ و ١٩٨١

و ١٩٨٣ وهي الأحداث التي ما تزال مستمرة بشكل دموي يبعث على الأسى

وفي لقاء مع عدد من المثقفين من الطائفتين خرجنا بأن سوء العلاقات بين التاميل والسنهاليين له جذوره التاريخية .

فقد وصل السنهاليون الهندوآريون الى سيريلانكا خلال القرن الخامس لينضم اليهم بعد وقت قليل الغزاة التاميليون القادمون من الممالك التاميلية المسيطرة القوية في جنوب شرق الهند . وخلال القرنين ١٢ و ١٣ قام الحكام الهنود بعدة حملات عزوا فيها سيريلانكا في عدة مناسبات . وبانتهاء القرن ١٣ نجح المستوطنون التاميل في اقامة مملكة مستقلة في الجزء الشمالي من الجزيرة . وقد استمرت هذه المملكة حتى الغزو البرتغالي في القرن ١٧ . وهي نفس المنطقة التي يعمل التاميل الانفصاليون الآن على تحقيق حلمهم باقامة دولتهم المستقلة على أراضيها .

دولة إيـــلام :

ويبرر لنا « بالاسحام » المتحدث باسم نمور التحرير في لقائنا معه مواقف التاميل بقوله « نحن لسنا انفصاليين ولكننا نريد الاعتراف بحق شعبنا في تقرير مصيره في وطنه فنحن شعب لنا جذورنا التاريخية في أرضنا ولنا لغتنا وثقافتنا وحق تقرير المصير الذي نطالب به هو حقنا في إقامة دولتنا المستقلة على ضوء استفتاء شعبي حر وحتى يتم ذلك فاننا نطالب الحكومة مؤقتاً بأن تقدم مجموعة من العروض التي تتناسب مع أمنيات شعبنا . . ونحن مستعدون للمفاوضة ولكن على أسس معقولة وسليمة » .

هذا هو ما يقوله التاميل اما الحكومة فرغم انها عرضت أكثر من حل ومنحت حقوقاً جديدة للتاميل ، من بينها الاعتراف باللغة التاميلية لغة وطنية ، وإزالة الفروق بين المواطنين الأصليين والمهاجرين ، ومنح حق الانتخاب لعمال الزراعة الهنود . . ثم ما عرضه الرئيس السيريلانكي عن استعداده لمنحهم حكماً ذاتياً في مناطقهم . . إلا أن ذلك لم يرض التاميل بمشروعهم المحتلمة . . وما زالوا يعملون من أجل تحقيق الأمل في قيام دولتهم المستقلة . دولة « إيلام »

ولكن . . . . .

اذا كان لهذا الكيان أن يتحقق ذات يوم فانه سيشغل منطقة من أقل المناطق خصبا في الجزيرة . فالتربة البنية الحمراء تقل تدريجيا ، والمرتفعات تزداد ارتفاعا ، وشجيرات الغابات تخف لينتهي كل ذلك الى أرض صحراوية خراب ، تتناثر فيها مجموعات متناثرة من نخيل « البالميرا » ذي السعف المروحي ، فتكسر حدة الرتابة في الصحراء الواسعة التي تشكل ملامح مناطق التاميل . هذه الملامح التي سيطرت لقرون طويلة أكسبت التاميل قيما ، وأورثتهم عادات كان لابد منها للتكيف مع واقع بيئتهم . . وأصبح الجهد والمثابرة والكفاح طابع حياة الفلاح ، والفطنة والحرص طابع التاجر والعامل . . وهي كلها صورة مثالية للتاميلي . ولعل أحد الملامح البارزة هي اهتمام التاميلي بالتعليم الذي يوضع في رأس القائمة . فأطفال التاميل يتطلعون باستمرار الى العلم الذي يشكل أهمية قصوى من أجل المستقبل . . وقد أدى ذلك الاتجاه الى خلق طليعة اجتماعية وثقافية تاميلية يتزايد أعدادها يوما بعد يوم في مجالات القانون والطب والكيمياء والعلوم ، وفي الميادين الاكاديمية

واذا كانت تأثيرات التغريب والتحديث لها أثرها الكبير على تاميل سيريلانكا ، بما في ذلك التطور الذي شمل العادات والملابس وأسلوب الحياة . . إلا أن ذلك الأثر يقل كثيرا عن التاميل القرويين الذين مازالوا يتمسكون في صرامة بالعادات والتقاليد التي توارثوها

هذه العادات والتقاليد الصارمة تبدأ مع مولد الطفل ، فان أول نقطة حليب تدخل جوف الطفل يجب أن تفرك بالذهب على شفتيه ولسانه . وذلك حتى يصبح الطفل عندما يصير رجلا فصيحا بليغا حكيما متمسكا بتقاليد قومه . . . ويقضي الطفل أيامه الأولى في غرفة تعبق دائما بروائح ودخان البخور ، وذلك دفعا للأرواح الشريرة عن الاقتراب منه .

وعندما تبلغ الطفلة من التاميل سن البلوغ فانها تعزل في معزل لمدة ستة عشر يوما على الاقل في كوخ خاص مبني من أوراق شجرة جوز الهند الخضراء . . وهي في فترة العزلة لا يجوز أن يقع بصرها على أي رجل حتى لا يحل الشيطان في جسدها .

والزواج عند التاميل حدث له أهميته ويتم حسب طقوس دينية داخل المعبد الهندوسي . وبعد أن يتبادل أهل الزوجين الهدايا يمد بساط أبيض على الأرض حيث تنثر عليه أكوام من الأرز وجوز الهند وأوراق التنبول وبعض النقود المعدنية لجلب الحظ السعيد .



القوارب وسيلة التحرك السريع على سواحل الجزيرة المتألقة ... سيريلانكا .

ثم يطلق البخور ويقوم والد العروس بربط إبهامي العروسين بخيط ثم يصب الماء على أصابعهما . كما يضع العريس حول رقبة عروسه قلادة تحتوي على فصوص من الأحجار الكريمة عليها رسوم وجوه تقليدية مقدسة . وبعد الاحتفال تصبح العروس ربة نموذجية للبيت ، ويصبح العريس ربها ، والزوجة التاميلية تطيع زوجها طاعة عمياء . تستيقظ قبل زوجها في الصباح ، وحتى يحين موعد استيقاظه تكون قد انتهت من إعداد غسيل الصباح ، وأوقدت النار وصلت لأرباب العائلة وأعدت مائدة المطور . وهي لا تأكل الا بعد أن يكون زوجها قد انتهى من طعامه وقامت تماما على خدمته . والزوجة هي آخر من يتناول الطعام ، وهي آخر من يذهب الى النوم .

وهناك طقس غريب في غاية القسوة مازال التاميليون يؤدونه حتى الآن في احتفال يسمونه « كاتنجا » . وتبدو القرية في ذلك اليوم كأنها في عيد مرح يغني فيه الجميع ويرقصون في الشوارع وهم يحرقون البخور ويدقون الطبول .. ويستمر الرقص والغناء ودق الطبول ، ويزداد شدة وعنفا مع وصول راقصين يقدمون من أحد اطراف القرية ، وهم يهتزون في عنف بينما يسيرون في صفوف طويلة .. ويظل الراقصون يدورون بعنف حوف أنفسهم قبل أن يتوسطوا الساحة ويجلسون القرفصاء . ويتقدم أهل القرية بعد ذلك من الراقصين فيفركون أجسادهم ووجوههم ورؤسهم ويعمرون صدورهم بالرماد وهو ما يزال ساخنا . وبعدها يهتز الجميع كالسكارى ، ثم يبدأون بطعن أنفسهم بالسكاكين والخناجر ، ويقوم آخرون بضربهم بالسهام . ثم يحمل الجميع الى عربة تجرها الحواميس المزينة ، ويمرون أمام الحشود التي تصفق لهم اعجابا وتبركا . ومع نهاية الاحتفال تشعل النار في حطب يصف على الأرض . وبعد أن يخمد اللهب يقوم هؤلاء بالسير فوق الرمضاء دون أن يصيبهم شيء ، بينما الناس يقتربون منهم ويمسحون أجسادهم ويتبركون بهم في اعجاب كبير ..

حكمة الحياة :

في النهاية . ثمة شيء غريب يربط بين التاميل الهندوس والسنهاليين البوذيين . فالهندوس .. يعتقدون ان « فشنو » هو الاله الحافظ ، وهو أبرع الالهة ، ومن واجبه أن يحفظ حياة الناس وحياة العالم . وهم يقولون انه نزل من سمائه حيث زار الأرض عشر مرات كل مرة في شخصية وصورة مختلفة . والبطل الديني راما ـ بطل الرامايانا ـ هو أحد الشخوص التي تقمصها فشنو .. ولكن الأهم من ذلك .. أن احدى الشخوص العشر التي يتقمصها هو جاوتاما بوذا .. الذي يتبعه البوذيون .. وهو ما يؤمن به حتى السنهاليون في سيريلانكا .. فالبوذية فرع من فروع الهندوسية .

ان بوذا .. الذي يعترف به التاميل الهندوس كواحد من صور الاله فشنو .. هو نفسه صاحب الحكمة التي يؤمن بها السنهاليون البوذيون ، والتي تقول « على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير . ان النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء . وان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها .. إنما تزول الكراهية بالحب » .

ومع هذا فإنهم يتقاتلون ، وينسى الجميع أن الكراهية .. إنما تزول بالحب .. □

وجهاً لوجه





غائب فرمان و سليمان الشيخ

★★★

* نعم انا اتحصن بالكتابة ضد الغربة والنسيان .

* ذخيرة الكاتب التي لاتنضب .. طفولته وصباه .

* الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون انفسهم .

* ليس كل مافي الماضي مذموما وسيئا وليس كل مافي الحاضر جيدا وجميلا .

* المؤجل والمرتجى هو عملي الأول عن الغربة والمغتربين .

★★★

يدهشك حضور تفصيلات دقيقة عن معالم الحارة البغدادية ، وأحيائها في رواياته مع أنه تركها منذ ثلاثين عاما تقريبا .

ويدهشك الرصد المتأني الدقيق لنمط العلاقات ، والتسجيل للعلامات الفارقة بين المراحل والنقلات في حياة تلك الحارة .

بغداد حاضرة أبدا في أغلب ما كتب ، سكنت فيه وتوغلت بناسها ونخيلها ودروبها وحاراتها وطراز بنائها القديم ، وعلاقات وانماط البشر فيها ونماذجها ، لم يكن نقلا « فوتوغرافيا » ماسجله راوية بغداد كما يقال عنه ، وليس تصويرا تسجيليا هو ماضمته قصصه ورواياته الكثيرة ، بل كان نوعا من الرصد الفني للحياة والناس وللعلاقات والمواقف .

احساسه فائق بالمكان والزمان ، واستنطاقه للشخصيات دقيق ، يجدل المكان بالزمان ويقدمها ضمن ملامح محددة من العلاقات وانماط العيش وطموحات الناس واحلامهم ، وحتى الكوابيس التي تقض مضاجعهم .

انه الروائي العراقي غائب طعمة فرمان . وقد أدار الحوار معه الزميل سليمان الشيخ وهو كاتب ومحرر أدبي في المجلة .

قال الروائي فرمان أنا من مواليد بغداد سنة ١٩٢٧ ، وبعض الكتاب العراقيين المعروفين والمشهورين ولدوا في هذا العام ايضا ، او في العام الذي سبقه او تلاه ، السياب ولد سنة ١٩٢٦ ، والبياتي ولد ايضا في نفس العام ، والتكرلي ولد في العام الذي ولدت فيه . . وغيرهم ايضا

● ما الذي قدمته في رحلة العمر هذه . . اعني على صعيد الكتابة ؟

- صدر لي حتى الآن - اكتوبر ١٩٨٤ - الكتب التالية :

- حصيد الرحى - مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٤م - مولود آخر - مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٩م .

- النخله والجيران - رواية - صدرت سنة ١٩٦٦م .

- خمسة أصوات - رواية صدرت - سنة ١٩٦٧
- المخاض - رواية صدرت سنة ١٩٧٣م
- القربان - رواية صدرت سنة ١٩٧٥
- ظلال على النافذة - رواية صدرت سنة ١٩٧٩م
- آلام السيد معروف - رواية - صدرت سنة ١٩٨٠م .

وقد انجزت رواية جديدة في طريقها للنشر تحت عنوان - المرتجى والمؤجل - وترجمت حوالي ٤٠ كتابا معظمها قصص وروايات عن الروسية الى العربية منها :

- اعمال تورجينيف في خمسة مجلدات .
- ١٥ قصة في كتاب لمكسيم غوركي .
- القوزاق لتولستوى .
- مجموعة قصص لدستويفسكي .
- المعلم الأول ومنديل أحمر لايتماتوف .
- مجموعة اعمال لبوشكين . وغيرها .

وشم بغداد :

● لقد تغربت طويلا ، وانتقلت من بغداد الى القاهرة ثم الصين وبعدها الاتحاد السوفيتي منذ ثلاثين عاما تقريبا . وقد انقطعت عن معايشة بغداد الا لماما . ومع ذلك فان بغداد الأمكنة والناس والعلاقات حاضرة حضورا حادا في رواياتك . كيف تفسر ذلك ؟

- ان ذخيرة الكاتب التي لاتنضب حسب ما أرى هي طفولته ومرحلة تحسسه للأشياء والعالم ، وهذه المرحلة تستمر معه كوشم لايزول ، ربما مدى الحياة . ربما تتطور اشياء ورؤى الطفولة الاولى وتتعمق التجربة ، وربما يجد الانسان توكيدات لقناعاته الاولى لكن الطفولة تبقى محتلة ركنا هاما في ذاكرة الانسان واحلامه واسترجاعاته ، انها العالم البكر لتفتح الوعي ، والنهل - وربما الشره - من ينابيع الحياة وتجاربها . يقول همنجواي : نحن نعيش على ذكريات الطفولة حتى الثلاثين من عمرنا ، وأضيف : وقد يبدأ الانسان فلسفة مارأى وماعاش بعد الثلاثين ومع ذلك فان الطفولة تبقى الينبوع الأول لكل التجارب اللاحقة ، والمنجم الأول الذي يغترف الكاتب منه الكثير من تخطيطاته .

ولو سألتني عن أعمالي ، فان بعض الشخصيات التي طرحتها في قصصي الأولى وجدت صداها على سبيل المثال في رواية النخلة والجيران ، بل ان الرواية بكاملها كانت فكرة طرحتها في قصة قصيرة كتبتها سنة ١٩٥٦ ، ثم تحولت القصة الى فصل من الرواية .

كما أن بعض الشخصيات في رواية النخلة والجيران وجدت لها صدى في رواية القربان وهكذا .

العمل الواحد :

● هل تريد القول بأن الكاتب لايكتب الا عملا واحدا في حياته ، يلونه وينوعه ويضفي عليه بعد ذلك ؟

- قد يكون ذلك صحيحا في جزئية من الجزئيات ، أو بمعنى من المعاني ، وهذه المقولة قديمة ومعروفة ، وفيها بعض الصحة .

● هل يمكن اعتبار هذا الالحاح المستمر على استعادة الأحياء البغدادية بعد غربة عنها تقرب من الثلاثين عاما على انه نوع من التعويض عن عيش الواقع ، او التنفيس عن حنين طاغ ؟

- نعم ربما هو نوع من الحنين والجيشان العاطفي الذي مازال يلهب خيالي وملكاتي ، ربما هو تحصين ضد الذوبان في الغربة ، ومقاومة لسنابكها ، وربما نوع من مقاومة الانجراف مع تيار النسيان .

هوتفريغ لأجل التوازن العاطفي . لكنه جيشان وتفريغ وفيضان عاطفي محسوب ، تجنبا لتحول الرواية الى « مونولوج » ذاتي كامل ، لذلك فانني أحذف بعد الانتهاء من الكتابة الاولية الكثير من الصفحات التي أجد أنني انسقت فيها مع عواطفي وحواري الذاتي . ومازلت بعد هذا العمر متشككا في كل ماأكتب ، ولكي أزيل شكوكي فانني أعرض ماأكتب على الأصدقاء ، والأصدقاء كما تعرف لهم مشاربهم وتجاربهم ، فيوقعونني في الحيرة أحيانا .

رواية « المؤجل والمرتجى » كتبت ثلاث صيغ لها حتى الآن على سبيل المثال ومن المؤكد أنها سترسو على صيغة ما في النهاية

المؤجل والمرتجى :

● هل رواية المؤجل والمرتجى تستوحي أجواء بغدادية أيضا ؟

- لا أريد أن أكشف أسرار الرواية قبل نشرها ، لكنني أقول بأنها أول رواية أكتبها عن الغربة والمغتربين ، عن الأصدقاء الذين قابلتهم وعايشتهم في الغربة .

● لماذا تكتب الان وليس قبل ذلك رواية عن الغربة ؟

- الغربة لاتتيح لك تعميق علاقاتك بالناس وبالواقع بشكل حميم وانتمائي ، انها تبقيك على الهامش ، كما أن الغربة بالنسبة لي استمرت ومازالت مستمرةومن الصعب الكتابة بشكل روائي عن شيء

مستمر ولازلت تعيش في غمرته وميدانه .
يقول همنجواي : اذا اردت الكتابة عن ميتشغان فإنني انتقل الى باريس .

● لكنك مازلت مغتربا . . فكيف تسنى لك كتابة هذه الرواية ؟

ـ هي محاولة ليس الا ، قد تنجح وقد لا تنجح .

● الم تعد الى بغداد بعد ان غادرتها ؟

ـ بل عدت عدة مرات بعد خروجي منها سنة ١٩٥٤ ، منزوع الجنسية من قبل « نوري السعيد » ، فمكثت في القاهرة ، ثم عملت في الترجمة بالصين منذ سنة ١٩٥٧ الى سنة١٩٥٩ وأذكر انني ترجمت بعض أعمال كاتب صيني تشبه كتاباته كتابات غوركي اسمه لوشين من الانكليزية الى العربية .
ثم عدت الى العراق سنة ١٩٥٩ بعد قيام الثورة وبقيت حوالي سنة ، ثم تم التعاقد معي كمترجم للعمل في موسكو ، وبعدها تم سحب جنسيتي سنة ١٩٦٣ ، انا والجواهري والبياتي ومحمود صبري ، ثم اعيدت الجنسية لي سنة ١٩٦٩ وعدت الى العراق لفترة قصيرة ، ثم تابعت عملي في الترجمة بموسكو .
وكنت في الكثير من السنوات ألبي الدعوة لحضور مهرجانات المربد في البصرة .

خيول السباق :

● هل تتابع النتاج الادبي العربي ، خاصة نتاج الأجيال الشابة ؟

ـ نحن كخيول السباق،علينا ان نعرف من يقف في صفنا او وراءنا أو أمامنا . لذلك فمن الطبيعي أن أتابع نتاجات شتى الأجيال ، خاصة جيلي وماتبع ذلك من اجيال عربا واجانب .

● وهل تتأثر بما تقرأ ؟

ـ الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون أنفسهم قبل أن يغالطوا غيرهم . نعم انا أتأثر بما أقرأ وأعيش وأتعايش وأستفيد وأوظف ذلك ضمن اجتهاداتي وتوجهاتي وأسلوبي ، والقاسم المشترك الذي أثر في جيلي من الأدباء العرب هم : كالدويل ، همنغواي ، فوكنر ، شتاينبك ، تولستوى ، ديستويوفسكي ، تورجينيف وغيرهم . تأثرنا بأساليبهم ، وحتى في رسم الشخصيات حسب ماوردت في أعمالهم ، وشخصيا تأثرت بنجيب محفوظ بناحيتي السرد والمعالجة القصصية ، ولازلت مستمرا في قراءة نتاجات الكتاب العرب ، كيوسف ادريس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا وغيرهم .

واذا كان السياب ونازك والبياتي وغيرهم قد جددوا في مجال الشعر في الخمسينيات ، فان جيلنا من الروائيين والقصاصين قد دخل معترك التجريب والتجديد في البناء القصصي والروائي في الخمسينيات أيضا .

وأجد أن الأجيال قد واصلت التجريب والتجديد واستطاعت تقديم منجزات جيدة على صعيدي القصة والرواية ، مثل محاولات محمد خضير وزكريا تامر ، وبعض محاولات عبدالرحمن الربيعي ، ثم تلا ذلك أجيال شابة أضافت ونوعت ولونت ، كمحاولات الغيطاني وصنع الله ابراهيم والخراط وصبري موسى وغسان كنفاني ـ الذي أثر فيَّ تأثيرا كبيرا ـ ان في أدبه حرارة ودفقا وتواصلا مع قضية مهمة ، وأعجبني يحيى يخلف في نجران تحت الصفر ، ورشاد أبوشاور في العشاق ، وأعجبني كذلك سحر خليفة التي تبشر بظاهرة مميزة صريحة فيها شمولية وأفق واسع ، ويعجبني أميل حبيبي ، والطاهر وطار الذي اعتبر أدبه ظاهرة جديدة تستحق الدراسة والتنويه .

ويعجبني أيضا رشيد بوجدرة ، واجد في أدبه أجواء واقعية خيالية تشبه أجواء الكاتب الكولومبي ماركيز .

كما يعجبني الدكتور عبد الرحمن منيف ، انه يكتب تجربة البحث عن بلد بأسلوب روائي مقتدر .

● انك تتابع نتاجات الأجيال اللاحقة على جيلك ، حتى نتاجات الشبان منهم ومن كل اقطار الوطن العربي ، أفضل بكثير من الادباء الذين مازالوا يقيمون في اقطارهم .

● لقد قلت لك من قبل اننا كخيول السباق ، واضيف على ذلك بأننايجب ان نكون كأبناء القرى الصغيرة أيضا ، علينا ان نعرف كل الناس في كل


همنغواي


تولستوي


يوسف ادريس


جبرا ابراهيم جبرا

بيوت القرية وما يحصل لهم وما يدخل على البيوت من تطورات وتغيرات .

مطر المدينة ومطر الريف :

● هناك نقطتان تتعلقان بأدبك أود أن تلقي الضوء عليهما ؟

- الاولى تتعلق بالقدرة التجسيدية الفائقة على تصوير الشخصيات النسائية العراقية الشعبية ، مع انك ابتعدت منذ زمن عن العراق . والثانية . . نظرتك للمطر ، لقد وجدت أنها تخالف على سبيل المثال نظرة السياب له في الكثير من قصائده .

- بالنسبة للنقطة الأولى فانني أود أن أكون واضحا وصريحا كل الصراحة ، وبداية فانني أعترف بأنه لم يكن لي علاقات جيدة مع فتيات من الأحياء الشعبية ، ان غربتي المبكرة لم تتح لي فرصة اقامة أية علاقة حقيقية .

ولو سأل سائل : اذن من اين لك هذه الذخيرة من صور المرأة العراقية الشعبية ، فإنني أجيب ببساطة لقد سمعتها من أمي وجدتي ونساء الحي عندما كنت صغيرا .

يقول ماركيز ان جدته اثرت عليه كثيرا ومنحته الكثير من الصور والأحداث التي بنى عليها بعض قصصه .

وأنا أقول نفس الشيء . نحن كشرقيين أمهاتنا وجداتنا لعبن أدوارا مهمة في حياتنا أكثر من آبائنا . كانت علاقاتنا معهن حميمة وصريحة أكثر التصاقا من علاقتنا بآبائنا ، علاقتنا بأبائنا كان فيها نوع من الجفاء ، كانوا مستكبرين ، او على الأصح لايسمحون للصغار بالاقتراب من حياتهم ومجالسهم .

ولذلك فان الامهات قدمن البديل ، وقد التقطت الكثير من التفصيلات من أمي وجدتي ونساء الحي الذي كنا نعيش فيه .

- اما بالنسبة للنقطة الثانية أي المطر فانني أقول : المطر بالنسبة لمن يعيش في المدينة وخاصة لمن يعيش في حي شعبي في خمسينيات هذا القرن او ستينياته ، هو ظاهرة تتجهم فيها السماء وترعد وتبرق ، ثم ينزل المطر فيخلف مآسيا وكوارث في البيوت التي تتصدع أو تنهار ، ثم تمتلىء الطرق بالوحول وتتعطل بعض المصالح .

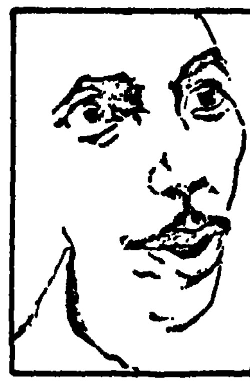
أما الصحو . . فهو شمس مشرقة ، وسماء صافية وحياة عادية .

أما الريفي - السياب كما هو معروف من ريف البصرة ومن قرية جيكور بالذات - فهو يعتبر المطر حياة وخصبا ونماء للزرع والضرع ، ودونه قد لاينمو الزرع ولايخضر الحياة ، هو خلاف في النشأة والبيئة والاحتياج اذن .

الجديد والقديم :

● يجد البعض أنك منحاز للأحياء البغدادية القديمة بما فيها من أنماط وعلاقات قد تكون متخلفة . . فما هو ردك على ذلك ؟

- ان مايبدو انحيازا هو مجرد تصوير وربما تسجيل لنمط من علاقات الترابط والتواد التي كانت تخلف السكان في الأحياء القديمة ، صحيح أنها حياة فيها شظف العيش ، ولكنها حياة من نوع مايسمى بالفقر الموزع ، أو التساوي في المصائب الذي يعتبره البعض عدلا . لذلك فان بعض أبطالي في رواية « ظلال على



السياب



عسان كماي

النافذة » بالرغم من انتقالهم الى محلات بغداد الجديدة ، وتغير نمط معيشتهم وبروز مسحة من الغنى النسبي عليهم قياسا على ماكانوا عليه من قبل . فان حنينهم الى أحيائهم القديمة يهيج ويرتفع هديره بين آن وآخر ، ويبقى ملازما لهم .

انه الحنين للطفولة ، ونمط الحياة البسيط ، والعلاقات المترابطة ، إنهم يستعيدون زقاقات الحي فيجدونها ضيقة غير واسعة ، قريبة من بعضها ، كأنها في أذهانهم تحتضن الناس وتحنوا عليهم . في حين أن أحياء المدينة وطرقاتها الجديدة واسعة ومتباعدة .

ان عبدالواحد في رواية « ظلال على النافذة » يبقى مشدودا روحيا الى حيه القديم بالرغم من انتقاله الى الحي الجديد ، انه يصور حالة التناقض بين الحيين فيقول : جو الحي الشعبي يشعرني بثقلي على الأرض ، في حين أنني أشعر في الحي الجديد كأني تائه . ان ذلك كما أرى ليس انحيازا الى الماضي وتفضيلا له على الجديد ، بل هو تصوير لنمط من الناس لايمكنه أن يتعايش بسهولة مع حالة البتر التي حدثت بين الجديد والقديم .

الجديد ليس جيدا أو جميلا في كلياته ، والقديم ليس سيئا ومذموما في كلياته ، وأنا كروائي على أن التقط الجزئي والتفصيلي المميز في تركيب الشخصيات .

في قصة إيفان إيليتش لتولستوى تصوير لموظف عادي ، تدرج حتى وصل الى مركز مرموق ، وعندما تحين ساعة موته يحاول أن يتذكر أجمل مافي حياته ، فلا يجد فيها الا طفولته ، صور الطفولة تستعاد وتطغى على ماعداها بما فيها من احساسات عفوية وصفاء وتطلع وتشوق الى مستقبل افضل .

● التركيز على تسجيل بعض ملامح أيام الطفولة ، والأحياء القديمة وعلاقات وأنماط الناس فيها ، يمكن أن يرسب عند بعض القراء انحيازك وارتدادك الى الماضي ، وهو - كما يفسره بعض المجتهدين النفسيين . رغبة في العودة الى رحم الأم .

- هذا ما يمكن التقاطه عن سطح ما أكتب ، الا أن من يتعمق في كل ما كتبت يجد انحيازا لكل ما هو قيم واصيل وجميل ومتقدم في حياة الناس .

ان تسجيل أنماط الحياة والعلاقات في الأحياء القديمة ما هو الا محاولة لاعطاء المعمار الروائي نكهة الحياة الحقيقية ، وعليّ أن أكرر ، ليس كل ما في الماضي سيئاً ومذموماً ، أما تفسير النص حسب وجهة نظر بعض المجتهدين في علم النفس ، فانني أرى أن كل مدرسة تحاول تفسير النصوص حسب ما تشتهي وتجتهد ، وأرى أن البعض يملك قوالب معينة يحاول أن يحشر النصوص حشرا داخلها . انه مرض القالب الجاهز .

قد يكون في بعض الكتابة عن تجربة حياة حدثت في الماضي ، نوع من الحنين لأفضل ما حواه الماضي ، لكن هذا لا يعني أبدا وخاصة في أدبي انحيازا لسيئات الماضي على حساب أفضل ما يحويه الحاضر أو ما هو مأمول في المستقبل . □

البيان

في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيما) . النساء١٠٥ ، ١٠٦

سرق رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق درعاً من جار له هو قتادة بن النعمان . وكانت الدرع في جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق يتساقط من خرق في الجراب ، حتى انتهى الى دار رجل يهودي فخبأها عنده . وشك قتادة في طعمة ، ففتش داره فلم يجد الدرع فيها ، وحلف له طعمة أنه ما أخذها وماله بالدرع علم . فلما حلف ، تركه قتادة ، واتبع أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي ، ففتشه فوجد الدرع فيه . فلما أمسك باليهودي قال اليهودي ان طعمة أتى اليه بالدرع وطلب منه الاحتفاظ بها عنده ، ولم يخبره بأنها مسروقة . وشهد له أناس من أصحابه على ذلك ، واذ كادت التهمة تثبت ضد طعمة ، أسرع قومه ، وهم بنو ظفر بن الحارث ، الى رسول الله ﷺ وكلموه في الأمر ، وتوسلوا اليه أن يدافع ويجادل عن طعمة بن أبيرق ، وأن يلصق التهمة باليهودي ، وقالوا له : ـ يا رسول الله اعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه ، فإنه ان لم يعصمه الله بك يهلك .

فقام رسول الله ﷺ ، وكان هواه مع بني ظفر ، فبرأ طعمة وعذره على رؤوس الناس ، فانـزل الله هاتين الآيتين ومعناهما : إنا أنزلنا اليك القرآن يا محمد لتقضي بين الناس بما أراك ربك من الحق ، فلا تدافع عن الخائنين ، واستغفر الله ، وسله أن يصفح عنك اذا جادلت عن هذا الخائن . وقد قيل أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن قد جادل عن الخائن ، ولكنه هم بذلك ، فأمره الله بالاستغفار مما همَّ به من ذلك

ثم نقرأ في الآيتين التاليتين : ـ

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، ان الله لا يحب من كان خواناً أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وهو معهم اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطاً) . وهنا إشارة الى بني ظفر بن الحارث الذين خشوا أن يؤدي الحكم على صاحبهم الى الفضيحة والعار ، وكان خوفهم من رأي الناس فيهم أعظم من خشيتهم من الله الذي هو مطلع عليهم ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، وهو أحق أن يستحى منه من غيره .

قد أبان الله لرسوله وللمؤمنين اذن أنه لا يجوز لأحد أن يدافع عن أحد الا بعد أن يتيقن من أنه على حق ، كما لا يجوز أن يدفعه الهوى أو المصلحة الظاهرة الى الانحياز الى طرف دون طرف في أي نزاع ، كما

بيّن أن لليهود والنصارى مثل ما للمسلمين من حق في عدل الحاكم أو القاضي أو الفرد العادي ، وأنه على الناظر في أيه قضية أو خصومة أن يقمع في نفسه الميل الى محاباة أحد أطرافها نتيجة توافق المصالح ، أو الانتماء الى نفس الجماعة أو الملة ، أو أي اعتبار من الاعتبارات .

فهنا اذن مفهوم عن العدالة لم يكن مألوفاً لدى العرب في الجاهلية ، . لم يكونوا يرون في القتل أو السرقة جريمة ، ان كان القتيل أو المسروق منه من غير قبيلتهم ، ولا كان المسلمون في السنين الأولى من الدعوة يرون في إهدار حقوق أهل الملل غير ملتهم خرقاً للمفهوم الالهي عن العدالة ، حتى نزلت هذه الآيات فأوضحت أن عدل الله يسع الكافة ، بغض النظر عن دين المرء وانتماءاته ، وأن الجاني وان كان مسلماً ينبغي على الحاكم أو القاضي أن ينتصف منه ، والمجني عليه وان كان غير مسلم ينبغي على الحاكم أو القاضي أن ينتصف له .

لقد كان جل ما أتى به الاسلام من قيم مخالفاً للمألوف عند العرب ، وللتقاليد السائدة بينهم ، مناقضاً لمثلهم ونظرتهم الأساسية الى الحياة ، مما توارثوه جيلاً بعد جيل . فلا غرو ان لم تجد الدعوة صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة ، وهم الذين سمعوا رسول الله يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلاً ، ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد في الحياة الدنيا ، وينهاهم عن الفخر بالحسب ، وعن التنافس بين القبائل ، ويدعوهم الى أخوة ومساواة ، مؤكداً أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد الا بالتقوى .

وقد كان لا بد من مرور بعض الوقت حتى يتشرب المسلمون الأوائل هذه المفاهيم الجديدة ، ومن بينها المفهوم عن العدالة الوارد في الآيات المذكورة ، وحتى يتركوا النهج الذي سار عليه آباؤهم لعدة قرون سابقة . غير أن أفراداً من المقربين الى رسول الله ﷺ سرعان ما تخلقوا بأخلاقه ، وتفهموا مقاصد الدين الجديد وغاياته ، وتبنوا قيمه وتوصياته . وكان من أبرز هؤلاء الفاروق عمر ، الذي يروى عنه أنه قال لأحد المتخاصمين عنده (وكان عمر يبغضه ولا يرتاح اليه) :

ـ والله لا يحبك قلبي أبداً .

قال الرجل : فهل يمنعني ذلك من عدلك ؟

قال : لا .

قال : فلا بأس اذن ، انما يأسف على الحب النساء . □

صُحار ومعاوية

قال معاوية لصُحار العبدي : أنتم أخطب العرب .

قال : إن ذلك ليقال ،

قال : فما الخطيب فيكم ؟

قال : من رد بقليل الجواب كثير النطق .

قال : ما هذه البلاغة فيكم ؟

قال : كلام يعتلج في قلوبنا فتقذفه كما يقذف البحر الموج .

قال : فما الإبلاغ ؟

قال : أن تسرع فلا تبطىء ، وتقول فلا تخطىء .

يوم أمطرت السماء ذهبًا..!

بقلم الكاتب الكندي المعاصر أريك كاميرون
ترجمة: إبراهيم عبد الله العلو



[illegible] تحمل [illegible]
الكثير من [illegible] البعض الى [illegible]
والبعض الآخر الى الاسواق في تلك الايام [illegible]
[illegible] بالنسبة للكثيرين ، كان الرجل [illegible]
اذا استطاع أن يبيع من محصوله ما يكفيه لدفع [illegible]
الرهن على الأرض ، ولكن بالرغم من الأحوال
الصعبة في المزارع والقرى كان الفلاحون [illegible]
بالعطف تجاه حشود العاطلين عن العمل [illegible]
على الأقل كانت البرية تقدم لهم الهواء النقي والمكان
الفسيح ، كان الرجل ينظر الى جاره ولا يحس
بالاثم ، لأنه لم يكن له دور فيما حصل . ربما يخسر
أحدهم مزرعته أو عمله ، ولكنه كان يحفظ دوما
بكرامته ، لم يكن الناس يُقَيِّمُ بعضهم بعضا حسب ما
يملكون ، ولكن حسب الطريقة التي يتصرفون بها .
لذلك كان من العجيب أن نرى بعضهم يتغير بين
عشية وضحاها ، لقد كشف مطر النقود عن
خصائص في النفس البشرية أثارت دهشتنا جميعا .

عندما حضرت اللجنة الأولى للتنقيب عن
البترول ، تم وضع الرافعة في زاوية من أحد حقول
العم رالف . كان الناس يحضرون ليتفرجوا أو يسألوا
أسئلة ثم ينصرفون وهم يهزون رؤوسهم . لقد كانوا
يتعجبون من الوقت والجهد الذي يبذله أولئك الرجال
في بحثهم الميئوس منه عن البترول . كان كل واحد
من السكان بما فيهم القسيس بطرس والسكير واتسون
يستطيع اخبارك بأنه لا توجد هناك أية نقطة من
البترول في مائة الميل المحيطة بولوكست من كل
الجهات . في الحقيقة لم يكن هناك الكثير بجانب
[illegible] ، منذ أن اتخذ الجفاف مركزا له في قريتنا ، بعد
[illegible] محاولتهم الأولى الفاشلة [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
والذي [illegible]
[illegible]
وكان [illegible]
[illegible]
البترول . كانت [illegible]
على الباب [illegible]
الى [illegible]
[illegible]

لقد [illegible]
والدي الى الباب [illegible] ، ولكن الكلمات
[illegible]
[illegible]
[illegible] امام رجال [illegible]
[illegible]

حضر العم رالف [illegible] السنوات
العجاف قد ولت الى الأبد . فقط امضي عقد
الايجار - كان يحاول أن يشرح لوالدي - وسوف يعطينا
رجال البترول نسبة من كل البترول الناتج ، وعلاوة



على ذلك فسوف يدفعون لنا ايجارا شهريا أيضا ، كانت والدتى مرتابة لدرجة أنها قالت ان المجانين فقط يقبلون بأن يدفعوا تلك الكمية من النقود ، من أجل سائل فاسد ، ذلك السائل الذى لا يمكن أن يكون قد تخمر الا من قبل الشيطان نفسه .

ولكن العم رالف أصر على القول بأن ذلك هو الذهب الأسود ، وتوقع أنه خلال وقت قصير سوف يتغير كل شىء فى لوكست وهكذا حدث .

عندما انتشرت الأخبار بأنه تم العثور على البترول فى المنطقة ، ظهر قطيع من المضاربين من حيث لا نعلم . كانوا يحملون دفاتر الشيكات ونقودا تكفى لاقناع أكثر المشككين من مُلّاك الأراضى ، لقد كانت المضاربات تقطع الأنفاس .

كان بعض المستأجرين يعرض أموالا لم نكن لنحلم بها في أى وقت مضى . لقد وقع والدى على كل دونم يمتلكه . وليبين فرحته فقد اشترى سيارة جديدة له ، وغسالة جديدة لوالدتى . لقد كان العقد يوفر لنا من المال كل شهر أكثر من أية نقود حصل عليها والدى من خلال عمله الفعلى في الأرض . لقد قرر إن يتقاعد ويجعل الأيام تمر كما هى طالما أن المال موجود بكثرة .

لقد ازدهرت الأعمال حول لوكست ، ونفحت رياح السعد المفاجئة كل شخص فى القرية بطريقة أو بأخرى . حتى مشروع بناء الكنيسة جمع تبرعات فاقت كل التوقعات جراء كرم السكان .

ان الخير كثير جدا بالنسبة لنا » قالت والدتى عندما رأت عائلة الدالتون في سيارتهم الجديدة ، التى تركت وراءها شريطا من الغبار فى البرية اللاهبة .

لا شىء كثير جدا أجاب والدى معنفاً وهو يأخذ كأسا من الليمونادة الباردة من الثلاجة الجديدة التى اشتريناها بنقود البترول . ازداد عبوس والدتى عندما لوحت لنا عائلة الويلسون من سيارتهم في الجانب الآخر من الطريق ، لقد كانت سيارتهم حمراء لامعة ومرصعة بالكروم .

« انظر الى ذلك - قالت والدتى مستنكرة الوضع - عندما لا يحتاج الناس للعمل من أجل الحصول على المال فانهم يضيعون ذلك المال . الذين لم يكن لديهم الكثير لا يعرفون كيف يتصرفون عندما يغمرون بذلك » أجاب والدى - وهو يضحك خافتا - : « ان الكثير منهم يحسون بالغبطة وهم يحاولون أن يتعلموا كيفية التصرف بالمال » .

ولكن السعادة لم تكن وحدها حليف كل ملاك فى لوكست . كان على البعض أن يحاربوا ضمائرهم . مثلا جيف بورتر اتفق مع أحد المستأجرين عبر التلفون . كان ذلك المستأجر يتأكد فى شرعية سند التمليك في مبنى الحكومة . ولم يكد جيف يضع سماعة التلفون حتى طرق عليه الباب رجل وهو يعرض ثلاثة أضعاف المبلغ من أجل العقد . كان يحاول اخباره بأن الاتفاق عبر التليفون لا يعتبر ملزما . رمى جيف مضغة التبغ من فمه ، وهز رأسه رافضا ، ثم أغلق الباب في وجه ذلك « الزبون » . ثم انهال بقبضة على الحائط ، لأنه كان حانقا على نفسه ، ولكنه على الأقل وقف عن كلمته . ذلك الأمر الذى لم يكن يحدث كثيرا عندما كان بريق الذهب لا يقاوم . ولكن موجة الرخاء التى غمرت لوكست رسبت أيضا حطامها البشرى الذى تمثل في بعض المتعدين على الملكية . لقد كانوا رجالا مدققين يقضون أياما في البحث فى سجلات الأرض ، علّهم يجدون أى خطأ يمكنهم من تحدى ملكية رجل آخر . كان المتقدمون فى السن والأرامل ضحاياهم المفضلة . لأنه كان من السهل ترويعهم واجبارهم على دفع نصف العائدات ، بدلا من الذهاب الى المحاكم لمحاكمة المدعى كان المحتالون يحضرون بقبضة من لوحات مسح الأراضى والمفردات القانونية الرنانة ، التى تقنع الملّاك المساكين بأن هناك خطأ فى حدود الأراضى .

وفى يوم شديد الحر وقفت سيارة أمام باب بيتنا ، مخلفة وراءها عاصفة من الغبار ، ونزل بهدوء من خلف المقود رجل طويل نحيف. بدا وجهه الشاحب رقيقا ، وكأنه يرى قطعة من الصنوبر الأصفر ، كان يتكلم بصوت جاف ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تلقائية ثابتة . عرّف بنفسه على أنه روكلاند هوبول ، ثم قال انه حضر ليلفت نظر والدى الى خطأ فى سند التمليك فى جزء من أرضنا . تستطيع القول يومها بأن والدى تمنى لو انه لم يستبدل بندقيته مقابل دولاب السيارة .

بسط روكلاند خريطة مسح ملطخة محدثا صوت زقزقة مزعجة . قبل سنوات عديدة كان والدى قد



اشترى بعض الأراضي من أبي السكير واتسون . في تلك الأيام كانت أغلب المعاملات تجرى بصورة عفوية ، لم تكن هناك الحاجة لاحضار مساح من المدينة لتدقيق الحدود .

وحسب مقولة السيد روكلاند فان بعض سجلات المسح الحديثة تثبت بأن الأب واتسون ارتكب خطأً بتقدير مساحة أرضه ، عندما باعها لوالدى ، وكشفت السجلات أن هناك شريطا ضيقا بحذاء قطعة الأرض لم يكن جزءا من البيع ، وعندما ورث السكير واتسون الأرض كان قد باع ما تبقى منها للعم رالف . وشرح السيد روكلاند لوالدى أنه اشترى ذلك الشريط من واتسون ، وأنه ينوى أن يحصل على عقد من أجل التنقيب عن البترول هناك .

خيم سكون مشؤوم عندما طوى روكلاند الخريطة ، وهو يقف وقفة المعتد بنفسه ، وكأنه قد وضع والدى تحت الأمر الواقع .

نظر والدى الى الرجل من الأعلى الى الأسفل وكأنه يفكر الى كم قطعة يستطيع تمزيقه . حبسنا أنفاسنا متسائلين عما يمكن حدوثه ، بعد ذلك لم نكن نتوقع شيئا أقل من العنف . ولكن قهقهة والدى فاجأت كل واحد منا .

ـ « لقد استطاع السكير واتسون أن يخدعك » هتف والدى .

ـ « ولكن هذا هو العقدّ أجاب روكلاند وهو يتكلف الابتسام .

ـ « ولكن ذلك كل ما تملك » أجاب والدى . »

ـ « أوه . سوف أؤ جر تلك الأرض أيضا ، أصر والدى والدهشة تعترينا » ولكننى أعتقد أنه سوف يمضى بعض الوقت قبل أن تستطيع أن توقع عقدا مع أى من رجال البترول .

ـ « لماذا ؟ سأل روكلاند .

اهتزت شوارب والدى وهو يقول « لأننى لا أرى كيف بامكانهم أن يحضروا فريقهم وآلياتهم الى ذلك الشريط الضيق من الأرض الا اذا نبتت لهم أجنحة .

وسرعان ما تبخرت ابتسامة السيد روكلاند « ماذا تعنى ؟ » كان والدى يشير بيديه وهو يجيب ، لأنه ليس لديهم أية طريقة للوصول الى تلك الأرض ، لأننى وأخى رالف نمتلك كل شبر من الأرض المحيطة بها « ثم أضاف وحسب السجلات لا توجد هناك أية طريقة قانونية تمكنك من عبور أرضنا الى ذلك الشريط ، يبدو لى أنك دفعت الكثير من أجل أرض لا تساوى شيئا .

بدأت حنجرة روكلاند تهتز كعرف ديكنا الرومى ، وانقلب وجهه الشاحب الى أحمر باهت ، ولكن الكلمات لم تسعفه .

تنهد والدى وهو ينظر الى سيارة روكلاند وهى تناور ، مخلفة وراءها عاصفة من الرمل .

ـ « في المرة القادمة تأكد أن الأوراق قد ملئت كما يجب » قالت والدتى موبخة .

ولكن والدى هز كتفيه بدون مبالاة . . . حسنا . لو أننى وضعت كل شيء بدقة على الأوراق مع هارى واتسون لكان بامكان ذلك المحتال أن يضعنى في موقف حرج ، لأننى اتفقت مع هارى اتفاقا شفويا بأن لديه حق المرور خلال الأرض التى باعنى أياها ، لأن ذلك كان طريقا اقصر بالنسبة له . ذلك هو السبب في وجود بوابات في كلا السياجين . ولكن باعتباره من أبناء المدن فان السيد روكلاند لم يأخذ تلك الامكانية بعين الاعتبار .

ـ « يجب على أن أشكر واتسون لعدم تذكيره لروكلاند بذلك . □

الشعر وعصر الكمبيوتر

بقلم : عبد الله زكريا الأنصاري

مازال الشعر له مكانة . ومكانته في دنيانا عظيمة بالرغم من حدوث نقلات كثيرة وكبيرة في شتى مجالات الحياة .
لكن هل يمكن أن يموت في عصر « الكمبيوتر » ؟ هذا ما يجيب عليه هذا المقال .

الشعر كلمة ليست كالكلمات ، لها رنين ، وفيها نغم ، ولها ايقاع ، توحي لك بالموسيقا ، وتسير معك في الخيال ، وتأخذك الى عالم السحر والجمال .

خلق الشعر مع الانسان ، يعيش معه ، ويحيا بحياته ، ويسمو بسموه ، ويموت بموته ، انه الصوت الجميل ، والنغم اللذيذ ، واللحن الحلو الناعم .

انه شعور الانسان ، وأحاسيسه ، وعواطفه ، يرق اذا رق ، ويعذب اذا عذب ، ويصفو اذا صفا . يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن .

يهدر اذا هدر ، ويثور اذا ثار ، ويغضب اذا غضب ، ويعنف اذا عنف ، ويهيج اذا هاج ، ويضطرب باضطرابه .

انه قابع في الحياة ، في داخل الانسان ، وفي كل شيء في حياة الانسان . انه في السماء وفي الأرض . فوق سطح البحر وفي قاعه ، فوق التراب وفي سفوح الجبال وفوق قممها ، في أشعة الشمس وفي ضوء القمر ، وفي لألاء النجوم والكواكب الأخرى الساطعة .

انه الشعر ، في أنفاس العذارى ، وفوق رؤوس الحراب . يغني للحياة ويغني للحرب . والحرب دعوة للحياة في كثير من الأحيان . ورحم الله الشاعر العربي الذي يقول في هذا المعنى : ـ

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل أن أتقدما

انه الشعر يطير في الفضاء ، ويجوب السموات العلا ، ويقطع الفيافي والقفار ، يشق عنان السماء ، وينفذ كالسهم ، ويجري كالنجم الثاقب بين النجوم .

هل يموت الشعر ؟

ويأتيك من يسأل ، هل يموت الشعر ؟ وهنا لا بد من القول الصراح : نعم يموت الشعر ، فيكون لجوابك وقع أي وقع !! وقع الذهول والقلق ، وقع الراحة الخادعة ، كيف ؟ ان الذهول والقلق قد يملوان أوجه محبي الشعر وقد يحزّان في نفوسهم ، والراحة الخادعة قد تبدو على محيا مبغضيه ، أو الذين يقولون بموت الشعر . أما الذين يعرفون الشعر ، ويفهمونه ، ويدركون روحه ، فتتسرب بهم معرفتهم وفهمهم وادراكهم الى صدق الجواب ووضوحه وصراحته ، ويرددون بأنفسهم وفي قلوبهم ، وملء مشاعرهم : نعم ان الشعر يموت ، وكل شيء يموت ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ،

ويقولون:لا بد للجواب على سؤال السائل ، من سؤال أيضا ويسألون : لكن متى يموت الشعر ؟ واذا لم يجدوا من يجيبهم على سؤالهم ، أجابوا هم أنفسهم قائلين :ـ ان الشعر يموت بموت الانسان وينتهي بانتهاء الحياة ، فما دام هناك انسان حي فهناك شعر ، ومتى فنيت الحياة مات الشعر ، ويجيبون اجابة أكثر وضوحا ، وأشمل ، ويقولون ان الشعر يموت اذا ماتت الحياة ، وما دامت هناك حياة فهناك شعر ، ذلك أن الشعر روح الحياة التي تتردد في الانسان ، وأنفاسه التي يتنفسها ، وبصره الذي يرى فيه ، وبصيرته التي ينفذ بها الى لب الأشياء .

انه الشعر الذي يُنطق الشاعرَ بما لايبصر ولا يرى ، يصف ما لايبصره ، ويصور ما لا يراه ، بل ويسمع ما لا يُسمع . انه الشاعر الذي يبصر بمشاعره ، ويرى بأحاسيسه ، ويسمع بعواطفه . وهل يجب على الشاعر أن يكون مبصرا ليصف ما يبصره ، وذا عينين ليصور ما يرى بهما ؟أو ذا سمع ليغني بما سمع ؟

ان بصر الشاعر وسمعه وبصيرته انما هو شعوره واحساسه وعاطفته ، يفقد بصره فيرهف شعوره ، وتشتد أحاسيسه ، وترق عاطفته ، ويفقد سمعه فتدق الأصوات المنبعثة داخل جوارحه فينغمها بأحلى نغم وأجمله ، الم يقل الشاعر الأعمى (أبو العلاء المعري) :

ليلتي هذه عروس من الزنـ
ـج عليها قلائد من جمان

ويقول :

وكأن الهلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقان

ويقول :

وسهيل كوجنة الحب في اللو
ن وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمح في احمرار كما تسـ
ـرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي
فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو في العجـ
ـز كساع ليست له قدمان

ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ
ـر فغطى المشيب بالزعفران

الى آخر هذه الأبيات الوصفية الرائعة .

كيف تأتّى لهذا الشاعر الأعمى ، المغرق في العمى أن يصف ليلته بالعروس الزنجية السوداء المتزينة بالقلائد من الجمان ؟ كيف يصور الجمان اللامع على صدر الحسناء السوداء ؟ وهو لم ير الجمان ، ولم يبصر حسناءه السوداء ؟

ويأتي الى الهلال وهو في كبد السماء ليصوره عاشقا ولهاناً ، ويصور الثريا معشوقة له ، ويصور اعتناقها في السماء ، مثل اعتناق العاشقين اللذين يهمان بالوداع ، وكلما آن الرحيل اشتد العناق بينهما ، وكلما أزفت ساعة الفراق تضرم الشوق ، وغلى مرجل الحب ، وأخذ كل عاشق عاشقه بالاحضان يعتصره ويعتصر معه قلبه ، نعم كيف صور هذا الشاعر الأعمى هذا المنظر العجيب ، ثم يمضي به الوصف وتستبد به الرؤى ، ويرسم لوحة متحركة حية خالدة لسهيل ، وسهيل هو النجم المتلألىء الذي يحمل الى أهل الكويت وأهل المنطقة تباشير الخريف ، حيث تبدأ أيام الصيف الحارقة بالتلاشي ، وتحل محلها الأيام التي تتخللها نسمات الخريف المنعشة الباردة التي تسبق نسيم الشتاء .

نعم يصور شاعرنا الأعمى سهيلا بقلب المحب ووجنته ، وقلب المحب أبدا في خفقان ، ووجنة الحب يعلوها الاحمرار الممزوج بالصفرة المحببة ، نعم انه سهيل المتلالىء اللامع سريع اللمح في احمراره كسرعة اللمح في مقلة الغضبان ، فكيف رأى شاعرنا الأعمى احمرار مقلة الغضبان كيف رأى الشرر يتطاير منها ، بل كيف رأى اللمحات التي يرسلها سهيل في تلألئه ، وراح يرسم هذا المنظر الجميل بريشته الشعرية البليغة ؟ ثم يصفه بالمحارب الشجاع الذي ضرجته سيوف الأعادي بالدماء فراح يجر قدميه ، وبدا ساعيا بدون قدمين ، يسحب نفسه سحبا ويجر جسمه جرا . وهكذا ظل محاربنا البطل حتى شاب الدجى ، والدجى ليل ، والمشيب بياض ، أي حتى أرسل النهار خيوطه البيضاء في شعر الدجى الأسود على رأسه ، فخاف الدجى أن يهجره الحبيب فلم يجد ما يغطي به شيبه غير الزعفران .

نعم أي لوحة للدجى أروع من هذه اللوحة .

يشيب الدجى ، أو تبدأ خيوط المشيب تجلل رأسه ، ويخشى أن يهجره الأحباب فيصبغ شيبه بالزعفران ، وأنت ترصد الليل فتراه سوادا ، وعندما تبدأ خيوط الفجر تبدأ بيضاء رويدا رويدا ترى الليل الأسود وقد بدأ يكسوه اللون الاصفر الذي يشبه الزعفران ، وهي الصفرة المنبعثة من أشعة الشمس قبيل بزوغها ثم يتحول الليل نهارا ساطع البياض .

ونضا فجره على نسره الوقع سيفا فهمّ بالطيران

ولما استل الصباح سيفه هب النسر بالطيران وطار .

انها صور بديعة يرسمها لنا هذا الشاعر الأعمى وهناك غيره من الشعراء كثيرون لو أردنا الاستدلال بهم لضاق بنا المجال ، وهم شعراء مصابون بالعمى أو مصابون بالصمم .

ذلك هو الشعر ، حيٌ ما بقيت الحياة ، يوحي للشاعر فينطق ويبدع بنطقه ، وفي أحيان يوحى له فيصف ما لم يره ، ويصور ما لم يصوره ، ويسمع وان كان غير سميع .

انه الشعر ، يلهم الشاعر صورا ما كان يدري بها ولم يرها ، ويلهمه معاني ما كانت تدور بخلده ، ويلهمه ابداعا ، ورؤى مجنحة ، ويكشف له لمحات تكاد تكون من الغيب ، ويطوف به في عوالم أخرى ، يجوب أنحاءها ، ويخوض غمارها ، ويجوس خلالها . كل ذلك بمشاعره وأحاسيسه وبعواطفه وخياله الواسع الذي يمده له الشعر مدا ، ويخلقه له خلقا .

الشعر والكمبيوتر

وهناك من يقول في هذا العصر الذي تتكشف فيه أسرار العلم ، ويأخذ بعضها برقاب بعض ، ويسيطر فيه « الكومبيوتر » على حركات ما يأتي به العلم ، ويكاد أن يحصي أنفاس الكون في حركاته وسكناته ، نعم هناك من يقول:إن الشعر بدأ في الانحسار ، وان الشعر لم تعد له فائدة ، ولا جدوى في عصر « الكومبيوتر » انهم ينظرون الى الحياة كما ينظر اليها « الكومبيوتر » تماما ان صح التعبير ، وربما يصح التعبير في عالم لا يتعدى فهمه عالم الأرقام ، ولا يخرج من دائرة علم الحساب ، حتى ولو كان حسابا في دقة ما يحفظه له جهاز (الكومبيوتر) وهو عالم لايدرك ، بل لا يتحمل فكره ، ولا يستطيع أن يتقبل عقلا منطلقا من عقال الارقام أو علم الحساب ، أو جهاز « الكومبيوتر » ، ولا يتصور أن الشعر شيء ، أو خلق يسمو على الارقام ، ولا تحده دائرة علم الحساب ، ولا يتقيد بجهاز « الكومبيوتر » .

لاشك أن هذا هو عصر « الكومبيوتر » و « الكمبيوتر » جهاز أتى به عقل الانسان في العصر الحديث ليساعده على رصد أموره الحياتية ، في صناعته ، وفي عمله المكتبي ، وفي زراعته ، وفي اكتشافاته ، وفي مختلف علومه وأعماله كافة ، وربما أدى الى خدمات أهم وأعظم . الا أن منزلة الشعر تبقى هي الأعلى وهي الأهم ، لأنها هي في صميم الانسان ، وفي صميم جوارحه ومشاعره ، بل انها في صميم خلقه ، وستبقى معه ما دام يتنفس الحياة ، أما جهاز « الكومبيوتر » فربما عصف به العلم وأتى بجهاز آخر غيره بصورة أدق وأروع حتى هذا الجهاز الآخر يظل عرضة يحل محله للالغاء ، وربما عرضه للسخرية والتندر والاستهزاء ، ما دام العلم يسير في تقدمه ، وما دام العقل البشري يتفكر ، والانسان يتدبر مستعينا بالعلم ، ومستعينا بالعمل على العلم ، وبالعلم على العمل . ويظل وسيظل هكذا حاملا معه جوارحه ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه ما بقيت الحياة ، وان انتهت حياته انتهى معها كل شيء .

وبانتهاء حياة الانسان تنتهي معها كل حاجاته ، من علم وعمل ، ومن شعر وخيال وابداع .

وسوف يبقى الشعر ما بقيت الحياة ، يترجم وجدان الأنسان في افراحه ، وأتراحه ، ويترجم روعة الحياة في مسراتها ، ومآسي الحياة في كوارثها ، خارج دائرة علم الحساب ، وبعيدا عن الأرقام ، وانما في دائرة الخيال على رحبها ، وفي عالم الوحي الذي لا يحده حد .

نعم ، سوف يبقى الشعر ، وينتهي الكومبيوتر » ، وسوف يبقى الشعر وينتهي ما بعد « الكمبيوتر » حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وربما بعث الشعر مع الانسان في حياته الأخرى ، والله بكل شيء عليم . □

الأم والبنت والحفيدة



وراثة غالبة مسيطرة يبدو بها انسدال في الاجفان العلوية وتباعد في المسافة بين المآقي الانسية وتضيق في الفرجة الجفنية وقد زادت الاذية سوءا في الجيل الثالث فظهر نقص في الاهداب وتشوه وشتر في حواف الاجفان .

أمراض العيون هل تورث ؟

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

منذ عرفت الوراثة الجسمية في الطب كان لأمراض العيون نصيب بارز فيها حيث خضعت للبحث أمراض عيون عديدة تنتقل بالوراثة من الآباء الى الأبناء ، ومن الاجداد والأسلاف الى الأحفاد عن طريق أبوين سليمين ظاهراً ، فما السبيل الى معرفة المصاب من السليم ؟

الخلية الناسلة التي تحوي الصبغيات المورثة تحمل شتى الصفات التشريحية والفيزيولوجية ، الطبيعية منها والمرضية ، وهذه الصفات الموروثة قد تنتقل رأسا من احد الأبوين أو كليهما ، أو تتنسل من أجيال غابرة وتبقى كامنة لتظهر فجأة في جيل ما ، تاريخا بشريا مستحدثا مكررا لا سبيل لصده بعد أن وجد الظرف الملائم للظهور .

والوراثة العينية تبدو بوضوح في بعض الأجناس والشعوب كالصينيين الذين يتماثلون في شكل فرجة الاجفان وأبعادها وانحرافها عن الخط الافقي الى الاعلى والوحشي،وتتباعد عندهم المسافة بين المآقي الانسية فيصبح جسر الانف عريضا مبسطا خلافا لما هو الامر عند العرب مثلا حيث يميل جسر الانف للحدة والضيق وبعض الارتداد .

وتظهر الاختلافات الارثية العرقية بوضوح في حجم القرنية وتحدبها ولون القزحية ، فهي باهتة الصباغ عند الغربيين ، تبدو خضراء وزرقاء ورمادية حسب الامواج الممتصة فيها والمنعكسة منها ، بينما يتراكم الصباغ ويتكاثف في القزحية عند الشرقيين وخصوصا الافريقيين وهو عند العرب بين بين لاختلاطهم وتزاوجهم بالعديد من الجنسيات والاقوام عبر التاريخ ، فهنالك العيون الزرقاء والخضراء والعسلية والبنية القاتمة . ومن الطريف أن اللون الاسود الحقيقي لايوجد في القزحية لذلك ليست هنالك عيون سوداء بالمعنى الدقيق .

اذن فشكل العين واتساع الحدقة وأقيسة الفرجة الجفنية ، كلها تورث سواء كانت ضمن نطاقها الطبيعي أو تعدته الى الاشكال المرضية .

ولعل العرب هم من أوائل الاقوام التي أدركت علم الوراثة،فالقرآن الكريم يشير الى انتقال وراثة الجنوح السلوكي (ربِّ لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) والرسول العظيم يقول (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) وكان الرجل يتخير أحسن الخؤولة لابنائه . حتى لا يندس العنصر الخبيث في نسله ، سواء كان مرضا جسميا أو عينيا أو عقليا .

وقد حث الاسلام على التزاوج بين القبائل والشعوب الاسلامية طالما كان الجسم صحيحا والعقل نيرا والقلب مؤمنا والسلوك اسلاميا (لافضل لعربي على أعجمي ولا لاعجمي على عربي الا بالتقوى) ، ولكن الردة القبلية التي برزت عندما ضعفت الامة العربية المسلمة،وانحسرت شمس حضارتها وتقهقرت وتقزمت ، أدت الى التقوقع والاقتصار على العائلة الواحدة والعشيرة الواحدة ، فكثر زواج ذي القربى وأدى الى بروز العديد من الامراض الوراثية ، وخصوصا العينية منها . وتفسير ذلك أن ابناء العمومة أو الخؤولة الواحدة قد يحملون صبغيات مورثة مرضية متماثلة دون أن تظهر عليهم الامراض ، فاذا ما تزاوجوا كان نصيب اطفالهم من الوراثة المرضية مزدوجا مما يساعد المرض الوراثي المستتر على الظهور .

ومن الامراض الوراثية العينية « الساد العيني » ، والحول ، وتشوهات الاجفان وسرطان الشبكية ، وقصر البصر الخبيث ، ومد البصر العالي ، وداء الزرق وضمور العصب البصري ، وعمى الالوان ، والعشاوة أو العمى الليلي ، واعتلال الشبكية الصباغي .

وقد تتبع وراثة أمراض العيون النمط الغالب المسيطر ، او النمط الوراثي المستتر ، أو النمط الوراثي المرتبط بالجنس .

بعضها يورث

وكمثال على الوراثة الغالبة المسيطرة في امراض العيون«العشاوة»أو العمى الليلي . وهنا يذكر تاريخ طب العيون أكبر دراسة عائلية لفلاح فرنسي اسمه جين نوغاريه كان مصابا بالعمى الليلي ، وقد جرت دراسة تتبعية لعائلته على مدى خمسة أجيال منذ عام ١٨٣٨ وحتى عام ١٩٥٦ ، من قبل عدة أجيال من أطباء العيون توارثوا دراسة أنسال تلك العائلة . وهكذا درس أكثر من الفي شخص من ذرية تلك العائلة،ولوحظ أن كلا الجنسين قد أصيب بهذا المرض المسيطر .

وانه عندما يتزوج المصاب ، يظهر المرض في نصف ذريته ، أما اذا تزوج قرينان خاليان من المرض فإن ذريتهما ستكون سليمة مائة بالمائة حتى وان كان بعض أجدادهم قد أصيب به،لأن نقل الوراثة المرضية



الاب كفيف البصر منذ الولادة والأم مصابة بداء الساد الولادى وهى ضعيفة البصر ، والذرية كلها مصابة بداء الساد الولادى في العينين ، أجريت لهم جيما عمليات جراحية في العينين .

في هذه الحالة يتم مباشرة من أحد الابوين المصابين .

هنالك أمراض عينية وراثية تترافق مع امراض جسمية وتخلف عقلي ، كما في داء العته المغولي ، فاضافة للاعاقة العقلية هنالك إعاقة بصرية يكثر فيها وجود الساد العيني وتشوهات القرنية ، وتبدو الفرجة الجفنية مائلة للاسفل والوحشي على عكس ما هو عند العرق الصيني . وقد دلت الدراسة الخلوية في هذا المرض على أن هنالك جنوحا في عدد الصبغيات المورثة (كروموزوم) . فالخلية الطبيعية تحوى أربعة وعشرين زوجا من الصبغيات المورثة ، ثلاثة وعشرون منها صبغيات تحمل الصفات الجسمية ، والزوج الاخير خاص بالجنس يختلف حجما وشكلا في الذكر عنه في الانثى ، وقد وجد ان علة الداء هو التثلث الصبغي ، فالزوج الثامن أو الثالث عشر يحوى ثلاثة جسيمات صبغية بدلا من اثنين .

بين الأقارب أكثر

وهنالك أمراض وراثية عينية تترافق بأخطاء استقلابية ، أى ان العلة الاساسية هي نقص ولادى موروث في بعض الخمائر الهامة التي يعتمد عليها استقلاب بعض الحموض الأمينية ، كما في داء انقلاع العدسة البلورية في العينين المترافق مع بيلة الهيموسستين،وعادة يكون والدا المريض أبناء عمومة أو خؤولة أولى ، وتحدث هنا سلسلة من الاختلاطات العينية تؤدى بالتالي الى العمى . ويكون الطفل مصابا بتخلف عقلي شديد وتشوهات جسمية عظيمة مفصلية . وقد ترزق (أو ترزأ) العائلة بأكثر من طفل واحد مصاب بهذا المرض ، وهنا الطامة الكبرى . ويندرج داء البرص العيني ايضا مع الامراض العينية الوراثية المستترة ، والمترافقة بأخطاء استقلابية . فالخميرة المسؤولة عن عمل الصباغ القتاميني تكون مفقودة ، إما في أنسجة العين فقط أو في الجسم كله . لذا تبدو العين بلا لون ويظهر البؤبؤ أحمر،ويعاني المصاب من ضعف البصر ورهبة الضوء . والرأرأة العينية .

اذن فوراثة امراض العيون قد تتبع انماطاً واشكالاً شتى ،فقد تكون وراثة غالبة مسيطرة ، اى انه تكفي اصابة احد الزوجين فقط بذلك المرض لينتقل لنصف ابنائه ، وليس هنالك حامل مستتر للمرض .

وقد تكون الوراثة جسمية، أى أن الصفة المرضية المورثة عالقة على إحدى الصبغيات الجسمية، ويشترط ظهور المرض في الأبناء وجود تلك الصفة المرضية في خلايا الأبوين كليهما، فالزوجان كلاهما يحملان المرض بشكل مستتر دون أن يبدو عليهما أذى معين . وهنا تكمن المعضلة ، وهي عدم التوقع ، وفجاة يظهر المرض في الطفل الأول ثم تتكرر الاصابة في الأطفال الآخرين،وما يعقب ذلك من مآس وأوجاع عائلية . ومثال هذا النمط اعتلال الشبكة الصباغي وعمى الليل .

وقد يورث المرض العيني بنمط مرتبط بالجنس ، أى أن الصفة المرضية الموروثة ـ تلصق بأحد فرعي

الزوج الرابع والعشرين من الجسميات الصبغية الخاص بجنس الانسان ذكرا أو انثى . وكمثال على ذلك ـ داء الهموفيليا ، أو عدم تخثر الدم،ويرافقه عادة مرض عمى الالوان ـ وهذا الداء يصيب الذكور فقط ويمر عبر الاناث اللواتي يحملنه بشكل مستتر،ويورثنه لابنائهن الذكور . وكان هذا الداء يعرف بداء الملوك لانه ظهر في الأسرة المالكة في اوروبا،وقد اصيب به ولي عهد القيصرية الروسية .

أما اذا كان المرض المرتبط بالجنس مسيطرا فتختلف النتيجة حسب جنس القرين المصاب ، المصابة تلد أطفالا نصفهم مصاب بغض النظر عن جنسهم . اما اذا تزوج الرجل المصاب بمرض وراثي مرتبط بالجنس فأنه سيورث المرض لنصف ابنائه ـ جميع بناته ـ اذا كان يحمل المورثة على الصبغي × وان جميع ابنائه الذكور سيصابون بالمرض اذا كان يحمل الصبغة الموروثة المرضية على الفرع القصير Y من الزوج الصبغي الجنسي .

استقراء العوامل الوراثية

ولقد ارتقت الدراسة الالكترونية الخلوية فاصبح بالامكان استقراء الكثير من العوامل المرضية الوراثية مبكرا .

ان امراض العين الوراثية كثيرة ومتعددة في بلادنا ، تنشط في المجتمعات المتخلفة التي يغلب فيها زواج القربى ويصادف اغلبها في الطبقات الفقيرة المسحوقة .

ففي درّاسة أجريتها على أطفال معاقين عقليا وبصريا تبين أن ٦٠٪ منهم كانوا نتاج زواج ذوى القربى وخصوصا عندما يكون نمط الوراثة جسميا مستترا .

وعلاج مشكلة أمراض العيون الوراثية يكون بالعمل على تجنبها والاقلال منها وذلك بمراقبة الزواج والتشاور بموضوعه ، لان الزواج لا تنحصر نتائجه بالزوجين فقط بل هنالك المجتمع الذى يستقبل نتاج ذلك الزواج ويتعايش معه . فالمجتمع الصحيح يتخير أعضاء اصحاء قادرين على تحديات الحياة . ويعمل على الوقاية من أحداث تنخر كيانه وتضعف بنيانه ، وهو في نفس الوقت يجند فعالياته للمحافظة على افراده وتخفيف الرزء عنهم ، فيعالج المرض العيني سواء كان المصاب صحيحا أو معاقا عقليا .

ولا بد من دراسة الشجرة العائلية للشخص المصاب أو الفرد الذى لديه قريب مصاب قبل أن يقرر الطبيب نمط الوراثة المرضية الكامنة ، فاذا كان كلا الزوجين مصابين بالمرض لا بد من تجنب انجاب الاطفال اذا اريد ايقاف سلالة ذات اعاقة عينية شديدة ، لان احتمال اصابة عدد كبير من الاطفال بنفس المرض أمر وارد وخطير .

هكذا تقول قوانين الوراثة، ولكنها ليست قواعد حسابية دقيقة،ومع صعوبة ضبط الزواج بقوانين آلية وحسابية ، وخصوصا لما يرافق اختيار الاقران الزوجية من عواطف ومشاعر انسانية ، وتعقيدات اجتماعية لا تنسلك دائما في الحسابات والتخطيطات النظرية ، ولكن يبقى الابتعاد عن زواج القربى وتجنب الاقتران بين زوجين يحملان نفس المرض ادعى لتجنب امراض موروثة وان كان لن يمنع ظهور ذرية جديدة تحمل آلام اجداد واوجاع تاريخ بشرى سحيق . □

فارق السن

قالت الشابة لزميلتها : لقد قابلت خطيبي عندما كنا صغيرين في المدرسة ، كان عمري خمس سنوات ، وكان عمره كذلك خمس سنوات ، أما الآن فقد كبرنا ، فأصبح عمري الآن ٢١ سنة وصار عمره يقرب من ٣٣ سنة !

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الفهم واللغة .. في متناول القردة

نشرت مجلة (ناتشر) الطبيعة ، في عددها الصادرفي مطلع شهر أيار الماضي (١٩٨٥) تقريرا لعالم ياباني معروف هو الدكتور تتسورا ماتسوزاوا ، احد الباحثين في حامعة كيوتو ويدكر الباحث البيولوجي المتخصص في شؤون القردة انه نجح في تعليم الشمبانزي (آي) مبادىء اللغة والحساب ..

ويجدر بالقارىء أن يستبعد من تفكيره النطق والكتابة من اللغة التي تعلمها الشمبانزي آي .. فهذه لغة اشارات ورموز فحسب .. وكل مايطلب من الشمبانزي بصددها انما هو مجرد فهم مدلول تلك الرموز والتصرف وفق مايتطلبه ذلك المدلول.وقد تعلم الشمبانزي ١٤ منها في المرحلة الاولى من الدراسة ..

وقل مثل دلك في الحساب ، وقد تعلم آي ستا منها (من ١ ـ٦) واصبح في استطاعته ان يضغط على الزر الذي يضيء خمسة اذا كان عدد البرتقالات التي طلب منه عدها خمسة

هذا بالاضافة الى الالوان .. وقد درب القرد على ١١ لونا هي كل ألوان الطيف أو تزيد ومازال يتعلم المزيد من الالوان والرموز والاعداد حتى أصبح في مقدوره تركيب مايقارب من ٣٠٠ « عينة » او عبارة لغوية ..

وغني عن البيان ان تعليم الشمانزي اللغة وهو لايتكلم ولاينطق ليتطلب الاعتماد على جهاز الكتروني مجهز بالازرار المناسبة والاضواء المناسبة .. ويسهل على القرد استعماله والضغط على أزراره للتعبير وطرح الاسئلة والرد عليها ودلك بصورة بدائية طبعا ..

لغة القردة ورموزها



بداية التفاهم مع الشمبانزى .. هل هى بدايةعهد حديد فى التاريخ البشرى

وثمة وسيلة اخرى شدت الشمبانزي الى التعلم وهي المكافآت المادية التي يحصل عليها اذا نجح،وبقدر ما يحرز من نجاح .. وقد تراوحت نسبة نجاحه بين ٦٣٪ و ٩٠٪ وذلك تبعا لبساطة الدروس أو تعقيدها ..

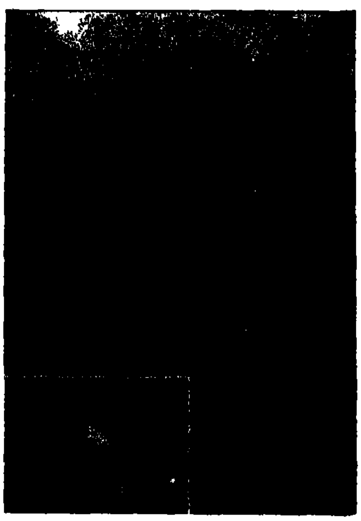
ويبين الرسم المرافق لهذا الكلام ، في السطر العلوي ، لغة الشمبانزي ورموزها ال ١٤ ، وفي السطر الاوسط الالوان والاشارات الدالة عليها .. ويتبين في السطر الثالث ما أتقنه من الارقام العربية / الهندية من ١ـ٦ ، وهي طبعا في غير حاجة الى اشارات أو رموز .

بقي أن نشير الى ماتدل عليه هذه المنجزات من قدرة الشمبانزي الفائقة على الفهم .. فهو لايقدر على النطق ويمارس الفهم دون كلام .. شأنه في ذلك كشأن الأخرس ..

يصعب تعليمه ان لم يتعذر .. وكذلك الانسانية ككل ، ربما استحال عليها تعلم اللغة واتقانها وبقيت حضارتها عرجاء حتى الان ، لو لم تنعم بالقدرة على النطق والكلام .. فالنتائج التي أحرزها الشمبانزي اذن جديرة بالتقدير وباعثة على الأمل ، الامل في ألا يبقى الانسان وحيدا في هذا الكون وأن يمضي في تعليم الشمبانزي على نطاق واسع حتى يصبح جليسه الأنيس وخادمه المطيع ...

البيت الأبيض يمنح الجائزة الأولى

اقام الرئيس ريجان في الثلاثين من شهر يابر الماضي الاحتفال الخاص باختيار الابتكارات العلمية الصناعية المتفوقة ، وفازت بالجائزة الاولى قدم سياتل كما يسمونها . ، كما فاز بها ١٢ ابتكارا آخر كان بعضها في مجال الانشاء والتعمير وبعضها في مجال الصناعة . ولم تمنح الجوائز عشوائيا بل كان هناك هيئة محلفين من الاختصاصيين لأن شروط الفوز بجائزة تضمنت الاتقان الفني .



ـ الرجل يعدو بالقدم الاصطناعية التي فازت بالجائزة

معالجة الاكتئاب بالكهرباء

ان المعالجة بالصدمات الكهربائية آخذة في كسب المزيد من الانصار والمؤيدين يوما بعد يوم . ، ويبدو أن سوء الفهم هو المسؤول عن السمعة غير الطيبة التي اكتسبتها تلك الطريقة . هذا هو ماذهب اليه الطبيب النفساني ريتشار داينر (جامعة ديوك) ، وذلك في مقاله المفصل الذي نشرته له مؤخرا مجلة الطب النفساني .

ومما يذكر ان مستشفى باركلي في كاليفورنيا ، حظر المعالجة بالصدمات الكهربائية سنة ١٩٨٢ ، ولكنه مالبث أن رفع ذلك الحظر .

ولعل الحسنة الكبرى التي تنسب الى



ـ المريض قبيل معالجته بالكهرباء ضد الاكتئاب

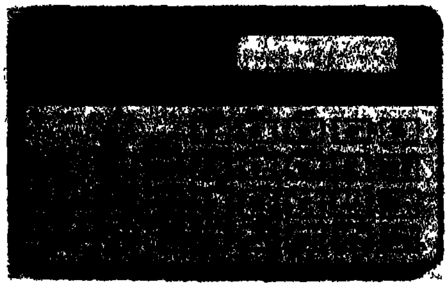
هذه المعالجة انما هي في شفاء المريض من الاكتئاب شفاء مؤقتا او نهائيا . على أنهم لايعرفون كيف تعمل اجهزة هذه المعالجة ، وكيف تضمن القضاء على الاكتئاب وذلك بالرغم من أن نحواً من اربعين سنة قد مضت على ظهورها .

فكل مايعرفه المختصون هو أن الكهرباء تسبب نوبة للمريض ، ودلك تبعا للتغيير الذي تحدثه في الاشارات الكهربائية الطبيعية التي تطلقها اعصابه . وقد يصحب تلك النوبة افرازات هرمونية ، أو ما الى ذلك من المتغيرات البيوكيماوية والمرجح هو أن لهذه المتغيرات علاقة مباشرة بالخلاص من الاكتئاب .

اما كيفية المعالجة بالصدمات فأول مايذكر بصددها التخدير الذي لابد للمريض منه . ويتناول المريض ايضا مستحضرات ترحية العضلات . ومن ثم تغرز في رأسه الاقطاب الكهربائية الصغيرة (الكترودات) ليسرى في رأسه ولمدة ثلاثة ارباع الثانية ، تيار كهربائي بقوة ١٥ شمعة وهكذا تظهر النوبة التي لاتستغرق سوى دقيقة او اقل . وقد يولّد القائمون على المعالجة اكثر من نوبة واحدة . ومهما يكن من امر ، فان استكمال المعالجة يتطلب ٦ ـ ١٢ نوبة بمعدل ٣ نوبات في الاسبوع الواحد .

راصد الصلاة

هدا جهاز جديد طور في امريكا في الربيع الماضي ، وذلك لاستعمال المصلين المسلمين ، لتمكينهم من تحديد مواعيد الصلوات الخمس ، لافي مدينة واحدة فحسب ، وانما في عدد كبير من المدن يزيد على ٤٠٠٠ مدينة .



ـ هذا هو راصد أوقات الصلوات الخمس في مشارق الارض ومغاربها

والجهاز صغير الحجم اذ لايزيد على حجم رخصة قيادة السيارة طولا وعرضا ، ولايزيد سمكه على ٤ ملم .

وغني عن البيان أن الجهاز يعمل بالكمبيوتر ، ولكنه يعتمد على ميكروبروسسور متطور جدا .. وهو يعمل باللمس ، لا بالضغط ، ويتوقف اوتوماتيكيا لدى التوقف عن لمسه . ومن مزاياه انه مزود بذاكره تحتفظ بآخر ماتم احتسابه من مواعيد الصلاة ، وذلك حتى في حالة توقف الجهاز . وجهاز راصد الصلاه يخطىء ولاريب ، فالكمال لله وحده .. ولكن خطأه لايجاوز ٣٠ ثانية في الخمسين عاما .. هذا اذا اخطأ .

مكتشفون ومخترعون



البرت اينشتين
(١٨٧٩ - ١٩٥٥)

ولد ألبرت اينشتين سنة ١٨٧٩ ، في مدينة أولم في جنوب المانيا . . وما لبث أن انتقل مع أهله الى ميونخ وذلك بسبب فشل أبيه في أعماله الحرة .

ثم التحق بكلية زيوريخ المهنية (بوليتكنيك) الشهيرة ،والمعروفة آنذاك بالاسم المختصر ETH . . . وقد راق لالبرت نظام التعليم الديمقراطي السويسري الا انه لم يفد منه كثيرا فقد آثر الغوص في أمهات المراجع العلمية على حضور المحاضرات . فاضطر للاعتماد على رؤوس الاقلام التي سجلها احد زملائه ، مارسيل جروسمان ، لتلك المحاضرات . .

وتخرج البرت سنة ١٩٠٠ ليجد أبواب الرزق مقفلة في وجهه . . فقد سعى الى التدريس في الجامعات بلا طائل ، واضطر لاعطاء دروس خاصة هنا وهناك حتى تم تعيينه في دائرة البراءات وتسجيل الاختراعات سنة ١٩٠٢ وذلك بمساعدة نفس الزميل الذي كان ساعده في الدراسة . . مارسيل جروسمان . وكان البرت قد حصل على الجنسية السويسرية قبل حصوله على تلك الوظيفة بعام .

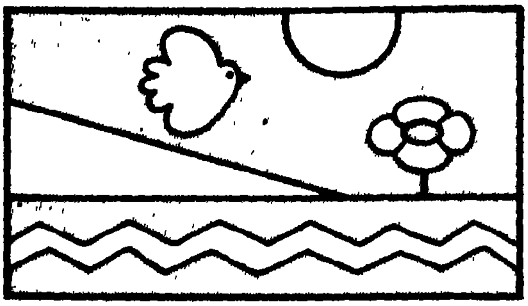
وجاءت سنة ١٩٠٥ واذا بعبقرية اينشتين تتفجر على حين غرة ، وكأنها البرق الخاطف الذي ملأ الدنيا بضيائه في لحظات معدودة .

فقد نشرت احدى المجلات العلمية الرصينة في تلك السنة عددا من الأبحاث الجادة الخطيرة التي أخذت علماء ذلك العصر على حين غرة،وقد تناول اينشتين في احدها نظرية النسبية،وركز في بحث آخر على معادلته الشهيرة ($E=mc^2$) معادلة الطاقة بالكتلة . ومعادلته هذه كانت ومازالت القاعدة الأساسية للتفجيرات الذرية والنووية ، وفتحت تلك الأبحاث لاينشتين أبواب الجامعات على مصراعيها ووثقت عرى الصداقة بينه وبين كبار علماء تلك الأيام .

وبدأ اينشتين عهده الجديد بالتدريس في جامعة زيوريخ ثم في جامعة براغ ، ثم أصبح مديرا لمعهد القيصر فيلهلم للفيزيا ، التابع للأكاديمية البروسية في برلين ، وكانت تحتل القمة بين الجامعات آنئذ . كان ذلك سنة ١٩١٤ أيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تحل ظروف الحرب بينه وبين المضي في أبحاثه الخاصة بنظريته النسبية العامة التي ما لبثت أن استكملها في غضون سنتين . أما دراسة انحراف اشعة ضوء الشمس بتأثير الجاذبية - وهي الدراسة التي حالت الحرب بين اينشتين وبين اجرائها - فقد اجراها الانكليز سنة ١٩١٩ ، وثبتت صحة نظريات اينشتين في هذا الصدد ثبوتا أكسبه المزيد من الشهرة وذيوع الصيت .

ولكن اينشتين كان من دعاة السلام ولا يقر الحرب والقتال ، ثم انه يهودي وان لم يكن متعصبا ولا متزمتا . لا عجب اذن ان بدأ يشعر بالمضايقات التي أخذت تزداد مع الايام ، وخصوصا بعد ظهور طلائع الحركة النازية في العشرينيات . ولم يغير في ذلك حصوله على جائزة نوبل في الفيزياء (سنة ١٩٢١) ، ولا كثرة سفراته التي شملت فيما شملت الشرق الاقصى وجنوب شرق آسيا وفلسطين فضلا عن بريطانيا وبلجيكا وامريكا .

وفي سنة ١٩٣٠ هاجر اينشتين الى الولايات المتحدة واستقر فيها حتى وفاته سنة ١٩٥٥ . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

السمك مصاب بالسرطان

من المعروف أن مياه الانهار والبحيرات ملوثة في الولايات المتحدة الامريكية ، ويعزى تلوثها هذا الى آلاف الاطنان من النفايات الكيماوية والصناعية التى كانت تلقى فيها منذ ظهور المصانع وحتى سنة ١٩٧٠ ، حين سُنت القوانين واتخذت الاجراءات وتم بالفعل حظر إلقاء تلك النفايات في تلك المياه ، واطمأن الامريكيون وظنوا ان بحيراتهم وأنهارهم باتت في مأمن من تلك المواد السامة ، ولم يخطر لهم ببال أن أثرها يمكن أن يستمر في تلك المياه حتى يظهر في أواسط الثمانينيات ، ويظهر على نحو بشع مفزع . . .

فقد اكتشف العلماء مؤخرا ان الاسماك في تلك الانهار والبحيرات مصابة بأورام سرطانية مختلفة . . وتحققوا بالتجارب العلمية التى أجروها من أن أكثر الاسماك تضررا كانت أسماك نهر دواميش في واشنطن ونهرى هوسون وبوفالو في نيويورك ونهر بلاك في أوهايو . . فضلا عن بحيرة تورنتش في شمال ميشجان . وتحققوا أيضا من أن النفايات الصناعية التى كانت تلقى في الماضى في تلك الانهار والبحيرات والتى توقف القاؤها اعتبارا من عام ١٩٧٠ ، هي السبب المباشر لاصابة السمك بالسرطان . . ومعنى هذا أن أذى التلوث قد لا يظهر على الفور . . . وقد تمضي عشرات السنين دون أن يظهر ولكنه سيظهر لا محالة ، إن عاجلا أو آجلا . . .



* السمك المصاب بالسرطان والمياه الملوثة التى اكتشف فيها . .

وامتنع الامريكيون بطبيعة الحال عن أكل تلك الأسماك المتورمة . . ولكن امتناعهم هذا لم يقهم شر الاصابة بالسرطان . . فقد دلت الفحوص الدقيقة التي اجريت على نطاق واسع ان سرطان الجلد والجهاز الهضمي منتشر بين سكان منطقتين من المناطق الموبوءة الخمس التي ذكرنا ، وان الوفيات زادت بنسبة ملحوظة بين سكان تلك المناطق كلها . . ذلك ان لمس تلك المياه ـ مجرد لمسها باليد ـ يمكن أن يسبب للمرء الاصابة بأحد الاورام الخبيثة . . اما الشرب من تلك المياه فكفيل بإحداث تلك الاصابات بنسبة تزيد على ٦٠٪ . . لا عجب إذن أن حظرت السلطات المعنية السباحة في أكثر تلك المياه . . وحظرت قبل ذلك الشرب منها حظرا تاما .

وتجدر الاشارة الى أن الاذى الذى يترتب على أكل تلك الاسماك المصابة أخطر من كل ما ذكرنا . . فهو يعادل الاذى المتراكم بسبب شرب تلك المياه الملوثة على مدى ألف عام . . □

البلدة الشمسية الاولى

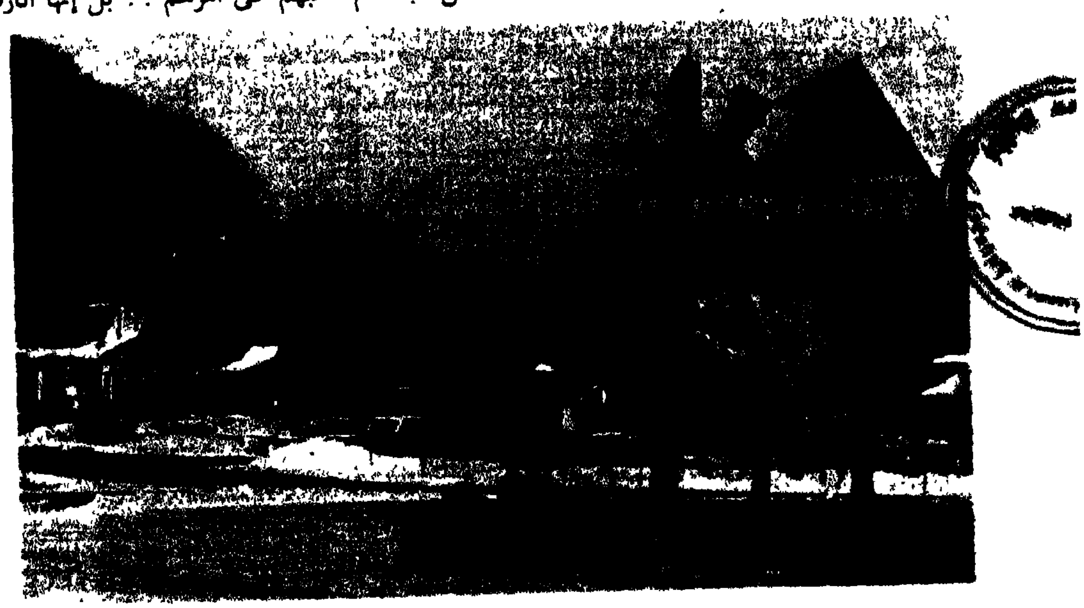
بلدة « سولجرز جروف » بلدة أمريكية صغيرة تقع في ولايةوسكونسن ، قرب الحدود الكندية وضمن حزام الثلوج . . كانت تعانى من الصقيع والبرد القارص في معظم أيام السنة ، وتعانى أيضا من الامطار والسيول والفيضانات التي انقضت عليها ودمرتها بين حين وحين . .

ونذكر من تلك الفيضانات على سبيل المثال فيضانات السنوات التالية :

١٩٠٧	١٩١٢	١٩١٧
١٩٣٥	١٩٥١	١٩٧٨

ونذكر أيضا أن الأمطار هطلت فيها بمقدار ٨ بوصات خلال يومين فقط وذلك مثل فيضان ١٩٧٨ ، لا عجب اذن أن فاضت مياه نهر كيكابو القريب من المدينة . . فاغرقتها ودمرت أسواقها وحطمت الكثير من منازلها . .

ووضعت الحكومة الاتحادية الخطط لانشاء سد كبير قدرت تكاليفه بحوالى ٣٥٠٠ مليون دولار . ولكنها ما لبثت ان تراجعت وأحجمت عن تنفيذ ذلك المشروع . . . على أن المرارة وخيبة الأمل التي شعر بها أهل البلدة لم تغلبهم على أمرهم . . بل إنها أثارت



● هذه هي البلدة الشمسية الاولى في أمريكا . . لاحظ اللافتة التي علقها أهل البلدة ، ولاحظ ما كتبوه عليها . .



● القطع المعدنية التى ملأوا بها الفراغ بين السقوف والسطوح . .

همتهم وشحذت عزيمتهم ودفعتهم الى أخذ زمام المبادرة وتحمل المسؤولية . . ووضع الخطة لانقاذ بلدتهم . .

ولم تكن تلك الخطة أقل من نقل أسواق المدينة التجارية برمتها من موقعها المنخفض السابق الى موقع آخر مرتفع اعلى من أن تصله مياه الفيضان ..وقد باشروا تنفيذ ذلك المشروع سنة ١٩٧٩ وأكملوه سنة ١٩٨٣ ولم تزد تكاليفه عن ٦٫٥ مليون دولار . . . يضاف الى ذلك تكاليف إعادة بناء المنازل في مواقع جديدة آمنة وقد تحملها الاهالى ، كل بمقدار ما يخصه وهكذا نجح أهل بلدة (سولجزر جروف) في قهر الفيضانات التى طالما قهرتهم وشردتهم . . . ولكنهم حققوا نصرا آخر على عدء عنيد آخر هو البرد والصقيع . فطقس البلدة بارد جدا ، وتهبط درجة الحرارة فيها في أثناء فصل البرد الى ٣٥ - ٤٠ درجة فهرنهيت تحت الصفر ، في كثير من الاحيان ، وقد ترتفع احيانا الى حدها الاقصى ٨ درجات فهرنهيت . . ومعنى هذا أن تكاليف التدفئة كانت باهظة جدا وقد بلغت حوالى (١٢٠٠٠) دولار في السنة في احد المحلات العادية لبيع قطع الغيار . . وتمنى أهل البلدة لو أن جو بلدتهم لم يكن غائما ولم يحجب عنهم أشعة الشمس في معظم ساعات النهار وذلك في فصل الصيف بالذات . . فقد كثر الحديث عن الطاقة الشمسية في السنوات الاخيرة وشعروا بالمرارة لاعتقادهم بأن جو بلدتهم يحرمهم الانتفاع بتلك الطاقة وهي طاقة رخيصة في المدى البعيد . . ولكنهم ما لبثوا أن أعادوا النظر في المشكلة فاهتدوا إلى الوسائل الكفيلة بتدفئة بيوتهم ومحلاتهم التجارية بالطاقة الشمسية بالرغم من قلة ما تسمح لهم به الغيوم من أشعة الشمس . . وهكذا قرروا ان تكون محلاتهم ومنازلهم الجديدة ذات مناعة ضد البرد . . وتنعم بالدفء الطبيعى . . دفء الشمس . .

وعمدوا الى اقامة المجمعات الشمسية على سطوح منازلهم ومحلاتهم . . وجعلوها منحنية بزاوية ٣٠ درجة ، ولا جديد في هذا كما لا يخفى ولكنهم عمدوا أيضا الى العزل المضاعف فجعلوا السطوح والجدران في منازلهم ومحلاتهم بسمك بالغ ٢٤ بوصة و ١٢ بوصة على التوالى . . وحشوا تلك السطوح والجدران بالفايبرجلاس . . ثم جعلوا فراغا بين السطوح والسقوف وملأوا ذلك الفراغ بشتى المنتجات الحديدية وهي أقدر من غيرها على الاحتفاظ بالحرارة . .

وما أسرع ما ظهرت النتائج المدهشة . . فقد ارتفعت درجة الحرارة في شتى محلات البلدة ومنازلها وأصبحت لا تقل عن ٦٥ درجة فهرنهيت في أى وقت من أوقات السنة . . وارتفعت الحرارة في الفراغ القائم بين السقوف والسطوح حتى بلغت ١٦٠ درجة فهرنهيت أو تزيد حتى في فصل البرد والشتاء . . ويعزى هذا الارتفاع كما لا يخفى الى القطع الحديدية التى يتركونها في ذلك الفراغ . .

وهكذا هبطت تكاليف التدفئة هبوطا كبيرا . . وأصبحت أقل من ١٠٠٠ دولار سنويا في المحل التجارى الذى بلغت تكاليف تدفئته في الماضى ١٢٠٠٠ دولار في السنة . □

نقش متأخر..
على عرش بلقيس..

شعر : سليمان العيسى





غـازِلْ بعينيـكَ السـماءَ ..   وغُضْ بعيـداً في الـرمـالْ
يـا عَرْشَهَـا الْمُتَـألِّقَ ، الْمَغْـرُوزَ   فـي كَبِـدِ الْمُحَـالْ

●●●

أنـا عندَ جِـذْعِـكِ نبضـةٌ   شَـرَدَتْ كَسَافِيَـةِ الـريـاحِ
أرنـو .. وأشْـرَبُ طَيْفَهـا   الأزلِيَّ .. أكْـوابِي جِـراحي

●●●

بلقيسُ .. يـا عينـانِ سَـوْ   داوانِ .. تَخْتَـرِقَـان حُلْمي !
أحْـلَى وأنـبَـلُ مـن كُـرو   مِ الشمسِ أعْصِرُها بـوهمي

●●●

يـا بِنْتَ مَهْدِ الخـالـدين ..   يُؤَرِّقـونَ الـدَّهْـرَ صَمْتَـا
تَنهـارُ أعْمِـدَةُ الـزمـانِ ..   ويُـنْـطِقـون الأرْضَ مَـوْتَى

●●●

يـا أجْمَـلَ المِـلكـاتِ تَخْـ   ـضَرُّ الصَّحارى في يَـدَيْها !
ويَـذوبُ قَلْبُ الليـلِ شِعْـ   ـراً ، وَهـو يَلْثَم راحتَيْهـا

●●●

وتُشِعُّ .. حتى يستظِلُّ بِوَهْجِـ   ـهـا الـعـربيّ تـاجْ
وعـلَى ضَـفـائـرِ مجـدِهـا   مُتَشـامِخـاً يـعلو « سيـاجْ »

●●●

أنـا عـنـد أعْمِـدَةِ الجمـا   لِ عِنَـادُ أغْنِيَـةٍ ـ نبـوءه
جـاءَتْ تُـلَمْلِمُ مـن شـظا   يـا الشمسِ نـافـذةً مُضيئَه

●●●

يـا وَرْدَةَ الصحـراءِ .. يَبْـ   ـتَسِمُ كـلُّ شيءٍ في دِمـانـا
هـاتي سـنـا عيْـنَـيْـكِ يـ   ـا أمّاه .. واخترقي دُجـانـا

●●●

أنـا عـنـد عَـرْشِـكِ آهـةٌ   تَعِبَتْ ومـا بَـرِحَتْ تقـول
هيهـات .. يـا وَطَنَ الضيـاءِ   البِكْرِ .. يَمْحَقُكَ الأفُولُ !

●●●

غـازِلْ بعيـنَيْـكَ السـماءَ   وشُـكَّ رُمْحَكَ في الـرمـالْ
يـا طَيْفَهـا المُتَـألِّقَ الآتي ..   عـلى فَـرَسِ المُـحَـالْ !

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« ل »

ليبرالية

يطلق مصطلح ليبرالية على التيار الفكري الذي يؤمن ويعتقد بالحرية الفردية . وذلك في مجالات الحياة المختلفة من اقتصاد وسياسة ، ويعود أصل المصطلح الى اشتقاق لاتيني لكلمة بنفس المنطوق ، وكانت تطلق على المهن الحرة التي لا تخضع لسلطة منظمة بين العميل أو الموكّل والوكيل . ورغم أن التوسع في استخدام المصطلح كمرادف لمعنى التحررية قد ظهر مع بداية مرحلة الرأسمالية ، ونمو نفوذ رجال الصناعة ، الا أن المصطلح بمعنى التحررية أيضا قد وصف به أشخاص ، ووسمت به مراحل سابقة على هذا التاريخ ، فقد وصف القيصر الروسي الكسندر (١٨١٦) بها ، كما أطلقت الليبرالية بمعنى التحررية على الكاثولوكية الليبرالية في أوروبا (١٩٠١) ، واطلقت أيضا على الأمبراطورية الفرنسية الثانية (١٨٥٩ ـ ١٨٦٩) ، كما يطلق الوصف على حزب الأحرار البريطاني .

وتتخلص دعاوى التحرر هذه في مفهوم يرتكز على ثلاثة محاور هي :

١ ـ ليس للدولة أي حق في التدخل للحد من حرية الأفراد ، ويزيد الرأسماليون ، في ذلك بأنهم يعرّفون الحكومة النموذجية بأنها هي تلك الحكومة التي لا تتدخل في الاقتصاد وادارته مطلقا ، وفقا لمضمون « دعه يعمل ، دعه يمر » .

٢ ـ حيث ان الفرد هو العنصر الأساسي في الاقتصاد ، فانه لا بد من توافر أقصى حد للحرية الفردية ، وعلى الدولة هنا أن تكون حارسة لهذه الحريات وضمانها .

٣ ـ يؤمن أصحاب الاتجاه الليبرالي بضرورة المنافسة بين الاقتصاديين ، وذلك لضمان التوصل الى مستوى التوازن الطبيعي في النظام الاقتصادي .

وقد توصلت الليبرالية الى هذا المفهوم عبر اكتشافات وانقلابات فكرية ، لم تكن منفصلة عن التغير الاقتصادي والاجتماعي الحادث في المجتمع الأوروبي في أوائل القرن التاسع عشر ، ولعل أفضل

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل من هؤلاء



هارولد لاسكي

تحليل لنشأة وظهور الليبرالية هو ما قدمه هارولد لاسكي (١٨٩٣ - ١٩٥٠)، الذي يعد من أهم المفكرين الاشتراكيين البريطانيين، في كتابه «نشأة الليبرالية الأوروبية». فيرى لاسكي أن ظهور الطبقة المتوسطة كطبقة جديدة قد جاء ليهدم كل الحواجز التي كانت تحدد الامتياز بناء على المركز الاجتماعي ،وكانت-أي الحواجز السابقة - تربط بين فكرة التمتع بالحقوق وحيازة الأرض، الى أن جاءت الثورة الصناعية والتغير الاجتماعي والسياسي الذي صاحبها، فأحدث تغيرا أساسيا في العلاقات القانونية، فسادت نظرية العقد الاجتماعي بدلا من المركز الاجتماعي، وبالتالي تلاشت أفكار ونظريات سادت أوروبا لفترة طويلة، مثل نظرية الحق الالهى وأن الحاكم ظل الله في الأرض.. الخ.

وبعد أن كانت هناك طبقة اجتماعية تملك وتحكم وتستمد سلطتها ومركزها من ملكية الأرض ومن عليها.. ظهرت طبقة اجتماعية جديدة تستمد سلطتها ومركزها من ملكية ثروة سائلة أو مستقرة، فكان من أعضاء هذه الطبقة الجديدة التاجر وصاحب المصنع ورجال المال والبنوك.. الخ. كانت هذه التغيرات تتم في عصر يتميز بالانتقال النوعي للاكتشافات والعلوم، فحل العلم مكان العقيدة الدينية كعنصر في تشكيل افكار الناس، وتلاشى دور رجل الكنيسة الذي كان يبيع للناس الجنة مقابل صمتهم واستسلامهم في الدنيا. كان هذا المناخ كفيلا بأن يولد ظروفاً اجتماعية جديدة، تكونت على أساسها فلسفة جديدة، لتهيىء تبريرا عقليا للعالم الجديد الذي تبشر به هذه المتغيرات.

وعلى مستوى الوطن العربي فقد انتشرت وشاعت الأفكار الليبرالية، وحاولت تيارات مختلفة أن تؤكد سيادة العلم والعقل، الا أن خصوصية التركيب الاجتماعي والتاريخي للوطن العربي حالت دون ازدهار الليبرالية، وبالاضافة الى أن الوطن العربي لم يشهد هذا الانتقال الهائل علميا وصناعيا، الذي كان كفيلا بأن يغير التركيبة الاجتماعية والفكرية له. □



هكذا تشكلت القارات والمحيطات

• ماذا وراء مولد المحيط الجديد .. في جيبوتي ؟

بقلم : الدكتور فضل ايوبي

ماذا يجري في جيبوتي ؟ وماهو سر الصدع الصخري العملاق الذي يعتبره العلماء مقدمة لميلاد محيط جديد أعرض من المحيط الاطلسي ؟ والذي حول جيبوتي الى نقطة استقطاب عالمية ؟ وما هي حقيقة المعجزة المعدنية التي تختبيء وراء هذا « التانجو » الجيولوجي الذي يرسم صورة تشكل القارات والمحيطات ؟ حول هذا الموضوع يتحدث هذا المقال . . .

منذ عقدين من الزمان وعلماء الجغرافيا الطبيعية ومعهم باحثو علم الجيولوجيا مفتونون بجيبوتي ، هذا القطر العربي الصغير ، الذي يحتل رقعة متواضعة محصورة مابين الصومال واثيوبيا ، الفقير في كل شيء الا موقعه الاستراتيجي عند مخرج البحر الأحمر . وسر هذا الافتتان هو بداية ولادة محيط جديد سيكون له عرض المحيط الاطلسي خلال مدة قدرت بـ (٢٠٠) مليون سنة ، وذلك بسبب الصدع الممتد من خليج « تجورا » المطل على خليج عدن ، حتى أواسط الهضاب الصخرية والصحاري الحصوية داخل القارة الافريقية والمسماة « جبة الخراب » .

ان جيبوتي بما تملكه من ظواهر طبيعية هامة مثل : الحمرة الانهدامية المسماة « بمنخفض العسل » وانتشار البحيرات المالحة ، ووجود عدد كبير من ينابيع المياه الحارة وولادة العديد من البراكين التي كان آخرها بركان الاردوكوبا الذي ولد في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ وبقيت الحمم البركانية تتدفق لمدة اسبوع كامل ، اضافة الى بحيرة عسل نفسها التي تتغذى من مياه البحر بواسطة صدوع ضمنية ، قد اصبحت قبلة البعثات العلمية، وكل أولئك الذين يريدون فهم كيفية تشكل القارات والمحيطات ، لأن هذه الظواهر ليست الا دلائل ملموسة على سبق انفصال كتلتين هما : الكتلة الآسيوية والكتلة الافريقية ، وعن تشكل قشرة محيطية مستقبلية ، لذلك اقيمت المحطات الزلزالية والمراصد الجيوفيزيائية في منطقة « عرتا » غير البعيدة عن مدينة جيبوتي .

التانجو الجيولوجي المكشوف

والمعروف ان العلوم الحديثة تنطلق من النظرية الجيولوجية القائلة بأن الكرة الارضية هي عبارة عن مجموعة فسيفسائية من الكتل الضخمة المتواصلة الحركة الواحدة منها بالنسبة لباقي الكتل وهكذا ، والواقع أن هذا « التانجو » الجيولوجي يحدث في قعر المحيطات على مستوى النتوءات الصخرية القعرية الطولية التي تخترق المحيطات من الشمال الى الجنوب .. ومن هنا تبرز الاهمية التاريخية المميزة لما يحدث حاليا عند خليج تاجورا في جيبوتي ، فلأول مرة في تاريخ الكون سيكون متاحا للانسان ان يشاهد عينيا هذا التكون المحيطي الجيولوجي في جميع مراحله لأنه لأول مرة يحدث على مستوى سطح اليابسة وليس في اعماق البحار .

انه مشهد اسطوري فعلا ، اقل ما يقال فيه انه يشبه نهاية العالم وقيام القيامة : براكين هنا وهناك ، بحيرات مالحة ، مياه جوفية ساخنة ، أوتاد صخرية عملاقة متناثرة في مدى الصحراء الجيبوتية الصخرية وكأنها شواهد قبور لكهنة الازمنة البائدة أو شواهد عيان على حضارة كانت وحضارة اخرى في طور أن تكون

والى كل ذلك ، فان ما سينجم عن هذا الصدع الجيبوتي لن يقتصر على ولادة المحيط الجديد فحسب ، بل سيتعداه الى حدث تاريخي كوني آخر يتمثل بانه سوف يكون مؤشرا محسوسا على بداية الانفصال مابين كتلتي آسيا وافريقيا الملتحمتين منذ أقدم العصور .

بالطبع ، ان العلماء والخبراء الجيولوجيين الذين توافدوا الى منطقة الصدع الجيبوتي هذا بالآلاف مصحوبين بأحدث الأجهزة العلمية وأكثرها تعقيدا ، لن يجلسوا مكتوفي الأيدي بانتظار لحظة الولادة التي يعرفون جيدا انها لن تحدث لا في جيلهم ولا في جيل أحفاد أحفاد أحفادهم .. ذلك ان وجود هذا الصدع يتيح أمامهم فرصا علمية للقيام بدراسات وتجارب جيولوجية من جميع المستويات وعلى قدر كبير من الأهمية .

من ذلك مثلا انهم توصلوا الى اكتشاف ان « بحيرة العسل » الواقعة على مستوى ١٥٠ مترا تحت سطح البحر،والمعتبرة بالتالي النقطة الاكثر انخفاضا في القارة الافريقية ، محاطة بسوار عريض جدا وهائل من مناجم الملح الصخري والكلس الشديد البياض .. ولا تخفى الاهمية الاقتصادية القصوى الناجمة عن اكتشاف هذه المناجم الطبيعية ولا ما يمكن أن تحدثه من انعكاسات جذرية في صلب حياة جيبوتي والمنطقة المحيطة بها .

والى جانب مناجم بحيرة العسل ، فقد اكتشف الجيولوجيون الغربيون ، الذين جاءوا اصلا لمراقبة الصدع الصخري ، ان قعر « بحيرة الاب » غني جدا

باحتياطي هـائل من الملح الصخري المتراكم منذ ملايين السنين ، بالاضافة الى حقل طبيعي ضخم من النتوءات الصخرية القمرية من نوع حجر الترافيرتان الايطالي المعروف عـالميا بجودته ونـدرتـه وارتفـاع ثمنـه . . والى كل ذلـك ، ففي قعـر بحيـرة الاب الجيبوتية ينتشر العديد من ينابيع المياه الجوفية الساخنة التي تبلغ درجة حرارتها تسعا وتسعين درجة .

ولعل كل ذلك يدعو الى أن نربط بين هذا الحدث وبين الاساس الذي ارتكز عليه الأمر كله . . وهـو كيف تشكلت المحيطات والقارات .

ان موضوع تشكل القارات والمحيطات يعتبر من الموضوعات المعقدة والمثيرة التي كانت ومازالت موضع جدل ونقاش طويلين ، غير انه في الاونة الاخيرة اتخذ طابعا متزايد الاهمية ، بسبب النتائـج التي توصلت اليها علوم فيزياء الارض ، والجيولوجيا ، والبحـار والمحيـطات ، بفضل مـا توفـر لها من طـرائق مثيرة وجديدة في البحث العلمي من جهة ، ومن تقنيات عالية من جهة اخرى .

انسياح القارات :

ان مفهوم انسياح القارات هو عبارة عن مجموعة آراء تقدم بها العالم الالماني الفريد فيجنر عام ١٩١٢ في مؤتمر علمي لجمعية الجغرافيين الألمان في مدينـة فرانكفورت ، وقـد كـانـت هـذه الآراء عبـارة عن معلومات مجزأة لا يمكن مقارنتها بما نملكه اليـوم من معلومات عن تحرك القارات . ومع ذلك فان أفكاره قد أوضحت الجوانب الرئيسية لشيء ما يسمح لنـا بشـرح بنية الكـرة الأرضية ، أي ليس فقط حـركة القارات وتغير مواقع القطبين ، ولكن أيضا التبدلات المناخية واختلاف توزع النباتات والحيوانات خـلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة . واذا كانت بعض أفكار فيجنر غير دقيقة ، فان النقاط الأساسة كانت مؤكدة بشكـل كلي ، وذلـك لأنها تنبيء بالمفهوم الحـديث لانسياح القارات ، وتشكل أسسه الحقيقية .

ولا يعرف بالضبط كيف جسمّ فيجنر فكرة انتقال القارات ، ولكن استنادا الى أحـد مرافقيـه في اثناء رحلة استكشافية الى جزيرة « جـرينلند » فـان هـذه الفكرة وردت له من خلال ملاحظته تكـوّنَ الجبال الجليدية العائمة . غير أن أكثرية الذين عـاصروه يعتبرون أن توصله الى فكرة انسياح القارات تم من خلال ملاحظته تكامل الشواطيء الشرقية والغربيـة للمحيط الأطلسي .

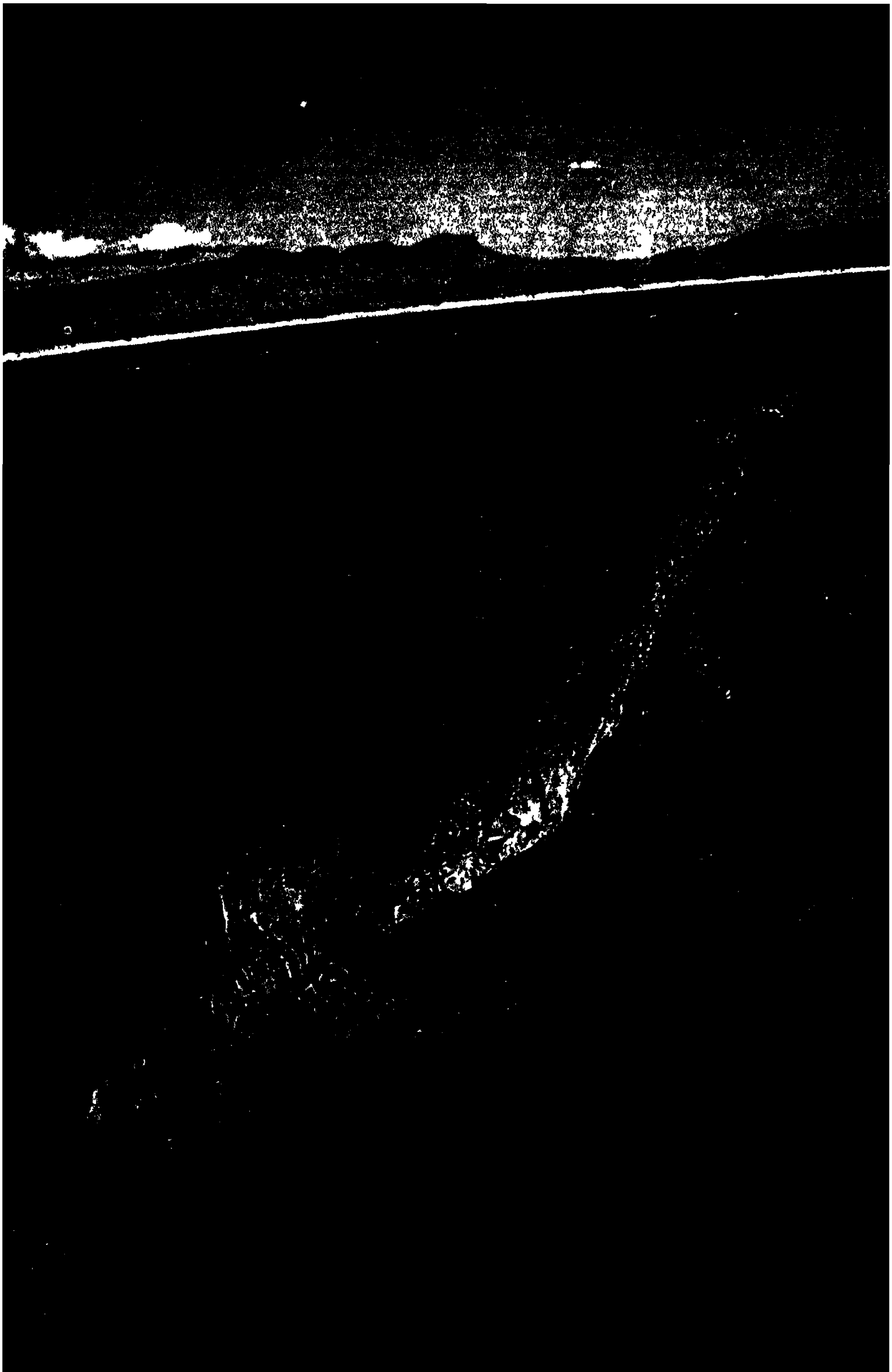
ولم تحل مفاهيم فيجنر محل المفاهيم الأخرى التي تصدت لموضوع تشكل القـارات والمحيطات الا في الستينيات من هذا القرن ، وأحدثت تبدلا جذريـا فـرض نفسـه بـالبراهـين « الجيـوفيـزيـائيـة والاوقيانوغرافية » الحديدة ، أما ما قبـل ذلك فقـد كان انسياح القارات مفهوما غامضا ومجهولا ينظر اليه باستخفاف ، وكان المدافعون عنه يعاملون بازدراء ، ويعتبرون كمهرجين .

والسؤال الآن : هل قامت نتائج أبحاث فيجنر على براهين وحجج متماسكة وصلبة ، أم أنه تنبأ بها وأصبح هذا التنبؤ واقعا صحيحا بقدرة قادر ؟ واذا كان منهجه الفكري مقبولا ، فكيف تفسر المعارضة الضيقة والدائمة لافكاره ؟

للاجابة على هذه التساؤلات يتوجب علينا معرفة فيجنر وعمله ، وموقف معاصريه وأفكارهم .

ولد سنة ١٨٨٠ في برلين ، وحصل من جامعتها عى دكتوراه في علم الفلك ، ولم يكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا ، كان يحلم دائـما بشيئين همـا : اكتشاف جزيرة جرينلند ، والتعمق في علم الأرصاد الجوية الـذي كان يعتبـر آنذاك علما حـديث النشأة نسبيـا . ولكي يعد نفسـه تمـامـا للبعثات العلميـة المتوجهة الى القطب الشمالي خصص قسـما كبير من وقتـه لتعلم السير والتـزلج عـلى الجليد . وبـالنسبة للأرصاد الجوية تعلم استعمال البالـونات والمنـاطيد وذلك لمراقبة الظواهر المناخيـة . ولقد سـاعده هـذا التكوين على القيام بثلاث رحـلات الى جرينلنـد ، كانت نتيجتها وضع آراء وملاحظات جليدية ومناخية في عدة مؤلفات .

وفي عـام ١٩٠٧ عمل استـاذا مساعـدا للرصـد الجوي في جامعة ماربورج ، وفي سنة ١٩١٠ نشـر دراسة هامة عن الديناميكية الحرارية للجو . وفي سنة ١٩١٣ تزوج بابنة عالم الأرصاد الجوية الشهير كوبن . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التحق بوالد زوجته في دائـرة الأبحاث الجـويـة للمـرصـد البحـري في



هامبورج ، وفي سنة ١٩٢٤ قبل كرسي الاستاذية للأرصاد الجوية والجيوفيزيائية في جامعة جراز في النمسا ، حيث وجد زملاء أكثر انفتاحا وقبولا لآرائه . وتوفي فيجنر سنة ١٩٣٠ اثر أزمة قلبية

وعلى الرغم من أنه قد بذل جهودا للوصول الى فرضية انسياح القارات ، الا أنه لم يعلق عليها أهمية كبيرة ، علما بأنها تشكل إرثه الاساسي

ان الأفكار التي كانت سائدة في سنة ١٩٢٤ حول بنية وتطور الكرة الأرضية ، لم تستطع قبول فكرة انسياح القارات ، وذلك لان الجيولوجيين ـ الجيوفيزيائيين كانوا يعتقدون بأن الأرض في منشئها عبارة عن كتلة مائعة تبرد وهي تفقد حرارتها باستمرار . وخلال عملية التبرد كانت العناصر الثقيلة كالحديد تسقط نحو النواة ، بينما تصعد العناصر الأكثر خفة كالكالسيوم والألومنيوم الى السطح ، لتشكل القشرة الأرضية الصلبة التي بقيت ثابتة الحجم بسبب تبردها ، أما باطن الأرض فبقي حارا يفقد حرارته بالتدريج ، مما أدى الى تقلصه ، وقد نجم عن وجود قشرة صلبة ثابتة وباطن متقلص ، نشوء فراغ ترفعه قوة الجاذبية مما تسبب في خلق قوى ضاغطة على السطح ، أدت الى ولادة طيات وفق الآلية التي تشكل التجاعيد على سطح تفاحة قديمة . ولكن على مستوى الكرة الأرضية فان الضغط الناجم عن التقلص قد أحدث هبوطا في بعض المناطق مما أدى الى تشكيل أحواض البحار والمحيطات ، وبروزا في مناطق أخرى سبب تشكل القارات ، وقد قبل آنذاك بأن القشرة الأرضية تستطيع التحرك عموديا لكنها لا تستطيع الحركة أفقيا ، كما علل تشابه وتطابق العديد من الحيوانات والنباتات المستحاثة التي عثر عليها في قارات مختلفة ومنفصلة عن بعضها بوجود (قارات ـ جسور) سابقة كانت بمثابة معابر تربط بين القارات المختلفة ، الا أنها انهارت فيما بعد وغمرتها مياه المحيطات . أما تطابق الرسوبيات فقد فسر بطغيان البحر المتتابع وارتداده مرات عديدة . وقد عزى ارتداد البحر الى هبوط أحواض المحيطات ، وطغيانه الى الامتلاء الجزئي لقيعان تلك المحيطات بالرسوبيات الناجمة عن عوامل « الحت » في القارات .

وعندما تقدم فيجنر بفرضيته القائلة بانسياح القارات ، ووجهت بمقاومة عنيفة ، ذلك أنها جاءت لتبدل المفاهيم التقليدية . فحسب الاطروحة الجديدة فان الحركات العمودية للقشرة الأرضية ستكون محكومة بمبدأ « تساوي الثقالة » أي توازن القشرة الأرضية الناتج عن اختلاف كثافة أجزائها ، وأن تماسك العناصر المختلفة لهذه القشرة الأرضية يتم عن طريق توازن « هيدروديناميكي » خاص ، فالقارات الأقل كثافة من الطبقة التحتية ستطفو فوق قاع المحيط .

كما أن فكرة النواة الداخلية المتقلصة لم ترق لفيجنر ، فتصدى لها وبين أخطاءها وتناقضاتها وعجزها عن تعليل الكثير من خصائص سطح الأرض .



ألفريد فيجنر عالم الأرصاد الجوية الذي اشترك في ثلاث رحلات استكشافية الى جرينلند ، والذي لم تكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا أو الجيوفيزياء ، ورغم ذلك حقق في هذين المجالين أهم آثاره العلمية
أنجزت له هذه اللوحة سنة ١٩٢٠ من قبل أحد الرسامين

بين السطح والقاع

وعلى الرغم من أن تكاملية الشواطىء الأطلسية لافريقيا وأمريكا الجنوبية كانت واضحة ، الا أن فيجنر لجأ من أجل توضيح هذه التكاملية الى اتباع حرف الجرف القاري الذي يشكل حداً أكثر تعبيراً من خط الساحل (وهذا ما تتبعه الطرق الحديثة اليوم) أما توزع السلاسل الجبلية المحصورة بشكل رئيسي على شكل أحزمة ضيقة ومقوسة ، فهو يشكل تهديداً آخر بالنسبة لفيجنر . فهو يعتقد أنه اذا كانت هذه الجبال قد تكونت نتيجة لتقلص الكرة الأرضية فانه يجب أن تتوزع على نمط واحد على سطح هذه الكرة ، كما هو الحال بالنسبة للتجعد على سطح التفاحة . وقد بين تناقضاً آخر بالاستناد الى تحليل احصائي لطبوغرافية الكرة . عندما أظهرت جداول أعدت لارتفاعات مختلفة ، و أعماق محيطية متنوعة . أن القسم الاكبر من القشرة الأرضية يوجد على مستويين : المستوى الأول يشكل سطح القارات ، والمستوى الثاني يشكل القاع السحيق للمحيطات . هذا التوزع يؤدي بالتأكيد الى قشرة مكونة من طبقتين : طبقة عليا مؤلفة من صخور خفيفة كالغرانيت . وطبقة سفلى تشكلها صخور البازلت والغابرو . ومن « السيما » الذي يشكل قاع المحيط . هذا التقليل أيدته الاختلافات المحلية لثقالة الجاذبية الأرضية .

ويعلن فيجنر وجود تشابه في الخصائص الجيولوجية في أطراف القارات على شواطىء الأطلسي الشرقية والغربية بأن القارات كانت في مضى ملتصقة ببعضها ، وقد تباعدت بالتدريج خلال الأزمنة الجيولوجية . وهناك شواهد جيولوجية تدعم هذا الأساس تعتمد على تشابه الكتل الصخرية وتكاملها في كل من افريقيا وأمريكا الجنوبية على طرفي الأطلسي . بحيث أنه لو قربنا القارتين من بعضهما فان هذه الكتل تندمج مع بعضها بشكل تام . لقد اعتمد فيجنر على مجموعة أخرى من البديهيات ، اذ أنه استنادا الى ملاحظات الحديثة في بداية القرن العشرين بدا أن جزيرة جرينلند تتحرك نحو الغرب متبعدة عن أوروبا بسرعة ممكنة القياس ، هذه الحركة تعطي الدليل الأكيد على انسياح القارات ، وقد بينت القياسات الفلكية آنذاك أن جرينلند ترحف نحو الغرب بسرعة تبلغ ٣٢م في السنة . كما تبين أن خطي طول مدينتي باريس وواشنطن لا يزالان يتباعدان ، أي أن القارة الامريكية الشمالية لا تزال ترحف نحو الغرب بمقدار ٤ م سنويا .

ومن خلال القضاء على هذه التناقضات جميعها ، التي أشار اليها فيجنر بالنسبة للفكر السابق السائد حول الكرة الأرضية ، وتشكل البحار والمحيطات ، تقدم بفرضية جديدة تامة ومتكاملة عن أصل القارات .

قارة واحدة لا قارات

فحسب رأيه فان القارات لم تكن في البدء ، إلا قارة واحدة ضخمة سماها « بانجيا » وهي كلمة يونانية تعني الأرض الواحدة ، وقد تصدعت هذه القارة في أواخر الدور الفحمي من الزمن الجيولوجي الأول ، واستمرت في تصدعها الى أن تشكلت القارات الحالية بتوزعاتها المعروفة عبر العصور الأرضية الجيولوجية المختلفة ، وقد انسحبت كتل القارات المتصدعة على السيما الأرضية ، وغاصت فيها وارتكزت عليها كالسفينة السابحة فوق الماء ، فاذا استطاعت قارة ما أن تتحرك عموديا من خلال هذا السائل ، فانها تستطيع التحرك أفقياً أيضاً ، وذلك بواسطة قوة محركة كافية ، ويعتقد أنه قد برهن على وجود هذه القوة من خلال الضغوط الأفقية الناتجة عن الضغط المطلوبة للكتل الجبلية . أما الشكل الهندسي للكرة الأرضية فهو تأكيد آخر للطبيعة المائعة لقسم من هذه الكرة .

وعلل فيجنر انسياح القارات بقوى محركة قادرة على تحطيم القشرة الأرضية وتصديعها ، مما يسبب اختلافاً كبيراً في مستوى سطح الأرض ، وتغيراً في محور دورانها ، وانتقالاً للقطبين الجغرافيين وانسياحاً للقارات .

هل هو المد والجزر ؟

بعد ظهور الطبعات الأولى لفرضية فيجنر عارضها مشاهير الجغرافيين الألمان ، وقبل بها بعض الجيوفيزيائيين ، لكنه يمكن القول أنه بعد عام ١٩٢١



ـ خليج عدن

تعليل حركة القارات :

بعض المشاركين تساءلوا لماذا انشقت وانطوت القارتان الأمريكيتان تحت طرفيها الغربي وتشكلت سلسلة « الكورديير » ، اذا كانت القشرة الأرضية تتحرك بحرية على قاع المحيط ؟ ألا توحي قوة الضغط التي نتجت عنها هذه السلاسل بوجود مقاومة هامة من طرف القاع البحري المفترض أنه مائع لزج ؟ اضافة الى ذلك لماذا تمزقت قارة « بانجيه » بشدة خلال عشرات الملايين من السنين ، وهي التي بقيت سليمة ومتكاملة خلال القسم الأكبر من تاريخ الكرة الأرضية ؟ وأخيرا لم يكتف المشاركون في هذه الندوة بشكهم في التعليلات والنتائج المطروحة من قبل فيجنر ، بل انهم هاجموا كفاءته ، ومنهجياته ، فهو بالنسبة لهم ليس أكثر من عالم متحيز لم يعرض الا الوقائع التي تؤيد فرضيته ـ وهو في آخر المطاف ليس جيولوجيا ، بل انه دخيل على هذا العلم ، ولا يمكن النظر اليه إلا كهاو لقد تصاعد العداء بشدة لأفكار فيجنر ، وهاهو أحد المشاركين في الندوة يصرح « اذا قبلنا فرضية فيجنر فانه يتوجب علينا أن ننسى كل ما تعلمناه منذ سبعين سنة ، ويجب أن نبدأ كل شيء من الصفر » . ولقد خرج أحد جيولوجيين الأمريكان على اعلان تعاطفه مع هذه الفرضية فكاد أن يفقد عمله

لم يحاول فيجنر الدفاع عن أطروحته ضد هذه الانتقادات ، بل فضل ترك المجال لباحثين أكثر شبابا ولعله من سخرية القدر انه في اللحظات التي اديث فيها فرضيته بشدة ، دعمت بأعمال كل من دو توات وهولمز من جامعة ادمبرج ، حيث استبعد الأستاذ بعض الحجج الأكثر ضعفا التي قدمها فيجنر ، وجمعا براهين جديدة على الفرضية ، وطرحا آلية محركة أكثر قبولا فبالنسبة هولمز كانت حركة القارات ناجمة عن تيارات حمل حرارية في الغشاء الأرضي واذا كانت أعمال هذين الباحثين لم ترتفع بمستوى هذه الفرضية الى مستوى النظرية ، الا انها بعثت اهتمامات جديدة ، اضافة الى انها انطوت على تعليل حديث لحركة القارات

لم يعد يعترض على فرضيته اي من الجيوفيزيائيين الألمان ولدى ترجمة هذه الآراء الى لغات أجنبية أخرى لفتت الأنظار في كل من بريطانيا وأمريكا وفي عام ١٩٢٥ تضلت المعارضة هذه الفرضية وذلك لسببين

أولهما . نشر دراسة هارولد جيفريز من جامعة كامبردج تحت عنوان ـ الأرض ـ هاجم فيها النقطة الأكثر ضعفا الا وهي طبيعة القوى التي أدت الى تحرك وانتقال القارات فحسب رأي فيجنر فان انسياح الأمريكتين نحو الغرب كان نتيجة لقوى المد والجزر في القشرة الأرضية ، غير أن جيفريز استطاع التبيان بسهولة بواسطة حسابات بسيطة بأن الأرض كانت جدية المقاومة ، لأي قوة يمكن أن تغيرها أو تشوهها ، حتى ولو بشكل خفيف أو بسيط ، وفي حال عدم وجود مقاومة ، فانه يمكن للسلاسل الجبلية أن تنهار تحت وزنها الذاتي وسوف يكون قاع المحيطات مسطحا قطعيا ، واذا كانت هذه القوة المحركة قادرة بشكل كاف على تحريك القارات نحو الغرب ، فانها ستكون قادرة أيضا على ايقاف دوران الأرض في أقل من سنة لم يأخذ جيفريز بعين الاعتبار البراهين التجريبية التي تشكل القاعدة الأساسية للنظرية فلم يرفض تماما هذه الفرضية ، وانما اكتفى باظهاره فقط عدم كفاية القوة المحركة

تأييدها الندوة التي عقدتها جمعية جيولوجي البترول الأمريكية سنة ١٩٢٨ . لقد كانت مناقشات الندوة في مجموعها متفقة على الانتقادات . اذ أجمع المشاركون على ان عادة تجميع قارات الأطلسي ليس صحيحا ، ولم تضع في الاعتبار الحركة العمودية للقشرة الأرضية ، وانه لا توجد علاقة الى درجة كبيرة بين التشكيلات الصخرية التي توجد على طرفي المحيطات ، وان التشابه لا يستدعي بالضرورة التلاصق في الماضي وانه من الممكن جدا أن تكون قد هاجرت اليها حيوانات عبر (القارات - الجسور) خلال العصور الجيولوجية القديمة ، وان مستحاثات الزواحف (التيليت) لم تكن بشكل أكيد من اصل جمودي ، وان الزيت في نصف الكرة الشمالي يمكن قطعا من أصل مداري وان حركة جنوبية غير مؤكدة

تغير موقع القطبين :

على أية حال منذ السبعينات من قرننا الحالي ، وفرضية فجنر تحتل مصاف النظريات الهامة في شرح وتعليل تشكيل القارات والمحيطات ، وقد ألغت كل ما قبلها ، تدعمها في ذلك أدلة وبراهين علمية أكيدة

« منها ان الدراسات الجيولوجية تدل على تغير موقع القطبين خلال الماضي الجيولوجي ، مما أدى الى فتح افاق جديدة أمام دراسة التبدلات الميكانيكية للقشرة الأرضية ، استنادا الى هذه الحقيقة التي نفصلها أيضا أمكن تعليل تغير المناخ والنبات على سطح الأرض في مختلف الأزمنة الجيولوجية ولقد دلت دراسة الطبقات والمستحاثات على أن القطب الجنوبي كان يقع في جنوب افريقيا قرب حوض الكونغو ، ثم انتقل تدريجيا الى قرب استراليا في الدور الفحمي أما موقع القطب الشمالي فقد تغير ايضا ، فانتقل من وسط المحيط الهادي الى الشمال الشرقي منه واستنادا الى انتقال موقع القطبين ، فقد أمكن تعليل اختلاف توزع البر والبحر في الماضي الجيولوجي للأرض ، كما أمكن تعليل وجود نباتات وحيوانات مدارية في مناطق باردة حاليا كالنباتات النخلية ، التي وجدت في ضواحي باريس ، وكالماموث وهو حيوان الفيل جنوب ... وجد في سيبريا ، وأمكن كذلك تعليل وجود امورينات الجمودية المنتشرة في حوض الكونغو بافريقيا . وهكذا أصبحت فرضية فجنر نظرية تدعمها براهين عديدة منها

تقوس ساحل غربي كندا والاسكا ، وتوافق تعاريج شواطىء البحر الأحمر الشرقية والغربية ، وكذلك توافق شواطىء الخليج العربي . وشواطىء خليج غينيا وجنوب غرب افريقيا مع الشواطىء الشرقية والشمالية لأمريكا الجنوبية .

تفسير مقبول :

لقد تعرضت فرضية فجنر بعض ... نموذج الحركة الأرضية الذي كان مقبولا ... بالاجماع . ووقف بين ضعفه ونواقصه ... بالمصير ... نموذج البديل الذي ... بشكل جذري عن الشكل الأول . لقد كانت فرضية فجنر مبكرا جدا ، جاءت أفكاره سابقة لأوانها ، فأثارت عليه السخط والاستنكار والمحاربة

أخيرا ... يقيّم الجغرافي الكبير المرحوم عمر الحكيم فرضية فجنر فيقول

« انها تعطي تفسيرا مقبولا جلانا وسهلا للتعقيدات الجغرافية التي تشاهد في أرخبيل اندونيسيا وفي المحيط الهندي والبحر الأحمر . وتعطي تعليلا مقبولا للحفرة الانهدامية العظيمة التي تضم البحيرات الكبرى في شرق افريقيا وادا ما تعارضت هذه الفرضية مع الكثير من التفاصيل الجيولوجية الثانوية الضئيلة فان الأمر يتطلب توفيقا مع الفرضية أو تعديلا طفيفا في بعض نواحيها وعلى الرغم من بعض الأخطاء في الأمور التفصيلية الثانوية فان فرضية فيجنر تفسر بصورة منطقية كثيرا من التعقيدات الجغرافية مدعومة ببراهين قوية كتفلطح الكرة الأرضية في القطبين ، وتغير المناخ على سطح الأرض خلال الأزمنة الجيولوجية ، وتغير موقع القطبين خلال هذه الأزمنة ، وتعليل توزع القارات والبحار

وفي كل يوم يظهر تعميق لهذه الفرضية الجبارة - وتأييد جديد لها . انها اقوى فرضية طورت علم الجغرافيا في القرن العشرين . □

الساهرون والعيون نائمة

وسائل متطوّرة لكشف الجريمة في الكويت

اعداد : ريم الكيلاني

الجريمة ظاهرة اجتماعية لا بد من دراستها والبحث في أسبابها . فهي تعكس خللا في المجتمع واضطرابا في سلوك الفرد ، نتيجة لخيثيات وظروف معينة فكيف تحدث الجريمة ، وما هي الوسائل التي تتبع لكشفها "

المادة لا تكذب

في الادارة العامة للادلة الجنائية بدولة الكويت ، حيث المتخصصون في البحث الجنائي والدارسون لهذا العلم المتعدد المجالات ، التقينا بالعميد منصور الابراهيم ، الذي يقسم الادارة الى قسمين ، مركزية (أولى وتضم مسرح الجريمة والطب الشرعي والمختبرات الجنائية ، ومركزية أخرى تشمل ادارة تحقيق والاثبات الشخصية ، والاحتفاظ بملفات تضم السوابق والاحكام الصادرة على الأشخاص من قبل الجهات المختصة .

يقول العميد الابراهيم « لقد أصبح العلم البوليسي قائما بذاته ، فعملية الكشف عن الجريمة لم تعد تعتمد على الصدفة والحظ ، بل تخضع لمنهج تخطيطي واضح لمكان الجريمة ، ومعاينة الاثار على أسس علمية ، والتقاط صور فوتوغرافية لمكان الحادث ، وللآثار المحتملة ، ونقلها الى وحدة

فكل مادة قد تضبط في مسرح الجريمة قرينة هامة . فالمادة لا تكذب ، لا غش فيها ولا فساد ، في حين أننا لا نستطيع الاعتماد على شهادات الشهود ، المادة هي الدليل القاطع والأكيد لدى رجل المعمل الجنائي ، ولدى رجال القضاء على المجرم »

ونتساءل كيف ينجح رجال الشرطة في ايجاد الدلائل القطعية ، وكيف تستطيع المختبرات الجنائية الخروج بالنتيجة التي تعتمد عليها المحكمة في اصدار حكمها ؟

من أجل كل ذلك ، كان لا بد لنا من جولة داخل مبنى الادارة العامة للأدلة الجنائية لمتابعة طريقة سير العمل ، والنظام المتبع في سبيل كسب الوقت لتحديد الجاني والقبض عليه .

في هـذا المبنى تتعدد الأقسام والمختبرات ، وان كانت جميعها تتعاون من أجل مكافحة الجريمة ، بهدف تحقيق السلام والأمن لكل مواطن

أطباء شرعيون وطبيبات شرعيات

حرصت الكويت على مكافحة الجريمة والحد من نزعات الاجرام ، التي تهدد كيان الجماعة . فحاولت بكل ما تملك من طاقات وامكانيات حماية المجتمع ، وتوفير الأمن والاطمئنان فيه ومن أهم الأقسام في الادارة العامة للابحاث الجنائية قسم الطب الشرعي . .

فماذا نعني بالطب الشرعي ؟ وما أهميته ؟

يطلق تعبير الطب الشرعي في وصف العمل الذي يقوم به الطبيب المختص بابداء الرأي في النواحي الطبية أمام جهات التحقيق والقضاء ، ويسمى في اللغة الطب القانوني أو العدلي .

ينتقل الطبيب الشرعي الى مكان الجريمة ، مع ضابط مسرح الجريمة لمعاينته ، وأخذ فكرة واضحة عن القضية من حيث وضع الجثة ، وتوزيع الدم والبصمات ، وكل ما قد يوجد من آثار ومخلفات ، وفي حوادث القتل يتم نقل الجثة الى المشرحة لفحصها فحصا كاملا دقيقا ، يبدأ ظاهريا بملاحظة العلامات والكدمات التي يعتقد الطبيب الشرعي أنها قد تكون سببا في الوفاة ، ويدخل ضمن عمل الطبيب الشرعي كذلك الكشف عن جرائم الاعتداءات على الجسم البشري ، سواء تلك التي تؤدي للوفاة أو للاصابة فقط ، الى جانب الاعتداءات الخلقية . فهو يحدد نوع الاصابة الواقعة على المجني عليه ، والآلة التي أحدثتها ، وكيفية حدوث الاصابة ، ومدى مطابقة هذه الكيفية مع ما يقرره الشهود ، أو المتهمون أو المجني عليهم . ومن ثم فان الطبيب الشرعي هو الشخص الوحيد القادر على تأكيد صدق روايات الشهود الملفقة أو تكذيبها مستندا في ذلك على أسس وتقارير علمية .

ومراعاة لظروف الكويت البيئية والاجتماعية والدينية ، تولت مجموعة من الطبيبات الشرعيات عملية فحص الاناث في حالات الاصابة أو الوفاة .

والى جانب القضايا الجنائية ، هناك القضايا المدنية كالحجر والمسؤولية الطبية ففي قضايا الحجر تتم دراسة الحالة الجسدية والعقلية للشخص المطلوب الحجر عليه ، بالتعاون مع مستشفى الطب النفسي ، لاعطاء تقرير كامل عن الحالة أما في المسئولية الطبية فيتم تحديد خطأ الطبيب وموقفه من الناحية الجنائية وهناك أيضا قضايا الانفصال الروحي التي يعتمد فيها الطلاق على الفحص الطبي قبيل النطق بالحكم

ولا بد أن نذكر هنا ، أن كل التقارير التي تخرج من الطبيب الشرعي بعيدة تماما عن المجاملة او التضخيم ، فهي تكتب بكل حرص ، وبعد دراسة مستفيضة وبحث طويل »



فتاة تعمل في أحد المعامل الجنائية ، تبحث في المادة المضبوطة من مكان الحادث.



يتعامل الباحثون في المعمل الجنائي مع أشكال مختلفة من المواد الصلبة والسائلة



تحرص الادارة العامة للابحاث الجنائية على توفير كافة الاجهزة والادوات الحديثة والمتطورة في كل الاقسام



احدى قطع القماش وعليها بقع من الدم ، ويقوم الباحث بتحديد نوعها وطبيعتها وفصيلتها



العمل في المختبرات الجنائية هو السبيل الأفضل لالقاء الضوء على ملابسات الجريمة



البصمات هي الدليل القاطع والاكيد على المجرم . والتي يسعى الضابط في مسرح الجريمة جاهدا لكشفها والتعرف على صاحبها

مسرح الجريمة :

ماذا يجري في مسرح الجريمة ؟

برغم الهلع والذعر والفوضى ، يقوم الضابط بالتقاط الآثار المادية الموجودة ، ورفع البصمات ، والبحث عن كل ما قد يكون له صلة بالجريمة أو بالجاني ، كالدم أو الشعر أو المقذوف الناري وإن ينتقل الضابط برفقة المصور الجنائي المدرب تدريبا خاصا على كيفية تجسيد مكان الحادث عن طريق الصورة ، حيث يقوم بعد مسح مكان الجريمة بنقل جميع الآثار لاجراء الفحص المخبري عليها ، فآثار الدم مثلا ترسل لتحديد فصيلتها ، والشعر يرسل للتأكد من نوعيته ، وما اذا كان يخص الجاني أم لا ، وترسل آثار الخمور الى قسم السموم ، وهكذا . .

بعد الانتهاء من الفحوص المخبرية تجمع النتائج في تقرير واحد شامل ، يقدم لجهات التحقيق والقضاء التي تصدر حكمها في القضية ، معتمدة على التقرير الوارد لها من الادارة العامة للابحاث الجنائية .

ويتبادر للذهن استفسار عن البصمات ، هذا الدليل القاطع الذي يلجأ له الضابط ، ويبحث عنه في مسرح الجريمة . ترى كيف ترفع البصمات ، وكيف تضاهى ، وكيف توصلنا للجاني ؟

النقيب أحمد القبندي رئيس قسم مسرح الجريمة يروي لنا قصة البصمات فيقول : « ان كل من ينظر الى طرف أصبعه أو راحة يده ، وباطن القدم يجدها مكسوة بخطوط عديدة ، تكون أشكالا مختلفة ومتباينة لا حصر لها ولا عد . هذه الخطوط تبدأ في التكون عند الجنين وهو في بطن أمه في الشهر السادس من الحمل ، وتظل هذه الخطوط مع الشخص حتى بعد الوفاة ، بنفس الشكل ونفس الاتجاهات .

ولما كان من المعروف أن البصمات لا تتطابق في شخصين مختلفين ، فان تطابق بصمتين في مكان واحد تعطي دليلا قاطعا لضابط مسرح الجريمة عن شخصية وهوية المجرم . يقوم الضابط في مسرح الجريمة برفع البصمات باستعمال بودرة خاصة باظهار البصمات من على الأسطح ، ونوع البودرة المستخدمة يختلف تبعا لنوع السطح ، ويتم أحيانا رفع المادة التي عليها البصمات من الأطراف بحيث لا تتلفها ، وشهادة ضابط مسرح الجريمة مطلوبة دائما أمام المحكمة ورجال القضاء ، باعتباره مصدرا أكيدا للمعلومات التي تتضح له من خلال المعامل والمختبرات » .

أطياف الجريمة :

لقد حاول خبراء علم البحث الجنائي الاستفادة من العلوم الطبيعية وتسخيرها لكشف غموض الجرائم ، وبيان أسرارها ، لأن التأخر يعني الخسارة ، والتواني في البحث يعني هروب المجرم ، ومن أهم العلوم التي ساهمت بنصيب وافر في تطور علم البحث الجنائي العلوم الفيزيائية والكيميائية حيث أصبح الأثر المادي الجنائي الذي يتركه المجرم في مسرح الجريمة عبارة عن عينة يجري عليها العلماء التجارب ، ليعرفوا كنهها ويتبينوا علاقتها بالمتهم .

وكما أن للانسان بصماته الخاصة فان لكل مادة بصماتها الخاصة أيضا . وبصمة المادة هي طيفها الذي يشكل صفة لازمة ومميزة لها ، لا يتشابه مع طيف أي مادة أخرى .

وتجدر الاشارة هنا الى أن طيف كل مادة أو عنصر هو صفة لازمة ومميزة لها ، ولذلك يطلق عليه خبراء البحث الجنائي بصمة المادة ، ومن المعروف أن المواد لا تتشابه في بصماتها أبدا تماما كالانسان وهناك جهاز يسمى جهاز الابعاث الضوئي وهو جهاز سهل التشغيل بسيط التركيب ، قادر على تحليل أي أثر مادي جنائي عضويا كان أو غير عضوي ، كالأصباغ والبويات وعينات التربة والزجاج ، كما يمكن بواسطة هذا الجهاز اجراء تحليلات كيميائية نوعية بمقارنة الأثر المادي الجنائي بنسبة قياسية للتعرف على نوع وطبيعة الحادث .

جهاز الأشعة السينية :

أصبحت الأشعة السينية اليوم من أساسيات أي مختبر جنائي في العالم ، نتيجة لما تغطيه من نطاقات واسعة في الكشف عن الجرائم وبيان غموضها .

وتستخدم الأشعة السينية في تقدير السن عن طريق دراسة صور أشعة العظام عند مناطق التحامها حيث يحدد التحام العظام في مناطق معينة من

الجسم البشري ، سن معينة ، كذلك تساعد في تحديد مواضع الكسور ، ونسبة العجز في بعض أعضاء الجسم البشري ، عن طريق دراسة صورة الأشعة للعضو المصاب ، وتحديد أماكن المقذوفات النارية ، أو شظايا المتفجرات . والتعرف على الموتى من خلال ملامحهم ومقارنتها بالتقارير الطبية ، إلى جانب التعرف على بصمات الأصابع في الأجسام المتحللة جزئيا ، وكل هذا يحقق مجال الطب الشرعي . أما بالنسبة للأدلة الجنائية ، فتستخدم الأشعة السينية في البحث عن الأسلحة والمتفجرات في ملابس وحقائب المتهمين ، وكشف تزييف العملات الذهبية والنادرة خصوصا تلك التي تحتوي على الرصاص ، كذلك مقارنة الملابس المضبوطة بدراسة مادة النسيج وخواصها ، ووجود العناصر المعدنية بين ثناياها ، مثل الرصاص والقصدير ، وعلاقة ذلك بالجناة ، وأخيرا التفرقة بين أنواع الورق في قضايا التزوير والتزييف ، من خلال كشف الشوائب التي تملأ الفراغات في نسيج الورق ، ومن خلال دراسة الشكل التركيبي لمعرفة طريقة صنعه .

السموم :

الدكتور محمد عبد الحكم ، رئيس قسم التحاليل الكيميائية في الادارة العامة للأبحاث الجنائية يقول : « نحن في عملنا هذا نؤمن بضرورة وضع العلوم الطبيعية في خدمة رجال الأمن ، ومحاربة الخارجين على القانون من أجل أمن وسلام البلاد .

فكم من الجرائم بدت للوهلة الاولى غريبة شائكة ، ولكننا استطعنا حل غموضها بمساعدة هذه الاجهزة المتطورة . والحقيقة أنه لا توجد مادة سامة بالمعنى الحقيقي لكلمة سم ، ولكن كل مادة تصنع بواسطة الانسان تصبح سما ، اذا فاق تناولها الحد المعقول والمناسب للجسم البشري ، فالاسبرين مثلا مادة مسكنة للآلام ولكن تناول كمية من الاقراص خلاف المنصوص عليها يحولها الى مادة قاتلة »

وليس معنى ذلك أن قسم السموم يقتصر في عمله على تحليل المواد السمية في مجال ضيق فحسب ، بل يقوم كذلك بتحليل الأدوية والأغذية ، وكل مادة قد تدخل جسم الانسان .

وأي قضية بحث فيها تتكون من شقين . الأول فني تختص به سلطات التحقيق ، والثاني علمي يقرره العلماء والمختصون في علم السموم ، وهم المخولون بتقرير نوع وكمية السم . ومدى تأثير المادة على الجسم البشري ، ودورها في الوفاة طبقا لظروف القضية » .

بصمة المسدس :

كم من الجرائم البشعة ارتكبت ، وكم من الأرواح البريئة أزهقت دون أدنى سبب ، الا الاهمال وعدم الانتباه ، فالأسلحة والالات من أكثر الادوات الخطيرة ، خصوصا حين توضع بين أيد غير واعية ، لا تعرف مدى خطورتها ولا نتائجها المدمرة

ولما كان أمر السلاح قضية هامة ، وجدنا ضرورة البحث فيها ، والاطلاع على طريقة البحث والتدقيق للكشف عن الجريمة .

في قسم السلاح وآثار الآلات التقينا بالنقيب شهاب الشمري رئيس قسم السلاح واثار الآلات ، حيث لخص لنا طبيعة العمل داخل القسم : « في العادة يكون اتصالنا بالقضايا مباشرة مع النيابة ، حيث نسرع لمكان الحادث بمجرد اخطارنا بوقوع جريمة استعمل فيها أحد أنواع الأسلحة أو الآلات ويبدأ العمل على مسرح الجريمة برفع الأداة ، والحفاظ على أمانها ، ومن ثم تحريزها ونقلها للمختبرات الجنائية ، مع الحرص على كتابة كافة البيانات الخاصة بالآلة المضبوطة » . ولكن كيف يجري العمل داخل المعمل الجنائي الخاص بقسم السلاح بعد نقله وتحريزه من مكان الحادث ؟

« من المعروف أن لكل سلاح عيارا معينا هو قطر ماسورة السلاح من الداخل ، يقوم الضابط الفاحص باستعمال ذخيرة مشابهة للذخيرة المستعملة في مكان الحادث في محاولة منه لخلق تشابه بين تجربة العمل والقضية نفسها ، للحصول على النتيجة المرجوة في التوصل للجاني

تكون البداية بتجربة الاطلاق للحصول على بصمة المسدس على الذخيرة المستعملة ، وبصمة المسدس تعني العلامات الدقيقة التي يتركها السلاح نفسه دون أن يتركها غيره على الذخيرة ومن المعروف أن ماسورة المسدس تحتوي على خطوط



سداية ما يحرص الضابط عليه في قسم السلاح وآثار الآلات . تحريز الأداة ، والحفاظ على أمانها . ومن ثم نقلها للمختبرات الجنائية لتتم فحصها بدقة



يعتبر المعمل الجنائي في الادارة العامة للابحاث الجنائية نقطة الانطلاق ، للتحقيق والايقاع بالمجرم



كما للانسان بصماته الخاصة ، فان لكل مادة كذلك بصماتها الخاصة . وأطيافها التي تميزها عن غيرها

[illegible]

القتال البطيء للروح

[illegible]

المسحه للمخدرات واستلذان المستهلكة لها وكان لا بد من تعاون الدول وحكومات للحد من انتشار هذه المادة الخطرة التي قضت على العديد من الأفراد. وتنذر اليوم بدمار أمم ومجتمعات

والمخدرات نوعان

١ محدرات طبيعية تحضر من النباتات البرية، كنبات القنب الهندي، ونبات الخشخاش والقات والكوكا

٢ ـ محدرات مصنعية تصنع من نباتات محدرة صنعية عولجت بطريقة كيميائية، لاستخلاص المواد المخدرة منها كالمورفين والهيروين

الى جانب ذلك هناك المحدرات الصنعية التي تحدث جميع مراحل صنعها في المعامل، ومن مواد

[illegible]

البيولوجيا والجريمة

[illegible]



في المعمل الخاص لقسم الحرائق، يتم فحص المواد المنقولة من موقع الحريق، بأسلوب فني دقيق

طبيعة المادة الموجودة ، فهم يبحثون في الدم ان كان ادميا أو حيوانيا وعن فصيلته ونوعه

وقد يستدعي الأمر في كثير من الأحيان معرفة الفصائل المختلفة من الدم ، والمخالفة للفصائل المعروفة ، كذلك يبحث عن فصيلة دم المتهم ومطابقة هذه الفصيلة بفصائل المشتبه بهم .

وحيث أن بقع الدم المتواجدة غالبا ما تكون جافة ، فان الضباط الباحثين يلجأون عادة للفحص الانزيمي للدم ، باعتباره فحصا يؤكد نوع وفصيلة الدم .

كذلك الأمر بالنسبة للحيوانات المنوية حيث يتم التعرف على فصيلتها والشخص الذي تنتمي اليه كذلك يمكن التعرف على نوع الشعر (أنثويا أو ذكريا) وتحديد مكانه في الجسم .

جرائم الحريق :

الحريق من الكوارث التي تصيب البشر ، ويتحملونها على أساس القضاء والقدر الذي لا مفر منه ، غير أن استعمال النار كأداة من أدوات ارتكاب الجريمة لحرق الانسان وممتلكاته يعتبر من أكبر الجرائم وأشدها خطورة ، لأن المجرم الذي يتحكم في نقطة البداية لا يستطيع أن يتحكم في نقطة النهاية ، وتعود الصعوبة في التحقيق بجرائم الحريق الى أن النار تلتهم معظم الآثار التي قد تدل على الجاني

ينتقل خبير الحرائق والمصور الجنائي الى الجهة التي استدعتهما للاطلاع على ملف القضية الموجودة مع المحقق ، والذي يحتوي على معلومات عن موقع الحادث ومدى الخسائر ، ثم يتجه الجميع الى مكان الحادث للمعاينة الفنية ، لتسجيل البيانات الخاصة بالحادث ، مثل تحديد نوع الحادث وطبيعة المكان ، بعدها يوضع رسم تخطيطي لمكان الحادث

بعد دراسة المكان جيدا وتحديد أبعاده ومساحته ، تحدد مناطق البداية ، ولما كان لا بد لكل منطقة من نقطة بداية ونقطة نهاية ، ومسار للهب يتحكم به اتجاه الريح وظروف مكان الحادث ، فان هذه النقاط والمسارات غالبا ما تبدو واضحة جلية أمام الفاحص ، الذي يبحث كذلك عن مدى علاقة أماكن البداية بعضها ببعض

ترفع عينات من مكان الحادث ومن نقاط البداية ، لفحصها في المعمل الجنائي ، ومعرفة السبب في وقوع الحريق .

تجهد الفاحص كذلك لاستيفاء استفساراته وأسئلته المطروحة على أصحاب العلاقة بالحادث ، وذلك لاستبانة النقاط الهامة التي قد تفيد في معرفة سبب وطبيعة الحريق والجدير بالذكر ان لون ألسنة اللهب تحدد نوع المادة المحترقة ، فالخشب يعطي عند احتراقه لونا أحمر ، بينما تمتد ألسنة لهب ذات لون أحمر مزرق مع احتراق البلاستيك ، أما احتراق المواد الكيميائية فيعطي ألوانا بيضاء وزرقاء وبرتقالية

يتوجه المصور الجنائي بعد ذلك لأخذ صور فوتوغرافية ملونة لمكان الحادث ككل . ولنقطة البداية ولاتجاهات ألسنة اللهب ونهايتها بالتفصيل ، وذلك لاعداد تقرير مصور واف لمكان الحادث ، يشمل مراحل المعاينة الفنية ، ومستوى الحريق وعدد العينات المرفوعة ، ونتائج التحليل ، وأخيرا يحدد فيه سبب الحريق ورأي الفاحص في طبيعة الاشتعال .

فالاشتعال الذاتي ينتج عن وجود مكان ضيق سيء التهوية ، به مواد مخزونة سريعة التأكسد كمخازن القطن والكتان ، حيث تحتوي على نسبة من الرطوبة تساعد على نمو البكتيريا ، ينتج عن نشاطها وتكاثرها اشتعال ذاتي في حالة وجود مواد غير مألوفة في مكان الحادث . أما العثور على أكثر من نقطة بداية للحريق ، فهو دليل واضح على وجود فاعل للحادث .

المزيفون :

مع كثرة جرائم التزوير والتزييف بات الجميع يهتمون بسلامة أوراقهم الرسمية والعملات التي يحملونها ، وعملية التزوير قد تتم بطريقة بدائية يسهل كشفها ، ولكنها غالبا ما تتم بطرق فنية علمية ، فلا يكون أمام المحقق من سبيل سوى الاستعانة بالمعمل الجنائي لكشف الحقيقة .

والتزييف يشمل المستندات الرسمية والعرفية ، الى جانب تزييف العملات الورقية والمعدنية ، أو الشيكات السياحية الى غير ذلك من الاوراق ذات القيمة .

يقوم الخبراء في قسم التزييف والتزوير بفحص القضايا المحالة عليهم من ادارات التحقيق أو النيابة أو مباحث الهجرة لكشف الطرق المادية التي تستخدم في تزوير المستندات الرسمية والعرفية ، كالتزوير بالتقليد عن طريق التمرن المستمر ، أو التزوير بالنقل بواسطة الورق الشفاف .

قد يقوم الجاني كذلك بالضغط على الكلمات بواسطة قلم رفيع وورقة كربون ، وبتحريره على الكلمات تنطبع على الورقة السفلى ، كذلك يلجأ الجاني الى عمل قالب للخط المراد تزويره ، واستعمال هذا القالب في التزوير . . الخ . أما بالنسبة لتزييف العملة ، فيقوم خبراء القسم بالتعاون مع المكتب المركزي لمكافحة تزييف العملة وتزويرها ، وكشف النقاب عن أوكاره واداة طباعته ، ونظرا لخطورة جرائم التزييف على اقتصاديات الدول ، فان مكافحتها لا تجري على النطاق المحلي وحسب ، بل تجري على الصعيد الدولي والعالمي .

لقد أثبت العلم أن خطوط الأشخاص لا يمكن أن تتفق ، ففي خط كل انسان علامات ومميزات تفرقه عن خط غيره من الناس ، وهذه العلامات والمميزات تتجمع من اختلاف أسلوب الأشخاص في مسك القلم ، وحركة اليد عند الكتابة ، وطريقة كتابة الحروف ، واتساع المسافات بين السطور وبين كل كلمة وأخرى .

ومن هذا المنطلق برزت اختصاصات رئيسية للعاملين في قسم التزييف والتزوير . مثل فحص خطوط التوقيعات لمعرفة ما اذا كانت صادرة عن خط أيدي أصحابها أو أنها مزورة ، وفحص خطوط المستندات لمعرفة هوية كاتبها واجراء دراسة وافية على الأختام الرسمية لمختلف الادارات الحكومية ، وأختام الأفراد والهيئات لبيان ما اذا كانت صادرة من قوالب الأختام الصحيحة ، أو من قوالب أختام مقلدة . يقوم المسئولون في القسم كذلك بتحليل مواد الكتابة من ورق وأحبار بالطرق الطبيعية والكيميائية ، لما في ذلك من أهمية كبيرة في كشف التزوير ، وأيضا تحليل السبائك المعدنية المشتبه في تزييفها ، لمعرفة تركيبها ونسب المعادن المكونة لها ، ومدى مماثلتها أو مخالفتها لسبائك العملات الصحيحة .

يجري كذلك فحص خطوط المستندات المحررة على الآلة الكاتبة ، حيث تنفرد كل آلة كاتبة بخواص فردية تميزها عن غيرها من الآلات ، الى جانب فحص المستندات المشتبه في تحريرها بالأحبار السرية غير المرئية ، واظهار الكتابة المحررة بمثل هذه الأحبار ، باستخدام الطرق الطبيعية والكيميائية .

وأخيرا ، فحص طرق طباعة أوراق النقد والوثائق الرسمية ، مثل جوازات السفر واجازات القيادة ، وبطاقات الهوية والشهادات الدراسية ، وما شابهها ، في محاولة لتحديد طريقة تزويرها .

الدكتور مصطفى شفيق رئيس قسم التزييف والتزوير يقول : « ان هذا القسم يتعامل مع حياة الناس اليومية ، فالمستندات والأوراق المالية تشكل اليوم عصب المعاملات في حياتنا المعاصرة .

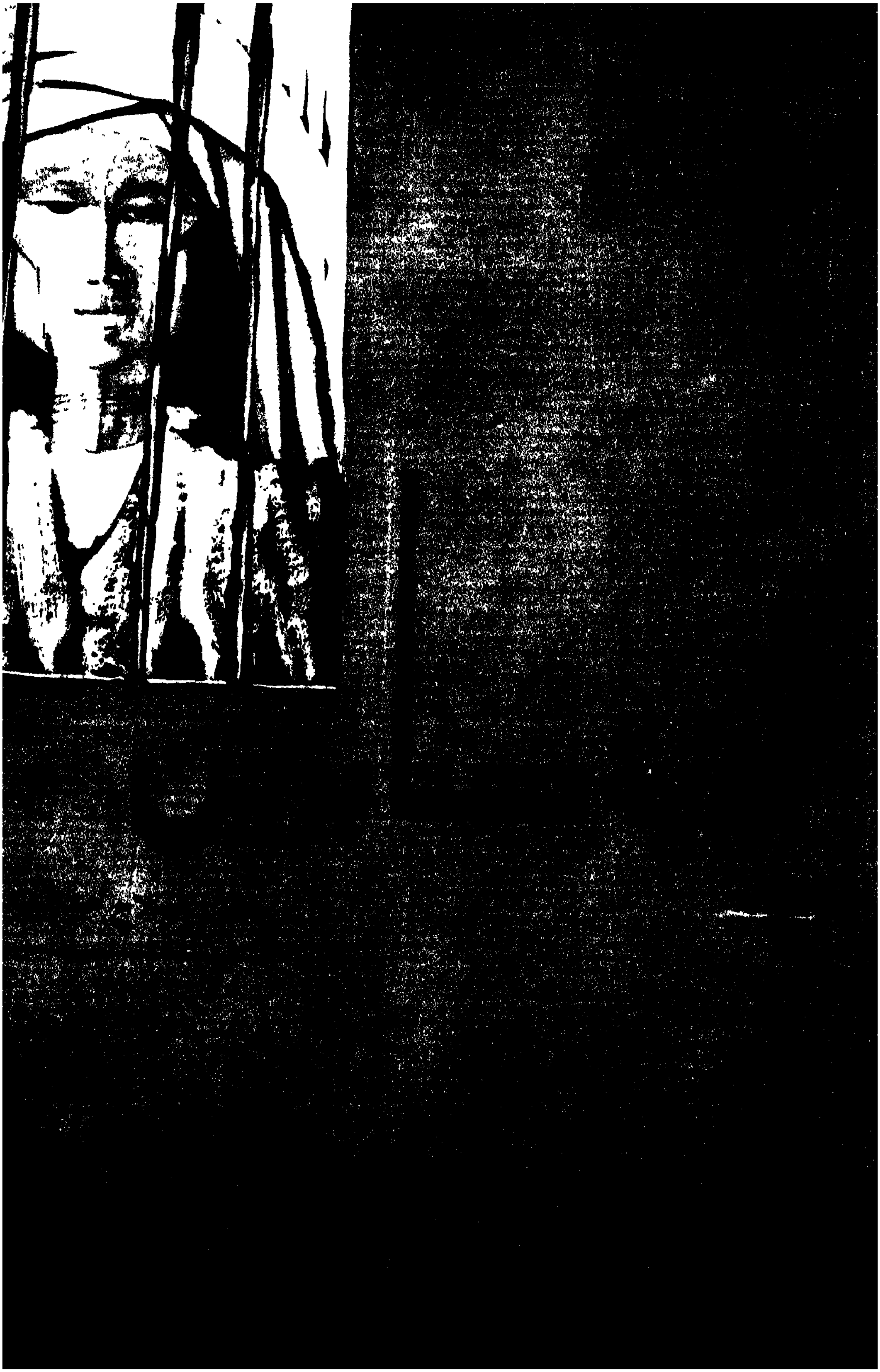
وقد كان لا بد من حمايتها وتأمين الثقة فيها عن طريق أجهزتنا التشريعية والأمنية » .

ويضيف الدكتور شفيق : « ما أشبه حالنا وحال أجهزة الأمن في اتقاء الجرائم بحال المؤسسات الصحية في اتقاء الأمراض ، اذ مهما شيدت هذه المؤسسات من مستشفيات ومهما جهزتها بأحدث المعدات ، ومهما عينت فيها من خيرة الأطباء ، فليس في مقدورها حمايتها من الأمراض طالما أنها لا تعمل بالوسائل الوقائية العادية على حماية أنفسنا منها . كذلك الحال في جرائم تزوير المستندات والأوراق المالية ، حيث يمكن للمجني عليه تجنب الوقوع ضحية للتزييف اذا راعى في معاملاته بعض القواعد الوقائية التي تسد السبيل أمام جيل المزورين » .

هناك حقيقة واقعة في عالمنا المتحضر ، يجب أن لا ننكرها ، ألا وهي ضرورة تعريف الناس بالجريمة والوسائل التي يتبعها الخبراء في كشف غوامضها ، وتعريفهم عما يجهلونه ، وهم في مسيس الحاجة الى معرفته ، خصوصا وأن الجريمة اليوم تشغل عددا كبيرا من أفراد مجتمعنا ، فباتت مثار فزع وهلع .

من أجل ذلك ـ كان لا بد لهؤلاء الأفراد من التعرف على سبل وطرق الكشف عن الجريمة والقبض على المجرمين

فالجريمة لم تكن يوما كاملة ، ومهما طالت المدة فلابد للمجرم أن يقع في يد العدالة، صاحبة العين الساهرة على أمن الناس وراحتهم . □





وهي تنتظر . . انها في انتظار أن يحدث ذلك الشيء الاكيد . . والذي لابد له أن يحدث يوما . . !! انها في انتظار أن يعود الغائب . . !! متى . . !! ؟ هي لاتعرف على وجه التحديد متى . . !! ؟

قد يعود في الفجر . . أو مع أول ضوء للصباح . . متسللا عبر شباكها الضيق ، أو عندما يُسَبِّحُ طائر الكروان ربه : الملك لك . الملك لك . . وهي لاتعرف أين اختفى . .

ياليت . . !!

« كنت تسلقت قمم الجبال . . ودست الشوك والحصى . . وخضت المهالك من أجل أن أصل الى عينيه . . »

عندما همسوا لها في ليلة زفافها أن زوجها لن يأتي . .

صرخت : « لا . . سيأتي . . لابد أن يأتي . . عيناه قالتا لي انه سيأتي . . عيناه لاتكذبان أبدا بريق عينيه لايكذب . خفق نظرته لايكذب . . لا لاشيء فيه يكذب . . كان مغسول النظرة . . وكنت أرى طريقي واضحا في عينيه . . كيف حدث ذلك . . ؟

النظرة في عينيه لم تتمسح بالأرض يوما . . ولم تمرغ رأسها في وحل الطريق . . النظرة في عينيه دافقة بالخير . . منتشية بالفرح . .

كانت نظرته توحدني . . وتجمع بقاياي من الحواري المظلمة ومن عمق الدروب الحزينة . . لتجعلني انسانة واحدة . . فرحة . . متفائلة . .

بسمته كانت تحتويني . . وتدفع عني البرد . . والليل . . والجوع . . والخوف من الطريق . . معه لم أحس بالخوف من الطريق أبدا . . »

انفلت الشيخ من بيت بدرية . . الى بيته المقابل . . وعينا الشيخة مازالتا أمامه . . حادتين . . صارمتين . . كخنجرين مسمومين . . حادي النصل يلمعان في الظلام . . وفمها المطبق على السر الرهيب . . وتكشيرتها . . والوجه الناحل المعروق . . حتى شباكها الضيق كأنه طوق النجاة . . كل هذه الأشياء تطارده . . وتلتصق به . .

حاول أن يهش بيده العينين الملتصقتين به . . لكن بلا فائدة . . فمسح عرقه بمنديله الكبير وغمغم .

اغتسل . . والخنجر المسموم يلمع في الظلام . . وتوضأ . . والخنجر المسموم يقترب من جبهته . . وارتعد . . وكاد يصرخ ، قفز الى الشارع خارجا . . وهو يحس أنه سيختنق . . فاصطدمت عيناه بعيني الشيخة في شباكها . . فأحدث ذلك صوتا . . ضغط على نواجذه . . وكأنه يأكل نفسه . . وابتلع ريقه وكأنه يبتلع الخنجر المسموم في جوفه . .

« هذه الملعونة . . المصلوبة في شباكها . . وكأنها القدر . . أو كأنها الملاك الذي يختص بي . . والذي يحفر أعماقي . . ويعرف الذي في الداخل . . الذي في الداخل . . »

وأسرع الخطا . .

في الجامع قرفص شاردا . . وأسند ظهره الى عامود . . لدغه صوت يفح في أذنه . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ثم امتدت يد متلهفة الى يده . . وفرقعت قبلة طويلة على ظاهر يده . . تركت أثرا من لعاب . .

جذب الشيخ يده في سرعة وأخفاها في جلبابه . . واستغفر . . عندما وقف ليؤم المصلين للصلاة . . اختلج وتبعثر صوته وأحس بالعرق على جبهته . . وبعيني الشيخة الملتصقة به . . تواجهه وبالنصل الحاد يلتمع . . تلعثم وجاهد كي يملك صوته . .

وأحس بعد الصلاة . . أنه يكابد شيئا مرهقا . . يجثم على أنفاسه . . كحجر الطاحون . . فأسرع عائدا الى داره . . والعرق على وجهه وقفاه . .

اصطدمت عيناه في رجعته بعيني الشيخة في جلستها . . فابتلع الخنجر الحاد . . الملتمع النصل . . وأحس به يقطع صدره . .

دخل داره . . وأغلق عليه الباب في سرعة . . وهو يلهث في انفعال . . « الملعونة تطاردني . . الملعونة تجثم على قلبي وعقلي وأنفاسي . . وكأنها ترتديني . . كم أود أن أخلعها عني . . ولكنها تسكنني . . وتعشش في تجاويف رأسي ، كخفاش يتشبث بجدران جفوني . . ويضرب عيني بجناحيه . . ويمتص الدم من شراييني »

ارتمى على سريره . . لكنه لم ينم . . والعينان الغائرتان الى بعيد . . الضاربتان الى أعمق الأعماق . . الحادتان كخنجرين ملتمعي النصل يبرقان في الظلام . .

تقلب على فراشه واعتدل الف مرة . . وبسمل . . واستغفر . . وقرأ الصمدية . . ولكن بلا

فائدة وصدره يحتمل . كأنه واسور طحين حرب . يلفظ أنفاسه قبل أن يتوقف وسمع صوتا يأتى من داخل وعائه يخاطبه

« اقتلها . . هذه المرأة ستجلب لك الفضيحة . . ستقول للناس من هو الشيخ رضوان الذى يتركون به ويستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم . . »

مسح بيده على الزبيبة فى جبهته وكأنه يتأكد من وجودها لكن الصوت تردد ثانية وارتفع صحيحه

« اقتلها قبل أن تقتلك اخنقها . . تسلل الى بيتها واخنقها . . ولن تحوم الشبهات حولك أبدا . اقتلها قبل أن تتكلم . . . » .

والصوت الزاعق يصفر فى أذنيه . وفى عينيه وفى أعصابه وتحت جلده . وفى تجاويف رأسه .

انتفض وعيناه حمراوان . وأحس بالخفاش ينقر حدقتيها . . عندما استدار الليل موليا ظهره . . كان قد وافق الصوت الذى يأتى من الدخل على قتلها . دبر كل شىء . . الوقت والطريقة . .

وعندما خاف أن يتسلل الخفاش اليه . . وان يقترب النصل الحاد من جبهته . . ويلتمع أمامه . . كانت مقاومته قد ذابت وتلاشت . . فتسلل الى منزل الشيخة . . دفع الباب بقوة فانفتح . . ليواجه بها أمامه . . منتصبة فى الظلام . . وقبل أن يسترد أنفاسه . أطبق على رقبتها بكلتا يديه فى قوة . . وأحس بعظام رقبتها تتكسر تحت ضغط يديه . . وظل صاغطا على رقبتها وكأنه نسى نفسه . . خاف ان هو تركها أن تصرخ . . وأخيرا دفعها عنه لتسقط . . لكنها ظلت واقفة ولم تسقط . . خيل اليه انها ظلت واقفة ولم تسقط . .

وحاول أن يصرخ . . لكن صوته لم يخرج . . وأسرع مهرولا وهويتعثر فى جلبابه . . فاصطدمت الزبيبة التى فى رأسه بالباب . .

فى الفجر ذهب الى الجامع . . وكل شىء يرتعش . . وصوته قد بلله العرق فأصبح واهنا . . وعندما وقف ليؤم المصلين للصلاة . . أحس بالخفاش ينقر حدقتى عينيه . . وبالنصل الملتمع يقترب من جبهته . . وبعينى الشيخة تحاصرانه وتقفان فى مواجهته . . تلعثم وهويقرأ . . وجاهد لكى يملك صوته . . وأحس بشفتيه جافتين . .

وبصوته غريبا عنه . . وارتج عندما أحس بشىء يسقط داخل صندوقه الصدرى . .

التفت الى المصلين . . فوجدهم ينظرون اليه فى دهشة . وعندما حدق فيهم . . رأى عينى الشيخة فى وجوههم . .

وأحس بعيونهم تقترب . . وتتقافز . . وكأنها عشرات الضفادع . . تثب عليه . . حاول أن يصرخ . . لكن صوته انحبس داخله . .

همس صوت

ـ ماذا جرى لك ياسيدنا ؟

التفت . ليجد آلاف الخفافيش تنقر عينيه . وآلاف الخناجر الملتمعة تقترب منه وتحيط به . . فتراجع مذعورا وهويصرخ . .

ـ لا . لا ابعدوا عنى . . ابعدوا عنى . .

وقفز الى الشارع حافى القدمين . . يجرى وهو يصرخ . . كأنه دئب أصيب بطلق نارى . . والناس فى ذهول غير مصدقين .

وأمام بيت الشيخة . . رفع رأسه الى شباكها . . فاصطدمت عيناه بعينيها الغائرتين . . تنظر اليه فى صمت واشفاق . .

صرخ وكأن آلاف العقارب تحت جلده .

ـ لا . . لا . .

وارتمى على الارض . .

وعندما أفاق لم يجد صوته .

أصابه الخرس .

وارتمى الشيخ فى بيته لا يبرحه . . يجلس فى شباك بيته الصغير . . كأنه ينظر للدنيا من خلال طوق نجاة . .

وينظر للطريق . . عيناه عليه . .

انه ينتظر الغائب . .

انه فى انتظار زوج الشيخة صابرين . .

فى انتظار أن يحدث ذلك الشىء الأكيد . . والذى لابد له أن يحدث . . وهو واثق تمام الثقة . . أنه سيتكلم عندما يعود الزوج الغائب . .

لكنه لايعرف على وجه التحديد متى يعود . . !! ؟

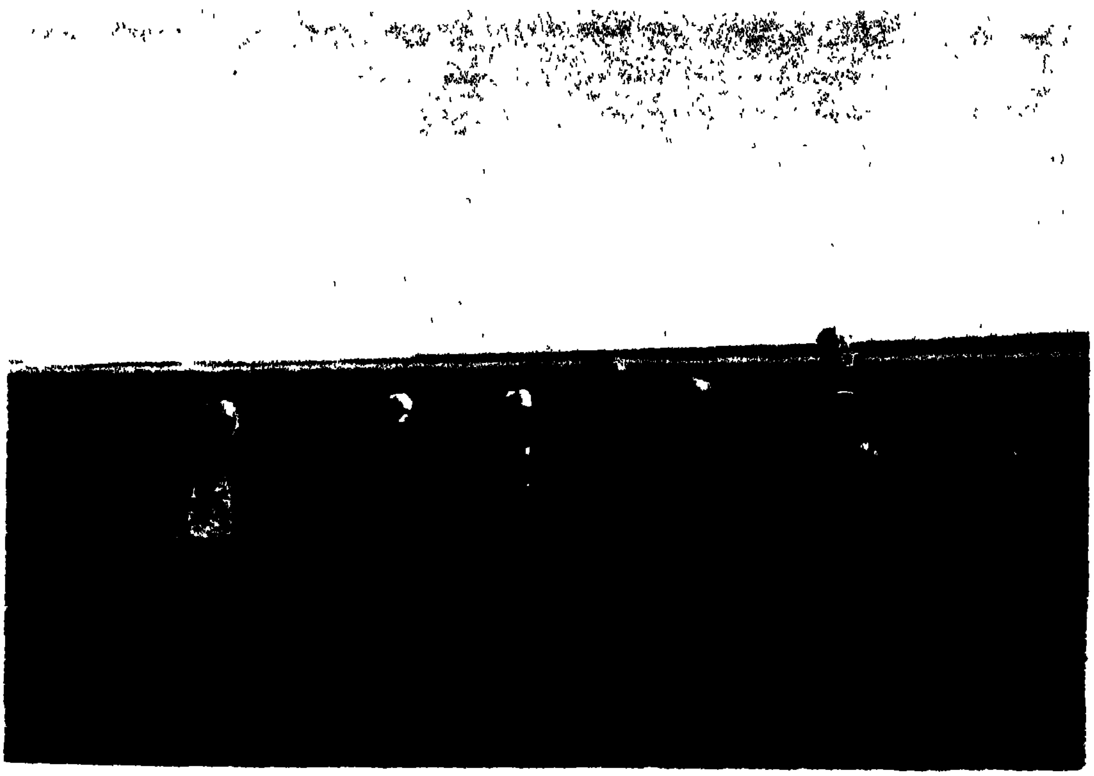
فقد يعود فى الفجر . . أو مع أول ضوء فى الصباح . . أوعندما يسبح طائر الكروان فى السماء ربه : « الملك لك . . الملك لك . . !! ؟ » □

الأمن الغذائي

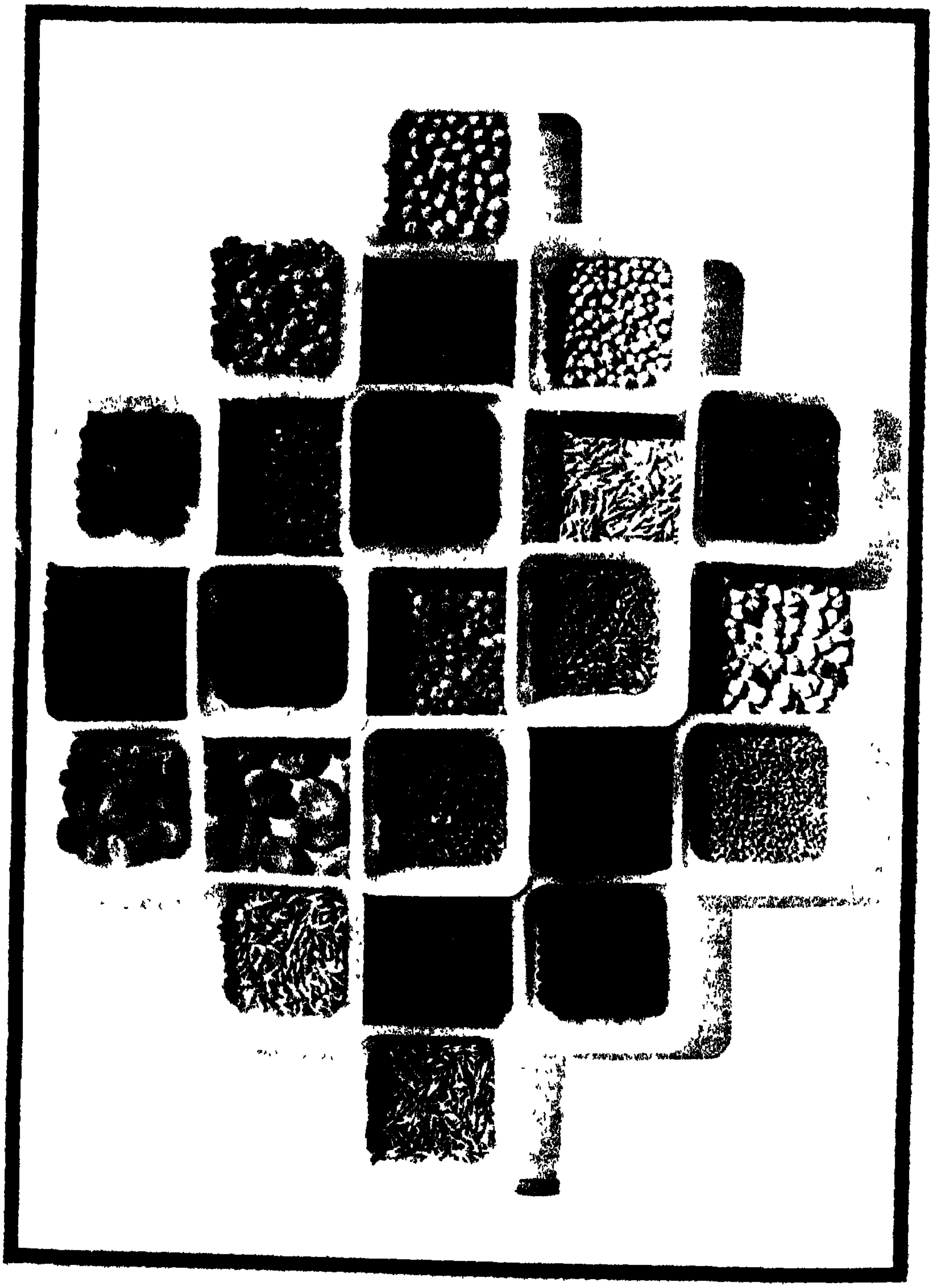
في برامج المنظمات والهيئات الدولية

استطلاع : صادق يلي

« على تخوم الوطن العربي وقريبا منه ، بل وحتى في بعض بلدانه ، زحف الجوع والجفاف وانخفض المطر وقلت انتاجية الأرض . وأطل شبح الجوع حاملا معه الموت من وسط أزمة غذاء تأخذ بخناق هذه الدول ، فماذا فعلنا في الوطن العربي لتجنب زحف الجفاف وانخفاض المطر ؟ . هذه محاولة لحمايتنا من نذر المستقبل »!



٩٤٨ هكتاراً هي المساحة الكلية لمحطة الأبحاث الزراعية في تل حديا التي تبرعت بها حكومة الجمهورية العربية السورية لاقامة مراكز البحوث الزراعية عليها .



القمح والشعير والفول والعدس والحمص هي المواد الغذائية الأساسية التي تدخل ضمن برامج المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) .

ظهر مصطلح « الامن الغذائي » كتعبير أزمة عندما عقدت منظمة الأغذية والزراعة للامم المتحدة إجتماعا في روما عام ١٩٧٤ ، لتدرس الرؤيا الكابوسية بأن شبح المجاعة لا يزال يخيم على المجتمع البشري . واستطاع هذا المؤتمر أن يضع بعض التصورات لاستغلال الموارد الطبيعية في توفير « الأمن الغذائي » ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهيئات والمنظمات الدولية المختلفة تنفيذ برامج محددة لزيادة انتاجية المشاريع الغذائية ، واستصلاح مزيد من الأراضي غير المستصلحة ، ومكافحة التصحر ، وغير ذلك من برامج تصب في خدمة ذلك الهدف الكبير .

ان مشكلة الغذاء تعد من أكبر المشاكل التي تواجه العالم ، وخصوصا في المناطق التي تعتمد في زراعتها على ما تجود به السماء من أمطار ، وهناك عوامل عديدة ساهمت في تفاقم مشكلة الغذاء ، من أهمها اشتداد موجة الجفاف ، وانخفاض معدلات الانتاج للمحاصيل الغذائية الأساسية ، ثم تعاظم الطلب على المواد الغذائية ، بتأثير نمو السكان بمعدلات مرتفعة للغاية ، وكانت النتيجة ان اتسعت الفجوة بين الطلب على الموارد الغذائية وبين ما ينتج منها ، ومن المتوقع أن تصل هذه الفجوة في منطقتنا العربية الى أرقام عالية ، قدرت من قبل المنظمات الدولية بحوالي ٥٢ مليون طن ، تشكل الحبوب وحدها الثلثين ، ومن أجل ذلك كان لابد من تركيز الجهود التنموية لزيادة الانتاج من المواد الغذائية الأساسية ، ومن خلال رفع مستوى مردود المحاصيل الغذائية ، والتوسع في زراعة هذه المحاصيل ، والى توفير موارد مالية خارجية لتلبية احتياجات برامج التوسع الزراعي في بلادنا العربية ، وكذلك دعم وتعزيز البحوث الزراعية الهادفة الى زيادة انتاجية المحاصيل الزراعية .

وفي حلب الشهباء ، عاصمة الشمال السوري ، نظم الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) مؤتمرا بعنوان « المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية »

ايكاردا

ونحن اليوم نريد أن نسلط الضوء على نشاطات أحد هذه المراكز الدولية ، التي تهتم بالبحوث الزراعية ، وهو المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ، ومقره مدينة حلب في الجمهورية العربية السورية ، واختصر اسم هذا المركز الى « ايكاردا » . وهو جزء من شبكة عالمية تشرف عليها المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية ، تمتد خدمات هذا المركز من المغرب العربي غربا ، حتى باكستان شرقا ، ومن تركيا شمالا حتى السودان جنوبا ، وتشمل ٢٢ بلدا ، يزيد عدد سكانها عن ٣٠٠ مليون نسمة . ومن المعروف أن هذه المناطق التي يخدمها المركز تعاني من نقص كبير في الغذاء ، اذ تضطر الى استيراد المحاصيل الزراعية أكثر مما تصدر ، ومما يزيد من مشاكلها تعرض المنطقة المتواصل للجفاف وانخفاض الأمطار ، بالاضافة الى انتشار الأمراض والحشرات الضارة ، مما يؤدي الى نقص الانتاج ، وزيادة الاعتماد على الاستيراد ، لذلك تتركز أبحاث « ايكاردا » بشكل أساسي على الأنظمة الزراعية البعلية في المناطق التي تنخفض فيها معدلات الأمطار الشتوية ، كما تعمل على توسيع نطاق أبحاثها ، حيث تشمل المناطق المروية أيضا .

يقول الدكتور محمد عبدالله نور المدير العام للمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة « ايكاردا » « ان أبحاث المركز تتركز بصورة عامة على محاصيل الشعير والعدس والفول ، وهناك مسؤولية اقليمية أخرى يتولاها المركز ، وهي تحسين القمح الطري والقمح الصلب والحمص ، كما تنصب بحوث المركز على المحاصيل العلفية الرعوية ثم الأنظمة الزراعية » .

ويضيف الدكتور نور قائلا : « يتألف برنامج المركز من أربعة برامج رئيسية ، وهي برنامج الأنظمة الزراعية ، وبرنامج تحسين محاصيل الحبوب ، وبرنامج تحسين البقوليات الغذائية ، وبرنامج تحسين المراعي والأعلاف والمواشي ، وهناك أقسام رئيسية اخرى تعمل لمساعدة البرامج الأولى وهي : وحدة المصادر الوراثية ، وقسم التدريب ، وقسم الاعلام والتوثيق ، ثم قسم خدمات الكمبيوتر .

شام ١ شام ٢

ان أهم انجاز قامت به (ايكاردا) خلال عملها ، هو اعتماد الحكومة السورية توزيع صنفين جديدين من القمح القاسي والقمح الطري تحت اسم شام ١ وشام ٢ ، بعد أربع سنوات من الاختبار والتقييم ، في حقول المزارعين في أنحاء مختلفة من سوريا ، وذلك من خلال برنامج التعاون العلمي المشترك بين وزارة الزراعة و (ايكاردا) .

يقول المسؤول المختص عن هذا البرنامج : « ان هذين الصنفين يمتازان بكفاءة عالية ، فحبوب شام ١ تتمتع بخصائص نباتية جيدة ، وذات نوعية ممتازة ، بالاضافة الى كفاءتها الانتاجية العالية ، وقدرتها الكبيرة على التأقلم ، ويضيف قائلا : وبالرغم من أن هذا الصنف معروف بمقاومته لمرض الصدأ المخطط ، الذي يصيب عادة سنابل القمح ، الا أنه قابل للاصابة بمرض التفحم ، وهو مرض يمكن مقاومته بمعالجة البذور بالمطهرات الفطرية .

أما صنف القمح الطري شام ٢ فهو الآخر هجين يمتاز بقدرة انتاجية عالية ، وقد مر باختبارات عديدة لمدة أربع سنوات ، في حقول المزارعين تحت ظروف الزراعة المروية ، وفي المناطق ذات معدلات الأمطار العالية ، كما أثبت مقاومته للامراض ، ويمتاز شام ٢ بجودته العالية لصناعة الخبز ، واحتوائه على نسبة عالية من البروتين .

وقد تم اكثار بذار هذين الصنفين من قبل مؤسسة اكثار البذار السورية ، تمهيدا لتوزيعهما على المزارعين ، وأوصت « لجنة اعتماد الأصناف » بزراعة شام ١ في المناطق البعلية ذات معدلات الامطار العالية ، في حين أوصت بزراعة شام ٢ المناطق المروية ، أو المناطق المرتفعة الأمطار ، كما ثبت أن القمح الصلب شام ١ صنف مبشر في بلدان أخرى من دول المنطقة .

الشعير

ويأتي الشعير كأحد الأنشطة الأساسية في برنامج عمل (ايكاردا) فكانت تونس المكان الذي اختير لاجراء البحوث الزراعية على أرضها ، فمن المعروف أن للشعير دورا غذائيا هاما ، وخصوصا في المجتمعات الريفية المحدودة الدخل ، وذات الطبيعة القاسية والأمطار القليلة ، فالشعير يساهم بقسط وافر من الطاقة الغذائية في مثل هذه المجتمعات ، الا أن النسبة العظمى لاستهلاك الشعير يتمثل في صناعة الأعلاف ، نظرا للتقدم في تربية وتسمين الحيوانات والدواجن في أقطار شمال أفريقيا ، حيث يبلغ ما يستهلك لهذا الغرض حوالي ٥٠٪ من اجمالي الشعير المنتج سنويا ، كما يلعب الشعير دورا كبيرا في تغذية الحيوان خصوصا في المناطق الجافة أو شبه الجافة ، وقد أثبتت الدراسات أن قيمة التبن تمثل ٣٩٪ من القيمة الاجمالية لمحصول الشعير ، وترتفع هذه القيمة في السنوات التي يشح فيها المطر .

لهذا كان لابد من قيام تعاون وثيق بين (ايكاردا) وبين البرامج الوطنية في المغرب العربي ، فقد قام المعهد القومي للبحوث الفلاحية ، والمعهد القومي للعلوم الفلاحية في تونس باستنباط أصناف جديدة من القمح الطري والصلب والشعير ، تكون ملائمة للمناخ في تونس .

يقول أحد المختصين عن هذا البرنامج : « لقد تم الحصول على أربعة أصناف جديدة ذات انتاج عال وهي (كريم وبن بشير) من القمح الصلب (تانيت وصلامبو) من القمح الطري ، أما بالنسبة للشعير فقد استنبط المزارع التونسي صنفين هما (مارتان وسيريس) ، ويضيف المختص قائلا : « لقد حققت هذه الأصناف انتاجا متطورا ، وذلك بفضل التحسين المستمر للتقنيات الزراعية من مستلزمات الانتاج ، كالبذور والأسمدة الكيمائية ومبيدات الحشرات وادخال الميكنة الزراعية ، فقد ارتفع الانتاج من ٤٠٠ كغ للهكتار سنة ١٩٧٠ ، الى ١٠٣٠ كغ عام ١٩٨٣ للقمح الصلب ، ومن ٣٧٠ كغ للهكتار ، الى ٨٦٠ كغ للهكتار بالنسبة للشعير خلال نفس الفترة .

ان برنامج تحسين الشعير في تونس الذي تتولاه (ايكاردا) قد توصل الى انتخاب ثلاثة اصناف جديدة من الشعير أطلق عليها (تاج وفائز وريحان) ، وتمتاز بأنها متفوقة على انتاج البذور المحلية المزروعة في تونس ، وقد أظهرت التجارب المشتركة في السنوات القليلة الماضية وجود سلالات شعير مبشرة ، أعطت تفوقا ملحوظا على كافة الأصناف المحلية والمحسنة ومنها صنف (ريحان) .



عزل أصناف الفول باحاطتها بزراعة أصناف من النباتات مبكرة الازهار لجذب الحشرات اليها



وحدة الاصول الوراثية من الاقسام الهامة في (ايكاردا)



قياس رطوبة التربة ، باستخدام جهاز النترون



مدربة تقوم بتسجيل التطورات التي تحدث للنبات



دى التجارب العلمية الزراعية ضمن برامج ايكاردا المتعددة



أجهزة الكمبيوتر لها دور كبير في التجارب الزراعية في ايكاردا

البقوليات : الفول والعدس والحمص

تعتمد الملايين من سكان مصر والسودان وخصوصا الفقراء وذوي الدخول المحدودة على الفول كوجبة رئيسية ، وقد تزايد الطلب على الفول خلال السنوات الأخيرة ، بحيث لم يعد الانتاج المحلي يكفي للايفاء بالطلب ، ومع تزايد عدد السكان أصبحت الحاجة ملحة لتبني سياسة رشيدة ، لتوفير هذه المادة الضرورية ، فقد انخفض انتاج الفول في مصر في السنوات الأخيرة ، وتناقصت المساحات المزروعة بالفول من ١٤٧,٨٦٠ هكتارا خلال السنوات من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ، الى ١١٠,٩٥٣ هكتار خلال السنوات ١٩٧١ ـ ١٩٨٠ ، نتيجة عوامل عديدة ، لعل من أهمها منافسة المحاصيل الشتوية الأخرى ، كالقمح والبرسيم ، كما رافقت هذه زيادة في الطلب ، نتيجة للنمو السكاني السريع ، مما اضطر الى استيراد ١٣٧ ألف طن من الفول عام ١٩٨٠ .

لذلك جاء مشروع وادي النيل الذي تبنته (ايكاردا) والصندوق الدولي للتنمية الزراعية (ايفاد) ومنظمات اخرى دولية ووطنية من مصر والسودان ، ممثلة في وزارات الزراعة في كلا البلدين ، تتويجا لهذا المشروع الحيوي ، فقد أثبتت نتائج الدراسات في محطات البحوث الزراعية امكانية زيادة الكفاءة الانتاجية لمحصول الفول بنسبة كبيرة ، اذ بلغ متوسط الانتاج في محطات البحوث ٥٢,٨ طنا مقابل ١,٦ طنا للهكتار في حقول المزارعين . ومن المعروف أن محصول الفول له أهمية زراعية ، حيث يعمل على تحسين خصوبة التربة ، بما يثبته من أزوت جوي عن طريق العقد البكتيرية ، يقول أحد المختصين في برنامج البقوليات ودور (ايكاردا) في هذا المجال : « ان (ايكاردا) تساهم بدور فعال في انجاح مشروع وادي النيل ، حيث تقوم بتقديم المساعدات العلمية والفنية والادارية ، اذ يشترك علماؤها في الاجتماعات السنوية ، ووضع البرامج البحثية ، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والزيارات الميدانية لمواقع التجارب ، كما أنها تقدم أيضا مساعدات جليلة للبرنامج الوطني في السودان ، عن طريق تزويدها بالتجارب الدولية لمحصول الفول بمختلف أنواعها ، والطرز الوراثية المختلفة لتقييمها واختبارها تحت الظروف البيئية للبلاد ، وعمل التهجينات بين السلالات المبشرة ، وذلك في المزرعة الرئيسية (لايكاردا) في حلب ، وتقديمها للبرامج الوطنية في مصر والسودان ، وهذه التجارب تهدف الى الجمع بين العوامل الوراثية المرغوبة ، التي تؤدي في النهاية الى امكانية استنباط أصناف جديدة عالية المحصول ، ومقاومة للأمراض والحشرات والأعشاب الطفيلية ، وذات جودة ممتازة .

ولما كان العدس والحمص من البقوليات الأساسية ، فقد أولت (ايكاردا) هاتين الغلتين اهتماما جيدا ، وذلك باستنباط الطرز الوراثية ، أو الأصناف التي تتمتع بالصفات الفينولوجية المناسبة ، ذات القدرة على تحقيق غلة عالية وثابتة في كل من المناطق البيئية الثلاث لانتاج العدس ، وهي المنطقة المرتفعة ، ومنطقة البحر المتوسط ، ذات الارتفاع المتوسط والمنخفض ، ثم المنطقة الجنوبية التي تضم بنجلادش ومصر وأثيوبيا والهند وباكستان والسودان ، فقد شملت أبحاث (ايكاردا) على الصفات الخاصة في التراكيب الوراثية لهذا النبات في المناطق المرتفعة ، بحيث يتحمل البرودة ويقاوم الذبول ، وبالنسبة لبرنامج تحسين الحمص ، فقد ساهمت (ايكاردا) مع المركز الدولي لبحوث المناطق الاستوائية شبه القاحلة (اكريسات) في زيادة انتاج الحمص الكابولي ، وذلك عن طريق استنباط طرز وراثية متفوقة ، مع تحسين طرق الانتاج ، وجعلها في متناول البرامج الوطنية ، يقول أحد علماء ايكاردا المختصين في هذا البرنامج : « لقد استمر اهتمامنا في موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ على تطوير الأصول الوراثية للحمص الكابولي ، واستطعنا استنباط سلالات عالية الغلة ومقاومة للتبقيع الاسكوكيتي ، وهي الاصناف اقل حساسية لطول الفترة الضوئية ، مع المحافظة على جودتها من الناحية الغذائية والخواص المتعلقة بالطهي ، ولتوضيح مدى الاهتمام الذي نوليه لغلة الحمص فقد بلغت الأصول الوراثية التي يقتنيها بنك الأصول الوراثية (بايكاردا) في الوقت الحاضر ٥٣٤٠ طرازا ، منها ٩٢٠ طرازا أضيفت موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ، وقد استطعنا استنباط • طرازا من الطرز الموجودة في بنك الأصول الوراثية عن طريق التهجين ، وهي تمثل ٣٤ بلدا ، وأكبر



الدكتور محمد عبدالله نور/ المدير العام

من هذه الطرز الوراثية جاء من ايران ، ثم من افغانستان ، وتركيا ، وشيلي ، واسبانيا ، وتونس ، والهند » ويضيف المسؤول عن هذا البرنامج قائلا . « ويدل تقييم الاصول الوراثية على أنه من المفيد الحصول على مجموعات اضافية من الاتحاد السوفيتي ، لاستخدامها في انتخاب الأصول المقاومة للتبقع الاسكوكيتي والصقيع ، وتمتاز بأن نباتاتها تكون طويلة ، لانتخاب السلالات ، الكبيرة البذور وذات المحصول المرتفع » .

الأعلاف والمراعي

ومن البرامج الأساسية التي تتولاها (ايكاردا) برنامج تحسين محاصيل الأعلاف والمراعي ، الذي يتمثل في زيادة المراعي والأعلاف المتاحة للحيوانات الزراعية ، فضلا عن تحسين خصوبة التربة كخطوة أولى في سبيل زيادة غلة محاصيل الحبوب ، يقول المسؤول عن هذا البرنامج : « المعروف عن محاصيل الأعلاف الحولية بأنها تلك المحاصيل التي تعاد زراعتها سنويا بقصد الحصول على الدريس أو الرعي ، أما المراعي فهي المساحات الخضراء التي تتجدد من تلقاء نفسها ، وتستخدم أساسا لغرض الرعي ، اننا نركز بحوثنا على استغلال الأراضي التي تترك بورا ، لان توالي زراعة محاصيل الحبوب سنة بعد أخرى يؤدي الى انخفاض المحصول ، لذلك فان زراعة المحاصيل الرعوية أو المحاصيل العلفية قد تساعد في مرحلة لاحقة على تحسين غلة الحبوب ، لأن محاصيل الحبوب تستفيد من زيادة خصوبة التربة ، نتيجة لتثبيت الازوت الجوي بفعل محاصيل الأعلاف البقولية أو المراعي »

ويضيف المسؤول قائلا « وقد تمكنا من التعرف على الفصة الحولية أو (النفل) كمحصول بقولي حولي ملائم لظروف التربة والمناخ السائدين في شمال سوريا ، وترجع أهمية هذا النوع الى قدرته على البقاء في مواسم الشتاء الباردة ، وقدرته على تكوين البكتيريا العقدية ، وانتاج محصول عال من المادة الخضراء ، وقد استطاع برنامج الأعلاف أن يطور على نطاق واسع نظما لانتاج الدريس ، مستخدما في ذلك أصنافا من البازلاء العلفية والبيقية ، وكذلك التعرف على العديد من الأمراض التي تصيب المحاصيل الرعوية والعلفية ، وتحديد شدة الاصابة بهذه الأمراض .

في كلمة ألقاها الدكتور محمد العمادي المدير العام للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي سابقا ، في المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية ، الذي عقد في حلب في ابريل من هذا العام قال : « ان ما يقوم به المركز الدولي للبحوث الزراعية من جهد في مجال البحث الزراعي على المحاصيل الاساسية للغذاء ، انما يجسد خطوة على الطريق الصحيح لدفع عملية الانتاج الزراعي ، والاسهام في تحقيق الأمن الغذائي في عدد من محاصيل الغذاء الأساسية . وتشكل برامج التعاون العلمي بين (ايكاردا) وعدد من الاقطار العربية ، في محاصيل القمح والشعير والفول ، والتطبيقات العملية للأصناف المحسنة من هذه المحاصيل تشكل الادلة الملموسة لهذا الجهد في المناطق البعلية الجافة من وطننا العربي . □



يَدٌ واحدة لإهدائه
ويَدان لتعداد وظائفه
طقم مولينكس ثلاث هَدايَا سوبر
الكل يعلم أن الفكرة قبل الهدية. إليكم فكرة رائع
مصنوعة من مولينكس: طقم ثلاث هَدايا سوبّر ديلو
في مجموعة جذابة.
طقم مولينكس ثلاث هدايا سوبّر ديلوكس: يدٌ
ويَدان لتعداد وظائفه.
إن طقم الهدايا مولينكس. بمُحركاته الأساسيّة الـ
ما يزيد عن عشر وظائف مختلفة... بسهولة وإتقان
شارلوت ٣ مع ملحقاتها هي أداة فعّالة للفرم والبرش
وسَحق الثلج. ومَع سوبّر بلندر مكسر المجهّز بوعاء د
تصبح عمليات المزج والخلط في غايَة الس
إضافة ملحق الطحن تحصلون على خ
البن والبهارات.
أما خفّاقة ماجور، المجهّزة بثلاث س
فتريحكم من عناء خفق الكريما والبيض
العجينة للحلويات.
طقم مولينكس ثلاث هدايا سوبّر دي
رائعة وأجمل هديّة.
Moulinex®
سلمت يَداك يا
مولينكس®
صنع فرنسا

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع





في تونس يحمون الفتيات من الضياع

« الظاهرة ليست وقفا على الوطن العربي ، بل هي ظاهرة في العالم الثالث كله ، ونعني بها ظاهرة الانقطاع عن التعليم في فترة ما ، وتصبح الظاهرة أكثر ايلاما عندما يكون الانقطاع من الفتيات اللواتي يواجهن الحياة بأدوات قليلة !! » .

نخطىء كثيرا لو فصلنا الدوائر المتصلة ، حتى لو كان هذا الفصل من قبيل التبسيط لأجل الفهم . وعندما نعترف أن الوطن العربي يعاني من مشكلة اجتماعية ، فليس منطقيا ولا ممكنا فهمها في اطار جزئية واحدة من جزئيات المشكلة .

فعندما نقول ونعترف مع تقارير المنظمات الدولية أن هناك حالات تسرب من التعليم ، فان هذا التسرب والانقطاع ليس سببه اتجاه هؤلاء التلاميذ الى سوق العمل ، ومساعدتهم في زيادة الدخل ، كما يحدث في معظم الأسر الريفية والبدوية ف... العربي ، ليس هذا هو السبب فقط ، فهناك الثقافة الاجتماعية ، وهناك الظروف الاقتص... وهناك الأسباب القهرية التي تضيع معها الحصر . والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي تقاريرها تقول ان ٨٠٪ من جرائم الأحداث أحداث انقطعوا عن التعليم ، لأسباب ا... واقتصادية مختلفة .

هل فكر أحدنا .. ماذا تفعل فتاة عربية



عن التعليم وفقدت ـ كما يحدث كثيرا ـ مورد رزق مستمر وكريم ؟

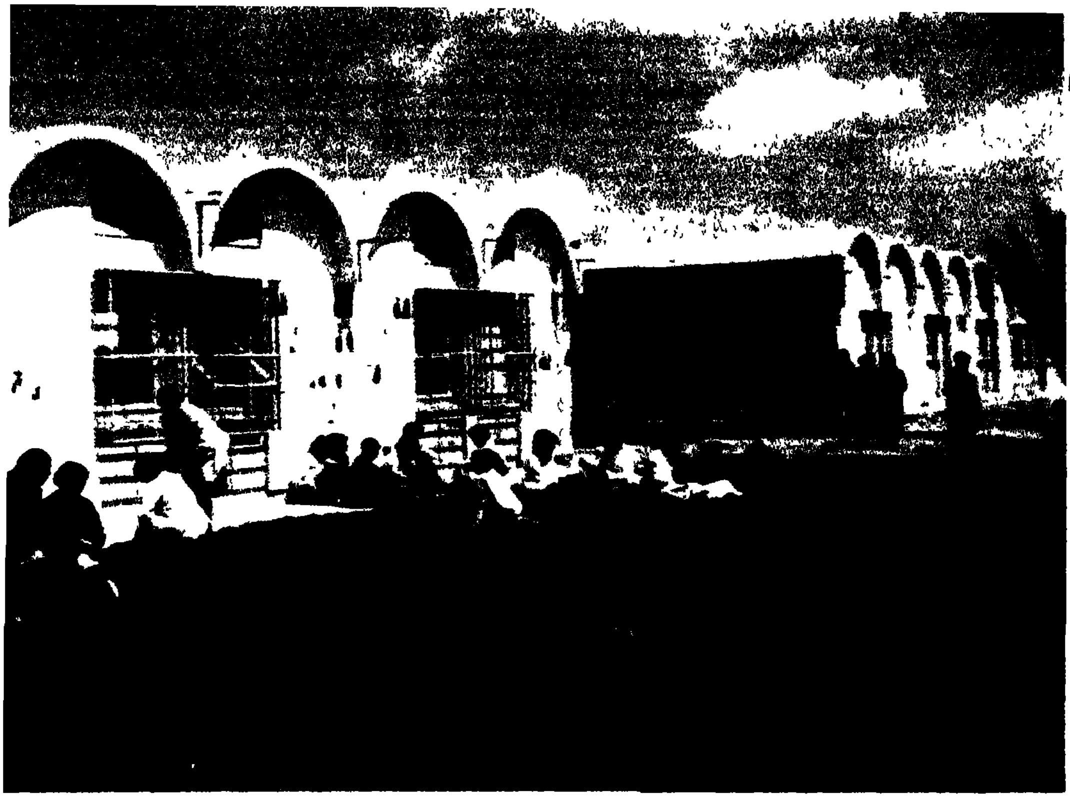
وماذا تفعل هذه الفتاة اذا تزوجت ثم بعد فترة لسبب أو لآخر راح الزوج ـ اما بالموت أو الانفصال ـ كيف تعيش وكيف تحيا ؟

في تونس كانت هذه الأسئلة تؤرق مجموعة من ...ء في الاتحاد النسائي . . . وبهدوء وصبر ودأب ... يضعن حلا بسيطا وعميقا وجديدا .

بداية القصة :

السيدة عزيزة داود عضو المكتب التنفيذى للاتحاد القومي النسائى ، ومديرة معهد بورقيبة للتكوين المتواصل تحكى عن المعهد وتقول :

كانت البداية تساؤلات في ذهننا نحن أعضاء الاتحاد النسائى عن مصير الفتاة التى تنقطع عن التعليم لسبب أو لآخر ، وبخبرتنا في الحياة كنا نخاف على بناتنا من أن يجرفهن الضياع ، اذا لم نفكر في شيء



● الفتيات وقت الراحه . يجلسن فى الحديقه التى تتوسط المعهد .



- فتاة تتعلم إصلاح الأحذية



- تجليد الكتب مهن جديدة على بنات حواء

يحميهن ، وأنا أعي بالضياع كل معانيه النفسية ، والانسانية ، والاسرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والاخلاقية

ولمعت في ذهننا فكرة لماذا لا نعلم الفتيات مهنة أو حرفة يتكسبن منها ، وتساءل كثير من الناس أين وكم وكيف و . . ؟ وعديد من الأسئلة التي لو فكرنا في بالاجابة عنها لاكتفينا من الفكرة بالنقاش .

وبالفعل تجاهلنا كل هذه التساؤلات ، وبدأنا في مبنى مدرسة ابتدائية في صيف أجريات عام ١٩٦٨ ، ستين فتاة تقدمن الينا للالتحاق بثلاثة تخصصات ، وكتبت الصحافة التونسية عن التجربة ، ومع نهاية العام الأول كان لدينا ٣٥٠ فتاة . وفي اكتوبر ١٩٧٠ افتتح الوزير الأول مبنى المعهد الحالي ، الذي بني وفق تقسيم يناسب طبيعة المعهد وفكرته ، من حيث فصول دراسة وورش تدريب ومساكن مناسبة

صورة من قريب

مبنى أبيض من طابق واحد وسطه حديقة كبيرة ، على بابه الحديدي لافتة معهد بورقيبة للتكوين المتواصل « الزهور » ، يحتوي المبنى على ٢٠ ورشة عمل وتعليم ، و٤ قاعات تدريس ، بالاضافة الى عدد من الورش الصغيرة ، وأجنحة البيت ، وقاعة الطعام والمبنى الاداري

في هذا العام بلغ عدد الفتيات ١٢٠٠ طالبة ، موزعات على ٤٣ تخصصا . . منهم ٣٥٠ فتاة يبتن في المعهد في اقامة كاملة .

ونظام القبول في المعهد يتسم بالمرونة ، كي يستوعب كل الحالات المحتملة ، فمدة الدراسة إما عام واحد أو ثلاثة أعوام أو خمسة أعوام ، وعند فتح باب التقديم للقبول في أوائل العام الدراسي يتم تصنيف المتقدمات الى متعلمات وحاصلات على شهادة مدرسية ، وأميّات ، وبناء على المستوى يتم توجيه الطالبة الى التخصص والمهنة المناسبة ، والمرونة ليست في المستوى الثقافي فقط ، بل في سن القبول ، والذي لا يحدد بسن معينة .



السيدة داود مدير المركز

ويمنح حق المبيت للفتاة اذا كانت اقامة أسرتها تبعد أكثر من ١٢ كيلومترا عن المعهد .

كيف تمضي الفتيات أيام الدراسة ؟

يبدأ اليوم الدراسي في الساعة الثامنة صباحا ، فتتوزع الفتيات على التخصصات المختلفة ، وحسب برنامج اليوم ، أما ورش عملية ، أو محاضرات نظرية ، ونظام الدراسة يحدد ساعات التعليم أسبوعيا بـ ٣٠ ساعة تطبيقية و٦ ساعات ثقافية ، وتنتهي الفترة الأولى في الثانية عشرة والنصف ، وتمنح الطالبات ساعتين للراحة ، يتناولن فيها طعام الغداء ، ثم يعدن من الثانية وحتى الخامسة والنصف ، حيث ينتهي اليوم الدراسي ، فتستقل الطالبات السيارات الخاصة بالمعهد لتعود بهن الى بيوتهن ، وتذهب الطالبات الداخليات الى أجنحة السكن . . للقراءة أو الاستذكار أو انجاز أعمالهن الخاصة .

وداخل الورش يفاجأ الانسان بمهن لم يكن يتصور أن تعمل فيها فتاة ، مثل صناعة الأحذية ، تصليح



دروس في الكي والتنظيف

الساعات ، النجارة ، والتجليد والتصوير والحلاقة وتصليح الادوات الكهربائية والدباغة وصناعة أطقم الأسنان الصناعية ، هذا بالاضافة الى المهن والحرف التقليدية مثل الحياكة والتطريز وصناعة الخبز والحلوى والطهو والنسيج . . . الخ وتجميل الأظافر والتنظيف على البخار وأعمال الصيدلة . . . الخ .

الــى أيـن ؟

في نهاية الجولة سألت مديرة المعهد الى أين تذهب الفتيات بعد التخرج . . ؟ فأجابت بجملة واحدة يتخاطفهن سوق العمل ، وكل عام قبل موعد التخرج تنهال على المعهد اتصالات من جهات حكومية وأهلية تسجل رغبتها في توظيف عدد معين من الخريجات حسب التخصصات المختلفة .

سأل مرة أخرى عن تمويل المعهد ؟ فتقول السيدة عزيزة داود هناك مصاريف رمزية من الطالبات لا تزيد في أقصى حد عن عشرة دنانير تونسية ، وتختلف قيمة المصاريف حسب التخصص ، أما الفتيات المعوزات فان مشروع التنمية الريفية يتحمل مصاريف تعليمهن ، ويتلقى المعهد معونات مادية ومعنوية من أكثر من جهة حكومية ، لتكفل له الاستمرار في تأدية رسالته .

ويظل هناك سؤال لا يقدم أحد اجابة له ، لماذا لا تحاول كل الجمعيات والهيئات والمؤسسات على امتداد خريطة وطننا العربي أن تقتدى بهذا النموذج ؟ أليست قيمة العمل الاجتماعي والسياسي في أروع معانيها هي في خدمة الجماهير ومساعدتها على مواجهة الحياة وتجميلها ؟

أيختلف معنا احد في أنه ليس هناك ما هو أجمل من أن نحمي زهراتنا من الضياع ؟ فلماذا لا نكف عن الحديث الطويل ، ونبدأ جميعا في العمل ؟! □

محمود عبد الوهاب



الأب المتسلط ...

ما لـه وما عليـه

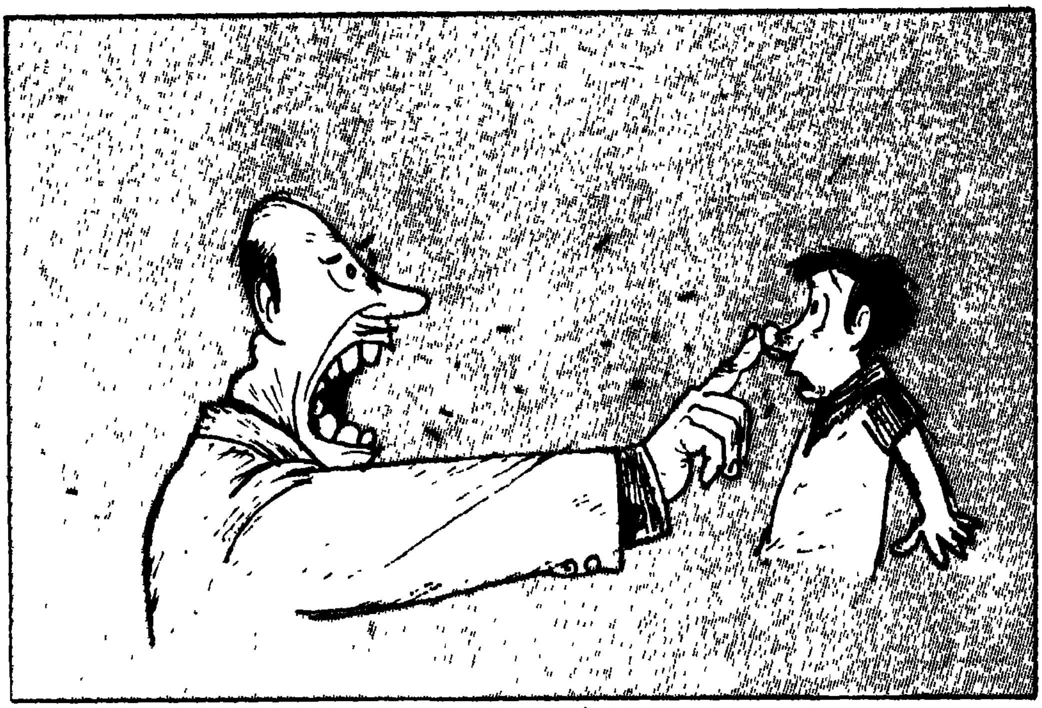
بالرغم من التغيرات الكثيرة التي دخلت على حياة الأسرة العربية ، واقتراب أو ابتعاد الوالدين من نفسيات الأبناء ، فان صورة الأب المتسلط ما زالت باقية في حياة بعض الأسر ، مما يؤثر على الحياة المستقبلية للأبناء . فما رأي المختصين والآباء والأبناء في هذا الأمر ؟

قال لنا الدكتور عزت اسماعيل ـ استاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة الكويت ـ : تتعدد اتجاهات الأهل في معاملة صغارهم وتربيتهم وتوجيه سلوكهم ، والواقع أن الذين يسببون « الأذى » بكل أشكاله لأولادهم هم هؤلاء الذين يعانون من مشكلات نفسية خاصة ، ويشتركون جميعاً في أنهم لم ينعموا في صغرهم بالحب والتربية الصحيحين داخل أسرهم ، وأغلب هؤلاء الآباء يغفل عن أن طفله لا علاقة له بتقصير والديه في شأنه وهو بعد صغير .

ما هو التسلط .. ؟

ويستمر د. عزت قائلاً : وأساليب التربية الخاطئة متعددة ، وكلها تؤدي الى الاخفاق في اعداد جيل سليم ، مثل التسلط والقسوة والتدليل الزائد والتفرقة في المعاملة ، والتردد وايذاء النفس بالألفاظ أو بالضرب .

والتسلط هو في الواقع استخدام الأهل للسلطة في توجيه سلوك الأبناء ، فبدلاً من الاعتدال في تربية الصغير تكون المبالغة في متابعة حركاته وسكناته ، وفرض القوانين عليه اينما توجه ،



فالسلطة دون ايذاء هي التي يقبلها الأبناء ويردون عليها بالاحترام والثقة ، أما التسلط فهو المثير الأول لدوافع الكراهية والغضب ، لأنه يكون مقروناً بالقسوة في المعاملة وهو سلوك لا يتفق مع عطف وحنو الوالدين .

ويتابع د. اسماعيل حديثه يقول :

ان الأب المتسلط لديه دائماً أعذار يبرر بها سلوكه ، وهي الخوف الشديد على مستقبل الابن وحمايته من الانحراف ، وبالطبع ليس العنف هو الشكل السليم للتعبير عن حب الآباء لأبنائهم ، وحتى يكون ما نقصده واضحاً فإنني لست ضد الحزم أو حد العقاب اذا اقتضت الضرورة .

هذا من ناحية سلوك الآباء ، ولكن كيف يتأثر الابن بذلك ؟ هل يحقق تكيفاً وتوازناً في حياته وعلاقته بعد ذلك ؟ هل ينجح الابن الذي نشأ في بيئة متسلطة في حياته ؟ .

كيف ينجح الابن ؟

ويجيب د. محمد رفعت عيسى عن هذا السؤال فيقول : لنحدد أولاً ما هو النجاح . . فالانسان ليس هو الذي أصاب تعليماً عالياً أو حصل على أرقى الشهادات .

فهذا يعد تفوقاً ظاهرياً ، فالنجاح الحقيقي يعني أن يتمتع الانسان بشخصية متوازنة علمياً وعاطفياً واجتماعياً ، فتكون له علاقات حميمة مع الأهل والأصدقاء ، ونعود الى حديثنا عن الابن المضطهد أو المقهور من قسوة أبيه . هذا الابن لا يمكن أن يصبح شخصية مستقلة ، ولكنه يظل يعاني سلوكاً قلقاً بين رغبته في الاستقلال وبين تأثره بشخصية والده المستبدة التي كثيراً ما تترك بصماتها على نفسه ، وتنعكس على أبنائه في المستقبل بشكل أو بآخر .

وهنا يجرنا الحديث الى تساؤل آخر ، هل يمكن أن يكون للأب المتسلط وجه ايجابي واحد .

ماذا يقول الأبنـــــاء . . ؟

يقول فاروق بعد تجربة عمرها أكثر من عشرين عاماً في تربية أربعة من الأبناء الذكور ، أؤكد أن الأب لا بد أن يلتزم خطأ جاداً يصل الى الحدة في بعض الأحيان ، فالابن لا بد أن يشعر بقوة أبيه وسيطرته على حياة الأسرة بشكل دائم ، حتى لا يعمل عن واجباته تجاه نفسه ، لأن الهدف النهائي لأي أب هو الاطمئنان على مستقبل الابن .

ويقول محمد . عشت أكثر من أربعين عاماً في بيت والدي ، وبلغت معاناتي من سيطرته وتدخله في كل أموري الصغيرة قبل الكبيرة الشيء الكثير ، وعندما كنت في مقتبل حياتي العملية ، كان عمري وقتها يزيد قليلاً على العشرين عاماً ، كنت أعتبره انساناً بلا عواطف . وكثيراً ما تمنيت أن يكون بيننا حوار بدلاً من اتهاماته الدائمة عند أتفه الأخطاء . لم يكن أبي يستوعب بعض الضعف في ابنه ، ولم يفهم مرة واحدة أنني من الممكن أن أحصل في مادة دراسية على علامة « جيد » بدلاً من « ممتاز » كنت في نظره الابن الممتاز دائماً .

الآن أنا طبيب ناجح ، ولكنني أفرط في تدليل ولدي الصغيرين ، ولا اعتقد أنني سأندم .

ويتساءل عن الدور الصحيح الذي يجب اتباعه في توجيه سلوك الأبناء ؟ .

يجيبنا الدكتور عزت اسماعيل فيقول : الأب المتسلط مرفوض مهما كانت نواياه ومقاصده .

ولا أنكر أهمية أن يكون الأب حازماً ، فالحزم مطلوب والحدة مرغوبة في بعض مراحل تربية الأبناء وخصوصا الذكور ، ولكن كما سبق القول دون إفراط يدمر نفسية الابن ويقضي على نمو شخصيته ، فيتحول الى « السلبية التي تدفع الأب الى مزيد من التسلط » . □

●

السراة

خطب زياد يوما فقال : أيها الناس اني قد رأيت خلالا ثلاثا ، نبذت اليكم فيهن بالنصيحة ، رأيت اعطاء ذوي الشرف ، واجلال ذوي القدر ، وتوقير ذوي الاسنان . .

واني أعاهد الله لايأتيني شريف بوضيع لم يعرف له فضل شرفه على ضعته الا عاقبته له . ولايأتيني كهل بحدث لم يعرف فضل سنه على حداثته الا عاقبته له . ولايأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه بذلك الا عاقبته ، فانما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم ، وقد قال في ذلك الافوه الاودي :

تهدى الامور بأهل الرأي ماصلحت ... فان تولت فبالاشرار تنقاد
لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولاسراة اذا جهالهم سادوا

هــو...

وَالــدَتــهُ

جميلة . . وحيدة . . مدللة ، هكذا كنت طوال حياتي ، فلم يرزق أبواي غيري من الأولاد ، فكنت لهما نور حياتهما ومتعتهما ، فلم يمنعا عني شيئا ، ولم يردا لي طلبا ، ولم يحرماني من تحقيق رغبة أو أمنية ، كنت محط اهتمامهما الدائم ، حتى بعدما كبرت وأصبحت طالبة جامعية . . كان الاهتمام يزداد بمرور الزمن ولا يقل .

فكان والدي اذا خرج مساءً يتصل من حيث هو ليسأل:هل أحوالي على مايرام ؟ أينقصني شي ؟ هل أذاكر دروسي ؟ الى آخر هذه التساؤلات التي ان دلت على شيء فانما تدل على فرط الحرص وغاية الاهتمام .

وتزوجت . . وكل ما حولي يوحي أن الحياة ستصير أجمل . . شاب وسيم متعلم مثقف ، ذو شخصية قادرة على احتوائي ، وفوق هذا شديد التمسك والاعجاب بي .

ومرت أيام تأثيث البيت . . وراحت أسابيع الزواج الأولى تلهث وتمر تاركة كلاً منا أمام الآخر واضحاً بلا رتوش ، واكتشفت تعلق زوجي الهائل بوالدته ، وأنه بعد الزواج لم يستطع أن ينفصل عنه لا بجسده ولا بعقله ولا بروحه ، فهي محور حيات وهي أول من تتمتع باحترامه وثقته . . تلبية خدم مسألة لا نقاش فيها ، وكلامها أوامر تجاب وحاولت أن أتناقش معه كثيرا ، فأنا لا أنكر عليه لأمه ، ولا أنكر أنها في سن كسنها وحالة صح كحالتها أحوج ما تكون الى العون والمساعد ولكنني كنت أريده أن يدرك تبعة المسئولية التي ا بها ، فالمؤسسة التي قَبِل بتكوينها والتي وافق عل باختياره وإصراره لابد أن تأخذ حقوقها كاملة ولكن ما يحدث هو العكس . . وارتباطاته العـ قبل الزواج تقلل من وفائه بالتزاماته ، فكل ما أ من احتياجات منزلية يرفض تلبيتها لانشـ بالعمل ، وكلما طلبت منه الخروج في نزهة أو ز بعض الأقارب أو الأصدقاء يرفض مفضلا ا الوالدة ، حتى فقدنا أصدقاءنا واحدا واحدا واحد . . وابتعد عنا أقاربنا . . وأصبحت واا كابوسا يهدد حياتي ، ويسحق سعادتي ، وعندما ا بي الكيل كما يقولون ، دارت مناقشة عاصفة بينن أوضحت له فيها أنني مع حبه لأمه ومع تقديره ور لها ، ولكن كل هذا له حدود ، وأنني لن أسمح بأن يسرق مني ساعات هي حق لي أقضيها م وأنني عندما وافقت على زواجي منه لم أوافق زواجي بأمه ، و . . . و . . . وطوال المناقشة يبتسم هادئا ، وبعدما فرغت من الحديث نـظ طويلا وقال مبتسما ، المهم هو رضاء الوالدة ، رضاها وبركتها ، كي يفتح الله علينا وينير لنا حـ وتركني مهزومة مغتاظة وشبح والدته يهدد سعادتـ



هي .... أحسن صحبتها

لم أك أتصور أن خلف الرقة والجمال .. كل هذه القسوة والأنانية ، فعندما تزوجتها حلمت بأن تقتسم معي الحياة باشراقها وتجهمها ، وكانت كل المؤشرات تنبىء بهذا فهي رقيقة .. جميلة ، بنت بيت ، اثنى كل الناس على أخلاقها ، وحسن تربيتها ، ولكن لا أدري لماذا تفجرت الخلافات بيننا ؟ وآخر سبب كنت أتوقعه هو أمي ..

وكم ثارت بيننا مناقشات ، واحتدم الخلاف حول رعايتي لأمي ، تعيب على أنني أتردد عليها كل يوم أزورها لأسأل عنها ، أقضي لها حاجاتها من الخارج سواء كانت تريد دواء أو حاجة من حاجيات البيت ، فأمي منذ خمس سنوات وهي تعيش وحدها .. تروح



كل أخوتي ، ولم يبق لها في الدنيا من يسأل عنها إلا نحن « أبناؤها » ، ولا يستطيع احد ان يمنعني عن البر بها والسؤال عنها والاطمئنان عليها .. وتلومني زوجتي على هذا الالتزام ، وتقول أن التزامي بهذا الواجب يقلل من التزامي ببيتي ومسئولياتي ، وأنني لم يكن يصح لي زواج طالما ارتباطي بأمي الى هذه الدرجة ، وأقول لها .. يارفيقة الدرب أنا لا أستطيع أن أتخلى عن واجبي تجاه أمي ، ولا أستطيع أن أتركها وحيدة بين أربعة جدران ، تنعي العمر الذي ضاع على تربية أبناء جاحدين ، ولا ذنب لي أن أخوتي لا يقومون مثلي بهذا الواجب ، فليس معنى تقصيرهم أن أقصر أنا أيضا ، فكل منا مسئول عما يفعل ، ولا أستطيع أن أتركها وأنتظر أن أسمع عنها ، وأنا بامكاني أن أسمع منها ، ويازوجتي هذا دين لا مفر منه ، كما نسدده نحن الآن سيسدده أولادنا تجاهنا ، ولقد كان تصوري أن وفائي لها يسعدك .. أو يعطيك مؤشرا على التزامي نحوك « فخيركم لأهله خيركم للناس » واذا لم يكن لدي خير لأمي فليس لدي خير لأحد بعدها .. ولكنها - زوجتي - سامحها الله لم تقتنع ، وتصورت أن بري ووفائي بأمي كابوس يهدد سعادتها .. ويغتال هناءها .. ولم تراع مشاعري ، وقالتها لي في وجهي .. وكأنها تغار من أمي .. أو كأني مملوك امتلكته - لا مفر لي من الجلوس بين يديها طوال اليوم .. وعندما وصلنا الى نقطة عدم الفهم في النقاش ، أنهيته بقولي بأني لا أستطيع أن أفعل شيئا ، وسأحسن صحبتها ما بقيت .. فهي أمي التي لن يعوضها الزمان أبدا ، ولن أغفر لنفسي لو قصرت في حقها ..

هو

من الحياة

كيف نعيش الغد بلا قلق ؟

بقلم : منير نصيف

تعقدت الحياة واضطربت ، ووجد الانسان نفسه ضائعا وسط هذا العالم الغريب الذي يعيش فيه . وفجأة وجد نفسه يقف حائرا أمام الأخطار التي تتهدد البشرية ، يتساءل في خوف وقلق : (ترى كيف يكون الغد ؟ كيف ستكون الحياة التي سيعيشها أبنائي وأحفادي وشبح الحرب النووية يخيم على الكون كله ؟) .

لقد ولت الأيام التي عاشها أجدادنا وآباؤنا تحت الشمس الدافئة التي كانت تحنو عليهم .. لم تعد الحياة بسيطة هادئة آمنة .. لقد تغير كل شيء ، وبسرعة هائلة لم تتح لانسان القرن العشرين لحظة تأمل قصيرة يرى فيها ما صنعته السنون التي حملت في مسيرتها حربين عالميتين ، أهلكت نيرانها الملايين من البشر ، وتقدما علميا هائلا لم يكن كله من أجل سعادة الانسان ، وغزوا غريبا للفضاء الذي طالما أحاطه الغموض حتى كشفت السفن الذاهبة اليه والعائدة منه حقائق ، تمنى الانسان لو لم يعرفها .. ألا يكفي أن يكف الشعراء عن وصف الجمال بالقمر بعد الذي عرفوه عن قبحه واستحالة الحياة على سطحه !

انسان هذا القرن اذن يعيش حياة يحتويها التوتر .. ترى ما الذي يمكن أن نفعله للخروج من هذه الدائرة المظلمة ؟

القلق والتفكير

لقد اختلفت آراء علماء النفس وتضاربت ولكنهم في النهاية أجمعوا على شيء واحد ، وهو هذه المشاعر التي تعتمل في صدورنا ، وتشـ تفكيرنا ، وتهدد كياننا ، هي في واقع الحال نـ حتمية لاستجابة نفوسنا للعوامل التي تسبب لنا المشاعر .. فاذا تعلمنا كيف نحد من هـ التجاوب ، نجحنا في التغلب على قلقنا ومخاوفـ واستطعنا أن نطرد من نفوسنا أسباب التوتر الـ يصيب حياتنا .

والقلق والفكر شيئان متلازمان .. فالانسان ـ ولكن هناك فرق بين تفكير وتفكير .. هناك من المجال لأفكاره تسبح وسط الظلام الذي يحيط شيء حوله ، وهناك من يفكر ولكن بأسلوب آـ فلا يدع للأفكار المظلمة والصور الكئيبة مجالا رأسه وعقله .. وليس معنى هذا أنها لا تدو مخيلته ، فهي قد تحوم حولها ، وقد تحاول أن تنفـ قلبه ، ولكنه يطردها ، ويسد الطريق أمامها .

يقول نورمان فنسنت بيل ، أحد علماء الـ المعروفين في كتابه (دليل الحياة مطمئنة) :



« نحن في حاجة الى البحث عن أساليب عملية لتفكيرنا ، لأن ملكة التفكير ، هي واحدة من أعظم القدرات التي يتمتع بها الانسان ، فحياته لا تسيّرها الظروف الخارجية ، ولكنها تخضع للافكار التي تدور في ذهنه . المرء ـ رجلا كان أو امرأة ـ هو وحده القادر على خلق عالمه الخاص به بفضل ما يعتمل في رأسه من أفكار . ولقد قيل يوما (إن الرجل هو ما يأكل) ولكن قبل الأكل يأتي الفكر . . فالرجل يفكر فيما يأكل قبل أن يأكل . . واذن (فالرجل هو ما يفكر) والمرء في النهاية هو خلاصة ما يدور في عقله الظاهر وعقله الباطن في آن واحد! »

حتى في نومه

ويقول ماركوس أوريليوس أحكم حكماء روما : (ان أفكارنا هي التي تصنع حياتنا) بينما يقول ايمرسون فيلسوف أمريكا : (ان المرء هو ما يشغل تفكيره طوال ساعات يومه ، وحتى في نومه !)

وكل واحد منا يجد نفسه مشغولا بالتفكير في أمور كثيرة طوال اليوم ، ولكن كثيرا ما يجد المرء نفسه وقد ركز تفكيره كله في أمر معين ، أو مشكلة بذاتها ولا تلبث هذه المشكلة أن تسيطر على تفكيره كله حتى تنسيه كل ما عداها من أمور أخرى ، حتى اذا كان بعضها يمكن أن يثير في نفسه بعض الانفعالات السعيدة فرأسه المزدحم لم يعد قادرا على افساح مكان لها .

هذا الشعور المضطرب يبدأ أول ما يبدأ بخيط قد نراه كالطيف أمامنا ولكن الصورة لا تلبث أن تتكرر وتستقر في أذهاننا على مر الأيام . . عندئذ نجده قد اتخذ له أخاديد عميقة في رؤوسنا ، أشبه ما تكون بمياه الامطار التي تتجمع في بطن الجبل . . انها لا تبرحها الا اذا وجدت لها منفذا ينقلها من القمة الى السفح .

الخوف ينمو ويترسب

يروي نورمان فنسنت بيل قصة الأم التي كانت تقف أمام ابنتها في صباح كل يوم قبل ذهابها الى المدرسة وتقول لها : (خذي حذرك يا ابنتي وأنت تعبرين الطريق . لا تنسي أن تتلفتي يمينا ويسارا لتتأكدي من خلو الشارع من السيارات . . الله يرعاك) .

لقد كانت الأم المسكينة تعاني من تعب نفسي ترسب في رأسها وانعكس على كل تصرفاتها وأحاديثها . . فهي لم تكن ترى من الدنيا الا وجهها المظلم .

وقد أدى تكرار هذا التحذير الذي كانت تسمعه كل صباح الى تولد شعور غريب لديها ، فقد أصبحت الفتاة ، حتى بعد أن تجاوزت مرحلة الطفولة . . تشعر بخطورة تلك الرحلة التي تقوم بها يوميا الى مدرستها . . وكبر هذا الشعور معها واستفحل ، فلما غدت زوجة وأما صارت تنظر الى الدنيا من حولها ، كما لو كانت غابة فسيحة مليئة بشتى أنواع المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها في حياتها . شيء واحد استطاع أن يضع حدا لهذه المخاوف ويخلصها منها ، هو حب زوجها لها ، فقد جعلها ترى لأول مرة الحياة من حولها بعينين جديدتين ، وتدرك أن الدنيا ليست بهذا السوء الذي كانت تتصوره ، وانها مليئة بألوان من الصور الجميلة .

وقصة أخرى

ثم قصة أخرى . . قصة امرأة كاد التعب النفسي يودي بحياتها . . لقد عرفت الخوف في طفولتها ، ومع هذا الشعور المدمر ، تولدت في نفسها عقدة ظلت تلازمها سنوات طويلة حتى شاءت الصدفة وحدها أن تخلصها منها . . انها قصة واقعية جرت حوادثها في لندن ونشرت الصحف تفاصيلها .

قصة طفلة صغيرة وقفت منذ ثلاثين عاما ترقب في فزع ورعب شديدين ، ما حدث لأمها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن وضعت طفلها الثاني . . فقد أصيبت الأم بنوبة قلبية مفاجئة في نفس الوقت الذي كان طفلها يطلق صرخته الاولى وهو يستقبل الدنيا الجديدة .

وترك الحادث في نفس الطفلة جرحا عميقا ، زادته السنون عمقا على عمق ، حتى كبرت الطفلة وأصبحت امرأة ناضجة . . وتقدم أحد الشبان يطلب يدها من والدها وفوجىء الأب بابنته تختفي تماما . . وراح يبحث عنها في كل مكان يمكن أن تكون قد لجأت اليه . . ولكنه لم يعثر لها على أثر . .

ماذا حدث ؟ وذهب الأب يحمل حيرته الى أحد الأطباء النفسانيين ويسأله المشورة ، ورافق الطبيب الوالد الحائر في رحلته الطويلة وهو يروي له قصة ابنته من بدايتها . . وقال الطبيب أخيرا : (لقد هربت ابنتك من الزواج يا سيدي . . لا لأنها لا تريد أن تتزوج . . ولكن لأنها لا تريد أن تحمل وتنجب أطفالا ويحدث لها ما حدث لأمها !

وانقضت بضع سنوات أمضاها الأب المسكين مع ألمه وحزنه حتى شاء القدر أخيرا أن يجمع بينه وبين ابنته مرة أخرى . . لقد عثر عليها وهي تقف عند محطة الاوتوبيس تنتظر . . وكان لقاء حارا . . وقالت الابنة وهي تمسح له دموعه بمنديلها الصغير : (اعذرني يا أبي فأنا أخاف الموت) .

وعادت معه الى البيت الذي هربت منه . . وانتهت رحلة البحث والعذاب . . ولكن القصة لم تنته ، لقد كان الشاب الذي طلب يدها منذ سنوات ، ما زال بدوره يبحث عنها . . هي أيضا كانت تحبه . . ولكن هل يرضى بها زوجة فقط دون أن تصبح بعد ذلك أما لأطفال قد لا تعيش لتراهم ؟)

ورضي بها زوجة ، ومضت الأيام ، وحملت . . وبدأ عذابها مع نفسها ، هل تتخلص من الجنين ؟ وكيف تضمن أنها في هذه المحاولة ستنجو مما خافت منه ؟ وطردت الفكرة من رأسها وعاشت شهور

الحمل في قلق وخوف حتى جاءت اللحظة أخيرا . . وعندما حملوها الى المستشفى كانت تهذي وتنادي أمها ، وكأنها معها على موعد .

ولم ينتظر الأطباء طويلا . . فقد حملوها الى غرفة الجراحة ، ولم تشعر بشيء بعد ذلك . . لقد ذهبت في نوم عميق بعد أن أجروا لها عملية تخدير سريعة ، وعندما فتحت عينيها وجدت مولودها الصغير بجوارها . . وكان يبكي . . لقد عاشت ورأت طفلها ، ولأول مرة منذ سنوات طويلة أحست الفتاة بالهاجس الغريب الذي ظل يحتويها ، وقد فارقها الى غير عودة . . لقد ولدت من جديد . . وقال الاطباء « لقد كاد قلبها قبل التخدير يتوقف عن النبض تماما . . لقد جاءت الينا في أسوأ حالاتها » .

عش ليومك

ونعود الى حيث بدأنا . . اننا نعيش اليوم في عالم مليء بأسباب القلق والخوف والتعب النفسي . . وكلها أمراض لازمت الحياة المضطربة التي أصبحت طابع هذا القرن . . الحياة السريعة المجنونة التي نحاول أن نلحق بها وكأننا معها في سباق لا ينتهي ، ونحن لا نستطيع أن نتخلف عن هذا السباق . . ولكن الذي نستطيع أن نفعله هو أن نتعلم كيف نميز بين الأسباب الحقيقية التي تدعو الى القلق والاضطراب ، وبين الأوهام والتخيلات التي قد تثير مخاوفنا بلا مبرر . . ولكي ننجح في محاولتنا هذه ، فلا بد لنا أن نكون على قدر من الذكاء والحكم السليم على الامور . . بهذا وحده نستطيع أن نطرد مخاوفنا ، وأن ندرك متى يجب أن نشرك معنا فيها الآخرين ، ومتى يجب أن نحتفظ بها داخل نفوسنا ، فنواجهها وحدنا بكل ما لدينا من شجاعة وقدرة على التحكم في مشاعرنا .

ان اذاعة الخوف تشل تفكير المذيع والمستمع على السواء ، والافصاح عن مخاوفنا قد يؤدي في الوقت نفسه الى التقليل من حدة التوتر الذي نحس به . المهم أن نعرف متى تكون هذه المخاوف حقيقية ومتى تكون مجرد أوهام وتخيلات .

ويقول علماء النفس ان ٨٠٪ من حالات الامراض النفسية التي يعاني منها هؤلاء الذين يترددون على عياداتهم لا تقوم على أساس من الخطر الحقيقي الذي يتصورون أنه يتهددهم ، وانما هو خوف قائم على أساس خطر مرتقب أو متوقع .

فالخوف من الغرباء ، والخوف من الجراثيم والامراض ، والخوف من الولادة عند الامهات اللاتي ينتظرن مجيء مولودهن الاول . . كل هذه مخاوف قائمة على خطر غير مرئي ، وقد لا يكون له وجود الا في مخيلتهم فقط .

فلنعش اللحظة التي نحن فيها ، لأن أحدا لا يعلم ما سيأتي به الغد . □

بـ (أحسنت) لا يباع دقيق !

كان جحظة يقرض الشعر ويغني في مجالس الكبار ، فكان اذا حضر وغنى ردد المجلس أحسنت . . . أحسنت ، ولم يكن يحصل على شيء . فقال فيهم جحظة :

إن تغنيت قال : أحسنت زدني ‌ ‌ ‌ ‌ وبـ (أحسنت) لايباع دقيق .

طبيب الأسرة

مشاكل التسنين عند الأطفال

منذ الشهر الرابع في حياة الطفل تبدأ مرحلة ظهور الأسنان ، وتستمر هذه المرحلة حتى عمر السنتين تقريبا ، وعلى مدى هذه الشهور يصاحب الأم القلق تجاه صحة طفلها الصغير ، ونتيجة هذا القلق والمفاهيم الشائعة يسود لدى كثير من الأمهات اعتقاد خاطىء حول عملية التسنين ، فنجد أن الأم تعزي سبب مرض الطفل وهزاله وارتفاع درجة حرارته لعملية التسنين ، وهذا مفهوم مناف للحقيقة ، فالطفل يفقد مناعته الطبيعية التي اكتسبها وهو جنين بعد ثلاثة أشهر ، ومع الشهر الرابع تضعف المقاومة وتبدأ عمليات التسنين ، ويبدو من هنا أن هذا الارتباط هو الذي خلق هذا المفهوم .

فماذا تعرفين عزيزتي الأم عن عملية التسنين ومشاكلها ؟ تعالي معنا نسترجع بعض المعلومات الأساسية عن هذه الفترة المهمة والحرجة .

لا يتحدد ظهور السن الأولى بعمر معين ، فقد يظهر في الشهر الرابع أو الخامس ، وقد لا يظهر خلال السنة الأولى من عمره ، وهذا لا يعني ضعفا في صحة الطفل ، بل هو أمر طبيعي جدا لا يدعو للقلق .

الا أنه لابد أن تكون قد ظهرت بعض الأسنان في فم الطفل في الشهر الرابع عشر ، أما في حالة استمرار ضمور الأسنان حتى سن ١٨ شهرا ، فلابد من استشارة اخصائي أسنان،وأول ما يظهر من الاسنان هما السنّان الأوليان السفليان (القواطع المركزية) ثم يتلو ذلك ظهور السنين العلويتين ثم الأضراس ، ويظهر الناب في الشهر الثامن عشر ، وتتوالى بقية الأسنان خلال هذه المدة .

وخلافا لما هو شائع فان التسنين لا يصاحبه أي أعراض سوى تهيج واحمرار في اللثة ، الى جانب ازدياد كمية اللعاب السائل في الفم . فلا يحدث ارتفاع في الحرارة ، ولا التهابات معوية ، أو نزلات شعبية أو تشنجات . غاية الأمر رغبة شديدة في الضغط على المواد الصلبة والشد عليها ، مما قد يريح اللثة المتهيجة ، وعلى الأم أن تمنع طفلها عن مضغ المواد الصلبة أو الباردة ، لأنها قد تكون سببا رئيسيا في الالتهاب الرئوي . يفضل الطفل السوائل المختلفة الأنواع عن الأطعمة الصلبة في هذه المرحلة .

كيف تحمين أسنان طفلك ؟

يعتبر السكر العدو الأول لأسنان الطفل ، فهو مادة ضارة بالأسنان ، تؤدي الى اصابتها بالتلف والضرر بصحة الفم . فتناول المادة السكرية يعني تشكيل مادة حمضية حالا في الفم وهي تقضي على المادة غير العضوية الموجودة في المينا الخارجي الذي يحيط بالأسنان ، وهذا من شأنه خلق فجوة في السن تشوه منظر الفم .

ويزداد تلف الأسنان ، وتنتقل المادة الحمضية هذه من سن الى آخر ، لتهاجم كل الأسنان ، بل قد تتسع دائرة التلف والتعفن حتى تشمل اللب الداخلي للسن والأعصاب والشرايين ، مما يعد سببا رئيسيا في الآلام الحادة التي تصيب الانسان ، وفي النهاية تكون حصيلة تناول المواد السكرية موت اللب ، وامتلاء الجزء الداخلي من السن بالصديد حتى يصل الى السطح .

ان الحلويات وأنواع الوجبات الخفيفة أكثر أنواع المأكولات ضررا من حيث طريقة تناولها . وهي بدورها لن تحرر الأسنان من المادة الحمضية القاتلة للسن .

☆☆

بريد الأسرة

النكهة

● أرجو افادتنا عن مفهوم النكهة في عرف الطب ، وما هو دورها بالنسبة للانسان ، حيث لوحظ أن بعض الناس يحبون بعض الطعام الذي ينفر منه البعض الآخر ، فما هو السر ؟ ولكم الشكر .

س . ع ـ حمص

أصطلاح النكهة يرتبط عادة بالطعام ليربط حاستين من حواس الانسان وهما حاسة الشم وحاسة الذوق .

ولاشك أن هناك ارتباطا عصبيا له أهميته في عملية الهضم ، لان نكهة الطعام سواء منها رائحته أو طعمه تساعد على أفراز العصائر الهاضمة ، وأولها اللعاب ومنها عصائر المعدة ، وبالتالي تيسر الهضم والامتصاص .

كما أن النكهة قد تنفر الانسان من طعام ما غالبا ما يكون ضارا أو فاسدا ، وقد درس بعض العلماء قضية النكهة هذه فوجدوا أن هناك مايزيد عن (٢٨) نكهة يستطيبها البشر هى محصلة حاستي الشم والتذوق معا ، ومن هنا نجد أن المصاب بالزكام يفقد متعته بالطعام لانه فقد احساس الشم وهو أحد شروط النكهة ، وكذلك المصاب بالتهاب بالفم .

وقل من يعرف أن حاسة الشم أقوى بكثير من حاسة الذوق ، وربما (على حد زعم العلماء) تفوقها بخمسة وعشرين ألف مرة ، ومع هذا لاتنال اهتماما كما تناله حاسة الذوق التى تتفرع الى أربع حواس ، هى الملوحة في طرف اللسان الأمامى وجانبه ، والمرارة في مؤخرة اللسان ، والحموضة على الجانبين . والحلاوة مبعثرة في أكثر من موضع وتتركز في الامام ، لكن العريب في الأمر أن طعم المرارة يفوق كل أنواع أحاسيس الذوق الأخرى بألف ضعف ، ومع هذا فهو طعم مكروه ، منبوذ ، بينما طعم الحلاوة الاقل شأنا والأضعف هو الأكثر قبولا واستساغة من قبل الانسان ،ومع هذا فقد لوحظ أن الحلاوة الزائدة عن الحد قد تتحول الى طعم المرارة أحيانا .

وعلى هذا المنوال تتحول الملوحة الخفيفة الى طعم حلو عند بعض الناس ، ممن نراهم يأكلون الجبن المالح مع البطيخ الحلو أو العنب على سبيل المثال .

على أي حال فالنكهة أمر نسبي تدخل البيئة والتربية والعادات في ترسيب مفهومه ، لانه أمر عصبي يرتبط بمراكز المخ المختصة أولا وأخيرا .

معامل روسوس

اكتشفت مصادفة أثناء تحليل دمى أنني أنتمى الى فصيلة روسوس السلبي ، وقد علمت أن هذا العامل يؤثر على أولادى في المستقبل .

فما هي درجة الخطورة يا ترى .. وما هو التصرف السليم ؟

و . ن
الكويت

ان اكتشاف فصائل الدم الأربع على يد العالم النمساوى الأصل الأمريكى الجنسية كارل لاند شتايز عام ١٩٠٠ يعتبر منعطفا خطيرا فى تاريخ

بريد الأسرة

الطب وانقاذ ملايين الأرواح التى كانت تحت رحمة الموت لولا عمليات نقل الدم .

ومع هذا فقد بقيت هناك خطورة فى عمليات نقل الدم ، بالرغم من توافق فصائل الدم بين المتبرع والمريض ، الى أن اكتشف لاند شتايز عام ١٩٠٤ ان هناك فى دم غالبية البشر عاملا جديدا اطلق عليه اسم عامل روسوس ، لوجوده أيضا فى دم بعض انواع من القرود من نوع روسوس ، الا أن هناك حوالى ١٥٪ من البشر يعتقدون أن عامل روسوس هذا فى دمهم ، وهؤلاء يطلق عليهم أصحاب عامل روسوس السلبى ، ولا يصح أن ينقل اليهم الا ذات الفصيلة ، اذا كانوا بحاجة الى نقل الدم .

كما وجد أن النساء من فصيلة دم عامل روسوس السلبي قد يؤدى تراكم العامل المضاد فى دمهن اذا حملن الى تكسيرفى كرات الدم الحمراء فى دم الوليد ، غير أن الزوج لا دور له فى هذا الخطر ، اللهم سوى توريثه بعضا من أبنائه هذه الفصيلة .

لهذا تنصح المرأة ذات فصيلة دم روسوس السلبي أن تلد فى المستشفى ، تحت اشراف طبى ، حيث يمكن اجراء نقل دم الوليد فورا ، هذا الى أنه تم استحداث طعم مضاد يعطى للوالدة - يمنع احتمالات الخطر على المواليد فى المستقبل .

الصداع وضغط الدم

اعانى منذ مدة من صداع شديد يداهمنى بين حين وآخر لم اجد له شفاء بالرغم من كثرة العقاقير التى استعملتها الى ان اكتشفت ان السبب هو اصابتى بارتفاع ضغط الدم .

لقد اتبعت ارشادات الطبيب وتعاطيت العلاج المناسب ولكن الصداع مازال يلازمنى كما انى مازلت اعانى من ضغط الدم المرتفع فهل هناك من علاج شاف يوقف الصداع - ويشفينى من ارتفاع ضغط الدم ؟

صادق . ع . الكويت

من الاخطاء الشائعة عن مرض ضغط الدم المرتفع قناعة الكثيرين أن الصداع هو أحد الاعراض الملازمة لهذا المرض ، اذ من المتفق عليه أن ضغط الدم عندما يرتفع عن حده الطبيعى لا يعطى أعراضا معينة ثابتة ، لهذا سمى بالمرض الصامت ، وانما يكشف عنه فحص الطبيب لمريضه بواسطة مقياس ضغط الدم ، ولقد اتفق الاطباء على أن الصداع الذى قد يصاحب ارتفاع ضغط الدم قد يكون له أكثر من سبب ، والغالب فيها هو التوتر العصبي الذى بدوره يكون سببا فى ارتفاع ضغط الدم ايضا .

كما يصاحب هذا قناعة البعض أن علاج ضغط الدم المرتفع سوف يشفى المريض من الصداع ، ومن ارتفاع ضغط دمه ، والواقع أن ارتفاع ضغط الدم سببه تغيرات مرضية فى جدران الشرايين تؤدى الى تصلبها ، وهى الامر الذى لا يمكن العودة به الى الوراء لهذا فان علاج ارتفاع ضغط الدم يقصد به السيطرة على ضغط الدم وحفظه فى حدود المستويات الطبيعية ، مما يستوجب الاستمرار فى تعاطى العلاج ومراعاة الحمية وخاصة أمر التقليل من ملح « الطعام ، هذا الى جانب القياس الدورى لضغط الدم للاطمئنان على ثباته .

مساحة ود

هكذا يكون الحب

كانت فتاة تشعُّ بهجة كأنها « سندريلا » الأسطورة القديمة ، لها ابتسامة في لون الصباح الصافي ، كلما أشرقت بعثت الدفء في شرايين علاقاتها مع الآخرين . أشياؤها في الحياة الحب والارادة ، كانت متميزة متوثبة دائما للنجاح . وكثيرا ما كنا نمزح معها ونعلن عن تعاطفنا مع « عريسها » « المسكين » الذى لن يستطع التقاط أنفاسه عندما يشاركها عربة الزواج .

وجاء العريس وتجسد الحلم المتوقع . . التقت به ذات صباح في مدرجات كلية الطب . زميل شاب يميزه هدوء شديد ، اقرب الى الخجل ، وفي ظاهر أموره لا يتناسب مع حماسة صديقتنا الطموحة بجمالها وثرائها ونسبها العريق ، ووجدت نفسها تسبغ عليه اهتماما خاصا ، ووجد نفسه يحدثها بنبض قلبه ، واتفقا على الزواج وامتد بينهما جسر مفعم بالحب والاخلاص ، حتى تخرجا من الجامعة ، وتقدم لاسرتها « عريسا » . . ذهب اليهم يحمل في يده بكالوريوس الطب ، ويحمل في اليد الأخرى شبابا وطموحا ، وغرفة صغيرة في حي فقير ، وبدا مستحيلا أن يقتنع الأب أن لابنته الوحيدة مستقبلا مع زميلها الطبيب في غرفته المتواضعة ، فأحجم عن منحه تأشيرة دخول .

واختلفت السندريلا مع والدها لأول مرة ، وأعلنت أنه الوحيد الذى تجد فيه « مؤهلات » الانسان الرفيق ، انه الزوج « الشريك » وليس الزوج « الحل » فليس لديها مشكلة يعوزها الحل .

ومنحته اقامة دائمة في قلبها وبدأ معا « رحلة كفاح » طالما اسمتها « رحلة سعادة » .

انتقلت للعيش معه في بيته الصغير في الحي الفقير النائي ، واستطاعت أن تحيا معه حياة متواضعة لم تألفها في بيت أبيها الواسع ، وعلى مائدة الطعام القديمة في المطبخ الصغير كانا يتحدثان كثيرا عن المستقبل ، وشهدت جدران البيت الباهتة نسيج أحلامهما في حياة أفضل ، وكانت ابتسامتها تذيب همومه عندما تطل الصعاب برؤوسها ، فدخلهما لا يكاد يفي بأدنى المتطلبات .

ومرت السنوات . . وهما بين العمل والدراسة ، وبقيت ارادتها القوية تحكم الموقف دائما ، حتى حصل الزوج الشاب على الماجستير ، وكانت لحظة لا تنسى ، وبدأ الحلم يخطو أولى خطواته نحو الحقيقة ، عندما أتاح له ذلك فرصة عمل أفضل ، وتفتحت أمامهما أبواب كثيرة .

واذ أخفق زوجها في الحصول على الدكتوراه عندما تقدم لنيلها أول مرة ، لم تيأس ، وأغرته بالمزيد من الجهد ، واخذت تسد كل الثغرات التى يمكن أن ينفذ منها الفشل .

وما ان استقر الرداء الجامعى المخمل على كتفى زوجها بعد نيله شهادة الدكتوراة في الجراحة ، حتى بدا لها أن العالم الرحب يضيق بفرحتها .

وبعد خمس سنوات أخرى نالت « قوية الارادة » شهادة الدكتوراه في طب الأطفال .

وأعد لها زوجها احتفالا كبيرا ، دعا اليه الأصدقاء والزملاء ، وفي الصورة التذكارية للمناسبة وقفت مستندة الى ذراع زوجها ، وظهر صغيراها التوأمان وهما يتكئان على ركبتى جدهما في قلب الصورة ، وبدا كأن الجميع يقولون : هكذا يكون الحب . . . . !

وفاء طه ناجى

أقوال في المرأة :

* المرأة كالطعام . . أبسطه لايمل منه الانسان .
* المرأة العظيمة . . هي التى كلما اقتربت منها أحببتها . . والمرأة التافهة هى التى كلما اقتربت منها زهدتها .
* حب المرأة لأطفالها أمومة . . وحب الرجل لأطفاله انسانية .
* لايموت الحب في قلب المرأة لانه غايتها في الحياة . . ولا يغمر الحب قلب الرجل لانه إحدى وسائله في الحياة .
* إذا اردت أن تتمتع بالحياة . . فخذ الرياح أينما تهب . . والمطر كيفما يهطل . . والمرأة مثلما تكون .

****

تجربة :

جرب أن تفتح قلبك على مصراعيه لصديق يحبك ويصبر على ما تعترف به من شئونك وآرائك حتى ولو كانت تمسه .

ستحس لو فعلت بأنك قد جمعت همومك كلها والقيت بها في بحر كبير لاشاطىء له ولاقاع .

□□

حكاية

حدث مرة أن سمع أحد الاثرياء أن حكيما صينيا كان في حاجة الى طعام وكساء . . فأرسلها اليه . ولكنه عندما فعل ذلك أرسل الهدية مع خادم له الى الحكيم ومعه رسالة تقول : « عندما اقترض من انسان أنسى ذلك ، وعندما أعطي لاحد شيئا أعطيه خالصا كما لو كنت ألقي به بعيدا » . .

ولكن الخادم عاد بالهدايا قائلا أن الحكيم لم يقبلها ولم يذكر أسبابا لرفضه ، وعندئذ ذهب الثري الى الحكيم يسأله : عندك الكثير وليس عندي شيء . . فلماذا لم تقبل هداياي ؟

أجابه الحكيم : انك تعطي كما لو كنت تلقي بما تعطيه بعيدا في حفرة . . ورغم فقري فاني لا أستطيع أن أتصور نفسي حفرة يلقي الناس فيها فضلاتهم . . ولو كانت من الذهب والياقوت . . !

في الصميم :

* صحبت الأحرار وأمنت العبيد . . فما وجدت اصدق صحبة من ظلي وآمن رفقة من نفسي . .
* عاداني الاعداء وأذاني الحاقدون . . فلم أر أعدى من صديق ولا أخبث من رفيق .
* نصحني الناصحون ووعظني الواعظون . . فما نصحني مثل حزني ولاوعظني مثل همي .
* استضأت بنور الشمس والقمر . . فما وجدت ضياء أطهر نورا وأشد قوة من نور قلبي . .

□□

■ هل جربت مرة أن تتصرف كطفل ؟ جرب . . وستجد أنك أصبحت من أسعد الناس . . حتى وأنت تبكي بمرارة . . !

حاول أن تعبر عن نفسك ببساطة . . لا تكتم سعادتك . . ولا تكتم أحزانك . . تفرح بالناس كما يفرح الاطفال بزملاء اللعب . . وإذا أغاظك انسان فعبر بصراحة عن غيظك من تصرفه . . وستجد أنك في أغلب الظن قد احتفظت بصداقته . . بعد أن كنت ستحظى بعدائه

حق الجار

يقرر الامام الغزالي أن حق الجار في الجملة هو : أن تبدأه بالسلام ، وتعوده في المرض ، وتعزيه فى المصيبة ، وتهنئه بالفرح ، وتصفح عن زلاته ، ولا تتطلع الى عوراته ، ولا تضيق طريقه الى الدار ، ولا تغفل عن ملاحظة داره ان غاب ، وتتلطف بولده وترشده الى ما يجهله فى أمر دينه ودنياه .

□□

امتحان

جاء رجل يمتحن الخليل بن احمد الفراهيدى بمسألة ، فجعل الخليل يفكر ويطيل التفكير ، وأبطأ في الجواب ، فأعجب الرجل بنفسه ، وقال للخليل متفاخرا متباهيا : لِمَ تكثر التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعى اطالة النظر ؟ فقال الخليل : قد عرفت مسألتك وجوابها ، وانما أفكر في جواب أسرع لفهمك فاتعبت نفسي بما قصدت اراحتك به ، فخجل الرجل وانصرف .

□□

****

نفوس الكبار

كان قيس بن عاصم المنقرى من سادات العرب فى الجاهلية والاسلام ، حكى أنه كان يوما فى مجلسه يحدث قومه ، فجيء اليه بابن له قتيل ، وابن أخ له مكتوف اليدين . وقالوا له : ابن اخيك هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع قيس حديثه ، ولم يغير جلسته حتى اذا فرغ التفت الى القاتل وقال له : يا بنى أوهيت ركنك ، وفت فى عضدك وأمنت عدوك ، وأسأت بقومك .

ثم التفت الى القوم فقال : اين ابن فلان ؟

فجاءه فقال : يا بنى قم الى ابن عمك فاطلقه ، والى أخيك فادفنه ، والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة ، فانها غريبة لعلها تسد عنه .







ألقيتُ في اليمّ قلبي

شعر : الدكتور نصار عبدالله

ألقيت في اليم قلبي ... ودبت في بحر ذاتك
مضيت عبر هلوع ... من السيوف الفواتك
أو الحراب اللواتي ... طوين في طياتك
أو السهام بقوس ... شُدت الى حياتك
هيهات أحشاك عمري ... وكل مابيك فاتك
إن متُ فيك فهذا ... من بعض بعض هباتك
أو لم أمت فطموحا ... الى ذرا منّاتك
خبأتَ عني جراحي ... فهاتها وصفاتك
خبأتها ألف دهر ... يتنمّن في قبضاتك
يرُخن عبر الليالي ... يلُحْن في ومضاتك
خبأت فاكشف جراحي ... يا مُعلناً صدقاتك
وهاتِ موتي فموتي ... توحّدُ بصفاتك
يا قاطعي عن صلاتي ... وواصلي بصلاتك
يا مبدعي من حروفٍ ... مسكوبة من دواتك
يا منشدي لرواتي ... وسامعي في رواتك
يا مبدعي وبديعي ... وصانعي من سماتك
ألقيتُ في اليّم قلبي ... وذُبت في بحرِ ذاتك

مكتبة العربي

كتاب الشهر


CONSIDÉRATIONS SUR L'ÉTAT DES BEAUX ARTS

CRITIQUE DE LA MODERNITÉ

par Jean Clair

LES ESSAIS CCXXIX

Gallimard

تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة

للناقد الفني . جان كلير

عرض : الدكتورة زينب عبدالعزيز

لم تكن السنوات الاخيرة في تاريخ الفنون الجميلة سنوات عادية فقد ازداد حجم الانتاج الفني وانحسرت المدارس والتيارات الفنية التي شهد القرن العشرون الكثير منها . . هذه المفارقة التي تميز الحالة الراهنة للفن التشكيلي هي موضوع كتابنا لهذا الشهر .

كتاب الشهر

شهدت العشرون سنة الماضية تضاعف عدد متاحف الفن الحديث في العالم ، وازدياد المؤلفات حول هذا الاتجاه بشكل ملفت للنظر . . ومع ذلك كان هناك من يقول إن هذه الفترة تشهد انحسارا واضحا لموجات الفن الحديث ، مصحوبا بانخفاض واضح في تنوع الإبداع الفني ومستواه بصفة عامة ، ترى ما سبب هذا الافول الذي ألم بالفن الحديث ، وما السبب الحقيقي الذي أدى اليه ؟

ذلك هو السؤال الذي يحاول الناقد الفرنسي جان كلير الاجابة عنه في واحد من أهم كتب النقد الفني التي ظهرت حديثا في فرنسا والذي تستعرضه كاتبة هذا المقال :

الناقد جان كلير من مواليد عام ١٩٤٠ ، وهو من متابعي تطور الحركة الفنية التشكيلية عن قرب . فبعد أن أتم دراسته الاكاديمية في جامعة « هارفارد » الامريكية تخصص في تاريخ الفن والقيم الجمالية ، ثم شغل منصب رئيس تحرير واحدة من أهم المجلات الفنية الرائدة للفن الحديث ، ومنذ عام ١٩٧٠ يشغل منصب أمين أحد المتاحف الفنية الحديثة بباريس .

ويقع كتابه « تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة » في حوالي مائتي صفحة من القطع المتوسط ، ويضم اثني عشر فصلا ، يتعرض خلالها المؤلف الى تطور الفن الحديث ووسائل انتشاره وفرضه على المجتمع الدولي بشكل واضح ، ثم يتطرق الى الاسباب التي أدت الى ذبوله واضمحلاله بهذا الشكل الذي لا يمكن اغفاله ولا يليق السكوت عنه .

وهو اذ يتناول قضية الفن الحديث عامة ، فانه يتناولها من وجهة نظره كناقد فني ، ومن واقع خبرته كأمين لاحد متاحف الفن الحديث ، وأول ما يلفت نظره في هذا الفن اجمالا ، ان الصلات المتينة التي نسجتها القرون بين الطبيعة وفن التصوير تبددت في عشرات معدودة من السنين . . ومع ذلك فلم يكن الفن التشكيلي قد حظى طوال مسيرته بمثل ما حظى به من تقدير رسمي وترحيب وإمكانات لا حصر لها من مؤسسات ودور ثقافة ومتاحف وكتب ومجلات ومعارض دورية ومن جهات محلية ودولية ومزادات ، كما لم تتضافر جهود الكتاب مثلما تضافرت جهود مئات من المؤرخين والنقاد وأمناء المتاحف وعلماء الاجتماع ورجال الاقتصاد وعلماء النفس والجامعيين ، وكلهم يتبارون في تقديم الوثائق والتحليلات والبراهين والتغني بما يحدث من جديد في عالم الفن الحديث . .

ومع ذلك ، فلا يعرف التاريخ عصرا انقطعت فيه الصلة المنطقية بين تفاهة الانتاج من جهة ، وتضخم الكم والنوع في المحاولات التي تبذل لفرض هذا الانتاج من جهة أخرى . أو على حد قول المؤلف :

« كلما زاد سخف العمل الفني وتفاهته ، زادت محاولات تفسيره وتقديمه بأساليب إنشائية أشبه ما تكون بمهارات البهلوانات » .

ويضيف الناقد قائلا :

« ومع ذلك ، فمن اليسير أن يلحظ المرء ـ رغم كل المهارات المستخدمة ـ أن هؤلاء الداعين قد فشلوا تماما في معالجة الهزال والضعف للكيان الفني الحديث » .

وكأن الحياة قد فارقت جثة هذا الفن المهلهل . .

ويعجب المؤلف من أنه رغم هذا التمزق الواضح ، فقد تم اختلاق دائرة غريبة يسير الفن الحديث داخل اطارها ، انها دائرة تربط بين تجار الفن وأمناء المتاحف وبين النقاد والمستثمرين . . دائرة مغلقة تسير الاعمال الفنية داخلها بإحكام بصرف النظر عن مستواها الفني ، كأن القيمة الحقيقية أصبحت في خط سير العمل الفني في هذا النطاق الاقتصادي من قيم جمالية أو تشكيلية .

متاحف جديدة للفن الحديث :

ويرى جان كلير أن المتاحف التي زحفت على أوروبا كالرداء الرمادى الداكن ، من أهم الوسائل الاعلامية الدعائية التي ساعدت على انتشار الفن الحديث واستتباب أمره . فقد بدأ تشييد متاحف الفن الحديث منذ العشرينيات ، في روسيا أولا ثم في نيويورك ، وتلتها بقية عواصم العالم العربي . وتباروا في اقامة الابنية الحديثة الخاصة باستقبال وعرض لأعمال الفن الحديث دون سواها . أي أنهم تغافلوا عن عرض الاعمال التي تنتمي الى المذاهب الواقعية . وبذلك أصبح الزمن الفاصل بين المجموعتين حائلا بين نوعين مختلفين من الفن : فن الازمنة الماضية ، وفن العصر الحديث ، وقد أدار كل منهما ظهره للآخر ! . .

وفي خلال السبعينيات ، ووفقا لبيان المجلس الدولي للمتاحف ، فان كل أسبوع من الاسابيع كان يشهد اقامة متحف جديد في بقعة ما من بقاع العالم .
« فقد أرادت كل عاصمة أن يكون لها متحفها الخاص بالفن الحديث ، تماما مثلما حدث في مطلع القرن الحادي عشر وأرادت كل بلدة أن يكون لها كاتدرائيتها » .

ولم تكتف المدن والعواصم الكبرى باقامة المتاحف الجديدة بل راحت كل منها تضيف الاجنحة أو الادوار العليا لما لديها من متاحف ، وذلك مثلما حدث في متحف واشنطون ، وبوسطون ، أو في « التيت جالري » في لندن ، ومتحف امستردام بهولندا .
أما متحف نيويورك للفن الحديث فقد ضاعف من مساحته تماما ، وفي باريس تم تحويل العديد من المتاحف القديمة إلى متاحف لهذا الفن الحديث دون سواه ، وتتدفق الجماهير مدفوعة بحب الاستطلاع ، لتطوف بنفس الاجلال الأعمى الذي كانت تطوف به فيما مضى حول أضرحة القديسين . . . ويدهش المؤلف من هذا التباين الواضح بين العمل الفني وبين وسائل عرضه في المتاحف التي أصبحت تمثل مباريات أخرى في حد ذاتها . .
ويختتم جان كلير هذه النقطة بتساؤل عما إذا كانت كثرة هذه المتاحف والتسابق الذي لا مثيل له في اختراع شتى وسائل العرض. لابراز أعمال لا قيمة لها ، لا يعني - في حد ذاته - اننا نعيش حاليا نهاية فكرة الفن الحديث برمته ؟ !

ثم لا يلبث أن يضيف إلى تساؤله هذا اقتراحا بتشييد مبنى لا يضم سوى اللوحات الفنية على مر العصور ، مثلما اعتدنا ، ولا يعرض به أي شيء آخر سوى اللوحات ، وذلك من كثرة ما استخدم الفنانون من مواد مبتذلة أبعد ما تكون عن الفن أو القيم الفنية والجمالية ، مثل النفايات ومحتويات صناديق القمامة والخرق البالية والاسلاك الشائكة والمواد الغذائية العفنة والبقايا الادمية المتحجرة ، الى ما لانهاية من هذه البدع المبتذلة المهينة والدخيلة على الفن .

ومن الغريب أن تتسابق الأبحاث المتناقضة التي تؤلف لتمجيد فنان ما وأسبقيته في استحداث احدى هذه البدع . وكم من النقاد تباروا لتحديد مولد مذهب جديد ، أو للمزايدة على تحديد اليوم والساعة التي استخدم فيها أحد الفنانين تلك البدعة قبل غيره من الآخرين المولعين بالبدع « والتقاليع » ! ويضيف الكاتب :

« ان النقاد قد استقبلوا أول لوحة تجريدية بنفس الخشوع الذي يتحدثون به عن الصليب المقدس الاول في التاريخ » .

ولم يتوقف تباري الفنانين عند حد التسابق على ابتكار شتى الاساليب المبتذلة ، وانما تباروا حتى في تزوير تواريخ توقيعاتهم على الاعمال ليثبتوا أحقيتهم في ابتداع ذلك التجديد .

الجديد في الفن .

أما عن قضية الجديد في الفن الحديث ، فيحددها جان كلير بأنها اجمالا قضية قطع الصلة بالتراث . أو على حد تعبيره .

« ان الفن الحديث قائم على قطيعة للتراث بكل ما مضى : فكيف لا يرى المرء في هذا الاندفاع الجنوني لجماعة من المشعوذين الذين ما زالوا منذ قرن من الزمان تقريبا يتبارون في الالتواء ، وكأنهم يعتصرون أنفسهم في حركات مبتذلة خداعة ومأجورة ، من « بيكابيا الى وارهول » ، ومن « مالفيتش الى

كتاب الشهر

ريهارت » ، ومن « مارينتي الى شوفر » ، بغية انتاج أعمال لا ترمي الا الى الضياع ، مهما استخدموا من أساليب تكنولوجية حديثة » .

ثم يتساءل المؤلف كيف لا نرى أن العدو الوحيد للفن الحديث يكمن بداخله ، وفي تلك السلسلة غير المنتهية من مسميات الـ (إزم) ومشتقاتها التي يذيلون بها شتى الكلمات التي يزخر بها هذا الفن ؟

ومما يدعونا الى الغرابة والدهشة مع المؤلف انهم دائما نفس الاشخاص الذين نراهم يتنقلون من مذهب الى آخر ، ومن بلد الى آخر ، وكأنهم مكلفون بمهمة رسمية عليهم تأديتها بحذافيرها . . وذلك مثل مارتيني الايطالي مبتدع المستقبلية (الفوتوريزم) التي ذهب يبشر بها في موسكو عام ١٩٠٤ ، ثم راح يتغنى بها في برلين عام ١٩٣٤ . . .

إن قطع صلة الفن بالماضي وبالتراث ، لا يعني الا شيئا واحدا في نظر المؤلف هو : موت الفن ، فالفن بلا ماض كنبات اقتلعت جذوره . ونفس الشيء بالنسبة للحاضر ونبذه بعيدا عن الاعمال الفنية عن بعيدا عن استلهام الواقع المعاصر له لا يمثل موتا وجفافا عن الفن بعيدا عن الأصالة والتراث .

المذاهب في العمل الفني :

ومن النقاط المهمة التي تعرض لها جان كلير في كتابه هذا ، وسائل العرض الحديثة المتبعة بالمتاحف ، وما ترتب عليها من نتائج ، ففيما مضى كانت المتاحف تعكس حضارة الشعوب والعصور المختلفة بطابعها المميز ، أما متاحف الفن الحديث هنة فتدعو الى السخرية من كثرة تشابه ما تعرضه وتكراره ، فأول ما يلحظه المؤلف في هذه المتاحف هو اختفاء المعالم الجغرافية بسبب ما يزعمون فرضه من أسلوب دولي يجمع في خلط عشوائي بين أوروبا وأمريكا والجزر المترامية . . .

ففي البداية بدأ عرض الاعمال الفنية وفقا للمذاهب ، لكن سرعان ما تشعبت هذه المذاهب وتفرعت وأصبحت المسافة الزمنية بين المذهب والآخر لا تقاس بعشرات السنين وانما بالشهور والايام . . .

وأصبحت زيارة المتاحف لا تمثل الا مسيرة شبه اجبارية مفروضة على المتفرج عبر القاعات والممرات بحساب مدروس مما يدفع الناقد جان كلير الى الجزم بأن :

« هذه الظاهرة تبدو وكأنها ضرورية للسيطرة على انضباط الانفعالات النفسية والثقافية للمجتمعات التي أفرزتها » .

أي أنه يرى في الفن الحديث برمته وكل ما احتوى عليه من تجريديات ، انه يمثل اتجاه المؤسسات الحكومية التي ابتدعته وتتبناه وتفرضه كنمط يحتذى به . ويستشهد جان كلير بمذكرات الرئيس الامريكي الراحل جون كندي ، وكيف انها تعد بمثابة ميثاق أمريكي فيما يتعلق بموضوع تصدير الثقافة الامريكية للخارج . وهو يؤكد أن هذا التوسع الايديولوجي ليس محصورا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فحسب ، وانما هو بمثابة دعامة ثابتة من دعائم سياسة الولايات المتحدة منذ انشائها . .

وما أكثر الفقرات ـ التي يستشهد بها المؤلف ـ المأخوذة من شتى خطب الرؤساء الامريكيين والتي تدل على تسلط فكرة السيادة والتميز ، وعلى فكرة ضرورة السيطرة على العالم وقيادته . ثم يضيف جان كلير مؤكدا :

« ان الولايات المتحدة قد فرضت على الغرب قيمها الثقافية الذاتية بأجهزة أمريكية لا تقل فعالية عن أجهزتها الاقتصادية » .

من المسئول ؟

وبعد أن تناول المؤلف قضية المتحف ودوره في انتشار الفن الحديث وفرضه ، ثم قضية الاسلوب وما يراه من سلطان مفروض سياسيا على نطاق المجتمع الدولي ، يتعرض لقضية المضمون وما وصل اليه الفن الحديث من اجهاض لقيمها . . ويبدأ بالتساؤل قائلا :

« لماذا لم نعد نرى في متاحف الفن الحديث الا الاعمال التافهة التقليدية في تكرارها ، الشديدة الملل في تفاهتها ، وخصوصا ذلك الكم الهائل من الاعمال التجريدية الخالية من أي مضمون أو أية فكرة ، وكلها أعمال يصرون على شرائها ومدحها والتعليق عليها وعرضها أمام أعين جمهور لا يكترث بها ولا تعنيه ؟ »

ويخرج الناقد من سؤاله ليطرح سؤالا آخر لعله أكثر كشفا لما يحدث في عالم الفن الحديث ، اذ يقول :

« حيال هذا الفراغ المفروض ، والذي تسانده المؤسسات ، ان المرء ليتساءل عما اذا كان الدور الذي يقع على عاتق المسؤولين الثقافيين ومديري المتاحف والنقاد ليس في الواقع الا استبعادا لدراما الوجود الانساني ، ونبذ الواقع ، وفرض هذه السهولة المبتذلة المتكررة في شكلها ونتائجها ؟ »

مما أدى - في رأيه - الى فرض نوع واحد أطلق عليه « فن الدولة » سواء كان في نيويورك أو باريس أو بقية عواصم العالم الغربي . . .

وفي واقع الامر ، فقد تبارى مديرو المتاحف الغربية في تبرير تكاليفها الباهظة وتعويضها باستدراج الجماهير الغفيرة ، وذلك بادخال شتى الوسائل الترفيهية في المتاحف متناسين أن العمل الفني ليس سلعة ترفيهية ، بل انه لا يوجد أندر من العثور على فنان حقيقي صادق .

وأكثر ما يركز عليه جان كلير في هذا الصدد ، هو كيفية التلاعب والابتكار في عرض أعمال لا تتسم الا بالتفاهة والتكرار ، والتي لولا تحايل مهندس الديكور والعرض لما التفت اليها أحد . وذلك كأن يوضع العمل الفني في غرفة داكنة الظلام ، وتسلط عليه اضاءة خافتة ، ولا يسمح الا بدخول زائر واحد فقط في آن واحد - وكأنه يزور « محراب القديسين الغارق في الغموض الالهي » ! . . . وبعد استعراض العديد من الامثلة يعود المؤلف ليؤكد تفاهة تلك الاعمال التي لا تساوي شيئا في حد ذاتها وان كل ما يحيط بها من هالة يرجع الى أساليب عرضها فحسب .

اضافات جديدة :

لقد كانت زيارة متاحف الفن في شتى العواصم ، فيما مضى ، تقدم صورة متكاملة عن حقبة زمنية معينة من تاريخ البلد ، اذ كانت تعكس المستوى الحضاري والثقافي الذي توصل اليه ، بالاضافة الى تقديم العديد من الفنانين المحليين الذين عادة ما يجهلهم الزائر الاجنبي . أي أن الاعمال المعروضة كانت تثري المتفرج باضافة ثقافية جديدة عن الفن والفنانين .

أما الذي يحدث حاليا ، فان كافة متاحف الفن الحديث في العالم تقدم نفس النوعيات ونفس الاشخاص بشكل ممل رتيب ، وكأن الفن في العالم قد أصبح صيغة واحدة مفروضة في قالب واحد محدد لا يحيد عنه ، والنتيجة ، لا يبقى أمام الجمهور الا تلك الرتابة المملة كأن اللوحة ليست الا سلعة تجارية مصنعة بأسلوب حديث دولي ، معروضة في كل مكان أمام المستهلك - ولا تكمن قيمتها الا فيما دفع فيها من مال ، وفيما بذل في عرضها من جهد وعناء . . فلم يعد هناك ما يميز أي متحف في أي بلد عن أي متحف آخر في أي بلد آخر . . .

ان زيارة متحف الفن الحديث حاليا تعني أن المشاهد لا بد أن يرى تسلسلا نمطيا واحدا من أعمال :

« بولوك ورثكو وكلاين ولوحة مربعة فارغة من لوحات جوزيف البرز ، وقطعة من نسجيات دانيال بورن ، وقطعة من « شحميات » جوزيف بويس ، وصفائح نحاسية لكارل أندريه » . .

نفس المجموعات تتكرر أمام أعين المشاهدين ، بنفس الرتابة والملل ، سواء كان في أمريكا أو فرنسا أو اليابان - وكأن هذه الاعمال فحسب هي التي تمثل الفن الحديث بعد توحيد شكلها وتعميمه !

وأهم ما ينتقده الناقد الفني جان كلير في مذاهب

كتاب الشهر

الفن الحديث اجمالا هو محاولتها طمس معالم الاصالة الذاتية لكل شعب من شعوب العالم ولكل بلد من بلدانه ، وفرض نمط واحد أشبه ما يكون بمحاولة لايبنيز في فرض لغة عالمية واحدة تتحدث بها كل الشعوب . .

ويرى كلير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل في المجال الفني اذ أفرغته من أهم مقوماته ، وهو التعبير عن الاصالة الشخصية المتميزة لكل بلد من بلدان العالم .

أما عن التقدم ، وما أحرزه الفن الحديث في هذا المضمار ، فيرى جان كلير أنه لا يوجد أي تقدم بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة عبر الحضارات وتطورها بل هناك :

« ركود هائل ، مجموعة من التصرفات المتصلبة ، المتكررة وكأنها نسخ مطبوعة من الكربون ، نسخ تتكرر منذ بداية القرن العشرين ، فبعد خمسين عاما نرى بن يقلد بيكابيا ، وشوفر يقلد موهولى ناجى ، وريمان يقلد مالفيتشن ، وبويس يقلد شفيترز ، دون ذكر العديد من الفنانين الثانويين . ان هذا الفن الذي زعم لنفسه التجديد ليس في الواقع الا فن التقليد ، لذلك ينجم عنه هذا الملل الرتيب » .

ويخرج المؤلف من هذه النقطة بنتيجة محددة تدفعه الى القول بأن « تضاعف كل هذه الظواهر لا يدل الا على شيء واحد هو أن كل الجماليات الحديثة قد استنفدت أغراضها وأنه لم يعد لديها ما تقدمه من جديد حتى في هذه الشكليات المتكررة . منذ بدأ الفن الحديث ، حوالي عام ١٩١٠ ، ثم عند فرضه على النطاق العالمي في غضون الخمسينيات ، كان يحمل في داخله ـ منذ ذلك الوقت ـ اعلان افلاسه وخلوه من أي جديد . »

العودة الى الاصول :

ويرى المؤلف أن هذا الافلاس لم يعد خفيا على أحد وخصوصا على الفنانين أنفسهم . . مما دفع بالعديد منهم الى محاولة العودة الى الاصول الاولى لتعلم فن الرسم وبدء المشوار من جديد .

وهذه القضية من أهم القضايا التي يثيرها الناقد الفني ، اذ يجزم بأن سهولة الاداء والعشوائية التي سادت في الفن الحديث والجري وراء الاساليب العفوية لمدة سنين وسنين ، أدى الى ضياع التمكن من التقنية ومن الاداء الفني السليم وأساليبه الاساسية التي أشبه ما تكون بالاجرومية بالنسبة للغة .

وهو لا يشك في أن سهولة هذه الوسائل المستخدمة قد أدت الى تخريب الجانب المهني وجانب المهارة الذاتية . مما انعكس ـ في نظره ـ على مستوى التعليم أيضا . فاذا ما فقد الفنان مهارته ومهارة فنه فكيف له أن يعلمها لغيره ؟ ! وتلك أهم وأخطر ما تواجهه كليات الفنون الجميلة حاليا . لذلك يرى جان كلير أن العودة الى تعلم أصول المهنة والتركيز على تعلم فن الرسم بالقلم أو بالفحم ، يمثل نقطة الخلاص الوحيدة والحقيقية لمكافحة ما ألم بمجال الفن التشكيلي من جهل وضياع .

وبالاضافة الى ذلك ، ينادي جان كلير بالعودة الى تعلم فن الباستيل لاحيائه من جديد ، بعد أن اندثر في خضم العشوائيات التي اعترت العصر .

ويختتم المؤلف « تأملاته في الوضع الراهن للفن الحديث » بأن الامل الوحيد لكسر حالة الركود والضياع والتكرار الاجوف الذي نجم عن هذه السنين الطويلة من العبث العفوي والمقصود ، الامل الوحيد للخروج من كل ذلك هو العودة الى التراث والواقع والاصالة الذاتية لكل بلد ولكل فنان . □

فتوح البهنسا

كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر

فاروق خورشيد

الخلق الحضاري الاسلامي يدخل كعنصر رئيسي الى جوار المغامرة الحربية في نسيج روائي متكامل تضمنه كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر . .

مؤلف شعبي صعيدي يسجل فتح العرب لبلاده ودخول الاسلام اليها في هذا النص الشعبي الروائي .

كنت كثيراً ما أتساءل عن سر خلو فترة الفتح الاسلامي لمصر من قصص شعبية، تسجل البطولات والمعارك التي خاضها أصحاب الدعوة الجديدة،وهم يواجهون في مصر آخر معقل للروم ثانية القوتين العالميتين اللتين كانتا تسيطران على العالم المعروف آنذاك . . لقد سجل الأدب الشعبي معارك العرب مع الفرس في سيرة حمزة البهلوان وفي سيرة عنترة بن شداد . كما سجل أيضاً معارك العرب مع الروم في المشرق في سيرة ذات الهمة . وسجل معارك العرب مع الأحباش في سيرة سيف بن ذي يزن ، كما سجل معارك المسلمين مع الصليبيين في سيرة الظاهر بيبرس ، ولكن هذه المعارك المسجلة في هذه السير ليست معارك الفتح ، وانما هي انعكاسات للمعارك المريرة الطويلة بين العرب والشعوب المجاورة لهم ، ثم بين الدولة الاسلامية والدول الطامعة فيها،والمقاومة لامتداداتها وفتوحاتها المستمرة . . ولعل الأمر أن كتب السيرة النبوية وكتب المغازي وكتب التاريخ الاسلامي قد وفت هذه المعارك حقها ، ولعل الأمر أن روايات الصحابة عن تجاربهم في جهاد الفتح الاسلامي قد أغنت الخيال الشعبي ، فتبنى هذه الروايات واكتفى بها ، ولعل القداسة التي أحاطت بهذه المعارك ، وبمن خاضوها من الصحابة عقلت جناح الخيال الشعبي فلم يحلق بحرية في هذه المجالات . ولعل الأمر أن البطل

الاسلامي الأول وهو الرسول عليه السلام قد استحوذ بكل الخيال الشعبي،فأنصرف يتغنى بصفاته وأعماله في الملاحم النبوية المتعددة ، وقد طبقت شهرة بعضها آفاق العالم الاسلامي ، وأخذت مكان القداسة عند الكثيرين من المتصوفة وعامة المسلمين كبردة البوصيري ، ومعارضاتها الكثيرة المتنوعة . . وان كان هذا أقرب الى الأدب الديني منه الى الأدب الشعبي بمفهومه المحدد . . ومع كل هذا فقد ظهرت عدة أعمال شعبية حول الفتوحات ، امتزج فيها الخيال الشعبي بالحقائق ، وحارب فيها الأبطال المردة والشياطين الى جوار حروبهم للكفار وعبدة النجوم والأصنام . . ولعل أبرزها ما دار حول فتح اليمن،فقد ظهرت قصتان منفصلتان وان كان البطل فيهما واحداً ، والمؤلف فيهما واحداً أيضاً ، والقصتان هما : (فتوح اليمن المعروف برأس الغول) و (قصة

الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفتحه السبعة حصون ومحاربته الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي ، ملك الجان الملقب : بمرارة الموت) . . ومؤلفهما ، او المؤلف الذى تنسبان اليه وترويان عنه هو (أبو الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري) ويلقبه الطابع والناشر المعاصر بالمؤرخ القصصي الشهير . . وقصة (فتوح اليمن) يرويها البكري هذا عن محمد بن اسحاق الكلبي ، عن الأعمش ، عن ابن عباس رضي الله عنه . أما القصة الثانية (قصة الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) فيرويها عن يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة الجهني . . وهي أسماء يختلط فيها المحدثون بالمؤرخين بالرواة . . وواضح ان البطل في القصة الأولى يواجه فارساً شريراً وملكاً فاجراً طاغية ، كما أنه من الواضح أيضاً أن البطل في القصة الثانية يواجه ملكاً كافراً من ملوك الجان . . والمغامرات في القصة الأولى تذكرنا بسيرة عنترة بن شداد البطل الشمالي العدناني ومعاركه مع أبطال الفرسان ، والمغامرات في القصة الثانية تذكرنا بسيرة سيف بن ذي يزن البطل الجنوبي القحطاني ، ومعاركه مع أبطال الجن والأنس على السواء . . فالبطل الاسلامي هنا وهو الامام علي بن ابي طالب يجمع عند القصاص الشعبي بين قدرات البطلين الشمالي والجنوبي معاً ، ويؤيد بنفس القوى الغيبية التي ساندتهما ، ولكنها هنا قوى مرتبطة بالدين الجديد والنبي الاسلامي . .

فتوح الشام وفتوح مصر

وكما حدث بالنسبة لفتح اليمن حظيت فتوح الشام والعراق بعمل اختلط فيه الحدث التاريخي بالخيال الشعبي وهو (فتوح الشام) للواقدي ، مسجلاً بطولات أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وخالد ابن الوليد والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة ، ومشركاً المرأة في هذه البطولات وخصوصاً خولة بنت الأزور . وهو في كل هذا لا يخالف النصوص التاريخية المعروفة ، وانما هو يزيد عليها ويضيف ، ويجري خياله في تعميق (الأخبار) تعميقاً دراميا، لتتحول الى احداث قصصية ، فيها الحوار ، وفيها الانفعال ، وفيها المنولوج الداخلي ، وتحظى ببعض الحيلة ، وببعض الاثارة الروائية . ومن هنا خرجت من عباءة التاريخ لتدخل في اطار العمل الشعبي الروائي ، وان لم تصل الى درجة السيرة فهي تصل الى محيط الأعمال البطولية المعروفة في الأدب الشعبي ، والتي يمكن أن نسميها بأدب الفتوة ، وان ندرج فيها أيام العرب ، وكتب الغزوات بعامة . .

ويظل السؤال قائماً عن اختفاء مثل هذا الجهد الشعبي في تسجيل فتح العرب لمصر . حقيقة ان مصر غنية بحكايات البطولة الشعبية ، اذ نجدها أرض سيرة سيف بن ذي يزن في حروبه مع الأحباش لاسترداد كتاب النيل انعكاساً للصراع المصري الحبشي أيام المماليك والذي تزامن مع الحروب الصليبية كانه قوة ضاغطة لاضعاف قوة المواجهة العربية تجاه الغرب المتستر في حروبه الاستعمارية باسم الدين ، والذي دفع الحبشة باسم الدين أيضاً أن تشارك في هذه الحروب . وحقيقة ان مصر كانت أرض سيرة الظاهر بيبرس لتسجل حروب الصراع المباشر بين العرب والغزاة الذين يرفعون امام سيوفهم شعار الصليب . فدور مصر في الكفاح الاسلامي ، أو كفاح الحضارة الاسلامية ضد الغزاة أبرزه القصاص الشعبي في سيرتين من أهم الموروث



العربي الشعبي من السير . ولكن فترة الفتح نفسها لم تحظ بما حظيت به فتوحات الشام على يد أبي عبيدة وفتوحات فلسطين على يد عمرو بن العاص ، وفتوحات العراق على يد خالد بن الوليد ، وفتوحات اليمن على يد الامام علي الذي تحول فيها الى بطل شعبي . .

وكنا نؤول الأمر بأن مصر ـ كما ذكر المؤرخون ـ قد فتحت صلحا . ويعدد ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب الآراء التي اختلفت حول فتح مصر ، هل فتحت صلحا أم فتحت عنوة . الا أن الثابت أن مصر في غالبها فتحت صلحا ما عدا بعض القرى مثل قرية (بلهيب) وقرية (خيس) وقرية (بلطيس) وكذلك فتحت الاسكندرية في المرة الثانية عنوة ، أما باقي مصر فقد فتحت صلحا . ومن هنا فقد كان مجال المعارك الحربية أقل بكثير مما تتيحه معارك الشام والعراق . . كان هذا هو التصور الى أن أهداني الصديق الأستاذ عبد المنعم شميس كتاباً وجده في مكتبة والده مطبوعاً بالحروف القديمة التي عرفناها في طباعة الكتب الدينية ودلائل الخيرات باسم (هذا كتاب قصة البهنسا وما فيها من العجائب والغرائب وما وقع للصحابة فيها رضوان الله عليهم

● فتوح البهنسا

أجمعين) . . والكتاب يحكي فتوح العرب لمنطقة الفيوم والبهنسا والصعيد . . ويقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط،وجاءت في آخر صفحاته هذه العبارة : (طبع بالأحرف التي ابتدعها حضرة موسى أفندي فهمي بمصر المحروسة بالمطبعة الكستلية وقد تم في خمسة وعشرين من رمضان الشريف تاريخه) ولم يذكر السنة ، وان كانت قد جاءت في ذيل آخر أبيات الشعر في أوائل الصفحة الأخيرة باعتبارها سنة ١٢٧٨ هجرية أي منذ حوالي ١٢٧ عاماً . . وجاء هذا الكتاب ليرد على التساؤلات ، ويقدم نصاً شعبياً يتناول فتح العرب لمصر تناولاً يمزج بين الحقيقة والخيال ، لتحرره من قيود التاريخ وانطلاقه في رحاب الابداع الفولكلوري بشكل واضح وصريح ـ وهو على كل حال يؤكد ان فتوح مصر لم تمر على الخيال الشعبي دون استجابة يقظة،وانتباه واع بدور الأدب الشعبي في تسجيل بطولات هذا الحدث الهام . .

تأصيل البهنسا

والواضح من العنوان أن البطولة في هذا العمل مقصودة للمكان وهو البهنسا ، فهو المعنى بهذا الكتاب وهو محوره . ومن هنا كانت محاولة الكتاب تأصيل البهنسا ومنطقتها ، أي العودة بها الى عمق التاريخ ، وذكر حكاياتها عبر التاريخ وحتى مرحلة الأحداث الرئيسية التي يهتم بها وهي الفتح العربي لها . فمن التقاليد الفنية الثابتة للسير الشعبية العربية البدء بتتبع بطل السيرة في عمق التاريخ وتتبع نسبه صعوداً الى أحد أولاد نوح عليه السلام : سام وحام ويافث فربطه بآدم نفسه مع الوقوف عند أهم الأحداث التي تبرز أهمية أبطال هذا النسب من جدود بطل السيرة وأصحاب القيمة في سلسلة نسبه ، وهو ما يعرف في السير الشعبية باسم (التأصيلة) . .

وقبل أن يبدأ الكتاب في الدخول الى مرحلة التأصيلة يستهل المؤلف حديثه بذكر (فضائل البهنسا وتربتها) . والمؤلف يقدم نفسه قائلاً : « يقول الشيخ العلامة والعمدة الفهامة محمد بن محمد المعز (ونحن لا نعرف عنه شيئاً ، كما أن اسمه لايرد مرة

أخرى في الكتاب) ومع هذا فنحن نجد في آخر الكتاب قصيدة في فضائل الكتاب من شعر محمد السمالوطي . اذ يقول الكتاب : (أما بعد ، فيقول محمد السمالوطي فلما كان هذا الكتاب الشريف والمسطر الفائق المنيف حكاية لغزوة من أعز الغزوات الاسلامية ، ولما أسفر بدر التمام وفاح مسك الختام قلت :) ثم يورد قصيدة متوسطة الطول يشيد فيها بالكتاب وبأبطال الفتح الاسلامي ، فهل هو نفسه محمد بن محمد المعز ، أم هو غيره . ؟ وفي صفحة (٢٠) من الكتاب نرى أسماً آخر يتشابه مع الاسمين السابقين اذ جاء بالكتاب : (قال الراوي : حدثنا ابو عبد الله محمد بن محمد المقري غفر الله له أنه قال . .) ، فهل كل هذه الأسماء لشخص واحد أم هي لعدة أشخاص ثم هل هو المؤلف الأول للكتاب أم هو أحد الرواة والنقلة ، وفي البحث عن هذه النقطة لفتني في (ص ١٩) عند حديثه عن أول الفتح الاسلامي ما جاء في الكتاب وهو : (قال الراوي بأسانيد صحيحة عمّن حضر الفتح وعاين الفضائل من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله تعالى وأبي جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخه «البداية والنهاية»ومحمد بن اسحاق وابن هشام رحمهم الله ، وكل زاد في حديثه على حديث الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواية عمّن حضر الفتوحات وشاهد الواقعات من الصحابة رضي الله عنهم) . . والواقدي هو محمد بن عمر المؤرخ العربي الشهير،كان حجة في الحديث واللغة،وقد الف كتبا كثيرة منها التاريخ الكبير وكتاب المغازي والبعث . عاش في عصر الرشيد،وكانت له صلة بالمأمون وقد خصه المؤلف وحده بطلب الرحمة له ، بينما جمع هذا الطلب للآخرين ـ الأعلى مقاماً في دنيا المؤرخين ـ في طلب واحد للرحمة لهم أجمعين . والواقدي هو صاحب (فتوح الشام) الكتاب الذي تحدثنا عنه من قبل ، وكانت المفاجأة حين عدت اليه أنني وجدت في صفحة (١٣٦) من طبعة (عبد الحميد أحمد حنفي بالقاهرة) بباب عنوانه (ذكر فتوح البهنسا وأهناس وأعمالها وفضائل حياتها) . . فهل فتوح البهنسا من تأليف الواقدي ، وهل محمد بن محمد هذا أياً كانت صحة اسمه متطفل ناقل لجزء من كتاب الواقدي ؟ .

المقري . . أم المصري

كان هذا هو ظننا الأول وخصوصا عندما لاحظنا تطابق الكتاب مع الجزء الأخير من كتاب الواقدي . ولأن الواقدي هو الأشهر ، فقد جرفنا هذا الظن حتى لاحظنا ورود نفس العبارة الواردة على لسان محمد بن محمد في (ص ١٣٦) من كتاب الواقدي بنصها على تصحيح الاسم وايراده كاملاً . . يقول نص (فتوح الشام) « قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له » فالاسم يكون في الطبعة المنفصلة التي بين أيدينا قد صحف مرة الى المعز ولم نعثر لاسمه وجوداً في كتب الطبقات بين كتاب التاريخ والمغازي ، والى المقري « بفتح الميم » وهو مؤرخ مغربي أقام في دمشق وله كتاب مشهور من أنفس المصادر في تاريخ الأندلس وهو نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ولم يعرف أنه الف في المغازي أو في تاريخ مصر . وتكون صحة الاسم هي (المصري) . . وتكون (السمالوطي) الواردة في النص المنفصل نسبة الى مدينة الكاتب المصري وهي سمالوط ، وهي واقعة في نفس المنطقة التي يتناول الكتابان أحداث فتحها . وهذه الملاحظة قد عدلت من ظننا الأول في نسبة الكتاب الى الواقدي . وأكد هذا التعديل النص الوارد على لسان أبو عبد الله بن محمد المحدث المصري في كتاب الواقدي وفي كتاب فتوح البهنسا اذ يقول هذا النص : (قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصاناً وكذلك تواريخ متعددة . كنت قدمت المدينة يعني البهنسا لزيارة جبانتها) ثم راح يعدد فضائل المدينة والجبانة التي حوت أجساد الشهداء ممن قتلوا في سبيل الله ، ثم يقول : « فزرنا الجبانة في ساعة الأسحار ورأينا ما فيها من الأنوار،وبزيارة قبور السادة الأخيار . نرجو من الله أن يحط عنا الذنوب والأوزار . فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة اخبرنا عن تلك السادة الأمجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد . فسألني بعض الأصحاب عن

سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع البأس والردى . فحرك لذلك خاطري حتى أسهرت ناظري لذلك . وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحات حتى انتجت هذا الكتاب . فمحمد السمالوطي المحدث المصري هنا يشرح لنا سر تأليف الكتاب وسببه ، كما يشرح لنا كيفية هذا التأليف ، وما اعتمد عليه من مصادر ، وما حاول أن يتجنبه مما أسماه بالمزاحات ثم يصف كتابه فيقول : « فهو كالدرة اليتيمة التي لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعه النفوس وتزيل الهم والبؤس ويشجع على الجهاد ويعين على اقامة العدل في البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغباً في ثواب الله العميم » . .

المحدث وكتاب الأسمار

لم يبق أمامنا أي شك بعد هذا في نسبة الكتاب الى مؤلفه ، وان كانت هذه النسبة متأخرة إد جاءت في (ص ٢٠) من فتوح البهنسا و (ص ١٣٦) من فتوح الشام للواقدي الا أنها جاءت صريحة في الكتابين ، ووجودها في كتاب الواقدي قد يعني أنها إضافة من رواة الكتاب الى كتاب فتوح الشام الذي ضم فتح الشام وفتح العراق فشاء من رواه أن يكمله بفتح مصر ، ولما لم يكن أمامه الا هذا الكتاب عن فتح البهنسا فقد اكتفى بضمه الى كتاب الواقدي وخصوصا أن أبطال الفتح عدة ، وليس بينهم بطل واحد مميز تعقد باسمه هذه المحاولة الشعبية في حكاية الفتوحات ، كما أنهم هم أنفسهم يتكررون وبنفس الصورة في الكتابين حتى لقد عقد صاحب فتوح البهنسا بطولة كاملة لخالد بن الوليد في حرب الصعيد رغم أن هذا يتناقض مع التاريخ من ناحية ، ورغم أن خالداً قد توفي بعد عام واحد من فتح مصر أي العاصمة التي سقطت بسقوط حصن بابليون . وهذا لا يمنع مطلقاً أن مؤلف فتوح البهنسا قد اطلع على كتاب الواقدي وتأثر به تأثراً كبيراً . فهو يؤكد أنه قد أطلع على (الفتوحات) وقرأ (التواريخ) . . وكتاب فتوح الشام يدخل بدون مقدمات الى ذكر أمر النبي ﷺ بايفاد المقاتلين الى الشام وفلسطين ، ودور أبي بكر في تنفيذ هذا الأمر . . أما فتوح البهنسا فهذه الخطبة التي أوردنا أجزاء منها تعتبر مقدمة واضحة لكتاب قصد منه الى جوار ذكر الفتح الامتاع واقامة العدل والحث على الجهاد . فواضح أن صاحب البهنسا قد حدد هدفه بما يغاير الى حد ما هدف مؤرخ كالواقدي ، اد أنه ذكر أنه يريد أن « (ترتاح) عند سماعه النفوس ويزيل الهم والبؤس » يعني ان الكتاب كتاب اسمار بالدرجة الأولى وليس كتاب تاريخ . ثم أنه كتب ليتلى ويسمع لا ليقرأ ويحفظ كوثيقة تاريخية . واذا لاحظنا أن اسم مؤلفه ابو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري ، قد حوى الاسم والوظيفة معاً ، فهو محدث مصري . والمحدث أو المحدث ـ راو شعبي عرفه الموروث الفني الشعبي العربي في مصر وغير مصر . والمحدث أو المحدث فنان شعبي يمتع بما يسمع الناس من حكايات وقصص . والمحدث كما أنه مؤد فهو مؤلف أيضاً ، اد تتم عملية التأليف عنده في ابداع ما يمتع من محفوظه وما جمعه من أخبار . فنحن نقترب من اليقين أن عبد الله بن محمد هو مؤلف هذه الصورة من فتوح البهنسا المنفصلة في كتاب ، والمضافة الى كتاب فتوح الشام للواقدي . ويؤكد هذا من ناحية الموضوع ان كتاب الواقدي لم يذكر فتح مصر أو الأسكندرية أو الوجه البحري بل انتقل فجأة من فتوح الشام وفلسطين والعراق الى فتوح البهنسا أو صعيد مصر دون وقوف عند ما سبق فتح الصعيد من فتوحات أساسية أخرى في دخول العرب لمصر . بينما المؤلف عبد الله بن محمد يرد اسمه في قصيدة الختام في آخر الكتاب باسم محمد السمالوطي ، اي انه صعيدي من سمالوط . ولو كان الكتاب من تأليف الواقدي لاورد الفتوح بترتيبها أما ان المؤلف صعيدي فواضح ان الدافع الشخصي الذي جعله يخص الصعيد بكتابه هذا . . كما يؤكد هذا من ناحية الشكل تكامل الكتاب بخطبة الافتتاح التي أشرنا اليها ، وبقصيدة الختام التي تحدثنا عنها .

وينبغي أن نذكر أن كثيراً من القصائد التي وردت في الكتاب المستقل لم توجد في فتوح الشام ، وان قصيدة الختام لا وجود لها أيضاً في النسخة المنسوبة للواقدي . وفضائل البهنسا تدخل في عملية (التأصيلة) الشعبية التي تحدثنا عنها من قبل . الا انها تبدأ بذكر فضائل المكان قبل ذكر تاريخه وتعميق وجوده الأسطوري . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : السينما العربية والافريقية
اسم المؤلف : مجموعة من الكتاب
عدد الصفحات : ١٥٧ من الحجم المتوسط
دار النشر : دار الحداثة ـ بيروت ـ لبنان

ينطلق مؤلفو هذا الكتاب عن السينما العربية والافريقية ، من أن الثقافة ليست الكتاب وحسب ، بل هي أنواع الفن الأخرى ، ومن بين هذه الفنون جميعا تحتل السينما مركزا لا جدال في أهميته .

والكتاب تجميع لمواد نشرت في مجلة « الثقافة الجديدة » المغربية بأقلام عدد من السينمائيين والنقاد الشبان ، الذين قدموا هذا العمل باعتباره « تحليلا ومواجهة وشهادة » على غياب سينما وطنية تحررية وضرورية في أن تكون .

اسم الكتاب : لا تقتلوا الكناري ـ مجموعة قصصية
اسم المؤلف : عادل بشتاوي
دار النشر : دار الأمل للطباعة والنشر ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ١٥٦ من القطع المتوسط

تحتوي هذه المجموعة القصصية على احدى عشرة قصة قصيرة ، تعكس تجربة حياتية غنية أدبية واضحة . وهذه هي المجموعة الأولى للكاتب عادل بشتاوي ، الذي ينتمي الى جيل السبعينيات ، الذي شهد انكسار الحلم وابتعاد صورة الوطن القريب مع كل منفى جديد يصل اليه .

اسم الكتاب : العمران في مقدمة ابن خلدون
اسم المؤلف : د. سعيد محمد رعد
عدد الصفحات : ٥٨٠ من القطع الصغير
دار النشر : دمشق ـ سوريا ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

« كان ابن خلدون أول من فكر في توضيح الصلات الموجودة بين التاريخ والعمران والاجتماع البشري . . . فالتاريخ بمفهومه العام ، ذو فضل كبير على العمران ، كما أن الأخير ذو علاقة وثيقة بالتاريخ ، ولابن خلدون الفضل بربط هذين العلمين بعضهما ببعض » . انطلاقا من هذا الفهم ، لما كتبه الفيلسوف العربي الكبير في كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » يخلص د. سعيد محمد رعد الى أن كتاب ابن خلدون هذا محاولة للبحث عن نظرية « خلدونية » متعددة الأوجه تنبني عليها المسيرة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، أساسها تقدم العمران الذي هو أساس التقدم البشري .

اسم الكتاب : ابن تيمية وفكره السياسي
اسم الكاتب : قمر الدين خان
ترجمة : د. أحمد البغدادي
دار النشر : مكتبة الفلاح ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٤٦ من القطع الكبير

مع بروز ما يعرف عند البعض بالصحوة الاسلامية التي شملت الوطن العربي والعالم الاسلامي أخيرا ، برز اسم المفكر الاسلامي ابن تيمية باعتباره رمزا لهذه الصحوة . ومن بين كتب عديدة تناولت حياة وفكر هذا المفكر الاسلامي الكبير اختار الدكتور أحمد البغدادي كتاب « ابن تيمية وفكره السياسي » لترجمته والتعليق عليه . والجديد الذي يقدمه هذا الكتاب كما يرى د. البغدادي هو « حصر الدراسة بالفكر السياسي » لهذا المفكر الموسوعي ، قام بها البروفسور الباكستاني قمر الدين خان الذي « تخصص في هذا الجانب من فكر ابن تيمية » .

اسم الكتاب : وعليكم السلام
اسم المؤلف : محمود عوض
دار النشر : دار المستقبل العربي ـ القاهرة ـ ج.م.ع
عدد الصفحات : ٥٦٠ من القطع الكبير

يقول الصحفي محمود عوض في مقدمة كتابه هذا « السلام هو الأصل في الاشياء . السلام وليس الحرب ، هو نقطة البدء بين الدول ، تماما مثل الفضيلة وحب الخير » ومن هذه المقدمة التي تبدأ بكلمة السلام يعود الكاتب الى حروب مصر العربية مع العدو الصهيوني بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣ ، وذلك ضمن اطار تاريخي يصل الحاضر بحروب مصر الفرعونية ، مرورا بحروب محمد علي والحروب الصليبية ، التي ربطت مصير مصر وسلامها بمصير جيرانها العرب ، وجعلت حربها وسلمها مرتبطين بحربهم وسلمهم .

اسم الكتاب : المرأة ، بحث في سيكولوجية الاعماق
اسم الكاتب : بيير داكو
ترجمة : وجيه أسعد
دار النشر : منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٥٤٣ من القطع الكبير

تقول د. هيلين تيبول أمينة سر الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي في تقديمها للكتاب « ان شأن المرأة ليس أكبر من شأن الرجل ولا أقل . انها هي ذاتها ، بكل بساطة ولكنها مختلفة عن الرجل » وبذلك توضع المرأة في مكانها الصحيح من المجتمع الذي تعيش فيه ، فلا هي لغز عصي على الفهم ، ولا هي حيوان نزق كما كانت تعتبرها الثقافة اليونانية اللاتينية ، ولا هي بطن ينتقل من عشيرة الى أخرى كما هي في الشرق .

في هذا الكتاب يحاول بيير داكو من خلال خبرته الطويلة في مجال التحليل النفسي أن يغور عميقا في نفسية المرأة ليكتشف هذه الحقيقة البسيطة .

اسم الكتاب : الشباب والمخدرات في دول الخليج العربية
اسم المؤلف : د. عبدالرحمن مصيقر
دار النشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع المتوسط

« حتى منتصف السبعينيات كان استهلاك المخدرات في حدود مقبولة نسبيا في دول الخليج العربية ، بيد أنه مع تعقد المشاكل الاجتماعية انتشر تعاطي المخدرات بشكل سرطاني ، وخصوصا مع بداية الثمانينيات » . هذه الملاحظة التي وجدت جذرها في التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات الخليجية كانت الحافز للمؤلف لـ راسة هذه المشكلة ، التي لا « تتوقف عند ادمان المخدرات » وذلك رغم « النقص الشديد في المعلومات المتعلقة بأنواع المخدرات وخصائصها ، والعوامل المؤدية الى انتشارها » مما يجعل من هذا الكتاب انجازا مهما في هذا الحقل شبه المجهول .

اسم الكتاب : الأعمال الكاملة لاميل حبيبي
اسم المؤلف : أميل حبيبي
دار النشر : دار الجليل ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ٢٤٠ من القطع الكبير

يحتوي هذا الكتاب على أهم أعمال الروائي الكبير أميل حبيبي ، باستثناء حكايته المسرحية « لكع بن لكع » وقصته الأخيرة « خطية » التي لم تكن قد نشرت بعد . .

والى جانب « سداسية الأيام الستة » التي لفتت اليه الأنظار روائيا جديدا « والوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » التي جعلت اسم واحدا من الروائيين العرب الكبار ، يضم الكتاب عددا من القصص القصيرة ، وتمثيلية قصيرة كانت قد نشرت قبل أكثر من عشرين عاما ، تدل على مقدرة ابداعية كبيرة برزت بقوة بعد عام ١٩٦٧ .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

بَيْنَ ٱلعَدَدِ وَٱلمعْدُود

باب « العدد » في لغتنا الفصيحة من أعقد الأبواب وأكثرها تفصيلا وأطولها ذيولا ، حين يقارن المعدود أو يستقل عنه ، وذلك من حيث تذكيره أو تأنيثه حين يكون المعدود مذكرا أو مؤنثا ، يضاف الى ذلك الاختلاف بين نحاتنا في بعض هذه المسائل ، ثم اختلاف العدد بين مفرد ومركب ومعطوف . وكل هذا جعل دراسة باب « العدد » من أعسر الأبواب النحوية فهما واحاطة على افهام الكبار فضلا عن الناشئة ، ولابد لهم وللكبار من دراسته ، لكثرة استعماله في الكلام .

وقد كنا في صفحتنا اللغوية (العدد ٣١٦/ مارس سنة ١٩٨٥) قد أجبنا عن سؤال من أحد القراء في الأردن ، مؤداه أن هناك كلمات مفردها مذكر ، وجمعها جمع مؤنث سالم ، مثل : كائن وكائنات ، مخلوق ومخلوقات ، حيوان وحيوانات . ومعلوم أن العدد من ٣ الى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فكيف نعامل هذه الكلمات من حيث تذكير العدد وتأنيثه ؟ وأيهما أصح : ثلاثة كائنات أم ثلاث كائنات ، وخمسة مخلوقات أم خمس مخلوقات . . وكان الجواب مايأتي :ـ

١ ـ اذا كان المعدود جمع مؤنث سالما ، وجاء بعد العدد المفرد (من ٣الى ١٠) فكان تمييزا له ـ نظرنا الى مفرد الجمع ، فاذا كان المفرد مذكرا أنثنا العدد ، فنقول في الأمثلة السابقة : ثلاثة كائنات ، وخمسة مخلوقات ، وسبعة حيوانات ، لأن هذه الجموع ـ وهي مؤنثة ـ مفرداتها مذكرة (كائن ، مخلوق ، حيوان) واذا كان مفرد الجمع مؤنثا ذكرنا العدد ، مثل اربع صفحات ، وفي القرآن « سبع بقرات »

٢ ـ ويصدق هذا ايضا على جمع التكسير ، فيقال : ثلاثة اقلام ، وفي القرآن « سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية ايام » .

٣ ـ ولابد في كل هذه الحالات ان يجتمع الشرطان المشار اليهما قبل ، وهما أن يأتي المعدود بعد العدد ، فيكون تمييزا للعدد ، كما في الأمثلة السابقة ، فاذا لم

يجتمع هذا الشرطان بأن سبق المعدود العدد ، أو حذف المعدود ـ جاز تذكير العدد وتأنيثه ، مثال سبق المعدود العدد : سرت أميالا خمسا او خمسة ، ورأيت العجائب السبع او السبعة ، ومثال حذف المعدود مع ملاحظته في المعنى قولنا : « طفت بالكعبة سبعا او سبعة ، وقبلت الأم طفلها اربعا او اربعة ، وكذلك قولنا : تفقدت اشجار الحديقة (او شجراتها)وقلمت منها عشرا أو عشرة . »

وقد جاء تعقيبان على ماقلناه : الأول صاحبه السيد الهاديين محمد ، من « أزغنغان » بالمغرب ، فهو يرى أن جوابنا في الفقرة الأولى لاإشكال فيه ، ويستشكل في الفقرة الثانية اذ قلنا : « ويصدق هذا على جمع التكسير فيقال « ثلاثة ـ أقلام » فهو يرى أن كلمة « قلم » مذكرة ومؤنثة ، فيجوز أن يقال . ثلاثة اقلام وثلاث اقلام لأن مفرد الجمع اذا لم يكن مؤنثا حقيقيا (يلد أو يبيض) او مختوما بتاء التأنيث يجوز معه تأنيث العدد وتذكيره ، ونحن نوافقه على هذا الرأي ، وقد وضحنا في صفحة لغوية موضوع التأنيث المجازي بأوسع من ذلك قبل أربع سنوات (العدد ٢٦٨ ـ مارس سنة ١٩٨١) ولانعرف وجها لاستشكال السيد المغربي على المعدود اذا كان جمع تكسير ، فنحن لانرى فرقا في استعمال العدد مع المعدود جمعا ، سواء كان جمع مؤنث سالما (كما جاءنا في السؤال) او جمع تكسير ، ونريد هنا ماسماه النحويون « الملحق بجمع المذكر السالم » ومنه « سنون ، وأرضون ، وعالمون ، كما في الآية : « قال تزرعون سبع سنين دأبا » وحديث السيدة عائشة عن النبي : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » . وكل هذا خاص بتذكير العدد وتأنيثه حين يقدم العدد على المعدود ، فيكون المعدود تمييزا له

وأما تذكيره وتأنيثه حين يتأخر العدد فيكون صفة للمعدود ، فقد عرض له تعقيب ثان .

والثاني صاحبه الأستاذ أنيس خوري من « ساوباولو » عاصمة البرازيل ، وقد جال في تعقيبه جولة واسعة في كتب النحو الحديثة ـ وكل مؤلفيها علماء ـ وذكر أن بعضهم يوافقوننا على ماقلناه في جواز التذكير والتأنيث في العدد صفة ، غير أنهم يفضلون تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه من المذكر ، وبعضهم يسكت عن الحكم،وكل مايعنينا هو جواز الأمرين ، وقد نبه الى قاعدة جوازهما « الصبان » في حاشيته على« الأشموني»في أول باب « العدد » نقلا عن بعض العلماء ، وأشار بحفظها لأنها قاعدة عزيزة .

أما تفضيل بعض المحدثين تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه مع المذكر ، فلا نعرف له وجها غير توحيد القاعدة استحسانا ، ولم يوحدها العرب ، واخيرا كما نتمنى لو تطورت لغتنا فأجازت الوجهين في العدد أيا كان موقعه مع المعدود او مستقلا عنه . □

●

رأى قيس بن الملوح (مجنون ليلى) نفسه عند جبل التَّوْباد ، حيث كان هو وليلى يرعيان غنمهما في صغرهما ، فهاجت في نفسه ذكرياته معها .

وأجهشت للتوباد حين رأيتُه ... وكبَّر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لمّا عرفتُه ... ونادى بأعلى صوته ، فدعاني
فقلتُ له : « قد كان حولك جيرةٌ ... وعهدي بذاك الجمع منذ زمانِ »
وقلت لهُ : « أين الذين عهدتُهم ... بقربك في خفظ وطيب أمانِ
فقال : « مضوْا ، واستودعوني ديارهم ... ومن ذا الذي يبْقى على الحَدَثانِ »
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا ... فراقك والحيّانِ مؤتلفانِ

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

قَتِيلُ الحُبِّ

تنسب هذه الأبيات الى عروة بن حزام النهدى (من قبيلة نهد) ، وكان يعيش فى صدر الاسلام ، وادرك العصر الاموى ، وهو من الشعراء الـذين تغنوا بـالحب ، واشتهرت قصته مع عفراء ، حتى ضرب به المثل فى ذلك يومئذ ، كما اشتهر حب مجنون ليلى بعده ، ومن ذلك قول جرير لصاحبته :

هـل انت شـافية قلبـا يهيم بكم
لم يلق عـروة من عفراء مـاوجـدا

قيـل : إن ابـاه تـوفى ولعـروة اربـع سنوات ، فنشأ يتيما فقيرا يكفله عمه عصر ابن مالك ابو عفراء ، فنشـأ معها ، فلما شب طلبها من عمه ، فـوعده بهـا ، ثم اخـرجه الى الشـام ليجمـع مهـرهـا من التجارة ، وفى غيبته نزل على عمه ابن اخ آخر له يقال له « أثالة » وكان يريد الحج ، فلما رأى عفراء طلبها من عمه واكثر لـه مهرها ، فروجه اياها ناكثا بوعد عروة ، فلما رجـع عروة بعـد رحيل عفـراء مـع زوجهـا وعـرف قصـة زواجهـا وذهـاب زوجهـا بها إلى الشـام ـ اشتد بـه القلق والمرض ، حتى اصابه الهزال والهذيان ، وبقى معتلا حتى وفاته .

روى ابـو على القـالى فى صدر كتـابه « النوادر » ان رجلا رأى عروة وقد شارف الموت ، وعنده امرأة تعلله ، فسألها : من هو ؟ فأجابته : هذا قتيل الحب ، عروة بن حزام .

والقصيدة اثنان وثمانون بيتا فى كتاب « النـوادر » وسبعـة وسبعـون فى كتـاب « تزيين الاسواق فى اخبار العشاق ، لداود الانطاكى ص/ ١٢٤ ، وقد اشار القالى الى اختلاف الروايات فيها وقـد اجتزأنـا منها الابيات الآتية ، لانها أيسر .

قتيل الحب

خليليَّ من عُليا هلال بن عامرٍ — بصنعاء، عُوجا اليوم وانتظراني
ولاتزهدا في الأجر عندي، وأجملا — فإنكما بي اليوم مبتليان
ألمّا على عفراء، إنكما غدًا — بشحط النوى والبين مفترقان
على كبدي من حبّ عفراء قرحةٌ — وعيناي من وجدٍ بها تكفان
فعفراءُ أرجى الناسِ عندي مودةً — وعفراء عني المعرضُ المُتواني
إذا رام قلبي هجْرها حال دونه — شفيعان من قلبي لها جدلان
إذا قلت «لا» «قالا» «بلى» ثم اصبحا — جميعا على الرأي الذي يريان
فيارَبِّ، انت المستعانُ على الذي — تحملتُ من عفراء منذُ زمان
فياليت كلُّ اثنين بينهما هوًى — من الناس والأنعام يلتقيان
فيقضي حبيبٌ من حبيب لُبانةً — ويرعاهما ربي فلا يُريان
وياليت محيانا جميعا، وليتنا — اذا نحن متنا ضمّنا كفنان
وياليت أنّا - الدهر - في غير ريبةٍ — خليّان نرعى القفر مؤتلفان
واني لأهوى الحشر إن قيل إنني — وعفراء يوم الحشر مُلتقيان
تحمّلتُ من عفراء ماليس لي به — ولا بالجبال الراسيات يدانِ
كأن قطاةً عُلّقت بجناحها — على كبدي من شدة الخفقان
ألا لعن اللهُ الوشاةَ وقولهمْ : — «فلانة اضحت خُلّةً لفلان»
فوالله ماحدثت سرك صاحبًا — أخًا لي، ولافاهتْ به الشفتان
اذا ماجلسنا مجلسا نستلذه — تواشَوْا بنا حتى أملَّ مكاني
تكنّفني الواشون من كل جانبٍ — ولوكان واش واحد لكفاني
أعفراءُ كم من زفرةٍ قد أذقْتِني — وحزنٍ ألجَّ العينَ بالهملانِ
لو انّ أشدَّ الناسِ وَجْدا، ومثله — من الجنّ بعد الإنس يلتقيان
ويشتكيان الوجد، ثمة أشتكي — لأضعف وجْدي فوق مايجدان
فويلي على عفراء ويلا كأنهُ — على الكبِد والاحشاء حدُّ سنان
فقد تركتْني ما أعي لمحدّثٍ — حديثًا، وإنْ ناجيتُه ونجاني

١ - صنعاء هنا ليست المدينة الكبرى في اليمن، بل هي قرية صغيرة كانت في الشام بين دمشق والمزة (انظر كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعًا للجغرافي المؤرخ ياقوت الحموي ص ٢٨٦ .

وإني لتعروني لذكراك رعدةٌ — لها بين جلدي والعظام دبيبُ
فما هو إلا أن أراها فجاءةً — فأبهت، حتى ما أكادُ أجيبُ
بنا من جوى الأحزان والبعد لوعةٌ — تكادُ لها نفسُ الشفيق تذوبُ
وما عجبي موتُ المحبين في الهوى — ولكن بقاءُ العاشقين عجيبُ

(عروة بن حزام)

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - من هو العالم الذي أسره النازيون ابان الحرب العالمية الثانية . . ولم يطلقوا سراحه الا بعد دفع فدية بلغت ٢٠,٠٠٠ دولار .

٢ - الممر الشمالي الغربي والممر الشمالي الشرقي كلاهما ممر بحري، وكلاهما يصل بين شمال المحيط الاطلسي وشمال المحيط الهادي . . . فأي الممرين يسير بمحاذاة شواطىء سيبيريا وايهما يسير بمحاذاة شواطىء كندا الشمالية ؟

٣ - مادة الكافيين ومادة الثايين . . المادة المنبهة في القهوة والشاي . . ترى في أي المشروبين توجد مادة الكافيين . . وفي أيهما توجد مادة الثايين ؟



٤ - اللوكيمياء أو سرطان الدم ترى أي الكريات الدموية يصيبها ويتلفها هذا المرض الخبيث . . الكريات الحمراء أم الكريات البيضاء ؟

٥ - أي العلوم أطلق عليه السلف الصالح اسم « الحيل » ؟

٦ - الزولو والماوري والمايا والانكا والنزلطي . . كلها متجانسة ماعدا واحدا . . فأيها الناشز ولم كان ناشزا ؟

٧ - زراعة القطن وزراعة الارز تحتاجان الى مقادير كبيرة من ماء الري . . وتبلغ حاجة احدهما ٤٠٠٠ طن ماء وتبلغ حاجة الأخر ١٠,٠٠٠ طن ماء . وذلك لإنتاج طن واحد فقط من المحصول . . فأي الزراعتين هي هذه ؟ وأيها هي تلك ؟

٨ - خط جرينتش هو غير خط التوقيت الدولي . . وكلاهما مطابق أو محاذ لاحد خطوط الطول (١٨٠) و (صفر) على التوالي . . ترى ما التغيير الذي تحدثه

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢١ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو اكتوبر ١٩٨٥ .

في ساعتك . . بل في الوقت الذي تمثله عند قطع خط جرينتش ؟

٩ ـ قارة استراليا وقارة القطب الجنوبي . . أي القارتين تبلغ مساحتها ضعفي مساحة الاخرى أو تزيد ؟

١٠ ـ البوصلة المغناطيسية كانت ومازالت تهدي البحارة والمستكشفين سواء السبيل . . وهي تعمل في كل مكان على سطح الأرض ماعدا مكانا واحدا تتوقف فيه البوصلة المغناطيسية ولا تعمل أبدا . . ماهو هذا المكان ؟

١١ ـ سوفوكليس، ارستوفانيس ، اسكيلوس ، هوميروس . .

اسماء بعض مشاهير الكتاب الاغريق وثلاثة من هذه الاسماء متجانسة وواحد منها ناشز . . فأيها الاسم الناشز . . ولم كان ناشزا ؟

١٢ ـ الاستقراء والاستنباط : أيهما يستخلص الكليات من الجزئيات ؟ وأيهما يستخلص الجزئيات من الكليات . . . ؟

العدد ٣٢١
أغسطس ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

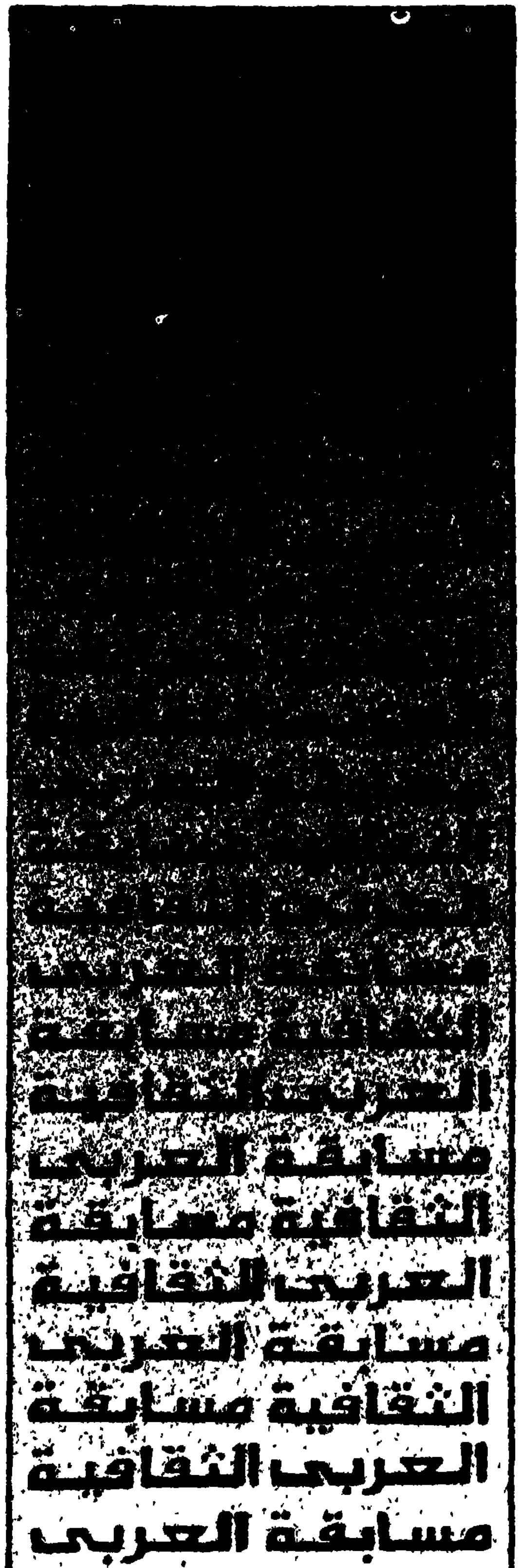
١٠ ـ . . . .

١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .



حل

١ ـ تبلغ السـنة الضـوئيـة بـالـضبط ٥,٨٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل لأن سرعة الصوء تبلغ ١٨٦,٢٨٣ ميلا في الثانية .. ولما كانت سرعة الصوت ٧٦٠ ميلا في الساعة كانت السنة الصوئية تبلغ حوالي ٦,٥ مليون ميل ..

٢ ـ امستردام عاصمة هولندة وأكبر مدنها .. فقد انشئت على أقنية عديدة لذا كثرت فيها الجسور حتى بلغ عددها ٤٠٠ جسر وتزيد .

٣ ـ نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف أكثر من بعد القمر

٤ ـ الوحدانيـة هي محور معتقـدات السيـخ الدينية ويذكر ان مؤسس هذا المذهب هو ناناك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩)

٥ ـ البلدة السورية التي مازالت اللغة الارامية فيها حية هي معلولا ، احدى قرى جبل القلمون

٦ ـ الخطبة هي طلب الزواج .. والخُطبة هي الخطاب أو المحاضرة

٧ ـ سلسلة جبال الالب الشهيرة الثانية تقع في نيوزيلنده .. وتبلغ أعلى قممها ١٢٣٤٩ قدما .. وتقع سلسلة الالب الثالثة في استراليا .

٨ ـ اكرون بلدة صناعية تقع في ولاية اوهايو في امريكا اسسوها سنة ١٨٢٤ .. لتكون مركزا لصناعة اطارات السيارات .. ومازالت اكرون هي الاولى في هذه الصناعة في العالم كله .. عدد سكانها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة .


حاليلي جاليليو

مسابقة العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

٩ ـ سمي بوكسايت نسبة الى منطقة Le Baux في جنوب فرنسا .
فقد اكتشف فيها البوكسايت اول ما اكتشف
والجدير بالذكر أن البوكسايت خاصة يستخرج منها الالمنيوم وليس العكس ، ولعلها أكثر خاماته انتشارا في العالم .

١٠ ـ انه جاليلي جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) ادانته محاكم التفتيش بالهرطقة وحكمت عليه بالاقامة الجبرية في منزله لا لسبب إلا لأنه قال : إن الكرة الأرضية هي التي تدور حول الشمس وليس العكس ، وهكذا قضى جاليليو آخر ٧ أو ٨ سنوات من حياته سجين بيته .

١١ ـ دسيبل وحدة الضوضاء .
ميليبار وحدة الضغط الجوي
رختر وحدة قوة الزلازل ومبتدعها هو العالم الامريكي فرانسيس شارلز رختر . من علماء القرن العشرين .

١٢ ـ نعم . يوجد ليل ونهار على سطح القمر ويبلغ طول كل منهما ١٤ يوما من أيام الأرض بالتقريب

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

الجائزة الأولى · محمد فاضل بن محمد البشير / نواكشوط / الجمهورية الاسلامية الموريتانية .
الجائزة الثانية . الهادي بنراهير / ارمور نابل / تونس
الجائزة الثالثة : عبد الله احمد البروه / الكويت ـ الصماة

الفائزون بالجوائز التشجيعية

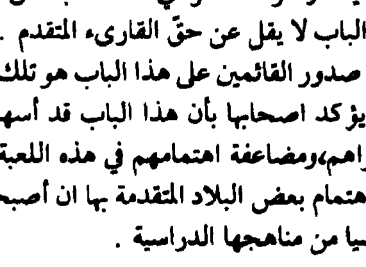
١ ـ السيدة قدرية محمد احمد / كفر الزيات ـ مصر
٢ ـ سهيل موسى يوسف السكر / الرياض ـ المملكة العربية السعودية
٣ ـ جودان منير / الدار البيضاء ـ المغرب .
٤ ـ السيدة / هند محمد سليمان خرابشه / الاردن ـ اربد .
٥ ـ على عبد العزيز السهلي / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .
٦ ـ مصطفى زوابر / حي الصوامع / ولاية عين الدفلى ـ الجمهورية الجزائرية
٧ ـ سناء عبد الجبار على / العراق ـ البصرة .
٨ ـ صلاح الدين عبدالقيوم ابو شامه / بورتسودان ـ السودان .

معركة بلا سلاح

الأخذ بالمـــار

للبيدق كما نعلم في أول نقلة له الخيار بين أن يخطو خطوة واحدة الى الأمام أو خطوتين،وقد تنطوي الحركة الأخيرة على ما يعرف بالأخذ بالمار او التجاوز . والاستفسارات الكثيرة التي تردنا من القراء حول القوانين المتعلّقة بهذه النقلة تحتّم علينا أن نتوقّف عندها قليلاً،راجين أن تتسع لذلك قلوب المتقدمين في اللعب من قرّائنا ، فهذا الباب كما يحرص على تزويدهم بكل جديد ومفيد من مباريات وبطولات وأخبار شطرنجية يحرص في الوقت ذاته على رفع مستوى هذه اللعبة الثقافية لدى جميع محبّيها في وطننا العربي الكبير على اختلاف مستوياتهم ، وللقارىء الضعيف والمتوسط القوة في هذه اللعبة حقّ في اهتمام هذا الباب لا يقل عن حقّ القارىء المتقدم . وأشدّ ما يثلج صدور القائمين على هذا الباب هو تلك الرسائل التي يؤكد اصحابها بأن هذا الباب قد أسهم في رفع مستواهم،ومضاعفة اهتمامهم في هذه اللعبة التي بلغ من اهتمام بعض البلاد المتقدمة بها ان أصبحت جزءاً أساسيا من مناهجها الدراسية .

والشكل التالي يوضّح طريقة الأخذ بالمار :



٤ ٣ ٢ ١

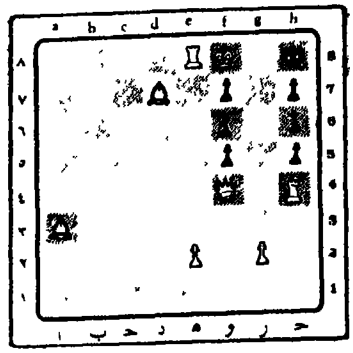
جـ ب جـ ب جـ ب

في الشكل الايمن يحتلّ البيدق الأبيض جـ الخانة الخاصة به في صفه الأصلي اما البيدق الأسود ب فيشغل الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأبيض الذي يقدم البيدق جـ خطوتين كما في الشكل الأوسط، واصبح يجاور البيدق الأسود افقيّاً في الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأسود ونراه في الشكل الأيسر قد نقل البيدق ب٤ إلى جـ٣ بعد ان نزع البيدق الأبيض من الرقعة تماما كما لو كان الأبيض قد تحرك خطوة واحدة فقط وَوَقع تحت ضرب البيدق ب٤ وهو ما يعرف بالأخذ بالمار en passant أو المجانبة او التّجاوز . وللأسود على أيّة حال الخيار بأن يأخذ بالمار أو لا يأخذ وكأنه عندما يأخذ بالمار يسترد حَقّاً حاول الأبيض استلابه منه .

وهذا الحق مرهون بنوبة النقل ولا يكون إلا في الحال ، فلو اختار الأسود عندما يحين دوره في اللعب ان ينقل نقلةً أخرى مهما كان نوعها فانه بذلك يفقد حَقّه بالأخذ بالمار وليس له إلا أن ينقل نقلةً أخرى عاديّة .

ويرجع تاريخ هذه النقلة الى مطلع القرن السابع عشر للميلاد اذ لم يرد ذكر لها مطلقاً قبل ذلك التاريخ والمسألة الاشتراطية التالية ظهرت في كتاب للمؤلف الشطرنجي جيانوتو Gianuto المطبوع سنة ١٥٩٧ للميلاد وهي تشير بوضوح إلى أن قانون الأخذ بالمار لم يكن وارداً حتى ذلك التاريخ :

المسألة : المطلوب من الأبيض ان يضرب كش مات ببيدق الحصان ز٢



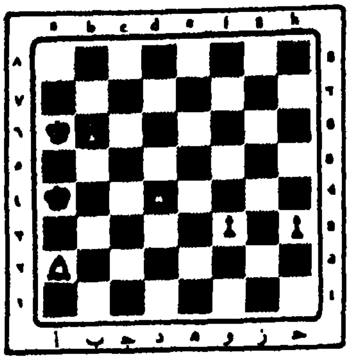
وفيما يلي الحل كما ورد في الكتاب المذكور :

١ ـ ر-هـ ٤	و×هـ ٤
٢ ـ ف ب ٢	هـ ٣
٣ ـ ف - هـ ٦	و× هـ ٦
٤ ـ م - و٧	هـ ٥
٥ ـ و - و٥	هـ ٤
٦ ـ ر - حـ ٣	حـ ٤
٧ ـ ز ٤	حـ ٥

لاحظ ان نقلات الأسود كلها إجبارية ، وأن البيدق حـ لا يأخذ البيدق ز ٤ بالمار مما يدل على أن قانون الأخذ بالمار لم يكن قد استحدث بعد .

٨ ـ ز ٥	حـ ٦
٩ ـ و - حـ ٨+	م - حـ ٧
١٠ ـ ز ٦ كش مات	

مسابقة العدد



مسألة رقم (٣٢) من وضع القارىء مصطفى محمد

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات .

حل المسابقة رقم (٣٠)

١ ـ ح-جـ ٨+	ح - جـ٥
٢ ـ و× جـ ٥	و×جـ ٥
٣ ـ ر-د ٨ كش مات	

الفائزون بحل مسابقة مايو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فتحي محمود ابراهيم ـ القاهرة / مصر .

٢ ـ حسين بدران حسين ـ تبوك / السعودية .

٣ ـ أسامة السرّاج ـ دمشق / سوريا .

٤ ـ عامر حسن عيادي ـ عمان / الاردن .

٥ ـ محمود طيب أحمد ـ العراق / محافظة الانبار .

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ محمد سعيد عثمان الرميحي ـ الدوحة / قطر .

٢ ـ سفيان الزوادي ـ تونس / الجمهورية التونسية .

٣ ـ محمود السّمّان ـ الرياض / السعودية .

٤ ـ رشاد محمد ابراهيم ـ سوهاج / مصر .

٥ ـ بنمادة محمد ـ الدار البيضاء / المملكة المغربية .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

نباتات الأمن الغذائي

● نشرت مجلة العربي في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « سلامة البشرية في سلامة البيئة » فقالت بأن هناك نباتات تبشر بتحقيق الأمن الغذائي ، وأود منكم ارسال عنوان مركز البحث الذي يجري أبحاثا على هذا النبات ـ كما أطمع في ارسال بعض الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع إن توفرت لديكم من أجل الاستفادة منها في هذا الميدان . . .

المهندس موفق سعيد ـ سوريا

العربي

شكرا على اهتمامكم بكل ما ينشر في العربي ، وخصوصا فيما يتعلق بالجوانب العلمية التي تكتشف لأول مرة ونسلط الضوء عليها . . ويطيب لنا أن نخبرك بأن المصدر الذي تناولنا منه الخبر هو مجلة « نيوزويك » الاميركية الصادرة بتاريخ ١٧/١٢/١٩٨٤ ، وفي استطاعتكم الحصول عليه من مكتبة التوزيع في بلادكم .

اهتموا بالفنون الشعبية

● نتابع صدور العربي منذ زمن طويل ، ونحرص على الحصول عليها حين تصل الى بلادنا . . ولا يغيب عن ذهننا ما تقدمه المجلة من جهد ووجبة ثقافية عامة مع مطلع كل شهر . . لكن لدينا بعض الملاحظات التي نرجو أن تأخذوها بعين الاعتبار ولعل أول هذه الملاحظات . أن المجلة تصل متأخرة عن موعد الصدور ، وقد يمتد هذا التأخير الى النصف الثاني من الشهر . . وثاني هذه الملاحظات أن المجلة لا تعطي الفنون الشعبية للدول الاهتمام المطلوب ، وخصوصا الفنون الكويتية التي يحرص كل باحث على معرفة أنواعها وايقاعاتها .

محمد فؤاد مقصود ـ حلب ـ سوريا

العربي

فيما يتعلق بتأخير وصول المجلة في بعض الشهور ، فان ذلك يعود لعوامل المواصلات واجراءات الجمارك .

أما عن الفنون الشعبية وخصوصا الكويتية ، فان المجلة تحرص على تناول الفنون العربية بشكل عام بين صفحاتها ، وبامكانك الحصول على ما تريد من بحوث ودراسات متخصصة عن الفنون الكويتية ، عن طريق مراسلة المعهد العالي للفنون الموسيقية بوزارة الاعلام الكويتية .

بنشـر ملاحظـات وتعليقـات قرائها الأعزاء على ما ينشـر فيها من آراء وتحقيقات

اعـداد : يـوسف الشهاب

مذنب هالي . . ما حقيقته

● اطلعت على بحث علمي حول « مذنب هالي » والحقيقة أن مثل هذا المذنب لم نعرف عنه من قبل ، ولا نعرف حقائق ومعلومات واسعة عنه ، فما هي حقيقته ؟ ولماذا تنشر عنه الحديث في الآونة الأخيرة . . ؟

محسن عامر الحوجان ـ الصباحية ـ الكويت

يطيب لنا أن نفيد القارىء العزيز بأن المجلة سوف تنشر بحثا مصورا عن « مذنب هالي » وعن الجهود التي تبذلها شتى الدول لمواجهته وذلك في عدد قادم إن شاء الله . .

الدفاع عن الاسلام واجبنا

● بينما الصحوة الاسلامية تزداد رقعتها في بلادنا الاسلامية ، فان هناك من يحاول التطاول والافتراء على الرسالة المحمدية ، من الحاقدين الذين لا يدينون بالاسلام ، ولا يريدون له الانتشار وزيادة مساحة رقعته . .

ولأن مجلتنا « العربي » هي رائدة المجلات العربية والاسلامية ، نظرا لما تقدمه لنا من طبق ثقافي كل شهر ، فاننا نود منها أن تزيد في القاء الضوء على الجواب الدينية ، لدحض هذه الافتراءات التي يأتي بها أعداء الاسلام .

جهاد السيد محمد ابراهيم ـ سوهاج ـ مصر العربية

تولي المجلة كل اهتمام للقضايا الدينية ، وقد ألقت الضوء على الكثير منها . . وفي المجلة باب شهري بعنوان « البيان في تنزيل القرآن » يتناول العديد من جوانب الدين الاسلامي ، ورسالتنا جميعا كبيرة في خدمة ديننا الذي جاء به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام . .

الرغبة والطموح

● يخلط البعض بين الرغبة وبين الطموح ، ولكل جانب رأيه في هذا الموضوع . وفي رأيي أن الرغبة هي شعور معين للحصول على شيء يرغب الانسان بالحصول عليه ، وغالبا ما يكون هذا الشيء ماديا . . وكثيرا ما تكون الرغبة رخيصة ليست بذات أهمية ، ورغبة الانسان لا تقف عند حد معين ، لانه يرغب في حل شيء يراه اذا لم يأت عليه بأي ضرر .

أما الطموح فهو شعور داخلي لدى الانسان للوصول الى هدف معين يريد الوصول اليه ، ويبذل كل ما في وسعه من دوافع وجهد في سبيل تحقيق الهدف ، حتى وان كان الوصول بعد فترة طويلة ، فانه يسعى لتحقيق طموحاته دون أن يتأخر عنها . .

مفتاح محمد الجروشي ـ مصراته

الجماهيرية الليبية

حوار القراء

العربي

الطموح أقوى من الرغبة ، والناس تختلف فيما بينها من حيث هذه الرغبات والطموحات . . وذلك فان من الناس من لا طموح ولا رغبة لديهم ، لعدم احساسهم بها ، لكن الفئة الأخرى تملك الرغبة للوصول الى ما تريد ، وطموحاتها كبيرة لبلوغ أهدافها التي تضعها في طريق حياتها . .

العربية . . اللغة الأم

● قرأت في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « لماذا هذه الحرب على لغتنا الجميلة ؟ » للدكتور عمر موسى باشا ـ كشف فيه عما يخفيه دعاة اللغة المحلية أو الدارجة خلف دعوتهم من تجزئة تضاف الى هذا التفكك في أرجاء الأمة العربية . .

ومن الغريب أن الذين يقفون خلف هذه النزعة أدباء وشعراء لهم مكانتهم . . . وهؤلاء يريدون تمزيق الهوية التي نعرف بها بين شعوب العالم .

فدعوتهم هذه تدل على عجزهم وقصر نظرهم .

ومن المفارقات الغريبة أن أحد دعاتها عضو في مجمع اللغة العربية الأردني ، الذي وجد لحماية اللغة العربية من زحف العامية .

ونحن في ظل الظروف الحاضرة نحتاج الى توحيد الكلمة ، والتأكيد على ضرورة رفع مكانة اللغة العربية ، وحمايتها من العامية التي لا تكتب ولا تفهم فيما بين أقطار الأمة العربية . .

محمد أحمد علوش ـ الرقة ـ سوريا

العربي

اللغة العربية هي اللغة الأم التي نزل بها القرآن الكريم . . « انا أنزلناه قرآنا عربيا » . . صدق الله العظيم . . واللغة العربية هي لغة التخاطب والتفاهم بين الشعب العربي في جميع أقطاره ، وهي وحدها التي تأخذ طريقها الى لسان كل عربي ، حتى لسان الذين يدرسونها من غير العرب . . واذا كان للعامية أنصارها فان انتشارها لا يخرج عن رقعة الارض التي يتكلم أهلها لهجتهم العامية ، لانها تكون صعبة الفهم في أقطار عربية أخرى .

ردود خاصة

* الاخ رمضان بوجراني . بخصوص سؤالك حول كيفية الاشتراك في المجلة يرجى قراءة الصفحة الثالثة لمعرفة ما تريد . . .

* القارئة رشيدة القبلي ، من اليمن الشمالي ، فيما يتعلق بسؤالك عن « كوبون » المسابقة وزيادة مساحة الاجابة . . نقول ، انه لا مانع من كتابة الاجابة على ورق خارجي يرفق مع الكوبون اذا لم تكن هناك مساحة للكتابة في المكان المخصص داخل العدد . .

* شكرا للقاريء الجزائري ساعد ابن عبدالرحمن ، الذي بعث لنا برسالته من الجزائر مشيدا بالدور الثقافي الذي تقوم به العربي ، وبكتب العربي التي بدأت المجلة اصدارها تباعا . . .

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٥م

عقول المستقبل

تأليف : جون تايلور

ترجمة : د. لطفي فطيم

الكتاب الثاني والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول أغسطس ١٩٨٥

١٩١

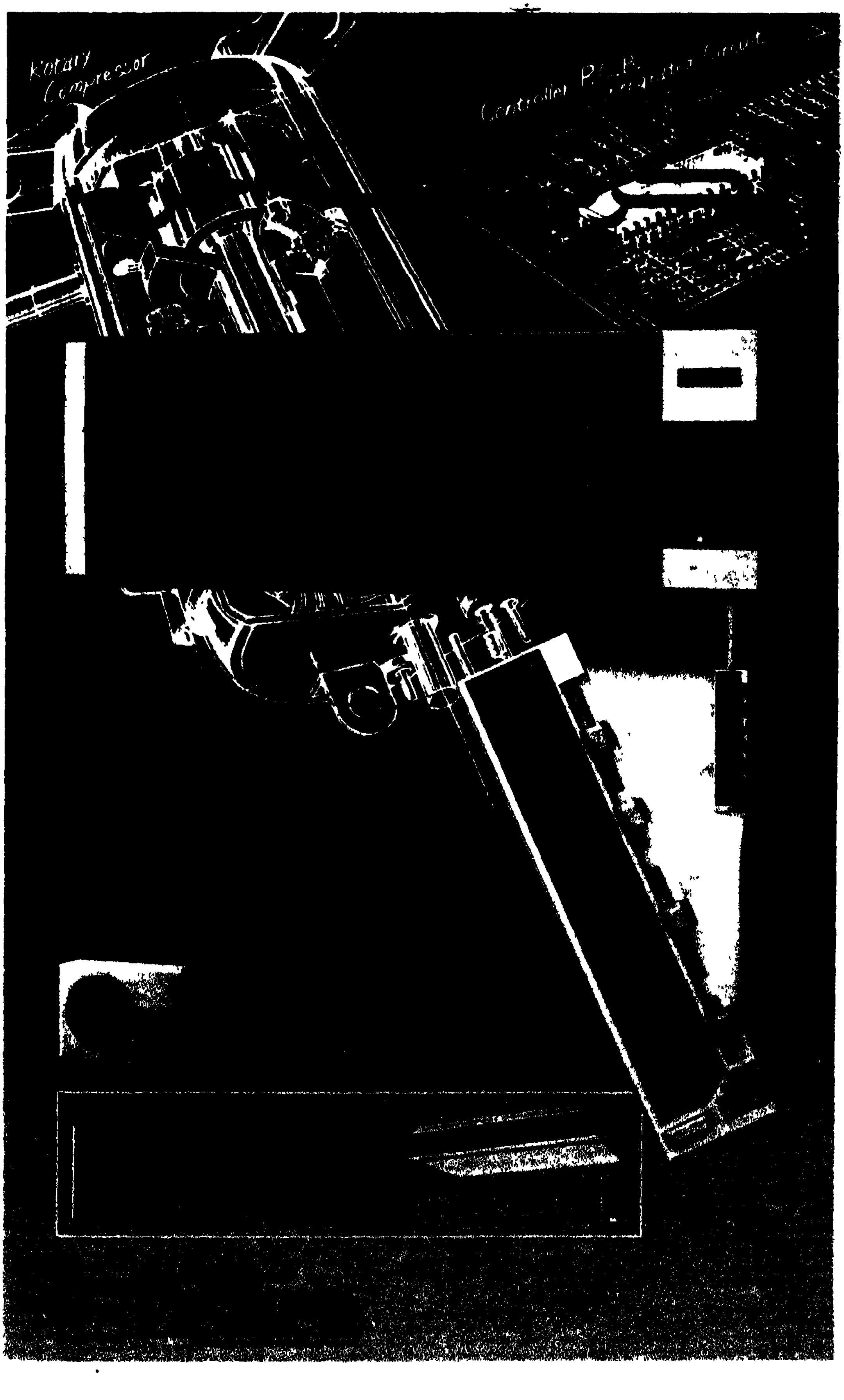
أوبو ملكًا

تأليف : ألفريد جاري - ١

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد




Rotary Compressor
Controller P.C.B.

العـــــدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No: 322 Sept. 1985 P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

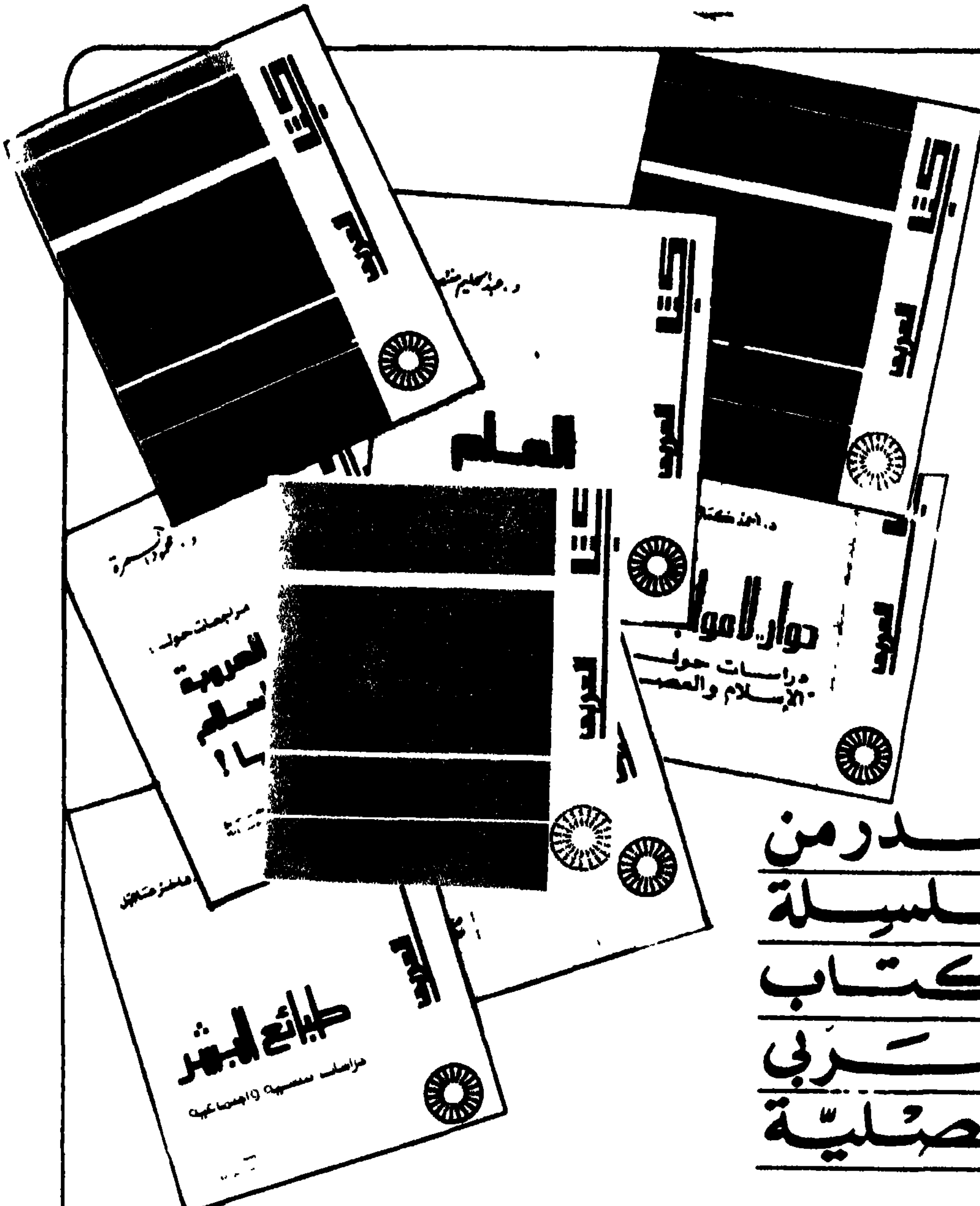
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٢ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهمًا
البحرين ٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٧ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران



صدر من سلسلة كتاب العربي الفصلية

- الحرية .. للدكتور أحمد زكي
- العلم في حياة الانسان .. للدكتور عبد الحليم منتصر
- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة .. لمجموعة من الكتاب
- مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا .. للدكتور محمود السمرة
- الحياة والناس والوحدة في دول الخليج العربي .. لمجموعة من الكتاب
- طبائع البشر .. للدكتور فاخر عاقل
- حوار لا مواجهة .. للدكتور أحمد كمال أبو المجد
- آراء ودراسات في الفكر القومي .. لمجموعة من الكتاب

عزيزي القارئ

في بلاد كالكويت قررت أن تعتزل الفتنة وتسعى جاهدة لرأب الصدع بين الشقيقات العربيات ، في منطقة ابتلاها الله بالحروب والمنازعات واقتتال الاخوة ، وفي منطقة محاطة بأطماع متعددة . . بلاد هذه سياستها فان قدرها أن تضيف من جديد شهداء أبراراً الى قائمة الشهداء الذين قدمتهم ، سواء على ضفاف القنال في حرب التحرير . . أو في سفاراتها بالخارج حيث استشهد رجال يقومون بأعمالهم الرسمية ، أو في الداخل حيث سقط مدنيون آمنون مطمئنون كانوا يقضون وقت فراغهم في المقاهي الشعبية . . فامتدت اليهم يد الغدر كي تمزق الصغار والكبار من دون ذنب جنوه أو جرم ارتكبوه .

القتل العشوائي للنفس البشرية التي حرم الله قتلها الا بالحق ، أصبح خبز هذه المنطقة العربية وماءها في السنوات القليلة الماضية . ولقد استهدفت الكويت لأنها وقفت وتقف دائما مع الحق . . والحق يغضب كثيرا النفوس الضعيفة .

ونحمد الله على أن شهداءنا الأبرار ذهبوا في صف طويل منذ أن ظهرت الكويت المستقلة الى المجتمع الدولي . . نحمد الله على أن هؤلاء الشهداء خرجوا من مجتمع مؤمن بربه وبرسالته ، سواء كان ذلك على المستوى السياسي أو الثقافي العربي . . واننا اذ ندعو لأرواح هؤلاء الشهداء بالرحمة والمغفرة ، لنشعر أن طريقنا في تعزيز الثقافة العربية هو جزء من سياسة الكويت المستقلة والمستنيرة . . فان كان البعض لم يبخل بروحه ليفتديها ، فلن نبخل نحن في « العربي » ببذل الجهد المضاعف حتى نقدم لك أيها القارىء العزيز ما تتوقعه منا .

ففي هذا العدد يطالعك استطلاع بالقلم والصورة عن هيروشيما . . وهي تغني للحياة بمناسبة الذكرى الأربعين على القاء القنبلة الذرية عليها ، وما خلفته من أهوال وضحايا ونتائج . . كما نعبر معك من فوق جسر بين العرب وأفريقيا . . لننتقل معك بعد ذلك الى حديث صريح حول عروبة المغرب العربي . . ثم الى لقاء مع سيرة ونضال عمر المختار شيخ الشهداء . .

ولما كان العالم ينتظر قرب وصول المذنب هالي . فالعربي تستعرض معك الحديث عن حقيقة المذنبات قبل أن تتناول قصة هذا الزائر القادم من السماء . . وحين تنتقل معك الى عالم الطب فانها تتساءل ثم تجيب عن السؤال : هل يتكلم الطفل وهو جنين . . . ؟

ان العربي دائما في خدمة قرائها . . وهي لا تألو جهدا من أجل أن تكون علامة مشرقة على طريق الثقافة والفكر . . في سبيل حياة أفضل لكل العرب .

المحرر

محتويات العدد



اطفال هيروشيما
جيل بلا قنابل ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● من مكتبة العربي :

● جمال العربية :

العربي ـ العدد ٣٢٢ ـ سبتمبر ١٩٨٥ م



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

أيها السادة .. لقد اكتشفنا الأعداء ..
إنهم نحن .. !
النفط العربي .. قائد أم مقود ؟

- نحن العرب نواجه مصيرًا تاريخيًا .. بعده نكون أو لا نكون.
- حرب الاستنزاف العربي تستهدف شل الأمة العربية وضرب قدرتها على التقدم في مجالات السياسة والاقتصاد والتنمية.
- كلما ازداد الوطن العربي تجزئة ازدادت حدة الخطر بما يهدد أمن الجميع.

قال لي صاحبي ونحن نحضر ندوة مركز الدراسات العربية في لندن في نهاية شهر يونيو/ حزيران الماضي ، التي انعقدت تحت عنوان « عرب بلا نفط » ، وبعد أن استمع الى بعض المحاضرين والمعلقين وهم يلومون النفط العربي على أنه مصدر كثير من المشكلات العربية الظاهرة والباطنة . .

قال : يبدو أن كل ما أبتلينا به ـ نحن العرب ـ من سلبيات في ربع القرن الماضي ـ على الأقل ـ كان مصدره النفط !

قلت : وكيف وصلت الى هذه النتيجة ؟

قال : اما انك لاتسمع أو انك لاتتابع ! لقد قال أحد المحاضرين مثلا : (انني لا أرى في النفط منذ ظهوره الا تراكمات سلبية ، هي كل ماورثناه عن عصر الذهب الأسود) وقال آخر : (أن النفط ضد الوحدة العربية) بل وذهب أحدهم الى القول بأن النفط هو الذي أعاق تحرير فلسطين . . وهذا غيض من فيض .

لقد ازداد إنفعال صاحبي لا لانه توقع أن يسمع مديحا لدور النفط ، بل لأنه توقع أن يسمع آراء موضوعية تناقش ماهو مطروح بروح أقرب الى العلمية منها الى التعميمات . قلت له : لاتحزن ، فكل ذلك جزء من معاناتنا ـ نحن العرب ـ من جراء الوضع الحالي الذي نعيشه اليوم ، ويجمح الخيال ببعضنا فيبحث عن كبش فداء ، فتبدو له مظاهر الأسباب دون جوهرها ، ويخيل اليه أن ذاك الذي يراه هو الجوهر . وقد تصادف هذه المرة أن كان النفط ـ ربما في ملتقى آخر وفي مكان آخر ـ شيئا آخر .

طوق النجاة

☐ لقد حاكم بعض العرب « قضية النفط » كما حاكموا الاستعمار أو الاشتراكية أو التراث . . أو المعاصرة أو الرأسمالية أو النكسة . أو أية قضية من القضايا العديدة التي طرحت علينا في ربع القرن الأخير . وفي كل مرة اعتقد البعض منا أن هذه القضية أو تلك هي السبب في كل مشكلاتنا ، أو هي ـ من منظور آخر ـ طوق النجاة لخروجنا من الأزمة .

وفي رأيي أن هذا الخلط في الرؤية له علاقة بالمنهج الذي يتبعه البعض في تحليل كثير من المشكلات التي نواجهها وهو منهج يفسر الكل بالجزء . انه منهج سهل على أي حال ، يمكنك فيه أن تجد كبش الفداء ـ ان شئت ـ دون صعوبة . . ولو انك لجأت الى المنهج الصعب لكان عليك أن تدرس كل العناصر الداخلة في تكوين الموضوع ـ وهي كما تعلم معقدة متداخلة .

قلت لصاحبي : ماتسمعه من بعض المتحدثين هنا ماهو الا نتاج لنظام كامل في التفكير ، خبرناه فوجدناه سهلا محببا للسامعين ، مثيرا لاهتمامهم . . فانساق بعضنا خلفه . وأرجو ألا تسيء فهم قولي ، ودعني أقول لك ـ بادىء ذي بدء ـ أن بعض الآمال العربية في النفط قد خابت ـ وقد طرقت أنا شخصيا هذا الموضوع ـ مثلها مثل آمال عربية غيرها في الوحدة مثلا ، وفي موضوعات أخرى عديدة طرحت في الوطن العربي .

ولكنه من العجالة التي تجفو روح العلم ، أن نعلق أسباب كل ماوصلنا اليه اليوم في الوطن العربي من وضع يصفه البعض بأنه « عصر الانهزام والتدهور » ، ويقف أمام ظواهره المخلصون من نساء ورجال العرب موقف الذاهل المفكر ، أقول من الصعب علميا أن نعلق كل هذه المظاهر من الانحدار والتدهور على مشجب واحد ، أو حتى على عدة مشاجب خارجة عن ذواتنا ، ثم نفرك أيدينا بسعادة ونقول : انظروا لولا ذاك لما حدث هذا .

لنأخذ النفط مثالا

□ اذا أخذنا النفط العربي ـ وهو موضوع حوارنا ـ فلا اعتقد أن اثنين يختلفان حول أهميته وعمق تأثيره السياسي والاقتصادي والاجتماعي على النظام الاقليمي العربي ، وعلي الأمن العربي كذلك . ولكن هذا التأثير في رأيي مبالغ فيه ، اذ لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان النفط يعد متغيرا مستقلا ، أي مؤثرا بذاته على مجموعة العوامل التي تشكل الوضع العربي الحالي ، أم أنه متغير تابع مؤثر فيه من بعض العناصر الفاعلة في تكوين الشكل الحالي للعلاقات العربية والوضع العربي ككل . أي هل أن تأثيره أساسي قائد ، أم تابع لاتابع ! مقود لا قائد ! وكذلك لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان هبوط أسعار النفط ـ وبالتالي الدخول المالية العربية منه ـ أمرا سيئا أم محمودا ، فيما يخص قضيتي « التنمية » و « الأمن العربي » .

قلت لصاحبي : تأمل معي النقاط الثلاث التالية : ـ

الاولى : أن النفط في تقديري عامل محايد ، مثله مثل بقية العوامل المادية الأخرى المؤثرة ، وعلينا نحن الاضطلاع بواجب استخدامه الاستخدام الأمثل ، وهو ـ كأي عامل آخر ـ لايستخدم الاستخدام الأمثل الا اذا توفرت له عناصر أخرى بجانبه ، لا أخالها خافية عليك !

ثانيا : أن النفط أعطى ـ اما عن جهل أو عن سوء قصد ـ أكثر من وزنه النسبى فى امكانية تحقيق النهضة العربية المرتجاة ، وقد بدا للبعض أنه بدونه ـ أو عند احتمالات انقطاعه ـ ستقع الطامة الكبرى . وحقيقة الأمر أن النفط مادة مستخرجه ، وبح صوت كثير من الاقتصاديين العرب فى القول بأنها مادة ناضبة ، وأن الثروة الناتجة عنه ـ مهما بلغت ـ هى ثروة مؤقتة ، وان النفط ليس دخلا منتظما ، ودائما يأتى عن عمل وانتاج ، بل هو مال ناتج عن بيع أصول عينية ، كمصنع باع صاحبه أدوات انتاجه ، فهو لايستطيع بعدها أن ينتج شيئا ، أو أن يبيع مصنعه مرة أخرى ، مع الفارق فى التشبيه .

والأصول الانتاجية الحقيقية تكمن أساسا فى قطاعى الزراعة والصناعة ، ولانملك نحن العرب منها الا القليل ، فالصناعة الاستخراجية (كالنفط والفوسفات . . وغيره) هى التى تحظى بنصيب الأسد من انتاجنا القومى الاجمالى ، أما القطاعان الآخران (الصناعة التحويلية والزراعة) وهما عصب التنمية الحقة ، وقاعدتها ، فهما ـ كما ترى ـ محدودان .

فاذا أخذنا هاتين النقطتين بعين الاعتبار ، بقى أن نتساءل عمن دس الينا مصطلح « العرب الأغنياء » و « العرب الفقراء » . فاذا افترضنا حسن النية قلنا أن ذلك تم عن جهل اقتصادى وسياسى كبير ، وان افترضنا سوء النية ـ لاسمح الله ـ قلنا أن ذلك يتسم بمغالطة لها أهداف مضادة للمصالح العربية العليا . فلا يوجد فى تقديرى عرب أغنياء وعرب فقراء ، بل هناك عرب فقراء بالمصطلح التنموى الاقتصادى الحقيقى . الكل فقراء اذا تكلمنا عن مستوى تطور القوى المنتجة بشقيها : الناس وأدوات العمل ، الكل فقراء اذا تحدثنا عن الدخل المتولد عن العمل المنتج ، الذى يصبح له قيمة مضافة ومتجددة .

أما النقطة الثالثة : وهى مهمة أهمية النقطتين السابقتين ، فهي أن « الغنى العربى » هو - بكل المقاييس - غنى مؤقت ونسبى فى نفس الوقت ، والواقع يفرض علينا تأمل بعض هذه الحقائق . فمجموع الناتج القومى العربى كله فى كافة الأقطار العربية - فى المتوسط وفى سنوات الثمانينيات المنصرمة - وعلى أحسن التقديرات - يكاد يشكل ثلث الناتج القومى لبلد مثل المانيا الاتحادية (الغربية) ، ويقترب من أربعة أخماس الناتج القومى لبلد مثل فرنسا - كما أنه - ووفق أحسن التقديرات أيضا ، وبعد كل هذا الحديث عن الثروة النفطية - لايجاوز الناتج القومى الاجمالى لبلد مثل ايطاليا أو حتى اسبانيا ، وهما بلدان فى طور النمو اذا ما قورنتا بالدول المصنعة . واذا اضفنا الى ذلك تدهورا فى الزراعة ، وركودا فى الصناعات التحويلية ، مع شح فى الاصول الانتاجية كالأرض القابلة للزراعة ، ومياه الري والتدريب الانسانى ، واذا أضفنا ايضا أن بعض الأقطار العربية تئن تحت وطأة ثقل ديون خارجية ذات مستويات مثيرة للقلق ، فى جو عالمى ينذر بتدنى أسعار المواد الاولية الاستخراجية كالنفط - اذا عرفنا كل ذلك ازددنا ارتيابا فى تقسيم العرب الى عرب أغنياء وآخرين فقراء على كثرة تقسيماتهم الأخرى .

الجرأة فى قول الحقيقة

☐ قال صاحبى : القضية اذن أوسع وأكبر من أن تكون مجرد تمرين فكرى سميناه تارة « عرب بلا نفط » وسماه غيرنا « الدولار النفطى » .

قلت : ذلك ما عنيته بالضبط ، فموضوع النفط كما ترى أحد مكونات الصورة ، ولكنه ليس العنصر الوحيد فيها ، واذا كنا نريد وضع النقاط على الحروف ، فلا بد من أن نمتلك الجرأة على قول الحقيقة - حتى لو كانت مرة - وأن نبحث مجتمعين فى الأسباب الرئيسية التى أوصلتنا الى قاع ، يعتقد البعض منا أننا ننحدر اليه ولم نصل الى نهايته بعد ، لأننا لو كنا قد وصلنا الى القاع لربما بدأنا الصعود من جديد .

ان مظاهر هذا التدهور كثيرة واضحة وجلية للعيان ، ولا يحتاج أى عربى الا أن يجول بفكره في أحوال الأمة ، حيث يرى التدهور السياسى والاقتصادى نتيجة حرب استنزاف عربية ، ظاهرها الحرب المستمرة المستعرة بين الأخوة ، وباطنها قطيعة وحرب استنزاف اجتماعية ينزف لها جسم الأمة من جروح عميقة مذهبية وطائفية وأقليمية وحتى عرقية !

ان حرب الاستنزاف بشقيها السياسى والاجتماعى لها ثلاثة أهداف محدودة في نظرى هى :

أولا : شل قدرة الأمة العربية على تعبئة قوتها وراء أهدافها القومية .

ثانيا : ضرب قدرتها على تحقيق تراكم جدى ، في مجالات الاقتصاد والتقنية والسياسة .

ثالثا : ضرب قدرة هذه الأمة للحيلولة بينها وبين أن تقدم مشروعا حضاريا متكاملا ومميزا في اطار العلاقات الدولية القائمة .

تلك هي المظاهر وهذه هي الأهداف ، ولكن هناك أسئلة لازالت عالقة : كيف ، وأين ، ولماذا ؟ ولازالت تلك الأسئلة وأمثالها معلقة دون جواب : هكذا رد صاحبي وهو يتابع الحوار .

قلت : أن الاطار الذى يحكم كل ذلك هو ما يمكن أن نسميه فشل المشروع العربي ، سواء من داخله ـ نتيجة عوامل ذاتية ـ أو من خارجه ـ نتيجة عوامل موضوعية ، ليس أقلها طموح المشروع المضاد ـ الالحاقى الصهيونى .

قال صاحبي : وكيف ذلك ؟

قلت : هل قرأت كتب مجيد خدورى ؟ وذكرت واحدا منها بالذات ، وهو كتاب « العراق الاشتراكى » . لقد لفتت نظرى فيه فقرة يجب التأمل وامعان النظر فيها . قال خدورى : (ان العرب بطبيعتهم ميالون كثيرا الى الفردية ، وهم ضيِّقو الطباع ، ويظهرون في الظروف العادية ولاءات ضيقة أو محدودة هى في طبيعتها قبلية أو محلية ، والعرب خلافا لما يظهر لك من إذعانهم ودماثتهم شديدو المراس ، عنيفون ، وكثيرو الحساسية ، حيث أن عواطفهم شديدة الهياج ، ترتفع الى درجة عالية في لحظات الاستفزاز) .

انتهى كلام مجيد خدورى . وعلى الرغم من تحفظي على هذا النوع من التحليل النفسي الاجتماعي الذى يميل كثيرا الى الانطباعية ، الا أن بيت القصيد الذى أريد أن أصل معك اليه يتلخص في كلمتين : اعرف نفسك ، أو على حد تعبير أحد الفلاسفة الألمان : أيها السادة لقد عرفنا الأعداء : انهم نحن !

لا أريد أن اقول أننا أعداء أنفسنا ، ولكنني أشدد على القول بأننا لابد أن نعرف أنفسنا ، وأن نجرؤ على قول الحقيقة كما أشرت ، حتى نعرف طريقا للخروج من هذا المأزق الذى سماه البعض منا تشاؤما « عصر الانحطاط العربي الجديد » الى « صحوة عربية جديدة » .

لنا في لقاء الأعداء عبرة

□ ولنبدأ بالقول بأنه ليس هناك مثاليات تحكم العلاقات بين الدول ، سواء اقتربت تلك الدول من بعضها جغرافيا أو سياسيا أو قوميا أم ابتعدت . فنحن لا نعيش فى عالم مثالى ـ ذلك صحيح ـ ولكن بنفس درجة الصحة هناك في الغالب علاقات مصالح تحدد الحد الأدنى والأعلى من العلاقات بين الدول ، مهما اختلفت اجتهاداتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ولنا في احتمال اللقاء القادم في جنيف ، والمعلن عنه بين رئيسي أكبر دولتين في العالم ـ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ـ خير مثال ، على الرغم من اختلاف رؤيتها الأيديولجية وتضارب كثير من مصالحها العليا .

ومع ذلك فان اللقاء بين رئيسي الدولتين أصبح ضرورة تقتضيها مصالحهما . ولا نريد أن نطيل في شرح هذا « الخلاف الوفاقى » ان صح التعبير ، فقد أصبح أحد حقائق العصر النووى الحاضر . أما نحن العرب فأن ما نواجهه ليس خلافاً « فكريا أو أيديولوجيا » بل نحن نواجه مصيرا تاريخيا ، بعده نكون أو لا نكون ، وقد تكون بعض مظاهره ونتائجه واثاره ـ ان لم نجرؤ

على قول الحقيقة الآن ، وننكر المصالح الآنية المؤقتة ـ أقول قد تكون نتائجه واثاره مدمرة تقودنا الى التخلف والانحدار والتبعية لسنوات طويلة قادمة ، وقد يكون من نتائجه نجاح المشروع المضاد الرامى الى تمزيق وطننا الى دويلات صغيرة ، يتحكم فيها المشروع الصهيوني التابع .

فشل المشروع العربي

☐ قلت لصاحبي : ان احدى مشاكلنا الفكرية الرئيسية ، وهى فشل المشروع العربى ، لم تناقش لمعرفة الأسباب والنتائج ، لقد انغمس بعضنا في الهموم والسياسة الاقليمية المباشرة ذات الأفق القطرى الضيق ، وأصبحنا نهدر الكثير من وقتنا وطاقاتنا في انشغالنا بتلك القضايا الجانبية واختلافنا حولها ، في الوقت الذى ننسى فيه الخطر الأكبر والهموم القومية التى تؤرق مستقبلنا .

فاذا نظرنا الى واقعنا العربى اليوم ، نجد أن صوت قعقعة السلاح العربى الموجه الى الصدور العربية هو الأعلى ، وان لم يكن ظاهرا فهو خفى . ويحاول حاملو هذا السلاح أن يغتالوا الكلمات والأفكار والمبادىء ، وأن يغتالوا الانسان ، ويهدموا كل ما يمكن أن يبنيه الفكر العربي المستنير ونجد كذلك أن الأمن العربى مهدد ليس في الأقطار العربية الأصغر حجما ومقدرة فحسب ، ولكن فى الأقطار الأكبر حجما أيضا . ان تخلخل المساندة العربية يعرض الجميع للخطر ، وكلما ازداد الوطن العربى تجزئة ازدادت حدة الخطر والاضطراب على كل الوحدات المكونة له ، وتعرضت دول الأطراف ودول المواجهة لتوتر يخل بأمنها جميعا

وفي غياب الأُطر المؤسسية ، التى فرضها العصر فى أماكن وبقاع كثيرة من العالم ، في غياب تلك المؤسسات الاقليمية الكفيلة بحل الصراعات ، أو ضبط درجة توترها ومن ثم احتوائها ، في غياب تلك المؤسسات أو تعطيل دورها ، يزداد الخطر على الأمن القومى العربى ، ويزداد الجفاء والتشرذم ، ونحن في غيِّنا سادرون .

ويضطرك التاريخ الى تذكر ممالك الطوائف في الأندلس ، بكل ثقل تاريخها المحزن . وتلك واحدة من نتائج فشل المشروع العربى الحضارى ، الذى بدأ يتكون تدريجيا منذ ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة العربية فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، الذى تمحور واتضحت معالمه السياسية فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، الذى قامت مبادؤه الاساسية على فكرة الترابط بين الحرية والوحدة الاشتراكية ، بصرف النظر عن الاجتهاد في الأولويات .

لقد تعرض هذا المشروع العربى الحضارى الى التفجير في العقد الذى شهدت بدايته هزيمة ١٩٦٧ ، وشهدت نهايته بداية مشروع السلام مع العدو الاسرائيلى .

وقد قذف هذا التفجر بعيدا بالاجتهادات الفكرية والسياسية الموغلة في التطرف يمينا ويسارا .

صحيح أن هذا المشروع قد واجه قبل ذلك صعودا وهبوطا ، وانتصارات وتراجعات ، واجتهادات صحيحة وممارسات خاطئة ، ولكنه ظل متماسكا نسبيا قبل عقد التفجر هذا . .

اما بعد ذلك العقد (٦٧ ـ ١٩٧٧) ، عقد الانهيار ، فقد شهدت المنطقة ـ ولازالت تشهد ـ انهيارات مستمرة ، دفعت الكثيرين ـ تحت وطأة سلبيات هذه الانهيارات ـ الى القول بأن القيم التى اعتمدها المشروع العربى هى قيم ليست صلبة بحد ذاتها وليست قادرة على بناء مشروع حضارى متميز . ونسى أو تناسى القائلون بذلك ـ بصرف النظر عن اختلاف بدائلهم ـ ان القيم هى التى تحكم وأن الممارسات هى التى تحاكم ، فانت مثلا لا تحاكم قيم الاسلام العظيمة بممارسات المسلمين في عصر ما ، ولكن تحاكم الأخيرة بالأولى ، وذلك هو منطق الأشياء .

ونسي هؤلاء أيضا أو تناسوا أن الممارسين بشر ، في مجتمع انسانى ملىء بالسلبيات الموضوعية من جهل وتخلف ، وهذا المجتمع ـ مثله مثل بقية المجتمعات ـ يشكل الخطأ الانسانى جزءا من تكوينه ، كما أن الضعف البشرى هو مكون من مكوناته .

العيب في الممارسة

☐ ولكننا قبل أن نسترسل ـ نقول : قد يكون لدى بعض المتحدثين حق في انتقادهم لممارسات المشروع العربي . فقد كانت بعض الممارسات (لا القيم) تضطر المخلصين الى سلوك أضيق الطرق لا أرحبها . كما أن المشروع العربي واجه صعوبات نظرية وتطبيقية ذاتية تتلخص في فقدان المواءمة الصحيحة بين الشعار والتطبيق ، مثلما واجه صعوبات موضوعية خارجية نتيجة ضربات المشروع المضاد .

وان أردت ضرب أمثلة على صور من القصور الذاتي نقدا للذات وتذكيرا ، فاليك بعضها :

المثال الاول : قدم المشروع الحضاري العربي فهما أقل ما يقال فيه أنه غير واضح للعلاقة بين التقدم والنهوض ، وبين التراث ـ وعلى الأخص التراث الاسلامي ، ولقد تجاوز هذا الدين ـ وربما بسبب معاركه المستمرة مع الغير ـ تجاوز أهمية اغناء الشخصية القومية ، وعنى بالحرص على تطور الفكر الاسلامي ومواءمته لظروف المرحلة . ولعل ما فرض على المشروع العربي النهضوي من تناقض بينه وبين بعض الحركات السياسية المتشبثة بالتراث قد زاد من التباعد الجماهيري ، حين تجاوز الاختلاف في الرأي ليبلغ مرحلة تصاعد العنف والعنف المضاد ، مما دفع الاطراف كلها الى تنافر لا لقاء بعده ، وأصبح هدف الجميع تصيد الهنات .

لقد غاب عن المشروع الحضاري العربي القومي ربط التوحيد الديني بالتوحيد القومي ـ كما وضحت الفكرة بعد ذلك ـ ولكن بعد تفجر المشروع القومي ، ولقد لفت انتباهنا الى ذلك مفكر اسلامي قومي هو محمد عمارة ،

عندما قال (لو تخيل المرء أن كل أمة من الأمم العريقة ذات الحضارة المتميزة قد (سكّت) لحضارتها عملة تميزها ، لكانت العملة التي تميز حضارتنا مزدانة برمز التوحيد على وجهيها ، التوحيد الديني على وجه والتوحيد القومي على الوجه الآخر) .

لقد غاب عن المشروع العربي الحضاري تمثل هذه الفكرة قبل عقد الانفجار ، وعندما حدث الانفجار أو التفجير تعالت نغمة العداء للعروبة على أنها معادية للتراث ، وانفتح المجال واسعا للعبث بقلوب وعقول الناشئة ، على أن هناك تناقض حقيقي وواقعي بين الاثنين ، والحقيقة غير ذلك .

والمثال الثاني : في فقدان المواءمة بين الشعار والتطبيق . . ومعالجة فكرتي « الوحدة » « والاشتراكية » .

لقد قدمت الوحدة على أنةتحقيقها بحد ذاته فيه المنعة والتقدم . . قدمت خالية من السلبيات ، قادرة على ايجاد الحلول السريعة والناجحة لكل المشكلات التي يواجهها المواطن العربي ، وكان بعد أن تحققت بعض أمثلتها أن وجد الجميع انها تحتاج الى ثمن ليس بالهين أو اليسير ، وأنها ليست بدون أعداء وأنها تحتاج الى نضال مع النفس طويل حتى ترجح كفة الايجابيات على السلبيات . كما نظر الى فكرة الاشتراكية من مفهوم وزاوية ضيقة . نظر اليها أو قدمت على أنها « عدالة في التوزيع » توزيع الثروة وتوزيع الدخول ، وأن كان ذلك ميسورا في بعض الاقطار فهو صعب التحقيق في أقطار أخرى .

لقد جري التشديد على فكرة « التوزيع » وغابت فكرة «الانتاج » بما يعنيهالانتاج من قدرات علمية وفنية وتنظيمية ، فيها يكمن التحدي الحقيقي .

وقد نضيف أمثلة أخرى تصب كلها في اطار الممارسة ، ولكنها لا تضير أو تؤثر في صلابة قيم المشروع العربي النهضوي القومي ، ولا في مصداقيته .

ومهما كثرت وتعددت سلبيات الممارسة ، فان تفجر المشروع العربي الحضاري النهضوي بين ٦٧ ـ ١٩٧٧ كان نتيجة بلغت من السوء حدا لايحلم به حتى الأعداء ، فقد تحول النظام العربي الاقليمي من نظام اندماجي له قاعدة اقليمية وأهداف حضارية محددة الى نظام مجزأ ، وبدت الكتلة العربية متناثرة ، تتغير تحالفاتها ، وبالتالي تتغير أحجام الكتل الصغيرة المكونة لها ، ولكنها تبقى دائما كتلا متضاربة متنافرة .

وتمزقت الهوية العربية وأصبحت هلامية على أقل تقدير ، وافتقدت توازنها الذي بني على مدى سنوات طوال ، وظهرت على السطح أسئلة قديمة مفعمة بالشك والحيرة ، ظن الكثيرون أن اجاباتها قد عرفت وعفا عليها الزمن . . أسئلة . . من مثل هذه الأسئلة : من نحن ؟ ومن المسئول عن كل هذا ؟ أم أن فكرة الأمة العربية فكرة غير واقعية ؟ وأسئلة أخرى غيرها محيرة .

☐ كان البعض يعتقد أن هناك بديلا للمشروع الحضاري العربي القومي الوحدوي ، وتهاونت قوى عربية عديدة في الدفاع عن ذلك المشروع ، تارة

باسم القطرية ، وتارة أخرى باسم الايديولوجية ، وثالثة باسم المذهبية ، وفي معظم الأحوال كان التهاون نتيجة صراع لا طائل من ورائه .

وعندما تفجر المشروع الكامل تبين للجميع أن المنطقة كلها مستهدفة وأن شرذمتها هو الهدف .

لقد كان هناك اجماع اقليمي عربي على أن اسرائيل تشكل التهديد الرئيسي للأمن العربي ، واستطاع المشروع العربي أن يرص صفوف دول وشعوب أخرى صديقة خلف هذه الفكرة . واليوم لم يبق حتى حالة الاجماع تلك ، كما لم يبق معنا أحد على أقل تقدير ، الا وقد اعاد النظر في موقفه ، أو هو في طريقه الى ذلك .

كان المراد من المشروع العربي ـ توحيد الأمة ـ وبعد سقوطه وانفجاره تفككت الوحدات الوطنية في القطر الواحد .

لقد قال المشروع العربي الحضاري القومي أن مسألة الطائفية والقومية والمذهبية هي نتيجة مداخلات الدول الغربية في بلادنا ، ودلل على ذلك من حوادث التاريخ القريبة منها والبعيدة ، وقال بأن المجتمع العربي مجتمع تعددي ولكنه مجتمع متسامح أيضا ، وبين عشية وضحايا اذ بالفروق الرئيسية في بلادنا تصبح معزوفة الطائفية والمذهبية .

وفي ميزان الخسائر والأرباح يتضح أن ما خسرناه كعرب ـ وما نخسره ـ كثير كثير .

بعض الدروس يمكن استنباطها من تجربة السنوات القليلة المُرّة الماضية .

وأول هذه الدروس أنه قد يكون العرب اليوم أقل حماسة عاطفية للمشروع العربي القومي النهضوي مما كانوا عليه في السابق ، ولكنهم في نفس الوقت أكثر حاجة له من أي وقت مضى ، وأكثر معرفة بنتائج فقدان الحد الأدنى منه على الأقل

وثاني هذه الدروس هو أن الحوار العربي / العربي هو في النهاية الأجدى والأصلح ، لان الحرب العربية / العربية ، أو قل العداء المستحكم بين بعض العرب وبعضهم الآخر مزق ما بينهم من أواصر ، كما أن تكريس الحوار سبيل واع لحل كل الاشكالات المعلقة ، التي تظهر بين أبناء الأرض الواحدة ، أو بين أبناء الوطن الواحد ، هو نتيجة كرستها حكمة الانسانية وتجاربها الطويلة .

وثالث هذه الدروس أن بعض الشعارات المرفوعة اليوم على الساحة العربية ، التي يغلب عليها شيء من المزايدة ، ويتبناها البعض دون أن توضع على محك الاختبار ، سوف تقودنا الى نتيجة خبرناها : شعارات براقة يحتاج تحقيقها الى أكثر من الأماني والآمال .

والتفت الى صديقي وقلت : تلك هي العوامل الرئيسية المكونة لصورة الوضع العربي الحالي . . وهي بالتأكيد ليست كل العوامل .

وابتسم بهزة رأس . . ولم يجب .

محمد الرميحي

ثلاث نظرات على الصورة في الصحافة العربية

بقلم : كامل زهيرى

رغم مرور أكثر من ربع قرن على دخول الطباعة الملساء (الاوفست) الى الصحافة العربية ، فان الأستاذ كامل زهيرى يرى أن الصورة الصحفية لا تزال تتعرض للاضطهاد . وأن العين العربية تعانى من (الأمية) . ومن خلال هاتين الملاحظتين يعرض لنا مسيرة الصورة الصحفية العربية من خلال نظرات ثلاث : نقدية ، ووثائقية ، ومستقبلية .

ظلت قضية اضطهاد الصورة في اعلامنا وصحافتنا تلح علي ، فترة ليست بالقصيرة . وكنت قد أثرت نفس القضية من زاوية أخرى ، ليست بالضرورة جمالية فنية ، ولكن من زاوية اعلامية اخبارية .

ففي اجتماعات جامعة الدول العربية - وفي عدة اجتماعات بتونس والدوحة والقاهرة ، أثرت أن اعلامنا العربى في الخارج اعلام بلاغى ، يعتمد على الكلمة في عصر الصورة والسينما والتلفزيون . وكأنما هو اعلام يحدث نفسه ويتحدث عن نفسه . ويكتفي بطرب البلاغة والفصاحة وموسيقية الكلمة . وهو بذلك يكبو في ملاحقة اعلام الخصوم والاعداء .

وقد يبدو اضطهاد الصورة في اعلامنا العربى لغير المختصين أمرا طبيعيا ، لكن العجيب أن نلحظ نفس الظاهرة تعاد وتتكرر في حرب لبنان ، وعندي كتاب أخرجته عام ١٩٨٣ ، دار نشر فرنسية وعنوانه « السلام في الجليل » . وقد خرج الكتاب في ١١٠ صفحات كبيرة لستة مصورين صحفيين ، بصور بيروت عند العدوان الاسرائيلى عليها ، وبصور خروج الفلسطينيين ، وصبرا وشاتيلا

وفي هذه المشاهد الثلاثة : بيروت ، والوداع ، والمذبحة ، بلغت فصاحة ٨٢ صورة ما لم تبلغه أبلغ المقالات المكتوبة .

لكننا نلاحظ أن أغلب الصحفيين الستة من الأجانب ، وهم توشون آرال (تركى) ، وبان مورفان (فرنسي) ، وسفن ناكستراند (سويدى) ، ومارك سيمون (فرنسي أيضا) ، ورضا (ايران لاجىء في باريس) ، وبينهم صحفية عربية مصورة واحدة هي فريدة حلك الجزائرية التى تعمل في وكالة (فيما) ، وقد تمكنت هذه الصحفية العربية بما يشبه

التخصص أربعة أعوام بتكليف من وكالتها على تصوير المرأة العربية .

ان هول الحرب ، ووجعية الوداع ، وفظاعة الدمار تنطق في صور فصيحة مؤثرة . وهي تنير ـ في نفس الوقت ـ نقص التعبير بالصورة عندنا . وكان أغلب اعلامنا وعلمائنا يجلس القرفصاء ، ولا ينطلق الى أماكن الأحداث ، حتى أصبحنا نعتمد على غيرنا في أغلب الأحوال ، في تصوير أحداثنا المفجعة أو حتى السعيدة .

فلا يصل الى أجهزة البث المرئي ، أو الى مجلاتنا وصحفنا الا ما تبثه الينا الوكالات الأجنبية ، سواء في تصوير حرب الخليج أو المجاعة في افريقيا ، أو حتى أحداث السودان .

والقضية كما تبدو اذن ليست فقط ما سميته أميّة العين ، واضطهاد الصورة للتعبير ، بل في ذلك الخمول الصحفي ـ الا ما ندر ـ والتقصير عن ملاحقة الحروب والثورات والانقلابات والحرائق والزلازل والمجاعات ، أو حتى أحداث الرياضة والفنون وعالم المرأة والطفل ، وكلها لطبيعتها تنادي الصورة والمصورين .

ان التطور الهائل في التصوير الفوتوغرافي ـ خلال العقدين الأخيرين وتعدد أجهزة التصوير ، وتوسع امكانياته الحرفية ، والقفزة التكنولوجية ـ في نقل الصورة بالتليفون ، والأجهزة الخاصة بها ، وامكانية التصوير استشعارا من كل بعد ولو من الفضاء الخارجي ، تصحبه الآن ـ على الأرض ـ نقلة طباعية هائلة .

فقد أصبحت الصحافة كالصناعة الثقيلة في تمويلها وادارتها وتوزيعها ، وهي صناعة دقيقة في طباعتها واخراجها ، وانتقلت أغلب المطابع العربية الى الطباعة الملساء ، وكل ذلك فتح أوسع الأبواب للصورة الجمالية الأخاذة والصورة الصحفية المعبرة .

وقد تكاتف رجال العلوم والفنون والصناعة لتطوير طرق الطباعة ، وساهم التصوير الضوئي والكيمياء والالكترونيات والبصريات ـ وكلها مجالات علمية ومهنية ، في قفزة الطباعة ، وشهد العقدان الأخيران ـ بالذات ـ ابتكارات في الآلات الطابعة نفسها ـ بابتكار الآلات الدوارة ، التي حققت السرعة المتناهية ، وجاء تطوير صناعة الورق وصناعة الأحبار ، لتظهر الطباعة الملساء (أوفست) ، بدءا من اللوحات المتبلمرة الى اللوحات المعدنية ، ثم اللوحات المائية ، تلافيا لعيوب الطريقة الملساء ، وهي قلة عدد النسخ الناتجة من اللوح الطباعي الواحد .

وكل هذه التطورات من كافة الاتجاهات تصب نحو امكانية هائلة تتوفر الآن للصورة والطباعة المصورة ، لأننا دخلنا بحق ، ومن أوسع الأبواب ، ومما يفوق كل امكانيات الأجيال السابقة عصر الصورة أو عصر السينما والتليفزيون والصحافة المرئية . ان الصورة تغزو العين غزوا ، وهي تنتقل الى المشاهد عبر التلفزيون والفيديو في مخدعه وبيته . وتنتقل اليه وتلح عليه في الأفلام السينمائية ، ولو قارنا نصيب أي مواطن عربي في الثمانينيات من الصور التي يراها يوميا بما كان يصيب العين العربية مند ثلاثين عاما لوجدنا ما يشبه القفزة الحضارية أو التخمة الطباعية

الأدب المقروء والأدب المرئي

وحين سئل نجيب محفوظ عن رؤيته للأدب في الثمانينيات ، قال : (في المستقبل ستكون للأدب قاعدة محدودة تمثل أرفع درجات الثقافة . ففي القاعدة أدب مقروء ، وعلى القمة أدب مرئي) .

ولا يقتصر غزو الصورة للعين في العصر الحديث على مداهمة السينما والتلفزيون والفيديو للعين ، ولكن هذا الغزو ينتقل حثيثا لكل المطبوعات المقروءة . فقد كانت الكتب مثلا ، بعد الحرب ، في فرنسا تكتفي بالمشهد المطبوع بغير صورة ، وأصبحت الكتب والروايات الأدبية ، وأغلفة الكتب ، والصحافة الثقافية ، والمجلات السياسية تستخدم الصورة العادية ، والملونة المعبرة .

وقد اضطرت التايمز اللندنية الى تغيير صفحتها الأولى التقليدية ، بعد أن ظلت ما يقرب من ١٨٠ عاما تحافظ عليها ، وتتشبث بها ، وتكتفي بصب الاعلانات المبوبة عليها ، على غرار صفحتها الاولى عام ١٧٨٥ ، واذا بها تستحدث الآن اخراجا

جديدا ، بطباعة حديثة لتستخدم الصورة الخبرية التى تحتل مكانا بارزا يعبر عن حدث اليوم .

كما اضطرت جريدة أخرى ، لا تقل وقارا ، عن التايمز اللندنية وهي جريدة ليموند ، التى ظلت تعتمد على المشهد المكتوب والمطبوع والمقروء ، فادخلت في ملحقين لها كل أسبوع الرسم والصورة ، وكان هذا التعديل على استحياء ، ولكنه مثيرا لجزع ادارتها ، حتى أنها استفتت قراءها في العدد (١٥ يونيو ١٩٨٤) لتعرف رأى قرائها القدامى الذين تواصلوا في قراءتها أكثر من خمسة أعوام ، وقرائها الجدد .

ان تقنية الطباعة ، وتطور الصورة يفرض تطورا هائلا في التحرير وادارة التحرير ، ولا تستطيع الصحافة العربية النجاة منه ، للأسباب العديدة والمؤثرات العنيفة على الصحافة والقارىء معا ، حتى أننا نجد أن كل المطبوعات العربية التى انشئت حديثا ـ وخلال العقد الأخير أصبحت تعتمد على الطباعة الملساء ، مما يفرض تغيرا في النظرة والادارة والاخراج الفنى .

ومهما تنوعت الأساليب ، ومدارس الاخراج ، فان الصورة تغزو صحافتنا الجديدة الناشئة ، وتطرق صحافتنا القديمة نتيجة هذا العصر الذى نعيش فيه : عصر الصورة والأدب المرئى ، ورؤية الحياة بالألوان .

النظرة الثانية

نظرة الى الماضى

سبقت الطباعة الصحافة في الوطن العربى ، وسبق المشهد المكتوب ظهور الصورة ، وكان اخراج الصحف العربية الاولى يشبه اخراج الكتب تماما . ولم تتعد الرسوم المحفورة على الخشب رأس الصفحة الاولى كما يتضح من المجموعات الاولى للوقائع المصرية والأهرام والوطن وغيرها .

وأول صورة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية نشرتها جريدة الأهرام ، كانت صورة لفرديناند دى لسبس ومعه طفلته ، في ٤ مايو ١٨٨١ ، منذ أكثر من مائة عام ، وقد شغلت الصورة نحو ربع مساحة الصفحة على اليمين ، وطبعت من لوحة خشبية ، وبلغت درجة واضحة من الغاية والاتقان . ولم تظهر الصور مع مواد التحرير الا بعد بداية القرن الحالى ببضع سنوات . وكما كان لطفى السيد مفكرا مجددا ، فقد جدد أيضا في صحيفته الجريدة (١٩٠٧) ، فكانت الجريدة أول صحيفة تستخدم صورا فوتوغرافية للأشخاص ، والاماكن مع الأخبار والحوادث الهامة ، وظهرت أول صورة في جريدة لطفى السيد في ٢٨ يوليو ١٩٠٨ لمدحت باشا زعيم الاصلاح الدستورى في تركيا .

انشىء بالاهرام قسم خاص لطبع الصور عام ١٩٢٦ وكان ادخال التصوير بالفلاش الى التصوير الليلى دافعا لنشر اللقاءات والمؤتمرات والحفلات العامة ، واحتلت الصورة الصفحة الأولى .

وقد بدأت الاهرام بنشر صور الشخصيات ، أما صور الأحداث (الصورة الخبرية) فقد نشرتها بعد شهرين ، وكانت لمشهد في مقابر اللاتين بالقاهرة ، يوم الاحتفال بذكرى النصر في الحرب العالمية الاولى .

وكانت الاهرام تنشر صور الاشخاص والحوادث ، كل صورة منفصلة عن الأخرى حتى رأت آخر الأمر أن هناك أحيانا صلة بين الشخص والحوادث ، فكانت تضع صورة الشخص في ركن من صورة الحادث . وبذلك تحلو فكرة واضحة لما كتب عن ذلك الموضوع ، وتدخر في الوقت نفسه مكانا يخصص لغرض آخر ، واذا كانت صور الأشخاص والحوادث الفوتوغرافية أولى الصور التى نشرت فيها ، فسرعان ما اقترنت بصور كاريكاتيرية لشخصيات وأحداث . وكانت أول صورة من هذا النوع لمرقص باشا ، بريشة الرسام كيم **Kem**، وقد نشرتها الأهرام بمناسبة معرض كيم للصور الهزلية في القاهرة (الاهرام ـ أول مارس ١٩٢٧) .

وكان هذا التجديد بدعا بديعا ، أخذت الصحف الأخرى تقفو على أثرها ، وبقيت الصور التى تظهر في الأهرام صوراً أخذت في وضح النهار ، أما التصوير الليلى فلم يظهر الا بعد سنوات ، حين خرجت الأهرام بأربع صور التقطت بآلة تصوير دقيقة في أثناء الليل في احدى الحفلات التى أقامها رئيس الوزراء



المصري في المفوضية المصرية بلندن . وتمكن مراسل الأهرام من الحصول عليها ـ كما تقول الأهرام ـ بعد بذل « جهد كبير » وذكرت أنها أول صورة من نوعها تنشر في القطر المصري ، بل العالم ما عدا انجلترا ، (الأهرام ٩ اغسطس ١٩٢٧) ، وكانت معظم صور الأهرام تطبع على صفحتها الاولى . وبقيت تحافظ على هذا التقليد ، ثم خضعت الصفحة الأخيرة للصور (الاهرام ١٠ يناير ١٩٣١) والتي لم تخل صفحاتها الكثيرة من صور متناثرة هنا وهناك ، وجددت الاهرام بنشر الأحاديث مع كبار الشخصيات ـ على غرار الصحف الأوروبية ـ وكان يحلو لها نشر حديث الكبير مع نشر صورة أو صورتين مناسبتين . وكان أول الاحاديث المصورة ذلك الحديث الذي أدلى به مندوبها الشاعر طاغور ، فور وصوله لميناء الاسكندرية (الاهرام ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦) ثم زاد استخدام الصورة وتوظيفها ، فلم تعد تنشر موضوعا صحفيا دون رسم أو صورة ، وبذلك وضعت الأساس للتحقيق الصحفي المصور في مصر .

وقفة مع المصور

ولست هنا بحال الأفاضة في الحديث عن تطور الصحافة المصرية في أعقاب ثورة ١٩ ودستور ١٩٢٣ ، ولكنني أظن أن هذه الثورة وذلك الدستور قد أفسحا المجال لقاريء من نوع جديد ، هو القاريء المواطن الذي أصبح يرى أنه يحق له المشاركة في التعرف على أحوال بلده ، وطريقة حكمها ، وأخبار ساستها ، وشخصياتها .

وفي ظني أن ذلك التطور الدستوري الهام صحبه تطور صحفي لا يقل أهمية ، فقد كان محمد التابعي هو الجد الأكبر للمدرسة الصحفية الحديثة ، وقد خلص التابعي أسلوب الكتابة الصحفية من المحسنات اللفظية ، والتعابير الأدبية العويصة ، وبسط اللغة الصحفية ، ودفع ايقاعها ، فجاءت على هوى ذلك القاريء الجديد ، وهو القاريء المواطن الذي قد لا يصل تعليمه الى الجامعة ، ويستكمل ثقافته العامة من الصحافة .

وقد تفرع عن مدرسة التابعي مدرستان هما : مدرسة روز اليوسف واحسان عبدالقدوس وأكثرها فن ، ومدرسة الاخبار ، ومصطفى أمين وأكثرها خبر . ولكن مدرسة هامة في الصحافة ، ظهرت في نفس الوقت الذي ظهرت فيه روز اليوسف (١٩٢٤) هي مدرسة دار الهلال . وكانت الهلال قد ظهرت ثقافية رصينة عام ١٨٩٢ وكسبت الهلال سمعة لاصحابها ودويا في مصر وأنحاء الوطن

العربي ، مما دفع أصحابها أميل وشكري زيدان ، وعيونهما على تطور الطباعة والتصوير الفوتوغرافي ، وتلك التجارب الرائدة في الصحف المصورة ، وأهمها اللطائف المصورة ، فأصدرا العدد الأول من مجلة المصور في ٢٤ أكتوبر ١٩٢٤ .

وقال صاحبا المجلة في عددها الأول ما يلي

« هـا مجلة أصدرناها لنسليك ونبهجك ، ونتحدث اليك حديث صديق يقتطف من كل بستان زهرة ، ومن كل شجرة ثمرة .

وبتحليل الأعداد الاولى من السنة الاولى ـ ولا بد من التوقف قليلا عندها ـ نجد أن الغلاف الاول عليه صورة بكامل الصفحة للملك فؤاد ، وصورة الغلاف الأخير لتمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار (الذي كان يجري نصبه في ميدان محطة مصر ـ رمسيس الان)

ونجد على غلاف العدد الثاني صورة سعد باشا زغلول ، تصوير المصور زلمان ، وفي الصفحة الرابعة موضوعا « مصورا » عن الحرب في مراكش وقائده زعيم الريف ـ عبدالكريم الخطابي ـ (وبهذه المناسبة نشرنا هنا هاتين الصورتين كما تقول المجلة)

وينتهي هذا العدد بصورة الغلاف الأخير ، وهي صورة سعد زغلول يحيي الجمهور

ونستطيع القول باطمئنان أن المصور منذ انشائه كان يعتني بطباعة الروتوغرافور عناية خاصة ، وأنه كان من أوائل من خصصوا قسما للتصوير ، وكان يعتمد أيضا على شراء الصور من مصورين لهم مكاتب أو محلات ، وقد أبلغني المصور محمد يوسف أول مصور صحفي مصري بدأ في جريدة روز اليوسف اليومية ١٩٣٦ ، ثم اشتغل في دار الهلال أنه كان يبيع صوره قبل احترافه الصورة للاهرام بـ ١٥ قرشاً ، ولدار الهلال بـ ١٠ قروش .

ونلاحظ الى جانب الاهتمام بالمرأة والفن اهتماما بالاولاد (العدد ٢٣) ، مما كان بذرة لمجلات أخرى مصورة ، صدرت عن دار الهلال ، وهي حواء للمرأة ، والكواكب للفن ، وميكي وسمير للاطفال .

وقد تجمع في دار الهلال أكبر أرشيف عربي للصور التاريخية ، والفنية ، والسياسية ، كما أصبحت دار الهلال مدرسة المصورين الصحفيين المحترمين ، وأذكر أني وجدت كنزا من صور الأدباء من أوائل القرن ، وصور ثورة ١٩١٩ ، وحفر قناة السويس وآلاف الصور التي تسجل لحظة هامة في التاريخ . واستعنت بعديد من الصور القديمة لشوقي والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم في اعداد مجلة الهلال الخاصة التي أخرجتها ما بين عام ٦٧ و ٦٩ للأدباء الأربعة الكبار

وكان العقاد وطه حسين والحكيم من كتاب الهلال الدائمين على اختلاف عهوده ، وكان العقاد يحضر الى استديو المصور محمد صبري للتصوير ، وكان محمد صبري يذهب لطه حسين ، وقد ذهبنا معا لالتقاط صور حديثة لتوفيق الحكيم في حديقة المجلس الاعلى للثقافة ، لاختيارها غلافا ولكن عشرات من صور هؤلاء الادباء أعانتني على الاختيار في الاعداد الخاصة ، وفي العدد الماسي بمناسبة مرور ٧٥ عاما على مجلة الهلال (سنة ١٩٦٧)

يقول محمد صبري ، انه بدأ هاوياً ، ولم يكن التصوير يدرس في الاربعينيات أي دراسة اكاديمية ، ولم يظهر معهد السينما ، ولم يبدأ قسم التصوير الفوتوغرافي في كلية الفنون التطبيقية الا بعد الثورة ، وهم يدرسون الكاميرا الثابتة والمتحركة ، ولكن أغلبهم اتجه الى التلفزيون

واذا كانت دار الهلال ـ قد أصبحت مدرسة متخصصة في الصور والمصورين ، وقد بلغت المصور الستين عاما ـ في أكتوبر ١٩٨٤ ـ فقد عاشت المصور الستين سنة ، نصفها قبل الثورة ، ونصفها بعدها ، وكان العدد الخاص الذي أصدرته المصور بهذه المناسبة سجلا نادرا لا يمكن أن تحويه ذاكرة واحدة . واثبت أن الصورة لها قوة خاصة ، تلخص وتسجل ، وقد تفوق أشهر المقالات وأطول التعليقات

« وليس أدل على قوة الصورة أن الصورة العسكرية خلال حرب الاستنزاف احتلت ٢٠٪ من أغلفة المصور ، وأنك تكتشف أن محاولة تجميع أول سيارة في مصر كانت في عام ١٩٣٠ ! وأنك تستطيع أن ترى بعض صفحات من الاعداد الخاصة التي تميز بها المصور ، فتكتشف أنه قدم ١٥٠ عددا خاصا في ستين عاما ، وبعضها لا يستغنى عنه قارىء شغوف أو

باحث فطين ، وقد قدم هذا العدد الخاص ما يقرب من ٣٥٠ صورة نادرة معبرة وفنية » .

اللطائف المصورة

وفي هذا المجال لا بد أن نشير الى مجلة اللطائف المصورة (العدد الاول ١٥ فبراير ١٩١٥) لصاحبها اسكندر مكاريوس ونطالع على صفحتها الاولى تحت عنوان « كلمة » :

« تصدر هذه المجلة باسم اللطائف المصورة ، فقد أخذنا لها هذا الاسم تذكارا لمجلة اللطائف التي أنشأها المرحوم شاهين مكاريوس والد كاتب هذه السطور سنة ١٨٨٦ » .

ويقع العدد الاول في ٨ صفحات ، وتهتم المجلة بالتصوير الفوتوغرافي وتعين سكرتيرا « لقلم الصور » وهو الاديب محمد أفندي العطار ، وهو صغير الشيخ العطار شيخ الجامع الأزهر . ويلعب مخرج الصحيفة بالصورة ، فنستعملها ـ لأول مرة ـ في نصف العمود ، (٤ يناير ١٩٣٧) ، ويلعب باخراج شرحها ، ونجدها في العدد ٢٣ يوليو ١٩٣٤ توجه نداء الى هواة التصوير الفوتغرافي ، وتناشدهم أن يرسلوا « صور الحوادث العمومية ، ولاسيما المفاجآت والاخبار المصورة » وتنشر في كل أسبوع صفحة كاملة من الصور المهداة من قرائها في مختلف أقطار العالم » .

وتبشر اللطائف قراءها في العدد ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، قائلة : بشرى للصحفيين . . . الاستعداد في مطبعة اللطائف المصورة التي تفتح أبوابها قريبا جدا ورشة الصور المتقنة بالزنكوغراف . ونجرى الآن تجربة طبع الصور بالاتقان المنقطع النظير ، على مكنة الروتاتيف في مطبعة اللطائف المصورة . . سواء باللون الأسود أو الألوان الثلاثة الرئيسية الأحمر والأصفر والأزرق مع الأسود .

العربي وجماليات الاستطلاع

يفرض الايجاز المستحب أن نغمض العين عن مقارنات هامة للمجلات العربية المصورة وخصوصا الجديدة منها ، وتطور الطباعة والاخراج فيها ، ولكننا نتوقف قليلا عند مجلة العربي ، باعتبارها مجلة ثقافية ، اهتمت اهتماما خاصا بالاستطلاع المصور ، وعمدت للاهتمام بالطباعة بالألوان منذ انشائها في عهد الدكتور أحمد زكي .

وفي بحثي المقدم لندوة العربي بالكويت خصصت فقرة عن الجماليات في المجلات الثقافية قائلا :

ـ والمجلات الثقافية الموسوعية تعمد بالضرورة الى تنوع وتعدد وتنسيق واتزان ، يعطيها الهارمونية الخاصة ، بل نكهتها وعطرها .

والتنوع يفيد القارىء حتى لا ترص المقالات والبحوث رصّا ، بل تتنوع أشكال عدة من « المادة » ، فهي تارة بحث رصين مركز ، وتارة باب من صفحتين ، وتارة أبواب ثابتة قصيرة مثل بريد القراء ، أو أنت تسأل ونحن نجيب ، وطرائف عربية وغربية وأقوال الصحف ، ومنتدى العربي ، ومن التراث ، وغير ذلك .

وكذلك تقطع الصورة والرسم مجرى الكلمات . فتخفف الضغط على العين . فلا يصبح الكلام زحاما مكدسا . لما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الأبواب ورشاقة المقتطفات من الرتابة حتى يتوافق الشكل مع المضمون .

. . . وآخر الجماليات هو أول كل عدد أي الغلاف ، وقد تميز الغلاف في الـ ٢٠٦ من الاعداد الاولى بكلاسيكية ثابتة . وكان الغلاف ينقسم الى ثلاثة أقسام ، منها جزءان ثابتان ، في كل عدد . ويغلب أن تكون الصورة لفتاة واحدة (على الاقل) . وهي لازمة تجارية شائعة وموروثة ، أو صورة استطلاع عن اليمن أو المغرب أو مصر . والصورة ثابتة تخلو من الدرامية والتأثير . ولكن الغلاف تحرر في عصري بهاء والرميحي . فألغيت التقسيمات الثابتة على الغلاف ، وكبرت الصورة ، وأصبحت قريبة وتفصيلية ، مما يجعلها أكثر درامية وتعبيرا . (كما زادت العناوين الفرعية وهو ما يجذب القارىء أكثر) وقد تميزت العربي بالاستطلاعات المصورة الملونة ، فاستحدثت هذا الباب بصورة جديدة ، « وتشهد العربي اذ تستهل عددها الاول بفكرة صحفية مبتكرة ، نموذجا للتحقيق المصور ، وضعته تحت عنوان « أيها العربي ، اعرف وطنك » ، ونشرت في هذا العدد خمسة « استطلاعات » تحقيقات مصورة ، واحدا عن الكويت ، وثانيا عن القاهرة بالليل ، وثالثا عن قصة ٣٢ مليون نخلة

بالعراق ، ورابعا عن القات شيطان في صورة شجرة (اليمن) ، ثم تحقيقـا عن يـوم جيش التحـريـر الجزائري » .

ونرى على طول الـ ٣٠١ عددا ، وهي ثمرة ربع قرن ، استطلاعات صحفية وبعضهـا خمسة وأقلها ثلاثة ، تتنقل بالكاميرا والقلم ما بين المشرق والمغرب والجنوب العربي ، وقد لازم هذا التخصص أعداد أحمد زكي (حتى العدد ٢٠٤) ، واستمر عند أحمد بهاء الدين (حتى العدد ٢٨٤) ، وتمسك به الرميحي الى الآن .

وفي ظني أن الاستطلاع المصور ، تحت شعار « ايها العربي اعرف وطنك » لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا . لانه أشبع حاجة القاريء العربي الشغوف الذي كان في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات يسمع حديثا مدويا وملحاً عن القومية العربية والعروبة ، وسهلت المجلة للقاريء أن يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربي ويكتشف خفاياه وأركانه، وجوانب عن الثقافة والعادات والتاريخ والمكان .

وعالم الصورة الفنية أوحتى الخبرية ، عالم نسيج له أبجدية خاصة ، وكما أن اللغة تقوم أصلا على عدد معين من الحروف ، يبلغ نحـو الثمانية والعشرين حرفا ، تتـألف منها كلمـات تضمها قـواميس هذه اللغة .

وكما أن الموسيقا تقوم أصلا على سبـع نغمات ، يؤلف منها الموسيقي ما لا سبيل الى حصره من الجمل والألحان .

كذلك ، الفن يعتمد أساسا على عناصر شكلية تتلخص في الخـطوط والسـطوح والكتـل والألـوان والأنوار والظلال . ومن هذه العناصر التي يمكن أن تضاف اليها عناصر أخرى مثل الملمس ، أي نعومة السطح أو خشـونتـه ، ومثـل شفـافيـة الألـوان أو كثافتها ، ومثـل توتـر الخطوط أو رخـاوتها ، يؤلف الفنان لغته الخاصة التي يعبر بها عما يختلج في أعماق نفسه من مشاعر معقدة ، وعواطف مركبة مبهمة .

عنصر البشر وعنصر الحجر

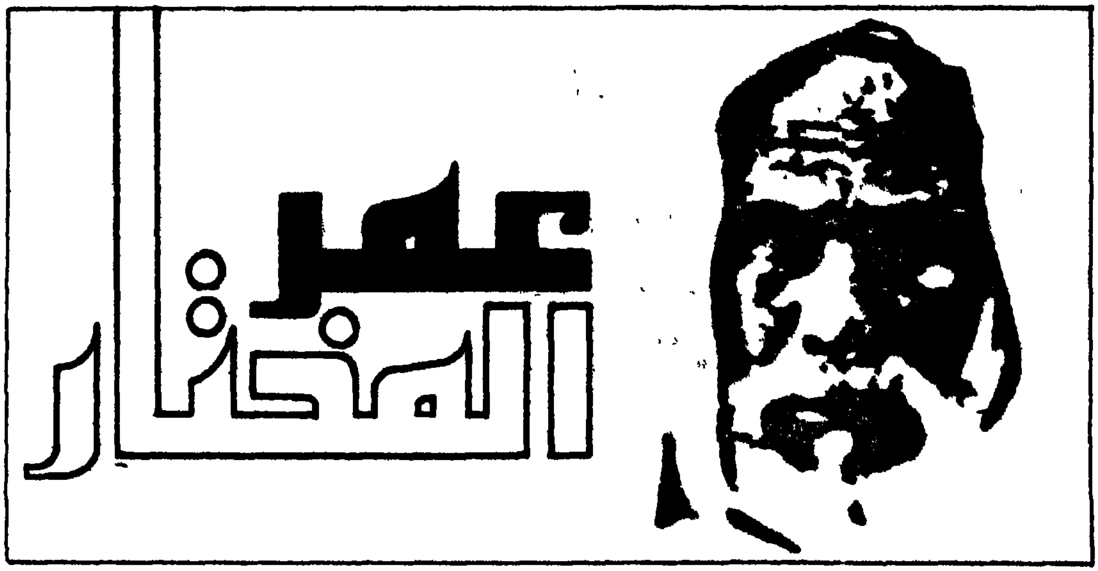
واذا كان الأمل كبيرا في نهضتنا الصحفية والطباعية علينا أن نشن حملة ماهرة لمحو أمية العين ، وتدريبها على التذوق والتمتع ببهجة اللون ، ورفع الاضطهاد عن الصورة في الصحافة ، وتوظيفها خبريا وجماليا ، فان ذلك الأمل تتوفر الآن امكانات تحقيقه . وقـد شهدنا في تاريخ الصحـافة المصـورة ، مدى العنـاء البشـري أو تخلف الأدوات ، الذى أحـاط بأجيـال الصحفيين المصورين والمهتمين بالصورة خلال العقود السابقة .

واليوم تتوفر تلك الثورة التقنية في عالم الصـورة والتصـوير ، وعـالم الطبـاعة والصحـافة ، ويحتـدم التنافس بين الأدب المرئي والأدب المقروء ، ونحس مجاعة الصورة أمام هذا الحشد الهائل من المجـلات المصورة العربية ، والصحف المطبوعة طباعة ملساء .

ان سد النقص في توفر الصورة لا تكفيه لا نهضة طباعية ، ولا استحـداث لآخر تـطورات العصر في الـطبـاعـة الملونـة ، ولا استجـلاب أحـدث الألكترونيات ، فكل ذلك وسائل في أيدي البشر . وأنا من المؤمنين أن أي نهضة صحفية لا بد أن تقوم على البشر قبل الحجر .

والعنصر البشري في تلك النهضة يقوم على ثلاثة : ١ ـ المصـور الصحفـي . ٢ ـ الصـحفـي الفنـي . ٣ ـ الطابع .

ولا بد من تحقق الحضور والغريزة والتوقع ، وليس الحضور هو مجرد التواجد في المكان ، بـل لا بد أن يكون المصور الصحفي مسلحا ببصيرة غريزية ، ولا بد أن يكون فنانا يتوفر فيه الحضور في مكان الحدث ، والغريزة التي يعرف بها متى يصور ، والتوقع ليكون دائما مستعدا لتغطية الحدث بذهنه ومعداته . ولا بد للصحفي الفني المخرج ـ وهو عملة نادرة ـ أن يتوفر فيـه الفن السريـع . لأن الصحـافـة هي الـسـرعـة والملاحقة بـل مداهمـة الأحداث ، والمصور ينقـل المرئيات ، والرسام يلخصها ، ولا بد للصحفي الفني أن يكـون صحفيـا ومصـورا ، ليلحن الصـور المطبوعة ، ويجيد العزف بالألـوان ، وليست الألوان صبغة ملونة بل هي نغمة في سلم موسيقي . وتصاب أكثر صحفنا بما أسميه المحسنـات الـطبـاعيـة ، والحشو ، والنشاز . □



شيخ الشهداء

بقلم : وهبي البوري*

ليبيا . . وعمر المختار . . اسمان تلازما منذ بداية هذا القرن ، وخصوصا في ثلاثينياته عندما أضيف اليهما اسم ثالث هو الفاشست الايطاليون . استعمار ومقاومة ، غزو ونضال ، وجهاد وكفاح . تلك هي القصة باختصار .

لكن كيف سارت معارك المختار ؟ وكيف خاض الشعب الليبي نضالاته ضد الغزاة ؟ هذا ما نجده في هذا المقال .

عندما قررت إيطاليا غزو ليبيا في اكتوبر ١٩١١ ، كان ذلك تحقيقاً لحلم راودها منذ اتمام وحدتها ، وبروزها كدولة أوروبية كبيرة ، لها الحق في نصيب من المستعمرات التي كانت الدول الأوروبية تتكالب عليها ، فجردت ايطاليا للحملة على ليبيا خمسة وثلاثين الف جندي ، مدججين بمختلف الأسلحة تساندهم الطائرات ، التي استعملت في العمليات الحربية لأول مرة في تاريخ ا حروب ، بالاضافة الى مشاركة معظم قطع الأسطول الايطالي .

وكانت معركة الهاني التي خاضها المجاهدون العرب ضد القوات الغازية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩١١ ،

* مستشار منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط .

أي بعد أيام قليلة من الانزال ، كانت مفاجأة قاسية للغرور العسكري الإيطالي ، قلبت جميع مخططات القيادة الايطالية رأساً على عقب ، والحقت بالقوات الغازية هزيمة نكراء اضطرتها الى التخلي عن مواقعها المتقدمة والاحتماء بمدافع الأسطول . وتمثل رد الفعل الايطالي في القيام بمذبحة وحشية ضد سكان المدينة العزل شملت النساء والأطفال والشيوخ ، وقد أثارت استنكار واشمئزاز الرأي العام الدولي والصحافة العالمية .

مرت المقاومة الليبية بثلاث مراحل تاريخية ، ارتبطت بالمتغيرات الايطالية والدولية ، وبالحرب العالمية الثانية ، وبتطور الأوضاع الداخلية في ليبيا : -

المرحلة الأولى امتدت من بداية الغزو الايطالي حتى التوقيع على معاهدة الصلح التركية - الايطالية عام ١٩١٢ وقد تميزت هذه المرحلة بقبوع القوات الايطالية في خنادقها على الساحل تحت حماية مدافع الأسطول .

وامتدت المرحلة الثانية من أواخر عام ١٩١٢ حتى قيام النظام الفاشي في عام ١٩٢٢ ، وتميزت بتحمل الشعب الليبي وحده مسئولية مواجهة العدوان ، بعد انسحاب القوات التركية ، معتمداً على نفسه وعلى موارده وقواته الذاتية ، وعرفت هذه الفترة أعظم انتصارات الشعب الليبي وأكبر هزائم الايطاليين في جميع انحاء ليبيا ، واضطرارهم الى التمركز في بعض المدن الساحلية طوال سنوات الحرب العالمية الأولى .

أما المرحلة الثالثة وهي أقسى فترات الجهاد الليبي ، فقد اقترنت بدايتها بقيام الفاشية في ايطاليا عام ١٩٢٢ ، وانتهت باستشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ .

نشأة عمر المختار

ولد عمر المختار بالدفنة بمنطقة البطنان في شرق ليبيا ، وتوفي والده حين كان في السادسة عشر من عمره ، فالتحق بمعهد زاوية جغبوب ، حيث درس الفقه واللغة والعلوم الدينية والتدرب على ركوب الخيل وفنون القتال لمدة ثماني سنوات . ومن المعروف انه ظل فترة أخرى بالمعهد يساعد القائمين عليه ، يلتقي بالعلماء والأساتذة الذين كانوا يتوافدون على الزاوية ، ويوطد أواصر الصداقة مع الكثير منهم ، ومع العديد من أهل العلم ورؤساء القبائل ، مما ساعده على معرفة الناس والاطلاع على أحوال بلاده وعاداتها وطباع أهلها ، وكانت هذه الفترة عاملاً هاماً في تكوين شخصية عمر المختار السياسية والاجتماعية ، وبروزه في مجتمعه كأحد الرجال المرموقين .

وعندما بدأ الغزو الايطالي لسواحل ليبيا في عام ١٩١١ ، لعب عمر المختار دوراً هاماً في التعبئة لمواجهة الغزو ، وشارك في معركة السلاوي التي دارت بالقرب من مدينة بنغازي في ١٩١٢/٣/١٢ ، التي القى الايطاليون فيها بقرابة عشرة آلاف جندي ، كما شارك برجاله في المعارك التي دارت رحاها بين الغزاة والقوات العربية التركية المتحالفة وقد ظل عمر المختار طوال فترة جهاده ضد الغزاة ، سواء في ليبيا أو في تشاد ، أميناً على مبادئه ، متشدداً في وطنيته وعدائه للمغتصب

عندما قرر عمر المختار استئناف القتال في برقة ، بعد بداية الحملة الايطالية الجديدة ، انطلق من فراغ قيادي ، وتشتت في القوى المجاهدة ، واسترخاء عام نتيجة لفترة طويلة من المفاوضات والمساومات العقيمة التي ظل عمر المختار دوماً بعيداً عنها وحذراً من نتائجها وقد شرع في تعبئة وطنية جديدة لتنظيم المقاومة والجهاد على أسس تتناسب وظروف القتال المستجدة . ولبى الجميع نداء عمر المختار والتفوا حوله ، وارتضوه رعياً وقائداً ، وأمدوه بالمال والمؤن والسلاح والرجال ، مما مكنه من شغل القوات الايطالية الضخمة لعشر سنوات ، وعدم تمكينها من الاستقرار وتحقيق أهدافها الاستيطانية والاستعمارية وسنحاول فيما يلي اعطاء فكرة موجزة عن التنظيم الذي قامت عليه المقاومة في فترة قيادة عمر المختار : -

١ - الأدوار (المعسكرات) :

أطلق على معسكرات المجاهدين منذ بداية الغزو الايطالي اسم الأدوار ، وهي المناطق الجغرافية التي تقيم فيها القبائل الثائرة ، والتي تحولت الى قواعد عسكرية ينطلق منها المجاهدون ، وتقيم فيها

أسرهم ، وتخزن فيها المؤن والسلاح . وأقام عمر المختار ثلاثة أدوار كبيرة كل منها يضم قبيلة كبيرة أو أكثر ، واختار الجبل الأخضر كقاعدة رئيسية لعملياته ، واعتمد حرب العصابات كاستراتيجية جديدة للقتال ، تعتمد على الأدوار أساساً ، وعلى بقية السكان من حيث الدعم والتمويل وتقديم المتطوعين . وجعل في كل دور (قائمقاماً) عسكرياً ، يهتم بالتجنيد والتسليح والتدريب والمراقبة ، وتقصّي أخبار العدو ، والتحرك للقتال عندما تصدر الأوامر اليه من القيادة العليا ، أو عندما يتعرض « الدور » الى هجوم مفاجيء كما جعل (قائمقاماً) مدنياً يتولى الشؤون الادارية وجمع المؤن وتخزينها وتوزيعها ، وجمع الأعشار والزكاة ، ومساعدة المحتاجين والعاجزين . ويقوم كل دور ، بقدر الامكان ، بالاعتماد على نفسه ، من حيث توفير المتطوعين والمؤن والسلاح والدفاع . ولكل دور مجلس يتألف من المشائخ والأعيان يترأسه ممثل القائد العام الذي ينظر في شؤون الدور وفض المنازعات بين القبائل والأفراد . كما يوجد « بالدور » قاض شرعي وكتاتيب لتعليم الأطفال القرآن واللغة العربية ، ويشرف على جميع الأدوار مجلس أعلى يترأسه عمر المختار ويشارك فيه كبار المجاهدين والقادة ، وهو الذي يقرر التحركات العسكرية والسياسية واستراتيجية القتال .

٢ ـ التسليح والتموين :

كان معظم الشعب الليبي قبل الغزو الايطالي مسلحاً ، وقد عملت الحكومة التركية قبيل الغزو بأيام على ارسال الباخرة درنة وعلى ظهرها شحنة من السلاح ، وقامت بتوزيعها في الحال على السكان . وترك الأتراك قبل انسحابهم من ليبيا ، بعد توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا ، معظم أسلحتهم للمجاهدين العرب ، وتدفقت أسلحة كثيرة على البلاد من مصر وتونس ، كما أن الألمان والأتراك زودوا المجاهدين بأسلحة كثيرة خلال الحرب العالمية الأولى ، بقصد الضغط على القوات البريطانية في مصر ومهاجمتها كما حدث في أواخر عام ١٩١٥ . وغنم المجاهدون أسلحة كثيرة من القوات الايطالية المهزومة خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، كما استولوا على مخازن الأسلحة الايطالية في المناطق التي انسحب منها الايطاليون

ان الظاهرة التي تميز بها الجهاد الليبي بقيادة عمر المختار هي أن المقاومة كانت تستمد قوتها وأسباب بقائها من الشعب الذي كان يساهم بدرجات متفاوتة في تمويل الثورة وتزويدها بالمقاتلين . وكانت الزكاة والأعشار تجمع في أول كل عام هجري من القبائل أما عيناً أو نقداً ، وكان سكان المدن يدفعون الزكاة نقداً . والوثائق التي جمعت في مركز دراسات الجهاد الليبي بطرابلس تبرز النظام المالي الذي كان متبعاً من محاسبة ومراجعة وتسجيل الواردات ، الأمر الذي كان يضفي على المقاومة صفة الحكومة ، أو كما كان يسميها الايطاليون « حكومة الليل » .

٣ ـ المقاتلـــون :

تضمنت الخطة التي وضعها عمر المختار بالاتفاق مع القبائل أن تتولى كل قبيلة تزويد المقاومة بالمقاتلين وفقاً لحجمها وعدد أفرادها ، وأن تتكفل بمؤنهم وملابسهم ، وتعويض من يستشهد منهم في القتال ، وكان يحصي عدد القتلى اثر كل معركة ، ويُحدد هويتهم ، ثم يطلب من قبائلهم ارسال بدلهم . وكان هذا العمل يتم بصورة سرية متفق عليها بالنسبة للقبائل الخاضعة للسلطة الايطالية ، علماً بأنه باستثناء الجبل الأخضر والجنوب الليبي اللذين يسيطر عليهما المجاهدون ، فقد كان الايطاليون يحتلون معظم المناطق والمدن والقرى الآهلة بالسكان ، وقد بثوا عيونهم وجواسيسهم في كل مكان للحيلولة دون مساعدة أفراد الشعب للمجاهدين ، سواء في برقة أو في طرابلس . وكانت نوعية الحرب التي خطط لها عمر المختار تتطلب قوات صغيرة سريعة الحركة والانقضاض ، ولذلك كان حجم القوات المقاتلة في حدود الألف رجل وان كان عددها في عام ١٩٢٤ بلغ حوالي ثلاثة آلاف مقاتل . وكان للمجاهدين نظام استخبارات يطلعهم على تحركات العدو ومخططاته ، ومراكز أمامية للمراقبة ولرصد تحركات العدو . وقد استطاع عمر المختار ورجاله من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٢٩ أن يتحركوا في جميع المناطق الداخلية .

ويرهبوا الايطاليين بهجمات وغزوات خاطفة وناجحة ، رفعت من معنوياتهم ، وشجعت الشعب على زيادة دعمهم ومساعدتهم .

المفاوضـــــــات :

توطد النظام الفاشستي في أواخر العشرينيات ، وارتفع صوت موسوليني يطالب بنصيب ايطاليا من المستعمرات ، وبحقها في تونس وسافويا ونيس ، وأخذ مركزه الدولي يزداد قوة ، وازداد تحديه لفرنسا وبريطانيا ، وباشر في القيام بسياسة نشطة في مصر والبلاد العربية الأخرى ، من منطلق اعتبار البحر الأبيض المتوسط بحيرة ايطالية ، ووضع المخططات لتوجيه الشجرة الايطالية الى ليبيا ، وخصوصا في منطقة الجبل الأخضر التي اعتقد الساسة الايطاليون أنها قد تستوعب ملايين الايطاليين ، لتغدو ليبيا امتداداً للوطن الايطالي بصفتها أرضــاً رومانيــة فـأسنـد وزارة المستعمـرات الى المـارشـال دي بونو أحد أقطاب الفاشستية الأربعة ، وعين المارشال بادوليو رئيس الأركان الايطالية العامة ، وأكبر شخصية عسكرية في ايطاليا ، حاكماً عاماً لليبيا . وكانت المهمة التي اسندت الى هذين القائدين هي سحق المقاومة الليبية بأي ثمن وبأية وسيلة ، وبدون رحمة في جميع أنحاء ليبيا الثائرة .

وبمجرد وصول بادوليو الى ليبيا وجه نداء الى المجاهدين في شرق وغرب ليبيا ، يدعوهم فيه الى السلام والتفاهم ، وهددهم بحرب ابادة اذا لم يتم السلام ، وواجه المجاهدون نداء بادوليو بسلسلة من الهجمات على المواقع الايطالية في الجبل الأخضر وفي جنوب ليبيا ، في الوقت الذي شرع فيه الموظفون الايطاليون في الاتصال برجال عمر المختار لفتح مفاوضات بين الطرفين . وقد مهدت هذه الاتصالات الى عقد لقاء بين عمر المختار والجنرال سيشلياني نائب الحاكم في برقة ، أعقبه لقاء بين عمر المختار والمارشال بادوليو بالقرب من مدينة المرج يوم ١٩٢٩/٦/١٣ ، حيث دارت المفاوضات بين الطرفين حول شروط السلام والتسوية السياسية ، .قد سأل بادوليو عمر المختار عن الداعي الى هذه لحرب المدمرة ، فأجابه عمر المختار : « لولا هذه الحروب لما كان هناك عربي يسير على أرض ليبيا » . واتفق الطرفان على عقد هدنة لمدة شهرين ، تستأنف فيها المفاوضات لايجاد تسوية تضع حداً للقتال وترضي الطرفين . وقدم بادوليو بعض الهدايا لعمر المختار وبعض رجاله ، كما أهدى عمر المختار بادوليو جواداً أصيلاً .

وكانت الهدنة في جوهرها مكيدة ، الغاية منها خلق جو من الاسترخاء بين المجاهدين والتغلغل في صفوفهم ، ومعرفة أسرارهم واستراتيجيتهم ، وقد عمل الايطاليون على انتهاك الهدنة ، ونشر عمر المختار بياناً في الصحافة المصرية يحمل ايطاليا مسؤولية استئناف القتال ونتائجه .

غراتسياني يتولى القيادة :

ونتيجة لفشل المفاوضات وعدم قبول المجاهدين لشروط ايطاليا ، اسندت الحكومة الايطالية الى الجنرال غراتسياني مهمة القضاء على المقاومة وعلى عمر المختار ، ووصل غراتسياني الى بنغازي في أواخر شهر مارس ١٩٣٠ ، تحيط به هالة من الغرور والصلف والاعتداد ، بعد أن اكتسب شهرة في الاجرام واللاانسانية في حربه الطويلة ضد المجاهدين في ليبيا الغربية ، وخصوصا في الجنوب الطرابلسي ، وبعد أن قابله موسوليني والبرلمان الايطالي مقابلة الفاتحين ، ومع ذلك فان غراتسياني لم يخف تهيبه من لقاء عمر المختار حيث كتب : « اني اتجه نحو كفاح مرير ومتاعب ، واضعاً مصيري على كفة القدر هناك في برقة » ، وفي تقاريره الأولى الى رؤسائه لم يخف عنهم « ان الثورة عامة وان كل فرد ليبي ، سواء أكان ثائراً أم خاضعاً لسلطتنا ، وسواء أكان يتقاضى راتباً منا أم لا ، يشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مقاومتنا » واقتنع غراتسياني انه كي يستطيع ان يقضي على المقاومة يجب :

١) نزع السلاح من السكان .
٢) فصل السكان عن المجاهدين فصلاً تاماً .
٣) تغيير السلاح الذي بيد الجنود .
٤) احتلال واحة الكفرة ومنع الاتصال بمصر .
٥) خلق قوات سريعة الحركة مزودة بأحدث

الأسلحة تساندها الطائرات لملاحقة المجاهدين حيثما وجدوا .

وباشر غراتسياني في نزع السلاح من السكان وقام بعد ذلك بالخطوة الثانية ، وهي ترحيل كافة سكان الجبل عن مواطنهم الى مناطق قريبة من المراكز الايطالية ، لتتسنى مراقبتهم ومنعهم من الاتصال بالمجاهدين ، أو تقديم العون لهم . وأنشأ المحكمة الطائرة ، لتتنقل من مكان الى آخر ، لمحاكمة المشتبه فيهم بتقديم المساعدة للمجاهدين ، وإعدامهم فوراً وعلناً ، وقد حكمت هذه المحكمة ، وفقاً للمصادر الايطالية ، بالاعدام على ٢٥٠ ليبيا في أقل من عام ، ونفذ فيهم الحكم فوراً وعلناً لارهاب الناس .

وقابل المجاهدون تدابير غراتسياني القمعية الارهابية بسلسلة من الهجمات المتلاحقة على مختلف المراكز الايطالية ، وألحقوا بها ضربات قاسية .

كانت جرأة المجاهدين وهجماتهم على القوات الايطالية تحدياً لغرور الفاشستيين وطعنة لكبريائهم ، الأمر الذي دفعهم الى اتخاذ قرار خطير ، وهو ترحيل جميع قبائل الجبل الأخضر والبطنان الى أماكن نائية ، وحشرهم في معتقلات محاطة بالأسلاك الشائكة ، وتحت حراسة القوات المسلحة ، وفي أقصى حالات الضنك والجوع والاذلال ، ووضع بقية السكان تحت الحراسة والرقابة ، بحيث لا يتسنى لهم الاتصال بالمجاهدين ومساعدتهم

الأسلاك الشائكة :

في سبيل أحكام الحصار على المجاهدين وقطع الامدادات والذخيرة عنهم ، قررت الحكومة الايطالية احتلال واحة الكفرة التي تقع على قرابة ألف كيلومتر الى جنوب بنغازي ، ومد الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية من البحر الأبيض الى واحة جغبوب بمسافة ٢٨٠ كيلومتراً تقريباً .

وشرعت السلطات العسكرية الايطالية في نفس الوقت في عملية مد الأسلاك الشائكة المكهربة على طول حدود مصر ، ودام العمل فيها أكثر من ستة أشهر ، وكلفت الخزينة الايطالية ثمانية عشر مليون ليرة بقيمة ذلك الوقت .



عمر المختار أسيراً ،
أسد الصحراء في قبضة الفاشست

التحدي الأخير :

بانتهاء الايطاليين من مد الأسلاك الشائكة على الحدود الليبية المصرية ، تم احكام عزل عمر المختار ورجاله ، وتفريغ الجبل الأخضر من السكان والحيوانات ، وتحويله الى ساحة للمعارك المتواصلة بين القوات الايطالية التي كان عددها يزيد على ١٣ الف رجل ، مزودين بالأسلحة الحديثة والطائرات ، وبين بضعة مئات من الرجال تتناقص مؤنهم وذخيرتهم وعددهم ، وان كان يتضاعف ايمانهم بقدسية نضالهم ، وتتزايد فيهم روح التضحية والفداء ، ومواصلة الكفاح حتى الموت . واشتد الحال بهم لدرجة أنهم كانوا لا يستطيعون البقاء في مكان واحد أكثر من بضع ساعات ، ولا يمر يوم دون صدام مسلح مع قوات العدو ، وتعذر عليهم

الحصول على القوت الضروري لسد الرمق .

ومع ذلك لم ييأس عمر المختار . وقد اعترض الايطاليون يوم ١٩٣١/٨/٢٥ ، أي قبل اسبوعين من أسر عمر المختار ، قافلة تحاول الوصول الى مصر ، وعثروا معها على رسائل من عمر المختار موجهة الى أمراء مصريين ، وشخصيات عربية ومصرية يطلب منهم المساعدة والعون لمواصلة الكفاح .

النهايـــــة :

وتسربت أنباء المأساة التي يعيشها الشعب الليبي الى الخارج ، واتخذت بعداً دولياً ، وتناولت الصحافة العالمية والعربية جرائم الفاشست في ليبيا بالنقد والتعليق وتعاطف العالم العربي مع الشعب الليبي في محنته . وأدركت ايطاليا تأثير ردود الفعل هذه على سياستها الدولية ومطامعها التغلغلية في البلدان العربية . وحاولت وزارة الخارجية الايطالية تلمس طرق أخرى غير عسكرية لحل القضية الليبية الا أن القدر شاء أن يسقط البطل أسيراً يوم ١٩٣١/٩/١١ ، في معركة أصيب فيها وسقط من على جواده وكانت آخر معاركه . لم يعرف بالضبط نص الحديث الذي دار بين عمر المختار وغراتسياني ، الا أن هذا الأخير نشر بعض ما دار بينه وبين عمر المختار ، وهو تمسك البطل بشرعية قتاله من أجل حرية وطنه ومن أجل دينه ، وتحمله مسؤولية كل ما حدث في الحرب ، ورفضه لدعوة رفقائه الى الاستسلام لأنهم : « أقسموا على الموت واحداً تلو الآخر دون أن يلقوا السلاح » .

وعمت ايطاليا موجة من الفرح لأسر عمر المختار ، وأعطى غراتسياني حجماً لانتصاره بالاشادة بعظمة خصمه فكتب يقول : « هذا الرجل ، أسطورة الزمان ، الذي نجا آلاف المرات من الموت والأسر ، والذي اشتهر لدى الجنود بالقداسة والاحترام ، الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في برقة ، والقائد الذي نظم القتال ، لسنوات كثيرة ، بصبر ومهارة لا مثيل لهما ، وقع الآن أسيراً بأيدينا » .

خاض عمر المختار ورفاقه ٧٤ معركة كبيرة ضد الايطاليين و ٢٧٠ صداماً مسلحاً ، والحق بالقوات الايطالية هزائم كثيرة في وقائع معروفة ، وتغير خلال فترة مقاومته خمسة ولاة ايطاليين في برقة ، واستطاع أن يؤخر مشاريع ايطاليا الاستيطانية في ليبيا ، ويفسد جميع مخططاتها في هذا الخصوص . وقام الطيران الايطالي منذ بداية الاحتلال بدور فعال في القتال ضد المجاهدين الذين كانوا لا يملكون غير البندقية ، وقد ألقت الطائرات على المجاهدين في برقة في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٢٩ و مايو ١٩٣٠ ما يقدر بـ ٤٣,٥٠٠ طن من القنابل ، وحلقت الطائرات في سماء المعارك ، في نفس الفترة ، ١٦٠٥ ساعات ، ولا يعرف كم طناً من القنابل كانت معبأة بالغازات .

وفي يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١ ، جندت السلطات الايطالية سياراتها وقطاراتها لتنقل الى منطقة سلوق في جنوب بنغازي ، أكثر من عشرين ألف عربي ، جلهم من المعتقلين ، لمشاهدة تنفيذ الاعدام في زعيمهم وقائدهم . وكان مظهراً ينم على ما وصل اليه الفاشيون في تلك الفترة من انحدار في القيم والأخلاق ، وابتعاد عن مفاهيم حضارة القرن العشرين . وصعد عمر المختار الى المشنقة بثبات ورباطة جأش ، رغم شيخوخته وجروحه ، مرفوع الرأس غير هياب ، وأسلم روحه الطاهرة الى بارئها في صباح يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ ، بعد أن أدى واجبه في الدفاع عن وطنه وعروبته ، وبعد أن رفض كل ما عرض عليه من رغد العيش والأموال .

سجل التاريخ للمختار صفحة ناصعة في تاريخ الذود عن الأوطان والفداء ، وسجل لأعدائه الخزي والعار ، فقد أعدم موسوليني المارشال دي بونو عام ١٩٤٤ رمياً بالرصاص بتهمة الخيانة ، كما وقع المارشال بادوليو على وثيقة استسلام إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وساهم في تمزيقها واحتلالها ، وعاش بقية حياته محتقراً ومهملاً . أما غراتسياني فقد انضم الى جمهورية موسوليني الصورية ، التي كونها هتلر ، وخان مليكه وبلده وقبض عليه في نهاية الحرب وسجن وأهين ومات ذليلاً محتقراً .

ودارت عجلة الزمن ، وجاء جيل من أحفاد عمر المختار ليأخذ بثأره ويطرد الفاشيين من ليبيا ، ويحاسبهم على ما اقترفت أيديهم من جرائم ضد الشعب الليبي . □

العربي - العدد ٣٢٢ - سبتمبر ١٩٨٥ م

أرقام

بقلم : محمود المراغي

عالم العقل الواعي والطفل اللقيط

إنهم ينجبون تحت العشرين . . لا يهم أن يكون ذلك شرعيا أو غير شرعي ، صحيا أو غير صحي . . المهم أن ذلك يحدث بشكل قد يخالف ما ألفناه وعرفناه في المجتمعات الزراعية والبدوية ، والأقل نموا التي يتم فيها الزواج والانجاب في سن مبكرة .

الجديد والمثير رقم نادر يحاول أن يقدم حجم الظاهرة في الدول النامية والغنية على السواء . . من خلال الزواج أو بدون زواج .

الرقم الذي يقدمه تقرير أخير للبنك الدولي تحت عنوان « حمل المراهقين » يحدد نسبة الذين يولدون في العالم من آباء وامهات في سن المراهقة بـ (١٠) - (١٥) بالمائة من المواليد على النطاق العالمي . . وفي التفاصيل تبرز أرقام أكثر اثارة :

** ففي الولايات المتحدة الامريكية ارتفعت نسبة الانجاب في سن المراهقة ، وكان (٦٦) بالمائة أى ثلثا عدد المواليد لهؤلاء المراهقين . . من أمهات غير متزوجات .

** وفي البرازيل هناك ١٦ مليون طفل هجرهم آباؤهم . . وجاءوا من علاقة غير شرعية وغير مستقرة . . وأغلبهم من آباء وأمهات في سن المراهقة .

** وفي بومباي ووفق دراسة أجريت في اوائل السبعينيات كانت هناك نسبة (١٢) بالمائة من النساء اللاتي أقدمن على الاجهاض تقل أعمارهن عن (١٨) سنة . . وتمثل نسبة غير المتزوجات منهن (٩٢) بالمائة وهي نفس النسبة تقريبا في مستشفى بلاحوس الذي اجريت عليه نفس الدراسة .

الارقام تصدم العين ، ومع ذلك فالتقرير يعترف : (الاسباب في الدول النامية لما يسمى حمل المراهقين تختلف عن الاسباب في الدول الصناعية . . فالسبب الرئيسي في المجموعة الاولى هو الزواج المبكر . . بينما السبب الأول في المجموعة الثانية هو الزواج المتأخر مع الاباحية الجنسية وانتشار قيم لا تستهجن العلاقات غير الشرعية) .

وهكذا تبدو الاسباب متناقضة ، لكن لها منطقها الذي لا يتقصاه التقرير أو يفسره .

ان الدول النامية في معظمها لم تتحول الى مجتمعات صناعية ، ولم ترتفع فيها نسبة التعليم كما ارتفعت في العالم المتقدم . . الدول النامية زراعية أو رعوية أو منتجة للمواد الأولية . . وكلها مجتمعات درجت على قبول فكرة الزواج والانجاب المبكرين . . ولعب الطفل والصبي في العديد منها دور القوة الاقتصادية المنتجة ، فهو مصدر دخل بما يقدمه من عمل . . وليس عبئااقتصاديا على اسرته كما هو الحال عند زميله الذي تربى في المدينة ، ودخل المدرسة .

أيضا وفي المجتمعات النامية التي تتغير تدريجيا لا يوجد على الأرجح تثقيف حول شؤون الاسرة والزواج والانجاب . . وعلى العكس يوجد تراث اجتماعي يشجع الزواج المبكر ويعتبر الزواج المتأخر وخصوصا للفتيات . . مشكلة اجتماعية .

صحيح أن الوضع قد بدأ يختلف ، فمع التحضر

وزحف المجتمعات الى المدينة ودخول الصناعة تدريجيا يتغير سلوك الاسرة في الدول النامية ، ويتأخر سن الزواج لاسباب اقتصادية وثقافية .. ولكن بالرغم من ذلك فمازال الأغلب الأعم (الزواج مبكرا) ، ومازال الزواج تحت العشرين للفتيان والفتيات يحقق درجة عالية من الانتشار ، ذلك بالاضافة الى مجتمعات تسمح بالعلاقات غير الشرعية ، وتنتمي ايضا لمجموعة البلاد النامة.

على العكس من ذلك تجيء الأسباب في الدول الصناعية المتقدمة ، فالزواج متأخر .. لكن عناصر القلق والتفسخ الاجتماعي ، والانحلال وعدم الاحساس بالمسؤولية ، وغياب الوازع الديني ، تلعب كلها دورا في انجاب مبكر .. بلا زواج ، وهو انجاب تحت العشرين في حالات كثيرة

أطفال أقل خطأ :

هذه الظاهرة ـ الزواج تحت العشرين ـ تترك آثارا وخيمة .. فالأطفال يأتون أقل وزنا وأقل اكتمالا ونموا .. يتعرضون للوفاة بدرجة أكبر ممن يجيئون من آباء وامهات فوق العشرين . وتسجل الأرقام ذلك فتقول إن فرصة وفاة الذين يولدون من أمهات مراهقات تزيد في الباكستان بنسبة (٥٠) بالمائة عن الذين يولدون من أمهات تتراوح أعمارهن بين العشرين والتاسعة والعشرين . نفس الشيء أثبته بحث في بيرو ، وتثبته أبحاث أخرى كثيرة ..

فاذا أضفنا لذلك أن كثيرا من حالات حمل المراهقات تنتهي بقرار اجهاض شرعي لأضفنا في نفس الوقت حقيقة أن نصف الوفيات المتعلقة بالأمومة سببها الاجهاض وهو ما تقوله دراسة أجريت في ٢٤ بلدا ناميا خلال ثماني سنوات بدأت عام (١٩٧٠) .

وتمضي سلسلة الأخطار لتشمل حرمان الأم من فرص التعليم والتوظف ولتنشر نوعا من الاجيال التي تنشأ في ظل « نصف الاسرة » لأن أحد الأبوين في حالة غياب أو فرار أو عدم مسؤولية .

امهات في الثانية عشرة :

نماذج التصدي لظاهرة انجاب المراهقين تتعدد في العالم ..

في جامايكا تم تصميم برامج تخاطب الامهات اللاتي تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والسادسة عشرة .. والهدف : اعادتهن الى المدرسة والكف عن الانجاب .

وفي بنجلاديش هناك برامج لخفض الخصوبة ، والمكافآت سندات تتراوح قيمتها بين (٨٠) و (١٢٠) دولارا ، وتأمين ضد الشيخوخة لمن يؤخر المولود الأول ثلاث سنوات بعد الزواج،أو يؤخر المولود الثاني والثالث خمس سنوات .

وبشكل عام تعتمد برامج تنظيم الاسرة عددا من الاليات لتخفيض الخصوبة وعدد السكان ومن بينها : التركيز على النساء تحت العشرين وفوق الرابعة والثلاثين .

أيضا ، وكطريقة للمواجهة بدأ العديد من البلدان النامية ـ كما هو في الدول المتقدمة ـ تطوير برامج التعليم لتقدم ثقافة اسرية وحسية ودينية تقاوم بها الانجاب تحت العشرين ، ومن هذه الدول . غانا وكوريا والمكسيك والفلبين وكينيا

السؤال . ماهو موقع الوطن العربي من هذه الظاهرة ؟

والجواب واضح فالزواج المبكر والانجاب في سن المراهقة ينحسران تدريجيا تحت عوامل المدنية والتعليم وخروج المرأة للعمل وتزايد المشاكل الاقتصادية في عدد كبير من الدول العربية

الزواج يتأخر بطبيعته .. وخطر انتشار الابناء غير الشرعيين غير قائم فالوازع الديني وجهاز القيم يلعبان دورهما في كبح جماح الشباب رغم تعقد الحياة وصعوبتها ، النفق المظلم الذي سارت فيه مجتمعات غربية لا يهدد الوطن العربي .. وهذا فارق أساسي بين ما يجري هنا وهناك . انه مقياس آخر للتقدم والتخلف .. فالمتقدمون في الصناعة والزراعة وعلوم الفضاء متخلفون في العلاقات الاجتماعية ، والدليل : أرقام دولية وليس بحثا فرديا أو انطباعا شخصيا .

انه عالم العقل الواعي .. والطفل اللقيط ، او هكذا بدت الصورة في بعض البلدان .. □

□□ تراث



الذكرى الألفيّة للنديم فهرست النديم أول موسوعة ببليوجرافية علميّة

بقلم : د. محمد حسن عبد الله

كانت تجربة النديم تجربة رائدة في فهرسة الكتب والتعريف بها لم يسبقه اليها أحد في التراث العربي كله .

ولقد جمع النديم بين الدقة والتنظيم وبين سعة الاطلاع ، فلم يكتف بتصنيف الكتب وانما قدم لكل مقالة بلمحة تعرف بالموضوع ، من حيث الأطوار وأعلام الرجال والجذور التاريخية .

وفي الذكرى الألفية لهذا الكاتب نقدم هذا البحث .

ليس بين المهتمين بالحضارة العربية وما انبثق عنها من علوم متنوعة من يجهل الأهمية الزائدة التي يحتلها كتاب الفهرست ، لمؤلفه (أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق) ، النديم ، الوراق ، البغدادي . فهذا الكتاب قد تضمن قوائم شاملة لأسماء الكتب ، والمصنفين ، في مختلف فروع المعرفة ، حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، غير أنه يضيف الى هذه الوظيفة الببليوجرافية ـ على خطرها وما تحتاج من دراية وجهد ـ وظيفة أخرى تتجاوزها ، وتحتاج الى خبرة ومعايشة ومخالطة للعلماء طويلة ، لأن النديم لم يقف عند توزيع ما انتهى اليه خبره من الكتب في مقالات وفنون على حسب الموضوع ، وانما قدم في صدر كل مقالة أو فن لمحة تاريخية تعرف بالموضوع : جذوره التاريخية ، وأطواره ، وتفريعاته ، وأهم رجاله ، ومصطلحاته . ولا يندر أن يقابل بين أكثر من رواية ، ويمحص القول ويدققه ، وأن يصدر أحكاماً على الرجال ، معتمداً على ما انتهى الى علمه ، أو من خلال درايته الخاصة بما ألّفوا ، وقد يغوص في بعض المسائل الجوهرية التي تضمنها هذا الكتاب أو ذاك ، فيحلل ، وينقد ، ويصحح النسبة ، ويربط ما بين الأول والآخر . . وبهذا كله يأخذ كتاب الفهرست مكانه بين الموسوعات

العلمية التي لا غنى عنها لكل مشتغل بالعلم ، أو راغب في توثيق المعرفة ، سواء كان التراث بغيته ، أو العصر الحاضر ، لأن الوعي بالتاريخ أساس في صواب التصور للحاضر والمستقبل .

النديم ، مولده وحياته

تتفق أقوال المؤرخين على اسم الكتاب ، فهو الفهرست ، وان عرّبها بعض المتأخرين الى : الفهرس . كما تتفق على اسم صاحبه : محمد بن اسحق ، وعلى موطنه : بغداد . ثم تختلف على السنة التي ألف فيها الكتاب ، وفيه اشارات تدل على أن ابتداء صناعته كان سنة ٣٧٧هـ ، وفي الكتاب إشارات تدل على أن مؤلفه عاش الى العقد الثاني من القرن الخامس الهجري ، مع أن مصادر أخرى قررت أنه مات أواخر القرن الرابع (٣٩٢هـ أو ٣٩٩) .

وكما يحتمل أن النديم عاش عدداً من السنين أوائل القرن الخامس ، فانه يحتمل أن الاشارات التي دلت على ذلك قد زادها النساخ في كتابه بعد وفاته . ولن يغيب عنا هنا وجه المفارقة في رجل قضى الشطر المثمر من عمره ، يوثق التواريخ ويصحح المعلومات ، ثم مات دون أن يقوم أحد بتوثيق ميلاده أو وفاته . وقد تكون لذلك أسباب ذكر بعضها في مصادر قديمة ، تمس مذهبه ، وسواء كان استنتاجنا صحيحاً أو مجرد ظن ، فاننا نتجاوز هذه النقطة الى ما هو أهم . وقد اختلف مؤرخوه حول صفة النديم ، وهل هي لاصقة به أو بأبيه ؟ ومن هنا كان شيوع تسميته بابن النديم ، وأغلب الظن أنها صفة له ناتجة عن اشتغاله بالرواية والأدب ، وكذلك الأمر في الوراق ، فهل كان الأب تاجر كتب ونشأ الفتى مهتماً بالثقافة من خلال ذلك ، أو كان هو نفسه وراقاً ؟ كلا الاحتمالين جائز ، وليس بمستبعد أن يكون وراقاً ابن وراق ! !

ومهما يكن من أمر الخلاف في الميلاد والوفاة ، فان من المؤكد أن ألف عام قد انقضت على ظهور كتاب الفهرست . ومن الصحيح أنه لم يكن رائد التوثيق البيليوجرافي اذ سبقه الفارابي ، صاحب (إحصاء العلوم) (٣٣٩هـ) والخوارزمي ، صاحب (مفاتيح العلوم) (٣٨٧هـ) ولكن هاتين المحاولتين اقتصرتا على حصر أسماء الكتب والمؤلفين حسب موضوع العلم ، ولم يتطرق أحدهما الى مادة الكتب في ذاتها ، ولا الى حياة هؤلاء المؤلفين ، وبهذا الشمول الذي اتسمت به محاولة النديم يستحق كتابه منزلة فريدة وتكون وقفتنا هذه معه بمثابة تذكير للأجيال الحديثة من الدارسين والمثقفين ، المشغولين دائماً أو غالباً بالمعاصرة والمستقبل ، وليس في هذا ما يعيب ، بل هو واجب أساسي مقدم على غيره ، ولكن بعضهم يخطيء الطريق فيلغي الاهتمام بالماضي ، وليس هذا من الصواب ، فالحضارة كيان له جذور ، والتقدم ليس نوعاً من التراكم المعرفي الكمي ، انه انتقاء وتنمية لعناصر العافية والقوة المتوارثة في أمة من الأمم ، ولن يتيسر هذا الانتقاء في غيبة الوعي بالتراث بكل نشاطاته المتشعبة .

النديم والمنهج

وكما جرى العرف على تقسيم الكتاب في أيامنا الى أبواب ، تنقسم الى فصول ، فان النديم قسم كتابه الى عشر مقالات ، تنقسم كل منها الى فنون .

وشأن ابن النديم في كل فن أن يذكر أسماء أهل هذا الفن محافظاً على التسلسل الزمني ما أمكنه ذلك ، ثم يرصد عناوين كتبهم ومقالاتهم ، ويتوقف عند المهم من بين هذه الكتب فيعرض فكرته الأساسية ، وقد يربطه الى أشباهه ، أو يرده الى أصله . وستطيع أن ندرك الشمول ، أو الموسوعية التي تحققت عبر هذه المقالات والفنون ، وسيرى من يعود الى الكتاب ليقف على تفاصيل كل فن . كيف أن بعض الفنون تكاد تنطوي على أقسام توشك أن تصير بدورها فنوناً . وبصفة عامة فان الكتاب تناول أهم الموضوعات العلمية بالتمهيد الذي قدم به لكل مقالة أو فن ، وبحصر الكتب والمصنفين الذين تناولوا هذا الموضوع ، ومع هذا تبقى لنا ملاحظتان . الأولى أن تسلسل المقالات لم يخضع لترتيب محكم ، واذا كان البدء باللغة والدين له دواعيه في نفس النديم ، وفي حكم العقل فان الكلام عن النحو ليس هو الحلقة التالية بالضرورة ، وبصفة عامة فاننا نجد مناسبة بين المقالة الأولى ، والمقالة السادسة ، ثم الخامسة ، ثم التاسعة ، ومناسبة بين المقالة الثانية ثم الرابعة عن

الشعر والشعراء ، ثم الثالثة عن الرواة . ولعل النديم ألف كتابه في شكل مقالات مستقلة حيث تهيأت له المادة ، ولم يهتم بفكرة التدرج المنطقي ، أو لعل ذلك من عمل النساخ . والملاحظة الثانية أنه اهتم بالعلوم الانسانية أكثر من اهتمامه بالعلوم العملية ، فنصيب الهندسة والرياضة والطب والصناعة أقل اذا ما قيس الى حوار المتكلمين واختلافات النحويين ، وعذر النديم في ذلك واضح ، فهو تابع لنوع النشاط التأليفي ، وهذا هو الغالب على موجة الحضارة العربية الاسلامية ، أو لنقل ان هذا ما كان يشغل المثقفين في عصر النديم وما قبله من عصور . وقد أدى هذا الاتجاه الى قصور في حصر بعض العلوم ، فلا نكاد نجد ذكراً لعلوم النبات ، أو فن الزراعة مثلاً ، أو النظم الاقتصادية ، وهي بالطبع تتجاوز ما ألف عن الخراج ، وكذلك علوم البحار والحيوان ، في حين أنه اهتم بشكل واضح بالأسماء والقصص والخرافات ، وهذا أمر يحمد له لا ريب ، ويدل على نفاذ البصيرة والوعي ، اذ كانت تلك الآداب الشعبية مستهجنة بعيدة عن الجد والاعتبار حتى مشارف القرن الحالي ، ولعل اهتمامه بها تفريع على ممارسته لها النابعة من كونه (نديماً) ، ولكن العلوم العملية التي أشرنا اليها لم تنل شيئاً من الاهتمام ، مع وجودها في غير الجزيرة العربية .

فهرسة وتوثيق

ان الجهد الأكبر في كتاب الفهرست ليس وقفاً على تقصي أسماء الكتب ومؤلفيها ومن ثم تبويبها حسب الموضوع ، انه يتجاوز ذلك الى (التوثيق) ، وهي كلمة سهلة ولكنها قد تقتضي من انسان عمره كاملاً ، وخصوصا في الزمن القديم حيث تتباعد المسافات ، ويواجه نشر الكتاب صعوبات شتى ، ويسهل التزييف والحذف والاضافة ، وتغيب المؤسسات التي تعنى بتسجيل المطبوعات . ولكن الأعمال الكبيرة تتحدى الصعاب وتتجاوز قدرة المرحلة ، وتشهد مادة الفهرست على أن كاتبه اتصل بشكل مباشر بالمصادر التي أخذ عنها ، بالسماع مباشرة من صاحب الشأن ، أو قراءة خطه في مؤلفه الأصلي ، أو تلقي رواية عن ثقة ، أو النقل عن مصدر موثق . سنجد في الكتاب مثل هذه العبارات : قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء تأليفه (ص ١٥)[1] ـ قال لي أماد الموبد (ص ١٥) ـ ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي . . . مصحفاً بخط علي (ص ٣٠) ـ قرأت بخط ابن مقلة (ص ٦٠) وعن المبرد قرأت بخط أبي الحسن الخراز (ص ٦٤) ـ قرأت بخط أبي الطيب أخي الشافعي ، قال (ص ٧١) وهكذا يتقلب بين السماع من المصدر الأصيل ، أو النقل عنه ، أو عن من له صلة مباشرة به . وقد نجد عبارات لا تدل على التحديد ، مثل . قرأت في بعض التواريخ القديمة (ص ١٧) ـ عن اليهود : سألت رجلاً من أفاضلهم (ص ٢٥)، والمعلومات الواردة بهذه الطريقة لاتمثل مركز الثقل الحقيقي في الكتاب ، فهي قليلة ، وتنتمي الى أمم بائدة أو قديمة، أما ما يتعلق بالحضارة العربية والفكر الاسلامي ، فكله محدد المصادر موثق النصوص . ولهذا نجده لا يستسلم للرأي الشائع أو المعلن ، وانما يحتكم الى معرفته الخاصة الموثقة ، فلا يتردد في إصدار تصويبات لا تجري مع ما هو معروف .

التواصل الثقافي

ومع أهمية توثيق المصادر التي اعتمد عليها النديم والتنسيق بين الموضوعات أو توزيعها على أبواب أو مقالات ، فان هذين الجانبين لا يمثلان الانحاز الوحيد في منهج كتاب الفهرست ، ويستطيع المتأمل ان يجد اضافات أخرى على جانب من الأهمية ، وهي تكاد تكون من الظاهرات التي سبق اليها النديم ، أو أبرزها أكثر من غيره ، منها :

١ ـ الاهتمام بقضية التواصل الثقافي ، أو الاستمرار ، وهو ما ندعوه في زماننا بقضية التأثير والتأثر ، وكيف يُتم الثاني عمل الأول ويفيد من تجربته ، فيقول مثلاً عن المطوق (ص ١٤٣) : له من الكتب كتاب الوزراء ، وصل به كتاب محمد بن داود بن الجراح ، وعمله الى أيام أبي القاسم الكلوذاني . أما ابن الجراح نفسه (ص ١٤٢) صاحب كتاب الورقة في أخبار الشعراء ، فمن كتبه :

كتاب الأربعة على مثال كتاب أبي همان . وكذلك ابن المراغي (ص ٩٤) وله من الكتب كتاب البهجة ، على مثال كتاب الكامل . أما الآمدي (ص ١٧٢) فقد كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب ! !

٢ ـ وكما يراعي النديم هذا الجانب في مجال الكتب فانه يبدي الاهتمام ذاته على نطاق أعظم ، فيما يتعلق بالتواصل بين الأشخاص ، فالنديم لم ينظر الى المثقف أو العالم في حدود ذاته الفردية ، بل وضعه في إطار من ثقافة العصر المكونة من مجموعة الأطر ، وقد تجاوز الانتماء الثقافي ـ ان صح التعبير ـ حدود الوقوف عند المدينة ، كما لاحظنا في البصرة والكوفة مثلاً ، الى انواع أخرى من الكتل أو الجماعات ، فيشير الى اليزيديين ، وآل وهب ، وآل طاهر ، كأسر أو عائلات تناسلت علمياً وشهر أفراد منها بنشاط معين ، كما يشير الى المدرسة العلمية المتمثلة في أستاذ كبير يتبعه تلاميذ على مدى أجيال ، والأمر يتجاوز أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة الى الرياضيين مثل ثابت بن قرة وتلاميذه (ص ٣٣٢) وجابر بن حيان (ص ٤٢١) والرازي (ص ٤٢٣) ولا يستثني الأطباء والفلاسفة والمنجمين .

٣ ـ واذا كانت مادة الفهرست تقوم أساساً على حصر وتبويب المؤلفات العربية ، فان الكتاب قد تضمن إشارات مهمة توضح جوانب غامضة في حركة التأليف وتطورها ، لا يتاح ادراكها الا لمن كان على درجة النديم من الالمام بالمصادر والخبرة في معايشة الكتب . فهو يقول مثلاً في معرض حديثه عن كتاب منسوب لعبد المطلب بن هاشم كان في خزانة المأمون (ص ٨) : (وكان الخط يشبه خط النساء) ! ! هذه ملاحظة وذات أهمية في اثبات صحة النسبة أو عدم صحتها ، وتفطن النديم لاختلاف خط الرجال بصفة عامة عن خط النساء ، في عصر لا تشيع فيه كتابات النساء ، مما يدل على ذكاء وتيقظ . وفي أخبار حماد (ص ١٠٤) يذكر أنه عاش الى سنة ست وخمسين ومائة . . . ولم نر لحماد كتاباً ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده ! ! وفي العبارة الأخيرة تحديد للفترة التي ضعف فيها الاعتماد على الرواية الشفهية وبدأ عصر التدوين . وفي مكان آخر ، وفي معرض الترجمة لمحمد بن حبيب (ص ١١٩) يذكر أن له كتاب القبائل الكبير ، جمعه للفتح بن خاقان (ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في طلحي ، نيف وعشرون جزءاً ، وكانت تنقص ، تدل على أنها من نحو أربعين جزءاً ، في كل جزء مائتا ورقة وأكثر ، ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السندي بن علي الوراق في طلحي ، نحو خمس عشرة ورقة بخط نزك) بهذه الاشارة يمكننا أن نعرف متى ـ على وجه التقريب ـ بدأ نظام وضع الفهرس لكتاب ما . والفهرس هنا هي يحصي القبائل والأيام التي ورد ذكرها في الكتاب ، كما نعرف أن هذا الجانب التنظيمي لم يكن في مبتدئه من فعل المؤلفين ، الذين كانوا يسترسلون في الاملاء على سجيتهم واختلاط معارفهم أو تداخلها أكثر من اهتمامهم بتحديد الموضوعات وخطوات عرض كل موضوع ، ولهذا جاءت هذه المحاولة ، ولعل هناك الكثير مثلها ، من فعل الوراقين .

دوافع التأليف

لقد كان النديم واسع المعرفة متنوع الاهتمامات ، وعاش في عصر مزدهر بالعلوم قد بلغ بالحضارة العربية الاسلامية أرقى ما أتيح لها أن تبلغه ، وهو القرن الرابع الهجري ، الذي سماه العلامة أحمد أمين (ظهر الاسلام) . وكما كان رواج تجارة الكتاب ، وكثرة المكتبات العامة في عواصم الأقاليم ، والخاصة في بيوت السراة والعلماء ، من الدوافع الموضوعية التي حبذت ـ لدى المؤلف ـ وضع كتاب الفهرست ، فان هناك دوافع ذاتية خاصة جعلته يقدم على المحاولة ، وتذكر بعض المصادر ، كما يتضمن كتابه نفسه أن النديم قد سمع من أهم علماء عصره مثل : الحسن بن سوار بن الخمار ، وأبي الفرج الاصبهاني ، وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط ، وأبي اسحق السيرافي ، واسماعيل الصفار ، ويونس القس . وهؤلاء جميعاً من ذوي المكانة العلمية في زمانهم ، والى الآن ، كما أنه نقل من خطوط آخرين على نفس الدرجة ، وهذا يعني الاتصال المباشر بهم . أو بمكتباتهم الخاصة ، مثل أبي

سعيد وهب بن ابراهيم ، وأبي الحسن بن الكوفي ، وأبي سهل نوبخت ، وأحمد بن الطيب . كما أنه اطلع على كتب قديمة لم يذكر اسمها ولا أسماء مؤلفيها ، تدل على أنه واسع الاطلاع ، حتى لقد ظن بعض الدارسين أنه رحل الى الصين حتى قرأ ما كتبه عنها في آخر الفهرست (ص ٤١٢ وما بعدها) ولكننا اذا اعتمدنا على هذا الدليل الوحيد فان من حقنا أن نزعم أن النديم رحل الى جميع بلدان العالم القديم ، وهذا ما لم يكن ، وانما هو حب المعرفة وسعة الاطلاع . وغاية ما نريده هنا عن الدافع الذاتي لتأليف الفهرست أن الرجل مع هذه السعة في الخبرة بالكتب وما حوت كان صاحب عقلية تنظيمية ، هي التي صرفته عن التأليف بشكله وطريقته المعهودة ، الى وضع هذا الكتاب الذي أدى في بابه خدمة حليلة غير مسبوقة وللنديم كتاب آخر أشار اليه ياقوت (معجم الأدباء حـ ١٨ ص ١٧) اسمه كتاب التشبيهات ، ولم نطلع عليه ، ولم ينوه به أحد في أي فن ، مما يعني - استنتاجا - أن الملكة الابداعية عند النديم ذات نزعة تنظيمية تهتم بالتقسيمات وترتيب المعلومات وعرض الأفكار ، أكثر من قدرتها على التحليل والابتكار .

وهذا الرأي لا يعني التهوين من منزلة النديم ، فقد أدى للثقافة العربية والاسلامية خدمة جليلة لا يستطيعها غير أولي العزم من العلماء . وتنظيم المعلومات وحصر المصادر هو بمثابة (كلمة السر) في حركة التقدم العلمي في الحضارة الحديثة ، وهو ما تتفوق به الثقافة والعلوم في البلاد المتقدمة الآن ، ومع أننا كنا أصحاب الخطوة الأولى على هذا الطريق ، تلك الخطوة الواثقة الفسيحة التي صنعها النديم وحده ، فاننا نعاني في نظام الفهرسة وتجميع المعلومات تخلفاً محزناً في عالمنا العربي لم تستطع أقسام الوثائق والمكتبات في جامعاتنا أن تفعل ازاءه شيئاً ، وأكثر جهد هذه الأقسام أن تخرج موظفي مكتبات يجلسون في انتظار القراء . ولعل (العلم) هو الذي ينقصهم ، ونعني (العلم) الذي يتجاوز المعرفة النظرية ، بأسس تنظيم مكتبة ما على نظام ديوي أو غيره . فهذا العلم الموسوعي هو الذي توفر للنديم ، ودفعه الى وضع كتابه ، ونجد في صفحاته التي تتجاوز الأربعمائة من القطع الكبير ما يؤكد علمه واستقلال رأيه ، وأنه لم يكن جامع عناوين أو منضد قوائم .

وقد أشرنا من قبل الى ملاحظته الذكية حول اختلاف خط الرجال عن خط النساء ، ويذكر في مكان آخر (ص ٨) أن العرب امتنعت عن زيادة اللغة توقيراً للقرآن ، أي أنها اكتفت بالمعجم القرآني ، وتوقفت اختياراً عن توليد الألفاظ .

وتترادف دلائل هذه الخبرة الواسعة ، مثل تعليله لأسباب تطرف ابن الروندي (ص ٢١٦) في نزعته المادية ، فهو يرجع هذا التطرف لأسباب شخصية نفسية اذ جُفي الرجل من أصحابه ، فكان هذا الجفاء سبباً في الميل الى أن يحدث صدمة للآخرين . كما رسم للحلاج صورة نادرة حقاً (ص ٢٤١) نعتقد أن شاعرنا المعاصر صلاح عبد الصبور لم يطلع عليها ، والا فنحن نرى أنها أصلح للمعالجة الدرامية من تلك الصورة التي آثرها ، مقتفيا سبيل البيوت في (جريمة قتل في الكتدرائية) ولم تكن شخصية الحلاج التاريخية تعين عليها . كما أشار الى الآثار السلبية للكبت السياسي وكيف تتولد عنه الحركات السرية ، فيقول عن الشراة (ص ٢٩٥) . هؤلاء القوم كتبهم مستورة ، قل ما وقعت ، لأن العالم تشنأهم ، وتتبعهم بالمكاره ، ولهم مصنفون ومؤلفون في الفقه والكلام . وحين يتعرض النديم للعشق والعشاق فانه يضع ثبتاً بأسماء العشاق في الجاهلية والاسلام وألف في أخبارهم كتب ، وآخر بأسماء العشاق الذين تدخل أحاديثهم في السمر (ص ٣٦٥) وهذه أول محاولة واضحة للتفرقة بين العشق التاريخي ، والعشق الفني ، ونجد كتباً كثيرة ، قبل النديم وبعده ، تخلط بين الشخصيات التاريخية ، والأخرى المخترعة ، حين تورد أخبار العشاق ونوادرهم . واذ يرجع كتاب كليلة ودمنة الى الهند فانه يشير (ص ٣٦٤) الى أنه رأى من الكتاب نسخة تضمنت زيادة بابين ! ! فهل كان هذا القول دافع ما قام به الدكتور عبد الوهاب عزام في دراسته عن كليلة ودمنة ، حين حدد فصلين أضافهما ابن المقفع ؟ !

فيه من كل فن ولون

وأخيراً نشير الى أمر نحب أن ننبه اليه ، وقد يغير الكثير من أفكارنا عن تراثنا العربي ، وهو أننا - في العادة - نقيس الماضي على الحاضر ، ونفترض ، أو

يفترض بعضنا ، أن لكل كتاب موضوعاً واحداً لا يهتم بغيره ، فيما عدا الكتب الموسوعية المعروفة بدءاً بالبيان والتبيين ، والى صبح الأعشى . وهذا ليس من الدقة في شيء ، فأكثر المؤلفين القدماء كانوا يتركون خبراتهم المتنوعة تتنفس بكثير من الحرية حتى من خلال الكتاب ذي الموضوع الواحد ، ولو قرأنا هذا الكتاب قراءة متأنية فاننا سنجد فيه ألواناً من المعارف تغني أفكارنا عن موضوعات لم يخطر ببالنا أن نجدها في مثل هذا الكتاب . وعلى سبيل المثال : لو أن القصص والأخبار القديمة قرئت قراءة اجتماعية أو سياسية ، أو اقتصادية ، فانها ستعطي صوراً وأفكاراً عن عصرها وما سبقه من العصور قد تفوق ما نجده في كتابات المؤرخين الذين وقعوا أسرى أسماء الملوك وأعمالهم وتراجم المشاهير وأفضالهم . وفي الفهرست سنجد دلالات حضارية تحتاج الى القراءة التي لا تهدف الى مجرد اكتشاف أسماء الكتب وأسماء المؤلفين . ونذكر بعضاً من هذه الدلالات ، لعلها أن تكون حافزاً لمزيد من الجهد في هذا الاتجاه .

١ - فهو يذكر في معرض حديثه عن الكتاب والنساخ أن للمصاحف كُتاباً مخصوصين بها في كل عصر (ص ٩) وبعد أن يذكر أنواع الأقلام التي يستخدمها الكتاب المختصون بكتابة الرسائل ، يقرر أن استخدام نوع معين من الأقلام (وعددها ١٢ نوعاً) تحدده شخصية من توجه اليه الرسالة .

٢ - وفي اطار الحضارات والديانات القديمة يذكر لُمعاً دالة ، فحين يذكر أشياء تتصل بعقيدة النصارى ، يقول : (على ما في أيدي النصارى في وقتنا هذا) (ص ١٤) وعن الفرس يشير الى اعتقادهم القديم بشخص جيومرث ، الذي يسمونه (الكل شاه ومعناه ملك الطين ، وهو عندهم آدم أبو البشر) (ص ١٥) وهذا يعني أن الانتماء لآدم فطري مركوز في الطبع الانساني حتى وأن اختلفت التسمية . كما يذكر أن بعض المذاهب المسيحية (ص ٢٦) حاولت أن تبتعد عن أصول الاسلام لتحمي نفسها من محاولات التقارب معه .

٣ - وللنديم إشارات دالة فيما يتعلق بالنظام التعليمي وحركة الثقافة ودوافع التأليف ، ونعرف أن نظام المعيدين ، والدرجات العلمية كان معمولاً به عند العرب ، فيقول في ترجمته للزجّاج (ص ٦٦) تلميذ المبرد : (وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه . وفي وصف مجلس الرازي سنجده لا يختلف في شيء عما يجري عليه العمل في الكليات العلمية ، وخصوصا كلية الطب وما يتبعها من مستشفيات جامعية . يقول النديم في وصف مجلس الرازي (ص ٣٥٦) : كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخرى ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فاذا كان عندهم علم ، وإلا تعداهم الى غيرهم ، فان أصابوا ، والا تكلم الرازي في ذلك) . فهذا طبق الأصل مما يجري عليه العمل ، اذ يبدأ طبيب الامتياز والا حول المريض الى النائب ، ثم ينتهي الأمر بين يدي الاستاذ في آخر المطاف .

وعن أبي زيد البلخي (ص ١٥٣) يذكر أنه كان يتلقى صلات معلومة دائمة ، أي معونات مالية من بعض القوى السياسية والاتجاهات المذهبية في زمانه ، وأنه ألف كتباً معينة قطعت عنه هذه الصلات وفي ترجمته للاسكافي (ص ٢١٣) وهو معاصر المعتصم يشير الى ذكائه النادر وفقر أسرته ، فتمسك بتعليمه جعفر بن حرب الهمداني ، ولكي يعوض الأسرة الفقيرة عن مساعدة ولدها أجرى عليهم عشرين درهماً كل شهر بدلاً من كسب الفتى وهذا ما يشبه نظام التفرغ العلمي ، وان كان (الأستاذ) هو الذي يدفع من جيبه الخاص حرصا على نبوغ التلميذ .

٤ - وعن أخلاق العلماء ومنزلتهم في شعوبهم يذكر عن ثابت بن قرة (ص ٣٣١) وهو من أشهر الرياضيين والمهندسين العرب أنه كان صيرفياً استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلاد الروم ، لأنه رآه فصيحاً ، وقد تعلم في داره فوجب حقه عليه ، فوصله بالمعتضد ! ! فتأمل حقوق التلميذ على الاستاذ في هذا الاقتباس . ويقول عن المحاملي (ص ٢٨٨) أنه توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة . . . ونودي في شوارع بغداد ! ! فنعرف أن إعلان وفاة المشاهير بالنداء في الشوارع كان معروفاً في بغداد في ذلك العصر .

في الذكرى الألفية لصدور الفهرست ، نحيي هذه المحاولة الرائدة ، وندعو الى تنميتها ، ونرجو أن نكون قد اكتشفنا وجوهاً للافادة تتجاوز الجانب البيبليوجرافي الى ما هو أكثر اتساعاً وتنوعاً . □

نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف

لها قصة !!

بقلم : شمس الدين باباخانوف*

القرآن كتاب الله المنزل ، وحجته الخالدة ، كان - ولا يزال - موضع تكريم المسلمين وحفاوتهم ، حتى تلك الدول التي لا تدخله في شئون حكمها وادارتها ، فانها لا يسعها مع مواطنيها المسلمين الا أن تخلى بينهم وبينه ، حتى يستطيعوا كما نرى هنا ان يحتفظوا بنسخة نفيسة منه ، ويحيطوها بمشاعر الاعزاز ، ويتشبثوا بتمثلها واستبقائها .

وفي هذا الموضوع نتابع قصة محفوفة بالقداسة والطرافة ، عن النسخة التي يقال انها لسيدنا عثمان - رضي الله عنه - من المصحف الشريف

من المعروف ان هناك ست نسخ من القرآن الكريم الذى جمع فى عهد عثمان رضى الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين ، وقد أرسلت خمس منها إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة والشام ، وبقيت نسخة واحدة من القرآن الكريم لدى الخليفة الذى قتل سنة ٦٥٦ ميلادية وهو يتلو بعضا من آياته فخضب دمه احدى صفحات هذا الكتاب الكريم عند الآية الخامسة « من سورة البقرة » .

ويحفظ اليوم في مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية في متحف تاريخ شعوب

---

* رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان .

الجمهورية ـ مصحف قديم كبير الحجم كتب على الرق ، وكان هذا المصحف يحفظ قديما في مدينة سمرقند في صومعة خاصة به بمدرسة « ديوان بيكى » قرب مسجد « خوجا احرار » ، الشخصية الصوفية البارزة في القرن التاسع الهجرى ، الذى خَلَفَ بهاء الدين النقشبندى . وتفيد الاحاديث المتداولة بين الناس ان هذا المصحف الذى كان يعرض على الناس في مناسبات مشهودة هو نص المصحف الذى قتل ـ في اثناء قراءته ـ الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وكان المصحف ملكا لاحفاد « خوجا احرار » حتى حلول سنة ١٨٦٩ .

ثم في منتصف سنة ١٨٦٩ اثار هذا الكتاب الكريم اهتمام موظفى روسيا القيصرية المحليين ، واتفق الجنرال ابراموف محافظ اقليم وادى زيرافشان مع شيوخ مسجد « خوجا احرار » على أن يأخذ منهم المصحف ليرسله الى طشقند . وبعد ذلك أرسل المصحف يوم ٢٧ تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٨٦٩ الى بطرسبورغ

محطات ومراحل

وفي بطرسبورغ حفظت نسخة عثمان من المصحف الشريف في قسم المخطوطات القديمة بالمكتبة الامبراطورية ، وكان أبرز العلماء المستشرقين هناك يشتغلون بدراستها ووصفها العلمي .

وفي سنة ١٩٠٥ أنجزت نسخة طبق الاصل من المصحف الشريف بجهود بعض المستشرقين ، وتم فيها بعد اصدار ٥٠ نسخة عنها ، واشترت مكتبات العالم الكبرى العديد من هذه النسخ ، وبقى عدد منها داخل ربوع الاتحاد السوفياتى ، مع العلم بأن نسختين منها تحفظان حاليا في مكتبة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

وكان المسلمون يأملون ان تعود اليهم عاجلا أو آجلا ـ نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف ، لأنها ستعود ملكا للشعب بأسره . بيد ان هذا لم يحدث الا بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، ففي يوم ٩ كانون الاول/ ديسمبر سنة ١٩١٧ اى فور انتصار ثورة اكتوبر مباشرة كتب « فلاديمير لينين » مؤسس الدولة السوفياتية الى «لوناتشارسكى » مفوض الشعب لشؤون التنوير (وزير المعارف) ما يلى .

« ورد إلى مجلس مفوضى الشعب كتابٌ من مؤتمر المسلمين الاقليمى لدائرة « بتروغراد » القومية يطلب فيه المؤتمر تلبية اماني جميع مسلمى روسيا ـ إعادة نسخة عثمان من المصحف الشريف الذى يحفظ الان في المكتبة الحكومية العامة الى المسلمين ليكون ملكا لهم » .

وقرر مجلس مفوضى الشعب فورا تسليم هذه النسخة من المصحف الشريف الى مؤتمر المسلمين . وكلف لينين لوناتشارسكى باسم مجلس مفوضى الشعب باجراء كل ما يلزم . وهكذا عاد المصحف الشريف الى أصحابه المسلمين .

وقد كتب « موسى جار الله » في صحيفة « المنبر » التى كانت تصدر في لينينغراد مايأتى : إن المصحف الشريف الذى سُلب في ظل تغاضى بعض الشيوخ والمفتين من مسجد خوجا احرار ، عاد اخيرا الى المسلمين ، واذا بقى في سمرقند فقد يسرقه الزوار والسياح جزءا جزءا » .

ونقل هذا المصحف الشريف في البداية من بتروغراد الى « أوفا » حيث كانت حينذاك الادارة الدينية لمسلمى سيبيريا والشطر الاوروبى من الاتحاد السوفياتى هى ادارة المسلمين الوحيدة في تلك الازمنة ، وبقى المصحف هناك حتى سنة ١٩٢٣ التى تقدم فيها مسلمو تركستان بطلب نقله من « أوفا » الى طشقند أو سمرقند

وقبل ذلك الحين كانت قد أُسست الجمعية الاسلامية لمسلمى منطقة طشقند وسيرداريا واقترحت الجمعية اعادة المصحف الى مكان وجوده الاصل .

فرح وبهجة الاعادة

هذا في سنة ١٩٢٤ اوفدت الجمعية الاسلامية في مدينة طشقند الى « اوفا » وفدا برئاسة ظهير الدين العلوم ، الذى كان وقتئذ مفتى تركستان ، لنقل هذا المصحف ، فنقل في عربة قطار خاصة الى طشقند ، وقام بمرافقة المصحف في طريقه شخصيات دينية بارزة من تاتاريا وبشكيريا امثال المفتى فخر الدين والشيخ عبد الله سليمان والشيخ عبد الرحمن وكثيرون غيرهم.



● نسخة المصحف التي يعتقد انها تعود للخليفة عثمان رضي الله عنه في المكتبة الرئيسية للادارة الدينية في مدينة طشقند في كازاخستان

وقام الوف المسلمين بتحية القطار الذى يُقِلُّ المصحف الشريف في طريق سيره وتحية العلماء المرافقين ، وكان فرح اهالى طشقند كبيرا جدا وتوافدوا مرارا وتكرارا ليروا الكتاب الكريم وقد ملأهم السرور بعودته اليهم .

هذا هو موجز قصة اعادة المصحف من بيتروغراد الى تركستان .

واليكم الآن بعضاً مما يفصل كيفية وصول هذا المصحف الشريف الى سمرقند ، وفي أي وقت ومن ، أين ، والى اين ترجع أسباب ذلك ؟

معروف انه بعد مرور نصف قرن فقط على نزول القرآن الكريم - كتاب المسلمين الأول - بلغ هذا الدين الحنيف ربوع تركستان ، وتركز في المدن الكبرى مثل بخارى وسمرقند علماء الدين والفقهاء والمحدثون والمفسرون الكبار .

وليس لدينا معلومات اكيدة عن كيفية وصول نسخة عثمان من المصحف الشريف الى سمرقند ، ولذا نستند في حججنا الى ماهو متداول على السنة الناس والتقاليد وبعض المصادر التاريخية ، والحجج الواردة فيها مختلفة جدا بالطبع ومع ذلك فانها تحوى شيئا من الحقيقة .

معروف انه في نهاية القرن السابع الهجرى قامت علاقات طيبة بين خانات « القبيلة الذهبية » وبين الملك الظاهر بيبرس المنحدر من آسيا الوسطى ، وهناك حكاية تفيد ان بركة خان الذى صار المسلم الاول بين احفاد جنكيز خان كان يسعى دائما الى اقامة علاقات جيدة مع ملوك مصر ، ولجأ الطرفان - وعلى نطاق واسع - الى التراسل وتبادل السفراء والهدايا . واقام هذان الملكان المسلمان العلاقات بغرض إضعاف قدرة دولة هولاكو الوثنية في ايران ، ووصلت ذات مرة الهدايا المصرية الى « القبيلة الذهبية » وكان بينها - كما يفيد النويرى - احدى نسخ عثمان من المصحف الشريف ، وفيما يتعلق بحبر النويرى هذا يشير الشيخ محمد مراد بن عبد الله الرمزة البلغارى وهو مؤلف كتاب « تلفيق الاخبار في تاريخ قازان والبلغار » الى ان الكتاب الكريم الذى اشتهر باسم

● نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف .

نسخة عثمان والذى نقل من سمرقند الى بطرسبورغ وحفظ في المكتبة الامبراطورية ، يمكن ـولا يستبعد ـ ان يكـون ذلـك المصحف هـو نفسه الـذى نقله تيمورلنك الى مدينة سمرقند بعد انتصاره على قوات توكتاميش خان وغزو مدينة سارای عام ۱۳۹۷ ، وهذا الافتراض يُعتقد أنه الأنسب ولا داعي لدحضه اذ ان داحضيه يفتقرون الى إثبات المخالفة .

اجتهادات ابن بطوطة

هذا ـ وان اسماعيل مخدوم النائب السابق لرئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان يورد في كتابه « تاريخ نسخة عثمان من المصحف الشريف في طشقند » آراء اخرى ايضا فيها يتعلق بطريقة وصول هذه النسخة الى سمرقند ، ويستند أحد هذه الآراء الى معلومات ابن بطوطة التى ترد في مؤلفه « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » حيث يقول :« في أثناء اقامتى في سورية رأيت في المسجد الاموى بدمشق مصحفا مخطوطا بحروف كوفية ، ورأيت مصحفا مماثلا في مسجد علي بن ابى طالب (عليه السلام) بمدينة الكوفة ، اما المصحف الذى رأيته في دمشق فقد احترق اثناء الحصار الذى فرضه تيمورلنك على هذه المدينة بينما نقل تيمورلنك المصحف الذى كان في البصرة الى سمرقند » .

وهذه الفكرة يميل اليها ايضا شيونين الكاتب المستشرق الروسى الذى يشير في كتابه « المصحف الكوفى » قائلا .« لقد زار ابن بطوطة مدينة البصرة قبل غزو تيمورلنك لسورية ، وبالتالى فان معلومات ابن بطوطة مقبولة تماما لا يمكن ان تبقى تحفة كنسخة عثمان من المصحف الشريف خارج اهتمام تيمورلنك باعتباره قائدا مغرورا كثيرا » .

وهكذا ، فان المعلومات الآنفة الذكر تعطى اساسا للاعتقاد ان نسخة طشقند هي من نسخ المصحف الشريف التى استنسخها الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ومن ثم وبغية المزيد من الوضوح ينبغى التذكير ان نسخ عثمان التى ارسلت الى الأمصار يومئذ لا تزال حية حتى ايامنا هذه ، وبينها نسخة طشقند وهى مخطوطة بنفس الخط ، وهذا الخط بعيد تماما عن تلك التحديثات والتعديلات التى شهدتها الكتابة الخطية العربية في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموى اى في سنوات ٨٦ ـ ٩٦ الهجرية حينما ظهرت القراءات المختلفة بسبب تكاثر أتباع الاسلام من غير العرب ، ويعتبر ذلك حجة مهمة اخرى تؤيد فكرتنا ، وهى ان نسخة طشقند يمكن اعتبارها احدى نسخ المصحف الشريف الست التى استنسخها الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

مفخرة للمسلمين

هذا ـ وان المصحف الذى يحفظ في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان حتى لو يكن احدى النسخ الست التى نسخت في عهد الخليفة عثمان بن عفان المرسلة الى مختلف الأمصار الا أنه مفخرة مسلمى اوزبكستان بل جميع مسلمى الاتحاد السوفياتى والعالم طرا ، وهو يستحق اهتماما واحتراما بالغين . وسيجد العلماء والاختصاصيون أن الحاجة ماسة الى دراسة المصحف دراسة دقيقة بغية تقديمه بكامل مهابته وقدسيته

ويحفظ هذا المصحف الآن ، كما سبق أن ذكرنا في متحف تتوافر فيه كل الظروف لحمايته من تأثيرات الزمن المهلكة . اما نسخته التى صنعت طبق الاصل فيستخدمها كثيرا قراء مكتبة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وتقع الى جانب اقدم نسخة من المصحف الشريف التي تجاوز عمرها ۱۲٦۰ سنة ، نسخ أخرى من هذا الكتاب المقدس بما فى ذلك نسخة من المصحف الشريف الذى صدر في الاتحاد السوفياتى عام ١٩٨٤ . واشير بالمناسبة الى ان الادارة الدينية خلال الثلاثين سنة الاخيرة اصدرت المصحف الشريف سبع مرات وفاءً منها بحاجة المسلمين الى هذا الكتاب ، وفضلا عن ذلك تصدر إدارتنا كتبا دينية مثل كتاب الحديث « صحيح البخارى » و « الأدب المفرد » و « الشمائل النبوية » بأقوال النبى محمد (ﷺ) وكتبا مدرسية من اجل مؤسسات التعليم الدينية والتقاويم القمرية ومجلة « المسلمون في الشرق السوفياتى » وغير ذلك من المطبوعات الدينية □

الشاذ

تأليف : ايزانغا اوخايتو
ترجمة : شوكت يوسف*

في العشية كان الجو مكفهرا وكل شيء يعد بالمطر . لكن أطل الصباح وبقيت السماء متلبدة بالغيوم دونما مطر . وكالعادة بقيت الريح تصفر فتهتز مع هبوبها دعامات الجسر .

تحت الجسر بالقرب من مستودعات الفحم في طرف اينوجو * نام جمع من الناس . كانوا مستلقين على الألواح الخشبية التي قذفتها ساقية الماء التي تفيض في موسم الامطار وتجف في بقية ايام السنة ، حمل التيار القذر الكريه الرائحة معه ، من فضلات أطعمة ، وعلب فارغة وأقذار شتى .

كان الناس مستلقين صفوفا الواحد قرب الاخر دونما حراك ، وغير متميزين في العتمة . سمعت قرقرة أحدهم ـ ذاك المضطجع على طرف الجماعة . أحسّ بالبرد قبيل حلول الفجر فاخرج يده من تحت كومة الاعطية البالية المختلفة الأشكال ، واقتلع بضع قبضات من العشب وألقاها فوق الاغطية لعله يستشعر بعض الدفء .

انبلج الصبح . انسحبت الغيوم الى الغرب كأنما تخشى اللقاء مع الشمس الساطعة .

فجأة لاح في الفراغ بين الجسر والارض ... أسود ، ثم سقط على المسكين الباحث عن ... صرخ برعب وقفز واقفا على رجليه .

ـ ماهذا ؟



... تخرج في كلية
... في المجلة الادبية
... الاولى .

* كاتب ...
* اينوجو ـ المركز ...



عشرات النائمين من رجال ونساء وأطفال فتحوا أعينهم بصعوبة وحملقوا بدهشة بالرجل الخائف حتى الموت . ألقى نظرة متفحصة على كل ماحوله باحثا عن الشيء الذي سقط وقطع عليه نومه ـ حالة النعيم تلك التي شكلت احدى المتع غير الكثيرة الباقية له .

ها . ها . . قوقعة حلزون كبيرة . اختطفها فورا والقى بها بكل قوته . ارتطمت بدعامة الجسر الخشبية فتكسرت وسمع انين الرحوية التي كانت بداخلها

ـ آدي ، ـ سمع همس صوت نسائي ـ تحرق القانون من جديد !!

ـ أعرف يامارتا ، ـ تمتم الرجل وهو يمسح عن وجهه المادة المخاطية اللزجة .

ـ سيترتب علينا دفع غرامة

ـ اخشى ان يكون ذلك .

ـ ومن اين لنا النقود ؟

ـ لا ادري .

ـ يجب أن نتدبر الامر .

كانت لدى الساكنين تحت الجسر أعراف خاصة ، وقواعد صارمة . منها أن على من يوقظ الجماعة قبل حلول النهار دفع خمسين كوبو * كغرامة . ولاتقبل بهذا الخصوص أعذار أيا كانت .

ـ لااتناول طعام الغذاء ليومين . . . وبذلك سيبقى معي ما أدفعه . ـ قال آدي باكتئاب . أمس لم أتناول طعام الغذاء ايضا . بهذا لن تسعفك رجلاك في السير طويلا . من الأفضل توفير ثمن الفطور .

ـ ثمن الفطور لايزيد عن ثلاثة كوبو . . . لابأس سآكل البرتقالات التي التقطتها قرب المقبرة . طبعا اذا لم يكن قد نبشها أحد ما

ـ شي ـ شي ـ اسكت ! همست مارتا بخوف ، علما انهما كانا يتكلمان بلغتهما الخاصة . اعتبر اتهام اعضاء الجماعة بالسرقة جريمة ايضا توجب العقاب .

ـ لايجب ان تكوني جبانة هكذا ـ قال آدي .

ـ ماعدت استطيع التحمل أكثر ! يجب اسقاط هذا الشاويش انظري كم بطانية عنده ، ويبقى علينا أن نقتسم معه كل مانحصل عليه . وبأي شيء هو أفضل مني ؟

ـ يجب أن تكون لدى شاويش الجماعة يد قوية ، أما أنت فبسيط وضعيف ـ قاطعته مارتا .

ـ ويمكن أن يحكم الانسان باللين ، بدون قسوة .

ـ مهلا . سنتحدث حول هذا فيما بعد ، اما الآن فآن أوان العمل .

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء وعدت واضحة وضوح هذا التجمع البشري المتنافر تحت الجسر . سمعت همهمات وشكوى الأطفال الجائعين الذين يرق امام نظراتهم المتوسلة حتى قلب الحجر . كانت شعورهم الشعثاء المعوشة المتدلية فوق وجوههم كالعشب الطفيلي النامي في حقل الحافر ، بينما يحكون بأيديهم الرقيقة بطونهم المحمرة من لسعات الناموس .

تلفت الجيران بلوم الى آدي . عرف الجميع انه ليس لديه مايدفعه ، بيد ان القانون السائد في هذا الوسط هو ـ « البقاء للأقوى »

طوى آدي بعناية الخرق والأعطية المهترئة وربطها بحبل . وجمعت مارتا كذلك اشياءها الاخرى . ففي كل دقيقة يمكن توقع هجوم البوليس . وتنطق تعليمات واوامر الحكومة حول مطاردة مثل هذه التجمعات بغيرة وحماسة . وفي مثل هذه الحالة غالبا مايلقى كل هذا المتاع الرخيص في الماء

ـ آدي ! مرة ثانية تحرق القانون ، ـ سمع صوت الشاويش . ادفع غرامة

ـ سقط على وجهي حلزون كبير . . كان أملس باردا . . ظننته أفعى

ـ وصرخت بأعلى صوتك ! ـ قاطعه الشاويش ـ لابأس أمهلك ثلاثة أيام . واذا لم تدفع الغرامة حتى نهاية هذه المدة امامك الجهات الاربع . أوكي ؟

ـ أوكي . . ردد آدي الكلمة بتذمر واضح

كان الشاويش قويا كالثور . ويكفي القاء نظرة على عقد عضلاته القوية حتى يدرك المرء أن رفض قرار هذا الرجل معادل للانتحار

تذكر آدي ما حدث ذات مرة حين سقطت أفعى على الشاويش . ويالهي كيف عمت الفوضى المكان ، لكن لم يتجرأ أحد على اتهامه بخرق القانون .

ـ الى متى يمكن ان يطول ذلك ؟ ـ دمدم آدي بلغته الأصلية .

ـ لاتحزن . لست مذنبا . ـ قالت زوجته مواسية

* كوبو ـ عملة معدنية صغيرة متداولة في نيجيريا .

- لكن لايريد أن يفهم فمن اين لي ان اعرف ان هذا حلزون ؟
- آدي ، يجب ان تأكل سأذهب اليوم الى محطة القطار ، أما أنت فاذهب الى المدرسة في آعوي لابد أن تصيب شيئا ما هناك
- حسن سأجرب حظي أعجبته رجولة مارتا بالنسبة لها لاتوجد معضلة بلاحل تعرف مقدما مايجب فعله التقيا منذ عدة سنوات مضت ، ومنذ ذلك الحين يعيشان معا وجد ادي في مارتا الاسناد الذي يستحق حبه . فاعتنى بها وعمل من أجل أن تبقى شبعى دوما كانت دقائق عشرتها نادرة ربطت بينهما الصداقة أكثر من العلاقة الزوجية

قطع صوت مارتا تأملاته .

- من جديد تستغرق في التفكير يا آدي من الأفضل لو تأكل البرتقال تهدىء الجوع على الاقل

نفر آدي لدى سماعه كلمة « جوع » تبخرت كل الافكار الاخرى كما الضباب تحت أشعة الشمس الحارقة قرقرت أمعاؤه وأحس بحرقة شديدة في بطنه

- لماذا لاتأكل يا آدي ؟ - سألته مارتا بقلق صمتت تماما وشحب وجهك

التقط آدي الثمرات المهترئة وراح ينزع عنها قشرتها بلهفة انغرزت أظافره القذرة الطويلة في قشرتها الرقيقة فتحولت تحت ضغط يده الى قطعة لاشكل لها ، يسيل ماؤها بين يديه راح آدي يلمس العصير الاصفر الذي سال على رسغه وحتى الكوع ، ثم دفع البرتقالة في فمه

- مارتا ، - قال وهو يمصمص فصوص البرتقال بعد تنظيفها - انتبهي في المرة القادمة لاتنشي كل ما تقع عليه يدك اختاري الأفضل .

كانت البرتقالات الساقطة إما مهترئة او ناشفة مع قشرة داكنة متشققة .

- آه لو تمكنت من الصعود الى الشجرة لقطفت أفضل البرتقال لكن حراس المقابر لايسمحون بالقفز خلف السور والدخول الى المقبرة . وماذا - يحرسون هناك ؟ قل لي ماذا يمكن أن يسرق الانسان من المقبرة ؟ عظام بالية ؟ شردت للحظة وبدت على وجهها مسحة من الحزن ثم تابعت : - اذكر انهم سحبوا ذات مرة عجوزا لانه . . .
- حسن حدثيني عن ذلك فيما بعد . دعينا الآن نذهب والا تأخرنا

نهضت مارتا وبدأت ترتدي بلوزتها القديمة الحائلة اللون دخلت اصابع يدها في ثقب بجانب الياقة . حاولت اخراجها لكن النسيج كان مهترئا فانمزقت نهائيا تأوهت المرأة بعمق

- يجب شراء ابرة اذهبي الى مشغل الخياطة وفتشي عن خيط - قال ادي
- عندما ذهبت الى هناك في المرة الماضية هجموا علي بالقضبان - نظرت مارتا بشكل عفوي الى الجرح الملتئم تحت ركبتها - صرخ في وجهي احد الصبيان وقال ان رائحتي كريهة .
- لكن لايمكن بدون خيط
- طبعا
- هل اغتسلت البارحة ؟ سألها آدي
- اي غسيل ، وفي هذه المرة لحق بي الشاويش
- مرة ثانية ، وخالط صوت ادي غضب واستياء .
- سمعت خلفي وقع خطوات لم أكد التفت حتى مسكني من اندفعت بكل قوتي ، فسقط ارضا وارتطم رأسه بالحجر اما أنا فهربت
- اذن هكذا . يريد الانتقام مني على مايبدو . .
- وهل تعتقد ان الحلزون سقط بنفسه عليك ؟
- آ . آ الامر واضح اذن كيف لم احزر بنفسي
- انتبه اكثر ، أمثاله قد يفعلون مالا يخطر على بال .
- اليس من الأفضل لو ننتقل الى مكان آخر ؟
- الى أين ؟ الى جسر اوماني ؟ سمعت ان شاويشهم اسوأ
- الى أعوي ؟ يطارد البوليس جماعتنا هناك على الدوام ام انك تريد مغادرة المدينة بوجه عام ؟
- ولم لا ؟ قضينا فترة طويلة هنا
- مارأيك ان نذهب باتجاه آبو - اقترحت مارتا
- الى آبو أو أبيري او ابنشو لافرق عندي فكري جيدا في الامر وفي المساء نقرر لنذهب الأن اصبحت الشمس حارقة .

لبس آدي بعجلة بنطاله المرقع الملطخ بالبقع المختلفة وارتدى سترة حائلة اللون بأكمام قصيرة كأنما خيطت لمن لاذراعين له كانت الازرار مقطوعة

والعروات ممطوطة حتى صارت بحجم الجيب تقريبا ، والجيوب ممزقة . انحنى ليرفع عصاه من الأرض وفجأة وضع يده على بطنه وتأوه .

ـ مارتا ، ـ وبصعوبة شد قامته لينهض . ـ حاولي أن تحصلي على صابون . يجب أن نغتسل .

ـ حسنا ، سأحاول . ـ اجابته بينما كانت خارجة .

احد ما صرخ له من الخلف . التفت آدي . لحق به كائن غريب الشكل : كتفان عريضان ـ كتفا رجل ، اما الثياب فنسائية .

ـ آ . هذا أنت يا أغبادا . ـ عرف آدي فيه رفيقا قديما . ـ الى أين ؟

ـ الى المحطة . ـ اجاب أغبادا مسرعا في الخطا . ـ ينتظرون هناك اليوم ضيفا هاما .

ـ هناك لن تكسب الكثير . ذهبت اليها منذ حوالي شهر . جلست على الرصيف طوال النهار لكن لم يلتفت إلى احد أبدا .

ضحك اغبادا :

ـ اما انا فأستلقي في العادة على ظهري وأخمص بطني . اضع بالقرب مني صحنا فيلقون لي فيه طعاما واحيانا بعض النقود . الأطفال دوما يعطون شيئا ما .

ـ الاطفال عموما أطيب من الكبار ، ـ وافقه آدي . ـ ولذا قررت اليوم الذهاب الى المدرسة . في الماضي كنت أوفق هناك . لكن بعض الأطفال مزعجون . . يضايقوننا ويسخرون منا .

ـ منذ أن صرت اطلب الصدقة لم يمر يوم دون ان أكسب شيئا .

ـ حقا ؟ اما انا فتمر اسابيع كاملة احيانا لااحصل فيها على قرش واحد .

قطب اغبادا حاجبيه مستغربا ثم قال :

ـ عدا ذلك أفكر الآن ان احشو حدبتي اكثر واعرج اكثر أيضا ، فليس من السهل اثارة شفقة الناس .

توقف اغبادا للحظة ثم اضاف :

ـ آه ، تعبت ومللت ، . . هات نتحدث حول شيء آخر . هل هذه المرأة تعيش عندنا تحت الجسر من جديد ؟

ـ تلك ذات المؤخرة السمينة ؟

ـ نعم بنفسها ـ اجاب اغبادا مبتسما وفرحا بعض الشيء .

ـ مابها ؟

ـ آدي ، انت كالطفل تماما . الم تر أن بطنها يكبر ويكبر .

ـ يمكن انها تأكل كثيرا . . الناس حظوظ ياأخي

ـ وماذا تأكل برأيك ؟

ـ ماهذا السؤال ؟ تأكل طعاما بالطبع . ـ اجاب آدي بعفوية وبساطة .

ـ طعاما ، . . الم تر كيف كانت تبكي من الجوع ؟ لقد رأيت أنا ذلك واقتسمت معها زادي .

ـ انت ؟ اعاد آدي السؤال غير مصدق الكلام .

ـ ومادا في الامر ؟ هل يجب ان تموت من الجوع برأيك ؟ أجاب أغبادابصوت عال وبنرفزة

ـ طبعا لا ، من قال ذلك ؟

ـ لا ، قل لي ماالامر غير الطبيعي في حديثي ؟

ـ سامحني بحق الله . لم أقصد شيئا .

انقطع الحديث لفترة غير قصيرة . شق على اغبادا ، على مايبدو ، هذا الصمت الطويل فانحنى على رفيقه ملقيا نظرة على هيئته .

ـ أنت معنا عن طريق المصادفة فقط واضح انك لاتصلح لمثل هذه الحياة . قال اغبادا بلهجة مشفقة .

ـ ماذا تعني ؟ سأل آدي باستغراب

ـ انت غريب عن هذه المهنة . لست متأقلما مع العمل .

ـ كلنا مخلوقون من أجل حياة أخرى ، ـ قال آدي مقاطعا . طبعا لم اصبح شحاذا باختياري كان عندي بيت فأخذه الفيضان . فيما بعد اصيبت يداي بما يشبه الشلل ـ لم اعد اقوى على العمل في الحقل . ومن الصعب علي الآن رفع الفأس .

ـ ولم يساعدك أحد ؟

ـ من سيساعد ؟ اعتقلوني ثلاث مرات بسبب التسول واتهموني بمحاولة الاعتداء على الملكية الخاصة .

ـ الامر مختلف بالنسبة لي ـ فأنا منذ الطفولة لاأحب العمل . قال اغبادا .

ـ بدأت بالحديث حول تلك المرأة ولم تكمل . مابها ؟

ـ قال آدي مقاطعا .

ـ حامل

ـ ماذا ؟ هي نفسها ليس لديها ماتأكله . فكيف ستقدر على إطعام طفل ؟

ـ الافضل ان تسأل من والده ؟

- من والده ؟
- شاويشنا
- انت متأكد ؟
- تماما
- عجبا . . . كيف ذلك ؟ ! . . .
- اسمع آدي ، لماذا ليس عندك اطفال ؟
- مارتا لاتلد .
- مابها ؟ مريضة ؟
- كلا ، لايبدو انها مريضة
- اذن قد تكون انت السبب ؟

كز آدي على اسنانه وصوب نظرة غاضبة الى زميله . آله أغادادا دونما قصد منه . ومن جديد ساد صمت محرج

- الى اللقاء مساء - واتجه اغادادا الى محطة القطار . ومشى آدي كذلك باتجاه المدرسة سار ببطء شديد . شعر بوهن في رجليه وبدوار في رأسه وغطى العرق جبهته المتغضنة .

تعثر وكاد يسقط . وجد امامه على الجسر بضع قطع من الموز ، التقطها رغم مظهرها غير المغري كانت قشورا التهم الدود والذباب مابداخلها سوى قرن واحد سليم بلعه آدي على الفور هدأ جوعه قليلا .

- ابتعد عن الطريق ، - صرخ به راكب دراجة هوائية ، قفز آدي مرعوبا الى جانب آخر فكاد يسقط تحت عجلات السيارة التي صرّت كوابحها فجأة وتوقفت . نظر السائق من النافذة الجانبية الى آدي بعينين تقدحان شرراً ، سحب بيده الغليظة السيجار من فمه وصرخ :

- أي شيطان أتى بك الى هنا ، الاتنظر امامك ؟

ارتد آدي بشكل عفوي متعدا عن السيارة فاصطدم بأحد المارة . دفعه ذلك بعنف « سامحني ياسيد » - تمتم آدي وكاد يصطدم مرة ثانية بالسيارة .

- أي سماح ؟ ابتعد من هنا قبل أن اكسر عظامك أو تحدث مصيبة - زمجر السائق بأعلى صوته .

- دعه وشأنه ، - قال الشخص الثاني الجالس قرب السائق - مسكين لايستحق أن تبصق عليه ، واذا مادهست أمثاله تتدخل الشرطة وتتذكر فوراً انه مواطن مثل الناس .

ابتعدت السيارة . مسح آدي العرق عن جبهته شعر بحرقة مؤلمة عند فوهة معدته وان رجليه لاتقويان على حمله

بدا بناء المدرسة امام سورها الخارجي ، وقرب المدخل تحت شجرة مانجا متهدلة الأغصان . أحب آدي هذا المكان منذ زمن بعيد . جلس وتنهد بعمق .

- مرحبا ياشحاذ - صاح أحد التلاميذ وقفز أمامه .
- هل لديك ماتحس به علي . . . قطعة نقود - ومد آدي يده .
- لاأعرف بعد وعدا الصبي في الاتجاه الآخر .

احد آدي نفسا عميقا . مع ذلك قد اتمكن اليوم من الافطار . اسند ظهره على الشجرة ومد رجليه . . احسّ فجأة بما يشبه وخزة الابرة في ساقه . نملة . . هي ، من جهتها ، محقة . . تحتج ضد اعتداء الانسان على ممتلكاتها . سقطت ورقة صفراء ولامست خده هبت نسمة هواء قوية وأثارت غمامة من الغبار

آلمه بطنه ، ضعف قلبه وبالكاد سمع خفقانه . لماذا لم يخرج التلاميذ حتى الان ؟ هل تغير برنامج الدروس ؟ رأى آدي بشكل غائم ، كأنما في المنام ، رتيلاء ترحف نحوه آلاف الاوراق الصفراء واليابسة تتطاير باتجاهه مع هبوب نسمات الهواء « يجب تأديب هذا السافل » - فكر آدي في نفسه .

سافل فعلا تذكر ماحدث له أمس في الليل كيف يمكن حماية مارتا من تطاول هذا الشاويش السافل ؟ لابد من اتخاذ اجراء ما و إلا .

اندفع من باب المدرسه حشد من الصبيان
- انظر ، الشحاذ نائم - قال احد التلاميذ الصغار
- ارمه بحصاة يمكن أن يستيقظ . - قال آخر
- لا ، لايجوز . الأفضل ان ترمي له قطعة خبز ألم يبق لديك شيء من رغيف البارحة ؟
- قفوا ، - تدخل تلميذ ثالث ، - انظروا الى هذه الرتيلاء التي تزحف على وجهه
- هل سيأكلها ؟
- اسكت ، غبي ، . . . انظر كيف تختلج يداه . . ياأولاد . . انه فاقد الوعي .
- قد يكون أغمي عليه من شدة الجوع . . .

سمع صوت المعلمة .

- تعالوا الى هنا ، اسرعوا ، حان وقت الدرس ، ثم ماهذا ؟ إياكم والاقتراب من أمثال هؤلاء المعتوهين .

وقادتهم المعلمة الى الصف □

عروبة المغرب العربي

بقلم : الدكتور صالح الخرفي*

عروبة المغرب العربي عروبة أصيلة خالدة ، لأن الاسلام كان ، ولم يزل ، المدخل التاريخي لها . أصّلها بقوة الروح ، وخلّدها بصلابة العقيدة ، ظلل أرضيتها بالدستور - السماوي ، وربط مقومها الأساسي بلسان عربي مبين . .

اذا أردت أن تدخل البيوت المغربية من أبوابها ، فادخلها من الاسلام وبالاسلام ، فستكشف لك العروبة في أصفى منابعها عراقة ، وأروع مواقعها بطولة ، وأسمى غاياتها انسانية

ولولا الاسلام ، لما بقيت للعروبة بقية في هذه الربوع التي ظلت على مرّ العصور هدفا للحملات الصليبية المتعاقبة ، وحسبك مائة وثلاثون عاما ، استيطانا مسعورا ، وتغريبا مسموما ، وفرنسة حاقدة .

وكما أدرك المواطن بأصالته ، أن المدخل الطبيعي لعروبته هو الاسلام ، أدرك المحتل الغاصب بدهائه ومكره ، ومع طلائعه الأولى على شواطىء شمال افريقيا ، بأن محاربة الاسلام هي المخرج الحتمي للمواطن من حضارته العربية الاسلامية الى الحضارة اللاتينية الرومانية الغازية .

قال (الكاردينال لافيجري) رائد الحملة الصليبية في ظل الغزوة الفرنسية لهذه الربوع :

« علينا أن نخلص هذا الشعب ، ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نعنى على الأقل بالاطفال لتنشئتهم على مبادىء غير التي شب عليها أجدادهم ، فان واجب فرنسا تعليمهم الانجيل ، أو طردهم الى أقاصي الصحراء ، بعيدين عن العالم المتحضر »

بين لافيجري وابن باديس

وبعد مرور مائة سنة ، أو تزيد ، على هذا القول المسعور ، لـ (لافيجري) ، مائة سنة من النار والحديد لوضع هذه المقولة موضع التنفيذ القهري على رقاب الناس وعقولهم . جاء رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي رفعت الاسلام والعروبة دستورا لها ، الامام عبدالحميد بن باديس ، ليقول سنة ١٩٣٦ :

« ان هذه الأمة الجزائرية ، ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها ، وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري » . .

---

* مدير ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كاتب وناقد من القطر الجزائري .



عبد الحميد بن باديس رائد من رواد الكفاح والتعريب في المغرب العربي

ودخول العروبة الى هذه الربوع في ظل الاسلام ، هو الذي ضمن لها المقومات الأساسية ، من لغة وحضارة ، وفكر وثقافة ، ودعم هذه المقومات بالروح والعقيدة ، وخفف من غلواء العرقية التي تعاني منها قوميات كثيرة ، لم تؤت ما أوتيته العروبة من رعاية الاسلام لها ، وسهره عليها ، بمقومات تسمو فوق العرق ، ومميزات ترقى فوق الجنس :

« ليست العروبة بأحدكم من أب ولا أم ، ولكنها اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي »

ومن هذا المنطلق ، حفظ الاسلام للعروبة في شمال افريقيا مواقف وبطولات على مر العصور ، وأنجب لها أبطالا وقوادا ، وبناة حضارة ، تخطوا العدوة المغربية الى الاندلس ، وحسبك من هؤلاء ، ومن كثرتهم ، كما قال ابن باديس :

« القائد الفاتح ، والخطيب المصقع (طارق بن زياد) ثم ما قامت مملكة من أبناء هذا الوطن ، الا وهي عربية في كل شيء ، مثل سائر الممالك العربية في المشرق ، بل فوق بعضها » .

كان ذلك ، في العهد البعيد زمنا ، الماثل انتماء وتواصلا ، واذا التفتنا الى العصر الحديث ، فاننا نجد العروبة في المغرب العربي ، تعيش أعز أيامها بطولة واستماتة ، في أحلك أيامها اضطهادا من المستعمر ، فبقدر ما استُهدفت العروبة لغة وثقافة وحضارة ، واضطُهدت روحا وفكرا وجسدا . بقدر ما تأصلت في الأعماق ، وتجذّرت في النفوس بفضل الاسلام ، وتواصلت في السر ، عندما ضاق عنها العلن ، وتعانقت في المشاعر ، عندما طوّحت بها المسافات والحدود . يقول عبدالحميد بن باديس في الثلاثينيات :

« ان الاتحاد الاسلامي ، والوحدة العربية بالمعنى الروحي ، والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي ، هما موجودان ، تزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم ، بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ، ضد العروبة والاسلام » .

المؤتمر الافخارستي

هذه الصرخة القومية ، تصعدت في ذروة الكيد الاستعماري لعروبة الشمال الافريقي ، وبطشه بالاسلام ، في الثلاثينيات ، يوم تصور المستعمر أن (البربرية) يمكن أن تكون حربة في ظهر الاسلام والعروبة ، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل ، في ظل سطوة عسكرية ، لم يغمض لها جفن على مدى قرن من الاحتلال ، فأعلن (الظهير البربري) في المغرب في مايو/ أيار ١٩٣٠ . واحتفل في نفس السنة ، في استعراضات عسكرية مستفزة ، بالذكرى

المائة لاحتلال الجزائر ، وعقد المؤتمر (الافخارستي) في تونس في نفس الفترة .

كان المؤتمر الافخارستي (ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي ، جاءت لتمثل مأساة الاندلس من جديد في شمال افريقية) :

« ان المؤتمر الافخارستي أصبح مظهرا للحملة العدائية العنيفة التي يقوم بها رجال الكنيسة ضد الاسلام ، والتي أخذت تتشكل بشكل خطير في هذه الأيام ، فقد أعلنوا عن هذا المؤتمر بأنه (حملة صليبية) وبأن الدافع لهم على عقده هنا ، هو تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي « لويس التاسع » والتي حملها بعده الكاردينال « لا فيجري » وليست هذه الفكرة سوى ما كان يقصده « لويس التاسع » وهو ارجاعها الى الصليب الذي أجبرت على قبوله بعسف الرومانيين » .

كانت الفترة فترة حملة حاقدة على الاسلام ، متأرجحة بين الترغيب والترهيب ، بين الوعد والوعيد ، الترغيب والتلويح ببعض الحقوق المزعومة ولكن على حساب الشخصية العربية المسلمة ، والتجنيس بالجنسية الفرنسية .

كانت خطة مبيتة ، وعلى جبهات متجاورة ، وبأسلحة متكاملة لضرب الاسلام ، ووحدة أبنائه في شمال افريقيا . فجاء التحدي باسم (العروبة والاسلام) شعارا لـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست سنة ١٩٣٢ . وتصاعدت الانتفاضات الوطنية ، وحميت المواجهة في كل من تونس والمغرب في وجه (الظهير البربري) و (المؤتمر الافخارستي) . الأمر الذي زاد اللحمة الاسلامية وثوقا ، والوشيجة العربية تماسكا وصلابة ، وأتاح الفرصة من جديد لبلورة فكرة العروبة ، وتأصيلها في نفوس الشعب بمختلف أعراقه كما قال علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال في المغرب :

« ان القضية ، ليست قضية جنسية أو عنصرية ، ولكنها قضية واقع وفكر وثقافة ، والقبلية لا محل لها في بلد وحّده الاسلام ، ومنحته العربية القرآن ، وعلوم اللسان » .

ويلتقي زعماء الاصلاح ، والحركات الوطنية في أقطار المغرب بالنسبة لهذه القضية التاريخية ، والمواجهة المشهودة ، والمنعرج الحاسم ، على فكرة واحدة ، ومنطلقات متحدة ، بدون سابق تنسيق أو تخطيط ، انما هي الرسالة الجامعة ، والعدو المشترك .

فالامام (محمد البشير الابراهيمي) زعيم الحركة الاصلاحية في الجزائر ، يلتقي والزعيم (علال الفاسي) في نفس المفهوم لعروبة المغرب العربي ، وينتظمان جبهة واحدة للدفاع عن هذا المفهوم في مختلف مواقعه .

« عروبة الشمال الافريقي بجميع أجزائه طبيعية ، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي انفجرت منها الاخلاق والخصائص ، والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساسا وأقدم عهدا ، وأصفى عنصرا ، من انجليزية الانجليز ، وألمانية الألمان » .

ويوم كان المستعمر يستدرج (البربرية) لضرب الاسلام ، كان أبناء الاسلام والعروبة من البربر ، يرابطون في الصفوف الأولى المتصدية للمؤامرات الاستعمارية ، ويكافحون روّادا في الحركات الاصلاحية ، وكتابا وشعراء في الصحافة الوطنية ، ومعلمين أحرارا في المدارس الحرة للحفاظ على العروبة والاسلام ، وغرس النخوة بهما في الشباب ، والتحدي بهما في وضح النهار .

فـ (الفتى الزواوي) باعزيز بن عمر ، وهو من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر ، ومن دعاتها قلما ولسانا في الثلاثينيات والاربعينيات ، في مجلة (الشهاب) وجريدة (البصائر) يقول وهو البربري من بلاد القبائل :

« واننا لنشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صاف لم يمازجه كدر ، وان اختلف المظهر ، وسمع صوتها الحنونيرن في آداننا ، فنفتح له الطريق ، الى قلوبنا وأعماقنا » .

فالعروبة حية فينا ، ونحن أحياء فيها ، ما دامت السماوات والأرض » .

مغاربة في المشرق

ومن مظاهر الوفاء للعروبة والاسلام من أبناء هذا الجناح الغربي من الوطن العربي ، أن الذين هاجروا من أبنائه الى المشرق ، عندما خانتهم الحيلة في البقاء الشريف في الوطن الصغير ، فتحوا هنالك ، بدافع

الشعور بأنهم لم يتخطوا حدود الوطن الكبير ـ جبهات جديدة لنضالهم وكفاحهم ، وانك واجدهم في كل موقف بطولي ، وثورة مسلحة ، بل هم في الصدارة في الحركات الاصلاحية ، والتنظيمات السرية ، والمؤسسات العلمية التي رادت النهضة العربية الحديثة

فالشيخ طاهر الجزائري (١٨٥٢ ـ ١٩٢٠) وهو بربري من جبال القبائل في الجزائر ، يعتبر أب النهضة الحديثة في بلاد الشام ، فهو مؤسس (دار الكتب الظاهرية) في دمشق ومديرها ، ومؤسس (المكتبة الخالدية) في القدس ، وباني المدارس الحديثة ، وعاقد الحلقات التي تعتبر بداية الوعي العربي الحديث في بلاد الشام

تحت أعواد المشانق

وعلى مشانق (جمال باشا) السفاح ، علق أسماء المغرب العربي مع شهداء العروبة سنة ١٩١٦ ، وكان من بينهم (أركان حرب سليم الجزائري) وهو من أصل بربري من جبال القبائل ، و (الامير عمر الجزائري) نجل الامير عبدالقادر .

ومن أبطال ثورة (الغوطة) وشهدائها ، ضد الجيش الفرنسي سنة ١٩٢٥ الامير عز الدين الجزائري ، وهو من أسرة بطل المقاومة الجزائرية الامير عبدالقادر

و (بدر الدين الحسني المراكشي ١٨٥١ ـ ١٩٣٥) لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب ، كما قال الزركلي في (الاعلام) ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه (الاتحاديين) وبطشهم ، وانما كان الاب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام . قال عنه سعيد الحمراوي نقيب الأشراف بدمشق ، « لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية » كان الشيخ يطوف المدن السورية ، متنقلا من بلدة الى أخرى ، حاثا على الجهاد ، وحاضا عليه يقابل الثائرين ، ويغذيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أبا روحيا للثورة والثائرين المجاهدين » . .

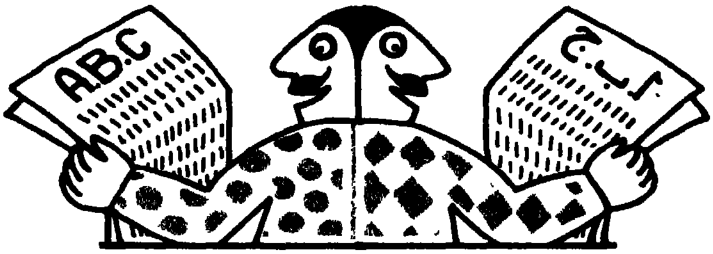
وبين (الشيخ طاهر الجزائري) ابي النهضة الحديثة في الشام ، وبدر الدين الحسني المراكشي الأب الروحي للثورة والثائرين والمجاهدين ، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي ، المؤسس في (جمعية الشبان المسلمين) و (مجمع اللغة العربية) في القاهرة والذي كان شيخا للازهر الشريف ، بين هذه الوجوه الرائدة من أبناء المغرب العربي ، وجوه عديدة وأجيال متعاقبة في الاصلاح الديني ، والنضال السياسي والأدب والشعر (هم بعض من عناهم عبدالحميد بن باديس بقوله سنة ١٩٣٧) في مجلة (الشهاب) :

« مضت حقبة من الدهر ، كاد فيها الشرق العربي ، أن ينسى هذا المغرب العربي ، والى عهد قريب ، كانت صحافة الشرق ـ غالبا ـ لا تذكره الا كما تذكر قطعة من أواسط افريقيا ومجاهلها . بل في هذه الايام ، يغمط حقه ، ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها كـ « ضحى الاسلام » وغيره .

ولكن هذا المغرب العربي ـ رغم التجاهل والتناسي من اخوانه المشارقة ـ كان يبعث من أبنائه ، من رجال السيف والقلم ، من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر اخوانه المشارقة الى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعز والرجولة ، ومعاقل للعروبة والاسلام » . .

صديق ثقيل

دخل أحد الثقلاء على صديق له ، ولما جاء الليل سأله صاحب الدار : أين منزلك ؟ فأجابه : مالي منزل ، وإنما أشتمل الليل إذا عسعس ، وأظهر في النهار إذا تنفس .



حكايات شرق وغرب

هل دمر تشرشل ابنه الوحيد ؟

● هذا سؤال يطرحه كتاب جديد صدر في لندن بعنوان « ابن العم راندولف » وراندولف هو الاسم الذي اختاره ونستون تشرشل السياسي البريطاني الداهية الذي رحل بعد حياة طويلة حافلة اقترب فيها من التسعين ، لابنه الوحيد الذي قتلته الخمر التي كان يعب منها طوال ساعات الليل والنهار .

وقد مات راندولف منذ ثمانية عشر عاما . . وقال طبيبه الخاص يومها : « ان كبده وكليتيه ورئتيه قد اهترأت ، لم يعد هناك أي شيء لم تصبه الخمر بسمومها حتى شخصيته ، فقد اصبح رجلا جبانا » .

ولم يصدق احد العلماء الانجليز وهو يفحص كليتيه انها لانسان ، فقد قال في دهشة وحيرة : « هذه سمكة وليست كلية » .

وتقول مؤلفة الكتاب « انيتا لزلي » : « لقد كان صديقا حميما للمليونير اليوناني اريستوتل اوناسيس الذي تزوج جاكلين كندي ارملة الرئيس الامريكي الاسبق ، وفي احدى الامسيات وصل الاثنان الى استديو التلفزيون البريطاني ، وكانا على موعد لتصوير لقاء بينهما يذاع على الهواء . . وفوجىء المخرج والمصورون بالرجلين يصلان وهما في حالة سكر شديد . . ولكن المخرج لم يشأ أن يحرجهما ، فتظاهر بالاستمرار في عملية التصوير لبضع دقائق ، ثم شكرهما وانصرفا وهما يترنحان » .

وعندما التقى راندولف باصدقائه في اليوم التالي


راندولف تشرشل

راح يسأل : « كيف كنت أبدو في حديثي امس على شاشة التلفزيون ؟ » وهنا فقط اكتشف أن احدا لم ير البرنامج وانه لم يكن هناك حديث . . فقال وهو في « دهشة » مما حدث : غريب أمر هؤلاء الناس لقد كنا - صديقي أوناسيس وانا - في احسن صورة وكان حديثنا ممتعا للغاية .

وتروي انيتا مؤلفة الكتاب الذي جمعت مادته من العديد من زملائه الصحفيين ، ومن اصدقائه ومعارفه ، تقول انه في أحد اللقاءات التي كان يجريها مع كبار الشخصيات وكان يحرص دائما على أن يملأ جوفه بالخمر قبل الذهاب للقائهم ، لم يعجبه حديث الرجل الذي كان يجلس معه في بيته فضربه بقبضة يده في وجهه ، وكان الضحية هو السفير الامريكي في لندن .

ولكن وقاحته التي كانت تطفو على السطح كلما

لعبت الخمر برأسه عرضته لمواقف لا يحسد عليها ، فقد اضطرت زوجة أحد النبلاء الايطاليين وكان يرقص معها في احدى الحفلات أن تدفعه بكلتا يديها بقوة اسقطته على الارض ، وفي مناسبة ثانية لم يجد السفير البريطاني في باريس الا أن يرفع يده ويصفع بها راندولف على وجهه صفعة قوية أفقدته وعيه ، ليضع حدا لوقاحته وقلة أدبه ، بينما اضطر لورد كاسل روسي الى قذفه بقدح الشمبانيا ، الا أن ليدى اليزابيث باجيت وجدت أن أنسب وسيلة لتلقينه درسا في الاخلاق ، هي أن تفرغ محتويات طبق المكرونة الاسباجيتي فوق رأسه على مرأى من كل المدعوين في احدى الحفلات .

لقد تزوج راندولف مرتين ، وفشل زواجه في المرتين حيث كان ينتهي بالطلاق . وعندما أجرى له الاطباء عملية جراحية لاستئصال ورم بريء ، أى غير خبيث . قال احد اصدقائه معلقا : « لقد نزع الاطباء الجزء الوحيد الباقي في راندولف الذي لم يكن خبيثا »

لقد كان راندولف ضحية أب تروج السياسة ، ولم يكن عنده من الوقت ما يسمح له بأن يرعى ابنه ، وأم لم يرها الا مشغولة بمشاكل والده . لقد كان والده يدلله خلال اللحظات القصيرة التي يراه فيها ، لأنه اراد أن يعطيه شيئا حرم هو منه في طفولته . . وبقي راندولف طفلا لم يكبر أبدا ، طفلا عنيدا مخمورا وقحا لا يعرف ماذا يريد من الحياة

روبن هود في نابولي

هل يمكن أن يكون للصوص وقطاع الطرق قلب يخفق بالحب ؟ في مدينة نابولي بايطاليا ، كان سالف توري جيويلو (٣٥ سنة) يمشي في الشارع حزينا مكتئبا وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسه . فقد كان العامل المسكين عاطلا عن العمل ولكن يبدو أن اللص الذي كان يتتبع خطاه من بعيد قد رأى شيئا آخر . . رأى فيه صيدا جديدا ، فراح يتحين الفرص حتى خلا الشارع من المارة ، فأسرع الى ضحيته وصوب مسدسه الى صدره وهو يقول : « بسرعة اعطني كل مافي جيبك من مال » .



بكى سالف توري المسكين وهو يقول لهذا الغريب : « ليتني استطيع أن اساعدك ولكن قد تدهش لو علمت أني لا أملك ليرة واحدة . لقد استغنوا عن خدماتي منذ اسبوع ، وانا زوج وأب لثلاثة أطفال وقد تركتهم في البيت بلا طعام » .

وراح اللص يتطلع الى وجه الرجل في ذهول ، وانقضت بضع دقائق ، قبل أن يضع هو يده في جيبه ويخرج محفظة منتفخة بالنقود ، وضعها في يد سالف توري ، ثم اقترب منه وهمس في اذنه : « خذ هذا المبلغ ، وكف عن البكاء . . عد بسرعة الى اسرتك » ثم انطلق يجري في الطريق بحثا عن صيد حقيقي

ولكن سالف توري المسكين اخذ حافظة النقود ، وقصد الى أقرب مركز للشرطة ، وروى لهم ما حدث وهو يسلمها للضابط الذي لم ينس ان يسجل اسم وعنوان هذا المواطن الامين .

ومرت ثلاثة ايام عندما فوجىء سالف توري بصاحب المحفظة يطرق باب بيته ويقدم له كل ماكانت تحويه محفظته من مال مكافأة له على امانته ، ويعده بأن يلحقه بوظيفة في المصنع الكبير الذي يملكه .

ورحل الأب وهو يبتسم للحياة

● قال له الطبيب : « ان قلبك مريض ياسيدي ، وقد تحتاج الى جراحة ، ولابد من أن تعرض نفسك على اختصاصي في أمراض القلب . . ارجوك : لا ترهق قلبك خلال الايام القليلة القادمة حتى اتمكن من أن أحدد لك موعدا مع احد الاختصاصيين » .

وخرج ساندرو تولا من عيادة طبيبه بمدينة ميلانو الايطالية ، وهو مصمم على أن ينفذ تعليماته بكل دقة ، ولكنه لم يستطع أن يقاوم توسلات ابنه الصغير اندريا (٨ سنوات) عندما طلب اليه في صباح اليوم التالي أن يصطحبه في نزهة الى شاطىء نهر تيسينو ليمارس هوايته في صيد السمك .

كان الاب الذي اشرف على الخمسين يحب ابنه الصغير ويتعلق به ، ولا يرفض له طلبا ، فقد تزوج في سن متأخرة وهو يقترب من الأربعين ، وكانت امنيته ان يرزق بولد ، وقد حقق له الله ما كان يرجو ويبتغي .

وعلى شواطىء النهر ، جلس ساندرو مستلقيا فوق مقعد مريح ، يرقب ابنه الصغير وهو يلقي بسنارته في المياه وينتظر . . وكان الهواء عليلا واشعة الشمس الدافئة تبعث على النعاس ، فذهب الاب في غفوة ، ولكنها لم تطل ، اذ سرعان ما صحا منها على صوت صراخ ابنه اندريا .

واتجه ساندرو مذعورا الى الشاطىء حيث تركه منذ دقائق ولكنه لم يكن هناك . . لقد كان الطفل يستغيث وسط مياه النهر التي سقط فيها ، وبدأ التيار يجرفه معه بعيدا عن الشاطىء ، فهو لا يعرف السباحة .

وبلا تردد القى الأب بنفسه في النهر ، وراح يسبح في اتجاه ابنه حتى لحق به وراح يدفعه امامه الى الشاطىء وهو يحاول ان يبقي على رأسه فوق الماء ، حتى استطاع اخيرا أن يراه واقفا على قدميه على الرمال وهو يضحك ويقول لأبيه : « لقد نجحت ياأبي وانقذتني من الغرق » . ولكن الاب المسكين لم يستطع أن يتحرك من مكانه في تلك اللحظة ، فقد أحس بألم شديد في صدره ، ثم ما لبث أن غاص بجسمه في الماء .

وعندما وصل الناس على صراخ الابن الذي كان يرقب والده وهو عاجز عن مساعدته كان ساندرو قد غرق . . لقد اصيب بنوبة قلبية نتيجة للمجهود الذي بذله في انقاذ طفله ، والقلق الشديد الذي كان يشعر به قبل وفي اثناء المحاولة التي بذلها لانتشال ابنه من الماء .

قال اندريا الطفل الصغير يحدث امه بعد أن عاد الى البيت وحده ؛ وهو يبكي حزنا على الأب الذي ذهب ولن يعود : « لقد كان ابي يضحك فرحا وهو يغوص في الماء قبل أن يختفي تماما . . كان ابي سعيدا ياأمي » .

وقالت الأم : « نعم يابني . . لقد رحل ابوك سعيدا ، فقد كنت تقف امامه فوق أرض صلبة ، وعرف انه اخرجك من الماء سالما » .

ثمن رئاسة أمريكـــا !

● رفع والد صبي أمريكي صغير في الحادية عشرة من عمره ، وهو محام كبير بمدينة سان فرانسيسكو ويدعى جون فاليسكويز ، قضية ضد طفل صغير يدعى سيث روبرتس (٨ سنوات) ، مطالبا بتعويض قدره مليونان ونصف دولار ، لأن الطفل تسبب في كسر أحد أسنان ابنه في أثناء مباراة في كرة السلة . !

وقال المحامي في دعواه : « ان ابني الصغير « جون » اصبح يبتسم الآن بطريقة غريبة ، ويضع يده على شفتيه ليخفي السن المكسورة ، وسوف تؤدي هذه الابتسامة المعوجة الى القضاء على احتمال وصول جون الى مقعد الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يكبر ويصبح رجلا !

ولا تزال القضية منظورة امام محاكم المدينة الكبيرة ، ويتولى الدفاع عن الطفل سيث المدعى عليه ، أمه ، جين ، وهي ايضا محامية معروفة !

مع الشعر والموسيقا بعيدا عن السياسة !

● العالم الذي يعيشان فيه فيه لا يمت الى المجتمع من حولهما بصلة .. عالمهما موسيقا ، وشعر وأدب ، ولا مكان فيه للسياسة ولا لصانعي السياسة ، وبالرغم من هذا فقد استطاع الزوجان أن يحتملا الحياة في هذه المدينة التي ترقص على الانغام السياسية ، دون أن يشعرا للحظة واحدة أنهما غريبان عن هذا المجتمع الذي ينتميان اليه .

اسمها آن لندبرج ، وهي ابنة أول طيار يعبر المحيط الأطلسي قبل الأخوان رايت ، وهي تنظم الشعر ، وتكتب للاطفال الذين تحبهم جميعا ، فهي لم تستطع أن تحقق أمنيتها في أن تصبح طيارا مثل والدها .. ولكنها ورثت عن أمها تلك الموهبة التي بدأت معها منذ أن كانت طفلة صغيرة تتلقى العلم في باريس .. فالأم العجوز « آن مورو » كاتبة ومؤلفة ، وهي ما زالت تكتب وتؤلف ، رغم أنها اقتربت من عامها الثمانين ، وهي تقول ان أروع أعمالها جاء في شيخوختها ، وهي تطفىء خمسا وسبعين شمعة في كعكة عيد ميلادها .

أما زوج « آن » الابنة فهو موسيقار يكتب ويؤلف الموسيقا التي أحبها وهاجر من بولندا الى أمريكا من أجلها : « لأنني شعرت أنه ربما أجد في هذا العالم الجديد مجالا أوسع لتنمية هذه الموهبة » .

وتقول آن وهي أم لثلاثة أطفال :

انني كاتبة محترفة الآن ، ولكنني أنظم الشعر لنفسي .. انها هواية شخصية . أما كتب الأطفال فقد كانت دائما في رأس قائمة الكتب التي أحب قراءتها ، لأنني كنت أحب كل طفل القاه في الطريق ، حتى قبل أن أتزوج وأصبح أما ، انني أستوحي الكثير من القصص التي أكتبها للأطفال ، من تصرفات أطفالي معي في البيت .



آن لندبرج وزوجها جيرزيه سيفسكي

ماذا يصنع الزوجان الآن ؟ سيفسكي مشغول باعداد مقطوعة موسيقية للمهرجان الموسيقي الذي تقيمه مكتبة الكونجرس في واشنطون ، ولم يجد أجمل من كلمات زوجته آن في احدى قصائدها الشخصية التي تتحدث فيها عن الحب بمعناه الكبير ... ومنها سوف يضع أساس مقطوعته الموسيقية الجديدة » .

ربما كان هذا التزواج بين الشعر والموسيقا هو سر الاهتمام المفاجىء بالزوجين اللذين يعيشان بعيدا عن الأضواء ، وربما أيضا كان هذا المعنى الذي اكتشفه النقاد في حديث سيفسكي وهو يقول : « الموسيقا هي التي تستطيع أن تعطي المرء القدرة على الهرب من نفسه .. ان هذا الدور الذي يقوم به الكاتب أو الموسيقار وسط تلك العواصف السياسية التي لاتهدأ هو الطريق الوحيد الذي يحتاج الفنان الى السير فيه وخصوصا في واشنطون » . وربما أيضا لأن الشاعرة التي تحب الأطفال وتكتب لهم هي ابنة لندبرج .□

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) . البقرة ١٧٧ .

قال قتادة في معرض الحديث عن سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يسأل عن البر ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعاه النبي فتلاها عليه .

وقال المفسرون في معنى الآية انه ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، ولكن البر هو ما ثبت في القلوب من طاعة الله ، وان من كانت فيهم الخصال التي تحدثت الآية عنها ، لامن ولى وجهه قبل المشرق والمغرب واهتم بالقشور والمظاهر . هم الذين صدقوا الله في ايمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم . ووصف القرطبي هذه الآية بأنها من أمهات الاحكام اذ تضمنت ست عشرة قاعدة : الايمان بالله ، وبالجنة والنار ، والملائكة والكتب المنزلة والانبياء ، وانفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب ، وايصال القرابة وترك قطعهم ، وتفقد اليتيم وعدم اهماله ، والمساكين كذلك ، ومراعاة ابن السبيل والسائل ، وفك الرقاب ، والمحافظة على الصلاة ، وايتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد ، فمن فعل هذا كله فقد وصفه الله بالصدق والتقوى وبأنه جاد في الدين ، وهذا غاية الثناء .

فان كانت هذه الآية من سورة البقرة قد أتت ببيان جلي واضح لما يطالب الله المسلمين به ، فقد جاءت الآيتان ١٥١ و ١٥٢ من سورة الانعام ببيان جلي واضح لما حرمه الله على المسلمين (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ، ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون) .

ومع هذا الوضوح الذي لا وضوح بعده في هذه الآيات الكريمة التي نصت على ما أمرنا الله به وما نهانا عنه ، نجد البعض في مجتمعاتنا الاسلامية قد نصبوا أنفسهم قيمين على سائر المسلمين يدعون ان الله قد فرض عليهم ما لم يفرضه ويحرمون ما لم يحرمه ، ويخلقون جوا من الارهاب والتزمت قد كاد يفلح في خنق كل فكر اسلامي مستنير . وقد عرفت أقطارنا في القرن السادس عشر من كفروا شارب القهوة ، وحكموا بهدم المقاهي في أرجاء الدولة العثمانية ، وبحلد من يرى وهو يحتسيها . ثم عرفت أقطارنا من كفروا اختراع الطباعة ، فظل استخدامها محرما فيها على مدى ثلاثة قرون كانت أوروبا قد أفلحت خلالها ربما بفضل هذا الاختراع ذاته ، في أن تسبق العالم الاسلامي في مضمار الحضارة .

وقد ابتلينا في السنوات الاخيرة بمن صار يرى جوهر الدين وحقيقة الاسلام في مسائل مثل لبس الجلباب وتقصيره الى ما فوق الكعبين ، وضرورة الاكل باليمين والشرب باليمين ، وضرورة حمل العصا واطلاق اللحى ، ويحرمون اقتناء الصور الفوتوغرافية ، وشرب الانسان وهو واقف ، ويستفظعون الاكل على المناضد ، والجلوس على الكراسي ، لأن الرسول صلوات الله عليه وصحابته لم يأكلوا على هذه ولم يجلسوا على تلك ، مركزين دعوتهم واهتمامهم على مثل هذه الأمور ، وكأنما هي من المسائل التي لا يجدر بالمسلمين أن يكترثوا الا بها .

والارجح عندي أن مثل هؤلاء الذين يغفلون فحوى الآيات القرآنية المذكورة ، أو يضيفون اليها الاوامر والنواهي ، يسيئون الى الدين عن قصد أو عن غير قصد ذلك أنه ما من شيء يضمن استمرار هذا التخلف وهذا الانحطاط قدر ما يضمنه ايهام المسلمين بأن هذه الامور هي قضية القضايا واس الاسلام . وقد استمال هؤلاء بعض المسلمين بفكرهم ونفروا البعض من الاسلام بأسره . وكلا الاستمالة والتنفير مما يسعى أعداء الاسلام الى تحقيقه . فانتشار هذه الجماعات كفيل بأن يعود بأمة المسلمين الى الوراء ، في حين يخطو غيرها من الامم خطوات واسعة في طريق التمدن والعمران . وتنفير شبابنا المثقف من الاسلام برمته كفيل بأن يزيد من تهلهل نسج أقوامنا وفقدانهم الصلة بمجتمعهم وتراثهم وهويتهم الحضارية .

فلو أن شبابنا تحول عن الاصغاء الى هذيان هؤلاء المضللين عن جهالة أو المضللين عن عمد وفساد نية ، الى النظر في آيات الله البينات، لقرأ في الآية الاولى تعريفا مستفيضا لماهية البر والصلاح والتقوى ، ولقرأ في الآيتين الاخيرتين تعريفا بينا لما حرم الله علينا ، ولوجد في وضوح عباراتها جميعا ما يغنيه عن سؤال غيره ، والوقوع في براثن من لا يري بهالخير . □

فضل العمامة

ذُكرت العمامة عند أبي الاسود الدؤلي فقال : جُنَّة في الحرب ، ودثار في البلاد ، وكُنَّة في الحر ، ووقار في النادي ، وشرف في الأحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العرب .

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

مستقبل النشر العلمي في الوطن العربي

بقلم : الدكتور محمد محمد الجوادي

أصبحت ظاهرة النجاح في مجال الدوريات الثقافية العربية تستحق التقدير ، وتطمئن الى مستقبل مزدهر بإذن الله. تنمو فعاليتها ، ويزداد توزيعها ، ويرتفع كذلك مستوى موضوعاتها بعدما ترتفع هي بمستوى القراء والجيل الجديد منهم خاصة ، ويبلغ أثرها في الحياة الجارفة والهادئة على حد سواء حدا لا يستهان به ، بل على العكس سوف يحسب له ألف حساب .

ومع أن كثيرا من هذه المجلات لا يزال الى اليوم يتلقى العون المادي من ادارات الاعلام في الوطن العربي ، وهو عون مشكور ، ويزيد في تقديرنا له أنه غير مشروط . هذه النقطة بالذات واضحة ومعلنة وصادقة الى أبعد الحدود ، وخصوصا في المملكة العربية السعودية ومعظم دول الخليج . ومع هذا فان الأمل في أن يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه المجلات الى نقطة الاتزان أو التعادل في جانب التمويل الذاتي ، ليس بالأمل بعيد التحقيق . انما يلزمه شيء غير قليل من الادارة ، وتوجيه الادارة نحو الاعلانات ورسم سياسة بعيدة المدى ، والتعاون بين عناصر متعددة ، واقامة عامل الزمن الكفيل بأن يتحقق كل ذلك على نار هادئة ، نضمن معها سلامة النتائج وقوتها ، وان تكون فعاليتها على المستوى الذي يمكن الاعتماد عليه في تطوير استمرار وتجديد - بل توليد - الصحافة الثقافية العربية العامة . .

كل هذا لا شك في أنه قد أصبح واقعا ، أو على الأقل أحلاما لا يصعب الوصول اليها من على أرض الواقع .

لكن الخطوة التي يجب علينا أن ننظر في الكيفية التي سنخطوها بها هي مسألة النشر العلمي العربي . أعني في اختصار : الثقافة العلمية الخاصة !!

وهي تلك التي تتمثل في المجلات العلمية المتخصصة ، ألتي تصدر لأرباب مهنة معينة ، بل تخصص معين من مهنة معينة تتحدث بلغتهم الاصطلاحية الخاصة ـ وقد تكون الخاصة جدا ـ وتنشر أخبار الاكتشافات والمؤتمرات والندوات ـ الخاصة وقد تكون الخاصة جدا ـ ومراجعات الكتب والأسئلة والاستفسارات والتعليقات الخاصة ، وقد تكون الخاصة جدا .

هذه الخطوة لا تأتي في تلقائية وراء الخطوة السابقة ، ولكنها تأتي في تلقائية سببية ـ وزمنية أيضا بعد عدة خطوات : تكون هذا المجتمع العلمي الخاص على المستوى الوطني أو القومي ، وقد يكون هذا التكون هو الخطوة الأولى ، ولكنها ليست الوحيدة ، فلا بد من فعالية هذا المجتمع الحديث التكوين ، ولا بد من انتشار أفراده ووصولهم الى عدد ما ، يسمح بأن يكون فيه ومنه وبه الاكتشاف والتجديد والتحليل والنقد والرأي (العلمي التخصصي طبعا) والرأي الآخر .

ثم لا بد أن يكون بين هذا المجتمع من مقومات التماسك والترابط عوامل وحدة أخرى أكثر من اتفاق الزمان والمكان . . ولعل أبرزها هو وحدة اللغة ، بعبارة الشارع البسيطة أن يتكلم لغة واحدة . ، ولا يقتصر معنى اللغة هنا ، على اللسان الذي يجمع أهل العلم فيه ، ولكن على مصطلحات هذا العلم ومقاييسه أيضا !!

وأخيرا وليس آخرا لا بد أن تكون هناك « المادة » التي تدور فيها أوسوف تدور فيها وحولها الصحافة المتخصصة ! « والاهتمام » الذي يدفع أهل العلم والتخصص الى البحث عن هذه المادة !! والبحث فيها !! وفي هذه الصحافة المتخصصة بالذات .

وبقدر ما تبدو هذه كلها مصاعب تقف أمام انشاء الصحافات العلمية المتخصصة أو نشأتها ، فإنها على الجانب الآخر هي الجوانب المميزة لهذا النوع من الصحافة ، والتي تجعل من الصعب أن يقوم جهاز أو وسيلة أخرى بما يمكن أن تقوم به !! واذن فهذه النقاط التي تبدو صعابا هي على الجانب الآخر مميزات هائلة متى أحسن استخدامها .

وعلى سبيل المثال فإن شركات الأدوية لن تؤثر الاعلان عن دواء جديد لمرض ما من أمراض القلب وعن مميزاته وتركيبه ونتائج التجارب (بالتفصيل) في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية على الاعلان عن نفس الدواء في مجلة الطب المتخصصة ـ مجله القلب العربي (مثلا) . ، وهكذا .

وعلى الرغم من أن البعض قد يظن أن أمر اعلانات الشركات الكبرى وقف على أهل الطب وشركات الدواء ، فإن الحقيقة أن لكل مجال من العلوم ـ حتى العلوم البحتة ـ مجالها الذي تبرز فيه أنشطة تجارية على أرفع مستوى ، هي بحاجة الى الاعلان والاعلان الدائم عن نشاطها .

هذا كله بالاضافة الى الاعلانات المهنية من طلب الوظائف والاعلان عن المنح الدراسية والمؤتمرات والدورات الخاصة ، والكتب الجديدة ، والحاجة الى مؤلفين ومحررين ومراسلين ومندوبين ، وبيع المؤسسات وتأجيرها ، ونشوء الكيانات . الخ هذه الأنشطة الحيوية !!

ان واقع الأمر أن هذه المجلات العلمية المتخصصة ، أو النشر العلمي أو الثقافة العلمية الخاصة هي قضية السنوات القادمة في التنمية العربية (العلمية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء) ولعل هذا المقال أن يكون من العوامل التي تبعث على وضع الدراسات الكفيلة بتهيئة السبيل أمام النشر العلمي ، ليأخذ طريقه الى الحياة غير منقوص النمو ، ولا متأخرا عن موعده الذي حان أوانه .

ولكننا مع هذا ينبغي أن تأخذ العبرة من تجربة المجتمع العلمي في مصر في هذا المجال ، والتي ترجع الى ما قبل عام ١٩٢٠ ، حين أصدر علي باشا ابراهيم المجلة الطبية المصرية ، أو الى منتصف الثلاثينيات حين بدأ الدكتور علي مصطفى مشرفة ـ عميد العلوم العربي الاول ـ اصدار سلسلة المجلات العلمية المتخصصة ، بدءا بالمجلة المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية ! ولا يستطيع أن ينكر أحد ذلك النجاح والاستمرار الذي حققته مجلاتنا طوال الفترة الماضية ، على الرغم مما قد يعتورها ـ أو قد أعتورها بالفعل ـ من فترات أثرت فيها تأثيرا قاسيا . . ولكننا مع هذا لا نجد في هذا التاريخ أزمة كالتي تحيط بها هذه الأيام مع ارتفاع تكاليف الطباعة ، وعدول المؤسسات الصحفية الى طباعة الأوفست ، واشتغال المسئولين عن هذه المجلات عن المتابعة الصعبة لها يومياً . .

وبعد أن كانت مهمة اخراج هذه المجلات في الماضي القريب يقوم بها فرد من الأكفاء أصبحت مع الزمن وتعقيدات الحياة وتطورها في ذات الوقت ـ في حاجة الى جهاز كامل ، وهو ما لم تهيىء له جمعياتنا العلمية نفسها منذ زمن طويل ! ولن تستطيع قبل مضي وقت قد يطول .

ولقد تعاني بعض هذه المجلات اليوم وخصوصا تلك التي في مجالات العلوم ، من وقوفها جميعا ومرة واحدة في انتظار معونة مادية لتغطية الجزء الباقي من نفقاتها ، وهي نتيجة لوضع كنا نظنه مثاليا ، حين انشأنا مركزا قوميا للاعلام والتوثيق (في إطار المركز القومي للبحوث) يقوم أمر هذه المجلات جميعا على نمط واحد ، ولا شك أنه نجح في فترة من الفترات ، ولكنه أصبح اليوم كعنق الزجاجة .

كل هذا قد يقودنا الى التساؤل هل تصدر هذه المجلات بطريقة عرضية أم طولية ؟ وأيهما أجدى ! بعبارة أخرى ، هل الأولى بنا أن نصدرها عن الجامعات مع اختلاف التخصصات وتباينها في الجامعة الواحدة وعلى النحو الذي تصدر به مجلة الجامعة الأردنية ، أو مجلة جامعة حلوان التي تضم بحوثا في التكنولوجيا المختلفة جنبا الى جنب مع بحوث الاقتصاد المنزلي والتربية الموسيقية !! أم نصدرها عن الجمعيات العلمية الوطنية فيكون لدينا مجلة للقلب وأخرى للرمد وللتربية الفنية وللهندسة المعمارية ولتربية الدواجن ؟ وهكذا !!

وما هي جدوى أن تكون هذه المجلات على مستوى اللسان العربي كله ؟ وما هي أهمية هذه النقطة بالذات في مجال تكوين المدرسة القومية في العلوم المختلفة ، اذا ما آمنّا أن تكوين المدارس القومية في العلوم المختلفة هي من أنجح ـ ان لم تكن أنجح ـ الوسائل نحو تحقيق تقدم ذاتي حقيقي في هذه العلوم !!

كل هذه الأفكار في الحقيقة نرجو أن تتاح لها دراسة متأنية ، ولكنها غير متباطئة ، وفي ذات الوقت تعرض لنا جميعا الجوانب الكثيرة التي تحيط بهذه المسألة ومستقبلها ، في وقت أصبح من الواجب علينا وضع اللمسات الهامة في شخصيتنا القومية .

ولعل من أكثر هذه الدراسات الحافاً أن نقيم ما هو موجود بالفعل في هذا المجال ، وأن نسجله ، وأن نجعله معروفا لدى كل المهتمين في هذه المجلات ، لا يكون صعبا على النفس أن تذكر ، مع صعوبة ذلك ، أن كثيرا منا لا يعرفون أن هناك مجلة علمية تصدر في تخصصهم في القطر المجاور لهم !! ولكن استمرار الوضع هكذا هو مأساة حقيقية .

وعلى صفحات هذا المقال ننشر احصائية مقارنة عن مجلات الطب الامريكية في فرع واحد هو فرع أمراض القلب (مع العلم أن هناك مجلات أخرى في جراحة القلب ، والصدر وفي أمراض الصدر والأوعية الدموية . . وفسيولوجيا وفارماكولوجيا وباثولوجيا ذلك كله) . . ومجلات أخرى في ذات المحال تصدر باللغة الانجليزية . . أربع أمريكية ، وواحدة أوروبية ، وواحدة بريطانية وثالثة دولية وهذه المجلات ، في فرع واحد هو أمراض القلب ، والاحصائية تعرض لنا عدد صفحات هذه المجلة على مدار العام ١٩٨٣ . ، ولعل مطالعتها خير من ألف مقال يحدثنا عن السطوة التي يتمتع بها النشر العلمي اليوم . . أو عن اهمية هذا الذي نتحدث عنه .

ان طبيب القلب الذي يحرص على متابعة الجديد في اللغة الانجليزية وحدها ، وسوف يجد نفسه بين ما مجموعه اكثر من الفين وخمسمائة مقال جديد في عام واحد !! صفحاتها تزيد على ١٤ الف صفحة . وتكلفتها تزيد قليلا عن اربعمائة دولار (لسبع مجلات في اثنى عشر شهرا) . . كل هذا قد يجعل الأمر بعيدا عن تصديق كثير من القراء الكرام . . ولكننا مع هذا نؤكد لهم أن هناك واحداً وتسعين ألف اشتراك في هذه المجلات !! والمجلة الأمريكية لأمراض القلب تتمتع وحدها بثمانية وعشرين الف مشترك ! وهو الرقم الذي يمثل سقف التوزيع لكثير من مجلاتنا العربية الاسبوعية العامة . □

قيل لاعرابي : مالك لاتجاهد ؟

قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أسعى اليه راكضا . .

منتدى العربي

تعقيبات

رؤية للإسلام

بقلم : عبدالله زكريا الانصاري

الدكتور أحمد كمال أبو المجد كاتب اسلامي يفكر بروح العصر ، ويتناول الموضوعات الاسلامية تناولا عقليا ، ويعالج أمورها بحرية الفكر الذي دعا اليه الاسلام العظيم ، ونقول إنه مثقف في تفكيره ، مطلع على مايجري من معالجات طارئة وفهم مشوب بالخطأ في كثير من الاحيان . وفي مقالة « الحاجة إلى الاسلام في هذا الزمان » المنشور بمجلة العربي العدد رقم (٣١٩) نقاط في غاية الاهمية ، ودعوة الى « رؤية جديدة للاسلام » . ولابد من تحديد الرؤية للاسلام في كل عصر ومكان ، ذلك أن الاسلام روح يتجدد ، وجوهر لكل زمان ومكان ، وعلامات على الطريق للحاضر والمستقبل كما كان للماضي ، والتجديد معناه الفهم والتطبيق بما يتلاءم وحياة الانسان ، وفهمه أمور دنياه لفهم أمور آخرته ، والانسان موصول من دنياه بآخرته ، وحياته ، بل الحياة يطرأ عليها التغيير والتجديد دائما وأبدا ، لأنها حياة متحركة ، ليست جامدة ، والناس فيها تتلاءم طبائعهم في تصرفاتهم ، وفي عيشهم ، ولباسهم ، وفي أعمالهم أيضا وماتأتي به من متغيرات ، إذن فالرؤية الجديدة معناها الفهم الجديد ، والفهم الجديد يدعو إلى التغيير والتطوير والتجديد ، ولعل بعض الأفهام تشتبه في مفهوم الرؤية الجديدة ، أو التجديد والتطوير والتغيير للاسلام .

رؤية تتجدد

إذا قلنا ان الاسلام علامات على الطريق فى كل زمان ومكان ، أدركنا معنى الاسلام من أنه رسالة عظيمة لاصلاح الخلل في الانسان مدى الحياة ، وليس في انسان معين من الناس ، أو في عصر خاص من العصور ، وأدركنا أيضا أنه حركة تجديد وتطوير ، وحركة تعبير لبعض المفاهيم التي قد لاتكون قابلة لملاحقة متغيرات العصر ، فالعصر الذي نعيشه هو عصر الفضاء ، وعصر العقل الآلي ، وما هو العقل الآلي ؟ إنه عقل الانسان بلا جدال ، ولاندري ماذا سيكون عليه العصر القادم والعصور الأخرى ، ومن يدري ؟ ربما توصل عقل الانسان الى توفير الأسباب لكي يعيش إنسان الأرض فوق الكواكب الأخرى ، وربما تغير نمط عيش الانسان تغيرا جذريا لايمكن أن يخطر على بال في هذا العصر . إذن فالرؤية للاسلام لابد أن تتجدد أبدا مادامت الروح تتردد في الانسان ، ومادامت الحياة باقية ، وتلك دعوة يتحمل مسئوليتها الذين يدركون روح الاسلام ، ومعناه العظيم ، ويفهمون طبيعة الانسان وميله أبدا الى الهوى والانحراف عن خدمة الانسان والحياة ، ان لم يجد له رادعا يردعه عن غيّه وضلاله . والاسلام العظيم جاء رادعا وهاديا إلى طريق الخير في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن الانسان كذلك لما أنزل الله سبحانه وتعالى رسالته على نبيه منذرا ومبشرا .

استغلال وادعاء

ذلك هو الفهم أو المفهوم الجديد للدكتور الأخ أحمد كمال أبو المجد في مقاله على ما أعتقد ، ولعل التمادي الذي وصل بالناس أوبالمسلمين على

الأصح ، حكاما ومحكومين ، في استغلال الاسلام العظيم لأهوائهم وميولهم الشخصية هو الذي دفع به الى كتابة مقاله هذا ، ذلك أن الذي نراه يجري في بلادنا الاسلامية لايمت الى الاسلام بصلة ، بل انه يخالف روح الاسلام في كثير من الأمور ، ويتمادى بعض الحكام في تصرفاتهم وفيما يأتون به من أحكام وأعمال وينسبون ذلك الى الاسلام ، ويتمادى بعض الناس من المسلمين في دعواتهم التي تأتي إرهابية في كثير من الاحيان باسم الاسلام ، وهناك من يرفع راية البطش باسم الاسلام ، ومن يرفع راية التضليل باسم الاسلام ، حتى رأينا الاسلام يستغل لفرض الانظمة ، واصدار القوانين الظالمة ، وابتزاز أموال المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى التعدد في الأنظمة ، وفي الجمعيات ، وفي الكتل ، وكل نظام يدعي أنه يمثل الاسلام الصحيح ، وكل جمعية وكتلة تدعي أنها تدعو للاسلام الصحيح ، حتى بدا الانحراف واضحا ، والزيف مكشوفا ، والغش صريحا ، والتضليل بارزا بروزا بينا .

ملاحظات ورأي

نقول إن مقال الدكتور أبوالمجد لابد أن يقرأه هؤلاء وأولئك ، ولابد أن يقرأه المسلم والمثقف والأديب ، وكل من يهمه أمر دينه وأمر دنياه ، على أن هناك بعض الملاحظات عنت لي في أثناء مطالعتي لهذا المقال ، رأيت أن أبديها حسب فهمي لها ، ولست في صف الدكتور أحمد في فهمه وادراكه وثقافته ، لكنه رأي أبديه ، لعل فيه بعض الفائدة ، أو على الأقل نستفيد جديدا من حديثه ، والجديد مرغوب ومطلوب ، فمابالك إذا أتى بمفهوما لديننا الحنيف ، وكلنا عيال على ذوي الفهم و الاطلاع على الدين الاسلامي وعلى جوهره وروحه .

يقول الدكتور أحمد وهو يتكلم عن « الحقيقة الأولى » لواقع المسلمين :ـ

(ان الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الاسلامية لايمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام وحضارته وثقافته ونظامه القيمي . .)

ونقول : ـ ان الأدوات الحضارية مقطوعة الصلة بالاسلام يمكن اخضاعها لروح الاسلام ، أما الابتعاد عنها فأمر لا يرضاه الاسلام في مفهومي المتواضع . . . . أليست هي أدوات حضارية ؟ إذن لابد من أخذها أو أخذ جوانب منها لاثراء حياتنا ثم هضمها وبلورتها واخضاعها لمفهومنا ، والحضارات تأخذ وتعطي مهما كانت مقطوعة الصلة ، ولعل الحضارات مقطوعة الصلة تكون أثرى وأجدى وأنفع من تلك الموصولة ، والحضارة العقلية الراقية لاتخشى الأخذ من الحضارات الأخرى الراقية ، لاسيما إذا ما كانت حضارة تعالج صميم الحياة ، وتدعو لتقدمها وازدهارها وفوق كل ذلك ترفع شعار الأخلاق ، وتربط الانسان بخالقه ، خالق الحياة .

إن الأخذ من ثقافة الآخرين ليس معنّاه تقليدها ، إلا إذا كان الأخذ غير ممحص ، فهنا لابد من الدعوة الى فهم حضارتنا ، وفهم إسلامنا ، وفهم ثقافتنا ، وتحصين دعاتنا بفهم جوهر الدعوة وفهم روحها ، ولاخوف بعد ذلك . . أما أن نقول إن « الخروج من أزمة التخلف لايتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام ، إلى آخره » ، فدعوة الى الابتعاد عن الحضارات الأخرى المتقدمة التي قد لاتدرك شيئا من حضارة الاسلام ، ومن ثم الدعوة الى الابتعاد عن الأخذ من الحضارات الأخرى مقطوعة الصلة بالاسلام .

لابد من الخوض في ثقافات الآخرين ، فان روح الاسلام كفيل باستخدامها لصالح الحياة ، وتلك ضرورة من ضرورات الاسلام

تناقض وتساؤل

ويقول الدكتور أبوالمجد :ـ « إن استخراج أدوات النهضة . . وشروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية . . يغدو المسلك الأمثل ، إن لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لايتهددها خطر الاندفاع الذي ينخلع أصحابه من ذاتهم . . ولاخطر الرفض والتحفظ ، ومقاومة « الأدوات الجديدة » لأنها وافدة وغريبة وتحمل في طياتها مداخل متعددة للتبعية وفقدان الاستقلال وضياع الهوية » .

يتراءى لي هنا بعض التناقض في هذا القول فكيف نوفق بين شروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية والرفض ومقاومة الأدوات الجديدة ؟ فهل هي دعوة الى الانكماش على حضارتنا الذاتية ؟

ويقول : - « من هنا تغدو عملية تجديد الفكر الاسلامي « واستخراج » شروط النهضة من باطنه عملية بالغة الأهمية في التوجه للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلم المعاصر ، وتعيشها المجتمعات العربية والاسلامية القائمة » .

لاجدال في أن الحضارة الاسلامية حضارة متكاملة الجوانب ، لكن المشكلة تكمن في تحليتها من جديد وتقديمها للناس في وضوح كما يقول الدكتور أبوالمجد ، لكن مع ذلك فان الفكر الاسلامي لاينغلق على نفسه فهو يعطي مثلما يأخذ ، ولذلك فهو للناس عامة ، إنه دعوة لجميع الناس كافة لفهم الحياة ، وفهم الانسان الذي خلقت من أجله الحياة ودعوة تربط الانسان بخالقه خالق الحياة ، ولهذا لابد أن يخوض في غمار الحضارات الأخرى ، ويناقش كل فكر إنساني ، ويجادل كل دعوة إنسانية ، وان كانت لاتمت بصلة الى الفكر الاسلامي ، والفكر الاسلامي فكر عقلي يخاطب كل عقل ، ويبسط رسالته ، رسالة السماء ، وهل تخشى رسالة السماء من رسالات الأرض ؟

الفهم هو الأساس

المشكلة الكبرى في رأيي المتواضع تكمن في عدم فهم الفكر الاسلامي فهما منطقيا عادلا ، ولهذا تعددت الفرق الدينية ، وكل فئة سلكت سبيلا يختلف عن سبيل الفئة الأخرى ، وبتعدد الفرق تعددت المفاهيم ، وانصبت معظمها على شكليات الحياة ، وقام من يستغل هذا التعدد من الحكام والمتنفذين إلى أن وصلوا الى درجة الطعن والتكفير أحيانا ضد البعض الآخر ، فشل الفكر ، ومنع العقل من العمل ، وحرم اجتهاد الرأي ، وحرف مفهوم الرسالة ، وقُدِّس التقليد وليس القدوة ، والقدوة غير التقليد ، فاذا كان التقليد يتم بدون فكر عميق ، فان القدوة تتم بالفكر والعقل . فقام من يستغل المسلمين بالاسلام ، دون رادع يردعه ، بل إن ذوي الرأي والنظر تواروا عن الأنظار ، يبغون الأمان لأنفسهم .

كان أحدهم يقول ، أين نحن من عصر النجوم ؟ قلت إن عصر النجوم كان المفروض أن يكون عصرا إسلاميا رائعا ، لأن الاسلام يدعو اليه ، لكن الذين دعوا اليه ونفذوه لايمتون الى المسلمين ولا إلى الاسلام بصلة ، فكأنهم قرأوا دعوة الاسلام العظيم وراحوا ينفذونها ، ولهذا استغلت لغير صالح الانسان ، ولو كان المسلمون يدركون رسالة الاسلام ادراكا سليما لجعلوا عصر النجوم عصرا يخدم الانسان ، ذلك أن رسالة الاسلام تدعوا للتفكير في خلق السموات والأرض ، تفكيرا أخلاقيا لصالح الناس عامة .

ان رسالة الاسلام تدعو الى النمو الاقتصادي ، وتدعو الى التقدم الصناعي لصالح الانسان ، وتدعوا الى إعمار الكون .

ان الاهتمام بالمظاهر السطحية ليس من الاسلام في شيء ، وان إلهاء الناس بقشور الحياة ليس من الاسلام في شيء ، وإلهاءهم عن التفكير العميق في الحياة والكون ليس من الاسلام في شيء .

ونرفع صوتنا مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مقاله الرائع (الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان) ، وندعو معه إلى فهم الاسلام فهما صحيحا ونقول معه : -

« فهل يحمل بعض مثقفينا عبء رحلة جديدة على هذا الطريق الرائع - على وعورته - يجددون من خلالها للناس أمر دينهم ويصلحون بها كثيرا مما فسد من أمر دنياهم ؟ » .

ولانقول مع القائل أبدا : -

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لاحياة لمن تنادي !!!

● الضعفاء اذا ما حذروا لم يقتلهم الأقوياء اذا ما وثقوا قتلهم الضعفاء .

(مهابهارتا)

منتدى العربي

تعقيبات

حول «رحلة الخراساني إلى الموت»

في العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥ من مجلة العربي الرائدة ، قرأت مقالاً عن أبي مسلم الخراساني ، جاء في أسلوب قصصي ، بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، روى لنا فيه الأيام الأخيرة من حياة أبي مسلم الخراساني ، وموقفه من الخلافة العباسية وأبي جعفر المنصور

وقد أعجبني السرد والصياغة ، وقد كنت أودّ أن تتوازن الصياغة مع الحقائق وصادق التاريخ ، ولكن الكاتب خلط الأحداث وأبهمها ، واستخدم الأماكن وأسماء الشخصيات استخدام من لا يعرف المدن القائمة ، والمدن التي لم تنشأ ، ولم يفرق بين قرابة وقرابة ، مما جعل القاريء ينسى حلاوة القصص ، ويحس بمرارة مزايلة الحقيقة ، وحتى لا أكون متجنيا أو متحاملاً ، أضع ما وقع فيه من هفوات ، ثم أعقب عليها ببيان جلية الأمر فيها ، ولا أدري هل الأداء القصصي هو المسئول عن الخطأ ، أو أن الكاتب لم يدرس تلك الحقبة القصيرة التي اتخذها محوراً لما قصده ؟

وأول ما أبدأ به قوله : بدأ الرحلة من خراسان ، في قافلة طويلة محملة بالهدايا ، لعل الخليفة يرضى ، محفوفاً بالفرسان لعله يرتدع ، وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه ، يردد في داخله بيتاً من الشعر :

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام

وفي هذا الكلام خلط بين موقفين ، فحين بدأ الرحلة كان قادماً باذن الخليفة أبي العباس السفاح ، يأمل أن يحج وأن يكون أميراً للحج ، ولقي الإكرام وان لم ينل إمارة الحج ، فقد كان المنصور أخو الخليفة يروم أن يحج في هذا العام ١٣٦ هـ ، فأعطيت له إمارة الحج .

أما حين أنشد الشعر ، فبعد أن رجع من حرب عبد الله بن علي ، الخارج على الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور ، وأراد الرجوع الى خراسان ، فحال المنصور بينه وبين مرامه ، فحين بلغ « حلوان » من أرض فارس جرت المراسلات بين أبي مسلم والمنصور ، وانتهت بإدعانه والقدوم إلى المنصور .

تقول الرواية أن نيزك صديقه حاول أن يثنيه عن عزمه ، ولكن أبا مسلم كان يشعر بقوة قاهرة تجره على الذهاب ، ولما أطال عليه نيزك تمثل أبو مسلم بالبيت الذي ذكره الكاتب . وكان ذلك سنة ١٣٧ هـ

ولتحظى الفكرة بالوضوح أقدم دليلا يهتدي به في كشف تلك الفترة ، ببيان خريطة الدولة في ذلك الحين ، وأبرز الرجال القائمين على الولايات : حين استقرت الخلافة للسفاح سنة ١٣٢ هـ ، وقضى على بني أمية ، كان عليه أن يختار ولاة لها ، فجعل أبا مسلم الخراساني والياً على خراسان ، واتخذ أبو مسلم « مرو » حاضرة لولايته ، وهي التي كانت المرجع لرجال الدعوة والقواد قبل قيام الخلافة العباسية ، وولى عمه عبد الله بن علي على الشام ومصر ، وولى أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة ، وما ولاها شرقاً الى أرمينيا وأذربيجان وكل من هؤلاء يدل على الخليفة بأعماله الكبيرة في سبيل الدعوة والدولة . أما أبو مسلم فهو صاحب الحظ الأوفر من بين الدعاة ، مع أنه التحق بها بعد ربع قرن من ارسال الدعاة الأذكياء المخلصين ، وبدأت الدعوة سنة مائة من الهجرة ، بأمر الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقدم أبو مسلم عليه في السنة التي مات فيها سنة ١٢٥ هـ ، ولما قام بالأمر ابراهيم الإمام بعد أبيه ، جعل من أبي

مسلم رئيساً على الدعاة ، وقال له القولة المعروفة « أنت منا آل العباس » ومن توجيهاته اليه : « إن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل ، ومن شككت في أمره فاقتله » وقد نفذ أبو مسلم وصايا ابراهيم الإمام بحزم وعزم وقوة ، وهو الذي أعلنها ، وأمر بلبس السواد ، ولأنه دخل الدعوة بعد تمهيد طويل وجهاد شاق ، قال سليمان ابن كثير عنه . « حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا وأجرى فيه الماء » وكان مصيره القتل بيد أبي مسلم ، لأنه شك في أمره بعد نجاح الدعوة وقيام الخلافة . فأبو مسلم في نفسه وعند عامة القواد والحود صاحب الدعوة على أنه ولد عام بدء الدعوة سنة ١٠٠هـ

وأما عبد الله بن علي فهو عم الخليفة السفاح وأخوته وأخو واحد وعشرين رجلاً ، يصلح كل رجل منهم أن يكون رئيس دولة ، حزماً وإقداماً ونصراً بشئون الملك والسياسة ، وهو يدل بقيامه بحرب مروان بن محمد والانتصار عليه وقتله في مصر ، ويمني نفسه بالخلافة بعد السفاح ، لأن السفاح قال لمن حضره من آل العباس : « من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي » فكان عمه عبد الله هو المجيب والمنتدب .

أما أبو جعفر فهو أخو الخليفة ، والآخذ ببيعته ، والقائد المظفر في حصار يزيد بن عمر بن هبيرة أحد عشر شهراً حتى سلم وطلب الصلح ، وبذلك تمت رياسة السفاح على الدولة من فرغانة الى غانة ، والأندلس كانت في فوضى وحروب بين القيسية واليمانية ، وهؤلاء الثلاثة يتنافسون ، والخليفة الشاب على وعي بما يدور في نفوسهم ، ووضع كلا منهم في المكان الذي يحبه ، حتى يضمن استقرار الأمور واستتباب الأمن

ولما تولى أبو جعفر قضى على ثورة عمه الذي بايع لنفسه ، وأراد أن يولي أبا مسلم الشام ومصر ، ويترك خراسان فرفض أبو مسلم ، ومن ثم كانت المراسلات ، ودعوته الى أن يقدم على الخليفة بالمدائن أو رومية المدائن بعد أن توقف في حلوان . مات السفاح سنة ١٣٦هـ ، في الثاني عشر من ذي الحجة ، وأبو مسلم وأبو جعفر في العودة الى الخليفة .

يقول الكاتب : « وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين ، وأبا جعفر ولياً للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفاً في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير ، وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة » وهذه العبارة تحمل خطأين ، الأول : أن السفاح لم يعلن ولاية العهد الا في آخر حياته ، حين شعر بالموت في أثناء حج المنصور وأبي مسلم ، فجعل المنصور ولي عهده ومن بعده عيسى بن موسى بن محمد ، وهو ابن أخي السفاح ، وقد مات السفاح بالجدري في ريعان شبابه (١٠٤هـ - ١٣٦هـ) وقد مكث في الخلافة أربع سنوات تقريباً .

والمنصور الفقيه كان ثائراً على بني أمية مع كل ثائر ولم يكن في بني العباس رجل مثله نشاطاً وترقباً لنجاح الدعوة ، اجتمع في مؤتمر بني هاشم سنة ١٢٦هـ لاختيار إمام يدعون له ، وخرج مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الذي استولى على كثير من أطراف الدولة في فارس وغيرها ، فعمل له والياً على « كورة اينج » وهي بين خوزستان وأصبهان ، وارتكب خطأً عوقب عليه ، فقد جمع الأموال وضمها لنفسه ، واتجه بها الى البصرة ، فقبض عليه سليمان المهلبي والي البصرة لبني مروان ، فأمر بضربه بالسياط . فقال أبو أيوب كاتبه - ووزير المنصور فيما بعد - : « أيها الأمير ، لا تفعل ، فان الخلافة ان بقيت في بني أمية فلن يسوغ لك ضرب رجل من عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم ، لم تكن لك بلاد الاسلام بلاداً » ، ولكن المهلبي لم ينتصح فضرب أبا جعفر أربعين سوطاً ، فارتمى أبو أيوب عليه ليمنع الضرب عنه . . وكان أبو جعفر يذكر تلك الحادثة ويمتعض من ذكرها ، وقد خاص البلاد الاسلامية شرقاً وغرباً ، وذهب الى القيروان بأفريقية لاحضار زوجة أحد العباسيين التي مات عنها زوجها وأنجبت بنتاً ، وتعرض لطلب والي بني أمية ، واختبأ في قصر صهره الحميري هناك ، فهو ثائر جائل لا يكف عن العمل ، أما فقهه فكل أبناء علي بن عبد الله بن عباس على شاكلته ، كانوا أحفظ الناس للقرآن ، وأعمقهم فهماً له حين قامت دولتهم ، كما يقول ابن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى ، وكيف لا يكونون كذلك وهم أحفاد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؟

شيء واحد كان يؤلمه في أغلب ظني وهو أمه ، اسمها سلامة ، اشتراها محمد بن علي وأعتقها

وتزوجها ، وهي من صنهاجة المغربية . فكان أبو مسلم يذكره باسمها « ابن سلامة »

وتحدث الكاتب عن « أبي سلمة حفص بن سليمان » وزير آل محمد الذي اتهم بحب « بني فاطمة » « العلويين » فقال : ان أبا مسلم أسرع باستدعائه ، ولم يترك له فرصة لتوضيح أي شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه ـ يعني أبا جعفر ـ المذهول . . والتاريخ يقول : ان أبا مسلم كان في مرو حين قُتِل أبو سلمة ، وان كان قتله بأمره وأخذ رأي الإمام ، وكان قتله مأساة مثلت بالهاشمية ، أمر السفاح منادياً فنادى ان أمير المؤمنين رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه ، ولم يزل عنده حتى مضى من الليل أكثره ، ثم خرج أبو سلمة الى منزله يمشي وحده فعرض له « مرار بن أنس الضبي » ومن كان معه فقتلوه

وأغلقت أبواب المدينة وقالوا قتل الخوارج أبا سلمة . وفي الغد أخرج فصلى عليه أخو الخليفة يحيى ابن محمد ، ودفن بالهاشمية ، فلم يشهد مقتله أبو مسلم ولا الفقيه المنصور ، وان اتفق المنصور معه على قتله حين استشاره في مرو .

وتمت بيعة أبي مسلم لأبي جعفر ، يقول الكاتب : وأمرٌ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى ، فقد استيقظ أبناء العم من « العلويين » وبدأ زعيمهم « عبد الله بن علي » يطالب بالخلافة لنفسه . وهذه العبارة تحتاج الى تصحيح سريع مريح ، ففي ذلك الوقت سنة ١٣٧هـ لم تكن هناك عداوة بين العلويين والعباسيين ، وكان الشعراء يهتفون بخلافة بني هاشم . . وأمام من ؟ أمام عبد الله بن علي الذي وضعه الكاتب في العلويين ، جلس عبد الله بعد انتصاره وحوله جنوده من خراسان ، وبمجلسه بعض من بني أمية ، يبلغ عددهم أكثر من ثمانين رجلاً ، فقال شاعره :(١) .

أما الدعاة الى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار
من كان يفخر بالمكارم والعلا ... فلها يتم الأمر غير فخار

فعبد الله بن علي هذا عم السفاح وابي جعفر ، كان قد مني نفسه بالخلافة ، لأن السفاح صرح بولاية العهد لمن ينتصر على مروان بن محمد ، ولذلك خرج على المنصور وبايع لنفسه وحدث ما حدث ، ولم تنشأ العداوة بين العلويين والعباسيين الا سنة ١٤٥هـ حين ثار « النفس الزكية » ودعا لنفسه بالخلافة ، وأغلب الظن أن كلمة « علي » في نسب عبد الله لبست عليه الأمر .

ويقول الكاتب عن استقبال أشراف العباس لأبي مسلم في المدائن : « كانوا كلهم تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره » ونقول للكاتب . في ذلك الحين سنة ١٣٧هـ لم تكن بغداد قد بنيت لتكون حاضرة الخلافة ، فقد شرع المنصور في بنائها سنة ١٤٥هـ ، وتوقف عن البناء لثورة « النفس الزكية » فلما قضى عليه عاد المنصور فأكمل بناءها ، فذِكرُ بغداد في حوادث ١٣٧هـ مخالف لواقع الأحداث والتاريخ .

ويقول الكاتب : « لم ينس الخليفة شيئاً ، فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم ، وسأله أبو مسلم في قلق : يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ .

والأمير عيسى بن موسى بن محمد ليس خال الخليفة ، وانما هو ابن أخيه ، وولي العهد من بعده ، وكان رجلاً جليلاً في بني العباس كما يقول الجاحظ ، وهو الذي قضى على العلويين والنفس الزكية وأخيه . أما سؤال أبي مسلم « يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ فلم يكن في الاستقبال ، وانما كان في اليوم الثاني ، وفي منزل عيسى بن موسى .

وبجانب ذلك بعض هفوات لا داعي لذكرها مثل حميد المروزي وبيزك الذي غير اسمه ، وأبو حميد هذا كان السبب في تعجيل بيعة السفاح ، وحديث الدعوة العباسية يطول فنكتفي بهذا .

ولا يفوتني أن أشكر للكاتب ما كتب ، فقد أغراني بالرجوع الى المراجع ، ونقد مقاله وبيان الحقيقة ، وكلانا شريك في جمع المعلومات وتنسيقها ، طلباً لتوضيح السِّير ، وإشاعة الثقافة الصحيحة . □

السيد حسن قرون

---

(١) أنشد الشعر سنة ١٣٢هـ .

أقوال

□ افلاطون هو صديقي ، ولكن صديقي الاكبر هو الحقيقة .

اريسطو طاليس .



□ لا يبقى في الوادى الا حجاره .

الطاهر الوطار

الجزائر

□ الابداع يأتي قبل أو بعد الاحداث الكبرى وليس في اثنائها .

عصام محفوظ

لبنان

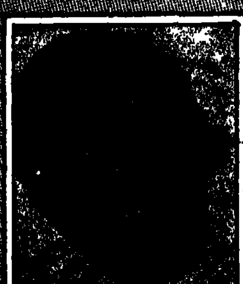


□ « ما كل مثقف يصمت لأنه مقموع ، وما كل مثقف عربي مقموع يصمت ، وما من مثقف عربي يقوى أمام هذا القمع على أن يصمت ، فاذا صمت فذلك يقيناً لأنه ليس لديه ما يقوله ، أي تكون ثقافته ولو جاوزت الجوزاء جوزاً فارغاً » .

ـ أميل حبيبي

□ « شعر اليوم لم يعد ذلك الشعر الذي كان يزاحم على أبواب السلاطين ، أو الذي يكون أهم أهدافه الرسائل الأخوانية ، الشعر اليوم هو الشعر الحقيقي ، النابع من هموم ، والصاعد من هم ، ولا يزال له دور أكثر مما كان له في الماضي » .

ـ الشاعر عبد الله البردوني



□ « رأسمالي عاقل خير من اشتراكي جاهل » .

ـ كامل زهيري

□ الانسان العربي وبشكل خاص رجل السياسة هو طفل ! ومشكلته انه يريد ان يتفرد بالحكم وينتزع السلطة من الآخرين ، بعبارة أخرى أن يحتكرها كلما اتيحت له الفرصة .

د . فاطمة المرنيسي

المغرب



□ « ما الذي يجمعني واليهود ؟ ليس هناك أي شيء تقريباً يجمعني ونفسي أنا ، ان علي أن اختبيء في زاوية ما راضياً بحقيقة انني قادر على التنفس » .

فرانتز كافكا

العربي
عيونك
على العالم

هيروشيما
تغني للحياة

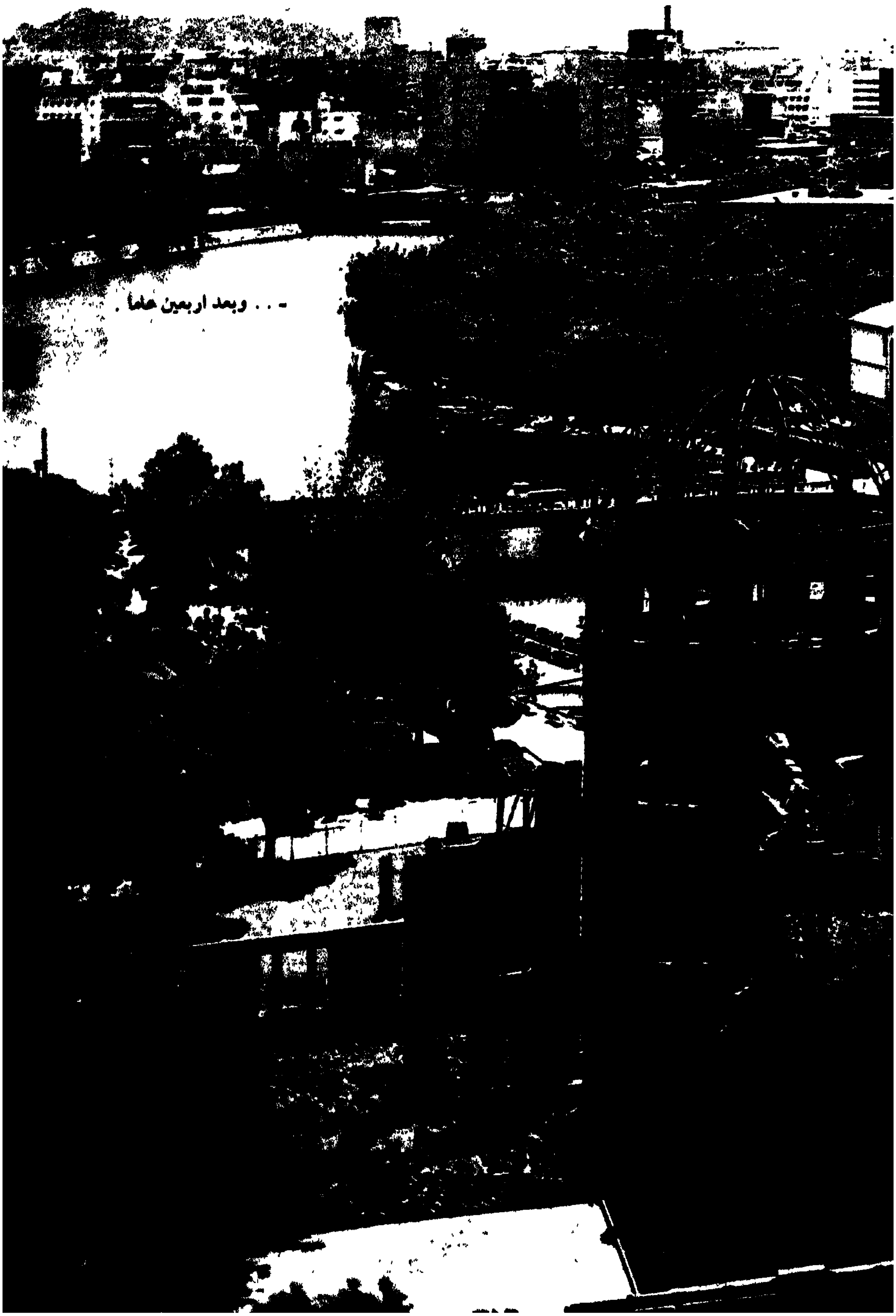
استطلاع : [illegible]

تصوير : طالب الحسيني

وتمضي السنون .. ويتوقف النزف .. ويلتئم الجرح .. ولكن تبقى الذكرى .. ذكرى مأساة مدينة احرقوا اهلها ، ولكنهم لم يستسلموا لجراحهم .. لقد راحوا يبنون مدينتهم فوق [illegible]



- هيروشيما وقت الحريق .



- . . وبعد اربعين عاماً .

لم يكن غـريبـا أن يتصـور الكثيـرون أن مدينة هيروشيما اليابانية قد اختفت الى الابـد عندما احترقت بهذا الجبل من النيران الـذي خلفته أول قنبلة ذرية أطلقها الانسان من معقلها لتضرب المدينة وتقتل وتحرق كل اثر للحياة فيها .

لقد عاش اليابانيون يحتويهم الشعور بالتشاؤم والاحبـاط بعد ان رأوا عشـرات الالوف من الاطفال والنساء والـرجال يحتـرقون أحيـاء في ثوان معدودة تحت وهج الحريق المروع ، وما تلا ذلك من سـقـوط عشـرات الالـوف قتـلى نتيجـة اصـابتهم بالاشعاع الـذري الـذي واكب الانفجار واستمـر يعرض حياة أهلها للخطر لسنوات طويلة هؤلاء الذين لم يحترقوا في اللحظات الأولى للانفجار لأنهم كانوا بعيدين عن دائرة الموت .

ولم يقتصر خطر الاشعاع على البشر ، لقد امتـد لينفذ في بطن الارض ويبث سمومه في ترابها ، وقال الخبراء :

« لقد قتل الاشعاع الارض الطيبة ولن تنمو شجرة واحدة ولا نبتة في هيروشيما ، ان المـدينة لن تكـون صالحة للعيش فيها لسنوات وسنوات طويلة . . لقد ماتت ، ولن تعود اليها الحياة أبدا . ! »

وذهبنا اليها ، وفي رأسنا هذه الصورة . . وكانت المفاجأة . .

كانت هيروشيما تستعد لـلاحتفال بمـرور أربعين عـاما عـلى الصيحة التي انـطلقت تحت سمائهـا في أعقاب الحريق المدمر داعيـة الى السلام . . ووقفنـا نتأمل المعجزة التي تحققت . . لقد رفضت المدينة ان تستسلم للجرح الدامي الذي أصابها فقامت تستعيد حيويتها ورفاهيتها . . .

لماذا هيروشيما ؟

ولكن لماذا اخترنا الذهاب الى هيروشيـما ، ولماذا كان اصرار « العربي » على ان تكون هذه المدينة في مقدمة برنامج رحلتنا الطويلة الى اليابان ؟ لقد خرج العالم بعد الحرب العالمية الثانية أشلاء ممزقة . . في أوروبا وآسيا بصفة خاصة حيث بدأت الحرب وحيث انتهت . . كـل المـدن الكبيـرة والصغيـرة البعيـدة والقـريبة أصـابها الخـراب والدمـار . . وعلى مـدى الشهور التي انقضت وقف العالم كله يتذكر . . فقد كـانت هنـاك مناسبـة ستـطل ذكـراهـا محفـورة في الأذهان . . كان التاريخ يقول ان أربعين عـاما قـد انقضت على نهاية الحرب التي ذهب ضحيتها الملايين من البشر ! .

ولكن تبقى بعد هذا هيروشيما رمزا لأبشع مأساة شهدتها البشرية . . حتى الذين لم يكونوا قريبين من مسرح الحريق الهائل المدمر . وحتى الذين لم يكونوا قد أتوا بعد الى هذا العـالم المضطرب الـذي مزقتـه الاحقاد والاحداث الدامية . حتى هؤلاء وهؤلاء يعرفون هيروشيما ويدركون حجم المأساة التي عاشتها هذه المدينة عندما ضربها الامريكيون بأول قنبلة ذرية فاحترقت بمن فيها وما عليها البشر والـزرع . والحيوانات والطيور . البيوت والحياة التي انتزعت من جذورها ـ حتى صخور الجبال التي مرت امامها الاجيال ، وذهبت لتأتي من بعدها أجيال وأجيال . . حتى هذه الصخور تفتتت وهي التي بقيت شامخة قرونا تتحدى الزمن !

حدثنا صاحبنا المسؤول الياباني الـذي رافقنا في رحلتنـا ، قال : « لقد أحصـوا الـذين احتـرقـوا في هيروشيما من سكانها في اللحظات الاولى من الانفجار المروع ، فوجدوهم يزيدون على المائتي الف قتيل . . واحصـوا الذين قضـوا نحبهم بعد ان هـدأ الحريق وانطفأت جذوته فـإذا بهم يزيـدون على المـائة الفـ قتيل . . ماتوا جميعا تحت تأثير الاشعاع النووي الذي تسبب في اصابتهم بامراض قاتلة . .

« في السـاعة الثـامنة والـربـع من صبـاح اليـوم السادس من أغسطس عـام ١٩٤٥ ، كانت مـأساة هيروشيما التي مازالت صورتها حية في أذهان اليابانيين وفي ضمـير العالم كله . . وفي الشهـر الـذي مضى خرجت المدينة ، كما تعودت أن تفعل كل عام تحتفل بالسلام الذى تحمله أسراب الحمائم فوق أجنحتها وهي تحلق في سماء هيروشيما . . انها لن تنسى هذا التاريخ الذي انتهت فيه الحياة فوق أرضها ثم جاءت من بعده حياة جديدة ! »

صيحة السلام

من هنا . . من قلب هذه المدينة الجديدة التي قامت فوق أنقاض هيروشيما المحترقة ، ارتفعت الصيحة ، وسمع العالم كله دويها . . وهي صيحة تكررت وتتكرر مع مولد كل عام جديد في اليوم السادس من شهر أغسطس ، وقد انطلقت لأول مرة بعد مرور عام واحد على الحريق ، وكان اليابانيون لم يفيقوا بعد من هول المأساة التي عاشها اخوانهم في هيروشيما . . كانوا قد بدأوا يعودون اليها . . الى الأرض التي تحولت تحت أقدامهم الى رماد وحطام . . ونظروا حولهم فلم يجدوا شيئا . . كان كل أثر للحياة التي كانت،قد اختلط بالرماد الذى خلفه الحريق المدمر . . كانت الصورة قريبة لما يمكن أن يصنعه الشر الكامن في قلب الانسان عندما يتحالف مع التقدم العلمي الذي لايكون دائما لخير البشرية !

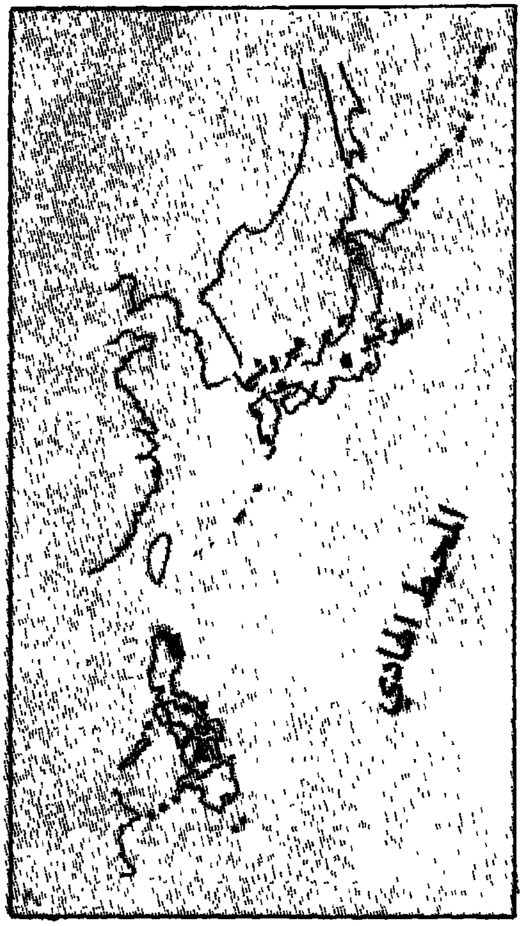
« قال مرافقنا : في السنوات الاولى بعد الطوفان كان العائدون يلتقون في ذكرى احتراق هيروشيما ليصلوا من أجل هؤلاء الذين دفعوا حياتهم ثمنا لمولد سياسة السلام أو المسالمة في هذا العالم الواسع الذي مازال يعيش تحت شبح القنابل الذرية والهيدروجينية . .

« ثم تحولت الصلاة من أجل ضحايا هيروشيما ، الى صلاة من أجل السلام . . وشدت الاجتماعات التي تقام سنويا في ذكرى احتراق هيروشيما الالوف من زعماء العالم المحبين للسلام فجاءوا ومازالوا يجيئون ليشاركوا عمدة المدينة في صلاته : « لاهيروشيما بعد اليوم » . الى أن كانت ذكرى مرور ربع قرن على مأساة هيروشيما ، في عام ١٩٧٠ ، عندما شهدت المدينة لأول مرة أضخم تجمع من نوعه للسلام في الفترة مابين الحادي عشر من نوفمبر واليوم الثاني من ديسمبر . . وخلال تلك الاسابيع الثلاثة ، كان المدعوون من العلماء والفلاسفة ورجال الفكر وقادة الحركات السلمية في اليابان وفي العالم الواسع من حولها يلتقون في هيروشيما . . لقد أصبحت معبد السلام »

وانتصرت ارادة الانسان

ويمضي المرافق في حديثه :

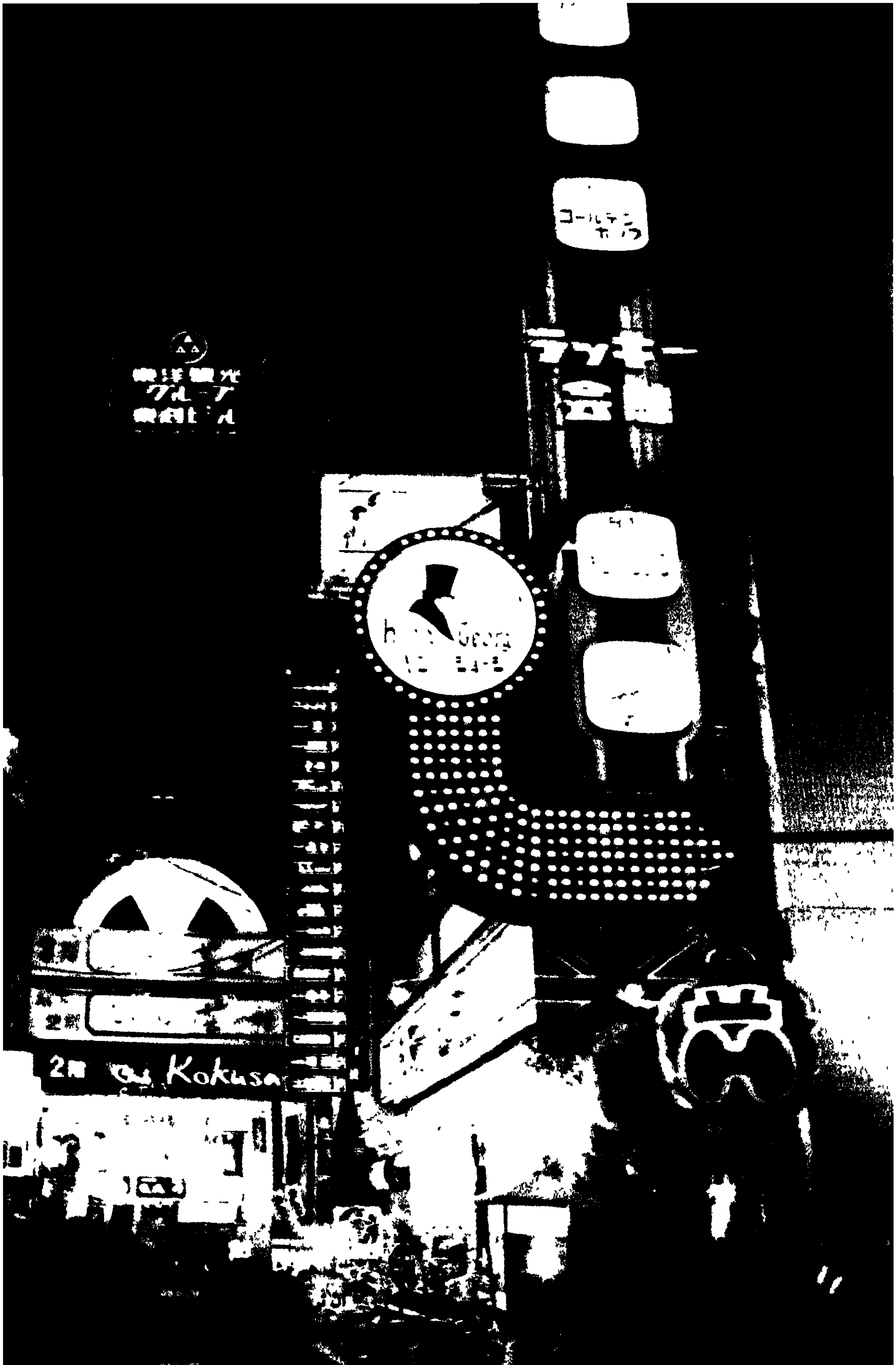
« وفي هذا المؤتمر ، كان مولد هيروشيما الجديدة قد

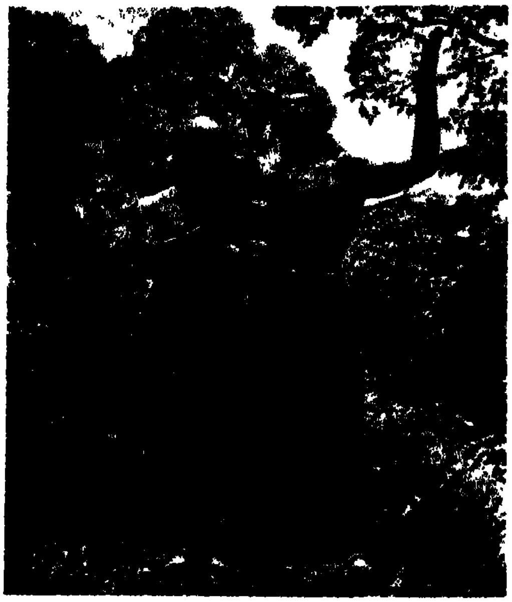


ـ خريطة تبين موقع هيروشيما في قلب الجزر اليابانية التي تسبح في المحيط الهادي .

اكتمل أو كاد . . لقد تحققت المعجزة وقامت المدينة الحديثة الجديدة في أقل من ربع قرن فوق الرماد والحطام والركام ! »

« ولم يكن غريبا ان تنتصر ارادة الانسان وهو يرى كل شيء من حوله مهددا بالزوال . . الارض التي يقف عليها والسماء التي يستظل بها وحتى وجوده نفسه . . وكان عملا شاقا متصلا لايهدأ،شارك فيه كل من كتبت له الحياة بعد الحريق . . حتى الذين لم تكن تربطهم بالمدينة المحترقة صلة من بعيد أو من قريب . . كلهم جاءوا اليها وكلهم ساهموا في اعادة بنائها . . فقد كانت اليابان ،كلها تئن من الجرح الدامي الذي أصابها ابان الحرب،وكان لابد أن تصحو من هذا الرقاد الذي كانت تغط فيه ، وبدأت بناء


Kokusa



ـ صلاة من أجل السلام



ـ الهروب من الجحيم .. أم مع طفلها .



ـ الجرس يدق للسلام مرة كل عام .





ـ احد شوارع هيروشيما الحديثة خلال النهار . انه يكاد يخلو من المارة ، لأن الجميع في أعمالهم

نفسها وبناء الحب من أجل السلام وبناء الانسان الياباني الجديد الذى نزعوا عنه الروح العسكرية وغرسوا في وجدانه الحب من أجل السلام والبناء والحياة . . »

ومن وراء نافذة الطائرة التي حملتنا من طوكيو العاصمة وثاني أكبر مدينة في العالم رأينا معالم المدينة الجديدة . . مدينة هيروشيما بعد رحلة استغرقت ساعة وبعض الساعة . . وفاق ما رأيته كل ماكان يدور في رأسي منذ تلك اللحظة التي بدأنا نستعد فيها لزيارة هذا البلد البعيد الذي يسبح بجزره في المحيط الهادي ، بعد أن عاد الهدوء الى أمواجه العاتية التي ابتلعت مئات الألوف من البشر في الحرب التي شوهت وجه البشرية !

وكنا كلما ازداد اقتراب الطائرة من الارض وهي تستعد للهبوط ازدادت دهشتنا . . هل يمكن أن تكون هذه هي هيروشيما ؟ ان الصورة التي بقيت عالقة في ذهني على مدى هذه السنين التي أعقبت الحرب العالمية الثانية هي صورة الفراغ المخيف الذي تخلف عن القنبلة الذرية . . والتي نقلتها كل صحف العالم وبعدها لاشيء . . هل كان تقاعسا من جانب أجهزة الاعلام عندهم ؟ ربما . . ولكن الاحتمال الاكبر هو ان اليابان لم تنفتح على العالم العربي الا في السنوات الاخيرة . . وربما كان هذا أحد الاسباب التي أخفت عنا وجه اليابان الجديد رغم هذا الزخم الهائل من السلع والمنتجات اليابانية التي امتلأت بها الاسواق العربية من الراديو الترانزستور الى السيارة .

كل شيء جديد !

وكان لقاؤنا أخيرا بهيروشيما . . مدينة جميلة كادت بيوتها تختفي وراء الأشجار الخضراء الباسقة والزهور والحدائق . . مدينة حديثة . . كل شيء فيها جديد حتى الناس الذين تلقاهم في طريقك . . انهم يمثلون جيلا جديدا من الشباب والاطفال الذين جاءوا لى



ـ البيوت الحديثة في هيروشيما قامت عند سفح الجبل في صفوف متراصة فوق بعضها بعضا .

هذه الارض بعد الطوفان . . قليلون هم الذين عاشوا مأساة هيروشيما ورأوا المدينة تحترق . . ولكن كلهم يعرفون قصة هيروشيما . . بعضهم جلس ينصت اليها وهي تنقل اليهم على السنة الذين كتبت لهم الحياة . . وبعضهم رأوها ماثلة أمامهم من خلال الصور والتماثيل التي امتلأ بها متحف السلام في هيروشيما . . والاغلبية عرفوا تفاصيل المأساة أمام البيت الذي دمره حريق القنبلة وتركوا ماتبقي منه وسط حديقة السلام التذكارية في قلب المدينة وقريبا جدا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الفناء . .

والبيت لايمكن أن تخطئه عين . . انه يقف هناك في مكانه وكان من أجمل المباني التي شيدت في هيروشيما قبل الحرب . . ولايملك من يمر أمامه الا ان يتوقف ويتساءل : « ولماذا أبقيتم عليه ؟ » ويجيء الجواب « حتى لاننسى ! » ومع هذه المقدمة القصيرة تتابع القصة الكاملة للمأساة يرويها لك حارس الحديقة اذا كنت زائرا ولم تسمعها وحتى الذين قرأوا عنها وسمعوها تجدهم على استعداد دائما لان يسمعوها مرة ثانية وثالثة ، كلما مروا بالبيت الذي أحرقته القنبلة ووقفوا يتأملون مايحمله من ذكريات . .

ونجول في أنحاء هيروشيما . . الاشجار الوارفة ولون الزرع الاخضر . . لون الحياة يضفي على المكان صبغة خاصة . . على كل مكان ذهبنا اليه خلال رحلتنا القصيرة التي لم تستغرق اكثر من أربع وعشرين ساعة ، كانت تحتضنه وتحنو عليه الأشجار التي زرعوها ونمت وكبرت حتى باتت تغطي بفروعها وأوراقها كل شيء حولها . . لقد عادت الحياة الى الارض التي احترقت ونفذ الاشعاع القاتل الى اعماقها !

البيوت الصغيرة شيدت عند سفح الجبل في صفوف متراصة تعلو بعضها فوق بعض . . العمارات الشاهقة والفنادق الأنيقة والمطاعم التي تنتشر في كل شارع . . في كل متجر كبير . . وحتى في دور الحكومة ، تقدم لروادها الوجبات في



ـ مدينة يجري كل شيء فيها على عجلات . . فقد قام في هيروشيما أكبر مصنع لانتاج الدراجات .



ـ صورة من الحياة التي يمكن أن تراها في أي مكان من مدن أوروبا لولا اللافتات التي كتبت باللغة اليابانية



ـ فليسل نفسي أو
المستقبل .. وجيو بسرعة لا
تعرف عن هذه المدينة الجميلة إلا
يومها ومحاضراتنا في هذا السن
على الأقل .

مواعيدها . . وهي تهتم بوجبة الغداء ، لان يوم العمل يبدأ في الصباح ولاينتهي الا قبل غروب الشمس بقليل . . وليس هناك متسع من الوقت يسمح للعاملين والموظفين بالذهاب الى منازلهم لتناول الغداء والعودة الى أعمالهم مرة أخرى . . ثم ان الزوجة أيضا تعمل . . والاطفال في مدارسهم ، أو في دور الحضانة ، وشمل الاسرة لايجتمع الا عند الغروب . .

دور المرأة !

والمرأة في اليابان ليست عضوا خاملا في المجتمع . انها تشارك الرجل في المصنع وفي الحقل وفي شتى مجالات الحياة قبل الزواج وبعد الزواج . . وربما كان دورها هنا في هيروشيما أكبر وأهم منه في أي مكان آخر . . فقد ساهمت مساهمة فعالة في اعادة الحياة الى هذه المدينة التي ماتت ثم بعثت الى الحياة من جديد . .

والفتاة اليابانية تتزوج ولكنها تفضل ان تدخل هذه التجربة بعد سن النضوج ، وهو عندها حول الخامسة والعشرين . أما متوسط سن الشاب الذي يقدم على الزواج فهو يرتفع قليلا الى الثامنة والعشرين . .

قال لنا صديقنا الذي رافقنا خلال رحلتنا الى هيروشيما » : ان الاحصائيات تقول أن هناك عرسا يتم كل أربعين ثانية في اليابان وأن معظم الزوجات يفضلن الاستمرار في عملهن بعد الزواج . . وهذه الاسر الصغيرة الجديدة غالبا ماتكتفي بطفل واحد أو طفلين على الاكثر . . ولذلك فان نسبة الزيادة في تعداد السكان لاتزيد على سبعة من عشرة في المئة ، أي أكثر من نصف في المائة قليلا . .

ويقام تسعون في المائة من حفلات العرس في معابد الشنتو[1] ، وقد زرنا أحد هذه المعابد الشهيرة بمدينة هيروشيما ، وهو يقع على الجانب الآخر من شاطىء الخليج الدافىء الضيق الذي تجري فيه العبّارات التي تربط بين قسمي المدينة اللذين تفصل بينهما مياهه . . معبد كبير يأتي اليه الزائرون من كل مكان . . وقد بقي على ماهو عليه باستثناء بعض الدمار الذي أصابه من الانفجار الذري ، ولكنه صمد وأعيد ترميمه رغم مرور ثمانمائة عام على بنائه وتوسيعه في القرن الثاني عشر الميلادي . .

وحول المعبد الكبير رأينا قطعان الغزلان تمرح في هدوء وتشارك الزائرين الطعام الذي يحملونه معهم . . ان الغزال هنا حيوان مقدس وهو يتكاثر وينتشر في المنطقة المحيطة بالمعبد على شاطىء الخليج مباشرة . . ثم هو لايكتفي بالطعام الذي يقدم اليه ، وانما يشارك أيضا في مهرجان البحر الذي يقام أمام المعبد في اليوم السابع عشر من شهر يونيو من كل عام ، عندما ترتفع مياه الخليج ويزداد المد ويبدو المعبد كله وكأنه يسبح في البحر . .

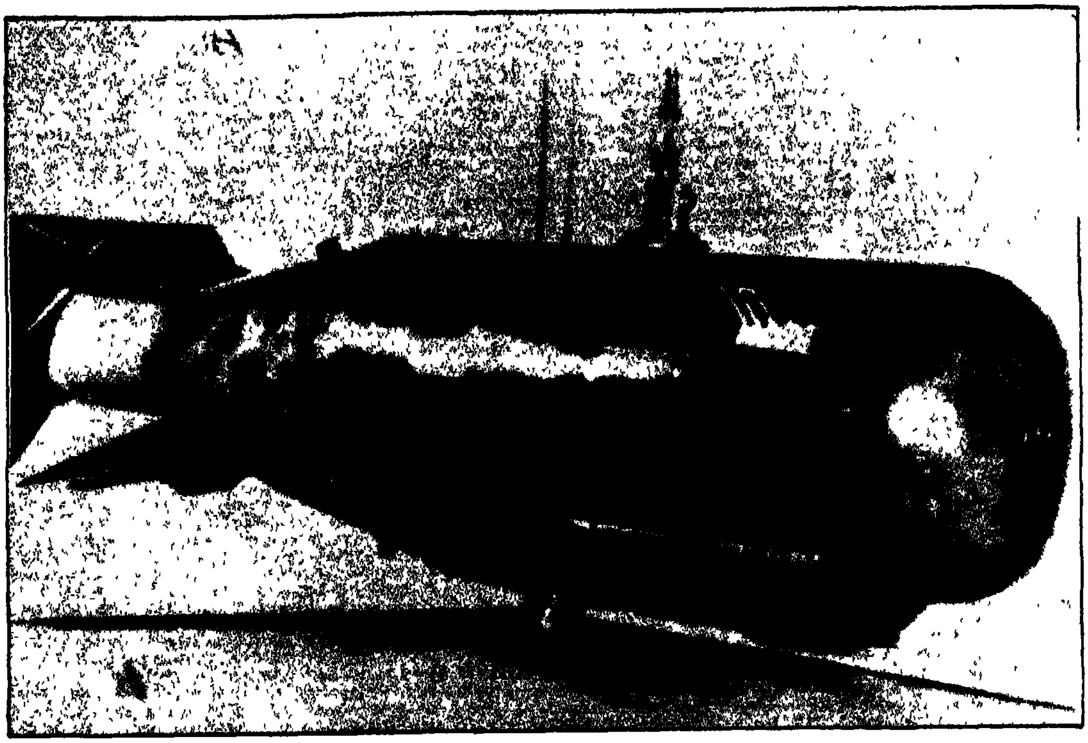
وتضاء الانوار وتعزف الفرق الموسيقية الحانها ويرقص الزائرون على أنغامها الهادئة وترقص الغزلان طربا . .

ونترك المعبد ونستقل العبّارة عائدين الى المدينة . وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب . . ولا أدري لماذا ولا كيف قفزت الى رأسي فجأة كلمات قرأتها لارنست هيمنجواي عندما قال : « اذا أردت أن تتعرف على شعب ، فاخرج الى الشارع عندما يغوص قرص الشمس في الأفق ويلف الظلام المدينة التي جئت اليها تبحث عن الحقيقة ! »

ولم نعد الى الفندق ، لقد مضينا نجول في شوارع هيروشيما بالليل . . كان هذا « العالم الجديد » من حولنا يسبح في الاضواء . . الشباب يغني للحياة الجديدة . . الطرق الواسعة تضيق بالدراجات التي تتزاحم للوصول الى قلب المدينة الذي ينبض بالحياة . . المحال التجارية والمطاعم ودور السينما واللهو تزدحم بروادها الكبار والصغار .

---

(١) الشنتو ، ديانة اليابان الأهلية وهي تقوم في المقام الأول على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة والقوى الطبيعية ، والكلمة بمعناها الحرفي تعني الطريق إلى الآلهة . ولكن الشنتو ليس لها مؤسس ولا عقيدة ، ولا تعاليم مكتوبة ومع هذا فقد عاشت طويلا في اليابان . ثم جاءت البوذية والكونفوشية ، وتأثر اليابانيون بتعاليم كونفوشيوس فيلسوف فلاسفة الصين أكثر من الصينيين أنفسهم .



ـ القنبلة الذرية التي القيت على هيروشيما منذ اربعين عاما كانت تحوي في جوفها كيلوحراما واحدا من الذرة التي اشعلت ابشع حريق على الارض

الضحكات . . . الابتسامات على الوجوه . . أنها فرحة الحياة !

أين نحن ؟

ونمضي في رحلتنا نتأمل صور الحياة الجديدة من حولنا . . كل شيء فيها يقول انها قد تكون احدى مدن أوروبا . . فهي قريبة الشبه بمدن المانيا وسويسرا . . ولولا هذه « الشخصيات » الغربية التي كتبت بها أسماء المحال التجارية والشوارع والميادين التي تنتشر في كل مكان وتحمل كلها اسم « السلام » لقلنا أننا ضللنا الطريق وأن الطائرة قد حطت بنا في مكان آخر بعيد تماما عن اليابان التي عرفناها من خلال ملابس أهلها وتقاليدهم وعاداتهم . . اللغة اليابانية وحدها هي التي مازالت تميز هيروشيما وغيرها من المدن اليابانية عن أية مدينة أخرى . . حقيقة أن الحضارة الغربية بدأت تزحف على اليابان منذ منتصف القرن التاسع عشر أو أكثر أو أقل ولكن الزحف لم يكتمل ولم يتأثر به الياباني الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبداية دخول اليابان عصر البناء الحديث . . بناء اليابان الجديدة فوق الدمار الذي أحدثته الحرب وحوّل اكثر من ٧٠٪ من مدنها الى انقاض وأشلاء . .

هنا في هيروشيما ، ومع الطفرة الهائلة التي حولتها من تراب محترق اختلط باشلاء ودماء الضحايا والاشعاع المميت ، الى واحدة من أكبر المدن الصناعية في اليابان . . هنا في المدينة التي كانت مسرحا للدمار الذري الذي أعلن عن بداية عصر الذرة في الحرب والسلام تقوم اليوم احدى أكبر الشركات لصناعة السيارات في العالم . .

وهنا أيضا قامت المصانع لانتاج الدراجات الهوائية والنارية . . ووجد أهل هيروشيما في الدراجة أفضل وسيلة عملية للتنقل ، فأصبحت المدينة كلها تجري على عجلات . . وفي كل شارع ، في كل مكان يتسع لاقامة موقف للدراجات استطعنا أن نرى صورة لحجم هذا الاعتماد الكبير على الدراجة التي



ـ احتفال بعرس في هيروشيما « العريس » مع اصدقائه يؤرجحونه في الهواء بأمر التقاليد !

ـ وجوه من هيروشيما .



ـ عجوز ، على وجهها اخاديد المأساة .



ـ لم تكن هناك وقت الانفجار .



راهب بوذي لا يكف عن الصلاة .



- تحية .. وزهور وابتسامة للحياة .



- إثنان من المحاربين القدامى .. رأيا جهنم على الأرض



- أستاذ جامعي عاش الحريق

يستخدمها معظم أهالي المدينة .. الشباب والشيوخ .. النساء والاطفال من مختلف الاعمار . !

عودة الى الأرض

ان اقتصاد المدينة التي أرادوا لها الموت ، لايعتمد على الصناعة وحدها ، فقد عاد أهلها الى الارض أيضا وراحوا يستصلحونها ويزيلوا عنها آثار الدمار والحريق والاشعاع السام المدمر .. وأصبحت اليوم من أكثر أراضي اليابان الزراعية عطاء . انها تنتج الان جميع أنواع الفاكهة وفي مقدمتها اليوسفي الذي تصدره الى مختلف انحاء البلاد .. وكل انواع الزهور في بلد يعشق أهله الورود والرياحين والاشجار الخضراء الوارفة التي تظلل كل شبر من الارض بقي شاغرا ، حتى ليخيل اليك وانت تنتقل ببصرك خلال جولتك بين شوارعها ومبانيها الحديثة أن الاصل هو الزرع ، وأن المباني من حوله انما جاءت بعد البساتين والحدائق وصفوف الاشحار التي تلقي بظلالها على جانبي الطرق الفسيحة التي تتقاطع في شكل هندسي رائع بطول المدينة وعرضها عبر الكباري والجسور التي أقيمت فوق مياه الخليج وفوق أحد فروع نهر اوتا الذي تتدفق مياهه الحلوة في قلب المدينة .

وفي هيروشيما كان لقاؤ نا بالمعنى الكبير الذي تحمله كلمة السلام التي اصبحت أغنية ونشيدا وصيحة مايزال صداها يدوي كل عام مع ذكرى اليوم الذي ماتت فيه المدينة .. في الميادين ، ووسط الحدائق العامة ، حول الارض الفسيحة التي تحيط بمتحف هيروشيما الذي يحكي قصة مأساتها .. وفي كل مكان يمكن أن تصطدم عين الزائر به ، رأينا ترجمة رائعة شارك فيها العديد من الفنانين اليابانيين وغير اليابانيين .... هؤلاء الذين جاءوا ويجيئون مع مولد كل عام من الاعوام الاربعين التي مضت والتي سوف تجيء .

السلام .. السلام

هناك النصب التذكاري الذي أقيم قريبا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الموت وقد حفروا عليه باللغة اليابانية عبارة تقول « كتب من الماضي » وتحوى هذه الكتب أسماء كل الذين أحرقتهم القنبلة الذرية ثم عبارة تحمل صلاة ورجاء : « لترقد كل الارواح هنا في سلام .. لاننا لن نعيد الشرور التي ارتكبت » .

ثم المقبرة الجماعية التي تحوي رفات اعداد لاتحصى ولاتعد تحت مرتفع أقاموا فوقه نصبا ، ومن حوله أشجار خضراء وارفة تظلل المكان الذي اختلطت فيه الاجساد المحترقة بأديم الارض التي تكسوها الحشائش الخضراء ..

وعند تمثال أطفال القنبلة وقفنا نستمع الى قصة الطفلة الصغيرة التي احترقت بعد تعرضها الى الاشعاع الذري وهي ذاهبة الى مدرستها في الصباح لحظة القاء القنبلة واندلاع الحريق الهائل .. لقد كانت مأساتها هي التي حفزت أهالي هيروشيما الى اقامة هذا النصب التذكاري في الحديقة العامة للسلام تعبيرا عن أملهم في قيام عالم يسوده السلام بعيدا عن شبح القنابل الذرية .

قال لنا مرافقنا : « ومع هذا الامل تدوي دقات هذا الجرس وترتفع الصلوات من أجل السلام ، في ذكرى احتراق هيروشيما في السادس من اغسطس كل عام !

ثم أشار بيده الى الجرس الذي مضى يدق على مدى هذه السنوات الطويلة .. انه يتدلى تحت قبة شيدت من الاسمنت المسلح لتحميه من مياه الامطار حتى لايعلوه الصدأ وتخفت دقاته التي يريدون لها أن تبقى قوية عالية تدوي تحت سماء هيروشيما ..

وتماثيل أخرى كثيرة امتلأت بها المدينة التي تعيش المستقبل وتصلي من أجله ، ولا تنظر أبدا الى الوراء .. تمثال المدرسة التي تحمل طفلا احترق في الجحيم الذي نزل الى الارض .. تمثال رجل وامرأته وطفلهما يصلون من أجل السلام .. وآخر لأم مع طفليها في محاولة للهرب من هذا الجحيم ! وأخيرا « نافورة » السلام التي تتدفق منها المياه وتتجمع حولها الحمائم والاطفال !

ثم ماذا ؟ قال لنا مرافقنا الياباني الذي يتحدث الانجليزية بطلاقة وهو يشرح لنا معنى السلام الذي أعادت اليابان في ظلاله بناء نفسها من جديد : « لقد استسلمت اليابان في الحرب العالمية الثانية بعد ضرب هيروشيما ، ثم ناجازاكي بالقنبلة الذرية .. ولكن



- جانب من المتحف الملحق بمعبد الشنتو الذي نجا من الحريق المدمر .

ليس معنى هذا ان اليابان قد ركنت الى الاستسلام . . بالعكس . . ان هناك فارقا كبيرا بين السلام والاستسلام واذا كنا قد استسلمنا ، فلأننا أردنا ان نجنب أنفسنا وأعداءنا مزيدا من الدمار والقتل . . ان لدينا اليوم جيشا قويا . . ونحن قادرون على الدفاع عن أنفسنا ضد أي عدوان . . ولكننا أبدا لن نكون البادئين بالعدوان . . لقد ارتكبت اليابان أخطاء كثيرة ابان الحرب ، ولكنها لن تتكرر . . ثم نحن لانملك القنبلة الذرية ، ولن نمتلكها ، فنحن لانريد أن نصنع بأحد ماصنعه أعداء الامس بنا ، ومن أجل هذا ندعو الى قيام عالم جديد تعيش فيه البشرية بعيدا عن شبح هذا السلاح المدمر الذي سيقضي على الحياة كلها في أي حرب ذرية !!

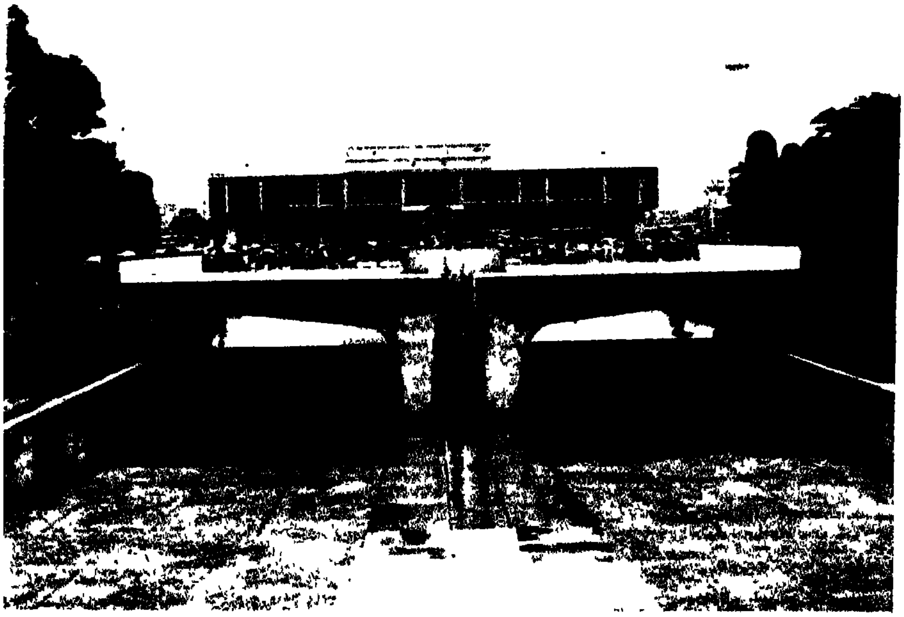
وتبقى بعد هذا قصة هيروشيما . . المدينة التي عادت الى الحياة من جديد . . ترى كيف بدأت الحياة في هذه البقعة من الأرض ؟

أقرب تاريخ لهذه البداية كان منذ أربعة قرون أو في عام ١٥٨٩ على وجه التحديد عندما شيد أحد امراء الاقطاع في اليابان واسمه نيروموتو موهري قصرا عند مصب نهر اوتا وأطلق على القصر اسم « هيروشيما » . . وبعدها بدأت المدينة تنتعش واشتهرت بين اليابانيين باسم « مدينة القصر » ، ثم راحت تنمو وتتسع كواحدة من أجمل مدن اليابان !

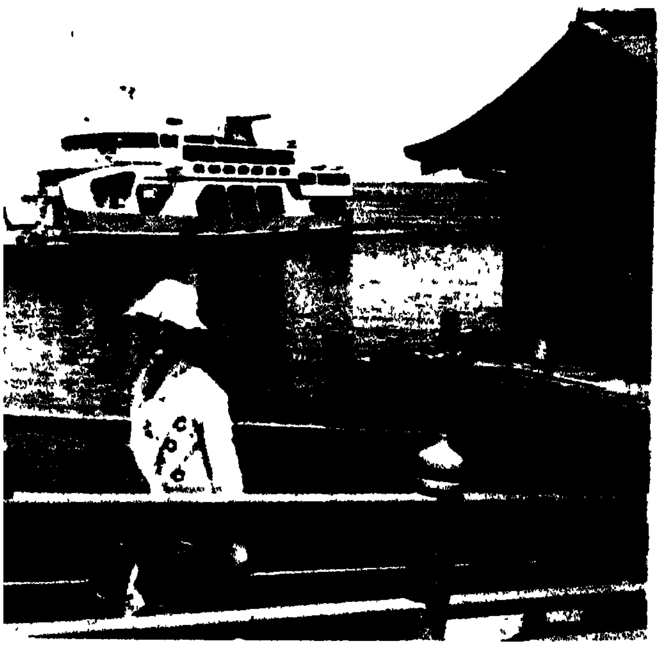
ثم كانت الحرب العالمية الثانية التي انتهت بدورها ، بعد ان تحولت هيروشيما الى ترسانة عسكرية . . وكان تحول « مدينة القصر » الى مخزن للاسلحة والعتاد الحربي ، هو السبب المباشر في اختيار الامريكيين لها ، دون سائر المدن اليابانية لضربها بأول قنبلة ذرية . !

. . ثم بدأت الصحوة !

هيروشيما كانت قمة المأساة التي تعرضت لها اليابان في الحرب فقد كان الدمار فيها شاملا كما ذكرنا لم يبق منها شيء ولو صغيرا يوحي بالحياة التي كانت تنبض بها هذه المدينة الصغيرة قبل الجحيم الذي احترقت فيه . . ولكنها لم تكن وحدها فقد كان الدمار ، كما ذكرنا ، قد عم أجزاء كبيرة ومساحات هائلة من مدن اليابان وقراها . . في الريف والحضر . . في المصانع والمزارع ، كان حجم الكارثة التي حلت بالبلاد اكبر من كل تصور . .



ـ متحف السلام .. هذا اسمه ، ولكنه يحوي في داخله قصة هيروشيما كاملة بالصوت والصورة .



ـ العبّارات التي تنتشر في مياه الخليج وتربط بين شطري المدينة .



ـ لورد اقطاعي .. لم يبق منه الا تمثال !



ـ شارع في المدينة التي قامت فوق الحطام والركام .. انها ارادة الانسان الذي انطلق يبني من العدم .



ولكن كانت هناك دولة ومن ورائها شعب يرفض الهزيمة . . وقام الاثنان قومة رجل واحد ، وكان الهدف الملح والعاجل هو اعادة بناء وتعمير البلاد وانقاذ الاقتصاد القومي الذي اصيب بانهيار شامل . .

في البداية كانت الحاجة الى لقمة العيش تزداد الحاحا ، فالشعب جائع والمواد الغذائية شحيحة . . وبدأت الحكومة على الفور في تنفيذ برنامج توزيع الغذاء على الاهالي . ثم كانت المشكلة الثانية التي تمثلت في التضخم المالي الذي أحدثه اصدار الاوراق المالية بلاحساب فى اثناء الحرب وكانت من أعقد المشاكل التى واجهت اليابان .

وكان الموقف العصيب يتطلب نهضة قومية شاملة ، ولكن من أين تبدأ وكيف ؟ واتجهوا أول ما اتجهوا الى الارض والى الاصلاح الزراعي ، من واقع المنطق الذي يقول إن المعدة الخاوية لاتعمل،وازداد الاهتمام بالزراعة نتيجة لانحفاض نسبة النمو الزراعي حتى في الفترة التي سبقت نشوب الحرب مباشرة نتيجة لنزوح أعداد هائلة من المزارعين الى المدن تاركين الريف يلفه الاهمال والنسيان ، فلما أعادوا توزيع الارض على المزارعين الذين أصبحوا ملاكها الجدد قوى التصاقهم بها واعتمادهم على نتاجها،وتضاعفت رغبتهم في العمل في الارض التي نسوها وهجروها . .

كانت البداية اذن في الارض ومع الزرع ولكنهم لم يهملوا الصناعة ، وعمدت الدولة الى توزيع أموالها التي كانت تتركز في المدن ، لتشمل الريف أيضا بعد أن انخفض عدد العاملين في الزراعة من ٤٥٪ ١٩٥٠ الى ١٩ ٪ فقط عام ١٩٦٧ ، نتيجة للحاجة الملحة الى الايدي العاملة في المناطق الحضرية حيث تتركز كل المصانع اليابانية . .

واستطاعت السياسة الجديدة للاصلاح الذي واكب حركة البناء والتعمير في كل أنحاء البلاد ، ان تحقق زيادة ملموسة في الانتاج الزراعي أغنت اليابان عن استيراد الكثير من المواد الغذائية التي كانت تنفق الملايين في سبيل توفيرها لعامة الشعب . .

ومضت عجلة الانتاج تدور ، وسياسة الاصلاح الاقتصادي تنطلق حتى وصلت باليابان الى ما وصلت اليه الأن من تقدم في مجال الصناعةفقفز بها الى الصفوف الاولى بين الدول الصناعية الكبرى . . والحديث يطول وليس هذا مجاله . . وسوف نعود اليه في مجال اخر .

اعظم مباراة !

المهم أن هيروشيما ، كان لها النصيب الأوفر من هذه الاصلاحات ومن الجهود التي بذلت لاعادة الحياة اليها من العدم ، وربما نجد في بعض النتائج التي تحققت صورة لحجم هذا المجهود الذي شارك فيه اليابانيون ليصنعوا الحياة الجديدة على هذه الارض التى احترقت منذ أربعين عاما . .

لقد كان تعداد سكان المدينة حوالي ٣٥٠ الف نسمة لم يبق منهم احياء أكثر من خمسين ألف ممن شاء حسن حظهم أن يكونوا وراء الجبل الذي حماهم من وصول الاشعاع الذري اليهم . . وكانت مساحتها لاتزيد على ٦٥٠ كيلو متر مربع وقت الحريق المدمر . .

واليوم يعيش في هيروشيما أكثر من مليون نسمة . . ولم تعد مساحتها كما كانت عليه ، فقد اتسعت رقعة الارض في بلد تشكل فيه سلسلة الجبال أكثر من ٧٠ ٪ من كل مساحة الجزر اليابانية المأهولة ، فقد لجأوا الى هذا الجبل نفسه وراحوا يقتلعون أحجاره المحترقة ويجرفون صخوره وترابه ويردمون بها أجزاء من الخليج . . وزادت مساحة اليابس وأصبحت هيروشيما اليوم تقوم على أرض تصل مساحتها الى ٧٥٠ كيلو متر مربع . .

وبعد خمس سنوات من اليوم ، سوف تشهد هيروشيما أهم حدث في تاريخها بعد خروجها الى عالم الوجود من العدم الذي صارت اليه ، فسوف تقام على أرض هيروشيما الدورة الاولمبية للالعاب الرياضية ، بعد كوريا في العام المقبل . . هكذا سوف تتاح الفرصة للعالم كله أن يشهد قصة صمود الشعب الذي أعاد بناء اليابان . .

قصة البلد الذي سقط جريحا ، ثم عاد يقف من جديد ويضمد جراحه وينطلق . . انها أعظم مباراة فاز فيها الفريق الياباني ضد الهزيمة والدمار . □



الهديّة..

الشاعر يعقوب السبيعي

هــو الحُـبُّ من شـتى دواعيـهـمُ أدعـى   فـلا تَمنحى الأصواتَ من حـولنا سَمْعـا
وإن مــرت الأيــامُ خـلواً مـن الهــوى   فــلا تَحسبى الأيام قــد أحسَنَتْ صُنعـا
فــما كُـلٌّ من ألـقى عـليـنــا تحيـة   محباً ، ولا من غـابَ ضـاقَ بنــا ذَرْعـا
هـو الحبُّ يـدعـونـا الى الفــوزِ بـالمُنى   فِيـاخيرَ من يَـدعـوِ الى خير مـا يُدعى
يــدور بنـا حــولَ النجــوم مــداعِبـا   وإن جـدّ فـالعشـاقُ من حـولـه صـرعى
دعـانـا الهـوى همسـاً وقـال لَنـا : ائتيـا عـلى الـرغم أو طـوعـا ، فجئنـا لــه طـوعــا
فــوالله لا ينـأى عـن الحُـبّ عــاقــلٌ   يــرى نفحــاتِ الله تــدعــوه للرُجعى
هـنيئـاً لـقلبينـا فـقـد شَـعَّ فـيهـما   غــرامٌ غــدا زاداً لأفئِـدَةٍ جــوعــى
فَهَيّـا مـعى نـسعـى الى الغـايـةِ الـتى   تُضيء لهـا الأيـام والـروح والمسعى
كـأن الـذى بيـنى وبيـنـك سـابقٌ   وجـودي ، فلما جئت كنت بــه أوعى
تجيئـين لى من كـلِ حـلمٍ مـليئـةً   بمـا يُسعـد الأرواح أو يَمسـحُ الـدمعـا
وكنتُ أجُـرُّ العمـرَ ـ قبلكِ ـ مـتعبـاً   فــمن لـيلةٍ وَجْـلى الى لـيلةٍ وَجـعى
أمِنَ جَفـافَ الصـدرِ بـالغيمـةِ الـتي   سـتمـطرهُ وعـداً فـتمـلؤه زَرْعــا
وتَـأتـينَ لى مـن عــاليـاتٍ مـشيـرةً   الىَّ بـأنْ أرقــى اليـكِ وأن أسـعـى
أتــدرين يــا عصفــورة الحُب ، كـلما   خفضت جناح الـوصـل حلق بى سبعـا
أفـيضي عليـنــا من عــطايــاك نـغتنِ   فـان تصدق الأمـطارُ لا يكـذبُ المرعى

هالي

المذنبات

جبال جليد في الفضاء

اعداد : رؤوف وصفي

يقترب مذنب هالي من كوكب الأرض في شهر نوفمبر القادم كرة هائلة متألقة من الغازات تجر وراءها ذيلا يبلغ طوله عشرات الملايين من الكيلو مترات .. فما هي المذنبات ؟ ومن أين أتت ؟ ومم تتكون ؟ وهل هناك احتمال أن تصطدم بكوكب الأرض ؟ ..

أقزام المجموعة الشمسية :

تتكون المجموعة الشمسية من الشمس وتسعة كواكب ـ وهي حسب بعدها عن الشمس ـ (عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو) ، وكذلك نحو خمسة وأربعين قمرا طبيعيا تدور حول هذه الكواكب على أبعاد مختلفة . وبجانب هذه الأجرام العملاقة ، هناك عدد من الأجسام القزمة تتخلل المجموعة الشمسية هي المذنبات والكويكبات والشهب والنيازك

ان أي نظرية تتعرض لدراسة أصل المجموعة الشمسية لا بد أن تعنى بدراسة هذه الأقزام الفضائية ، ذلك أن البعض منها يأتي من مناطق في الاطراف البعيدة للمجموعة الشمسية ، ومن ثم يحتوي على مواد لم تتغير منذ تكوين المجموعة الشمسية منذ حوالي ٤,٦ بليون [1] سنة ، ولهذا كانت دراسة هذه الاقزام بالغة الأهمية للعلماء ، للتعرف على المراحل الأولى لتكوين المجموعة الشمسية وستقتصر دراستنا في هذا المقال على المذنبات

وتعتبر المذنبات من أعجب الأجسام الفضائية التي تجوب نظامنا الشمسي ، ويرجع هذا الى الطريقة الغريبة التي تظهر بها ثم تختفي وكذلك بسبب تغيير بعض المذنبات لمظهرها

وتثير المذنبات عند ظهورها في السماء خوف الناس ، أكثر من أي جسم فضائي آخر . فالمذنب يبدو متألقا ويجر وراءه ذيلا طويلا جداً ، قد يمتد عبر الأفق ، ومن ثم يبدو شكله مروعا ، كإبرة فضية هائلة تشق نسيج الفضاء .

وظن الناس قديما أن المذنب نذير شؤم ، وأن ظهوره في الفضاء يعني دمارا فوق كوكب الأرض ، حيث تصادف حدوث حروب وكوارث طبيعية عند ظهور المذنبات في السماء



ـ المظهر العام للمذنب .

---

(١) البليون ألف مليون (١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ويكتب هكذا 10^9

كما اعتقد الناس أن للمذنب شعراً طويلاً ينسدل وراءه [٢] ، ولم يكن العلماء قد اكتشفوا بعد طبيعة ذيل المذنب .

وعندما تقترب بعض المذنبات من الشمس ، يمكن لأي مشاهد فوق كوكب الأرض أن يرقبها بوضوح ، بالعين المجردة في أثناء الليل وخصوصا قبيل الفجر .

لقد تم اكتشاف حوالي ألف مذنب ، وفي الوقت الحاضر يتم اكتشاف مذنبات جديدة بمعدل خمسة الى عشرة مذنبات في العام ، ويطلق عليها أسماء مكتشفيها مثل مذنب كوهوتيك (عام ١٩٧٣) ومذنب وست (عام ١٩٧٥) وغيرها .

كرة الثلج القذرة

يتكون المذنب من غلاف غازي (يعرف بالذؤابة) يتخذ الشكل الكروي ، ويضم في مركزه مادة تعرف بالنواه ، ويسترسل من الغلاف الغازي ذيل طويل ، يمتد الى مسافات هائلة وراء المذنب .

ويمكن تقسيم المذنب الى : الرأس والذيل . ويضم الرأس ، النواة والغلاف الغازي . وتمثل النواة كتلة المذنب ، ويبلغ قطرها من ١٥ ـ ٣٠ كيلومتراً ، وهي مكونة من جزيئات مجمدة من الماء وثاني أكسيد الكربون والنشادر والميثان ، وكلها مختلطة بالغبار ، ومن ثم أطلق على النواة : كرة قذرة من الثلوج .

ويرى العلماء أن النواة مكونة من عدة أجزاء من الصخور ملتصقة ببعضها ومواد هشة ، بها مسام كالاسفنج ، وتحتوي على تجاويف غازية متفجرة .

ويكمن سر المذنب في نواته ، ولكن بسبب صغر حجمها فان من الصعوبة دراستها بمراصد كوكب الأرض ، ومن ثم يلجأ العلماء الى الدراسة الطيفية [٣] للغازات التي تنشأ عن تحلل النواة عند اقترابها من الشمس . وقد اتضح من هذه الدراسةوجود الكربون والنيتروجين والايدروجين والاكسجين بين هذه الغازات .

وفي الموطن البعيد للمذنبات على مسافة شاسعة من الشمس ، فان هذه الغازات تتجمد مكونة غازات الميثان والنشادر والثلوج .

واتضح للعلماء أنه على بعد حوالي ثلاث وحدات فلكية [٤] من الشمس ، تصبح النواة ساخنة الى حد أنها تطلق كميات من الغازات ، ومن ثم يبدأ المذنب في تكوين الغلاف الغازي والذيل ، ويمكن معرفة نسبة تبخر الغازات من النواة الى الغلاف الغازي من كمية الضوء التي تمتصها الغازات ثم تعيد اشعاعها ، وهذا بدوره يوضح كمية الطاقة الشمسية التي تمتصها النواة حتى تسخن وتطلق الغازات .

وتأكد العلماء أن النواة تتكون من مواد هشة ، عندما شاهدوا من خلال مراصدهم نوى حوالي خمسة وعشرين مذنبا وقد انقسمت الى أجزاء ، سواء في أثناء اقترابها من الحضيض الشمسي ، أو عند مرورها بالقرب من كوكب المشتري ، ويرجع هذا الانقسام في النواة الى شقوق تحدثها القوى المدية الناتجة عن قوة جاذبية الشمس أو كوكب المشترى .

ويرجع هذا الانقسام في النواة أيضا الى أنها تتكون من مواد مجمدة ، أصبحت صعيفة بسبب اطلاقها للغازات ، ومن ثم تحدث بها الشقوق فتنقسم .

وقد استطاع العلماء الحصول على عينات من غبار الفضاء ـ يعتقد أنها من حطام المذنبات ـ واتضح عند تحليلها أنها غنية بالكربون وذات لون أسود ، ومن ثم استنتج العلماء أن نواة المذنب مغطاة بطبقة سوداء من الكربون على الأقل ، عندما تكون مجمدة في موطنها البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ولكنهم لم يتأكدوا تماما من هذا الأمر ، حيث ان الغلاف الغازي الذي يحيط بالنواة يكون شديد التألق ، ومن ثم

---

(٢) اشتقت الكلمة الانجليزية Comet أي مذنب من الكلمة اليونانية Koma وتعني الشعر .

(٣) أي تحليل الضوء للتعرف على العناصر التي تكون مصدره .

(٤) وحدة لقياس المسافات داخل المجموعة الشمسية ، وهي تعادل المسافة بين كوكب الأرض والشمس ، أي حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر .

صعب رؤية النواة من مراصد كوكب الأرض .

وقد تتركز هذه الطبقة من الكربون فوق سطح نواة المذنب بعد تبخر طبقات الثلوج عندما يبتعد المذنب عن الشمس ، وهذا يفسر اطلاق كميات هائلة من الغبار عندما يعود المذنب للاقتراب من الشمس ، ولهذا يتخيل العلماء أن المذنب يشبه جبلا من الجليد يسبح في الفضاء وهو معطى بطبقة من الغبار الأسود .

الغلاف الغازي المتألق

أما الغلاف الغازي للمذنب (الذؤابة) فهو عبارة عن سحاب رقيق يحيط بالنواة وقد يبلغ قطره حوالي مائة ألف كيلومتر أو أكثر .

ويتكون الغلاف الغاري للمذنب كما يلي : عندما يقترب المذنب من الشمس تبدأ المواد المجمدة في النواة في الذوبان والتبخر بسبب الرياح الشمسية (٥) . أي أن الغلاف الغاري يتكون من مادةالنواة التي تحولت الى غازات وغبار ، وقد يفوق حجمها كوكب الأرض بعشرات المرات .

ويبدو العلاف الغازي متألقا دلك أن الذرات التي تتحرر من نواة المدنب الصلبة ، تتعرض للاشعاعات الشمسية التي تحولها الى ذرات مثارة ، أي أن الاشعاعات الشمسية وخصوصا فوق البنفسجية تؤثر على الذرات فتغير من تركيبها الداخلي ، وتنطلق منها الالكترونات . ويطلق على الذرات التي فقدت أو اكتسبت الكترونات : أيونات ، ويكون لها القدرة على الاشعاع والتألق .

أما السبب الثاني في تألق الغلاف الغازي فيرجع الى انعكاس أشعة الشمس على جزئيات الغاز والغبار المكون لها .

ويتوقف مدى تألق الغلاف الغازي على كمية الذرات فيه ، وعلى نوعيتها ، وأيضا على الأشعة فوق البنفسجية التي تمتصها ، وفي بعض الأحيان يزداد تألق الغلاف الغازي أكثر مما لو كان يعكس أشعة الشمس فقط .

واكتشف في عام ١٩٧٠ أن هناك سحابة هائلة من الأيدروجين تحيط بالغلاف الغازي للمذنب ، وقد يبلغ قطر هذه السحابة أكثر من مليون كيلو متر ، وربما تكون قد تكونت من تحلل جزئيات الماء في النواة بتأثير الاشعة فوق البنفسجية ، للاشعاع الشمسي ، ويفقد المذنب جزءا من مادته في كل مرة يقترب فيها من الشمس ، وبعد دراسةمدى تألق خطوط الابتعاث (٦) في الغلاف الغاري والاشعاع من هالة الأيدروجين لتي تحيط به ، اتضح للعلماء أن المذنب يفقد عدة أمتار من سطح نواته في كل مرة يقترب من الحضيض الشمسي . وقد ينتهي المذنب تماما بعد حوالي ١٠٠٠ دورة حول الشمس .

وتختلف المذنبات فيما بينها في الحجم ، وكمية الغبار ، وربما في التركيب الكيميائي أيضا ، وهناك الكثير من المتغيرات بحيث يكون من الصعب التبؤ عما سيكون عليه شكل المذنب وتألقه في المستقبل .

ذيل المذنب . . والأيونات

إن كتلة المذنب ـ التي تتركز في النواة ـ ضئيلة الحجم جدا ، فهي غير قادرة على الاحتفاظ بالغازات والغبار في الغلاف الغازي بقوة الجاذبية .

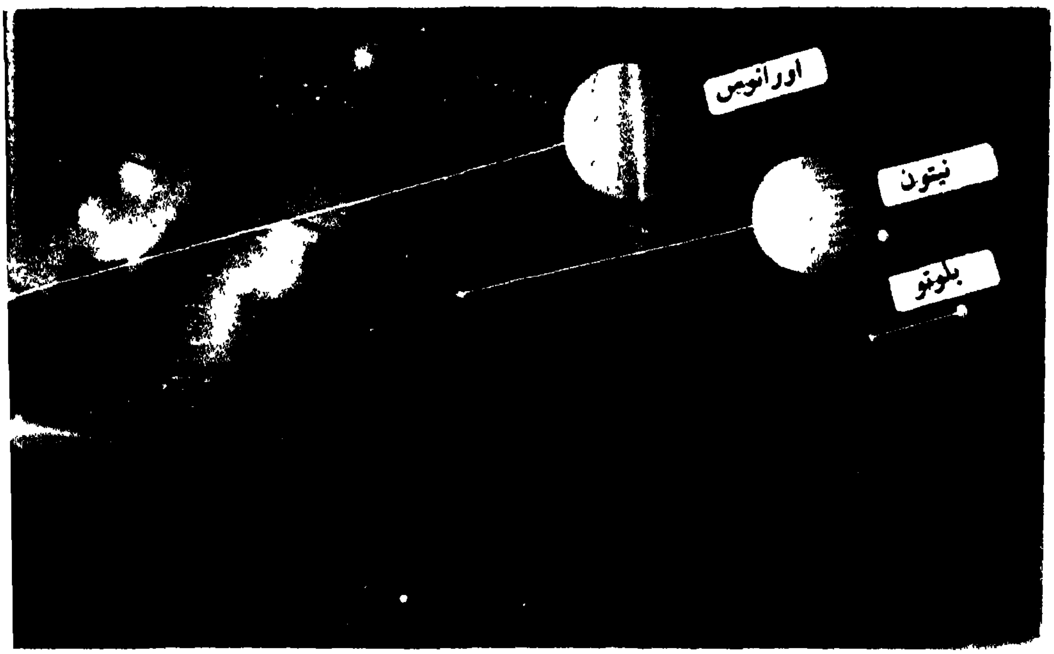
وبسبب تلك الجاذبية الضعيفة بين النواة والغلاف الغازي ، تتمكن الرياح الشمسية من دفع الغازات والغبار من الغلاف الغازي ، بعيدا عن المذنب ، ليتكون منها ذيل طويل قد يبلغ طوله مائة وخمسين مليون كيلومتر أو أكثر .

ويبدو ذيل المذنب دائما في عكس اتجاه الشمس ، سواء كان المذنب يقترب من الشمس أو يبتعد عنها ، وذلك لأن الرياح الشمسية تضغط بقوة على الذيل الى الخلف ، فيظل دائما في الاتجاه المضاد للشمس . ويمكن أن نشبه هذا بفتاة ذات شعر طويل تواجه

---

(٥) سيل من الجزئيات ذات الشحنات الكهربية (غالبا بروتونات وألكترونات) وتصدر من اكليل الشمس .

(٦) الخطوط التي تتخلل ألوان الطيف لمصدر ضوئي معين .

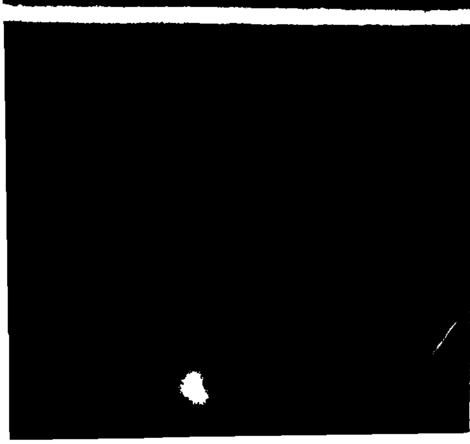




الانفجارات التي تحدث في نواة المذنب عندما تقترب من الشمس .



مذنب وست (١٩٧٥).

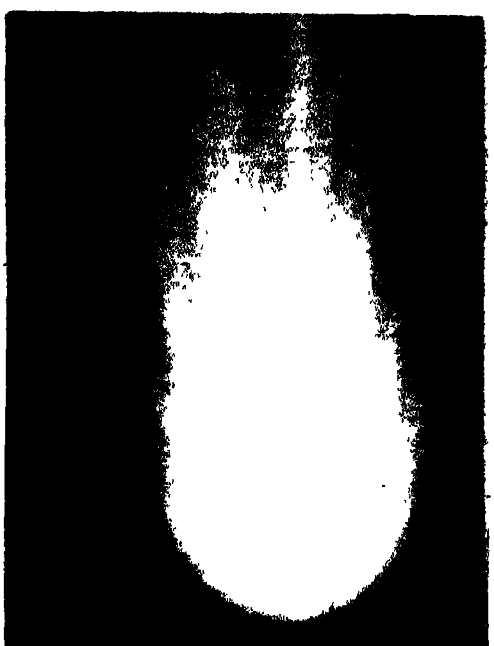


مذنب هوماسون (١٩٦٢)





صورة لمذنب كوهوتيك (١٩٧٣) (التقطها معمل الفضاء (سكاى لاب) بالأشعة فوق البنفسجية) .



رأس مذنب هالي (١٩١٠)

الريح ، فيندفع شعرها الى الخلف أي عكس الريح ، وحتى اذا استدارت بجسمها فان شعرها يتجه الى أمام وجهها ، أي عكس الريح أيضا .

وقد أثبت العلماء أن قوة الدفع التي تؤثر على ذيل المذنب تنتج عن عدة عوامل ، منها ضغط فوتونات (٧) أشعة الشمس ، التي تصدم جزيئات الغلاف الغازي ، وهذا ما يطلق عليه (الضغط الاشعاعي) بالاضافة الى تأثير الرياح الشمسية . وفي واقع الأمر ، فان معظم المذنبات لها ذيلان يتفقان بأن كليهما بعكس اتجاه الشمس ، ولكنهما يختلفان في المظهر . فأحدهما ذيل عريض من الغبار يتكون من جزيئات الغبار - التي تعتبر شوائب في مادة النواة - والتي تنطلق عندما يتبخر جزء من المادة المجمدة في النواة بتأثير الضغط الاشعاعي . وكنتيجة لاستمرار دوران المذنب حول الشمس فان ذيل الغبار يميل الى الانحناء وراءه .

أما الذيل الثاني فيطلق عليه الذيل الغازي (أو الذيل الأيوني) ، ويتكون من الأيونات التي تنطلق من الغلاف الغازي ، ليتكون منها ذيل رفيع خلف المذنب بتأثير الرياح الشمسية ، وهو يتخذ شكلا مستقيما . ويحتوى الذيل الغازي على ذرات مؤينة (أي الكترونات ونوى ذرات) التي تتفاعل مع الرياح الشمسية ، فتعجل من ابتعاد الايونات عن الشمس ، فيتكون منها الذيل الغازي (الأيوني) .

وبينما تكون ذرات الجزيئات في الغلاف الغازي متعادلة كهربياً ، فان الجزيئات في الذيل الغازي مؤينة ، حيث أن كل جزيء قد فقد الكترونا ، ومن ثم أصبح ذا شحنة كهربية موجبة ، وبالتحليل الطيفي اتضح أن الذيل الغازي للمذنب يحتوى على أول وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين ، وبسبب قوة الرياح الشمسية فان سرعة أيوناته تبلغ عند رأس المذنب حوالي كيلومتر في الثانية ، أما بالقرب من نهاية الذيل فتبلغ تلك السرعة عدة مئات من الكيلومترات في الثانية ، ومن ثم يتخذ الذيل الغازي الشكل المستقيم .



- مذنب مركس (١٩٥٧) يلاحظ ذيل الغبار (المنحني الى اليمين) والذيل الغازي « المستقيم » .

ومن أشهر المذنبات التي كان الذيل فيها واضحا ، مذنب (مركوس) في عام ١٩٥٧

صائد المذنبات

تتخذ المذنبات مدارات مختلفة حول الشمس ، وهي اما من القطع الناقص (بيضاوي) أو القطع المكافيء ، أو القطع الزائد .

ويتخذ القطع الناقص (البيضاوي) مدارا مغلقا مهما بلغت استطالته ، أما القطع المكافيء والقطع الزائد فمدارهما يتباعد الى مدى بعيد جدا . أي أن المذنبات تتخذ مدارات طويلة أو مدارات قصيرة في رحلتها حول الشمس .

وتقضي المذنبات - التي لها مدارات طويلة حول الشمس - زمنا طويلا جدا قد يبلغ آلاف السنوات أو أكثر بعيدا عن الشمس ، ومن ثم فانه من النادر أن

(٧) أحد الجزيئات الأولية الذي يتحرك بسرعة الضوء (حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) .

يرى الناس مذنبا يعود الى الاقتراب من كوكب الأرض خلال الفترة الزمنية القصيرة لحياة الانسان .

وفي كل دورة تفقد بعض المذنبات بعضاً من طاقتها بسبب حدوث اضطراب ما ، قد يكون الاصطدام بعضها بعضا أو التأثر بجاذبية النجوم القريبة ، ومن ثم تتخذ لها مدارات قريبة من الشمس .

وهناك بعض المذنبات ذات المدارات القصيرة التي تأتي الى المجموعة الشمسية كل عدد من السنوات ، ذلك أن مداراتها قد انخفضت منذ زمن طويل ، بسبب قوة جاذبية المشترى

وعندما يمر المذنب بالقرب من كوكبي المشتري وزحل - وهو في طريقه نحو الشمس - فان مداره يتغير كثيراً ، فقد يبطيء الى الحد الذى لا تبقى لديه طاقة للعودة الى موطنه البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ومن ثم يستمر المذنب في مدار حول الشمس ، داخل مدار كوكب المشترى

ولهذا فقد أطلق على كوكب المشترى (صائد المذنبات)

أصل المذنبات :

من أين تأتي المذنبات ؟

ان النظرية التي تلقى قبولا لدى معظم علماء الفضاء في الوقت الحاضر ، هي تلك التي جاء بها العالم الهولندي جان أورت في عام ١٩٥٠ ، بعد دراسة طويلة لمدارات المذنبات حول الشمس . وتقول النظرية ان هناك سحابة هائلة مكونة من حوالي ٣٠٠ بليون مذنب على مسافة تبلغ سنتين ضوئيتين [٨] من الشمس ، وقد أطلق عليها (سحابة أورت) نسبه الى اسم مكتشفها ، ويبلغ نصف قطرها حوالي سنة ضوئية .

ولكن كيف تكونت في الأصل ؟

تقول احدى النظريات ان المذنبات نشأت مع ميلاد المجموعة الشمسية ، أي منذ حوالي ٤,٦ بليون عام كما سبق واشرنا . ومن ثم تكونت (سحابة أورت) منذ هذا الزمن الموغل في القدم . وترجع نظرية أخرى أصل المذنبات الى المادة التي بين النجوم . فمن المعروف أن الفضاء بين النجوم يحتوى على ذرات وأيونات وجزيئات وجسيمات من الغبار ، واذا تم تجميد هذه المادة التي بين النجوم وضغطها في شكل كرة ، فان تركيبها الطبيعي سيماثل تماما نواة المذنب . وترى هذه النظرية أن الشمس وهي تدور في الفضاء حول مركز المجرة (طريق التبانه) ، فان مجال جاذبيتها يدفع بالمادة ما بين النجوم الى منطقة محددة تبعد عن الشمس عدة آلاف من الوحدات الفلكية ، وهذا يؤدى مع مرور الزمن الى تراكم هذه المواد فوق بعضها ، حتى تكون منها في النهاية (سحابة أورت) .

وتقول نظرية ثالثة ان المذنبات تأتي من بقايا السديم الأصلي الذي كون المجموعة الشمسية ، والذي يقع خلف مدار كوكب بلوتو

ويتساءل العلماء عن السبب الذى يدفع المذنب الى ترك موطنه في سحابة أورت والاتجاه الى الشمس ؟

هناك عدة نظريات تحاول تفسير هذا الأمر ، فتقول احدى النظريات أن للشمس رفيقاً خفياً هو النجم (نيميسيس) الذي يستغرق حوالي ٢٦ مليون عام ليكمل دورة حول الشمس ، وهذا النجم المعتم يقترب كثيرا من سحابة أورت ، ومن ثم يدفع ببعض المذنبات نحو المجموعة الشمسية وتستمر هذه المذنبات في مداراتها .

وتقول نظرية أخرى بأن هناك كوكبا عاشرا في المجموعة الشمسية أطلق عليه (الكوكب اكس) وهو يتخذ مدارا بيضاويا حادا وماثلا ، ويتغير هذا المدار بسبب قوة جاذبية كواكب المجموعة الشمسية الاخرى ، وكل ٢٨ مليون عام يمر الكوكب اكس بشريط من المذنبات خلف مدار كوكب نبتون فيدفع ببعضها نحو كوكب الأرض . بينما ترى نظرية ثالثة أن دوران المجموعة الشمسية حول مركز المجرة هو السبب في قدوم المذنبات الى نظامنا الشمسي . □

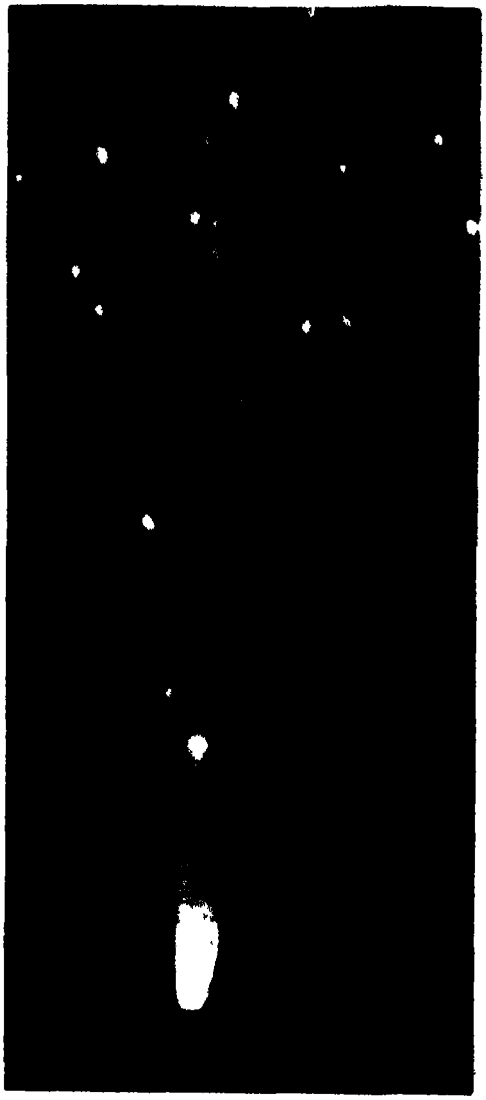
---

(٨) السنة الضوئية : وحدة لقياس المسافات في أعماق الكون ، وتعادل ما يقطعه الضوء في سنة كاملة ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر

مذنب هالي

زائر من أعماق الكون

اعداد : المهندس سعد شعبان



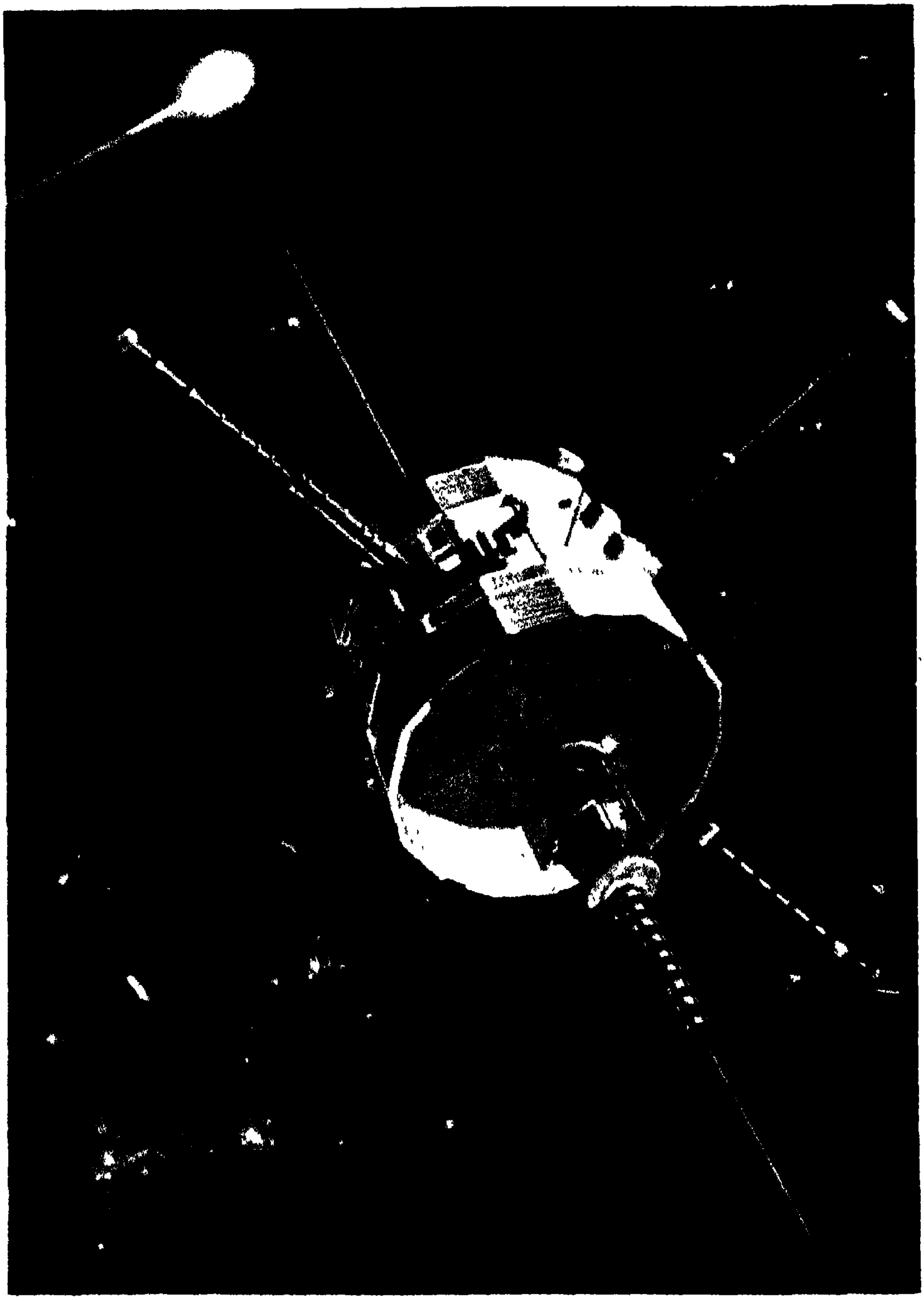
ـ تحليل لطيف المذنب هالي عام ١٩١٠



ـ السفينة جيوتو ستكون على بعد ٥٠٠كم من المذنب

ظاهرة فلكية نادرة ستظهر في السماء في أوائل عام ١٩٨٦ ، وسبب ندرتها أن حدوثها يتكرر في دورة منتظمة كل ٧٦ عاما ، هذه الظاهرة هي « المذنب هالي » .

ولقد كانت آخر مرة ظهر فيها هذا المذنب في سماء الأرض في عام ١٩١٠ . ومعنى ذلك أنه لايحدث في عمر الانسان الواحد ـ الا نادرا ـ امكان مشاهدة هذه الظاهرة أكثر من مرة واحدة .



ـ القمر الأمريكي اكسبلورر (الكاشف) سيوجه نحو المذنب .

لقد سبق لاجدادنا على مر العصور أن شاهدوا هذا المذنب بالعين المجردة وتكرر ذلك بايقاع منتظم كل ٧٦ سنة . وسبق لبعضهم أن شاهدوا مذنبات أخرى ، ولكن بمناظير مقربة ، فكثير من المذنبات يتجول في الفضاء على هيئة فريدة تميزه عن سائر الاجرام الكونية ، فكل مذنب يجر خلفه ذيلا يمتد لعدة ملايين من الكيلومترات ، الأمر الذي يجعله واضحا وسهل المراقبة .

النجم ذات الشعور

والمذنبات ظاهرة فلكية ، نادرة الحدوث للمشاهدين لها على الأرض بالعين المجردة ، ولكنها بالنسبة للفلكيين حدث عادي ، قد لايظهر لمناظيرهم بين أجرام السماء كل يوم . والمذنب جرم كوني معروف بشكله المميز لأن كل مذنب يجر وراءه ذيلا شفافا ، ولذلك أطلق البعض عليه اسم « النجم ذات الشعور » . ولاتحمل المذنبات رسائل ولا دلالات ، الا في كونها كسائر المخلوقات في هذا الكون العجيب . غير أن « مذنب هالي » تفرد بالشهرة لأنه أمكن رؤيته بواسطة الملايين من سكان الأرض بالعين وبالمناظير عبر كثير من الحضارات . ولم يلتصق اسم العالم الفلكي البريطاني « أدموند هالي » بالمذنب الذي شوهد عدة مرات الا منذ عام ١٧٥٨ ، لأنه هو أول من أشار الى تكرار دورته كل ٧٦ سنة . فالثابت أن الصينيين شاهدوا هذا المذنب عام ٢٤٠ قبل الميلاد ، وأنه رئي بعد ذلك ٢٤ مرة مؤكدة حتى عام ١٩١٠ . الرسام الايطالي « جيوتو دي بوندون » قد رسم المذنب على جدران إحدى الكنائس عام ١٣٠١ ميلادية وأطلق عليه أسم « نجم بيتلهام » . وأتت دقة ملاحظة هالي في اكتشاف تكرار ظهوره في أعوام ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ أي كل ٧٦,١ سنة ولذلك فقد توقع بأنه سيظهر عام ١٧٥٨ . وأسر بذلك لاستاذه « اسحاق نيوتن » بما يتوقع ، مستندا الى ما اكتشف الأخير عن قوانين تحكم ميكانيكا حركة الاجرام السماوية . ولكن الأجل لم يمهل « ادموند هالي » حيث توفي عام ١٧٤٢ . وفي عام ١٧٥٨ صدق ماتوقعه وظهر المذنب في السماء ، فأطلق عليه اسم « هالي » احتراما لصدق نبوءة هذا الفلكي الذي كان استاذا للهندسة بجامعة اكسفورد وأدلى بمعلومات لم تكن معروفة عنه من قبل . وكان ضمن المراصد الفلكية التي أسهمت بجهد بارز في هذا الأمر مرصد حلوان بمصر نظرا لما تتمتع به سماؤها من صفو أغلب أيام العام . وتمتع الأحياء آنذاك برؤيته بالعين المجردة لعدة شهور .

وقد رصد الفلكيون رأس المذنب هالي عام ١٩١٠ وكان قطره ٥٥٠,٠٠٠ كيلومتر بينما كان قطر الهالة المحيطه به ٩٧٠,٠٠٠ كيلو متر ، وكان ذيله ممتدا الى مسافة ٤٨ مليون كيلو متر . وعندما اقترب المذنب من الأرض ، كان رأسه يبعد عنها مسافة ٨ ملايين كيلو متر ، وحفت نهاية الذيل بالارض . وظل العلماء يتابعون رصده وتصغيره حتى صار على مسافة ٨٥٠ مليون كيلومتر من الشمس ، فصعب على عدسات المراصد متابعته بعد ذلك ، فودع على أمل عودته بعد ٧٦,١ عاما أي في عام ١٩٨٦ .

وسيكون « المذنب هالي » ، زائر الأرض على أقرب مسافة من الشمس يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ، وأقرب مايمكن من الارض مرتين ، أولهما في نوفمبر ١٩٨٥ والثانية يوم ١١ ابريل ١٩٨٦ .

وقد اكتشف العلماء من زياراته في المرات السابقة ، والقياسات التي أجريت مؤخرا أن مادة الذيل تحوي غازات متعددة مثل ثاني أوكسيد الكربون ، والميثان والنشادر ، كما تحوي مواد صلبة كالنحاس والكربون والسيلكون والحديد والمنجنيز والكارميوم . ويأمل العلماء أن يتجمع لديهم قدر هائل من التفاصيل في زيارة المذنب المقبلة والتي يمكن أن تتيح رؤيته حتى شهر مايو ١٩٨٦ . ولقد استطاعت بعض المراصد الفلكية الأرضية رصده قبل عدة شهور اذ تمكن مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا الامريكية في ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ من رؤيته وهو مازال يشق طريقه في الفضاء متجها نحونا بسرعة تقرب من ٥٢٠ كيلو مترا في الساعة .

نجم المذنبات

انفرد المذنب هالي بالشهرة دون غيره من المذنبات ، لقربه من كواكب المجموعة الشمسية فيسهل رؤيته لعدة شهور بالمراصد الفلكية الأرضية ، كما يمكن رؤيته بالعين المجردة لعدة أيام . ولقد كان آخر عهد الفلكيين بالمذنب هالي عام ١٩١٠ ، واستعد مئات العلماء في عديد من دول العالم على مدى ٦٠٠ يوم لعمليات رصد وقياس وتصوير وتسجيل أثرت في البحث العلمي .

تجارة المذنبات

بعد أن مضى على بدء عصر الفضاء قرابة الثلاثين سنة ، بدأت الدول المتقدمة في بحوث الفضاء ، والفلكيون في كل بقاع العالم لرصد عودة هالي بالاساليب والأجهزة التي أتاحها عصر الفضاء والتي لم تكن معروفة عام ١٩١٠ ، ومن أهمها الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، الأمر الذي سينهي الجهل بأي شيء غير معلوم عن هذا المذنب ، وسيفتح الباب على مصراعيه لمعرفة أسرار ظاهرة المذنبات عامة .

ولم تقتصر الاستعدادات للقاء المذنب هالي عام ١٩٨٦ على العلماء والفلكيين وهواة الرصد الفلكي ، بل امتدت الى البارعين في التجارة قبلهم . ولأنهم لايستطيعون أن يبيعوا الوهم والخرافات والاقراص الواقية من الأمراض في عصر أصبحت تجول في سمائه آلاف من الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، فقد أغرقوا السوق الأوروبية بدعايات عن التلسكوبات الفردية التي يمكن مشاهدة المذنب بها . الى جانب ذلك صنعت آلاف من فانلات الشباب (تي شيرت) التي عليها رسم المذنب وأسمه ، وبدأت بعض شركات السياحة التسويق لبيع تذاكر لرحلات طائرة جامبو الضخمة التي ستقلع بهواة المشاهدة في رحلة طويلة من اليابان الى استراليا ، ليتيسر لهم الاستمتاع برؤية المذنب من الجو . لكن ماهو أكثر أهمية أن الدول المتقدمة أطلقت منذ عدة شهور عددا من سفن الفضاء والأقمار الصناعية ، للالتقاء بالمذنب عن قرب للقياس والتصوير والتسجيل ، بل ومس الذيل لمعرفة كل شيء عنه . ولقد اتفقوا على تنسيق هذه الجهود خلال مؤتمر عقد مؤخرا في بودابست . وهذه الدول هى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان وانجلترا والمانيا الاتحادية بالاضافة الى منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية «ايسا» وشاركت دول أخرى بجهود فرعية في تصنيع أجهزة تحملها هذه السفن هي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا وبولندا وسويسرا وايرلندا .

لم يتمكن العلماء الامريكيون من اقناع المسئولين بتخصيص ميزانية لاطلاق سفينة جديدة لهذا الغرض . ولذلك ستتوجه سفينة الفضاء « بيونير » التي اطلقت الى الفضاء عام ١٩٧٨ لتترك مهمتها بالقرب من كوكب الزهرة ، وتقترب نحو المذنب هالي في ٩ فبراير ١٩٨٦ . ويوجد على سطح هذه السفينة جهاز تحليل طيفي قادر على تحليل الاضواء الصادرة من المذنب في نطاق حزمة الأشعة تحت البنفسجية . وبالاضافة الى هذا ستوجه السفينة (ICE) التي توجد حول القمر الآن في مهمة اضافية لرصد مذنبين معا هما (جياكوبيني - زينر) في سبتمبر ١٩٨٥ ثم توجه بعد ذلك نحو المذنب هالي في مارس ١٩٨٦ .

أما العلماء السوفييت فسيعتمدون على السفينتين « فيجا - ١ » ، « فيجا - ٢ » اللتين سبق اطلاقهما في ديسمبر ١٩٨٤ نحو كوكب الزهرة ، بحيث توجهان بعد الانتهاء من مهمة جس تربة الزهرة نحو المذنب هالي ، في أواسط شهر يونيو ١٩٨٥ لتكونا على مقربة منه في أوائل شهر مارس ١٩٨٦ . وستحلق السفينتان على بعد ١٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب ليخترقا ذيله بسرعة تقرب من ٨٥ كيلومترا في الثانية ، لكي تعمل الأجهزة الدقيقة التي شاركت في صنعها كل من المانيا الغربية وفرنسا وبعض الدول الاشتراكية في رصد العناصر العلمية اللازمة . وسيتيح ذلك الفرصة النادرة للحصول على صور ملونة لاجزاء المذنب وذيله

بالضوء العادي وبالاشعة تحت الحمراء . وستبث هذه الصور من السفينتين الى الأرض بشفرة خاصة عن طريق أجهزة شاركت في صنعها المانيا الشرقية . وسوف يعمل السوفيت على مراقبة المذنب كذلك من المحطة المدارية (ساليوت ـ ١) التي تحلق في الفضاء منذ عدة سنوات .

وتمثلت الجهود اليابانية في اطلاق قمرين صناعيين الاول تحت اسم « كوكب ـ ١ » في يناير ١٩٨٥ ، والثاني تحت اسم (MST —5) سيطلق في أغسطس ١٩٨٥ . وقد زود الأول بأجهزة لقياس الرياح الشمسية المتأنية وأجهزة للتصوير بالاشعة فوق البنفسجية عندما يمر على بعد ٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب في ٨ مارس المقبل .

وقد بادرت منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية « ايسا » الى اطلاق سفينة الفضاء « جيوتو » في يوليو ١٩٨٥ حاملة اسم الرسام الهولندي « جيوتو » الذي سبقت الاشارة اليه ، لكى تلتقي بالمذنب وتخترق ذيله على بعد ٥٠٠ كيلومتر من الرأس في يومي ١٢ ، ١٣ مارس ١٩٨٦ . وبذلك ستتمكن دون السفن الاخرى من التقاط صور دقيقة لمكونات المذنب ستصل الى ايضاح كل ماتزيد أبعاده عن ٥٠ مترا من مكونات رأسه أو ذيله . وقد اتفق مع السوفيت أن تعمل السفينتان الروسيتان « فيجا ـ ١ , ٢ » كمنارات فضائية لمساعدة السفينة جيوتو في الاقتراب من هدفها بدقة .

وهناك جهد أوروبي آخر ، هو ارسال معمل الفضاء الاوروبي سبيس لاب (Spacelab) محمولا فوق متن مكوك الفضاء الامريكي في وقت يتزامن مع الالتقاء بالمذنب للقيام بالقياسات اللازمة . وكان نفس المعمل قد ارسل في رحلة سابقة للمكوك ومعه طاقم من العلماء . وقد قضت منظمة « ايسا » مايزيد على عشر سنوات في تصنيع هذا المعمل وتزويده بأدق الأجهزة العلمية .

انفردت المانيا الاتحادية بتجربة مثيرة اجريت في أول يناير ١٩٨٥ وتمثلت في اطلاق أربع عبوات تحوي مسحوق الباريوم المشع والنحاس من قمر صناعي



ـ الفلكي أدموند هالي .

الماني ، لكي يتكون منها مذنب صناعي مشع على ارتفاع يقرب من ١٠٠ ألف كيلو متر . وقام قمران صناعيان أحدهما بريطاني والآخر امريكي برصد اشعاعات سحابة الباريوم التي أخذت شكل ذيل مذنب ، وذلك لدراسة تأثرها بالرياح الشمسية والمجال المغناطيسي للأرض . ولقد ظهر المذنب المشع بنجاح ورصده القمران الصناعيان بل لقد تمكنت طائرة ارجنتينية من رؤيته كذلك ، ولكن تعذرت رؤيته من الأرض بسبب الغيوم .

من العرض السابق يتبين لنا أن سفن الفضاء والاقمار الصناعية التي خصصت لرصد المذنب هالي ، وضع فيها حشد من الأجهزة الدقيقة كأجهزة تحليل الطيف ، وكاميرات التصوير في نطاق حزم الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والضوء المرئي ، فضلا عن أجهزة قياس للمجال المغناطيسي الأرضي ، ودرجات تأين الرياح الشمسية (البلازما) .

وقد استعدت المراصد الفلكية الأرضية ، وخصوصا الامريكية مثل مرصد « جبل بالومار » في كاليفورنيا ، ومرصد «قمة كت » في اريزونا ، ومرصد « جبل هوبكنز » ، ومرصد « جبل ولسون » للقيام بواجبها في الترقب لرصد المذنب هالي . ولم تكتف بعض الدول بما لديها فشرعت في اقامة مراصد جديدة بعدسات ومرايا أكثر قدرة على التوغل في الفضاء ، ونخص بالذكر منها استراليا التي اقامت مرصدا جديدا بالتعاون مع بريطانيا قطر عدسته ١٥٠ بوصة ، كما اشتركت مجموعة من الشركات الاوروبية في اقامة مرصد جديد في جنوب اسبانيا .

كيف يمكن رؤية هالي

يحضرني تساؤ ل لابد أنه يطرح نفسه على أذهان القراء ، فما الهدف من كل هذه الاستعدادات ؟ .
ان الغاية الكبرى هي معرفة سر من اسرار الكون، لكي يستطيع العلماء بعد ذلك ان يضعوا حدا للغز المحير عن نشأة الكون العظيم الذي لانشغل منه قدر نقطة فوق هذه الصفحة .

وقد يكون الى جانب جهود العلماء ، دور للهواة وخصوصا الشباب الناشئين ، أقلها أدراك عظمة ماخلق الله حولنا من فضاء فسيح حار فيه القدامى ، فقالوا انه محدود ، ولكنه بلا حدود !! .

ولقد ضرب أحد الهواة المثل في العصور الوسطى على أهمية دور الهواة اذ كان معروفا ان المذنب هالي سيقترب من الأرض عام ١٧٥٨ تدليلا على صدق ماتنبأ به الفلكي « ادموند هالي » كما اسلفنا من قبل . لكن أحدا من الفلكيين لم يستطع رؤ ية المذنب هالي رغم تحفزهم واستعدادهم لذلك . وكان من سخرية الاقدار أن استطاع الفلاح الالماني « يوهان باليتش » أن يرى المذنب يوم ٢٥ ديسمبر ١٧٥٨ بمنظار صغير للهواة من مدينة درزدن . ولكي يتمكن أي هاو من رؤ ية المذنب فلن يكلفه ذلك غير اقتناء تلسكوب صغير قطر عدسته يقرب من ٦ أو ١٠ بوصات . ويمكن أن تبدأ المشاهدة من شهر نوفمبر ١٩٨٥ حتى منتصف شهر ابريل ١٩٨٦ .

وخلال هذه المدة سيختفي جزء من المذنب ليلة يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما يكون في دورته حول الشمس . وبعد ذلك سيمكن مشاهدته لأيام معدودة بالعين المجرده قرب يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما تصفو السماء وتختفي السحب . وعلى الذين سيقومون بذلك أن يتذكروا أن ظهور المذنب لايصاحبه أي أصوات ، وأن حركته بطيئة بين النجوم ولاتلحظ الا ليلة بعد ليلة ، ولكن يميزه عن النجوم ذيله الطويل . □

وصية أب لابنته

أوصى عبد الله بن جعفر ابنته وهى تزف فقال : يابنية وإياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، وياك والمعاتبة فانها تورث البغضاء ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن ازين الزينة الكحل واطيب الطيب الماء .

تعلُّم الطفل وهو جنين



الحامل التي تعاني من الضغط النفسي والتوتر العصبي يك

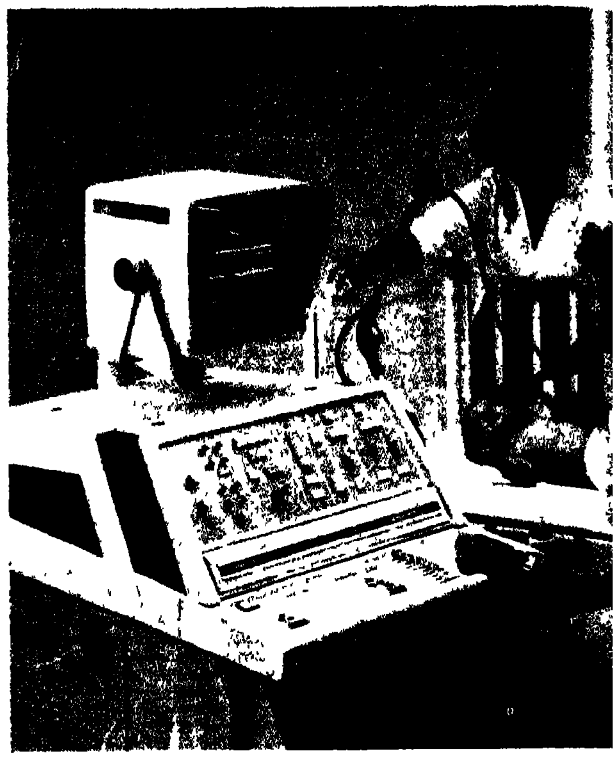
بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

طفلك هذا الكمبيوتر الصغير ، أكدت النتائج العلمية المثيرة والهامة ، التي توصل اليها العلماء بعد تجارب سلوكية وطبية أجروها على الأطفال ، وهم مازالوا في الرحم حتى لحظة الولادة وبعدها ، ان تعلم الطفل يبدأ قبل ولادته ـ وهو جنين ـ فهو يرى ويسمع ويفهم ، وهو مهيأ وراثيا لعقد صداقات مع أي شخص بالغ يحنو عليه !.

اذا كان كل طفل ينبغي له ان يمضي تسعة أشهر داخل رحم أمه ليتكامل نموه الجسدي ، ولكي يكون على استعداد وقدرة كاملين لمواجهة الحياة الجديدة ومتطلباتها وظروفها . واذا لم يتعرض وهو جنين الى أية عوامل ضارة ، فإنه عادة يكون مستعدا في الشهر التاسع لرحلة الولادة نحو النور .

فماذا يعرف الأطفال حديثو الولادة عندما يخرجون الى الدنيا ؟ وكيف يبدأ هؤلاء الأطفال في استخدام وتنظيم هذه المعلومات ، خلال شهورهم او سنواتهم الأولى ، لكي يشقوا طريقهم نحو المستقبل ؟.

ان نتائج الأبحاث العلمية الحديثة تتحدى المفاهيم الأولية لكيفية تنشئة الأطفال ، وكيف يكون



وليدها ميالا الى الجبن والخوف ويفتقد الثقة بنفسه .

تعليمهم ، بل وماذا ستكون قدرتهم عندما يكبرون ، فلقد أثبتت الأبحاث الأخيرة في علم الوراثة أن هناك خصائص نفسية وذهنية ، كالذكاء والشخصية والمزاج ،وأخرى بدنية كلون الشعر والجلد والعينين وملامح الوجه وغيرها ، تعتمد على تمازج وتفاعل الجينات الآتية من الوالدين في تكوين الطفل النفسي والبدني .

فالخلية الأولى المندمجة ، او البويضة المخصبة من اندماج خليتين جنسيتين ، تتضمن كل منها نصف العدد المقرر من العوامل الوراثية ، وتؤدي عملية الاندماج والتوحد الى تكامل العناصر الوراثية في الخلايا ، وهي محمولة على خيوط صغيرة جدا مجتمعة في نواة خلية تسمى الكروموسومات ، ويكون عددها في الخلية الكاملة الاعتيادية ثلاثة وعشرين زوجا متقابلا ، اي ستة واربعين كروموسوما ، وتتناثر على امتداد تلك الخيوط النواة داخل النواة عناصر الوراثة الأساسية على شكل حبيبات صغيرة متخصصة تدعى بالجينات ، وهذه الجينات تحمل الرموز والمكونات الأساسية في عملية انتقال الصفات والمميزات الوراثية ، وتتكون عادة من مادة كيميائية معقدة التركيب تدعى D.N.A وهي مجموعة من الأحماض الأمينية ، تحمل في تركيبها تفاصيل الصفات الوراثية ، ويعتقد أن الخلية البشرية الواحدة تحتوي على مليون جين ، وقد يكون أقل من هذا العدد بما لا يؤثر على النمو الطبيعي للطفل .

ويعتقد ان مادة D.N.A ذات تركيب لولبي ثنائي متصل ببعضه ، ويتألف من مادتي السكر والفوسفات ، ولكل جزء من هذا التركيب المعقد خصائص أخرى في عملية الانقسام والوراثة .

وحتى لا يجرنا الحديث الى الدخول في تفاصيل التركيبات المعقدة لعناصر الوراثة في كل طفل وليد ، والتي لا تهم الا الباحثين والمتخصصين ، نقول ان هذه الجينات هي اللمسات الدقيقة التي تتحكم في تكوين هذا الكمبيوتر الصغير ، ألا وهو الطفل وكما يقول د . وليم كيسين ، استاذ علم النفس الذي اجرى دراساته على الأطفال اكثر من ثلاثين عاما ، معربا عن اعجابه بالطريقة الحماسية التي يستقبل بها الطفل الوليد للحياة . . « انه يكاد أن يلتهم العالم . . . » .

لغز التعلم داخل الرحم :

حقا انه للغز ، لأن الأطفال يظهرون مرارا بعض المهارات والأفعال المختلفة التي يبدو لنا انه لا أساس لها في خبراتهم الماضية .

ففي مركز « هارفارد » للدراسات السلوكية ، اطفال في عمر اسبوعين ووجهوا بمكعبات ، واحيانا بمجرد أن ظلّ مكعب بدأ في التحرك ببطء ناحيتهم ، وفي اللحظة التي يشعرون فيها انهم على وشك التعرض لما يطلق عليه علماء النفس « رد الفعل القوي التجنبي » تجدهم وقد استداروا جانبا ، وحاولوا تجنب الصدمة على الرغم من عدم وجود خبرة سابقة تجعلهم يفكرون بأن الشيء المقترب قد يصطدم بهم ! أما إذا تحرك هذا المكعب او ظله في مسار منحرف عن الأطفال وقد يخطئهم ، فإنهم يتابعون حركته بعيونهم ، ولكنهم لا يظهرون أي علامة للانزعاج ! .

وفي جامعة أدنبره توصل العلماء من خلال تجاربهم العديدة الى واحدة من أهم النتائج ، وهي أن الأطفال يستطيعون ادراك نوع الأطفال الآخرين بمجرد نظرة ، بل انهم يفضلون رؤية الأطفال من نفس نوعهم ، فكيف يفعل الأطفال ما يفعلونه ؟ . . انه أمر غاية في التعقيد ، ولكنه يؤكد ان الطفل يبدأ في تعلم طرق السلوك وهو مازال في الرحم .

ومما يؤكد هذا المفهوم - وهو أن صغار الأطفال من الممكن ان يبدأوا في تلقي التعليم - قد دفع طموح الأباء والأمهات لقرون عدة الى الاهتمام بهذه الظاهرة ، مثلما حدث في سن الثالثة « لجون ستيوارت ميل » هذا الفيلسوف الانجليزي عندما درس اللغة اليونانية في هذه السن المبكرة ، كما بدأ « موزارت » في العزف على آلة الهابسيكورد ، وعزفت مؤلفاته الموسيقية في عواصم اوروبا وهو في الثامنة .

وفي بحث مستفيض اجراه المفكر الأمريكي « ويب جريسون » حول بصمات الأمهات الوراثية على شخصيات الأبناء ، يقول:ان الأم الصالحة هي القدوة الصالحة لأبنائها والعكس صحيح .

فوالدة دكتاتور المانيا النازية الغاشم « أدولف هتلر » التي كانت تدعى كلارا كانت هي الزوجة الثالثة لوالد هتلر ، وهو ابن عمها ، وكان يكبرها بأكثر من ٢٣ عاما . فبعد وفاة زوجته الثانية بادرت كلارا بخدمة ابن العم ، وكانت تناديه بالعم « أليوس » . . وأحبها العم وتزوجها . . وكانت حياتها الزوجية كئيبة غير موفقة ، فقد كانا على خلاف مستمر ، وعندما غدا هتلر في سن الشباب طلبت منه والدته ان يلتحق باحدى الوظائف الشاغرة بإدارة الجمارك في فيينا عاصمة النمسا اسوة بوالده ، ولكن هتلر عارض هذه الفكرة ، لأنه كان يزمع ان يكون فنانا ، اذ انه كان لا يرغب في الجلوس امام مكتب حكومي يقوم بانجاز الاعمال الروتينية . فقد كان يرى ان هذه الروتينية فى العمل هي العدو الأول للتفكير والابتكار والابداع ، وتغلب هتلر على والديه ، فاكتسب روح النضال والشراسة والصبر ، وقد تضامنت هذه الصفات مع صفة الشراسة في اعماقه ، فكونت شخصية دكتاتور المانيا النازية ، وكان هتلر يتصف بالروح الشريرة القاسية الغادرة ، وقد يرجع ذلك كما يعتقد المؤرخون الى حقيقة هامة ، وهي ان والدة « هتلر » أي « كلارا » كانت قد اصيبت بمرض السرطان ، وعالجها طبيب يهودي يدعى د . بلوك ولكنها توفيت ، وكان هتلر لم يتجاوز الثمانية عشر من عمره بعد ، ومن هنا كانت عقدة هتلر من اليهود ، وتدبير المذابح الجماعية لهم فيما بعد . ثم تأتي المرأة الثانية في حياة هتلر وتكون يهودية ، تلك التي خدعته وفجرت براكين حقده .

وعلى النقيض من ذلك كانت حياة الزعيم الانجليزي « سير ونستون تشرشل » فقد كانت حياة والديه مملوءة حبا وتفاهما ، كما انه ولد وترعرع في اسرة انجليزية ارستقراطية ، وكانت امه تتميز بالشخصية القوية والعلاقات الاجتماعية الطيبة ، وبعد ولادته استمرت تهتم به الى درجة انهم كانوا يطلقون عليه انه « ابن امه » ، وحتى هو نفسه قال في مذكراته « ان علاقته بأمه لم تكن علاقة ابن بأمه ولكنها كانت علاقة « ابن بأخيه » فقد كان متفاهما معها الى اقصى حدود التفاهم . . كما انه يعترف بأنها هي التي دفعته الى نجاحه في السياسة ، وانطلاقه في آفاقها التي دفعته الى مقدمة المراسلين الحربيين في المملكة المتحدة ، ونجح كما لم ينجح احد من قبل ، وهكذا كانت والدة تشرشل هي المرأة العظيمة وراء نجاحه ، نظرا لأنها وفرت له بسعة ادراكها وقوة شخصيتها الجو الأسرى الأمثل المؤسس على الحب والتعاون والاخلاص .

ادن صدق أحد الحكماء عندما قال ان تربية الطفل يجب ان تبدأ قبل ولادته بعشرين عاما ، وذلك بتربية امه ، فالأم هي المدرسة الحقيقية ، وشخصية الأم تنعكس على شخصية الأبناء تلقائيا ، إن لم يكن وراثيا . فان كانت سوية كان شخصية الابن قوية طيبة ، اما اذا كانت غريبة الأطوار ففي هذه الحالة تكون شخصية الابن ضعيفة معقدة .

ذكاء الطفل ترجمة لحنان امه :

ان الفكرة في إمكان تعلم الطفل وهو جنين تنحصر في امكانية تقويم شخصية وسلوك الوالدين من قبل وفي اثناء الحمل ، فالأبحاث الجارية عن قدرة الطفل على الرؤية والسمع والمعرفة في نفس لحظة الولادة ،



- علاج مرض الاستسقاء الدماغي للجنين .يتم بسحب السائل الزائد .

تجعل المسئولية الملقاة على الوالدين اكثر جسامة . . فهذه النتائج سوف تغير من الطريقة التي يرى بها الناس اطفالهم ، ومن الأسلوب الذي يكلمونهم به ، وما يتوقعونه منهم ، وهذه التغييرات وان كانت بطيئة ، الا أنها ستغير ايضا من الأطفال انفسهم ، الذين سيصبحون يوما رجال الغد .

والعقبة الوحيدة التي طالما عرقلت البحوث الطبية على الأطفال ، هي عدم قدرتهم على الكلام ، وانهم غير قادرين على ان يقولوا لنا ما شاهدوه او فكروا فيه وهم أجنة . لكن التكنولوجيا الحديثة جعلت بالامكان ابتكار تجارب كانت في حكم الخيال ، فمثلا جهاز الفيديو مكن علماء النفس واطباءها من تسجيل اهتزاز الطفل ، وبيان أنه غالبا ما يتحرك بايقاع منتظم مع صوت امه ، ومكنهم ايضا من علاج مرض الاستسقاء الدماغي « وهي حالة مرضية تنتج من زيادة السائل النخاعي في الدماغ » وذلك بادخال انبوبة الى رحم الأم ومنها الى دماغ الجنين لكي يسحب السائل الزائد . . ومما ساعد على هذه الابتكارات هو الكمبيوتر ، الذي باستطاعته ان يقلد صوت الأم بالسهولة التي يحصى بها عدد المرات التي يمص بها الطفل ثدي امه ، أو يقيس بها حركة العين .

التشخيص المبكر :

والحقائق العلمية تؤكد أن شخصية الانسان تتحدد داخل الرحم ليس فقط بسبب العوامل الوراثية ، ولكن بسبب العوامل البيئية المحيطة بالأم الحامل ايضا ، التي تؤثر سلبا أو ايجابا على تكوين الجنين . وهي عوامل تنشأ من ممارسات او فهم خاطيء للوالدين بالبيئة .

فمثلا ثبت علميا ان الحامل التي تعاني من ضغط نفسي وتوتر عصبي وقلق ومخاوف يكون وليدها ميالا الى الجبن والخوف ويفتقد الثقة الطبيعية بنفسه .

وقد تم اجراء تجارب على إناث الفئران الحوامل ، حيث وضع بعضها في أقفاص مزدحمة جدا ، مما خلق جوا غير مريح ، ووضعت مجموعة اخرى في اقفاص مريحة ، وبدراسة المجموعتين وبفحص الذرية التي عاشت امهاتها في جو مزدحم قبل فترة النضوج ، وجد أنها بطيئة الحركة وتستغرق وقتا طويلا كي تصل الى طعامها بالمقارنة بالفئران الأخرى .

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية وتكوين الجنين في التوازن الهرموني للأم : « الهرمونات » وأهمها هرمون التسترون (هرمون الخصية الذكرى) وهو موجود لدى الأنثى بكميات قليلة ، وهرمون الغدة الدرقية (الثيروكسين) الذي يؤثر على النمو ، ومادة « الادرينالين » التي تفرز في حالات التوتر العصبي والغضب ، وهي مادة تستطيع ان تعبر « الخلاص » من الأم الى الجنين بسرعة .

وبناء عليه فإن اية اضطرابات هرمونية ، او أية زيادة في مادة الادرينالين لدى الأم ، قد تؤدي الى امراض جسدية ونفسية لدى الجنين ، الذي يصبح وليدا مصابا بمرض ما نفسي او عضوي .

كذلك فإن تعاطي العقاير في اثناء الحمل ، وبشكل خاص المنوم منها (الباريتيورات) وبعض الأدوية التي تستخدم لسد الشهية (الأمفيتامين) تؤثر على تطور الجنين بالضرر ، أو تسبب له تخلفا وتشوهات بالجهاز العصبي المركزي .

ومن العادات السيئة التي اكتسبتها امرأة اليوم وخصوصا الحامل انها لا تأبه لما يقدم لها من نصيحة بخصوص التدخين ، والآثار المدمرة لمادة النيكوتين ، وبصرف النظر عن مادة النيكوتين التي تسري الى دم الأم الحامل عن طريق التدخين والتي تعد عاملا هاما في كثير من المشاكل ، فقد حدث من خلال دراسة هامة تم فيها فحص اطفال لأمهات كن يدخن عشر سجائر او اكثر يوميا خلال فترة الحمل ، وبمقارنتهم باطفال لم تدخن امهاتهم اطلاقا ، وجد أن اطفال المدخنات اقل وزنا « ربما لعدم انتظام تناولهم للطعام بسبب التدخين » . . وانهم ورثوا اضطرابات في شخصياتهم من امهاتهم اللاتي كن يدخن بسبب عوامل نفسية قاسية .

ولاشك ان من أهم وأخطر الأسباب ـ قاطبة ـ تأثيرا على الشخصية هي تغذية الأم الحامل ، فمن المعروف ان عددا لا يستهان به من الأمهات في كافة دول العالم الثالث يعانين من سوء التغذية ، بشكل مفزع في فترات يكون فيها مخ الجنين في تطور سريع ، وفي حالة تسمح له بالتأثير العضوي ، ولأن الخلايا العصبية تنمو باطراد وبسرعة ، في الفترة من الشهر السادس للجنين الى الشهر الثامن عشر من عمر الوليد . ولأنها تحتاج الى تغذية دائما بالبروتين والجلوكوز ، ولأنها ايضا اذا ماتت فلا تعوض ، فإن الوليد ، تتأثر قدراته الذهنية سلبا ، وينخفض ذكاؤه ويقل انتباهه ويضعف تركيزه ، وتنحط قدراته الاجتماعية ، ويكون سلوكه وتصرفاته مختلفين عن حالتها الطبيعية .

كذلك فإن نقص كمية الأكسجين التي يستنشقها الطفل عند ولادته لسبب او لآخر ، ثبت انها مقصورة على مجرد الاحساس بالجوع . ولكن التجارب الحديثة بنيت على ان مثل هؤلاء الأطفال ليسوا فقط قادرين على الاستجابة للكثير من المؤثرات ، ولكن لديهم ايضا افضليات محددة في كل شيء ، فقد أثبت أحد علماء الأعصاب ان الطفل الذي لا يزيد عمره عن ١٢ ساعة ، والذي لم يتذوق من قبل حتى لبن امه ، سوف يتلمظ برصا عندما نضع قطرة من الماء المحلى بالسكر على لسانه ، ولكنه يقشعر امام قطرة من عصير الليمون . . وانه يتحرك مبتسما عندما نضع قطعة من القطن بها رائحة الموز تحت أنفه ، ولكنه يتأفف ويمتعض من رائحة البيض النتن . .

ويبدو ان الوليد يخرج من ظلام الرحم بحاسة بدائية من النظر سرعان ما تنمو ، حيث يبدأ في النظر الى كافة الأشياء وكأنه يستكشف ما حوله ، وحتى عندما نطفيء النور ، كما اظهرت اجهزة التصوير بالاشعة الحمراء ، أن عيون الطفل تتسع لكي يستأنف اكتشافاته لكل ما حوله ، وفي الأسبوع الثامن يصبح قادرا على التمييز بين اشكال المرئيات والوانها ، وعادة ما يفضل اللون الأحمر ثم الأزرق . ثم يبدأ في شهره الثالث في تكوين الرؤية المجسمة .

وعلى الرغم من طبيعة هذه التجارب ، فانه من الممكن ان يكون لها فائدة علمية مباشرة ، لأن بعض الأطفال يعانون من امراض العيون مثل اظلام عدسة العين (الكتاركتا) ، او خلل شديد في البصر ناتج عن اختلاف انكسار الضوء داخل العين ، وكلها تستفيد من العلاج كلما بدأ مبكرا ، وقد أكدت الأبحاث الأخيرة ان اي خلل في قوة ابصار الطفل قد تؤذي تلك الأجزاء من المخ النامي والذي يعتمد على المعلومات البصرية ، وتلف المخ هذا قد يصبح مستديما ان لم يتم علاج البصر مبكرا .

قارئو الشفاه :

وعلى خلاف العيون فإن أذني الطفل تؤديان وظيفتهما حتى قبل الولادة ، والطفل الوليد يأتي بجهاز متكامل للسمع . . ومن بداية الثمانينيات اثبتت الدراسات ان الأطفال ينامون ويستريحون ويفضلون الأصوات النسائية ، بل انه في خلال اسابيع قليلة يستطيعون تمييز اصوات امهاتهم . ورغم ان الأطفال بصفة عامة لا يستطيعون التكلم الى عمر سنة ، فإن عالم النفس « بيتر ايماس » قد بين ان الأطفال الى عمر شهر واحد قادرون على التمييز بين الأصوات بمختلف اللغات ، وهم لديهم قدرة عشوائية لكي يصنفوا الأصوات في طبقات مختلفة .

وارجاع أصول اللغة الى الطفولة المبكرة يعتبر اقترابا هاماً لفهم ذكاء الطفل . . ومفتاح السر في هذا الاكتشاف هو رغبة الطفل لتقليد حركات وجه الأم . وهو ما تقوله استاذة الصوتيات « باتريشيا كول » فقد مدت تجاربها الى اللغة ، وقامت بعرض فيلمين لوجوه تقـول . . « آه » . . و « آي » ثم وضعت بين الصوتين مكبرا للصوت يصدر ايا من الصوتين ، فظهر ان الأطفال وجهوا انظارهم الى الصورة التي تتطابق مع الصوت الصادر . . وهذا معناه ان الأطفال قادرون على اكتشاف العلاقة بين حركات الفم وبين الأصوات التي يسمعونها ، وتعلق قائلة : « ان الاطفال هم اساسا قارئو شفاه » . اما عالمة النفس « اليزابيث سبيلكي » فقد عرضت امام اطفال في عمر اربعة شهور اثنين من الأفلام تبدو فيهما لاعبتان تقفزان بطريقتين مختلفتين ، وكل حركة لها صوت مطابق لها ، ثم أدارت شريط الصوت ، واستطاع الأطفال ان يطابقوا الفيلم الصحيح مع صوته ، مما يعني ان لديهم قدرة متقدمة لكي يحددوا ماذا يتفق مع الآخر .

هذب نفسك يتهذب نسلك :

نستخلص مما سبق من آراء ـ وكما أكدت أغلب الأبحاث ـ مدى أهمية علاقة الطفل بوالديه ، أو أي شخص آخر يعوله ، فليس على الأم ان تطعمه وتحبه فقط ، ولكن عليها اذا ارادت ان تهذب نسلها فلتهذب نفسها وكذا الأب ، فقد فحص « رونجر لويس » النمو العقلي لمائة طفل في سن ثلاثة شهور ، وسجل رد فعل الأمهات لعلامات الضيق عند اطفالهن ، وقد تعجب بشدة عندما وجد أن الأطفال الذين عوملوا بحب وحنان قد تعلموا اكثر عندما اعيد اختبارهم في سن عام ، وهذا النوع من « الحنان » هام جدا « للنمو العاطفي » .

ويقول د . جيرالد يونج من المركز الطبي في مانهاتن بالمانيا الغربية : « اذا اردت ان تخمن ماذا سيصبح الطفل في سن السابعة ، انظر أولا الى خلفيته الاجتماعية والاقتصادية ، فالمسألة ليست صعوبة اقتصادية او سوء تغذية ، لأن المؤشر الاجتماعي الاقتصادي هو تنبؤ قوي على القدرات الذكائية ، كأي متغير آخر ، ولكنه لا يعمل من فراغ ، فهو يمثل الطريقة التي يعيش بها الناس ، ويتصلون ببعضهم بعضا ، والاسلوب الذي يعاملون به اطفالهم .

هذا وقد اجرى فريق من علماء النفس بجامعة ويسكونسين تطبيقا هاما لهذه النظرية ، وقد صدمتهم حقيقة ان كثيرا من الأطفال المتخلفين عقليا لديهم امهات متخلفات ، فاختاروا اربعين طفلا كان مستوى ذكاء امهاتهم اقل من ٧٥٪ ، ووضع عشرون منهم في مركز رعاية يومي ، ومن عمر ثلاثة شهور بدأوا يأخذون رعاية كاملة بجانب انواع اخرى من الأنشطة ، وفي الوقت الذي وصلوا فيه الى سن المدرسة ، كان متوسط اختبار ذكائهم اكثر من ١٠٠٪ ، ولا يوجد متخلف واحد . اما العشرون طفلا الذين لم يأخذوا اي رعاية ، كان متوسط ذكائهم ٨٥٪ ، واعتبر ٦٠٪ منهم متخلفين كما ان كثيرا من الأبحاث العلمية الحديثة المعتمدة تؤكد ان ما كان يعرفه الآباء باستمرار ، سواء بالفطرة او الاحساس العام ، او مما تلقوه عن والديهم ، بأن الاطفال يحتاجون ويتأثرون بالحب والاهتمام والتعليم ، والأبحاث تقرر ليس فقط اهمية هذه الاحتياجات ، ولكن الضرر الذي قد ينشأ عندما لا تلبي مثل هذه الاحتياجات .

ان تنشئة الطفل مليئة بالألغاز ، ولكن أن يكون لك طفل يعني لأغلب الناس فعلا من افعال الايمان ، فهو يمثل عقيدة بأن الأشياء الجميلة سوف تأتي ليس فقط لأنفسهم ولكن للعالم . . هذه هي العقيدة التي يشاركهم فيها عدد لا نهاية له من باحثي الأطفال الذين دائما يتساءلون . هل من الممكن انشاء مجتمع افضل بأطفال اكثر صحة ؟

والاجابة التي نتفق عليها . . . نعم . . . لأن جذور الشخصية البيولوجية مسئولية كل ام . . . فهي المسئولة عن صحتها وصحة جنينها . . اما المجتمع فهو مسئول عن توفير الرعاية والغذاء اللازمين . . والأب مسئول عن توفير الراحة والاطمئنان والجو النفسي الآمن والملائم ، حتى يأتي الوليد القادم في صحة نفسية وبدنية جيدة . . ففي نفس لحظة الولادة ، عندما ينبثق رأس مظلم الى العالم . . حينئذ فإن كل طفل يحقق عقيدة ان الأشياء الجميلة سوف تأتي . . ثم تأتي الصرخة الأولى . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

«ر»

كلمة مشتقة من أصل لاتيني ، وأقرب ترجمة عربية لها هي « جذرية » وتطلق على الذين يريدون التغيير من جذوره ، سواء كان التغيير اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً ، رغم عدم واقعية الفصل بين الأنساق الثلاثة التي تعبر كلها عن نظام وفلسفة قائمين في مجتمع ما .

وتعبير « راديكالية » يطلق اليوم على المتطرفين بشكل عام سواء نحو اليسار أو نحو اليمين . وعلى الرغم من أن شيوع استخدام المصطلح يطلق على المتطرفين اليساريين أكثر من غيرهم ، الا أن المصطلح أول ما استخدم كان يطلق على المتطرفين الى اليمين . ولقد ظهرت الكلمة أول مرة في ثورة (١٧٩٧) في بريطانيا حينما استخدمها « جيمس تيوكس » مطالباً باصلاح راديكالي ، ثم عاد واستخدمها حزب « الهويج » - الأحرار فيما بعد - في المطالبة باصلاح دستوري راديكالي يعطي الحق في الانتخاب لكل المواطنين دون تفرقة سواء كانوا يملكون أو لا يملكون .

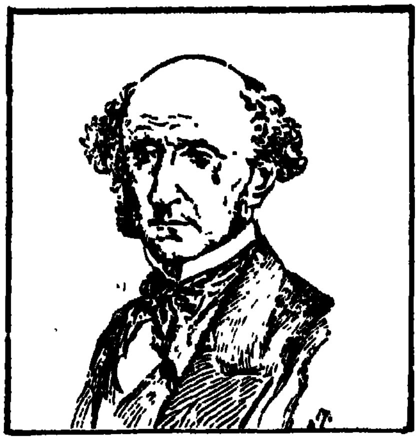
وفي اطار الفلسفة السياسية أطلق المصطلح على النظرية الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تؤمن بالحرية في كل أشكالها وخصوصاً حرية التجارة وحرية الفرد والايمان بالعقلانية (أي أصحاب الاتجاه الليبرالي*) ، كما تؤمن النظرية بالمشاركة الاجتماعية ، وكان أعلام هذه النظرية من الفلاسفة والمفكرين : جون ستيوارت ميل ، هنري جيمس ، جريمي بنتام ، وهكذا كانت النشأة حتى في اطارها الفلسفي تعبيراً عن اتجاهات أقصى اليمين السياسي .

وقد شاع المصطلح كتعبير عن مطالب قوى اجتماعية اعتباراً من عصر الثورة الصناعية ، فمع ظهور الطبقة الجديدة التي تغير فيها شكل الثروة ، وملكية أدوات الانتاج بدأت الطبقة (الصناعية) تعارض قيود طبقة ملاك الأراضي (الاقطاع) واستبداد طبقة النبلاء أصحاب الوصاية والسلطة على النظام السياسي ، ولقد وصل الأمر الى الحد الذي وقف فيه الراديكاليون الى جانب الثورة الأمريكية

---

* راجع قاموس العربي عدد ٣٢١ أغسطس ١٩٨٥

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



● جون ستيوارت ميل

عندما نشبت حرب الاستقلال الانجلو أمريكية .

ولقد ساهمت أفكار الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، وثورة ١٨٣٠ في تحول استخدام المصطلح من تعبير عن اليمين السياسي الى اليسار السياسي ، فلقد انتشرت الأفكار التي كانت تدعو اليها الثورة الفرنسية في الجزيرة البريطانية ، وعندما شهدت بريطانيا أزمة اقتصادية فيما بين أعوام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٣ خرج العمال الى الشوارع ، وظهرت للراديكالية جريدة « حامي الفقير » وسقطت وزارة المحافظين وجاء الأحرار للحكم ، واستمر ضغط الراديكالية من أجل اصلاح سياسي ودستوري واجتماعي . وصل الى حد الصدام والمظاهرات ، الأمر الذي دفع بالحكومة الى تفويض الجيش لفض الثورة .

وعرفت هذه الثورة بثورة الراديكالية التي اسفرت عن « قانون الاصلاح العظيم » يونيو ١٨٣٢ ، وتعد تجربة الراديكالية في فرنسا دليل الذين يرون ان الراديكاليين هم اليساريون فقد تكونت مجموعة الراديكالية الاشتراكية ومجموعة اليسار التقدمي وكلتاهما منشقة عن الراديكاليين ، وعندما أعلن حزب الراديكاليين في عام ١٩٠١ شن حملة على نفوذ رجال الدين ، كما طالب بالتأميم وفرض ضريبة على الايراد العام ، ولم يكتب نجاح كبير لتجربة الراديكالية في فرنسا لضعفهم تنظيماً ، واعتمادهم على أسماء لامعة كثيرة مثل أميل زولا ، كليمنصو وموريس سارو ، وفي التاريخ المعاصر منديس فرنسي والجنرال ديجول حتى عام ١٩٥٨م . وهكذا نجد أن المصطلح بدأ تعبيراً عن قوى اليمين ثم تحول الى التعبير عن القوى السياسية لأقصى اليسار التي ترغب وتطالب بالتغيير الجذري كحل وحيد للاصلاح . □

قال بنيامين فرانكلين :

إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

مَنْ سَلَّمَ الطفلينِ للجلّاد ؟

« صابرا » و « شاتيلا »
طفلان فوق التل
يستسقيان الطل
طفلان من حنظل
في حومة الجندل
كانا قد اغتيلا

* * *

الليل يجيء
والغول يجيء
الغول القابع في الأنواء
الغول الرابض في قصص الجدات
يتبعثر في أفكار الصبية كل مساء
يتربّص ـ فوق التل ـ بوقت النوم
يتحسس لحم القوم

* * *

في ذات ظلام
(اذ كان القمر اختنق . . . فنام)
ما بين الليل / الغبش . . الليل / الصمت / الهمس
يموج الليل / الزئبق ـ بحرا ـ فوق ذراع « يهوذا »
لما جاء يقبل باب مخيم أهل الأرض





شعر : عبد الستار سليم

(يربدُّ الأفق . . يسيل على آثار . . قد تركتها
- فوق تراب الأمس - أصابع طفل غض) .
فيعانق وجه يهوذا . . الليل و / القار
ويصفع وجه التل . . الليل و / النار
واحتدَّ الغول (القابع في قصص الجدّات)
على قصص الجدّات فثار .

* * *

يستيقظ الطفلان
والأرض مذعورة
قد هشم الصورة
غول . . بألفي رأس
من - ياالهول البأس -
يستصرخ الطفلان ؟
قالت كتب التوراة
« من يَقْتُل . . يُقتَل » .
من يسرق . . . . يحرق
قال التلمود . . بمفتتح الاصحاح
يا شعب الله . .
ميراتك فاحمل . . واستسفح
أوردة الخلق
قال التلمود بمختتم الاصحاح
لحم الأيام مباح
اقتل . .
اسرق . .
احرق . .
كتب التوراة يا شعب الله .

* * *

(تعليق)
الحق أقول لكم
من تحت هزيم الرعد . . ولمع البرق . .
وصوت تصاريف الجلاد
يزداد عنادا رَحمُ الأم
ويظل دفيئا هذا الدم
الحق أقول لكم
ان غيض النبض
وراحت مزق اللحم الطفليّ الرعشات
تستاف تراب الأرض
سيجيء الوقت
يتفجر من أعلى أنهار الصمت
وتفيض بحيرات الصحراء
كي تغسل أودية لزجة
من فرط الموت